الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

٧

يوليو ١٩٦٩ - السنة الخامسة

سئوليات القوى المعادية للاستعمار فى مرحلة المدّ الثورى

رؤية العدو للمقاومة

البرجوازية الصغيرة .. الوضع الطبقى والموقف الفكرى

آفاق ثورة اليمن الجنوبية

ملف خاص شبلى شميل .. رائد الفكر العلمى فى مصر

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبد الله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد السابع — السنة الخامسة — يوليه ١٩٦٩

ص

■ مسئوليات القوى المعادية للاستعمار فى مرحلة المد الثورى — « الافتتاحية » — ٥

● البورجوازية الصغيرة .. الوضع الطبقى والموقف الفكرى . — د. فؤاد مرسى — ١٠

■ رؤية العدو للمقاومة ! — ١٩

● الخلفية التاريخية للارهاب الصهيونى ضد شعب فلسطين . — اسماعيل عبد الحكم — ٢٠

● المواجهة السياسية الاسرائيلية للمقاومة . — احمد صدقى الدجانى — ٢٣

● المواجهة العسكرية الاسرائيلية للمقاومة الفلسطينية . — عبد القادر ياسين — ٣٢

● الدعاية الصهيونية .. سلاح اسرائيل الاول . — يحيى ابو بكر — ٣٨

● الاقتصاد الاسرائيلى وضرورات التوسع والسيطرة . — محمد صبحى الاتربى — ٤٥

● العدو يرصد المقاومة . — ٥٠

● التعليم الفنى وعلاقته بالتعليم العام . — سعد الطويل — ٧٠

● آفاق ثورة اليمن الجنوبية . — عبد الواسع قاسم — ٧٩

■ تقارير الشهر وتعليقات — ٨٦

■ مكتبة الطليعة — ١١١

■ كتابات جديدة ومناقشات مفتوحة — ١٢٥

■ شبلى شميل .. رائد الفكر العلمى فى مصر .... « ملف خاص » — رفعت السعيد — ١٣٠ ؛ غالى شكرى — ١٥٠

■ وثائق : الحركة الدستورية فى مصر من أواخر القرن الثامن عشر — ١٥٥

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الــراى ولــكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ؟

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الــراى ولــكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ؟

الافتتاحية

مسئوليات القوى المعادية للاستعمار في مرحلة المدّ الثوري

تنتاب الحركة الثورية العالمية موجات من المد والجزر المتتابعة ، لاتنفي الحتمية التاريخية للمسار الطبيعي لعالمنا المعاصر في اتجاه الانتصار الكامل لقوى الاشتراكية ، ولن تحول دون انهيار الرأسمالية . واذا كانت الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية قادرة على شن بعض الهجمات المضادة ، وتحقيق مكاسب جزئية هنا او هناك ، فليس باستطاعتها وقف عجلة التطور الانساني .

ان محصلة الذبذبات التي تعترى طريق مرحلة التحول العظمى ، تشكل خطا صاعدا في اتجاه التقدم . اقصى ما يمكن أن تحققه القوى الامبريالية والرجعية من انتصارات في بعض المواقع لا يعكس بحال من الاحوال تغيرا في ميزان القوى لصالحها ، بقدر ما يجسد تفاقم ازمتها واستفحال تناقضاتها ، مما يغذى الطابع العدواني الملازم لهذه التحولات .

الا ان الحتمية التاريخية لا تعني الاستسلام لعفوية ، بل تستلزم قدرا متزايدا من الوعي واليقظة والمبادرة واعمال الارادة الانسانية من أجل قطع خط الرجعة على العدو ، والتعجيل بالنصر . وسيظل توازن القوى على النطاق العالمي يسجل تقدما مضطردا لصالح الاشتراكية اذا توحدت القوى الثورية المعادية للامبريالية .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ظهر في الحركة الثورية العالمية اتجاهان ، أحدهما يبالغ في قوة الامبريالية ويخشى التصدى لها ، ويتخاذل عن مواجهتها ، وينأى عن التناطح معها . واتجاه آخر يقلل من شأن الاستعمار ويستهين بقوته ويبخس من قدراته على المقاومة والمناورة والمرونة في التشكل في صور متباينة تناسب العصر وتطيل من حياته .

ومما لاشك فيه ان الامبريالية كنظام عالمي تعاني من مظاهر التفكك والشيخوخة في مواجهة النظام الاشتراكي الفتي ، كما يزداد ضعفها النسبي بالمقارنة مع قوى التقدم والسلام . الا ان هذه الحقيقة لاتجعلنا نغفل واقعا ، هو ان الامبريالية مازالت تمتلك جهاز انتاج قوى وفعال ، وأن التطورات

التى أدخلتها على هيكلها الانتاجى وتنظيمها الداخلى – رأسمالية الدولة الاحتكارية – والامكانيات التى يتيحها اندماج الاحتكارات المتزايد بجهاز الدولة وببعضها البعض ، والاخذ بأسلوب البرمجة والتخطيط الانتاجى الموجه وتدابير التحكم فى السوق الى حد ما لصالح الاحتكارات ، والتركيز على الصناعات الحربية، والتحول الى سياسة الاستعمار الجديد هى بمثابة عقاقير منشطة ، تعوق بعض الشيء مظاهر الشيخوخة وتؤجل الى حين النهاية المحتومة ٠

وقد اتسمت الخمسينات بتزايد عدوانية الامبريالية وارتفاع مستوى العنف الاستعمارى الرجعى – وآكب الانقسام المؤسف داخل الحركة الاشتراكية – بلغت ذروتها فى الغزو الامريكى لفيتنام والعدوان الاسرائيلى فى الشرق الاوسط ،والتدخل المسلح فى كوبا وبناما والدومينكان ، وتدبير الانقلابات ضد النظم الوطنية التقدمية حيث نجحت فى غانا وأندونيسيا ومالى واليونان وبنما وبيرو ، وتزايد أخطار العسكرية النازية الجديدة لدوائر بون الحاكمة ، بما يهدد الامن الاوربى والسلام العالمى ، وأطماعها التوسعية والانتقامية ضد جمهورية ألمانيا الديمقراطية وبولندا وتآمرها للاطاحة بنظام الحكم الاشتراكى فى تشيكوسلوفاكيا ٠

ان سياسة الاعداد للحرب ، وتهديد السلام العالمى ،وتكديس الرءوس النووية ،وزيادة الانفاق الحربى ، والعدوان على الشعوب وحقوقها الديمقراطية والاجتماعية ،ليست ظاهرة عابرة ، ولا هى بسياسة جماعة ضلت الطريق ، بل أنها من صميم طبيعة النظام الامبريالى ٠ وكلما أصاب الوهن أحلافها العسكرية العدوانية سارعت الولايات المتحدة الامريكية الى اقالتها من عثراتها ٠ وموقفها من حلف شمال الاطلنطى نموذج حى على تصميمها على التمادى فى سياسة العدوان والعنف ، فهى تسعى لتجديد الاتفاق بعد انقضاء أجله ، ويتقرر تحت ضغطها رفع الانفاق العسكرى الى ١٠٠٫٠٠٠ مليون دولار للعام الحالى وزيادة القوات المسلحة وقدراتها القتالية ٠ كما تقرر فى اجتماع نوفمبر الماضى القيام بمناورات عسكرية فى القسم الشرقى من البحر الابيض المتوسط – فى اوائل ابريل – للقوات البحرية الموحدة للحلف ، والتى تشكلت فى اعقاب العدوان الاسرائيلى على البلدان العربية ٠ ولا يخفى الهدف من هذه المناورات ، فى الوقت الذى ترفض فيه اسرائيل الامتثال لقرار مجلس الامن ، وتناور الولايات المتحدة فى المحادثات الرباعية فى نفس الاتجاه ٠

وتشتد سطوة التحالف « الصناعى – العسكرى » من جنرالات البنتاجون واصحاب الصناعات الحربية ، مما يدعم روح المغامرة ويزيد معدل الاخطار التى تحيط بالبشرية ٠

لكن المد الاستعمارى الرجعى كان لابد وأن ينحسر تحت وطأة النضال البطولى للشعوب ، وشهد العام الماضى بدء انحسار موجة الجزر الثورى ٠ فقد كال الشعب الفيتنامى ضربات قاصمة لجهاز الحرب الامريكى ، فاضطرت الولايات المتحدة تحت ضغط الارادة الحديدية والبطولة الخارقة للشعب المقاتل ، وبفضل قوة التيار التضامنى الذى امتد عبر العالم أجمع الى أغوار المجتمع الامريكى نفسه ، اضطرت الى وقف غاراتها القذرة على جمهورية فيتنام الديمقراطية (منذ ٢١ أكتوبر ١٩٦٨) وقبول مباحثات السلام ، والشروع فى سحب بعض قواتها من فيتنام ، مما يعد مكسبا لا يستهان به لا لشعب فيتنام وحده ، بل لجميع القوى التى تناضل من أجل التقدم والسلام ٠

وفى الشرق الاوسط أكد عام الصمود أن العدوان الاسرائيلى الاستعمارى لم يبلغ غايته ، فالانظمة التقدمية فى البلدان العربية لم يتم اسقاطها ، طبقا لمخططات الحكام الامريكيين والاسرائيليين ٠ لقد كان للهزيمة العسكرية أثر عكسى ، فقد زادت من تصميم الشعوب العربية على خوض المعركة حتى نهايتها ٠ ودعمت التضامن العربى والوحدة الوطنية ، وعززت المواقع الثورية وقوى اليسار ، واضعفت نفوذ الرجعية ،وشلت الى حد كبير حرية تحركاتها ٠ وقد جاءت ثورة الشعب السودانى وانتفاضته العظيمة لتؤكد أن الضغط الاستعمارى الرجعى فى أعنف صوره ، لا يستطيع وقف عجلة التطور ، بل أن له اثرا عكسيا ويؤدى بالضرورة الى توسيع القاعدة الثورية للانطلاقة العربية فى طريق التحرر ٠ وتوالى الاعتراف بجمهورية ألمانيا الديمقراطية يسير فى نفس الخط ٠ ردود الفعل الثورية ٠ ضد العدوان الاستعمارى ٠

وتكســب القضية العربية مزيدا من التفهم والتأييد من جانب قطاعات متنامية من الرأى العام العالمى بعد افتضاح زيف الدعايات الاستعمارية الصهيونية ، واتضاح حقيقة العدوان والاهداف التوسعية التى تكمن وراءه .

وتمتد الثورة عبر أفريقيا وآسيا الى امريكا اللاتينية ، فتلاقى الاوساط الحاكمة الامـريكية مصاعب متعاظمة ، ومقاومة متزايدة داخل منظمة الدول الامريكية ذاتها . وقد فشلت كل محاولات الاطاحة بنظام الحكم الثورى فى كوبا . ويعانى الجهاز الامريكى ــ بكل جبروته ــ من التصدع . وهو الجهاز الذى أقامته امريكا على قوائم أربع : الدولار ، وكالة المخابرات المركزية ، العمـلاء ، ومشاة البحرية الامريكية . وتتميز المرحلة الاخيرة باتساع نطاق النشاط السياسى التحررى ، وحركة النضال المسلح الثورية فى جميع ارجاء أمريكا اللاتينيه . وأقرب الاحداث الى الاذهان تفجـر مشاعر العداء « لليانكى » التى تجسدت فى التحركات الجماهيرية الواسعة ضد رحلة روكفلر مبعوث نيكسون الى أمريكا اللاتينيه ، وموقف بيرو عندما تحدت « العملاق » فأممت المصالح البترولية دون تعويض ، ولقيت تأييد بوليفيا والارجنتين من داخل منظمة الدول الامريكية .

وتزداد قوة العالم الاشـتراكى سيـاسيا واقتصاديا وعسكريا وتنهار المـؤامرة علـى تشيكوسلوفاكيا وتبوء بالفشل وتوجه كوريـا الشمالية ضربتين ساحقتين لامريكا بأسر سفينـة التجسس « بويبلو » واسقــاط طــائرة التجسس الامريكية . ورغم كل الصرخات الهسـتيرية عن « اجراءات رادعة » للتأديب ، فقد أثبتت أمريكا عجزها واضطرت الى التراجع أمام صلابة الشعب الذى سبق أن لقنها درسا قاسيا .

وقد اضطرت الدوائر الرجعية الى الاقـرار بالنجاح الذى حققه المؤتمر العالمى للاحـزاب الشيوعية والعمالية (٧٥ حزبا) ، وفاق كل التصورات والتوقعات . حقا ، أن المؤتمر لم يقض على الانقسام الذى برز فى صفوف الحـركة الشيوعية بعد أجتماعها عام ١٩٦٠ ، وتفاقم فى السنوات التالية ، الا أنه يمثل جهدا بناء فى طريق رأب الصدع ، وحصر الاضرار التى الحقتها بوحدة العمل فى النضال ضد الامبريالية وفى سبيل التقدم . وقد أكد المؤتمر أن تباين الآراء فى تقييم بعض القضايا والمهام الثورية لايشكل عقبة تحول دون التوصل الى اتفاق حول الاسـتراتيجية الاساسية . وأثبت أن نقاط اللقاء أعظم وأعمق بكثير من أوجه الخلاف وعناصر التفرقة .

أما فى داخل المعسكر الرأسمالى فنشهد تفاقم الازمة واحتدام الصراع الطبقى والخـلافات والتناقضات بين القوى الامبريالية بعضـها البعض . وتعانى البلاد الرأسمالية من عجز مزمن فى ميزانياتها وانفجارات متلاحقة للازمات النقدية والمالية والتضخم المالى .

وتزداد حدة الصراع داخل المعسكر الرأسمالى بين التكتلات المتطاحنة أقتصاديا وسياسيا . ست دول تتنازع زعامتها فرنسا والمانيا الفيدرالية ، وسبع تترأســها بريطانيا . والولايات المتحدة الامريكية تحاول الابقاء على سيطرتها على أوربا فى وجه معارضة متزايدة . خلافات داخل حلف الاطلنطى وحول الامن الاوروبى ، ومشـكلات التسليح النووى ، والسوق الاوروبية . الخ .

وعلى نقيض ما تحاول الدعاية الغـربية تصويره ، نشهد استفحال التناقض بين العمل ورأس المال واحتدام الصراع الطبقى ، تعبر عنه أصدق تعبير موجة الاضرابات التى بلغت ذروتها خلال العام الماضى ، وفى النصف الاول من هذا العام . فقد أشترك أكثر من ٣٠٠ مليون شخص فى الحركة الاضرابيه فى البلدان الرأسماليه المتطورة خلال الاعوام من ١٩٦٠ ــ ١٩٦٨ ، مقابل ١٥٠ مليونا فى السنوات الاربع عشرة السـابقة . . خمسة آلاف اضراب فى العام الماضى فى الولايات المتحدة . أربعة عشر مليون انسـان يشتركون فى « هجوم الربيع » الاضرابى فى اليابان . عشرة ملايين يسهمون فى أضرابات مايو ــ يونيو الماضى بفرنسا وثمانية عشر مليونا فى حركة فبراير ١٩٦٩ بايطاليـــــا وهى جميعا وقائع تكذب منطق الصلح الاجتماعى والتعايش الطبقى والسلام الذى يسود علاقات العمل برأس المال والادعاء الزائف عن تخاذل الروح النضالية للطبقة العاملة فى المجتمعات الاوربية المتقدمة .

وداخل الولايات المتحدة الامريكية تحتدم مشكلة الزنوج والفقر والبطالة وينهار شعار « **المجتمع**

العظيم » ويتنبأ السناتور ج • **مانسفيلد** تعليقا على مشروع شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ بأنه « فى النهاية سنجد اننا بنينا صواريخ هائلة لامعة حول مدن متآكلة تتحول ببطء الى خرائب دون تجديد وسط حقول خاوية فقيرة » !

تلك هى خريطة الاحداث على المستويات الثلاثة للنضال المعادى للامبريالية • وكل المؤشرات تجعلها بمثابة نقطة تحول حاسمة ومنحنى بارز فى مسار الحركة الثورية العالمية فى اتجاه تصاعد المد الثورى •

واستنادا الى التجارب النضالية فى مجال الكفاح ضد الحلف الامبريالى الرجعى ، أمكن للقوى الثورية أن تستخلص خبرة ثمينة ، وتضع قواعد عامة هى ذخيرتها وزادها فى مواصلة النضال بصورة اكثر فاعلية للتعجيل بنهاية الامبريالية • ومن أبرز النقاط فى هذا المجال :

● كلما تزايد احساس الامبريالية بالارض تميد بها والوهن والخواريسرى فى أوصالها تحت وطأة الضربات المتعاظمة الاثر من جانب الشعوب ، تضاعف من عدوانيتها وشراستها ، مما يستوجب **الحذر والتزود بقدر أكبر من اليقظة ، ويفرض ضرورة مجابهة الاستراتيجية العالمية للامبريالية بجبهة موحدة متماسكة •**

كما أن موجة المد الثورى التى تندفع بقوة متجددة عبر العالم اليوم ، تهيىء الظروف المواتية لاحراز مزيد من الانتصارات على امتداد جميع الجبهات • **لكن عمق وأبعاد هذه الانتصارات متوقف على مدى وحدة وصلابة واتساع واتساق تحالف القوى الثورية على نطاق العالم أجمع •**

ورغم التناقضات التى تضيق الخناق على المعسكر الامبريالى ، الا أن أطرافه تتجمع حول هدف واحد هو الدفاع عن رأس المال ويضمها تحالف طبقى يشمل العالم كله وينسق نشاطه طبقا لاستراتيجية عالمية تعمل على ربط الجبهات الطبقية المتناثرة ، والتأثير فى مناطق الصدام لمصلحتها المشتركة ، وهى استراتيجية لا تعرف الحدود القومية طالما كان الامر متعلقا بالدفاع عن حياتها وفى مضار عدائها للشعوب . فالنضال الطبقى يرتبط عضويا بالصراع العالمى بين النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى ويحمل طابعا دوليا • ومن هنا فان نشاط كل حزب أو تنظيم ثورى هو جزء لا يتجزأ من جبهة النضال ضد الامبريالية ، **وهكذا تبدو أهمية رفع مستوى التضامن بين القوى الثورية على نطاق العالم أجمع وضرورة العمل الموحد فى اطار استراتيجية ثورية واحدة ضد الجهد المركز والمنسق لرأس المال الدولى •**

● أن المهمة التاريخية **الثابتة** للقوى الاشتراكية هى القضاء على الرأسمالية ، وتشييد صرح عالم متحرر من الاستغلال ، وفى أطار هذه المهمة بعيدة المدى ، تجتاز البشرية مراحل متعاقبة متعددة ، وتتصدى لمهام **خاصة** ، تتغير وفقا للتطورات التى تطرأ على الوضع الدولى وتوازن القوى العالمى •

فى الثلاثينيات عندما أصبحت ألمانيا النازية هى بؤرة التجمع الرجعى العنصرى ومركزه العصبى فى العالم ، كان توحيد الصفوف وتعبئتها ضد الفاشية والنضال من أجل دحرها هو المهمة الرئيسية للقوى الاشتراكية والوطنية والديمقراطية • أما اليوم وقد احتلت الولايات المتحدة الامريكية مركز الصدارة وتولت قيادة وتوجيه السياسة الامبريالية العالمية ، أصبحت المهمة التى تواجه كل القوى الثورية فى العالم هى تعبئة قواها ضد السياسة الامبريالية ، **وتوجيه الضربة تلو الضربة الى رأس الافعى • • الولايات المتحدة الامريكية •**

ومن الطبيعى أن تعمل أمريكا على التخفى وراء عملائها ومساندة الرجعية المحلية ودفعها الى مقدمة « المسرح » (**اسرائيل** فى الشرق الاوسط ، عصابة كاى شيك فى الصين ، الطغمة **العسكرية الفاشية** فى اليونان ، حكومة سايجون فى فيتنام • الخ) ، الا أن القوى الثورية مطالبة بان تتذكر **دائما** من هو **العدو الرئيسى** ، حتى فى غمار وعنفوان معركتها مع قوى التصادم المباشر ، بالرغم من أن الضربة الرئيسية قد تكون موجهة الى أخرى •

ومن أهم مقومات **النصر** على الحلف الامبريالى الرجعى الادراك الدقيق والديناميكى المتطور لقوى

التحالف الثورى والتحالف المناوىء ، طبقا لظروف كل بلد وعلى نطاق المنطقة وفى المجال الدولى . ثم التحديد العلمى **للعدو الرئيسى** فى الجبهة المعادية من جانب ، **والقوة المحركة** للتحالف الثورى من جانب آخر .

● أوضحت تجربة الشعوب بصورة لا يرقى اليها الشك أن الوحدة الداخلية والتضامن الدولى هما السبيل الى احراز النصر فى أى معركة مع العدو . وأبرز نماذج فى هذا المجال فيتنام وكوريا والجزائر ، بالتقاء عزيمة شعب يريد أن يتحرر بالتيار التضامنى العالمى . هذا التضامن يجب أن يتدعم الى اقصى حد ، خاصة فى **المناطق الحاسمة للصراع .**

والقوى الثورية فى العالم مواجهة بمسئولية الاتفاق **حول القضايا الاستراتيجية الاساسية وتحديد مهام عامة مشتركة للنضال ضد الامبريالية وترسيخ نقاط اللقاء** ، والمثابرة على تقريب وجهات النظر ، من خلال الممارسة العملية المشتركة ـ وتوطيد التعاون والوحدة ، والتضامن فى جميع المجالات .

وهناك قواعد أساسية لدعم الوحدة الفكرية والعملية ، وتذليل الخلافات والحد من تأثيرها السلبى . وهى تتلخص فى النضال المشترك والممارسة العملية للنشاط الثورى فى أطار ما يمكن أن تلتقى عليه القوى الثورية ، ودون انتظار تصفية الخلافات وتسويتها ، ثم مضاعفة الاتصالات الثنائية والجماعية على كافة المستويات وبصورة منتظمة بين الجماعات والاحزاب الثورية ، ذات المصلحة المشتركة فى الكفاح ضد الامبريالية . فى مثل هذا المناخ يكتسب النقاش حول النقاط الخلافية طابعا أيجابيا بناء ، اذ يجرى الحوار بين وجهات النظر المتباينه على ضوء التجربة المستفادة من واقع النشاط العملى وعلى أساس من البدء بقاعدة راسخة للتجمع حول نقاط الالتقاء ، لا التفرق والتنافر على أشلاء الخلاف .

● فى ظل الظروف المواتية الجديدة يصبح من الضرورى على القوى الثورية ان تحرر نفسها من اسار التزام مواقف « رد الفعل » الى سياسة « الفعل » ، وأن تأخذ بيدها زمام **المبادرة** . ونعنى هنا المبادرة المدروسة ، المستندة الى قوة حقيقية ـ لا وهمية ـ الموجهة الى اضعف الحلقات فى النظام الاستعمارى ، بتوقيت يراعى أنسب الظروف لقوى الثورة وأسوأها فى المعسكر المعادى ، حتى لا يختلط علينا الامر بين المبادرة **والمغامرة** ، ولا نسقط فى شرك حسابات خاطئة تؤدى الى نتائج عكسية .

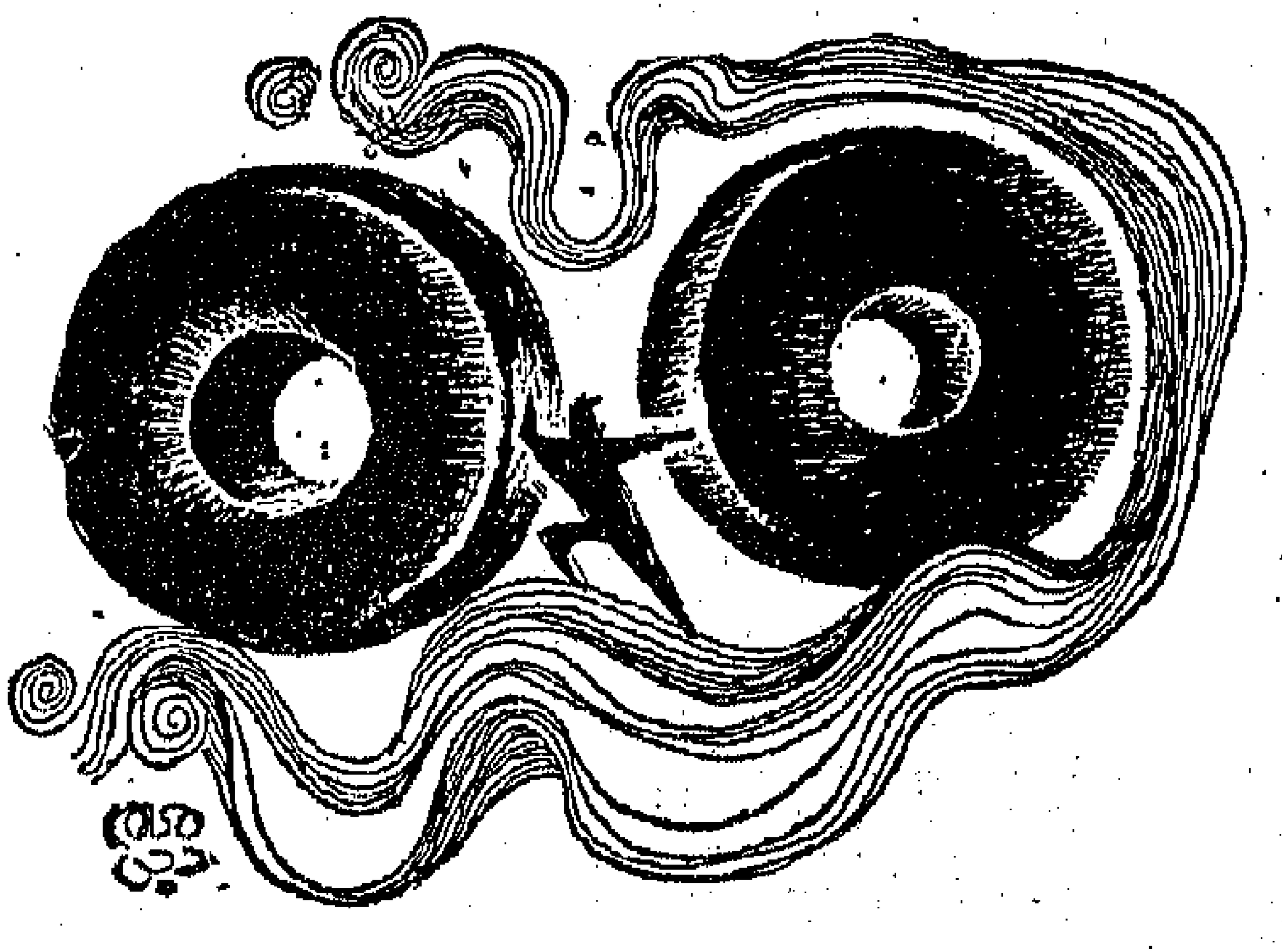
والاستراتيجية الامبريالية تشمل كل اشكال الصراع السياسى والاقتصادى والعسكرى والفكرى ، وهى تشن هجماتها على جبهة عريضة تمتد عبر العالم كله . ومن هنا يصبح على القوى الثورية أن **تجيد اختيار واستخدام** كل هذه الاسلحة ، وأن تفرض على القوى الامبريالية ، وتورطها فى مواجهة عنيفة مباشرة فى المناطق الحاسمة للصراع فى أضعف حلقة لديها ، وأكثرها نضجا من الناحية الثورية ، وتكيل لها الضربات القاصمة . وتبادر الى **تنظيم رد جماعى قوى** ، وهو ما يكفل لها النصر فى موقع أو مواقع بفضل ارادة شعب مناضل ، ووحدة الحركة الثورية العالمية وتدفق تيار التضامن الدولى ، مما يعود بأثره من جديد على الحالة الثورية العامة فيرفع من مستواها ويؤدى الى تطوير وايقاظ الثورة فى جميع أنحاء العالم .

ان موجة المد الثورى الجديدة التى تزحف على مواقع الحلف الامبريالى الرجعى تفرض على القوى الثورية التسلح بأرفع مستوى من اليقظة واعظم قدر من التضامن والتآزر حيث أن ما يوحد بينها موضوعيا هو أكبر وأعمق بكثير مما يفرقها . والوحدة هى سبيلنا الى النصر فى النضال ضد الامبريالية ، ومن أجل الحرية والتقدم والسلام والاشتراكية .

« الطليعة »

البرجوازية الصغيرة

الوضع الطبقي.. والموقف الفكرى



د. فؤاد مرسى

قضية

الحرفيين ، وصغار المنتجين لايمكن ان تفهم حق الفهم بغير ان نضعها فى اطارها الصحيح . فالحرفيون وصغار المنتجين،ومن يسمون ايضا بالمنتجين المستقلين ، ومن يسمون أحيانا بالمنتجين العمال ، يشكلون جميعا ما يسمى بالبرجوازية الصغيرة ، اكثر الطبقات عددا وأوسعها نفوذا . وابعدها اثرا فى مجتمعنا . ومن ثم فانه من الضرورى أن نتزود بفهم نظرى لهذه الطبقة ، يكشف عن وظيفتها الاجتماعية ، التى تعتبر من اقدم ما عرفته المجتمعات تاريخيا ، كما يحدد دورها وامكانياتها الثورية فى عملية التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية . وفيما يلى يمكن ان تتضح لنا حدود تلك البورجوازية الصغيرة فى فقرتين ، الاولى عن وضعها الطبقى ، والثانية عن موقفها الفكرى .

أولا : الوضع الطبقي

هى أقدم الطبقات الموجودة ، وتركيبها أكثر الطبقات تعقيدا ، فمنذ اقدم المجتمعات وجت الحرفيون ، وكانوا فى الجماعات البدائية يقومون باعداد المنتجات الصناعية بتشكيل المواد الخام الزراعية ، أو المعدنية ، أو الفخارية ، وكانوا ارباب الصناعات الحرفية .

الانتاج الحرفى

وطالما كانوا ينتجون بالامر ليستهلك السادة ، فانهم كانوا ينتجون منتجات لا تسمى بعد سلعا . ولذلك كان انتاجهم مجرد **انتاج حرفى** ، أى صناعة منتجات لامر المستهلك . والانتاج الحرفى لا يعرف

بعد بالانتاج السلعى ، أى انتاج منتجات بغرض البيع أو التبادل فى السوق .

ثم بدأ التداول السلعى قبل الانتاج السلعى ، ان التداول السلعى يظهر عندما يدفع الحرفى بالنقود أو يبيع نصيبه من الناتج ، ويشترى لنفسه مواد خام وأدوات انتاج . أما ناتج عمله نفسه فلا يظهر بعد فى السوق . أى أن الحرفى يظهر فى السوق لا بانتاجه ، ولكن بثمرة انتاجه اى بناتج عمله — بدخله .

ومثل الانتاج الحرفى كانت الزراعة الابوية الصغيرة ، زراعة العائلة الواحدة من الفلاحين لارض لكى تعيش منهـا ، كلاهمـا انتاج يتميز بالتفتت والضيق والتشتت .

الانتاج السلعى

ويبدأ الانتاج السلعى عندما يتعامل المنتـج الحرفى مع السوق . فالتداول السلعى أسبق من الانتاج السلعى ، لكنه مع ذلك شرط لقيام هذا الانتاج السلعى ، اذ لا يلبث التداول السلعى — الذى يجرى بطريقة عفوية — ان يدعو لانتاج منتجات للتبادل أو للمقايضة ، اى للسوق . عندئذ يبدأ ما يسمى **الانتاج السلعى البسيط** ، وفيه يتم الانتاج بواسطة صغار المنتجين ، من الفلاحين والحرفيين، الذين يعملون بانفسهم ، ودون مساعدة من الغير، بأدوات انتاج بسيطة ورخيصة يمكنهـم أن يتملكوها .

وبالطبع يقوم هذا الانتاج السلعى الصغير على الملكيه الخاصة لادوات الانتاج ، لكنه يقوم أيضا وبصفة أخص على **العمل الفردى** لصغار المنتجين انفسهم .

وقبل نشأة الرأسمالية كان الانتاج السائد خارج الاقطاعيات هو هذا الانتاج السلعى البسيط الذى يتم بواسطة صغار منتجى السلع من الفلاحين والحرفيين الذين يبيعون الجزء الأكبر من انتاجهم فى السوق ، ويشترون لوازمهم منه .

الانتاج الرأسمالى

هذا الانتاج السلعى البسيط هو الذى ولـد الرأسمالية . فنقطة البدء فى الرأسمالية هـى الانتاج السلعى الصغير بما يفرضه بالضرورة من منافسة تعرض للافلاس اغلبية صغار المنتجين ، عندئذ يتحول الانتاج السلعى البسيط الى **انتاج سلعى رأسمالى** . كيف ؟

ان المنتج السلعى الصغير يخشى المنافسة ، ويحرص على وضع يضمن له احتكارا لانتاجه . من هنا نشـأ نظام الطوائف ، ثم القيـود التى فرضها هذا النظام على تطور الصنعة ، نتيجة الحرص على الاحتفاظ بالابتكارات والتحسينات الفنية سرا بأمل اخفاء فنون الانتاج الناجحة ، ومن هنا كان ركود الصناعة فى ظل نظام الطوائف الحرفية

لكن لا يلبث التطور ان يشق طريقه شقا ، فمن المنافسة الكامنة فيما بين صغار المنتجيـن السلعيين ، ينجح بعضهم فى اقامة ورش كبيرة نوعا ، يجرى بداخلها الانتاج ، ولابد أن تستعين هذه الورش بعمل اضافى غير عمل اصحابها ، وهكذا من ثنايا الانتاج الصغير المتفرق يظهر التعاون البسيط بين المنتجين ، لكنه تعاون بسيط رأسمالى ، يبدأ به الانتاج الرأسمالى ، باستخدام عدد أكبر من العمال . هنالك تتحول الصناعة الحرفية الى **الصناعة اليـدوية** (المانيفاكتورة) . وكان التجار اسبق الناس الى ادراك حتمية هذا التحول ، فهم الذين كانوا يسوقون المنتجـات السلعية الصغيرة ، ولقد حصلوا من ورائهـا وبخاصـة فى الاسـواق الخارجية على ارباح مغرية . هنالك تدخل رأس المال التجارى فـى الصناعات الصغيرة ، واستطاع بقوته الاقتصادية ان يحقق **تبعيـة المنتج الصـغير لرأس المـال التجارى** .

وكانت الصناعة اليدوية عظيمـة الاهمية فى تطور الاشكال الرأسمالية للصناعة ، باعتبار أن هذه الصناعة اليدوية هى الحلقة بين الحرف والانتاج السلعى الصغير ، وبين الصناعة الالية الكبيرة التى ظهرت فيما بعد . فهى من جانب أقرب الى الصناعة الصغيرة لانها لاتزال تعتمد على العمل اليدوى ، وهى من جانب آخر أقرب الى المصنع الحديث بسبب نشأة السوق الكبيـرة للمنتجات .

لهذا يرى علماء الاقتصاد أن تطور الرأسمالية فى الصناعة قد اجتاز ثلاث مراحل هى على التوالى : مرحلة الانتاج السلعى الصغير ، ثم مرحلة الصناعة اليدوية الرأسمالية ، ثم مرحلة الصناعة الالية الكبيرة فى المصنع .

● ففى مرحلة الانتاج السلعى الصغير نجد الصناعة الصغيرة تتبع تطور الاقتصاد الفلاحى . فالسوق ضيقة ، والمسافة بين المنتج والمستهلك قصيرة مباشرة ، وحجم الانتاج الهزيل يتمشى مع الطلب المحلى الذى قلما يتقلب ، ولذلك فالصناعة تتميز بأكبر ثبات ، لكنه الثبات الذى يعنى الركود فى التكنيك ، والاحتفاظ بعلاقات اجتماعية ابوية

مختلطة بكل بقايا التقاليد الاقطاعية ، وبالطبع فان هذه السمات تتجلى بشكل أوضح فى الزراعة .

● أما فى مرحلة الصناعة اليدوية الرأسمالية ، فتجد الصناعة تتركز فى المصنع اليدوى . وهوورشة كبيرة ، تجمع كل الصناع فى مكان واحد ، حيث يقوم كل صانع منهم بانتاج السلعة كلها ، معتمدا على أدوات عمل لم تتطور بعد كثيرا ، لكنه ينتج للسوق ، ويلجأ الى تبسيط عمليات الانتاج عن طريق تقسيم العمل اللازم لانتاج السلعة الواحدة .

وفى هذه المرحلة فان التطور الحاسم انما يجرى فى داخل الريف نفسه . ان الزراعة تنجذب بقوة الى تيار الانتاج السلعى ، وتتحول من الانتاج للاستهلاك الى الانتاج للبيع ، وتجرى فى داخل الريف عملية تمايز بين الفلاحين . ان الريف القديم يتحلل . فالمنتجون المباشرون الذين كانوا يشكلون جمهرة الفلاحين والذين ينتجون للاستهلاك المباشر والذين يشكلون الجزء الاكبر من السكان الزراعيين يصبحون مهددين بالتبعية للتجار والمرابين . ومن ثم يفقد بعضهم وسائل انتاجه ، وتنتقل هذه الوسائل بالطبع الى بعضهم الاخر ، وعندئذ فان هذا البعض الاخر يتمكن بوسائل الانتاج الاضافية من أن ينتج كسلع للسوق ما كان المنتجون المباشرون يستهلكونه مباشرة ، وهكذا تتسع السوق المحلية . ومن خلال تحويل الريف تخلق السوق القومية .

ولقد شهدت المجتمعات فى تلك المرحلة زيادة فى الناتج الزراعى مصحوبة بضغط اقطاعى كثيف على الفلاحين ، وعمليات طرد جماعية للفلاحين وحركات تمرد من جانبهم ، وظهور قوة عمل للصناعة فى المدن . ففى المدن ، تبرز طبقة التجار والحرفيون ، وينتشر تقسيم العمل ، مما يساعد أيضا على نمو هذه المدن ، وفى النهاية فان رأس المال يبدأ يتراكم فى أيدى طبقة صاعدة مكونة من التجار والفلاحين الاغنياء .

ان رأس المال سرعان ما يخلق لنفسه سوقا قومية بتحويله ما كان ينتج للاستهلاك المباشر الى سلع ذات قيمة مبادلة ـ وذلك بتدميره لاغلبية المنتجين المباشرين فى الزراعة والصناعة ، فضلا عن تدميره للحرف اليدوية الزراعية نتيجة لما يقيمه للجميع فورا من صناعات للغزل والنسيج والملابس .

وهكذا تهيأت الارض لقيام الصناعة الرأسمالية الكبيرة ، الصناعة الالية فى المصنع الحديث . فلقد تهيأت الارض للثورة الصناعية ، وانتصرت الرأسمالية فى أكثر بلدان الغرب تقدما ، لكنها انتصرت كما رأينا على حساب الانتاج الصغير ، أى بتدمير وافلاس وانهيار البورجوازية الصغيرة القديمة .

فى البلاد الرأسمالية

ففى البلاد التى انتصر فيها نظام الانتاج الرأسمالى ، حيث اصبح الانتاج السائد هو الانتاج السلعى ، وحيث لايعترف للانسان بالوجود الا اذا كان مالكا لسلعة من السلع ، أدت الثورة الصناعية التى غيرت أسلوب الانتاج أولا فى الصناعة ثم فى الزراعة الى أن طبقتين أساسيتين هما اللتان تساهمان فى الانتاج ، طبقة الرأسماليين الذين يملكون ادوات العمل والمواد الخام ووسائل المعيشة ، وطبقة العمال الذين لا يملكون شيئا سوى قوة العمل يبيعونها مقابل آجر .

وفيما عدا هاتين الطبقتين ، فان الصناعة الكبيرة الحديثة قد خلقت ما يمكن أن يكون طبقة وسيطة هى البورجوازية الصغيرة . وهى طبقة تتكون فى جزء منها من بقايا البورجوازيين أشباه الاقطاعيين ، وفى جزء آخر من العمال الذين استطاعوا الارتفاع عن المستوى العام لطبقة العمال .

هى بذلك طبقة جديدة تختلف كثيرا عن الطبقة القديمة . فالسمة المميزة للبورجوازية الصغيرة العصرية هى أنها تتطور بل انها الطبقة التى تتطور أكثر من غيرها . فالخراب والافلاس هو القانون الذى يحكم تطورها . وفيما عدا هذه السمة ، فان البورجوازية الصغيرة تظل هى هى ، طبقة المنتج الصغير ، الفلاح الصغير والحرفى الصغير ، بقية من بقايا اسلوب انتاج عفا عليه الزمن هو أسلوب الاكتفاء الذاتى : أى الانتاج للاستهلاك المباشر . وهم فى الريف كما فى المدينة طبقة تنتمى لا للمجتمع الرأسمالى وانما للمجتمع الاقطاعى .

ففى ظل الرأسمالية ، تلعب البورجوازية الصاعدة دور القوة الحاسمة ، القوة الضرورية ، دور توجيه وتوسيع وزيادة الانتاج . أنها رسول الصناعة الكبيرة . وهذه الصناعة الكبيرة لا تخلق فائض القيمة فحسب ، وانما تخلق الطبقة العاملة أيضا ، كما تدمر البورجوازية الصغيرة . أنها تقضى على صغار المنتجين الذين تسحقهم المنافسة الرأسمالية ، أو تخضعهم لها ، وتحول الكثير منهم الى عمال بالاجر . وهكذا تتفتت البورجوازية الصغيرة الى فئات عديدة . وبينما يخرج من صفوفها نفر قليل يصبحون رأسماليين ، يزيد عدد البروليتاريا عن طريق افلاس صغار المنتجين . وهكذا يتجدد تكوين البورجوازية الصغيرة

باستمرار ، ينحدر اليها الرأسماليون المفلسون وينحدر منها المنتجون المفلسون • ويظل التفتت والانقسام قانونا أساسيا من قوانين حركة البورجوازية الصغيرة •

فى ظل الرأسمالية ، تساهم البورجوازية الصغيرة فى الانتاج أقل من مساهمتها فى توزيع السلع ، اذ تصبح تجارة التجزئة حرفتها الرئيسية فى المدن ، حيث تكون البورجوازية أفضل عملائها • وتنتشر من ثم طبقة صغار الحرفيين واصحاب الحوانيت ، نظرا لصعوبة التحول الى طبقة الرأسماليين الكبار ، وهى تملك بالضرورة رأسمال صغير مخاطره على علاقة عكسية مع حجمه • ومع أن ظروف معيشتها تنسبها الى البورجوازية ، فان قلق وجودها يشبهها بالبروليتاريا ، لان اقل تقلب فى الحظ يدفع أفرادها الى صفوف البروليتاريا • فان دمار سكان الريف يسهم بشكل فعال فى انشاء جيش العمال لرأس المال • ولذلك فان اقصى حدود البورجوازى الصغير أن يكون منتجا صغيرا ، حرفيا او فلاحا • وعندئذ فلن يكونا أكثر من مجرد **منتجين عاملين** • لكن الفلاح بوصفه منتجا عاملا هو أهم صور البورجوازية الصغيرة فى البلاد الرأسمالية •

فالملكية الزراعية الصغيرة هى الشكل العادى للانتاج الصغير • والملكية الخاصة للفلاح فى الارض التى يزرعها هى اساس هذا الانتاج الصغير الذى لاينسجم الا مع الاوضاع البدائية الضيقة للانتاج وللمجتمع • فاسلوب انتاج صغار الفلاحين يعزلهم بعضهم عن بعض ، مع سوء المواصلات ، وانعدام تقسيم العمل فى الارض الصغيرة ، وعدم استخدام الطرق العلمية فى الزراعة ، ومن ثم عدم تنوع التطور الزراعى ، وعدم تعدد المواهب ، وفقر العلاقات الاجتماعية • كل أسرة تحاول أن تكتفى اكتفاء ذاتيا ، تحاول أن تكون مستقلة • لكنها لاتستطيع ، **فانها تتدهور فى النظام الرأسمالى نتيجة لاسلوب انتاجها** ، لانها تحول دون تطور قوى العمل الانتاجيه الاجتماعية وأشكال العمل الاجتماعية وتركز رءوس الاموال الاجتماعية •

ولذا فان صغار الفلاحين فى المجتمع الرأسمالى طبقة مستغلة بصفة عامة ، ومع انهم لايستغلون عادة عمل العمال ، فان الاخرين يستغلونهم بشتى اشكال الاستغلال : بالريع ، بالديون ، بالسلف ، بالعمل ، بالاسعار المرتفعة للسلع الصناعية ، والرهن والربا والضرائب تجهز على الملكية الزراعيه الصغيرة • **وهكذا تصعار الفلاحين فى ظل الرأسمالية مستغلون كالعمال ، لايتميز استغلالهم الا من حيث الشكل فقط •**

وهكذا تمضى البورجوازية الصغيرة فى الاقتصاد الرأسمالى بلا أمل حقيقى ، وبعد ان كان الانتاج السلعى البسيط هو أساس نمو الانتاج الرأسمالى ، فان تطور الرأسمالية يقضى باطراد على الانتاج الصغير ويدمر حياة البورجوازية الصغيرة • فهذه الطبقة التى كان مستوى حياتها فى المدن عاليا بالقياس الى مستوى حياة الطبقة العاملة ، تهوى دخول الاغلبية الساحقة منها لتصبح ادنى من أجور العمال فى المؤسسات الاحتكارية • وتصبح ظروف عمل اصحاب العمل الصغار اسوا من ظروف عمل العمال ، من حيث يوم العمل الطويل ، مع انعدام الاعانات أو التعويضات الاجتماعية ، ومن ثم فقدت البورجوازية الصغيرة استقلالها القديم ، ودخلت فى تبعيه الشركات الكبرى •

ومع ذلك فمازال صحيحا أن الانتاج الرأسمالى ينمو من الانتاج السلعى الصغير ، انهما يشتركان معا فى الملكيه الخاصه لوسائل الانتاج • واساسهما هو الملكية الخاصة ، تلك التربة التى تنمو منها الرأسمالية دائما ، لقد ادى الانتاج السلعى الصغير الى نشاة الانتاج الرأسمالى ، وهو مازال قادرا على أن يلد الرأسمالية باستمرار ، فيضع الثروة بايدى اقلية المنتجين ويلحق الخراب بأغلبيتهم •

قد يكون هناك فرق هام بين الانتاج الصغير والانتاج الرأسمالى ، فاساس الانتاج الصغير هو العمل الشخصى من جانب المنتج الصغير ، فالسلعة تخص منتجها بالذات ، أما فى الانتاج الرأسمالى فان الانسان الذى ينتج السلعه ليس هو الانسان الذى يملكها • وهذا الفرق خطير لانه يعتبر سبب تخلف الانتاج الصغير فنيا واقتصاديا ، مما يجعله عبئا على الاقتصاد الرأسمالى ، لكنه على العكس سبب صالح لتطوير الانتاج الصغير •

ان تفاقم ظروف الانتاج وارتفاع ثمن وسائل الانتاج قانونان ملازمان للملكية الصغيرة • لهذا ابتكرت الرأسمالية اسلوب التعاون بين الملكيات الصغيرة المجزاة • بيد ان التعاونيات الرأسمالية أى جمعيات صغار المنتجين ، على الرغم من دورها التقدمى ، لايمكنها الا أن تضعف فحسب من اتجاه الانتاج الصغير الى التدهور دون أن تلغيه • فلا يلغيه سوى اقامة أسلوب الانتاج الاشتراكى • ويمكن القول بأن الرأسمالية هى اسلوب الانتاج الكبير مع الاستغلال ، وبأن الاشتراكية هى اسلوب الانتاج الكبير بلا استغلال • ومن ثم يكمن الحل فى قدرة الطبقة العاملة ، وهى محط الاستغلال الرأسمالى ، على الحلول محل الطبقة الرأسمالية • وعندئذ تقوم بتأميم الانتاج الكبير لصالح المجتمع • **وانما لايمكن أن يتم تحويل**

الانتاج الحرفى والانتاج السلعى الصغير الى انتاج اشتراكى عن طريق التأميم ، نظرا لتفتته فى وحدات صغيرة لا حصر لها ، لا يمكن ان تعيش اقتصاديا بغير العناية الخاصة جدا التى يولنيها اصحابها لها ، ان تجميع هذه الوحدات الصغيرة باختيارها فى تعاونيات انتاجية كبيرة ، تقوم على العمل لا الملكية ، هو أسلوب تحولها الى الاشتراكية • وهو الاسلوب الوحيد لانقاذ الانتاج الصغير ، وتطويره الى انتاج كبير .

فى البلاد النامية

ووضع البورجوازية الصغيرة فى البلدان النامية أسوأ بكثير من وضعها فى البلدان الرأسمالية • فانه نتيجة للسيطرة الاستعمارية السابقة يتوقف نمو الاقتصاد القومى فى مجراه الطبيعى • ولهذا يتميز اقتصاد البلد النامى بتفاوت مستويات النمو بداخله من قطاع الى قطاع ، ومن اقليم الى اقليم ، من المدينة الى الريف الى الصحراء • ان دخول رأس المال الاجنبى الى البلد المتخلف يحقق سيطرة احتكارية على السوق الضيقة • ومن ثم فانه بينما ينمو قطاع صناعى محدود فى خدمة السوق الاجنبية ، ينشط القطاع المتصل بالتجارة الخارجية • ويؤدى رأس المال الاجنبى الى اطالة المرحلة التجارية من الرأسمالية ، وذلك بتعطيل انتقال رأس المال والسكان من مجال التجارة الى مجال الصناعة ، وعندئذ لا تمد الزراعة بالسلع الاستهلاكية ، والمعدات المصنوعة ، وترغم على العودة الى الاكتفاء الذاتى . هذا بينما تؤدى حرية الاستيراد من الخارج الى خنق ما كان يوجد من صناعة محلية ناشئة ، وتدمير الحرفيين المحليين ، من غير ان تقدم للصناع والحرفيين الذين فقدوا اعمالهم ، أى عمل بديل فى الصناعة . **وهكذا تجرى عملية متناقضة هى عملية تدمير وخلق مستمرة لصغار التجار والحرفيين واصحاب الصناعات المنزلية .**

ان السيطرة الاستعمارية تعمق النمو المتفاوت فى البلد المتخلف • فيسمح هذا النمو المتفاوت بنمو سرطانى لشريحة عليا من الرأسمالية المحلية لارتباطها العضوى ، أو التبعى بالمصالح الاستعمارية ، كما يضيق الخناق على الرأسمالية الوطنية ، بينما تنتشر بورجوازية صغيرة متدهورة يصعب تمييزها عن البروليتاريا الاجيرة •

من هنا نجد ان البلد المتخلف عند استقلاله من السيطرة الاستعمارية بلد للانتاج الصغير أساسا • فصغار المنتجين يسودون ، وبخاصة فى الريف . ويظل النموذج الاساسى فى اقتصاد البلد النامى هو النموذج السلعى الصغير • ويكون من الصعب عندئذ تمييز الحرفى الفردى من المنتج السلعى الصغير من العامل بالاجر •

فصغار المنتجين هنا لا يمكن أن يكونوا بورجوازية صغيرة تقليدية ، أى صغار منتجين سلعيين مستقلين ، احرارا تماما من كل ارتباطات سابقة على الرأسمالية • انهم بورجوازية صغيرة مازالت مثقلة بكل بقايا الماضى ، من المجتمع الاقطاعى والسيطرة الاستعمارية • انها بورجوازية صغيرة أوقف نموها الطبيعى ، أو على الاصح جرى تشويهها ، فهى تتشكل من فئات عديدة ، غير متجانسة الى أبعد حد ، لا يحركها السعى وراء الربح بقدر ما تدفعها اعتبارات سابقة على الرأسمالية فى مقدمتها ضمان العيش •

ان المنتج الصغير ، هو فى العادة مالك لقطعة أرض صغيرة يعمل فيها بنفسه ، أو صاحب رأسمال صغير يستثمره بنفسه فى ورشة أو متجر • وهو يعمل بيديه بمفرده ، أو باستئجار قوة عمل اضافية يحتفظ معها بعلاقات انتاج متخلفة ، تضاف الى ضآلة انتاجية العمل .. لا يميل الى التجديد ، ويقف عاجزا عنه ، هو منتج مالك عامل ، ينتج منتجات للاستهلاك الشخصى ، وقد يحول بعض منتجاته او كلها الى سلع بالبيع فى السوق • وخوفا من الانهيار اقتصاديا ، يحافظ المنتج الصغير على وجوده بالتدهور المستمر فى التغذية ، بالجوع المزمن ، باطالة يوم العمل ، بالتدهور فى الجودة ، وباختصار ، باللجوء الى كافة الطرق التى تحافظ بها الصناعة الحرفية على وجودها فى وجه الصناعة الرأسمالية • ولا ينقذهم كل ذلك من مصيرهم المحتوم . انهم يوجدون فى حالة تبعية لعدد من كبار المنتجين والوسطاء والمقاولين • ويجرى عليهم مصير جميع صغار المنتجين • ان قلة منهم ترتفع الى مصاف الرأسماليين ، بينما تهوى الاغلبية الساحقة الى القاع •

وتظل السوق القومية سوقا ضيقة ، وذلك لاسباب عديدة فى مقدمتها النمو المشوه للبورجوازية الصغيرة • وتتلخص العملية فى أن الانتاج السلعى البسيط لم يجر فى مجراه الطبيعى ليلد الرأسمالية . ولهذا نشهد فى البلدان النامية بورجوازية صغيرة بالغة التعقيد •

● نشهد تعددا وتنوعا لمراحل ودرجات تحلل اشكال الانتاج السابقة على الرأسمالية وظهور الانتاج السلعى الصغير منها •

● كما نشهد تمايزا حادا فى مجالات نشاط البورجوازية الصغيرة ، وبخاصة فيما بين الريف والمدينة •

● ونشهد أخيرا تفتتا متفاوتا لاقسام بورجوازية صغيرة تحت وطأة التطور الرأسمالى المحدود ·

وكل هذا مما يضاعف من الصعوبات التى يواجهها الانتاج الصغير فى البلدان النامية التى أحرزت استقلالها السياسى ، وانخرطت فى طريق التنمية الاقتصادية الفعالة · ففى هذه البلدان يسود العنصر البورجوازى الصغير ، المشكل من صغار ملاك الاراضى وصغار الصناع ، والحرفيين والتجار ، الذين لايدخلون فى عداد الرأسماليين · ولو كان الاقتصاد القومى بحيث يتألف من وحدات انتاجية كبيرة .. لكان حل مسألة بناء الاشتراكية ابسط واسرع ، لكن الاقتصاد القومى ينطوى على قطاعات اقتصادية متفاوتة النمو ، بعضها سابق على الرأسمالية . ولذلك فحيث يشكل صغار الفلاحين الاغلبية الساحقة من السكان ، فان التحول الى الاشتراكية يستدعى مجموعة من الاجراءات الانتقالية لاتكون ضرورية فى البلاد الرأسمالية حيث يشكل العمال الاجراء الاغلبية الساحقة فى الصناعة والزراعة · ويكون المطلوب عندئذ هو تنمية القوى الانتاجية للوحدات الانتاجية الصغيرة عن طريق التعاون . ومع ذلك يظل الانتاج السلعى الصغير يتصف باتجاه سلعى رأسمالى · وما دام موجودا فى المجتمع فانه توجد حتما التربة الصالحة لبقاء وبعث الاقتصاد الرأسمالى · **ولهذا تظل قوة الرأسمالية بعد خلعها لمدة طويلة كامنة فى الانتاج السلعى الصغير المنتشر والقادر على أن يلد باستمرار عناصر رأسمالية جديدة** · فاذا كان هذا هو الخطر الكامن فى مرحلة التحول الاشتراكى ، فقبل هذه المرحلة ، وحيث يسمح للرأسمالية نفسها بالوجود يزدوج الخطر بحيث تنذر البورجوازية الصغيرة بولادة الرأسمالية ، وولادة البروليتاريا معا ·

ودلالة هذا كله كبيرة فى بلادنا ، حيث توجد نسبة ٦٠ فى المائة من الاراضى الزراعية فى حيازة فلاحين يملك الواحد منهم خمسة أفدنة فأقل ويمثلون ٩٥ فى المائة من عدد الملاك ، وحيث تشكل المصانع التى يعمل بها أقل من عشرة عمال ٩٣ فى المائة من مجموع المصانع ويشتغل بها ٢٧ فى المائة من مجموع العاملين فى الصناعة — فى جميع المحافظات عدا محافظات الحدود — ويكشف تعداد ١٩٦٤ المنشور فى عام ١٩٦٧ عن أن عدد المنشآت الصناعية التى يعمل بها أقل من عشرة يبلغ ١٤٤٥٥٦ منشأة ، يشتغل بها ١٧٠١٧٣ أصحاب عمل و١١٤٩٦٢ عاملا أجورهم ٦ر٧ مليون جنيه ، وتبلغ قيمة الانتاج فيها ١٤٢ مليون جنيه ، من جملة قيمة الانتاج الصناعى البالغة ١١٠١ر٥ مليون جنيه ، أما التجار فنجد أن عددهم الاجمالى ٧٥٠ ألف تاجر ، لايدخل منهم فى عداد الممولين من الناحية الضريبية سوى ٢٨٣ ألفا ، كما أن ٧٥ر٥ فى المائة ممن يعدون من الممولين يقل دخلهم السنوى المعلن عن ٢٥٠ جنيها ، أى أن حوالى ٧٤ فى المائة من مجموع التجار يدخلون فى عداد صغار التجار · ومعنى هذا أن البورجوازية الصغيرة تضم ٩٥ فى المائة من مجموع ملاك الاراضى ، و٦٠ فى المائة من مجموع مساحة الارض ، و٩٣ فى المائة من مجموع المصانع ، و٧٤ فى المائة من مجموع التجار . ناهيك عن ابنائها من المثقفين والمتعلمين ، العاملين فى أجهزة الدولة والقطاع العام ·

ثانيا : الموقف الفكرى

يتحدد الموقف الفكرى للبورجوازية الصغيرة ، منذ انتصار الرأسمالية حتى انتصار الاشتراكية ، باعتبارين متناقضين · فهى من جانب طبقة بورجوازية ، مالكة لوسائل انتاج ، وقد تستعين فى انتاجها بقوة عمل تستأجرها ، وهى من جانب آخر طبقة عاملة ، تعمل بنفسها فى أرضها أو ورشتها ، أو متجرها · ولهذا فهى ترنو الى أن تستغل العمال ، لكن الغالب أن رأس المال هو الذى يستغلها · انها طبقة ترزح تحت نير الاستغلال الرأسمالى ، ولذلك فانها تعتبر حتى فى المجتمعات الرأسمالية طبقة ثورية ، وهو اتجاه يتأكد فى الرأسمالية المعاصرة التى أصبحت رأسمالية الدولة الاحتكارية (*) .

الموقف من الرأسمالية

كان الفلاحون والحرفيون يشكلون جيش الثورات الرأسمالية ضد الاقطاع · ومن المعروف انهم قدموا جيوش الايام الثورية المجيدة فى الثورة الفرنسية ، ولقد شكلوا عماد حزب (البلاسراويل) الثورى · كان روسو المعبر عن المثل الاعلى السياسى والاجتماعى للبورجوازية الصغيرة ، وقدم روبسبيير مثلا رائعا لصلابتها الثورية (*)

هكذا تحولت من طبقة متواضعة وذليلة فى ظل الاقطاع ، الى أكثر المواقف ليبرالية عند صعود البورجوازية · وعندما سيطرت هذه البورجوازية تكشفت البورجوازية الصغيرة عن مطامح ديمقراطية واسعة ، لم تلبث أن تخلت عنها عندما بدأت الطبقة التى تحتها — الطبقة العاملة — تحاول القيام بحركة مستقلة لها (*)

فتلك هى طبيعتها · انها الطبقة التى تجمع بين رأس المال والعمل ، الطبقة التى تتأرجح بين الطبقتين الرئيسيتين فى المجتمع · تتطلع للثروة ، وتخشى الفقر · مثلها الاعلى هو البورجوازية ،

ويقض مضاجعها احتمال أن تهوى الى صفوف العمال • تفكر كما تفكر البورجوازية ، أو تستسلم فى النهاية لفكرياتها ، لكنها تنطوى على أفكار عمالية • فهى طبقة وضعها المادى متأرجح • لهذا وصفها لينين بأنها « تناقض حى » . **لكنها تحول هذا التناقض الحى الى مثل أعلى ، بتأليه وضعها الوسط ليصبح هو المثل الاعلى للمجتمع** •

فازاء سيطرة الرأسمالية ، لايكون امام صغار أرباب العمل سوى واحدمن مصيرين : اماالنجاح والترقية الى صفوف الرأسماليين ، وهذا هو النادر ، واما الفشل والخراب والانحدار الى صفوف العمال وهذا هو الغالب • ان كفاحهاالمرير فى ظل الرأسمالية انما يفضى بها الى أقلية من كبار البورجوازية ، وأغلبية ساحقة من البروليتاريا • ولذلك تتحدد مواقف البورجوازية الصغيرة بهذا الوضع المتردد . **انها طبقة ذات طبيعة مزدوجة، نتيجة لوضعها المزدوج** ، فهى تتمسك بنظام الملكية الخاصة ، وهى مفلسة وتعطف على الاقلية المحظوظة ، بينما تخشى الاغلبية سيئة الحظ ، وهى تلد الرأسمالية ، لكنها تخشى التنظيم الرأسمالى للانتاج الذى يهددها بالخراب • **وهى حين تحارب ضد البورجوازية فانما تحارب بوسائل المجتمع البورجوازى نفسه** • وهى حين تشكل لنفسها تنظيماتها ، لاتنجح عادة فى الاحتفاظ باستقلالها السياسى • فأغلب تنظيماتها تقودها عناصر من خارجها ، ولقد حشدتها البورجوازية وقادتها فى جميع الثورات البورجوازية ، وقادتها البروليتاريا فى ثورة اكتوبر الاشتراكية .

لكل هذا تتحدد مواقف البورجوازية الصغيرة فى المجتمع الرأسمالى فى صورة ممزقة • حتى فى ثوريتها فانها تتأرجح من أقصى طرف الى أقصى طرف . **تتصف بالتردد والتقلب وعدم الثبات** • متقلبة فى آرائها تتمايل لدى كل منعطف حاسم — من الثورية الجامحة الى الانهيار الكامل ، ومن الانهيار الكامل الى الثورية الجامحة • شأنها فى ذلك شأن رب العمل الصغير الذى فى سعيه وراء مخرج من وضعه الاقتصادى الحرج ، يضطرب بشكل هستيرى متأرجحا بين الحماس الذاتى والسلبية الذاتية ، بين الانشغال بالتفاصيل الحرفية وعدم المبالاة الكامل ، بين التفاؤل المفرط والتشاؤم المتطرف •

واقعها الاليم يجعلها تهرب من الواقع ، يجعلها تلجأ لرفض الواقع . **انها تتوهم القدرة على عدم مواجهة الواقع** . « وعندئذ تتخذ مواقف الرضا عن النفس ، مابين مجرد القناعة البريئة بما تملكه من قيم ، والاحتقار العدوانى لقيم الغير ، تتوهم أن تعيش فى عالم مغلق ، ثابت العلاقات ، يدور فى فلك محتوم » . فانها على الرغم من تقلبها وترددها وعدم ثباتها ، من أكثر القوى الاجتماعية ميلا للمحافظة ، لذلك يلائمها المنطق الصورى ، أو الميتافيزيقى الذى لايتطلب سوى اتساق الفكر مع نفسه ، اتساق المقدمات مع النتائج ، اتساقا يقع فى الذهن عقلا ، بغض النظر عن وقوعه فى الواقع فعلا • ومن ثم تتصرف بقلة ادراك للعلاقة الموضوعية بين الظواهر ، وعلى العكس تتقبل حقائق المنطق الصورى بوصفها حقائق أبدية أزلية : الكون ساكن ، لاجديد تحت الشمس ، التاريخ يعيد نفسه ، الانسان هو الانسان لم يتغير ولن يتغير • فاذا ماأدرك البورجوازى الصغير جدلية الطبيعة والمجتمع ، كان أقرب الى السفسطة الفكرية والفوضوية العملية • مثلما فعل **برودون** الذى أقنع نفسه بأنه توصل الى صيغة لنقد كل من الرأسمالية والاشتراكية والوقوف فوقهما — فوقع تحتهما • وبدلا من استخلاص العلم من معرفة نقدية بالحركة التاريخية للمجتمع ، وهى حركة تخلق الظروف المادية للتحرر الاجتماعى ، تستخلص البورجوازية الصغيرة صيغة لحل المشكلة الاجتماعية بمنهج مسبق مفترض •

ولذلك كانت البورجوازية الصغيرة أقرب دائما لافكار الاشتراكية الخيالية ، تتوهم القدرة على تجاوز الرأسمالية ، وانما بالرجوع الى الوراء ، الى نموذج الانتاج الصغير • **انها تحسب الاشتراكية مجتمعا من الوحدات الانتاجية الصغيرة** •

وتكتمل نظرة البورجوازية الصغيرة الى الدنيا بنظرتها الى الصراع • **انها تتوهم نفسها فوق المعمعة** ، تتحاشى الصراع وتخشاه ، وتميل للتعاون بين الطبقات ، للتوفيق الطبقى ، للمسالمة والمهادنة ، للهرب من الصراع الطبقى ، تتصور الدولة شيئا آخر غير الطبقات ، شيئا فوق الطبقات • وتبرع فى التوصل الى الحلول الوسط ، وتتخذ من تلقائية الجماهير مبررا لرخاوتها ، وكيما تخفى ميوعتها الفكرية ، تكثر وبخاصة مثقفوها من اطلاق الجمل الرنانة • وتتعلق من ثم بالاوهام السياسية • تتعلق بالديمقراطية للجميع وبالمساواة التامة بين الجميع تعلقها بالوقوف فوق الصراع الطبقى • تتصور أن الحرية الحقة يجب ان تكون للجميع ، للشعب ولاعداء الشعب ، والمساواة فى نظرها مساواة حسابية ، لامساواة فى الفرص . والبورجوازى الصغير الذى تطحنه البورجوازية ، وتخيفه الطبقة العاملة ، وينحصر مضغوطا بينهما ، والذى يطمع مع ذلك فى أن ينتزع لنفسه نصيبا أكبر وليكن من بعده الطوفان ، يظل فى النهاية حبيس الطبقتين ، **فيورثانه ضيق الافق** ، يقدر الروح العملية ، ويضيق بالقضايا النظرية • يعمل فى السياسة كمافى الاقتصاد ، أى بأسلوب حرفى • ويبرر هذا العمل الحرفى

الضيق ، ويرفعه الى مستوى النظرية • وينشغل بالبحث عن حل فردى لمشكلة الطبقة ، ويكتفى بالحل العاجل عن الحل الاجل • ويتحول الحقد الطبقى لديه الى حقد شخصى • ومع ذلك فهو يتحلى بروح استهتار نادرة ، واستعداد نادر للمغامرة • وغالبا مايتجليان فى ميدان السلطة والتنظيم ، وعادة مايتخذان صورة فوضوية تضيق بالسلطة حتى سلطة البورجوازية الصغيرة نفسها •

ولايلبث ضيق الافق ، أن يتحول فى لحظات المآزق الى تبرير للعنف مع تحميل الشعب مسئولية أخطائه • وقد يتخذ ضيق الافق صورة التعصب القومى الاعمى الذى لا ينطوى على الاعتزاز القومى المشروع وعلى أحياء التراث القومى ، لكنه يتعداه الى الغرور القومى ، والى الاستخفاف بالشعوب الاخرى • ولقد يصبح فى النهاية رفضا للقومية وانكارا لها بالمرة •

وتبقى البورجوازية الصغيرة أسيرة هذا العالم الضيق طالما بقى المجتمع الرأسمالى • لكنها تثور عليه وتسعى للتحرر الاجتماعى من خلال الاشتراكية وحدها •

الموقف من الاشتراكية

فى عالم اليوم ، حيث تفضى جميع الطرق الى الاشتراكية ، **تقف البورجوازية الصغيرة فى صفوف القوى التى تنجذب الى الاشتراكية وتناضل من أجلها** •

ففى البلاد المستقلة حديثا ، تتقدم فئة أو أخرى من البورجوازية الصغيرة ، وتتخذ موقفا أكثر حزما من الصراع ضد الامبريالية ، وفى تنفيذ الاصلاحات الاجتماعية ضد الملكية الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة • وتقف أقسام واسعة منها من أجل التحولات الاجتماعية لمصلحة الطبقات العاملة • كما تعلن تبنيها للاشتراكية العلمية •

وفى البلاد الرأسمالية ، تحسم البورجوازية الصغيرة ترددها بين الرأسماليين والعمال ، وتنحاز لنظرة العمال ، لا لنظرة الرأسماليين ، فى ظل عالم تصبح فيه الطبقة العاملة هى القوة الحاسمة • فالبورجوازية الصغيرة عملية ، تنجذب للمثل الاعلى الاشتراكى ليس فقط بقوة الفكر وانما ايضا وبصفة خاصة بقوة التطبيق ، ان النجاح يقنعها قبل الحجة ، ذلك شأنها حتى مثقفوها •

ان البورجوازى الصغير فى مجتمع رأسمالية الدولة الاحتكارية ، يصبح ثوريا عندما ينظر الى انحداره الوشيك الى صفوف البروليتاريا ، فيدافع عن مصالحه المقبلة لا مصالحه الحالية ، ويتخلى عن وجهة نظره ويتبنى وجهة نظر البروليتاريا •

وذلك موقف فكرى لا مفر منه ، لان الاشتراكية عند البورجوازى الصغير فى الاصل مسألة غامضة ، مختلطة بأوهام وعناصر خيالية •

وهنا يجب توضيح مسألة ظلت غامضة لامد طويل ، هى مسألة كيف يصبح المرء اشتراكيا • فهناك فهم جاهز يتلخص فى أن كل واحد يمكن أن يكون اشتراكيا بمجرد رغبته فى الاشتراكية أو اعلانه عن الاشتراكية ، أى بطريقة ايمانية ، وهذا الفهم يتصور ان اكتساب المعرفة الاشتراكية ، أى اكتساب الوعى الاشتراكى يتم تلقائيا ، يتم عفوا • وهذا هو المفهوم الذى تروج له عناصر البورجوازية الصغيرة • انه مفهوم حرفى مؤداه تقديس التلقائية فى ميدان الوعى • وبالطبع يجب أن نحترم تلقائية الجماهير • لكن احترام تلقائية الجماهير لا يعنى الخضوع لهذه التلقائية ، ولا رفعها الى مرتبة التقديس • فنحن نحترم التلقائية بوصفها الشكل الجنينى للوعى الجماهيرى ، أى باعتبارها تعبيرا بدائيا عن الصراع الطبقى ، باعتبارها نوعا من اليقظة الجماهيرية • لكن الصراع الطبقى وحده لا يعنى الاشتراكية ، ولا يفضى وحده الى الاشتراكية • لهذا فان الوعى الاشتراكى ، والصراع الطبقى ينبثقان جنبا الى جنب ، أحدهما بجانب الاخر وليس ينبثق أحدهما من الاخر • **ان الوعى الاشتراكى عنصر خارجى ينتقل الى الصراع الطبقى وليس ينبثق منه تلقائيا • ولهذا فان تلقائية الجماهير تتطلب ان يكون لدى الاشتراكيين أنفسهم المزيد من الوعى**

وفى ظروف البلدان النامية ، حيث تلعب البورجوازية الصغيرة دورا حاسما فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، يروج مفهومها عن الوعى السياسى حتى فى صفوف الطبقة العاملة نفسها ، ويكون من الضرورى فتح الحوار الفكرى معها حول هذا المفهوم الضار بحركة الجماهير •

ولقد وجد هذا المفهوم من قبل فى البلاد الرأسمالية ، فمن المشاهد أنه بمقدار ما تتزايد الطبقة العاملة نتيجة للتطور الرأسمالى ، تزداد اضطرارا الى ادراك امكانية الاشتراكية وضرورتها • وعلى هذا النحو بدا الوعى الاشتراكى كما لو كان نتيجة مباشرة لنمو ونضال الطبقة العاملة • وكان هذا غير صحيح ، صحيح ان الاشتراكية كنظرية انما تستمد جذورها من العلاقات الاقتصادية الرأسمالية شأنها شأن الصراع الطبقى للعمال سواء بسواء • وصحيح انها كهذا الصراع تنبثق من النضال ضد ما تسببه الرأسمالية للجماهير من فقر وبؤس • بيد ان الاشتراكية والصراع الطبقى ينبثقان من مقدمات مختلفة • فالوعى الاشتراكى لا ينبثق الا على أساس معارف علمية عميقة ، مستخلصة من النظريات التى وضعها المثقفون من أبناء الطبقات

المالكة المنحازون الى صفوف الطبقة العاملة . ان الاشتراكية وعى يؤخذ من الخارج وينقل الى الصراع الطبقى .

وهذا يدعونا لبيان كيف تكتسب الطبقة العاملة وعيها ، بعبارة أخرى نستعرض مراحل نمو ورقى الوعى العمالى ، فالوعى العمالى يمر عادة ، وطبقا للتجربة التاريخية ، بمرحلتين نحو الوعى السياسى :

اولا — **الوعى التلقائى** ، الذى ينطوى على اصطدام العمال بأصحاب العمل كرد فعل فى البداية لمظاهر الاستغلال الرأسمالى داخل المصنع ، ويتمثل هذا الوعى فى مشاغبات العمال ، ومقاومتهم المتفرقة التى قد تتخذ صورة الانتفاضة. وفى هذه المرحلة قد يحطم بعض العمال آلات المصانع ، او يعتدون على اصحاب العمل، ومن ثم يدركون عدم جدوى هذه المشاغبات .

ثانيا ـ **الوعى النقابى** ، وهى مرحلة أرقى يقتنع خلالها العمال بضرورة التجمع فى جمعيات ونقابات ، والنضال الجماعى ضد أصحاب العمل بغية تحسين ظروف العمل والحياة ، ورفع الاجر ، أى بغية بيع قوة العمل بشروط أفضل . فهو نضال اقتصادى لتحسين الظروف الاقتصادية للعمال . وقد يصطحب بمطالبة الحكومات باصدار التشريعات التى تضمن بعض الحقوق والحريات الاقتصادية ، فهو نضال مهنى ، يعبر عن وعى مهنى او حرفى ، ولذلك يعتبر صراعا طبقيا جنينيا، لانه يتطلب توحيد العمال حسب المهن لا تبعا لاماكن العمل وحسب . لكنه لايزال أدنى مستوى من النضال الطبقى الذى يعبر عن وعى الطبقة بوجودها على المستوى القومى ، أى وعيها السياسى .

ان الوعى النقابى غير الوعى الاشتراكى ، والنقابة غير الحزب الاشتراكى ، والمناضل النقابى يختلف عن المناضل الاشتراكى . ففى البلدان الرأسمالية مثلا ، نجد النقابة تنظيما اصلاحيا ، بينما الحزب الاشتراكى تنظيم ثورى ، وفى البلدان الاشتراكية مثلا ، نجد أن النقابة منظمة مهنية ، بينما الحزب منظمة سياسية .

وهذه التحديدات جميعا ليست من قبيل الترف الفكرى ،وليست عبئا على العمل الاشتراكى. انها على العكس أسلحة ماضية يمكنها ليس فقط ان تكسب الطبقة العاملة ، بل أن توسع أيضا رؤية البورجوازية الصغيرة وتساعد عقولها على قهر أوهامها .

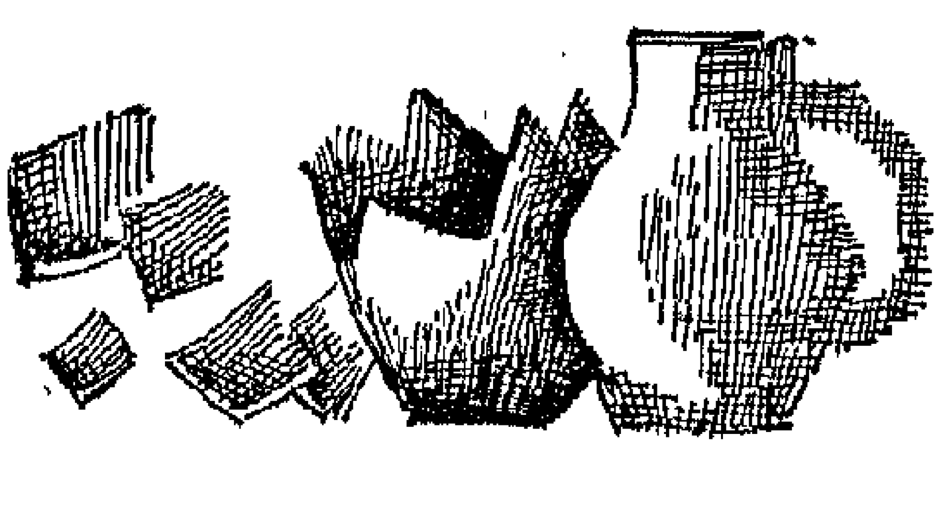
فأولا — ان الاشتراكية علم ، والعلم يجب ان يكتسب . وعلى الطبقة العاملة نفسها أن تكتسب هذا العلم ، فكيف لا يكون هذا أولى بالبورجوازية الصغيرة ؟ !

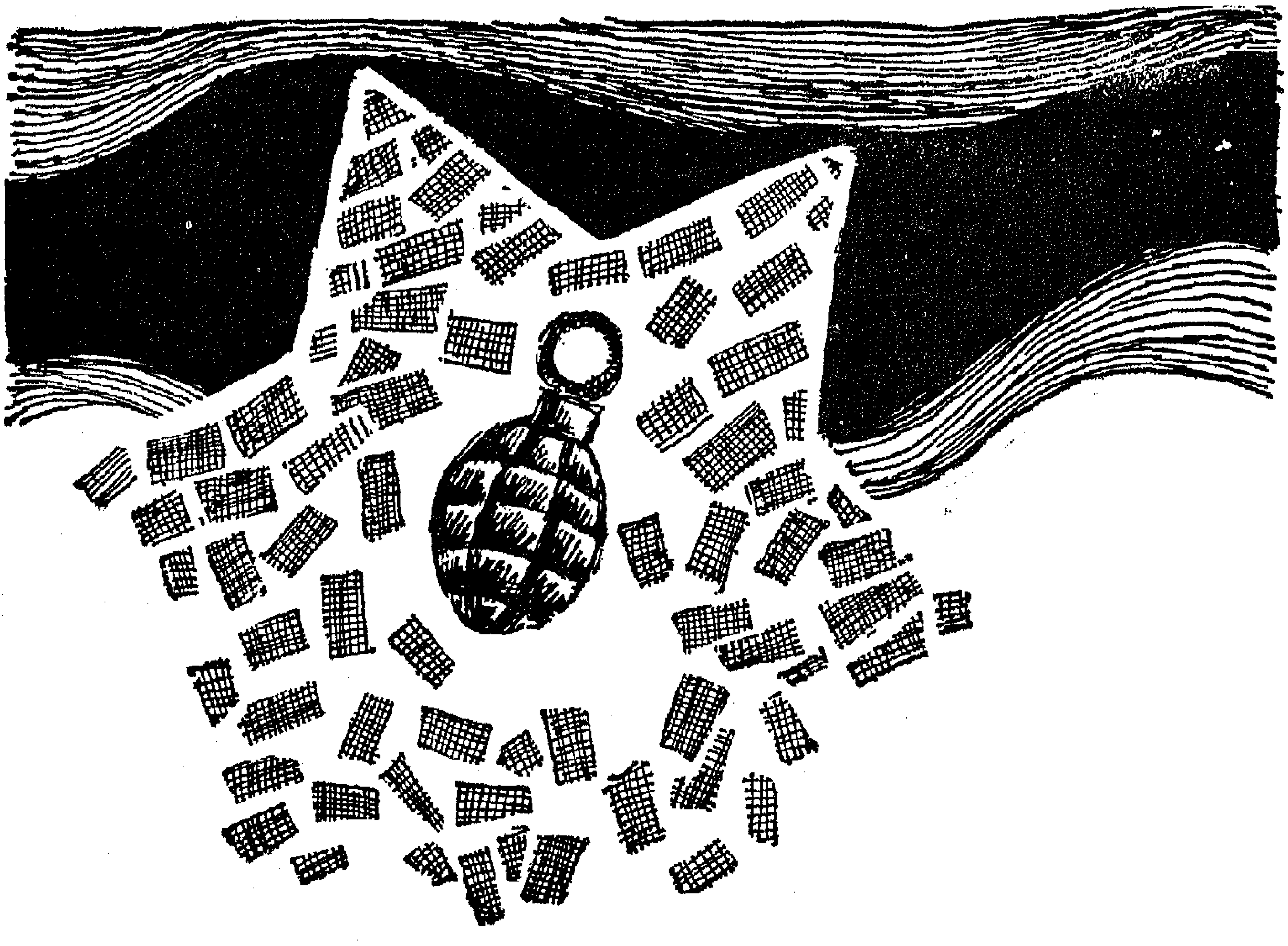
وثانيا — ان الاشتراكية هى نظرية الطبقة العاملة ، لكنها تكون مجرد ثرثرة مضللة اذا لم ترتبط ارتباطا عضويا بحركة الطبقة العاملة اولا، وقبل ارتباطها بحركة البورجوازية الصغيرة .

وثالثا — ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية لا يتم الا تحت قيادة الطبقة العاملة ، وعلى البورجوازية الصغيرة بالذات ان تدرك هذه الحقيقة النظرية والضرورة العملية ، فلن يقضى على استغلال الملكية الخاصة الا بقيادة الطبقة الوحيدة المجردة من الملكية الخاصة .

ورابعا — ان انتصار الثورة الاشتراكية رهن بوحدة الطبقة العاملة والبورجوازية الصغيرة وبخاصة الفلاحون ، هذه الوحدة التى تشكل نواة التحالف الطبقى العريض للقوى الاجتماعية التى تقبل التحولات الاشتراكية ، ومثالها الاقسام المتقدمة من الرأسمالية الوطنية .

فى هذه الحدود يمكن ان تلعب البورجوازية الصغيرة دورا حاسما فى التحول الاشتراكى ، ثم فى بناء الاشتراكية . وعندئذ فان النجاح فى كسب البورجوازية الصغيرة الى قضية الاشتراكية يكون هو العامل الحاسم فى نجاح النضال من أجل الاشتراكية .





رؤية العدو .. للمقاومة

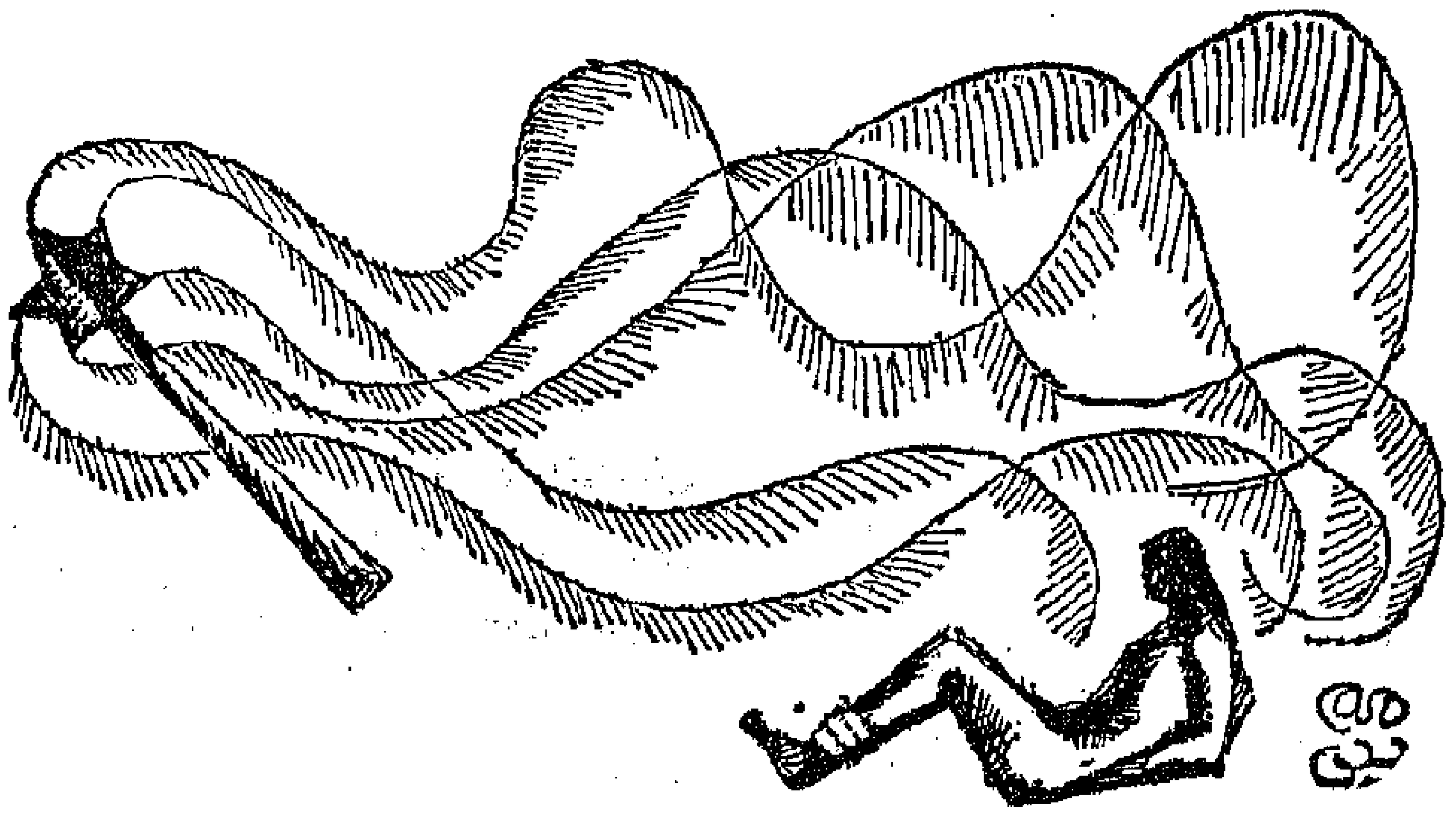
قدمت الطليعة فى عددها الماضى ، « رؤية المقاومة .. للعدو » باقلام اعضاء منظمات المقاومة الفلسطينية انفسهم . وفى هذا العدد ، نقدم الوجه الاخر « للعملة » – « رؤية العدو .. للمقاومة » . فالوجهان يشكلان عناصر ظاهرة واحدة هى : ظاهرة الصراع بين شعب فلسطين واسرائيل .

وتحتوى الدراسة على قسمين أساسيين يضم القسم الاول ، عددا من الدراسات حول المخطط السياسى والعسكرى والاقتصادى والدعائى .. الذى يمارسه العدو فى مواجهة المقاومة الفلسطينية . اما القسم الثانى ، فيتناول فى جزء منه تصريحات المسئولين الاسرائيليين : اى حجم ووقع المقاومة الفلسطينية فى نظر « السلطة السياسية الرسمية » للعدو . ثم يتناول جزءا آخر منه ، رصد الصحافة الاسرائيلية لاعمال المقاومة : اى حجم واثر المقاومة على الرأى العام داخل اسرائيل الذى تعكسه صحافته بشكل أو بآخر . ثم يتناول أخيرا رؤية الصحافة الغربية للمقاومة ، وبالتالى تكتمل عناصر الصورة برصد صحافة العدو – العالمى – لنشاط المقاومة .

وبقدر ماكان مفيدا أن نتعرف على « رؤية المقاومة .. للعدو » من وجهة نظر القائمين بها ، بقدر ماهو مفيد أيضا ان نتعرف على صورة المقاومة فى نظر العدو . ان معرفة : كيف يفكر العدو ؟ كيف يحارب ؟ كيف يتحرك ؟ كيف يتدرب ؟ كيف يعيش ؟ ... الخ ، هى عناصر اساسية من أجل مواجهة فعالة للعدو ، كما ان معرفة : كيف يرانا العدو – كمقاومة – قضية ترتبط اشد الارتباط ، بحركة ونشاط « المقاومة » . فعلى ضوء هذه المعرفة ، تثرى خبراتها وتصحح سلبياتها وتضيف الى ايجابيتها زادا جديدا .

الخلفية التاريخية

للإرهاب الصهيونى ضد شعب فلسطين



إسماعيل عبد الحكيم

● فى عـام ١٧٩٩ ـ قبل انعقـاد المؤتمر **الصهيونى الاول** بحوالى مائة سنة ـ وجه الحاخام الاكبر للقدس « **آرون ليفى** » نداء الى اليهود بعد طلب نابليون لهم مساعدته لاحتلال فلسطين ـ **يطالبهم فيه « باعادة بناء أسوار المدينة اليتيمة** ـ القدس ـ وبناء معبد الرب » ، وحث الحاخام اليهود على القدوم الى فلسطين قائلا « ليتجمع كل رجال الشعب اليهودى القادرين على حمل السلاح **وليأتوا** الى فلسطين » .

● وفى عام ١٨٨١ قال **ليوبنسكر** « ان الحل العملى الوحيد للعداء ضد السامية ، هوان ينظم اليهود قواهم لايجاد وطن خاص بهم مستعينين فى ذلك بأية قوة كانت » .

● ومنذ عام ١٨٩٤ يدعو هرتزل ـ أبو الحركة

الصهيونية ـ صراحة فى كتابه « **الدولة اليهودية** » الى « حمل السلاح ضد بحر من المشاكل ـ التى ستثيرها محاولات بناء الدولة اليهودية ـ وبالتصدى لها يمكن انهاؤها » • ويقول أيضا « اننا نريد أن نطهر بلدا من الوحوش الضارية. طبعا لن نحمل القوس والرمح ، ونذهب فرادى فى أثر الدببة ، كما كان الاسلوب فى القرن الخامس فى أوربا . بل سننظم حملة صيد جماعية ومجهزة ، ونطرد الحيوانات ، ونرمى وسطهم قنابل شديدة الانفجار » •

● وفى أوائل هذا القرن دعا **بيرد يشفسكى** الى اعادة تفسير التاريخ اليهودى ، وأبدى استغرابه من قول حكماء اسرائيل « ان السيف والكتاب أنزلا من السماء سويا » وذلك « لانه من الواضح ان كلا منهما يناقض الاخر بل ويقضى عليه كليا • ان الفترة التى يعيشها الشعب اليهودى فترة عصيبة ، وفى مثل هذه الفترات يعيش الرجال والامم بالسيف ، وليس بالكتاب . أن السيف ليس شيئا مجردا او بعيدا عن الحياة ، انه تجسيد مادى للحياة فى انقى معانيها ، اما الكتاب ، فليس كذلك » •

● وكان **وايزمان** صاحب الاسلوب الدبلوماسى يضفى على نفسه صفة المستنكر للارهاب ، الا انه كان يقول « انه تحت كل الظروف ، فان الشعب اليهودى غير مستعد ، ولن يكون مستعدا فى يوم من الايام لترك مطلبه فى فلسطين » وفى عام ١٩٠٩ قال « ان الفكرة الرئيسية للصهيونية وجدت قبل هرتزل وقبل زماننا ، وهى لازالت كما كانت ، مسعى تاريخى مثابر للعودة الى فلسطين ، ان ذلك هو **الهدف** ، وكل ما عداه وسيلة فقط » .

● وكان « **جابوتنسكى** [الذى انشأ الفيلق اليهودى فى حرب ١٩١٤] يدعو الشباب اليهودى الى تذكر المعارك البطولية لليهود القدماء ، والى ملء أنفسهم بالروح العسكرية ، واحياء أسماء « **بيشار** » و « **ماسادة** » وهى أسماء آخر التحصينات فى الدولة اليهودية قبل آلاف السنين • كل هذا بهدف ايقاظ الروح العسكرية والاعتزاز بالاعمال الحربية القديمة ، وكان يعتبر ان اليهود الذين يموتون وهم يحاربون العرب فى فلسطين يجب أن يبقوا نماذج لا تغيب عن عقول الشباب اليهودى ابدا » .

● وفى عام ١٩٢١ عبر الدكتور « **آيدر** » ممثل المنظمة الصهيونية العالمية امام لجنة التحقيق البريطانية عن ضرورة أن يحمل الصهيونيون السلاح قائلا « يجب أن يعطى اليهود الحق فى حمل السلاح ، ويجب أن لا يسمح للعرب بهذا الحق »•

● وفى عام ١٩٢٨ ، وبمجرد أن أنهى اليهود مؤتمرهم العالمى فى زيورخ ، دعا **الحزب اليهودى الاصلاحى** برئاسة جابوتنسكى اليهود « ليتسلحوا ويسلكوا طريق العنف والقوة لتحقيق اهدافهم » وطالبوا بحائط المبكى وساروا فى جماعات يوم ١٥ أغسطس رافعين العلم اليهودى ومنشدين أناشيد صهيونية وهاتفين « الحائط حائطنا » •

● وفى عام ١٩٣٢ أعلن « **حاييم ارسلروف** » أحد مؤسسى حزب الماباى « أن الهدف اليهودى القومى لا يمكن أن يتحقق عبر تقدم متدرج خطوة خطوة ، وان الوقت قد حان ليدرك اليهود أن عليهم واجبا غير بناء قوتهم والمحافظة عليها ، وعليهم أن يجربوا هذه القوة • وان يقذفوا بها فى المعترك حتى يستطيعوا فرض مكسب سياسى جديد يسهل انجاز الاهداف الصهيونية القومية » •

● وفى فبراير سنة ١٩٣٧ وقف **بن جوريون** فى اجتماع للهستدروت يقول « ان العرب لن يفهموا الا لغة القوة ، وان التباحث معهم لا يجدى ، انما لابد لهم أن يشعروا بأن الصهيونية قوة يحسب لها حساب وأنها عامل حاسم فى الموقف وليست مجرد عنصر ثانوى » •

● وفى عام ١٩٣٩ ـ وبعد أن أرغمت ثورة العرب فى فلسطين الانجليز على اصدار الكتاب الابيض ـ بدأ الصهيونيون ارهابهم تحت شعار « ان ماحققته الثورة العربية ، يجب ان تزيله الثورة اليهودية » •

● وفى أثناء الحرب العالمية الثانية أعلن **تشرشل** عن انشاء الفيلق اليهودى وأمدته وزارة الحرب البريطانية بكل المساعدات ، وأصبح له علمه المستقل الذى اصبح فيما بعد علم اسرائيل ، ويقول الكولونيل « مايز تسزهاجن » فى مذكراته « ان أهمية انشاء الفيلق اليهودى سياسية ، ويدرك تشرشل كل مضامينها ، اذ أن هذا الفيلق سيجد نفسه بعد انتهاء الحرب قريبا من فلسطين ، وهذا يعنى دولة يهودية . ان وايزمان كان يعمل ويطالب بانشاء هذا الفيلق وفى ذهنه هذا الهدف . •وبهذا يكون عندنا نصف مليون يهودى يزحفون الى فلسطين وينهون مسألة الشرق الاوسط الى الابد » .

● وكانت الوكالة اليهودية تشرف اشرافا كاملا ومباشرا على الاستعدادات العسكرية الصهيونية وعمليات الارهاب والعنف التى تقوم بها المنظمات الارهابية فى فلسطين ، وقد رسم بن جوريون استراتيجية الوكالة فى « ان معركة الصهيونية ضد الكتاب الابيض هى معركة سياسية بالدرجة الاولى • أما الاعمال العسكرية التى نلجأ اليها فى

بعض الاحيان فالمقصود منها تقوية موقفنا السياسى . وهنا تشكل الهاجاناه أحد عوامل الصراع الى جانب كل اليهود فى فلسطين والعالم . لكن معركتنا ضد العرب مسألة أخرى تشكل فيها الهاجاناه العامل الرئيسى والحاسم ... اننا سنعامل العرب بالقوة ، وليس هناك ... نتيجة محتملة لهذا الصراع ، الا النتيجة التى تفرضها قوة السلاح » .

● وفى عام ١٩٣٧ تكونت المنظمة العسكرية القومية « الارجون تزفاى لئومى » وهى التمثيل الحقيقى لرأى جابو تنسكى فى العمل العسكرى . وأهم قائد لها هو مناحم بيجن الذى يقول « ان العالم لا يشفق على المذبوحين ، وأنه يحترم الذين يحاربون فقط ، وهذه هى الحقيقة » وكان بيجن يعلن صراحة عن ايمانه بالعنف والارهاب « أنا أحارب اذن أنا موجود » وكذلك « كن أخى والا سأقتلك » .

● وفى يونيو ١٩٤٠ انشقت عن الارجون جماعة أسمت نفسها « لخماى حيروت ازرابيل » .

● لم يكد يتم التصويت على قرار التقسيم حتى كانت الجماعات الصهيونية الارهابية تبدأ هجومها فى فلسطين . بهدف بث الرعب فى نفوس السكان ، وتنسف القرى بالمتفجرات ، وكان موقف الانجليز هو موقف المتفرج ، وفى فبراير ١٩٤٨ أخذت قواتهم فى الانسحاب تماما من عدة مناطق مكتظة بالسكان اليهود . وهكذا انتقل ميناء تل أبيب الى أيدى الصهيونيين وأصبح يستقبل الاسلحة والمعونات والمهاجرين والمتطوعين . وتركوا كذلك معسكرات كاملة بمعداتها وأسلحتها وذخائرها . وانهالت على العرب الهجمات الارهابية بقصد دفعهم الى الرحيل .

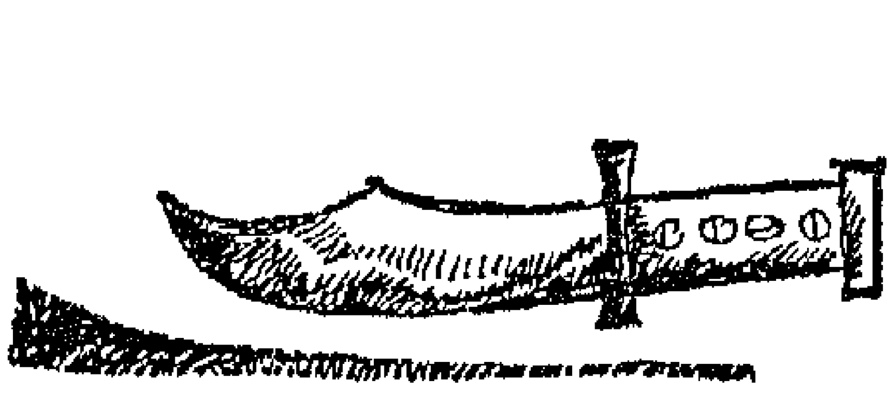
وأمام مقاومة العرب ، بدأ الارهابيون ينفذون خطة وحشية هى مجزرة دير ياسين ، وأتبعوها بسلسلة من المذابح الكثيرة والمتعمدة .

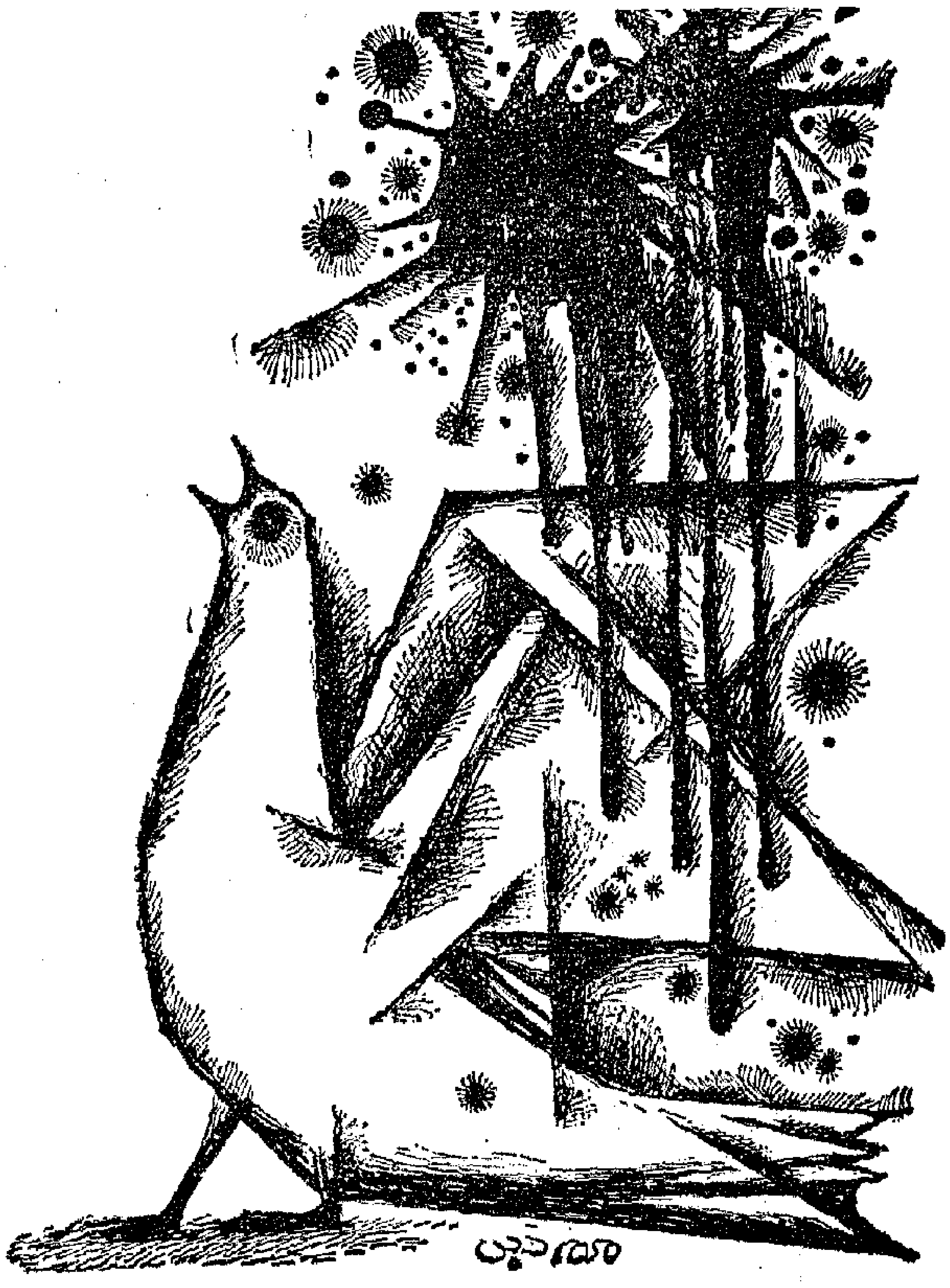
وكان لمجزرة دير ياسين انعكاسات ضخمة وبعيدة المدى ، وبذل الصهيونيون كل جهدهم فى اذكاء الفذع ، فتدافع العرب يهجرون منازلهم .. وقراهم .

● وكانت الامم المتحدة تريد أن تجعل من حيفا ميناء دوليا ، فاذا بالارهابيين الصهيونيين يتدافعون اليها فيقتلون العرب وينسفون منازلهم .. وكان زعماء الارهاب يصدرون أوامرهم بنسف الاحياء التى هجرها العرب فى مدن عديدة ليحولوا دون عودتهم اليها .

وقد وصف مندوب الصليب الاحمر هروب العرب من يافا نتيجة الارهاب « وجدنا الطريق مكتظة بعرب من مختلف الفئات ، بعضهم يقود حماره الصغير أمامه ويحمل على رأسه خليطا عجيبا من كل شىء . هؤلاء هم لاجئو يافا الذين اخذوا يهجرون مدينتهم ، والذين يمتد شريط مسيرتهم على مرمى النظر . ان هؤلاء المهاجرين تحت سلطان الفزع أشبه ما يكونون بقطيع من الماشية يساق الى المذبح . أما الجنود اليهود المصطفون على جانبى الطريق فيكتفون بالتخفيف عن هذا القطيع ، مستحوذين على كل ما غلا ثمنه مما كان الاعياء يضطر أولئك المساكين الى التخلى عنه » .

● وبعد التقسيم يقول بن جوريون « ان الوضع فى فلسطين لا يمكن أن يسوى الا بالقوة العسكرية . الحرب حرب ، وبالتالى فان عودة العرب الى يافا ليس ظلما وانما خطيئة كبرى .. وان اسرائيل لا يمكن أن تعيش الا بالقوة والسلاح .





المواجهة السياسية الإسرائيلية للمقاومة

أحمد صدقى الدجانى

كتب **حاييم بارليف** ضمن مقال له فى ٩ ابريل ٦٨ قائلا « ستتحقق تصفية الارهاب عندما يعثر على تسوية ، وحل لمشكلة الفلسطينين » . وقال أيضا « وحتى يتم العثور على تسوية وحل لمشكلة الفلسطينين نستطيع الحد من نشاط الارهابيين » .

واسترجع **أورى افنيرى** عضو الكنيست كلمتى رئيس اركان الجيش الاسرائيلى بعد سبعة شهور فى معرض نعيه على الاسرائيليين استخفافهم بالمقاومة ، واعتبر بارليف احد الشخصيات الحكيمة فى اسرائيل لكلمته الاولى التى تحمل ـ على حد قوله ـ كل معانى نظرية ماوتسى تونج ، وعلق بقوله « وقد عارضت الكلمة الثانية ومازلت اعارضها » (١)

وقد عبر اورى افنيرى مرات عديدة عن اعتقاده باهمية المواجهة السياسية الاسرائيلية للمقاومة . وكان مما قاله فى الكنيست فى معرض معارضة المطالبين باتخاذ اجراءات صارمة مضاعفة ضد رجال المقاومة « ان مكافحة الارهاب تتم باعمال سياسية .. وانا اكرر أن أقامة دولة فلسطينية

(١) انظر مقال افنيرى فى مجلة هاعولام هازيه بتاريخ ٦٨/١١/٢٧ .

بالاتفاق مع اسرائيل ستعزل الارهابيين ... بهذه الطريقة فقط نضع حدا للارهاب (٢) ».

هذا الاعتقاد باهمية المواجهة السياسية الاسرائيلية للمقاومة عام فى اوساط عدونا الاسرائيلي . وقد تجسد فى سياسة مواجهة تحددت خطوطها العريضة تنتهجها السلطات الاسرائيلية للقضاء على المقاومة . ومن المعروف ان موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى والحاكم العسكرى للاراضى العربية المحتلة هو من ابرز راسمى هذه السياسة وواضعى مخططاتها . وقد تولى بنفسه شرحها والاشراف على تنفيذها ، وطرح نفسه على أساسها ليكون الرجل الاول فى اسرائيل ، فاقترنت هذه السياسة باسمه . كما نلاحظ ايضا ان جميع الاحزاب والكتل الاسرائيلية حرصت تعبيرا عن هذا الاعتقاد على طرح مشاريع سياسية لمواجهة المقاومة والوصول الى تسوية ، حتى تجاوزت المشاريع المعروضة العشرة ».

ان ما اوردناه يوضح مدى ما يستشعره العدو من أهمية للمواجهة السياسية للمقاومة التى تحكم عنده جميع أنواع المواجهة الاخرى من عسكرية ارهابية أو اقتصادية او اعلامية أو دبلوماسية .

فى تتبعنا ودراستنا لمواجهة العدو السياسية للمقاومة يحسن أن نمهد للحديث بوصف موجز للواقع الجديد الذى فرضته المقاومة العربية منذ معركة ٦٧ ، من خلال نظرة العدو نفسه . فقد هيأ العدو نفسه بعد النصر العسكرى الذى احرزه فى يونيو لاملاء شروطه على العرب وتحقيق احلامه التوسعية ، واعلن اقطاب التحالف الصهيونى الاستعمارى ضرورة اعادة رسم خريطة الشرق الاوسط . ولكن عدونا لم يلبث ان جوبه بالصمود العربى وبالمقاومة العربية تظهر بصورة جديدة فى الاراضى التى احتلها ، وتحقق مع فجر كل يوم جديد تصاعدا مطردا ، ومع هذا التصاعد تطورت نظرته اليها .

فبينما كان العدو لا يعطى أهمية ملموسة للمقاومة فى النصف الثانى من عام ١٩٦٧ حين كانت لا تزال فى بداياتها ، وكان هو سكران بنشوة النصر ، اذا به يضطر فى النصف الاول من عام ١٩٦٨ الى التخفيف من لهجة الواثق والتحفظ حين يتحدث عن فشل المقاومة . وقد نقل مندوب اللوموند الفرنسية عن ديان قوله لطلبة الجامعة العبرية بالقدس فى ٩ فبراير ٦٨ « ان جميع الاعمال التخريبية التى تقوم بها المنظمات والتى نطلق عليها جميعا اسم الفتح تسهيلا للامر كما يطلق الامريكيون اسم فييتكونغ على جميع اعدائهم فى فيتنام ، قد انتهت بالفشل » ولكنه استدرك بأن ديان « لم يقو على التقليل من شأن العمل الذى تؤديه هذه المنظمات » . وازداد تحفظ العدو فى حديثه عن فشل المقاومة حين فشل فى تحقيق هدفه من عدوان الخامس عشر من فبراير ٦٨ الذى ضرب فيه بعض مواقع الفدائيين بالاغوار ، وحين اثمر هجومه على الكرامة يوم الثالث والعشرين من مارس ٦٨ ، بعكس ما خطط له من نتائج ، واضطر بارليف الى الاعتراف فى تصريح طويل له آنذاك بقدرة المقاومة على تطوير أساليبها فى مواجهة أساليب العدو للقضاء عليها وهدد بمزيد من العنف الاسرائيلى .

ولم تلبث المقاومة أن فرضت نفسها على العدو فاعترف بوجودها وخطورتها عليه ، خاصة بعد أن تزايدت فى الداخل وأصابت ما يسميه العدو الحياة الطبيعية فى اسرائيل . وبدا واضحا تلاحم جماهير شعبنا العريضة فى الاراضى المحتلة بها . وهكذا تحول العدو من الحديث بلهجة الواثق من فشل المقاومة نهائيا الى الحديث بلهجة المقر بالخطر مع محاولة التقليل منه ، فقد وصف ديان فى الكنيست اعمال المقاومة فى قطاع غزة خلال بداية هذا العام بأنها كانت غاية فى العنف . وتحدث قبل أيام عن تدريب رجال المقاومة فى بلاد خارجية وحاول التقليل من اعدادهم . وظهرت نغمة جديدة فى صفوف العدو تحاول ستر قلقه بالتظاهر ، بلا مبالاته بخسائره التى تنزلها به المقاومة ، فنادى اصحاب هذه النغمة الجديدة ، بأن على الاسرائيليين أن يتعودوا على هذه الخسائر « ويقبلوها كما يقبل المجتمع الحديث حوادث السيارات » وقد الف أحد الجنرالات الاسرائيليين واسمه حركابى كتابا بهذا المعنى ، ومما يلفت النظر أن رقم ضحايا حوادث السيارات فى الاحصاءات الرسمية الاسرائيلية قد ارتفع ارتفاعا كبيرا خلال العام الماضى على الخصوص ، بينما يستمر العدو الاسرائيلى فى تخفيض ضحاياه من المقاومة . الامر الذى دفع ببعض المراقبين الصحفيين الاجانب الى الشك فى أن السلطات الاسرائيلية طبقت رأى الجنرال حركابى فحولت الرقم الذى خفضته من ضحايا المقاومة واضافته الى ضحايا حوادث السير .

وهكذا يبدو واضحا أن المقاومة العربية فرضت واقعا جديدا على العدو . وان أبرز ما فى هذا الواقع الجديد هو وقوف شعب فلسطين العربى صاحب الحق فى أرضه وجها لوجه أمام العدو الاسرائيلى . فقد كانت هذه النتيجة من أهم نتائج عدوان يونيو التى لم يحسن العدو تقديرها

---

(٢) هاعولام هازية فى ٢٤/١٢/١٩٦٨ .

مسبقا • وهى التى فرضت عودة كلمة فلسطين الى الظهور فى القاموس السياسى والدولى ، وطرحت مشكلة فلسطين من جديد بكامل ابعادها ومن أصولها وجذورها باعتبارها مشكلة شعب اغتصب الغزاة الصهاينة وطنه بالتحالف مع الاستعمار العالمى • وقد عبر ديان مؤخرا عن خطورة هذه النتيجة بقوله فى ندوة ضمت مؤيديه فى شهر فبراير الماضى « ان حرب الايام الستة ادت الى ثقل الفلسطينيين ، وبواسطة ذلك حولت المشـــكلة وحرفتها من نتائج حرب الايام الستة الى وجود دولة اسرائيل ذاته » •

نلاحظ فى تتبعناللمواجهة السياسية الاسرائيلية للمقاومة خلال العامين الماضيين أن العدو انتهج بالنسبة للمقاومة سياسة تخدم غرضى منعهـا وردعها فى نفس الوقت • سياسة ترمى الى منع المقاومة أن تظهر فى وقت كانت احتمالات ظهورها فيه قائمة • وهى ترمى أيضا الى ردع المقاومةحال ظهور بداياتها حتى لا تنمو وتترعرع • وكان ذلك ضمن سياسة الحياة الطبيعية فى الاراضى المحتلة التى عهد لديان بتنفيذها •

شرح ديان هذه السياسة للعسكريين العاملين فى الاراضى المحتلة فى الايام الاولى للاحتلال بقوله « من الضرورى أن تسير الحياة طبيعية الى أقصى حد ممكن ، وأن تعمل على أن يكون الوجود الاسرائيلى غير محسوس ، وان نمكن هيئات الحكم المحلى من مزاولة اعمالها باقصى قدر من الحرية وبالطريقة التى ترتضيها ، وأن نطلق يد الموظفين العرب أن يقولوا ويفعلوا ما يريدونه » وهذا كله مشروط « طالما لم يكن فى ذلك خطر على الامن أو تعطيل للمرافق العامة» • واوضح رجل العسكرية الاسرائيلية فى أكثرمن مناسبة فوائد هذه السياسة فقال فى فبراير ٦٨ « الفائدة الاساسية هـى الامن •• الذى يهمنا هو المحافظة على أمن اسرائيل • ينبغى ان نذكر برضا الحياة الهادئة التى تسود الضفة الغربية فى العام الاول من الحرب • أننا نهتم بالجيل الذى يسيطر على مدينة نابلس من الناحية العسكرية ولكن ليس بمدينة نابلس نفسها »

وذهبت السياسة الاسرائيلية بعيدا فى تطبيق هذا الوجه من سياسة الحياة الطبيعية فى الاراضى المحتلة ، فأبقت هيئات الحكم المحلى كما هى عدا امانة القدس التى اعلنت ضمها منذ البداية ، ويسرت تنقل المواطنين العرب بين الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة عام ٤٨ ، وحتى بين الضفتين عبر نهر الاردن • وأكدت هذه السياسة على ضرورة التعايش الاسرائيلى مع العـرب ، فطالب ديان بهذا التعايش فى مناسبات كثيرة • وكان ذلك كله من أجل تهيئة مناخ يمنع ظهور المقاومة حيث لا يجد المواطنون العرب ـ حسب تصور مخططى هذه السياسة ـ مبررا للمقاومة العنيفة ، خاصة وان هذا الوجه من سياسةالحياة الطبيعية كان يتضمن ازالة كل ما من شأنه ازعاج العرب مادام لا يمس جوهر أمن اسرائيـل ومخططاتها التوسعية • وقد دأب ديان ومعاونوه على زيارة الاراضى العربية المحتلة ، والاستجابة لمطالب العرب التى لا ضرر منها والتى تخص حياتهم اليومية • ونكتفى بايراد مثل واحد حين زار جنين فى مطلع عام ٦٨ وقال فى اجتماع عقده مع رئيس البلدية ورؤساء المجالس المحلية من العرب « الحكم العسكرى فى هذه المناطق يمثل الحكومة ومن واجبه الاهتمام بالامن ومساعدة السكان فى تقديم الخدمات لهم ، وان على السكان وممثليهم ان يعملوا بأنفسهم للحصول علـى احتياجاتهم » • وبلغ الى حد القول « واذا رغب السكان وكانوا مستعدين للقيام بمهـام الحكم العسكرى فسنوكل اليهم هذه المهام دون أدنى تأخير » واستعد لتلبية طلباتهم حتى السماحبزيارة الطلاب من أبناء المنطقة الذين يتلقون العلم فى الجامعات العربية لذويهم •

وكان الوجه الاخر لهذه السياسة الاسرائيلية التصدى بابشعوأشد وسائل الارهاب والبطش لاية بوادر مقاومة تبرز بين العرب ، من أجل الردع ، وضمن هذا الوجه كان نسف البيوت التى يشتبه انها آوت أو ساعدت رجال المقاومة ، واعتقال المناضلين العرب حتى بلغ عدد المعتقلين بضعة الاف ، وممارسة وسائل التعذيب اللاانســانية معهم •

وهـكذا نجـد ان المواجهـة السـياسـية الاسرائيلية للمقاومة انطلقت من محاولة التفريق بين من يسميهم ديان المدنيين المسالمين وبين من يسميهم الارهابيينالمخربين ،وحرصت على محاولة الفصل بين الفريقين اللذين هما فى حقيقة الامر فريق واحد • فاتخذت مع الاول وجه الترغيب والاغراء بغية منعـه من اللجـوء الى المقاومة واغرائه بالقعود • كما اتخذت مع الثانى وجه الترهيب والضغط بغية ردعه عن الاستمرار فى المقاومة ، وليكون مثلا لغيره • ومن هنا ردد ديان فى العامين الماضيين خلال زياراته الاراضى المحتلة ومخاطبته من يسميهم المدنيين المسالمين اسطوانة أن المقاومة تزعجهم اكثر مما تزعج الاسرائيليين • ونلاحظ أنهعلى الرغم منأن الاحداث التى شهدتها الاراضى المحتلة خلال العام الماضى على الخصوص قد اثبتت فشل محاولات التفريق وأكدت ان شعبنا العربى يقف صفا واحدا فى تلاحم كامل ضد العدو ، فان ديان لا يزال يردد تلك الاسطوانة ليس غفلة منه عن حقيقة ما يجرى وانما محاولة منه بلوغ هدفه فى التفريق • ومما جاء فى شرح سياسته هذه ضمن مقال طويل نشرته هاآرتس فى

١٤ فبراير الماضي قوله « ان الفدائيين يزعجون حياة العرب اكثر مما يزعجون حياتنا ، وان كانوا يكلفوننا عبئا ثقيلا .. فيجب ان نجعل العرب يحسون بأنهم لا يمكن ان يعيشوا عيشة طبيعية مع وجود الفدائيين ونشاطهم .. وعلى العموم فان هدف الفدائيين بايجاد ثورة مدنية لم ينجح »ويعلق كاتب المقال « وان كان ديان لم يؤكد انهم لن ينجحوا في ذلك في مرحلة متأخرة » .

ويبدو واضحا ان سياسة الحياة الطبيعية في الاراضي المحتلة التي استهدفت فضلا عن مواجهة المقاومة تمكين الاحتلال وتثبيت قواعد انطلاق اسرائيلية جديدة لتحقيق التوسع واسكات الرأي العام العالمي ، يبدو واضحا ان هذه السياسة فشلت فشلا ذريعا تجلى في اضطرار ديان منذ احداث اكتوبر ٦٨ التي عمت الضفة الغربية وخلال احداث غزة الملتهبة الى تهديد من يسميهم المدنيين المسالمين وممارسة الارهاب الصهيوني عليهم . ومع ذلك لا يزال العدو متمسكا ببعض جوانب هذه السياسة باعتبارها أقل تكلفة له من غيرها .

وكانت فكرة اقامة دويلة فلسطينية في ظل الاحتلال الاسرائيلي التي برزت منذ الايام الاولى للاحتلال أحد سبل المواجهة السياسية التي فكر بها العدو لتصفية قضية فلسطين ومجابهة المقاومة . وعلى هذا الاساس دخلت هذه الفكرة في سياسة الحياة الطبيعية ، وباشر العدو الاسرائيلي محاولة اخراجها الى حيز التنفيذ . فكان ان شهدت الاراضي المحتلة في النصف الثاني من عام ٦٧ نشاطا مشبوها رسم خطوطه الاسرائيليون بمعرفة المخابرات الامريكية ، لاقامة دويلة فلسطينية تبرم الصلح مع العدو . ومعلوم ان هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع حيث وقفت جماهير شعبنا في وجهها ، ونبذت كل من تحرك في هذا النشاط المشبوه .

يهمنا مع ذلك متابعة وجهة نظر العدو في اقامة دويلة فلسطينية ، لان محاولاته — كما نتوقع — ستستمر وان اتخذت اشكالا مختلفة .

ينطلق العدو الاسرائيلي في وجهة نظره هذه من شعوره بضرورة التوصل الى صيغة تكرس الامر الواقع الذي اثمره عدوان يونيو، وتصفي مشكلة فلسطين ، حتى ينطلق من هذه الصيغة الى تحقيق هدفه الكبير في اقامة « اسرائيل الكبرى » . وقد حاولت السياسة الاسرائيلية بمعونة الولايات المتحدة اكراه العرب بعد معركة يونيو على التفاوض مع اسرائيل، والرضوخ لشروطها وابرام صلح يحقق الاهداف الصهيونية الاستعمارية . وحدد مخططو هذه السياسة الاطراف التي يمكن أن يتموا معها التسوية مجتمعة أو متفرقة بأنها الدول العربية وعرب فلسطين . فلما لم ينجح التحالف الاستعماري الصهيوني في اكراه الجمهورية العربية المتحدة على التفاوض وبالتالي في جذب أي من الدول العربية الى مائدة المفاوضات ، ركز في هذا المجال على عرب فلسطين ، آخذا بعين الاعتبار مالهم من قيمة كبيرة في النظرة الدولية للمشكلة فهم أصحاب الارض المباشرون وتخصهم مشكلة اللاجئين . وهم وهذا هو الاهم منبع المقاومة العنيدة الصلبة للاحتلال التي بدأت تهز ضمير الرأي العام العالمي . كما ركز عليهم لان قسما كبيرا منهم يعيش في فلسطين المحتلة في قبضته ، الامر الذي يمكنه من ممارسة مختلف اساليب الضغط عليهم ، ظنا منه انهم قد يرضخون للضغط .

وقد شرحت جريدة **دافار** هذا المنطلق في مقال لها في مارس ٦٨ بعنوان « مع من تجري مفاوضات مباشرة ؟ » جاء فيه « واليوم نحن هنا في اسرائيل نسيطر على جميع المناطق العربية الفلسطينية المزدحمة السكان ، والامة الفلسطينية صغيرة ولكنها أمة وعلينا أولا أن نحل مشكلتها عن طريق مفاوضات مباشرة دون اوصياء او وسطاء. وهكذا قد يستطيع عرب فلسطين ايجاد حل يخرجنا من عزلتنا في المنطقة ، وسيضطر العرب عند ذلك الى التسليم بنا » كما انطلق منه « سيمون بيرنز » سكرتير حزب العمل الاسرائيلي واحد مدبري العدوان الثلاثي عام ٥٦ ،حين أجاب ايريك رولو مندوب اللوموند في ديسمبر ٦٨ على سؤاله : كيف ستقومون باقرار السلام، بقوله « سنعمل على هذا مع الفلسطينيين الذين يعيش اغلبهم في الاراضي التي تحتلها اسرائيل منذ حرب الايام الستة ، فهناك في هذه الاراضي مليونا وثلاثمائة الف من اصل فلسطيني . والمشكلة القائمة معهم تتعلق بالاقليم ، بقدر ما تخص العلاقات الانسانية ، وهدفنا الاكبر ايجاد الجو الضروري للجوار المتناسق ، أي للتعايش الذي سيؤدي الى السلم » .

وهكذا يبدو جليا أن العدو يحاول أن يستفيد من بروز اسم فلسطين بعد النكسة ، وكان ينكره طيلة العشرين عاما التي سبقتها ، في الخروج من عزلته عن طريقهم . ونلاحظ فيما أوردناه من حديث بيريز عن التعايش الذي يذكرنا باحاديث ديان . كما نلاحظ ايضا ان العدو يتحدث عن أمة فلسطينية وعن قوة فلسطينية في الوقت الذي يعلم فيه جيدا ان شعب فلسطين العربي جزء لايتجزأ من الامة العربية . وواضح أن القصد من هذا الحديث محاولة فصل عرب فلسطين عن اخوانهم العرب باصطناع قومية خاصة لهم . ومما يلفت النظر أن بعض خبراء الشئون العربية في وزارة الخارجية الاسرائيلية ، يرون ضرورة غرس هذا المفهوم بمضمونه الاقليمي الانفصالي . وقد نقلت جريدة الجويش اوبزرفر في ديسمبر ٦٨ عن واحد منهم

قوله « ان القومية الفلسطينية بدأت تثبت وجودها ، ويمكنها ان تصل فى النهاية الى اتفاق مع الاسرائيليين بعد اختفاء شرق الاردن » ويبدو جليا أيضا أن أحد أهداف العدو من ابرام تسوية مع عرب فلسطين هو انهاء المقاومة العربية ٠

ومع أن السياسة الاسرائيلية باشرت بمعونة السياسة الامريكية محاولة اقامة دويلة فلسطينية ، الا أن هناك اختلافا ملموسا فى صفوف العدو الاسرائيلى حول تفاصيل هذا الموضوع ، وهذا الاختلاف يتصل بالموقف من وجود شعب فلسطين ، والحوار متصل حول الموقف الذى يجب أن يتخذه العدو تجاه حقيقة وجود شعب فلسطين البارزة امامه وامام العالم أجمع ٠

ليس هذا الاختلاف فى النظرة الى وجود شعب فلسطين بين صفوف العدو جديدا ، فقد كان الموقف الاسرائيلى الرسمى ــ كما اعترف افنيرى فى دير شبيجل الالمانية فى مارس الماضى « يتأرجح بين أوضاع مختلفة متناقضة » فحتى عام ١٩٤٨ كانت الزعامة الصهيونية تعلن أن النزاع العربى الاسرائيلى مسألة تخص عرب فلسطين وحدهم ، ولذلك عارضوا بشدة دعوة بريطانيا الرسمية لجميع الدول العربية للاشتراك فى محادثات حول مشكلة فلسطين ٠

واصبح الموقف الاسرائيلى الرسمى بعد نكبة ٤٨ من شعب فلسطين انكار وجوده تماما ، ودأبت الحكومة الاسرائيلية على الزعم ــ كما كتب افنيرى ــ « بأنه لايوجد الان شىء اسمه فلسطين أو شعب فلسطين الا فى المخيلات ٠٠ » وبهذا الزعم امكن لاسرائيل ان تتهرب من مشكلة الحدود ومشكلة اللاجئين ٠ وعملت الدعاية الصهيونية بنجاح غير قليل على طمس حقيقة وجود شعب فلسطين أمام الرأى العالمى وتحويل مشكلة فلسطين الى مشكلة نزاع دولى تتعرض فيه اسرائيل لخطر عدة دول عربية تتهددها ٠

وجاء عدوان ٦٧ ليغير الوضع مرة أخرى ٠ فقد وجد الاسرائيليون ــ على حد قول افنيرى ايضا ــ « ان الغالبية العظمى من عرب فلسطين تعيش الان فى مناطق احتلها الجيش الاسرائيلى فى الحرب وتضم جميع اراضى فلسطين التى كانت واقعة تحت الانتداب البريطانى » ووجد الاسرائيليون أن جميع عرب فلسطين فى الاراضى المحتلة وخارجها متشبثون بحقهم مصممون على المقاومة ٠

أمام هذا الوضع الجديد برزت عدة اتجاهات مختلفة فى صفوف العدو ، يحسن أن نعرض لاهمها لما لها من صلة وثيقة بالمواجهة السياسية الاسرائيلية للمقاومة ٠

احد هذه الاتجاهات يرى ان يتمسك الاسرائيليون بالموقف الاسرائيلى الرسمى السابق لعدوان ٦٧ ، المنكر لحقيقة وجود شعب فلسطين الساطعة ٠ ويحارب هذا الاتجاه بشدة فكرة الكيان الفلسطينى ومحاولة تسوية مشكلة فلسطين بالتخاطب مع شعب فلسطين ٠ ويرى ان التسوية تتم عن طريق اجبار الدول العربية على التفاوض ٠ ومن ابرز المتبنين لهذا الاتجاه بعض قيادات حزب العمل من جناح المباى وعلى رأسهم جولدا مائير التى تعودت ان تجيب حين تسأل عن رأيها فى مسألة الوجود الفلسطينى بقولها « يكفينا اربع عشرة دولة عربية » ، وان تحصر مشكلة فلسطين فى نطاق مشكلة اللاجئين ٠ وهذه على حد قولها لمندوب جريدة دافار بعد تسلمها رئاسة الوزارة ــ « مشكلة انسانية حولتها الدول العربية الى مشكلة سياسية » ٠ ولا تمل جولدا مائير ان تردد ان حل المشكلة يكون باستيعاب اللاجئين فى الدول العربية ، وانه قد حدث تبادل سكانى بين العرب واليهود فى فلسطين المحتلة والوطن العربى ٠

ويعتبر ابا أيبان من اشد المتحمسين لهذا الاتجاه ، وهو يرفض بشدة دعوة القائلين بالتفاوض مع عرب فلسطين زاعما ان عرب فلسطين يمثلون عنصرا غير ذى سيادة ، وهو يرفض كما صرح فى الكنيست مؤخرا « اشتراك اى عنصر غير ذى سيادة فى المفاوضات » التى يسعى الاسرائيليون لاجرائها والتى ترفض امتنا العربية مجرد القبول بمبدئها ٠ ويرى ايبان ان انحراف اسرائيل عن هذه القاعدة هو التنازل عن سيادة اسرائيل ذاتها ، ويردد قولا شبيها بقول جولدا مائير « تكفينا اربعة حدود وليس من مبرر لايجاد حد خامس » هو حد الدولة الفلسطينية التى يعارض وجودها ٠ وهكذا نجد ايبان يرفض مجرد قيام عنصر اسمه الفلسطينيون معبرا اصدق تعبير عن هذا الاتجاه ٠

يعترف الاتجاه الاخر بحقيقة وجود شعب فلسطين ، بل ويحاول المغالاة فى هذا الوجود باصطناع قومية فلسطينية وامة فلسطينية فى محاولة لفصل شعب فلسطين العربى عن الامة العربية ٠ ويرى هذا الاتجاه حل مشكلة فلسطين عن طريق التفاوض مع شعب فلسطين ٠ وهو يعرض عروضا يلبسها ثوب التقدمية والاعتدال ٠ ولعل خير من يمثله افنيرى فى كتلة هاعولام هازيه وحزب المابام والحزب الشيوعى الاسرائيلى (ماكى) الذى يضم الفئة اليهودية

المنشقة عن الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٦٥ [٣]

يشرح افنيري رأيه في التسوية فيدعو الى انشاء جمهورية فلسطينية عربية تكون مع دولة اسرائيل التي يتمسك بها اتحادا فيدراليا تكون عاصمته القدس الموحدة التي تكون في الوقت نفسه عاصمة الدولتين (حيث القدس الشرقية عاصمة لجمهورية فلسطين ، والقدس الغربية عاصمة لدولة اسرائيل) • وهو ينطلق في دعوته هذه من شعوره بخطر المقاومة لانها على حد تعبيره « خطر جدي يجب ان ينظر اليه بعين الجد » • ومن حرصه على ضربها وانهائها ومن وعيه للتجارب التاريخية السابقة ، وقد حلل بالذات تجربة الغزو الغربي الصليبي قبل تسعة قرون • ويكشف افنيري عن مراميه من هذه الدعوى في مقاله لمجلة شبيجل في مارس الماضي حين يشرح وضع دولة فلسطين التي يقترح انشاءها • فهو يرى « انه لابد ان يسبق الاتحاد الفيدرالي عقد معاهدة اقتصادية وسياسية وعسكرية •• ويشترط في الاتفاق العسكري الا تدخل اية جيوش اجنبية المنطقة الفلسطينية » وواضح انه يعني بالجيوش الاجنبية الجيوش العربية » • ولابد من انشاء نوع من التنسيق السياسي يضمن الا تعقد اسرائيل او الجمهورية الفلسطينية اية معاهدة مع دول اخرى الا بموافقة الطرف الاخر » • ويصرح بأن هذه الدولة الفلسطينية ستكون جسرا لاسرائيل تعبره الى العالم العربي •

ويحدد الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) موقفه من المقاومة باعتبارها ارهابا عربيا شأنه في ذلك شأن بقية الاحزاب الاسرائيلية • وقد ايد على لسان ميكونيس سكرتير الحزب في افتتاح المؤتمر السادس عشر للحزب « العمليات التي يقوم بها جيش الدفاع الاسرائيلي وقوات الامن ضد منظمات الارهاب العربية » ولكن استنكر ـ مستدركا طريقة العقاب الجماعية للسكان العرب •

والاسلوب السياسي الذي يطرحه الحزب لمواجهة المقاومة هو بايجاد تمثيل فلسطيني تتفاوض معه حكومة اسرائيل • وقد طرحت اللجنة المركزية للحزب في ابريل الماضي من خلال قراراتها هذا الاسلوب ، فاستنكرت ما اسمته « خداع المنظمات الارهابية للظهور في حركة المحاربين من اجل الحرية كما يدعون • وهي التي تهدف اقامة دولة على ارض اسرائيل تكون « دولة فلسطينية ديمقراطية غير دينية » وتكون جزءا من الامة العربية • وهذا الهدف هو المعروف بتصفية دولة اسرائيل القائمة وسرقة حق تقرير المصير القومي من شعب اسرائيل » • اي ان هذا الحزب يرفض حتى فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية على الرغم من سيطرة هذه الفكرة على مبدأ الغزو الصهيوني ، ويتشبث بفكرة القومية اليهودية ودولة اسرائيل • كما اتجه حزب ماكي في قراراته الى دوائر اليسار في العالم « بنداء تحذيري بعدم الانسياق وراء دعاية المنظمات » •• وحدد الحزب اسلوب المواجهة السياسي للمقاومة بالقول « تشير اللجنة المركزية الى ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي ماكي هو الذي اثار خلال حرب الايام الستة وبعدها اقتراحا يساعد السكان العرب في المناطق المحتلة على اقامة تمثيل ديمقراطي محب للسلام تتفاوض معه حكومة اسرائيل للوصول الى اتفاق اساسي وعلمي ازاء المشاكل الممكن حلها على الفور وازاء مستقبل المناطق المحتلة ومستقبل العلاقات الودية على اساس تقرير المصير والتعايش السلمي » وطالب الحزب الحكومة بالمبادرة الى تطبيق هذا الاسلوب •

ومعلوم ان هذا الحزب دائب الهجوم على موقف الاتحاد السوفيتي المؤيد للقضية العربية ضد الاستعمار ، وانه صهيوني العقيدة ويزعم على لسان سكرتيره « انه استطاع ملاءمة المبادىء الماركسية اللينينية ، والاشتراكية الدولية مع الظروف الحساسة لشعب اسرائيل وبلاد اسرائيل ومع حياة الشعب اليهودي بالمهجر » (٤) .

ويبدو المابام اكثر قربا للوسط من وجهة النظر الاسرائيلية في المشروع الذي طرحه للتسوية حيث يوافق على ضم قطاع غزة ومرتفعات الجولان والقدس للكيان الاسرائيلي ملتقيا مع دعاة التوسع الاسرائيلي العلني التقاء جزئيا . ولكنه في الوقت نفسه يعترف بوجود شعب فلسطين ، ويردد ان لهم ان يقرروا مصيرهم شريطة الاعتراف باسرائيل والرضوخ لشروطها .ونلاحظ على تحركه انه يدفع ببعض الواجهات العربية المعزولة جماهيريا والمرتبطة به لترديد آرائه • فيرسل عبد العزيز الزغبي في رحلة للولايات المتحدة وفرنسا في العام الماضي • وقد نشرت نيويورك تايمز في ٦٨/٣/٣ تحت عنوان « عربي اسرائيلي يقترح صيغة سلام في الشرق الاوسط » قائلة « العربي هو

---

(٣) تفجر الخلاف في الحزب الشيوعي عام ١٩٦٥ ، بين فئة يهودية بزعامة ميكونيس وسنيه ، وفئة غالبيتها عربية بزعامة طوبي وفلنر ، وذلك عند مناقشة الموقف الذي يجب ان تتخذه اسرائيل من القومية العربية فاتهمت الفئة الاولى الفئة الثانية بالتطرف في تاييد القومية العربية وردت الثانية باتهام الاولى بالنزعة الصهيونية .. وتعرف الفئة الثانية حاليا باسم الحزب الشيوعي الجديد .

(٤) كول هعام في ٦٨/١٠/٣١ و ١٩٦٩/٤/١١ .

عبد العزيز الزغبى عضو برلمان اسرائيل ونائب عمدة الناصرة ، ومن زعماء حزب المابام . القى احاديثهفىالولايات المتحدة وفى باريس بدعوة من سارتر » . وتلخص الصحيفة مشروعه « قال انه يدعو الى اقرار السلام فى الشرق الاوسط على اساس ان تعلن اسرائيل انها لن تتوسع على حساب العرب وان يعلن العرب اعترافهم بحق اسرائيل فى البقاء . اما عرب فلسطين فيقررون مصيرهم ، اما ان ينشئوا جمهورية او ينضموا الى الاردن . ولابد من بحث مشكلة اللاجئين كلها (ويعنى العرب واليهود وفق طرح جولدا مائير) .

ويتخذ الاتجاه الثالث موقفا وسطا متذبذبا بين الاتجاهين السابقين . فلا ينكر حقيقة وجود شعب فلسطين ولا يتخذها اساسا للحل ، واوضح من يمثله موشى ديان ، فهو ينطلق من الواقع القائم الذى يجد فيه شعب فلسطين والدول العربية ، وهمه ان يقضى على المقاومة بأية وسيلة ويحقق الاستقرار الذى يمكن الصهيونية من الوثوب والتوسع . وهو يشرح موقفه بقوله « ان الواقع هو مشروعى ، وسيكون الاساس فى تسوية دائمة . والواقع ليس مسألة ثابتة ، بل تعتريه تطورات تستلزم المرونة وتغيير التكتيك » . ومع انه قد يبدو انه ليس هناك سياسة واضحة لهذا الاتجاه الا ان الحقيقة غير ذلك . فهو يعتمد سياسة واضحة تستهدف ما يسميه ديان « امن اسرائيل » وتقوم على اساس افتراض ان العرب لن يوافقوا على تسوية فتبادر لفرض الامر الواقع ، ومن هنا يرى ديان ان الفترة الحاضرة انتقالية وقد تطول جدا حسب تقديره . وعلى اسرائيل خلالها ان تحارب المقاومة سياسيا بالوصول الى نوع من التعايش مع العرب فى الاراضى المحتلة وعدم اشعارهم ما امكن بالحكم الاسرائيلى لان حكمهم ــ على حد تعبيره سوف يسبب للاسرائيليين المتاعب . ويرى ضرورة الضم الاقتصادى ليفرض على العرب ان يتعايشوا مع عدوهم .

يمكننا ان نخلص من دراسة هذه الاتجاهات الثلاثة فى صفوف العدو الاسرائيلى انها حين تختلف فى نظرتها لحقيقة وجود شعب فلسطين الساطعة فانما هو اختلاف بينها على الوسائل ، حيث تلتقى جميعها فى عقيدتها الصهيونية وفى العمل لتحقيق الاهداف الصهيونية التوسعية وفى النظرة للمقاومة العربية . واذا بدا ان الموقف الاسرائيلى تأرجح بين اوضاع مختلفة متناقضة فقد كان دوما كذلك لانه موقف لا يعتمد الحقائق وانما يتلون ويتغير لخدمة الاستراتيجية الصهيونية . واننا نجد مثل هذا الاختلاف عام ١٩٤٨ بين بن جوريون ويهودا ماكنس الذى كان يدعو الى دولة ثنائية القومية ، وقد حدد بن جوريون انه اختلاف على الوسائل حيث قال مخاطبا ماكنس « فى الواقع اننا لا نختلف كثيرا من حيث المبدأ بخصوص نظام سير الحوادث ، فلا يرضى كلانا بالانتداب البريطانى . كما انك ترغب فى قيام شكل من اشكال الدولة فى فلسطين وليكن ذلك ثنائى القومية والذى اراه عمليا انه شكل من اشكال الدولة على اية حال . ان الفرق الحقيقى بيننا هو انك تفكر بأن السلام بين العرب واليهود يؤدى الى تأسيس دولة فى حين اعتقد انا بأن دولة يهودية تؤدى الى تحقيق السلام العربى اليهودى » . ويعلق أرنست سيمون فى مجلة النظرة الجديدة الاسرائيلية على هذا القول بعد سنوات بأنه تبين خطأ وجهتى النظر هاتين .

اننا نتوقع فى مجال الاختلاف بين هذه الاتجاهات البارزة اليوم فى صفوف العدو لمجابهة المقاومة ومحاولة تصفية المشكلة ان تكون محصلة القوى الاسرائيلية قريبة من اتجاه ديان الذى يندرج تحته مشروع آلون أيضا ، والذى يحاول الاستفادة من الاتجاهين حسب مقتضى الاحوال .

ويهمنا ونحن ندرس هذه الاتجاهات فى داخل المجتمع الاسرائيلى ان نشير بايجاز الى تفاعلها مع الاوساط اليهودية خارج اراضينا المحتلة . لان بعض هذه الاوساط وخاصة تلك التى تعلن عدم **صهيونيتها ــ تحاول نقل وجهات نظر بعض هذه الاتجاهات الى قيادات المقاومة وتعريفهم بها .** وتذهب لاكثر من ذلك فى محاولة لتعميم بعض افكارها المضللة . والدور الاكبر فى هذا المجال هو الاتجاه الثانى الذى يعترف بحقيقة وجود شعب فلسطين ، ونجد له صدى كبيرا فى اوساط اليهودية الاوروبية ، وخاصة فى فرنسا ، ويمكننا ان نلاحظ التشابه الكبير بين ما دأب بعض الصحفيين اليهود المتصلين بالمنطقة العربية على ترديده ، وبين مايدعو اليه الاتجاه الثانى . ففى ندوة نظمتها مجلة **جون افريك** الدولية فى يناير الماضى حول المشروع السوفيتى وموقف المقاومة منه ، وضمت من الصحفيين كراهن ، وانبا فرانكوس ، ولانتان وبورديه وكارلنسكى ، وبعضهم اسماء يهودية واضحة ، تكررت فكرة فصل عرب فلسطين عن الامة العربية ، بل والزعم بوجود تناقض بين المقاومة والثورة العربية ، وطرح السؤال عما سيكون عليه مصير المقاومة لو امكن تطبيق قرار مجلس الامن ، وترديد فكرة الدولة الفلسطينية التى تضم جميع اليهود الاسرائيليين الموجودين حاليا فى فلسطين المحتلة ، والحديث عن امة وقومية فلسطينية الخ .. هذه الافكار .

ربما كان هذا التشابه نتيجة نشاط الاتجاه الثانى الذى يحمل اسم اليسار الاسرائيلى فى اوساط اليهود الاوروبيين واليسار الاوروبى عامة ، وربما كان ابعد من ذلك وايا كان سببه فالمهم ان بعض افكار هذه الاوساط التى تعلن تأييدها للمقاومة وتدأب على الاحتكاك بها ، ينطوى على خطر كبير بحسن نية او بسوء نية . وان من واجب

المقاومة اجلاء الامر بصورة واضحة عن طريق طرح افكارها الانسانية فى حل المشكلة على هذه الاوساط وفق ارادة شعب فلسطين صاحب الحق فى أرضه ، وان تتنبه قبل ذلك عند الانسياق وراء بعض هذه الافكار المضللة .

تلك هى محاولات العدو السياسية لمواجهة المقاومة فى الساحة الفلسطينية . واهم منطلقاتها الاساسية عزل شعب فلسطين العربى عن الامة العربية ، واتخاذه ان امكن سبيلا للتصفية ، وجسرا للمنطقة العربية . ولاتقف سياسة المواجهة الاسرائيلية للمقاومة عند حدود الساحة الفلسطينية بل تتعداها الى الساحة العربية . حيث تعتمد على محاولة اثارة التناقض بين بعض انظمة الحكم العربية وبين المقاومة وجماهير الشعب العربى الملتحمة بها . وتسعى الى كسر طوق لاءات مؤتمر الخرطوم - على حد التعبير الاسرائيلى - وابرام الصلح حتى مع دولة عربية واحدة لتطويق المقاومة وضربها .

وقد ظهرت محاولة اثارة التناقض هذه على الخصوص فى ساحة شرق الاردن ثم فى ساحة لبنان . واستخدمت المواجهة السياسية الاسرائيلية وسيلة الضغط العسكرى بشكل واضح لبلوغ هدفها . ونضرب مثلا بتصريحات ديان عن الهجوم الاسرائيلى المدبر فى منتصف فبراير ٦٨ على مواقع الفدائيين فى الاغوار حيث اوضح فى ثنايا حديثه هدف اثارة التناقض بين السلطة والشعب من جهة وبين المقاومة او على الاقل بين السلطة وبين المقاومة . وقد تكررت تصريحاته يوم الغارة على مطار بيروت فى مطلع هذا العام .

كما لجأت السياسة الاسرائيلية ايضا الى الضغط على نظام الحكم فى الاردن مستعينة بالولايات المتحدة الاميركية لابرام صلح منفرد تكون اولى بنوده تصفية المقاومة . ويبدو انها لجأت فى هذا المجال الى ما تسميه السياسة الامريكية قنوات الدبلوماسية السرية الهادئة . ومع ان السلطات الاسرائيلية كانت تحرص فى كثير من الاحيان على التصريح برفضها ابرام صلح منفرد مع الاردن الا ان كل الدلائل تؤكد استماتتها لتحقيق هذه الخطوة لكسر مؤتمر الخرطوم وضرب المقاومة . وهناك بعض التصريحات الاسرائيلية التى تشير الى ما ذهبنا اليه .

فقد هللت صحيفة « عل همشمار » الناطقة بلسان المابام لاحداث الرابع من نوفمبر ٦٨ التى حدثت فى الاردن بين بعض اجهزة السلطة وبعض المنظمات الفدائية . وحاولت فى تعليقها على الاحداث الايقاع بين النظام الاردنى والتنظيمات ، وشجعت النظام على حسم الموقف بلهجة درامية « فالساعة قريبة وتقترب بسرعة التى يضطر فيها النظام .. لحسم الموقف ضد منظمات التخريب .. ولن يكون هناك مفر من الاشتباك مع هذه المنظمات وحسم الموقف » .

وعقد ديان انذاك وعقب الاحداث مؤتمرا صحفيا ركز فيه على ان النظام الاردنى « يستطيع حقا ان يفرض السلام على شعبه وهو من القوة بما فيه الكفاية لكى يفعل ذلك » . وشجع النظام الاردنى على ضرب المقاومة وابدى استعداد اسرائيل لتوقيع اتفاقية سلام معه فورا . « دون ان يكون ذلك مشروطا بموافقة دولة عربية اخرى »[٥] ونلاحظ فى تلك الحملة التى اعقبت احداث نوفمبر ٦٨ مشاركة اجهزة الاعلام الامريكية فيها . فقد خصصت صحيفة واشنطن بوست مقالها الافتتاحى لتشجيع النظام الاردنى على ابرام صلح منفرد « فان الاردن سيربح فى اى اتفاق سلمى يتم مع اسرائيل اكثر من اى بلد آخر » على حد زعمها . وللايقاع بين النظام وتنظيمات المقاومة . وليس بين ايدينا فى هذه الفترة معلومات كافية عن جهود السياسة الاسرائيلية والامريكية فى مجال الدبلوماسية السرية الهادئة .

وواضح اليوم ان السياسة الاسرائيلية لمواجهة المقاومة فى الساحة العربية لم تحقق نجاحا يذكر ، وان كانت لا تزال مستمرة لم تيأس تعاونها السياسية الامريكية . الامر الذى يفرض على المقاومة وانظمة الحكم مزيدا من الحذر لكيلا ينساقوا فى اثارة تناقض تأباه متطلبات المعركة .

فاذا انتقلنا الى المواجهة السياسية الاسرائيلية للمقاومة فى الساحة الدولية نجد انها تستهدف عدم الاعتراف بالمقاومة كحركة تحرير وطنية ، والصاق ابشع التهم فيها . وتستخدم المواجهة السياسية فى هذا المجال الاعلام كسلاح رئيسى بيدها . كما تلجأ الى الاتصالات السياسية مع التنظيمات الشعبية فى العالم لتعميم وجهة نظرها ، ونلاحظ ان للاحزاب الصهيونية التى توصف باليسارية فى اسرائيل دور كبير فى هذه المواجهة ، هو استمرار لدورها خلال العشرين سنة الماضية فى الاساءة للقضية العربية وتشويهها بين الاحزاب الاشتراكية . وقد خصصت اللجنة المركزية لحزب ماكى الشيوعى فى دور انعقادها الاخير فى ابريل الماضى جانبا هاما من قراراتها لهذه المواجهة ، فاتجهت الى دوائر اليسار فى العالم بنداء تحذيرى

---

(٥) معاريف فى ١٩٦٨/١١/٥ .

كما سبق ان اوردنا ـ بعدم الانسياق وراء دعاية تنظيمات المقاومة وناشدتهم « ان يمارسوا تأثيرهم من اجل الوصول الى مفاوضات حرة » وما الى ذلك من المطالب الصهيونية واكدت ان منظمات المقاومة « تشكل اداة للعدوان العربى لتصفيـة اسرائيل وليست حركة تحرير وطنى » . ووصفت اعمالها بأنها « تتعارض مع المثل العليا للمقاتلين من أجل حريته ، وتدل على الطابع العـدوانى واللا انسانى لمنظمات الارهاب العربية » [٦] يردد اليسار الاسرائيلى المزعوم كل مزاعم الصهيونية دون ان يشير الى جرائمها اليومية البشعة فى الاراضى العربية المحتلة .

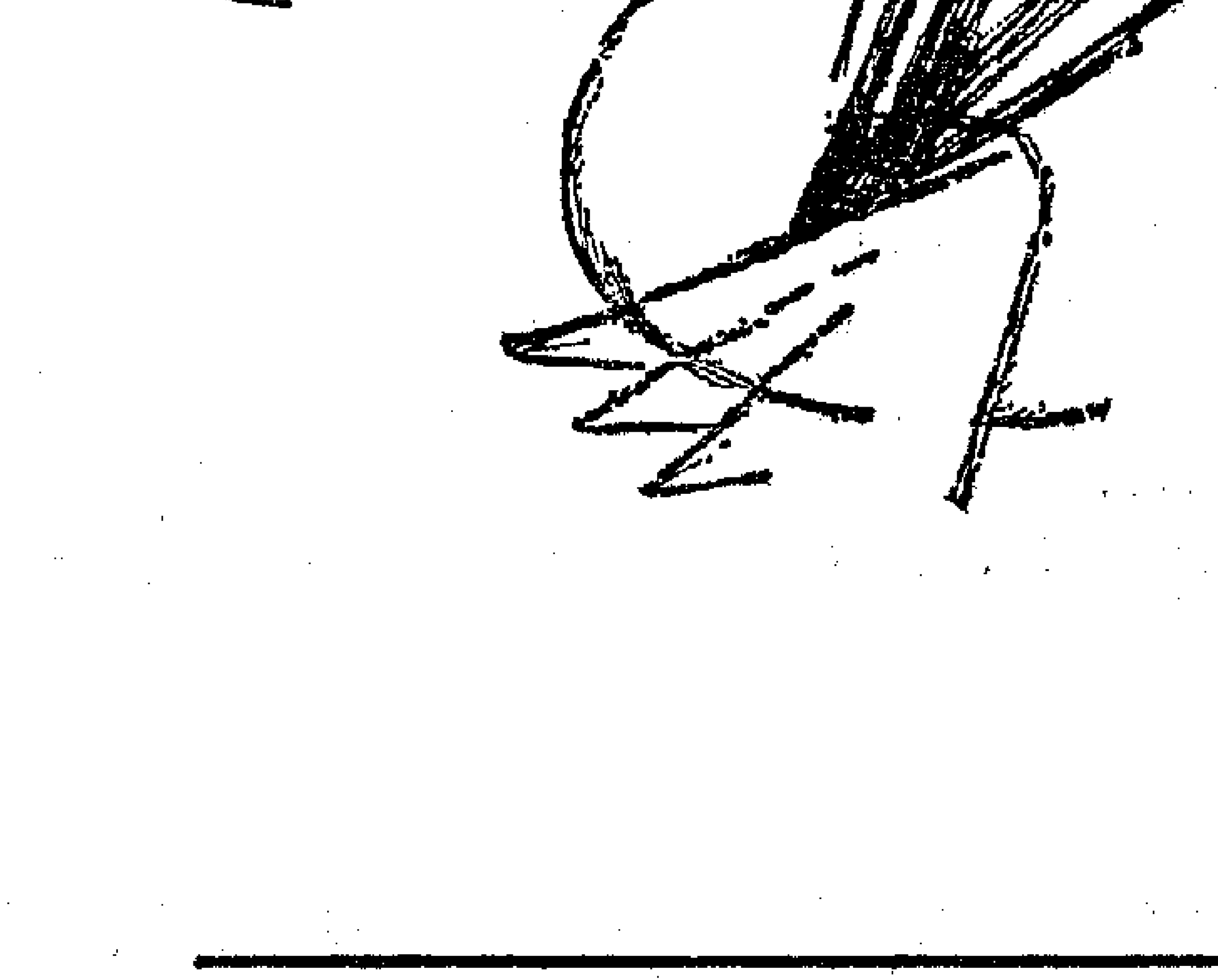
ومع ان هناك تحولا فى الرأى العـام العالمى لصالح المقاومة فان من الضرورى مضاعفة الجهد لكشف اكذوبة اليسار الاسرائيلى وتوضيح حقيقة المشكلة وحقيقة التحالف الاستعمارى الصهيونى .

وبعد .. فان شعبنا العربى فى فلسطين المحتلة وفى الوطن العربى قد وضع اقدامه فى بداية طريق مجابهة سياسة المواجهة الاسرائيلية للمقاومة ، حين التحم بالمقاومة العربية واعطاها ثقته ودعمه وتأييده . وبقى ان تتنبه قيادات المقـاومة الى منطلقات سياسة المواجهة الاسرائيلية وترد عليها قولا ومسلكية .

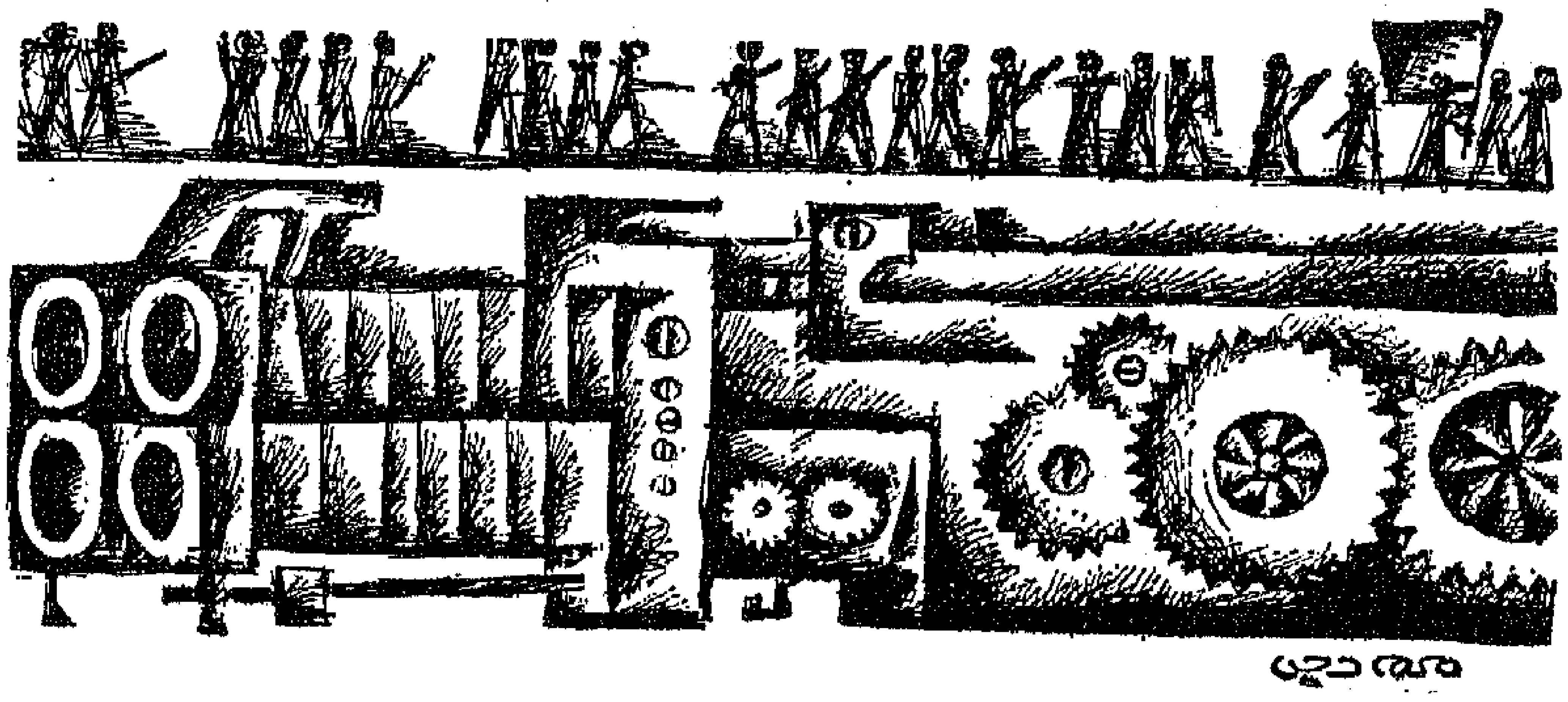
فمقاومة شعبنا فى الاراضى المحتلة جزء لايتجزأ من الثورة العربية ، ولا ينفصل عنهـا ، وهى عنصر هام فى المعركة يتكامل مـع عنصر الحرب النظامية العربيـة . وشعب فلسطـين العربى وان كان حريصا على ابراز كيانه حفاظا على قضيته فهو ملتحم بالشعب العربى عامة . وحل مشكلة فلسطين لا يكون الا باعادة الحق العربى وعودة عرب فلسطين الى اراضيهم، وعلى المقاومة ان تخاطب العالم اجمع انها تستهدف حلا انسانيا لمشكلة فلسطين ينطلق من اقرارها بحق كل انسان العيش فى وطنه ، ومن رفضها فكرة قومية يهودية، وشعب يهودى ،وهى فكرة اصطنعتها الصهيونية لخدمة الاستعمار العالمى ، ومن اداتها لتسـلط الصهيونية على يهود العالم ، فتدعو الى ان يعيش كل يهودى فى وطنه . وقد يبدو هذا الكلام غريبا على البعض فى الغرب الا انه سيصبح مألوفا بعد حين .

ولكى تكون المقاومة العربية قادرة على النهوض بدورها فى معركة المصير فلا بد لها من ان تتوحد وتحقق المطلب الشعبى الملح بوحدة العمـل الفلسطينى .

ان تحديا كبيرا يجابه المقاومة العربية وعليها ان تستجيب له الاستجابة الصحيحة .



(٦) كول هعام فى ١٩٦٩/٤/١١ .



المواجهة العسكرية الإسرائيلية للمقاومة الفلسطينية

« أن تعرف نفسك وتعرف عدوك ، ففي مائة معركة ستنتصر مائة مرة » ، هذه نصيحة قالها – قبل خمس وعشرين قرنا – الاستراتيجي الصيني الشهير « سويلنتسي » . ومن هنا تنبع أهمية دراستنا لفكر وخطط وأساليب عدونا الاستعماري – الصهيوني .

عبد القادر ياسين

في أعقاب ١٩٤٨ ، وقعت بعض العمليات العسكرية الفردية ، التي قام بها بعض المتسللين الفلسطينيين ضد الجنود الاسرائيليين . وفي عام ١٩٥٢ اختار (بن جوريون) – رئيس وزراء اسرائيل آنئذ – (الجنرال موسى ديان) ، رئيسا للاركان في الجيش الاسرائيلي ، « وكانت حالة الجنود الاسرائيليين تزداد سوءا ، نتيجة تعدد حوادث مفاجأة العرب للجنود الاسرائيليين . وفهم ديان انه يجب ان يضرب التسلل ، ولهذا لجأ ديان الى سلاح آخر ، الا وهم الكوماندوز المظليون ، ويقول ديان في هذا الصدد : كنت اعرف جيدا ان مخطط حرب العصابات خطير ، ولكني استعنت به

فى تكوين الجيش ، ويدرس ضباطنا الان جميعا هذا المخطط (١) »

وفى خلال سنوات ١٩٥٣ و١٩٥٤ و١٩٥٥ ، تقدمت امريكا بثلاثة مشاريع لاسكان وتوطين اللاجئين الفلسطينيين فى كل من سوريا والاردن ومصر ، فى محاولة منها لتصفية مسألة اللاجئين ، ونسف قضيتنا الوطنية بالتالى • وقد تميزت تلك السنوات الثلاث بالهبات والانتفاضات الثورية ، ولعب الشيوعيون دورا بارزافى تنظيمها ، لمقاومة وافساد تلك المشاريع التصفوية •.

وقد شدد الاسرائيليون هجماتهم المسلحة على معسكرات اللاجئين ومواقع الجيوش العربية •. واتخمت سنوات ٥٣ ، ٥٤ ، ١٩٥٥ بالمذابح التى نظمها الجيش الاسرائيلى فى **نحالين وغزة وقبية وقلقيلية وطبريا والبريج** ، والتى راح ضحيتها المئات العديدة من الفلسطينيين ، وذلك فى محاولة من الاسرائيليين للضغط على اللاجئين ، وحملهم على قبول مشاريع الاسكان تلك • الا أن الشعب الفلسطينى واصل نضاله ضد تلك المشاريع ، وخرج من المعركة ــ معركة كيانه وبقائه ــ ظافرا منتصرا • وما أن هل النصف الثانى من عام ١٩٥٥ ، حتى كانت تلك المشاريع قد قبرت تماما

خلاصة خبرة مقاومة العصابات

يعتبر مفهوم (**الحرب المضادة للثورة**) جزءا هاما من « **استراتيجية الاستجابة المرنة** » ، التى اعتمدتها الولايات المتحدة وحليفاتها • ويعتقد مفكرو الغرب أن (مفهوم الحرب المضادة للثورة) يمكن أن يلعب دوره فى عمليات التخريب الايديولوجى • ويصيغ المفكر الفرنسى « **د• جالولا** » قانونا بهذا الصدد ، محوره « **الاقلية النشطة** » المعارضة ، والتى توجد فى كل الحركات الثورية ، ويرى د • جالولا أنه يجب تدعيم تلك الاقلية ودفعها لاستقطاب « **الاغلبية السلبية** » • أما الخبير العسكرى الشهير « أ • **جيلبرن** » فيحدد لقوات الثورة المضادة ثلاث مهام مترابطة ، وهى :

- **هزيمة القوات الثائرة •**
- **تحطيم الروابط بين الثوار والجماهير •**
- **اقامة (حكومة الثورة المضادة) وتدعيمها •**

وتتردد فى الدوائر الامبريالية عبارة (**الاشكال غير التقليدية للصراع**) ، وتتضمن تلك الاشكال (**نشاط القوات الخاصة**) ، بما فيها (**تنظيم عصابات موالية للغرب**) ، وكذلك العمليات غير العسكرية ، كالدعاية وغيرها • (٢)

أما الاستراتيجى العسكرى البريطانى البارز « **ليدل هارت** » ، فيقول بأنه لكبح العصابات ليس هناك الا أمل وحيد « يتمثل فى اقامة شبكة تطويقية محبوكة النسيج حولها فى أوسع منطقة ممكنة » (٣) •

فى حين يرى العميد البحرى الامريكى المتقاعد « **صمويل جريفيث** » أنه « يمكن تلخيص عمليات مكافحة العصابات ، من وجهة النظر العسكرية البحتة ، فى ثلاث كلمات ، وهى : **تحديد الموقع •• وعزله •• وتصفيته** » « ولا ريب أن المظليين والكوماندوز الذين يستخدمون طائرات الهليكوبتر فى تحركاتهم يعتبرون من العناصر المهمة فى هذه العملية • ومن الواجب استخدام أساليب العصابات فى محاربة العصابات ، وذلك عن طريق **مهاجمتها باستمرار** ، ومضايقتها بصورة متواصلة • ومن الضرورى بذل كل جهد لحمل افرادها على **الانسلاخ عنها**» . وينهى جريفيث نصائحه بقوله « ان الاجراءات العسكرية ــ وحدها ليست كافية لمواجهتها » (٤) •.

أما « **ج • و • ويستمورلاند** » رئيس أركان حرب الجيش الامريكى ــ فيرى أن أهم **الدروس** فى مجال مقاومة العصابات « هو ضرورة التنسيق بين جهود كل المؤسسات الوطنية : المدنية والعسكرية » ويؤكد « أن **التأثير السيكولوجى للنشاط العسكرى** ، يمكن أن يؤتى ثماره ، اذا ماحققت العمليات العسكرية نجاحا » كما ينصح بضرورة مراقبة السكان • وينقل ويستمورلاند خبرة قواته فى الفيتنام ، فيقول بأنها « تناور بحيث تدفع العدو الى التجمع ، حتى يصبح هدفا مغريا لمدفعيتنا وقواتنا الجوية • ومن ثم ، تتحرك وحدات المشاة بكل الطرق ــ الجوية والبحرية والبرية ــ لتقطع على العدو سبل الهروب » ويستطرد فيقول « اننا

---

(١) مجلة (كوريبدى ديللاسيرا) الايطالية ــ ١٩٦٩/٢/١٦ ــ مقال بقلم (اندرو مونتنيلى) •
(٢) مجلة (الشرق) عدد مايو١٩٦٩ ، من مقال (البحث عن مفهوم للثورة المضادة ــ بقلم ى• ريدكو) •
(٣) (حرب العصابات) ماوتسى تونج وارنست جيفارا ــ تقديم ليدل هارت ص ٢٢ •
(٤) المصدر السابق ص ٥٨ ــ ٦٠

نستخدم قوة نيراننا بكل الوسائل الممكنة ، لندخر امكانياتنا البشرية • ولهذا ، فان لمعاونة **الطيران** التكتيكي ، أهميتها الخاصة في فيتنام الجنوبية • شأنها في ذلك ، شأن المدفعية التي تتمركز في مواقع تتيح لها اطلاق نيرانها المركزة على أهداف متعددة » ويطالب رئيس أركان حرب الجيش الامريكي مقاومي العصابات بأن « يتعلموا اساليب رجال العصابات ، ليستخدموها ضدهم » (٥) •

المواجهـــة

أما التدابير الاسرائيلية ضد العصابات ، فقد بدأت من حيث انتهت التجربة الامبريالية في فيتنام والجزائر والملايو • وقد بدأت اسرائيل التحضير لمواجهة فيتنام جديدة ، بعد بدء الكفاح الفلسطيني المسلح عام ١٩٦٥ • ونظمت المخابرات المركزية الامريكية رحلة لموسى ديان — وكان حينئذ خارج الجيش — الى فيتنام « لدراسة التكتيكات العسكرية ضد حرب العصابات » (٦) • واستمرت تلك الرحلة من ٢٥ يوليو (تموز) حتى ٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ .

وظل الكفاح المسلح الفلسطيني محدودا ، متباعد العمليات ، قليل الفاعلية ، الى ان نشبت حرب يونية (حزيران) ١٩٦٧ ، حيث بدأ بعدها عود العمل الفدائي في الاشتداد ، وبدأت الدوائر العسكرية الاسرائيلية محاولاتها للقضاء على المنظمات الفدائية ووأدها ، قبل ان يستشرى خطرها • وقد وجدت تلك الدوائر في تكدس الفدائيين في قواعد ثابتة ،فرصتها الذهبية للدخول معهم في معارك كبيرة وفاصلة ، وفي استغلال سلاحها الجوي المتقدم تكنيكيا أحسن استخدام • وفيما بين فبراير (شـباط) ومارس (آذار) ١٩٦٨ ، شنت اسرائيل هجومين كبيرين على قواعد الفدائيين القائمة على الضفة الشرقية لنهر الاردن . ولابد من ان نعترف هنا ، أنه كان في امكان الفدائيين تجنب الخسائر الجسيمة التي لحقت بهم ، فيما لو تجنبوا التكدس في القواعد .

ومع ذلك لم تؤد الاغارات الاسرائيلية الا الى تدفق الهجمات الفدائية ، مما حدا بالاسرائيليين الى اتخـاذ اجراءين تكتيكيين ، أولاهما دفاعي والاخر هجومي •• اذ أقاموا السور المكهرب على طول نهر الاردن للحيلولة دون تسلل الفدائيين الى اسرائيل •• كما عمدوا الى تطوير استخدامات طائرات الهليكوبتر الملاحقة النشطة • ثم بدأت اسرائيل في ممارسة عملياتها الانتقـامية ضـد السكان المدنيين في مناطق الاغوار ، والاماكن الاخرى التي يشك الاسرائيليون في انطـلاق الفدائيين منها . ويعتبر موسى ديان تلك العمليات الانتقامية بمثابة « رد على الغارات التخريبية العربية » وأسلوبا « لايستمد مغزاه من مفهـوم الردع فحسب ، بل هو يرتكز في المقام الاول على الاسس التي تبرزها تلك العمليات من أجل افهام الطرف الاخر نياتنا ومخططاتنا بـوضوح » و « افهام العرب أننا نرفض (نوع) العلاقات التي يرغبون في فرضها علينا ، وأن عليهم تبني لهجة أخرى في الحوار معنا » (٧) • وفي تأكيد هذا المعنى يقول (حاييم بارليف) ، رئيس أركان الجيش الاسرائيلي — في اليوم التالي لضرب مطار بيروت — أن العمليات الانتقامية « تستهدف جعل الطرف الاخر أكثر اعتدالا في مـوقفه » (٨) • أما « **ايجال آلون** » فيقول أنه « اذا اضطـررنا للعمل ، فعلينا أن نشن الحرب فيمـا وراء الحدود » (٩) •

ويرى الصحفي الالماني « **مانفريد نوبير** » بأن الغرض الرئيسي من العمليات الانتقامية الاسرائيلية هو اشعار « الارهابيين بأنهم غير آمنين على أنفسهم اينما كانوا ، وانه أصبح من الصعب عليهم تدريب وتجهيز ارهـابيين جـدد » كمـا يتكهن نوبير بأن « الهجوم الدفاعي سيوجه في المستقبل ضد أنصار منظمات المقاومة المختلفة » ويلاحظ ان الاسرائيليين قد شددوا « اجراءات الامن علـى الحدود ، وقاموا بوضع أحزمة من الالغام على الحدود » (١٠) •

وفي حديث أدلى به لصحيفة **علهمشمار** قال حاييم بارليف ، « ... أننا نقوم بعمليات وقائية مختلفة سواء عن طريق المطاردات أو باستخدام الطائرات الملاحقة المخربين » (١١) . وفي عددها الصادر يوم ٧ مارس (آذار) ١٩٦٩ ، نشرت مجلة (تايم) الامريكية خبرا مفاده ان الحكومة الاسرائيلية « قررت — في آخر اجتماع لها عقدته برئاسة أشكول — اتباع سياسة جديدة لمواجهة الفدائيين ، وهي سياسة الدفـاع الايجابي عن النفس — على حد قول أبا ايبان ، أو شن حرب على

---

(٥) (الطليعة) عدد يونيو ١٩٦٩ .
(٦) (الاهرام) ١٩٦٦/٧/٢٦ .
(٧) مجـلة (لاتير ريتروفيــه)١٩٦٧/٥/٢١ .
(٨) جريدة (علهمشمار) ١٩٦٩/١/٣
(٩) (لاتير تيروفيه) ١٩٦٧/٥/٢١
(١٠) مجلة (دى فليت) ١٩٦٩/٣/١٨
(١١) (علهمشمار) ١٩٦٩/١/٣ .

الفدائيين مباشرة ، دون أي اعتبار للدول المضيفة لهم » .

وتخشى اسرائيل من ان تفقد المبادرة الاستراتيجية ،ويقرر الخبير العسكري الاسرائيلي زئيف شيف بأن « هناك حدودا للمفاجآت التى بامكاننا احداثها » « وأن وقاحة الفدائيين سوف تزداد من يوم لآخر ، وتتضاءل القوة الرادعة لاسرائيل من شهر لشهر ، وفى النهاية تضطر للاستجابة للضغوط السياسية » (١٢) . وكان قد سبق لنفس هذا الخبير ان دعا الى « تضخيم القبضة التى يضرب بها الجيش الاسرائيلى وتدعيمها » (١٣) .

وتبدى جريدة علهمشمار تخوفها من « تحسن مستوى العنصر البشرى للفدائيين مع بداية تطوع الطلبة العرب فى منظمات المقاومة » ، وتطلب الجريدة من سكان اسرائيل ان يلوذوا بالصبر ، اذ « علينا أن نتعلم كيف نعيش مع القلق » ، وترى الجريدة الاسرائيلية أنه تقع على عاتق قيادة اسرائيل « مهمة اعداد الجماهير الاسرائيلية لنزاع مستمر » (١٤) .

وقد عقدت مجلة « جون افريك » بحثا هاما ، ألقت فيه الاضواء على اجراءات العسكريين الاسرائيليين لمواجهة المقاومة الفلسطينية المسلحة ، فذكرت ان « موسى ديان يضاعف من العمليات الانتقامية ضد السكان المدنيين ، الذين يتهمون بالتعاون مع المقاومة » « وفى نفس الوقت ، فقد علم من مصدر أمريكى ان وزير الدفاع الاسرائيلي بصدد تطبيق استراتيجية جديدة للقضاء نهائيا على المقاومة . وهذه الاستراتيجية يطلق عليها « اخطف واقتل » ، وتتضمن شن غارات بالطائرات وطائرات الهليكوبتر ، تتم جميعا فى آن واحد ، وفى كل مكان يمكن ان يوجد فيه القادة الفلسطينيون ، مثل لبنان والاردن وسوريا . ومن المعتقد أن الغارة الجوية التى شنها الاسرائيليون على اثنتين من قواعد فتح فى ضواحى دمشق لم تكن الا تجربة لهذا الاسلوب » (١٥) .

الدعم النظرى الامبريالى

وكجزء من المؤازرة الامبريالية لاسرائيل ، قدم « كامن » ، وهو أستاذ أمريكى فى (المعهد المركزى التكنولوجى للابحاث الدولية فى ماساشوست) ، وبالتعاون مع بعض زملائه الامريكيين والبريطانيين ، قدم نصائحه الى الدوائر العسكرية الاسرائيلية ، ضمنها فى تقرير نشره (معهدالدراسات الاستراتيجية) بلندن ، فى ديسمبر (كانون اول) من العام الماضى . وجاء فيه أنه « اذا استمرت هجمات المقاومة ، فيبدو أن افضل استراتيجية يجب اتباعها — فيما عدا مواجهة الحرب الشاملة — هى تدريب المزيد من الجنود الذين يتحركون بالهليكوبتر ، اما للقيام بهجمات مضادة ضد مراكز رجال العصابات ، واما لمحاربتهم فى المناطق التى تحتلها اسرائيل » .ويشدد (كامن) على ضرورة « اعطاء الاولوية لشراء مزيد من طائرات **الهليكوبتر** الهجومية » .

المبادىء العامة للاستراتيجية

والتكتيك الحربى الاسرائيلى

تتبنى اسرائيل — فى الحرب — ثلاثة مبادىء ، هى : « **المناورة** .. **المرونة** .. **والسرعة** ، فى الادراك والقرار والتنفيذ » ومن هذه المبادىء يتبين أن **المفاجأة** هى المبدأ الاساسى الذى تعتمد عليه اسرائيل فى جميع عملياتها الحربية » و « أن **سرعة التنفيذ** فى العمليات العسكرية ، **واستثمار الفوز** هما سمتان بارزتان فى كل عملية اسرائيلية » (١٦)

أما الاستراتيجية الاسرائيلية فقد جاءت نتاجا للمزج بين (**نظرية الاقتراب غير المباشر**) و (الحرب الخاطفة) (١٧) .

وتعتمد الاستراتيجية الاسرائيلية — كما يقول المقدم محمد الشاعر — على الهجوم باعتباره خير وسيلة للدفاع ، وان الخطط الاسرائيلية مبنية على اساس القتال فى الخطوط الخارجية . مع خط دفاعى عميق . وتجىء مقالة ديان فى العدد الاول من مجلة (اسرائيل الجديدة) لتؤكد ذلك ، اذ يقول فيها ان « اتجاه الجيش الاسرائيلى قد أصبح يعتمد اكثر من ذى قبل على صيغة الهجوم ، بهذا أعنى ان رد الفعل اليوم لاحتمال الهجوم ، هو أن تضرب العدو فى ارضه » .

ويحصر الشاعر الخصائص العامة لتكتيك القوات الاسرائيلية ، فى :

● القيام **بالعمليات الليلية** .

---

(١٢) (هآرتس) ١٩٦٩/٢/٢٨ .
(١٣) (المصدر السابق) ١٩٦٩/٢/٣
(١٤) (علهمشمار) ١٩٦٩/٢/٥ .
(١٥) مجلة (جون افريك) ٢٤ —١٩٦٩/٣/٣٠ .
(١٦) (الحرب الفدائية فى فلسطين)المقدم محمد الشاعر ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(١٧) مجلة (انكاونتر) — مقال(استراتيجية الحرب) ليدل هارت .

● **تطويق** المواقع ، والهجوم المفاجيء على مؤخرتها وأجنحتها .

● **الخداع** .

● استخدام **الطيران** (١٨) .

ويمكن حصر المواجهة العسكرية الاسرائيلية للمقاومة الفلسطينية ، في المراحل الخمس التالية :

● **التطويق والابادة** ، وتمثلت في الهجوم على الكرامة في فبراير (شباط) ومارس (آذار) ١٩٦٨ .

● **ضرب قواعد الفدائيين ومناطق مؤازريهم** ، كما حدث في الاغارات على أربد والسلط في العام الماضي .

● **ضرب اراضي الدول التي يتخذ منها** الفدائيون قواعد انطلاق لهم في الاردن وسوريا ولبنان ، في محاولة للايقاع بين انظمة تلك البلدان ومنظمات المقاومة .

● **المطاردات** بالكوماندوز والطائرات ، لتعقب الفدائيين واصطيادهم .

● **شن حرب مباشرة** على القواعد بقصد تصفيتها .

ضمانات الأمن والاستمرار

وتحمل الأسابيع القليلة القادمة ، للعمل الفلسطيني بوجه عام ، وللعمل الفدائي بوجه خاص ، أخطارا شديدة ، خاصة بعدماتردد في مارس (اذار) الماضي من أن المخابرات المركزية **الأمريكية** ، نصحت في تقرير لها بسرعة القضاء على المنظمات الفدائية الفلسطينية قبل أن يتعذر **القضاء** عليها ، اذا أعطيت فرصة ستة أشهر فقط .

كما ان ديان اعلن في منتصف مارس (آذار) الماضي « ان علينا أن نضرب العمل الفدائي ، باى ثمن ، قبل ان يصبح خطرا جديا علينا ، واذا نجح العمل الفدائي وتصاعد فقد يتحول الى حرب شعبية » ويرى أن موقف عرب الارض المحتلة

مشاريع الاسكان والتوطين

تقدمت امريكا للدول العربية بمشاريع الاسكان والتوطين التالية :

١ — مشروع الجزيرة : ويرمى الى توطين اللاجئين الفلسطينيين المقيمين بسوريا — في منطقة الجزيرة في الجزء الشمالي من نهر الفرات

٢ — مشروع جونسون : وقد عرف باسم مصممه المهندس الامريكي (اريك جونسون) ، وقد جاء هذا المشروع لاستيعاب اللاجئين المقيمين بالاردن — في وادى الاردن بعد استصلاح اراضيه .

٣ — مشروع سيناء : وقد قدمته امريكا من خلال الامم المتحدة ، ويرمى ذلك المشروع الى استصلاح الأراضي الواقعة شمال غربى سيناء ، وتوصيل ماء النيل اليها ، ونقل اللاجئين المقيمين في قطاع غزة للاستيطان فيها وقد اعتذرت مصر عن تنفيذ ذلك المشروع في اغسطس (آب) ١٩٥٥ .

سيشكل خطرا حقيقيا على اسرائيل ، اذا ما تصاعدت عمليات الفدائيين (١٩)

ومن المرجح ان تعمد اسرائيل الى تصعيد نشاطها العسكري المضاد للمقاومة الفلسطينية ، وان تكشر الثورة المضادة عن انيابها ، من أجل الفتك بالعمل الفدائي ، ومحاولة سحقه بين المطرقة الاسرائيلية وسندان الثورة المضادة ! وسيرتفع معدل **المطاردات** ، **والاقتحامات وعمليات الانزال والتطهير** ، وكذلك **الغارات الجوية** الاسرائيلية ضد قواعد الفدائيين .

وفي رأيي انه من اجل شل فاعلية التدابير الاسرائيلية ، وتدابير قوى الثورة المضادة تلك ، فانه يتوجب على العمل الفدائي **التحرك السريع** من أجل :

● انجاز **وحدة العمل الوطني الفلسطيني** بوجه عام ، والعمل **الفدائي** بوجه خاص .. فقوة العمل الوطني في وحدته .

● **تنظيم الجماهير وتسليحها** ، في المناطق التي ينتظر وقوع عمليات تصفية فيها لكسر هيكل العمل الفدائي باللحم ، وذلك بتكوين **ميليشيا** في

---

(١٨) (الحرب الفدائية) بقلم المقدم محمد الشاعر ص ١٢٥ ، ١٢٧ .
(١٩) (الاهرام) ١٩٦٩/٣/١٦ .

المدن والقرى كاحتياطى للمنظمات الفدائية، ودعامات لها فى حالة تعرضها للاخطار .

● **عدم تجميع الفدائيين فى قواعد ثابتة**، بما يحقق شل السلاح الجوى المعادى، ويبطل فاعليته .

● **تجنب الدخول فى معارك حاسمة** غير مضمونة النتائج، أو تلك التى يكون فيها العدو متفوقا فى العدد والعدة .. « ولقد ذكر ماوتسى تونج، ذات يوم بصورة جادة لا هازلة، ان على العصابات أن تكون خبيرة فى **الفرار**، طالما انها تكثر منه، فهى **تتجنب المواقع الثابتة** » (٢٠)، كما ان على الفدائيين ان يعوا تلك الحقيقة القائلة بان « **ليس للدفاع الثابت اى دور فى حرب العصابات** » (٢١) .

● **فتح باب التطوع** عربيا وعالميا، لتكوين فرق عسكرية عربية ودولية، تخوض النضال جنبا الى جنب مع الفدائيين الفلسطينيين .

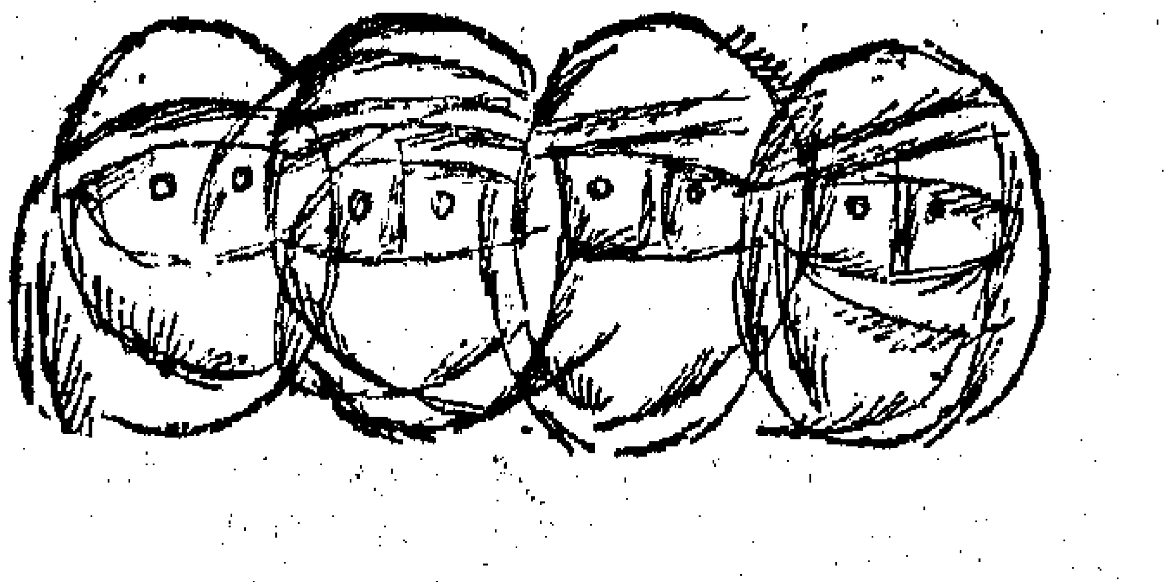
● **تطوير الدفاع الارضى** المضاد للطيران فى قواعد الفدائيين .

● **تصعيد العمليات الفدائية**، بما يحقق لها الدينامية، والتدفق، والشمول، وبالتالى ارباك العدو وتشتيت قواته .

● التركيز على **اصطياد وقتل اكبر عدد ممكن من افراد العدو**، نظرا لقيمة العنصر البشرى الكبيرة فى اسرائيل .. وهذا ليفى اشكول يقرر فى حديث له « اما عن عمليات الفدائيين، فان قتل شاب وسقوط قتيل يعد كارثة » (٢٢) .

● هذا بالاضافة الى ضرورة **الالتحام بحركة الجماهير** فى الوطن المحتل . والحركات الوطنية العربية، والتركيز على **مهاجمة وضرب المطارات** لتحطيم الطائرات وطائرات الهليكوبتر، واغتيال الطيارين والفنيين والتمسك دوما بالاستراتيجية الهجومية (٢٣) .

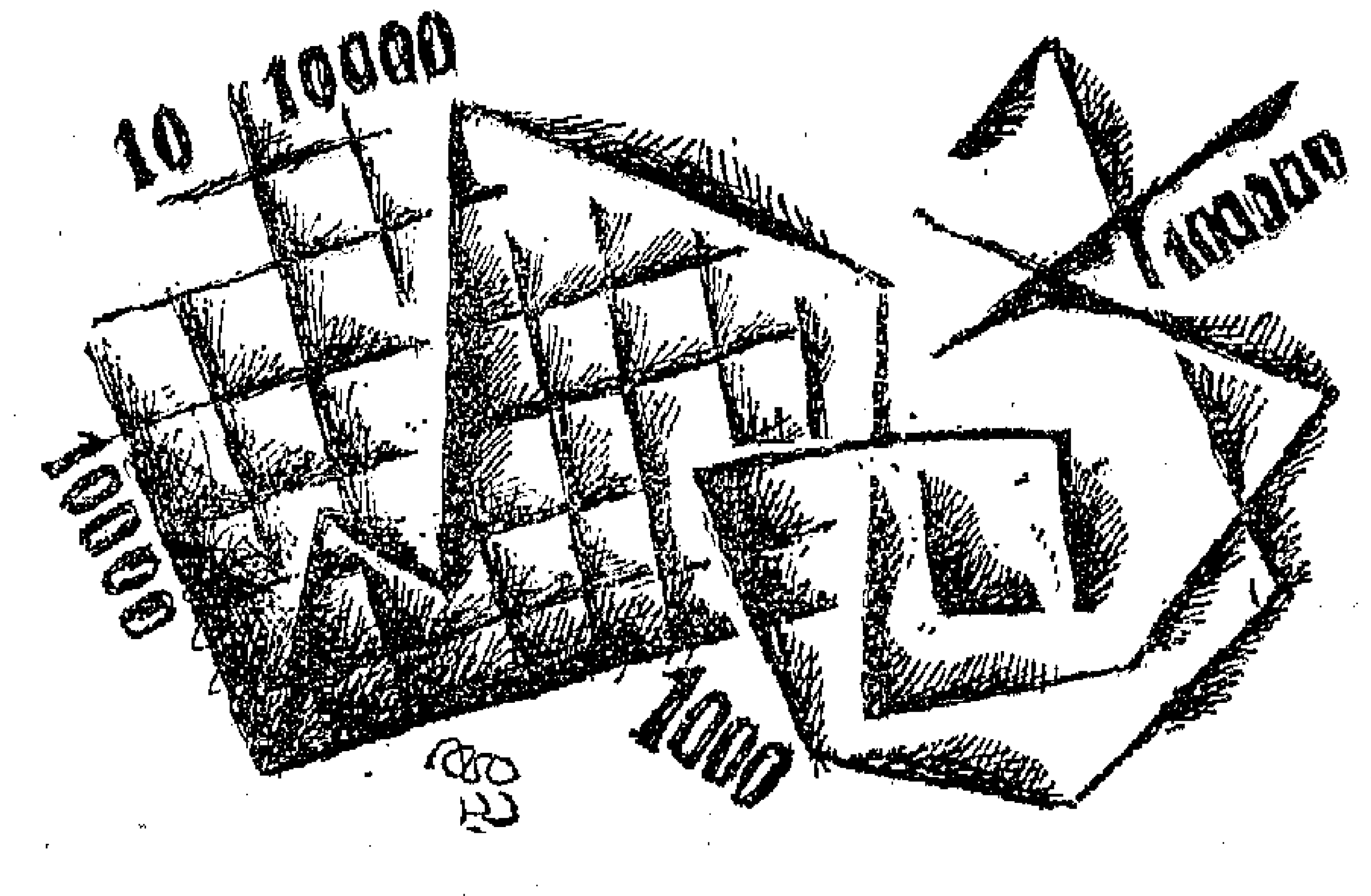
وبعد فانه لن يتسنى للعمل الفدائى اجتياز وتخطى اخطار المرحلة القادمة الا بالمزيد من اليقظة، والوحدة، والنضال المتدفق والمستمر .



---

(٢٠) (حرب العصابات) مقدمة صمويل جريفيث ص ٤٩ .
(٢١) نفس المصدر ص ٢٠ .
(٢٢) جريدة (دافار) ٢٤ يناير كانون ثانى) ١٩٦٩ .
(٢٣) راجع الطليعة عدد ابريل (نيسان) ١٩٦٩ .

الاقتصـــاد الإســـرائيـــلى وضرورات التـــوسـع والســيطرة



تروج الدوائر الغربية الرأسمالية لمدى التقـــدم الاقتصادى الكبير الذى أحرزته اسرائيل خـــلال السنوات الاخيرة ، وتذهب بعض المصادر الى اطلاق اسم « **المعجزة الاسرائيلية** » على ماحققه الاقتصاد الاسرائيلى من انجازات ، الا أن هذه الافكار والاتجاهات لا تثير الدهشة ، فاسرائيل هى القاعدة الاساسية للاستعمار فى المنطقة العربية ومنطلق تهديداته لثورات التحرر الوطنى فـى افريقيا وآسيا ، وهى من الناحية الاقتصادية ترتبط ارتباطا وثيقا بالاحتكارات العالمية الرأسمالية •

محمد صبحى الأتربى

لقد حقق الاقتصاد الاسرائيلى معدلا مرتفعا للنمو الاقتصادي خلال الفترة مـن ١٩٥٠ الى ١٩٦٥ ، حيث بلغ متوسط معدل نمو الناتج القومى الاجمالى حوالى ١١ فى المائة سنويا • الا ان هذا المعدل المرتفع كان يرجع الى عوامل خاصة عديدة ،

كما تم التوصل اليه عن طريق الكثير من الاختلالات في هيكل الاقتصاد الاسرائيلي . ومن بين اهم العوامل التى ساعدت على تحقيق هذا النمو السريع ، عامل الهجرة وزيادة القوة البشرية العاملة وارساء قواعد الاستيطان ، والعامل الاخر هو التدفق الضخم لرءوس الاموال الاجنبية بشكل لم يسبق له مثيل فى التاريخ الاقتصادى لاية دولة من دول العالم .

لقد بلغ تعداد سكان اسرائيل فى اوائل عام ١٩٦٧ حوالى ٨ر٢ مليون نسمة مقابل ٦ر١ مليون نسمة فى ١٩٥١ وما يقرب من ٨ر٠ مليون فى ١٩٤٨ . وبذلك نجد أن عدد السكان قد ارتفع بنحو أربعة أمثال ما كان عليه عند قيام دولة اسرائيل . وترجع نسبة ما يقرب من ٦٠ فى المائة من هذه الزيادة السكانية الى عامل الهجرة ، لقد حققت حتى الان تهجير ما يقرب من ٣ر١ مليون يهودى الى اسرائيل منذ ١٩٤٨ ، وكان أكبر معدل للهجرة خلال السنوات الاولى من قيامها ، واتجهت الهجرة الى الانخفاض فى السنوات الاخيرة ، كما يتبين من الارقام التالية :

السنوات	١٩٤٨ — ١٩٥١	١٩٥٢ — ١٩٥٤	١٩٥٥ — ١٩٥٧	١٩٥٨ — ١٩٦٠	١٩٦١ — ١٩٦٤	١٩٦٦
الهجرة بالالاف	٦٣٤	٥١	١٦١	٧٢	٢٢٠	٥ر١٣

وكانت الغالبية العظمى للمهاجرين فى سن العمل ، أى ان الزيادة فى السكان المترتبة عليها كانت تمثل فورا زيادة فى قوة العمل بعدس الزيادة الطبيعية الناتجة من ارتفاع معدل المواليد والتى تحمل المجتمع عبء رعاية المولودين الجدد حتى يبلغوا سن العمل . هذا فضلا عما اتصف به كثير من المهاجرين من مهارات يتطلب توافرها فى دول العالم الثالث العديد من سنوات التدريب والخبرات الخاصة .

وتم توفير الاراضى اللازمة لاستيطان الاعداد الضخمة من المهاجرين بواسطة القوة والاستيلاء على الاراضى وطرد العرب منها . فقد حصلت دولة اسرائيل على مساحة تمثل ٩٠ فى المائة من اجمالى مساحة الاقليم الخاضع لسلطتها قبل حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، بينما لم يتمكن الصندوق القومى اليهودى خلال ٤٥ عاما من تأسيسه وحتى عام ١٩٤٧ ، الا من شراء ما يمثل حوالى ٤ فى المائة من مساحة فلسطين .

وبذلك كانت الاراضى والاملاك التى تم الاستيلاء عليها من العوامل الاساسية فى تدعيم الاقتصاد الاسرائيلى ، بل يمكن اعتبارها من مصادر التراكم الاولى لرأس المال (١) .

ويفتقر الاقتصاد الاسرائيلى الى الموارد الطبيعية اللازمة لمواجهة الهجرة الكبيرة ، فعلى الرغم من زيادة المساحة المزروعة من ٣٤٤ الف هكتار فى ١٩٥٢ الى ٤٤٠ الف هكتار فى ١٩٦٦ ، والاستثمارات الضخمة التى وجهت الى قطاع الزراعة ، فان الانتاج المحلى لا يكفى لسد الاحتياجات المتزايدة من الطعام ، وبصفة أساسية الحبوب والزيوت النباتية وغيرها ، فانتاج القمح والشعير لا يمثل الا ١٦ فى المائة من المعروض الاجمالى فى ٦٠ — ١٩٦٢ ، وانتاج السكر يمثل ٢٤ فى المائة من الاجمالى فى ٥٧ — ١٩٥٩ (٢) .

لقد ذكرت بعض المصادر الاسرائيلية [٣] ان اسرائيل تستخدم الان حوالى ٩٠ فى المائة من موارد المياه بها ، وقد استنفدت أغلب موارد المياه الجوفية والمنابع . ويذكر مصدر آخر أن اسرائيل قد أضبحت قريبة جدا من استهلاك كل مواردها الطبيعية ، وان كل الاراضى القابلة للزراعة زرعت فعلا ، وأن الموارد المائية محددة أكثر من المساحات القابلة للزراعة وليس باستطاعة اسرائيل أن تكفى منها حتى المساحات القابلة للرى .

ومن جهة أخرى نجد أن انتاج الوقود ومصادر الطاقة لايكفى لسد احتياجات الاستهلاك المحلى الا بنسبة حوالى ١٠ فى المائة فقط ، والخامات المعدنية لاتتوافر الا فى منطقة البحر الميت ، وتتمثل أساسا فى البوتاس والفوسفات والملح والجبس ، وكلها موارد محدودة القيمة .

وتعتبر رؤوس الاموال الاجنبية التى تدفقت على اسرائيل من أهم العوامل التى ساعدت على

---

(١) يوسف صايغ — الاقتصاد الاسرائيلى — مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت ١٩٦٦ .
(٢) الامم المتحدة — كتاب الاحصاء السنوى — ١٩٦٧ .
(٣) كتاب اسرائيل — حقائق وارقام ١٩٦٨ .

النمو السريع لاقتصادها القومى ، فقد ساهمت بالنصيب الاكبر فى عملية تكوين رأس المال ، وطبقا لبعض الدراسات الحديثة [٤] ، بلغت نسبة المدخرات الاجنبية الى اجمالى تكوين رأس المال المحلى ٨٥ فى المائة عن السنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ وحوالى ٧٥ فى المائة عن السنوات ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ ، بينما لم يبلغ الادخار المحلى الصافى الا نسبة ١ فى المائة فقط فى المتوسط من الناتج القومى

القروض والاستثمارات ، وفى كلا الحالتين فان المصدر الرئيسى لها هى الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية • ومن الجدير بالملاحظة أن بند المعونة الفنية للامم المتحدة الذى بلغ حوالى ٩ ملايين دولار خلال الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٤ ، وكان ٢٠٠ الف دولار فى ١٩٦٤ ، وقد ارتفع بشكل مفاجىء وكبير فى عام ١٩٦٧ (بند التحويلات من طرف واحد ـ ميزان

المصدر	السنوات	القيمة بملايين الدولارات
أ ـ المعونات والاموال غير المستردة		
المعونة الامريكية	١٩٥١ — ١٩٦٤	٢٩٤
المعونة الفنية للامم المتحدة	١٩٥٢ — ١٩٦٤	٩
التعويضات الالمانية لحكومة اسرائيل	١٩٥٣ — ١٩٦٤	٧٦٤
التعويضات الالمانية لافراد	١٩٥٤ — ١٩٦٤	٨٤٧
التحويلات النقدية الخاصة	١٩٥٠ — ١٩٦٤	٥٠٠
التحويلات من المؤسسات القومية (الوكالة اليهودية مثلا)	١٩٥٠ — ١٩٦٤	١٠٣٥
التحويلات العينيه	١٩٥٢ — ١٩٦٤	٢٥٧
	اجمالى (أ)	٣٧٠٦
ب ـ القروض والاستثمارات		
قروض طويلة ومتوسطة الاجل	١٩٥٠ — ١٩٦٤	١٢٢٦
بيع سندات اسرائيل	١٩٥١ — ١٩٦٤	٤٥٠
قروض الولايات المتحدة الامريكية	١٩٥٥ — ١٩٦٢	٢٥٢
قروض بنك الاستيراد والتصدير	١٩٥٠ — ١٩٥٨	١٣٠
التزامات حكومية أخرى	١٩٥١ — ١٩٥٨	٦٧
رءوس أموال خاصة	١٩٥٢ — ١٩٦٢	٣١٧
قروض أخرى	١٩٦١ — ١٩٦٢	٧٣
انتقال رءوس أموال قصيرة الاجل	١٩٥٠ — ١٩٦٢	٤٨٢
أخرى غير محدده	١٩٦٣ — ١٩٦٤	٢٥٨
	المجموع الكلى (أ + ب)	٦٩٦٢

الصافى عن الفترة من ٦٢ ـ ١٩٦٤ أى أن المدخرات المحلية لم تساهم بشىء يستحق الذكر فى عملية التكوين الرأسمالى •

وطبقا لبعض الدراسات ، بلغت قيمة الاموال الاجنبية التى دخلت اسرائيل خلال الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٦٤ حوالى ٧٠٠٠ مليون دولار ، وكان توزيعها كما فى الجدول •

أن حوالى ٥٠ فى المائة من أجمالى الاموال الاجنبية يتمثل فى المعونات والتعويضات الالمانية غير المستردة ، بينما يتمثل النصف الاخر فى

المدفوعات الاسرائيلى عن عام ١٩٦٧ كما ورد فى كتاب اسرائيل ـ حقائق وارقام ١٩٦٨] •

وبالرغم من الاستثمارات الضخمة والمعونات التى لا تنقطع ، فان الهيكل الاقتصادى الاسرائيلى يتصف بالاختلال ، فنجد أن القطاعات الانتاجية الاساسية لا تمثل الا حوالى ٣٥ فى المائة من قيمة الناتج المحلى الصافى ، بينما تمثل القطاعات الحكومية النسبة الباقية ، فمساهمة الزراعة فى الدخل القومى تبلغ ١٠ فى المائة ، بينما يبلغ نصيب الصناعة حوالى ٢٥ فى المائة وهو ما تبرزه الارقام التالية التى توضح الطابع غير الانتاجى والطفيلى للاقتصاد الاسرائيلى •

---

(٤) الامم المتحدة ـ تمويل التنمية الاقتصادية ـ العرض الاقتصادى العالمى ١٩٦٥ ـ الجزء الاول ـ نيويورك ١٩٦٦ •

اجمالى الناتج المحلى الصافى بالاسعار الجارية (٥)

	١٩٥٣ مليون جنيه اسرائيلى	١٩٥٣ ٪	١٩٦٤ مليون جنيه اسرائيلى	١٩٦٤ ٪
الزراعة	١٢٨	١١ر٥	٦٩٨	١٠
الصناعة والتعدين	٢٥٥	٢٣ر٠	١٧٩٤	٢٥
التشييد والبناء	٨٥	١٠	٥٧٥	١٠
الكهرباء والغاز	٢٤		١٣٢	
الخدمات وأخرى	٦١٣	٥٥ر٥	٤٠١٥	٥٥
الاجمالى	١١٠٥	٪ ١٠٠	٧٢١٤	٪ ١٠٠

ويتصف الميزان التجارى الاسرائيلى بالعجز المستمر ، وعلى الرغم من المجهودات الضخمة لدفع الصادرات الا أن عجز الميزان التجارى قد بلغ حوالى ٤٥٠ مليون دولار فى ١٩٦٨ ، وكان تطور العجز على النحو التالى (٦) :

	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
الواردات	٦٣٥	٦٧٢	٨٣٨	٨٣٢	٨٣٥	٧٦٩	١٠٨٢
الصادرات	٢٧٩	٣٥٢	٣٧٢	٤٢٩	٥٠٣	٥٥٥	٦٤٠
عجز الميزان التجارى	٣٥٦	٣٢٠	٤٦٦	٤٠٣	٣٣٢	٢١٤	٤٤٨

وبالاضافة الى الاختلال فى المدفوعات الخارجية ، فنجد أن الصادرات الاسرائيلية تتركز فى سلعتين أساسيتين يكونان معا ما يزيد على نصف اجمالى الصادرات ، فصادرات الموالح تبلغ حوالى ٢٠ فى المائة من الاجمالى ، بينما تبلغ حصة صادرات الماس المصقول ٣٢ فى المائة من اجمالى الصادرات فى عام ١٩٦٧ ، فاذا ماتذكرنا أن الماس الخام يتم استيراده عن طريق احتكارات الماس فى جنوب افريقيا ، ثم يصدر بعد ذلك الى دول أوروبا الغربية وخاصة الاحتكارات العالمية للماس فى روتردام ، اتضح مدى الترابط العضوى بين اسرائيل والقوى العنصرية الاستعمارية ، ومدى الخطورة التى يتعرض لها الاقتصاد الاسرائيلى فى حالة توقف واردات الماس الخام . ويظهر مدى اعتماد الاقتصاد الاسرائيلى على مساندة الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية ، اذا تتبعنا مصادر الاستيراد وأسواق الصادرات الاسرائيلية طبقا للارقام التالية (٧) :

	١٩٦٢ الصادرات	١٩٦٢ الواردات	١٩٦٦ الصادرات	١٩٦٦ الواردات
الولايات المتحدة	٤٢	٢١٢	٧٨	٢٢٠
دول السوق المشتركة	٧٣	١٤٩ر٥	١٤٣	١٩٩
(منها المانيا الغربية)	(٢٩)	(٦٣)	(٤٧)	(٦٩)
المملكة المتحدة	٣٨	١٠١	٦٢	١٥٨
(١) المجموع	١٥٣	٤٦٢ر٥	٢٨٣	٩٧٧
(٢) الاجمالى العام	٢٧٩	٦٣٥	٥٠٣	٨٣٣
(٣) نسبة ١ : ٢	٪ ٥٥	٪ ٧٤	٪ ٥٦	٪ ٧٠

(٥) الكتاب السنوى للحسابات القومية ــ الأمم المتحدة ــ ١٩٦٥ .
(٦) صندوق النقد الدولى ــ النشرة الشهرية للاحصاءات المالية الدولية ــ عدد ابريل ١٩٦٩ .
(٧) الكتاب السنوى لاحصاءات التجارة الدولية ــ الامم المتحدة ــ ١٩٦٧ .

وتمد الولايات المتحدة الامريكية ودول السوق المشتركة والمملكة المتحدة الاقتصاد الاسرائيلي بحوالى ٧٥ فى المائة من احتياجاته الاستيرادية فتبلغ حصة السوق حوالى الربع ، وحصة الولايات المتحدة مايزيد على الثلث تقريبا ، كما تعتبر السوق الاوروبية المشتركة أكبر مستورد للصادرات الاسرائيلية حيث استوعبت ما يقرب من ٢٩ فى المائة من أجمال صادرات اسرائيل فى عام ١٩٦٦ ٠

وبدأت مظاهر الازمة الاقتصادية تدب فى أوصال الاقتصاد الاسرائيلي خلال السنوات الاخيرة وقبل عدوان ٥ يونية ١٩٦٧ ، منذ عام ١٩٦٥ ، حيث انخفض معدل النمو الاقتصادى الى ٧ فى المائة سنويا فى ١٩٦٥ والى ١٢ فى المائة فقط فى ١٩٦٦ ، وانخفض الرقم القياسي للعمالة فى القطاع الصناعي الى ١٠٤ فى ١٩٦٦ مقابل ١٠٥، ١٠٦ لعامى ١٩٦٤، ١٩٦٥ على التوالي (أساس ١٩٦٣ = ١٠٠ ، كما ارتفعت البطالة المسجلة طبقا لبعض المصادر الى حوالى ٦ر٦ فى المائة فى ١٩٦٦ ، وما يقرب من ٣ر١٠ فى المائة فى ١٩٦٧ [٨] ٠

ومنذ بداية الستينات ، تم تخفيض الجنيه الاسرائيلي مرتين ، الاول فى فبراير ١٩٦٢ حيث اصبح سعر التعادل مع الدولار هو ١ دولارامريكى = ٣ جنيه اسرائيلي [السعر قبل التخفيض هو ١ دولار امريكي يساوى ٨ر١ جنيه اسرائيلي) ، والثانى فى نوفمبر ١٩٦٧ حيث اصبح سعر التعادل بمقتضاه هو ١ دولار امريكى يساوى ٥ر٣ جنيه اسرائيلي (يلاحظ ان التخفيض يرتبط بتخفيض قيمة الجنيه الاسترليني فى ذلك الوقت) ٠

وكانت هذه الاجراءات تمثل حالة فريدة فى التاريخ الاقتصادى ، حيث تم تخفيض قيمه العمله الاسرائيلية فى ظروف زيادة سريعة وكبيرة لارصدة النقد الاجنبى التى تطورت كما فى الجدول ٠

	١٩٦١	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
الذهب	١٠	٥٦	٥٦	٤٦
الحصة فى صندوق النقد الدولى	٦	١٢	١٢	٢٣
النقد الاجنبى	٢٦٣	٤٧٧	٥٧٥	٥٥٣
	٢٧٩	٥٤٥	٦٤٣	٦٢٢

ان هذه الاجراءات التى تعكس الضغوط التضخمية العنيفة وعدم الاستقرار النقدى ، الذى تعرض له الاقتصاد الاسرائيلي ، حتى يمكنه المحافظة على المعدل المرتفع للنمو ، كما توضح مدى اعتماده على الاقتصاد الرأسمالي العالمى ، ومن ثم فان القوانين الاقتصادية للرأسمالية لابد أن تظهر آثارها على الاقتصاد الاسرائيلي ٠

التوسع والسيطرة

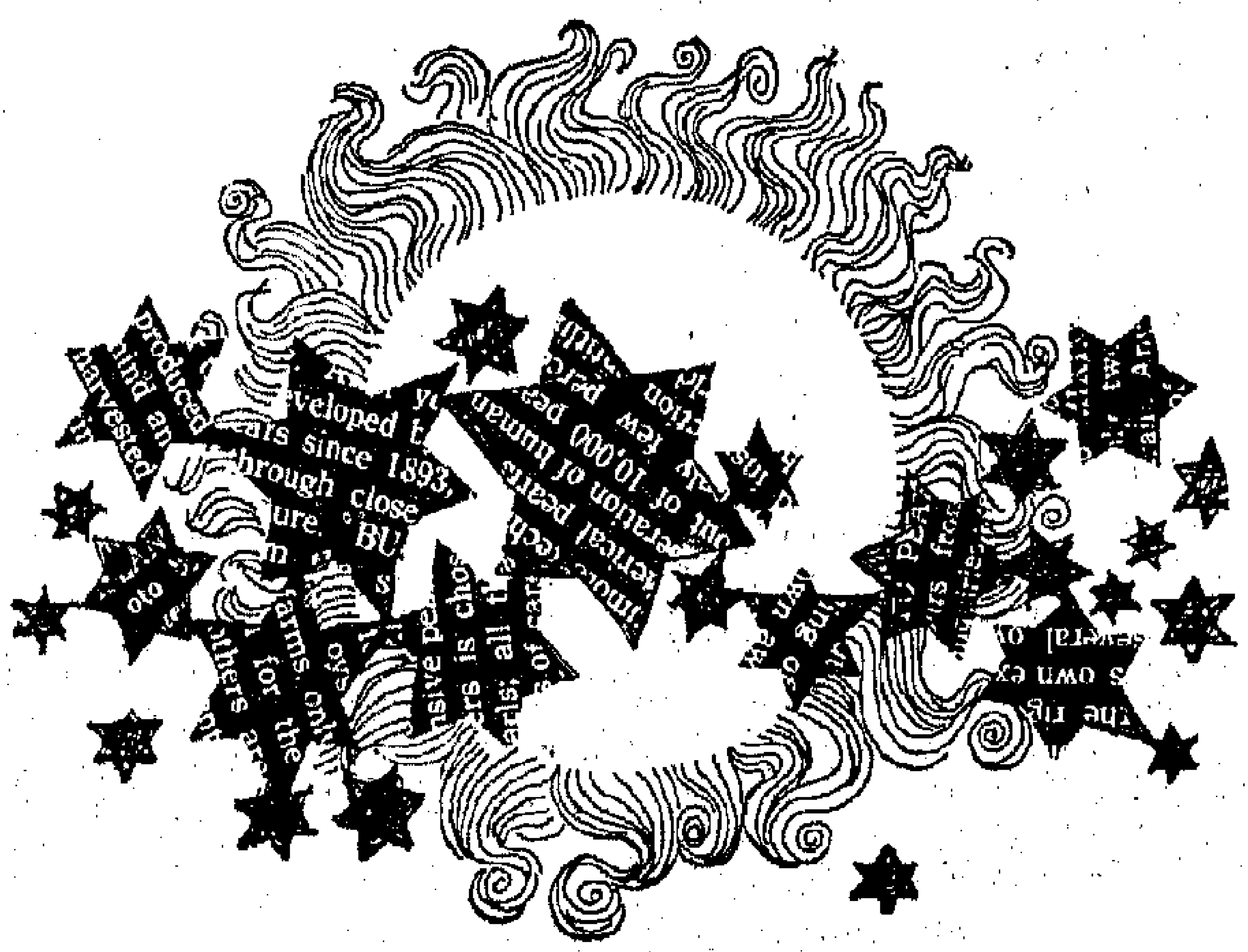
وتوضح الملاحظات السالفة نواحى الضعف الاصيلة فى الاقتصاد الاسرائيلي ، وكيف أنه عاش ونما طوال عشرين عاما بالاعتماد اعتمادا كليا على معونة الدول الاستعمارية الغربية ٠ وغنى عن الذكر أثر تلك المعونة فى ارتباط الدولة الصهيونية ارتباطا كاملاً بالاستعمار ، وما نريد أن نشير اليه بالاضافة الى ذلك الارتباط هو أثر الوضع الاقتصادى لاسرائيل فى اتجاهاتها التوسعية ٠

ان جذر المشكلة يرجع الى أن الاقليم الذى أقيمت عليه الدولة الصهيونية من ضيق المساحة وفقر الموارد الطبيعية بحيث يستحيل أن يستوعب هجرة واسعة ومستمرة - ومن ثم فانه لا سبيل للمحافظة على مستوى المعيشة الحالى فى اسرائيل ، فضلا عن استيعاب مهاجرين جدد ، الا بالتوسع الاقليمى أى بضم اراضى جديدة الى اسرائيل ، وقد تدعم هذا الاتجاه التوسعى حين شارفت التعويضات الالمانية على الانتهاء ، وكان من أهم العوامل التى حركت عدوان ١٩٦٧ ٠ وهو أهم عامل يحكم موقف اسرائيل الحالى فى رفض الانسحاب الكامل من الاراضى المحتلة وبدء توطين الاسرائيليين فى اجزاء مختلفة من تلك الاراضى ٠

ولكن اسرائيل لاتتوسع فى خلاء ، واتجاهاتها التوسعية تلقى مقاومة من العرب ٠ ولذلك فان هناك اتجاها يكمل التوسع عن طريق التخطيط للسيطرة الاقتصادية على الشرق الاوسط ٠ فحكام اسرائيل يعتقدون أن الصهيونية تملك من الموارد المالية والارتباطات الاحتكارية العالمية والخبرات التكنولوجية ما يؤهلها لان تكون الاقليم المتقدم صناعيا ، الذى يستغل موارد البلاد المجاورة الطبيعية ، ويغمر اسواقها بمنتجاته ٠ واصرار اسرائيل على ارغام العرب على عقد صلح معها لا يرمى فقط الى تصفية ارادته المقاومة بشكل نهائى ، انما يمهد فى نظر أولئك الحكام لاقامة علاقة اقتصادية مع البلاد العربية من شانها أن يمكن لاسرائيل من تحقيق السيطرة الاقتصادية المنشودة ٠

(٨) انظر فى ذلك مقال د . اسماعيل صبرى عبد الله ـ نظرات على الاقتصاد الاسرائيلي بالفرنسية ـ مجلة مصر المعاصرة العدد ٣٣٣ ـ يولية ١٩٦٨ ٠

الدعاية الصهيونية سلاح إسرائيل الأول



يحيى أبو بكر

نستطيع من الان ان نتخيل النتائج التى يمكن ان تسفر عنها ثلاث رحلات على جانب كبير من الخطوره ، وكل القيام بها الى **بن جوريون** الزعيم الاسرائيلى المتقاعد ، **وجولدا مائير** رئيسة وزراء اسرائيل ، **وايجال آلون** نائب رئيس الوزراء .

والرحلات الثلاث دعائية بقدر ما هى سياسية، بل انها تستمد الجانب الاكبرمن أهميتها السياسية مما تستهدفه فى مجال الدعاية واستخدامها وسيلة للضغط والتمهيد للمرحلة القادمة فى المواجهة الاسرائيلية العربية ، وهى مرحلة خطيرة للغاية .

اما رحلة بن جوريون فالى جنوب افريقيا وامريكا اللاتينية ، بينما كانت رحلة آلون الى بريطانيا ، ورحلة جولدا مائير الى الولايات المتحـ

وقد سبقت تلك رحلة قام بها أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية للاجتماع بالرئيس الامريكي نيكسون وبالمسئولين فى وزارة الخارجية الامريكية • وخلال الفترة القصيرة التى أمضاها ايبان فى الولايات المتحدة ، خاطب الرأى العام الامريكي خمس مرات من خلال أقوى وسائل الاتصال ، فظهر على برنامج للتليفزيون يذاع فى جميع أنحاء الولايات المتحدة ويستغرق عرضه ساعة كاملة ، كما تحدث الى رجال الصحافة فى نادى الصحافة الوطنية بوشنطن ، وخطب فى حفل عام فى كل من شيكاجو ولوس أنجلوس ونقلت خطابه معظم الصحف ومحطات الاذاعة ، وأخيرا اجتمع بالصحفيين فى الامم المتحدة ، وتحدث اليهم • وفى الذهاب والاياب قام بنشاط دعائى واسع النطاق فى لندن •

ولم تأت أى من هذه الرحلات عفوا ، ولا كان اختيار القائمين بها مجرد صدفة • بل ان هذه هى المرة الثانية التى يسافر فيها « **رجل اسرائيل العجوز** » منذ عام ١٩٦٧ •وكانت الرحلة الاولى الى أمريكا ولم تتجاوز مدتها سبعة أيام . وعندما وصل الى نيويورك وبدأت الحفلات تقام لاستقباله أعلن أنه يريد من يهودأمريكاومن غيرهم من الامريكيين الذين يعطفون على اسرائيل مبلغ ١٠٠ مليون دولار ، يجب ان تجمع قبل أن يغادر امريكا ويعود الى عزلتهفىمستعمرةسدى بوكر بصحراء النقب • ولم تكن المائة مليون دولار هى كل ماكسبه بن جوريون من رحلته القصيرة ، فقد استطاع أثناءها ، بالاضافة الى دعاية مباشرة لاسرائيل فى وسائل الاتصال الجماهيرية لاتقل قيمتها اذا حسبت بوقت الاذاعة فى الراديو والتلفزيون وبمساحة النشر فى الصحف عن ١٠ ملايين دولار لم تدفع اسرائيل سنتا واحدا منها ، أن يضع خطة لتجنيد المنظمات الصهيونية فى حملات مركزة ضد العرب وفى حملاتالضغط أثناء انتخابات الرياسة الامريكية ، وهى حملات نجحت فى أن ترغم المرشحين فى جميع مراحل الانتخابات على أن يجعلوا فى مقدمة برامجهم تأييد اسرائيل وحمايتها ، بل اعطائها طائرات الفانتوم التى تطلبها •

ورحلته هذه المرة الى جنوب أفريقيا وأمريكا اللاتينية ليستبالطبعلمجرد الحصول على مزيد من الاموال لاسرائيل ، ولكن وراءها أهدافا يتعلق بعضها بالتسليح وباحتمالات الحصول على طائرات الميراج الفرنسية وقطع غيارها بطريقغير مباشر ، أى من دول تشترى هذه الطائرات من فرنسا ، بينما يتعلق بعضها الاخر بالمخطط الشامل للدعاية الصهيونية واصلاح صورة اسرائيل التى أصابها الكثير من التشويه نتيجة لسلوكها العدوانى ولمواقفها المتعنتة فى الامم المتحدة بعد أن انتهى تأثير النصر السريع فى يونيو سنة ١٩٦٧ وحل الازدراء فى بعض الاوساط محل الاعجاب •

الرأى العام الامريكى

وامامنا فى الفترة الاخيرة مجموعة من المؤشرات يمكن أنتوضح طبيعة المهمة الموكولة الى الدعاية الصهيونية فى المرحلة القادمة ، رغم ما تنطوى عليه من تناقض • ويمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ــ وصل اسحاق رابين السفير الاسرائيلى فى أمريكا الى القدس وقال انالوقت لايزال مبكراجدا قبل أن يكون هناك مجالللتفكير فى ضغط من جانب أمريكا على اسرائيل لقبول الحلالذىتصل اليه الدول الاربع الكبرى • ولكن اسرائيل يجب أن تكون على استعداد لمواجهة مثل هذا الموقف ، وأنه يعتقد أن محاولة الضغط ستكون عن طريق الرأى العام الامريكى • وهذا يوحى بأن الرأى العام الامريكى سيكون فى نظر اسحاق رابين ميدانا لمعركة الضغط والضغط المضاد ،وأناسرائيل تتهيأ من الان لهذا الاحتمال ، ولديها وسائلها وأسلوبها فى ممارسة الضغط عن طريق الرأى العام الامريكى بالذات •

٢ ــ حاول موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى أن يستخدم سلاح التهديد دعائيا ، وأن يلوح بضربات يمكن أن توجهها اسرائيل بعد أن كان خط الدعاية الاسرائيلى هوالتقليلمن خطورة الموقف وقابليته للانفجار ، وذلك لتحقيق مكاسب داخلية بتغطية الفشل الذى أصاب دعاية المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، وخلق جوا فى الرأىالعام العالمى شبيها بالجو الذىخلقته الدعايةالصهيونية فى مايو سنة ١٩٦٧ ،وايهام العالم بأناسرائيلعلى وشك أن تكون ضحية لهجوم عربى •

٣ ــ حدث خطأ فى التقدير أدىالىتنفيذاحدى العمليات « دعائيا » فى الوقت الذى فشل فيه تنفيذها « عسكريا » ، فأذاعت أجهزة الدعاية الاسرائيلية داخل اسرائيل وخارجها بيانات معدة من قبللم تتمبالصورة التى رسمت لها وانكشف كذب الدعاية التى زعمت ضرب أهداف حيوية فى مصر ، مما أدى فى زعمها الى غرق مساحات شاسعة من أرض الصعيد نتيجة لاصابة قناطرنجع حمادى بالاضافة الى تدمير الكبارى ومحطات الكهرباء ، وهو مالم يحدث كما شهد بذلك المراسلون الاجانب الذين رأوا جميعالاماكنالتى

ذكرت الدعاية الاسرائيلية انها ضربت فى تلك الغارة الفاشلة • وكانت نتيجة ذلك فضح خطة دعائية متعددة الاهداف لتخفيف الذعر داخل اسرائيل من عمليات المقاومة ، ومن الاشتباكات عبر قناة السويس ، واضعاف معنويات الشعب المصرى وبقية الشعوب العربية ، وتأكيد قدرة اسرائيل على الانتقام امام الراى العالمى امتدادا لاسطورة التفوق الاسرائيلى عام ١٩٦٧ وتداركا للاهتزاز الشديد الذى اصاب صورة اسرائيل العسكرية فى الفترة الاخيرة •

اخطأت تقديرات الدعاية الاسرائيلية مرة اخرى فى حادث محاولة عبور قناة السويس وغرق احد القوارب الاسرائيلية بمن فيه عندما تصدت القوات المصرية بنيرانها لهذه المحاولة ، فقد تصورت الدعاية الاسرائيلية ان عدم وجود الدليل المادى على هذه المعركة يساعدها فى تكذيب حدوث المعركة فتتمكن بذلك من اتهام مصر باختلاق شيء لم يحدث وليس له اساس من الحقيقة • والواقع ـ وهذا اسلوب تسير عليه اسرائيل نفسها ويعنيها ان تلصقه بمصر ـ فسارعت الى اصدار نفى جازم لحدوث المعركة ، والى اتهام مصر باصطناع « القصة » ، ونشرت هذا التكذيب « الكاذب » على اوسع نطاق • ولم يمض يومان حتى جرف التيار الى الضفة الغربية للقناة جثة الضابط الاسرائيلى الذى كان يقود محاولة العبور ومعه اسلحته وبطاقته الشخصية ، فكان ظهور هذا الدليل المادى وتسليم جثة الضابط الاسرائيلى الى الصليب الاحمر الدولى ورطة للدعاية الاسرائيلية استدرجها اليها خطأ فى تقدير الظروف المادية وترجيح لم يصبه التوفيق لاحتمال يعتمد على عوامل لايمكن التحكم فيها •

٤ ـ تروج الدعاية الصهيونية عن طريق انباء وتصريحات تتناقلها وكالات الانباء واجهزة الاعلام لفكرة اتفاق وشيك بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وتتخذ من ذلك مناسبة لاعادة تأكيد تمسك اسرائيل بالمكاسب الاقليمية التى حصلت عليها نتيجة للعدوان • وطريقها فى ترويج هذه الفكرة هى اتخاذ التشكيك فى احتمال الوصول الى اتفاق قريب مدخلا لترديد الفكرة ذاتها وتسليط الاضواء عليها سواء فى الدعاية الداخلية او الخارجية •

التكتيك والاستراتيجية

ولكن هذه المؤشرات تتعلق بتكتيك الدعاية الاسرائيلية وتحركاتها اكثر مما تتعلق باستراتيجية الدعاية الصهيونية كمرتكز اساسى للصهيونية العالمية فى محاولة السيطرة على الافكار والعواطف وتسخير الراى العام العالمى لخدمة اهداف اسرائيل الاجلة والعاجلة • وهى اكبر من مجرد عملية كسب الاصدقاء ، اذ تتجاوز ذلك الى تجنيدهم فى خدمة اسرائيل ، افرادا وجماعات ومنظمات واجهزة دعائية ضخمة •

وطبيعى ان يكون الجانب « التكتيكى » من الدعاية فى خدمة الاستراتيجية ، ولكن يحدث أحيانا أن يتعارض معها نتيجة لمتغيرات معينة ، وفى هذه الحالة يلجا الجهاز المركزى الموجه للدعاية الصهيونية الى عملية « تصحيح المسار » لاعادة تثبيت صورة اسرائيل عندما تتعرض للاهتزاز ، او لاستعادة ما تفقده من تأييد ، نتيجة لنشاط ايجابى من جانب اعداء الصهيونية ، أو ايضاح بعض الحقائق ، نتيجة لاخطاء تقع فيها السياسة الاسرائيلية أو الدعاية الصهيونية • وعبارة « تصحيح المسار » التى نستعيرها من مصطلحات عصر الفضاء تمثل جسرا بين الاستراتيجية والتكتيك فى الدعاية الصهيونية •

ومن امثلة هذا النوع من العمليات ماحدث عندما اغرقت اسرائيل واجهزة الدعاية الخاضعة للنفوذ الصهيونى العالمى ابتداء من ٥ يونيو ولمدة ثلاثة اشهر متتالية برامج تليفزيونية واذاعية وافلام سينمائية وكتب وكتيبات اصدرتها دور النشر فى اوروبا وامريكا بمختلف اللغات ، بالاضافة الى تحقيقات صحفية حملتها الجرائد والمجلات الى جانب نشر هذه الجرائد والمجلات نفسها للكتب التى صدرت عما يسمى « **حرب الايام الستة** » وكان ذلك كله يعتمد على ارضية مهدتها الدعاية الصهيونية فى الفترة التى سبقت حرب يونيو ، وظهرت فيها اسرائيل امام الراى العام العالمى بمظهر « الحمل » الوديع المسالم الذى تحيط به من كل جانب « ذئاب » تتأهب لالتهامه ، وركبت الدعاية الاسرائيلية موجة الاعجاب بانتصار الضعيف على القوى واستغلتها الى ابعد حدود الاستغلال •

وكانت اجهزة « **تصحيح المسار** » تراقب ردود الفعل والتطورات التى احدثتها هذه الحملة الدعائية المصاحبة للعدوان وفى حعبتها ماحاولت عن طريقه ، ووفقا لتقديراتها ، أن تستعيد العطف الذى تبدد جانب كبير منه فى موكب النصر الذى بالغت اسرائيل فى تسليط الاضواء عليه ، وبتاثير مظاهرة استعراض العضلات ، وهى دائما تحدث اثرا عكسيا وخاصة عندما بدا اعجاب المخدوعين فى اسرائيل يخبو ويحل محله نوع من الافاقة او الاستيقاظ او الصحو يحدثه زوال مفعول السحر عن المسحورين (Disenchantment) وقامت اسرائيل والدعاية الصهيونية اذ ذاك بعمل مزدوج تم شطر منه فى هدوء ودون ضجيج مصطنع ، كما لو كان شيئا طبيعيا تلقائيا ، وهو

عرض « انجازات » اسرائيل بزعم انها قوة بناءة غيرت وجه الارض في منطقة الشرق الاوسط واحالت الصحراء الى جنة وصدرت كتب وظهرت افلام وبرامج ومقالات على غرار كتاب « اسرائيل معجزة في الصحراء » تدعى فيها الصهيونية لاسرائيل انها أقامت الحضارة في ارض احالها العرب الى خراب ! والهدف من ذلك ان تصل الى اقناع العالم ، بغير حجة ، بانها حاربت وانتصرت من اجل السلام والتقدم ، مخفية الوجه الدامي البشع لعدوانها على حقوق الانسان العربي في فلسطين ، ومتجاهلة دور العرب الحضاري في الماضي والحاضر . وكانت المناسبة التي استغلتها للقيام بهذا الجانب من العمل الدعائي هي مرور ٥٠ عاما على وعد بلفور (١٩١٧) ومرور ٧٠ عاما على المؤتمر الاول للحركة الصهيونية [١٨٩٧] .

اما الشطر الثاني فكان هجوما مركزا على ما اسمته اسرائيل اضطهاد اليهود في البلاد العربية وفي الدول الاشتراكية . وكان الهدف من ذلك هو أن تجد الدول العربية والاشتراكية نفسها في موقف دفاع نتيجة لهذا التشهير الصهيوني لامتصاص جزء من طاقتها في الهجوم على اسرائيل ، وفضح عدوانها والمطالبة بانسحابها من الاراضي المحتلة ، كما ان ذلك من شانه ان يحول الانظار عن قضية اللاجئين والنازحين الفلسطينيين التي اخذت تبرز بوضوح متزايد كقضية عدوان على حقوق الانسان تدينه الامم المتحدة ، وتطالب بايقافه ، وتتجاوز ذلك الى النظر في تجريمه وعقاب مرتكبيه .

صيد ثمين

وقبل أن ننتقل الى تحليل استراتيجية الدعاية الصهيونية ، نشير الى نموذج بسيط لعمل تكتيكي صغير يخدم في النهاية وعلى المدى البعيد أهداف الدعاية الصهيونية التي تعمل دائما على ألا تفوتها فرصة ، والاتترك مناسبة دون استغلالها ، وضمها الى رصيدها من أسلحة الدعاية ، أو ذخيرتها .

ومن أساليب اسرائيل في العمل الدعائي والسياسي أن تكتشف في وقت مبكر الشخصيات التي يمكن أن يكون لها شأن في المستقبل ، أو التي يمكن أن تتركز حولها الاضواء لاي اعتبار من الاعتبارات لتجندها الآن أو في المستقبل البعيد ، أو القريب لخدمة أهدافها . ولاسرائيل والمنظمات الصهيونية التي تساعدها أجهزة مدربة على اكتشاف هذه الشخصيات في الوقت المناسب ومعالجتها بوسائل التشجيع أو التوريط أو التهديد لخدمة الصهيونية . وقد جربت هذا الاسلوب في كثير من البلاد النامية بمحاولة تصيد شبابها المثقف في الفترة السابقة للاستقلال على أساس أنهم هم الذين سيتسلمون زمام القيادة عاجلا أو آجلا . وبنفس الاسلوب حاولت الصهيونية أن تتطوع برعاية النائبة **برنادت ديفلين** التي انتخبت عضوا في البرلمان البريطاني عن أيرلندة الشمالية وسنها ٢١ سنة ، وكان انتخاب هذه الفتاة في ظروف الاحتكاك بين بريطانيا وايرلندة الشمالية بشأن حقوق الاقلية الكاثوليكية موضع اهتمام عالمي . وقد تولى تقديمها الى مجلس العموم في أول جلسة يحضرها النائب اليهودي الصهيوني **بول روز** الذي لم يكتف بأعلان تبنيه للنائبة الصغيرة ، ولكنه ربط الحركة الصهيونية بكفاح الكاثوليك في أيرلندة من أجل الحقوق المدنية . وهذا النائب البريطاني اليهودي الصهيوني يبلغ من العمر ٣٣ سنة ، وقد زار اسرائيل مع مجموعة من نواب حزب العمال في أعقاب عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ .

أهداف الدعاية الصهيونية

ليس عسيرا أن نتصور الاهداف التي ترمي اليها الدعاية الصهيونية والتي توضع مخططاتها من أجل الوصول اليها . وغني عن البيان أن الدعاية ترتبط بقرارات أو بخطط سياسية ، أو اقتصادية أو اجتماعية وهي في معظم الاحيان في خدمة هذه القرارات والخطط ، ومن الادوات المعينة على تنفيذها ، ولكنها في بعض الاحيان تشارك أو تستشار في اتخاذ القرارات أو اعداد الخطط .

وبالنسبة للصهيونية كايديولوجية ذات أهداف لا يمكن الوصول اليها الا بتغييرات واسعة النطاق ومن خلال معارك تصطدم فيها بكيانات بشرية وقوميات قائمة ومصالح حيوية مشروعة يتمسك بها أصحابها ويدافعون عنها ، وعن طريق محالفات مع قوى تجمعها بها وحدة الاهداف والمصالح العدوانية والاستغلالية غير المشروعة ، وبمحاولات مستمرة لخلق كيان مصطنع على أساس عنصري يحول الديانة اليهودية الى قومية تنضم اليها مجموعات بشرية متباينة منتشرة في جميع أنحاء العالم بعد انتزاعها من الاوطان والقوميات التي تنتمي اليها لتتكون منها أمة تطرد شعبا من وطنه بالقوة وتحل محله في ارضه ، وتتخذ منها قاعدة للتوسع العدواني من جهة ، ولخدمة مصالح القوى الامبريالية من جهة اخرى ، بالنسبة للصهيونية كأيديولوجية هذه أهدافها لابد أن تكون الدعاية أداة خطيرة من أدواتها ، بل شيئا يرتبط بها ارتباطا عضويا . وهناك بصرف النظر عن الطبيعة العدوانية للايديولوجية الصهيونية ، ذلك الارتباط العضوي بين الدعوة والدعاية .

وليس مبالغة في التبسيط أن نقول أن هدف الدعاية الاسرائيلية هو خلق الظروف النفسية التي تساعد على استمرار بقاء اسرائيل وتوسعها

ونموها كتجسيد للحركة الصهيونية التى تستهدف بعد خلق الدولة اليهودية سيطرة اليهود على العالم اقتصاديا وسياسيا باعتبارهم شعب الله المختار !

وقد لخص منذر عنتباوى فى كتابه « أضواء على الاعلام الاسرائيلى » اهداف الحركة الصهيونية بعد خلق اسرائيل فى خمسة أهداف رئيسية :

- استمرار الهجرة اليهودية .
- توسيع نطاق اسرائيل الاقليمى .
- تطوير اسرائيل وتنميتها لتصبح أقوى دولة فى المنطقة اقتصاديا وعسكريا .
- ايجاد مجال حيوى لاستخدام امكانياتها وطاقاتها .
- فرض وجودها على العرب نهائيا .

وهذه الاهداف هى ، فى الواقع ، المنطلق الاساسى للدعاية الاسرائيلية التى يمكن أن نحدد فى ضوئه الهدف العام للدعاية الاسرائيلية . وهذا ايضا لخصه منذر عنتباوى فى « خلق الاحساس لدى الرأى العام العالمى فى كل مكان بأن سلام العالم وأمنه وتقدمه ورخائه ، انما يرتبط الى حد كبير ، ان لم يكن كلية ، ببقاء اسرائيل والمحافظة عليها . »

وفى اطار النظرية الدعائية الاسرائيلية يجب أن يتحول جميع اليهود فى العالم الى مواطنين لاسرائيل ، وأن يتحول غير اليهود الى حلفاء لاسرائيل .

ويتضمن الكتاب الذى أشرت اليه تفصيلا وافيا لمرتكزات الدعاية الاسرائيلية بالنسبة ليهود العالم ، ولغيرهم فى جميع المناطق .

فبالنسبة لليهود اذا كان الهدف هو العمل على استمرار هجرتهم الى فلسطين ، وضمان ولاء يهود المنفى الذين لايرغبون الان فى الهجرة ، وضمان استمرار تأييدهم وتدفق أموالهم على اسرائيل ، فان الدعاية الصهيونية تركز على أن يهودية اليهودى لاتكتمل الا بالهجرة الى اسرائيل . وفى سبيل ذلك تساق جميع الحجج « التاريخية » والاعتبارات العاطفية والدينية .

وبالنسبة للعالم الغربى ، اى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية ، يتلخص الهدف الصهيونى فى ضمان استمرار الدعم المادى والمعنوى للوجود الاسرائيلى فى فلسطين كضرورة للديموقراطية الغربية . ومن أجل ذلك ترتكز الدعاية الصهيونية على أن اسرائيل امتداد للحضارة الغربية ، وأنها صنعت المعجزات فى الصحراء التى كان اسمها فلسطين ، والتى أهملها الغزاة العرب ودمروا معالم الحياة فيها ، مع التذكير بأن قيام اسرائيل تحقيق لنبوءة دينية فى العهد القديم ، والتذكير بالفظائع التى تعرض لها اليهود على يد النازية ، وتصوير عداء العرب على انه معاداة للسامية ، على غرار عداء النازية لليهود ، وابراز ان اسرائيل جسر بين الغرب وبين آسيا وأفريقيا ، وأنها حامية مصالح الغرب فى هذه المنطقة .

اما بالنسبة للدول الاشتراكية فى شرق اوربا فان هدف أسرائيل المرحلى هو الاحتفاظ بعدم تعرض هذه الدول لمبدأ وجود اسرائيل كدولة ، وان كانت تستنكر العدوان الاسرائيلى وتؤيد العرب سياسيا واقتصاديا وتمدهم بالاسلحة اللازمة لمواجهة العدوان ، ثم محاولة الوصول الى موافقة هذه الدول على السماح لرعاياها اليهود بالهجرة الى اسرائيل ، ومحاولة اعادة العلاقات بين اسرائيل وهذه الدول أو على الاقل تحييدها فى النزاع العربى الاسرائيلى .

وللدعاية الاسرائيلية فى محاولة الوصول الى هذا الهدف أسلوبان : أحدهما هو الظهور بمظهر الدولة الاشتراكية ، والثانى حملة هجومية للتفرقة فيما بين الدول الاشتراكية ، ثم فيما بينها وبين العرب ، والمطالبة بهجرة يهود الدول الاشتراكية والتشهير بمعاملة هذه الدول لليهود من رعاياها

وبالنسبة لافريقيا تستهدف اسرائيل التسلل الى اقتصاديات الدول الافريقية ، وان تحصل على اصواتها وان تباعد بينها وبين العرب رغم ان هناك ست دول عربية افريقية . وفى سبيل ذلك تؤكد الدعاية الصهيونية « وحدة التجربة » لدى الشعب اليهودى والشعوب الافريقية ، على أساس ادعاء انهما كانا عرضة للاضطهاد ، وتأكيد اهمية التجربة الاسرائيلية للدول الافريقية كتجربة رائدة فى جميع مجالات التنمية ، وتأكيد « خلو » علاقات اسرائيل بافريقيا من « الاطماع » السياسية ، واخيرا تأكيد اهمية دور افريقيا فى تحقيق السلام فى الشرق الاوسط .

وفيما يتعلق بآسيا ، تريد اسرائيل ان تجد منطلقا للتوسع الاقتصادى فى هذه القارة مع ضمان اكبر قدر من تأييد دولها لاسرائيل . ومن اجل ذلك تبرز اسرائيل انها دولة آسيوية ، وانها دولة رائدة فى التنمية يجب ان تستفيد الدول الاخرى بتجربتها ، وان آسيا ، شأنها شأن افريقيا ، يجب ان يكون لها دور فى تحقيق السلام فى الشرق الاوسط .

جزء من الاستراتيجية الامريكية فى المنطقة

وفى الولايات المتحدة بالذات حيث نقلت الحركة الصهيونية اكبر مراكز نشاطها بعد ان انتقلت زعامة العالم الغربى من يد بريطانيا الى يد أمريكا ، تستهدف اسرائيل استمرار التأييد المعنوى والمادى المطلق من جانب الحكومة الامريكية فى جميع المجالات بما فيها الامم المتحدة • والركيزة الاساسية للدعاية الصهيونية فى امريكا هى أن اسرائيل هى المدافع الوحيد عن المصالح والمثل الامريكية فى الشرق الاوسط ، وانها « قاعدة » لامريكا فى شرق البحر الأبيض المتوسط وفى وجه اتساع النفوذ السوفيتى ، وانها لذلك ضرورة من ضرورات الاستراتيجية الامريكية . ومن ناحية اخرى تركز على « اليهودية » بدلا من الصهيونية • ويدعى الصهيونيون انهم انما يعملون من اجل اليهود ، وان معاداة السامية هى التهديد الذى يوجهه العرب والشيوعيون الى اسرائيل التى تتعرض نتيجة لذلك الى حرب ابادة تقضى على هذا « المعقل » من معاقل الحضارة والديموقراطية الغربية !

عقدة الذنب وعقدة الخوف

ومن اخطر الاسلحة التى استخدمتها الدعاية الصهيونية فى خدمة سياسة اسرائيل واهدافها فى المانيا الغربية عقدة الذنب ثم عقدة الخوف الناشئة عن الارهاب الصهيونى والتهديد المستمر بتوجيه تهمة « معاداة السامية » أو الاشتراك فى جرائم النازية الى كل من يقف فى وجه رغبات اسرائيل أو يحاول توضيح حقائق الموقف فى الشرق الاوسط للرأى العام الالمانى .

وقد استطاعت الصهيونية ان تتسلل الى الحزبين الرئيسيين فى المانيا الغربية . الحزب الاشتراكى ، والحزب المسيحى الديموقراطى ، وان تبنى دعايتها على اساس ان الدول العربية تتعاون مع المعسكر الشيوعى • وتحت وطأة الاجهزة السرية الصهيونية التى تعمل تحت استار «**تعقب مجرمى الحرب النازيين**» تعمل الصهيونية على تكميم افواه العناصر الالمانية التى ترى الامور على حقيقتها فى نفس الوقت الذى تفتح فيه اجهزة الاعلام فى المانيا الغربية صفحاتها وشاشات التليفزيون وميكروفونات الراديو لسموم الدعاية الصهيونية تحت وطأة عقدة الذنب التى لم يعد لها مبرر بعد ربع قرن تقريبا من سقوط النازية ، وبعد ان بدأ الشعب الالمانى يدرك ان الجيل الحالى لا يمكن ان يكون مسئولا عن جرائم ارتكبها هتلر منذ اكثر من ربع قرن !

أدوات الدعاية الصهيونيــة

من الخطأ البين ان نقوم بحصر لاجهزة الدعاية فى اسرائيل مثل مكتب الاستعلامات المركزى أو ادارة الصحافة فى وزارة الخارجية أو الاذاعة أو التلفزيون أو الصحافة ونقول ان هذه هى أدوات الدعاية الصهيونية المسئولة عن الدعاية التى تغرق العالم كله تقريبا فى بحر من التضليل وتشويه الحقائق • فهذه ليست الا قطاعا رسميا محدود النشاط من قطاعات كثيرة أخرى تعتبر شبكة عالمية للدعاية الصهيونية .

ولو نظرنا الى رجل مثل المليونير البريطانى **لورد زيف** او الى المليونير **روتشيلد** ، وهناك كثيرون من أمثالهما ، لوجدنا انهما يشكلان « مظلة » اقتصادية ودعائية رهيبة لاسرائيل فى العالم الغربى عن طريق تحكمهما فى وسائل الاعلام بسيطرتهما على ميزانيات اعلان تعتمد عليها كثير من الصحف وبعض محطات التليفزيون فى بقائها •

وليس سليما ان نقيس قوة الدعاية الصهيونية بعدد الصحف والمجلات اليهودية ، سواء كانت تصدر فى اسرائيل او فى بريطانيا او فرنسا او المانيا ، او كندا او الولايات المتحدة او غيرها ، فالجرائد والمجلات اليهودية تعتبر صحفا طائفية وأهميتها الدعائية تنحصر فى اقامة الاتصال المنظم مع يهود العالم . وان الجانب الخطر من الدعاية الصهيونية هو ما يصل الى الملايين عن طريق اجهزة الاعلام العامة او رؤوس الاموال الصهيونية تؤثر عليها تأثيرا خطيرا وتدفعها الى تأييد اسرائيل والخروج عن طريق رسالتها فى تقديم الحقيقة الى جماهيرها • وقد أكد الرئيس الفرنسى السابق ديجول هذه الحقيقة فى تنديده بالنفوذ الصهيونى على اجهزة الاعلام فى فرنسا •

ولا نزال نذكر ان لورد زيف اليهودى البريطانى الصهيونى ، والرئيس الفخرى لصندوق الجباية الاسرائيلى ورئيس الاتحاد الصهيونى ، وهو الان فى الثمانين من عمره ، ذهب الى فلسطين المحتلة بعد العدوان فى عام ١٩٦٧ ضمن وفد من اصحاب الملايين ، بينهم روتشيلد ، ووضعوا تحت تصرف الدعاية الاسرائيلية ما تشاء من ملايينهم دون حدود ودون قيد او شرط •

ان قيادة الدعاية الصهيونية فى الواقع ليست فى حكومة اسرائيل ، ولكن فى المنظمة الصهيونية العالمية التى يرأسها **ناحوم جولدمان** ، وفى صندوق النداء الاسرائيلى الموحد الذى يرأسه الاسرائيلى جولد شتاين ، وفى الصندوق القومى

الاسرائيلى الذى يرأسه **تسور** ، والادوات المباشرة لهذه الدعاية هى المؤتمر الصــهيوني العالمى ، والمنظمــة النســائيــة الصــهيونية الدوليـــة ، والهستدروت (الاتحاد العام للعمال) وعدد كبير من المنظمات المنتشرة فى جميع ارجاء العالم تبث سموم الدعاية الصهيونية ، وتحصل لاسرائيل ، لا على أموال اليهود فحسب ، ولكن على أموال طائله من غير اليهود ، وعلى مساعدات لاحدود لها من حكومات كالولايات المتحدة وألمانيا الغربية ، وعلى مجهود دعائى من أجهزة اعلامية تنتشر شبكاتها فى كل مكان من الارض ٠

وهنــاك مثــل ذكره الكتــاب الســنوى لاسرائيل (٦٧ ـ ١٩٦٨) عن الاموال التى جمعتها منظمة واحدة هى **الكرين هـايسود** (النداء الاسرائيلى الموحد) فقد بلغت حصيلتها خلال ١٩ عاما ١٠٣٧ مليــون دولار منهـــا ٧٨٢ مليونا من الولايات المتحدة أى حوالى ٧٥ فى المائة وحوالى ١٤ فى المائة من بريطانيا وكندا وجنوب افريقيا و٣ فى المائة من بقية البلاد الاوروبية ، وحوالى ٨ فى المائة من أمريكا اللاتينية واستراليا ونيوزيلندا والشرق الاقصى ٠

مهمة بريطانيا

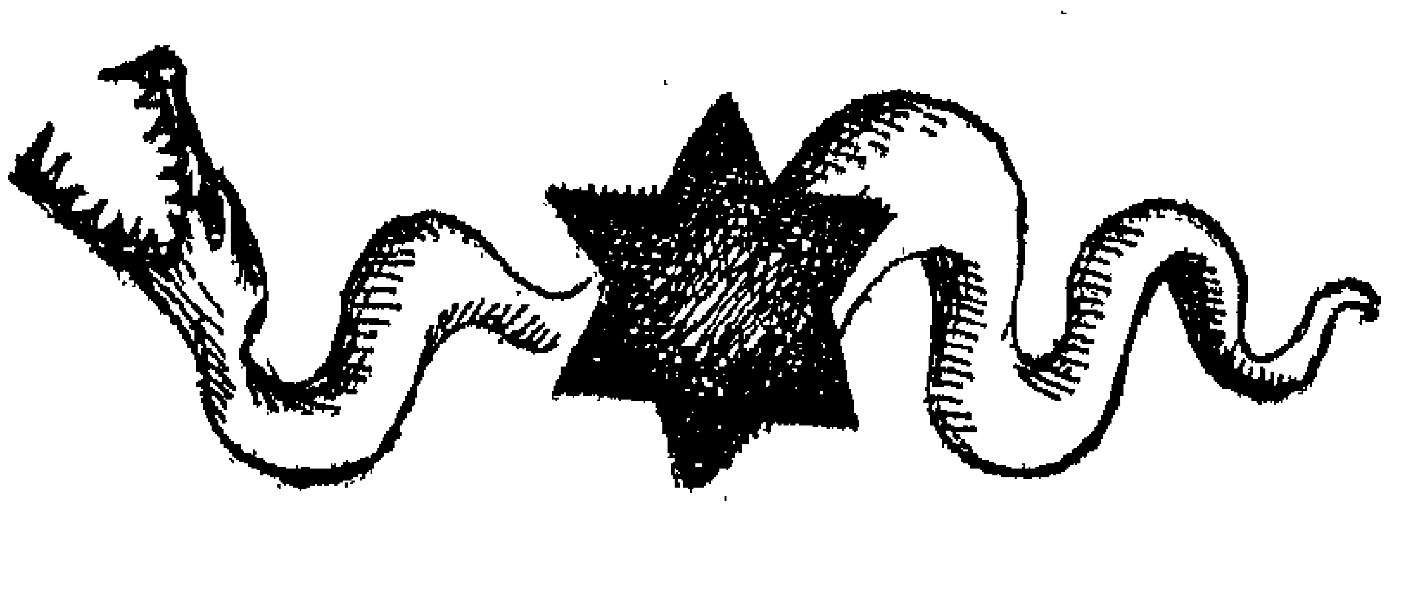
وربما وجدنا مثلا آخر يلقى مزيدا من الضوء على توزيع المهام بين شبكةالدعاية الصهيونية فى العالم ٠ فقد وصل أخيرا الى لندن **افرام شنكر** مدير التنظيم والاستعلامات فى المنظمة الصهيونية العالمية ، ثم غادرها الى كندا والولايات المتحدة ٠ واثناء وجوده فى لندن ـ وانا انقل هنا ماورد عن نشاطه فى الصحف البريطانية ـ قابل المسئولين فى الاتحاد الصهيونى ، واتحاد مزراحى ، والمؤتمر الصهيونى العالمى والوكالة اليهودية والاعضاء اليهود فى البرلمان البريطانى ٠ وأشار فى أحاديثه الى الصحفيين والدور التقليدى الذى قامت به بريطانيا فى خدمة الصهيونية ، وقال ان المهمه الكبرى للصهيونية فى بريطانيا ، ولاى حركة صهيونية فى العالم ، هى أن تجد طريقهاالىقلوب الاجيال الجديدة من اليهود وعقولهم ٠ ولهذه المهمة ناحية أيديولوجية ، وأخرى عملية ويجب أنتؤدى الصهيونية هذه المهمة بشطريها معا ٠

واعلن ان جهاز الاستعلامات فى المنظمة الصهيونية العالمية سيوسع مجال نشاطه فى العلاقات العامة والاعلام فى بريطانيا ، وان التدابير قد اتخذت لانشاء خدمات جديدة تواجه الاحتياجات الجديدة التى يمليها تغير الظروف فى مستوى الاعلام الصهيونى ٠

المحتوى الانسانى

وقدنجد تلخيصا وافيا للاسلوب الذى يستخدمه الدعايةالصهيونية فى كلمات قدم بها **ليفى اشكول** رئيس وزراء اسرائيل السابق الكتاب السنوى لاسرائيل [٦٧ ـ ١٩٦٨] . يقول أشكول : «**اننا نحاول ان نعطى لانجازاتنا السياسية والعسكرية محتوى انسانيا واقتصاديا** ...

ومن ذلك تتفرع جميع أساليب الخداع الصهيونى ومحاولات تشويه الحقائق والباس الاغتصاب والعدوان رداء زائفا من القيم المعكوسة أو المنحرفة



العدو يرصد المقاومة

١ قادة إسرائيل يتحدثون: لاجدوى من تجاهل العمل الفدائي

■ ١١ يونيو ١٩٦٧ : القدس : ى . ب . ا : اعلن متحدث عسكرى اسرائيلى فى القدس انه قد وقع صباح امس انفجاران فى قرية « جيردين » التى تبعد نحو ٥٠ ياردة عن خط الهدنة بين اسرائيل ولبنان . والمعتقد ان الحادث ربما يكون من فعل بعض اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان .

■ ١٣ يونيو ١٩٦٧ : تل ابيب ـ ر : قتل ٣ من الاسرائيليين واصيب آخران بجراح ، عندما اصطدمت سيارة « جيب » كانوا يستقلونها بلغم فى احد شوارع غزة .

■ ١٩ يونيو ١٩٦٧ : تل ابيب و . أ . ف : اصدرت القيادة الاسرائيلية بيانا ، قالت فيه انها عثرت اليوم على الغام بالقرب من مستعمرة جيشير جنوبى بحيرة طبرية قرب الحدود الاردنية . ونسبت المصادر العسكرية هذه الالغام الى الفدائيين العرب الذين دخلوا اسرائيل من الاراضى الاردنية .

■ ٢٦ يوليو ١٩٦٧ : ا . ب : لم تعلن السلطات الاسرائيلية شيئا عن اسباب احراق مستودعات البترول فى ميناء اسدود والتى قدرت السلطات الاسرائيلية خسائرها بمليون جنيه اسرائيلى .

■ ٧ اغسطس ١٩٦٧ : القدس المحتلة ى.ب.ا : و.أ.ف ، ر : وصفت الدوائر الاسرائيلية الاضراب العام الشامل الذى اعلن فى مدينة القدس العربية بأنه « فعال » فمن بين ٢٠٠٠ محل داخل اسوار القدس القديمة ، لم يفتح ابوابه سوى ٣ مخابز ، اتفق المضربون على عملها . واعتبرت اسرائيل الاضراب اول تحد علنى جماعى لاسرائيل ، واخذت تذيع انه موحى به من الخارج . واعلنت انها ستتخذ اجراءات صارمة ضد الذين حرضوا عليه .

■ ٨ اغسطس ١٩٦٧ : القدس المحتلة أ.ب ، و.أ.ف ، ر : اخذت سلطات اسرائيل تتحدث عن اقامة « حكومات عسكرية » فى مناطق الضفة الغربية ، خوفا من انتشار الاضرابات فيها ، بعد ان زادت حركة المقاومة .

■ ٩ اغسطس ١٩٦٧ ـ وكالات الانباء . اصدرت اسرائيل لاقامة مراكز بوليس جديدة فى نابلس وبيت لحم نتيجة لعنف المقاومة

العــربيــة ، واعلنت انهــا ستستخدم القسوة ضد اعمال العنف العربية ٠

■ ٢٣ اغسـطس ١٩٦٧ عمــان : ى٠ب٠ا : يقــول المسافرون الذين وصلوا الى العاصــمة الاردنية أمس ان الاسرائيليين انفسهم ، يصفون الموقف الراهن بانه « انتصار مر » بعد اتساع نطاق المقاومة الشعبية فى الضفة الغـربية وفى العريش ٠

■ ٢٧ اغســطس ١٩٦٧ تل أبيب : وكالات الانباء : حدث اليوم انفجار فى تل ابيب عند مدخل احد المطاعم ، تكتمت السلطات الاسرائيلية انباءه ورفضت اذاعة اية تفصيلات عنه ٠

■ ١٥ ســبتمبر ١٩٦٧ تل ابيب أ٠ب ــ و٠أ٠ف : لم يعلن المتحدث العسكرى الاسرائيلى عن نسف قطار البضـائـع الاسرائيلى بين تل ابيـب وحيفا ، سوى ان الانفجـار وقع بســبب انفجــار لغم ، وفرضــت الســلطات حظر التجول فى منطقــة طولكرم التى نســف القطار بالقرب منها ٠

■ ٢١ ســبتمبر ١٩٦٧ تل ابيب : أ٠ب ــ ى٠ب٠ا : اعلن متحدث عسكرى اسرائيلى انه وقع انفجار اليوم فى مصنع لتعليب الموالح فى مستعمرة حيفا حاييم بين تل ابيب وحيفا فدمر بعض اجزائه ، وقـد وصف الانفجار بانه غامض ٠

٠٠٠ ولا جدوى من تجاهل اثر المقاومة المســلحة

■ ٢٣ اكتــوبــر ١٩٦٧ ى٠ب٠ا : حذر موشى ديـان وزير الدفاع الاسرائيلـى ، الاسرائيليين من اسـتمرار غارات الفدائيين العرب ، على غرار حرب العصابات ، وقد جاء التحذير فى منـاقشات مغلقة فى مستعمرة مـولدا اذيعت اليوم ٠

■ ٦ نوفمبر ١٩٦٧ : القدس و٠ا٠ف : بعثت الحكومــة الاسرائيلية بمذكرة الى مجلس الامن حول ما اسمته بحماية السلطات الاردنية لاعضــاء «المنظمات الارهابية» العربية التى تقوم بعمليــات داخــل اسرائيــل ٠ وقالت المذكرة الاسرائيليــة ان الســلطات الاردنية تسمح « للارهابيين بالتســـلل الى الاراضى الاسرائيلية ثم تحمى رجوعهم منها بفتح النار على القوات الاسرائيلية التى تتبعهم » ٠

وتقول وكالــة الانبــاء الفرنســـية ، ان الدوائــر السياسية الاسرائيلية تعتبر ان الموقف اصبح غير محتمل ، بعد وقوع ٢٥ حادثا فى منطقة بيسان جنوبى طبرية خــلال الايام الماضية ٠

■ ١٠ ديسمبر ١٩٦٧ ــ اليوم الاسرائيلية : صرح الجنرال اسحق رابيــن رئيس اركان الجيش الاسرائيلــى ، فــى مؤتمر صحفى عقده امس ان عمليات التخريب قد فشلت فى بلوغ اهدافها الاساسية ، وهى خلق التوتر السياسى بيـن السكان العرب فى المنـاطق التى يسيطر عليهــا جيش الدفاع الاسرائيلى ٠

■ ٢٩ يناير ١٩٦٨ ــ كريستيان ساينس مونيتور الامريكية : اعلن موشى ديان امام البرلمان الاسرائيلى ان نحــو ١٢٤٠ ارهابيا عربيا ، قــد قبض عليهم منذ حرب يــونيو ٠ واعلن الجنرال فى حــديث اجــرته معــه الاذاعــة الاسرائيليــة ، انه يعــارض معاقبة « المخربين » بالاعدام ، على اساس « ان اعدامهم لن يؤدى الاالى رفعهم الى مرتبة الشهداء » ٠

المقــاومة المسلحة تصعد عملياتها ٠٠

■ ١٦ فبراير ١٩٦٨ ــ دافار الاسرائيلية : استعرض حاييم بارليف رئيس هيئــة اركان الجيش الاسرائيلى مــراحل الاشتباكات بين قوات المقاومة وبين الاسرائيليين فــاوضح انها بدات باعمال التسلل الى المســتعمرات الاسرائيليــة ، ولكن الخطوات التى اتخذها الجيش الاسرائيلى ، حــالت دون قدرة المخربين علــى التسلل ٠ وفى اعقاب ذلك التجا المخربون الى وســائل اخــرى ، وخصــوصا زرع الالغام بقصد اصابة اهداف خارج المستعمرات مثل مرافق المياه وغيرها ٠

وبعد نجاح قوات الامن فى اعمالها ضد المخربين وقتــل الكثيــرين منهــم ، اخــذوا يستخدمون الوسائل التــى يتبعها « الفيت كونج » ، وهى اطلاق النيران من مــدافع الهاون على المستعمرات ٠

■ ينــاير ١٩٦٨ ــ مجلة برسبكتيف فرانس اسرائيــل الفرنسية : صرح الجنــرال حــاييم بارليف لصــحيفة « جيروزاليم بوســت » بانه « فيمــا يتعلق بالعصــابات المسلحة ، فــان « الارهابيين » مازالوا قادرين علــى ان يسببوا الخسائر هنا وهناك ، ولكن ثمة اجراءات اتخــذت ازاءهم ، ومازلنا فى انتظار النتائج ، ولست استطيع ان اعد بوقف هذه العمليــات ، وان كانت ستهبط الى اقصى حد ممكن ٠

■ ٢٦ مــارس ١٩٦٨ ــ دافار الاسرائيلية : اكد ابا ايبان ،

عقد اجتماعه بمايكل ستيوارت وزير الخارجية البريطاني : « ان منظمة الفتح في الاردن ، اتخذت في الفترة الاخيرة ، صفة تختلف تماما عما كانت عليه في الماضي ، **وانها تعمل الان علنا كجيش بكل مالهذه الكلمة من معنى ، وليست كعصابات سرية صغيرة** » .

العنف مع محاولة التفاف حول العمل الفدائي

■ **١١ ابريل ١٩٦٨ — لوموند الفرنسية** : قال حاييم بارليف رئيس الاركان ردا على اسئلة المستمعين في الاذاعة « انه ليس من المستبعد ان نلجأ الى الارهاب المعتاد كوسيلة للقضاء على الارهابيين ، ومع ذلك حذر مستمعيه **بالا يتوهموا ان مثل هذه الطريقة قد تؤدي الى نتيجة حاسمة** . واضاف بارليف : **ان الارهاب العربي قد اصبح مشكلة الامن اليومية** ، ولكنه لاينبغي ان يجعلنا نغفل عن المشكلة التي يثيرها التهديد العربي . وهو يرى : ان الارهاب لن يصفى الا اذا امكن التوصل الى حل لمسألة وضع الفلسطينيين ، وانتظارا لذلك سيكون من المستطاع في نظره — انقاص نشاط الجماعات المسلحة باستخدام طرق جديدة سواء كانت هجومية او دفاعية .

■ **١٧ ابريل ١٩٦٨ — كريستيان ساينس مونيتور الامريكية** : « يؤيد **ناثان يلينمور** الذي كان زعيم اكثر منظمات الارهاب تطرفا ايام الانتداب البريطاني ، ونعني بها جماعة شتيرن ، يؤيد الان فكرة انشاء دولة فلسطينية ، على غرار سويسرا .

وحينما سئل عما اذا كان لايشارك الاسرائيليين الاخرين قلقهم من احتمال استيلاء الارهابيين العرب على مثل هذه الدولة ، اجاب بقوله ، **اعتقد انه من الواجب علينا مفاوضة « الارهابيين » فقد اصبحوا الشخصيات الجديدة التي ينبغي ان نتوجه بالحديث اليها** .

■ **٣ مايو ١٩٦٨ — لوموند الفرنسية** : اوضح ابا ايبان وزير الخارجية في حديث اجراه مع اندريه شيمساما محرر « لوموند » انه « قد تتمكن حركة الفتح من الحاق بعض الاضرار بنا ، لكنها تعجز عن تغيير الواقع الجغرافي والسياسي ، فهي لن تستطيع الاستحواذ على شبر واحد من ارضنا ، وما تستطيعه هو الابقاء على جو من التوتر والقلق ، لايمكن ان يغير اي شيء كان في الحقائق الاساسية . **فهذه الحركة ليست حركة مقاومة اصيلة تتطلع الى تحرير امة : وانما هي تدخل خارجي ليس له من هدف سوى القضاء على حرية وطنية مكتسبة** .

■ **٦ اغسطس ١٩٦٨ — هاآرتس** : قال ابا ايبان : ان « منظمة الفتح لاتستطيع ان تحدث تحولا في الوضع القائم ، ولكنها تستطيع فقط منع الاستقرار على خط وقف اطلاق النار ومنع التقدم نحو السلام » .

■ **١١ اغسطس ١٩٦٨ — دافار** : قال ديان : ان الحرب الارهابية امر صعب . فكثير من الارهابيين يقتلون ، ونحن ايضا نتكبد خسائر ، وانني عندما رأيت قتلاهم في عين باحاف ، فزعت لهذا المنظر ، واني آمل ان ارى هذا اليوم الذي تتوقف فيه عمليات القتل هذه واننا لانتوقع ان يسلم رؤساء البلديات للسلطات الاسرائيلية أعضاء « جماعات التخريب » كما اننا لانقدمهم للمحاكمة لعدم قيامهم بذلك . ولكني **اتوقع في قرارة نفسي ، ان يخبروا « المخربين » بانهم لن يسلموهم للسلطات ، ولكن يجب ان يبتعدوا عن اماكنهم** ، واذا قام السكان بحماية المخربين في بيوتهم ، او مدهم بالطعام فاني اقول لهم ، انهم بذلك يقومون بدور في عمليات الارهاب . وسينال كل شخص عقابه بناء على ذلك ، والامر واضح بالنسبة للسكان : **فاما التعاون مع فتح وتحمل النتائج ، او الوقوف على الحياد في هذه الحرب وتركها للجنود** » .

■ **٢٠ اغسطس ١٩٦٨ — صحيفة معاريف الاسرائيلية** : قال الوزير **يوسف سابير** « انه يجب النظر الى حوادث « الارهاب » العربي باعتبارها حقيقة تثبت ان الدول العربية تواصل حرب الايام الستة بطرق اخرى .

■ **١٣ سبتمبر ١٩٦٨ — عل همشمار الاسرائيلية** : قال **موشي ديان** فيما يتعلق بمحاربة الارهاب : ان الحرب ضد الارهاب متنوعة ومركبة . فهي تبدأ بمنع مرور الفدائيين من الحدود وتمتد الى قصف مدن السلط وأربد وغزو الكرامة . فهي في جزء منها تجرى في المناطق المحتلة ، وفي جزء آخر تمتد الى القبض على الفدائيين بعد أن يقوموا بعمليتهم ، ولا يجب الفصل بين اجراءات العقاب مثل نسف المنازل وعمليات السلط والكرامة ، وأعمال المخابرات للقبض على من ينفذون العمليات ، والاعتقالات التي تحدث بعد العملية ، كل هذه الاجراءات تمثل كلا واحدا ، تشارك فيه الشرطة والجيش وأجهزة الامن الاخرى .

■ ١٦ سبتمبر ١٩٦٨ — **صحيفة هاتسوفيه (الحزب الديني القومى) : صرح اسحق رابين** بأن اسرائيل ستواصل محاربة الارهاب العربى بجميع الوسائل التى لديها ، وخصوصا العمليات الانتقامية التى ستستمر على الرغم من ادانة الامم المتحدة ·

ووصف رابين هجمات الارهابيين بأنها أكبر معوق لبناء البلاد ، وربط بين ازدياد عمليات التخريب وحوادث اطلاق النار على طول قناة السويس والحدود مع الاردن ، بالسيطرة على تشيكوسلوفاكيا وقال : ان هذه الخطوة السوفيتية أدت الى ازدياد التوتر فى الشرق الاوسط ، لان العرب يقدرون القوة ·

التقليل من فعالية العمل الفدائى

١٧ سبتمبر ١٩٦٨ — صحيفة معاريف (مستقلة) : وقال ديان فى تقريره عن الدفاع والذى قدمه الى مؤتمر حزب العمل أنه « بالنسبة لعمليات منظمة « فتح » فانه من الجدير بالذكر أنهم لم ينجحوا ، **وأنهم غير ناجحين فى تحقيق هدفهم فى المجال العسكرى والشعبى** ، فهم لم ينجحوا فى أن يثيروا عنادا شعبيا ، ولم يحققوا مكاسب فعلية فى عملياتهم الارهابية · يجب أن نعيش مع العرب ويجب أن يعيشوا هم معنا » ·

■ **١٧ سبتمبر ١٩٦٨ — صحيفة معاريف (مستقلة) :** قال حاييم بارليف رئيس أركان الجيش الاسرائيلى فى حديثه الاذاعى ، عن عمليات اختطاف الطائرة وعن عمليات التخريب فى القدس وتل أبيب : « اننى لا أعتقد أن هذه العمليات تدل على تحسن أعمال الفدائيين أو تغير فى قدرة المنظمات الفدائية · ان التغيير الاساسى ، نابع من عجزهم عن العمل بالصورة التى كانوا يعملون بها منذ سنة ، وهى الدخول عبر الحدود ·

وبقدر ما نستطيع فى تحديد قدرة الارهابيين على الدخول الى أراضينا عبر الحدود ، بقدر ماينشدون هم طرقا أخرى للاضرار بنا » .

« وأثق أنه يمكن العثور على ردود وحلول لمثل هذه الحوادث ، واننى لا أعتقد مثلا أن حادثا مثل اختطاف الطائرة يمكن أن يحدث ثانية .

وقال رئيس الاركان عن ابعاد قواعد الفدائيين عن الحدود : « حقيقة أن المخربين قد اضطروا الى توزيع قواعدهم الكبيرة التى كانت ملتصقة بالحدود ، والابتعاد عن الحدود ، وبعثرة قواتهم ، قد ظهرت دلائلها فى ضعف قدرتهم على الدخول الى اراضينا .

كذلك فانهم لو أتبعوا طرقا جديدة ، فان الدخول سيكون أمرا عسيرا ومعقدا بينما لا يستطيعون اقامة قواعد كبيرة لهم بالقرب من نهر الاردن ·

ديان يقدم تقريرا

■ **٢٠ اكتوبر ١٩٦٨ — هاآرتس (اسرائيلية مستقلة) :** من خطاب **موشى ديان** وزير الدفاع ، فى مؤتمر الطلاب : « أريد أن أقول فيما يتعلق بحرب الارهاب ، اننى لم أستخف بها يوما أو حتى مرة ، اننى لم أستخف بهذا الموضوع منذ اليوم الاول ، وأننا نبذل وندفع الكثير فى هذه الحرب · انهم لم يحققوا حالة حرب العصابات بمعنى الحالة التى كانوا يريدون تحقيقها فى أن تكون هناك جماعات مسلحة تطوف المدن أو الجبال ، وتلقى المساعدة فى حربها من قبل السكان فى المنطقة التى يشنون فيها حربهم ·

فلقد كان هذا فى الواقع ، مشروعهم ، وهو أن تأتى جماعة مسلحة الى نابلس أو جنين أو ضواحى غزة ، فتشن الحرب وتلقى المساعدة ، ليس فقط من ناحية الغذاء والتموين ، بل أيضا فى الحصول على مخابىء وملاجىء ، ومساعدة طبية ، وكذلك فى انضمام رجال من بين السكان اليهم ، وطبقا لخطتهم ، فكان المفروض أن تبدأ فى جميع المناطق حرب العصابات · ولكن هذا لم يتحقق · ذلك أن القرويين ، لم يستجيبوا لهم ، وما هو أكثر أهمية من ذلك ، فهو أن جيش الدفاع الاسرائيلى ، لم يمكنهم من عبور الحدود والتجول فى الجبال ، ومن حاول العبور أعتقل ، ومن وصل الى الجبال أعتقل مؤخرا أو مبكرا · ان الجماعات المسلحة لا تطوف بالجبال ولا تشن حربا هنا · لقد فشلت خطتهم الاولية وهزموا فيها ·

وفى مقابل هذا ، فلقد حققوا بالنسبة لموقفهم فى البداية حرية عمل أكثر فى الاردن · اننى لا أقول الان شيئا عن مصر ، اننى أتكلم عن الاردن · ان هذه الحرية التى حصلوا عليها فى الاردن تتيح لهم أن يمارسوا أو يشنوا جزءا كبيرا من الحرب بالقرب من الحدود ، وعلى طول الحدود ، هم يضربون ويفتحون النيران سواء على المستعمرات أو على مواقع

الجيش ، ويضعون الالغام بالقرب من الحدود من ايلات وحتى بحيرة طبرية ٠

وأريد فى هذا الموضوع أن أقدم مجموعة من الارقام التى ربما لا يكون من الممتع أن نحصرها ولكنه يجب علينا أن نعرف ذلك ٠ علينا أن نعرف ذلك لانه اذا كان فى الحقيقة لن يوجد سلام ، فاننا سنظل فى حالة نضطر معها لان نعيش فترة طويلة فى التوتر الحالى ، ويجب أن نكون مستعدين لذلك ،يجب أن نعلم ما هو طابع هذه الحياة التى قد نضطر الى أن نعيشها ٠

اننى أريد أن أقدم عدد ضحايانا ومن جرحوا من جانبنا فى الحرب ، كان لدينا ٧٥٠ قتيلا ، ٢٧٧٣ جريحا والمجموع الكلى ٣٢٢٣ مصابا ، وبعدالحربفان لدينا حوالى ٢/١ هذا العدد من الضحايا . ففى مقابل ٣٥٠٠ ضحية فى الحرب ، اصيب فى مدى سنة ونصف ١١٥٦ بين مصاب وقتيل منهم ٢٣٣ استشهدوا و ٦٧٣ جرحوا وهذا دون حرب ٠

ويجب أن نقول شيئا حول عمليات الفتح فى الفترة الاخيرة ، وهو أن هناك نسبة كبيرة من الفلسطينيين أى من السكان المحليين ، ومن أبناء العائلات الطيبة تشترك فى هذه العمليات ٠ وهذا يحتوى على مغزى غير ايجابى بالنسبة لنا ، فليست العصابات وحدها هى التى تعبر نهر الاردن ، بل أيضا يوجد معهم أفراد من السكان المحليين ، **ان هذه العمليات التى يقوم بها « ابناء الطيبين » فى حيرون والقدس نجد أن بعضهم من العرب الاسرائيليين ٠ وحقيقة انه يوجد فى عمليات الارهاب تغيير معين بالنسبة للماضى وذلك باشتراك شباب وسكان محليين فى هذه العمليات ، فان هذا يعد تغيرا غير ايجابى بالنسبة لنا ٠**

على الرغم من الجهود التى نبذلها فى محاربتهم طول الفترة التى امتدت فيها هذه الحرب الارهابية ، **فانهم يستطيعون حتى بالطرق البدائية للغاية ، ان يلحقوا بنا خسائر فادحة** مثلما حدث فى حفارة المكفيلة ٠ واذا كان ذلك سينجح مرة فى سينما أو فى محطة أتوبيسات أو فى حشود من المواطنين ، فان علينا أن نعرف هذا ، ويجب أن نبذل أقصى طاقتنا لمنع هذا بقدر الامكان ، ولكنه يجب قبل أى شىء أن نعلم ، انهم قد يحصلون على نجاحات طيبة فى المستقبل أيضا ٠

«ارهاب» أم حركة تحرير؟

■ **٥ يناير ١٩٦٩ — لافيجارو الفرنسية :** قال أبا ايبان ردا على سؤال لمراسل الصحيفة حول امكانية أن تصبح منظمة فتح فى يوم من الايام منظمة معترفا بها (؟) « هذا أمر مشكوك فيه ، اذ يمكننا أن نتناقش من الاردن حول الحدود ٠ هذا فى حين تشكك منظمة فتح فى وجود اسرائيل نفسها وايديولوجيتها ، فتستبعد بالتالى كل امكانية للحوار ٠ وعلى أية حال فالبعض يبالغ فى وصف الاهمية الحقيقية لمنظمة فتح **التى ليس لها اقليم ولا جيش** ٠ ويبدو لى أنه بمجرد ان يبرم اتفاق بين اسرائيل والحكومات العربية ستتفكك هذه المنظمة ٠

منظمة سيناء

■ **٧ يناير ١٩٦٩ : قال موشى** ديان فى حديث له أمام الكنيست ، واذاعه راديو تل أبيب : « انه ليس ثمة زيادة فى الاعمال التخريبية ٠

■ **١٩ يناير ١٩٦٩ — دافار الاسرائيلية :** قال ييجال الون نائب رئيس الوزراء : « ان منظمات الارهاب قد بدأت جهودا للحصول على مكانة سياسية فى العالم بواسطة الاعلام الكاذب ، من انهم يشكلون حركة التحرير القومية للشعب العربى ، وان هذه الدعاية الكاذبة تتغلغل فى الراى العام العالمى ، كما ان لها اتجاهات فى اسرائيل ٠ والحقيقة ان هدف هذه المنظمات هو الارهاب

■ **٢٦ يناير ١٩٦٩ — هاآرتس (الاسرائيلية) :** قال ييجال الون فى محاضرة له بمعهد وايزمان فى رحوفوت : « انه ليس هناك مايدعو للخشية من ان تصل منظمات الارهاب العربية الى الوضع الذى تحظى به الفيت كونج ، فهناك فرق شاسع بين المنظمتين ، فالفيت كونج هى احدى القوى المحاربة البارزة فى عصرنا ، وقد حظيت بنجاح غير عادى فى المجالين العسكرى والسياسى معا ٠

وفى مقابل ذلك ليس لمنظمات الارهاب العربية اى نجاح حقيقى ، وان كان بينهم اناس معدودون قد اظهروا شجاعة وبطولة فان ذلك لايشكل بالنسبة لنا مشكلة جدية .

■ **١٢ فبراير ١٩٦٩ — كوريرى ديللاسيرا (الايطالية) :** قال ابا ايبان « ان رجال منظمة الفتح لايملكون حتى الوقت الحالى ، تلك الاهمية التى تمكنهم من ان يحلوا محل الدول العربية التى حاربت فعلا ضد اسرائيل ، وان يكونوا متحدثيها على مائدة مفاوضات السلام » ٠

مركز اشتعال شعبي

■ ١٦ فبراير ١٩٦٩ — هاآرتس : قال موشي ديان في اجتماع له مع منظمه الامهات العاملات بيافا : « ان العرب لايريدوننا ، ولسنا نريد وضعا تتحول فيه المظاهرات الى معسكرات احتشاد واطلاق للنيران والقتلى ، فنجد انفسنا في مركز اشتعال شعبي ، لايكتفي بتأييد الارهابيين العرب ، بل يعمل على توسيع نضاله . واليوم يوجد نضال فعال ضدنا ، واننا نعمل بكل الوسائل العسكرية ، اي أننا لانطلق النار على من يرفع يديه الى أعلى ، ولا نطلق النار على ارهابي اسير ، وان الاهالي العرب في المناطق المحتلة لايبدون جميعا الالغام ، ولايلقون بالقنابل اليدوية . ويجب ان نعمل جاهدين كي لانجمع بين الاهالي العرب ، والارهابيين .

■ ١٧ فبراير ١٩٦٩ — مجلة نيوزويك الامريكية : قال ليفي اشكول ردا على سؤال حول ما اذا كان رجال الكوماندوز الفلسطينيون — الفتح والفدائيون — يشكلون عاملا سياسيا هاما في الشرق الاوسط ؟ : « لا اريد ان افاخر ، ولكن الفدائيين حشدوا عددا كبيرا من رجالهم . وكثيرون يتركون هذه الحركة بعد ان دب اليأس في نفوسهم — ولست اعتقد ان الفدائيين ستكون لهم اهمية كما يميل بعض الناس الى الاعتقاد في الدول الغربية ، **ولكن اذا ارادت منظمة فتح ان تتحدث معنا بطريق مباشر فلن نقول لا .**

■ ٢٥ فبراير ١٩٦٩ — لرحاف : قال الياهو ساسون وزير الشرطة في بيان له امام الكنيست باسم الحكومة « ان اسرائيل لن تستطيع ان تتجاهل الاعمال الدموية التي يقوم بها المخربون ضد المواطنين الاسرائيليين ، واذا كان هدف الحكام العرب هو احداث قلقلة عن طريق الارهاب ، في وضعنا ، لارغامنا على الموافقة على شروطهم ، فانه عبثا مايفعلون .

■ ٢٦ فبراير ١٩٦٩ — دافار : قال ابا ايبان في حديث له امام الكنيست : « ان دولة اسرائيل غير مهتمة بالسلام الذي بعد ان يتحقق ، يخلي مسئولية الدول العربية من استمرار اعمال الارهاب ، وان المنع التام والقضاء النهائي على اعمال الارهاب ، يجب أن يكونا مندمجين في كل اتفاقية سلام سنصل اليها .

لا ضمان .. مع وجود الفدائيين

■ ٦ مارس ١٩٦٩ — هايوم (الاسرائيلية) : قال موشي ديان في المؤتمر الاقليمي للاطباء والاساتذة ورجال العلم والبحث العلمي :« انه لا هو ولا رئيس هيئة الاركان ، يستطيعان ان يضمنا عدم وجود اي عمل ارهابي ، وفضلا عن ذلك ، فمما لاشك فيه انه طالما ان « فتح » قائمة ، فانه لابد ان تحدث عمليات تخريب بين الفينة والاخرى ، ومع ذلك فان هناك نشاطا كبيرا يجري من قوات الامن لوقف المخربين قبل خروجهم الى العمل ، وللايقاع بهم اذا ما انفذوا عملهم .

■ ١١ مارس ١٩٦٩ — قال موشي ديان في تصريح له اذاعه راديو تل ابيب « ان ثمة دلائل حقيقية على ان الصين تساعد المنظمات الارهابية العربية ، وقد تدربت مجموعات من المخربين هناك ، وقد عثر مع المخربين على اسلحة من انتاج الصين .

وان ثمة حشودا « للمخربين » في جنوب شرق لبنان ، وانه قد حدثت خلال الشهور الثلاثة الماضية ،احدى عشرة عملية تسلل وتخريب من الاراضي اللبنانية و ٤٢ عملا تخريبيا في سيناء .

■ ■ ■

٢ والصحافة الإسرائيلية ترصد المقاومة

■ ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ — كول هعام (حزب ماكي المنشق من الحزب الشيوعي) : ذكرت اوساط الحكم العسكري ان نشاط رجال المقاومة انكمش في المدة الاخيرة بصورة واضحة ،وعلم أنه منذ نشوب حرب الايام الستة نسفت جميع منازل المواطنين الذين اتضح انهم كانوا على علاقة مع منظمة الفتح في طولكرم

■ ٦ ديسمبر ١٩٦٧ — اليوم (الهستدروت) : ان الذين يشرفون على الاعمال

التخريبية وينظمونها ، والذين يبعثون بالمخربين لتنفيذها تحت جنح الظلام يوهمون انفسهم اذا كانوا يظنون بأن مثل هذه الاعمال الاجرامية تحل مشكلة ،او تحسم امراً.

لقد صرح وزير الدفاع موشى ديان مؤخرا بأن الهدوء لن يستتب فى الجانب الاخر من خط وقف النار الا اذا استتب فى الجانب الاسرائيلى منه .. ومثل هذه الاعمال التخريبية الاجرامية هى سلاح ذو حدين يرتد الى صدور الذين يستخدمونه فى نهاية الامر .

١٠ ديسمبر ١٩٦٧ — هاثوم : وتحت عنوان من اجل زيادة الوعى ازاء اعمال الارهاب كتبت تقول « ان الهجوم الذى قامت به عصابات الفتح فى احد احياء بتاح تكفا وضربه بالمدافع ، انتهى بدون ان يسفر عن أية نتيجة مثل بقية السلسلة الطويلة فى الهجمات التى قام بها رجال الفتح وعصابات المخربين والارهابيين .

ولكن ينبغى فى الوقت نفسه ، عدم الاستهتار بهذا الهجوم الذى كان سيؤدى الى وقوع ضحايا وخسائر فى الارواح ، كما ان هذا الهجوم يعتبر دليلا على وسائل التدريب المتقدمة التى اصبحت تستخدمها عصابات المخربين، وتدل على الجرأة والاقدام ، ومع ذلك فان هذه الحادثة لا تستدعى الخوف .

وعندما نستعرض نتائج الاشهر الستة ، لاعمال سلطات الامن فى القضاء على العصابات ، نجد ان الانتصارات غير عادية . وقد تم القبض على اكثر من ٥٠٠ شخص من رجال الفتح من بينهم كبار الضباط ، وتم القضاء على العشرات منهم الذين التجأوا الى المقاومة المسلحة ضد قوات الامن .

وخلال هذه الحملات تم القضاء على هذه الوحدات المسلحة لعصابات المخربين ، وهدم المخابىء ومخازن الاسلحة ، وعلى الرغم من كل ذلك لم يتم بعد القضاء على جميع مصادر الارهاب والتخريب ، لان المخربين يواصلون التسلل من سوريا عن طريق الاردن الى مناطق الضفة الغربية .

وعلى ضوء هذا الوضع ينبغى تجنيد كل شاب وفتاة للخدمة العسكرية لمدة بضع اسابيع للتدريب على اعمال المقاومة

ولكن ينبغى عدم تجاهل الناحية السياسية والعسكرية لهذه المشكلة . . وينبغى على حكومة اسرائيل ان تعطى رأيها فى ذلك فى اقرب وقت ، وينبغى ان تقرر مزيدا من الوسائل والاجراءات الجديدة التى تكفل القضاء على الارهاب والتخريب وخصوصا ضرب قواعد الارهابيين وراء الحدود .

ان اعمال القتل والتخريب التى يقوم بها رجال الفتح ، فشلت ولم تحقق هدفها كما هزت جيوش العرب .

■ **٢٩ ديسمبر ١٩٦٧ — هايوم :** ينبغى على سلطات الامن ان تتخذ جميع الوسائل المتوفرة لديها لتفتيت العصابات الموجودة فى قطاع غزة .

ويسود الانطباع بين الجمهور انه بسبب اعتبارات معينة اخذ سكان قطاع غزة يتمتعون بمعاملة تحريرية من قبل بعض الدوائر الاسرائيلية ، وتعتبر تلك المعاملة سابقة لاوانها .

ان عدم مبالاة اهالى القطاع ازاء المخربين او التعاون السلبى او الايجابى معهم سيتحول فى نهاية الامر الى غير صالح الاهالى انفسهم . وعليهم ان يدركوا ان الحكم الاسرائيلى مضطر لان يرد بعنف على اعمال وضع الالغام .

■ **١٩ يناير ١٩٦٨ — معاريف (مستقلة) :** ان المنظمات الارهابية لن تكون طرفا فى اتفاقية السلام ولا يعتبرون انفسهم خاضعين لتعليماته .

وربما يعزو زعماء هذه المنظمات انسحاب اسرائيل الذى سوف يترتب على اتفاق السلام انه نتيجة اعمالهم الارهابية ، وسيصبح النجاح الذى لا يوجد الا فى خيالهم مصدر توجيه لاعمال حربية اخرى وطبعا سوف يتحسن مركزهم عما هم عليه حاليا لانهم يخشون من اعمال انتقامية اسرائيلية فلا يعقل ان تنقض اتفاق السلام .

محاولات لتقييم العمل الفدائى

■ **٢٥ يناير ١٩٦٨ — معاريف (مستقلة) :** وفى نطاق هذا التقسيم يمكن تمييز المنظمات التى اشتركت فى مؤتمر توحيد المنظمات الارهابية فى القاهرة . فقد قامت بتنظيمه منظمة الفتح واشتركت فيه ٨ منظمات من بين ١٢ منظمة ارهابية عربية والمنظمات الاربع التى قاطعته هى منظمة الحركات الثلاث التى تكون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ويمكن اعتبار عقد هذا المؤتمر نجاحا لطرق النضال فى المستقبل من الناحية النظرية .

ولكن من الناحية العملية فان هذا المؤتمر يعد فاشلا لانه فيما عدا منظمة الفتح فليس هناك قيمة للمنظمات المشتركة فيه ٠

اما المنظمات التى قاطعته فلها اهميتها الكبرى ٠ وهذا يتضح اذا اخذنا فى اعتبارنا الامكانيات الكبرى التى لدى منظمة التحرير الفلسطينية ولدى يحيى حموده ، فان لهذه المنظمة ميزانية حددتها مؤتمرات القمة العربية وانشىء فى نطاق المنظمة جيش فلسطينى خاضع لقيادات الجيوش التى يقام فيها ٠

وبعد هزيمة حرب يونيو نجد ان لدى هذه المنظمة امكانيات ليست متوفرة لدى المنظمات الاخرى فانها تضم ضباطا تدربوا فى الكلية الحربية بالقاهرة ، والدول العربية الاخرى يقومون بالاشراف على العمليات الارهابية ويعملون على رفع مستوى هذه العمليات ٠

ولقد فشل مؤتمر القاهرة فى مهمته الرئيسية فلم يستطع تكوين نطاق موحد ولم يصل الى نظام بشأن تنسيق النشاط الارهابى فى المناطق المحتلة رغم ان المنظمات الثانية التى اشتركت فى مؤتمر القاهرة قررت الاندماج فى ٣ هيئات العاصفة والصاعقة وخالد بن الوليد ٠ ولم تحل المنظمات الثانية بل قررت العمل فى نطاق هذه الهيئات الثلاث وكونت هيئة للتنسيق بينها ٠

ان الجدل بين المنظمات الارهابية لا يعمل على اضعاف العمليات التخريبية بل على زيادتها ، فهناك الان منافسة بين الفتح ومنظمة التحرير الفلسطينية لايجاد طرق عمل جديدة فى المناطق المحتلة ٠

■ **٢٥ ابريل ١٩٦٨ — هايوم** : ينبغى ان نتحدث بوضوح عن المقارنة بين الفيت كونج والمخربين العرب ٠

اننى لست اعتقد ان رجال الفيت كونج احسن حالا ، ففى رأيى انهم سفاحون متوحشون مثل رجال الفتح تماما ، ومع ذلك هناك فارق مبدئى بين هؤلاء وهؤلاء ٠ فالفارق الاول هو ان الفيت كونج يريدون تحويل نظام اجتماعى معين الى نظام آخر وهو النظام الشيوعى ٠ فهم لم يقوموا فى البداية ضد محتلين اجانب ، بل ضد النظام البرجوازى فى بلادهم ووعدوا باعادة توزيع الاراضى وتخليص الاهالى من الضرائب والديون ومحاربة البيروقراطية وغير ذلك ٠ ومن اجل هذه المطالب الاجتماعية فان الشباب المثقف فى الدول الغربية ينظر الى رجال الفيت كونج بانهم مقاتلون من اجل الحرية وهم يغفرون لهم جميع اعمالهم ٠

ولكن هؤلاء الارهابيين (العرب) لم يرفعوا شعارات تدعو الى ثورة اجتماعية لا فى الاراضى الاسرائيلية السابقة ولا فى الضفة الغربية وغزة ٠ فهم يتحدثون وكانهم ينتمون الى جيش وطنى مستعد للحرب حتى عندما يضطر الجيش الاردنى او السورى الى المحافظة على وقف اطلاق النار ،

وهناك فارق كبير آخر بين الارهاب العربى من جهة وبين ارهاب الفيت كونج والحركة السرية الفرنسية من جهة اخرى ، ان حركة الفيت كونج تعمل بين شعبها ، واما داخل المناطق التى حررتها اسرائيل فلم تعد قائمة لمنظمات الارهاب ٠٠ ان المخربين يجيئون من الخارج مثل الفيتناميين الشماليين ، وبما انه لم يبق امام الولايات المتحدة اى مبرر سوى معاقبة فيتنام الشمالية بسبب تسلل جنود الشمال للجنوب ، كذلك ينبغى علينا نحن ايضا تدمير تجمعات المخربين ، ولم يبق الاختلاف فى اسرائيل الا حول الوسائل من الجو او الزحف والاحتلال ٠

حركة الجماهير تزعجهم

■ **٦ يونيو ١٩٦٨ — دافار (الهستدروت)** : الاضراب العام الذى دعت اليه فى المناطق العربية المحتلة حكومتا مصر والاردن ومنظمات الفدائيين وبعض الزعماء المحليين الفلسطينيين ، حقق نجاحا كاملا فى القدس الشرقية ونابلس وشمرون ،بينما اخفق تماما فى قطاع غزة وشمال سيناء وفى قرى هاتين المنطقتين ، ويرجع « النجاح الجزئى » للاضراب كما وصفته « لجنة التوجيه القومى » او « الفشل النسبى » كما يسميه رجال الحكم العسكرى الى خلاف الرأى بين رجال الزعامة المحلية الفلسطينية من جانب ومن جانب اخر لانعدام الرغبة لدى السكان فى الوقوع فى اشكالات بالاضافة الى اجراءات القمع التى اتخذتها سلطات القمع العسكرى واستعراض القوة المحدود الذى قامت به المدرعات الاسرائيلية بهدف اثبات وجودها فى مدن المناطق المحتلة ٠

■ **٧ يونيو ١٩٦٨ — هايوم (يمينيه معارضة)** : خرجت أمس النساء المكفهرات الوجوه ، والفتيات بالملابس السوداء وهن يحملن باقات من الزهور فى مسيرات حداد فى القدس ورام الله ونابلس احياء لذكرى شهداء حرب

يونيو ١٩٦٧ · ثم خرجت بعد ذلك مظاهرات ضمت أعدادا كبيرة من الشباب والفتيات من معسكرات اللاجئين بالقرب من رام الله وكان المتظاهرون يقذفون السيارات الاسرائيلية بالحجارة ».

وكانت النساء والمتظاهرون يحملون اللافتات عن حرب الايام الستة وكان الشباب يهتفون « عبد الناصر ·· عبد الناصر الكبير »

وفى الساعة التاسعة بدأت مسيرة حداد من رام الله اشترك فيها ٣٠٠ من النساء وفتيات المدارس · وسارت المتظاهرات من مدينة رام الله الى مدينة البيرة حتى وصلت الى المقابر الاسلامية وفى هذه اللحظة اخذت المتظاهرات يقذفن الحجارة على السيارات الاسرائيلية ، ويطلقن الهتافات المعادية ، وقد تم تدمير العديد من السيارات ، ووقعت أضرار كبيرة ·· ثم وصلت قوة كبيرة من الشرطة الى مكان المظاهرات وفرقوها واعتقلوا بعض الشباب ·

ثم خرجت مسيرة حداد أخرى من النساء من رام الله الى القدس ، وانضمت الى نساء القدس المتظاهرات وذهبن الى مقابر الشهداء · ووضعت النساء باقات الزهور على النصب التذكارية التى أقاموها للشهداء بدون اذن خاص · وأحد هذه النصب التذكارية هو للجندى المجهول الذى سقط فى يوم الخامس من يونيو ١٩٦٧ ·

أما فى نابلس فقد اشترك فى المظاهرات ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف تلميذ من المدارس وسارت المظاهرة من الميدان الرئيسى للمدينة · وكانت الفتيات يحملن باقات الزهور ولافتات كتبت عليها العبارات التالية « فلسطين عربية » · كلنا فتح « عبد الناصر حبيبنا وغدا الى تل أبيب »

·· ومن المقابر تظاهرت الفتيات بانهن ذاهبات الى المدارس ولكن سرعان ما نظمن مظاهرات أخرى وسارت فى الشوارع الرئيسية لمدينة نابلس وهن يصفقن ويرقصن فى الشوارع ويهتفن « عبد الناصر يا حبيب ·· كلنا فتح » وقد سارت أمس مسيرات حداد أخرى فى القدس وسار المتظاهرون الى المقابر الاسلامية والمسيحية ثم عادت الحياة الى مجراها الطبيعى فى القدس ، وأعيد فتح المحلات التجارية فى أعقاب الاضراب · وفى الساعة الرابعة بعد الظهر تجمعت المئات من النساء والشبان فى المقابر الاسلامية بالقرب من بوابة الاسود وأقيمت هناك صلاة اسلامية مسيحية مشتركة ترأسها رئيس طائفة اليونان الارثوذكس ومفتى القدس سعد الدين العلمى ·

■ **٦ يونيو ١٩٦٨ — هاآرتس :** وفى المقال الرئيسى وتحت عنوان احتجاجات بمناسبة الخامس من يونيو ···· كذلك فقد حرك موعد الخامس من يونيو أيضا عناصر وطنية بين عرب القدس الشرقية والمناطق المحتلة ليقوموا بأعمال قصد منها ابراز واظهار عدم تسليمهم بالسيطرة الاسرائيلية بكل الصور الممكنة ·

ومن المؤكد أن الفشل الكامل الذى تعنيه الجهود التى بذلت فى هذا الصدد فى يوم الاستقلال هو الذى حفز هذه العناصر الوطنية من أجل زيادة نشاطها ···

لقد نجحت المظاهرة فى القدس الشرقية فقط ، ولقد شمل الاضراب كل نواحى الحياة الدراسية والتجارية بصورة كاملة فى نابلس وطولكرم فقط · أما فى سائر المدن فكان الاضراب جزئيا وبدرجات مختلفة ولم تتحقق الصورة التى تطلع منظمو الاضراب الى خلقها لاثبات ان الخامس من يونيو يعتبر فى نظر كل العرب فى جميع أماكن سكناهم يوم حداد قومى ·

ومع ذلك يجب ألا نقلل من نمو ووزن هذا النجاح الجزئى · فان خروج الف **شخص فى مظاهرة فى شوارع القدس العتيقة ليس بالامر الهين** ، وقد شمل الاضراب كل التلاميذ وبصورة عامة فلقد دلت الاحداث على أن الشعارات الوطنية التى رددتها محطات الاذاعة فى العواصم العربية تستطيع أن تقود الزعماء المحليين ·

··· ومع ذلك فانه فى حجمه المحدود هذا يدل على انتعاش محدود للوطنيين العرب ·

السلام بعيد

■ **٧ يونيو ١٩٦٨ — هاآرتس (مستقلة) :** ···· وشكل استئناف أعمال التخريب واغراق المدمرة ايلات تذكرة للجميع بأن الحرب لم تنته وان السلام بعيد حتى بعد انتصارنا ····

وعندما بدأت منظمات التخريب نشاطها من جديد (فى سبتمبر ١٩٦٧) كان واضحا ان اسرائيل دخلت فترة معقدة ومقلقة للاعصاب · وكانت التقديرات أنه مع ضم الاراضى ومليونين من العرب تقودهم زعامة ثائرة ستنشأ ظروف ملائمة **لحرب العصابات فى الاراضى**

التى تسيطر عليها اسرائيل . وقد كسبت تلك الظروف بسبب الواقع السياسى الجديد الذى وجدت فيه اسرائيل نفسها كمحتل . وقد فرضت هذه التقديرات عندما اتضح أنه بالاضافة الى سوريا فان مصر تؤيد هى ايضا ، منظمات الارهاب ، وان الارهابيين استطاعوا اقامة قاعدة رئيسية لهم فى الاردن ..

وقد حدث ذلك بالنسبة للاردن سواء فى عملية الكرامة أو عمليات أخرى وبالاشتباك مع الجيش الاردنى حينما استخدمنا سلاح الطيران الاسرائيلى عدة مرات ، وتواصل منظمات الارهاب جهودها على الرغم من كل ما تلقته من ضربات .

وقد برز نجاح (الارهابيين) أولا فى اقامة قاعدتهم فى الاردن ، وفى تجنيد المئات من الشباب فى المنظمات المختلفة . ولكن من الان فصاعدا قد اصيبوا بالفشل وخيبة الامل .

.. وقد فشلت حتى الان كل جهود منظمات الارهاب لاقامة قواعد حقيقية لحرب العصابات فى الاراضى المحتلة .

ولم يمل السكان العرب حتى الان للاشتراك معهم فى نشاطهم سواء خشية من رد الفعل الاسرائيلى أم لانهم لم يقتنعوا حتى الان بهذا النوع من الحرب .

القلق العام فى اسرائيل

■ **١٢ يونيو ١٩٦٨ — كول هاعام** : تحت عنوان : استياء الجمهور من طريقة معالجة الحكومة للمشاكل كتبت الجريدة تقول « لقد أثارت حادث الكرامة القلق من جديد تجاه الجمهور بالنسبة للامن وترك أثره بالنسبة للوضع الاقتصادى . كانت تلك هى احدى النتائج التى شغلت اتجاه الرأى العام فى أوقات متتالية واهتم بها منذ حرب الايام الستة ، وقام بدراستها معهد البحث الاجتماعى ومعهد الاعلام بالجامعة العبرية .

ومن الاشياء الواضحة والهامة فى تلك الدراسة هو التحول الذى طرأ فى اتجاه الرأى العام الاسرائيلى بعد حادث الكرامة . ويتضح من تلك الدراسات أنه فى الفترة التى سبقت حادث الكرامة أجاب ١٢ فى المائة ممن وجهت اليهم الاسئلة بأنهم قلقون وبخاصة ازاء الوضع العسكرى لاسرائيل . وبعد حادث الكرامة ارتفع عددهم الى ٢٥ فى المائة . وقد برز هذا التحول ايضا بالنسبة لاعمال الارهاب والتخريب ، اذ أنه قبل حادث الكرامه أجاب ٥٥ فى المائة بأنهم قلقون جدا ازاء أعمال الارهاب والتخريب وبعد الحادث ارتفع الى ٦٧ فى المائة .

وحسب نتائج الدراسات التى أجريت فى نهاية ابريل ومنتصف مايو فقد أشارت هذه النتائج الى القلق البالغ ازاء أعمال الارهاب والتخريب وبلغت النسبة ٦٨ فى المائة .

■ **٢٠ يونيو ١٩٦٨ — هايوم (يمينية معارضة) .. وينبغى** علينا ان نحذر اليوم ايضا من هذه الاضاليل فنقول : **ان السلام ليس قريبا ولن يأتى لافى هذا العام ولا فى العام القادم** . ولكن هناك دورا آخر لوزارة الخارجية الاسرائيلية ينبغى ان تقوم به على اكمل وجه . وهو الرد على رجال الفتح وشرح جميع الاساليب وعدم المسئولية التى تبرز من خلال تصريحاتهم . ومن الضرورى ان يقوم وزير الخارجية بنفسه بعقد المؤتمرات الصحفية مرة تلو الاخرى وشرح حقيقة الاعداء الذين تحاربهم اسرائيل ، وأى شىء تحارب من أجله ».

... وهم يتباهون اليوم بانهم قتلوا روبرت كينيدى وعلينا ان ننشر كتابا اسود يشرح اعمال العرب لكى نظهر بالصور ماذا سيحدث لليهود لو تمكن هؤلاء من السيطرة على البلاد ، وننهى هذا الكتاب الاسود بالاغتيالات السياسية فى البلاد العربية نفسها .

ان هذه المهمة سهلة جدا وهذا الكتاب الاسود ضرورى وينبغى ان يظهر فورا وقبل بدء محاكمة قاتل السناتور كينيدى . ومن الضرورى ان نكشف النقاب عن حقيقة الحركة السرية العربية أمام الشعب الامريكى الذى يستطيع ان يدرك فى قرارة نفسه الى اى مدى يمكن ان يصل اليه هؤلاء

■ **١٠ يوليو ١٩٦٨ — هاعولام هازيه (مستقلة) :** وفى قطاع (غزة) اصبح خطر التجول واجراء التفتيش ظاهرة اساسية فى حياة الناس . فهناك احياء كبيرة محاطة بالاسلاك والناس يحولون الى السجون ويمرون باجراءات تحقيق طويلة ومرهقة . ولم تكن عمليات مظاهرات النساء فى غزة حدثا وقع بالصدفة ، فلقد كان ذلك نتيجة لاعتقال مئات الرجال من سكان الحى الشرقى فى غزة فخرجت نساؤهم متظاهرات . ولقد ادت مظاهرة النساء الى حدوث مظاهرات والى اطلاق الرصاص وقال لى احد شيوخ البدو « تستطيع بعد كل عملية اعتقال كهذه أن ترى عشرات

من عربات النقل محملة باللاجئين الذين هجروا ديارهم .

العمل الفدائي في ازدياد

■ **٥ اغسطس ١٩٦٨ — هاآرتس (مستقلة) :** ان العملية التى قام بها سلاح الطيران الاسرائيلى ضد مقر قيادة وقواعد منظمة الفتح فى الضفة الغربية لنهر الاردن كانت نتيجة للرقم القياسى الجديد الذى بلغته اعمال التخريب عن طريق الاراضى الاردنية .

ولقد برزت اعمال منظمات التخريب المتزايدة فور انتهاء جلسات المجلس الوطنى الفلسطينى الذى عقد فى القاهرة منذ ثلاثة اسابيع .

... وان خلاصة اعمال التخريب فى الاسابيع الاخيرة تدل على زيادة اعمال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ضد اسرائيل .

وازدادت ايضا عمليات التخريب التى يقوم بها رجال منظمة التحرير التى تستمد قوتها من مصر .

ان عملية اختطاف طائرة شركة العال الاسرائيلية رفعت من مكانة منظمات الارهاب الفلسطينية وخاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

ومنذ اعلان نبأ اختطاف الطائرة ، تواصل الصحف العربية حديثها عن ان الشبان الفلسطينيين الثائرين من الفلسطينيين الثائرين لاتنقصهم الحكمة او العلم والدليل على ذلك اختطاف الطائرة بواسطة طيارين فنيين دربتهم جبهة التحرير الشعبية .

كما ان مقتل العقيد ريجفى والنقيب جين مثلا فى معركة مع المخربين رفعت من الروح المعنوية لمنظمات الارهاب .

وقد نشرت الصحف العربية نبا مقتل القائدين الاسرائيليين فى صدر صفحاتها . وكتبت صحف بيروت تحت عناوين كبيرة تقول : لقد اثبتنا اننا نستطيع نيل الجنرالات الاسرائيليين ..

تقيم المنظمات الارهابية الان فى يهودا وافرايم خلايا سرية للتأكيد على النشاط السياسى كمقدمة للنشاط الارهابى .

ومن الخطط الجديدة لمنظمات الارهاب التى تعمل من الاراضى الاردنية التوغل لمسافات قصيرة لاقامة الكمائن للدوريات الاسرائيلية

■ **.. وبعد مرور عام وعدة شهور على انتهاء حرب الايام الستة ارتفعت اسهم منظمات الارهاب الفلسطينية فى الدول العربية ، وهناك خوف من ارتفاع مكانة منظمات الارهاب فى الاراضى المحتلة .**

■ **٧ اغسطس ١٩٦٨ — قول هاعام (حزب ماكى المنشق عن الحزب الشيوعى الاسرائيلى) :** وفى خلال الاربعة عشر شهرا حدثت اختراقات كثيرة لاتفاقية وقف اطلاق النار .. واعلنت المنظمات الارهابية صراحة وخاصة منظمة الفتح عن بدء الكفاح المسلح لتحرير فلسطين .

وفى الحقيقة لم يعد يمر يوم دون ان تهاجم منظمات الارهاب القرى والمستعمرات الاسرائيلية ، وسقط كثير من الضحايا نتيجة هذه الاعمال التخريبية التى تهدف كما صرح رجال الفتح اخيرا الى الحاق الاضرار باستقرار الاقتصاد الاسرائيلى ، فهم يطمعون فى اضعاف اقتصاد اسرائيل وخلق جهنم حقيقية داخل حدودها . وجاء ايضا فى تصريح لمنظمة الفتح ان الفدائيين يعملون على زيادة عملياتهم التى تؤدى الى حرب التحرير الشعبية التى تمهد الطريق لهجوم شامل من جانب الجيوش العربية النظامية ضد اسرائيل .

وهناك قوى اخرى خارج نطاق الدول العربية تصف عمليات الارهاب التى تهدف الى نشوب حرب جديدة كما يصرح بذلك زعماء فتح — على انها حرب تحرير شعبية .

صحافة اسرائيل تهاجم البلدان الاشتراكية

■ **٨ اغسطس ١٩٦٨ — معاريف (مستقلة) :** ازداد وقوف المعلقين امام موقف الاتحاد السوفيتى بالنسبة لاعمال التخريب منذ زيارة عبد الناصر الرسمية الاخيرة للاتحاد السوفيتى .

فهناك من يشير الى ان مسألة منظمات الارهاب لم تذكر على الاطلاق فى البيان العربى السوفيتى المشترك ، بينما يتوقف البعض امام الفقرة من البيان التى تعرب عن التأييد بما سمى « حقوق الشعب العربى الفلسطينى المشروعة وعدالة نضاله » . حيث ان هذه العبارة تخفى بين كلماتها معنى تأييد الاتحاد السوفيتى لمنظمات الارهاب العربية . وان الاهمية التى يعلقها المراقبون على هذه النقطة ليست راجعة الى المغزى الفعلى الذى يستلزمه التأييد السوفيتى لمنظمات الارهاب فحسب بل انها راجعة الى الموقف العالمى الذى ستحظى به هذه المنظمات من جراء مثل هذا التأييد السوفيتى .

ومنذ عودة جمال عبد الناصر من موسكو وصحف سوفيتيةوشرق اوروبية عديدة تكثر من الحديث عن النشاط التخريبي ،وقد زار مراسلون سوفيت قواعد التدريب لمنظمة « فتح » ويحظى المخربون انفسهم من قبل الصحافة السوفيتية باسم « الوطنيون العرب » .

وتتخذ البعثات التي تزور الدول العربية الان من قبل الاحزاب الشيوعية فى شرق اوروبا موقفا مشابها فى البيانات المشتركة التي تصدر بأسمائهم ، واسماء الحركات الاشتراكية العربية .

... وفي نفس الوقت فانه يجرى بعيدا عن هذا الجهد العام تجاه الاتحاد السوفيتي جهد آخر تقوم به المنظمات نفسها من اجل كسب مزيد من التأييد فى الدول العربية المختلفة وخاصة فى امارات الخليج .

وتحاول المنظمات الان ان تنشىء «صندوقا تأسيسيا» على النمط الاسرائيلي ويفرضون على الجماعات الفلسطينية في امارات الخليج ضرائب دائمة وتبرعات الزامية تحصل عن طريق الاجهزة الحكومية المختلفة . ففى الكويت مثلا تحصل الحكومة الكويتية ٥ فى المائة من مرتبات العاملين الفلسطينيين بمشروعات البترول ، وفى امارات البحرين وقطر وابو ظبى تحصل نسبة ٣ فى المائة ،وفى ليبيا ودول شمال افريقيا يترك التبرع لمقدرة الفرد المهاجر الفلسطيني نفسه . ولايستهدف هذا الجهد مسألة التبرعات فحسب ولكنه يجرى ايضا فى اطار تجميع الجماعات الفلسطينية فى اطار سياسى واحد وربطها باحتياجات النضال ضد اسرائيل .

تصفية المقاومة بحرب شاملة

■ ٩ اغسطس ١٩٦٨ — هايوم (جادال) : فى اعقاب عملية الكرامة ذكرت اوساط جيش الدفاع (الاسرائيلى) ان اعمال الارهابيين قلت بصورة كبيرة ، وليس لدى احصاء من اجل التحقق من صحة هذا . وعلى اى حال فان عمليات الارهاب مالبثت بعد فترة ان عادت الى التصاعد .

... ..

وربما كان من الضرورى احتلال الضفة الشرقية كلها من اجل اغلاق مصادر الارهاب .

■ ١٤ اغسطس ١٩٦٨ — عل همشمار (المابام) : انشئت منظمة فدائية جديدة هذه الايام بالعراق . وتسمى هذه المنظمة نفسها باسم « المقاومة المتحدة لتحرير فلسطين » .

■ ١٤ اغسطس ١٩٦٨ — عل همشمار : قال وزير الدفاع (الاسرائيلى) : « لقد حكم علينا ان نظل فى حالة حرب دائمة مع العرب » .

وفى الواقع — وعلى حد تعبير ليفى اشكول فان هناك حربا « صغيرة ومقنعة » قائمة بيننا وبين العرب . وهذه (الحرب) تبتدىء بصورة خاصة فى الحرب الصغيرة التى تشنها منظمات الارهاب ضد اسرائيل » .

الاحزاب الدينية تستصرخ يهود العالم

■ ٥ سبتمبر ١٩٦٨ — هاتسوفيه (الحزب الدينى القومى) : بعد سلسلة من الاعمال الفاشلة ومظاهرات التبجح استطاعت منظمات الارهاب العربية تحقيق « حلم » اخذ يراودهم منذ ان بدأوا يتآمرون لقتل المواطنين الاسرائيليين أى أنهم استطاعوا ضرب أحد مراكز تل ابيب المزدحمة، والتسبب فى سفك دماء المواطنين الامنين .

ان هذه الجريمة النكراء التى تمثل شهوة القتل لدى الذين يتمتعون بتأييد الحكومات العربية (كما بدا ذلك فى مؤتمر وزراء الخارجية العرب) وبتشجيع الاتحاد السوفيتي وحلفائه — ان هذه الجريمة لابد أن تثير الاشمئزاز فى جميع أنحاء العالم المتمدن الذى يستطيع أن يدرك من هذه الحادثة ماهى الوسائل التى يستخدمها « أبطال » حركة تحرير فلسطين .

فى حادثة نسف المحطة الرئيسية فى تل أبيب ينبغى عدم تحميل زعماء المنظمات الارهابية المسئولية وحدهم وانما تحميلها أيضا للحكومات العربية التى تقف وراءهم .

ان الحكومات العربية ستدفع الثمن باهظا عندما يحين الوقت .

ومن الواضح أن ضرب عشرات المواطنين فى قلب تل ابيب ، يستلزم زيادة الحذر من جانب قوات الامن ... ووعيا متزايدا من جانب الجمهور . وينبغى على كل مواطن أن يفتح عينيه فى كل لحظة

ويراقب كل حركة تجرى حوله . **ان عملية التضريب التى وقعت فى قلب تل أبيب تحول فى الواقع البلاد بأسرها الى أرض للمعركة وتجعل كل مواطن جزءا من جهاز الامن .**

■ **١٣ سبتمبر ١٩٦٨ — هاتسوفيه** : .. ان هؤلاء المخربين لايرتدعون عن الاستمرار فى أعمالهم التخريبية ، بل هم يتكاثرون ويزدادون عددا وعدة ، ان استمرار هذه الاعمال يخلق بيننا نوعا من الضيق والاسى حتى ولو كان بمبرر أو بدون مبرر ، ولذلك ينبغى ان نحارب هؤلاء المخربين بجسارة وتعقل .

ان لدى العصابات العربية من القوى البشرية مالا يستهان بها .. الامر الذى يبعث الاسى فى النفوس لاتنفع معه جميع وسائل الاقناع والتطمين التى نمتلكها .

وهناك الكثيرون يتساءلون : هل كتب علينا ان نعيش هنا فى توتر لاينقطع ونقدم الضحايا صباح مساء . متى سنصل الى الراحة ، والاطمئنان الحقيقى ؟ ينبغى أن نحول دون هذا التدهور فى معنويات الشعب ، **وينبغى أن نعيد جو رفع المعنويات الذى ساد عندنا عشية الانتصار فى حرب الايام الستة .**

ومن المؤكد أننا ندفع الضحايا ، ونقدم الدماء ونذرف الدموع ، ولا شك ان هناك أعصابا « متدهورة » لدى الكثيرين من اليهود الذين اصيبوا وتضرروا ، ولكن هل تضرر عملنا البناء وهل أصيبت نهضتنا بالشلل وهل مازالت اعمال البناء والتعمير مستمرة ، **او ليس مما يدعو للدهشة والاستغراب ان موجات الهجرة الى اسرائيل مستمرة فى هذه الايام العصيبة .**

.. وهذا ماينبغى أن نردده على مسامع مواطنى اسرائيل ، والشعب فى المهجر وبالاضافة الى ذلك أن نرشدهم الى الحقيقة أن لكل ضحية فى النفس ثمنا ولكل نقطة دماء تسفك على أرض الوطن وحدوده وزن . وينبغى الا نميز بين دم هذا او ذلك وأن كل يهودى قتل لمجرد كونه يهوديا أصبح مقدسا . ومع هذا لانستطيع أن ننسى أن الملايين من اخواننا سيقوا كالخرفان الى المذابح وسالت دماؤهم عبثا . وهذا يعلمنا درسا أنه لاطعم لحياة الانسان اليهودى فى المهجر ، اذن فكل ضحية يهودية جديدة ، اذا كنا نحزن عليها فانها لبنة جديدة فى بنيان البعث الاسرائيلى ، وكل نقطة من الدم اليهودى سالت من أجل هذا العمل نفسه ، فعلينا أن نمنع تكرار المأساة التى حلت بنا فى هذا الجيل .

الغد .. للعمل الفدائى

■ **٢٩ اكتوبر ١٩٦٨ — على همشمار** : ان امامنا هجوما عسكريا وسياسيا فى كل القطاعات ،فهناك وابل من النيران عبر قناة السويس ، وهناك نشاط المخربين عبر الجانب الاردنى ، وهناك مظاهرات الشباب فى مدن الضفة الغربية التى تؤيد منظمة فتح وتؤيد عبد الناصر .

وفى مثل هذه الحالة المعقدة يجب على اسرائيل ألا تضعف من أمل التسوية السياسية وميولها للسلام وللتفاهم مع كل عنصر عربى مستعد لذلك . ومن اللازم أن نوضح للجميع أن المظاهرات والاضطرابات لن تزعجنا كما أن أعمال الارهاب المتواصلة وكل هجوم أو خرق لوقف اطلاق النار لن يأتى بنتيجة .

■ **٨ نوفمبر ١٩٦٨ — هاآرتس** : ان الشباب العربى يمثل العمود الفقرى فى المظاهرات والسخط وليس للحاكم العسكرى صلة تقريبا مع جماهير الشباب . وليست هناك أيضا وسائل ضغط مباشرة عليه ، ان الغضب والغليان لدى الشباب سوف يستمر ويجب أن ندرك أنهم فى المستقبل أيضا سيقومون بمظاهرات وربما بعمليات أكثر تطرفا .

ان معظم السكان فى يهودا وفى شمدون يؤيدون منظمات الارهاب الفلسطينية ، فانه يكفى اليوم بضع عشرات من المحرضين لكى يثيروا السكان . وان محاربة المحرضين تتخذ اساسا شكل الابعاد الى الاردن ، وهذا العقاب لايكفى الا فى اسكات الدوائر المعتدلة بين السكان » .

■ **٢٥ نوفمبر ١٩٦٨ — دافار** : اتخذت الحكومة أمس سلسلة من القرارات المتصلة بالحرب ضد الارهاب . ولم يشر فى البيان الذى أعلن عقب جلسة الحكومة عن ماهية هذه القرارات ، ولكن فهم منها ان المقصود بذلك هو اتخاذ خطوات شديدة لمنع تكرار أعمال التخريب القاتلة كما حدث فى يوم الجمعة الماضى فى سوق ماحانيه يهودا فى القدس ..

ومع ذلك ـ كما يبدو ـ لدوائر الامن أن الوسائل الوقائية والتحذيرات لن تضمن عدم تكرار أعمال القتل الجماعية . »

■ ١ يناير ١٩٦٩ — هاعولام هزيه : كتب اوري افنيري : « أما الفدائيون الفلسطينيون الذين استمروا في الحرب بعد الهزيمة العسكرية فهم القوة الصاعدة .

فهم في نظر مائة مليون عربي في الوطن العربي الذي يمتد من المحيط الى الخليج هم الغد .

ان لدى الحكومات العربية الجيوش والاسلحة والمال .

ولدى الفدائيين مركز البطولة والوطنية والقومية العربية ، ولذلك ينتصر الفدائيون في أي نزال مع أية حكومة عربية كانت .

■ ١٠ يناير ١٩٦٩ — جويش أوبزرفر الصهيونية : « لقد أخطأ ديجول ثانية عندما بدأت حركة الارهابيين العرب في التصاعد ، ولنذكر هنا كيف قاد ديجول فرنسا الى الخروج من الجزائر . لقد بدأ في تأييد المخربين العرب على أنهم قوات تحرير قومية يجب أن تنتصر ، ولكن هذا التشبيه الذي عبر به ديجول عن أعمال المخربين هو تشبيه خاطيء — فان المخربين العرب لايشبهون قوات التحرير الجزائرية — وانما هم مجرد جماعات تقاوم التغيير — جماعات من أفراد العالم العربي الرجعي الذي يرفض الاعتراف بوجود دولة يهودية مستقلة . انهم ورثة الجزائريين السابقين الذين جلبوا الرعب للجزائر وفرنسا . ان العرب هم الذين يجب عليهم تقبل الامر الواقع وليس الاسرائيليون » .

لا مفر من عمل رادع

■ ٢٨ فبراير ١٩٦٩ — هاآرتس: كتب زئيف شيف : « ان منظمات الفدائيين تشن علينا حربا شاملة ، دون أى قواعد أو شروط ، ونحن نرد عليها بحرب عقيدة ، أو شبه حرب ومثل هذه الحرب مكتوب لها الفشل منذ البداية مهما كانت قوتنا العسكرية ، وتجد أمثلة بارزة لذلك فى حرب الفرنسيين فى الجزائر ، وحرب الامريكيين فى فيتنام ، فهذان المثالان يبينان لنا كيف تصبح القوة العسكرية الهائلة عاجزة ، لان الجانب القوى يقوم بشبه حرب ويفرض على نفسه قيودا مختلفة ، لم يهتم بها الجانب الاخر ، والواقع أن اسرائيل لاتعيش فى فراغ سياسى ، ولكنها تفرض على نفسها كثيرا من القيود فى هذه الحرب دون أى داع » .

■ ■ ■

٣ صحافة الغرب ترصد المقاومة

■ ٢٣ سبتمبر ١٩٦٧ — اسوشيتد برس : « ان التزايد الحاد فى أعمال المقاومة التى امتدت الى المناطق الداخلية فى اسرائيل ادى الى انزعاج الحكومة الاسرائيلية والمفهوم انها تبحث اتخاذ تدابير اشد ، خشية وقوع مقاومة مسلحة واسعة النطاق » .

■ ١٢ ديسمبر ١٩٦٧ — دى فيلت الالمانية : « الواقع انه لايوجد اليوم سلام فى الارض المقدسة . صحيح ان قوات الامن والدوائر العسكرية الاسرائيلية تزعم انها كسرت شوكة الارهاب فى المناطق العربية المحتلة الا انه لايوجد اى دليل على ان نشاط الارهابيين قد توقف ، كما ان احكام الاعدام والاشغال الشاقة المؤبدة لم تؤثر فى الروح المعنوية للفدائيين ، ولعلها قد زادتها اشتعالا » .

■ ٣ — ٩ يناير ١٩٦٨ — لونوفيل اوبزرفاتير الفرنسية: «لقد ادبر عهد السلطة الفردية (بعد ذهاب الشقيرى) ودخل الفلسطينيون عهد القيادة الجماعية الثورية .

والكل يعرف الان ان الحرب الباردة الجديدة بين العرب واسرائيل سوف يتقرر مصيرها على الضفة الغربية لنهر الاردن . انه سباق مع الزمن . فمن ينجح من المعسكرين فى ترجيح كفة الضفة الغربية الى جانبه ستفسح امامه على المدى الطويل كل فرص الفوز .

ولدى الاسرائيليين خطة

موضوعة هى عزل المنطقة المحتلة باكملها بسد مكهرب والعمل بسرعة على تحقيق تنميتها الاقتصادية بشكل ملحوظ • اما الفلسطينيون فيعتمدون على المقاومة الداخلية والانطلاقة القومية العربية والخوف الذى سببته الاسرائيليون فى نفوس الاسرائيليين •

وهناك من ناحية اخرى احداث هامة جديدة وقعت داخل تل ابيب نفسها • فقد عمد العرب الاسرائيليون الذين بدا انهم قد تقبلوا مصيرهم منذ عشرين عاما الى انشاء شبكة لمنظمة « الفتح »

■ **١٣ — ١٩ يناير ١٩٦٨ — الايكونوميست البريطانية :** «لعل احد نتائج حرب يونيو هو ان الفلسطينيين عادوا مرة اخرى ليكونوا فى الصورة ، واصبحوا اقرب مايكونون الى الاتفاق فيما بينهم اكثر من اى وقت مضى منذ ١٩٤٨ •

ويقول الفدائيون ان المرء يتعلم كيف يقاتل عن طريق ممارسة القتال نفسه ، اما الذين يدعون للانتظار حتى يكتمل الاستعداد فانهم يبررون فقط ترددهم فى القتال • ويلاحظ ان العمليات التى يقوم بها الفدائيون تنوعت واتسع نطاقها فقد بداوا يستخدمون البازوكا كما انهم تعمقوا داخل اسرائيل حتى وصلوا الى مطار اللد ». ويقول الفدائيون ان هدفهم ليس اشاعة الذعر بين المدنيين ، وانما النيل من قوة الامن داخل اسرائيل لكى لا يأتى الى اسرائيل مهاجرون جدد •

وقد بذل الاسرائيليون كل ما فى طاقتهم خلال الشهور الستة الماضية لاقتلاع جذور هذه المجموعات الفدائية ولمنع السكان المحليين والدول المجاورة من مساعدتهم •

وتلجأ اسرائيل فى تصرفاتها الى نفس ما تلجأ اليه الدول الاستعمارية فى مواجهة الشعب المحتل •

ومن العسير ان يرى المرء كيف يعانى السكان العرب داخل الاراضى المحتلة نتيجة نشاط الفدائيين • ولكن التقارير الواردة من هناك تفيد بان روحهم المعنوية مرتفعة •

والواقع ان المقاومة العربية بالرغم من ان قوتها لم تنم بعد ، الا انها تفيد العرب فى مطالبتهم بان اسرائيل لابد ان تنسحب من كل الاراضى المحتلة كخطوة اولى نحو السلام » •

■ **٢ فبراير ١٩٦٨ — الجارديان البريطانية :** « تزعم السلطات الاسرائيلية ان القدر الضئيل من العون الذى يقدمه السكان العرب فى الضفة الغربية الى المتسللين من الدول العربية المجاورة لا يبرر بحال القول بوجود حركة مقاومة شعبية • ولكنى شعرت من احاديثى مع السكان العرب فى المناطق المحتلة بان الاسرائيليين لايستطيعون حتى الان الرد على حركة المقاومة السلبية المتزايدة التى قد تسفر عن مضاعفات اكثر اهمية فى المستقبل مهما بلغ نجاحهم فى منع انتشار حركة المقاومة الايجابية فى الضفة الغربية » •

■ **١٦ — ٢٢ فبراير ١٩٦٨ — جويش اوبزرفر :** « ثبت ان عددا من الضباط على طول نهر الاردن يساعدون منظمة فتح ، بل انهم يغطون عمليات الفدائيين باطلاق النار حتى يسهلوا لهم الهرب والنجاة • وكل هذا وغيره يبدو انه يؤكد رأى ديان فى أنه يصعب القضاء عليهم تماما ، فان كل حادث جديد وكل اسرائيلى يقتل يشيع رجفة فى اسرائيل كلها ».

■ **٣ مارس ١٩٦٨ — الجارديان البريطانية :** «تعتبر حركة حرب العصابات الفلسطينية فى الوقت الحاضر العنصر الهام المجهول فى مستقبل الشرق الاوسط • والواقع ان بيان منظمة الفتح الذى اعلن فى يناير ١٩٦٥ عن قيامها بعملية لها ، ذلك الحدث الذى لم يكد احد يهتم به فى ذلك الحين كان بداية للتطورات التى ادت الى نشوب حرب يونيو • وقد تظهر الاشهر القادمة ما اذا كانت حرب يونيو تعتبر بالنظر الى ما اسفرت عنه من نشاط حرب العصابات وبالا على اسرائيل مثلما كانت وبالا على العرب •

ان الشغل الشاغل للفلسطينيين فى الوقت الحاضر هو ان يكونوا اولا يكونوا • واذا كانت منظمة فتح تتنبأ للمستضعفين والمحرومين بدور هام فان هذا يرجع الى ادراكها لطاقتهم النضالية • وتسعى الفتح الى ان توحد تحت لوائها اولئك الفلسطينيين الذين اخطأوا تحت ضغط الظروف واصبحوا يدينون بالولاء اولا للقضايا العربية الاخرى كوسيلة غير مباشرة لخدمة قضيتهم • ولاشك ان فتح قد بدات بداية طيبة على الصعيد الفلسطينى عندما قامت بعمل فعلى بدلا من الاكتفاء بالخطب والاحاديث ، وكفلت بذلك للفلسطينيين ارادتهم التى لم يتمتعوا بها منذ نشأة اسرائيل وقد ضرب رجال حرب العصابات ، والفدائيون مثلا ملهما مما حدا بالفلسطينيين الاخرين الى الانضمام الى صفوفهم باعداد كبيرة •

ان هدف فتح هو ان تثبت عمليا كذب افتراءات

الصهيونية التى جعلت الراى العام العالمى يعتقد ان الصراع فى الشرق الاوسط صراع بين الدول العربية وبين اسرائيل ولحمل الدول الاجنبية على ان تأخذ فى حسبانها وجود شعب عربى فلسطينى له حق مشروع فى فلسطين .

ان الراى القائل بان منظمة الفتح تمثل حركة مقاومة اصيلة تشبه الحركات التى كانت قائمة فى اوروبا اثناء الاحتلال الالمانى اصبح يلقى بعض التأييد فى العالم الخارجى » .

٦ مارس ١٩٦٨ — التايمز البريطانية : « تشعر السلطات الاسرائيلية عقب سلسلة ناجحة من العمليات لردع المخربين بانها قد تمكنت فى الوقت الحاضر من دحض المحاولات التى تبذلها الجماعات المتطرفة العربية لاقامة دعائم حركة مقاومة جادة فى المناطق المحتلة . ومع هذا فمن المعتقد ان عمليات القمع اقل فعالية فى تقويض عدد عمليات الارهاب من العمل المحكم لمخابرات اسرائيل » .

٢١ مارس ١٩٦٨ — الفاينانشيال تايمز البريطانية : « منذ اسبوعين قال لى احد كبار الضباط الاسرائيليين فى تل ابيب « لن يكون هناك ابدا فدائى عربى ممتاز ، كما انه لن يكون هناك ابدا طيار عربى ممتاز » واكد لى ان ارهابيى جماعة الفتح المسئولين عن مجموعة من العمليات البسيطة والدامية فى نفس الوقت فى الضفة الغربية لا يشكلون « اية مشكلة » .

وليس من العدل على الاطلاق القول بان كل الاسرائيليين يشاركون هذا الجندى فى غطرسته ، فهناك الكثيرون فى اسرائيل ممن يشعرون بالقلق للثقة المتناهية ، بل والزائدة عن الحد التى تنمو فى اسرائيل منذ حرب الايام الستة » .

٢٢ مارس ١٩٦٨ — كومبا الفرنسية : « ان جميع المميزات التى اكتسبتها تل ابيب بعد حرب الايام الستة يمكن ان تتعرض للاخطار بسبب الاستنزاف المستمر » الناتج عن اعمال منظمة الفتح ، هذه المنظمة التى شجعها مثل الهند الصينية والتى تزودت بوفرة من الاسلحة والمعدات بفضل كرم ملوك البترول .

« ان موت الفلسطينى وهو واقف على قدميه وسلاحه فى يده فوق ارض الوطن الفلسطينى ليس اقسى من الموت البطىء والانتظار الى مالانهاية فى معسكرات اللاجئين واستجداء العون الدولى . ذلك هو شعار الفدائيين العرب الذين يمارسون نشاطهم فى المناطق التى تحتلها اسرائيل » .

وقد ضاعفت منظمة الفتح نشاطها منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ويؤكد قادة المنظمة انهم يستوحون فى عملهم مقاومة اوروبا للغزاة النازيين كما يستلهمون نضال الشعب السوفيتى ابان الحرب العالمية الاخيرة .

ويرفض قادة المنظمة اى حل سياسى او دبلوماسى ويستشهدون فى ذلك بالنضال الفعال لحركة التحرير الجزائرية ضد فرنسا . ويؤمن قادة المنظمة ايضا بان ازعاج اسرائيل دون انقطاع سيرغمها فى النهاية على التقهقر امام العرب ومع ذلك يرون ان الامم المتحدة ستفشل حتما فى محاولتها لاقرار السلام » .

٢٣ مارس ١٩٦٨ — لوفيجارو الفرنسية : « لقد هاجمت الفدائيين فى الكرامة وحدات افضل جيش فى الشرق الاوسط ، ومع ذلك فقد نجحوا فى ان يكبدوها خسائر قد تكون ضئيلة ولكنها ستكون حتما مصدر الهام لقصائد تتغنى بمجد منظمة الفتح فى معسكرات اللاجئين » .

٢٤ مارس ١٩٦٨ — الصنداى تايمز البريطانية : « ان تدمير قليل من العربات وقطع عدد من انابيب المياه لم يكونا ليتسببا فى تعبئة عدد من الكتائب الاسرائيلية بالاضافة الى تدخل واسع النطاق للطيران والمدفعية والدبابات الا اذا كان هناك وراءهما خطر اعظم يهدد اسرائيل » .

لقد كان الهدف الرئيسى للقيادة الاسرائيلية هو القضاء على اى تطور يمكن ان يكون هناك لحركة مقاومة عربية منظمة .

ومن ناحية اخرى فانه رغم ان الدول العربية فى وضع يمكنها من شن حرب واضحة وصريحة الا انه من الممكن بالنسبة لهذه الدول وخاصة المنتجة منها للبترول ان تفتح المجال امام حرب العصابات ضد اسرائيل » .

ان مثل هذا النضال يمكن ان يجعل اسرائيل فى حالة حرب دائمة دون ان يكلف ذلك العرب الكثير » .

٢٥ مارس ١٩٦٨ — الفاينانشيال تايمز البريطانية : « يبدو ان الاسرائيليين — بهجومهم على الكرامة — قد اغفلوا النظر

الى عدة نقط رئيسية اولاهـا تدور حول الحقيقة البسيطة التى تشير الى مخـاطرتهم باستئناف الحرب على نطاق واسع على مـذبح عمليـة عسكرية اتضح انها بـاهظة التكاليف علاوة على افتقارها الى الكفاءة ، كما بدا من سير الاحداث . ويتعين دوما تناول ادعاءات العرب المضادة بشك كبير ولكن ثمة تقارير محايدة فى هذه المرة **تشير الى ان الاسرائيليين لم يقصموا ظهر قوات رجال العصابات على اقل تقدير** ، والى ان خسائر الاسرائيليين كانت ضـخمة ايضا بالمقارنة بمـا خسره العرب ،وانه لايزال هناك عدد كبير من الارهابيين » .

■ **٢٩ مـارس — ٤ ابريـل ١٩٦٨ — مجلـة التـايم الامريكية** : « لقد حدث تطـور فى اوضاع رجال العصابات فشتان بين اعضاء العصابات غير النظامية الاميين الفقراء فـى التنسيـق والسـلاح والمهمات الذين تعودوا التسلل الى اسرائيل ، وبين اعضاء المنظمات الحالية الذين يتكون نصفهم من طلبة الجامعات او خريجيها ويتناوبون العمـل بالدور اى إنهم يمـارسون الغارات ثم يعـودون الى اعمالهم العادية ليحل غيرهم محلهم ، وهكذا دواليك وفى هذا مايجعل عمل رجـال العصـابات جـذابا كمـا يساعدهم فى الوقت نفسه ان يلجوا جميع مستويات الحياة الحديثة » .

■ **٣١ مارس١٩٦٨ — الاوبزرفر البريطانية** : « افصح ديان وباروليف عن اعتقادهما بان الارهاب لايمكن القضاء عليه تماما خصوصا فى غيبـة التسوية السلمية للازمة وان كل مايمكن ان تفعله اسرائيل الان هو ان تجعل الارهاب اكثر صعوبة » .

■ **٣١ مـــارس ١٩٦٨ — صنداى تلجراف البريطانية** : « اصبحت منظمة الفتح من أهم عوامل استمرار ازمة الشرق الاوسط ، فقد بات الفدائيون يقبضون على نواصى الامور .

ومنظمة الفتح تشـبه الى حد كبير جبهة تحرير وطنية على غرار الفيت كونج تباشر نشاطها داخل الاردن » .

■ **٣١ مـــارس ١٩٦٨ — سكوتسمان البريطانية** : « ان المبادأة فى المواجهة العربية الاسرائيلية قد انتقلت الان من ايدى الحكومات الى ايـدى منظمات العصابات العـربية الفلسطينية التى تعسكر على الضفة الشرقية للاردن وقـد قصـدت اسرائيل مـن وراء هجماتها الاخيرة على الاردن ان تكون بمثابة انـذار الى الاردن لكبح جماح المخربين .

وفى عمان يقال ان منظمة الفتح تسيطر على منـاطق فسيحة من وادى الاردن . ان الرجال الذين يرتدون الملابس العسكرية يفوق عدد الذيـن يرتدون ملابس العمل .

وهــذه المجمـوعـة مثل مجمـوعات كثيرة جـدا هى نتـاج معسـكرات اللاجئين التى اقيمت بعد حرب ١٩٤٨ التى نشبت بيـن العـرب واسرائيل والتى نجم عنهـا فرار ما يقـارب مـن مليون فلسطينى . ولمـا كان هؤلاء الشبان قد ولدوا او نشأوا منذ طفولتهم المبكرة فى الخيـام المكتظـة مثل غـزة واريحا وعـاشوا علـى الصدقات والشعارات الوطنية والامال فقد شبوا متمردين » .

■ **٣١ مـارس — ٥ ابريل — الايكونوميسـت البريطانية** :

« يقول العرب ان معركة ٣١ مارس الفـائت كانت نصرا بالنسبة لهم .. وهى على اية حال كانت انتصـارا سيكولوجيا فقد تحطمت اسطورة اسرائيل التى لا تقهر .

لقد بدا فى فترة حرب يونيو ان العرب يتحدثون ويفكرون بطريقة تختلف عن حـديث وتفكير الاخرين تماما ولكنهم اعترفوا بعد ذلك بالفشل فيما اسموه بالعلافات العـامة . ولكن الاسرائيليين اصبحوا الان هم الذين يفسرون المواقف والاحـداث بطريقـة لا يمكن تتبعها منهم ، يقولون ان الغارة على الاردن كانت للدفاع عن النفس ، وان التخريب انما هو من عمل المتسللين » .

■ **٣٠ ابـريـل ١٩٦٨ — كريستيان سايـنس مـونيتور الامريكية**: « تستخدم اسرائيل خبرات رجالها السابقة فـى حرب العصابات ضد العرب . ويعتمد رجال وزارة الدفاع الاسرائيلية فى تخطيطهم على خبرة قدماء المحاربين فـى عصابة شتيرن وارجون زفاى ليومى ، وكانت هذه تشكل قبل الاستقلال جماعات لحـرب العصابات .. وكانت تقـاتل العرب

■ **٥ مايو١٩٦٨ — مجلةنيويورك تايمز الامريكية** : « لقد تسببت هجمات الفدائيين فى استفزاز اسرائيـل للقيـام بعمليـات انتقامية شاملة ،وقد يكون هذا هدفها . فالاعمال الانتقـامية الاسرائيلية تسبب حرجا حتى بالنسبة لاصدقاء اسرائيل فى الغرب » .

■ **عـدد مايو ١٩٦٨ — مجلة اتـــلاس مجـــازين الامريكيـة** : « كلمـا زادت اعمال الفدائيين فان الاعمال

الانتقامية التى يلجا اليها الاسرائيليون تثير مزيدا من الخوف فى نفوس شعب الضفة الغربية لكنها ايضا تثير كوامن الغضب وتدفع اهالى الضفة الغربية الى تاييدهم للفدائيين • وثمة مشكلة اخرى بدات تزعج السلطات الاسرائيلية وهى تزايد حالة القلق بين العرب والاسرائيليين . ولقد ذكر صمويل توليداند مستشار اشكول لشئون عرب فلسطين ان تجدد الاتصالات بين العرب الاسرائيليين والعرب الفلسطينيين له تأثير سيء على العرب الاسرائيليين •• وتبقى الحقيقة وهى ان الحقائق المرة للاحتلال وتطور اعمال الارهاب والانتقام تخلق شعورا بالمرارة ، وتولد احساسا متزايدا يدفع عرب اسرائيل الى التضامن مع اخوانهم العرب الاخرين ، وقد القت السلطات الاسرائيلية القبض على مئات من اعضاء الحزب الشيوعى المؤيد للعرب، كما انها حددت اقامة عدد منهم بحيث لم تعد لهم حرية الحركة .

وثمة شيئا مؤكدا هو ان عمليات الارهاب اليوم تتزايد . وفى نفس الوقت فان الاحتجاجات ضد الاعمال الانتقامية الجماعية مثل نسف مجموعات من المنازل وضد ما تقوم به السلطات الاسرائيلية من القبض بصورة جماعية على العرب وترحيلهم الى الاردن ،وقد اختفت اعمال الاحتجاجات ، اذا تزايدت اعمال العنف ، واذا شعر الاسرائيليون ان وجودهم نفسه اصبح معرضا للخطر مثلما حدث فى يونيو الماضى فقد اتحدت اراء الاسرائيليين من اليمين الى اليسار بدون استثناء •

ان النتيجة الوحيدة لاتساع نطاق اعمال الارهاب هى اخلاء الضفة الغربية وغزة من سكانها لتقوم دولة اسرائيل الكبرى « التى تتحرر من وجود العرب والتى تتحرر ايضا من الحرية » ومن ثم تتزايد صعوبة تحقيق السلام بين العرب واسرائيل •

■ **١١ مايو ١٩٦٨ — واشنطن بوست الامريكية :** « ان اتفاق اسرائيل مع الفلسطينيين يبدو فى رأى الوطنيين الفلسطينيين — ابتداء من المثقفين فى الجامعة الامريكية فى بيروت الى الفدائيين فى التلال الاردنية ، وهم يقولون ان الدولة الصهيونية اغتصبت من الفلسطينيين بالقوة وبطريقة غير شرعية اراضيهم وممتلكاتهم ولايمكن ان يكون هناك سلام او مصالحة مالم يتم اصلاح هذا الظلم باعادة الاراضى والممتلكات الى اصحابها » •

■ **١٧ مايو ١٩٦٨ — ا•ب•ث• الاسبانية :** « ان الفتح تقوض جميع قرارات الامم المتحدة الخاصة بالشرق الاوسط بما فى ذلك قرار نوفمبر الماضى • لقد رفضت الفتح كل حل سياسى يحد حرية العمل ، واعلنت عن عزمها على تصفية الاحتلال الصهيونى وطلبت من الدول العربية مدها بالمساعدة اللازمة للثورة الفلسطينية » •

■ **٢٦ مايو ١٩٦٨ — كوريير ديلاسيرا الايطالية :** « اما المسألتان اللتان تشغلان اسرائيل فى الوقت الحاضر فهما الارهاب والخوف من استئناف الحرب • اما عن الارهاب فقد قال موشى ديان ان بدايته موجودة فى اماكن لايمكن ان نسيطر عليها ،ولذلك فان واجبنا هو ان نحد من نشاطه دون ان نفكر فى القضاء عليه نهائيا » •

■ **٢ — ٨ يوليو ١٩٦٨ — مجلة الاكسبريس الفرنسية :** « مما لاشك فيه ان منظمة الفتح قد اصبحت اكثر تنظيما فى كل اشتباك ،وارتفعت الخسائر ، ولكن من الجانبين وليس من جانب الفتح فقط » •

■ **٥ يوليو ١٩٦٨ — جورنال دى جنيف السويسرية :** « منذ حرب يونيو لم تكن الازمة السياسية فى الشرق الاوسط بمثل ماهى عليه الان ، فقد اخذت المنطقة شيئا فشيئا ويبدو أن يلاحظ أحد تسير نحو عدم الاستقرار وذلك يعنى حرب العصابات •

■ **١٥ يوليو ١٩٦٨ — هيرالد تريبيون الدولية :** « ان حوادث الارهاب التى تكاد تقع يوميا تعتبر جزءا من الحملة العدائية ضد اسرائيل والتى تبدو انها اخطر واهم حقيقة فى العالم العربى بعد حرب ١٩٦٧ • وقد اصبح العمل الفدائى غاية فى حد ذاته بعد ان غزاه الاسرائيليون بالشعور الناجم عن الهزيمة فى الحرب الشعور بالخيبة نتيجة للوجود المستمر للاسرائيليين فى الاراضى العربية التى احتلوها أثناء الحرب ، ويبدو ان كثيرا من العرب يعتبره معظمهم غير مشرف او غير ممكن التحقيق ، وتغذى المقاومة المطالب الخاصة بالانتقام ، والاهم من ذلك انها تمثل نقطة يلتقى عندها ملايين العرب الذين ينقسمون فيما بينهم من حيث النظم العقائدية والمستويات الاقتصادية . ولحركة المقاومة اثر عسكرى محدود فى الوقت الحاضر ، ولكن ضباط اسرائيل يرون امكان ان تصبح المقاومة اكثر خطورة بالنسبة للموارد المتوفرة فى العالم العربى • ويرى الدبلوماسيون الاجانب ان المقاومة تتسم باهمية

سياسية اذا امكن عن طريقها ان يستعيد العرب ثقتهم الى الدرجة التى يشعرون فيها بالقدرة على التفاوض مع الاسرائيليين على قدم المساواة .

والسبب الرئيسى الذى من اجله يؤيد العرب المنظمات الفدائية يتمثل فى الاعتقاد بان اسرائيل ليست على استعداد للانسحاب من الاراضى المحتلة » .

■ ٢٧ يوليو ١٩٦٨ — **الايكونوميست البريطانية :** « مادامت اسرائيل تحتل بعض الاراضي العربية فمن المؤكد أن تكون هناك مقاومة عربية بشكل او بآخر . واذا كان احد اشكال هذه المقاومة ، وهو حرب العصابات ، ومع ان الجماعات الفدائية تختلف فيما بينها فى عديد من المسائل فانها تتفق فى الرأى تماما حول رفض قرار مجلس الامن » .

■ ٥ اغسطس ١٩٦٨ — **مجلة نيوزويك الامريكية :** « يبدو من حادث اختطاف الطائرة الاسرائيلية أنها ليست حادث اختطاف جوية عادية وان الفلسطينيين الذين قاموا بعملية الاختطاف لم يكونوا يهتمون بمجرد الذهاب الى الجزائر مجانا وبدون اجر ولكن اهتمامهم كان منصبا على اذلال الحكومة الاسرائيلية » .

■ ٦ اغسطس ١٩٦٨ — **لاتريبين دى جنيف السويسرية :** « من البديهي ان عمليات اسرائيل الانتقامية لن تحول الارهابيين عن هدفهم الذي اعلنوه على الملأ ، وهو تدمير اسرائيل وتخويف المهاجرين وجعل الحياة مستحيلة بالنسبة ليهود فلسطين ، وكل ذلك لا يعتبر فى نظرهم الا تمهيدا لحرب التحرير الشعبية التى تهيىء الفرصة لهجوم الجيوش النظامية العربية على اسرائيل .

■ ١٦ اغسطس ١٩٦٨ — **الايكونوميست البريطانية :** « وعلى الرغم من الخسائر التى منى بها الفدائيون ، فقد ارتفع قدرهم فى نظر العالم العربى بعد هذه الغارة الجوية . اما العرب الذين ظنوا ان الغارات المتكررة الضئيلة الاهمية التى شنها الفدائيون على اسرائيل لم تكن بذات اثر كبير فقد افاقوا على الحقيقة فجأة حينما قالت اسرائيل انها احدثت أثرا .. وبدأت ضمائرهم تحفزهم .. ويتدفق المزيد من الاموال على جيوب الفدائيين ويتزايد عدد المجندين ومن بينهم رجال غير فلسطينيين » .

■ ٢٠ اغسطس ١٩٦٨ — **الديلي تلجراف البريطانية :** « والحقيقة ان الفدائيين لديهم ٢٫٥ الف شاب مجند على أقل تقدير ، وانهم يحظون بالتأييد الفعال من جانب الجيوش الاردنية والمصرية والسورية والعراقية

اما من الناحية النفسية فكان للفدائيين بعد هزيمة العرب على يد اسرائيل فى حرب يونيو من العام الماضى اهمية كبرى ، اذ انهم فى وقت الهزيمة منحوا العرب شعورا بالمقاومة وان فى وسعهم عمل اى شيء .

■ ٢٠ نوفمبر ١٩٦٨ — **مجلة الاكسبرسو الايطالية :** « يقول ديان أن زيادة مقدرة العرب على ايقاع خسائر محسوسة بالدولة اليهودية يرجع فى جانب منه الى زيادة نشاط أعمال رجال حرب العصابات التى تدل على قدر كبير من الشجاعة والمثالية وغالبا ما يفضلون الموت على الاستسلام الذى يكفل لهم الحياة »

■ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٨ — **مجلة التايم الامريكية :** « يمثل الفدائيون القوة التى تنمو بأسرع درجة فى العالم العربى . ويقدر عددهم بنحو ٢٤ ألف شخص . وهم يعتبرون ارهابيين فى نظر الاسرائيليين ولكنهم يبدون كفدائيين جسورين فى نظر العرب . ويتلقى الفدائيون الاموال والاسلحة من رجال الاعمال العرب الذين يتعاطفون معهم كما يحظون بتأييد شعبى ضخم وخاصة لدى اللاجئين الفلسطينيين »

■ ٢٥ نوفمبر ١٩٦٨ — **الهيرالد تريبيون الدولية :** جاء فى المقال الافتتاحى المنقول عن صحيفة نيويورك تايمز الامريكية ، أن الانفجار الذى حدث فى سوق القدس فى أواخر الاسبوع الماضى له دلالة تمتد أبعد كثيرا من عشرات الضحايا الذين قتلوا او جرحوا .

■ ٩ ديسمبر ١٩٦٨ — **سكوتسمان البريطانية :** « فى الوقت الذى يحاول فيه الملك حسين جاهدا أن يصل الى تسوية سلمية تخفف من حدة الموقف المتفاقم فان حالة الشعب تميل الى العسكرية الخالصة » .

والابطال هم الفدائيون الفلسطينيون ، وهم ممثلو المقاومة العربية ، وهم يمثلون ما يود أن يمثله جميع العرب ، أي حملة السلاح . ومن الممكن أن يكون شعار الفدائيين : اننا نحارب فنحن اذن موجودون ، مع أن هذا الشعار كان يتمثل به مناجم

بيجن الزعيم الارهابى الاسرائيلى الذى يجلس فى الكنيست الان »

■ **٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ — الهيرالد تريبيون الدولية :** « كانت زيارة معسكر اللاجئين الفلسطينيين تسبب حرجا للامريكى قبل نشوب حرب الايام الستة · وكان من الممكن ان يقابل باللعنات والسباب ، وان يتهم بأنه استعمارى وصهيونى وبأنه مسئول شخصيا عن تحقيق العدل للاجئين ·

أما الان فقد اكتسب اللاجئون قدرا من الكرامة · ولم يعد زعماؤهم يكثرون من المطالب والاتهامات ، بل أصبحوا يناقشون ما يقومون به من أعمال ، وما يفعله الفدائيون لتحرير الوطن وأصبح لهم هدف الان كما ارتفعت روحهم المعنوية »

■ **٢٩ ديسمبر ١٩٦٨ — الاوبزرفر البريطانية :** خلفت اعمال الفدائيين موجة من الشك والقلق · ورغم انها لم تتخذ أبعادا خطيرة ، الا أنها تبعث على الانزعاج بشكل واضح . ان جنود الاحتياط الاسرائيليين لا يتحمسون لقضاء فترات أطول فى الخدمة العسكرية كل عام كما قال لى السكان المقيمون فى المستعمرات التى تتعرض للهجوم ، والذين لا تعوزهم الوطنية ، انهم قلقون ازاء الاثار التى ستحدثها حياة المخابىء على اطفالهم » .

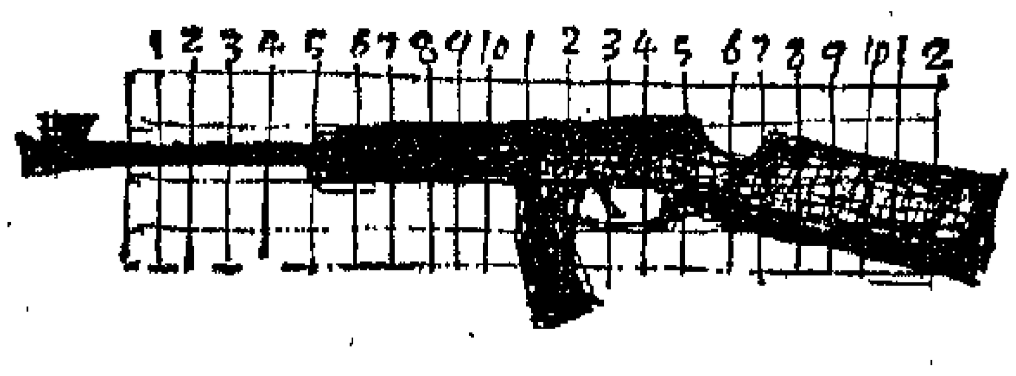
■ **١١ يناير ١٩٦٩ — بارى ماتش الفرنسية :** « ان الواقع جد مختلف عن الدعاية التى ترددها البيانات التى تصدرها المكاتب الصحفية فى اسرائيل والتى تؤكد أن « الارهابيين » يتكبدون فى كل مرة ثلاثة او أربعة قتلى . أن ما يدور هنا عبارة عن حرب حقيقية وجديدة ، طابعها الشجاعة الهادئة ، ووضوح الرؤية والاقتصاد فى استعمال الجنود الحقيقيين » .

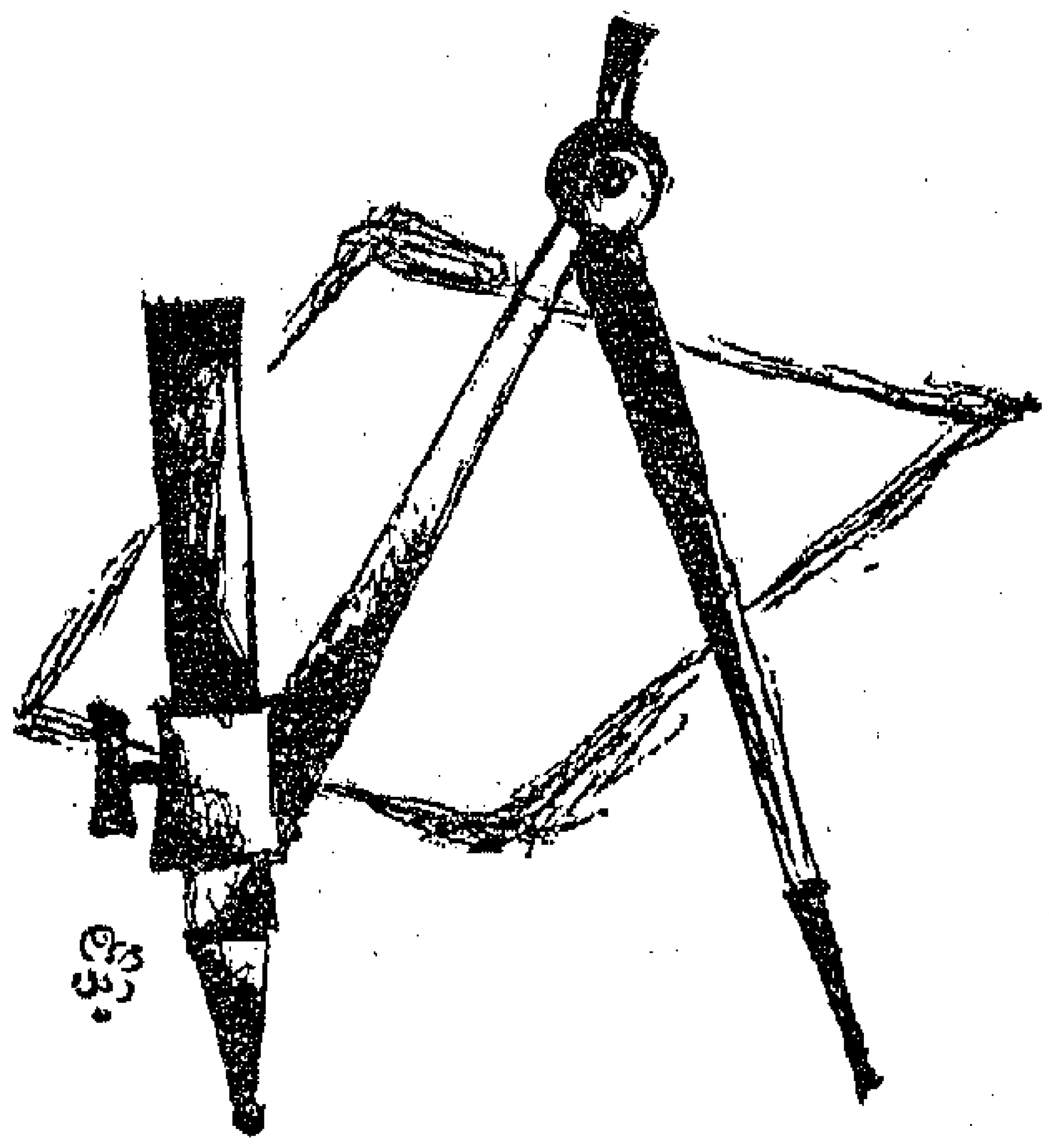
■ **١ فبراير ١٩٦٩ — التايمز البريطانية :** « لقد كتب على عدد كبير من الفلسطينيين الموجودين فى المنفى العيش فى ظروف محزنة فى مخيمات اللاجئين · وها هم بعد أن فقدوا ديارهم وبلادهم لم يعد لديهم شىء آخر يفقدونه سوى حياتهم ، وهم على استعداد للتضحية بها · ومن الصعوبة البالغة تصور موقف آخر مهين بهذه الصورة لظهور حركة المقاومة » ·

■ **٦ فبراير ١٩٦٩ — الجارديان البريطانية :** « وقد كان الفلسطينيون يحاولون منذ فترة طويلة الظهور على المسرح كحركة للتحرير الوطنى لها نفس الوضع الذى لمثل هذه الحركات فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية · ويلوح أنهم أوشكوا على تحقيق ذلك » ·

■ **١٠ فبراير ١٩٦٩ — لوسوار البلجيكية :** « اجتاز الفلسطينيون مرحلة جديدة من مقاومتهم لاسرائيل وذلك عندما وضعوا حدا لانقساماتهم الداخلية · فقد تجسد بهذا طرف جديد لا يمكن تجاهله ، ومن المؤكد أنه سيصبح العدو الرئيسى لاسرائيل » ·

■ **٣ ابريل ١٩٦٩ — دى فيليت الالمانية :** « تواجه اسرائيل صعوبات جمة تتزايد بمرور الايام للسيطرة على المناطق العربية المحتلة · ويجب أن نتوقع زيادة الاضطرابات فى الاشهر القادمة · فتفاقم الوضع فى الضفة الغربية وفى غزة سيثير مشكلات أخطر من الاشتباكات التى تنشب بين وقت وآخر على خطوط الهدنة ·





التعليم الفنى

وعلاقته بالتعليم العام

سعد الطويل

نشرت الطليعة فى عدد اكتوبر ١٩٦٨ دراسة قام بها بعض المشتغلين بالتعليم والمهتمين بمشكلات تطويره وقد بادرت الطليعة بالنشر حينئذ وقبل استكمال الدراسة حتى تفتح حوارا ديمقراطيا حول مشاكل التعليم والثورة بالنظر الى الاهتمام الذى أبدته وزارة التربية والتعليم فى الاسراع فى اعداد عدد من القوانين الهامة للنهوض بشأن التعليم العام والخاص والفنى بصفتها الأركان الثلاثة للتعليم قبل العالى . وكان الهدف هو اتاحة الفرصة امام المهتمين بشئون التعليم لاقامة حوار مثمر وخلاق حول هذه القوانين الهامة والتى تضع الاساس لمرحلة اساسية من مراحل الهرم التعليمى وهى المرحلة بين التعليم الابتدائى وهو الاساس لكل تعليم وبين التعليم العالى وهو قمة الهرم . ولعل الدراسة التى تقوم بها اللجنة الوزارية للقوى العاملة لقانون التعليم الفنى قد أتاحت الفرصة لوقفة متأنية امام هذا القانون وهى فرصة نرجو ان يستفيد منها المهتمون بهذا الفرع من التعليم فى المساهمة بآرائهم والقاء الضوء على جوانب المشكلة بما يتيح الوصول الى احسن النتائج ويضع حدا للحلول المرتجلة والمسكنات الوقتية .

مشكلة فائض الخريجين

ولعله مما يزيد من حدة المشكلة وما يعطى لاولوية لضرورة حل مشاكل التعليم الفنى دون بطاء اضطرار الدولة عاما بعد عام الى مواجهة مشكلة تعيين فائض الخريجين من جميع انواع التعليم والذين يشكلون تناقضا واضحا بين التزام الدولة بايجاد عمل مناسب لكل خريج والاستفادة من كل هذه الطاقات من جهة وبين تكدس الخريجين من تخصصات معينة والنقص الواضح فى

تخصصات اخرى من جهة ثانية وعدم كفاية فرص العمل المتاحة طبقا للخطة لاستيعاب كل الخريجين من التخصصات الزائدة من جهة ثالثة • ويؤدى هذا الوضع بشكل آلى الى تكدس غير صحى فى عدد الموظفين فى كثير من المصالح والهيئات والمؤسسات والوحدات الاقتصادية وهو تكدس يضر بصالح العمل ويخفض الكفاية الانتاجية ويلقى المسئولية الفردية ويجعل محاسبة الموظفين شبه مستحيلة •

ولعل ابلغ تعبير عن حدة المشكلة هو ما جاء فى تقرير اللجنة الوزارية للقوى العاملة عن تعدد الاجتماعات والاراء منذ ٧ سنوات دون فاعلية مما ادى فى النهاية « الى وجود فائض فى خريجى بعض المجالات ووضوح قصور فى مجالات اخرى اساسها المهن الفنية ثم شيوع كثرة الاعداد مع قلة الكفاءة » • ويرجع تقرير اللجنة اسباب هذه الاوضاع الى « **تخلف هيكل الاجور عن اتاحة فرص التقدم امام الفنيين والعمال المهرة فى الوقت الذى يتم فيه افساح المجال امام خريجى الجامعات الى اعلى الدرجات وتجميدها بالنسبة للعاملين فى المجال الفنى وعدم الاخذ بنظام ربط الاجر بالانتاج وكذلك عدم فاعلية نظام الحوافز ••••• !**

الجذور التاريخية للمشكلة

وبديهى ان هذه المشكلات ليست وليدة الاوضاع الوظيفية الحالية او لوائح العاملين بالقطاع العام مثلا ، فهذه ليست الا امتدادا لاوضاع متوارثة من العهود الماضية التى خلفها لنا الاستعمار والاستغلال الرأسمالى • فالتعليم الحديث لم ينشأ فى بلادنا الا منذ عهد **محمد على** الذى كان هدفه الوحيد اعداد الرجال القادرين على ادارة جيشه والصناعات التى انشأها لخدمته ومما استلزمه ذلك من قيام ادارة وتجارة ونظام لتحصيل الضرائب لخدمة ذلك الجيش وتلك الادارة . وقد انكمش التعليم بمجرد انهيار احلام محمد على التوسعية بعد هزيمة جيوشه امام الدول الاوروبية • وعندما احيا اسماعيل التعليم الحديث مرة اخرى على ايدى رجال مثل **على مبارك** وتحت تأثير افكار ابى التعليم الحديث فى مصر **رفاعة الطهطاوى** كان الهدف اقامة دولة حديثة نامية تأخذ باسباب العلم والتقدم ولخدمة الطبقة البرجوازية المتطلعة الى النمو والى انشاء الدولة الحديثة • الا ان هذه الاحلام اندثرت فى مهدها حينما انهزمت هذه الطبقة البرجوازية الناشئة ممثلة ثورة عرابى والعرابيين امام الاستعمار البريطانى العاتى فى ذلك الوقت • ومنذ سيطر الاستعمار تحولت اهداف التعليم مرة اخرى الى مجرد انشاء جهاز دولة طيع يخدم اهداف الاستعمار ، اى بعبارة اخرى الى مجرد تخريج موظفين غير فنيين يقومون بالاعمال الروتينية المكتبية لخدمة الموجهين لجهاز الدولة من المستشارين والمفتشين البريطانيين • وكان اكثر مايصل اليه طموح هؤلاء الموظفين هو الترقى الى الوظائف الوسطى فى السلم الوظيفى وكانوا يعوضون النقص والذلة التى يشعرون بها تجاه رؤسائهم الانجليز بممارسة جميع اشكال الغطرسة والاستعلاء على جماهير الفلاحين وافراد الشعب عموما •

وقد انكمش التعليم العام الى اضيق الحدود وحل محله التركيز على انشاء « الكتاتيب » التى كان اللورد **كرومر** يفخر بالتوسع فى انشائها لخدمة اصحاب « الجلاليب الزرقاء » •

وكان اغلب الموظفين يعينون من بين حملة الابتدائية فى حين كانت قلة من ابناء البرجوازية النامية او من ابناء بعض الاسر الاقطاعية الاكثر تنورا تواصل تعليمها الثانوى ثم العالى ، ومن بين هؤلاء ظهر قادة الحركات الثورية المختلفة للبرجوازية من امثال **مصطفى كامل ومحمد فريد وقاسم امين وعمر لطفى وسعد زغلول** وغيرهم • وكان **دنلوب** هو الاب الشرعى لهذه السياسة وقد انشأ مدرسة كاملة سارت على سياسته من بعده لمدة طويلة •

وكما اوضحت الدراسة التى ظهرت فى الطليعة فقد كان التعليم سلاحا طبقيا الهدف منه المحافظة على الامتيازات الطبقية لتحالف رأس المال والاقطاع الذى ورث الحكم من الاستعمار بعد ثورة ١٩١٩ ـ وقامت على هذه السياسة المدرسة التربوية الجديدة التى قامت لتحارب سياسة دنلوب الاستعمارية الا أنها سارت فى خدمة المصالح الطبقية الجديدة وللمحافظة على امتيازاتها وفى ظل هذه السياسة كان التعليم مقصورا على ابناء الطبقة البرجوازية بما احيط به من قيود مالية على شكل مصروفات مرتفعة سواء فى التعليم الابتدائى او الثانوى او الجامعى ، اما ابناء الشعب فانشىء لهم التعليم الالزامى والذى مع هزاله وقصوره لم يكن الزاميا الا بالاسم فقط •

التعليم سلاح طبقى فى يد التحالف الثورى

والنتيجة المنطقية التى وصلت اليها الدراسة ان اى نظام تعليمى ثورى وخاصة فى بلد نام مثل بلدنا يجب ان يكون سلاحا لتطوير قوة العمل ورفع كفاءتها وانتاجيتها ولخلق المواطن الكفء الذى

يقوم بدوره فى الانتاج بشكل فعال . ولتحقيق هذا الهدف ولتعويض السنين الطويلة من التخلف والحرمان الذى عانت منه طبقاتنا الشعبية وخاصة من الفلاحين والعمال فان على التعليم ان يصبح سلاحا طبقيا ولكنه فى هذه المرة سلاح فى يد الطبقات الشعبية صاحبة المصلحة فى بناء الاشتراكية هدفه القضاء على اى امتياز طبقى والغاء اى تفرقة طبقية وتحقيق تكافؤ حقيقى فى الفرص لجميع المواطنين وذلك منذ مرحلة الاستعداد لمواجهة الحياة العملية . وبالتالى فانه على نظام التعليم الثورى ان يمنح فرصا اوسع لابناء الطبقات المحرومة حتى يتمكنوا من التغلب على المعوقات التى تقف امامهم بسبب انتمائهم لهذه الطبقات المطحونة طويلا سواء بسبب عدم احتكاكهم بادوات ومظاهر المدنية الحديثة أو بسبب نقص التغذية او لمجرد عجزهم عن الاستمرار فى التعليم حتى النهاية بسبب الفقر واضطرارهم الى العمل المبكر لكسب عيشهم او مساعدة عائلاتهم .

ونظام التعليم الثورى يجب ان يهدف كذلك الى ان يكون اداة فعالة لبناء الدولة العصرية اى ان يكون المواطن الكفء والمنتج المسلح باحدث اساليب التكنولوجيا الحديثة ، وارقى اشكال العلم .

الوحدة مع التعدد

ولتحقيق جميع هذه الاهداف وصلت الدراسة الى النتيجة الاساسية وهى وجوب الغاء اى تفرقة بين انواع التعليم المختلفة وخاصة تلك التى تحمل آثارا للتميز الطبقى ، ومن اهم اشكال التفرقة ، تلك النابعة من التفرقة بين العمل اليدوى والعمل الذهنى وهى التى تظهر على شكل تفرقة بين التعليم الفنى والتعليم العام لمصلحة الاخير ، حيث انه هو المعبر للتعليم الجامعى والعالى وهو الذى يجعل الطريق مفتوحا الى اعلى الدرجات فى حين يتجمد الحاصلون على التعليم الفنى فى منتصف الطريق لايستطيعون تجاوزه مهما كان ذكاؤهم او مهارتهم . وهكذا نصل الى مبدأ وحدة المدرسة، ولكنها الوحدة مع التعدد ، فالمدرسة الواحدة تخرج جميع انواع التخصصات ، ويمكنها متابعة التعليم الى آخر مراحله ، ولا تجد نفسها فى طريق مسدود ، فشجرة التعليم تتعدد فروعها ، ولكن الفروع جميعها تلتقى فى قمة الشجرة وتتساوى فى الثمار .

ثورة يوليو والتعليم الفنى

ولقد كانت ثورة يوليو واعية منذ الايام الاولى بأهمية التعليم الفنى الذى يخلق العامل الفنى الماهر والذى على اكتافه يقوم كل تقدم صناعى او اقتصادى او علمى ، ونظرة الى ارقام المدارس والفصول التى انشئت منذ بدء الثورة الى اليوم وكذلك عدد الطلبة تثبت ذلك بجلاء . ففى ١٩٥١ كان عدد فصول الثانوى العام ٤٥٠٠ تضم ١٦٠ الف طالب ، فارتفعت فى ١٩٦٦ الى ٦٣٠٠ فصل تضم ٢٣٥ الف طالب بزيادة ٤٠ فى المائة ، ٤٧ فى المائة على التوالى ، اما التعليم الثانوى الفنى فقد كان عدد فصوله ٨٥٠ تضم ٢٢ الفا فارتفع الى ٢٨٠٠ فصل تضم ١٢٠ الفا من الطلاب بزيادة قدرها ٣٤٧ فى المائة و٤٤٥ فى المائة على التوالى ، ونسبة الزيادة تزيد فى واقع الامر عن النسب المبينة اذا لاحظنا ان التعليم الثانوى بشقيه كان يستغرق ٥ سنوات فى ١٩٥١ ، فأصبح ٣ سنوات فقط ١٩٦٦ بعد فصل التعليم الاعدادى عنه . والزيادة فى التعليم الفنى فى عهد الثورة تفوق فى نسبتها حتى الزيادة الكبيرة التى حققها التعليم الابتدائى والتى تصل الى حوالى ١١٣ فى المائة من عدد الفصول ، ١٢٦ فى المائة من عدد الطلبة ، ويمكن تقدير الطفرة التى حققها التعليم الفنى منذ الثورة حتى الان بملاحظة تطور نسبة طلبة التعليم الثانوى الفنى الى مجموع طلبة الثانوى فقد كان الطلبة المقيدون بالتعليم الثانوى الفنى فى ١٩٥٣ يمثلون ١٢ فى المائة من جميع الطلبة المقيدين بالتعليم الثانوى فارتفعت هذه النسبة الى ٣١ فى المائة فى ١٩٦٠ ثم الى ٣٢ر٥ فى المائة فى ١٩٦٦ . ولكن يلاحظ ان نسبة الزيادة قد تناقصت كثيرا فى السنوات الاخيرة للاسباب التى وضحناها اعلاه .

والواقع انه برغم الطفرة الكبيرة التى حدثت فى التعليم الفنى خلال سنوات الثورة الا أنها دون المطلوب ، علاوة على ان الكثيرين من خريجى هذا النوع من التعليم قد التحقوا بأعمال لاترتبط به مباشرة ، والكثيرون منهم يقومون بأعمال مكتبية وبذلك يفقدون بالتدريج التكوين الفنى الذى حصلوا عليه خلال سنوات التعليم . والمسئول الاول عن هذه الاوضاع هو استمرار النظرة الطبقية القديمة لهذا النوع من التعليم بصفته يخرج صناعا او عمالا يعتبرون ادنى طبقيا من الموظفين وهى النظرة التى يؤكدها ويدعمها الطريق المسدود الذى يواجه خريجى التعليم الفنى كما شرحنا آنفا . والمطلوب الان هو تغيير كامل فى النظرة الى التعليم ترتبط بتغيير مقابل فى النظام التعليمى نفسه .

النظرة الطبقية فى صورة جديدة

وقد ترددت فى الآونة الاخيرة افكار تقول بأن الهدف من التعليم الفنى هو تخريج مستويات ثلاثة من العاملين وهى العامل الفنى الماهر والملاحظ او المشرف ذى المستوى المتوسط ، ثم المهندس او المصمم والمشرف الاكاديمى ، وانه لتخريج هذه

المستويات الثلاثة من العاملين وهى مستويات مطلوبة فعلا — يجب وجود ٣ انواع من التعليم مستقلة الواحد عن الاخر ، وطبقا لهذه النظرة فمستوى العامل الماهر يتحقق بعد الحصول على برنامج تدريب مهنى بعد التعليم الاعدادى او بعد انهاء التعليم الثانوى الفنى لمدة ٣ سنوات ، ويتحقق المستوى الاشرافى المتوسط بعد الحصول على تعليم فنى متخصص لمدة خمس سنوات بعد التعليم الاعدادى ، اما المستوى الاشرافى الاعلى فلا يكتسب الا بعد الحصول على شهادة جامعية وما يتلوها . ومن المعروف طبعا ان الوصول لهذا المستوى ليس ميسرا لابناء العمال والفلاحين ومن ناحية اخرى فكل من المستويين الاولين يتوقفان فى اول الطريق بل ان واحدا منهما لايؤدى للاخر . وهكذا نعود مرة اخرى الى نفس النظرة الطبقية البغيضة والى نفس الطريق المسدود وبالتالى الى الهروب من التعليم الفنى والتكالب على التعليم الجامعى مهما كان نوع التخصص المتوفر .

تعليم موحد وطريق

مفتوح أمام الجميع

والواقع ان الوضع السليم والذى يزيل كافة العيوب والمعوقات التى اسهبنا فى شرحها ، هو النظام التعليمى الموحد والذى يؤدى مستوى منه الى الاخر فى تسلسل منتظم ، والذى يسمح فى نفس الوقت باعداد المتخرجين من كل مستوياته للحياة العامة ، والعمل فى مستوى معين فالعامل الماهر الذى يستطيع اتقان الصناعة او الزراعة الحديثة المبنية على احدث منجزات العلم لايصل لهذا المستوى الا بعد انهاء مرحلة التعليم الثانوى . اما المستوى الاشرافى المتوسط فلا يجب الوصول اليه على اساس الدراسة فقط ، فهذه مهما كانت لها طابع نظرى يغلب عليها ، فى حين ان الاشراف الحقيقى يفترض الممارسة الفعلية للعمل واكتساب الخبرة العملية لعدد من السنوات ثم يضاف الى ذلك استمرار الدراسة النظرية حتى مستوى التعليم الجامعى المتوسط مثلا (وهو نظام متبع فى اغلب الجامعات الاجنبية ، ويحسن ان نتبناه هنا) . وباستمرار التعليم حتى نهاية المستوى الجامعى (سواء بالالتحاق بالدراسة النظامية او بالانتساب او المراسلة) يمكن بلوغ المستوى الاشرافى الاعلى او مستوى المصمم . ومن المؤكد ، وهذا ماتثبته الخبرة العملية — ان اولئك الذين يبلغون هذه المستويات العلمية بعد ان يكونوا قد مارسوا العمل الفنى اليدوى او البسيط يتفوقون كثيرا على اولئك الذين حققوها — فى زمن اقل طبعا — عن طريق مواصلة الدراسة وحدها ودون ممارسة العمل ، فالجميع بين المعرفة النظرية والخبرة العملية افضل بكثير من الاكتفاء بالمعرفة النظرية وحدها .

ومن المهم ان نؤكد مرة اخرى ان المستوى الاشرافى المتوسط او مستوى الملاحظ الفنى لايمكن الوصول اليه بمجرد الحصول على خبرة نظرية متوسطة والا سنواجه بالمستويات السطحية العاجزة التى لمسناها باستمرار فيما مضى . ففى جميع الاحوال اثبتت الخبرة العملية ان الطالب الذى قضى ثلاث سنوات بعد الشهادة الاعدادية او حتى ٤ او ٥ سنوات فى دراسة « فنية » لايستطيع ان يستوعب من المعلومات النظرية ما يؤهله للاشراف على عمال فنيين ذوى خبرة عملية طويلة وهو فى نفس الوقت ليس حاصلا على خبرتهم العملية . والنتيجة انه لايستطيع ان يوجههم ولا ان يشرف عليهم ولا حتى ان يراقب انتاجهم بأى قدر من الكفاءة . والنتيجة انه يصبح مشرفا شكليا ويشعر بالعجز امام مرءوسيه ، واما يصبح تابعا لهم او يعمل على فرض نفسه عليهم بماله من سلطة ادارية فيفقد بذلك احترامهم وتعاونهم وذلك يؤدى الى اشد الضرر بمصلحة العمل . وكل من احتك بخريجى التعليم الثانوى الفنى او مراكز التدريب المهنى التالية للدراسة الثانوية ممن عينوا فور تخرجهم فى وظائف اشرافية دون ان تتاح لهم فترة طويلة من العمل اليدوى لمس فيهم هذا العيب الجوهرى فيما عدا قلة نادرة . والغالب ان هذا المستوى من الخريجين يصل بهم الامر الى حد العداء الشديد للعمل اليدوى وتدفعهم تطلعاتهم الطبقية وما يواجههم من طريق مسدود امام هذه التطلعات الى محاولة الهروب الى اعمال مكتبية بعيدة بشكل او بآخر عن اعمال الاشراف على العمال الفنيين .

وقبل ان ندخل فى دراسة تفصيلية للحل المقترح والمبنى على اساس الوحدة مع التعدد اى وحدة المدرسة مع تعدد انواع التعليم او التخصصات التى توفرها يحسن ان نستعرض بعض التجارب من بعض الدول المتقدمة ذات الانظمة السياسية والاجتماعية المتباينة ونبدأ بمثال الولايات المتحدة الامريكية .

الولايات المتحدة

وفى كتاب نظرات فى التعليم الثانوى تأليف جيمس كونانت (١) نجد عرضا علميا متعمقا فى

(١) ترجمه الى العربية الدكتور محمد على العريان

لنظام التعليم الثانوى فى الولايات المتحدة الامريكية • ومع تعدد انظمة التعليم هناك باختلافها من ولاية لاخرى ومع تعدد المعاهد العليا وتنوع انظمتهاتبعالتعدد الجهات المشرفةعليهاالا ان الكتاب يبرز بوضوح ان شكل المدرسة الثانوية الاكثر شيوعا هناك هو مايسمى بالمدرسة الثانوية الجامعة وهو النوع السائد فى المدن متوسطة الحجم (بين ١٠٫٠٠٠ و ١٠٠٫٠٠٠ نسمة) • اما المدن الكبرى فيتراجع هذا النوع من المدارس ليفسح المجال لنوعين من المدارس المتخصصة وهما المدارس المهنية المتخصصة والمدارس التى تعطى طلبتها برنامجا اكاديميا يؤهلهم لدخول الجامعة .

وهدف المدرسة الثانوية الجامعة فى الولايات المتحدة ــ سواءكانتمن النوع ذى الاربعةصفوف أو الثلاثة صفوف ــ هوتحقيق اغراض ثلاثة فى وقت واحد :

١ ــ اعطاء جميعالطلبة اعدادا علمياواجتماعيا كافيا ليؤهلهم ليكونوا مواطنين على درجة كافية من الثقافة العامة •

٢ ــ اعطاء اغلبية الطلبة (٧٥ فى المائة ــ ٨٠ فى المائة منهم) تعليما مهنيا مناسبا ليـولهم ويؤهلهم لمواجهة الحياة بعد التخرج من المدرسة •

٣ ــ اعطاء الاقلية الموهوبة اكاديميا (٢٠ فى المائة ــ ٢٥ فى المائة من الطلبة) الدراسة الاكاديمية ذات المستوى المناسب والتى تعدهم للالتحاق بالجامعة بعد ترك المدرسة •

ويوجد بالولايات المتحدة نظامان للتعليم هما مايعرفان بنظام ٦:٣:٣ او ٨:٤ وفى النظام الاول توجد مدرسة اعدادية ذات ٣ صفوف تتوسط المدرستين الابتدائية ذات الستةصفوف والثانوية ذات الثلاثة صفوف . وفى النظام الثانى تأتى المدرسة الثانوية ذات الاربعة صفوف بعد مدرسة ابتدائية تضم ٨ صفوف • والنظام الاول هــو الاحدث وهو النظام الذى اتبعته وزارة التربية عندنا ابتداء من سنة ١٩٥٣ •

وفيما عدا الحالات التى يؤدى فيها ضـغط الاباء (من مهن معينة او من اوساط اجتماعية معينة) الى ان يفرضوا على ابنائهم الالتحـاق بالدراسات الاكاديمية وذلك تمهيدا لـلالتحاق بالجامعة ابتغاء تحقيق مستوى اجتماعى يتناسب مع الاوضاع الطبقية لذويهم، فان اغلب الطلبة يختارون مقررات مهنية تتمشى مـع رغبـاتهم وهواياتهم الخاصة وتتناسب مع قدرتهم الفعلية وبالتالى تساعدهم على اعداد انفسهم لممارسة مهن مناسبة بعد تخرجهم من المدرسة • ويجد الطلبة فى هذه المدارس مناهج مهنية شديدة التنوع تتراوح مابين الفن والموسيقى ،وبين الميكانيكا والكهرباء وحتى فن العناية بالغابات مارة بالاختزال والالة الكاتبة ومسك الدفاتر والتدبير المنزلى • والى جانب هذه المناهج المهنية يحصـل الطلبة عـلى دراسات اساسية لمدة ٣ او ٤ سنوات فى اللغة الانجليزية والعلوم والرياضيات •

اما بالنسبة للطلبة الموهوبين اكاديميا فانهم يحصلون على مقررات متقدمة فى اللغة الانجليزية والعلوم والرياضيات الى جانب لغة اجنبية او اكثر •

وهكذافغى داخل جدران نفس المدرسةالثانوية يحصل الطلبة على التعليم الاكاديمى الذى يؤهلهم للالتحاق بالجامعة او التعليم المهنى الذى يعدهم للعمل ومواجهة الحياة العملية بمجرد تـركهم المدرسة • وفى كلتا الحالتين تجمع دراسـات اساسية واحدة بين الطلبة من الفريقين الا انهم يفترقون فى الانواع الاخرى من الدراسات والتى لها الطابع المتخصص .

وفى المدن الكبرى نجد نفس النوع من المدرسة الثانوية الجامعة ، الا انها تجد منافسة قويةمن نوعين من المدارس فمن جهة نجد المدرسة الثانوية الاكاديمية والتى تنتشر فى الاحياء الغنية حيث تنتمى اغلبية الطلبة الى اسر من اصـحاب الاعمال، اواصحاب المهن الحرةذوى الدخول المرتفعة والذين يعتبرون استكمال تعليمهم حتى الجامعة شرطا اجتماعيا لايمكن التنازل عنه ، ومن جهـة اخرى نجـد المدرسة المهنية متخصصـة ، بل وشديدة التخصص احيانا ففى مدينة نيويورك مثلا نجد مدرسـة ثانوية لفنون الاداء المسرحى واخرى للموسيقى والفن وثالثة لصـناعات الازياء ورابعة لحرف الطيران واخرى للطباعة ولحرف السيارات وللتدبير المنزلى واكثر من٢٥ مدرسة ثانوية متخصصة اخرى .

وايا ما كان الامر فان شيوع هذا النوع من المدارس الجامعة ــ على تنوع الدراسات بها ــ يحقق فكرة وحدة المدرسة مع التعدد فى نفس الوقت وهو اذ يضم جميع الطلبة فى حى معين او مدينة بأكملها ينفى تماما اى تفرقة بين الطلبة الذين يلتحقون بنوع بذاته من التعليم ويعطى الطلبة الفرصة لاختيار نوع التعليم الذى يناسبهم على اساس القدرة الفعلية او الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية من ناحية اضطرارهم للعمل بعد ترك المدرسة الثانوية مباشرة • ومن الطبيعى ان هناك بعض الفرص امام الطلبة الموهوبين الفقـراء للحصول على منح تسمح لهم بمتابعة دراستهم اكاديميا حتى المستوى الجامعى، الا انها بالطبع غير

كافية فى بلد الرأسمالية الفردية حيث تتحدد الفرص امام الفرد على قدر قدرته الاقتصادية قبل اى اعتبار آخر.

الاتحاد السوفيتى

ان مايميز التعليم العام فى الاتحاد السوفيتى هو انه تعليم « عام » بالمعنى الدقيق للكلمة اى انه تعليم لجميع افراد الشعب سواء كانوا من ابناء العمال او الفلاحين او المثقفين ، فالانتقال من اوضاع اجتماعية متخلفة الى نظام اشتراكى لا يمكن تحقيقه الا ببذل مجهودات ضخمة لتثقيف ابناء العمال والفلاحين وتمكينهم من اداء دورهم التاريخى فى اقامة المجتمع الجديد . وهدف الحكومة السوفيتية كما جاء فى برنامج الحزب الشيوعى « هو ان تحول المدرسة السوفيتية من اداة للسيطرة البرجوازية الطبقية الى اداة لازالة الفوارق بين الطبقات ازالة تامة ... » والتعليم العام فى الاتحاد السوفيتى وحدة متكاملة متماسكة تشتمل على التربية الفعلية والخلقية والجمالية والتربية الرياضية والتدريب المهنى وهكذا فالتعليم العام فى الاتحاد السوفيتى — وقد وصل حاليا الى نظام السنوات العشر — يعد الطالب لمواصلة تعليمه حتى اعلى مراحل التعليم العالى ، وفى نفس الوقت يعطيه تدريبا مهنيا يسمح له بمواجهة الحياة بعد انتهاء هذه المرحلة التعليمية مباشرة والدخول الى ميدان العمل .

والتعليم المهنى يحظى باهتمام خاص فى الاتحاد السوفيتى نظرا لاهميته القصوى فى اعداد المواطنين للانتقال من مجتمع اقطاعى راسمالى زراعى متخلف الى مجتمع اشتراكى صناعى زراعى حديث . ويلعب هذا التعليم دورا هاما كذلك الان فى مرحلة الانتقال الى المجتمع الشيوعى المبنى على آخر انجازات العلوم الحديثة ، وحيث امكن تعميم نظام التعليم العام لمدة عشر سنوات لجميع المواطنين بعد ان كان يقتصر منذ خمسة عشر عاما على نظام السنوات السبع فقط(٢) وفى ظل هذا النظام فانه الى جانب الاهتمام بالعلوم الاساسية كاللغة والرياضيات والطبيعة والكيمياء فان الطلبة يطبقون العلوم التى يدرسونها تطبيقا عمليا فى الصناعة والزراعة ويلمون الماما تاما بالانتاج الحديث ومقوماته كالقوى الكهربية والالات والتكنولوجيا والتنظيم الانتاجى . ومجال التعليم المهنى مفتوح امام جميع المواطنين حتى الذين يعملون منهم وذلك يتيح لهم تغيير المهن التى لاتلائم ميولهم واتخاذ مهن جديدة تناسبهم اكثر . والطريق امام خريجى التعليم المهنى مفتوح بلا عوائق لاستكمال تعليمهم العالى والجامعى حتى اعلى المراحل .

وقد كان التعليم الابتدائى لمدة ٤ سنوات هو التعليم الاجبارى فى مبدا الامر، وكان التعليم المتوسط لمدة ٧ سنوات مجانيا كذلك ، الا انه لم يصبح اجباريا الا فى سنة ١٩٣٠ فى المدن وفى ١٩٤٩ فى الريف وفى نفس الوقت بدأ تعميم التعليم الثانوى ذى السنوات العشر وقد تم ذلك واصبح اجباريا منذ اوائل الستينات . وحتى تعميم نظام السنوات العشر كانت توجد مدارس للصناع والزراع الصغار وهى مدارس تعطى نفس برامج المدارس الثانوية لعمال الصناعة والزراعة ولكنها تبدأ بعد انتهاء مواعيد العمل العادية لطلبتها فى المصانع والمزارع. وكانت هذه المدارس تلعب دورا اساسيا فى مساعدة العمال والزراع على استكمال دراستهم ومتابعة تعليمهم حتى اعلى المستويات .

جمهورية ألمانيا الديمقراطية

وتعطى جمهورية المانيا الديمقراطية نموذجا متقدما لنظام تعليمى ثورى يعطى اهتماما مركزا للتدريب المهنى ولكن فى اطار نظام تعليمى عام موحد . وقد صدر قانون التعليم الموحد لجمهورية المانيا الديمقراطية فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٥ .. ومن اهم المبادىء التى قررها مايلى :

● التعليم العام لكل مواطنى المانيا الديمقراطية مجانى واجبارى لمدة عشر سنوات تبدأ من سن السابعة .

● يتم هذا التعليم لجميع المواطنين فى مايسمى بالمدرسة الثانوية الجامعة ، وتنقسم الى ٣ مراحل : دنيا ومتوسطة وعليا مدتها ٣،٣،٤ سنوات على التوالى

● وفى المرحلة الوسطى يبدا الاطفال يتعلمون القراءة والكتابة والحساب كما يتعرفون على البيئة المحيطة وعلى مقومات وطنهم . ويحصلون على المدارك عن الطبيعة والعمل والمجتمع الاشتراكى .

وتشمل هذه المرحلة كذلك بعض اشكال التدريب والمهارات اليدوية وفلاحة البساتين .

● وفى المرحلة الوسطى يبدأ الاطفال يتعلمون العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ولغة اجنبية

---

(٢) ارجع الى كتاب التعليم العام فى الاتحاد السوفيتى — تاليف : ى . ميدنسكى — وترجمة ممدوح اباظة .

الى جانب الاستمرار فى اتقان اللغة الالمانية والرياضيات والتدريب اليدوى على بعض الحرف البسيطة وفلاحة البساتين • وكذلك يتعلمون الحقائق الفنية والتكنولوجية مستخدمين العلم والرياضيات • ويبدأ فى هذه المرحلة تعرف الطلبة على كافة المهن الموجودة فى المجتمع تمهيدا لاختيارهم لبعضها حسب رغباتهم عندما يبلغون المرحلة العليا • وتعطى اهمية خاصة فى هذه المرحلة لتشجيع الفتيات على اختيار بعض المهن مثلهن مثل الصبيان .

● وتستكمل الدراسة الثانوية فى المرحلة العليا وفيها يتعلم الطلبة التحليل الرياضى والهندسة ويدرسون الطبيعة والفلك والكيمياء وعلم الاحياء والجغرافيا الطبيعية • وفى مجال العلوم الاجتماعية يدرسون الحقائق الاساسية فى التاريخ والسياسة وقوانين التطور الاجتماعى وتطبيقها على مشاكل العصر . والى جانب اتقان اللغة الالمانية وتقوية اللغة الاجنبية الاولى (الروسية) يبدا تعلم لغة اجنبية ثانية (الانجليزية) . كما يبدا فى هذه المرحلة التدريب المهنى بشكل منظم مع التركيز على دراسة الاسس العلمية والفنية والاقتصادية للانتاج الاشتراكى مع التوجيه نحو الدراسة العملية للالات الحديثة . ويجرى التدريب وخاصة لطلبة الصفين التاسع والعاشر فى المؤسسات الاشتراكية حيث يحصل الطلبة على تدريب عملى ويشاركون فى عملية الانتاج بالقيام باعمال متكاملة ويتعرفون على العاملين بالمؤسسات حتى يقدروا قيمة العمل الاجتماعى والقائمين به .

● ويحق لكل مواطن انهى تعليمه فى المدرسة الثانوية ان يستمر فى التعليم لمدة سنتين بعدها وذلك للحصول على احد مؤهلين : اما شهادة القبول فى الجامعات ،واما شهادة انهاء التعليم الثانوى ، وهذه الشهادة الاخيرة تؤهل الحاصل عليها لمواجهة الحياة العملية كمواطن مدرك لما عليه من واجبات وما له من حقوق كما تعطيه تدريبا مهنيا كافيا لاعطاء مهارة خاصة فى مهنة محددة الى جانب التديب المهنى الاساسى . ويستطيع العمال الذين التحقوا بالعمل بعد دراسة السنوات العشر ان يلتحقوا بأى من هذين البرنامجين دون اى عائق .

● والتدريب المهنى حق دائم لجميع المواطنين والهدف منه رفع مهارة العمال باستمرار واعدادهم لتحقيق مستويات مهنية ارقى وكذلك لاتقان مهن جديدة مما يسمح لهم بتغيير المهن التى لاتلائم استعدادهم وميولهم • ويتدرج التدريب المهنى حتى مستوى الاكاديميات المهنية وهى التى تديرها مؤسسات انتاجية مهنية بهدف تحقيق مستويات متقدمة من المهارة فى الفروع المتخصصة للانتاج (*)

● من حق كل مواطن حاصل على شهادة المهارة العملية المتخصصة (شهادة انهاء التعليم الثانوى) الالتحاق باحد معاهد الهندسة اوالمعاهد العليا فى الفرع المناسب ويشترط لقبوله فى هذه المعاهد حصوله على خبرة عملية لمدة معينة • وبعد استكمال الدراسة يحصل على درجة فنى او مهندس فى التخصصات المختلفة •

● من حق كل مواطن حاصل على شهادة القبول فى الجامعات الالتحاق بالكلية المناسبة فى الجامعة • وتسمح نظم الدراسة بالمراسلة فى الدراسات المسائية لجميع المواطنين العاملين بمتابعة الدراسة حتى الحصول على الدرجة الجامعية •

ويفرض القانون على المؤسسات التى يلتحق بعض العاملين بها بهذه الدراسات المسائية او بالمراسلة ان تمكنهم من متابعة الدراسة وذلك عن طريق عمل عقود ترقية لهم والانفاق عليهم خلال مدة تعليمهم • وتتكفل الدولة باعادة تعيينهم بعد حصولهم على المؤهل الاعلى فى وظائف تتناسب مع المؤهل الذى حصلوا عليه والخبرة التى اكتسبوها •

وهكذا نجد ان نظام التعليم الموحد لالمانيا الديمقراطية يعطى نموذجا فريدا لنظام التعليم الموحد والمتنوع فى اطار الوحدة والذى يعطى لجميع المواطنين فرصا متساوية كما يمنحهم جميعا دراسة نظرية وعلمية اساسية الى جانب التدريب المهنى الاساسى للجميع بما يسمح لهم جميعا بالخروج الى خضم الحياة بعد انهاء الدراسة الثانوية كما يسمح للجميع بمتابعة دراستهم دونما اى قيود حتى اعلى المستويات •

الحل المقترح

وعلى ضوء المبادىء العامة التى حددناها آنفا ومع اخذنا فى الاعتبار الخبرات المتنوعة والمتشابهة فى نفس الوقت لبعض البلاد التى سبقتنا فى طريق التقدم والتى بسطناها بشىء من التفصيل فيما سبق نصل الى تحديد بعض المبادىء الاساسية التى نقترحها كأساس لنظام تعليمى ثورى بادئين من ارضية واقعنا الحالى بكل مافيه من حسنات ومساوىء ،ومنها نصل الى اقتراحات عملية نضعها امام المسئولين وكافة المهتمين بقضايا التعليم فى البلاد بأمل ان تكون مساهمة متواضعة فى المناقشة المثمرة التى نرجو ان تؤدى الى الوصول الى احسن الحلول الممكنة •

وحيث ان نظام التعليم الحالى يتبع نظام المراحل الثلاث الابتدائية والاعدادية والثانوية فلا مانع من الابقاء على هذا التقسيم خاصة وهو متبع باشكال متفاوتة فى اغلب البلاد على ان يراعى فى مدة كل نوع الاوضاع الحالية والمنتظرة فى المستقبل بالنسبة لمدة التعليم الاجبارى ، وكذلك يراعى المستوى المطلوب تحقيقه فى كل مرحلة من مراحل التعليم المختلفة ·

وحيث ان هدف تحقيق تعميم التعليم الابتدائى الاجبارى بحيث يستوعب نسبة ١٠٠ فى المائة من الطلبة فىسن الالزام خلالبضعسنوات هوهدف قد قارب التحقيق فعلا ، واننا يجب ان نتطلع فى مستقبل غير بعيد الى التوسع فى التعليم الاجبارى تدريجيا بحيث ترتفع سن الالزام بالتدريج فان تحقيق ذلك يقتضى التوسعفى المرحلة الاعدادية ، بحيثيمكن انتستوعب جميع الملزمين بعدانتهائهم من المرحلة الابتدائيـــة . ومما يساعـــد على سرعة تحقيق هذا الهدف اختصـــار المرحلـــة الاعدادية الى سنتين ، على ان تصبح المرحلة الثانوية اربع سنوات وعلى ذلك فلو تصورنا امكان رفع سن الالزام بعد عشر سنوات مـــثلا الى سن الرابعة عشرة فيصبح التعليم اجباريا فى المرحلتين الابتدائية والاعدادية وطبعا لاباس ان يتحقق ذلك تدريجيا كما حدث بالنسبةللتعليم الابتدائى ، فرغم ان التعليم الابتدائى اصبح اجباريا منـــذ سنوات طويلة الا ان الامكنة لم تتوفر لجميع التلاميذ فى سن الالزام حتى الان ولا ينتظر ان تتوفر تماما الا بعد سنتين او ثلاثة · وبعد تحقيق هذه المرحلة يجب ان ينتقل التركيز الى التوسع فى المدارس الاعدادية حتى تنشأ بها امكنة تكفى جميعالملزمين ، وكذلك تزود بالاعداد الكافية من المدرسين، وبمجرد تحقيقذلكيمكن ان يصدر قانون يجعل التعليم الاعدادى اجباريا هو الاخر ·

والتعليم الاعدادى بنظام السنتين كما نقترحه سيكون مرحلةمتوسطة ،وانيكونالتعليم فيهاعاما لايطلب فيه من الطالب اختيار مواد معينة الا انه سيطلب منه الى جانب التوسع فى تعليم الطالب المواد الاساسية للغة العربية والرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية ان يعطى الطلبـــة بعض الاعداد لمواجهة الحياة العملية فى حالة تركهم للتعليم بعدها مباشرة ، فيبدأبتعريفهمعلى الحرف اليدوية وفلاحة البساتين تمهيدا لجذب انتباههم لهذه الاعمال اليدوية واعدادا لهم لاختيار احداها فى حالة اضطرارهم للعمل بعد ترك الدراسة · وفى نفس المرحلة يحصل الطلبة على اعداد ذهنى لمواجهة متطلبات الحياة العملية ، ويتعلمـــون احترام العمل بكافة صوره واشكاله سواء اكانت ذهنية ام يدوية .كما يبدأفىهذه المرحلة التركيز على العلوم الاجتماعية بما فى ذلك دراسة ثورتنا المصرية بكلّ خصائصها المتميزة ومعرفة حقوقهم وواجباتهم كمواطنين ، ودراسة قوانين المجتمع الاشتراكى وابراز العمل الانسانى بصفة قيمة اساسية يقوم عليهانظامنا الاجتماعى،ويمكن ان تعد للطلبة الذين يلتحقون بالعمل بالمصانع بعد هذه المرحلة مباشرة برامج للتدريب المهنى ترفع من مستواهم تؤهلهم لمتابعة الدراسة فيما بعد ان رغبوا فى ذلك .

اما فى المرحلة الثانويةوتستغرقطبقالاقتراحنا ٤ سنوات ، فيلغى التقسيم الحالى الى تعليم ثانوى عام وتعليم فنى ولكن يحدث توسع كبير فى المواد التى تدرس على ان يسمح للطلبة باختيار مجموعات من المواد الدراسية تسمح لهم باختيار تخصصات واضحة ذات طابع اكاديمى او مهنى حسب اختيار الطالب ولكن بشرط ان تشتمل كل دراسة على الحد الادنى من التخصصات النظرية والعملية · فالى جانب الدراسات الاساسية لجميع الطلبة والتى تشمل اللغة العربية والرياضيات والعلوم الطبيعية والانسانية الاساسية فعلى جميع الطلبة اختيار دراسة مهنية او اكثر مثل فلاحة البساتين او الصناعات الزراعية او الصناعات الميكانيكية او الالة الكاتبة او الاختزال او التدبير المنزلى او الصيد الخ ··· وكذلك توفر للطلبة دراسات اكاديميةاكثر عمقاواعلى مستوىيمكنهم اختيارها الى جانب الدراسات الاساسية .

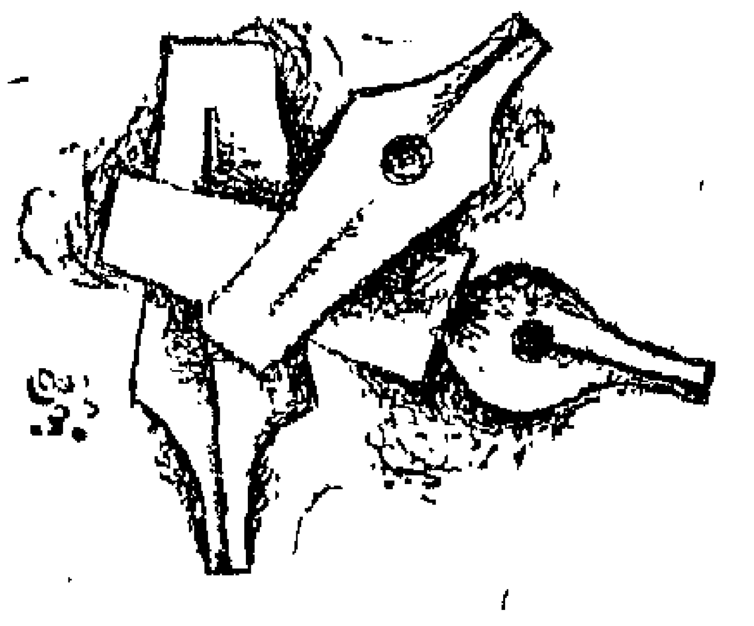
وهكذا يحدد الطلبة فى هذه المرحلة اتجاههم الاساسى اما فى اتجاه استمرار الدراسة حتى المرحلة الجامعية او فى اتجاه اختيار اعداد مهنى معين على مستوى مرتفع نسبيا مع اشتراط حصول الجميع على حد ادنى من الاعداد المهنى وذلك يحقق اهدافا كثيرة. فهومنجهة يلغى اىتفرقة او تمييز قد يشعر بها الطلبة بين من سيتمون تعليمهم حتى نهاية المرحلة الجامعية وبين اولئك الذين اختاروا تعلم حرفة اختصارا للطريق ، وهو من جهة اخرى يكسبهم مهارة يدوية نافعة ، ومن جهـــة ثالثة يحقق الحد الادنى من الربط بين التعليم النظرى والعملى ،وهو امر جوهرى لاعطاءالطلبة تكوينا متكاملا ، وهو امر هام بالنسبة لاعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين · وينظم الامر بحيث يسمح للطلبة باختيار مجموعاتمتكاملة منالمواد على ان تشمل كل مجموعةالحد الادنى المفروضمنالمواد الاساسية (طبيعيةوانسانية)،وبعد ذلك تستكمل كل مجموعة بقية الدراسات [نظرية او عملية] التى تتمشى مع رغباتها واستعدادها .

ولا مانع فى المدن الكبيرة من ان توجد مدارس متخصصة فى نوع معين من الدراسات ، اما الدراسة الإكاديمية أو المهنية ، ولكنمن المفهوم ان كلا من هذه المدارس تمنح الحد الادنى من

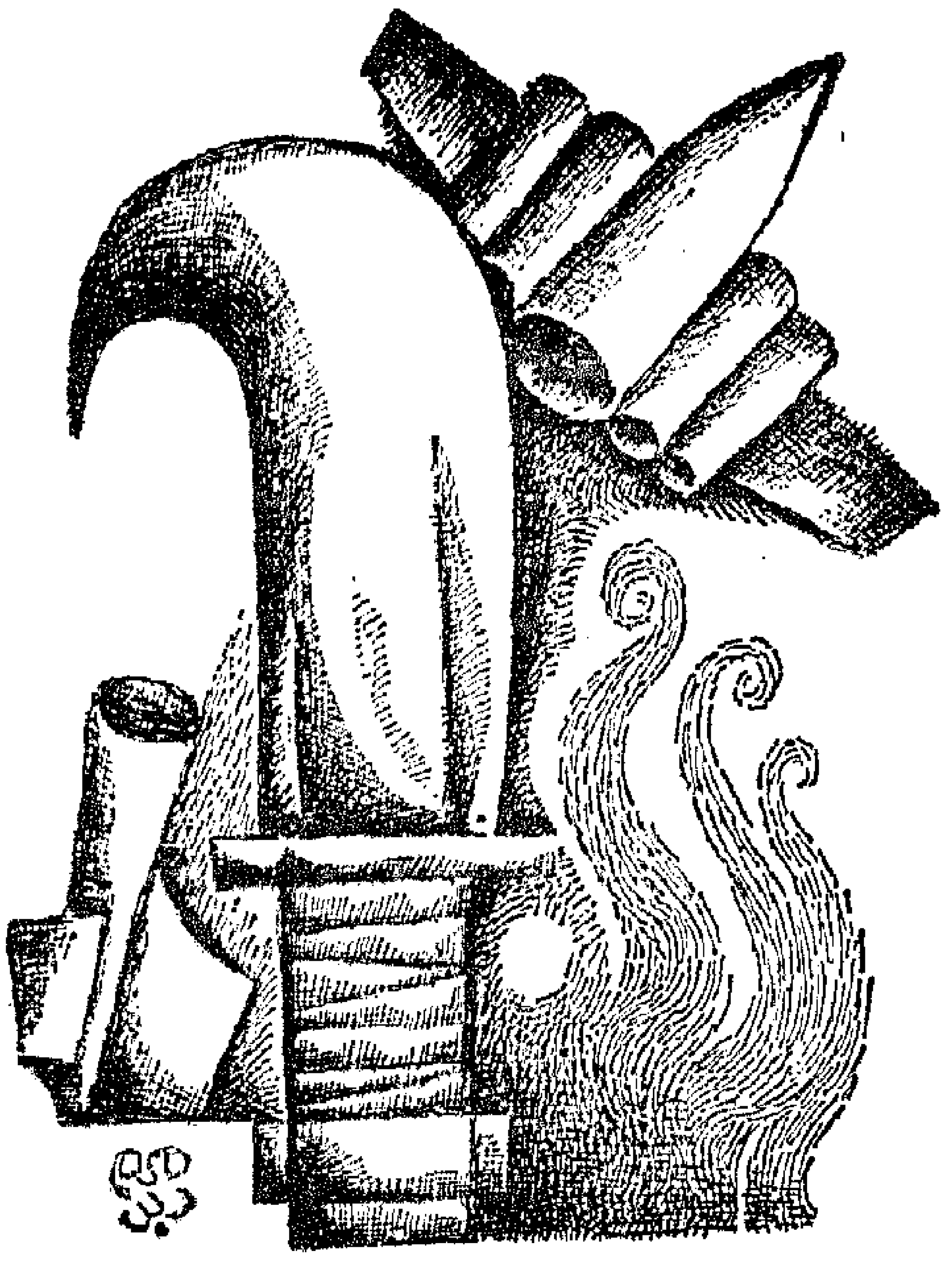
التعليم في الفرع الاخر بحيث لاتحدث تفرقة بين الطلبة فى النوعية من المدارس .

وهكذافبرغمتنوع الدراسات الثانويةوانقسامها الى دراسة اكاديمية تعد للالتحاق بالجامعة ودراسة مهنية تؤهل الحاصل عليها الى الدخول الى معترك الحياة الا ان التفرقة بين النوعين صغيرة الى الحدالذىيلغى التهافت الذىنلمسه حاليا على التعليم العام . ومن البديهى ان ايا من نوعى التعليم المشار اليهما اعلاه يمكن ان يؤدى الى الجامعة خاصة وكلاهما يشترك فى العلوم الاساسية والمطلوبة كأساس للتعليم الجامعى وكل ما قد يطلب من الطالب الذى اختار تعليما مهنيا اذا اختار دخول الجامعة هو اجتياز امتحان معادلة فى اللغة الاجنبية الثانية ، ولضمان مستوى معين للعلوم الطبيعية والرياضية او الاجتماعية (حسب نوع الكلية او الدراسة الجامعية) .

هذا هو الحل الذى يقضى على الكثير من المفارقات والعيوب الصارخة فى نظامنا الحالى وهو حل قد اخذت بالكثير من خطوطه دول اخرى سبقتنا فى هذا المضمار ،ولعلهينجحفى القضاء على تعدد التعليم وبقايا التفرقة الطبقية البغيضة التى لاتزال تشوهه ، وتؤدى الى هذا التناقض الصارخ بين احتياجات البلاد ورغبات الافراد .



آفـــاق ثـــورة اليمـــن الجنـــوبية



عبد الواسع قاسم

تجتاز الثورة فيجمهورية اليمنالجنوبية الشعبية اليوم ، مرحلة جـديدة هامة منمراحل تطورها التاريخي ولـكي نحدد آفاق مسـار هذه المرحلة ، لابد وأن نرصد ونتقصى — من زاوية نضالية مسئولة — منطلقات ثـورة الرابع عشر من أكتوبر ، والواقع الاجتماعي والاقتصاديالذي تفجرت منه .

التركيب الاجتماعي للجنوب

ان نظرة فاحصة على أوضاع الجنوب اليمني الاجتماعية ، تكفي لان نقول باطمئنان ، اننا أمام مجتمع متخلف وقبلي واستعماري . ونضيف الى ذلك قولنا بأن الهيكل الاقتصادي القائم ، لايتصف بظاهرة الصراعالطبقي. ويمكننا تقسيم العلاقات الاجتماعية في الجنوب ، الى قسمين ، يقـوم أحدهما في الريف ، ويقوم الثاني في المدن .

أولا : فغالبية جماهير شعبنا في الجنوب ، تعيش علاقات قبلية وعشائرية تنعكس بوضوح في سلوكها اليومي . وذلك نتيجة لعوامل استثنائية دعمت الاستغلال. فبعد تفكك الحكم المركزي في **صنعاء** وانفصال الجنوب عن الشمال ، ثم مجيء الاستعمار البريطاني ، أصيب الجنوب بحالة من الجمود . اذ حرص الاستعمار البريطاني على المحافظة على العلاقات القبلية ، بل وعمل على دعمها . فقد اعقب الانفصال ، انفراد كل قبيلة بحكم نفسها وفقا لمفاهيمها الخاصة ، وبـرغم اضطرار الاستعمار اليفرض الامراء والسلاطين على القبائل ، لربط قطاع الريف بمخططـه الاستعماري العام ، الا أنه أبقى على جـوهر العلاقات القبلية ، وأن أجرى بعضالتغييرات في الشكل .

وفي التحليل الاخير ، حول الاستعمار ، الريف الى « قطاع خاص » يحقق أهدافه ومصـالحه السياسية والاقتصادية .

وبحكم وضع عائلات السلاطين والأمراء ، على قمة الهرم الاجتماعي في الريف ، ولعب دور « الوسيط » بين الجماهير والاستعمار ، تمتعت بكل الامتيازات – في ملكية الارض وفي السلطة – ولم يكن في مقدورها تلمس حقيقة الاوضاع المتخلفة في الريف ومن ثم لم تحاول حتى القيام بأي مشروع للاصلاح ، فقد ظنت أن استغلالها للجماهير – من خلال وجودها في السلطة – هو «حق مقدس» من حقوقها . ويعكس هذا الواقع – بدوره – مدى تخلف جماهير الريف التي رغم عانت الظلم ولكن بمفهوم سلبي أي دون أن ترفضه وان تمردت عليه في أشكال بسيطة ومتقطعة .

لكن هذا الشكل الجديد من الحكم ، كان لابد وأن يؤثر على العلاقات الاجتماعية القائمة ، وأن يغير من بعض أشكالها ولو في حدود ضيقة .

ثانيا : اتخذ الاستعمار البريطاني من عدن ، قاعدة أساسية يحقق عن طريقها أهدافه ومصالحه – السياسية والاقتصادية – بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي . وأقام فيها مركزا صناعيا واقتصاديا ، سهل له خلق فئة اجتماعية تنتفع من نشاطه الاقتصادي – هي البورجوازية – تماثل في وضعها ودورها وضع ودور الفئة شبه الاقطاعية من السلاطين والامراء في الريف .

وبرغم مستوى المعيشة الاحسن – نسبيا – الذي عاشته جماهير المدينة ، عن مستوى معيشة جماهير الريف ، الا أنها بدورها عانت واقعا استغلاليا مجحفا في نفس الوقت .

من ذلك كله ، نخلص الى القول ، بأنه كان هناك معسكران لكل منهما مصالحه . معسكر الاستعمار بكل مصالحه السياسية والاقتصادية وأداته المنفذة : نظام السلاطين والمشايخ ، بالاضافة الى الفئات البورجوازية ذات الخصائص المحلية الطامحة للاثراء ، وهناك من جانب آخر ، معسكر الجماهير الشعبية الكادحة التي لاتكاد تفي باحتياجاتها اليومية .

الوضع الاقتصادي

لاشك أن الوضع الاقتصادي ، هو أحد العوامل الاساسية والمباشرة المؤثرة في العلاقات الاجتماعية . فما هي حقيقة الوضع الاقتصادي في الجنوب وعلاقته بالمستعمر ؟

لاشك أن الزراعة والصناعة ، دعامتان أساسيتان للمجتمع . فأين الجنوب من هاتين الدعامتين ؟

الواقع أن الجنوب لايملك اطلاقا قاعدة صناعية أو زراعية متقدمة بحيث يمكن اعادة صياغة العلاقات الاجتماعية بسهولة . فلا تزال الرقعة المزروعة ، تعتمد – منذ حوالي ١٣٠ عاما – على أدوات انتاج متخلفة . وقد أثر ذلك بدوره على سلوك الفلاح نفسه وعلى أسلوب حياته .

والجنوب لايعرف اطلاقا قاعدة صناعية بالمعنى المعروف للكلمة ، فقد حول الاستعمار البريطاني ، الجنوب ، الى سوق تجارية لتصريف منتجاته من جهة ، والى مركز لشبكة نشاطه التجاري في العالم من جهة أخرى . فالميناء ومصفاة البترول والمؤسسات التجارية الاخرى ، هي جميعها ظاهرة من ظواهر الاستعمار وجدت بوجوده ووفقا لاستراتيجيته العالمية .

لقد كان الوضع الاقتصادي في الجنوب – ولا يزال – قائما على أساس التجارة والخدمات . ولانه – بالتالي – لايعتمد على الانتاج والمهارات في العمل ، لذلك نجده متخلفا ويفتقر الى مقومات الاقتصاد الحديث .

وفي كلمة ، نقول أن اقتصاد مجتمعنا ، يقوم على أساس الخدمات لا على أساس الانتاج . ويقودنا هذا الوضع ، الى استخلاص حقيقة أن الوضع المتخلف الناجم عن الوجود الاستعماري في الجنوب ، سوف يفرز – في مرحلة تاريخية من النضال – ردود فعل للجماهير في غير اتجاهها الصحيح ، نظرا لغياب الوعي الطبقي السليم نتيجة لان الصراع هنا لايقوم بين قوى انتاج وقوى عمل .

وقد تمثل رد فعل الجماهير الشعبية تجاه هذه الاوضاع ، في شكلين رئيسيين :

الانتفاضات القبلية في الريف

أمام القهر الاستعماري والظلم الاقطاعي والتخلف في الريف ، انفجرت مقاومة جماهير الريف في شكل انتفاضات قبلية مسلحة ، استهدفت – في البداية – تصحيح أوضاعها . وقد قام الاستعمار بقمع هذه الانتفاضات مستخدما في ذلك الامراء والسلاطين كأداة له ، وقد عبرت هذه الانتفاضات عن جانب ايجابي ، اذ كشفت عن استعداد الشعب للنضال المسلح . ومن هنا كان قيام ثورة ١٤ أكتوبر بقيادة الجبهة القومية ، يستند الى تراث قديم من النضال ، وان اتخذ هذه المرة أنضج أشكال النضال الوطني ضد الاستعمار .

ظاهرة العمل السياسي التقليدي

ولقد شهدت المدينة ردود فعل مختلفة عما حدث

فى الريف • ذلك أن وعى جماهير المدينة ، كان يفوق مستوى وعى جماهير الريف •

وبدافع من المصالح الذاتية ، تحركت البورجوازية مستهدفة تحقيق الاستقلال الذاتى ، وجعلت من نفسها وصية ومتحدثة رسمية باسم الجماهير • ودارت كل مطالب البورجوازية فى اطار اصلاحى حين طالبت بالحرية والاستقلال والمجالس النيابية « ومصلحة الشعب » • ولاشك أن الشعارات التى رفعتها البورجوازية الوطنية ، سليمة ، لكن الذى كان ينقص البورجوازية الوطنية ـ نظرا لطبيعتها الفكرية ـ هو تحديد الاسلوب الذى يمكن به انتزاع هذه المطالب من الاستعمار دون الوقوع فى شركه •

لقد شجع المناخ الليبرالى العام الذى كان قائما ، شجع البورجوازية الوطنية على أن تنقد الاوضاع وتحتج عليها • بل وأن تحرك الجماهير من ورائها ، وكانت الجماهير تؤمن بعدالة هذه المطالب السياسية • ولكنها تطمع ـ فى نفس الوقت ـ فى أن تتحقق مطالبها الاجتماعية من خلال أسلوب النضال التقليدى هذا • ولكنها صدمت ، حين فشلت القيادة البورجوازية فى تحقيق أى مطلب يمس جوهر الوضع الاجتماعى •

وكان فشل البورجوازية الوطنية فى تحقيق أهداف الجماهير ، يعود ـ فى الاساس ـ الى تصور البورجوازية القاصر لحقيقة الاستعمار • ومن هنا ، كان عجزها المطلق عن استيعاب طاقة الجماهير وتوجيهها ـ كأداة ضغط فعالة ـ ضد النظام الاستعمارى السلاطينى ، لصالح طموح الجماهير فى التغيير الاجتماعى • والاكثر من ذلك ، أن البورجوازية الوطنية ، تصورت أن عملها السياسى والمركز القيادى الذى احتلته فى المدينة ، هو منفذ وصولها الى السلطة •

لقد كانت تجربة حزب الرابطة وحزب الشعب ، نموذجا دقيقا لهذه الظاهرة • وعلى أى حال ، يمكن القول بأن النضال السياسى للبورجوازية الوطنية ـ كقيادة ـ كان معزولا عن الجماهير ، لانه عجز عن فهمها وبالتالى التعبير عنها • فالبورجوازية الوطنية ـ مثلا ـ لم تتمكن من فهم الانتفاضات القبلية المسلحة فى الريف ، ولم تستفد منها ، بل حصرت نشاطها فى المدينة .

ولكننا لانستطيع الوقوف عند هذا الوجه السلبى ـ فقط ـ فى تقييمنا لدور البورجوازية الوطنية • فلا جدال ، فى أنها ساهمت بشكل فعال فى رفع مستوى الوعى السياسى لقطاعات واسعة من جماهير المدينة •

والواقع أن قيادة العمل السياسى ـ السلمى ••

هذه ، كانت تتصور أنها لاتستطيع مواجهة الاستعمار بما يملك من قوات عسكرية كبيرة • ومن ثم ، انحصر تفكيرها فى العمل السياسى السلمى والاستفادة من آثار المد الثورى لانتصار حركة التحرر الوطنى فى العالم •

الحركة الثورية ••

بديلا للعمل السياسى

ومع فشل أسلوب النضال السياسى الذى قادته البورجوازية الوطنية ، فى احداث تغييرات فى النظام الاستعمارى ـ السلاطينى ، كان لابد من مراجعة أسلوب العمل الوطنى •

وهنا ، برزت حركة ثورية تنطلق من أساسيات تختلف اختلافا تاما عن منطلقات القيادة البورجوازية • فقد بدأت الحركة الثورية ـ بفكرها الجديد ـ من حقيقة أن العمل السياسى كان مرحلة من مراحل النضال الوطنى لايمكن أن تستمر وأن يعتمد عليها لتحقيق أهداف الشعب فى حياة عادلة • وطرحت الحركة الثورية ، تصوراتها العميقة لطبيعة تلك المرحلة • جاءت كالاتى :

أولا : أن الجنوب ـ كما دلت التجربه ـ يفتقر الى حركة ثورية تقيم وتستوعب تجارب المرحلة الماضية وخبرات الانتفاضات القبلية المسلحة جنبا الى جنب خبرات العمل السياسى فى المدينة • وأن البورجوازية الوطنية ـ بقيادتها للعمل السياسى ـ كانت تفتقر الى تقييم الاساس الاجتماعى والفكرى للنضال الوطنى • ومن هنا كانت عزلتها عن الجماهير • ومن ثم فان تجربة الجنوب ـ فى مرحلة الاستسلام الوطنى ـ تفرض ضرورة ممارسة نوع جديد من العمل • فالاستعمار الذى احتل البلاد ـ بالعنف ـ واستمر فى احتلاله ـ بالعنف أيضا ـ لايمكن أن يسلم بحقوق الجماهير لمجرد المظاهرات الشعبية أو النضال السياسى • وانما يسلم **بالعنف الثورى المنظم** من خلال تعبئة الجماهير وتنظيمها لهذا الغرض •

ثانيا : ان التسليم بقيادة البورجوازية الوطنية ، لن يقود الا الى التنازلات • فبحكم فكر وأسلوب ومصالح هذه الفئة ، فان مجرد وصولها الى السلطة عن طريق أى حل سياسى ، سوف تقبل متلهفة أية اشارة من الاستعمار لوقف النضال الوطنى وتجميده • وفى غمرة التنازلات السياسية والاصلاحات الجزئية التى تقبل بها القيادات البورجوازية عادة ، سوف تضيع مصالح الجماهير وحتى تضحياتها •• بدون ثمن • فالقيادة البورجوازية ، تفتقر دائما الى المنهج العلمى الموضوعى فى تقييم القوى الاجتماعية

وجذورها وفي اكتشافه الاساليب الثورية في العمل الوطني . ولن يكون أمامهـا الا قبـول شروط الاستعمار .. التي لن تكون ــ في النهاية ــ الا الوقوع في براثن الاستعمار الجديد المستعد لان يمنح الشعب حريته السياسية ــ الشكلية ــ بتسليم السلطة الى عناصر يطمئن اليها ويمارس من خلالها ، استغلاله الاقتصادي لثروات الشعب .

ولقد أثبتت تجارب الشعوب الاخـرى ، أن البورجوازية الوطنية تكتفي بالتحرر الوطنـي السياسي، دون أن تربط ذلك بالمضمون الاجتماعي للتحرر الوطني .

ثالثا : أن تحظى أزمة النضال التقليدي والنتائج التي يمكن أن يصل اليها ــ كما أكدت تجارب العالم الثالث وبروز ظاهرة الاستعمار الجديد واستفادة القيادة البورجوازية وحدها من هذه الظاهرة ــ لا يمكن أن يتحقق الا بقيام حركة ثـورية تخلق لنفسها جذورا عميقة وصلبة بين الجماهير . كذلك لايمكن تحقيق الاهداف الاجتماعية للتحرر الوطني وبناء مجتمع متقدم ، الا من خلال تقييم ظروف المجتمع وتحديد القوى صاحبة المصلحة في هذا التغيير ، وفق منهج اشتراكي .

فلابد من تحديد معسكر الشـعب ، ومعسكر أعداء الشعب الذي نسعى الى تجريده من أسلحته الاستغلالية واسقاطه .

تلك هي التصورات التي حددتها الجبهـة القومية ، وفجرت ــ في اطار فهمها ــ ثورة ١٤ أكتوبر .

انفجار الثورة ..

وموقف القوى الاخرى

ساعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر في الشمال اليمني وسقوط الحكم الامامي الاقطاعي ، على تهيئـة الظروف الموضوعية لانفجار ثورة ١٤ أكتوبر في الجنوب اليمني بقيادة الجبهة القومية . ففي الوقت الذي كتلت فيه قوى الاستعمار والرجعيـة ، جهودها ، لتقويض ثورة الشمال والاشتباك في حرب ــ غير مباشرة ــ مع الجمهورية العـربية المتحدة بهدف ضرب قلعة الثورة العربية ، في هذا الوقت انفجـرت ثـورة ١٤ أكتـوبر ، لتقـوم بمهمتين في آن واحد . فقد شكلت ــ من جهة ــ درعا لحماية ثورة الشمال ضد مـؤامرات الاستعمار المسيطر في الجنوب . حيث أصبحت ثورة ١٤ أكتوبر ، موضع قلق قوى الاستعمار والرجعية ، التي كان عليها أن تحارب في جبهة جديدة فرضت عليها . كما فتحت الثورة ــ من جهة أخرى ــ مرحلة نضالية جديدة أمام المنطقة بآفاق تطور غير محدود .

لقد ظن الاستعمار ، كما ظنت القيـادات السياسية التقليدية ، أن انفجار الثورة من جبال ردفان ، ليس الا تمردا قبليا جديدا لايختلف كثيرا عن الانتفاضات القبلية السابقة ، ولايقوى على الصمود طويلا أمام القوة العسكرية للاستعمار . ولكن نجاح الجبهة القومية في ربط الكفاح المسلح بالجماهير الشعبية وتدعيم جذورها الجماهيرية ، أضفى على النضال المسلح طابع الثورة التحريرية من جهة وأكسبها بالتالي مضمونا اجتماعيا كان لابد وأن ينعكس على مسارها .

فقد التفت الجماهير حول الكفاح المسلح الذي حددته الجبهة القومية كأسلوب وحيد لتحرير البلاد من السيطرة السياسية والاقتصادية للاستعمار . والى جانب هذا ، كان لموقف حركة الثـورة العربية ــ ممثلة في الجمهورية العربية المتحدة ــ بدعم ثورة ١٤ أكتوبر ومدها بكل الامكانيات ، أثرا بالغ الاهمية في تطور الثورة بعد ذلك . وتخطت الجماهير ــ بذلك ــ حدود العداء للاستعمار لمجرد أنه حرمها من الحياة الحرة الكريمـة ، الى التصميم الجاد على اعادة بناء المجتمع على أسس ثورية .

وعلى ضوء ذلك كله ، حددت الجبهة القومية ، القوى التي تريد اسقاطها ، والاهداف التي تسعى الى تحقيقها . وبربطها بين ضرورة التخلص من الاستعمار وبين ضرورة التخلص ــ فـي نفس الوقت ــ من نظام حكم السلاطين ، أصبحت تربط بالتالي بين أهداف التحرر الوطني وبين بناء المجتمع الاشتراكي الديمقراطي . ليس هـذا فحسب ، بل وحددت ضمن أهـدافها ، ضرورة تحقيق وحدة التراب اليمني بتلاحم ثورتي الشمال والجنوب . وبذلك ، كسبت قطاعات شعبية عريضة جدا ، وعجز أمامها الاستعمار عن تنفيذ مخططاته في المنطقة . وما أن انتهى عام ١٩٦٥ ، حتى أصبح واضحا أن مستقبل المنطقة رهن بنتائج صراع طرفين أساسيين : الجبهة القومية من جهة ، والاستعمار البريطاني من جهة أخرى .

لقد فوجئت قيادات العمل السياسي التقليدي ، بالثورة المسلحة في ردفان . ولم تستطع هذه القيادات التقليدية ــ بحكم طبيعتها ــ أن ترى في الثورة أكثر من أنها « تمرد قبلي » سوف ينتهي الى الفشل . ومع اتساع نطاق الكفاح المسـلح ، عارضت هذه القيـادات « العنف » واعتبـرت قادة « العنف » مجرد « دراويش » يتاجرون بدماء غيرهم . ولم تلبث هذه القيادات ، أن اتخذت موقفا معاديا تزايدت حدته خطوة بخطوة مع تعاظم الكفاح المسلح وانتصاراته . وذهبت هذه القيادات

الى « مؤتمر لندن الدستوري » لتقف ـ عمليا ـ ضد الثورة كانعكاس طبيعي لوضعيتها الفكرية والنضالية ولخوفها على سقوط مجدها السياسي الذي بنته في سنوات سابقة ٠

ولم يزد موقف هذه القيادات ، الجماهير ، الا اصرارا على التمسك بالخط الثوري الذي وضعته الجبهة القومية التي لم تلق اهتماما لوجهة نظر هذه القيادات ٠ وعلى العكس ، قامت الجبهة القومية بتصعيد الكفاح المسلح حتى استطاعت في نهاية ١٩٦٥ أن تفرض نفسها على بريطانيا ٠

لقد سجلت ثورة ١٤ أكتوبر بقيادة الجبهة القومية ، انتصارا على الوجود الاستعماري والاحزاب السياسية والسلاطين والانتهازية والبورجوازية ٠ ومن هنا ، سعت كل هذه القوى لان تدخل صراعا نهائيا مع الجبهة القومية ، في محاولة أخيرة للمحافظة على مصالحها واستمرارها ٠ ولانهم عجزوا من قبل عن ضرب الثورة في ساحة المعركة النضالية ، فلقد حاولوا ـ هذه المرة ـ أن يوجهوا اليها الضربة من الداخل ٠

القيادة التقليدية والثورة

وجها لوجه

أصبح شعار « الكفاح المسلح » هو العملة الرائجة ٠ وحاول الاستعماريون من جهة ، والسلاطين من جهة ثانية ، والاحزاب السياسية المفلسة من جهة ثالثة ، أن يعملوا تحت نفس الشعار بخلق تجمع جديد هو : « جبهة التحرير قائدة التحرر الوطني » ! !

أن عملية الدمج المفاجيء لبعض التنظيمات ، في ١٣ يناير ١٩٦٥ وقيام جبهة التحرير ، عملية جديرة بان نقف عندها لتفقد حقيقتها ٠ وان كل من يظن ان قيام جبهة التحرير قد تم « لاستيعاب قوى وطنية جديدة كانت خارج الثورة » ، يقع في حبائل خطأ كبير لا شك فيه ٠ فقد حاولت الجبهة القومية من قبل ، جذب هذه القوى ـ فيما عدا السلاطين ـ ولكن هذه القوى نفسها رفضت نداء الجبهة ٠ والواقع أن هذه القوى لم ترفع شعار الكفاح المسلح الا بعد أن كشفت عن وجهها الحقيقي تماما ، ولفظتها الجماهير ٠ كما أنها قامت بذلك ، في وقت كان الكفاح المسلح فيه قد بلغ حدا حاسما أصبح النصر فيه قاب قوسين أو أدنى ٠ ومن ثم نقول ، انها ظنت أن رفع هذا الشعار هو طريق الوصول الى السلطة التي باتت على وشك أن تسقط في أيدي الجبهة القومية ٠

ويبرز هنا سؤال هام : كيف استطاعت هذه القوى مجتمعة أن تتسلل الى صفوف الثورة ؟ قد يقول قائل ، ان الذي أعلن عن عملية الدمج ، عضو قيادي في الجبهة القومية مع عضو قيادي في منظمة التحرير ٠ لكن ذلك غير صحيح ٠ ويصعب على أي دارس أن يبحث تسلل السلاطين الانتهازيين الى الثورة ، بمعزل عن علاقة ثورة ١٤ اكتوبر بجهاز المخابرات العربية في الشمال اليمني ٠ فما نوع هذه العلاقة ؟ وما مفهوم عناصر المخابرات التي كانت موجودة في ذلك الوقت ، بثورة جماهير الجنوب ؟

الواقع أن الاجابة على هذه التساؤلات ، تجرنا الى الحديث ـ بسرعة ـ عن التجربة المصرية التي افرزت نموذجين للفهم النضالي :

أولا : قيادة ثورية صلبة تتمتع بتأييد الجماهير الكاسح ، تعمل على اعادة صياغة المجتمع العربي في مصر على أسس اشتراكية سليمة ٠

ثانيا : طبقة بورجوازية ورثت الاقطاع والرأسمالية ، وامتدت جذورها في أوساط المجتمع الادارية والعسكرية والاقتصادية ، وفي المؤسسات الجماهيرية حيث حولت العمل الجماهيري الى مجال تعمل من خلاله لتحقيق مزيد من الامتيازات ٠ ولان هذه الطبقة وقياداتها ، كانت تفتقر الى المفاهيم الثورية الاشتراكية ، فقد اعتبرت منجزات الثورة الاجتماعية ، مجرد قوانين ادارية تطبق نصفها وتنتفع هي بنصفها الاخر ٠

ولذا ، كانت هذه الطبقة وهذه القيادات ، عنصرا عازلا للتفاعل بين القيادة الثورية وبين طموح الجماهير ٠ وواصلت تلك الطبقة تضليلها ، الى حد أنها كانت تنزل الى الجماهير سواء في مصر أو في الوطن العربي بنفس لغة القيادة الثورة بينما تعمل ـ بسلوكها وفكرها ـ على تحريف لغة القيادة لصالح امتيازاتها كطبقة ٠ ومن هنا اقامت هذه الطبقة علاقاتها مع الحركات الثورية في الوطن العربي ، على أساس مصالحها ، ومع الفئات المماثلة لها اجتماعيا ٠ ولم تكن هذه الطبقة ترغب في تجسيد ثورية القيادة المصرية ، بل تكتفي بالحديث عن الثورية من خلال أجهزة الاعلام لتغطي سلوكها وتصرفاتها الانتهازية ٠

في اطار فهمنا هذا لجهاز المخابرات العربية الذي كان قائما في ذلك الوقت ، يمكننا فهم قيام جبهة التحرير وحقيقتها ٠

الثورة المسلحة بعد « جبهة التحرير »

نظرا لاختلاف فكريات القوى التى شكلت جبهة التحرير ، وبسبب تباين طاقات كل منها ، فضلت قيادتها طريق الحلول السلمية · يؤكد ذلك ، أحداث الفترة الممتدة من ١٣ يناير الى ٢٨ نوفمبر من عام ١٩٦٦ ــ وهى الفترة التى شهدت تجربة جبهة التحرير · فقد بدأت عناصر السلاطين وقيادة الاحزاب السياسية المفلسة ، العمل .. بتقاسم المناصب الهامة والحساسة فى « ظل الثورة » ، عندما ادركت أن الثورة المسلحة على وشك أن تنتصر · فراحت تمهد لان تتسلم هى السلطة ·

لقد أعقب عملية الدمج التى تمت بين تلك القيادات ، فترة سادتها الظواهر التالية :

ــ تجميد عمليات الكفاح المسلح ..

ــ التركيز على العمل السياسى والاعلامى ، بدلا من تصعيد الثورة المسلحة والعمل الجماهيرى ، والبحث عن حلول سياسية ·

ــ الضغط على الجبهة القومية ومحاصرتها ماديا وعسكريا بتجميد المساعدات اليها واقصاء العناصر الصلبة فيها عن « جهاز الثورة » ·

ــ عودة الاستعمار ، لاحياء مشروعاته التى احطبتها الثورة قبل فترة الدمج ، كذلك تراجع الاستعمار عن قرارات الامم المتحدة لعام ١٩٦٥ التى استصدرتها الجبهة القومية كتعديل لقرارات ١٩٦٣ ·

ــ تحديد يوم الاستقلال بـ ٩ يناير ١٩٦٨ كدليل على « حسن نية » الاستعمار · واعداد الظروف المهيئة لان تتولى جبهة التحرير السلطة لتحقيق الهدف الذى يسعى الاستعمار للوصول اليه غداة ٩ يناير ·

وهكذا ، بدلا من العمل على وحدة الثورة فى الخليج والجنوب ، أدت عملية الدمج لا الى تفتيت هذه الوحدة فحسب ، بل والى تجميد الكفاح المسلح الذى انعكس بدوره على الوضع فى الخليج نفسه ·

أمام هذه التطورات ، أعادت الجبهة القومية تقييم المرحلة النضالية واحتمالات نتائجها . واعتبرت الجبهة القومية أن استمرار هذه الوضعية ، سوف يعطى بريطانيا الفرصة لتنفيذ مخططاتها وأهدافها · فقد سارعت بريطانيا بتقديم مشروعات التسوية السياسية · كما أدركت الجبهة القومية ان استمرار جبهة التحرير ــ بمتناقضاتها الكامنة فيها ــ يعنى ضياع الهدف الذى قامت من أجله الثورة ، واجهاض المفهوم الثورى التقدمى للثورة ·

الجبهة القومية تخرج على جبهة التحرير

لقد رفضت الجماهير اطار جبهة التحرير · وأمام كل هذه التطورات ، وجدت الجبهة القومية نفسها أمام ضرورة تحمل مسئولياتها التاريخية التى تفرض عليها الخروج على جبهة التحرير وتحمل مسئولية السير بالثورة · ان خروج الجبهة القومية من اطار جبهة التحرير ، قد وضعها امام اختبار قاس ، فقد كان الواقع الثورى فى ١٣ يناير ، قد تغير على ضوء التصورات التالية للجبهة القومية :

أولا : أصبحت قاعدة الدعم المادى والعسكرى فى الشمال ، قاعدة لدعم جبهة التحرير وحدها ، بعد أن كانت تدعم الجبهة القومية ·

ثانيا : ان موقف الجماهير من جبهة التحرير برفضها ، أكسب موقف الجبهة القومية طاقات جديدة لا يمكن التقليل من آثارها · ومن هنا ، أكدت الجبهة القومية على ضرورة الاعتماد بالدرجة الاولى على الجماهير وحدها دون غيرها · ومن أجل هذا ، عملت الجبهة القومية على جبهتين معا :

● تصعيد الكفاح المسلح الى سابق ما كان عليه ، لافشال المخططات الاستعمارية .

● تعميق مفاهيم ثورة ١٤ أكتوبر بين صفوف الجماهير ، ضمانا لنجاح الثورة وحمايتها أمام كل الاحتمالات ·

ولقد شهدت الفترة الممتدة من يوم فكاك الجبهة القومية من اطار جبهة التحرير وحتى يوم نكسة ٥ يونيو فى فلسطين ، تحولا تاريخيا فى الكفاح الشعبى المسلح ·

فبعد نكسة ٥ يونيو ، تصور الاستعمار ان الامة العربية ــ بعد الهزيمة ــ لن تقوى على مواجهة مخططاته · واعتقدت بريطانيا أن أصبحت تنفرد بمستقبل الجنوب نتيجة لانشغال العرب بهزيمتهم · وعلى هذا الاساس ، بدأ الاستعمار يهيىء الاوضاع لعملائها التقليديين بسلسلة من مشروعات « حكومة الاستقلال » ، و « نواة الحكومة الاتحادية » و « الجهاز الادارى » و « الحكومة ذات القاعدة الشعبية العريضة » ·

وكان على الجبهة القومية ، أن تعمل على استعادة ثقة الجماهير التى هزتها النكسة • فدفعت الجبهة القومية بالثورة الى انعطافة حاسمة بانتفاضة كريتر الشعبية فى ٢٠ يونيو ١٩٦٧ •

ان انتفاضة كريتر الخالدة ، تعد - بحق - تحولا جديدا لنضال الجماهير فى فترة المد الاستعمارى التى اجتاحت الوطن العربى بعد ٥ يونيو • والاكثر من هذا ، انها ايقظت الثوريين العرب ، الى حقيقة الطريق الذى يجب السير فيه للنضال ضد الاستعمار • وهكذا لم يكن التحول الجديد فى ثورة الجنوب ، رد فعل لانتكاسة يونيو ، وانما كان انطلاقا من واقع الجماهير الثورى •

واذا جاز لنا أن نوجز حصيلة الانتصارات التى حققت بعد تفكك اطار جبهة التحرير ووقوع النكسة ، فيمكن ايجازها فى : فشل كل المخططات الاستعمارية أمام تصاعد الثورة الجماهيرية وتحرير أغلب مناطق الجنوب اليمنى •

موقف جبهة التحرير ••
من الجبهة القومية

بدلا من أن تتفهم جبهة التحرير دوافع انسلاخ الجبهة القومية ، وتعيد بناء اطارها على أسس سليمة - بدلا من ذلك ، اعتبرت اعلان الجبهة القومية بالانسلاخ ، مجرد عمل تخريبى من قبل « عناصر ليس لها أى صلة بالثورة » • وقد حددت جبهة التحرير هذا الموقف لتصورها :

أولا : ان وجودها فى قمة « جهاز الثورة » ، وسيطرتها على أجهزة الاعلام والامكانيات المادية ، سوف يمكنها من املاء أى موقف تريده على الجماهير •

ثانيا : ضرورة تجنب حالة « الغربة » التى عاشتها عام ١٩٦٥ حين احتقرت الجماهير • ولهذا ، كتلت كل جهودها - لا ضد الاستعمار - بل ضد الجبهة القومية •

لقد تصورت جبهة التحرير ، أن مركزها القيادى واجهزة الاعلام التابعة لها ، سوف يجعل العالم الخارجى يعتقد أنها القيادة الفعلية للعمل المسلح وقد ارتبط ذلك ، بفرض حصار على الجبهة القومية يمنعها من الخروج الى العالم الخارجى • وأصبحت جبهة التحرير تنسب لنفسها كل انتصار تحققه الجبهة القومية ، بل كانت تتخذ نفس المواقف السياسية للجبهة القومية •

وأمام الواقع الحقيقى ، لم تصمد دعاوى جبهة التحرير طويلا ، فبعد تحرير الجبهة القومية لمناطق الريف ، وجدت جبهة التحرير نفسها فى عزلة تامة ، فبدأت تحمل السلاح ضد الجبهة القومية •

مسار الثورة ••
ومسئوليات الجبهة القومية

تمثل ثورة ١٤ أكتوبر بقيادة الجبهة القومية ، الحركة التاريخية للجماهير التى ترغب فى اعادة بناء مجتمعها على أساس الاشتراكية العلمية • ومن أجل هذا ، تبذل الجبهة القومية كل طاقاتها الثورية • واذا كانت الجبهة ، قد تمكنت - خلال « غربتها » النضالية - تخطى الظروف المعوقة ، فانها تستطيع اليوم مواصلة مسيرتها فى ظل أى ظروف •

ولا يعتبر انتصار الجبهة القومية ، على قوى الاستعمار وقوى الثورة المضادة ، نهاية لمسئولياتها التاريخية • اذ لا يزال امامها ان تعمل على وحدة التراب اليمنى فى اطار الوحدة العربية • ومن هنا فان انتصار الجبهة القومية من الجنوب ، دعم مباشر لانتصار الشعب من الشمال •

ويجب العمل على اعادة وحدة الثورة فى الخليج والجنوب ، التى عرقلتها قوى العمل السياسى التقليدى ، ذلك لان الاستعمار سوف يسعى الى دعم وجوده فى الخليج بعد انهيار وجوده فى الجنوب •

وادراكا من الجبهة القومية لازمة اليسار العربى وعدم قدرته - فى الوقت الحالى - على مواجهة القضايا القومية ومتطلباتها ، فانها تعد نفسها قوة تضاف الى اليسار وتتحمل مسئولية دعمه والمساهمة فى نضاله ومعاركه ضد القوى الرجعية والامبريالية العالمية ، من أجل الوحدة القومية والثورة الاشتراكية •

ان وصول الجبهة القومية الى السلطة ، واتجاهها نحو بناء الاشتراكية يقف ضمن اليسار العربى ، واحدى قوى المعسكر الاشتراكى العالمى التى تقود اليوم حربا تحريرية ضد المعسكر الامبريالى • وتقف الجبهة مع الذين ينادون بالعمل من أجل خلق «اكثر من فيتنام واحدة» ضد الامبريالية العالمية ، ادراكا منها أن اى تراجع سوف يصيب قوى المعسكر الاشتراكى العالمى ، وسوف يعيد الشعوب الى نير العبودية والاستغلال •

تقارير الشهر

- خط وقف اطلاق النار الملتهب والدبلوماسية المتأزمة
- وحدة كل الثوريين، ضمان استمرار الثورة السودانية
- حكومة فيتنام الثورية المؤقتة، تمهد لنصر كلاسيكى كامل
- مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية فى موسكو

■ الجمهورية العربية المتحدة

محاسبة يومية للقيادات على جميع المستويات

من أجل تنشيط العمل السياسى وزيادة فاعلية التنظيم السياسى ، ومن أجل مواجهة محاولات العدو للهجوم على الجبهة الداخلية — وعلى امتداد شهر يونيو المنقضى — شهد الاتحاد الاشتراكى العربى تحركين واسعين :

أولهما : تحرك سياسى على النطاق الجماهيرى ، تمثل فى اشتراك أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى فى المؤتمرات السياسية الجماهيرية التى غطت كافة المحافظات والمواقع الهامة تقريبا ، الى جانب اشتراكهم فى كثير من الاجتماعات التنظيمية والتثقيفية الموسعة لقيادات الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب والتنظيم النسائى .

ثانيهما : العمل على تطبيق لائحة الاجراءات النظامية ، هذا التطبيق الذى تم لاول مرة وعلى اساس خطة تقييم مدروسة ، وتناول قطاعا كاملا فى البناء التطبيقى وهو قيادات لجان الاقسام والوحدات الاساسية فى القاهرة .

لقد تقرر اشتراك أعضاء اللجنة التنفيذية العليا فى المؤتمرات السياسية الجماهيرية فى كل مكان من أجل الاتصال بالجماهير فى مواقعها وتحسس مشاكلها واعطاء اجابات صريحة محددة لكل ما يدور فى أذهانها من أسئلة .



علي صبري

وأكد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا فى لقاءاتهم على أن العدو يشدد من هجومه على الجبهة الداخلية بعد ما تحقق من انجازات فى المجال العسكرى وما تحقق من صمود اقتصادى واستعدادنا الان لتخطى مرحلة الردع الى مرحلة التحرير . والعدو فى تركيزه على الجبهة الداخلية ينشر حملات التشكيك والشائعات لتحطيم معنويات الشعب .

لقد ركز أعضاء اللجنة التنفيذية العليا على دعوة أعضاء الاتحاد الى التصدى لحملات التشكيك والدفاع عن التنظيم بحماس وقوة ، والتصدى لقوى الثورة المضادة ، وأكدوا على انه سوف يتم محاسبة القيادات على أساس ايجابيتها فى التصدى للثورة المضادة .

ويرى المراقبون أن حركة التنظيم السياسى وسط الجماهير ليست فقط من أجل تبديد بعض الشائعات أو التصدى لبعض محاولات التشكيك ، وانما هى جهود بناءة لاعداد المسرح الخلفى للعمليات المقبلة ، وهى جهود تهدف الى تعبئة التنظيم كله قيادة وقاعدة وربطه ربطا وثيقا بالجماهير الواعية المتفهمة لمسئوليتها ، وان هذه الجهود تتم على أساس انه فى المعركة القادمة مع اسرائيل لن يكون هناك فارق بين الجبهة العسكرية والمؤخرة الشعبية .

وحرص اعضاء اللجنة التنفيذية فى لقاءاتهم مع القيادات المختلفة على أن يطرحوا ملاحظات القيادة السياسية وانتقاداتها على العمل السياسى فى الوحدات والمحافظات وأتيح لهم أيضا أن يستمعوا الى ملاحظات المستويات الادنى وانتقاداتها .

لقد ركز أعضاء اللجنة التنفيذية الانتباه على أن العمل السياسى لم يصل بعد الى المستوى المطلوب من الحركة التى تتطلبها المرحلة الراهنة ، وصارحوا القيادات بضرورة تخليص العمل السياسى من العيوب التى تعرقل انطلاقه ، ودعوا القيادات للتخلص من المظهرية الواضحة والتعالى عن الناس والشللية ، والعمل الفردى ، وسيادة أسلوب المكاتب الذى حول « بعض مكاتب الاتحاد الاشتراكى الى مكاتب بريد ، كل همها تلقى شكاوى الناس ثم احالتها الى جهات الاختصاص » .

وأكد أعضاء اللجنة التنفيذية فى لقاءاتهم المتعددة ، على ان التنظيم السياسى لايمكن أن ينجح عن طريق قيادات مكتبية ، ولكنه يقوى عن طريق قيادات نشطة تتحرك بين الجماهير ، وان قوة التنظيم ليست فى قدرته على الاجتماعات وانما هى قدرته على اقناع الجماهير والتفاعل معها .

وأكدوا ان التحرك لمواجهة المتشككين لايحتاج الى تعليمات ، فهذه عملية سياسية ينبغى أن يقوم بها كل فرد فى موقعه .

ودعا أعضاء اللجنة التنفيذية العليا الى ضرورة توزيع المسئوليات على كل أعضاء الوحدة وعدم قصر العمل على الامين والامناء المساعدين ، ثم محاسبة الجميع على أساس التكليفات المحددة ، ومدى ايجابيتهم فى التصدى لحملات التشكيك التى تشنها قوى الثورة المضادة .

وأكد أعضاء اللجنة التنفيذية على الحاجة الملحة الى خطة لاعداد الكوادر ، فقد أصبح واضحا انه لا يمكن القول بأن كل من أتت بهم الانتخابات صالحون للعمل كقيادات ، وان كثيرين من القيادات وضعوا كل أملهم فى الوصول الى المؤتمر القومى كأعضاء ، وخلت كثير من الوحدات الاساسية من كثير من العناصر ذات الكفاءة .

وأعلن السيد علي صبري انه لابد من المحاسبة اليومية المستمرة لقيادات الاتحاد الاشتراكى من المستويات الاعلى ، وأكد سيادته ان تصعيد قيادات جديدة نشطة وتنزيل قيادات أخرى ليست كفؤة يعطى للعمل السياسى فعالية .

وفى اللقاءات السياسية والتثقيفية الموسعة طرحت القيادات بعض ما تعانيه من مشاكل :

● فالعمل غالبا ما يتم عشوائيا وغير متكامل لافتقاره الى الخطة المدروسة ، والمناقشة مع المستويات التى ستقوم بانجازها .

● مشكلة عدم توافر وسائل النقل اللازمة للجان الاقسام فى الاقاليم ، وانعكاس ذلك على الاتصالات بين لجان الاقسام والوحدات الاساسية .

● مجلة الاشتراكى لاتصل بانتظام ، وتصل متأخرة وأحيانا تصل بعد الاعداد مجمعة .

● قياس اتجاهات الرأى العام يتم بصورة روتينية ، وغالبا مايعكس آراء اصحابه وليس آراء الجماهير فعلا .

● المشكلات المعقدة فى العلاقة بين لجان الاتحاد الاشتراكى والجهاز التنفيذى .

ويرى المراقبون ان الجولة الواسعة التى قام بها أعضاء اللجنة التنفيذية العليا واللقاءات التى عقدوها مع القيادات قد بلورت أمام القيادة السياسية مجموعة من السلبيات التى تعرقل انطلاق العمل السياسى فى الاقاليم ، وفى نفس الوقت أتاح الاتصال المباشر بالمستويات الدنيا،وضع هذه المستويات أمام مسئوليتها فى هذه الظروف الدقيقة ، وان المناقشات بين القيادة والقاعدة قد جسدت اطار العمل السياسى المطلوب من هذه اللجان الاساسية فى المرحلة الدقيقة الراهنة والتى سوف يعقبها دون أدنى شك ، محاسبة كل عضو قيادى عما قدمه من عمل .

وخلال الاسابيع التى بذل فيها أعضاء اللجنة التنفيذية العليا هذا الجهد الكبير لدفع الحركة السياسية فى لجان الاتحاد بالمحافظات والمراكز شهدت لجان الاتحاد الاشتراكى فى القاهرة حدثا بالغ الاهمية بالنسبة للحياة التنظيمية ، يعتبر بداية مرحلة جديدة تماما من العمل السياسى للاتحاد الاشتراكى .

فعلى ضوء نتائج تقييم الخطة السادسة للعمل السياسى بالقاهرة — تم اتخاذ اجراءين هامين :

أولهما : إسقاط العضوية عن كل من تخلف فى سداد الاشتراك لمدة ستة شهور اعتبارا من أول نوفمبر ٦٨ حتى نهاية أبريل ١٩٦٩ .

ثانيهما : تولى لجان النظام المشكلة من لجنة المحافظة ولجان الاقسام ، طبقا للائحة الاجراءات النظامية ، التحقيق مع كل القيادات التى حصلت على تقدير ضعيف فى تقييم الخطة السادسة ، وقد شمل التحقيق ما يقرب من ستمائة عضو قيادى من امناء وأمناء مساعدين وأعضاء لجان الاقسام والوحدات ، وتقرر حفظ التحقيق بالنسبة لمائة من بينهم تقريبا ، ووقعت على الباقى عقوبات مختلفة كالتنبيه واللوم والايقاف لمده سته شهور والايقاف لمدة غير محدودة لحين الفصل من عضوية الاتحاد الاشتراكى .

■ ■ ■

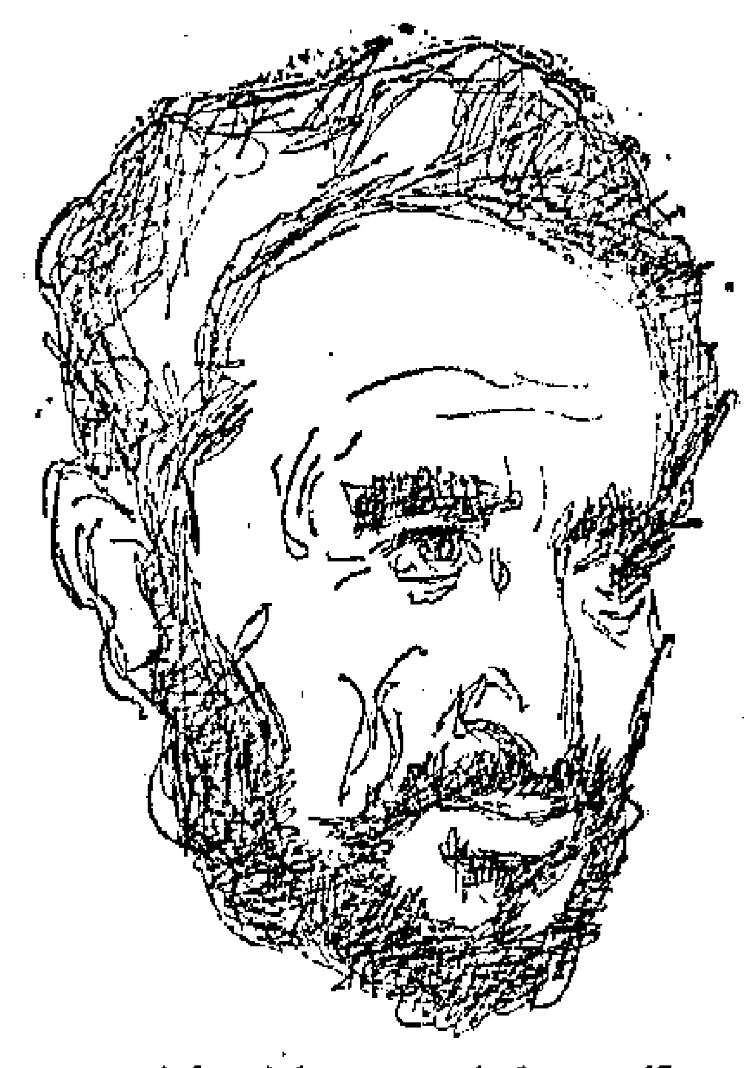
■ النزاع العربى الاسرائيلى

خط وقف اطلاق النار الملتهب والدبلوماسية المتأزمة

لم يتوقف دوى المدافع على طول جبهة القناة طوال الشهر الماضى،وواصلت قواتنا المسلحة سياستها من أجل انهاك العدو ، فحاولت منعه من تحسين دفاعه ، ومن اعادة تجهيز مواقعة التى تحطمت ، وعملت على منع وصول الامدادات الى الخطوط الامامية فضربت طوابير تموين العدو من الذخائر والمؤن عندما كانت تحاول التحرك نحو المواقع الامامية تحت ستار من النيران . وازاء الخسائر الجسيمة التى احدثتها قواتنا على طول جبهة القناة بمواقع العدو صرح **موشى ديان** وزير الدفاع الاسرائيلى قائلا « لقد تحولت قناة السويس الى جبهة لحرب اخرى ، ونحن لانعرف ما اذا كانت القناة خطا لوقف اطلاق النار أم جبهة لحرب جديدة » .

وكان أهم ماتميزت به العمليات على الجبهة الشرقية هو قيام العدو بحشد قواته على طول الحدود الاردنية السورية تحت دعوى قمع نشاط المقاومة . غير أن المصادر المطلعة فى بيروت تقول بأن اسرائيل انما تهدف من وراء حشد هذه القوات الى احتلال مرتفعات أربد الاردنية من أجل السيطرة على مفترق الطرق بين العراق وسوريا والاردن . وأنها قد قامت بحشد ثلاث فرق فى المنطقة تحت دعوى أن الفدائيين يستخدمونها كقاعدة لنشاطهم ضد اسرائيل .

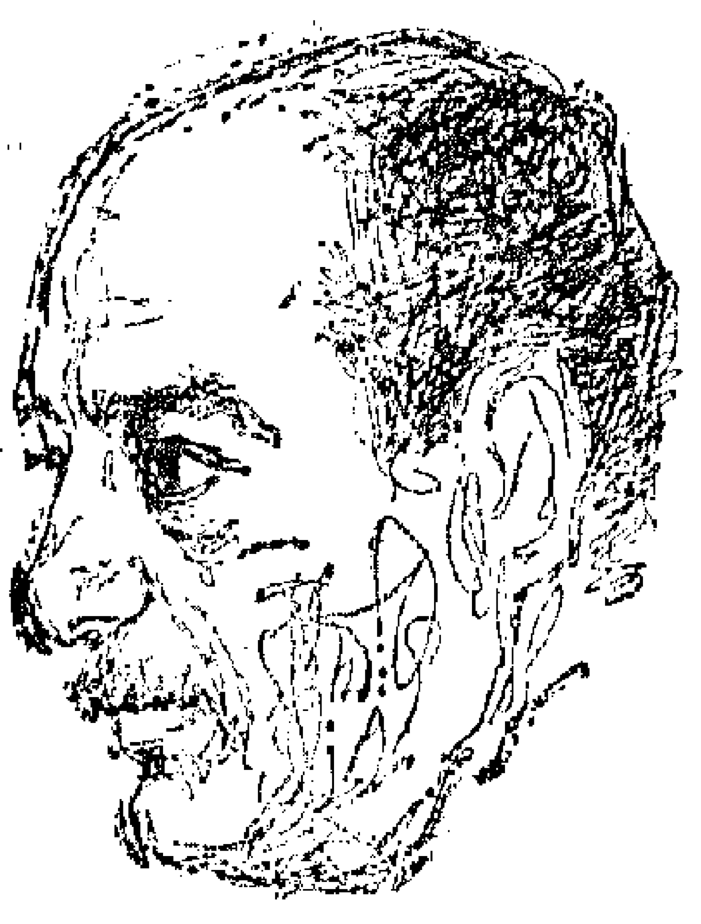
وفيما يتعلق بنشاط المقاومة فقد شهدت عملياتها نشاطا واسعا بمناسبة ذكرى ٥ يونيو . وقام رجال المقاومة بسلسلة من العمليات فى الضفة الغربية



الامبراطور هيلاسلاسى



جروميكو



محمود رياض

وغزة ونصبوا الكمائن للعدو فى كل مكان ودمروا عددا من منشآته وقتلوا عددا من جنوده . وكان من أبرز عمليات رجال المقاومة احتلال قوات العاصفة لموقع للعدو شمالى **جسر اللنبى** ورفع العلم الفلسطينى فوقه ،كما اشتبك رجال العاصفة فى معركة ضارية مع القوات الاسرائيلية فوق جبال **أريحا** فى الضفة الغربية ، وضرب الفدائيون كذلك عددا من القرى بالصواريخ وأصابوا مصنعا اسرائيليا للذخيرة بخسائر فادحة ، كما قامت مجموعات من فدائيى منظمة سيناء بمهاجمة تجمعات العدو فى عيون موسى بالصواريخ .

واستجابت كل مدن المناطق المحتلة للنداء الذى وجهته منظمات المقاومة بالاضراب يوم ٥ يونيو احتجاجا على الاحتلال الاسرائيلى وقالت اليونايتد برس «أن احتفال السكان العرب بذكرى٥ يونيو كان احتفالا دمويا بالغ العنف اذ قام الفدائيون فى كل مكان بنصب الكمائن وبث الالغام وتدمير المنشآت مما أدى الى مصرع عدد كبير من الجنود الاسرائيليين . »

أما فيما يتعلق بالمجال الدبلوماسى فقد عجزت محادثات الدول الاربع الكبرى فى نيويورك فى التوصل الى حل مرض للازمة يستند على قرار مجلس الامن . وعقب سلسلة طويلة من الاجتماعات والمباحثات لم يجد ممثلو الدول الاربع سوى اصدار بيان بما توصلوا اليه من نتائج ويقال أن البيان لن يكون سوى محاولة لاحياء مهمة يارنج وافساح المجال فى نفس الوقت أمام الدول الاربع لاستكمال مباحثاتها فيما بعد اذ أنه لن يغلق الباب أمام امكانية التوصل الى تسوية للازمة من خلال استمرار المحادثات .

ورغم أن محادثات الدول الاربع لم تصل الى نتائج ايجابية واضحة ، فقد واصلت اسرائيل مهاجمتها للمحادثات الرباعية واعلنت **جولدا مايير** أن الدول الاربع تريد أن تدع رجال المقاومة العربية يدمرون اسرائيل من الداخل عن طريق وضع مشروع يسمح للاجئين العرب بالعودة الى ديارهم ، واعلنت انها لن تقبل على الاطلاق عودة اللاجئين ولن تقبل بحث هذه المشكلة الا بعد اقرار السلام فى المنطقة . وسافرت جولدا مايير الى لندن حيث أجرت مباحثات مع **مايكل ستيوارت** حول الازمة وأدلت بتصريحات أشارت فيها الى أنها ستحاول الحصول على أسلحة لاسرائيل من بريطانيا .

وأشارت اليونايتدبرس نقلا عن مصادر وزارة الخارجية الامريكية الى أن الولايات المتحدة عرضت اقتراحات جديدة خلال الفترة الاخيرة بهدف ايجاد مخرج من الازمة . وقد نقل **سيسكو** هذه المقترحات الى **دوبرنين** وذكرت الاسوشيتدبرس أن المقترحات الامريكية الجديدة تقوم على الاسس التالية :

- تعديلات فى الحدود .
- توقيع العرب للصلح مع اسرائيل .
- انشاء مناطق منزوعة السلاح أو تحت المراقبة الدولية .
- حرية الملاحة لاسرائيل فى خليج العقبة وقناة السويس .

وترتب على تعثر المحادثات الرباعية والشلل الذى أصاب الدبلوماسية الدولية فى قدرتها على التحرك بالازمة نحو الحل أن حضر **أندريه جروميكو** وزير الخارجية السوفيتية الى القاهرة لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد الناصر حول التطورات التى تمت فى المجال الدولى والموقف الذى يمكن اتخاذه لمواجهة المناورات التى تقوم بها الدول الاستعمارية للتهرب من تنفيذ قرار مجلس الامن ومساندة اسرائيل . وصدر البيان المشترك عقب المحادثات ليعلن أن ايجاد أى تسوية سلمية للازمة يتطلب تنفيذ قرار مجلس الامن بجميع أجزائه وسحب القوات الاسرائيلية من كافة الاراضى العربية التى احتلتها قبل ٥ يونيو .

وكان للبيان العربى السوفيتى رد فعل عنيف فى الدوائر الدبلوماسية فأعلن **أبا ايبان** ان تنفيذ ماجاء فى البيان المشترك يعنى قيام حرب مؤكدة

في وقت مبكر وفي ظروف مواتية لتحطيم اسرائيل . هذا بينما اشادت صحيفة **لومانتيه** الفرنسية بالبيان وأشارت الى أنه تجديد لموافقة البلدين على ايجاد حل سلمي يعتمد على قرار مجلس الامن الصادر عام ١٩٦٧ .

ولقد شهدت القاهرة نشاطا دبلوماسيا واسع النطاق . فبالاضافة الى زيارة جروميكو تبادل الرئيسان عبد الناصر وتيتو الرسائل حول الازمة واحتمالاتها والتعاون بين البلدين في اطار دول عدم الانحياز لمواجهة الموقف المتدهور في المنطقة على ضوء تعثر المحادثات الرباعية . وحضر الامبراطور هيلاسلاسي الى القاهرة وأجرى محادثات مع الرئيس عبد الناصر حول الازمة كما قام **محمود رياض** بجولة بين بعض البلدان الاوروبية لتوضيح موقفنا وفضح موقف اسرائيل ، كما قام عدد آخر من المسئولين بجولات مختلفة في عدد من البلدان بغرض تنشيط العمل الدبلوماسي وفضح تعنت اسرائيل .

■ **اليمن الجنوبية**

التطورات الاخيرة في الجنوب

لم تكن الاحداث الداخلية التي وقعت في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية واقصاء الرئيس **قحطان الشعبي** في ٢٢ يونية مفاجأة بالنسبة للمراقبين المهتمين بشئون الجنوب . ذلك ان سوء الاحوال المعيشية والازمات المالية والاقتصادية الحادة والانقسامات داخل تنظيم الجبهة القومية الحاكمة التي تعاني منها البلاد منذ الحصول على الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، كانت كلها تشير الى عدم الاستقرار ، وتتطلب البحث عن مخرج سريع لها .

وقد عزا راديو عدن اسباب اقصاء الرئيس قحطان الشعبي « الى النزعة الفردية التي سادت كل المستويات سواء بالنسبة للسياسة الداخلية أو السياسة اليمنية أو العربية أو العالمية ، والى الاخطاء التي ارتكبت تجاه قضايا الشعب وأن الثورة قد انحرفت عن طريقها الحقيقي الى طريق مشبع بالتصرفات الفردية أوقعت الثورة في مشاكل لا حصر لها » .

ويرجع المراقبون أسباب الانقلاب الى تفاقم الصراع داخل تنظيم الجبهة القومية حول عديد من القضايا الداخلية والخارجية والتنظيمية بين من وصفتهم الانباء بالمعتدلين وهم فريق الرئيس قحطان الشعبي وبين القوى المعارضة داخل الجبهة . وقد وصل الصراع الى ذروته في ١٨ يونية عندما أقدم الرئيس قحطان الشعبي على عزل **محمد على هيثم** وزير الداخلية الذي يتمتع بتأييد واسع من قوات الجيش والامن ، والمعروف بمعارضته لسياسة الرئيس الشعبي حول كثير من المسائل . الامر الذي عجل بتوحيد القوى المعارضة داخل الجبهة التي اجتمعت وقررت عزل الرئيس من رئاسة الجمهورية ، وعزل فيصل عبد اللطيف رئيس الوزراء .

وقد أسندت القيادة العامة للجبهة القومية **(٤١ عضوا)** والمنبثقة عن المؤتمر العام الرابع للجبهة القومية في ١٩٦٨/٣/٨ بالسلطة في البلاد الى مجلس رئاسة يتكون من خمسة اعضاء هم : محمد على هيثم وزير الداخلية ، **وعبد الفتاح اسماعيل** وزير الثقافة والارشاد السابق وقائد الفدائيين في عدن ، **ومحمد صالح عولقي** وزير الدفاع ، **وعلى أحمد ناصر عنتر** قائد الفدائيين في منطقة الضالع ، **وسالم ربيع** قائد الفدائيين في منطقة الفضلي خلال حرب التحرير ضد الاستعمار البريطاني وحكم السلاطين الاقطاعي في الجنوب .

كما تم انتخاب **سالم ربيع** رئيسا لمجلس الرئاسة الجديد ، وتعيين محمد على هيثم رئيسا للوزارة الجديدة ، مع احتفاظ أعضاء الوزارة السابقة بمناصبهم . ومن المتوقع أن تحدث تغييرات أخرى في المناصب الرئيسية والاعلان عن مشروعات جديدة في الايام القادمة . وجاء في بيان القيادة العامة للجبهة : أن هذا الاجراء كان لتصحيح الاوضاع وتثبيت سلطة القيادة العامة كسلطة عليا منتخبة من قبل قواعد تنظيم الجبهة القومية » .

وقد أعلنت القيادة العامة للجبهة أن عملية التصحيح التي تمارسها الآن ترتكز على الاسس التالية : تدعيم سلطة الديمقراطية الشعبية كوسيلة لتجنب مخاطر النزعة الفردية — حماية ثورتي اليمن شمالا وجنوبا كمهمة عاجلة للثورة — اقامة علاقات وطيدة مع البلدان العربية وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة ، وخدمة قضية الثورة العربية والاسهام الحقيقي في قضية فلسطين — وانتهاج سياسة واضحة بالنسبة لقضايا التحرر في العالم وتوثيق العلاقات مع الدول الاشتراكية الصديقة .

وقد تقرر تعيين **عبد الفتاح اسماعيل** أمينا عاما لتنظيم الجبهة القومية . ومما تجدر الاشارة اليه ان المؤتمر الرابع للجبهة كان قد أقر « برنامج التحرر الوطني الديمقراطي الشعبي » الذي تقدم به عبد الفتاح اسماعيل بأغلبية ٤٥٥ صوتا مقابل ١٥٥ صوتا لانصار الرئيس قحطان الشعبي . ويقضي البرنامج بتنفيذ اصلاح زراعي جذري

وتحديد الملكية الزراعية من ٥ — ١٠ أفدنة ، وانشاء ميليشيا شعبية من العمال والفلاحين والطلاب تحت قيادة الحزب ، وتطهير اجهزةالدولة وتحرير الاقتصاد الوطنى من سيطرة الاحتكارات الاستعمارية وتأميم المؤسسات الاجنبية والبورجوازية الكبيرة والتجارة الخارجية وفرض ضرائب تصاعدية ، وتحديد المرتبات بما لا يزيد عن نسبة ٤ : ١ مراعاة للظروف الاقتصادية والاجتماعية التى تجتازها البلاد .»

■

■ السودان :

وحـدة كـل الثوريين ..
ضـمان اسـتمرار الثـورة

تابع الرأى العام العربى — ودوائره الوطنية والتقدمية — باهتمام كبير، تطورات أحداث « ثورة ٢٥ مايو » فى السودان . وقد أبدت هذه الدوائر ، تأييدها ، للخطوات السياسية الهامة التى أقدمت عليها السلطة الجديدة .

ويلاحظ المراقبون السياسيون العرب ، انه اذا احتدمت أزمة النظام السابق ، اخذت الدوائر الاستعمارية — وخاصة فى الولايات المتحدة — تدبر لانقلاب عسكرى رجعى على غرار انقلاب نوفمبر ١٩٥٧ الذى قاده عبود ليتولى الحكم بالارهاب ويعمل على قهر قوى الشعب الوطنية والاشتراكية ومنظمات العمال والمزارعين والمثقفين .

لكن القوى الوطنية والتقدمية السودانية كانت أسرع — هذه المرة — وأخذت زمام المبادرة ووجهت ضربتها ، ولقيت حركة ٢٥ مايو الشعبية تأييدا جماهيريا واسعا وقوبلت بحماس منقطع النظير وجد تعبيره فى المظاهرات والمسيرات الضخمة التى اجتاحت مدن السودان لتعلن عن تأييدها وتضامنها واستعدادها للدفاع عن القيادة الثورية الجديدة .

أما عناصر الفئات الرجعية فقد سارعت الى اعلان عدائها المطلق ، وسعت بسيل من المنشورات لاضفاء طابع ولون معين على الحركة الثورية — وهو مايتعارض تماما مع حقيقة الاوضاع — وأشاعت الاكاذيب والافتراءات مستخدمة نفس الشعارات الاستعمارية التقليدية البالية عن « الشيوعية » ولكنها ووجهت باعراض الجماهير . وتحت ضغط مالمسته من حماس جماهيرى متدفق من جانب الشعب للنظام الثورى الجديد ، لجأت بمرونة الى تغيير تاكتيكها وركزت على محاولة « اللعب » على قوى الثورة فى محاولة لاحتوائها بقصد تصفيتها تدريجيا ، فطرحت شعار حكومة من العسكريين وحدهم وتنحية المدنيين وعندما رفضت القيادة العسكرية الثورية الاستجابة لهم ، بادروا الى طرح شعار طرد بعض قوى اليسار كشرط للتعاون مع القوى السياسية التقليدية .

وتنبهت قيادة الثورة الى المخطط الرجعى ، فسارعت برفضه وكشفه . وقبل أن تتاح الفرصة للقوى الرجعية بالتجمع والتحرك لضرب الثورة ، سارعت القيادة بالتحفظ على القيادات السابقة وعناصرها النشطة بأن أودعتهم سجن كوبر الذى خصص من قبل لاعتقال العناصر الوطنية والتقدمية المدافعة عن مصالح الشعب . كما سارعت القيادة الجديدة باجراء تغييرات هامة فى قيادة جهاز الدولة ومؤسسات الحكم والجيش والبوليس والقضاء ، لضمان عدم عرقلة خطوات الثورة من جهة ولقطع الطريق منذ البداية أمام محاولات التخريب من داخل الاجهزة الحكومية .

ويرى المراقبون أن قيادة الثورة وحكومتها ، قد سحبت الارض من تحت أعمدة النظام القديم وعناصره ، باعلان برنامجها السياسى والاقتصادى وذلك لعزل القوى القديمة وتقييد حركتها . ويؤكد البرنامج ، أن « الاشتراكية » هى الحل الوحيد لمشاكل السودان ، وأن « العداء للاستعمار وتأييد حركات التحرر الوطنى ، واقامة علاقات وطيدة بالدول الاشتراكية » هو حجر الاساس فى سياسته الخارجية ، وأن « دعم العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة بشكل خاص ومساندة المقاومة الفلسطينية بكل الطرق ودعم الجبهة العسكرية ضد اسرائيل » هو محور سياسته العربية . وفى المجال

السياسي الداخلي ، قامت حكومة الثورة بحل كل الاحزاب القديمة وقررت الاتجاه الى اقامة تنظيم شعبي واحد يجمع قوى الشعب العاملة « من عمال وفلاحين ومثقفين ورأسمالية وطنية » . ويجمع المعلقون على أن الاجراءات التى اتخذتها قيادة الثورة ضد مظاهر الفساد التى كانت قد عمت الحياة السودانية ، دليل واضح على مدى جدية القيادة الجديدة فى مواجهة الاوضاع القديمة وآثارها مواجهة حاسمة . كما تبدى الدوائر الوطنية والتقدمية السودانية ، ارتياحها الكبير لاتجاه حكومة الثورة نحو ربط الاجراءات التى تقدم على اتخاذها بتحركات جماهيرية واسعة مما يضفى على هذه الاجراءات شرعيتها التى يصعب التشكيك فيها من جهة والتى تكسب تنفيذها — من جهة أخرى — قوة حقيقية .

ويهتم المراقبون السياسيون بشكل خاص بالخطوة الجريئة التى أقدمت عليها حكومة الثورة بمنح الجنوب « حكما ذاتيا » . فبالاضافة لما تعنيه هذه الخطوة من معالجة « الجرح الدامى الذى ظل يستنزف قوى الشعب السودانى وطاقاته وامكانياته لمدة طويلة » ، فانها تضفى من جهة أخرى طابعا تقدميا بارزا على النظام الجديد الذى ترسيه الان قيادة الثورة السودانية . وتأمل القوى الوطنية والتقدمية ، فى أن تتمكن حكومة الثورة — بذلك — من تقويض الاسس التى كانت تستند اليها بعض عناصر الجنوب المشكوك فى نواياها وولائها .

أما فى المجال الخارجى ، فينظر المراقبون الى اعتراف حكومة الثورة بألمانيا الديمقراطية وحكومة جبهة تحرير فيتنام الجنوبية ، كدليل عملي على النهج التحررى لسياسة السودان الخارجية .

وبرغم ظاهرة الاستقرار النسبى الذى حققته

تعليق

قانون النقابات الطبية بين الاعتبارات العملية والموقف المبدئى

في خلال الشهرين الماضيين بدأ مجلس الامة فى نظر قوانين النقابات المهنية وكان اول قانون عرض عليه هو قانون نقابة الاطباء البشريين ثم تلاه قوانين النقابات الطبية الاخرى .

ولقد اثار عرض هذه القوانين كثيرا من المناقشات والجدل بدأت بمناقشة مبدأ وجود النقابات المهنية كتنظيم مستقل وذلك باعتبار ان النقابات العامة هى التنظيم النقابى السليم لجميع العاملين فى الصناعة او الخدمة الواحدة .

ولقد كانت هذه المناقشة علامة صحية وكان من واجب ممثلى العمال فى المجلس ان يعبروا عن رايهم وان يسجلوا الموقف المبدئى السليم . وفى الواقع كان هذا الموضوع فى اعتبار واضعى قوانين النقابات المهنية ولقد طرح هذا التساؤل فعلا ولكن بعد دراسة الظروف الموضوعية التى يمر بها مجتمعنا وهى على وجه الدقة « اننا لا زلنا فى مرحلة التحول الاشتراكى » . وانه فى هذه المرحلة رئى استمرار وجود التنظيمات النقابية المهنية المستقلة للسببين الاتيين :

● ان النظرة الموروثة عن انفصال العمل الذهنى عن العمل اليدوى لازالت قائمة . وان القضاء على هذا الانفصال يتطلب جهدا شاقا ووقتا طويلا . بل انه من المعروف ان الحساسية بين العمل اليدوى والعمل الذهنى تزداد فى اذهان المهنيين فى فترات التحول الاشتراكى .

● ان النقابات المهنية تحقق لاعضائها مزايا خاصة بالمعاشات والمساعدات ولا يمكن لاعضاء هذه النقابات واسرهم الاستغناء عن هذه المزايا بصورة مفاجئة ودون تمهيد يسبقه .

امام هذه الاعتبارات كانت هناك قناعة امام المهنيين للاحتفاظ بتنظيمهم المستقل — ولكن فى نفس الوقت وامام التغييرات الكبيرة فى العلاقات الاجتماعية كان من المستحيل استمرار هذه النقابات بقوانينها السابقة والتى تحمل فى الاساس طابع الدفاع عن مصالح اعضائها .

من هنا قدمت هذه النقابات مشروعات قوانينها الجديدة مراعية فيها التواؤم بين اهداف المجتمع الجديد . ولو اخذنا قانون نقابة الاطباء البشريين كمثل فاننا نلاحظ انه راعى الاتى :

● حدد القانون وظيفة النقابة فى انها « توظيف المهنة لخدمة الشعب » .

● ومن هنا فان النقابة كتنظيم لجميع الاطباء تشارك فى وضع الخطة الصحية وفى تقييم تعضيدها وان الاطباء بحكم ذلك مسئولين عن انجاح الخطة الصحية ومشروعاتها .

● ان النقابة تشارك فى وضع سياسة التعليم والتدريب الطبى للاطباء والفئات الفنية المساعدة .

● من اجل تجميع جميع العاملين فى الخدمات الصحية فى تنظيم مشترك اقترح قانون النقابة انشاء اتحاد للعاملين فى الخدمات الصحية يضم نقابات الاطباء البشريين واطباء الاسنان والصيادلة والنقابة العامة للعاملين فى الخدمات الصحية . ولكن لاسباب قانونية رئى ارجاء تشكيل هذا الاتحاد .

● ابرز القانون ان النشاط العلمى هو احد الدعائم الاساسية للنشاط النقابى المهنى وذلك اقتناعا بان النشاط العلمي فى المستقبل سيصبح هو النشاط الاساسى للتنظيم الطبى .

● راعى المشروع التوسع فى قاعدة العمل النقابى واعطاء صلاحيات كاملة فى التنفيذ للنقابات الفرعية بالمحافظات — كما راعى ان تكون نصف المقاعد فى كافة المستويات النقابية للاطباء الشبان .

● راعى المشروع استمرار ما تقدمه النقابات لاعضائها من معاشات واعانات اقتناعا باهمية ذلك لاعضائها .

هذه هى الاسس العامة التى راعاها قانون نقابة الاطباء ، ومن استقرائها نلاحظ ان القانون حاول فعلا ان يضع شعاره وهو « توظيف المهنة فى خدمة الشعب » موضع التنفيذ .

د. عبد الغفار خلاف
سكرتير نقابة الاطباء البشريين

قيادة الثورة ، ونجاحها حتى الان ، فان الدوائر الوطنية والتقدمية ، تبدى مخاوف حقيقية تجاه الاخطار التى لاتزال تحدق بالنظام الثورى الجديد · وترى هذه الدوائر ، أنه بقدر ماتحافظ العناصر العسكرية والمدنية ، على وحدتها المتينة وتدعمها ، بقدر مايكون عليه نجاح واستمرار « ثورة ٢٥ مايو » . اذ تعتقد هذه الدوائر ، أن القوى المعادية لمصالح الشعب السودانى ـ الداخلية والخارجية ـ سوف تبذل كل الجهود الممكنة لتفرقة صفوف الثورة وأنصارها · وتستند هذه الدوائر ـ فى رأيها هذا ـ الى التجارب المتعددة التى مرت بها كثير من الثورات العربية والافريقية والاسيوية ·

وتؤمن القوى الوطنية والتقدمية العربية ، أن المهمة الاساسية الان أمام قيادة الثورة ، هى وضع برنامجها موضع التطبيق العملى السريع فى ظل وحدة متينة بين صفوف الثورة التى اطمأنت اليها جماهير الشعب السودانى واحتضنتها وباتت ترى فيها ضمان تمتعها بحقوقها الديمقراطية وانجاز آمالها فى مستقبل اشتراكى تتخلص فيه من كل آثار الماضى ·

■

■ **لبنان**

العمل الفدائي ومخططات « الحلف الثلاثي »

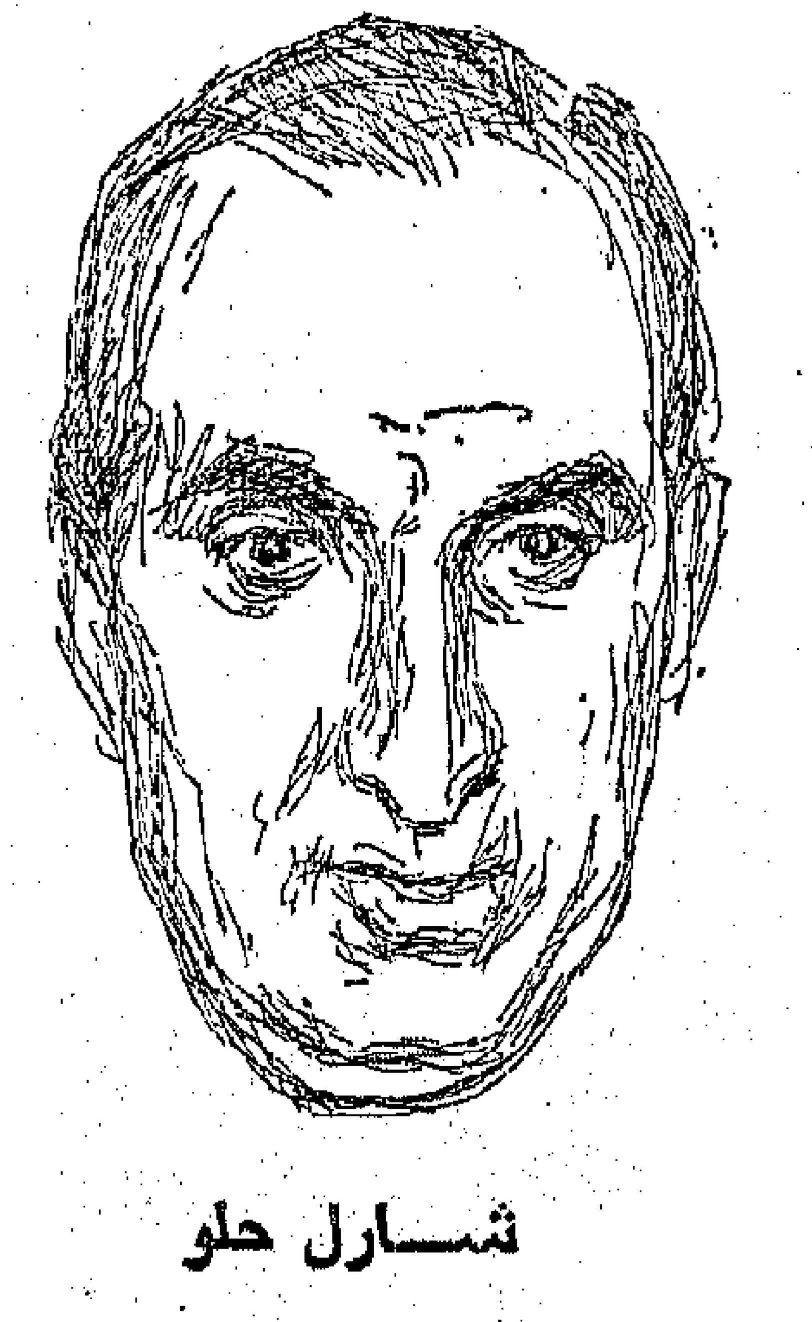
دخلت الازمة السياسية فى لبنان فى الشهر الماضى طورا جديدا ، اثر اذاعة الرسالة التى اعلنها رئيس الجمهورية **شارل حلو** فى ٥/٣١ وضمنها سياسته الصريحة فى رفض العمل الفدائى الفلسطينى من الاراضى اللبنانية (*)

وقد قوبلت الرساله برد فعل عنيف من جانب القوى الوطنية والتقدمية وكافة الهيئات الشعبية، التى أعلنت رفضها لمضمون الرساله

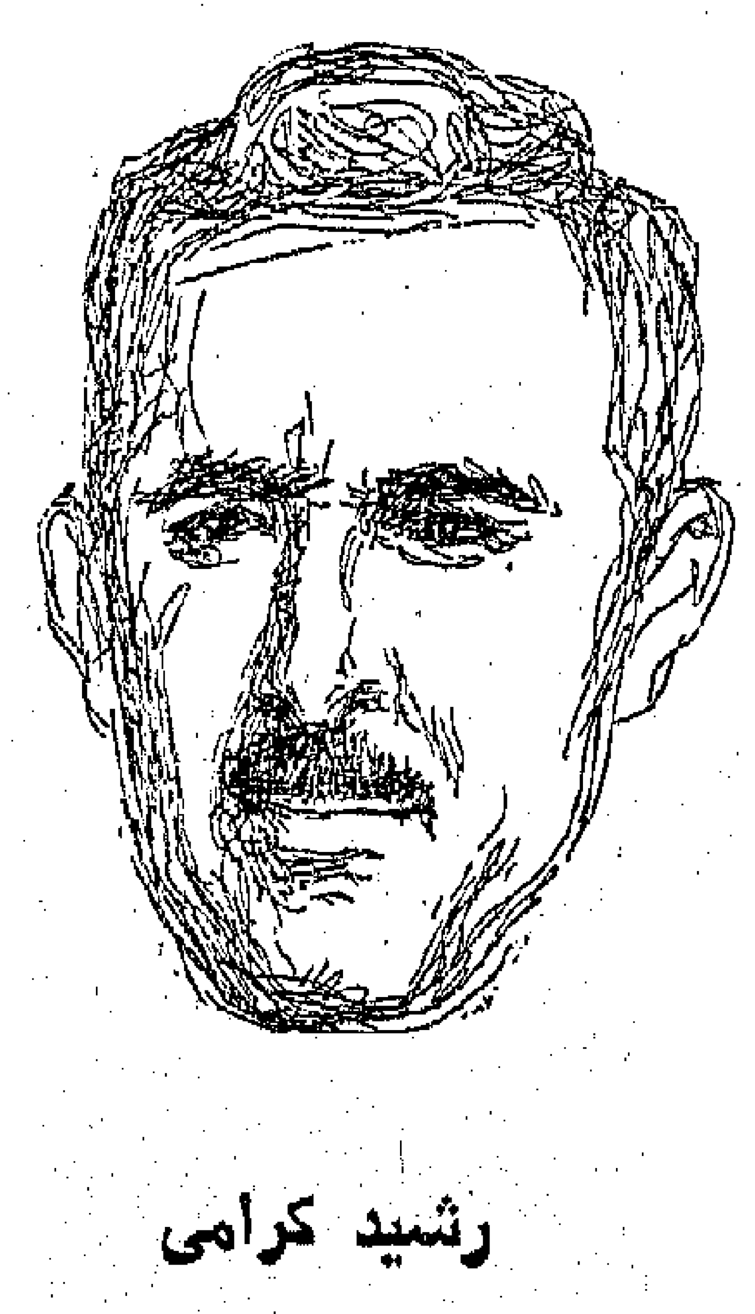
ويعتقد فريق من المراقبين أن موضوع العمل الفدائى ليس هو السبب الحقيقى وراء الازمة السياسية الحالية فى لبنان ، وان كان يمثل أحد مظاهرها ونتائجها ، وان هناك من يعمل على حصر الصراع فى لبنان حول العمل الفدائى بمعزل عن مجمل سياسة الدولة · وقد صرح النائب **كمال جنبلاط** وزعيم الحزب التقدمى الاشتراكى : أنه يوجد الان من يعمل على توجيه الضغوط لتبديل سياسة لبنان . وان القوى الاجنبية والداخلية العميلة والمخططات الاسرائيلية تعمل على حرف المعركة وتحويلها عن أهدافها الوطنية الشعبية ·

وأكد **رشيد كرامى** رئيس الوزراء فى بيانه بعد ذلك « ان الحكومة تستمد ثقتها من المجلس النيابى ، كما انها مسئولة عن الدستور وأحكامه وعن السياسة التى تنتهجها وان الحكم مشاركة بين مختلف عناصر السلطة التنفيذية وبصورة خاصة بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ينبغى المحافظة عليها حرصا على سلامة النظام الديمقراطى والوحدة الوطنية » ، وأكد كرامى ايضا تمسكه بوجهة نظره السابقة حول موضوع العمل الفدائى « وان التنسيق هو الحل الاسلم الذى لا يتنافى مع السيادة ولا مع السلامة » ·

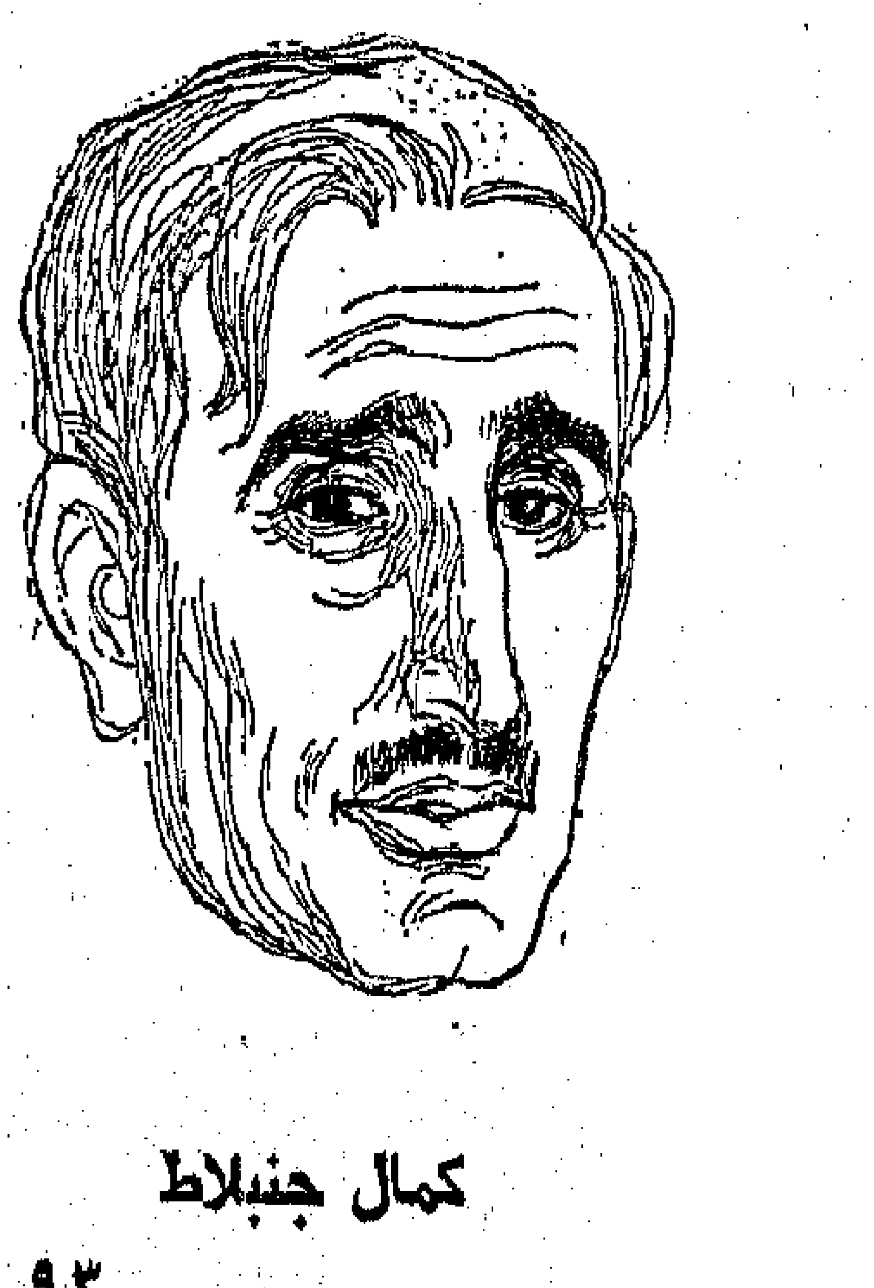
ان كل المساعى التى بذلت للاسراع بتشكيل الحكومة الجديدة والتعجيل بالخروج بالبلاد من الازمة الحالية قد باءت بالفشل · كما رفض الاقتراح الذى تقدم به رشيد كرامى الى رئيس الجمهورية والذى يقضى بتشكيل الحكومة اولا وبعد



شارل حلو



رشيد كرامى



كمال جنبلاط

الحصول على ثقة المجلس تعمل على معالجة موضوع العمل الفدائى ، غير ان رئيس الجمهورية رفض هذا الاقتراح وأصر على أن لا يتم تشكيل الحكومة الا بعد اخراج الفدائين من الاراضى اللبنانية . وان كان لم يعرف حتى الان الطريقة التى سيتم بها اخراج الفدائين ؟

تعليق

نقابة الـ ۱۸۰,۰۰۰ معلم

هل سينتصر التغيير فى هذه النقابة أم الجمود والتخلف ؟ تلك هى القضية . ومن الحق ان يتطلع الوف المعلمين الى هذا التغيير بعد تجربة سنوات أقل ما يقال عنها انها كانت مخيبة للامال .

وقانون النقابة الجديد الذى صدر اخيرا يتيح لقوى التغيير فرصة العمل ، ولكنه يترك ايضا بعض الثغرات . والكسب الاساسى فى القانون الجديد هو الغاء التركيب الفئوى والطائفى للنقابة ، فالقانون القديم كان يقسم النقابة الى فئتين : الفئة «أ» وتضم ذوى المؤهلات الفنية العالية والفئة « ب » وتتكون من ذوى المؤهلات الفنية المتوسطة وذوى الخبرة ، وتمثل كل فئة منهما بواقع النصف من اعضاء مجلس النقابة واللجان النقابية بالمناطق التعليمية . اما القانون الجديد فقد الغى هذه التفرقة القائمة على اساس المؤهلات الدراسية وجعل الانتخاب والتمثيل فى مجالس ادارة اللجان النقابية والنقابات الفرعية والنقابات العامة بحسب نوعية التعليم وقسمها الى خمسة : ا ـ الابتدائى ب ـ الاعدادى والثانوى وما فى مستواه ج ـ التعليم الفنى د ـ التعليم العالى والجامعى ودور المعلمين هـ ـ الادارة التعليمية والاشراف الفنى .

والتقسيم الجديد يتمشى مع المبدأ الديموقراطى ، ويستجيب لامل طالما جاش فى صدور المعلمين ، وهو ضرب الطائفية والتعصب الفئوى الذى مزق صفوفهم طويلا ، ومكن اكثر العناصر تخلفا من السيطرة وتوجيه النقابة فى خدمة المصالح النفعية الضيقة بعيدا عن المصالح الحقيقية لجمهور المعلمين ، وفى عزلة تكاد تكون تامة عن القاعدة العريضة .

فهل حقق التغيير الجديد الهدف ؟

مشروع القانون الذى تقدمت به فى الاصل وزارة التربية والتعليم ، والذى استحدث تمثيل المعلمين على اساس نوعيات التعليم ، اتجه الى جعل نسب التمثيل فى الجمعية العمومية ، وفى تشكيلات النقابات على اساس متقارب ، حتى يتيح الفرصة للتعاون والتآلف بين الفئات والطوائف المختلفة ، والتغلب على الترسبات التاريخية ، والتى ترجع فى الاصل الى مخططات الاستعمار والرجعية ، وبوجه خاص لازالة الوهم الشائع بين جمهور المعلمين بسيطرة طوائف بعينها على النقابة القديمة . فالسيطرة الحقيقية لم تكن مطلقا للجمهور العريض من معلمى المرحلة الاولى او غيرهم من الطوائف بل بالتحديد للاتحادات والروابط الفئوية التى تخدم عددا محدودا جدا يسيطر ويحرك كل شيء . وتلك طبيعة الامور دائما عندما تتفكك القاعدة ويفتقد التنظيم بين الجماهير ، تصعد الانتهازية والمصالح الانانية ، وتلعب باسم القواعد ومصالحها . اما القانون الجديد فقد عدل عن الفكرة التى تقدمت بها وزارة التربية والتعليم فى مشروعها الاصلى وقرر تمثيل النوعيات الخمسة بنسب تتراوح بين ١٠ ٪ و ٥٠ ٪ حسب توزيعها العددى .

فماذا يعنى هذا فى التطبيق ؟

التمثيل على الاساس العددى والوصول بممثلى أى نوعية الى ٥٠٪ كما تثبت تجربة الماضى يضاعف فى الحقيقة ولا يضعف المشاعر الطائفية المتخلفة وهى آفة النقابات المهنية عموما ، وهو يدعم الشعور لدى المعلمين بسيطرة فئات بعينها بكثرتها العددية ، وبذلك يخفى الحقيقة الواقعة وهى استغلال قلة قليلة تعد على أصابع اليد لصالح الفئات العريضة ، وركوبها الاصوات لتثبيت احترافها النقابى . وليس صحيحا ان نسبة ٥٠ ٪ لاى فئة يضمن لها تمثيلا حقيقيا او يحمى مصالحها الحقة ، فالتمثيل الصحيح لأى نوعية تعليمية لا يتوقف على نسبتها بقدر توقفه على تنظيمها السليم وقيادتها الواعية وعلى صلاح النقابة فى مجموعها .

والحقيقة ان التفاوت الكبير فى نسب التمثيل بين نوعيات التعليم لم تكن له ضرورة على الاطلاق ، لان هذه الضرورة توجد حيث يوجد احتمال تناقض المصالح أو حماية مصالح الكثرة ضد مصالح القلة الاستغلالية ، بينما لا يوجد بين نوعيات التعليم مصالح متناقضة من اى نوع كان ، وليس هناك محلا لعلاقات استغلالية من قبيل العلاقات بين اصحاب العمل والعمال او اصحاب المدارس الخاصة والمعلمين بها .

ويزيد من فرص العناصر الجامدة والمتخلفة فى اعادة السيطرة على النقابة الجديدة تشكيل المستويات النقابية من القاعدة الى القمة كما رسمها القانون الجديد . فالصعوبة العملية فى تجميع المعلمين فى جمعية عمومية واحدة ادت الى الاخذ بنظام هرمى قاعدته اللجنة النقابية فى المركز او القسم التى تنتخبها الجمعية العمومية للمعلمين فى هذا المركز او القسم ، واعضاء اللجان النقابية فى المحافظة يكونون الجمعية العمومية للنقابة الفرعية بالمحافظة وهؤلاء ينتخبون مجلس ادارة النقابة الفرعية بالمحافظة ، واعضاء مجالس ادارات النقابات الفرعية يكونون الجمعية العمومية للنقابة العامة التى تنتخب النقيب ومجلس النقابة .

ومثل هذا التنظيم ، وان كانت تحكمه الضرورة العملية ، الا انه يولد خطر العزلة والتباعد بين القاعدة والقمة ، ويتيح للعناصر النقابية التقليدية فرصا اكبر للوصول لضعف تأثير القاعدة الواسعة ، ولان العناصر الرجعية تتحصن عادة فى الروابط الاقليمية الفئوية التى تؤثر عادة فى انتخابات القاعدة فى اللجان النقابية بالمراكز والاقسام وقد تفسدها ، واذا فسدت هذه القاعدة فسد البناء الهرمى كله .

وفى تقديرنا ان الحاجة ماسة فى نقابة المعلمين بالذات الى زيادة فاعلية القاعدة العريضة وتأثيرها حتى القمة ، ونعتقد ان الاخذ بنظام شبيه بالنظام المعمول به فى نقابة المحامين مثلا ، حيث يشارك المحامون فى كل محافظة فى انتخاب النقيب واعضاء مجلس الادارة دون اجتماعهم فى القاهرة ، كان كفيلا بمشاركة اوسع للقاعدة وفاعلية ابعد فى ازاحة رواسب التخلف .

وفى القانون الجديد عناصر ايجابية ، ولعل على رأسها النص الهام على ان يكون نصف اعضاء مجالس الادارة من الشباب الذين مضى على اشتغالهم بمهنة التعليم اقل من عشرين سنة . وهناك ايضا قبول العضوية الاختيارية لهيئات التدريس بالجامعات ، وهناك قبل كل شيء القاعدة الهائلة من معلمى المرحلة ، والتى لم تطلق طاقاتها الحقيقية بعد .

اديب ديمترى

ويزداد الاعتقاد بين المراقبين فى لبنان بان رسالة رئيس الجمهورية قد قطعت الطريق أمام احتمال تشكيل أية وزارة فى البلاد . والمعروف أن لبنان تعيش الان بدون وزارة منذ حوالى شهرين منذ قدم رشيد كرامى استقالة وزارته عقب احداث ٢٣ ابريل الماضى ولم تقبل الاستقالة حتى الان وطلب منه البقاء لتسيير الامور ، ثم عهد اليه بتشكيل الحكومة الجديدة .

وفى نفس الوقت يواصل الحلف الثلاثى تهديداته وضغوطه رافضا أى حل للأزمة فى البلاد الا على أساس المطالب السياسية التالية : لا وجود ولا تنسيق للعمل الفدائى فى لبنان ، تأييد ما ورد فى رسالة رئيس الجمهورية وتنفيذ مضمون هذه الرسالة ، تأليف حكومة برلمانية سياستها مستوحاة من رسالة رئيس الجمهورية ، تقديم طلب الى مجلس الامن لارسال قوات دولية لحماية لبنان من الهجوم الاسرائيلى . كما وصف **بيار الجميل** زعيم حزب الكتائب اليمينى واحد اركان الحلف الثلاثى العمل الفدائى بانه ستار لاستغلال شيوعى وسياسى .

ويبدو من اتجاه الاحداث ان هدف الحلف الثلاثى من وراء تصعيد الازمة فى البلاد ، هو دفع رشيد كرامى للانسحاب والاعتذار عن تشكيل الوزارة وعندئذ لن يكون هناك بديل عن حل المجلس النيابى واجراء انتخابات جديدة .

وقد أجمعت الاغلبية البرلمانية الممثلة فى كتلة النهج الشهابى الوطنى على ضرورة تمسك رشيد كرامى بتشكيل الحكومة واستمرار المساعى مع رئيس الجمهورية لايجاد مخرج للازمة الحالية .

■

■ الجزائر

لا مركزية فى الولايات فى اطار مركزية التخطيط

جرت فى ٢٥ مايو فى الجزائر انتخابات المجالس الشعبية للولايات الخمس عشرة التى تنقسم اليها الجمهورية الديمقراطية الشعبية .

وتعتبر هذه الانتخابات بالنسبة للجزائريين مرحلة هامة فى تاريخ التنظيم الادارى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وهى فى نفس الوقت تدخل ضمن اطار بناء الدولة على المستوى السياسى والاقتصادى .

وتعتبر هذه الخطوة فى تقدير الجزائريين أيضا خطوة تكميلية منطقية للخطوة الاولى التى سبقتها منذ عامين ، عندما تم انتخاب المجالس الشعبية للبلدية فى فبراير ١٩٦٧ . وتعلق جريدة المجاهد فى افتتاحيتها التى صدرت يوم انتخابات مجالس الولاية « انه قد يوجد هناك من يقول ، كيف انتظرتم كل هذه المدة لتقيموا مثل هذه المؤسسات ؟ لكن المسألة ليست بهذه السهولة ، فلا يجوز أن تنسى طبيعة الصراع الذى خاضته وما زالت تخوضه الثورة الجزائرية ، صراع ضد التخلف ، وصراع من أجل الاستقلال الاقتصادى وصراع ضد عقليات الاحتراف السياسى والمتاجرة بالنضال ، وصراع من أجل التخلص من سيطرة واحتكار الثقافة الاجنبية وصراع ضد بقايا الاستعمار ومخلفاته فى الادارة والاقتصاد والامخاخ » .

ولقد سبق عملية انتخاب اعضاء المجالس الشعبية للولايات ، اجتماعات مستمرة ومتواصلة ، بدأت أولا ، باختيار المرشحين لهذه المجالس ، وقد تولت قيادات حزب جبهة التحرير فى المناطق المختلفة ، عملية الاختيار هذه على أساس ضعف عدد المطلوب انتخابهم فى كل ولاية ، مثلا فى ولاية القبائل الكبرى كان المطلوب ٤٧ عضوا ، ثم ترشيح ٩٤ منهم ٥ سيدات . . واشترك فى الانتخاب نصف سكان المنطقة ويفسر محافظ الولاية هذه الظاهرة بأنه أغلب سكانها تقل أعمارهم عن ١٩ سنة وهو سن الانتخاب .

فى ولاية التترى أيضا اختار الحزب ضعف عدد المرشحين ، مثلا فى المدية عاصمة الولاية كان المرشحون ١٤ انتخب منهم ٧ من بينهم سيدة فلقد قسمت كل ولاية الى دوائر (كانت مرتبطة بمدينة) حتى يمكن للناخب ان يختار من يعرفه .

ومع تحديد عدد المرشحين ، كان هناك عامل آخر هام وهو اختيار الاصلح من بين الذين يتقدمون للترشيح ، الاصلح من حيث قدرته على العمل والمساهمة فى البناء بصرف النظر عن انتمائه للحزب ، نظرا لان الحزب نفسه كان فى مرحلة اعادة تنظيم وبناء وعلى أساس أن الشعب اشترك فى معركة التحرير سواء بطريق مباشر أو غير مباشر وبالتالى لم يعد اخلاصه موضع بحث .

وبعد ان تمت عملية الترشيح بدأت سلسلة من الاجتماعات قدم فيها المرشحون انفسهم للناخبين ، واشترك فى هذه اللقاءات اعضاء مجلس الثورة

الجزائرى والوزراء الذين انتشروا فى انحاء الولايات ، يعقدون الاجتماعات ويقومون بشرح معنى ومغزى هذه المرحلة • ولقد بلغ عدد الذين اشتركوا فى الادلاء بأصواتهم حوالى ٧٦٪ فى المجموع ، و٦٧ فى المائة من النساء ».

أما الهدف من هذه الانتخابات فهى « ان أى ثورة لا تستطيع أن ترفع أى بناء جدى الى أعلى من مستوى شعبها وفى هذه الحالة أليس من الواجب اسهام الشعب فى هذا البناء »

أما الهدف العملى فهو تحقيق اللامركزية فى الولايات المتعددة داخل اطار المركزية فى التخطيط وكما جاء فى ميثاق الولاية « ان الولاية بهذا ستكون مؤسسة سياسية حية تجمع بين مجموعة الاهالى ، تربطهم مصالح يجب أن تكون ادارتها من طرف ممثلين ينتخبهم أهالى الولاية ، وان عدم المركزية هذا ، ليس الغرض منه التعبير عن نوع ما من الاستقلال الذاتى للولاية ، لانه دولتنا ، هى دولة موحدة ، وانما الغرض من عدم المركزية ، هو وسيلة فنية للمزيد من النشاط الفعال للولاية والجماهير الشعبية فى السلطة الثورية • والولاية هى أيضا دائرة ادارية تمكن المديرين المركزيين للدولة من عكس نشاطهم فى خدمة الاهالى على أكمل وجه » •

وبجانب مجلس الولاية الشعبى ، تقدم مجموعة الفنيين التنفيذيين ويرأس الهيئتين المحافظ (أو الوالى) • ويعتبر المجلس هو همزة الوصل بين الدولة والبلدية وفى هذا النظام الطبيعى سوف تقام بعد البلدية والولاية مؤسسات القمة للدولة من أجل النهوض بالبلاد سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا •

ومجلس الولاية ، وهو يبدأ العمل مهمته الاولى هى دراسة مشاكل الولاية واقتراح الحلول ،

تعليق

« زوكوف » وتجـربة العمل السياسى فى الجيش

تضمنت مذكرات الماريشال « زوكوف » ، التى نشرت اخيرا ، ضمن ما تضمنت من خبرات ثمينة ، دور العمل السياسى فى الجيش ومدى اهمية وفاعلية هذا الدور بالنسبة لجيش ثورى يحمى انجازات ثورة شعبية . وتكتسب هذه الخبرة اهمية خاصة نظرا لانها نابعة من التجربة الذاتية لقائد عسكرى ذائع الصيت ، شهدت له اكبر معارك الحرب العالمية الثانية ، مثل معركة «موسكو» ومعركة « ستالينجراد » و « برلين » ، بالكفاءة العالية فى القيادة . قائد بدأ حياته جنديا بسيطا فى الجيش القيصرى القديم خلال الحرب العالمية الاولى ، ثم انضم الى صفوف الثوار فى اكتوبر ١٩١٧ ، ورشحته بسالته وكفاءته فى معارك الحرب الاهلية للارتقاء فى سلك الضباط فى الجيش الثورى الجديد الذى انشأته الثورة ، الى ان اصبح رئيسا لهيئة اركان حرب هذا الجيش عشية الغزو الالمانى لبلاده فى ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ .

يقول « زوكوف » فى مذكراته « من واقع التجربة العسكرية الطويلة والاستنتاجات النظرية المتعلقة بعصر الحرب الاهلية ، والتى تم على هديها بناء القوات المسلحة السوفيتية ، اود ان اتوقف عند النقاط التالية :

اولا : وحدة الجيش والشعب ، وهى التى ولدت قوة جبارة تفوق بكثير قوة السلاح . وقد كان « لينين » يرى المصدر الرئيسى لهذه القوة فى انه لاول مرة فى التاريخ يوجد جيش يعرف لماذا يحارب.. ،

وثانيا : الدور القيادى للحزب فى القضايا العسكرية المباشرة وفى التأثير على الجيش من خلال الجهاز الحزبى السياسى . فمن الناحية العسكرية كان لقيادة الحزب اهمية عظمى نظرا الى انه هو الحزب الحاكم فى دولة تقوم على الملكية العامة لوسائل الانتاج ، وبفضل ذلك يمكن حشد كافة قوى وموارد الاقتصاد الوطنى الى ابعد الحدود تمشيا مع الاتجاهات العسكرية .. اما من ناحية العمل الحزبى السياسى فبفضله تتحقق وحدة ووضوح الهدف بالنسبة لجميع العناصر الثورية فى الجيش .. » هذا وقد كان عدد اعضاء الحزب فى الجيش السوفييتى عقب الثورة بعام واحد ، اى فى اكتوبر عام ١٩١٨ نحو ٣٥ الف عضو ، ثم زاد هذا العدد بعد ذلك بسرعة ، فبلغ ١٢٢ الف عضو فى فبراير ١٩١٩ ، ٣٠٠ الف عضو فى اغسطس ١٩٢٠ ، اى حوالى نصف العدد الكلى لاعضاء الحزب كله وقتئذ .

ونظرا لقلة العناصر القيادية العسكرية المخلصة فى بداية عهد السلطة الثورية: فقد اضطر الحزب الى اعطاء المفوضين السياسيين فى الجيش سلطة اعتماد القرارات العسكرية الصادرة من قادة الوحدات من العسكريين المحترفين . ثم تطور هذا النظام تدريجيا خلال فترة مابين الحربين مع تزايد عدد القادة والضباط الثوريين المؤهلين فى العلوم العسكرية من امثال « زوكوف » ، فالغى نظام المفوضين فى اواسط الثلاثينات تقريبا وادخل نظام نواب القواد للشئون السياسية ، وذلك تحقيقا لمبدأ القيادة بيد فرد واحد ، ذلك المبدأ اللازم والضرورى لاى جيش مقاتل ، كما انشئت ادارة سياسية مركزية تتبع وزارة الدفاع ولجنة الحزب المركزية ، كانت تتولى تعيين هؤلاء النواب السياسيين وتصدر اليهم التوجيهات السياسية بعد اعتمادها من وزير الدفاع .

وقد نما الحزب وتشكيلاته المختلفة داخل القوات المسلحة السوفيتية ، فبلغ عدد اعضائه عشية الغزو الالمانى نحو ٦٥٠ الف عضو ومرشح ، هذا بخلاف اعضاء منظمة الشباب الذين اصبحوا يمثلون نحو ثلث عدد القوات المسلحة وبمجرد وقوع العدوان النازى بدأت اللجنة المركزية للحزب فى اليوم الخامس من بدء الحرب ، فى تعبئة اعضاء الحزب والمنظمة بصفتهم الجنود السياسيين

ومتابعة تنفيذ المشروعات باعتباره السلطة الشعبية المنتخبة • أما مدة المجلس فهى خمس سنوات ، بمعنى ان الانتخابات القادمة ستتم بسنة ١٩٧٣ .

وسوف يتبع هذه المرحلة في وقت لاحق انتخاب الجمعية التأسيسية (البرلمان) ثم انتخابات رئيس الجمهورية ، فحتى الان ما زال هناك رئيس لمجلس الثورة والحكومة .. أما رئيس جمهورية بالمعنى الدستورى فسوف يتم انتخابه بعد ان تنتهى عمليات البناء المتلاحقة التى تمر بها الجزائر •

فتحت شعار العودة الي الشعب والقاعدة تجرى اعادة بناء حزب جبهة التحرير الوطنى ، والاتحاد الوطنى للنساء الجزائريات ، وتم انتخاب النقابات العمالية واتحاد النقابات ثم فى الطريق الان عملية اعادة بناء منظمة الشباب • وفى نفس الوقت الذى تجرى فيه اعادة البناء على المستوى السياسى والشعبى ، تجرى عملية أخرى لا تقل أهمية وهى البناء الاقتصادى ، ومن أجل تحقيق هذه العملية قام الرئيس **هوارى بومدين** بجولات متعددة فى الولايات «المحرومة» مثل ولاية القبائل الكبرى والصحراء والادراس والواحات والتترى ، حيث درس فيها وعلى الطبيعة ، وبعد مناقشات واسعة «مع اعضاء المجالس الشعبية والوالى والمسئولين الاداريين » حول مشاكل كل ولاية على حدة ، انضم له مجلس الوزراء ، لوضع خطة للتقريب بين هذه الولايات والولايات الاخرى الغنية مثل ولاية الجزائر ، ثم تقرر وضع ميزانية خاصة ، للتغلب على مشاكل كل ولاية حيث تنوعها وان كان يجمع بينها فى غالبيتها مشكلة التعليم والصحة ورفع مستوى المعيشة .

المفروض عليهم القيام بدور فعال في رفع الروح المعنوية للقوات وتدعيم الضبط والربط وروح الصمود بينها ، وقد قاموا بالفعل بدورهم هذا خير قيام ، ويعلق « زوكوف » على ذلك قائلا « لقد اتيحت لى فى اكثر من فرصة ان اتكلم مع الجنود السياسيين فى الجيش ، فلمست عندهم ثقة خاصة بحتمية النصر ،وكانوا يقولون « سوف نصمد » ، وكنت اشعر ان ذلك ليس مجرد كلمات فحسب ،وانما كان أسلوبا في التفكير ، وتعبيرا عن الوطنية السوفيتية الحقيقية . وقد كان هؤلاء الجنود السياسيون يعيدون الثقة لبعض الناس الذين بدات روحهم المعنوية ينتابها الضعف .. وبصفتى رجلا عسكريا كنت ‎ ‎ملي لاي بلد آخر ان تكون لديه مثل هذه النخبة القادرة على الموت من اجل وطنهم بمثل هذه البسالة » .

ولقد اشاد « زوكوف » مرارا فى مواضع مختلفة من مذكراته باهمية العمل السياسي الذى قام به المندوبون السياسيون واعضاء التشكيلات الحزبية المختلفة في الجيش ووحدات الإنصار العاملة في مؤخرة العدو ، وذلك عند تعرضه لمعركة « موسكو » مثلا التى جرت في شتاء ١٩٤١ العصيب ومعركة « لينجراد » التي حوصرت لمدة ٩٠٠ يوم ! ومعركة « ستالينجراد » عام ١٩٤٢ سواء في مراحل الدفاع أو الهجوم ، فنراه يقول تعليقا على نتائج معركة « موسكو » «واذا كنا نتكلم عن البطولات فاننا لانتحدث فقط عن الاعمال الخارقة التى قام بها جنودنا وضباطنا والموجهون السياسيون بالقوات المسلحة ، بل يجب ان لا نغفل ان ما امكن تحقيقه على الجبهة فى اكتوبر ١٩٤١ ، كان نتيجة لوحدة مجهودات القوات السوفيتية والشيوعيين وعمال العاصمة وضواحي موسكو ..»

ونراه يقول بالنسبة لمعركة «لينجراد»

« وقد قام التنظيم الحزبى والعمالى فى مدينة لينجراد بعمل كبير وعظيم لتحويل المدينة الي حصن منيع » ثم نراه يعلق علي نتائج التحضير الطويل الشاق الدقيق للهجوم السوفيتى المضاد فى جبهة ستالينجراد فى نوفمبر ١٩٤٢ ، ذلك الهجوم الذى حسم المعركة واسفر عن اسر الجيش الالمانى . المهاجم للمدينة باسره وعلى رأسه الماريشال « فون باولوس » « ولا شك ان ذلك كان عملا شاقا بالنسبة لكل مستويات قيادات الجهاز العسكرى والسياسي ، وكان يتطلب تعبئة كافة الجهود والإمكانيات ، ولكن كل هذه المشقة ما لبثت ان اعطيت ثمارها فى مجرى المعركة ، ولقد قامت المنظمات الحزبية والكومسمولية والاجهزة السياسية بعمل جبار بين صفوف القوات » .

هذا وقد ارتفع عدد اعضاء ومرشحي الحزب في صفوف الجيش في عام ١٩٤٢ ، رغم الخسائر الشديدة في المعارك ، الي اكثر من مليونين . وبلغ عددهم فى عام ١٩٤٥ عند انتهاء الحرب نحو ٣ ملايين و ٣٠٠ الف عضو ومرشح يمثلون نحو ٦٠٪ من مجموع عدد اعضاء ومرشحى الحزب كله ! هذا بخلاف عدد اعضاء منظمة الشباب .

ولم يقتصر العمل السياسى الدائب فى صفوف الجيش من اجل توضيح اهداف القتال ورفع الروح المعنوية والقتالية الي اعلي المستويات والاحاطة بالظروف السياسية المحيطة بالمعارك ، على المراحل الحرجة العصيبة وانما استمر حتى النصر الاخير فى معركة « برلين » وبعد ذلك ايضا خلال مرحلة توطيد السلام واعادة البناء ، وذلك من اجل رفع الروح الهجومية لانهاء الحرب تماما ومن اجل تجنب ارتكاب اي اعمال انتقامية من المدنيين الالمان الذين ضللتهم الدعاية النازية :ومن أجل مساعدة الشعب الالمانى علي اعادة بناء بلاده بعد ذلك بروح السلام والاخوة بين الشعوب ، تلك الروح التى حاول هتلر وعصابته تدميرها تماما من نفس هذا الشعب .

وبعد .. فان الخبرة الثمينة التي يقدمها « زوكوف » فى مذكراته بصدد اهمية العمل السياسى فى الجيش ، تؤكد ان الوعى الاشتراكى هو الاساس فى تكوين الصفات المعنوية القتالية العالية لدى العسكريين في الجيوش الثورية ، وان النصر على العدو يتوقف على الاقتناع الفكرى لدى العسكريين بذلك وبعدالة الحرب دفاعا عن اوطانهم ضد العدوان الامبريالي ، وان السبيل الي ذلك كله لا يتأتى الا عن طريق العمل السياسى الدائب فى صفوف هذه الجيوش .

محمود عزمى

■ روديسيا

بريطانيا : تتناور الوطنيون : يختلفون وسميث : يكسب الجولة

لم يعد فى امكان بريطانيا ان تستمر فى « لعبة المناورة » التى ظلت تمارسها منذ نوفمبر ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٦٩ ، بعد ان أقدم سميث على اجراءاستفتاء على مشروع الدستور الذى يمكنه بعد ذلك من اعلان الجمهورية ، وبالتالى قطع كل الروابط « الشكلية » التى كانت تربط بريطانيا بروديسيا .

فقدكانت بريطانيا تقف دائما فى وجه أى اقتراح سواء فى الامم المتحدة ، او فى الكومنولث « لاستخدام القوة » ضد تمرد حكومة الاقلية العنصرية باعلانها الاستقلال من جانب واحد فى نوفمبر ١٩٦٥ ، زاعمة أن اسلوب «الضغط» و « المقاطعة » و « التفاوض » يمكن أن يحقق نتائج عملية .

ويرى المراقبون الافريقيون ، ان مرور الوقت من ١٩٦٥ الى ١٩٦٩ ، قد أكد ان الاسلوب الذى سلكته بريطانيا ، لم يكن من الناحية العملية سوى مناورة أفسحت الوقت أمام المنصريين فى روديسيا ، لان يدعموا أسس سيطرتهم غير الشرعية .

وبرغم أن خطوة سميث الاخيرة بالاستفتاء على الدستور تمهيدا لاعلان الجمهورية ، قد أثارت دوائر الرأى العام العالمى ، مما كان يسهل احتمالات استخدام القوة ، الا أن المراقبين السياسيين يعتقدون ان هذه الاحتمالات لم تعد ممكنة على وجه الاطلاق ، وهم يستندون فى هذا الرأى الى العناصر التالية :

ـ ان حكومة سميث قد دعمت وجودها فى الداخل ، ونجحت فى توجيه ضربات حادة للحركة الوطنية تستطيع أن تضمن معها فترة غير قصيرة من الاستقرار .

ـ ان الغرب بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص ، على غير استعداد للاقدام على مثل هذه الخطوة ، وخاصة بعد أن اثبت سميث ان نظامه يمكن الاعتماد عليه فى توجيه الضربات الى القوى الوطنية الداخلية ، كما يمكن ان يساهم فى درء اخطار الحركة الوطنية فى الدول المجاورة .

ـ ان علاقات القوى بين الحركة الوطنية الافريقية ، وبين الاستعمار العالمى ، لا تسمح بالاقدام على مثل هذه الخطوة .

ـ انه حتى مع افتراض ان اجهزة الامم المتحدة يمكن ان تتخذ مثل هذا القرار ـ وهذا مستبعد ـ فان تنفيذه يحتاج الى قوة عسكرية من الصعب توفيرها للمنظمة الدولية ثم تحركها دون موافقة الغرب .

لقد أصبح واضحا أن مستقبل الاغلبية الافريقية أصحاب البلاد ، رهن بتطور قواهم الداخلية فى الاساس . أما حرب العصابات التى بدأتها قوات من حزب **اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى** بروديسيا وحزب **المؤتمر الوطنى** بجنوب افريقيا ، فانها تمر الان بمرحلة دقيقة نظرا للخلاف الذى دب اخيرا بين قائدى قوات الحزبين .

■

■ فيتنام

الحكومة الثورية المؤقتة تمهيد لنصر كلاسيكى كامل

قررت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى الاعتراف بالحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية فيتنام الجنوبية . وكانت هذه الحكومة قدتكونت فى ١٠ يونيو الماضى عن طريق مؤتمر ضم ممثلين لجبهة التحرير الوطنى ولتحالف القوى الوطنية الديموقراطية والمحبة للسلام ، ومختلف المنظمات السياسية والوطنية والجماعات الدينية ،ووحدات جبهة التحرير المسلحة وكتائب المتطوعين . ويعتقد أغلب المراقبين السياسيين أن تشكيلها من أهم الاجراءات السياسية التى اتخذتها جبهة التحرير منذ انشائها من ٨ سنوات .

وقد جاء تشكيل هذه الحكومة بمثابة ضغط على حلف واشنطون ـ سايجون بعد مؤتمر **ميدواى** الذى عقد بينهما ، وعلى الرغم من اعلان نيكسون سحب ٢٥٠٠٠ جندى أمريكى من فيتنام الجنوبية . وتشكيل الحكومة الجديدة فى هذا الوقت بالذات يرتبط بالاهداف الاستراتيجية العامة للجبهة والثوار عامة ، وليس بأى حال من قبيل الاعمال التكتيكية ، لانه دليل واضح على أن الجبهة ليست على استعداد لوضع الاشكال النهائية التنفيذية لحكم فيتنام الجنوبية بعد الحرب بالاتفاق مع حكومة سايجون ، كما أن تشكيلها قد جاء تأكيدا قاطعا لرغبة الثوار فى نفى أى صفة شرعية عن حكومة سايجون . كذلك فان عديدا من المراقبين السياسيين يربطون بين الاعداد السياسى

لهذه الحكومة وبين التطور العسكرى للموقف فى فيتنام الجنوبية ، ذلك أن الثوار يواصلون هجماتهم ويشددونها على المواقع الامريكية ومواقع الحكومة العميلة والعديد من المراقبين يشيرون الى أنهم قد حددوا شتاء ١٩٧٠ لتحقيق انتصارات نهائية ساحقة فى فيتنام الجنوبية ، وأنه بناء على ذلك ينبغى أن تتوفر لديهم الحكومة القادرة من وجهة النظر الثورية على الاضطلاع بمقاليد الحكم عقب التصدع المتوقع لحكومة العملاء فى سايجون . كذلك فان هذا الاجراء يهدف الى التمهيد للاطاحة بهذه الحكومة عن طريق عزلها عالمياوكسبأكبر اعتراف دولى لحكومة الثوار ، الامر الذى يضع الولايات المتحدة موضع المعارضة المغايرة للقوة الفعلية لجبهة التحرير ولارادة الشعب الفيتنامى وذلك أمام الرأى العام العالمى .

كذلك اشار عددآخر منالمراقبين الىانتشكيل هذه الحكومة قد جاء هزيمة ساحقة لخط « جونسون » — « راسك » — « روستو » الذى كان يقوم — حسبما اوضحت الهيرالدتريبيون الدولية فى ٦/١٠ الماضى .

على « ان اعضاء جبهة التحرير الوطنى لايمكنهم الاشتراك فى السياسات الابصفتهم الفردية ، و[illegible] تخلى عن الحرب ، ووفقاللقواعد التى يحددهادستور حكومة سايجون الراهنة» .

وتعليقا على قرار نيكسون الاخير بسحب ٢٥٠٠٠ جندى أمريكى من فيتنام الجنوبية ، يرى بعض المعلقين ان هذا القرار يعد نوعا من الاعتراف الواقعى الاولى من قبلالامريكيين بخسارةالحرب فى فيتنام الجنوبية ، وانه جزءمنعملية الانسحاب

تعليق

انهيار مبدأ هالشتاين

تدعى حكومة المانيا المغربية « بأنها الممثل الوحيد لالمانيا كلها » . ولذلك فهى تعتبر أعتراف اى دولة بجمهورية المانيا الديموقراطية عملا عدائيا يستحق بل ويفرض عليها قطع علاقاتها الدبلوماسية بتلك الدولة . ومنذ أن أعلنت المانيا الغربية هذا المبدأ عام ١٩٥٥ وهو يشكل ركنا هاما فى سياستها الخارجية ويعرف باسم « مبدأ هالشتاين » نسبة الى والتر هالشتاين وزير خارجية المانيا الغربية الذى صاغ تلك السياسة . ومنذ عام ١٩٥٥ ومع تصاعد حدة الحرب الباردة، وفى أعقاب قبول المانيا الغربية عضوا فى حلف الاطلنطى بدأت سياسة اعادة تسليح المانيا الغربية كى تشكل مخفرا أماميا لدول الغرب الاستعمارى ضد المعسكر الاشتراكى بشكل عام وضد جمهورية المانيا الديموقراطية على وجه الخصوص .

وتهدفحكومةبون منوراءتطبيق مايسمى بمبدأ هالشتاين الى محاولة عزلجمهورية المانيا الديموقراطية فى المجال الدولى ومحاصرتها ، والتحضير « لتحريرها » كما قال بصراحةكونراد اديناور مستشار المانيا الغربية فى اكثر من مناسبة .

وفى سبيل فرض هذا المبدأ الذى يتعارض وحق كل دولة فى اتباعالسياسة التى تمليها عليها مصالحها دون أىوصاية من الخارج اتبعت حكومة بون كل وسائل الضغط والابتزاز والتهديد بقطعالمعونات ضد أى دولة تفكر فى اقامة علاقات على اى مستوى مع جمهورية المانيا الديموقراطية .

ولكن حكام بون نسوا أن الشعوبالتى صممت على نيل حريتها وتصفية كافة أشكال الاستعمار لن تقبل التدخل فى حقها المطلق فى تحديد سياستها كما تريد ووفقا لمصالحها فى المجال الدولى ، وان أى حكومة مستقلة لن تقبل وصاية على سياستها مقابلتلك المساعدات التىتقدمها المانيا الغربية مهما بلغت اهميتها . ورغم كافة اشكال الضغط والابتزازالتىاتبعتها حكومة بون يتزايد يوما بعد يوم عددالدول التى تقيم علاقات وعلى درجات متباينة مع جمهورية المانيا الديموقراطية . لقد اعترفت بها اعترافا كاملا كل دولالمعسكر الاشتراكى بالاضافة الى كمبوديا والعراق والسودان وسوريا . كما يقيم معها عدد كبير من الدول المستقلة علاقات تجارية واقتصادية وسياسية علىمستوياتمختلفة ومن بين تلك الدول غينيا وغانا ومالى وسيلان والجمهورية العربية المتحدة وتنزانيا .. الخ .

وقد رفضت حكومات الدول المستقلة جميعا كل اساليب الضغط والابتزاز التى لجأت اليها بون تحت دعوى مبداهالشتاين فأعلن نيريرى « ان مبدأ هالشتاين أمر غير مقبول وأن بون تحاول استغلال معونتها لفرض الوصاية على البلاد المستقلة » . كما أعلن الرئيس عبدالناصر « ان بلدان آسيا وافريقيا لم تعد تقبل سياسة الضغط المعروفة باسم مبدأ هالشتاين . وان تلك السياسة لم يعد لها من جدوى » .

ورغم كل ماتدعيه بون نجد أنها تضطر أحيانا الى التخلى عنمبدأ هالشتاينحيثما تقتضى مصالحها الاقتصادية ، وحيث لن يؤدى تطبيقه الا الى الاضرار بمصالحها الاقتصادية أو الى عزلتها فى المجال الدولى مع تزايد اعتراف الدول بجمهورية المانيا الديموقراطية. ففى تعاملها معكافة البلدان الاشتراكية اضطرت بون الى التخلى عن مبدأ هالشتاين وتجاهله ، اذ ان جميع هذهالبلدانتعترفبجمهورية المانيا الديموقراطية وهى لم تطبقه فى الواقع الا مع يوغوسلافيا وكوبا حيث لايمس تطبيقه المصالحالالمانية الغربية كثيرا . ويكشف ذلك الموقف من جانب حكومة بون عن أن ماتسميه«بمبدأ هالشتاين » فى سياستها الخارجية ليس الا وسيلة للضغط على الدول حديثة الاستقلال وابتزازها يفرض شكلا من اشكال الاستعمار الجديد . ولكن مع افتضاح نوايا بون الاستعمارية تتسع وتتزايد حركة اعتراف الدول بجمهورية المانيا الديموقراطية ويبرز دورها اكثر واكثر فى المجال الدولى ، وتتمردالبلدان المختلفة على أسلوب الابتزاز الاستعمارى الالمانى المغربى .

حمدى عبد الجواد

العامة حفظا لماء الوجه ، وان الانسحاب العسكرى الذى سيكون مفروضا على الامريكيين عقب هزائمهم العسكرية المقبلة طوال هذا العام واوائل عام ١٩٧٠ ، هذا الانسحاب العسكرى الذين اجبروا عليه فى النهاية جبرا وبنتيجة تطور الوضع عسكريا لغير صالحهم فى فيتنام بعد حرب استمرت ٨ سنوات ، يحاول نيكسون بقراره هذا ان يظهره بمظهر الانسحاب « الاختيارى » من قبل الولايات المتحدة وبارادتها « الحرة » ، ويرى معلقون آخرون ان أحد اهدافه كذلك الضغط على حكومة سايجون لتبذل مجهودا اكبر فى المجالين العسكرى والسياسى طبقا لخطة « فينمة » الحرب هناك .

الا ان احد العوامل الهامة التى يراها كثير من المراقبين وراء هذا القرار الاخير بسحب هذه القوات هو رغبة نيكسون فى تخفيف ضغط الرأى العام الامريكى على البيت الابيض ، والذى يطالب بوضع نهاية سريعة للحرب فى فيتنام ، وخاصة بعد ان بلغ عدد القتلى من الامريكيين فى الفترة منذ بداية محادثات باريس فى مايو ١٩٦٨ ، ١٣٠٠٠ امريكى طبقا للاحصاء الذى اوردته صحيفة الهيرالدتريبيون فى ٨ يونيو الماضى .

خمسة دولارات أرباح كل دولار فى سبع سنوات

للمرة الثالثة اعلن **نيلسون روكفلر** حاكم ولاية نيويورك والمبعوث الشخصى للرئيس نيكسون الى دول أمريكا اللاتينية قطع زيارته والعودة الى واشنطن ، مخلفا وراءه عدد لايستهان به قتلى وجرحى المظاهرات التى هبت فى كل بلدان أمريكا اللاتينية ترفض زيارته .

لقد قدم **جون كيندى** لامريكا اللاتينية فى عام ١٩٦١ برنامج « التحالف من اجل التقدم » وكان هدفه المنصوص عليه هو « تحويل الستينات الى عقد تاريخى للتقدم الديمقراطى » . وكما تقول جريدة **لانوتل جورنال** الفرنسية « ان هذا التحالف من أجل التقدم قد فشل ، فلقد كان هناك فى عام ١٩٦١ ثلاث انظمة ديكتاتورية فى أمريكا اللاتينية وبعد عامين فقط من البرنامج كان هناك سبع ديكتاتوريات ، وفى عهد **جونسون** بلغ العدد ثلاث عشرة » .

أما الرئيس **نيكسون** فلقد قال لمنظمة الدول الامريكية فى الشهر الماضى « **اننا نحتاج الى سياسة جديدة** » ، ثم اسفر الامر عما سمى « بسياسة متماسكة فى أمريكا اللاتينية تقوم على مجهود القطاع الامريكى الخاص » . واختير **نيلسون روكفلر** ، وهو من كبار اصحاب الاحتكارات الخاصة فى أمريكا اللاتينية للتجول فى المنطقة وعرض السياسة الجديدة !! أو بالاحرى محاولة فرضها وذلك لان جلسة اللجنة الاولى للمؤتمر الاقتصادى والاجتماعى السادس لمنظمة الدول الامريكية قد شهدت هجوما عنيفا من قبل ممثلى دول أمريكا اللاتينية على سياسة الاحتكارات الامريكية الخاصة بالذات ، واوضح مندوب **شيلى** بناء على الاحصائيات الامريكية نفسها انه «مابين سنتى ١٩٦١ حتى ١٩٦٨ حصلت احتكارات الولايات المتحدة على خمس دولارات مقابل دولار واحد استثمرته فى القارة » .

وكانت زيارة روكفلر مناسبة التحمت فيها النضالات الاقتصادية للجماهير ضد نتائج الاستغلال الامريكى والتى أودت فى السنوات الاخيرة بمستوى الاجور الى ارتفاع الاسعار بالنضالات السياسية ضد نظم الحكم الديكتاتورية المؤيدة من قبل الولايات المتحدة لتصب فى موجة عارمة من الاضطرابات العنيفة ، فلم تكن طبيعة زيارة روكفلر خافية على على أحد فى أمريكا اللاتينية ، واعلن المركز النقابى الموحد لشغيلة شيلى » الادانة الشديدة لزيارة نيلسون روكفلر مبعوث الاحتكارات التى تستغل ثرواتنا » .

وفى بوجوتا عاصمة **كولومبيا** اعلن القساوسة والطلبة والعمال فى بيانهم « أن السبب الرئيسى فى الالام التى تشكو منها أمريكا اللاتينية يعود الى سيطرة الولايات المتحدة على خيرات الدول الامريكية اللاتينية » . وفى **فنزويلا** هاجم الطلاب مجمعا استهلاكيا ضخما يملكه نيلسون روكفلر فى كاراكاس العاصمة الفنزويلية » .

ولقد اعلنت حالة الطوارىء فى كل بلدان امريكا اللاتينية التى زارها روكفلر وعبئت قوى الجيش والبوليس لتستطيع مواجهة المظاهرات العنيفة التى واجهته ، ومع ذلك فلقد وصل روكفلر الى مطار لاباز فى بوليفيا ليجد حكومة **بوليفيا** تطلب منه الا يغادر المطار كى لاتحدث مذبحة فبقى فى المطار ٣ ساعات اجرى فيها اتصالات مع حكومة بوليفيا داخل المطار ليغادر بوليفيا الى ترينداد استعدادا لزيارة فنزويلا ، لكن حكومة فنزويلا وبعد أن كانت قد قررت عدم تسريح بعض قوات الجيش واغلاق المدارس الثانوية ومحاصرة الجامعة طلبت من روكفلر الغاء زيارته خشية من الاضرابات ، فغادر روكفلر ترينداد الى واشنطن ، ثم عاود الكرة فى جولته الثالثة وقام بزيارة **أورجواى** ، وقد قررت حكومتها اغلاق الجامعات والمدارس وعدم اذاعة موعد وصول روكفلر وفرض السرية التامة على موعد زيارته ، وان تتم الزيارة بعيدا عن العاصمة ، فى مدينة بونتاديلااست « التى اخليت الا من رجال البوليس والجيش . ولكن هذا لم يستطع ان يقف امام المواجهة

الجماهيرية المتزايدة فى اورجواى ، واشعل المتظاهرون النار فى مصانع سيارات شركة جنرال موتورز الامريكية وبعض الشركات الامريكية الاخرى واخيرا قطع روكفلر زيارته وعاد مرة أخرى الى واشنطن .

ولقد علقت جريدة **الايكونوميست** البريطانية على زيارة روكفلر فقالت « ان زيارة روكفلر قد اتت بمصاعب جديدة ، ولعل أخطر النتائج هى ما اتضح من أن كاسترو كان وحده هو الذى اجتاز العواصف السياسية فى امريكا اللاتينية بنجاح اكبر من أى نظم تمتعت بتأييد واشنطن — وان محاولة عزل كوبا قد تحطمت نهائيا بما سمعه روكفلر من بعض حكام أمريكا اللاتينية من مطالبتهم باعادة كوبا الى منظمة الوحدة الامريكية » .

■ ■ ■

تقرير شامل

مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية

بدأ فى موسكو فى ٥ يونيو الماضى مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الذى ضم ممثلى ٧٥ حزبا شيوعيا وعماليا بلغ عددهم ٤٠٠ مندوب ، وانعقد المؤتمر فى قاعة « القديس جورج » بالكرملين التى اجتمع فيها من قبل ممثلو ٨١ حزبا شيوعيا وعماليا فى نوفمبر ١٩٦٠ ، وهو ثالث مؤتمر شيوعى عالمى يعقد فى موسكو · وقد ذكرت وكالة الانباء الفرنسية بتاريخ ٥ يونيو الماضى حقيقة لم يسبق لهامثيل — فيما تعتقد — فى تاريخ المؤتمرات الشيوعية العالمية ، وهى ان البيان الذى صدر عن المؤتمر يوم ٥يونيو وذكر اسماء ٧٥ حزبا من الاحزاب المشتركة فيه ، لم يذكر اسمى حزبين شيوعيين سريين « لدواعى تتعلق بالامن » ، وهى المرة الاولى من نوعها بهذا الصدد .

وكانت توقعات اغلب الصحف الغربية ووكالات انبائها ان المشكلة التشيكوسلوفاكية ستكون بمثابة الحجر الذى سيتقاذفه الاتجاه المؤيد لما يسمى « بوجود مركز واحد » فى الحركة الشيوعية ، والاتجاه الاخر « المؤيد للتنوع المستقل والاختلاف » ، والذى مثله فى راى المعلقين الغربيين بشكل خاص — الحزب الشيوعى الايطالى ، لكن النتائج العامة للمؤتمر لم تتحقق وفق توقعاتهم ·

وقد ابرز ليونيد بريجنيف فى الخطاب الافتتاحى للمؤتمر تلك الحقيقة التى تعبر عن وجهة نظر الحزب السوفيتى وهى « ان الحركة الشيوعية هى اعظم قوة دولية مؤثرة فى عصرنا » ، وان « الموضوع الرئيسى فى جدول الاعمال هو السلام والتقدم الاجتماعى » ، كذلك فقد لوحظ انه لم يشترك فى المؤتمر ممثلون عن الاحزاب الشيوعية الاسيوية الحاكمة سوى ممثلى حزب واحد هو الحزب المنغولى .

وقد سمح لممثلى الصحافة العالمية والشيوعية بحضور جلسة افتتاح المؤتمر والجلسة الختامية ، أما الجلسات الاخرى فكانت سرية · وهذه هى المرة الاولى من نوعها التى تعطى فيها السلطات السوفيتية مثل هذه الامكانيات الاعلامية التى تعد ضخمة للغاية بالمقارنة مع مؤتمر سنة ١٩٦٠ ، حيث كان الصحفيون العالميون ، بعد ١٥ يوما من افتتاح مؤتمر سنة ١٩٦٠ لايزالون يجهلون معظم ما يتعلق باعماله ·

وكانت وجهة نظر الحزب الشيوعى الايطالى منذ بداية المؤتمر ، وحسبما عبر عنها عضو وفده « جوسيبى بوفا » هى ان « ثلاثة من الوثائق المقدمة للمؤتمر ، لاتثير اى اعتراض اساسى وهى الاعلان السياسى للتضامن مع فيتنام ، والنداء للراى العام العالمى ، والنداء بمناسبة الاحتفال بالعيد المئوى للينين ، الا ان الامر ليس كذلك بالنسبة للوثيقة الاساسية التى تتضمن « المهام الحالية للكفاح ضد الامبريالية ، ووحدة العمل للاحزاب الشيوعية .

وفى اليوم الثانى للمؤتمر بدأ سكرتير الحزب الشيوعى فى « باراجواى » الهجوم على الصين الشعبية ، وعلى اثر الهجوم وجه شاوسيسكو سكرتير عام الحزب الرومانى نداء كافة الاحزاب الشيوعية بالامتناع عن القيام بهجمات جديدة ضد اى حزب شيوعى حاضرا كان ام غائبا · ومع ذلك عاود مندوب الحزب الشيوعى فى كولومبيا الهجوم ثم عاوده كذلك اثنان من قادة الاحزاب الشيوعية الكبيرة هما فالديك روشيه سكرتير عام الحزب الفرنسى ، وجومولكا سكرتير الحزب البولندى ، على اساس ان موقف بكين ينطوى على اضرار بتلاحم الوحدة الشيوعية العالمية ولابد بالتالى من ادانته · وقد قال شاوشيسكو فى ندائه « انه اذا استمرت بعض الاحزاب فى هجومها على الصين فسوف تشكل خطرا يهدد نجاح مؤتمرنا » ·

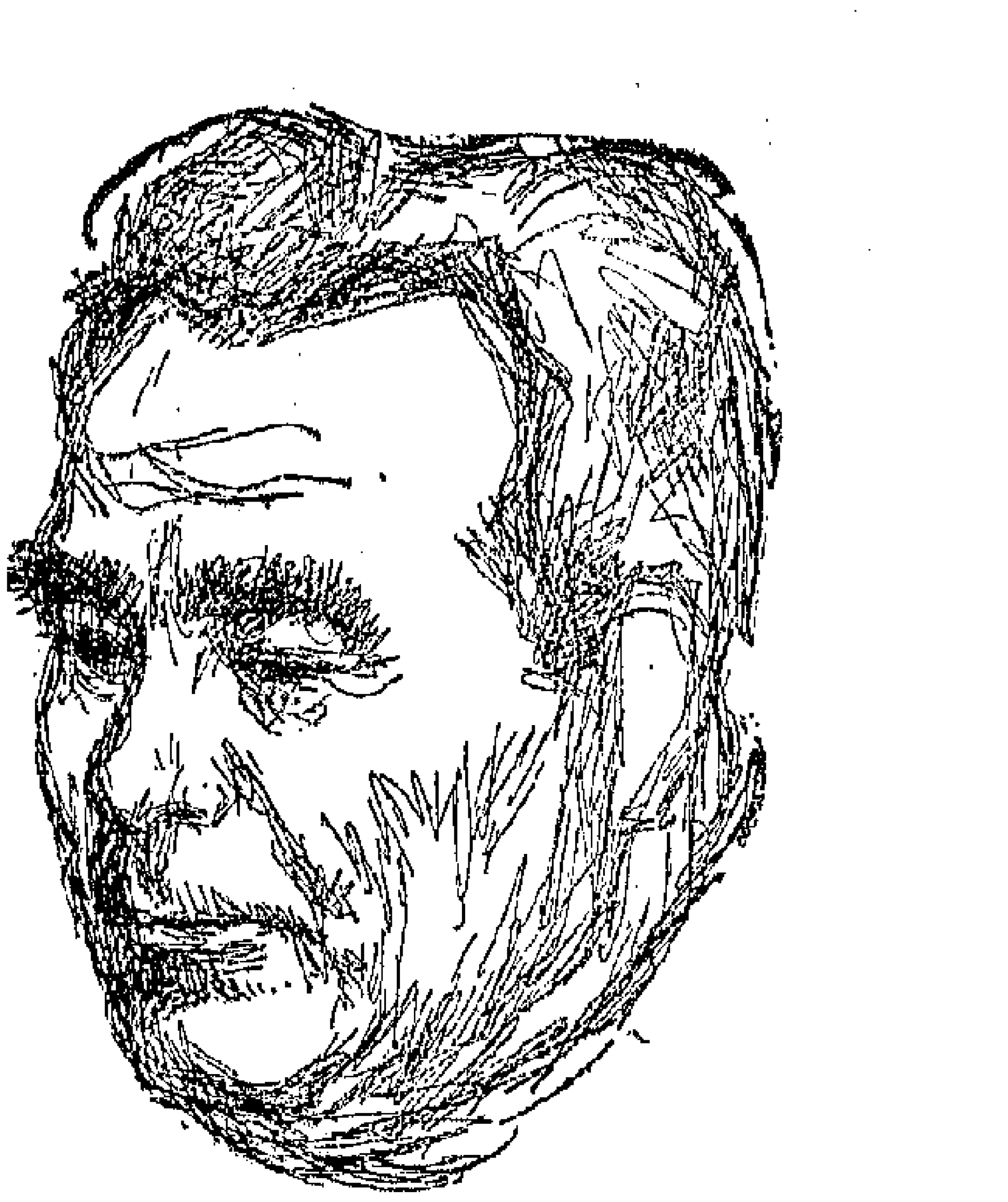
ومما يستحق الذكر ذلك التقييم الذى قدمه جومولكا للاتحاد السوفيتى وذلك فى معرض هجومه على الصين ، اذ قال جومولكا انه « **على عكس مايستطيع ان يقوله الزعماء الصينيون ، فان المركز الرئيسى للاشتراكية والعدو الاول للامبريالية فى العالم المعاصر هو الاتحاد السوفيتى . ذلك ان الاتحاد السوفيتى بقوته وبامكانياته فى شل أى عدوان من جانب الامبريالية الامريكية يكفل الامن لجميع الدول الاشتراكية بما فيها جمهورية الصين الشعبية** » .

ومع ذلك فقد هاجم بريجنيف فى ١٠ صفحات من تقريره المكون من ٧٨ صفحة انحرافات القيادة الصينية الحالية ، ورفض بقوة جميع المطالب الاقليمية الصينية واختتم هجومه مؤكدا ان الموقف الناشىء عن السياسة الصينية يعد عاملا جديدا فى مشكلة الوحدة المناهضة للامبريالية ، وعلى الشيوعيين ان يتخذوا فى هذه المشكلة ردا يتسم بالمسئولية والوضوح » . ولم تثر تصريحات بريجنيف المعادية للصين ردود فعل واضحة لدى الوفد الرومانى الذى ظل فى اماكنه حينذاك لم يبرحها .

ومما هو جدير بالذكر ما اعلنه بريجنيف بشان «الانتهازية اليمينية داخل البلاد الاشتراكية» التى ترفض فى رايه « الدور القيادى للحزب الماركسى اللينينى ، الامر الذى يهدد بان يؤدى الى الاستسلام امام العناصر المعادية للاشتراكية » اما الانتهازيون اليساريون فهم فى رايه « وان كانوا يختبئون خلف الشعارات الثورية الطنانة ، الا انهم يدفعون الجماهير الى الوان من النشاط المتسم بالمغامرة والى طريق الانقسام والتحزب » .

اما مندوب الحزب الشيوعى الاشتراكى « **ارونز** » فقد انتقد الوثيقة الرئيسية للمؤتمر واوضح انها تتجاهل التطور الذى حدث فى العلاقات بين الدول الاشتراكية ، وتقدم تحليلا متناقضا للنظام الامبريالى العالمى والموقف الدولى ووصف الوثيقة الرئيسية بانها « غامضة » .

ومما هو جدير بالذكر ايضا فى هجوم بريجنيف على الصين ، ما اشار به من اننا « ينبغى ان نعترف بان جزءا معينا من الراى العام العالمى مازال يؤمن بالتطلعات الثورية للقادة الصينيين ، اما نحن من جانبنا فنعتقد ان المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى قد اوضح ضد من يشن هؤلاء القادة نضالا لاهوادة فيه . ومن اجل اية اهداف يشنون هذا النضال ، انهم يتحدثون عن منحرفين مزعومين ، لكننا نعرف جيدا ان بكين لاتعنى بهذا ، المنحرفين الحقيقيين ، بل الاغلبية العظمى من الاحزاب الشيوعية والبلاد الاشتراكية ، وكل من يحضرون هذا المؤتمر يعرفون جيدا باية اهانات رد قادة بكين على دعوتنا لهم للاشتراك فيه » . اما



ليونيد بريجنيف

فيما يتعلق بالمشكلة التشيكوسلوفاكية فلم يشر بريجنيف صراحة اليها ، وانما اعتبر كثير من المراقبين ان اشاراته حول الانحرافات اليمينية . تتضمن نقدا لكثير من اوجه النقص التى ادت الى بروز المشكلة التشيكوسلوفاكية .

كذلك فقد ندد المؤتمر فى وثيقة رسمية وافق عليها ، بالعدوان الاسرائيلى على الدول العربية مؤكدا ان ذلك يشكل انتهاكا صارخا للحقوق القومية للشعوب العربية وللشعب الفلسطينى وكذلك لميثاق الامم المتحدة » . ووافق بالاجماع على هذه الوثيقة التى ايدتها وفود الاحزاب الشيوعية الغربية والحزب الشيوعى الاسرائيلى والخاصة « بمساندة الدول العربية فى نضالها ضد العدوان الاسرائيلى » .

وتناول بريجنيف فى خطابه النقاط الرئيسية التالية :

● **الصراع الصينى السوفيتى :** اوضح فيها ان القيادة الحالية فى بكين لا تبغى سوى السيطرة على الحركة الشيوعية ، وقد افصحت عن مطامحها كقوة كبرى بالمطالبة باراضى البلاد المجاورة .

● **العلاقات مع البلاد الراسمالية :** سيراعى فيها الاتحاد السوفيتى مبدا التعايش السلمى .

● **العلاقات بين الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين :** اعلن فيها « اننا نخوض وسوف نستمر فى خوض النضال ضد خصومنا الايديولوجيين والسياسيين من الاشتراكيين الديموقراطيين ، ولكننا نعلن فى نفس الوقت استعدادنا للتعاون وللقيام بعمل مشترك مع جميع اولئك الذين يعتزمون بصدق ان يكافحوا ضد الامبريالية ومن اجل السلام ومصالح العاملين » .

● **الحملة ضد الايديولوجية البرجوازية :** شن فيها حملة قوية ضد هذه الايديولوجية موضحا ان اى

تخاذل في العمل الايديولوجي من جانب الشيوعيين واي انحراف في هذا العمل ، يؤدي حتما الى تقوية نفوذ الايديولوجية البرجوازية .

● **الكفاح المناهض للامبريالية في الدول الراسمالية** : اوضح فيه ان الصراع الطبقي يزداد شدة في الدول الراسمالية وان ما اطلق عليه « السلام الاجتماعي » لم يعد له وجود . فحال العاملين في كل مكان تشهد الان نوعا من الغليان وهناك حاليا ظروف مواتية لتجميع كافة التيارات الديموقراطية في اتحاد سياسي كبير يمكن ان يحد بصفة اساسية من دور الاحتكارات الكبرى في اقتصاد الدول المختلفة ، ويضع حدا لسيطرة الراسمالية الكبيرة ويحدث تغييرات جوهرية تهيء جوا مواتيا للكفاح في سبيل الاشتراكية » .

● **الصعوبات التي تواجه الحركة الشيوعية** : يرى ان جانبا منها يرجع الى الفشل بل والهزائم التي منيت بها بعض الاحزاب الشقيقة وكذلك الى خلافاتها الداخلية . كما يرجع الى تدعيم مقاومة البورجوازية التي جعلت من مناهضة الشيوعية سياسة للدولة . ويرى ان الاستراتيجية الامبريالية تتمثل حاليا في اصابة الحركة الثورية بالتفكك من الداخل . كما اوضح ان الجيل الجديد « المعارض » هو الاخر احد مصادر الصعوبات ، لان هناك ملايين من الاشخاص تنتمي الى مختلف الفئات الاجتماعية ترى نفسها منقادة الى اعمال سياسية قوية ، ولكن عددا كبيرا من بينها ليس لديه سوى فكرة مبهمة جدا عن الطريقة التي تتيح حل المشاكل التي تشغل بالها » . كذلك فمن الصعوبات ايضا التاثيرات الانتهازية لليمين واليسار ، التي تمارسها عناصر تتسرب الى صفوف العمال .

● **الاممية البروليتارية والسيادة المحدودة** : اكد فيها ان الاممية البروليتارية سلاح من اسلحة الكفاح المجربة من أجل وحدة الحركة العمالية، وان هذا هو السبب الذي يدفع الامبرياليين الى ان يضعوها بشكل مصطنع وجها لوجه مع مبادىء الاستقلال والسيادة والمساواة في الحقوق لمختلف الوحدات القومية ، ولقد اطلقت ، بهذا الهدف نظرية « السيادة المحدودة » الشهيرة . واكد ان قوة الحزب البروليتاري تكمن في التوفيق بين امكانيات التقدم الداخلية ، وبين العمل في نفس الوقت من اجل القضية المشتركة للاشتراكية .

● **منظمة الكوميكون وحلف وارسو** ، اكد فيها ان العالم يشهد حاليا تدعيما للاحلاف السياسية والعسكرية للامبريالية ومحاولات للتكامل الاقتصادي ، ولذا أوضح أن الكوميكون وحلف وارسو لاغنى عنهما في الكفاح ضد الامبريالية : الاول باعتباره اداة فعالة في المنافسة الاقتصادية بين الاشتراكية والراسمالية ،والثاني بوصفه تحالفا يتيح قوة عسكرية كبيرة تستخدم في حماية منجزات الاشتراكية .

وقد نشرت برافدا الانتقادات التي وجهها سكرتير الحزب الشيوعي الاشتراكي حول التدخل في تشيكوسلوفاكيا ، واعتبر فيه هذا التدخل « خاطئا » واعلن عن معارضته لكل تدخل خارجي في شئون اى حزب صغير او كبير ، كما اشار تليفزيون براغ باختصار الى هذه الانتقادات . كذلك فان من اهم ما جاء بخطاب شاوشيسكو سكرتير عام الحزب الروماني هو انه « لا يمكن قيام مركز موجه للشيوعية العالمية ، وان التباين بين خطوط الاحزاب الذي يرجع الى الوقائع القومية والجغرافية يجب الا يحارب »

اما مندوب الحزب « الكوبي » « المراقب » فقد اوضح ان الحزب الشيوعي في كوبا يميل الى الاعتقاد على الدوام بان حرب العصابات تعتبر بمثابة افضل اشكال النضال المؤدي الى تطوير الشيوعية وانتصار الثورة في امريكا اللاتينية ، واوضح ان «**تشي جيفارا** » سيظل دائما بمثابة القدوة . وقد استطاع **كارلوس رافاييل رودريجيز** (وهو سكرتير الحزب الشيوعي الكوبي القديم) أن يحافظ في المؤتمر على حياد كوبا ازاء مشاكل العالم الشيوعي الكبرى ، وبخاصة المسألة الصينية . واشاد بحرارة بالاتحاد السوفيتي على مساعدته ودعمه لكوبا .

اما مندوب الحزب الشيوعي الايطالي **برلينجوير** فقد اكد انه « حتى في المعسكر الاشتراكي ثبت بالتجربة انه لا يمكن تجاهل الظروف والمشاعر والمصالح الوطنية ، وان الوحدة لاتكون لها قيمة ، الا اذا اخذت في الاعتبار الاصالة الخلاقة لكل مجتمع وطني ولكل حزب في الاعتبار » . واكد « انه لا يمكن ان يكون هناك حزب رائد او دولة رائدة في نطاق الحركة الشيوعية الدولية » . واضاف « ان محاولة تفسير كل اختلاف بانه « انحراف » عن المذهب الاصلي ، يؤدي في الحقيقة الى اتساع هوة الخلافات ، فمن الواجب اذن محاولة فهم حقائق كل حزب على حدة » . كذلك اشار المندوب الايطالي الى ان الحزب الصيني قد اخطأ خطأ عميقا برغبته فرض الطريق الذي اختاره على كافة البلاد والاحزاب وذلك بدعوته الى سيطرة افكار ماوتسي تونج . كما انه انتهز فترة التوتر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي للهجوم على الاتحاد السوفيتي وعلى اغلب البلاد الاشتراكية والاحزاب الشيوعية . الا انه اوضح كذلك أن مشكلة الصين مشكلة موضوعية ، وان الصين تؤثر تأثيرا كبيرا على

الموقف الدولى . كما اعتبر عدم اعلان المؤتمر لاى ادانة وعدم اتخاذه لاى قرار « بالحرمان » اى الطرد من الحركة الشيوعية الدولية بمثابة عنصر ايجابى » .

هذا وقد اعتبر عديد من المراقبين ما جاء بخطاب « **جوستاف هوزاك** » سكرتير الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى بمثابة رد على ما اثير من بعض الوفود فى المؤتمر وبخاصة الوفد الايطالى ازاء مشكلة تشيكوسلوفاكيا ، وقد اوضح هوزاك : « اننا مندهشون بدرجة اكبر لكون بعض الاحزاب الشقيقة الحاضرة فى نفس هذا المؤتمر لديها معلومات سطحية عن شئوننا وتطوراتها ،

تعليق

هنا يولد المسرح .. فى المنصورة مثلا

من الطبيعى ان تتمركز الفنون فى عاصمة اى بلد من البلدان ، ولكن من غير الطبيعى ان يتحول هذا التمركز الى نوع من « الاحتكار » وكأن ابناء العاصمة اصحاب حق شرعى فى الاستيلاء على كافة المواهب الفنية للوطن ، وكان جماهير الشعب فى الاقاليم النائية كتب عليها منذ مولدها ان يقتات وجدانها على فتات موائد المدينة ، عن طريق الاذاعة والتليفزيون .

ولا شك ان هذا الوضع له ما يبرره من الناحيتين التاريخية والواقعية ، فمجتمع العاصمة تاريخيا هو ذلك المنتدى الذى تؤمه الفئات الممتازة من بقية المدن ، وتعسكر فيه الصفوة المختارة بصفة دائمة .. ولما كان الفن من احد جوانبه ترفيها ومتعة : فمن اولى بالتسلية من الممتازين والمختارين . لذلك كانت الدولة فى ظل سيادة القطاع الخاص تجند كافة امكانياتها المادية لخدمة فنون العاصمة ، وظل الامل البراق فى عينى كل موهبة تنشأ فى الاقاليم ، ان تصلها يد الانقاذ لتستقر فى العاصمة .

وفى مجتمع يحاول نبذ الطريق الرأسمالى للتطور ، لابد وان ينفض عن كاهله ميراث السنين ، وان يغير فى تقاليد مجتمع « العاصمة » مادام الاتجاه هو توسيع الرقعة الجماهيرية التى ينبغى ان تستفيد من ثمرات كدها الطويل .

ولقد كانت قصور الثقافة محاولة جادة من محاولات تبنى هذا الاتجاه . ولابد من الاعتراف بأن هذه القصور حققت فى الماضى القريب نجاحات بارزة من حيث انها اذابت الاحتكار القاهرى للفن ، وجعلت من بعض المحافظات مراكز اشعاع ثقافية تتطلع اليها الابصار والمواهب . ولكن شيئا ما قد حدث فى الادارة العامة للثقافة الجماهيرية توقف النشاط على اثرها فى القصور وتعثرت المحاولة ثم آلت الى السكوت المطبق .

غير ان بصيصا من ضوء يلمع فى الافق من جديد ، هكذا يبدو لى الامر بعد زيارة الفرقة المسرحية بالمنصورة .. ولا اعلم ما اذا كانت الفرقة تتبع الحكم المحلى او وزارة الثقافة ، والاغلب انها اذا نجحت سوف يتنازع الاشراف عليها الطرفان ، واذا لا قدر الله فشلت فانهما سوف يتبادلان الاتهام والبعد عن المسئولية . ولكن فرقة المنصورة فى كلا الحالين هى المسئول الاول عن نجاحها او فشلها ، عن بقائها او زوالها . وقد دلت التجربة على ان هذه الفرقة التى تعرضت لصنوف من القهر والضغط والتمزق سوف تناضل دفاعا عن وجودها نضالا فنيا اصيلا .

ولعل مسرحية «شىء لله يابو زعيزع» التى استأنفت بها الفرقة نشاطها ابلغ دليل على استشعار القائمين بالامر فيها بمسئوليتهم ازاء المرحلة الجديدة من مراحل توسيع الرقعة الجماهيرية المستفيدة من ثمرات فن ابنائها . وكانت هذه المسرحية قد فازت بالجائزة الاولى فى المسابقة التى نظمتها احدى المجلات الفنية لكتابة الكوميديا الاجتماعية . وكشأن معظم الانتاج الفائز فى امثال هذه المسابقات نامت المسرحية طويلا فى ادراج مؤسسة المسرح .. ذلك ان عقلية « العاصمة » فى المؤسسات المركزية لا تتصور اى ثراء فى المواهب يمكن ان يكون هناك بعيدا عن الاضواء والضجيج . ولكن مخرجا متمردا على اساليب هذه العقلية ، كحسين جمعة استطاع ان يلتقط الابرة من كوم القش واضاف الى رصيدنا المسرحى كاتبا جديدا هو فهيم القاضى . وتلك فى الحق هى مهمة الفنان والناقد الحقيقى ، الا ينتظر العمل الجيد ساعيا اليه ، بل يسعى هو بقدميه الى العمل الجيد .

والمسرحية فى نصها الادبى واخراجها وديكورها وتمثيلها تكاد تكون مسرحية تقليدية لا تزاحم المودات الجديدة استيراد احدث الازياء الفكرية والفنية ، ولا تزعم لنفسها ارتياد منطقة مجهولة فى تفكيرنا الدرامى ، فهى ليست بأية صورة من الصور « موجة جديدة » من الموجات التى يضطرم بها محيطنا الادبى والفنى فى الوقت الحاضر . وهكذا يولد المسرح الاصيل ، بغير ان يفتعل همزات وصل زائفة بينه وبين العالمية المبتفاة ، وبخاصة حين يتفهم الاخراج هذه الناحية الهامة فلا يشذ عن بناء النص المسرحى شذوذا اقرب الى استعراض العضلات الذى يؤدى الى تضليل المتفرج .

لقد أحس حسين جمعة بأن المسرحية التى كتبها فهيم القاضى هى فى جوهرها مسرحية تقليدية تقيم وزنا لوحدة الموضوع وحسابا لوحدة المكان واهمية لوحدة الزمان .. وهى حقا لاتلتزم التزاما صارما بالوحدات الثلاث ، ولكنها فى اطار التدرج من المشكلة فى بدايتها الى ان نصل ذروة الازمة حتى تأخذ رويدا فى الانفراج .. فى هذا الاطار المتماسك كان المؤلف كاتبا تقليديا لا غش فيه .

وتتجمع خيوط المشكلة فى البداية عندما يقود شيخ الحارة كلا من المحضر والعسكرى الى بيت « سنية » الذى قررت البلدية هدمه وفتح شارع جديد فى المنطقة ، ولذلك ابتهج التجار ومعظم السكان المقيمون فيها ابتهاجا شديدا .. ولكن دردير وكيل المحامى الذى يطمع فى الزواج من الارملة الجميلة صاحبة البيت يطمئنها بأنها سوف تكسب القضية ضد البلدية عاجلا او آجلا . ويتفتق ذهن دردير عن خطة لا تخيب : ان يقيم فى المكان مقاما للشيخ ابو زعيزع الذى لا يعلم عنه احد شيئا ، اللهم ذلك الحلم العجيب الذى تشيع هانم انها ارتأته فى المنام لشيخ مهيب يتلفع بثياب خضراء زاهية الخضرة وعمامة كبيرة لا تقل اخضرارا ولحية بيضاء طويلة ناصعة . . ويفبرك دردير اوراقا لوزارة الاوقاف ، يدسها على الموظف الغلبان سليم الذى كان عازما على نقل مسكنه المجاور للمقام لولا ان

كما انهم يستخلصون نتائج سابقة لاوانها عن المسألة التشيكوسلوفاكية مما يعد منافيا لمصالحنا » ، « ونحن نعلم ان بعض الاحزاب قد تأثرت بالدعاية البورجوازية وبالنسبة لنا نعتقد انهم اتخذوا مواقف لا نوافق عليها » وقال « اننا نرفض مختلف النظريات المزعومة حول « السيادة المحدودة » والتى وضعها الاعداء الطبقيون ، ونعتبرها مناورات ذات اغراض خبيثة لخدمة سياسة معاداة الشيوعية فى عصرنا الراهن » كما اوضح « ان الاتحاد السوفيتى هو محور المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية الدولية ، وانه لم يتخذ مطلقا « قرارا » يعوزه ادراك المسئولية »

تراءى له الشيخ ابو زعيزع فى اليقظة تماما كما وصفته سنية ، ولم يكن فى الواقع سوى دردير وقد ارتدى ثيابا مطابقة للوصف الذى شاع . ولم يبق الا ان يستصدر دردير من وزارة الاوقاف قرارا بوقف الهدد بعد ان ثبت — بالتزوير المشار اليه — ان الشيخ المذكور قد دفن في هذا المكان منذ أمد طويل .. وبعد ان ضمن التجار ارباحا موسمية هائلة من الموالد المنصوبة حول المقام . ولم يعد هناك من يطالب بفتح شارع جديد ، وامسى الامل فى زواج دردير من سنية قاب قوسين او ادنى ، ولكنها تظل تسوف معه وتؤجل بحجج لانهاية لها .. وبخاصة بعد ان وصل الدرويش متولى الذى اذهل الجميع بالرؤيا التى يقول انها دفعت به الى هذا المقام ، مقام سيده ومولاه الشيخ ابو زعيزع .

ونفهم من العلاقة المريبة بين الدرويش وشيخ الحارة ،ومن سلوكه مع سنيه انه ليس الا عضوا فى عصابة لتجارة المخدرات ، انتدب للقيام بمهمة اخفائها فى المقام ، ولكنه سقط ايضا صريع الهوى فاحتد الصراع الخفى ، ثم المعلن بينه وبين دردير الذي حاول جاهدا ان يقول الحقيقة للناس ، ان يحطم الوهم الذى صنعه بيديه ، ولكن دون جدوى فقد سرت الاسطورة مسرى الدم في شرايين البشر فلم يصدقوه .. ولكن مشكلة اخرى تثور بين الشيخ متولي وشيخ الحارة حول مبلغ ثلاثة آلاف جنيه اخذها من العصابة فاعطاها لسنيه فى لحظة شوق .. وكانت هانم قد اتفقت مع دردير اخيرا ، وبحثت عن شقة فى مصر الجديدة انتقلت اليها ذات ليلة تحينها الدرويش والتجار للعثور على كنز موهوم تحت المقام الموهوم . ويكتشف الجميع حقيقة الدرويش وحقيقة المقام معا ، وتبدأ الفؤوس فى هدم الاسطورة .

ولا شك ان القضية التى يثيرها المؤلف قضية حية وصادقة الى ابعد حد ، ولعل مسرحا اقليميا وبيئة ريفية احوج مايكونان الى هذه الافكار الشجاعة .. ولاشك ايضا ان البناء التقليدى للدراما هو انسب الابنية الفنية لعرض مثل هذه القضية ،وبخاصة ذلك الحوار الشعبى المتدفق بالحياة ، والشخصيات المرسومة بدقة كبيرة . ولكن هذا البناء قد تعرض لخطرين اساسيين : اولهما ان شخصية دردير التى بدت لنا طيلة المسرحية نموذجا للانتهازى المحترف ، تتحول فجاة وبلا مبرر حقيقى عند الخاتمة الى نموذج للبطل الاخلاقى المعادى لكل زيف ! ! والحق ان دردير الذى خلق الوهم فى الرؤوس من اجل الزواج بسنية لايمكن له فى لحظة تخليها عنه أن يتحول الى مناضل ثورى ، بل ان اسلوبه الطبيعى هو المزيد من الانتهازية والصبر على الفريسة ، وبخاصة انه ليس من اختلاف جوهرى بين الشيخ متولى الدرويش النصاب وبينه ، فهما متشابهان فى الغايات والى حد ما فى الوسائل ، والخلاف بينهما ان الفريسة لاتكفي لاثنين. على ذلك ، فان الانقلاب المفاجىء فى سلوك دردير هو انتقال لخاتمة غير منطقية وغير مقنعة . اما الخطر الاخر الذى تعرضت له المسرحية فهو ازدواجية بنائها على مستويين ، احدهما رمزى والاخر واقعى .. فالحق اننا نلاحظ توازنا محكما فى الجزء الاول بين ما تمثله الارملة الطروب من قيم الطبقة الوسطى الصغيرة ، وما يمثله المقام الزائف من خرافات يسيل لها لعاب الجناح الاخر لهذه الطبقة المالكة ،جناح التجار والمشعوزين باسم الدين . كانت المصلحة هى التى دفعت التجار ضد سنية لان الشارع الجديد — ولو كان بيتها الضحية — يعنى مزيدا من الربح ، وكانت المصلحة ايضا هى التى دفعت التجار الى جانب سنيةضد هدمه لان المقام يعنى مزيدا من الربح . هكذا يختلف ويتفق الطرفان من اجل مصلحة واحدة مشتركة ، لا علاقة بينها وبين المصالح الحقيقية لغالبية الشعب الكادح . تذوب هذه الملامح الرمزية تماما فى الجزء الثانى من المسرحية حيث يتحول الامر الى مبارزة جنسية بين وكيل المحامى والدرويش من ناحية ، وبين سالم الموظف الغلبان وعقله من ناحية اخرى وبين حسبو صبى المكوجى والبنت هانم من ناحية ثالثة ، وبين الجارة والحجاب من ناحية رابعة .. وهكذا تشتتت خيوط المسرحية وتشعبت خطوطها منذاستبدل المؤلف وجهها الرمزى الدال بوجه واقعي لارباط بينهما ولا همزة وصل .

لقد تسبب هذان الخطران فى اطالة النسيج الدرامى وطراوته ، ذلك ان التحول غير المعقول فى شخصية دردير قد تطلب من الحشو والثرثرة والذيول ما اقحم على البناء المسرحى العديد من الشخصيات والاحداث والمواقف التى لا حاجة للمسرحية اليها. كما انالمزاوجة بين الرمزية والواقعية بصورة عشوائية لا تستهدف تطويرا او تحديدا للمحور الفكرى العام فى المسرحية قد تسببفى فيض من المزايدات المونولوجية والديالوجية التى كادت ان تفرط العقد وتحطم الهيكل . وهكذا طالت المسرحية بغير موجب ، والملل ليس من صفات الكوميديا الناجحة ، والعلاج ليسمطلقا هو المونتاج ،ليس هو القص واللصق.. ذلك ان الاطالة التى شعر بها المخرج لم تكن سببا حتى يقوم المقص بعملية تقصير ، وانما كانت الاطالة نتيجة طبيعية لهذين الخطرين اللذين يهددان المسرحية .. فالامر يحتاج الى معالجة جديدة لشخصية دردير ومعالجة جديدة للوجهين الرمزى والواقعية ، وسوف تتخلص المسرحية تلقائيا بعد ذلك من كافة الشوائب التى دست لنا فى طعام شهى جسما غريبا يدعى الملل .

على ان فهيم القاضى بهذه المسرحية الاولى التى كتبها منذ ثلاث سنوات ولم تر النور الا هذا الشهر على يدى فرقة المنصورة قد بدأ بداية تتفوق على بدايات كثيرة لاسماء لامعة فى سماء العاصمة المسرحية . كما ان حسين جمعة قد بذل مجهودا يرتفع على مجرد الاخراج لمسرحيته ، يرتفع الى مستوى «الرسالة» التى يناضل من اجلها مهما كانت الصعاب. اما فرقة المنصورة التى ابرزت مواهب تقف على قدم وساق مع فرق القاهرة مثل ابراهيم الدسوقي وابراهيم عبد الرازق ونادية طنطاوى وعبد الله عبد العزيز وعبد الرحمن صبيح ومساعد الاخراج محمود حافظ ،فان التهنئة الجديرة بها هى الحرص عليها بغير قهر ولاضغط ولا تمزق .

غالى شكرى

واشار الى ان « تشيكوسلوفاكيا لديها من الوسائل مايكفل لها الدفاع عن الاشتراكية ، الا ان قيادة الحزب الشيوعى قبل اغسطس سنة ١٩٦٨ قد برهنت على سذاجتها وعلى الرومانتيكية السياسية وقامت بتصرفات لا مبرر لها واستخدمت شعارات لا تستند الى اى اساس طبقى فيما يتعلق بالحرية والديموقراطية والانسانية » • كذلك فقد شن هوزاك ايضا هجوما عنيفا على الصين • واتهمها بالمساندة المباشرة للاستراتيجية الامبريالية الدولية •

على ان من الانتقادات التى تستحق التنويه تلك التى وجهها « **سانشيز** » مندوب الحزب الشيوعى فى الدومينيكان ، الذى رفض بشكل خاص الموضوع المتضمن فى الجزء الثالث من مشروع القرار والذى جاء فيه « **ان السعى من اجل السلام يعد المهمة الاولى لكفاح الشيوعيين فى العالم أجمع** » ، واوضح سانشيز بهذا الصدد « **ان هذا الموضوع يمكن ان يحظى بتأييد انصار السلام ولكنه لايصلح برنامجا للحركة الشيوعية العالمية** » ومما هو جدير بالذكر ان لجنة صياغة القرارات النهائية للمؤتمر ، قد قامت بتعديل نص الوثيقة الرئيسية ووضعت نصب اعينها بعض المطالب التى طرحتها الاحزاب التى اعربت عن عدم ارتياحها لمشروع الوثيقة الرئيسية . كما ان صحيفة **بوليتيكا** اليوغوسلافية قد كتبت فى ١٥ يونيو الماضى تقول ان الخطابين اللذين القاهما كل من شاوشيسكو (رومانيا) وبرلينجوير (ايطاليا) هما اللذان يعتبران اكثر ما قيل اهمية » ذلك انهما دافعا فيها عن مبادىء المساواة والاستقلال للاحزاب الشيوعية والدول الاشتراكية •

وفى الجلسة الاخيرة للمؤتمر فى ١٧ يونيو الماضى تقدم « **بوريس بونوماريف** » **للمؤتمر** ٣ وثائق طالبا الموافقة عليها هى :

١ ـ نداء للدفاع عن السلام •

٢ ـ الوثيقة الرئيسية للمؤتمر وعنوانها « المهام الحالية للكفاح ضد الامبريالية »

٣ ـ اعلان بمناسبة العيد المئوى لمولد لينين .

على ان مما له دلالة بالنسبة لاعمال المؤتمر ما صرح به جوستاف هوزاك (الحزب التشيكوسلوفاكى فى ١٦ يونيو الماضى من ان ٧٠ من الـ ٧٥ حزبا المشتركين فى مؤتمر موسكو يوافقون على بنود الوثيقة الرئيسية بينما بعض الاحزاب توافق موافقة جزئية • كما ان هناك حزبا اى حزبين يتعين عليهما ان يعرضا الوثيقة على لجنتهما المركزية التى ستقرر ما اذا كان ينبغى عليهما التوقيع عليها ام لا وهما حزبا نيكاراجوا ، وجزيرة الرينيون ، هذا وقد ابدى الحزبان الشيوعيان فى الدومينيكان واستراليا تحفظهما بصفة قاطعة ازاء توقيع الوثيقة الرئيسية ، كذلك تلقى الحزب الشيوعى البريطانى اوامر بعدم التوقيع ايا ما كانت الوثيقة المقدمة •

ولم يصدر عن المؤتمر بعد بيانا رسميا يحدد فيه موقف الاحزاب المختلفة من القرارات والوثائق النهائية للمؤتمر •

وهناك شبه اجماع من المراقبين السياسيين ـ بما فيهم الغربيون ، ومنهم اشدهم عداء للشيوعية ـ على ان المؤتمر قد حقق نجاحا يفوق كل التوقعات •

خيرى عزيز

■ ■ ■

رسالة من باريس

معركة انتخابات الرياسة الفرنسية

أسفرت نتائج انتخابات الرياسة الفرنسية ـ **بعد فوز بومبيدو** ـ عن بقاء المؤسسات الديجولية فى السلطة ، وكأنما التغيير الذى طرأ عقب استفتاء ٢٧ أبريل الذى تنحى بسببه **ديجول** ، إقتصر فقط على احلال **بومبيدو** ، رئيس وزرائه طوال ٦ سنوات من حكمه محله ، مع ادخال تعديل جزئى على تشكيل الوزارة الديجولية •

ولكن هذه النتيجة ، بعد معركة ـ على قصرها (أقل من شهرين) ـ كانت من أكثر معارك انتخابات الرياسة صخبا وحيوية ـ لم يكن التغيير فيها طفيفا الا فى الظاهر فقط • وامتحنت من خلال المعركة قوة الاتجاهات المختلفة فى السياسة الفرنسية ، وبلغت هذه القوى حدا بعيدا من الاستقطاب والوضوح ـ والمعركة قبل أن تسفر عن « **استمرار للديجولية** » ، كشفت عن « **متغيرات** » متعددة ، كانت بعضها مفاجأة لكل المراقبين •

ويتفق المراقبون على أن المعركة لم تبدأ بمفاجأة « **فوز أنصار لا** » باغلبية طفيفة ـ ولكنها كانت « جدية » وحاسمة ـ فى استفتاء يوم ٢٧ أبريل ، وقد ترتب عليها ضرورة انسحاب **ديجول**

من مسرح السياسة الفرنسية ، ولكنها بدأت قبل ذلك بعام كامل ، وعلى وجه التحديد بأحداث مايو ـ يونيو ١٩٦٨ ، وهى أحداث لم تقتصر فقط على ثورة الطلبة الصاخبة تحت رايات حمراء وسوداء ، وافضت الى انبثاق وتفجر اتجاهات يسارية متطرفة (فوضوية ، ماوية ، تروتسكية ، الخ ٠٠) تمتحن ـ فى الشارع ـ قيمة ومتانة كل المؤسسات القائمة ، وتشكك فى « شرعيتها » ٠ ولكنها شهدت فوق ذلك ـ وربما كان هذا هو الاهم ـ حركة اضرابات شملت عشرة ملايين من العمال ، واتسعت لفئات اجتماعية لم تشارك فى مثل هذه الاعمال من قبل ، وكادت تعم كل دوائر العمل والانتاج فى فرنسا ٠ وكان ذلك اختبارا فى التطبيق ، ولا بمجرد الشعارات الصاخبة ، لقدرة المؤسسات القائمة على تلبية احتياجات المجتمع ، فى وقت تعتريه تغييرات سريعة فى الانماط التكنولوجية والاستهلاكية ، لم يكن التنبؤ بمفعولها الاجتماعى واضحا وفى الحسبان ٠

واذا صح ان ديجول ـ بايعاز من بومبيدو ـ كان بارعا فى أنه لم يطرح كرسى الرياسة للاستفتاء وقتذاك ، وفضل ـ بدلا منه ـ أن يحل الجمعية الوطنية ، ويجرى انتخابات عامة ، وقد لعب الذعر الذى اجتاح أوسع الدوائر المحافظة الفرنسية عقب اضطرابات الطلبة ، دورا فاصلا فى اعادة الديجوليين الى المجلس باغلبيةساحقة لم يسبق لها مثيل ، غير أن هذه الظاهرة نمت عن رد فعل انفعالى عارض ، وقد انطبع المجلس بلون هونتاج ظروف الهياج الطارئة ، وظل معبرا عن الرأى العام السائد فقط ما دام البديل هو « الفوضى » و « الاضطراب » ؟

ولكن بمجرد أن أصبح من الواجب مواجهة التحديات الحقيقية ، وايجاد حلول محددة للمشاكل التى افضت أصلا الى تفجير احداث مايو ،وهىمشكلات انعكستبصعاب امتدتالى مجالات متنوعة بلغت حتى استقرار مصير النقد الفرنسى ، وقتذاك بدأت تبرز الصعاب للسطح ، وأصبح من المتعذر الاحتفاظ بالانسجام داخل معسكر الديجوليين ، خاصة بعد أن تضخمت صفوفه بقوى متباينة الطابع التفت حوله تحت أثر ظرف خاص ٠ ووجد ديجول ، تطبيقا لسياسة « جناحه اليسارى » الذى يتزعمه « رينيه كابيتان » ، أن الموقف أصبح يستدعى تثبيت سلطته بتنازلات لمطالب جماهير العاملين ، حاول أنيجد لها صيغة تنسف هيمنة الاتحادات والنقابات والتنظيمات الحزبية اليسارية عليها ، وهذه الصيغة هى التى عبر عنها بما عرف « بالمشاركة » ، ولكن هذه التنازلات أثارت غضب دوائر الاحتكارية الفرنسية التى يستمد جناحه اليمينى برياسة بومبيدو قوته منها ، وحلت المشكلة وقتذاك باستبعاد بومبيدو من مقعد رياسة الوزارة ٠

ويؤكد المراقبون فى فرنسا أن تعجيل ديجول بطرح استفتاء ٢٧ أبريل الماضى ، دون أن يوجد ما يلزمه دستوريا بذلك ، وهو الاستفتاء التى أفضى الى سحب الثقة منه حول قضايا لم تكن تبدو جوهرية ، لم يأت فقط نتيجة رغبة من الجنرال لامتحان جماهيرية اختياراته ، وتثبيت مركزه ,وطئة لادخال تغييرات هى موضع تشكيك من قوى متنوعة منها قوى تنتسب الى معسكره ، ولكن جاء نتيجة ضغوط قوى يمينية شملت قوى ترفع راية الديجولية ، فضلت المخاطرة بما قد ينجم عنه استبعاد ديجول من كرسى الرياسة ، عن أن يظل هو يمارس سياسة تنطوى على تنازلات ، من المؤكد انها تمهد بعد انتهاء مدة رياسته لانتقال السلطة الى جبهة اليسار ٠ ويستوجب الامر حسم المواجهة الان ـ واليسار ما زال منقسما ـ قبل أن تترك له فرصة اعادة توحيد صفوفه ، والعودة الى التالف بين تشكيلات اليسار ، الذى تجسد فى ترشيح ميتران كمرشح لليسار الموحد ضد ديجول فى انتخابات الرياسة السابقة ٠

وبينما افضت استقالة ديجول بعد الاستفتاء الى استقالة فورية من جانب رينيه كابيتان ، تقدم بومبيدو ليرشح نفسه عن الديجوليين ، وانسحب ديجول ليظل بعيدا عن المعركة الانتخابية فى ارلنده ، وتجمعت قوى أخرى من الوسط واليمين لتلتقى حول ترشيح بوهير للرياسة ، وقد لعب دورا هاما قبيل الاستفتاء فى ترجيح جانب الذين صوتوا « بلا » للجنرال ، بعد انقضاء موجة الذعر ، تحت دعوى أن « البديل للديجولية ليس الفوضى ٠٠ وليس من المحتم أن يكون اليسار ، بل اصبح المحتم هو تأكيد تشكل قوة سياسية « وسط » فى فرنسا ، تحارب الديجولية والشيوعية على حد سواء » ٠

وكانت التقديرات التى سجلتها معاهد استطلاع الرأى العام ترجح ـ عقب الاستفتاء مباشرة ـ فوز بوهير بكرسى الرياسة ،حتى مع حصول بومبيدو على اكبر نسبة من الاصوات فى الجولة الاولى ، نظرا للخلافات التى دبت فى صفوف الديجوليين ، ولمفاجأة نتيجة الاستفتاء ، وأيضا بسبب التمزق الذى بدأ يعترى تشكيلات اليسار ٠

وللتمزق الذى انتاب تنظيمات اليسار أسباب متعددة بدت كأنها نسفت الجهود المضنية التى بذلت طوال السنوات السابقة لتشكيل جبهة يسارية

موحدة ضد الديجولية تضم **الحزب الشيوعى** **والاشتراكى والراديكالى واتحاد الاندية اليسارية** [**كونفونسيون**] ، ورغم تحفظات بعض التنظيمات الاصغر مثل **الحزب الاشتراكى الموحد** ، حول متانة أسس هذا التآلف بين قوى سياسية ذات أرضية تاريخية وأيديولوجية ملحوظة التباين ، غير أن هذا لم يمنع نجاح هذه القوى فى انشاء جبهة يسارية عريضة ربما لم ترتق الى مستوى الالتزام المشترك ببرنامج محدد ، ولكن التقت حول تحديد ملامح عريضة لسياسة فرنسية بديلة للديجولية ، تعد بانفتاح ديموقراطى متقدم نحو تحولات جذرية فى أسس تركيب المجتمع وهيكله ٠

غير انه منذ مايو ١٩٦٧ — وبتعبير أدق منذ عدوان اسرائيل **على البلدان العربية فى حرب يونيو** ، وكان سببا فى أول خلاف هام نشب بين الحزب الشيوعى الذى وقف يناصر الحق العربى ، وتشكيلات أخرى تنتسب الى اليسار ، ولكنها مع ذلك تمادت فى تأييد اسرائيل بدعوى شرعية تحركها للدفاع عن الذات — **منذ هذا التاريخ ، تعددت الاحداث التى أبعدت بين « قوى اليسار » ، وتبددت أسس الائتلاف بينها ، وكان أبرزها :**

● **فى الحقل الداخلى : أحداث مايو ١٩٦٨** ، وموقف التشكيلات اليسارية المختلفة من تحركات الطلبة خصوصا ٠

● **فى الحقل الدولى ، أحداث تشيكوسلوفاكيا** ، وبخاصة الموقف من تدخل قوات حلف وارسو فى ٢١ أغسطس الماضى ٠

وعلى الرغم من أن الحزب الشيوعى لم يخف اعتراضه على موقف بلدان حلف وارسو ، وانتهج — من حيث الاساس — موقفا لم يختلف عن موقف أحزاب اليسار الاخرى ، غير أن **الحزب الاشتراكى** قد أخذ عليه عدم مشاركته فى جو الهستيريا التى اجتاحت فرنسا فى ذلك الوقت ضد الاتحاد السوفيتى ، وتمسكه بجهود تستهدف التوصل الى حل للازمة ، تحد من تمادى التمزق داخل اليسار الاوروبى ، ومن موجة العداء للسوفيت ٠ واتهم الحزب بأن اعتراضه كان يمت الى التكتيك قبل أن ينبع من موقف مبدئى صارم فى ادانة التدخل ٠

وقد تركت أحداث مايو ١٩٦٨ آثارها الباقية — وتمخضت عنها بلورة اتجاهات يسارية متطرفة ، أخذت تعيد النظر فى كل استراتيجية حركة الثورة ، وتعيد تقييم قواها ٠ وكان القاسم المشترك الاعظم بينها اتهام الحزب الشيوعى بالتخلى عن أهداف الثورة فى هذه اللحظات التى كانت الجماهير — فى تقدير هذه القوى — تملك قدرة الاطاحة بالنظم الثورية القائمة ، والسير بانتفاضة الجماهير الى ثورة اجتماعية شاملة ، بدلا من قصر الصراع — على حد قول هذه القوى فى اتهامها للحزب الشيوعى — على جوانبه الاقتصادية لتحسين ظروف عمل العاملين فى المصانع والمؤسسات ٠

وقد بذل الحزب الشيوعى — مباشرة بعد اعلان نتيجة الاستفتاء — جهدا مستميتا فى سبيل التوصل الى اتفاق حول مرشح واحد لليسار ، ولكن الحزب الاشتراكى رفض ، وفى مؤتمره فى **اثنورفيل** ، قرر دون الرجوع الى أى من قوى اليسار الاخرى ترشيح ديفير للرياسة ، المعروف بتاريخه المعادى للشيوعية ٠ واتهم الحزب الشيوعى هذا التصرف الذى سانده فيما بعد **منديس فرانس** باتفاقه مع ديفير على أن يكون رئيسا لوزارته فى حالة انتخابه ، بأن القصد الحقيقى منه — ولا يرجى وصوله الى كرسى الرياسة — ما هو الا تقسيم اليسار ، ومنع تقديم مرشح واحد ، ومساندة جهود **بوهير** ، وتقاسم التورتة معه ، وتدعيم كتلة الوسط ضد الديجولية واليسار الموحد معا ٠

واصرت التنظيمات اليسارية المتطرفة على تقديم مرشحيها المستقلين لكرسى الرياسة ، لا بأمل أن ينجح أحد منهم ، ولكن لمجرد التيسيرات المتوافرة للمرشحين كى يفضحوا النظم القائمة فى الاذاعة والتليفزيون والاجتماعات العامة ، وليواصلوا الحملة التى بدأت تقتحم الشارع أثناء أحداث مايو ٠ وتقدم بهذه الصفة **ميشيل روكار عن الحزب الاشتراكى الموحد** و **آلان كريفين عن التروتسكيين وكان هؤلاء المرشحان سببا آخر فى تقسيم اصوات الرياسة ، ولتغذية حملات اليمين بأن خطر المغامرة وظلال أحداث مايو مازالت تستدعى مقاومة اليسار ككل ٠**

وبعد فشل الحزب الشيوعى فى اقناع قوى اليسار بتقديم مرشح واحد قرر أن يرشح **جاك ديكلو للرياسة** ، لا بوصفه مرشحا عن الحزب الشيوعى وحده ، بل أيضا بصفته ممثلا لمنبر اليسار الساعى الى التوحيد ٠ وكانت المفاجأة الكبرى التى كشفت عنها الجولة الاولى ، وفاقت كل التقديرات ، هى حصول مرشح الحزب الشيوعى على ٢١٫٥ فى المائة من أصوات الناخبين ، بعد أن قدرت معاهد استطلاع الرأى العام أنه لن يحصل على نسبة تتجاوز ١٠ فى المائة فى بداية المعركة الانتخابية ، وظلت هذه النسبة ترتفع حتى بلغت ١٨ فى المائة قبيل الجولة الاولى بيومين ٠ هذا فى الوقت الذى أخذت الاصوات المقدرة تصويتها لبوهير تنخفض بالتدريج من ٤٠ فى المائة فى منتصف مايو الى ٢٥ فى المائة قبيل التصويت مباشرة فى أول يونيو ٠

وكانت النسبة المرتفعة التى حصل عليها بومبيدو (٥ر٤٤ فى المائة) عن الديجوليين وجاك ديكلو عن الشيوعيين واليسار الموحد فى الجولة الاولى تاكيدا لان المحاولات التى بذلت لطمس ملامح هذا الاستقطاب فى توزيع القوى السياسية لم تأت بنتائجها المرجوة . ولم يفز بوهير بالمركز الثانى - بعد بومبيدو - بدلا من ديكلو فى الجولة الاولى ، الا بفضل أصوات الاشتراكيين ، التى قدر لها أن تصوت لديفيير (كان آخر تقدير قدر له هو ٩ فى المائة من الاصوات) وفضلت التصويت رأسا لبوهير [لم يحصل ديفيز الا على ٥ فى المائة من أصوات الناخبين] . ومن الامور ذات الدلالة فى هـذا الصـدد ان جى موليه زعيم الحـزب الاشتراكى ، قد تخلى منذ اللحظة الاولى عن مساندة ديفير فى معركته الانتخابية ، وكرس جهوده لانجاح بوهير !

ويشير المراقبون الى أن المفارقة التى نجمت عن الجولة الاولى فى المعركة بعداستقالة ديجول ، هى أن قوى الوسط - بمساندة حزب جى موليه - قد نجحت فى أن تنهض بدور فاصل فى ابعاد ديجول ، وأن تضمن لمرشح الوسط - بدلا من مـرشح اليسار - مركز المنافس له فى معركة الاعادة . غير ان هذه القوى - وبالذات حزب جى موليه - قد منيت بهزيمة لم تكن تتوقعها فى نسبة الاصوات التى صوتت لها مباشرة ، تعبيرا عن استنكار جمهورها التقليدى للمناورات التـى أقـدمت عليها . وعاد للظهور الاستقطاب الذى طالما ميز توزيع خريطة القوى السياسية فى فرنسا طوال السنوات الاخيرة : الديجولية وفى مواجهتها قوى اليسار ، وبرز الدور الفاصل للحزب الشيوعى بين قوى اليسار بوضوح لم يسبق له مثيل ، رغم كل محاولات تفتيت قوى اليسار من جانب قياداتها التقليدية ، وأيضا من جانب القيادات اليسارية المتطرفة الجديدة .

وقد بدت المفارقة فى اوضح صورها فى معركة

تعـليق البعد الثالث والمعرض العـام للفنون التشـكيلية

يطرح المعرض العام للفنون التشكيلية الذى أقيم فى أرض المعارض بالجـزيرة صورة واقعية والى حد بعيد لحـركة الفن التشكيلي فى مصر .

صحيح ان هناك بعض الاسماء لـم تشترك فى المعرض اصلا لسبب او آخر . ورغم دلالة هذه الاسماء بالنسبة لحركة الفن التشكيلي الحديثة فان ذلك يقلـل من الصورة المعطاه . وهى صورة مشرقه بشكل عام وان ابرزت بعض المشكلات الفنية .

لاريب أن هناك محاولات شتى يبذلها الفنانون التشكيليون نحو تأصيل الجذور التاريخية والشعبية لفنهم . هناك من شغلته الجذور الفنية التاريخية الضاربة فى اعماق ارضنا ، وهناك من شغلته الاتجاهات الفولكلورية او من اخذت عليه الاساطير التى تجتاح البيئة الفلاحية والمدنية على السواء حياته الفنيـة فنشغل بها .

غير أن السمة البارزة لـدى غالبية الفنانين هو الاهتمام بالمعصرية فى وسائل التعبير . وكانت وسـائل وغايات الفن الادبى الحديث باتجاهاته المتباينة والمتنوعة تلقى بتأثيرها على الغـالبية العظمى من الفنانين الى الدرجة التى تفتقد معهـا الاتجاهات الاكاديمية والمدرسية التقليدية .

وهى اتجاهات لم تختف فى اى بلد من بلدان اوربا ذات التقاليد الفنية .

وحتى « البورتريه » الذى قدمه « عز الدين حموده » و« المهرج » « لعبد العزيز درويش » و « دراري القمح » «للبنانى فا' ' اعمال لاتنتسب الى القيم الاكاديمية بالمقاييس الدقيقة . غير ان الانشغال باساليب التعبير المعاصرة قد أدى الى حالة خطيرة من الفوضى فى تقييم نوعية العمل . وصار من الضرورى الاشـارة الصريحة وبلا أدنى مجاملة الى أن هناك تخصصات يجب الا نقع فى خلط ازاءها . فاعمال الخزف مثلا لايمكن القول بأنها من اعمال التصوير حتى لو اعتمدت على بعض الاستخدامات اللونية . وقد التزم الكتالوج المقدم من منظمى المعرض بتقسيمات العمل التشكيلى وهى تقسيمات معترف بها فى العالم كله . بل أن هذه التقسـيمات الرئيسية المعروفة من تصوير الى نحت وخزف وحفر وزخرفة او تصميمات انمـا تنقسم بدورها الى فروع وتقسيمات تالية .

والتخصص وتحـديد التخصـصات التكنيكية قد أصبح من ضرورات العصر والمعاصرة . ولذلك تبرز أمامنا مشكلة من الضرورى حسمها . تلك هى مشكلة الخلط البشع بين أعمال التصوير والاعمال الزخرفية .

فهناك تاريخيا تفرقة واضحة بين فرعى الفن التشكيلى بل ويعرف الدارسون ان لكل فرع منهما له فروع أخرى متعددة . غير أن غياب المقاييس والمناهج العلمية الخاصة بالنقد الفنى قد اتاحت لكثير من الاعمال الزخرفية أن تدخل تحت باب فن التصوير ويختلط الامر بينهما . وتحت ستار الاتجاهات الجديدة أو التجـديد المعاصرة عمد الكثيرون الى الغـاء الفواصـل والتحـديدات بين أنـواع تخصصات الفن . مع أن المعاصرة فى جانب منها تسلم بضرورة التخصـص التكنيكى وتصل بالامر الى خصـوصية التخصص . وكلامنا هذا لايعنى بأى حال الحجر على حرية أى فنان من أن ينتج مايريد فى اى فرع من فروع الفن ولكن معناه أن يكون مفهوما أن هناك لغة لفن التصوير واخرى للفنون الزخرفية . وان الاتجاهات الزخرفية ليست تصويرا بأى حال وان كانت هناك علاقة بينهما هى نفس العلاقة القائمة بين نوع وآخر من الوان الفن التشكيلى .

وقضية الفصل بين أعمال التصـوير والزخرفة قد تثير نقاشا واسعا حـول الفروق بين نوعى الفن حتى مع التسليم بوجود هذين النوعين . خصوصا ونحن نرى فنانا مصورا مثل « سيف وانلى » وهو يقدم عملين هما « ملعب التنس » و « انطباعات من النوبة » همـا فى

الاعـــادة التى اقتصرت عـــلى مرشح الديجوليين بومبيدو ، ومرشح الوسط بوهير ، بينما كـــانت القوى المحركة لاتجاهات الرأى العام تعبر عن واقع يخالف التفضيل بين هذين المرشحين بالذات .

وفرض **الحزب الشيوعى** وجوده فى معـــركة الاعادة بموقف ظاهر سلبى ، وجوهره ايجابى الى ابعد حد ، تجسد فى قراره بدعوة النـــاخبين الى الامتناع عن التصويت لاى من المرشحين . سانده فى ذلك التنظيمات اليسارية المتطرفة بمقاطعة الجولة الثانية ، ونزل **جاك ديكلو** يخوض معركة الاعادة كقطب ثالث بدعوته الى الامتناع حتـــى بلغت اصوات الممتنعين فى الجولة الثانية ثلث مجموع الناخبين .

وكان لهذه الحملة دور حاسم فى التضييق على اتجاه الوسط الذى حاول ان يبرز كبديل للديجولية ، كما الزم بومبيدو ان يخاطب ود بعض اقطاب الوسط ، لضمان انتخابه ، الامر الذى حد من الفواصل السياسية التى تبعد بين المرشحين ، وظل نجاحه مشوبا بحقيقة ان ثلث النـــاخبين الفرنسيين امتنعوا عن التصويت ، الامر الذى يحد من صفته التمثيلية ، ويقلل من ثبات المؤسسات التى يستند اليها ، فضلا عن ضرورة تطعيم المراكز القيادية بعناصر تنتسب فى الاصل الى قوى الوسط ولعبت ادوارا ذات اثر فى ترجيح مركزه ضد بوهير ، بعد ان حاول هذا الاخير ـــ أمام تجمع التحديات ـــ ان يبذل المستحيل من اجل الوصـــول الى كرسى الرياسة .

لذلك يجمع المراقبون على ان ظاهر ماتسفر عنه نتيجة انتخابات الرياسة ، هو بقاء الديجوليين فى السلطة رغم ابتعاد ديجول عن مقعد الرياسة ، وانتقاله الى من كان يبدو اقرب المقربين اليه . ولكن المعركة فى حقيقتها قد كشفت عن صـــعاب حجة مازالت تلاحق السلطة الجديدة ، ويظـــل السؤال مطروحا : الى اى حد يملك بومبيدو الالتزام بسياسات ديجول السابقة ، والى اى حد تنهـــض سلطته على اسس راسخة ؟

محمد عباس سيد أحمد

حقيقتهما اقرب الى الاعمال الزخرفيـــة منها الى التصوير . و « أحمد ابراهيم » وهو مزخرف يقدم مجرد مزج تلقـــائى للصبغات اللونية ويسمى عمله « سيمفونية رقم ١ » والمشاهد لايدرى أهو أمام عمل زخرفى أم تصويرى .

والحقيقة أن الفنانين الذين قدموا الاعمال التى تقترب من الزخرفة يشتركون فى شىء أساسى يجمع بينهم هو الغـــاء البعد الثالث . أى الاكتفاء بطول الصورة وعرضها دون احداث الاثر التشـــكيلى لايجاد أعماق للصورة او اجواء محيطة بالمرئيات المكونة للعمل الفنى .

هناك اذن عاملان يفقدان العمل الفنى قيمته كعمل تصويرى ويقربانه من باب الزخرفة .

العامل الاول : تسطيح الصورة والغاء الابهام بالبعد الثالث . ويشترك فى هذا تقريبا كافة الاعمال التجريدية .. والعمل التجريدى ينبع فى الاصل من منطق يدعو الى هذه الخطوة .. هذا المنطق يبدأ أولا بالغاء مادة الرؤية أو علاقة الفنان بالطبيعة ثم يثنى بالغاء المعنى الذهنى الذى تنطوى عليه هذه الرؤية ثم يعمل على تحويل التشكيل الى لغة تقترب من لغة الموسيقى حتى تتحول الدرجات اللونية والفورمات الى درجات ايقاعية فى سلم موسيقى تشكيلى . ومن هنا فان أغلب الاعمال التجريدية بما تنطوى عليها من قيمة جمالية لاتخرج عن نطاق الاعمـــال الزخرفية . وكافة الاعمـــال الزخرفية الجيدة فى أى عصر من العصور التاريخية قد الغى الابهام بالبعد الثالث . وبغض النظر عن القيمة الجمالية البحتة لاى عمل تجريدى او أى عمل زخرفى غير تجريدى فانها تتساوى فى هذه النقطة وتتقارب فى مواقعها .

العـــامل الثانى : الاعتمـــاد على التصفيف والغاء الجو الخاص بعناصر العمل الفنى ، وهـــذه سمة اخـــرى مـــن الســـمات التى تجعل الاعمال تقتـــرب من الزخرفة . فالفنان يلجـــأ الى اختصار الجو المحيط بعناصر العمل الفنى ويكتفى بتصفيف هذه العناصر سواء بعضها بجوار بعض او بعضها فوق بعض . وقد وقعت أعمال عدد من الفنانين فى هذا الاتجاه التصفيفى الامر الذى ينحو بهـــا نحوا زخرفيا .

ومن بين هؤلاء [عبد المعبود شحاته ، عبد الوهاب مرسى ، سيد عبد الرسول ، غالب خاطر) .

لقد كان الخلط بين أعمال التصـــوير والاعمال التى تقترب من الاعمال الزخرفية مرضا رئيسيا أصاب الناحية التشكيلية عند بعض الفنانين كما أنه كان جـــوا سائدا فى المعرض .

ورغم ذلك فقد توفر للمعرض فيض من الاعمال التى تدخل فى اطار التصوير . وبعد ذلك تتراوح فى قيمتها بين القوة والضعف بين الاعتماد على الاســـاليب المتقدمة فى الصياغة او تظل على اساليب بالية متخلفة . وسوف نكتفى هنا بالاشارة السريعة الى بعض الاسماء والاعمـــال التى كان لها قيمتها ودون نظر الى الاسماء ذات البريق والشهرة . أكدت أعمـــال المصور « جورج البهجورى » فهمه العميق للطبيعة واثبتت طاقته التعبيرية الكبيرة وفاعليته عنـــده . كما قـــدم « فؤاد تاج » محاولة جيدة لمس فيها الكتلة مع تناسب فى الفورمات وان كانت المحاولة التلوينية محدودة . قدم « حسين محمد بدوى » صورة « أصحاب الارض » وكان عملا جيدا صياغته محسوسة . واثبتت « زينب عبد الحميد » فى عملها « سوق الملابس » قدرتهـــا على الرؤية الحيـــة ونجاحها فى التلوين البهيج . أما « زينب السجينى » فقد أكدت فى عملها تماسك التكوين ورقة الخط والقدرة على التعبير المفعم بالانسانية . كما قدم « عبدالرحمن النشار » محاولاته فى عمل تكوين من كتل متجاورة « بداية الخلق » فى جو من الالوان الرمادية المطعمة بنبرات لونيـــة خاصة . أما « راتب صديق » فقد تميز فى أعماله بذلك الجو التراجيدى الخاص . وهناك عمل متميز « لمحمد رياض » وهو « جيفارا أسطورة » وهى لوحة ذات جو سيريالى جيد . وقدمت « فيسلا فريد » تكوينات حية وجريئة ولغة تشكيلية محببة . أما أعمال « الجزار » فكانت تنم عن لغة تصويرية جيدة تحكى عالما مليئـــا بالاسرار والمكنونات .

وبدون احاطة كاملة بما اشتمل عليـــه المعرض من أعمال عديدة يمكن القـــول بانه كان معرضا ناجحا اعطى للمشاهد صورة واقعية لحركة الفن التشـــكيلى المعاصرة واشار الى بعض مشكلاتها .

داود عزيز

مكتبة الطليعة

دولة إسرائيل .. خصائص التطور السياسى والاقتصادى

■ تاليف : جالينا نيكتينا

■ عرض وتلخيص : عبد القادر ياسين

لطالما تطوع العديد من الساسة والكتاب والعرب لينفوا وجود اتفاقية للدفاع المشترك بين امريكا واسرائيل . اما الكاتبة السوفيتية **جالينا نيكتينا** التى أشرفت على تحرير كتاب « **دولة اسرائيل** » بتكليف من رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ، فتؤكد ان هذه الاتفاقية قد وقعت فعلا بين امريكا واسرائيل ، فى ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ ، وظلت « فى طى الكتمان خشية رد الفعل من جانب الشعوب العربية واستياء الراى العام العالمى » . وقد تعهدت اسرائيل بموجب تلك الاتفاقية بوضع « المعدات والمواد والخدمات والمساعدات تحت تصرف الولايات المتحدة » و « الاشتراك مع الولايات المتحدة » فى الدفاع عن الشرق الاوسط ! !

وترى الكاتبة ان بعض المؤلفات البورجوازية عن اسرائيل « لاتعتبر سوى مؤلفات للدعاية فقط » وان « القليل فقط من المؤلفات مكتوب من الوجهة

« الموضوعية » وان « جوهرها يتسم بطابع قومي متعصب » .

وفي مجال السرد التاريخي يقول الكتاب انه « قبيل مؤتمر لندن ـ الذي ضم خمس دول عظمى عام ١٨٤٠ ـ نظمت حركة واسعة في سبيل بعث اليهود » . وانه « بعد شق قناة السويس ، اصبحت فلسطين هدفا تهتم به الحكومات المتنافسة اهتماما كبيرا (انجلترا وفرنسا) » . « وفي اثناء العمل في برزخ السويس اجرى رجل الاعمال الفرنسي موسى مونتفيوري) محادثات مع السلطان التركي حول امتلاك بقعة ارض في فلسطين ، وحول استيطان اليهود هذه البقعة » .

اما الصهيونية فتمثل ـ في راي نيكتينا ـ « خليطا من الافكار الغامضة والعناصر القومية اليهودية المحددة ، وهي تعتبر رد فعل محددا لفظاعة (جيتو) العصور الوسطى اليهودي » وهي تنكر منذ بدايتها « امكانية حل المشكلة اليهودية في اطار النضال الطبقي للبروليتاريا » وهي في نهاية الامر « تيار بورجوازي بكل جوهره واهدافه » .

وقد اعتمد زعماء الصهيونية في تحقيق اغراضهم على مساعدة « الحكومات القومية » وهكذا ظهر اساس الرباط الوثيق بين الصهيونية والاستعمار » . وهذا **هرتزل** يعد الامبرطوار الالماني ، في خطاب وجهه له ، انه « مع قدوم اليهود ينتشر نفوذ المانيا في الشرق » ثم عاد الصهيونيون وارتبطوا بانجلترا ، بمجرد ظهور بوادر انعقاد النصر لها في الحرب العالمية الاولى .

وعند حديثه عن **تصريح بلفور** ، يقول الكتاب « ان التصريح كان موضوعا في عبارات حذرة جدا » . و « قد املته بالدرجة الاولى اهداف سياسة بريطانيا الحربية ، وبالذات اضعاف العدو وشد ازر الحلفاء » ، على حد تعبير **لويد جورج** رئيس الوزراء البريطاني آنذاك . اما البورجوازية الصهيونية فقد رأت ان « اقرار الحماية البريطانية على فلسطين ، شرط هام لقيام الدولة اليهودية » .

وفي « نهاية الحرب العالمية الاولى تحولت الولايات المتحدة الى مقرض عالمي ، مما سمح لها بالاشتراك بفاعلية في التقسيم الامبريالي للعالم بعد الحرب . وفي ذلك الوقت تحددت المصالح البترولية للولايات المتحدة في الشرق » . « وقد ايدت الولايات المتحدة البريطانيين كل التاييد في سعيهم لانشاء (وطن قومي يهودي) » .. فقد كانت ترى انه « من الممكن استخدام هذه الدولة الحاجزة في اضعاف نفوذ بريطانيا في هذه المنطقة » . وسعت الولايات المتحدة الى « تقييد حرية حركة انجلترا في فلسطين » ، فعقدت اتفاقية خاصة مع بريطانيا عام ١٩٢٤ ، ضمنت بموجبها « احترام الحقوق الشرعية للملكية الامريكية في ارض فلسطين » و « حرية اقامة المؤسسات التعليمية والدينية » ، هذا بالاضافة الى استلامها نسخة من التقرير السنوي التي كانت ترسله بريطانيا لعصبة الامم عن فلسطين .

اما انجلترا فقد « استخدمت العرب ضد اليهود ، واليهود ضد العرب » ابان انتدابها على فلسطين ، واستطاعت « نهب البلد ، وتعزيز مركزها الاقتصادي والسياسي فيها » . ووقف نمو حركة التحرر الوطني لشعب فلسطين .

و « في بداية الحرب العالمية الثانية كان لدى اليهود هيئات حكم ذاتي متطورة » . « وتعتبر الوكالة اليهودية قناة واسعة للربط بين الاوساط الصهيونية الفلسطينية والبورجوازية الصهيونية الامريكية الكبرى » . حيث ادخلت الاخيرة « اموالا طائلة في البلاد ، مما ساعد على دخول راس المال الامريكي » الذي كان له دور رئيسي في انشاء دولة اسرائيل .

وفي حديثها عن دور الولايات المتحدة ، تقول نيكتينا ، ان فترة ماقبل الحرب الثانية اتسمت بالمنافسة الحادة بين بريطانيا وامريكا ، حيث ركزت الاخيرة على « تعزيز مراكزها البترولية » في الشرق الاوسط .

وفي ابريل (نيسان) ١٩٤١ رات (اللجنة الفلسطينية ـ الامريكية) بنيويورك انه بعد تردد بريطانيا في موقفها حيال الصهيونية فمن « الاجدى ان نبحث عن تاييد الولايات المتحدة » .

وادخل الحزبان الديمقراطي والجمهوري الامريكيين مطالب الصهيونية في برامجهما . « وفي اغسطس (آب) ١٩٤٥ تقدم الرئيس ترومان الى اتلي رئيس وزراء انجلترا ، بخطاب يطلب فيه السماح فورا لمائة الف يهودي بالهجرة الى فلسطين » .

وغداة الحرب العالمية الثانية ، دخلت امريكا الميدان سافرة ، حيث تضاعف راس المال الامريكي في فلسطين اربع مرات « وشكلت اللجنة الانجلو ـ امريكية المشتركة الخاصة بالتحقيق » في فلسطين . ثم شكلت لجنة اخرى في يونيو (حزيران) ١٩٤٦ ، واقترحت امريكا في اللجنة الثانية تقسيم فلسطين الى دولة عربية واخرى يهودية ، في حين رات انجلترا انشاء اتحاد من اربع محافظات ، احالت الاخيرة المشكلة الفلسطينية

الى الامم المتحدة للتخلص من الضغط الامريكى المتزايد عليها ٠

وفى الامم المتحدة قدمت الدول العربيةاقتراحا يتضمن « الغاء الانتداب واعلان استقلال فلسطين » ، فى حين اتسم موقف الولايات المتحدة بالغموض ، وان كانت قد « اعتمدت على تعزيز موقفها فى الشرق الادنى » ٠ و « طالب الاتحاد السوفيتى بالاعلان السريع لاستقلال فلسطين » و « انشاء دولة عربية ــ يهودية ، تقام على اسس فيدرالية » ٠ وفى حالة تعذر ذلك بسبب العداء « يمكن انشاء دولتين منفصلتين » ٠

عن نظام الحكم

يقيم الكتاب اسرائيل باعتبارها « جمهورية برجوازية ، تمتاز بتوزيع السلطات ، ووجود حريات شكلية » و « تتميز بتركيز السلطة فى ايدى ممثلى البورجوازية » ٠

« ولا يوجد فى اسرائيل دستور مكتوب » ويستعاض عنه « بقوانين اساسية تحدد اسس نظام الدولة ، وتوزيع السلطات ، ونظام تكوين مؤسسات الدولة » ، وذلك على غرار التقاليد البريطانية .

ويتولى الكنيست السلطة التشريعية ، اما رئيس الدولة فهو « قائد شكلى للدولة » ٠ فى حين يعتبر مجلس الوزراء « الهيئه الاساسية التىتشكل السياسة » واهم المسائل « تحل عن طريق زمرة من ذوى النزعة العسكرية ،مرتبطة برئيس الوزراء السابق بن جوريون » .

اما هيكل الادارة ، فهو امتداد لما كان عليه ابان الانتداب ٠

ويتمثل النظام القضائى الاسرائيلى فى المحاكم الدينية والمدنية ، وتختص محكمة العدل العليا بنظر القضايا التى تمس اعضاء الحكومة وكبار موظفى جهاز الدولة . وتؤكد نيكتينا ان « اتساع سن القوانين فى اسرائيل يعكس الميكانيكية المعقدة لتطور اجهزة الدولة البيروقراطية » .

ويكرس زعماء اسرائيل الفوارق الطبقية ٠٠ « وتشكل مرتبات العاملين ٥٠ فى المائة من الدخل القومى » و « دخل صغار الحرفيين غير كبير عادة » ٠

وقد « ادى التطور السريع للراسمالية ، والسياسة التى تمارسها الحكومة بوعى ، الى تعجيل الاستقطاب الاجتماعى » ، حيث يزداد الاغنياء غنى » ، ويزداد الفقراء حرمانا ٠

وترى الكاتبةان نظام الاحزاب السياسية فى اسرائيل يعكس توزيع القوى الطبقية فى اسرائيل ٠٠ فعدد القوائم الحزبية بلغ فى كنيست فى اسرائيل احزابا صهيونية ، باستثناء الحزب فى اسرائيل احزابا صهيونية ، باستثناء الحزب الشيوعى » ٠

وكل « مواطن اسرائيلى مضطر الى الاشتراك فى اى حزب سياسى ، فعن هذا الطريق ــ فقط ــ يمكن الحصول على امتيازات فى اسرائيل » ٠ وتشرف بعض الاحزاب « على المنظمات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية » ٠ وتعتبر الاحزاب الصهيونية الاسرائيلية « حلقة اتصال بالعناصر الرجعية الصهيونية العالمية » ٠ واهداف الاحزاب الصهيونية متقاربة ، فجميعها « ينادى بزيادة راس المال الخاص الاجنبى » وتوثيق « العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة » .

وفىالباب الثالث تستعرض نيكتينا التطور السياسى لاسرائيل من خلال دورات الكنيست ٠

السياسة الخارجية والتحالف

تؤكد نيكتينا ان للدوائر الحاكمة فى اسرائيل اهدافها التوسعية الخاصة ، « وهنا بالذاتتلتقى مصالح البلاد الغربية وعلى راسها الامبريالية الامريكية ومصالح الطبقات المسيطرة فى اسرائيل » ٠ هذا بالاضافة الى اتخاذ الامبريالية لاسرائيل » كمركز للمواصلات ، وقاعدة للتموين ، وترسانة حربية انتاجية » ٠

وقد كان وجود العدد الضخم من المستشارين الامريكيين ، والذين حلت محلهم بعثة خاصة ، بقصد « الاشراف على كل مجالات الحياة فى دولة اسرائيل » ٠ كما انشئت مؤسسة للخبراء المتخصصين لنفس الغرض ٠

وتقوم الولايات المتحدة « بتوسيع عقائدى فى اسرائيل ، عن طريق البرامج الخاصة للمساعدات الامريكية » ، ووفقاللاتفاقيات العديدة بين اسرائيل وامريكا « وتؤثر الولايات المتحدة تأثيرا كبيرا على الصحافةالاسرائيلية ، وذلك بتزويدهاــ بانتظامــ بالمعلومات والنشرات الاعلامية » ٠

وبمقتضى اتفاقية المواصلات الجوية ، التى وقعت فى ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٥٠ بين الولايات المتحدة واسرائيل ، استطاعت الاولى

تحويل اراضى اسرائيل الى راس جسر استراتيجى لها • كما منحت اسرائيل قرضين جهزت بهما ميناء حيفا ، وعززت القاعدة الجوية فى اللد ، وجددت ومدت حوالى ٢٠٠ ميل من السكك الحديدية •

ويرصد الكتـــاب كافة الاتفاقيات الامريكية — الاسرائيلية العسكرية والاقتصادية والثقافية •

اما بريطانيا فلم ينقض عام واحد على انسحابها من فلسطين ، الا وكانت مشكلة اعادة تشغيل مصنع تكرير البترول فى حيفا قد حلت ، وتدفقت رؤوس الاموال الانجليزية الى فلسطين ، وتم انشاء الغرفة التجارية الانجليزية الاسرائيلية عـــام ١٩٥١ ، لتشجيع وتطوير التجارة بين بريطانيا واسرائيل ، وقد سارت تنمية العلاقات بين البلدين فى خط مواز لضعف مركز بريطانيا فى الدول العربية • « واحتلت بريطانيا بعد ١٩٥٦ ، وخاصة بعد ١٩٥٨ ، مركزا اكثر صراحة فى علاقاتها مع اسرائيل فبدات ، ومازالت حتى الان ، تواصل تزويد اسرائيل بالاسلحة » •

وفى اغسطس (آب) ١٩٦١ وقعت اتفاقية ثقافيةفى مجال توريدالكتب بين بريطانيا واسرائيل •

وبدات علاقاتاسرائيـل بفرنسا تتدعم منـذ ١٩٥٣ ، وتفسر نيكتينا ذلك « بان ليس لفرنسا ماتفقده فى العالم العربى » • « بل على العكس سوف تكسب ، وذلك بتحويل انظار العرب الى جبهة ثانية » غير الجزائر • وازداد الالتحام بين البلدين ، بعد اشراك فرنسا فى العدوان الثلاثى على مصر • وقد وفر هذا التحالف لاسرائيـل الاسلحة ، وخاصة طائرات ميراج—٣ • وتدوقعت بين الطرفين **اتفاقية للتعاون الثقـافى** (نوفمبر ١٩٥٩) هذا ، ويوجد فى فرنسا ٢٠ منظمة يهودية للتعاون مع اسرائيل •

ومنذ ١٩٦٥ تسرب البرود الى العـــــلاقات الفرنسية الاسرائيلية • ووصل الى قمته باستنكار فرنسا للعدوان الاسرائيلى فى يونيو (حزيران) ١٩٦٧ •

اما المانيا الغربية فبدات العلاقات معها بتوقيع اتفاقية التعويضات فى عام ١٩٥٣ ، والتى دفعت المانيا الغربية بموجبها لاسرائيل مبلغ ٨٢٢ **مليون دولار** • بهدف رد اعتبار لالمانيا اولا ، وما لتلك الخطوة من اهمية بالنسبة لانضمام المانيا الغربية لحلف الاطلنطى ثانيا ، ولفتح الطريق للتوسع فى الشرق الاوسط بالارتكاز على اسرائيل ثالثا •

« وقد زادت العلاقات الاسرائيلية الالمـانية توطدا ، اثناء مغامرة سيناء ، فقد من خبراء المانيا الغربية — الموجودون اذ ذاك فى اسرائيل — اقامتهم بها » • ومنحت المانيا اسرائيل قرضا عام ١٩٦٠ قدره خمسمائة مليون دولار • بـالاضافة الى مليونى دولار ونصف كان قد اهداهم اديناور الى اسرائيل فى عام ١٩٤٩ • وفى المانيا الغربية الان عشر **منظمات صهيونية** على علاقة باسرائيل •

واسرائيـــل — فى نظر نيكتينـــــا — ليست الا معسكرا حربيـــا كبيرا •• حيث يجتهـــــد العسكريون الاسرائيليون فى العمل على رفع مستوى الاعداد العسكرى للمهاجرين ، والتقدم فى جميع فروع الصناعة والاقتصاد ذات الاهميـة الاستراتيجية ، وتشجيع هجرة الشـباب الى اسرائيل ، والزيادة المطردة للاعتمادات العسكرية فى الميزانية •

وحصلت اسرائيل من بريطانيا على السـفن الحربية ، ودبابات سنتوريون ، وعلى السلاح من فرنسا والمانيا الغربية • ومن امريكا على قذائف صاروخية فى ١٩٦٣ ، وصواريخ وقاذفات سكاى هوك ودبابات باتون فى ١٩٦٦ •

ووصل الامر بابا ايبان الى حد وعـده لامريكا — فى خطاب القاه فى مـاريس ١٩٥٣ بنيويورك — بمدها بالفى جندى اسرائيلى فى حالة الحرب مع الاتحاد السوفيتى !! •

وتدفقت الاسلحة من كل جانب ، وتوجت تلك المرحلة بالعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ •

العـرب فى اسرائيل

وتستعرض نيكتينا حياة الثلاثمائة الف عربى الذين يعيشون فى اسرائيل ، والذين يشكلون ١١ فى المائة من السكان • وتتبع اسرائيل حيالهم التفرقة الاقتصادية والسياسية ، ويعيش معظمهم تحت الرقابة العسكرية فى ظروف تشبه الجيتو ، كما تلجا الحكومة الاسرائيلية الى تهجيرهم بالقوة ، فى محاولة لتشتيتهم وابعادهم عن المناطق الخصبة • وباختصـار تمثل اسرائيل بالنسبة للاقلية العربية فيها (جنوب افريقيا ثانية) ، على حد تعبير مجلة الحـزب الشيـوعى الاسرائيلـــى (انفورميشن بوليتين) •

وتحصر نيكتينا مشاكل النـزاع العـربى الاسرائيلى فى ثلاث :

- **الارض** •
- **اللاجئين العرب** •
- **اســـتغلال ميـاه الاردن** ، وهى نتيجـــة للمشكلتين الاولى والثانية •

حائط للدفاع عن الدولة

كان توافد اليهود الى فلسطين ، على مدى سبعين عاما ، مرتبطا بعوامل خارجية مثل اضطهاد اليهود فى روسيا القيصرية ، وظروف الحياة القاسية والبطالة فى بولندا ، وسياسة الابادة الجماعية التى اتبعها النازيون ضد اليهود •

وفى عام ١٩٥٢ قررت الحكومة الاسرائيلية أن تكون نسبة ٨٠ فى المائة من المهاجرين من الشباب ، ولم يسر هذا التحديد على الاغنياء من المهاجرين • اما المهاجرون فكان يعاد ترتيبهم روحيا وعقائديا وعسكريا •وتزداد **الفوارق الطبقية** بين المهاجرين والسكان الاصليين من جهة ، وبين **الغربيين** والشرقيين من جهة أخرى •

وتهدف حكومة اسرائيل ــ كما يوضح كتابها السنوى لعام ١٩٥٢ ــ الى أن تقيم بهؤلاء المهاجرين . حائطا للدفاع عن الدولة **الاسرائيلية** ، حائط بشرى من لحم ودم » •

التطور الاقتصادى

زادت متاعب اسرائيل نتيجة تدفق المهاجرين ، وتوجيه جميع موارد البلاد للحرب . واصدرت الحكومة الاسرائيلية عملتها الخاصة فى أغسطس (آب) ١٩٤٨ ، ولم تغط الا ٥٠ فى المائة منها بالذهب والعملة الصعبة • ومنذ البداية انخفض حجم التجارة الخارجية ، وارتفعت الضرائب ، وأصدرت الحكومة فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٨ « سندات قصيرة الاجل على خزانة الدولة كوسيلة شرعية للدفع » • وفى يونيو (حزيران) ١٩٤٩ عادت فأصدرت سندات جديدة طويلة الاجل عرفت باسم « صكوك الارض » •

وتسببت سياسة الاستيراد بدون تمويل ــ وهى أحد أشكال السوق السوداء الدولية ــ فى انخفاض قيمة الليرة الاسرائيلية • وعجزت الحكومة الاسرائيلية ،فى السنين الاولى ،عن توفير الكميات المطلوبة من الاغذية والملبوسات ،فوزعتها بالبطاقات لعدة أشهر ، كما أغلقت العديد من المصانع ابوابها ، وتدفقت المساعدات والقروض ورؤوس الاموال الامريكية والالمانية الغربية والانجليزية وغيرها •

وفى المرحلة الثانية للتطور الاقتصادى الاسرائيلى (١٩٥٢ ــ ١٩٥٦) ، اعتمدت الحكومة سياسة اقتصادية ذات **اسس ثلاثة** : ● الحد من الاستهلاك ● الزيادة فى الانتاج ● تشجيع الاستثمارات الاجنبية •.

الا أن تلك السياسة أدت الى ازدياد نشاط السوق السوداء ، وارتفاع الاسعار ، واستمرار تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية ، وانخفاض نسبة الدخل القومى • لكن التعويضات الالمانية أعادت الحياة للاقتصاد الاسرائيلى ، وعززت القدرة العسكرية الاسرائيلية •

وتلاحظ نيكتينا أن نصف الميزانية الاسرائيلية كانت تمول بالمساعدات الامريكية •

وبلغت المصروفات العسكرية مايزيد عن ٥٠ فى المائة من ميزانية ١٩٦٥ ، ونمت الصناعة الحربية بسرعة •

و « يقوم التطور الرأسمالى الاسرائيلى على قاعدة تشبه الهرم المقلوب ، أى على قاعدة انتاجية ضيقة » وذلك « نتيجة لخضوع اسرائيل لرؤوس الاموال الاجنبية » •

وترى نيكتينا أن « السمات المميزة للاقتصاد الاسرائيلى ، مثل التضخم المالى الدائم ، والخفض المستمر فى قيمة الليرة الاسرائيلية ، والعبء الضرائبى الكبير وخاصة الضرائب غير المباشرة ، بالاضافة الى تضاؤل رأس المال المحلى المستثمر فى الاقتصاد القومى • هذا كله نتيجة مباشرة للنفقات العسكرية والحربية الهائلة » •

وترى نيكتينا أن اسرائيل قد تحولت ،خلال عشرين عاما ، من بلد زراعى الى بلد زراعى ــ صناعى ، ولكن بدون قاعدة صناعية من المواد الخام ، مما يلزم اعتمادها على السوق الخارجية • كما أن أهم فروع الصناعة غير متطورة ، والقوة الانتاجية غير كبيرة • ومن سمات اقتصاد اسرائيل وجود الصناعات الصغيرة ، أى انتاج السلع الصغيرة ، بجانب الصناعات الكبيرة » . كما « أن تطور اسرائيل يحدد تبعا لاهداف دعم القوة العسكرية للبلاد » •

وفى مجال **الزراعة** يعمل حوالى ربع مجموع العاملين ، وتوازى **المنتجات الزراعية** ١٠ فى المائة من الدخل القومى •

وفى البداية اتجهت الزراعة نحو توفير المواد الغذائية ، ثم الى تطوير المحصولات الصناعية •

ثم يتحدث الكتاب عن استصلاح الاراضى ، وتحويل نهر الاردن وأثره على الزراعة ، وتطور ونمو الزراعة ، والاضطهاد فى مجال الزراعة الواقع على الفلاحين العرب ، ونسبة الارض المملوكة للحكومة والصندوق القومى •

وتنفى نيكتينا عن مزارع (**الكيبوتز**) صفة الاشتراكية .. فتحقيق مبادىء الجماعية ـ فى رأيها ـ لايستطيع تغيير جوهر العلاقات الاجتماعية فى الكيبوتز ، لوقوعها فى اطار النظام الرأسمالية ، مما يجعلها تنقلب الى استغلال جماعى .

وفى **الصناعة** تمتاز اسرائيل بمعدلات عالية . ويتم تطوير الصناعات على حساب رؤوس الاموال الاجنبية . أما الصناعات التقليدية (النسيج والماس) فيتم تمويلها برؤوس أموال محلية . ويسيطر القطاع الخاص على ثلاثة أرباع المؤسسات الصناعية . أما رأسمالية الدولة فيجرى عرقلتها فى اسرائيل ، مع تدعيم موقف رأس المال الخاص ، ولاسيما الاجنبى منه . وتبيع الحكومة مؤسساتها الصناعية بمجرد نجاحها .

وترصد نيكتينا التطور السريع **للنقل** ، والتوسع فى الاسطول البحرى ، والمطارات . أما **التجارة الخارجية** فتشهد بضعف التطور الصناعى لاسرائيل ، فالاستيراد يفوق التصدير بكثير . ومديونية التجارة الخارجية مازالت كبيرة . وتعتمد اسرائيل على استيراد أهم أنواع المواد الخام الصناعية » .

وتأمل الدوائر الحاكمة فى اسرائيل ، تحويلها الى (لانكشير الشرق الاوسط) ، مع جعل الدول العربية توابع زراعية لها . وفى افريقيا تختفى الاحتكارات الامريكية خلف لافتات الشركات الاسرائيلية هناك .

أما **الميزانية** فتعانى من عجز دائم . وفى المجال المصرفى ، تضاعفت البنوك التجارية ، وتداخلت فيها رؤوس الاموال الاجنبية ، وارتفعت قيمة الفوائد والعمولة . وفى الجانب الاخر ازدادت حالات افلاس صغار الملاك .

وفى **الباب الثامن** تتحدث نيكتينا عن **التعويضات الالمانية ، والمساعدات الامريكية** ، ورؤوس الاموال الاجنبية فى اسرائيل : حجم كل منها ، وجوهرها ، وأوجه صرفها .

الايديولوجية الصهيونية

تتحدث الكاتبة هنا عن الصهيونية كأيديولوجية قومية بورجوازية «عجزت عن حل مايسمى بالمشكلة اليهودية » ، وأنها اتصفت « بالرجعية ، والمغامرة ، والصفقات الثابتة مع الاستعمار » . وتصف نيكتينا **المنظمة الصهيونية العالمية** بأنها « تعتبر شكلا قانونيا لاتحاد البنوك » وتتحكم فى الحكومة الاسرائيلية ، والسلطة الحقيقية فيها للاتحاد الامريكى الاسرائيلى للصهيونيين . وتستشهد الكاتبة بكلمة **للينين** يقول فيها ، ان فكرة **الشعب اليهودى** فكرة مفلسة من الناحية العملية ورجعية فى معناها السياسى . وتلفت النظر الى أن قادة الصهيونية يعملون لخلق (**طابور خامس**) من اليهود المقيمين فى البلاد الاخرى .

وتختتم نيكتينا كتابها بفصل شيق عن العدوان الاخير ، فتستعرض الاحداث التى سبقته ، وتلك التى تلت وقوعه . كما تلقى الاضواء على موقف الحزب الشيوعى الاسرائيلى المعادى للعدوان ، والذى يلخصه **ماير فلنر** سكرتير عام الحزب ، فى حديث له مع جريدة **اونيتا** الايطالية غداة العدوان ، اذ يقول : « **اننى لست مع المستعمرين ضد الشعب العربى ، ولكننى مع الشعب العربى ضد المستعمرين** » .

وتتحدد **أهداف سياسة اسرائيل البعيدة** ـ كما ذكرتها جريدة (هاآرتس) الاسرائيلية فى ١٩٦٨/١/٢٤ ـ بأنها :

● **التأييد الكامل لمصالح الدول الغربية** الاستراتيجية فى الحرب الباردة ضد بلدان أوروبا الشرقية .

● **مبادرة عسكرية جديدة ضد البلدان العربية واحتلال الضفة الشرقية للأردن .**

● **اسقاط النظام المصرى والانظمة المساندة لــه .**

● **الاستيلاء على أنابيب البترول فى المنطقة ، واحتلال شاطىء السعودية المطل على خليج العقبة .**

ومما لاشك فيه أن ترجمة ونشر هذا البحث القيم هو مبادرة مشكورة من جانب « دار الهلال » والكتاب بعد ذلك ملىء بالاحصائيات والارقام ، وهو كنز أكاديمى ثمين ، وسلاح جيد طالما افتقدته المكتبة العربية . وان كان غلو ثمنه سيحول دون انتشاره جماهيريا . ولو أن وزارة الثقافة أو أمانة الاعلام والثقافة بالاتحاد الاشتراكى ساهمت فى تكاليف ترجمته وطباعته ، لامكن عرضه بسعر فى متناول القاعدة العريضة للقراء .

وهناك هنات فى ترجمة بعض الاعلام والاسماء ، كان يمكن تجنبها ، لو أن أحد المتخصصين فى القضية الفلسطينية راجع الترجمة العربية للكتاب . فالمترجم ـ مثلا ـ يسمى المناطق العربية الثالثة (الجليل) (نابلس) (القدس) و (صفد) بأسمائها العبرية وهى على

التوالى (يهوذا) (السامرا) (أورشليم) و (سافيد) • ثم هو يذكر أن الرومان أخمدوا الثورة التى قادها بار ـ كوجنى ، فى حين أن قائد الثورة كان يدعى (بار ـ كوكبا) •

وفى صفحتى ٣٤ و٣٥ يسمى المترجم (شرقى الاردن) بما وراء الاردن . أما حزبى **الاصلاح** ، **والاستقلال** الفلسطينيين فيطلق عليهما اسمى (الاصلاحى) و (المستقل) (ص ٣٦) • وتجمع (الاحرار ـ حيروت) هو عنده (ليبرال ـ حيروت) ، واسم تلك الكتلة (جاحال) وليس (حاخال) كما يذكر المترجم (ص ١٠٥) • و (اليهود المتدينون) هذا هو اسمهم وليس (اليهود الارثوذكس) (ص ٦٥ ، ٧٢) •

وفى مجال الصحف فيسمى جريدة (كولهعام) (كولجام) (ص ٦١) ، و (علهمشمار) (جامشمار) (ص ٦٢) و (حيروت) (جيرى) (ص ٦٥) ، و (لمرحاب) (لمرخاط) (ص ٨٤) ، و (هآرتس) (حاآرتيس) (ص ٣٢٥) •

ويسمى المترجم المستعمرين الامريكان (الاقطاعيين الامريكيين) (ص ٧١) ، كما يطلق على مجموعة كبار السن فى حكومة اسرائيل اسم (تجمع العجزة) ، وفى صفحة ٩٩ يسمى مدينة (عسقلان) (عسقلون) ، ثم يعود فيسميها فى صفحة ٢٨٨ (أشكيلونا) • وحين يستعرض أسماء القرى العربية التى وقعت فيها المذابح الصهيونية عام ١٩٤٨ ، نراه يذكر (فادى ديور) ، و (بارديس أبولفان) و (كفارتوبياس) (ص ١٣١) • وفى صفحة ٣١٩ يسمى مدينة (الناصرة) (النازاريتا) ، ومنطقة المثلث (تريانجل) ، أما الكاتب العربى (على عاشور) فيسميه (أ • أ عشور) (ص ٣١٩) • والكاتب (قاسم حسن) (هـ • قاسم) ، ومجموعة (ميكونس ـ سنيه) التى انشقت عن الحزب الشيوعى الاسرائيلى مجموعة (سنى ـ ميكونسا) •

على أن هذا لايقلل من قيمة الكتاب ، والجهد المبذول فيه تأليفا ، وترجمة ، واخراجا •

.. فى مواجهة إسرائيل

■ تأليف : د• اسماعيل صبرى عبد الله
■ عرض ونقد : وديع وهيب
الناشر : دار المعارف ـ سلسلة اقرأ

يقدم الدكتور اسماعيل صبرى لكتابه الجديد « فى مواجهة اسرائيل » بكلمة يقول فيها : « ان التحليل العلمى على البارد ، هو وحده الذى يهدى الى سبل النصر ، وهذا التحليل العلمى المنشود من اصعب الامور ، ولا ترجع صعوبته فقط الى ما يجيش بالنفوس من غيظ كظيم والم مضطرم وسخط متقد ، بل ترجع كذلك الى اننا نواجه ظاهرة عدوانية بالغة التعقيد تشابكت عندها عوامل متعددة ، وتراكمت حولها عبر السنين احداث ذات آثار متنوعة ، ومن ثم لا يمكن ان نملك لها حلا فردا بسيطا وواضحا » •

ومن هنا فان الدكتور اسماعيل صبرى « فى مواجهة اسرائيل » وجد نفسه طوال الكتاب فى مواجهة لكل ما هو متخلف ورجعى واستعمارى ، ابتداء من الامبريالية الامريكية بعدوانيتها

الشرسة ، ومرورا بـأنكشاريتها الاسرائيلية واحتكاراتها البترولية فى الشرق العربى ، حتى الافكار الشوفينية المتخلفة لدى بعض الكتاب العرب والاتجاهات المتهاونة التى وجدت فى ظروف النكسة فرصة تطل فيها براسها داعية لاسترضاء الاستعمار الامريكى والتخلى عن خطنا الوطنى التحررى كسبيل لتوقى المخاطر بالاستسلام لها !

والتزاما بهذا المنهج كان لابد وان يخصص الباب الاول من الكتاب لمناقشة بعض المفهومات ذات التأثير البالغ على نضالنا الحالى ، اولها هو ضرورة التفرقة الحازمة بين اليهودى كصاحب عقيدة دينية وبين الصهيونى كسياسى يتستر وراء الدين بل ويستغله لتنفيذ مآرب سياسية استعمارية وثانيها هو مناقشة المفهوم الدارج عن اسرائيل كمجرد اداة للاستعمار مبرزا ان هذه النظرة وان كان « لها ولا شك فضل القاء الاضواء على دور الاستعمار فى انشاء اسرائيل ودعمها ، وعلى دور اسرائيل فى خدمة الاستعمار ، ولكنها تهمل دور الصهيونية كحركة استعمارية لها مكانها المتميز داخل اطار الاستعمار العالمى » ثم ليخلص من المناقشة الى تأكيد انه « الى جانب دور اسرائيل كأداة للاستعمار ، توجد اسرائيل كدولة استعمارية ، بل انها بقدر نجاحها فى دورها فى خدمة المصالح الاستعمارية للدول الكبرى تؤكد وجودها المستقل وتفرض مطالبها الخاصة » ٠

وكانت النظرة الثالثة التى اهتم هذا الباب بمناقشتها هى المقارنة الشائعة بين فلسطين والجزائر ، مبينا « ان حقيقة اسرائيل كاستعمار استيطانى لا ينبغى ان تقودنا فورا الى القياس باحداث الجزائر ، فالمستوطنون فى اسرائيل قدموا من بلدان شتى ، وبالتالى ليس لهم «وطن أم» يفكرون فى العودة اليه اذا ما ضاقت بهم سبل الحياة فى فلسطين ، ولهذا فالشعور السائد بينهم هو انهم يقاتلون وظهورهم الى البحر » وذلك بالاضافة الى وجود عناصر « الصابرا » ونجاح المستوطنين فى اسرائيل فى ان يفرضوا لوجودهم مرحليا حدود لهم فيها اغلبية واضحة وما يؤدى اليه ذلك من تعقيد للمشكلة اكثر واكثر ، ولاشك ان لهذا المفهوم بالتحديد اهمية بالغة فى تخطيطنا السياسى والعسكرى سواء للحاضر او المستقبل حتى ندرك نوع المقاتل الاسرائيلى الذى نواجهه وحتى نحدد نوع خطابنا اليه ، وحتى لا نتعجل رسم الصورة النهائية للمستقبل على الارض الفلسطينية خاصة وان المقاومة الفلسطينية وهى فى بداياتها المبشرة لا تستطيع ان تزعم انها قد استقطبت الصراعات على الارض المحتلة ٠

واذا كان الكتاب ينقسم بعد ذلك الى جزئين رئيسيين ، يعرض فى الجزء الاول منهما للمخطط الصهيونى والايديولوجية الصهيونية ؟ ودور اسرائيل فى خط الاستعمار ، وعلاقة المخطط الصهيونى بالهدف الاستراتيجى العام للغرب الاستعمارى فى الحيلولة دون نجاح الثورة العربية وقيام دولة عربية كبرى فى هذه المنطقة الحساسة من العالم ٠ ثم يقدم فى الجزء الثانى « عناصر استراتيجية للنضال العربى » الا اننا نستطيع ان نلمح خطا اساسيا يربط الكتاب فى مجموعه الا وهو الادراك الواعى لدور الجانب الايديولوجى والدعائى فى معركتنا ضد العدو الاسرائيلى ومهارة هذا العدو فى استخدام هذا السلاح سواء فى التعبئة الداخلية لسكان اسرائيل ، او تعبئة الرأى العام العالمى لمساندة الاعمال العدوانية الاسرائيلية ، مع تجميع وتعميم خبرة الاتصالات العديدة طوال السنتين الماضيتين بدوائر الرأى العام العالمى المهتمة بقضية النزاع العربى الاسرائيلى فى مواجهة مباشرة للايديولوجية والدعاية الاسرائيلية ، ثم المتابعة الدقيقة للاتجاهات السياسية المختلفة التى ظهرت فى حقل السياسة العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ ٠

يوضح المؤلف فى معرض حديثه عن المخطط الصهيونى ان اسرائيل فى الجوهر قد نشأت كمشروع استعمارى استيطانى اوروبى اقامته الصهيونية العالمية رغبة منها كقوة متميزة فى المشاركة فى اقتسام تركة « الرجل المريض » مستغلة فى مشروعها جماهير يهود شرق اوروبا بالذات ٠

ثم يبين من واقع البيانات الاقتصادية « ان اعظم تناقض وقعت فيه التجربة الصهيونية هو ان البقعة التى كانت فى نظرها توفى بالغرض من الناحية الايديولوجية باعتبارها ارض الميعاد ، كانت من الناحية الاقتصادية عاجزة عن استيعاب الهجرة المطلوبة » ٠ ومن هنا — وعلى الرغم من كل الموارد المالية الاجنبية التى منحت لاسرائيل من دول الاستعمار والتى تصل الى ثلاثة الاف دولار لكل اسرائيلى ، ومن عملية النهب الاستعمارى التقليدية التى باشرتها اسرائيل لممتلكات الفلسطينيين الذين طردتهم من اراضيهم والتى تقدر بحوالى ٥٠٠ر١١ مليون دولار ، كانت السياسة التوسعية للدولة الاسرائيلية ضرورة اقتصادية الى جانب كل الدوافع الاخرى ٠

واذا كانت الصهيونية قد عملت فى الماضى وسط السباق الامبريالى المحموم حول اشلاء امبراطورية آل عثمان ان تقتطع لنفسها نصيبا فى وقت بلغ فيه الاستعمار القديم ذروته ، فانها تضع اليوم كل مخططاتها لمشاركة الاستعمار الجديد فى خططه للسيطرة الاقتصادية على الشرق العربى وبتروله، والحلم الذى يراود حتى بعض اولئك الذين يتكلمون

فى اسرائيل من السلام مع العرب هو تحقيق ما يسمونه « بالتكامل الاقتصادى » للشرق الاوسط ، على اساس ان تكون اسرائيل قاعدته الصناعية والاقطار العربية هى مورد المواد الاولية وسوق تصريف المنتجات الصناعية .

وعلى اساس هذا المفهوم تتحدد العناصر الاولى فى استراتيجية النضال العربى التى يعرضها الدكتور اسماعيل فى القسم الثانى من الكتاب . فاذا كان الشعب الفلسطينى هو الضحية الاولى وصاحب الحق الاول ونضاله من اجل وطنه قضية واضحة ، فان على البلدان العربية الاخرى ان تهيىء لنفسها من اسباب القوة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية ما يمكنها من مساندة المقاومة الفلسطينية وفى الوقت نفسه من ردع مغامرات التوسع الاسرائيلية وتبديد احلام الصهيونية فى السيطرة على الشرق الاوسط.ومن اسباب الوحدة ما يمكنها من محاصرة الخطر الاسرائيلى وتشديد المقاطعة الاقتصادية حولها ، بكل ما يعطيه ذلك من ابعاد ومضامين لشعار « الحرية والاشتراكية والوحدة » .

ما كان من الممكن للمخطط الصهيونى ان ينجح مالم يتح له منفذوه ايديولوجية تضمن تعبئة القائمين به وتحميسهم لتنفيذه ، وتحاول فى الوقت نفسه تبريره امام الرأى العام العالمى . ويعرض الدكتور اسماعيل صبرى هذه الايديولوجية ويفندها فى الفصل الخاص بالايديولوجية الصهيونية موضحا العناصر الاساسية لهذه الايديولوجية من عنصرية فاضحة تناقض كل حقائق العلم ووقائع تاريخ اليهود وانجازات علماء الانثروبولوجيا اليهود انفسهم ، ومن ادعاء غريب بأن اليهود فى كل بلاد العالم انما يشكلون قومية متميزة ، فاذا كان هذا يثير قضية « **الولاء المزدوج** » لليهودى وانتمائه الوطنية فى كل مكان يعيش فيه يهودا وقد يبعث الحياة من جديد فيما اصطلح على تسميته « بمعاداة السامية » ، فان القادة الصهاينة يرون فى ذلك فرصة لتنفيذ مخططاتهم فى التهجير .. ثم يأتى استغلال الدين كعنصر آخر فى الايديولوجية الصهيونية حيث تستخدم بعض نصوص التوراة لتبرير كل جرائم الصهيونية واعتداءاتها . ثم استخدام السلاح الايديولوجى التقليدى للاستعمار عن « التفوق الاوروبى » ورسالة اسرائيل فى « حماية الحضارة الاوربية من همجية الشرق » ..

ولكن لعل ابرز فقرات هذا الفصل هو ذلك الجزء الذى يفند فيه المؤلف فكرة بعض المثقفين المتزمتين عن اعتقادهم بأنهم وان كانوا لا يعتقدون ان ثمة قومية يهودية فانهم على العكس يؤكدون انه قد تكونت فى اسرائيل خلال العشرين عاما التى عاشتها قومية اسرائيلية متميزة حتى عن بقية يهود العالم . وبعد ان يناقش المؤلف هذا الرأى يخلص الى القول « ان العقبة الرئيسية فى سبيل تكوين امة متميزة فى اسرائيل هى الرابطة الصهيونية فاسرائيل لا يمكن ان تصبح امة الا اذا تخلت نهائيا عن اعتبار نفسها وطنا لكل يهود العالم . ان فكرة القومية الاسرائيلية نفى بالضرورة للقومية اليهودية . وهى لا يمكن ان تتبلور وتتأكد الا فى الحدود التى تضمحل فيها ،وتتلاشى فكرة ان اليهود فى العالم كله شعب واحد .. وهكذا تكون الايديولوجية الصهيونية حائلا دون نمو قومية مستقلة فى اسرائيل باصرارها العنصرى من ناحية على وحدة اليهود فى العالم ، وبرفضها من ناحية اخرى ان تنفصم اسرائيل عن الغرب لتصبح جزءا من المنطقة المحيطة بها .

على كل حال لقد نجحت الصهيونية بالفعل فى تجنيد الجماهير الغفيرة من يهود العالم تحت لواء هذه الايديولوجية .. فما الذى يمكن ان تتضمنه استراتيجية النضال العربى من عناصر ازاء هذا الجانب ؟ . يقول الدكتور اسماعيل صبرى «ان كل طرف فى صدام مثل ذلك الذى نعيشه مع الصهيونية يحاول دائما التأثير فى صفوف الطرف الاخر ويبذل اقصى الجهد لعزل اقسام من الشعب عن القيادات المتصدية للصدام » .. فهل من امكانية لذلك بالنسبة للرأى العام الاسرائيلى بكل ما تحيطه من ملابسات خاصة ؟ من خلال مناقشة طويلة للعديد من الآراء حول هذا الموضوع يجيب الدكتور على هذا السؤال بالايجاب .. بل ان الصفحات الاولى من الكتاب التى تعرض لتاريخ الحضارة العربية وتقارن بين وضع اليهود فى البلدان العربية واوضاعهم فى اوروبا فى العصور الوسطى ، لتبرز امامنا نقطة ضعف خطيرة فى التعبئة الايديولوجية والسياسية التى يمارسها القادة الصهاينة فهم قد قادوا مضطهدى اوروبا للانتقام من اكثر الشعوب التى عاشت معهم فى تسامح بصورة عامة .

ان التأثير فى الرأى العام الاسرائيلى والذى يصفه كتاب « فى مواجهة اسرائيل » بندا مستقلا من بنود استراتيجية النضال العربى ، لهو من اهم الواجبات الملقاة اليوم على عاتق المناضلين والكتاب العرب ، فلا شك ان الكثير من الكتابات والتصريحات التى افتقدت الاحساس بهذا الواجب لفترة طويلة قد جعلت من نفسها المسلحة فى يد العدو لا فى يدنا بالاضافة الى تعارضها مع قيم الحضارة العربية وتقاليدها .

يعرض الكتاب بعد ذلك للعلاقة التكاملية بين اسرائيل وبين الغرب الاستعمارى .

فمنذ البداية حرصت الصهيونية بطبيعتها ومصلحتها ،على ان تؤكد دائما ان مشروعها لاقامة اسرائيل انما هو رأس جسر للغرب . ومنذ البداية قال « هرتزل » ان دولة اليهود ستكون حصنـــا اماميا للحضارة الاوروبية ضد الهمجية الشرقية .

ومنذ البداية ايضـــا ، بدأ مشروع الدولة الصهيونية التجسيد الحي للوجـود الغـربي الاستعماري في وسط منطقة تعج بالثورة الوطنيه ومن ثم كان حرص الغرب الاستعماري على قيام اسرائيل ثم دعمها . ولكن الوجود الاسرائيلي قد اثبت انه قادر على اداء خدمات جليلة للاستعمار تفوق مجرد السيطرة على جزء من الوطن العربي ، جزء يعزل مصر عن اقطار الشام والعراق ويقطع الطريق البري الى شبه الجزيرة العربية . فالكفاءة العسكرية الاسرائيلية اضفت بعدا جديدا على دورها في المنطقة ، بعدا يستحق من الاستعمار كل تقدير ، وتحصل في مقابله الدولة الصهيونية على المزيد من المساندة الاستعمارية . لقد رشحتها تلك الكفاءة لان تكون كلب الحراسة الشرس الذي يحمي مصالح الاستعمار . ففي كل فترة مد لحـركة الثورية العربية ، كانت اسرائيل تتحرك لتضرب جاراتها العربية محاولة تعطيل التقدم » .

وهذا الدور الذي تلعبه اسرائيل في الشرق الاوسط يكسبها اهمية خاصة في نظر واشنطن . فامريكا التي تريد ان تقوم على نطاق العالم كله بدور الشرطي في حماية مصالح الاستعمار وضرب حركات التحرر تحلم بوجود عدد من الدول تعتمد على مساعدات امريكا الاقتصادية والعسكريـة والسياسية ، وتتولى عنها عبء الصدام مع قوى التحرر . تلك الفكرة التي عبر عنها الجنرال ماك ارثر سنة ١٩٥٠ بصيغة « لنجعل الآسـيويين يقاتلون الآسيويين » ، ولكن هذه الفكرة لم تنجح الا في اسرائيل .

ان اسرائيل تلعب من جانبها دور « الانكشارية » في حماية المصالح الاستعمارية ، فهي تستنفد جزءا ضخما من طاقات النضال العربي ، وكثيرا ما تعتدي للاطاحة بالنظم المعادية للامبريالية . وتضرب بعنف عند كل منعطف حاسم في طريق الثورة العربية . وبقدر نجاحها في هذه المهمة تلقى المزيد من التأييد الاستعماري ، وبمفهوم المخالفة بقدر نجاح العرب في التصدي لقوتها العسكرية ورد هجماتها العدوانية والانتصار عليها عسكريا في بعض المواقع ، بقدر ما تفقد من تلك الاهمية ، ومن ناحية اخرى يتناسب التأييد الاستعماري تناسبا فرديا مع اهمية مصالح كل دولة استعمارية في البلاد العربية وبصفة خاصة فـي الشرق العربي ؟ ولنا في موقف فرنسا دروس عميقة المعاني » .

ومن هنا تتحدد عناصر استراتيجية النضال العربي في « ان النضال ضد الاستعمار والنضال ضد اسرائيل وجهان متلازمان لا يمكن بحال الفصل بينهما » . وان تصفية المواقع الاستعمارية اضعاف لاسرائيل من زاويتين . من زاوية ان تلك المواقع تحترم اسرائيل ، ومن زاوية ان دور اسرائيل في حمـايتها يزيد من مسـاندة الاسـتعمار للدولة الصهيونية ، وهذا التغيير في اوضاع المنطقة لابد ان ينعكس على الاوضاع الداخلية في اسرائيل » .

« ان تصفية المواقع الاستعمارية يحرر الارادة العربية وهذا واضح تماما في وضع القواعد العسكرية ولكنه حقيقة ايضا فيما يتعلق بالمواقع الاقتصادية الاستعمارية وبالذات للبترول . ان امريكا تملك حوالي ٦٤ في المائة من رؤوس الاموال الاجنبية المستثمرة في البترول العربي ، وهـي مصدر ارباح ضخمة يسيل لها اللعاب . وامريكا تستخدم تلك المصالح في تفريق الصف العربي على اساس دول غنية ودول فقيرة ، كما انها تحنو على اسرائيل لانها في نظرها الحارس الامين على تلك المصالح . ويوم ينجح العرب في تأميم البترول ، او تأميم المصالح الامريكية على الاقل ستفقد اسرائيل جزءا كبيرا من اهميتها في نظر الولايات المتحدة . ان البترول يلعب حاليا في تحديد سياسة امريكا في المنطقة الدور الذي كانت تلعبه ثورة الجزائر في تحديد سياسة فرنسا ازاءها سـنة ١٩٥٦ ، والبترول العربي يتميز بوضع استثنائي يسهل تأميمه ، اما المستهلك الاساسي لـه هو اوروبا الغربية في حين ان المساهم الاساسي في رأس المال الاجنبي المستثمر فيه هو امريكا . ولذلك فلن تكون هناك مقاطعة فعالة للبترول العربي غداة تأميمه ، لان اوروبا سيكون من مصلحتها ان تشتري البترول العربي باستمرار ، وهي لن تضار بالتأميم بحيث تقف منا موقف العداء ، بل انه يمكن ان تشتري بشروط افضل .

والخلاصة التي يخرج بها الدكتور اسماعيل صبري من هذا العرض هو ان الدولة الصهيونية جزء من الظاهرة الامبريالية العالمية لا يمكن فصلها عنها . وان الاستعمار يساند اسرائيل حماية لمصالحه ، فاذا حصل على مزيد من المصالح فان تمسـكه باسرائيل سـيزيد ، اذ لابد من تقوية « الانكشارية » لمضاعفة الحراسة ، بينما لو فقد الاستعمار مصالحه واحدا بعد الاخر لفقدت هذه الانكشارية اهميتها بالنسبة للاستعمار . وان كان هذا لن ينهي الوجود الصهيوني تلقـائيا

فللصهيونية مصالحها المتميزة التى ستظل تدافع عنها حتى آخر رمق •

وعلى اساس موقف فكرى لا يعتبر ان شيئا ما يتعلق بمصائر الشعوب العربية يمكن ان يكون فوق مستوى المناقشة يتعرض الكتاب للكثير من القضايا الاخرى سواء بالنسبة لمتطلبات تدعيم المقاومة الفلسطينية على طريقها نحو النصر او تخوفاتها بازاء تطورات ازمة الشرق الاوسط • وسواء بالنسبة لطريقنا الى النفاذ بقضيتنا وقضية الشعب الفلسطينى العادلة الى الرأى العام العالمى • ليخلص من ذلك الى محاولة لتصور عام للطريق الذى يمكن ان تسير فيه الاحداث •

انه يعلن « ان صراعنا ضد المخطط الصهيونى الامبريالى لا فكاك منه ، انه قدرنا المحتوم ، فالانسان لا يملك الاختيار بين الحرية والاسترقاق •

وهو يلاحظ ان تصرفاتنا قد اتسمت « خلال العشرين عاما الماضية بطابع « **رد الفعل** » ازاء تصرفات العدو ، ولم تتخذ قط طابع « **الفعل** » • ولكى نفعل لابد ان يكون محتوى الفعل واضحا لا يشوبه لبس • ولكى نتحرك لابد ان يكون لمسيرتنا غاية نهدف اليها وتهتدى بها • وبشىء من ضبط النفس وهدوء التفكير وقدر معقول من الواقعية الثورية يمكن ان نحدد هدفنا بشكل حاسم بأنه : « تصفية وضع اسرائيل كقاعدة صهيونية استعمارية فى قلب الوطن العربى » وبهذا التحديد يتبين فورا اننا لا نستهدف بأية حال من الاحوال ابادة اليهود المقيمين فى فلسطين او القائهم الى البحر او طردهم بالقوة •

ان ما يعنينا فى الجوهر أمور ثلاثة :

١ ـ حق الشعب الفلسطينى فى ارضه ووطنه واستقلاله •

٢ ـ الا يعنى وجود يهود فى فلسطين الادعاء بوجود وطن بها لكل يهود العالم •

٣ ـ الا يكون هذا الوجود تجسيدا لارتباط بالغرب الاستعمارى •

والامة العربية حين تناضل فى سبيل وحدة اراضيها وحين تضع صيغة اتحادية تجمع شملها تدرك حقيقة ان هذه الارض تضم فى اجزاء منها اقليات قومية • والشعار الثورى الوحيد هو التمسك بوحدة التراث العربى ، مع احترام حقوق الاقليات القومية •

ولكنه من جانب آخر لا يغيب عن باله ان الصراع طويل ومرير • بل هو يقرر بوضوح « يجب ان ندرك تماما انه فى حدود علامات القوى الحالية فى المنطقة لا يستطيع العرب سحق العسكرية الاسرائيلية حتى بدون تدخل مباشر من القوات الاستعمارية • ولابد من تخطيط طويل الامد لهذا الصراع • او بعبارة اخرى لابد من تحديد استراتيجية للصراع العربى الاسرائيلى • ويقترح ضرورة انعقاد مؤتمر للقوى الشعبية على مستوى الوطن العربى » • ليناقش موضوعا وحيدا هو « استراتيجية العمل العربى ضد الصهيونية والاستعمار »

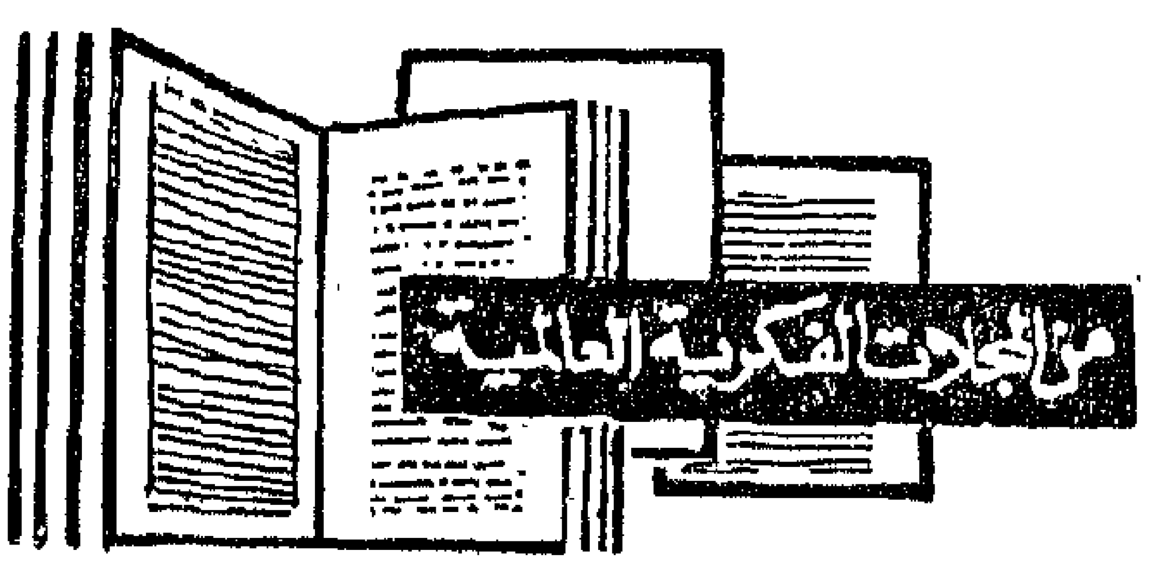
اما بالنسبة للاوضاع الراهنة فهو بعد ان يناقش موقف اسرائيل من الحل السلمى فانه يعلن « ان الامر الذى يبدو اليوم محسوسا هو حتمية الصدام المسلح ويبقى تصور لامكانيات تطوره على ضوء موازين القوى فى المنطقة والاعتبارات المحلية والدولية التى ستقترن به •

واخيرا • ان كتاب الدكتور اسماعيل صبرى « فى مواجهة اسرائيل » لهو مساهمة قيمة فى معركة الامة العربية المصيرية ضد الاستعمار والصهيونية ، وهو اذا كان يطرح عددا ضخما من القضايا فان ما نحب ان نضيفه الى العرض السابق :

اولا : ان حجة انصار اسرائيل عن مغزى عدم اعتراف الدول العربية بها هى حجة تتعلق بالموضوع وليس من المجدى مواجهتها بحجة شكلية عن حق العرب من ناحية القانون الدولى فى عدم الاعتراف ، والاستشهاد بموقف مدان من الرأى العام العالمى لعدد من الدول الغربية من الاعتراف بالصين الشعبية او المانيا الديمقراطية او غيرها • ان رفض الدول العربية الاعتراف باسرائيل مثله مثل المقاطعة هو موقف دفاعى موضوعى ، اذ ان الاعتراف يعنى التسليم بحق الصهيونية فى ان تسلب شعب فلسطين ارضه لتقيم عليها دولة باعتراف الدول العربية ، كما يعنى التسليم بأن المعركة بين شعب فلسطين وبين المعتدين على حقوقه قد انتهت وهو ما اثبت الواقع بطلانه •

ثانيا : ان قضية الاستعمار الاستيطانى على

ارض فلسطين انما تحتاج الى مزيد من البحث والتأصيل خاصة من زاوية علاقة هذا المفهوم بالمفهوم العلمي للاستعمار في مرحلة الامبريالية باعتباره تصديرا لرؤوس الاموال ، ونعتقد ان دراسة تفصيلية لحقيقة مصالح الاحتكاريين الصهاينة في شركات البترول العربي قد تبرز ابعادا اخطر بكثير على حقيقة الخطر الصهيوني في الشرق العربي ، وتعطي للنضال العربي ضد الصهيونية مضمونا اكثر عمقا واكثر شمولا على نطاق الشرق العربي كله •



طريق التطور : من الاستقلال الى الاشتراكية

■ مجلة « الثقافة الجديدة » العراقية ■
ـ العددان الاول والثاني ـ أبريل ومايو ١٩٦٩

ظهرت مجلة « **الثقافة الجديدة** » في العراق لاول مرة عام ١٩٥٣ لتأخذ مكانها جنبا الى جنب مع المنابر الطليعية للفكر العربي الثوري : وقد استطاعت « الثقافة الجديدة » ابان الفترة القصيرة التي أتيحت لها ان تشارك في ارساء مجموعة من التقاليد الفكرية المضيئة التي لا يزال المثقفون التقدميون في ارجاء الوطن العربي يسيرون على هديها ، أي على طريق التحرير الوطني والاشتراكية ٠٠ فذلك هو العمود الفقري لمعظم الافكار التي كرست لها « الثقافة الجديدة » وزميلاتها من المجلات التقدمية الصفحات تلو الصفحات ، وناضل من أجلها الكتاب التقدميون وزملاؤهم في المشرق العربي نضالا ضاريا يصل أحيانا الى درجة الاستشهاد • ولقد كان توقف « الثقافة الجديدة » العراقية و « الثقافة الوطنية » اللبنانية ـ وغيرهما من المنابر الثورية ـ عن الصدور مظهرا من مظاهر الاستشهاد •

واذا كان قد اتيح منذ وقت قريب أن تصدر مجلة « الطريق » بديلا لمجلة « الثقافة الوطنية » في لبنان ، فان العراق يعاود اصدار مجلته « الثقافة الجديدة » في مرحلة أحوج ما تكون الى كل صوت جاد ومخلص وشجاع في الدفاع عن قيم التحرر والاشتراكية •

ويحتفل العددان الاول والثاني من « **الثقافة الجديدة** » بعدد من القضايا والمشكلات التي تواجه الفكر الثوري في الوقت الحاضر كمشكلة الاصلاح الزراعي (**مكرم الطالباني**) والقضية الفلسطينية (**محمد يونس السامدى**) والاسس الاقتصادية لسياسة النفط الوطنية (محمد سليمان حسن) والاسس العلمية للواقعية الاشتراكية (**سعاد محمد خضر**) وغير ذلك من الموضوعات الحية المعاصرة التي تشغل حيزا هاما من التفكير العربي الراهن •

وفي مقدمة هذه الموضوعات ، المقال الذي كتبه الدكتور **صفاء حافظ** حول « **الاقطار المتحررة حديثا وبناء الاشتراكية** » والبحث الذي ألقاه الدكتور **صلاح خالص** في مؤتمر الادباء العرب حول « **دور الاديب في المعركة ضد الرجعية والاستعمار** » •

أما مقال الدكتور صفاء حافظ فيستهدف الوصول الى تشخيص علمي وثيق لما يتم في بلدان العالم الثالث تحت شعارات الاشتراكية . وينهج الكاتب في هذا البحث نهجا مرنا لا ينغلق دون الظواهر الجديدة التي أثمرتها المرحلة التاريخية التي يمر بها العالم المعاصر بشكل عام والبلدان المتخلفة بشكل خاص . ولكنه أيضا لا يغفل أهمية القوانين العلمية الضابطة لحركة المجتمع الانساني والتي لا تزال صحتها تستوجب التمسك بها والاصرار على تطبيقها . على ذلك ينطلق الكاتب من أن « **الشرط الاول لانجاز الاستقلال الاقتصادي ودفع عجلة التنمية الاقتصادية الى أمام أو اللحاق بالدول المتقدمة خلال فترة زمنية قصيرة نسبيا ، ورفع مستوى الجماهير الشعبية ماديا وثقافيا ، ان شرط كل ذلك رهن بتوسيع ملكية الدولة وتقليص ومراقبة الملكية الرأسمالية والعقارية الخاصة وتمهيد الطريق لطرح أسس بناء الاشتراكية** » .. فالدول المستقلة حديثا لا تستطيع ، حتى وان أرادت لها برجوازيتها ، ان تعيد سيرة التطور الرأسمالي التقليدي ، فالتخلف المرير الذي تعيش تحت وطاته والقهر الاستعماري الذي عانت منه طويلا وغروب العصر الامبريالي .. كل ذلك لا يسمح لبرجوازية ضعيفة البنية أن تتخيل مستقبلا مماثلا لحاضر وماضي الدول الرأسمالية المتقدمة ، كما أنه لا يشجع رأسمالها المحلي الصغير على المغامرة بمشروعات طويلة الاجل تدر ربحا اكبر . ومن ثم أصبحت التنمية الاقتصادية والتخطيط القومي وتدخل الدولة عناصر رئيسية في بناء المجتمع المستقل حديثا من براثن الاستعمار . وهكذا أصبحت قوانين الاصلاح الزراعي والتأميم من المشروعات الرئيسية لكل سلطة سياسية تولت مقاليد الحكم في بلد متخلف ورث الفقر والانحطاط الحضاري الطويل من الحكم الاستعماري . ولم تجد هذه السلطات الجديدة في بلدان العالم الثالث ، على اختلاف حظوظها من التقدم الفكري والفعالية الوطنية ، خيرا من « الاشتراكية » لافتة ايديولوجية تبرر بها كافة الاجراءات الاقتصادية والسياسية التي تتخذها ، مهما بعدت هذه الاجراءات عن طريق التطور الاشتراكي خطوة أو خطوات . وكان الرداء « القومي » لاشتراكيات هذه البلدان هو أفضل الثياب التي تبرر بها هذه السلطات كل خروج جوهري على مبادىء الاشتراكية الحقيقية . غير أن هذا لا ينفي الطابع الوطني المستقل لكافة هذه الاجراءات التي نفذها قادة هذه الدول وفق توازنات القوى الطبقية في بلادهم ، كما أن هذا لا ينفي الطابع التقدمي الذي يصل أحيانا الى درجة الاصلاح الجذري والثوري في بعض هذه الاجراءات . غير أنه — كما يقول الدكتور صفاء الحافظ — هناك اتجاهان مختلفان يبرزان على صعيد الدول المتحررة « **اتجاه يريد احلال الرأسمالية المحلية مكان الامبريالية ، واتجاه آخر يريد انجاز الاستقلال الاقتصادي واقامة مقدمات النظام الاشتراكي المقبل .. ومن الواضح أن أهداف كلا الاتجاهين قد تلتقي في العديد من النقاط ولكنها تختلف حتما في عدد أكبر منها** » .

ولا يغفل الاستعمار الجديد أهمية الاتجاه الاول في تسهيل مأموريته موضوعيا ، فيركز من ناحيته على هذه الشرائح من البرجوازية الوطنية باغرائها ببعض فتات استثماراتها (الوكالات التجارية والعمولات من الصفقات ، وفروع بعض الشركات) كما أن الاحتكارات الاجنبية تغير من أسلوبها في التعامل مع هذه البلدان ، فلا تتصل بمن كانوا يوما عملاءها المباشرين وانما تتصل بوجوه جديدة لها تاريخها الوطني ، وان تحفظت على النظام السياسي الجديد من وجهة نظر مصالحها الانانية الضيقة .. عندئذ تنزلق الى ايدي الاحتكارات الامبريالية ويحتد التناقض بينها وبين النظام التقدمي الى أن تعاديه في السر والعلانية وتتحين الفرصة للانقضاض عليه . ومن ثم كان السماح للفئات العليا من البرجوازية الوطنية بالنمو واحتلال مراكز قيادية ومواقع أساسية في الاجهزة والمؤسسات السياسية والاقتصادية « **يؤدي الى سيطرة الرجعية عاجلا أو آجلا** » ولا ينبغي أن نقيس حجم الخطر الرأسمالي بالمظهر الخارجي للرأسمالية وانما بطبيعتها الطبقية الاصيلة « **وهذا لا يعني بالضرورة وفي كافة الظروف أن الرأسمالية الوطنية معادية للثورة ، ولكن الحذر من طبيعتها المغامرة أمر ضروري لحماية الثورة الشعبية** » .. كما أن الرأسمالية الوطنية ليست ظاهرة جامدة ، فالموقف منها يحدد الكثير من مواقفها ، موقف الاستعمار الجديد وموقف القوى الثورية سواء بسواء « **ان الذي يضعف تأرجحها وانحيازها الى جانب العدو هو متانة السلطة الشعبية وقيادة الطبقة العاملة للتحولات الاشتراكية** » .

ويشير الكاتب الى حكم البرجوازية الصغيرة في بعض هذه البلدان المتخلفة وما تتخذه أنظمة هذا الحكم من اجراءات تقدمية .. ولعل سلطة البرجوازية الصغيرة من أحدث الظواهر في العالم المعاصر حيث كانت تقف دائما في حالة ذبذبة بين حجري الرحا : البرجوازية والطبقة العاملة . ولكن ما يسمى بالعالم الثالث قد استطاع أن يجد للبرجوازيات الصغيرة مكانا على قمة السلطة في ظل الضعف المزدوج للطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية . ولا تتخلى البرجوازية الصغيرة بطبيعة الحال عن طبيعتها الطبقية المترددة بين الانحياز للشعب العامل والانحياز لرأس المال الخاص بمجرد وصولها الى الحكم . . ولكن المناخ السياسي لانتصار الاشتراكية على الصعيد

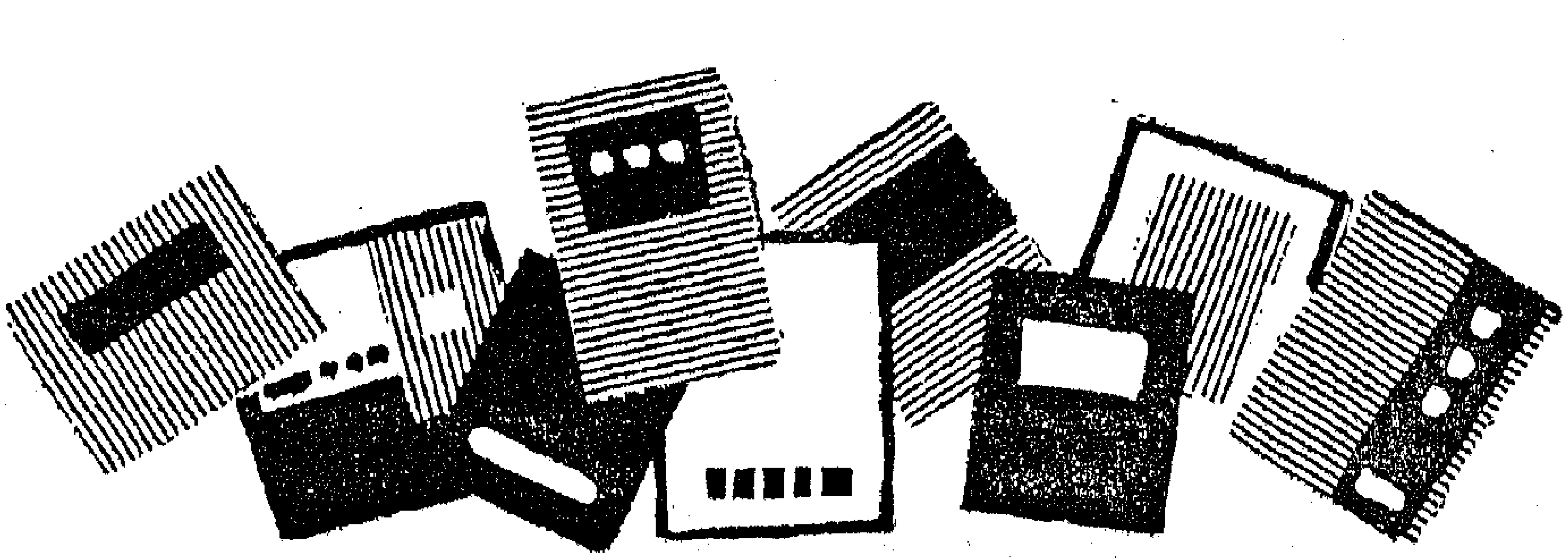
العالمي ، والمناخ الاجتماعي لحاجة البلد المتخلف الى معدل سريع للتقدم ، كلاهما يساعد البرجوازية الصغيرة في قمة السلطة على انجاز بعض الاجراءات التقدمية . هذه الاجراءات التي لا يمكن وصفها بسهولة أنها اجراءات اشتراكية ، ولكنها بغير شك تمهد الطريق الضروري للتطور الاشتراكي ، .. فخلال عملية القضاء على مخلفات الاقطاع ، وتوسيع القطاع العام في الاقتصاد وتدعيمه ، وتحديد الفوضى الرأسمالية الخاصة وحصرها ، تتقلص القاعدة المادية لسلطة البرجوازية الكبيرة وتنسف وتضعف قواها وتقلل الى درجة كبيرة امكاناتها في المناورة » .. وبتطبيق هذه الاجراءات تتدعم « مواقع القوى التي تسعى الى الاشتراكية » . ولا يعني ذلك مطلقا أن هذه الاجراءات المشار اليها سوف تسد الطريق نهائيا أمام التطور الرأسمالي ، وانما الصراع الطبقي المرير ، وميزان القوى الاجتماعية ، وموقف السلطة السياسية القائدة من ديموقراطية الشعب العامل ، هي التي ستحدد مصير هذه المؤسسات والاجهزة الوليدة ، ذات الطابع الوطني والتقدمي : هل ستطور الى جهاد طبيعي للاشتراكية ، أم أن الرجعية ستفلح بمعونة الاستعمار في احتوائها وتحويلها الى قلاع تحمي الرأسمالية وحصون للاستعمار الجديد ؟ لقد أجابت التجارب حتى الان بان كلا الاحتمالين قائم وممكن .. وبالتالي فواجب الثوريين ، كل الثوريين هو الحيلولة دون سقوط هذه المنجزات في يد العدو الطبقي والامبريالي على السواء ..

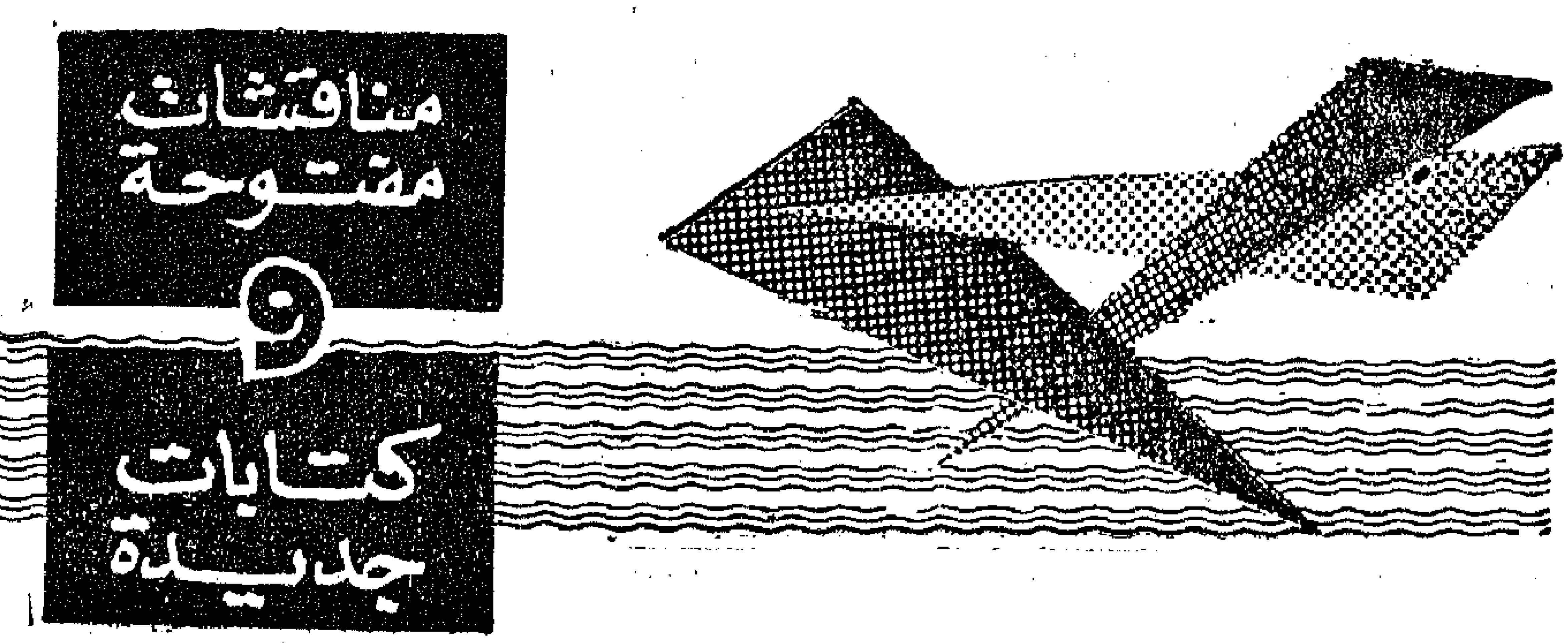
● ● ●

وعن دور الاديب في المعركة ضد الرجعية والاستعمار كتب **الدكتور صلاح خالص** في بحثه القيم أن « حرية الفنان تتمثل في اختياره الحر لطبيعة الموضوعات الفنية التي يعالجها والافكار الفنية التي يعبر عنها والاساليب الفنية التي يتبعها للوصول الى هذا الغرض ، وأخيرا في سيطرته على النتائج التي تترتب على انتاجه الفني بعد أن ينطلق من نفسه ليصبح ملكا للجمهور .. وتأخذ هذه الحرية معناها الصحيح كلما كان الفنان اعمق اطلاعا وأوسع معرفة بالموضوعات التي يعالجها والافكار التي يعبر عنها ، والاساليب التي يستعملها ، والدوافع التي دفعته الى كل ذلك .. وكلما كان أكثر ادراكا لاهمية النتائج التي تترتب على الاتصال بين انتاجه الفني والجمهور » . ويحلل الكاتب بعد ذلك تحليلا مستفيضا عوامل السلب والايجاب التي تحكم الحركة الادبية العربية ، ويدعو في النهاية الى توحيد عناصر الثقافة الثورية في بوتقة النضال المرير ضد الاستعمار والصهيونية والرجعيات المحلية .

ان « **الثقافة الجديدة** » تمثل مرحلة جديدة من مراحل التقدم الفكري في العراق ، بالاضافة الى مشاركتها الفعالة في بناء ثقافة علمية تقدمية على الصعيد العربي . ولا ريب أن غلبة الحوار الديموقراطي بين القوى الثورية في المجتمع الواحد ، وفي الوطن العربي ككل هو أعمق الاساليب رسوخا في الوجدان وأكثرها فعالية في العقل والضمير .. ذلك أن الصوت الواحد لا يغتني بصداه ، وانما يزداد ثراء بتعدد الاصوات من حوله ، والصراع الموضوعي الحر يخلق التيار الاكثر تقدما .

و « **الثقافة الجديدة** » صوت قديم جديد ، قديم في نضاله جديد في فكره .. وسوف يظل الدرب دائما بحاجة الى هذه المشاعل التي تبدد الظلمة في غير ما هوادة .





لمشكلة الامية ، فى مجتمعنا ، أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية .. تجعل منها واحدة من القضايا القومية التى تشغل اهتمام كل الوطنيين والتقدميين فى بلادنا . وفى هذا المقال ، يتناول الدكتور أحمد حجى — من سندوب ، بالدقهلية — هذه القضية الهامة على ضوء ظروف مجتمعنا وطموحه الى بناء الاشتراكية وانجاز مهام خطة التنمية .

محو الأمية .. ضرورة اشتراكية

د. أحمد حجى

قد يقول البعض .. ما أهمية الدعوة للقضاء على الامية فى ذلك الوقت بالذات ، والوطن يعانى من محنة قاسية ألمت به ؟؟ والاجابة هى أنه يجب أن يلصق بشعار النصر على العدو .. شعار النصر على الامية كواحدة من مخلفات الاستعمار والرجعية .

لماذا الامية ؟

وأمية الشعب — أى جهله بالقراءة والكتابة — سهلت للاستعمار الانجليزى وحليفته الرجعية المصرية تسخير العمال والفلاحين ونهب ثمرة عرقهم وكدحهم اليومى . وكان الفقر هو النتيجة .

وأصبح العلم حلما صعب المنال أمام العمال والفلاحين . وثمة سببا آخر ... فلكى تظل مصر مزرعة قطن خصبة لمصانع لانكشير بانجلترا ، ولكى تتدفق الملايين فى جيوب كبار الرأسماليين ، كان لابد من ابعاد العمال والفلاحين عن المشاركة فى وضع سياسة البلاد . عملا بشعار (الشعب الجاهل أسلس قيادا من الشعب المتعلم) . ويتضح ذلك أيضا من حرص الانجليز على الحد من انشاء المدارس ، والعمل فى نفس الوقت على نشر الكتاتيب فى القرى بشكل واضح . ويبدو أن كبار الملاك المصريين لم يختلفوا مع الانجليز فى ذلك . ففى حديث للبدراوى عاشور (باشا) فى مجلة المصور سنة ١٩٤٠ قال بالحرف الواحد (يجب أن يكتفى ابناء القرية بحفظ القرآن ومبادىء القراءة والكتابة والحساب . ولذلك كنت مخالفا لوزارة المعارف فى نظام التعليم الالزامى الذى تسير عليه

الآن) وهذا بالطبع ما كان يوافق عليه بقية كبار الملاك أيضا • وكانت النتيجة : الامية بين العمال والفلاحين تصل الى ٨٥ فى المائة والتعليم المتوسط والعالى من حظ ابناء الاسر المالكة والقادرة وحدها •

محاولات •• ولكن

ولقد قامت وزارة « المعارف العمومية » بانشاء قسم خاص لمحو الامية • لكنه ظل يتعثر فى الروتين الحكومى • كذلك قامت وزارة الشئون الاجتماعية قبل الثورة بمحاربة الثالوث الاجتماعى (الفقر والجهل والمرض) ، ولكن تلك الاجتهادات لم تأخذ صورتها الجادة كعمل ثورى ، بل كانت تتم فى شكل عمل اصلاحى فقط • وبعد ثورة يوليو ، انشىء مركز لدراسة المشكلة وبحثها فى سرس الليان ، بجانب القسم الخاص بمحو الامية فى وزارة التربية والتعليم • وفى الحقيقة فان تلك الخطوات جميعها تتعثر حتى الان ولا تجد اقبالا من الفلاحين • حتى لقد كنت أرى الفلاح أو العامل ذاهبا الى فصول القسم الليلى على مضض خوفا من الغرامة أو أى جزاء آخر •

ما السبب فى ذلك التعثر ؟

السبب هو أن وزارة التربية والتعليم تضع منهاجا جافا لا يتجاوب مع المشكلات الحياتية للفلاحين والعمال ولا يعايش واقعهم • ان برنامج التربية والتعليم لمحو الامية وضع بطريقة روتينية بعيدة كل البعد عن أحلام الامى فى طلب العلم • بل والمادة الدراسية بالكتب تخاطبه كأنها تخاطب رجلا ساذجا ، أو طفلا فى المدرسة الابتدائية . خذ مثلا : كيف ينطق فلاحا عمره أربعون عاما (كامل له بيت •• كامل يحب بيته) و (ماما قالت لعادل اشرب اللبن يا عادل) •• الخ

ومن اجل ان نعلمه ، يجب ان تكون المادة التى ندرسها له مبنية على حقائق تاريخية • عن بطولاته وتاريخ نضاله الوطنى ، وعن هزيمة الاستعمار والقوى الرجعية ، وعن الارض ، والمصنع ، والاشتراكية • أى ان الامى فى حاجة الى مادة دراسية تحرك فيه التعطش الى الحرية والعلم •

الامية •• والاشتراكية

لقد كانت الامية فى مصر تبلغ ٨٥ فى المائة بين عدد السكان ، ثم بدأت تلك النسبة المرتفعة فى الهبوط على مدى عشرات السنين الطويلة . أى ان مجتمعنا الذى يبنى الاشتراكية العلمية يضم ١٢ر٥٨٨ر٠٠٠ أمى . فكيف يبنى الاميون مجتمعا اشتراكيا ؟ لقد قال احد فلاسفة الاشتراكية ان (الامى يقف خارج السياسة) . فالامى يجهل أصول العلوم والفلسفة والسياسة ، فى وقت يدخل فيه الانسان الى عصر القمر والفضاء ، وعصر تعددت فيه الطرق المختلفة لتطبيق الاشتراكية •

وتعد الامية معوقا أمام التحول الاشتراكى فى بلادنا •

فمن **الناحية السياسية** ، فالامى بحكم جهله يعيش بعيدا عن السياسة ودراستها .

والامية قضية المثقفين أيضا ، حيث ان قاعدة القراء ضيقة ويمكن أن نطلق على المثقفين بسهولة (الكتاب القارئين لانفسهم) ذلك لان نسبة من جماهيرنا هم من خيرة القوى الثورية والمنتجة ، لا تقرأ • ويؤكد ذلك ما صرح به وزير الثقافة من أن توزيع الكتاب ما زال يعانى مشكلة انتشاره بسبب الامية • وفى الوقت الذى يزداد فيه المثقفون تخمة فوق تخمة من الدراسة الفكرية والنظرية يزداد هبوط المستوى الثقافى للفلاحين والعمال لجهلهم بالقراءة والكتابة • وتزداد الهوة الفاصلة بين المثقفين والجماهير • والامية من العوامل التى تؤثر فى عملية التحام الكتاب والفنانين بالجماهير فى الوقت الذى يجب فيه أن يكون للثقافة والفن والادب دور خلاق فى دعم الاشتراكية •

وهى **قضية الانتاج** أيضا • وقد دلت الاحصائيات على أن العامل المتعلم يقف أمام الالة لينتج أكثر لانه يتعامل معها بشكل اسرع وأحسن • أما العامل الامى فانه يقف أمام الآلة بلا علم وبانتاج ضئيل • والامية تؤثر تأثيرا واضحا فى الانتاج والدخل كما تقلل من ملكة الابتكار •

كذلك فالرجل الامى يفكر تفكيرا قدريا اتكاليا يمنعه من الانطلاق مع آفاق العلم والمعرفة • وتمنعه من الاستجابة لثورة العصر • وذلك التفكير أيضا من الاسباب المعوقة للاشتراكية والتى نلاحظها كثيرا بين الفلاحين والعمال •• صلب البناء الاشتراكى •

تجربة « فلتسقط الأمية »

فى أحد الاحياء الشعبية بمدينة المنصورة فتحنا فصولا لمحو الامية تحمل اسم (**فلتسقط الامية**) . وانضم الى المشروع ما يقرب من مائتى عامل من عمال المضارب والمصانع والورش . وكان العمل يجرى بالتطوع . وفى كل خميس كان الاميون مدعوين لعرض سينمائى فى عرض الطريق . وفى احدى الحفلات خرجت من بين الصفوف سيدة وقالت :

« لماذا لا تفتحوا فصولا للنساء ايضا . ؟ »

قلنا تلك مشكلة جديدة . كيف ستخرج المرأة بسهولة الى الدراسة وطلب العلم . لكننا كنا قد أخطأنا التقدير فقد بلغ عدد الدارسات بالمشروع ١٣٠ سيدة وفتاة يشغلن أربعة فصول . وفى قرية **سندوب** كنا نفتتح أربعة فصول أيضا للفلاحين . وقد كانت الفصول ممتلئة عن آخرها ، والاقبال لا يتوقف . فى الوقت الذى كانت فيه فصول وزارة التربية والتعليم لا تجد دارسا واحدا . والسبب فى نجاح المشروع هو أننا كنا نتجه فى بداية العمل وبدلا من تعليم الاميين أحرف الهجاء أولا كما تفعل وزارة التربية والتعليم ، الى فتح مشاكل وقضايا سياسية حيوية . ثم تكتب احدى العبارات ويقرأها المدرس مثل (كسر ختمك وأمسك بالقلم) (أطلبوا العلم ولو فى الصين) (يا بناة الاشتراكية . . حطموا قيود العبودية وابنوا مجتمع الرخاء) (لتسقط الامية) . ويردد الاميون مع المدرس تلك العبارات ثم يتعلم منها أحرف الهجاء بعد ذلك ويكتبها عدة مرات .

كما كنا نهتم بدراسة الحركة الفلاحية للفلاحين ، والحركة النسائية للنساء ، والحركة العمالية والنقابية لعمال المصانع ، وكانت مادة الدراسة تهدف الى تعليم الامى القراءة والكتابة ، والاهم من ذلك أن تغرس فى نفسه أصول الحرية وتحطم التقاليد والعلاقات المتخلفة والرجعية التى تعلق بذهنه . وليكن كل حرف من حروف الهجاء بداية لكلمة ثورية ترفع كلمة العمال والفلاحين عاليا . وكانت تلك الكلمات تفجر فى الامى الرغبة الاكيدة فى طلب العلم . وأصبحت قضية الامية قضية الدارسين أولا وأخيرا . وكما يقول فلاسفة الاشتراكية انه (ينبغى لقضية النضال ضد الامية . . ضد الجهالة ، أن تصبح قضية الشغيلة أنفسهم) . لذلك لم يكن يتغيب أحدا . وكان البعض ينفعل قائلا (اكتبوا لنا على جدران البيوت وفى الشوارع والمقاهى وفى كل مكان . اجعلوا كل مكان ينطق بالعلم) . وذلك نتيجة وضع الافكار الثورية ومشكلات العمال والفلاحين والنساء الراهنة فى مادة الدراسة . بينما كنا نجرب مع الامى كتب وزارة التربية والتعليم (كامل له بيت . . سعيد له غيط الخ) وكنا نلاحظ ان الفلاح يستسخف أن ينطق تلك الكلمات . أما تلك التى تحمل معانى الثورة ومشكلاته الحيوية ، فانه يحفظها عن ظهر قلب .

وفى مادة الحساب كنا نحول المسائل الحسابية من أرقام مجردة الى قصص للمناقشة . حول الاقطاع والفلاحين . قانون الاصلاح الزراعى . علاقة العمال بصاحب العمل . ولا يفوت الامى أن يجرى حوارا حول المعنى السياسى للمسألة الحسابية ، مثلا (عامل يشتغل فى ورشة حدادة بأجر يومى ٢٥ قرشا تضايق منه صاحب العمل وخصم من أجره يومان . كان العامل يفكر فى تأمين مستقبله . لنتركه يتوصل الى حل . لكن ما هو مرتبه فى نهاية الشهر) .

ولكى يصبح الامى رجل سياسة . كنا نقسم المشروع الى ثلاثة أقسام :

أولا : أميون ، لا يعرفون القراءة والكتابة .

ثانيا : أشباه أميين ، يعرفون القراءة ولا يعرفون الكتابة أو العكس .

ثالثا : مجموعة للتثقيف السياسى والاجتماعى .

والمجموعة الاخيرة كانت تضم العمال والفلاحين المتنورين وكنا نزودهم بالكتب حول تاريخ الحركة الوطنية وحول المشاكل الفلاحية والعمالية . وكل اثنين نعقد معهم ندوة للمناقشة . وفى اوقات أخرى كنا نترك بعضهم يشارك فى التدريس . ليشرح لزملائه كيف تعلم وكيف طور مستواه الثقافى . كما كان يشارك البارزين منهم فى تحرير مجلة الحائط الخاصة بالمشروع ، شارحين أهمية القضاء على الامية فى تلك المرحلة .

القضاء على الامية . .

ضرورة وطنية واشتراكية

ان بداية الطريق الحقيقية هى العمل المشترك بين المثقفين ، وجماهير العمال والفلاحين فى محو الامية . وهناك سياسيون وكتاب شرفاء وضعوا تلك القضية فى مكانها الصحيح . ان هوشى منه كان يدرس بنفسه فى أحد الفصول ، وكان يعلن لشعبه (لكى نطرد الاستعمار ونحافظ على أرضنا ونزيد انتاجنا لابد أن نتعلم القراءة والكتابة) . وقد أغلق كاسترو الجامعات فى كوبا لمدة عام تشارك فيه القضاء على الامية . وفى الغابات كان جيفارا يعلم الفلاحين حتى يكونوا اقوى ثورية لا تقهر فى النضال من أجل الثورة . وكان الكاتب الكبير مكسيم جوركى يعتبر الفترات التى كان يقضيها فى مدارس محو الامية دافعا للدارسين لان

يبذلوا جهداً أكثر من أجل الثورة ، هو أيضاً فى صالح الادب .

ذلك لانهم يعتبرون قضية الامية قضية قومية تكرس لها الدولة كل امكانياتها ويشارك قادتها ومثقفوها مع الجماهير بروح حازمة فى دحرها الى الابد .

انه يجب أن تكون معركة القضاء على الامية معركة قومية تقوم عليها الاجهزة السياسية والثقافية وأجهزة الاعلام .. مع اعطائها فترة زمنية محددة .

اننا نود أن يتعلم الامى ليصبح رجل سياسة لنقضى على تلك النغمة الشاذة والتى ترددها عناصر الثورة المضادة حول جهل الفلاحين والعمال ، وحول قدراتهم المتخلفةعلميا ، وان ذلك يدعوا الى ضرورة ابعادهم عن مجالات العمل السياسى .. تلك النغمة التى تعلو فى كل وقت ينشط فيه العمل الوطنى ويتدعم ..فهميسخرون قائلين :

- كيف يجلس الفلاحون والعمال فى المقاعد السياسية وهم لا يعرفون شيئا ؟

- انه لهدف جليل أن يعمل المثقفون فى جيش ضخم يسحق الامية ولتعليم العمال والفلاحين ولدحر الرجعية فى التضييق على حركة الطبقة العاملة من النمو .

ان هذا الجيل من الشباب المثقف عليه مهمة تنوير الشعب وسحق القيود التى تعوق مسيرته .

وعليه مهمة خلق مبادىء وقيما جديدة فىحياتنا . مع اعتبار أن دعوة المثقفين فى المدينة للنزول الى القرى لتطويرها هى دعوة مجدية ، كما أثبتت التجربة . ولكن الدعوة الحقيقية الان هى دعوة المثقفين فى الريف بالبقاء فيه كجنود ثوريين للثورة الثقافية والتى يجب أن تكون معركة الامية هى البداية والمنطلق للعمل فى الريف .

وأنا أقصد بعمل المثقفين والكتاب مع الفلاحين فى القضاء على الامية ، هو تطويع احساساتهم لاحساسات الشعب واثراء أدبنا وفنوننا من تجارب عمل مثمرة حقا .. كذلك تنشيط الحركة الثقافية والفكرية وحركة النشر باعتبار ان للكتاب اهمية رغيف الخبز أيضا . كذلك الالتحام بقوى العمال والفلاحين ومعايشتهم لتعليمهم وتثقيفهم ، بل والاروع من ذلك (اعداد القراء الجدد) لادبنا وفنوننا . وكم من القضايا الادبية ستحل نتيجة ذلك ومنها قضية الفصحى والعامية والتى تثار بين حين وآخر .

ان مشاركة المثقفين والكتاب والفنانين مع جماهير الاميين فى القرى والمصانع والحقول والمقاهى ، فى العمل من أجل العلم والتربية السياسة ، لهى جديرة بأن تكون البداية لحركة سياسية واسعة . فهى أولا وأخيرا بداية لطريق طويل فى حياتنا الثقافية لحل مشكلات عديدة فى الادب والفن وقضايا السياسة . وستكون نقطة الانطلاق بدون شك هى الحملة ضد الامية على المستوى القومى .

مناقشات مفتوحة

لجنة لنصرة الشعوب العربية فى درسدن

جاءنا البيان التالى من الطلبة العرب الذين يدرسون فى درسدن : بدعوة من اتحاد روابط طلبة البلدان العربية فى درسدن بمناسبة ١٥ أيار اجتمع الطلبة العرب وخرجت الندوة بالبيان التالى :

ان تحرير فلسطين منسيطرة الصهيونيةوعودة الشعب الفلسطينى الى دياره وحصوله على حقوقه المغتصبة ، بما فيها حقه فى تقرير مصيره ، هى قضية استراتيجية هامة لحركة التحرر الوطنى العربية . ان النضال الذى يقوم به الشعب الفلسطينى اليوم على اختلاف اشكاله من نضال مسلح الى مقاومة شعبية تدعمه كافة الجماهير العربية . ويلقى مساندة هامة من الانظمة التقدمية فى الوطن العربى .

ولاول مرة يظهر الوجه العادل للقضية الفلسطينية أمام الرأى العام العالمى ، يجذب لها باستمرار اهتمام وعطف اوساط واسعة من صفوف الرأى العام العالمى والتقدمى • ان حل القضية الفلسطينية حلا ثوريا وعادلا يستلزم مراحل تمهيدية ، ويتطلب من الشعوب العربية مواجهة القضية الانية والمهمة الرئيسية حاليا وهى تصفية آثار العدوان • ويتطلب ذلك تحقيق ما يلى :

● تدعيم النظم التقدمية فى العالم العربى وخاصة الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية ، والاعتماد على كافة القوى التقدمية المخلصة فى هذه البلدان ، وتوسيع الديمقراطية لكافة القوى التقدمية وزيادة الثقة بهذه القوى •

● ان وحدة القوى التقدمية عامل هام لازالة آثار العدوان •

● رفع القدرة الدفاعية لكل بلد عربى وخاصة المعرض للعدوان ، وتنسيق عسكرى بين الدول العربية المتحررة وتقوية جميع الجبهات الدفاعية المعرضة لهجوم العدو •

● استخدام كافة الوسائل والاساليب السياسية والعسكرية والاستفادة من المساعدات والدعم الذى يقدمه المعسكر الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفيتى •

● دعم المقاومة الفلسطينية بجميع اشكالها ، ودعم العمل الفدائى والمقاومة المسلحة فى المناطق المحتلة •

● المطالبة بتنفيذ قرار مجلس الامن رغم نواقصه ، اذ يتضمن القرار كنقطة رئيسية سحب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة •

ويؤيد المجتمعون فى ندوة ١٥ آيار أن تتكون لجنة لنصرة الشعوب العربية فى درسدن من ممثلى طلاب البلدان الغربية وممثلى جمعيات الصداقة والتضامن المختلفة وممثلى الطلبة الاجانب •

كذلك اقرت رسالة للحكومة اللبنانية من المجتمعين وهذا نصها :

نحن طلبة البلدان العربية فى درسدن ، المجتمعين بمناسبة ١٥ايار بدعوة من اتحاد روابط طلبة البلدان العربية ، نعلن للحكومة اللبنانية عن استيائنا لما حدث بتاريخ ٢٣ ــ ٢٤ نيسان من هذا العام ونطالبها بما يلى :

١ ــ السماح بحرية العمل الفدائى ومنع اى تعرض له ، وفك الحصار عن الفدائيين الابطال •

٢ ــ معاقبة المسئولين عن اصدار الاوامر باطلاق الرصاص الذى كان يجب أن يوجهه الى صدور الصهاينة والخونة لا على المظاهرات السلمية •

٣ ــ اطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين وضمان الحريات الديمقراطية لجميع الفئات التقدمية •

طلبة البلدان العربية فى درسدن

■ ■ ■

بيان من وحدتى «الحنفى» و«سنقر»

وجاءنا من وحدتى الحنفى وسنقر ــ منظمة الشباب الاشتراكى ــ لجنة السيدة زينب ، بيانا أصدرته « فى ذكرى ٥ يونيو » ، ننشر بعض ماتضمنه :

لقد ظهر واضحا انه لابد من بنيان عسكرى قوى موحد الملامح تصطف فيه كل القوى العربية المسلحة مدعمة ومسنودة بوحدة اقتصادية متينة مع وحدة الفكر التى تتناسب مع وحدة الهدف ، والى جانب هذا كله ، كان لابد من هزة قوية تطيح بكل القيم البالية وقد طالب الشعب بالتغيير ، فكان بيان ٣٠ مارس دليلا للعمل فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا وبدأت الجماهير فى اعادة بناء تنظيمها السياسى القائد بالانتخاب من القاعدة الى القمة ، وتم اعادة بناء وتنظيم وتسليح القوات المسلحة على أحدث النظم العلمية ولقد أثبتت معارك القناة تفوق القوات المسلحة المصرية أمام الرأى العام العالمى .

ان مرور عامان على وجود الاحتلال الصهيونى فى ارضنا لايؤثر فى عزمنا على السعى من أجل النصر والثأر لشهدائنا الامجاد . ان مرور عامان على هذا الاحتلال البغيض للارض العربية لم يؤثر فى صمود جماهير شعبنا فقد أثبت الشعب اصالته .. وهذا الموقف ليس الا امتدادا لمراحل النضال الطويلة خاضها اجدادنا الذين تتطلع الينا ارواحهم اليوم تنتظر منا فداء واستشهادا واستبسالا .

يا جماهير شعبنا

مزيدا من الوعى .. ومزيدا من الصلابة .. ولنعمل بقول الله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا.

ياشباب العروبة مزيدا من العمل المخلص الخلاق ولندعم القيم الدينية والروحية ونضع فى الاعتبار أن اخوة لنا فى النضال على خطوط الجبهة .. فى الارض المحتلة يواجهون الموت فى كل لحظة من أجل حق شعبنا فى الحياة والحرية والكرامة .. وعلى هذا الطريق فليتنافس المتنافسون .

والمجد لجماهير شعبنا .. والمجد لشهدائنا .. عاشت أمتنا طليعة للنضال ومنارة للتقدم ومدافعة عن الحق والسلام ..

ملف خاص



شبلى شميل .. رائد الفكر العلمى فى مصر

اعداد
رفعت السعيد
وغالى شكرى

شهدت مصر منذ أواخر القرن الماضى بوادر النهضة الفكرية التى ايقظتها من سبات طويل .. وقد شاركت فى بناء هذه النهضة أيد كثيرة ، تجاورت فيها الشرايين المصرية جنبا الى جنب مع الشرايين العربية الاخرى التى عثرت فى مصر على قلعة حصينة من قلاع الفكر الحر ، كما عثرت فيها على تربة خصبة لاستنبات البذور الفكرية الجديدة فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد درجت « الطليعة » على تقديم رواد هذه النهضة كرفاعة الطهطاوى والعقاد وسلامة موسى .. وفى هذا الملف الجديد تقدم وجها لامعا من وجوه نهضتنا المبكرة ، هو المفكر العربى شبلى شميل الذى وفد من « الشام » ابان النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثم أمضى بقية حياته فى نضال مرير من أجل الفكر العلمى وحرية العقل .

■ ■ ■

الحقيقة أن تقال .. لا أن تعلم

رفعت السعيد

لقد شهد تاريخ مصر كثيرا من المعارك الفكرية بين دعاة العلم ودعاة التخلف ..

وفى ١٨٧٦ نشبت واحدة من هذه المعارك الضارية ، بدأت بمقال نشر فى جريدة المقتطف حول «دوران الارض» أكد فيه كاتبه (يعقوب صروف) أن موضوع دوران الارض حول نفسها وحول الشمس « صار أشهر من نار على علم ، واوضح من الصبح لذى عينين وتحققت صحته لكل ذى عقل سليم يطالع ويفهم .. »

وتنفجر ضجة عنيفة يقودها بعض رجال الدين مؤكدين مخالفة هذا القول لتعاليم الكتب المنزلة ، ويتزعم هذه الضجة ارشمندريت الكرسى الانطاكى ببيروت والاب جبريل جباره الذى كتب مقالا ساق فيه عديدا من الادلة الدينية التى تؤكد ثبوت الارض وعدم دورانها .

ويتقدم انصار العلم محاولين الدفاع عن مراكزهم ،ويتزعم هذا الدفاع مصطفى رياض باشا وعبد الله فكرى باشا وعبد الله ابو السعود ليدافعوا عن العلم الحديث ، والعلوم الطبيعية ، مؤكدين عدم مخالفتها للدين ..

وقد اتفقت هذه الاطراف « على احكام المناورة لتأييد قضية الموافقة بين العلم والدين حتى لا يتعطل - بحركة المحافظين - سير العلم الطبيعى وتقدمه فى البلاد العربية التى كانت ولا تزال فى أشد الحاجة اليه » (١)

.. فى مثل هذا الجو الذى يشدد فيه المحافظون

(١) لمزيد من التفاصيل راجع محمد عبد الغنى حسن فى كتابه عبد الله فكرى - سلسلة اعلام العرب ص ١٩٩ وما بعدها .

الهجوم ويلجأ فيه أنصار العلم الحديث الى المناورة والتحفظ يصل شبلى شميل الى القاهرة ليفجر الموقف كله بصيحات مدوية شجاعة .. بل ومتطرفة فى عنفها .

فشميل يحكمه مبدأ اساسى « الحقيقة أن تقال لا أن تعلم » .

فليس يكفى أن تعلم الحقيقة لكن يتعين عليك ان تقولها .. مهما كلفك ذلك من تضحية .. وهو يوجه حديثه الى قرائه صريحا بغير تغليف واضحا ومباشرا بغير مناورة .

وعلى غلاف كتابه الاول « فلسفة النشوء والارتقاء » يوجه حديثه الى القارىء قائلا « طالع هذا الكتاب بكل تمعن، ولا تطالعه الا بعد أن تطلق نفسك من أسر الاغراض لئلا تغم عليك نفسك وانت واقف تطل على العالم من شرفة عقلك تتلمس الحقيقة من وراء ستارها »

وفى مكان آخر يتحدث الى قارئه فيقول « اليك أكتب أيها القارىء العاقل ، العاقل المتأمل ، ولا أطلب منك علما واسعا وفلسفة بديعة وحكمة بليغة ، بل اطلب منك عقلا حلت قيوده وتفتحت منافذه، وأقام التفكير مقام الاعتقاد، والبحث مقام المقرر ، يقدر مستنتجات العلم قدرها ، ولا يبخس مستنبطات العقل حقها » (٢)

الى هذا النوع من القراء وجه شميل دفاعه الشجاع عن العلم والعقل .. لكن من هو شميل ؟

ابن واحد من أعيان الريف اللبنانى ، ولد فى قرية كفر شمعا فى أسرة مثقفة فاخوه الاكبر وليم كان مدرسا مولعا بالفلسفة والعلوم الطبيعية ، واخوه الثانى امين كان محاميا .

ودرس شميل الطب فى كلية البروتستانت فى سوريا وتخرج طبيبا فى عام ١٨٧١ .. وفى عام ١٨٧٥ توجه الى أوربا حيث قضى عاما كاملا يدرس نظرية التطور وآخر ما وصلت اليه العلوم الطبيعية وعلم التشريح .

.. وبعد ذلك جاء الى مصر ، ليمارس الطب ويصدر مجلة طبية أسمها « الشفاء »

لكن شميل لم يكن مجرد طبيب فقد دخل معركة الدفاع عن العلم واهبا اياها الجزء الاكبر من وقته وجهده وتوالت مقالاته فى عشرات من الصحف لتناقش مسائل شتى فى الفلسفة والطبيعة والادب والشعر والسياسة والقانون ، وحقوق المرأة ، والاجتماع ، وقضية الحرب والسلام .. وموضوعات اخرى عديدة .

لكن المعركة الكبرى تتفجر عندما يصدر شميل كتاب «فلسفة النشوء والارتقاء» وهو ترجمة لكتاب بخنر Buchner « ست محاضرات حول نظرية داروين » [٣]

وتثور الضجة عنيفة وبحجم حتى اخلص اصدقاء شميل عن مساندته ..

ويعلق شميل على هذه الضجة قائلا :

« لقد احدث نشر هذا الكتاب يومئذ لغطا عظيما مع انه لم يطبع منه الا خمسمائة نسخة — لم تنفد الا بعد خمس عشرة سنة — لغط تليله من الخاصة المعدودة فقاموا ينفونه كله او بعضه كل على قدر علمه او حسب هواه ، وكثيره من العامة الذين أكثروا من الجلبة عن سماع، لاعن مطالعة ، لانهم سمعوا ان فيه مساسا بأعز شىء لديهم هم عليه حريصون عن ارث وعادة لا عن تدبر وروية »(٤)

وقد واجه شميل الاعصار وحده ، حتى اصدقاؤه ومؤيدوه احجموا عن مناصرته ، وهو يتحدث عنهم قائلا :

« عندما طالبتهم ان يؤيدونى بكتاباتهم فى الجرائد خدمة لامتهم احجموا ، فعلمت أن الحرية فيهم لم تتجاوز حد الفكر ولم تصل بهم الى القول » .

.. ويواصل شميل المعركة ، وبعد عام واحد ينشر بحثا مستفيضا فى ثمانين صفحة بعنوان « الحقيقة »(٥) يرد فيه على كل مهاجميه ، مستخدما كل علمه وشجاعته فى محاولة اثبات صحة أفكاره .

لكن خصومه لا يسكتون ويشنون عليه حملات قاسية، ويشترك فى الحملة عليه أعلام كبار وزعماء عظام مثل الافغانى الذى هاجم نظرية النشوء والارتقاء بعنف قائلا : ان داروين قد الف كتابا فى بيان ان الانسان كان قردا ثم عرض له التنقيح

---

(٢) مجلة البصير عام ١٨٩٨ . مقال « القضاء على القضاء » .
(٣) نشر بالالمانية عام ١٨٦٨ .
(٤) فلسفة النشوء والارتقاء . مقدمة الطبعة الثانية مطبعة المقتطف سنة ١٩١٠ . ص ج
(٥) مجموعة المقتطف عام ١٨٨٥ .

والتهذيب فى صورته بالتدريج على توالى القرون المتطاولة وبتاثير الفواعل الطبيعية الخارجية وعلى زعم داروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وأن ينقلب الفيل برغوثا كذلك »(٦) .

وغير الافغانى كثيرون.. لكن شميل لم يتراجع وكتب عشرات المقالات فى عديد من الصحف والمجلات (مصر الفتاة ، سركيس ، المقتطف ، المقطم ، المؤيد ، البصير ، المشير ، الاخبار ، الوطن ، الهلال ، الجريدة .. الخ) مكونا من ذلك كله ثروة فكرية هامة ، جمع شميل منها ٦٩ مقالا فى الجزء الثانى من مجموعته ، وأعداقراءهبنشر الجزء الثالث ، لكنه لم يصدر .

.. وهذه هى الثروة الفكرية التى سنحاول فى هذه الدراسة تقييمها وابراز جوانبها الايجابية والسلبية فى ظروف المجتمع ، المصرى خاصة والعربى عامة — فى ذلك الحين ..

لكننا قبل أن نبدأ ، يتعين علينا أن نعلن للقارىء أن شميلكان فى أغلب كتاباته رجلحاسم ، يعلن رايه قاطعا بغير تردد ، مستقيما بغير مناورة .

كان يؤمن بالعلم ، وبالعلوم الطبيعية بالذات ، ويطمح الى أن يرى كل شيء فى المجتمع ، يسير دقيقا فى دقة القوانين الطبيعية ، حاسما فى حسم المعادلات الرياضية .

ولقد اثر ذلك كثيرا على كتابته ، فهو بالرغم من شاعريته الرقيقة،وأسلوبه الادبى الرصين يجمح أحيانا الى محاولة الكتابة بأسلوب القوانين العلمية، أو المعادلات الرياضية ،معلنا فى صخب سخطه على الشعر وعلى علوم الكلام وعلى الفلسفة والادب والادباء والشعراء والفلاسفة جميعا ..

لكنه شاعر بالرغم من ذلك ، ومن هنا كان الصراع واضحا فى كل مايكتب، أسلوبانمختلفان بل ومتناقضان يمتزجان احيانا ويتنافران فى أحيان أخرى ، فشميل فى كثير من كتاباته يهاجم الشعر والشعراء ،واذا به فى نفسالمقال يصوغ هجومه شعرا ..

ويهاجم المحسنات والسجع لكنه يستخدمها ..

انه التناقض بين الاديب المطبوع والفنان الملهم، الذى نبت فىداخله عالم يؤمن بالعلم وبالعلمفقط،

ويرى ان أى انفلاتمنمجال التعبير العلمى هو انفلات نحو الضياع .. فيقاوم .. يقاوم الاديب والشاعر والفيلسوف فى داخله فلا يستطيع .

ولنحاول الان ان نتعرف على تلك الشخصية البالغة التعقيد .

الفيلسوف والشاعر والاديب الذى كرس حياته مستخدما كل ما وعاه من فلسفة وشعر وأدب — للهجوم على الفلسفة والشعر والادب ..

لكننا نخطىء اذا تخيلنا أن هذه هى الصورة الوحيدة لشميل ، فهناك أيضا شميل العالم والمناضل ، والمفكر الاجتماعى ، ورافع لواء الاشتراكية فى زمن عز فيه الحديث عنها ..

وهكذاينشأ تناقض خطير آخر ..

فشميل — بغير شك — واحد من رواد الفكر التقدمى والتطوير الاجتماعى والدعوة الىالمبادىء الاشتراكية ، لكنه فى نفس الوقت يتخذ — كغيره من المفكرين الشوام — موقف السكوت عن الاحتلال الانجليزى بها ، وربما اتخذ منه فى بعضالاحيان موقف الرضى ..

انه يهاجم المستبدين الاتراك ، ويدين الخديوى المتسلط ، ويتحدث عن الحرية للشعب ، ويرفض الاستغلال والاستبداد فىشتى صوره،لكنه يصف كرومر بأنه مصلح .. والاحتلال الانجليزى بأنه وليد لظروف موضوعية ..

وباختصار .. لقد أردت بهذا التقديم أن اقف بالقارىء عند نفس الوقفات التى حيرتنى طويلا وانا استعد لدراسة فكر شميل راغبا فى أن أقدم له منذ البداية الصورة كاملة .. وبكل تعقيداتها ، مؤملا أن نبذل سويا بعضا منالجهد لتفهم أبعادها الحقيقية .

واخيرا فان الحديث عن شميل ليس مسالة سهلة ،لكننا سنحاول . يشجعنا ويستحثنا اننا لا نريد لهذا الفكر العبقرى ان يطويه النسيان ..

نظرية النشوء والارتقاء

منذ أن كان طالبا بدأ شميل علاقته بنظرية النشوء والارتقاء ..بل وحتى قبلأن يقرأ لداروين أو يتأثر به ..

---

(٦) جمال الدين الافغانى — الرد علىالدهريين . ترجمة محمد عبده وعارف ابىتراب . الطبعة الرابعة سنة ١٩١٤ .

فرسالته التى حصل بها على شهادة الطب من كلية البروتستانت كانت حول « تأثر الانسان والحيوان بالمناخ والطبيعة والبيئة » .

لكنه تأثر بعد ذلك تأثرا كبيرا جدا بداروين ، وان كان قد ظل يردد بعض تحفظاته عليه .

واعتقد ان شميل هو أول من وجد الجرأة من المفكرين العرب ليعلن وقوفه الى جانب نظرية داروين .. وهو يقول فى مقدمة كتابه « ولما قمت ابث مبادىء هذا المذهب .. لم يكن له اتباع ولا مؤلفات فى اللغة العربية بل كان انصاره حتى فى أوربا نفسها لا يتجاوزون عدد الاصابع .

وقد دخل شميل الى الميدان شاهرا سيفه معلنا آراءه بجرأة ... ومعلنا فى نفس الوقت أنه غير عابىء بما سيقوله الناس عنه .. « لست اخشى تخطئة الناس لى اذا كنت اعرفنى مصيبا ولايسرنى تصويبهم لى اذا كنت اعرفنى مخطئا .. »

وشميل رجل مناضل ، لا يقول كلمته ويمشى ، بل يتربص متحفزا لدحض أى هجوم عليها . وفى البداية اصدر مقالات بخنر الست حول نظرية داروين(٧) ..

فثارت ثائرة القوم جميعا .. هؤلاء الذين كانوا لا يزالون غارقين في مناقشة « هل الارض كروية .. وهل هى تدور أم لا » .. وهؤلاء الذين كانوا يؤيدون التقدم ويدعون الى العلوم الطبيعية لكنهم يريدون التدرج بالافكار .. وحتى هؤلاء الدعاة التقدميون أمثال الافغانى هاجموه فى البداية ايضا ..

ووقف الرجل وحيدا يواجه الاعصار ... لكنه استمر فى التحدى .

فقد كان يؤمن ايمانا جازما ان الطريق الوحيد لتحرير العرب هو تخليصهم من أسار قيود الماضى .

لقد كان يدرك ان العلوم الطبيعية والايمان بها هو السبيل للتقدم ..

وكان يدرك فوق كل ذلك انه لابد لانسان ما أن يبدأ وبعدها سيصبح الامر سهلا ..

لقد اراد شميل أن يحدث هزة فى الافكار القديمة ، أن يثير ضجة ، وعندما علا ضجيج القوم بالرفض والهجوم عليه ، اعلن ارتياحه فقد حقق هدفه وقال :

« فهذه الرجة التى حصلت اليوم هى المقصودة منى فى ذلك الحين لايقاظ الافكار من نومها العميق ، والحركة مهما كانت خير من السكون »(٨) .

وهو يقرر صراحة انه لم يكن يقصد كسب الناس الى صفه بهذه السرعة .. « فما كنت أطمع بأن أرد الناس الى فى هذا الزمن القصير ، وأنا لا اجهل ما يحول دون ذلك من الصعوبات بل أنى قصدت مباغتة الافكار للفتها الى غير مألوفها . وان كنت لا أجهل من القاء حجر فى المستنقعات الراكدة لايقلق الضفادع المطمئنة .. الا أنى لا أجهل أيضا فعل الخمير المخمر فان أقل ما يعلق بالعقول حينئذ من أثر الافكار المخالفة ينموفيها غالبا بسرعة الاختمار نفسه خصوصا اذا صادف استعدادا فى النفوس كامنا فيها لكثرة البواعث الضاغطة عليه فيكون مثل هذا التنبيه له بمثابة الشرارة فى اثارة كامن القوى المتجمعة(٩) .

وهو يقرر صراحة ان الايمان بهذا المذهب « لا بد له من تغيير الانسان تغييرا جوهريا بحيث يتجدد كليا كأنه وجد وجودا جديدا ، فتتغير أخلاقه وفلسفته وسياسته وشرائعه وحكوماته ، وغير ذلك مما يتعلق بهيئته الاجتماعية »(١٠) .

والشىء الذى يجب الاهتمام به والتركيز عليه أن شميل تمسك بنظرية داروين ، لا لمجرد الدفاع عن موقف صحيح من الناحية العلمية وانما سبيلا للدفاع عن التقدم بشكل عام ..

فشميل يدافع عن فكرة التطور فى ذاتها ، ويقدم فى سرد شيق قصة تطور الكون .. وآفاق مستقبل تطوره ..

وهو يستخدمها كسبيل لزعزعة سلطان الافكار القديمة على العقول مستهدفا تحرير العقل من أسار الماضى ..

وهو يستخدمها دفاعا عن منهج فلسفى هو الايمان بمادية الكون ، فهو يقرر ان «القول بمذهب النشوء يستلزم بالضرورة القول بمادية الكون» [١١]

وهو يقول ايضا أن « غرضى من هذا البحث ـ

---

(٧) Sechs Vorlesungen Die Darwinsche Theorie (1968) .

(٨) فلسفة النشوء والارتقاء . ص د

(٩) المرجع السابق . ص ٢٨

(١٠) المرجع السابق ص ٢٤١ .

(١١) المرجع السابق ص ١٨ .

على هذه الصورة ـ انما كان لاقرار الفلسفة المادية على أساس علمي متين لازالة الوهم العالق باذهان كثيرين في تلك الايام من أنها فلسفة يرمى اصحابها الى أغراض سافلة ، ويحاول خصومها تمكينه في أذهان العامة لتنفيرهم منها وهي خطة دنيئة في العلم » [١٢]

٠٠ بل هو يستخدمها سبيلا للنضال السياسي والاجتماعي ، ذلك أنه « يستحيل قيام العدل بشريعة ثابتة غير متغيرة »(١٣) .

٠٠ ومن الحديث عن العدل يتطرق شميل فى مقدمة الطبعة الاولى لترجمته لمقالات بخنر عن النشوء والارتقاء .. الى الهجوم على المستبدين والملوك ويرفع صوته عاليا « العدل كل العدل في الانتقام من الظالمين »(١٤) .

. . وهكذا لم تكن « نظرية تطوير النشوء والارتقاء » سوى طريق لاحداث رجة فكرية فى المجتمع يمكن من خلالها مناقشة أصل الكون ٠٠ وماديته ، وتطور المجتمعات والقوانين التي تحكمها ٠٠ والاطاحة بالمستبدين ٠٠ وهكذا يتحول العلم الى سياسة مباشرة ٠ ولعل هذا هو السبب فى ذلك الهجوم العنيف الذى تعرض له شميل ٠

وفكرة شميل عن التطور ليست فكرة أوربية محضة فهو لا ينكر انه قد استقى معظم نظريته من داروين وبخنر لكنه أيضا يستند الى الماديين العرب وفى طليعتهم ابو العلاء المعرى . .

وفى كل كتابات شميل عن فكرة التطور نلمح اثر ابى العلاء ونقرأ ابياتا من شعره ٠٠

بل انه يصدر مقدمة الطبعة الاولى من ترجمته لبخنر ببيت ابى العلاء الشهير

يدفن بعضنا بعضا ويمشى ٠٠

أواخرنا على هام الاوائل ٠٠

كذلك تأثر شميل بفكر ابن خلدون عن التطور الاجتماعي ، وقد لجأ اليه كثيرا يستمد من كلماته العون فى الرد على مهاجميه ٠٠

وشميل يقدم بخنر لقراء العربية لكنه لا يسلم بكل ما يقول بل أنه يهاجمه فى بعض المواقع هجوما عنيفا فيقول أن بخنر في بعض الاحيان « ومع انه من غلاة الماديين المعاصرين الا انه لم يستطع أن ينجو من مفعول تربية الاحلام الخيالية التي مرت ٠٠ لان كلامه هذا شعرى لا معنى له ٠٠ لقد استهوته المعاني الشعرية والفاظها الفارغة »(١٥) .

وفى مكان آخر يقول بخنر « ان أوربا بكل مجدها وعظمة تمدنها ستسقط يوما ما » ٠ ويعلق شميل على هذه الكلمات ساخرا « ان بخنر هنا قد نسى قياسه الصحيح وهجر ماديته الراسخة وعاد الى نغمته الشعرية الفارغة »(١٦) .

كذلك تجدر الاشارة الى أن شميل عندما دافع عن الداروينية وبشر بها كان بالغ الحذر فى التفريق بينها وبين محاولات « شوبنهور » و « نيتشه »

« لا يسعنى ان امر على ذكر حكيم شرقى انخرط مع من ذكرت من العلماء ممن ابدوا مذهب داروين وأخذوا بناصره وهجموا على مألوف الشرقيين بقواعد ذلك المذهب من حيث الجهر بمعتقد يعتقد الانسان أنه اعتقاد صحيح ولو خالف الجمهور .. فالدكتور شميل له فى نشر مذهب داروين وتحمله أعباء المكفرين له عن غيرعلم وتحقيق مابعد لشميل فضلا ولكننى لا ارى الدكتور شميل قد تخلص فى جسراته الادبية وبعض رسوخه فى الفلسفة من وصمة التقليد الاعمى لعلماء الغرب، وبمعنى أوضح أنه أراد ان ينتصر لداروين وان ينشر مذهبه ـ رغم أهل الاديان وفى ذات الوقت عارض أستاذه وصاحب المذهب المنتصر له ..

وفيما عدا ذلك فانى اقدر للشميل قدره فى دقة بحثه وتحقيقه وجرأته على بث ما يعتقده من الحكمة وعدم تهيبه من سخط المجموع لما يجهله من حقائق العلم » .

جمال الدين الافغانى
خاطرات جمال الدين
لمحمود باشا المخزومى
طبعة بيروت عام ١٩٣١

---

(١٢) المرجع السابق ص ٢٥ .
(١٣) المرجع السابق ص ٥٧ .
(١٤) المرجع السابق ص ٥٩ .
(١٥) المرجع السابق حاشيه ص ١٥٨
(١٦) المرجع السابق حاشيه ص١٦٧.

و « مشو » في الاستناد الى نظرية داروين عند ترويجهم لفكرة « البقاء للاصلح ، لا بالانتخاب الطبيعي وانما بالانتخاب الصناعي ايضا »

وأكد شميل ٠٠ ان هذه الدعوة التي يبشر هؤلاء الفلاسفة الثلاثة « الحالمون القانطون » كما أسماهم هو .. هذه الدعوة « وان كانت تستند الى مذهب داروين ، الا أنها ناقصة في جزئياتها .. وهي ليست سوى « حلما قاسيا لا حقيقة عملية ويا ليته حلم لمصلحة المجتمع ولكنه حلم لو صح لسار بالمجتمع القهقرى »(١٧) .

ومن ذلك كله يتضح ان شميل لم يكن مجرد ناقل او مترجم بل كان صاحب فكرة متميزة الى حد ما ٠٠ يستند فيها اساسا الى داروين والى الفلاسفة الالمان هيجل وبخنر ٠٠ ويستند ايضا الى الفلاسفة العرب أبى العلاء .. وابن خلدون وغيرهما ٠٠

الموقف الفلسفى

مادية الكون ٠٠ ووحدة الطبيعة

لقد كان موقف شميل من نظرية النشوء والارتقاء موقف فلسفي في أساسه ٠٠ لا يستهدف مجرد البحث في أصل الانسان ٠٠ وانما البحث في أصل الطبيعة والكون ٠٠ وهو يقول في الصفحة الاولى من مقدمة كتابه انه لم يسمه « مذهب داروين » وانما « فلسفة النشوء والارتقاء » وذلك « لانى لم اقتصر على النظر التقريري البسيط من حيث نشوء الاحياء وتسلسلها بعضها من بعض ، بل أطلقت نظرية النشوء والارتقاء على الطبيعة كلها من جماد ونبات وحيوان ، من حيث اصلها وتحولها ونسبتها بعضها الى بعض مبينا ان هذا الكل المشهود مترابط ترابطا لاينفك في كل صوره وافعاله سواء في الطبيعة الصامتة ، أو في الاحياء النامية ، أو في الحيوان الاعجم أو الانسان .

موضحا ان القوى الفاعلة في كل ذلك كالمواد الداخلة فيه من أصل طبيعي واحد متحول الى مالا حد ، بحيث أن الافعال الظاهرة في أعلى سلم هذا التحول كما نشاهدها اليوم ليست الا تلك الافعال البسيطة كامنة في أدنى هذا السلم متدرجة فيه وهي لا تنتظر حتى تظهر باسمى مظاهرها ارتقاء وأعظمها شدة ألا توفر شرائط معلومة لو فقدتها بعد ذلك لعادت الى بسائطها عملا بناموس الاقتصاد الطبيعي الذي يقتضي ان كل شيء في الطبيعة منها وبها واليها »(١٨) هذا هو الفارق بين شميل وداروين ٠٠

وفوق ذلك فقد تأثر شميل كثيرا بقوانين الجدل وحاول أن يجد لها صياغات عربية .. فيقول :

« ان الجيد والرديء لا يوجدان مجردين في الوجود الكلي ، بل هما هكذا نسبيان بالنظر الى ظروف الزمان والمكان ٠٠ فلا يتأتى لنا والحالة هذه أن ننفى عن شيء صفة الموافقة والملاءمة نفيا مطلقا اذ أنها لم تتجرد عنه الا بالنظر الى حالة من الحالات أو موجود من الموجودات مع موافقته حالات أخرى وموجودات أخرى »(١٩) .

ويقول أيضا « ان الطبيعة ليس فيها شيء ثابت ثبوتا مطلقا بل كل شيء فيها في حال المصير (أي في حال التغيير »(٢٠) .

ويقول « فالجسم الحي مركب من اعضاء مختلفة ، ولكل عضو من هذه الاعضاء عمل خاص ومشترك معا ٠٠ اعني ان العضو الواحد يعمل غير ما يعمل الاخر ويعمل للاخر في آن واحد ٠٠ وكذلك العمران فانه مركب أيضا من أعضاء مختلفة تعمل لغاية واحدة »(٢١) .

ويقول « ان الحياة كالازوت تتحول من حال الى حال مرتقية من أدنى الى أعلى ، الى أن تبلغ أرقى مقاماتها المعروفة ٠٠ الا ترى ان الفعل المسمى طبيعيا كالحرارة والكهربائية لا يغير الا أعم خصائص الاجسام ، فاذا زاد عن حد معلوم تحول الى الفعل المسمى كيماويا الذي يغير تركيبها »(٢٢) .

ولقد كان شميل ماديا ، بل لعله اول دعاة المادية في الفكر العربي الحديث لكن ماديته كانت متأثرة الى حد كبير بالمدرسة الالمانية المادية التي نشأت عقب ثورة ١٨٤٨ ٠٠ وهي ما يمكن ان نسميه مدرسة المادية الفجة Vulgar Materialism (٢٣) ذلك انها تدافع عن مادية الكون دونما ربط

---

(١٧) المرجع السابق ص ٣٥٧
(١٨) المرجع السابق ص ١
(١٩) المرجع السابق ص ٧
(٢٠) المرجع السابق ص ٣٩
(٢١) ص ٣٦
(٢٢) ص ٤١
(٢٣) راجع كامل عسلى « الاتجاهات التقدمية في الفكر العربي الحديث وهي رسالة دكتوراة غير منشورة . جامعة برلين .

للفكر المادى بالحقائق الفعلية فى المجتمع ، ولا بضرورات التغيير الثورى على أسس علمية .

لكن شميل رغم تأثره الشديد بهذه المدرسة استطاع ان يتخطى هذه العقبة ـ الى حد ما ـ فقد استخدم أفكاره المادية دفاعا عن الجماهير وتأييدا لفكرة الثورة وان كان لم يستطع ان يحددبوضوح معالم الثورة المطلوبة ولا القوانين المحركة لها .

كذلك دعا شميل الى فكرة « وحدة الطبيعة » ولاشك انه قد تأثر فىذلك بهجيل الذىكان عضوا بارزا فى Monist's League التى تأسست فى المانيا فى نهاية القرن الثمان عشر لتدافع عن الفلسفة المادية فى مواجهة الكنيسة والفلاسفة المثاليين .

ويشرح شميل فكرته عن وحدة الطبيعة فيقول ان « الموحد فى الطبيعة لا يسلم بشىء غريب عنها، فاعل فيها او مفعول عنها، بل يعتبر أن كل الحوادث التى تحدث فيها منها وبها واليها متحولة بعضها عن بعض وراجعه بعضها الى بعض لا تستقر على حال ولا تثبت على صورة والبقاء غير متوفر فيها الا للكل ، وهذا المبدأ ينفى القول بالقوى المجردة والارواح المستقلة التى نعمد فى جهلنا اليها لتفسير كل ما يبدو لنا غامضا ويردنا الى البحث عن أسباب هذا الغامض فى الطبيعة نفسها »(٢٤) .

وهو بذلك يرفض وجود قوة مستقلة عن المادة « فالقوة لا تكون وحدها بل يلزم أن تصدر من شىء وان تفعل على شىء، وأن تظهر بحركة، وكيف تكون حركة بدون شىء متحرك »(٢٥) .

ويقول فى مكان آخر « لا يستطيع العقل أن يتصور المادة بلا قوة فاذا تصورنا مادة اولية مهما كانت ، فلابد أن تكون دقائقها تحت فعل الجذب والدفع والا فانها تتلاشى من ذهننا .

كذلك القول بقوة بلا مادة فارغ ولا أساس له ، واذا كان من المقرر أن القوة لا تقدر أن تظهر الا بالمادة فلا تكون القوة اذن سوى الصفة المتصلة بالمادة وكل صفات المادة كائنة فيها جوهريا الا أنها قد لا تظهر فتكون هاجعة فيها أى فى حالة سكون . فالقوة فى المادة تنبه تنبيها لا أنها تحل فيها حلولا جديدا .

ولاجل ذلك عرف العلماء القوة بانها خاصة من خصائص المادة او هى الحركة او هى حالة من حالات المادة وانه يستحيل ادراك القوة بلا مادة كما أنه يستحيل البصر بلا عين او الفكر بلا دماغ »(٢٦) .

.. وبعد ذلك يتدرج شميل الى ما يريد ان يقول فيفجر الموقف كله بالوصول الى النتيجة التالية .
« ان الذين يقولون بوجود قوة ابدعت العالم من لاشىء لايستندون فى قولهم هذا الى شىء » [٢٧]

الموقف من الدين

وهكذا يصل شميل الى النقطة الحرجة ، فعلماء عصره كانوا يتحفظون فى مناقشة هذه المسائل فان ناقشوها فانهم يتحاشون الوصول بها الى عنق الزجاجة الخطر ، فهم فى الغالب يناقشونها كمسألة غامضة او مبهمة « وحدة الطبيعة » ام ثنائيتها .. هل يمكن للقوة ان توجد مجردة بغير كيان مادى ؟ .. وهكذا ..

لكن شميل يعلن موقفا عنيفا وخطرا بتحدية للاديان فهو يعلن « ان الانسان طبيعى هو وكل ما فيه مكتسب من الطبيعة ، وهذه الحقيقة لم يبق سبيل الى الريب فيها اليوم ولو أصر على انكارها من لا يزال مفعول التعاليم القديمة راسخا فى ذهنه رسوخ النقش فى الحجر . فالانسان يتصل اتصالا شديدا بعالم الحس وليس فى تركيبه شىء من المواد والقوى يدل على اتصاله بعالم الروح والغيب فان جميع العناصر المؤلف منها موجودة فى الطبيعة وجميع القوى التى فيه تعمل على حكم قوى الطبيعة [٢٨]

والحقيقة انه اذا كانشميل قد استمد كثيرا من افكاره المادية من هيجل ومن المدرسة الالمانية فانه قد استمد وقفته من الدين من ابى العلاء المعرى بالتحديد .

وكتابات شميل فى هذا الموضوع تزخر بالعشرات من أبيات شعر أبى العلاء المعرى .

لكننا نود ان نقرر حقيقة هامة وهى ان شميل كان يحترم الاديان كتراث انسانى « فدينا التوحيد ان السائدان اليوم هما دين الانجيل ودين القرآن ، الاول يعلمنا التساهل الى حد ان ينسى الانسان نفسه فى مصلحة قريبه أى أخيه ، والثانى يجعل الفقير شريك الغنى فى ماله اذ يفرض عليه نصيبا منه .. وكلاهما فيهما من الحكم الرائعة والاداب العالية ما يجعلهما فى مبدأهما الاجتماعى مطابقين لرأى أعظم الفلاسفة المصلحين الاجتماعيين اليوم »(٢٩) .

---

(٢٤) فلسفة النشوء والارتقاء ص ٣١
(٢٥) المرجع السابق ص ٢٧٩
(٢٦) المرجع السابق ص ٢٢٩
(٢٧) المرجع السابق ص ٢٣٠
(٢٨) المرجع السابق ص ٤٠
(٢٩) المرجع السابق ص ٥٧

« فنرى مما تقدم ان الدين نفسه ليس للعقبة الحقيقية فى سـبيل العمران ، بل رجال الدين أنفسهم »(٣٠) .

ويقول « ولكن الاديان تتحول من النفع العام حتى تصير وسائل للكسب فى أيدى اولئك الذين اتخذوها تجارة لجذب الدنيا ولو بالقضاء على الانسان(٣١) .

رؤساء الاديان من كل دين وملة ، علموا الناس حتى اليوم غير ما تأمرهم به الاديان وكم قاموا يبيعون دينهم بدافق وفرطوا بمال الايتام وكـم خدموا به أغراض عتاه كحكامهم ليقتسموا معهم ولو داسوا الدين بالاقدام » .

ولعل الذى دفع شميل الى هذا الهجوم هى تلك المعركة المفتعلة التى حاول بها أنصار الاحتلال بث روح التفرقة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ..

ولقد كانت هذه السياسة احد الاهـداف الاساسية لسياسة كرومرفى مصر .. وفى عام ١٩٠٩ عندما أغتال الوردانى بطرس باشا غالى تحركت عوامل الفتنة تحاول ضرب عنصرى الامة احدهما بالاخر بل وتطور الامر الى مناظرات ومساجلات حول تعاليم الديانتين .. وكانت هذه المناظرات .. والمساجلات خطة استعمارية أيضا تستهدف اذكاء نار الخلاف ..

فى هذه الفترة وقف شميل يهاجم رجال الدين المسلمين والمسيحيين معا ويتهمهم بالتحريض على الفتنة ، فصاح بأعلى صوته « يا مقلنسى الجهل ومعممى الضلال أين رأيتم فى اديانكم ما يسمح لكم بأن تزرعوا فى رؤوس اتباعكم الجاهلين التفريق بين الناس الى حد التباغض والتقاتل » .

وهو يستخدم الفاظا بالغة حد العنف مثل « لو لأمت الانسانية فى كل الدنيا ونسرت لحم رؤساء الاديان – الذين هم وحدهم المسئولون عن كـل الفظائع التى ارتكبت ولا تزال ترتكب باسم الدين – نسرة نسرة لما وفت حق الانتقام منهم لما جنوه اليوم على الانسان »

.. لكن الامر يحتاج الى وقفة تحاول تفسير هذا الموقف من الدين، وهذا العداء الشديد لرجال الدين ..

والحقيقة أن الموقف لم يكن فرديا اتخذه شميل وحده ، بل اتخذه معظم النازحين الشوام الى مصر شميل وفرح انطون ونقولا حداد وولى الديـن يكن .. لكن لماذا ؟

حاول عدد من المفكرين الاجابة على هــذا السؤال ..

فقال جمال احمد « ان شميل وفرح انطون قد تأثرا بالافكار التى سادت أوربا فى القرن الثامن عشر ، فتزعما اتجاها علمانيا يتصوران الدين يعيق العرب عن النهوض الى مستوى الحضارة الغربية وأن السبيل الوحيد للتقدم هو تخليص المجتمع من نفوذ الدين »(٣٢) .

ويحاول العقاد أن يقدم اجابة أخرى فيقول :

«ولعل سائلا يسأل : ولماذا يكون التحدى البين للنفوذ الدينى خاصة من خواص النشأة السورية؟ فأقول لهذا السائل : اننى كنت كذلك أعجب لهذا الامر وأستغرب الغيظ الشديد الذى تتوهج به كتابات السوريين الاحرار حين يحملون على النفوذ الدينى فى بلادهم ويصفون تغلغله فى شـئون قومهم .

وكنت لا أعرف لذلك علة، حتى تذكرت القوة التى يقبض على زمامها رجال الدين فى سوريا فخطر لى أنه لا عجب لان رجال الدين هناك ربما كانوا اقوى الطوائف الدينية فى العالم، وأوسع رعاة الكنائس اشرافا على حياة ابنائهم . فقد جمعوا بين الزعامة فى الدين والزعامة فى السياسة والزعامة فى العلم وناهيك بها من سطوة هائلة تغرى بالتحدى. أما سبب اجتماع هـذه السطوة لهم ، فللحـوادث التاريخية التى حدثت عقب غارات الصليبيين وعقب الاتفاق على الامتيازات الاجنبية دخل عظيم فيه .. واذا اجتمعت لفئة واحدة أزمة السطوة الروحية من كل جـانب ، كمـا اجتمعت لفئة القسيسين السوريين فغير عجيب الا يرضى عنها ، وأن يتبرم بها فرق الشبان المتعطشين الى المعرفة الحرة ، التواقين الى الآراء المتجددة من أصحاب النفوس الادبية والعقول الطليقة »(٣٣) .

وكامل عسلى يورد نفس السـبب تقريبـا فيقول «ان الارساليات البروتستانتية والكنيسة المارونية التى مارست نفوذا كبيرا فى لبنان قد

---

(٣٠) الجزء الثانى من مجموعة د شبلى شميل – مطبعة المعارف عام ١٩٠٨ ص ٦٢
(٣١) من مقال ضحايا الجهل . جريدة الاخبار . مجموعة عام ١٩٠٩ .
(٣٢) الجزء الثانى ص ٢٢١ . (٣٣) العقاد . مطالعات فى الكتب والحياة . الطبعة الثانية ص ٦٧.

خلقت جوا من الارهاب كى تحكم قبضتها على اتباعها ، وقد أدى هذا بالمفكرين اللبنانيين الى أن يشنوا هجمات عنيفة على التعصب والطائفية »(٣٤) .

وفى اعتقادنا ، فان كل هذه الاسباب مجتمعة صحيحة ، ويمكننا أن نضيف اليها بعض أسباب أخرى منها :

● ان الدولة العثمانية وهى دولة ذات أساس دينى وذات نظام استبدادى فى نفس الوقت قد سمحت للاقليات الدينيين ببعض الاستقلالية فى ادارة شئون الطائفة . . فقام رؤساء هذه الطوائف باقامة نماذج مصغرة للدولة العثمانية داخل طوائفهم . . مكتسبة الطابع الدينى والطابع الاستبدادى معا . .

● ومنها أيضا قلة محاولات التجديد فى الاديان ، بل ومعارضة كبار رجال الدين لاية نزعة علمية ، ورفضهم لكثير من المسائل التى اثبتت الحقائق العلمية صحتها . .

كل ذلك دفع بالمفكرين العلميين الى الدخول ضدهم فى معركة . .

لكن ذلك كله ليس مبررا كافيا . .

ففى اعتقادى أن شميل قد خسر كثيرا بدخوله هذه المعركة ، فهو فى غمرة حماسه لفكرته المادية نسى أنه مناضل سياسى واجتماعى ، وأنه يدعو لفكرة سياسية تتطلب حشد الجماهير حولها . .

نسى طبيعة الجماهير التى يخاطبها والمجتمع الذى يعيش فيه والاثر المباشر الذى يلعبه الدين فيهما . .

نسى ذلك كله فكانت هجماته على الدين سببا فى عزلته عن كثير من القوى السياسية والاجتماعية . . التى كان من المفروض ان تقف الى جانبه وان يكون لكلماته عن الاوضاع السياسية والاجتماعية صدى فى صفوفها . .

بالعلم الطبيعى . . وحده

والطريق الى التقدم والتحرر وتحقيق آمال الانسانية هو احياء العلوم الطبيعية . .

فالعلوم الطبيعية هى وحدها العلم الصحيح . . أما ماعدا ذلك فلغو وسفسطة وتهريج . «فالعلوم الطبيعية هى أم العلوم الحقيقية ، ويقتضى ان تكون أم العلوم البشرية كافة ، وأن تقدم على كل شىء »(٣٥) .

وايمان شميل بالعلوم الطبيعية ، وباهميتها دفعه الى موقف غريب ومتطرف فهو يرفض كل العلوم الاخرى . .

فالفلسفة « وان كان لا يزال لها بعض معنى اليوم ، فانها ستصبح مبتذلة فى مستقبل الايام ، فالمستقبل اليوم للعلم وللعلم العملى وحده فقط »(٣٦) .

وعلوم الكلام على اطلاقها « اشبه بهذيان المصدعين لتفسير مالا يفسر وتأويل مالا يؤول وتطبيق مالا يطبق ، وقد أضلت عقولا كثيرة وغلت عن العمل أياد كثيرة ، فلم تنفع الاجتماع بشىء بل أضرته أذ أضلته وأصبحت عالة عليه (٣٧) .

وعلوم اللغة صارت مماحكات لا طائل تحتها لا كلاما وضع للتعبير عن الفكر ، والشعر اغرابا لا ابداعا فى وصف الحقائق . وعلوم الفقه سخافات يتنزل العقل فيها الى حد التبذل وعلوم القوانين لاهوتا ثانيا لا يفهم . وعلم المحاماة مخرفة ، وتفننا فى المشاغبات لا دليلا مرشدا الى الحق رادعا للباطل . . وصارت علوم الاداب والفلسفة المترتبة على ذلك كله هياما فى الاوهام لا ضابط لها الا الخيال . وعلى هذه المبادىء النخرة شاد الانسان بنيان نظاماته الاجتماعية المتقلقلة »(٣٨) .

واخيرا يجمل شميل رأيه فى هذه العلوم كلها مؤكدا » انه سوف يأتى — يوم وما هو فى تاريخ الاجتماع ببعيد — تسقط فيه قيمة هذه المباحث الكلامية الفلسفية بل ينظر الى أصحابها كانهم صبية يلعبون او مصدعون يهذون اذ يصبح العلم كله علم اختيار ويتمرن العقل عليه بالمزاولة ولا يعود يستعذب سواه فيقل النظر ويكثر العمل . ويقوم البرهان الرياضى مقام البرهان العقلى[٣٩]

ويشن شميل هجومه على الادباء والادب والشعر والشعراء . . ولكنه يصوغ هجومه شعرا . .

وهذا غريب جدا ، فشميل شاعر مطبوع ومجيد ،

---

(٣٤) كامل عسلى . المرجع السابق ص ٢٦٣ .

(٣٥) فلسفة النشوء والارتقاء ص ٨ (٣٦) المرجع السابق ص ٢ (٣٧) المرجع السابق ص ٣

(٣٨) المرجع السابق ص ٤ (٣٩) المرجع السابق ص ٣٥٩ .

وهو يستخدم الشعر فى كل محاوراته وكتاباته وقلما تجد مقالا فى أى مجال من مجالات البحث العلمى بغير عدة ابيات من الشعر ..

وقدتندر الادباء كثيرا بهذا الموقف المتناقض وكانوا يغيظونه بان يؤكدوا انه شـــاعر ..

وتورد الانسة مى فى كتاب الصحائف أبياتا من شعر شميل تقول :

حبذا زهر الربى من .. كل صـــاف ومخضــــب
مثل فجـــر مســـتطير .. أو كأفق قـــد تلهب
يتهـــادى فى نسيـــم .. كتهـــادى الطفل يلعب
والندى من فوقه حير .. ان كالدمـــع تصـــعب
قلق ممــــا يعـــانى .. قلـــق القلب المعـــذب

وتؤكد « مى » ان شميل شاعر وشاعر مجيد وان هجومه على الشعراء تناقض غير مفهوم ، وهى تروى عنه انه كان يحضر الصالونات الادبية وينساق فى تلاوة الشعر والاستماع اليه .. ثم يتذكر فجأة انه يؤمن بالعـــلم الطبيعى وحـــده فيصيـــح فـــى الجالسين « بلاش غلبة يا أدباتية » .

ويعلق العقاد على هذه الابيات من الشـــعر قائلا « من يستطيع ان يضرب على هذا الوتر ولو مرة واحدة فى حياته ، فقد كان نادرا ، ولاشك ان يعيد النغمة مرارا وان يكون اشعر مما كان لو راض قريحته على معانى الشعر وعباراته لولا شدة تعصبه للعلم » [٤٠] .

وعندما يثور الصراع حـــول مبادىء شـــميل الاشتراكية ويطالبه أحد مناظريه بأن ينشر برنامجا مجانا للاشتراكية ، فاذا به ينشر برنامجا يطالب فيه ..

● « أن تلغى مدرسة الحقوق وتمزق كتب القوانين وكتب الاقتصاد السياسى وسائر العلوم الكلامية .

● أن يقام على انقاض مدرسة الحقوق مدرسة للكيمياء والطبيعات والميكانيكيات والريـــاضيات وعلم الافلاك ..

● أن تنشأ جامعـــة لتعليم التـــاريخ الطبيـــعى والاجتماع الطبيعى والاقتصاد الطبيعى » [٤١] .

والحقيقة أن لشميل بعض العذر .. فالعلوم الطبيعية هى بالفعل السبيل لرقى الشرق والعلوم الكلامية قد تحولت فى كثير من الاحيان الى سفسطة ولغو ..

لكن ذلك كله لم يكن يبرر هذا الموقف الحاد .. العلوم الطبيعية وحدها .. ورفض الباقى رفضا مطلقا ..

لكن هذا الموقف لم يكن مجرد تطرف فى التعبير او تحمس فى موقف قرر شميل اتخاذه بل هو تعبير عن منطلق فلسفى يستحق بعض التأمل .

فشميل لا يكتفى بالحماس للعلوم الطبيعية ، بل هو يتبع نظرية سبنسر Spencer المسماه بالنظرية العضوية للمجتمع Organic Theory of Society وهى نظرية تحاول أن تحلل الحياة الاجتمـــاعية بشكل ميكانيكى وفقا للقوانين الطبيعية .

وهو يتأثر الى حـــد كبير بنظرية التـــوازن Theory of Equilibrium [٤٢] .

وهو أيضا يتأثر بافكار بخنر فى هذا الصدد فيتخيل ان تقدم العلوم الطبيعية هو مفتاح الموقف وانه السبيل لانهاض الشرق .. كما كان السبيل لانهاض الغرب ..

ويتصور ان يتطور المجتمع رهن بحل التناقض القائم بين العلوم الطبيعية والعلوم الكلاميـــة والنظرية .. ورهن بحل التناقض بين القوانين السائدة فى المجتمع والقوانين التى تمليهـــا الطبيعة .

فالعلوم الطبيعية هى المعول الوحيـــد الذى يزعزع اركان تلك العلوم [العلوم الكلاميـــــة والنظرية) ويهدم بنيانها بل هى التى ستتكفل بقلب ما بنى عليها من النظامات المتقلقلة والشرائع الحائفة . التى هى سبب كل ما نراه من الاضطراب فى الاجتماع لفقد التوازن فيه .»

---

(٤٠) مجلة الوطن . مجموعة عام ١٩٠٨ .

(٤١) العقاد . المرجع السابق ص ٢٢٥ .

(٤٢) وهى نظرية ميكانيكية فجـة ومناقضة للفكر المادى . وترى هـذه النظرية ان مصدر الحركة هو التناقضات الخارجية وتنكر اثر التناقضات الداخلية بشكل عام . وتنطلق هذه النظرية من اعتقادها بأن تطور المجتمعات يعتمد فى الاساس على علاقاتها بالظروف المحيطة وعلاقاتها بالطبيعة .. وعلى التناقض بين هذه المجتمعات وبين الطبيعة بينما تنكر اثر الصراع الطبقى كالمحرك الاســـاسى لتطور المجتمعات راجع :
M. Rosenthal & P. Yudin.
A Dictionary Of Philosophy.
Progress Publishers Moscow, 1967 P. 145.

فالشرائع التى تسوس الاجتماع حتى اليوم والمبنية على تلك العلوم شرائع استبدادية لا تنطبق على نواميس الاجتماع الطبيعى التى لا يصلح الاجتماع الا بها » [٤٣] .

ثم هو يؤكد مرة أخرى « ان معرفة الناس بنواميس الاجتماع الطبيعى تجعلهم يحسنون تطبيق نظاماتهم عليه ، فيتدرون فيها ناموس التكافل القاضى بتقاسم المنفعة على قدر العمل حق قدره » [٤٤] .

وهو يقول ايضا ان « المصلحين الاجتماعيين الطبيعيين يرمون فى نظام الاجتماع الى غرض طبيعى ممكن ، هو توفير قوى هذا الاجتماع حتى لايذهب فيها شىء سدى وحتى لايبقى احد غير نافع ومنتفع معا .

فهم يطلبون من الانسان ان يفعل فى نظام اجتماع الانسان مايفعلونه الان بقوى الطبيعى نفسها بتوفيرها والانتفاع بها وهذا ما نسميه « **ناموس الاقتصاد الاجتماعى الطبيعى** » ..

لماذا قلنا هنا « الطبيعى » لان الاجتماع فى الحقيقة طبيعى وكل نواميسه مستفادة من الطبيعة فاذا رددناه اليها فانما نكون قد رددنا الشىء الى أصله ووضعناه فى محله » [٤٥] .

وهكذا فان كل ما يريده شميل هو أن يطبق القوانين الطبيعية على المجتمع .. وعلى قواعد تطوره ويحاول ان يستخلص من الطبيعة ومسالك تطورها قوانين تطبق بشكل ميكانيكى على حركة المجتمعات الانسانية ..

وقد قاده هذا الموقف الخاطىء الى طريق ملىء بالعثرات ، وحول كل كلماته عن التقدم والاطاحة بحكم الاستبداد وتخليص الشعب من تسلط المستبدين الى مجرد احلام واوهام ..

فالتقدم ليس عن طريق التناقضات الداخلية فى المجتمع ولا من خلال الصراع وانما بفرض العلوم الطبيعية واحلالها محل العلوم النظرية ..

وطبيعى ان يؤدى ذلك به الى عدم الاهتمام بالصراع الداخلى والى عدم المشاركة فيه ..

فقد اتخذ شميل موقفا سلبيا تقريبا من كل الاحداث والصراعات التى دارت فى مجتمعه ، فكل هذه فى اعتقادى مسائل عارضة .. ولن تحل المشكلة الاساسية ، ولعل هذا هو سر موقفه من رفضه الانضمام الى أية احزاب او جمعيات معلنا انه لا يريد ان يقيد نفسه باى قيد ..

وقد أدى به هذا التطبيق الميكانيكى للقوانين الطبيعية الى موقف غريب جدا من قضية المرأة .

فشميل اعظم دعاة التحرر فى الشرق العربى واكثرهم اصرارا على فكرة المساواة وتأكيدا لضرورة تخليص البشر كل البشر من قيود التعصب والتسلط يقف من قضية مساواة المرأة بالرجل موقفا غريبا .. فهو يصمم على رفض هذه المساواة منطلقا من حجج غريبة « فجمجمة الرجل اكبر من جمجمة المرأة .. ودماغ الذكر اثقل من دماغ المرأة ..

ولذلك كان الذكر اعقل من الانثى باجماع الحكماء والطبيعيين وقد اتفقت جميع الشرائع على أن تعامل المرأة معاملة القاصر المحتاج الى وصى وسببه مابها من الخفة والطيش » [٤٦] .

وهو يرى ايضا « ان المراة تنحط عن الرجل كلما كان الانسان اعرق فى الحضارة والمدنية ، وتساويه او ترتفع عنه كلما كان اقرب الى البداوة والخشونة جسديا وعقليا » .

ويقول فى نفس المحاضرة « نحن نعتقد فى صحة القاعدة وهى ان تغلب الرجل على المراة من ضروريات الارتقاء والضد بالضد » .

ويستقبل انصار المرأة هذا الموقف بهجوم شديد وتنهال على المقتطف رسائل من عديد من السيدات يتحججن على موقفه .

فيرد شميل متسائلا « كيف يمكن ان تكون هناك مساواة بين الرجل والمرأة » وهما مختلفان بالطبع من اصل الفطرة فى التركيب والقابليات والواجبات فطلب المرأة مساواة الرجل كطلب الرجل مساواة المرأة امر مستحيل [٤٧] .

كذلك قاده هذا الموقف – كما سنرى فيما بعد – الى موقف غريب جدا من الاحتلال الانجليزى فقد شهد المحتلين يمثلون دولة اكثر تقدما فى العلوم

---

(٤٣) فلسفة النشوء والارتقاء ص ١٠ (٤٤) المرجع السابق ص ١٢

(٤٥) مقال الاشتراكيين . جريدة الاخبار . مجموعة عام ١٩٠٨

(٤٦) من محاضرات له فى جمعية الاعتدال . مجلة المقتطف . المجلد الحادى عشر عام ١٨٨٦ .

(٤٧) مجلة المقتطف . المجلد الثانى عشر عام ١٨٨٧

الطبيعية من تركيا وشهد بعض التقدم فى مجال التعليم فاغراه ذلك بتصور ان هذا هو السبيل الى تطوير المجتمع .. وان الاحتلال بالرغم من اى شىء وبالرغم من كل عيوبه يسير بالبلاد فى الطريق الصحيح .. طريق العلم ..

ومرة أخرى تقود الافكار المجردة والتكهنات الفلسفية الخاطئة الى طريق مسدود ..

فحيث ان العلم الطبيعى هو مفتاح تطور المجتمع .. فلابد للمجتمع ان يتطور وفقا لسنن الطبيعة .. وكما أن الطبيعة احتاجت فى تطوير الانسان الى ملايين السنين فانها سوف تحتاج الى مئات الاجيال كى تطور المجتمع ايضا ..

وهو يقول « ان صلاح الهيئة الاجتماعية صلاحا تاما عاما لايكون الا اذا كان العلم الصحيح تاما عاما ، ولابد منه يوما ما ، الا أن ذلك الزمان بعيد جدا وربما لزم له مئات الاجيال لان ازالة ما رسخ فى العقل من المبادىء فى الوقت من الاجيال ليس بالامر السهل ، والطفرة فى كل شىء محال فانتقال الانسان من الجهل التام الى العلم التام يستحيل فى نظام هذا الكون دفعة واحدة فحال الانسان ادبيا كحاله طبيعيا ، فهو لم يوجد كما هو الان دفعة واحدة بل اقتضى له ملايين من السنين حتى خرج من الحيوانية الى الانسانية .. وهكذا لابد له فى قطع المسافات البعيدة التى تفصل بين احواله الادبية من السير البطىء المتمهل » [٤٨] .

لقد نسى شميل أن هذه القوانين الطبيعية عندما تنتقل الى مجال المجتمع والعلاقات والصراعات الدائرة فى داخله تكتسب خاصية جديدة وطبيعة جديدة بحيث تتحول فى واقع الامر الى قوانين جديدة .. وبدون ذلك فانها تتحول كما يقول لينين الى « كلمات جوفاء ، فان محاولة فهم الظاهرة الاجتماعية ومحاولة تفسير منهج العلوم الاجتماعية لايمكن مطلقا التوصل اليه بالتطبيق المباشر للقوانين الطبيعية » [٤٩] .

لكننا نظلم الرجل اذا اكتفينا باظهار سلبيات منهجه الفلسفى ، فقد كانت دعوته الى العلم الطبيعى والى الاهتمام به ضرورية وشجاعة ، ايقظت كثيرا من العقول والهمتها حب العلم والاهتمام به وضرورة الاستناد عليه فى معركة التقدم ومعركة النضال ضد التخلف والخرافات التى كانت تسود كثيرا من مجالات التدريس والكتابة والتفكير فى ذلك الحين ..

لقد كان شميل رائدا للعلم الطبيعى بغير منازع .. وقد تتلمذ على يديه كثيرون من طلائع النهضة المصرية الحديثة .. لطفى السيد ، سلامة موسى ، اسماعيل مظهر ، وآخرين ..

وفى واقع الامر فانه ليس من الممكن ان نتخيل تلك النهضة والانطلاقة الفكرية التى عاشتها مصر فى مطلع القرن العشرين دون أن نتخيل شميل احد الفرسان المبرزين لهذه الجولة التى تصل اهميتها الى حد اعتبارها الفترة التى تشكلت فيها المكونات الأساسية للفكر المصرى الحديث ، وللمفكر المصرى الحديث ..

وقبل هذه الفترة كان شميل يلقى بذور الدعوة للعلم ، ويؤمل لها ان تختمر بفعل الزمن وفى هذه الفترة كان شميل يصول فى كل مجال رافعا راية العلم الحديث مؤثرا فى الكثيرين من معاصريه مقدما للفكر العربى تراثا بالغا حد الثراء ..

هذه كلمة لا بد منها حتى لا تكون محاولة البحث عن المنابع الفكرية التى استقى منها شميل آراءه، او محاولة تقييم هذه الاراء وفقا للقواعد العلمية لتطور المجتمعات سبيلا لظلم هذا الرجل العظيم او الاقلال من الاهمية التاريخية للتراث الذى خلفه ..

الموقف من الاحتلال البريطانى

ومرة أخرى نواجه بموقف غريب يستحق التأمل :

والحقيقة انه لم يكن موقف شميل وحده ، بل وربما كان موقف غالبية المهاجرين الشوام بغض النظر عن اتجاهاتهم الفكرية ، ومنطلقاتهم الفلسفية ..

والغريب ان كثيرا من هؤلاء المفكرين الشوام قد وقعوا فى هذا الخطأ الذى زاد من عزلتهم عن الشعب المصرى ..

فولى الدين يكن يصدر كتابا يفيض بالحماس والدعوة للتقدم والهجوم على الاستبداد والمستبدين ويطالب الجموع بأن تطيح بالطغاة هو كتاب « المعلوم والمجهول » ، لكنه يصدر صفحات كتابه بصورة كرومر واصفا أياه بانه « مصلح مصر » [٥٠] .

ولنترك يكن ليصف بنفسه رد الفعل الذى احدثه ذلك وسط القراء المصريين .. فقد كتب فى مقدمة الجزء الثانى من المعلوم والمجهول « نظر أناس فى الجزء الاول من المعلوم والمجهول فرأوا صورة اللورد

---

(٤٨) المرجع السابق ص ٢٤٠ .

(٤٩) Lenin Empirio-Criticism & Historical Materialism Collected Works Vol. 14 P. 328 Moscow 1962 .

(٥٠) ولى الدين يكن . المعلوم والمجهول . الجزء الاول . مطبعة الشعب سنة ١٩٠٩ ص ٥

كرومر وقدكتبت تحتها «مصلح مصر» فالتقوا الكتاب جانبا ، واطبقوا جفونهم وولوا عنه هاربين »[٥١]

كذلك شميل ينظر للامر من وجهة نظر غريبة ..
« فلا عجب اذا رأينا الغرب باسطا فوق الشرق يديه، طامحا ببصره اليه ، مزمعا ان يقبض عليه سنة الطبيعة ولن تر لسنة الطبيعة تبديلا » [٥٢] .

ثم هو يقول « ان مصر تحت سيطرة الانجليز انتظم ريها واتسعت زراعتها واثرى فلاحها وصارت حياته ذات قيمة وانتظمت ماليتها . حتى صارت موضع ثقة العموم وبلغت الحرية فيها مبلغا تفتحت له أبواب السجون » [٥٣] .

وعندما تثور مسألة مد أمتياز قناة السويس وتقف الامة كلها وجمعيتها التشريعية وقفة شجاعة ترفض ذلك ، اذا بشميل يعارض هذه الوقفة معلنا ان قناة السويس ملك للعالم كله ، وان « حقوق الامم هى فوق حقوق كل فرد مهما تعاظم ، وحقوق العالم اجمع فوق حقوق كل مملكة » [٥٤] .

وكان طبيعيا ان ينهال الهجوم على شميل ، بل ان شميل يورد فى أحد مقالاته نقدا عنيفا وجهه اليه احد المصريين تعقيبا على موقفه الخاطىء والغير منطقى من قضية امتياز قناة السويس يقول فيه « اليوم الوحيد التى فازت الامة فيه على الحكومة قمت ياحضرة العالم والفيلسوف تنتقد عملنا فدعنا فى جهلنا ودع علمك لبلادك » [٥٥].

ولا شك أن كلمات كهذه قد أثرت فى رجل كشميل وهزته كثيرا ، والحقيقة أن موقفا كهذا يستحق الدراسة . .

لماذا أتخذ مفكرو الشام المتقدمون موقفا كهذا ؟ ربما كان الامر مجرد مناورة ..

فهم فى الغالب هاربون من أضطهاد الاحتلال التركى البشع ووجدوا فى مصر ملجأ ومتنفسا فحاولوا أن يلجأوا الى نفس الاسلوب القديم الذى لجأ اليه كل القادة المعزولون عن حركة الجماهير اسلوب اللعب على الحبال .. ومحاولة الاستعانة بالانجليز ضد الاتراك ..

وعلى المؤرخ المنصف أن يضع هذا الموقف فى اطاره الصحيح وان يقيمه بغير انفعال شديد تماما كما يقيم موقف قادة وطنيين آخرين عزلوا انفسهم عن حركة الجماهير ولعبوا على نفس الحبال محاولين الاستعانة بالاتراك ضد الانجليز ، او الالمان ، او الفرنسيين ضد الانجليز ..

وثمة عاملا آخر ، يتعين وضعه فى الاعتبار ، هو أن كرومر قد رسم خطة لحكم مصر تعتمد على « احكام القبضة بقفاز من حرير » ، فقد كانت الافواه الوطنية مكممة ومطاردة فى سكون ودون ضجة بل وتحت رايات حرية الصحافة وحرية الرأى وقانون المطبوعات لم ينفذ الا مؤخرا فى عام ١٩٠٩ وعندما نفذ هاجمه شميل ومطران ويكن والاخرون ..

كان هؤلاء المفكرون يعانون فى الشام من وطأة تسلط مستبد يكمم الافواه بشكل تام ، ويحرم اى نقاش علمى صريح ، ويدين اى حديث متقدم بالكفر، فعندما جاءوا الى مصر وتحدثوا عن نظرية داروين ، ووحدانية الطبيعة ، واتيحت لهم فرصة الحديث الحر ضد القديم والتخلف .. ظنوا أن مصر واحة الحرية ، ناسين أن أى فم يطالب بحقوق الشعب المصرى من محتليه كان يطارد ويطرد من مصر .. ناسين مأساة النديم الدامية ومطاردات الاحتلال للنضال الوطنى .

وهكذا كان قفاز الحرير مغريا للمثقفين الذين يستمتعون بمجرد النقاش الحر والذين هاجروا من بلادهم بحثا عن متعة النقاش الحر حول مشاكل الدين والعقيدة والعلوم الطبيعية ، واصل الكون واصل الانسان وما الى ذلك ..

وهنا يكمن الفارق بين المفكر التقدمى الذى يقف عند حدود التفكير .. وبين المناضل الذى يتلمس طريقة نحو حركة الجماهير ..

لقد كان الشعب يعانى من قيود الاحتلال ومن وطأته ، بينما هؤلاء المفكرون يظنون انهم يعيشون فى واحة الديمقراطية ..

لكننا مع ذلك نخطىء لو تصورنا ان هؤلاء الناس قد خدعوا تماما فى طبيعة الاحتلال فقد كانت لهم تحفظاتهم ضده .. بل أننا نجد فى كتاباتهم ما يوحى بان موقفهم منه كان مجرد مناورة ، ولعب على الحبال ...

---

(٥١) المعلوم والمجهول . الجزء الثانى . مطبعة المعارف سنة ١٩١١ ص٣ .
(٥٢) مقال انحطاط الشرق الادبى والعقلى مجموعة شميل . الجزء الثانى ص ١٩٤ .
(٥٣) مقال نظرة هامة فى مسألة عامة . المرجع السابق ص ٢٠٧
(٥٤) مقال العالم بعد ٦٠ سنة ..المرجع السابق ص ٢٩٣ .
(٥٥) مقال حرية الطباعة . المرجع السابق ص ٣٣٢ .

فولى الدين يكن بينما كان يستعد للهرب من الاستانة كتب يقول :

« اذا خرجنا من الاستانة اخترت الاقامة فى أوربا ، هنالك اجاهد فى سبيل الوطن آمنا نكايات الاعداء ولا ادخل مصر الا زيارة كلما اشتقت اليها فان بمصر من يحارب الاحرار وقد ملك عليهم البر فى فجاجة وسد عليهم مسالك الحياة » [٥٦]

وشميل يشعر بعدم منطقية موقفه ، ويحس وكأنه بحاجة الى أن يوضح هذا الموقف فيكتب ابياتا من الشعر يخاطب فها الوطن معتذرا له عن هذا الموقف .. [٥٧] .

فيا وطنى ماخاننى فيك خائن
من الحب او انى رضيت به ندا

اريدك فى عــز ولكننى أرى
على غير ما أرضى أرى العز قد ندا

فان جرت فى حكمى فما انا جائر
وما أنا الا باحث لم يجد بدا

وهو ينتقد موقف سلطات الاحتلال من نشر التعاليم فيقول :

« والانجليز مع اتيانهم للاصلاح فى جميع الفروع الادارية ، لم يأتوا فى أمر التعليم اصلاحا عظيما كما ينطق بذلك احصاؤهم بعد خمس عشرة سنة من احتلالهم للبلاد ، **والسبب هو أن الحكومة الانجليزية فى فتوحاتها قلما تهتم بالتعليم ولا تجرد الحسام الا لتفتح طريقا لتوسيع نطاق تجارتها ولتحويل ثروة الأمم الى خزائنها** » [٥٨] .

ولعل فى هذه الكلمات ما يوضح فهم شميل لحقيقة الاستعمار ولطبيعته ولاهدافه فهما صحيحا .

الحرية للشعب ..
والموت للمستبدين ..

ولم يكن شميل مجرد عالم يقاتل من اجل انتصار آرائه العلمية ، لكنه كان حرا يعشق الحرية ويكره الاستبداد فى أية صورة ويرفضه مهما كلفه ذلك من ثمن ..

وصوت شميل يرتفع ضد الطغاة بغير تردد .. وهو يوجه حديثه الى الملوك قائلا :

« مهلا سادتى الجالسين على عرشكم العالى وبيدكم صولجان المجد والقوة ، فلا يغضبنكم انذارى ولا تقنطوا من حكم الدهر وقد عدل ، فلكم صبرنا على مضض .. ولا تطمعوا باسترداد ما فات » [٥٩] .

وهو يهاجم الاساس الفكرى للاستبداد ، ولسلطة الملوك فيقول : « بالشرائع الثيوقراطية يترفع الرؤساء عامة عن الشعب ويستأثرون بامتيازات يجعلون بها واجبات هذا الشعب كثيرة جدا الى حد الاستماتة بالتقشف ، وحقوقه معهم قليلة الى حد الاستهانة بنفسه .. وبالسلطة الروحية التى لهم عليه يسطون على عقله وعواطفه فيقيمون عليه من مخاوف اوهامه ضاغطا يجعله يقتنع بانه لا يجوز له أن يكون فى غير الحالة التى هو فيهــا . وبالشرائع الاوتوقراطية الاستبدادية البشرية يرهب الملوك هذا الشعب حتى تموت نفسه ويخيم الجهل عليه فيسلبونه حقوقه ، ولا فرق بين عالم وجاهل فى هذا الذل وموت النفس ، فكلاهما شرع فى التبذل هذا يزحف ببطنه على الارض حتى يحفر جبينه بالتراب ، وذاك يتزلف بقريحته فيذلها الى مواطىء الاقدام تزلفا الى ملوك السيف وملوك المال [٦٠] .

وهو ايضا يهاجم التسلط والاغتصاب ايا كان مصدره ويكشف خدعة القوانين التى يسنها المستبدون ليحموا انفسهم مدعين انهم يحمون الحق والعدل ..

فالانسان سعى ليقهر بعضه بعضا ويسود بعضه على بعض ، انسان على انسان وقبيلة على قبيلة ، وأمة على أمة ، وفرد على أمة . فسن الشرائع ووضع القوانين توافق أميال القوى وتهضم حقوق الضعيف فظلم وهو ينادى بالعدل وتجبر وهو يعلم الناس التواضع وعنا وهو يوصيهم بالحلم [٦١]

لقد كشف زيف البناء الفوقى للمجتمع وزيف القوانين والشرائع .. وهو يشن هجوما قاسيا على القوانين والقضاه الذين يصفهم بقوله :

« جالسون على منصاتهم كالارباب ، يقضون

---

(٥٦) المعلوم والمجهول . الجزء الاول ص ٢٠٢
(٥٧) مقال انحطاط الشرق الادبى والعقلى . جـ ٢ . ص ١٩٤.
(٥٨) مقال أ ب ت ث المرجع السابق ص ٢٢٧ .
(٥٩) فلسفة النشوء والارتقاء ص ٥٨
(٦٠) المرجع السابق ص ١١
(٦١) مقال ماذا قرأ وماذا رأى . الجزء الثانى ص ٦٧.

فى مصالح الناس بلا ارتياب • يلبسون اردية كأهل الساخر .. حتى أصبحوا فى أعمالهم يستمسكون بالاعراض ويعرضون عن الجواهر مفتونين بقانون ليس للعدل فيه ام ولا أب » [٦٢] .

وهو يهاجم فكرة العقاب من أساسها ..

« فالعقاب الذى هو أساس الشرائع عموما والقضاء خصوصا اثر من آثار الهمجية وبقية من بقايا توحش الانسان الاول • ومادام هذا المبدأ الفاسد اساس القضاء فاصلاح الهيئة الاجتماعية به أمر مستحيل » [٦٣]

وهو يتساءل لماذا نعاقب المخطىء •• « السنا نحن الذين علمنا الانسان ان يكذب لانه رآنا نعاقبه على الصدق ، وان يسرق لاننا حجبنا عنه ما يحتاج اليه » [٦٤] .

واذا كان شميل يهاجم أسس الاستبداد فانه ينير الطريق الجديد ، الذى يدعو له ، وهو طريق الجمهورية ، وطريق الثورة ..

وهنا يبدو الفارق بين شميل العالم عندما يعزل نفسه وسط قوانينه عن التطور الطبيعى وبين شميل عندما يتحدث بلغة الناس ••

لكن أى نوع من الجمهورية •• واى نوع من الثورة ••

الجمهورية التى يريدهـــا هى : « الجمهورية الحقيقية التى يتم فيها توزيع الاعمال على قدر المنافع العمومية بحيث تتوفر معها المنفعة لكل فرد فى الاجماع بدون ادنى تمييز مطلقا ، والتى تتوفر معها قوى الاجتماع بحيث يقل التبذير والتفريط بهذه القوى ما أمكن »

« جمهورية تصبح فيها الامة الكل والحكومة لا شىء ، بخلاف حكومات أوربا وجمهورية فرنسا اليوم فانها كلها متقاربة فى نظاماتها متساوية فى بعضها ولو اختلفت اسماؤها ، وكلها مقصرة عما تتطلبه الهيئة الاجتماعية اليوم وفى المستقبل •• »

لكن كيف يمكن الوصول الى نظام كهذا ، لا طريق سوى حركة الجماهير . فالشعب هو الذى يقرر كل شىء فاذا رفض الاستبداد زال الاستبداد ، واذا خضع واصل الطغاة طغيانهم لابد من أن تتحرك الامة •• ويعلو صوت شميل « لا ينتظران تكون الحكومة اصلح من الامة ، بل لا تلام الحكومة اذا داست باخمصها رقاب الرعية وهل تداس رقاب تأبى أن تداس ، أنمن ينتظر الاصلاح عفوا من أية حكومة كانت يجهل لاشك تاريخ نشوء الامم ، وها التاريخ أمامنا يعلمنا أن الحكومات فى كل زمان ومكان هى آخر من يذعن للاصلاح » [٦٥] .

على الامة اذن ان تتحرك ، ان تثور ، لكن اى نوع من الثورة يريد شميل ؟ « فالاجتماع لابد له فى بعض الاحوال من ثورة تخلصه من خطر الهلاك • ويلزم ان تكون الثورة صادرة عن استعداد باطن للشعب كانها اتفاق خفى بين اعضائه موافقة لا مياله • اى أن تكون عبارة عن صوت الشعب لكى تكون قانونية والا انقلبت شرا عليه • والثورة التى تكون كذلك هى ثورة لا تغلب ولا تقاوم لانها ليست من افعال الاحاد بل هى عبارة عن تخلص الجسم كله مما ثقلت وطأته عليه تخلصا طبيعيا وقانونيا » [٦٦] .

والثورة ليست بعيدة المنال ، فالايام حبالى ، ولابد من أن تلد ثورة لا تذكر معها ثورة القرن الماضى ، ثورة تشترك فيها أوربا كلها ، لاكما اشتركت فى الماضى بقيام الدول كلها على فرنسا وانقياد بهائم شعوب تلك الايام الى دولهم انقيادا اعمى لنصر الجهل على العلم والظلم على العدل والتقييد على الحرية أى لنصر ظالميهم على انفسهم ••

والثورة المنتظرة والتى لابد منها ، هى ثورة تنصر الشعوب فيها بعضها بعضا ، والامم بعضها بعضا ينصرون بعضهم على حكوماتهم لقلبهـــا وابدالها بما يكون اوفق لروح العصر واحفـــظ لمصلحـــة الجمهور [٦٧] .

وهذه الفكرة عن الثورة تستحق التأمل خصوصا وان شميل يضيف لها ابعادا جديدة

« فالحكومات جميعا ــ القائمة فى ذلك الحين ــ وحتى لو كانت فى أعلى ذرى الاصلاح تقتل مصالح الجمهور فى كل يوم »

والحكومة الوحيدة القادرة على تحقيق العدل هى حكومة « الجمهورية الديمقراطية » التى تكون الامة فيها هى الكل والحكومة لا شىء »

---

(٦٢) المرجع السابق ص ١٣٣ .
(٦٣) المرجع السابق ص ١١٩
(٦٤) المرجع السابق ص ١٢٠
(٦٥) مقال علموهم ولا تقسروهم .الجزء الثانى ص ١٩٠.
(٦٦) مقال تاريخ الاجتماع الطبيعى.المرجع ص ٤١ .
(٦٧) فلسفة النشوء والارتقاء ص١٤٥.

وشميل يقدس حرية الرأى وحرية الفكر ، وهو يدافع عنها حتى لخصومه ٠٠ فهو يهاجم رجال الدين ، لكنه يدين الموقف المتعسف الذى اتخذته الثورة الفرنسيسة منهم ، وهو يرفض اى خدش لحرية الاعتقاد لخصومه .. فهو برغم موقفه من الاديان يكتب مستنكرا موقف الجالية الايطالية ــ الاسكندرية لانها نصبت فى يوم ذكرى محررها غاريبالدى فى أحد مدارسها « اثرا نقشت عليه الكلام الاتى : « أن العلم والادب لايدركان الا بزوال العقائد والاديان . وقلت فى نفسى التطرف من طبع الانسان ، اولئك اقنعوك بحد السيف وهؤلاء يريدون ان يحظروا عليك ان تؤم معهدا للعلم وانت لا تقول قولهم ٠٠ العلم لا يدعونا الى الالحاد بل يكشف لنا الحقائق ..

ان هذا الكلام معلقا فى مدرسة مناف لحرية الفكر التى هى غاية العلم ولا سيما ان مجموع الناس لايتول كلمة هذا القول .. ان العلم يعلمنا حرية الفكر فكيف يجوز له أن يعلمنا الاكراه فى الالحاد ، ان ذلك ضرب من التعصب مقلوب الموضوع [٦٨] .

هكذا يدافع شميل عن الحرية لكل الناس ، لاعدائه ولاصدقائه على السواء ..

والحقيقة ان فكرة شميل عن الحرية تستحق التأمل هى الاخرى فهو يدعو للحرية المطلقة الغير مقيدة بأى قيد .. حتى ولا قيد الدستور ، ولا قيد القوانين .

« فالقانون مجموع شبهات وظنون وهو عقبة فى سبيل تقدم الانسان ، فالشريعة ليست من العلوم الرياضية حتى تدون فى بنود كقضايا مسلمة تجرى مجراهـا ولا تنتج حتى يتفـاقم شرهـا . . فالشرائع لا تعاقب ذنوبا ، بل مذنبين ، كما أن الطب لايداوى امراضا ، بل مـرضى والاحكـام الاجتهادية افضل جدا من الاحكام القانونية [٦٩]

اما عن الدستور فهو يقول متحدثا عـن نفسه « انا حر كأحرارنا ، ولكنى غير دستورى فلا اقيد الحرية بالقانون ، لئلا اكون به حرا فى استبداد او مستبدا فى حرية [٧٠] .

بل هو يرفض ان ينضم الى أى جمعية حتى ولو اتفق معها فى الرأى فهو يريد ان يبقى حرا دون اى قيـد .

« وهذا هو السبب الذى لاجله لم أقبل ان انتظم فى جمعية انتظاما قانونيا ولو انضممت الى مبدئها وكنت فى طليعة الزائدين عنه لانى اريد ان تبقى لى حرية القول والعمل للبلوغ اليه غير مقيد بنظام او زمان » ٠٠

وهو يحاول أن يشرح تصوره لهذا المجتمع الذى يريد ، المجتمع القائم على العدل ولكن بغير دستور ولا قانون ويسمى هذه الحالة «اللانظام» لكنه يخشى أن يتهم بالفوضية فيقول : « واللانضمام الذى ندعو اليه ليس كأوس الاقدمين ولا كفوضى المحدثين وانما هو نظام ايضا ولكنه متحرك فلا يستقر على مر الاجيال حتى تضيع به الغاية التى وضع لاجلها بل يتغير وفقا لكل حال صونا لهذه الغاية » [٧١]

والخلاصة ان شميل العالم يتدخل هنا أيضا عند صياغة فكرة الحرية فى المجتمع ، فطالما أن كل شىء متحرك ، وان الغايات تختلف باختلاف الزمان فكيف تصان هذه الغايات بقواعد ثابتة ، لابد اذن من ان يتحرك شىء .. الغايات والوسائل معا .

الاهداف والقوانين معا ٠٠ لا شىء ثابت ٠٠ وعلينا ان نتخير الصالح وفقا لكل حالة على حدة .

الاشتراكية طريق حتمى

وتلك هى الخطوة المجيدة التى تتوج تاريخ شميل ، فشميل لم يكن مجرد داعية للعلم وللتقدم والتحرر والمساواة ، لكنه كان داعية للاشتراكية .

وقد بشر بها فى شجاعة وحماس ولعل كتاباته عن الاشتراكية بمعناها الحديث هى اول كتابات شهدتها مصر عن هذا الموضوع .

لقد كانت صيحة جديدة توجت النضال الشجاع لمفكر عبقرى .

وشميل يخوض المعركة ضد رأس المال وضد كل اشكال الاستغلال ٠٠

وهو يسمى الرأسماليين « لصوص المجتمع » ويقول ان الحكومات لاهم لها أن « تضمن لهم اسباب السلب والنهب ، يصادرون ويـرابون ويجمعون المال بالاحتيال للاستئثار بمنافع الاعمال

---

(٦٨) مقال علموهم ولا تقسروهم . المرجع السابق ص ٢٨٥
(٦٩) مقال نظرة عامة فى مسالة هامة . المرجع ص ٢١٠
(٧٠) مقال سيادة الامم ومستقبل الملوك ص ٢٠٠
(٧١) المرجع السابق ص ٢٠٢

التى لا ينال القائمون بها الا ما يتبلغون به من العيش .. لصوص يسرحون ويمرحون وتحميهم الشرائع التى تعززها الحكومات » [٧٢] .

وهو يشهر بالاغنياء ، ويشن عليهم حـــربا شعواء .. فيقول :

« رأيت الفاعل يشتغل فى الحر ، والعرق يتصبب من بدنه كالقطر ليطعم سواء مما جناه ، ولا يناله من ذلك الا نزر يسير لا يفى بحاجة زوجته العارية واولاده الجياع ..

رايت الفنى الشبعان ، يبلع الجمل ويتستر، والفقير الجائع يتلصص لسرقة رغيف من الخبز الاسمر والقانون يكافىء ذاك برفع القبعات ويعاقب هذا بالسجن سنوات

رأيت معالم الظلم تشاد فوق الناس تحت لواء العدل ودعوى الهـداية والعالمية تسرى تحت قلانس المكر وعمائم الجهل [٧٣] .

ثم يوجه هجومه الى النظام الرأسمالى .. الى كل شىء فيه ..

« فالاجتماع شديد التنازع قليل التكافل لشدة مافيه من التبذير فى القوى التى له ولذلك لايزال منحطا جدا بالرغم من اندفاعه البديع فى القرن الماضى، لانك كيفما جلت بنظرك رأيت أمورا يانف منها الطبع وينكرها العقل وقد ينفر الانسان منها حتى لايقدر ان يضبط نفسه عن القيام ضدها، تراها فى شرائعه ونظاماته وعاداته ومعاملاته فى كلياتها من حيث الغاية منها والباعث عليها وفى جزئياتها من حيث تطبيقها على كل فرد من اعضائه حتى أن البحث فيها لا ينضب »

وهكذا فان الهجوم ينال كل شىء ، العادات ، الشرائع ، النظم ، المعاملات ، وهو يتناولها فى كلياتها وجزئياتها ..

وفى مقاله الشهير « لطمة على خد العالم » يقول شميل : [٧٤]

« لقد كان فى الامكان تدارك الشر لـو أن الحكومات لاتنقاد انقيادا اعمى لاصحاب الاموال ، او كان هؤلاء يخفضون قليلا من كبريائهم ويعترفون بحقوق من لولاهم لبارت تجارتهم وقل استثمار اموالهم ، ولكن الله لما أراد بمعسكر فرعون شرا قسا قلب فرعون .ولاأظن شيئا يثير الاحقاد ، ويبلغ بها الدرجة القصوى مثل هذا النبأ البليد الذى جاء كاللطمة على خد الانسانية .. نبأ أن المساعى بين أصحاب المعامل والاموال متجهة الى أحباط اعظم معرض تتجلى فيه المدنية بابهى مجاليهـا فكـأن اصحاب الاموال يتهددون العالم اجمع بقحة لا تماثلها قحة بانهم سيطمسون بما اوتوه من سلطان المال أنوار العقل ويعيدون عصور الجهل .. ان هذا النبأ الشنيع سيكون له تأثير شديد فـى الجمهور .. وسيعجل بتلك الثورة المنتظرة التى تقلق الهيئة الاجتماعية منذ سنين والتى بلغت اقصاها فى هذه الايام .. » .

« انه يتحدث صراحة عن الثورة ، لكن اية ثورة يعنى ، انه يقولها بصراحة ولا يخفيها « **ثورة العمال ضد أصحاب المال** ، ثورة قوى العقـل المستنبط واليد العاملة ضد فساد نظام الاحكام واستئثار رجال المال » .

« .. هكذا بوضوح وصراحة **ثورة العمال ضد أصحاب المال ..**

والهدف هو الاشتراكية .. .

والاشتراكية طريق حتمى ، « فالاشتراكية نتيجة **لازمة لمقدمات ثابتة لابد من الوصول اليها ولو بعد تذبذب طويل** »

والاشتراكية كالاجتماع نفسه ذات نـواميس طبيعية تدعو اليها .. » [٧٥] .

فالاشتراكية مرحلة مـن مـراحل تطـور المجتمعات .. يسير المجتمع بالضرورة نحوها .. وهكذا فان شميل يريد منذ البـداية ان يكون واضحا .. فهو لايريد الاشتراكية عطفا ولا شفقة، ولكنها حق ضرورى يسير المجتمع نحوه حتما .. لكنه « كلما ارتقى الانسان وزاد اختباره استخدم هذا الاختبار لتقصير مـدة الوصـول الى الاشتراكية » .

وكثيرون « يطرقون هذا المبحث ويكثرون فيه من

---

(٧٢) فلسفة النشوء والارتقاء ص١٤٨ .
(٧٣) مقال المريض . جـ ٢ ص ١٥٧
(٧٤) الجزء الثانى ص ١٤٣ .
(٧٥) مقال الاشتراكية الجزء الثانى ص ١٨٣.

المن على الانسان فيطلبون الاصلاح له لضعفه وسقمه .. يطلبونه له رأفة به وشفقة عليه ؛ أما نحن فنقول أن الانسان في الاجتماع في غنى عن رحمة الراحمين وشفقة المشفقين ، فلا نطرق هذا البحث بتحريك العواطف ولا ندع للانسان على الانسان منا ء لاننا ننظر في ذلك الى المصلحة المشتركة » [٧٦] ..

وشميل لا يخفى اشتراكيته ولا كونه اشتراكيا فهو يكتب مقالا في عام ١٩٠٨ على صفحات جريدة الاخبار بعنوان « الاشتراكيون » [٧٧] . يدافع فيه عن الاشتراكية وعن مبادئها .. وينبرى سليم سركيس محاولا ان يسكت هذا الصوت وان يرهبه فيطالب شميل بأن يحذر حتى لا تلصق به تهمة الاشتراكية .

وهنا يرد عليه شميل ردا مفحما في مقال بعنوان « الاشتراكية » [٧٨] فيقول :

« في كتابك على صفحات المؤيد طلبت مني ان اثبت حقيقة ، وان ادفع شبهة ، طلبت ان ابين لماذا أدافع عن الاشتراكيين وان اتوسع في الموضوع لان ماكتبته على صفحات الاخبار لم يكن مقنعا ، وان ادفع عن نفسي سوء الظن بي ، كأن الاشتراكية وصمة وانا قد تلوثت بحمأتها وانت لا تريد لي ذلك أوانك تريد أن أبين الحقيقة الناصعة وان اخرج منها طاهر الذيل .. فشكرتك على حسن ولائك ولو أنى اعجبت اكثر بدهائك .. لقد كنت افهم قبل اليوم أن الاشتراكية في نظر خصومها مطلب بعيد المنال فاذا هي فوق ذلك وصمة تعرض صاحبها لاقبح المظـــان »

ثم هو يحاول في مقال آخر أن يفسر فكرته عن الاشتراكية فيقول :

« لاشك ان الاشتراكية اذا أريد بها الاشتراك بالمنفعة من غير الاشتراك في العمل ، تكون حلما باردا ، واذا كان الاشتراك في هذه المنافع على غير نسبة الاشتراك في العمل فلا شك انها تكون جورا ومميتة لكل اجتهاد .

ولكن اذا كان الاشتراك في العمل والاشتراك في المنفعة على نســـبة هذا العمل تكون حينئــذ عدلا واكبر حاث على الاجتهاد

وبهذا الدفاع عن الاشتراكية ، وبهذا الشرح

« في عام ١٩١١ كنت أذ ذاك مكبا على الفلسفة القديمة أنهل من موارد العرب بأقصى ماتصل اليه استطاعتي وحينذاك وقعت في يدى نسخة من كتاب دكتور شميل « فلسفة النشوء والارتقاء » فأحدثت قراءتها في ذهني من الانقلاب والاثر ما تعجز الكلمات واللغة عن التعبير عنه أو وصفه .

اسماعيل مظهر
مذهب النشوء والارتقاء
جـ ١ الطبعة الاولى
سنة ١٩٢٣ ص ٤

الذكي لها تكون صفحة جديدة تماما قد فتحت في تاريخ الفكر المصرى الحديث ..

ويكفي شميل فخرا أنه صاحب هذه الصفحة . فهو اول دعاة الاشتراكية بمفهومها الحديث والى حد ما بمفهومها العلمي .

لكن الامر يتطلب وقفة نحاول فيها أن نلقى بعض الضوء على المنابع النظرية التى استمد منها شميل فكرته عن الاشتراكية ..

والذى لا شك فيه أن شميل قد تأثر ببخنر ، فبخنر هو النافذة الاساسية التى اطل منها شميل على فكر وفلسفة المدرسة الالمانية ..

ويبدو أثر بخنر واضحا في كتابات شميل التى يحاول فيها ان يؤسس فكرته عن الاشتراكية على قاعدة من دراسة قانون النشوء والارتقاء ..

وهي فكرة كثيرا ما يرددها شميل .

ولا شك انه قد تأثر في ذلك بكتـــاب بخنر « الدرونية والاشتراكية »

« وهو كتاب يعلق عليه انجلز قائلا « ان بخنر يحاول ان يدافـــع عن الاشتراكية والاقتصـــاد السياسى منطلقا من فكرة الصراع على البقاء » [٧٩]

وقد كان بخنر عضوا في الاتحاد العام للعمال الالمان [٨٠] ، وقد حضر عددا من اجتمـــاعات الدولية الثانية ممثلا لهذا الاتحـــاد متخـــذا في الاساس موقفا اصلاحيا ..

هذا هو المنبع الاول لفكرة شميل عـن

---

(٧٦) مقال الاشتراكية المرجع السابق ص ١٥٢ .
(٧٧) المرجع السابق ص ١٧٩ . (٧٨) المرجع السابق ص ١٥٢ .
(٧٩) Engels Dialectic Of Nature Moscow 1954 P. 273 .
(٨٠) All Gemeiner Deutscher Arbeiterverein

الاشتراكية .. غير أن هناك منابع أخرى هامة هناك الفكرة العريقة التى تردد كثيرا فى الفكر العربى ولدى عديد من المفكرين العرب عن العدالة والمساواة وغير ذلك من الافكار المتقدمة التى ترددت عند ابن خلدون وابى العلاء وغيرهما ..

وهناك ايضا مصادر عديدة من الفكر الفرنسى الذى تأثر به شميل خلال زيارته لباريس لكن ثمة مسائل هامة يتعين تأملها ..

فهو يورد فى كثير من كتاباته كلمة الفوضوية الى جوار كلمة الاشتراكية وهو يتحدث عن الاتجاهين كشيئين متشابهين ..

« فالفوضوية والاشتراكية لاتطلب حقيقة الا ما تراه كل يوم فى نظام الطبيعة الصامتة ، من اشتراك الجمهور فى مصلحة الجمهور » [٨١] .

بل انه ايضا يتورط فى الدفاع عن الفوضوية فيورد فى أحد مقالاته رسالة كتبها فوضوى قبل أن ينفذ فيه حكم الاعدام .. ويعلق عليها قائلا « ان ما جاء فى هذه الرسالة من الحقائق » سوف يؤيده المستقبل ، فان الافكار التى تنطوى عليها هذه الرسالة كلها حقائق لا يرتج منها الا ضعاف العقول وما ذنب كاتبها فى محاولته ارتكاب الجناية الا زيادة التحمس مقابل زيادة بلاده الهيئة الاجتماعية والتحمس كثيرا ما يؤدى الى التهور والذنب انما يكون على هذه الهيئة وحدها » [٨٢] .

والحقيقة أن شميل لم يكن يعطف على « الفوضوية » ولا على اساليبها وانما هو يؤيد كل من يقف ضد النظام ، واية معارضة للنظام القائم ـ حينئذ ـ شىء جيد ، والعنف والارهاب يفيد ـ فى نظر شميل ـ فى ايقاظ المجتمع . .

وهو يتحدث عن اساليب هؤلاء « الناقمين » على المجتمع قائلا :

« وليس شأنهم هذا بالنظر الى تعاليمهم ومبلغها من الصحة والموافقة ، بل بالنظر الى موقفهم تجاه الاجتماع ، فان هذا وحده كاف لايقاظه ومنعه من التقهقر وتمهيد سبيل الارتقاء له .

ولذلك كان أول خاطر يجب أن يخطر للباحث المدقق عند ذكر الناقمين ليس الطرق التى يتذرعون بها والخطط التى يسنونها لمقاومة نظام الاجتماع .. بل الخاطر الذى يجب أن يخطر له هو لماذا هذا القلق المستحوذ على الاجتماع فى كل اطواره فلا شك أن السبب هو نقص نظاماته عن توفير الراحة له » [٨٣] .

وشميل ـ مع ذلك ـ لا يؤيد اساليب الفوضويين ، بل يهاجمها قائلا :

« انا لا أنكر أن الطرق التى يتذرع بها الناقمون تكون احيانا مشجوبة الا أنه يظهر ان مثل هذا الهز لازم لاحداث التأثير المطلوب وهو ايقاظ الغافل وتنبيه الفكر للبحث بدليل ان نظام الاجتماع نفسه على ما هو عليه اليوم من الفظائع ما هو مشجوب أكثر ، ولكننا ألفناه فلا نتحرك له » (٨٤) .

ولكى نضع فكرة شميل عن الاشتراكية فى وضعها الصحيح ، يجب ألا نحاول ان ننظر اليه كتابع لفلسفة محددة .

حقيقة ان شميل قد تأثر بالاشتراكية الالمانية الاصلاحية ، لكنه كان صاحب موقف خاص وفكر اكثر تحديدا وربما اكثر تقدما [٨٥] .

فقد رأينا أنه كثيرا ما يردد فى مجال الحديث عن العلوم الطبيعية والنشوء والارتقاء افكار هذه المدرسة فاذا تحول للحديث عن السياسة نراه يتحدث من موقع اكثر تقدما ..

ويجب الا ننسى ان شميل ادرك ان الثورة .. والثورة العمالية بالتحديد هى الطريق لاقامة الاشتراكية .. بل أنه قد بشر بثورة وشيكة الوقوع يقف فيها عمال أوربا موحدين ضد راسماليها .

وهذا بغير شك تقدم كبير ..

غير أن شميل كان يخضع لمؤثرات خاصة ، غير تلك التى خضع لها مفكرو أوربا .

فالمفكرون الاوربيون ـ على اختلاف مدارسهم ـ كانوا يتحدثون تحت تأثير الثورة التى توشك أن تنفجر فى ظل مجتمع صناعى متقدم ..

بينما شميل ـ وبعد ان ردد كل هذه الافكار عن الثورة ، يجد نفسه فى مجتمع لاتزال طبقته العاملة فى اول مراحل التكوين ، والمجتمع نفسه يعانى من الكبت والاحتلال والتخلف والامية والتقاليد البالية .. ولابد لذلك كله أن يترك اثره على كمثقف ، بالرغم من كل عظمته ، كان معزولا عن الحركة الحقيقية للجماهير ..

وهكذا خضع شميل لتأثير تصوره السطحى لحركة الاحداث فى المجتمع المصرى فتصور أن الطريق الى الاشتراكية مازال بعيدا جدا ، وان الاساس ليس الدعوة للاشتراكية وانما الدعوة للعلم .

وقد تصور شميل ان ظروف المجتمع المصرى لا تسمح بتكوين اى تجمع اشتراكى ، وانها لن تسمح بذلك حتى بعد سنوات طويلة ..

وعندما سأله احد مناظريه لماذا لا تؤسس حزبا اشتراكيا اعتبر ذلك مجرد نكتة .. فى وقت كانت توجد فيه فى مصر بالفعل مجموعات اشتراكية لم تعلن عن نفسها .

بل أن شميل كان يتصور ان الوضع فى مصر من

---

(٨١) مقال « الاشتراكية » جـ ٢ ص ١٣٠

(٨٢) مقال « كتاب فوضوى » جـ ٢ ص ١٤٩ .

(٨٣) مقال « الاشتراكيون » جـ ٢ ص ١٨٠

(٨٤) المرجع السابق ص ١٨٢

(٨٥) نحن فى هذا نختلف مع كامل عسلى (المرجع السابق) فى محاولته تقييم فكرة شميل عن الاشتراكية مكتفيا بتقييم فكر بخنر والمدرسة الالمانية الاصلاحية .

التخلف بحيث لا يسمح باقامة أى حزب لاية طبقة من الطبقات ..

« فالاحزاب هى فى نظام الاجتماع من الكماليات ، ونحن لانزال فى حاجة الى أقل من الضروريات ،ونشوءها لايكون باتلالها بل هى تنشأ من نفسها متى اكتمل الاجتماع ، فزعماؤنا يحاولون ان يخلقوا فى نظام اجتماعهم جسما مشوها ، ولكى اثبت أن زعماءنا رؤوس بلاأجسام فلينهضوا ونرى كم ينهض وراءهم » [٨٦] .

والغريب أنشميل كتب هذهالكلماتعام ١٩٠٧ وفى وقت كانت الحركة الوطنية قد بدأت - تستيقظ بالفعل وكانت الطبقة العاملة قد وجدت طريقها الى العمل الجماعى ونظمت سلسلة من الاضرابات الناجحة ..

من يدرى ربما لو كان الاجل قد امتد بشميل ثلاث سنوات فقط وعاش ليرى ثورة ١٩١٩ ليرى جموع العمال والفلاحين يخوضون غمار ثورة شاملة ومسلحة .. ربما كان قد غير موقفه مثل كثيرين غيره : سلامةموسى ، المنصورى وآخرين ظلواهم ايضا يتصورون ان اقامة حزب اشتراكى مسألة بعيدة المنال ، ثم ما لبثت الثورة ان تفجرت وتحركت جموع العمال والفلاحين بصورة لم يكن يتخيلها أكثر المثقفين تفاؤلا ، وهنا وجد المثقفون الاشتراكيون فى أنفسهم الثقة كى يعلنوا تكوين حزبهم .

وفى ذلك الحين بدأ شميل فى نشر سلسلة مقالاته حول العلم والمجتمع ، تلك المقالات التى أثارت اهتماما كبيرا والتى اثرت تأثيرا بالغا فى عقول معاصريه .

جمال الدين الافغانى

المصادر الثقافية للقومية المصرية

طبعة اكسفورد ١٩٦٠ ص ٣٢

وأخيرا

لعلنا نظلم الرجل عندما نحاول ان نضع كلماته كلمة كلمة تحت مجهر الانتقاد ، وبمعايير الاشتراكيةالعلمية ، لكننا لمنحاول انظلمه .نحن فقط نسلط الاضواء بحثا عن المنطلق الحقيقى لفكر شميل وعن موقعه الاجتماعى .

وبرغم كل ذلك يبقى شميل مفكرا عملاقا ، ورائدا عبقريا من رواد الفكر العربى التقدمى الحديث ..

يبقى صاحب الصوت الشجاع « الحقيقة أن تقال لا أن تعلم .. »

يبقى الرائد الحقيقى للمنهج العلمى فى التفكير ، للدفاع عن العلم ، للدفاع عن الاشتراكية ويكفيه هذا فخرا .

■ ■ ■

صفحة مجهولة من تراثنا المسرحى

غالى شكرى

ربما لايذكره الان احد من شباب هذا الجيل ، الا اذا صادف اسمه فى بحث من البحوث التاريخية والاكاديمية .

رغم ان شبلى شميل كان - منذ نصف قرن او يزيد نجما لامعا فى سماء الفكر العربى ، ثم اسرعت الايام وطورت ما وفق اليه تطويرا كاد يقطع الصلة بين الجذور والفروع . بالاضافة الى ذلك فان ابناء الجيل الماضى لا يذكرونه الا مفكرا اجتماعيا يصل ليله بنهاره فى الدعوة الى نظرية التطور ، ولا يكاد يوجد من بينهم من سمع به اديبا ، بل وكاتبا مسرحيا ..

---

(٨٦) مقال « أرق ليلة » المرجع السابق ص ٢٤٦.

على انه يجمل بنا ان نقول فى الرجل كلمة تعريف ، قبل ان نعرض لعمله المسرحى الوحيد الذى تركه لنا · فشبلى شميل هو احد المثقفين العرب الذين وفدوا من « الشام » الى مصر فى اواخر القرن التاسع عشر ·· ولكن بضاعته لم تكن الادب او الفن كالغالبية العظمى من زملائه ، وانما كان العلم والاتجاه العلمى والعقلية العلمية بمثابة المحور الذى تدور حياته من حوله .. وان اتخذ من الصحافة ـ حرفته المفضلة ـ منبرا فبدأ بهذه الدعوة الجديدة التى لقيت فى حينها مقاومة عنيفة ، لما تضمنته صياغته اللغوية من عبارات صريحة وما تضمنته افكاره من حجج عقلية جريئة ، صدمت جميعها المجتمع المستقر الآمن ، وبلبلت الوجدان المطمئن الغافى · واقبل شبلى شميل على امهات الفكر المادى ينقلها الى العربية ، حينا بتفاصيلها ، ويوجزها فى معظم الاحيان . وكانت مجلة « المقتطف » هى لسانه الناطق بآراء بوخنر تارة وببحوث داروين تارة اخرى ، ولم يعزل الدكتور شميل دعوته « العلمية » عن دعوته «الاجتماعية» فكان يردف نداءاته العنيفة بالسلوك والتفكير وفق المنهج العلمى ، بنداءات لا تقل عنفا بالسلوك والتفكير وفق المنهج الاشتراكى ، وهو يعد من اوائل الذين استخدموا لفظة « الاشتراكية » بمعناها الحديث فى اللغة العربية · وقد ترك لنا مجلدين من مقالاته التى نشرها حول الاصلاح الاجتماعى واللغوى والدينى ، وكان فيها رائدا متقدما فى التفكير العصرى ، لا تخلوا كتاباته من تطرف خاصة حين يشتبك مع معارضيه فى معارك عنيفة ، ولكنها ايضا لا تخلو من نفاذ البصيرة والشجاعة النادرة والايمان بما يقول · على ان شبلى شميل لم يركز على الوجه الاجتماعى من دعوته بقدر كاف ، لان هذا التركيز كان من نصيب الوجه الفلسفى ·· وتلك على وجه التحديد كانت نقطة البدء فى صراعه الطويل مع خصومه المفكرين الذين تمكنوا من النيل منه لانهم كانوا يعبرون عن فكر الغالبية الساحقة فى مصر عند نهاية القرن الماضى وبداية القرن الحالى ·

والذى يعنينا هو ان احدا من مؤيدى شميل او معارضيه لم يذكر لنا ـ ولو بشكل عابر ـ انه كان من «هواة» المسرح والمؤلفين فيه . وباستثناء القصيدة الفلسفية التى لم يفهمها سلامة موسى ، لا يذكر لنا احد من معاصريه ، ولا تذكر لنا كتاباته العديدة ان الادب كان ضمن اهتماماته الرئيسية فى الحياة · لذلك فان عثورى على هذه المسرحية التى كتبها تحت عنوان « المأساة الكبرى » جدير بان يلفت نظر الباحثين الى هذا الجانب المجهول فى تاريخ شبلى شميل . والنسخة التى عثرت عليها من المسرحية تم نشرها كما جاء فى الصفحة الاولى عن « مطبعة المحروسة » ويذكر المؤلف فى خاتمتها انه اتم كتابتها فى ١٥ اغسطس ١٩١٥ ·

و « المأساة الكبرى » فيما يبدو هى اخر اعمال شبلى شميل ، فقد مات بعدها بزمن قصير · وتدور احداث المسرحية حول الحرب العالمية الاولى ، مما يتطلب منا تذكر كلمات قالها عنه سلامه موسى بصدد انفعاله العنيف بهذه الحرب للدرجة التى احدثت له هزة عصبية لازمته حتى الموت . لم يكن هذا موقفا تجريديا من الحرب بشكل عام ومطلق ، وانما كان ـ فى نفس الوقت ـ موقفا سياسيا ضد المانيا · وهذا هو الضوء الاول الذى ينير لنا السبيل الى مسرحية « المأساة الكبرى » .

ولعل المقدمة القصيرة التى كتبها فى بداية المسرحية (من ص ٣ الى ص ٨) تلقى مزيدا من الضوء وتكشف عما خفى من معتقدات الدكتور شبلى شميل فهو يتحدث أول مايتحدث عن تكنيك المسرحية فيقول : « وضعت هذه الرواية فى الحرب الحاضرة وجعلتها على اسلوب الروايات التشخيصية لكى اجعل لاشخاصها فى كلامهم وافعالهم صورا خاصة تدل عليهم وتنطق عنهم بلسانهم لتكون العبرة من ذلك فى معرض الفكاهة اوقع فى النفس » ·· وهى عبارة تكاد تكون نشازا فى ذلك الوقت الذى لم يسمح لخشبة المسرح ان تكون اكثر من امتداد لصالة الملهى ، او فى احسن الاحوال منبرا للوعظ والارشاد · والغريب حقا انهم طوعوا أعمالا عظيمة ـ سواء من المسرح التراجيدى او مسرح الفودفيل ـ لهاتين الغايتين عن طريق التعريب والتعريب بتصرف ، من هنا تأتى قيمة الجانب الفنى فى مسرحية شبلى شميل من خلال صياغته النظرية التى يستطرد فى سردها قائلا : « ان المسرحية تشتمل على قسمين : «قسم حقيقى وصفت فيه مقدمات الحرب والاعمال التى جرت فيها · وقسم تخيلى منتظر جعلته توطئة (للمحاكمة) المقصودة من كل هذه الرواية » · ويحدد الهدف والمضمون العام من المسرحية بقوله : « عسى ان تنجلى هذه الامور الاجتماعية البسيطة للجمهور فيصون نفسه ومصالحه من عبث العابثين وينزه مداركه عن ان يكون كالالة العمياء فى ايدى السفاحين المخربين » · وهو يقصد بالطبع سادة المانيا من الطغاة الذين جربوا « المحاولة » الاولى فى غزو العالم والقضاء على الديمقراطية · اما الاهداف التفصيلية للمسرحية فيوجزها فى اربع نقاط : الاولى « ان اصف وصفا سيكلوجيا اخلاقيا الاشخاص الذين ذكروا فيما ينطبق على اخلاقهم ومطامعهم واحلامهم ومراميهم على ما فيها من الغرابة والحمق اليوم للتنفير منها » ، والثانية : « ان اصف الوقائع بالاشارة اليها وصفا تقريريا فى الجانب الحاصل منها ، ويكاد يكون نتيجة لازمة فى الباقى غير الحاصل بناء على انه فى حالة الاجتماع [يعنى المجتمع] الحضرة لا يجوز ان تصح نتيجة أخرى مهما تقلبت احوال

الحرب ومهما طال أجلها » • والنقطة الثالثة : « أن أشير الى بعض انتقادات فى أمور اجتماعية كائنة لانها كانت لا تهضمها معدة الاجتماع الراقى » • والنقطة الرابعة والاخيرة : « ان ابحث بحثا سوسيولوجيا اجتماعيا فيما يجب ان تكون نسبة الامم بعضها الى بعض ولا سيما الراقية بناء على ما هى صائرة اليه طبقا لمرامى العلم الطبيعى الصحيح المفهوم كما هو لا كما يؤوله اصحاب الغرض واصحاب النظر القصير » •

ان هذه الاهداف الاربعة التى قصد اليها شبلى شميل توضح فى غير مالبس انه كتب مسرحيته اساسا لتوصيل مجموعة من القيم السياسية والاجتماعية الى « الجمهور » الذى يتردد على « المراسح » فى ذلك الوقت بصورة تجعل منها « قاعات » للاجتماعات •• فما يبدو لنا بعد ذلك من قيمة فنية فى المسرحية يتخذ مكانا ثانويا بالمقارنة الى الفكر السياسى والاجتماعى الذى يدعو اليه المؤلف ، وكأن المسرحية مجرد « وسيلة » لعرض آرائه فى الحرب والموقف الدولى عموما ، وانعكاساته على « الاجتماع » او المجتمع العربى • وشبلى شميل بثقافته الاوروبية هو احد ابناء الشرق العربى من المثقفين الذين استلهموا قيمهم الاساسية فى نهاية القرن الماضى وبداية القرن الحالى من التراث الغربى فى السياسة والاقتصاد والفلسفة والاداب والفنون • لذلك كانت « الديموقراطية » بمعناها الليبرالى هى جوهر الدعوة التى حمل لواءها هذا التيار « العلمانى » من مثقفى النهضة العربية الحديثة ، والانطلاق من الديموقراطية والليبرالية يعنى فى المجال الدولى ان يقف المثقف العربى الى جانب الاقطار الاوروبية المعادية لالمانيا فى حربين عالميتين متتاليتين • اما فى المجال الداخلى ، فان هذا المثقف يجد نفسه الى جانب « البناء البورجوازى » للمجتمع فى مواجهة التخلف الاقطاعى •

لكن شبلى شميل وزملاءه من امثال فرح انطون ويعقوب صروف ، لم يستطيعوا تكوين مدرسة فكرية متكاملة ، ولا مدرسة ادبية متجانسة •• ذلك ان اعمالهم لم تكن تعبيرا عن اتساق فى الفكر يبلغ درجة المذهب او الاتجاه • وربما جاء تعرفنا المباشر على اعمالهم متأخرا نوعا ما ، ولكنه الطريق الوحيد الى التعرف على مرحلة هامة من مراحل تطورنا الفكرى والفنى جميعا •

ومسرحية « المأساة الكبرى » كما يصفها كاتبها « رواية تشخيصية فى الحرب الحاضرة » وهى تقع فى الطبعة التى اعتمد عليها فى هذا البحث بين ص ٩ و ص ١١١ ثم تنتهى بتذييل قصير فى ست صفحات •

وتقع احداث المسرحية او معظمها ، فى قصر الامبراطور غليوم الثانى حيث لم يعد فى مقدوره ان يؤجل الحرب اكثر من ذلك • والتحديات من حوله تزين له النهاية المرجوة ، ويقرر اخيرا قرارا لا رجعة فيه « فلارين الجميع انى رجل هذا العصر الوحيد ، بل رجل كل العصور • حتى لا يبقى عظيم يتحدث به الناس سواى لا من الغابرين ولا من المعاصرين » وهو لا يرى فى الحرب والنصر عظمة المانيا وشعبها ، وانما يرى فى الارهاب والدم عظمته هو وحدها » •• فليس ارهب للناس من التمثيل بالناس • والعاجز من لا يستبد • حتى اخضع الجميع لى واصبح وحدى سيد هذا العالم » • والامبراطور الالمانى هو ظل الله على الارض ، وهو يعلم ذلك جيدا ، ويجيد استخدامه بمهارة « اليس هذا هو النظام الالهى : الكل للواحد ، والواحد فوق الجميع : اليس كذلك يا الهى الشيخ ؟ •• فلنقتسم العالم بانصاف : لك ملك السماء ، ولى ملك الارض » •• « ثم تظهر على خشبة المسرح شخصية اخرى هى « حكيم القصر » وهو لا يرى ما يراه الامبراطور ، لا يرى فيه نيرون هذا العصر ، بل يرى فيه ظلالا من شخصية شمشون الذى حطم المعبد على رأسه وعلى رؤوس الاخرين ، ولا يصور لنا المؤلف هذا « الحكيم » على انه الضمير الخفى لغليوم ، بل هو الصدى الخافت لصوت الشعب • ويدخل بعدئذ أمير القصر او ولى العهد الذى يرجو ان تكون فرنسا من نصيبه فيفتح باريس ويغنم مفاتن المدينة العظيمة • غير ان الامبراطور يرى فى ولى عهده — ولهلم — شابا نزقا طائشا غير جدير بقيادة الجيوش او التربع على عروش الحكم •• بالاضافة الى انه يخاف بينه وبين نفسه من ان تكون نفسه تحدثه بالانقضاض على العرش الامبراطورى فى غفلة من الزمن • ويسأل الامبراطور الامير ولهلم عن مبلغ استعداد الجيش لخوض الحرب ، فيطلب ولى العهد — فى المنظر الثانى — ان يأتوه بالوزراء والقواد ، فيعيد الامبراطور سؤاله عليهم ، فيستعرض الجميع حالة الجيران : المتحالفون منهم مع المانيا كالنمسا وتركيا والخصوم كانجلترا وفرنسا وروسيا • ويؤكد وزير الخارجية والمستشار الامبراطورى ان الموقف لم يكن مناسبا لشن الحرب كما هو الان •

ويختتم الامبراطور هذا المجلس بقوله « لا تنسوا اتكالى على حليفى الاكبر فى السماء » ويردد ولى العهد « باريس • عاصمة ملكى الجديد » • ويظهر لنا الحكيم مرة اخرى وهو يتمتم بكلمات الدمار الذى سيحل بالعالم •

فاذا كان الفصل الثانى ، رأينا فى منظره الاول المستشار الامبراطورى ووزير الخارجية وكبير الجواسيس • وفيما يشبه المونولوج نستمع الى صوت المستشار يتهدج بنشيج تتسرب منه الكلمات

بصعوبة بالغة فنعلم انه يرى فى الامبراطور رجلا لا يقل طيشا ونزقا عن ابنه ولى العهد • وان هذا الطيش سيؤدى بالمانيا الى هاوية بلا قرار ، ولكنه لايجد مفرا من الاستجابة له بل وصياغة افكاره حسب الطلب بل والتفنن فى تلبية الاوامر من قبل ان تصدر ،ويقطع عليه وزير الخارجية الاسترسال فى خواطره حيث يلقى بنبأ من سفيره فى النمسا يقول بان ولى عهدها سيقوم بسياحة فى املاكها السلافية • وهنا يتفتق ذهن المستشار عن « الحل الالهى » لاشعال الحرب ، فيطلب من كبير الجواسيس ان يدبر مؤامرة لاغتيال الامير النمسوى اثناء الزيارة المرتقبة نتهم فيها السلافيين ونشير الى دسائس الصرب ونعلن الحرب ، ويشرح كبير الجواسيس تفاصيل المؤامرة فيعلق المستشار منافقا كبير الجواسيس ـ بالحقيقة ان قوة المانيا الهائلة هى فى جاسوسيتها المنظمة » • وفى المنظر الثانى نعلم مع الامبراطور بنتيجة المؤامرة ـ دون ان يعلم بالمؤامرة نفسها التى ظلت سرا بين المستشار وكبير الجواسيس ـ بل ان كبير الجواسيس يخبر المستشار بان المؤامرة لم تنفذ وانما الموت قد حدث « قضاء وقدرا » دون تدخل منا يوخز الضمير •• وهكذا يجد المستشار نفسه فى حيرة من امره وامر كبير الجواسيس على السواء • ومن ثم يتحول المنظر الثالث الى المجلس الامبراطورى ، فيأمر كلا حسب اختصاصه بالوقوف على اهبة الاستعداد القصوى •• لان الحرب باتت على الابواب •

اما الفصل الثالث فيبدأ باحتجاج من ملك بلجيكا على طلب المانيا ان تجتاز حدود بلاده فى طريقها الى فرنسا ، ولكن بلجيكا كانت قد اجتيزت من قبل ان يصل الاحتجاج ، فيوصى الامبراطور قواده خيرا بالعمل على ثلاث جبهات ، الروسية والانجليزية والفرنسية فان المجد الالمانى فى خطر داهم اذا لم تدك حصون هذه الجبهات الثلاث • ويتولى الامير ولهلم قيادة الجيوش المتقدمة الى باريس ، ولكن الانباء سرعان ما تصل بان الامور لا تجرى وفق الخطط الموضوعة والامال المرجوة •• فبالرغم مما حققه الجيش الالمانى من تقدم سريع فى البداية ، راحت الصعوبات تتراكم امامه كالمتاريس الضخمة التى لا سبيل الى اجتيازها ، المتاريس المكونة من الجيوش النظامية والمقاومة الشعبية معا. وهكذا تتوالى الهزائم بعد الانتصارات ، ويرتد الجنود الالمان على اعقابهم فى كل مكان جسروا على انتهاك حدوده ، ويتم عزل قائد الجيش وولى العهد ، ولكن احدى البرقيات تلطف الجو الخانق بغبار الهزائم ، فالبرقية تقول ان غواصة المانية دمرت الباخرة لوزيتانيا الامريكية •• ويطلب الامبراطور أن ينشر النبأ فى جميع الصحف ليرفع روح الشعب المعنوية • على ان البرقية تتلوها اخرى تقول أن الصحافة الامريكية ثائرة على المانيا وتلح فى طلب ضمان يحمى المصالح الامريكية • هذا فى الوقت الذى ترد فيه الانباء ان ايطاليا اعلنت الحرب بدورها على النمسا • وتطيش سهام الالمان فى حملة « القنال » التى اكدت لهم ان المصريين يقفون فى المحنة العالمية الى جانب الانجليز •

ولكننا فى الفصل الرابع نلتقى مع الامبراطور فى الميدان الغربى حيث نراه يعدد لقواده «المراكز» التى لا يزال يستولى عليها جيشه بقوة واقتدار • ولا يكاد ينتهى من نشوة النصر المفتعلة حتى تسقط عليه الاخبار كسياط جهنمية لا ترحم : الدردنيل سقط والروس يتقدمون بسرعة اوشكوا بها ان يحتلوا المانيا نفسها ، والنمسا فى ثورة اهلية والعائلة المالكة مهددة هناك فى حياتها • على ان الطامة الكبرى حقا كانت « الثورة الشعبية » فى المانيا ، اذ نرى الشعب الالمانى اخيرا يثور على امبراطوره وترد الانباء من برلين عن الحشود التى تجمهرت هاتفة بسقوطه، ويفكر المستشار فى « التسليم بشرف » ولكن غليوم يسأله : « واين الشرف ؟ » ومع هذا تظل تنثال على مخيلته احلام العظمة المفقودة •

وقبل ان نصل الى نهاية هذا الفصل فى قصر الامبراطورة والجماهير تلتف من حوله ، تطوقه بارادة حديدية فى الخلاص •• نعلم ان « الدول » قد هزمت الجيش الامبراطورى نهائيا ، وانها رفضت « التسليم بشرف » بل قبضت على المسئول الاول كواحد من الجناة ومجرمى الحرب ، وتدهش الامبراطورة مما يتردد على السنة الجماهير التى تزأر فى طلب الخبز والحرية والثأر لزهرة الشباب الالمانى الذى تناثرت اشلاؤه فى كل تراب اوروبا • ولكن دهشتها لا تطول وان زين لها احد الجنرالات الخائبة كما تهواها ، وكما تخيلها ولى العهد الاهوج ، اذ تصور ان « الدول » ستقمع الثورة الداخلية وتعيد الملك الى ولهلم ، وتعود هى « الملكة الام » من جديد •• ويردد الامير فى طيش « انت يا حضرة الجنرال منذ الان وزيرى ومستشارى الخاص » •

وتنتهى المسرحية بالفصل الخامس ، فصل « المحاكمة » التى الفت من خمسة عشر محكما . سبعة من ناحية وهم مندوبو انجلترا وفرنسا وروسيا وبلجيكا والصرب والجبل الاسود وايطاليا ، وسبعة من الناحية الاخرى وهم مندوبو امريكا واليابان واسبانيا وسويسرا والصين ومندوب عن دول البلقان واخر عن دول الشمال ، ويرأس هذا المجلس رئيس جمهورية « سان مارينو » والمدعى هو « الرأى العام » والمحامى هو « شبح الدهور فى سالف العصور » • وينحصر الادعاء فى نقطتين هما : جنون العظمة الذى ادى

بغليوم الى الاجرام ، والاخرى هى جريمة المجتمع الذى منحه الفرصة لتحقيق جرائمه • ثم يقول ان المجتمع قد نال جزاءه بالاف الشباب الالمانى الذى لقى مصرعه فى ميدان القتال ، والجوع والامراض التى استشرت بين مختلف فئات الشعب • اما الامبراطور السابق ، فان عقابه الوحيد ليس القتل ، وانما « النسيان » و « تجاهل » التاريخ له » فلا يذكر اسمه امام هذه الحوادث البشعة التى ارتكبها • ويعترض المحامى على هذا « العقاب » الغريب ، ويطلب بدلا منه أن يعزل من منصبه وينفى « تحت مراقبة اطباء دوليين » وتنتهى المسرحية •

قد يستغرب القارىء ــ كما يقول المؤلف فى تذييله ــ ان يختتم مسرحيته على هذه الصورة عام ١٩١٥ ، ولم تكن الحرب قد انتهت بعد ، ولم تكن هزيمة المانيا محققة • اما شبلى شميل فكان يرى ان « فشلهم فى حملتهم على باريس يوحى بانهم لن يستطيعوا تحقيق احلامهم ، وما انتصاراتهم الجزئية اليوم الا تطويل لاجل الحرب » • اما الجزء الاخر من نبوءته العجيبة فهى « ان الحرب لاتزال طويلة لان المانيا لا يبلغ بها الوهن حده فى زمن قصير » ولقد بقيت الحرب فعلا الى عام ١٩١٨ اى بعد ان كتب المسرحية بسنوات ثلاث ، وبعد ان رحل هو عن عالمنا بعام كامل •

و « المأساة الكبرى » من الناحية الفنية اشبه ما تكون بحوار طويل عن بشاعة الحرب وعبادة الفرد ، كتلك الاعمال الحوارية التى عرفناها عند توفيق الحكيم فيما بعد حول الحرب والسلام فى كتابه « سلطان الظلام » : فالمتحاورون اسماء لا شخصيات ، والاحداث افكار لا مواقف درامية • وهى بذلك لا تخضع لبناء كلاسيكى فى المسرح ، كما انها ليست تراجيديا خالصة او كوميديا خالصة ، ان الامبراطور او ولى العهد او المستشار كلهم « اشباح » لشخصيات تاريخية عرفتها المانيا فى بداية هذا القرن • ولكن الكاتب لا يتخذ من هذه الشخصيات الا جانبها الفكرى المجرد ، اما تكوينها البشرى الذى يميز غليوم عن اى طاغية آخر ، فهذا مالم يدر بخلد مؤلف « المأساة الكبرى » لان ماكان يعنيه هو « عرض الاسباب » التى ادت الى الكارثة لاتبين التفاصيل المروعة التى نسجت منها لحمها الحى • واذا كان غليوم من احد وجوهه ، سفاحا دوليا وحاكما طاغية ، فان تفصيل تكوينه الانسانى كان جديرا بأن يضفى على الشخصية حيوية دافقة تجذب اهتمام المتفرج وتقنع القارىء •
اما الاحداث فقد وصفها المؤلف بدقة حين قال ان جزءا منها يقع فى اطار التاريخ الواقعى لمأساة الحرب العالمية الاولى ، والجزء الاخر يقع فى اطار الخيال المتصور عن نهاية هذه الحرب •

ونحن نعلم ان الاجزاء الاخيرة فى المسرحية ، لم تؤكدها احداث الحرب الواقعية وان انتهت بنفس الخاتمة التى تصورها الكاتب وهى هزيمة المانيا • ومن الغريب حقا ان يجعل المؤلف من ثورة الشعب الالمانى على الامبراطور الطاغية دعامة رئيسية فى هزيمته ، بينما نحن لا نرى اثرا لهذا الشعب طوال المسرحية • ولعل « المحاكمة » الاخيرة التى اجراها شبلى شميل ليست خيرا عن مثيلاتها من « المحاكمات المسرحية » التى يسهل انزلاقها الى مستوى « الخطب » التى يلقيها المدعون والمحامون •

ونحن نجد امتدادا لهذه المسرحية فى اعمال الحكيم التى تحدثت مرارا عن النازى ، وهى تنطلق فكريا من نقطة العداء للحرب ، والدفاع عن الحضارة ، وهى تتحقق فنيا بالمحاورات الذهنية المجردة التى تسلب المسرحية كيانها الدرامى بشخصياته الحية ومواقفه المتحركة وصراعاته المتعددة الابعاد • ويظل هذا الامتداد باقيا الى يومنا هذا ، فنشاهد آثاره فى مسرحية «الزلزال» لمصطفى محمود حيث لا تخرج عن كونها حوارا طويلا يتخلله مونولوج فى بعض الاحيان • ولعل مسرحية « القنبلة الثالثة » لمصطفى مشعل هى المثال الجديد لهذا اللون من الادب المعادى للحرب ، او ادب السلام كما يدعوه البعض •• فهذه المسرحية تتخلص من البرود والتجريد وتنتقل بنا الى لحظة انسانية عميقة ، هى لحظة القاء القنبلة الذرية على هيروشيما • وتجسد لنا شخصيات حية من لحم ودم ، ونعيش معها مجموعة من المواقف المليئة بالحرارة والحيوية •

على انه يتبقى للدكتور شبلى شميل انه اسهم بغير شك ، فى وضع لبنة فى بناء المسرح المصرى عندما كان لايزال واقعا تحت تأثير صالات الرقص والملاهى ، او تأثير التعريب بتصرف •• وما اجدر نقادنا ودارسينا ان يتناولوا مثل هذا التراث من جديد بالتأريخ والتقييم ، وأن يوجهوا عنايتهم الى هذا الوجه المجهول من وجوهه •• فقد نهتدى الى تاريخنا المسرحى بصورة افضل من تركه للقدر والمصادفات •

وثائق

وثائق تاريخية عن :

الحركة الدستورية في مصر من أواخر القرن الثامن عشر

تنشر الطليعة ابتداء من هذا العدد الوثائق الخاصة بالحركة الدستورية في بلادنا .

والحقيقة ان « الوثيقة » الاصيلة في هذا المجال ، هي « الحركة الشعبية » ـ فما لم تكن الوثيقة الدستورية تعبيرا عن نضال شعبي ـ للتحرر من الاستعمار ، أو الحكم المطلق أو الاستغلال ـ فانها تكون نصا خاليا من المضمون ، غيرقادر على الاستمرار في الحياة .

والنضال الشعبي من أجل التحرر في مصر قديم ، وهو يمضي في طريق وعر ـ يصيبه النجاح مرة ، ولا يحقق بعض أهدافه مرات . ولكن المؤكد هو ان الشعب في كل جولة يتقدم في طريقه ، ويعمق قيمه ، ويضع الاساس لتحرك جديد أكثر عمقا ، وأقوى فاعلية .

ولقد اختارت الطليعة ان تبدأ من ذلك التحرك الشعبي الذي سجله المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي في اواخر القرن الثامن عشر . وكانت الحصيلة « حجة » تعهد فيها الحاكم بأن يحكم بالعدل .

ومع مجيء الحملة الفرنسية الى مصر حاول بونابرت ان ينظم مؤسسات للحكم . وكان يقف وراء هذا التنظيم التراث الدستوري والتشريعي في فرنسا .

واذا كانت مصر قد قامت ضد الاستعمار الوافد ؟ الا ان المصريين فهموا على الاقل نظريا — خلال هذه الفترة التى تتعقد فيها العوامل وتتشابك — أنهم يستطيعون هم بأنفسهم أن يكونوا حكاما ، وأن المسافة بين الحاكم والمحكومين ليست بذلك الاتساع الذى رسبته قرون الحكم المملوكى والعثمانى .

وتجمعت هذه الخبرة كلها فى الحركة الشعبية التى أعقبت خروج الفرنسيين من مصر . ولاول مرة نرى « الفلاحين » — طبقا للتعبير التركى ، يقومون بمحاصرة « قلعة » الحكم . وينجحون — ليس فقط فى عزل الوالى ، ولكن أيضا فى اختيار خلفه . وهذه كلها أعمال ظلت أزمنة طويلة احتكارا للمماليك والفرق العسكرية العثمانية المملوكية .

ولقد دارت أثناء هذه الحركة الشعبية مناقشات سياسية نظرية على أعظم جانب من الخطورة . واذا كان الجبرتى يروى ما أصاب الشعب من مرارة بسبب عدم استمرار النضال ، فليس من شك فى أن مصر بهذه الحركة وبكل ما حققته من انجازات عملية وفكرية قد بدأت طريقا جديدا — وان كان طويلا وصعبا — من أجل تثبيت السيادة والسلطة للشعب .

■■■

① حجة الحقوق عام ١٧٩٥

وفى شهر الحجة [سنة تسع ومائتين والف] [١٧٩٥م]

وقع به من الحوادث ان الشيخ الشرقاوى له حصة فى قرية الشرقية ببلبيس حضر اليه اهلها وشكوا من محمد بك الالفى وذكروا ان اتباعه حضروا اليهم وظلموهم وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه واستغاثوا بالشيخ . فاغتاظ وحضر الى الازهر وجمع المشايخ وقفلوا ابواب الجامع وامروا الناس بغلق الاسواق والحوانيت . ثم ركبوا فى ثانى يوم ، واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا الى بيت الشيخ السادات . وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم ابراهيم بيك وقد بلغه اجتماعهم . فبعث من قبله ايوب الدفتردار فحضر اليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم ، فقالوا نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها واحدثتموها . فقال لا يمكن الاجابة الى هذا كله فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات . فقيل له هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك ، والامير يكون أميرا بالاعطاء لا بالاخذ ، فقال حتى ابلغ . وانصرف . ولم يعد لهم بجواب . وانفض المجلس

وركب المشايخ الى الجامع الازهر واجتمع اهل الاطراف من العامة والرعية وباتوا بالمسجد وارسل ابراهيم بيك الى المشايخ يعضدهم ويقول لهم انا معكم ، وهذه الامور على غير خاطرى ومرادى . وارسل الى مراد بيك يخيفه عاقبة ذلك . فبعث مراد بيك يقول أجيبكم الى جميع ماذكرتموه الا شيئين : ديوان بولاق وطلبكم المنكسر من الجامكية ، ونبطل ماعدا ذلك من الحوادث والظلم ، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه ثلاثا .

ثم طلب اربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم فذهبوا اليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعى فى الصلح على ماذكر ، ورجعوا من عنده وباتوا على ذلك تلك الليلة .

وفى اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم بيك واجتمع الامراء هنالك وارسلوا الى المشايخ فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب [عمر مكرم] والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الامير . وكان المرسل اليهم رضوان كتخدا ابراهيم بيك . فذهبوا معه ومنعوا العامة من السعى خلفهم ، ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانحط الامر على انهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه

العلماء عليهم وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيسا موزعة وعلى ان يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون واموال الرزق ويبطلوا رفع المظالم المحدثة والكشوفيات والتفاريد والمكوس ماعدا ديوان بولاق وأن يكفوا اتباعهم عن امتداد أيديهم الى اموال الناس ويرسلوا صرة الحرمين والعوائد المقررة من قديم الزمان. ويسيروا فى الناس سيرة حسنة .

وكان القاضى حاضرا بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك وفرمن (أصدر فرمانا) عليها الباشا ، وختم عليها ابراهيم بيك وارسلها الى مراد بيك فختم عليها ايضا . وانجلت الفتنة وحول كل واحد منهم جملة عظيمة من العامة وهم ينادون : حسب مارسم ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية .

وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الاسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر .

ثم عاد كل ما كان مما ذكر وزيادة

ونزل عقيب ذلك مراد بيك الى دمياط وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك .

« الجبرتى ، عجائب الاثار ٢، ٢٥٨-٢٥٩ »

---

٢ وثائق الحملة الفرنسية

صورة المكتوب الصادر من الفرنساوية الى البلاد التى يقدمون عليها

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لاولد له ولا شريك له فى ملكه من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية (١)

السر عسكر الكبير امير الجيوش الفرنساوية بونابارته يعرف أهالى مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء والتعدى ، فحضر الان ساعة عقوبتهم . وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الابازة والجراكسة يفسدون فى الاقليم الحسن الاحسن الذى لا يوجد فى كرة الارض كلها . فأما رب العالمين القادر على كل شىء فانه قد حكم على انقضاء دولتهم .

يا أيها المصريون قد قيل لكم اننى مانزلت بهذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم . فذلك كذب صريح . فلا تصدقوه وقولوا للمفترين أننى ما قدمت اليكم الا لاخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى اكثر من المماليك اعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا ايضا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله وان الشىء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط . وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب . فماذا يميزهم حتى يستوجبوا ان يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شىء أحسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة . فان كانت الارض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم .

ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم ، ولكن بعونه تعالى **من الان فصاعدا لاييأس احد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية . فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الامور (٢) وبذلك يصلح حال الامة كلها .**

---

[١] يقول الرافعى أن العبارات الاولى من المنشور غير واردة فى الاصل الفرنسى ، وانما وردت فى النسخة العربية التى وزعت فى البلاد والواردة فى الجبرتى . اما الاصل الفرنسى فمبتدأ بالعبارة الاتية : المعسكر العام بالاسكندرية فى ١٤ مسيدور من السنة السادسة الموافق ١٨ محرم سنة ١٢١٣ هجرية . بونابرت عضو المجمع العلمى الاهلى والقائد العام .

[الرافعى ، الجزء الاول ، ص ٧١ هامش ١]

[٢] فى الاصل الفرنسى : سيتولون الحكم . [الرافعى ، المرجع السابق ، ص ٧٢ هامش ١]

وسابقا كان فى الاراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما ازال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك .

ايها المشايخ والقضاة والائمة والجربجية وأعيان البلد : قولوا لامتكم ان الفرنساوية هم ايضا مسلمون مخلصون (٣) ، واثبات ذلك انهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وضربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام . ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواللربة الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين . ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة سلطان العثمانيين واعداء اعدائه . ادام الله ملكه . ومع ذلك ان المماليك امتنعوا عن اطاعة السلطان غير ممتثلين لامره فما اطاعوه اصلا الا لطمع انفسهم .

طوبى ثم طوبى لاهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم . وتعلى مراتبهم ، طوبى ايضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لاحد من الفريقين المتحاربين ، فاذا عرفونا بالاكثر تسارعوا الينا بكل قلب . لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر .

« **الجبرتى ، عجائب الاثار ، ٣ ، ٤ — ٥** »

●

تشكيل الديوان اثناء الحملة الفرنسية

معسكر القاهرة فى ٧ ترميدور من السنة السادسة للجمهورية [٢٥ يولية ١٧٩٨]

بونابرت عضو المجمع العلمى الاهلى والقائد العام للجيش يأمر بما يأتى :

اولا : تحكم مدينة القاهرة بديوان مؤلف من تسعة اعضاء

ثانيا : يتألف هذا الديوان من المشايخ : السادات ، والشرقاوى ، والصاوى ، والبكرى ، والفيومى ، والعريشى ، وموسى السرسى ، والسيد عمر نقيب الاشراف ، ومحمد الامير . وعليهم ان يجتمعوا اليوم فى الساعة الخامسة مساء فى منزل كخيا الشاويشية . وعليهم ان ينتخبوا من بينهم رئيسا لهم وان يختاروا سكرتيرا [كاتم سر] من غير الاعضاء ويعينوا اثنين من الكتبة والتراجمة يعرفون الفرنسية والعربية .

ولهذا الديوان حق تعيين اثنين من الاغوات [رؤساء الجند] لادارة البوليس وعليه أن ينتخب لجنة مؤلفة من ثلاثة لمراقبة الاسواق وتموين المدينة ولجنة من ثلاثة آخرين يكلفون بمهمة دفن الموتى بالقاهرة وضواحيها الى فرسخين منها .

ثالثا : يجتمع الديوان كل يوم من الظهر ويبقى ثلاثة اعضاء على الدوام بدار المجلس .

رابعا : يقام على باب الديوان حرس فرنسى وآخر تركى .

خامسا : على الجنرال برتييه [رئيس اركان الحرب] وقومندان المدينة [الجنرال ديبوى] ان يكونا فى الساعة الخامسة مساء اليوم بدار الديوان لاجراء ما يلزم لاعضائه ولكى يأخذا عليهم عهدا الا يعملوا شيئا ضد مصلحة الجيش .

« **الرافعى ، الحركة القومية ، ١ ، ص ٧٩** »

ما أورده الجبرتى عن هذا المرسوم

وفى يوم الخميس ثالث عشر صفر [سنة ثلاث عشرة ومائتين والف] ارسلوا بطلب المشايخ والوجاقلية عند قائمقام صارى عسكر فلما استقر بهم الجلوس خاطبوهم وتشاوروا معهم فى تعيين عشرة انفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات :

[فوقع] الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى والشيخ موسى

---

(٣) فى الاصل طبقا لما يقوله الرافعى : «محبون للمسلمين المخلصين» ، المرجع السابق ، ص ٧٢ هامش ٣ .

السرسي والشيخ مصطفى الدمنهوري والشيخ أحمد العريشي والشيخ يوسف الشبرخيتي والشيخ محمد الدواخلي .

وحضر ذلك المجلس ايضا مصطفى كتخدا بكرباشا والقاضي وقلدوا محمد اغا المسلماني اغات مستحفظان وعلى اغا الشعراوي والى الشرطة وحسن اغا محرم أمين احتساب ، وذلك باشارة ارباب الديوان . فانهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك . فعرفوهم ان سوقة مصر لا يخافون الا من الاتراك ولا يحكمهم سواهم ، وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم .

« عجائب الآثار ، ٢ ، ص ١١ » (وانظر في تفسير الفرق بين النص الفرنسي ونص الجبرتي — الرافعي المرجع السابق ، ص٧٩ — ٨٠]

دواوين الاقاليم

مرسوم بونابرت في ٢٧يولية ١٧٩٨.

اولا : يتألف في كل مديرية من مديريات القطر المصري ديوان من سبعة اعضاء يسهرون على مصالح المديرية ويعرضون عليه الشكاوى التي تصل اليهم ويمنعون اعتداء القرى بعضها على بعض وعليهم مراقبة الاشخاص السيئي السيرة ومعاقبتهم والاستعانة على ذلك بالقوات التي تحت امرة القواد الفرنسيين وارشاد الاهالي الى ما تقتضيه مصلحتهم .

ثانيا : يعين في كل مديرية اغا [رئيس] الانكشارية يتصل دائما بالقومندان الفرنسي ويكون تحت امرته قوة مسلحة من ستين رجلا من الاهالي يحافظ بهم على النظام والامن والسكينة

ثالثا : يعين في كل مديرية « مباشر » لجباية اموال الميري والضرائب وايراد املاك المماليك التي صارت ملكا للجمهورية ، ويكون تحت رياسته العمال الذين يحتاجهم العمل .

رابعا : يعين بجانب هذا المباشر وكيل فرنسي للمخابرة مع مدير المالية ومراقبة تنفيذ الاوامر التي يصدرها وتكون من اختصاص الادارة المالية .

« الرافعي ، المرجع السابق ، ص ٨٤ — ٨٥ »

الديوان العام

يقول الرافعي :

« اراد نابليون ان يستنير بآراء اعيان العاصمة والاقاليم في المسائل التي تفرعت عن النظام الجديد ، ففي ٤ سبتمبر ١٧٩٨ دعاهم الى الاجتماع في جمعية عامة تمثل اعيان البلاد ليستشيرها في النظام النهائي للدواوين التي اسسها وفي ادارة الحكومة ووضع نظامها الاداري والمالي والقضائي . وحدد لانعقاد هذه الجمعية بالقاهرة يوم اول اكتوبر ثم عدل الميعاد الى ٥ اكتوبر . وسميت هذه الجمعية « الديوان العام » تمييزا لها عن ديوان القاهرة .

« توخى نابليون اختيار هؤلاء الاعيان من « الاشخاص الذين لهم نفوذ بين الاهالي ومن الذين امتازوا بمركزهم العلمي وكفايتهم وطريقة استقبالهم للفرنسيين » .

احتوت هذه الجمعية العامة مندوبين من القاهرة ومن الاسكندرية ورشيد ودمياط والبحيرة والغربية والمنصورة والشرقية والمنوفية والقليوبية والجيزة واطفيح وبني سويف والفيوم والمنيا واسيوط وجرجا وكان مندوبو كل مديرية مؤلفين من ثلاثة من العلماء ، وثلاثة من التجار ، وثلاثة من الاهالي [مشايخ البلاد ورؤساء العربان] وكان مندوبو القاهرة في الديوان العام ثلاثة امثال كل مديرية ولكل من الشرقية والمنوفية الضعف .

واصدر نابليون امره الى العالمين مونج وبرتوليه عضوى المجمع العلمي بالاشتراك في جلسات « الديوان العام » على ان يكون لهما صفة «قوميسيرين» لحضور المناقشات وعرض مشروعات الحكومة على الاعضاء وتلقيا منه تعليماته في رسالة قال فيها :

« ان الغرض من عقد «الديوان العام » هو تعويد الاعيان المصريين نظم المجالس الشورية والحكم . فقولوا لهم اني دعوتهم لاستشارتهم وتلقي آرائهم فيما يعود على الشعب بالسعادة والرفاهية ، وما يفكرون في عمله اذا كان لهم حق الفتح الذي حزناه في ميدان القتال .

« اطلبوا من الديوان العام ان يبدى رأيه في المسائل الاتية :

اولا : ما هو اصلح نظام لتأليف مجالس « الديوان » في المديريات وما هو المرتب الذي يجب تحديده للاعضاء .

ثانيا : ماهو النظام الذي يجب وضعه للقضاء المدني والجنائي

ثالثا : ما هو التشريع الذي يكفل ضبط المواريث ومحو انواع الشكاوى والاجحاف الموجودة في النظام الحالي .

رابعا : ما هي الاصلاحات والاقتراحات التي يراها الديوان

لاثبات ملكية العقارات وفرض الضرائب ».

« ويجب ان تفهموا الاعضاء بأننا لا نقصد الا توفير السعادة والرفاهية للبلاد التى تشكو من سوء نظام الضرائب الحالى كما تشكو من طريقة تحصيلها وعليكم ان تضعوا للديوان نظامه الداخلى كما يأتى : ان ينتخب الاعضاء رئيسا له ونائب رئيس وسكرتيرين ومترجمين وثلاثة مراقبين . وان يكون ذلك بطريق الاقتراع وبكل مظاهر الانتخاب وعليكم ان تتبعوا المناقشات وتدونوا اسماء الاعضاء الذين يمتازون عن زملائهم فى الديوان سواء بنفوذهم او بكفايتهم » .

«الرافعى ج١ ، ص ٨٥و٨٦ »

[انظر فى كيفية ممارسة الديوان لمهمته ، وتعديلات بونابرت لقراراته بخصوص دواوين القاهرة والاقاليم ، ثم ما ترتب على ثورة القاهرة الاولى من تعديلات فى نظم الدواوين .

الرافعى ١ ، ص ٩٠ وما بعدها ٢ ص ١ وما بعدها لويس عوض ، تاريخ الفكر المصرى الحديث ، الجزء الاول ، ص ١٦٣ وما بعدها .]

ما هو التقييم المصرى الحقيقى لعمل الفرنسيين فى مصر ؟

مسألة بالغة التعقيد، يختلط فيها النظر الدينى ، بالكفاح الوطنى ، بالتأثر العقلى . وهنا تبرز المفاهيم الدستورية الفرنسية ، وفكرة القاعدة القانونية العامة والمؤسسات التى تقوم على تطبيقها كواحد من اقوى الاثار التى خلفها الفرنسيون فى الواقع والفكر المصريين .

ولعل خير ما يعبر عن هذا الموقف المعقد ماكتبه **الامام عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الازهر** الذى عاصر الحملة الفرنسية ، وما يثبته الرجل هنا يعتبر وثيقة بالغة الاهمية بسبب منصبه الدينى ، ومشاركته فى اجهزة الحكم، وارتباطه بالمصريين .

يقول :

« وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة اباحية طبائعية ، يقال لهم نصارى قاتوليقية ، يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا ، وينكرون البعث والدار الاخرة وبعثة الانبياء والمرسلين ، ويقولون ان الله واحد ولكن بطريق التعليل .

« **ويحكمون العقل ، ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام بعقولهم ويسمونها شرائع ..** ويزعمون ان الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب اهل زمانهم .

« **ولذا جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب اهل البلاد بحسب عقولهم : وكان فى ذلك رحمة بأهل مصر . فانهم جعلوا من جملة ديوانهم جماعة من المشايخ وصاروا يراجعون بعض اشياء لا تليق بالشرع .**

« والسبب الذى اوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين مع آلات القتال »

[«كتاب تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين» تاليف الامام الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمه الله تعالى آمين .

وهو على هامش كتاب « لطائف أخبار الدول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول» تاليف العبد الفقير الى عفو ربه الكريم الباقى محمد عبد المعطى بن ابى الفتح بن احمد بن عبد المغنى بن على الاسحاقى المنوفى نفعنا الله به آمين . صفحة ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧]

٣ هبة الشعب عام ١٨٠٥ يوم السبت حادى عشر صفر الخير ١٢٢٠

وكانت اشياء كثيرة والامر لله وحده لا شريك له ، والمشايخ تاركون الحضور الى الازهر وغالب الاسواق والدكاكين مغلوقة . وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة فحضر الاغا الى نواحى الازهر ونادى بالامان وفتح الدكاكين فى العصر فقال الناس : واى شىء حصل من الامان ، وهو يريد سلب الفقراء ويأخذ اجر مساكنهم ويعمل عليهم غرامات ، وباتوا فى هرج ومرج » .

فلما اصبح يوم الاحد ثانى عشرة

ركب المشايخ الى بيت القاضى واجتمع به الكثير من المتعممين والعامة والاطفال حتى امتلأ الحوش والمقعد بالناس وصرخوا بقولهم : شرع الله بينا وبين هذا الباشا الظالم . ومن الاولاد من يقول يا لطيف ، ومنهم من يقول : يارب يا متجلى اهلك العثملى، ومنهم من يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . وغير ذلك .

وطلبوا من القاضى ان يرسل باحضار المتكلمين فى الدولة لمجلس الشرع . فارسل الى سعيد اغا الوكيل وبشير اغا الذى حضر قبل تاريخه ، وعثمان اغاقبى كتخدا ا والدفتردار والشمعدنجى . فحضر الجميع واتفقوا على كتابة عرضحال بالمطلوبات ففعلوا ذلك وذكروا فيه تعدى طوائف العسكر

والايذاء منهم للناس واخراجهم من مساكنهم والمظالم والفرد وقبض مال الميرى المعجل وحق طرق المباشرين ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك واخذوه معهم ووعدوه برد الجواب فى ثانى يوم .

وفى تلك الليلة ارسل الباشا مراسلة الى القاضى يرقق فيها الجواب ويظهر الامتثال ويطلب حضوره اليه من الغد مع العلماء ليعمل معهم مشورة . فلما وصلته التذكرة حضر بها الى السيد عمر افندى واستشاروا فى الذهاب ثم اتفقوا على عدم التوجه اليه وغلب على ظنهم انها منه خديعة وفى عزمه شىء آخر لانه حضر بعد ذلك من اخبرهم انه كان اعد أشخاصا لاغتيالهم فى الطريق وينسب ذلك الفعل لاوباش العسكر لو عوتب بعد ذلك .

[فلما اصبحوا يوم الاثنين] اجتمعوا ببيت القاضى وكذلك اجتمع الكثير من العامة فمنعوهم من الدخول الى بيت القاضى وقفلوا بابيه وحضر اليهم ايضا سعيد اغا والجماعة . وركب الجميع وذهبوا الى محمد على وقالوا له : انا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ولابد من عزله من الولاية . فقال : ومن تريدونه يكون واليا : قالوا له : لا نرضى الا بك وتكون واليا علينا **بشروطنا** لما نتوسمه فيك من العدالة والخير . فامتنع اولا ثم رضى . واحضروا له كركا وعليه قفطان وقام اليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى فألبساه له . وذلك وقت العصر ، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة .

وارسلوا الى احمد باشا الخبر بذلك فقال : انى مولى من طرف السلطان فلا اعزل بأمر الفلاحين ولا انزل من القلعة الا بأمر من السلطنة .

واصبح الناس وتجمعوا ايضا فركب المشايخ ومعهم الجمع الغفير من العامة وبأيديهم الاسلحة والعصى ...

... ثم ان محمد على باشا والمشايخ كتبوا مراسلة الى عمر بيك وصالح اغا قوش المعضدين لاحمد باشا المخلوع يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل الباشا ولا ينبغى مخالفتهم وعنادهم لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم . وخراب الاقليم فارسلا يقولون فى الجواب : اورونا سندا شرعيا فى ذلك . فاجتمع المشايخ فى يوم الخميس سادس عشره ببيت القاضى ونظموا سؤالا وكتب عليه المفتون وارسلوه اليهم . فلم يتعقلوا ذلك ، واستمروا على خلافهم وعنادهم .

... واستمر احمد باشا المخلوع ومن معه على الخلاف والعناد وعدم النزول من القلعة ويقول : لا انزل حتى يأتينى امر من السلطان الذى ولانى ... وليس فى اقامتنا بالقلعة ضرر او خراب على الرعية فاننا لا نريد اضرارهم .

فأجابه القاضى بقوله : ... ومن قبيل ماذكرتموه من عدم ضرر الرعية فان اقامتكم بالقلعة هو عين الضرر . فانه حضر يوم تاريخه نحو الاربعين الف نفس بالمحكمة . وطالبوا نزولكم أو محاربتكم فلا يمكنا دفع قيام هذا الجمهور . وهذا آخر المراسلات بيننا وبينكم والسلام فأجابوه بمعنى الجواب الاول .

واجتهد السيد عمر افندى النقيب وحرض الناس على الاجتماع والاستعداد وركب هو والمشايخ الى بيت محمد على باشا ومعهم الكثير من المشايخ والعامة والوجاقلية . والكل بالاسلحة والعصى والنبابيت . ولازموا السهر بالليل فى الشوارع والحارات . ويسرحون احزابا وطوائف ومعهم المشاعل ويطوفون بالجهات والنواحى وجهات السور ثم اتفقوا على محاصرة القلعة .

...

[وفى صبح يوم السبت]

...

وركب السيد عمر افندى فى قلة من الناس وذهب الى بيت حسن بيك اخى طاهر باشا ، وكان هناك عمر بيك الذى نزل من القلعة . **فوقع بينه وبين السيد عمر مناقشة فى الكلام طويلة . ومن جملة ما قاله :**

ـ كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم ـ وقد قال الله تعالى : اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ؟

فقال له :

اولو الامر [هم] العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان ان اهل البلد يعزلون الولاة وهذا شىء من زمان ، حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونه ويخلعونه .

ثم قال :

ـ وكيف تحصرونا وتمنعون عنا الماء والاكل وتقاتلونا أنحن كفرة حتى تفعلوا معنا ذلك ؟

قال :

ـ نعم قد افتى العلماء والقاضى بجواز قتالكم ومحاربتكم لانكم عصاة .

فقال :

ـ ان القاضى هذا كافر

فقال :

ـ اذا كان قاضيكم [التركى] كافرا ، فكيف بكم . وحاشاه الله من ذلك ، انه رجل شرعى لا يميل عن الحق .

وانفصل المجلس على ذلك وخاطبه الشيخ السادات فى مثل ذلك . فلم يتحول عن الخلاف والعناد .

هذا ـ والامر مستمر من اجتماع الناس وسهرهم وطوافهم بالليل واتخاذهم الاسلحة والنبابيت حتى ان الفقير من العامة كان يبيع ملبوسه او يستدين ويشترى به سلاحا .

...

والامر على ذلك مستمر من تجمع الناس وسهرهم بالليل فى سائر الاخطاط .

وفى ليلة الثلاثاء سادس ربيع الاول سنة ١٢٢٠ تحرك العسكر وطلبوا العلوفة من محمد على فقال لهم : ليس لكم عندى علوفة حتى ينزل احمد باشا من القلعة ونحاسبه وتأخذوا علائفكم منه . فلم يمتثلوا وتركوا المتاريس التى حول القلعة فتفرقوا وذهبوا .

فذهب جماعة من الرعيــــة وتترسوا فى مواضعهم .

• • •

حضر كتخدا محمد على ليلا ومعه فرمان ارسله احمد باشا المخلوع الى الولاة [فرقة من العسكر] للحضور ويذكر لهم انه يجب عليهم معاونته **صيانة لعرض السلطنة واقامة لناموسها وناموس الدين** ، وان الفلاحين محاصرونه ومانعون عنه الاكل والشرب . فلما وصـــل ذلك الفرسان اليهم بقليوب ارسلوه الى محمد وارسله محمد عــلى الى السيد عمر افندى النقيب .

• • •

[وفى ليلة الاثنين سبعة ربيع الثانى سنة ١٢٢٠]

وصل الخبر بوصول القابجى الى تليوب وانه طلع الى برقوه وسار من هناك وحضر فى ذلك اليوم المشايخ الذين كانوا ذهبوا لملاقاته . فلما اشيع ذلك اجتمع الناس وطوائف العامة وخرجوا من آخر الليل وهم بالاسلحــة والعدد والطبول الى خارج باب النصر . ووقفوا بالشــــوارع والسقائف للفرجة وكذا النساء والصبيان وازدحمــوا ازدحاما زائدا .

• • •

وخرج كتخدا محمد على واكابر الارنؤود وطائفة من العســكر كبيرة والوجاقليـــة وكثير من الفقهاء العاملين ورءوس العصب واهالى بولاق ومصر القديمـة والنواحي والجهات مثل اهل باب الشعرية والحسينية والعطوف وخط الخليفة والترافقين والرميلة والحطــابة والحبـــالة وكبيرهم حجاج الخضرى وبيده سـيف مسلول وكذلك ابى شمعة شيخ الجزارين وخلافه ومعهم طبول وزمور والمدافع والقنابر والبنيات نازلة من القلعة .

فلم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الازبكية فنزلوا ببيت محمد على باشا وحضر المشايخ والاعيــان وقرأوا الذى معـــه ومضمونه الخطاب لمحمد على باشا والى جدة سابقا ووالى مصر حالا من ابتداء عشرين ربيع اول **حيث رضى بذلك العلماء والرعية** . وان احمد باشــا معزول عن مصر .

• • •

[وفى يوم الاربعاء خمســة عشر منه]

اجتمع الشيخ الشرقـــاوى والشيخ الامير وغالب المتعممين وقالوا : ايش هذا الحال وما تداخلنا فى هذا الامر والفتن . واتفقوا انهم يتباعدون عن الفتنة وينادون بالامان وان النـــاس يفتحون حوانيتهم ويجلسون بها، وكذلك يفتحـــون ابواب الجامع الازهر ،ويتقيدون بقراءة الدروس وحضر الطلبة .

وركبوا الى محمد على وقالوا له : انت صرت حاكم البلدة ، والرعية ليس لهم مقارشة فى عزل الباشا ونزوله من القلعة ، وقد اتاك الامر فنفذه كيف شئت واخبروه برأيهم .

فأجابهم الى ذلك .

وركب الاغا وصحبه بعض المتحمسين ونادوا فى المدينـــة بالامن والامان والبيع والشراء وان الناس يتركون حمل الاسلحة بالنهــــار واذا وقع من بعض العسكر قباحة رفعوا امره الى محمد على . وان كان من الرعية رفعوه الى بيت السيد عمر النقيب واذا دخل الليل حملوا الاسلحة وســـهروا فى اخطاطهم عــلى العادة وتحفظوا على اماكنهم .

فلما سمع الناس ذلك انكروه وقالوا : ايش هذا الكلام — حينئذ نصير طعمة للعســـكر بالنهار وغفراء بالليل ، والله لا نترك حمل اسلحتنا ولا نتمثل لهذا الكلام ولا هذه المناداة .

ومر الاغا ببعض العــــامة المتسلحين فقبض عليهم ، واخذ سلاحهم . فازدادوا قهـــرا ، وباتوا على ذلك واجتمعوا عنـــد السيد عمر النقيب وراجعوه فى ذلك فاعتذر واخبر بان هــــذا الامر على خلاف مراده .

• • •

[وفى يوم السبت] فتح الناس بعض الحوانيت ونزل المشايخ الى الجامع الازهـــر . وقرأوا بعض الدروس . ففترت همم الناس ورموا الاسلحة واخذوا يسبون المشــــايخ ويشتمونهم لتخذيلهم اياهم ، وشمخ عليهم العسكر وشرعــــوا فى اذيتهم وتعرضوا لقتلهم واضرارهم .

[وفى يوم الثلاثاء] وصـــل السلحدار الى بولاق وركب من هناك الى المكان الذى اعد له وصحبته مكاتبة الى احمد باشا المخلوع — ومضــــمونها الامر بالنزول من القلعة ساعة وصول الجواب اليه من غير تأخـــير وحضوره الى الاسكندرية .

وجواب آخر الى محمد على بابقـــائه فى القائمقامية **حيث ارتضاه الكافــة والعلمــاء** ، والوصية بالسلوك والرفـــق بالرعية والكلام المحفوظ المعتاد الذى لا اصل له .

« الجبرتى ، عجائب الاثار ٣ و ٢٢٩ و ٢٣٩ »

• • •

الجزء الثانى

ينشر فى العدد القادم

مطابع الاهرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

٨

أغسطس ١٩٦٩ - السنة الخامسة

مسألة للمناقشة

- دراسة ميدانية نظرية **الثقافة العمالية**
- رسالة من سجين عربي في إسرائيل إلى محامية يهودية
- تحقيق سياسي من موقع الثورة **السودان من داخل السودان**
- الحاجة إلى فلسفة نقدية جمالية

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبد الله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تلفون ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠.

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد الثامن — السنة الخامسة — اغسطس ١٩٦٩

		ص
■ مسألة : للمناقشة « الافتتاحية »	لطفى الخولى	٥
■ دراسة ميدانية نظرية : الثقافة والعمال		١٤
● مؤسسة الثقافة العمالية ٦١ — ١٩٦٩		١٥
● مهام الثقافة العمالية فى مرحلة التحول	نور الدين حسن	١٧
● الثقافة العمالية فى الدول العربية	د عبد الرءوف ابو علم	٢١
● رؤية الدارسين		٢٦
● تعليقات :		
— مركزية البرامج.وتنوع الاساليب	عبد الهادى ناصف	٣٢
— الحركة النقابية.منبع للثقافة	عطية الصيرفى	٣٤
— محو الامية قاعدة الانطلاق للثقافة العمالية	أمينة شفيق	٤٠
● ملاحظات للطليعة		٤٣
■ وثيقة نضالية :		
رسالة من سجين عربى فى اسرائيل الى محامية يهودية		٤٧
■ موقف المعسكر الاشتراكى من مشكلة الشرق الاوسط	خيرى عزيز	٥٢
■ محور تل ابيب — بون — جوهانسبرج — واشنطن .	د . هربرت ابتكر	٥٩
■ الحاجة الى فلسفةجمالية ونقدية .	محيى الدين محمد	٦٣
■ تحقيق سياسى من موقع الثورة :		
● السودان من داخل السودان	عبد المنعم الغزالى	٧٣
■ تقارير الشهر وتعليقات :		١١٢
— المؤتمر القومى فى دورته الثالثة		
— حركة الجماهير تنهض من جديد فى أمريكا اللاتينية «تقرير شامل»		
— اضواء على التغييرات فى اليمن الجنوبية « رسالة » .	مكرم محمد احمد	
■ مكتبة الطليعة :		١٤٠
— شهادة الشعر الامريكى	عرض ونقد : غالى شكرى	
— هل هناك يسار امريكى ؟	عرض ونقد : كمال السيد	
■ مناقشات مفتوحة :		١٥١
■ وثائق :		
الحركة الدستورية فىمصر من اواخر القرن الثامن عشر		١٥٧

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .
من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟

الافتتاحية

مسألة .. للمناقشة

في ساحة القتال ،مهمتنا انٰنحرر الارض ونقهر العدو ، بوسائل الحرب . وفي الساحه الدولية ،مهمتنا أن نكسب تأييد الراي العام العالمي ، بوسائل سياسية . ذلك انه اذا خلطنا بين الساحتين واستخدمنا وسائل الحرب في الساحة الدولية ، ومارسنا الوسائل السياسية في ساحة القتال ، انتهينا — حتما — الى كارثة .

واود ان اكون محددا الى اقصى درجة ، فاسجل — باديء ذي بدء — أن الخلط الذي اقصده هنا هو هذا الذي يتعلق اساسا بنوعية الوسائل الواجب استخدامها في كل حالة . ولا يعني ، من قريب او بعيد، مسألة الترابط في العمل بين الساحتين وتبادل التأثير بينهما دائما خلال حركة النضال .

هذه قضية واضحة ومنطقية تدعمها خبرة الانسانية الفنية والطويلة . وتبدو — اليوم — في بساطتها ، كما لو كانت نوعا من الوعظ الساذج . غير أن القضية — والحق يجب أن يقال بكل طريق وبأعلى صوت ممكن — أعقد من أن تكون « وعظا ساذجا » في وطننا العربي وفي معركته الراهنة بالذات .

صحيح انه لاخلاف على القضية ، نظريا، بين مختلف القوى والتنظيمات والاحزاب العربيه التقدمية . ولكن المشكلة — ككل مشاكلنا — ليست في الدائرة النظرية البحتة، وانما في الدائرة العملية . اى عند وضع النظرية موضع التطبيق .. كيف ؟

اسمح لنفسي — هنا — ان اجسد الاجابة على السؤال من خلال تجربة عملية حديثة، كان ميدانها هو التجمع الشعبي العالمي للسلام الذي انعقد في آواخر يونيو الماضي

بمدينة برلين عاصـــمة جمهـورية المـــانياالديمقراطية ، وقد حضر هذا التجمع اكثر من ١٤٠٠ مندوب يمثلون ١٠١ من البلدان. واتيح لى ان اشارك فى اعماله .

وهذا التجمع ــ بالطبيعة ــ هو جزء من الساحة الدولية . وبالتالى فان مهمتنـــــا الرئيسية فيه ــ كعرب ــ هو التحرك بأقصى طاقتنا لعرض قضيتنـــا ضـــــد العدوان الاسرائيلى ــ الامبريالى ، عرضا علميـــاموضوعيا . وذلك بهـــدف كسب مزيد من الرأى العام العالمى الى جانبنا . وبالذات القطاعات المترددة والمضللة واللامبالية منه. ومن هنا فان الوسائل الواجبة الاستخدام ــ خلال هـــذا التجمع ــ هى « الوسائل السياسية » لا « الوسائل الحربيـــة » . وتصبح الاصوات الفعالة والمثمرة ــ فى هذه الساحـــة ــ هى أصـــوات المنطق والتحليل ، وليست أصوات المدفع والقنبلة. وبتعبير آخر ، فانه اذا قبلنا الاشتراك فى هذا التجمع وحضرنا ، فان حضورنا لايكون له معنى اذا لم نبذل الجهد فى محاولة لاقناع اكبر قسم ممكن من هذا التجمع بعـــدالة قضيتنا وحق شعبنا العربى عامة والفلسطينى خاصة فى مقاومته للاستعمار الصهيونى الاستيطانى والاحتلال الاسرائيلى . واذا لم نحاول الاقناع الهادىء الصبور وأخذنا ندق طبول الحرب ، فاننا نكون قد أخطأنا بالتأكيد طريقنا ، فجئنا الى برلين بدلا من أن نذهب الى سيناء أو نابلس أو تل أبيب أو هضبة الجولان .

واقناع الغير ، بقضيتنا وموقفنا ، ليس عملا من أعمال السحر . ولكنه أولا وأخيرا عمل من أعمال السياسة . وبالتالى فهى تستلزم ــ بالضرورة ــ نقاشا وحوارا . والنقاش والحوار لا يدوران فى فراغ ، وانما هو صراع بين مفاهيم واتجاهـــات متعارضة حول قضية معينة ذات مشاكل محددة . وهى هنا القضية الفلسطينية [العربية ــ الاسرائيلية] بمشاكلها المعقدة وأمام الرأى العام العالمى ، اليوم ، مفهوم عربى وآخر صهيونى مضـــاد ، بالنســـبة لهذه القضية .

واذا التزمنا الدقة ، فيجب أن نعترف أن المفهوم الصهيونى لايزال يستحـــوذ على ارض ، اكبر حجما وتأثيرا ــ نسبيا ــ من الارض التى يكسبهـــا المفهوم العربى . وبالطبع هناك أسباب موضوعيـــة وذاتية عديدة لهذا الوضع ، وقد سبق أن تطرقنا لها مع كثيرين من الزملاء الكتاب ، وليس هنا مجال اعادة عرضها وتحليلها . ولكن الذى يهمنا ــ هنا ــ هو سبب ذاتى يتعلق أساسا بطريقتنا الجامدة غير المرنة ، التى لاتزال سائدة فى عرض مفهومنا للقضية ، وفى اجراء الحوار حولها مع العالم ، وفى الاساليب التى نتبعها فى ذلك .

ومرة أخرى أريد أن أكون محددا الى أقصى درجة فى هذه النقطة ، فاسجل أن مرونة طريقة العرض وأساليب الحوار ، لاتتناقض ــ بأية حال ــ مع الالتزام بالخط العام لحركة النضال . وهو أن الكفـــاح العربى ــ الفلسطينى ضـــد الصهيونيـــة والعدوانية الاسرائيليـــة ، جزء من حركة التحرر العربية والعالمية معا . وان التناقض الجوهرى القائم ليس فيما أصبح يسمى سياسيا « العرب واليهود » وانما فى حركة التحرر العربى والصهيونية » .

والنقد الذى نوجهـــه لطريقة العرض الســـياسى لقضـــيتنا دوليا ، ينصب على النقـــاط التالية :

● لانزال فى غالب الامر نتوجه الى الرأى العام العالمى كما لو كنا نتوجه الى الرأى العام العربى . متناسين أمرين :

أولهما : أن الرأى العام العربى يعانى حتى أعماقه القضية لانها قضيته . أما الرأى العام العالمى فان القضية تهمه فحسب من حيث تأثيرها على السلام العالمى ، وتهم بعض

الاتجاهات التقدمية فيه من حيث كونهاتتصل بحركة التحرر الوطنى ، والنضال ضد العنصرية . ومن هنا فان السلام العالمى والتحرر الوطنى ومعاداه العنصريه هى مفاتيحنا الاساسية لابواب الرأى العام العالمى . وبقدر ماتثبت أن الصهيونية هى مصدر الشرور العنصرية وقاعدة الامبريالية ومصدر الخطر على السلام العالمى ، بقدر ماتجذب قوة الرأى العام العالمى نحونا فى نضالنا السياسى والمسلح ضد الصهيونية وأداتها العدوانية ، اسرائيل .

ثانيهما : ان الاسلوب العاطفى والحماسى الذى يقطر « دما كلاميا » لم يعد مقبولا ولا مؤثرا فى الانسان المعاصر الذى نضج وعيه ، وغدت كل كلمة لديه توزن بمقاييس العقل والمنطق والمسئولية .

● قصر نفسنا فى الحوار مع الغير . نريد منه أن يسلم بوجهة نظرنا كاملة منذ أول كلمة ، فاذا مابدى اعتراضا ما ، أو اختلف على تفصيل معين ، أو امتحن حجج العدو معنا ، ضاق صدرنا ، وأدرنا له وجهنا ، وقطعنا معه الحوار ، ورميناه بالاتهامات الهوجاء .

● الهروب من مواجهة حجج العدو المصاغة بذكاء . وعدم بذل الجهد فى تفنيدها وكشف زيفها وتناقضها مع الواقع وحركة أحداث التاريخ . وذلك يتم بأسلوبين :

أما تخطى هذه التفصيلات التى تستقر فى ذهن الغير الى العموميات التى لاتقول شيئا غير الشعارات ، واما تجاهل كل شىء تماما وذلك على أساس خشية وهمية من ان الرد عليها يعنى نوعا من الحوار مع العدو . وفى كلتا الحالتين ، نحن نفسح الطريق للعدو للتمكن من عقل الغير وقناعاته من ناحية ونضخم حجم العدو — من ناحية أخرى — لاننا نضم اليه — من حيث لاندرى — خلال خشيتنا الوهمية ، قوى عالية من الغير .

ولقد واجهنا عمليا هذا كله بشكل حاد وصارخ خلال التجمع الشعبى العالمى للسلام فى برلين . حيث كانت كل البلاد العربية بما فى ذلك فلسطين ، ممثلة ، فيما عدا بلدين اثنين هما المملكة العربية السعودية وجمهورية اليمن .

والذين اجتمعوا فى برلين ، جاءوا من قارات العالم الخمس ، ليؤكدوا حقيقة أساسية واحدة ، هى ارادة الانسانية المعاصرة فى شجب كل محاولات الامبريالية وترسانات الاسلحة لاغراق العالم فى أتون حرب فناء نووية . فالمحور الاساسى للتجمع العالمى اذن هو حماية ودعم السلام العالمى ، وبالتالى فان الرؤية لاية قضية أو مشكلة دولية هى من خلال هذا المحور .

ومن هنا كان واجبنا كعرب ومسئوليتنا كبشر فى الوقت نفسه ، أن نقنع التجمع بأن موقفنا النضالى التحررى ، سياسيا وعسكريا ، من الصهيونية واسرائيل هو خدمة موضوعية للسلام العالمى .

والواقع أن اسرائيل قد أصبحت تقف — غالبا — فى قفص الاتهام بالنسبة للسلام العالمى . وذلك منذ أن تعرت — نسبيا — طبيعتها العدوانية العنصرية الامبريالية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . وهى تدرك مع حلفائها وأصدقائها هذا الموقف تماما . وتخشى استمراره لان له مردودا سياسيا — اقتصاديا — اجتماعيا خطيرا عليها وعلى مستقبلها . فهو يفقدها « الطعم » الذى كانت تصطاد به التأييد المادى والمعنوى من العالم ، وأقصد به الصورة التى ظلت تظهر بها علانية « كحمل وديع مسالم وسط قطيع هائل من الذئاب المفترسة » . كما أنه يضعف من معدل المعونات الاقتصادية والاكتتابات والجبايات ، ويسبب لها مشاكل خطيرة بالنسبة لهجرة مزيد من اليهود اليها .

ولذلك فهى تعمد الان ، الى مايمكن أن نسميه — سياسيا — بأسلوب « الهجوم السلامى من موقع القوة المنتصرة » . وذلك بدلا من أسلوبها السابق « الهجوم السلامى من موقع الضعف المهدد » .

والاسلوب الاسرائيلى الجديد يخاطب العالم على هذا النحو :

« **حسنا . نحن لم نعد ضعفاء بل أقوياء . ولقد انتصرنا على العرب ولدينا القوة للانتصار عليهم مرة اخرى ، ومع ذلك فنحن تقديرا لمسئوليتنا ازاء أمن البشرية وسلام العالم وتجنبا للمواجهة ساخنة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بسببنا ، نمد أيدينا للسلام مع العرب . ولكن العرب يرفضون .. يرفضون الاعتراف بنا .. يرفضون المفاوضة والصلح معا . كيف يمكن أن يستتب السلام بين المتحاربين دون مفاوضات وصلح واعتراف . هذه هى المعايير الدولية الاساسية والمتعارف عليها التى تكشف حقيقة من يريد السلام ومن ينشد الحرب .. واحكموا أنتم** » وتتجه أنظار العالم نحونا ، وقد بدى لها المنطق الاسرائيلى مقنعا ، وتتساءل :

« **حقا أيها العرب . اذا كنتم حقا تنشدون السلام وتقدرون مسئولياتكم نحو أمن البشرية فلماذا لا تفاوضون أسرائيل لكى تصلوا الى حل فشلتم حتى الان فى الوصول اليه بالقتال . لماذا لاتجربوا طريق المفاوضات وهو الطريق البديل للحرب ؟ قد تنجحون . لماذا لا تعترفون باسرائيل . ان الاعتراف دليل حسن النية ويفتح الباب لحل جميع المشكلات المعقدة بما فى ذلك مشكلة اللاجئين الفلسطينيين؟** »

وهذا ما واجهناه بالفعل ، فى التجمع العالمى للسلام فى برلين . ليس فقط من جانب اسرائيل الصهيونية ، بل ومن جانب قطاعات واسعة من الراى العام العالمى بعضها لايخفى ادانته للعدوان الاسرائيلى وتعاطفه مع القضية العربية .

وليست هذه أول مرة نصطدم ، فى الساحة الدولية ، بمثل هذه الاسئلة الكبيرة المعلقة فوق رءوسنا ، والتى يسندها حتى أصدقاء لنا .

وكان هناك — ككل مرة — ثلاثة اتجاهات رئيسية فى مواجهة هذه الاسئلة :

● **اتجاه** ، يطالب بتجاهلها تماما وعدم الرد عليها بكلمة ، لان الرد — فى تقديره — قد تشوبه مزالق ، وقد يفسر بطريق او بآخر على أنه قبول للحوار مع العدو [!]

● **واتجاه ثان** ، لايرى مانعا من الرد ولكن بعموميات محفوظة ومكررة مثل « نحن ملتزمون بمقررات مؤتمر الخرطوم « لا صلح ولا مفاوضة ولا اعتراف » . ومثل « نحن لانتفاوض مع غاصب محتل لأرض آبائنا وأجدادنا » . ومثل « كيف تطلبون منا ان نعترف بمجرم أثيم قتل آبائى وابنائى وبناتى » . وطبعا كل هذه الشعارات العامة على « العين والراس » ولكنها لاتجيب بطريقة منطقية علمية مقنعة على سؤال الراى العام العالمى : لماذا ؟

● **واتجاه ثالث** ، يرى أن من الضرورى أن نجيب الراى العام العالمى ، بمنهاج علمى ورؤية موضوعية ، على كل أسئلته حتى ولو كان منبعها دعاية العدو . ذلك لانه لايمكن مواجهة منطق مبنى بناء متكاملا الا بمنطق آخر اقوى ، اكثر منه تكاملا واتساقا فى المبنى ، والا ظل المنطق الاول سائدا ومسيطرا على الساحة الدولية .

ومن أجل هذا ناضل الاتجاه الثالث — فى التجمع العالمى للسلام فى برلين — كى

يقنع الاتجاهين الاول والثانى بسلامة موقفه وضرورة الرد العلمي على الاسئلة ، خاصة واننا نملك حججا قوية ومفحمة بالمقاييس العلمية . وقلنا أن عدم الرد أو الرد بالشعارات ، هو نوع من السلبية القعيدة تماثل تماما من يعتدى عليها ولا يستخدم الاسلحة لديه فى الدفاع عن نفسه ويكتفى باختزانها .

وبمبادرة من الاخ المغربى ، المهدى العلوى ، وهو من قادة الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية عقدت الوفود العربية فى التجمع ، اجتماعا مشتركا لدراسة الامر ، ووضع خطة موحدة وردا مشتركا ، على ثلاث نقاط اساسية مثارة بالحاح هى :

- **موقف العرب من الاعتراف باسرائيل ؟**
- **موقف العرب من المفاوضة مع اسرائيل ؟**
- **موقف العرب من القوى التقدمية اليهودية فى العالم وفى اسرائيل ، التى تدين العدوان الاسرائيلى وتعادى الصهيونية ؟**

ولا أريد أن أدخل فى تفاصيل المناقشات الطويلة التى دارت فى هذا الاجتماع . واقفز رأسا الى نتيجته . وهى الموافقة على سلوك طريق الرد الموضوعي العلمى على النقاط الثلاث وتشكيل لجنة مكونة من كل من الاخوان : **المهدى العلوى** [مغربى] **والدكتور نشأت حمارنة** [سورى] **ومحمد سعيد** ممثلا لفتح ، **وكاتب هذه السطور** ، وذلك لوضع مشروعات للرد العربي موجهة الى الرأى العام العالمى ، تعرض للمناقشة فى اجتماع أوسع لاقرار الصيغة النهائية .

ووفقت اللجنة بالاجماع الى وضع المشروعات الثلاثة التالى نصها :

اولا : بالنسبة للاعتراف

١ — لايوجد فى القانون الدولى او ميثاق الامم المتحدة مايلزم دولة ما بالاعتراف بدولة اخرى تحت أى ظروف . ذلك أن الاعتراف عمل من أعمال السيادة القومية ، لايمكن أن تجبر عليه دولة ما ، والا فقدت استقلالها وسيادتها .

وبالتالى فليس فى القانون الدولى — بداءة — مايلزم أى دولة عربية بالاعتراف باسرائيل .

٢ — واذا كان الامر يتعلق باسرائيل على وجه التخصيص . فما هو المطلوب الاعتراف به تحديدا ؟ من الواضح أن اسرائيل حرصت منذ لحظة اعلانها على عدم تحديد أو تعيين لما هو شرط اساسى لكيان كل دولة طبيعية وهو الحدود . وليس خاف — كما دلت على ذلك أحداث العشرين سنة الماضية — أن الهدف من ذلك كان عدم سد الطريق أمام خططها للتوسع المستمر سواء على حساب الارض الفلسطينية أو الارض العربية عامة . وقد انعكس هذا الوضع الشاذ فى دستور اسرائيل نفسها الذى خلا من أى تعيين للحدود . وبذلك كان أول وآخر دستور ظهر فى العالم على هذا النحو الشاذ . وهكذا ، وبغض النظر عن اية اعتبارات اخرى ، فان وضع اسرائيل دوليا ، من الناحية الجغرافية أو القانونية أو العملية البحتة ، ليس مؤهلا للاعتراف به .

٣ — ان المطالبة باعتراف الدول العربية باسرائيل ، فى غياب كامل للشعب الفلسطينى وحقوقه الوطنية وعودته الى أرضه ، يعنى أول مايعنى استمرار تجاهل هذا الشعب ، الذى أثبتت الاحداث أن تجاهله هو أصل وسبب استمرار الصراع فى المنطقة .

وبدون رد حقوقه اليه كاملة ، فان المشكلة لن تحل حلا جذريا لمصلحة كل انسان في المنطقة ولمصلحة السلام العالمي كله . وبتعبير آخر فان مسألة الاعتراف ، لايمكن سياسيا وعمليا ، النظر اليها مجزأة ومنفصلة عن القضية الكلية .

٤ — ونود أن نلفت النظر الى أن قرار الامم المتحدة الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٤٩ بقبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة ، لم يتخذ الا بعد التذكير الصريح بقرار الامم المتحدة بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٨ والذى كان يشترط ان يسمح لجميع اللاجئين الفلسطينيين الذين يطلبون العودة الى ديارهم في أقرب فرصة بالرجوع ، أو بدفع تعويضات لمن لايريد منهم الرجوع مقابل الخسائر التي تكبدوها .

وكما هو معروف للجميع ، لم تنفذ اسرائيل هذا القرار حتى الان ، بل واعلنت بوضوح عن رفضها القاطع له . وذلك بالرغم من أن الامم المتحده قد نبهت الى هذا الامر في عدة مناسبات خلال اجتماعات الجمعية العامة ، وكان آخرها عام ١٩٦٨ بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ .

فكيف يطلب اذن من الدول العربية الاعتراف باسرائيل ، وهى لاتعترف بقرارات الامم المتحدة، وبالذات قرار قبولها عضوا فيها .

٥ — ومن هنا فلكى يمكن رؤية الاعتراف رؤية موضوعية ، يجب أن تتوافر ثلاثة عوامل رئيسية :

أ — احترام وتنفيذ قرارات الامم المتحدة .
ب — حل جذرى سياسى للصراع ككل .
جـ — الاعتراف العملى الكامل بالحقوق الوطنية على الارض الفلسطينية لكل المواطنين ..

وهذا لايتأتى الا من خلال بناء الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، التى يعيش تحت سمائها كل أهلها من مسيحيين ومسلمين ويهود ، دون أى تمييز أو تفريق ، دينى أو عنصرى » .

ثانيا : بالنسبة المفاوضات

١ — أى مفاوضات مباشرة تتطلب — بالضرورة — الاجابة على ثلاثة اسئلة رئيسية :
أ — حول أى موضوع تجرى المفاوضات ؟
ب — من أجل اى هدف تتم المفاوضات ؟
جـ — بين ، من ومن ، تقع المفاوضات ؟

٢ — وكما تعلمون ، فانه بالنسبة لازمة الشرق الاوسط ، هناك ثلاثة اطراف في الصراع الدائر : فلسطين ، البلاد العربية ، اسرائيل .

٣ — ومن الواضح أن مايسمى بالصراع العربى الاسرائيلى ، قد تفجر وما يزال نتيجة طرد الشعب الفلسطيني من أرضه وتجاهل حقوقه الوطنية المشروعة . وهذا هو جوهر الصراع وقضيته الاصلية . وسيظل كذلك ما لم تحل حلا جذريا وعادلا هذه القضية . ونتيجة لاستمرار هذا الصراع تخلفت قضايا ومشاكل أخرى فرعية ، كان آخرها ذلك الاحتلال الذى وقع لاراضي بلدان عربية أخرى غير فلسطين بعد الحرب التى شنتها اسرائيل في ٥ يونيو ١٩٦٧ ..

٤ — اذا كان موضوع المفاوضات المطالب باجرائها بين الدول العربية واسرائيل هو الارض العربية المحتلـــة بعد يونيو ١٩٦٧ ، فان معنى ذلك أن احتلال هذه الارض هو جدول أعمال المفاوضات . ويصبح الهدف منه اذن ماذا تحتفظ به اسرائيل وماذا ترده . أى أن تصير الارض المحتله موضـــع مســاومة والا فلا معنى للمفاوضة . الامر الذى يخل بالسيادة القومية وبالتراب الوطنى لهذه البلاد العربية . وهو أمر طبيعى ومشروع اذا لم تقبله الدول العربية وشعوبها والا كانت تفرط فى حقوقها واستقلالها ووطنها . وهى فى ذلك تستند الى قيم حركة التاريخ الانسانى ومبادىء القانون الدولى . فضلا عن أننا ازاء قرارات صريحة من الامم المتحدة تدين الاحتلال وتقضى بالانسحاب ، وهى قرارات دعمت اكثر من مرة بمساندة الرأى العام الدولى .

ومن هنا يصبح العمل الحقيقى والفعال من أجل السلام ليس فى مفاوضات مباشرة تعطى ميزة للاحتلال وانما باجبار المحتـــل على تنفيذ عمل محدد وهو الانسحاب من جميع الاراضى العربية المحتلة .

٥ — واذا كان المقصود بالمفاوضات هو القضية الفلسطينية الكلية ، فمعنى هذا أن الشعب الفلسطينى ومنظمتـــه السياسيـــة للتحرر الوطنى ، هى صاحبة الحق الاول والاخير فى التقرير . وبتعبير آخر فان المفاوضات هنا تصبح حول مصير فلسطين ، ومصير فلسطين يعنى أول مايعنى الارض وسكانها القـــائمين والمطرودين والمشردين . ولكى يمكن عمليا للشعب الفلسطينى أن يتخـــذ قراره فى هذا الشأن فلابد وأن يكون أولا على أرضه ومعترف بكل حقوقه الوطنية .»

ثالثا : بالنسبة للموقف من القوى اليهودية التقدميـــــــة فى العـــــالم وفى اسرائيل

١ — تنطلق حركة التحرر العربى من أرضيـــة أساسية ، هى النضال ضد الامبرياليـــة والاستعمار القديم والجديد والتعصب الدينى والعنصرية بجميع اشكالها . ويتطلب النضال تجسيد الحركة ، فى تفاعل مع الانسانية ، من خلال جبهة واحدة ذات أهداف مشتركة .

ولكى تكون الجبهة فعالة ومنتجة ، يجب أن تتكون من كل القوى والعناصر المناضلة فى مواقع الكفاح الاقليمية وكذلك فى العالم كله .

٢ — ولقـــد كانت حركة التحرر العربى دائما — ولاتزال — ضد الاستعمار بغض النظر عن اشكاله وانتماءاته ، ولم تنزلق يوما الى مهاوى التعصب الدينى أو العنصرى فى تاريخها كله ، ويكفى مثالا على ذلك أنها ، وكانت فى غالبيتها تدين بالاسلام ، ناضلت بعناد ضد الاستعمار العثمانى الذى تستر وراء راية الاسلام . وبهذا المفهوم يمكن أن تقوم — ازاء الوضع الملتهب فى الشرق الاوسط وازاء المسئولية العالمية — جبهة عالمية — عربية — يهودية ضد الامبريالية والعنصرية .

٣ — ولسنا فى حاجة الى اعادة تحديد مفهومنا للامبريالية وللاستعمار القديم والجديد ، فهذا كله أصبح محددا ومعروفا ، لانه ينتمى الى المفهوم العام العالمى .

أما العنصرية فى مفهومنا فهى تشمل كل الاتجاهات السياسيـــة والاجتماعيـــة التى تستند الى التمييز بين البشر على أساس من الدين أو الجنس أو اللون الخ ...

٤ — ومن هنا فاذا كنا ندين الصهيونية كحركة عنصرية ، فاننا نشجب أيضـــا كل تعصب اسلامى أو مسيحى يمكن أن يوجد فى أى مكان بما فى ذلك البلاد العربية . وان كانت الصهيونية تزيد عن كونها مجرد اتجــــاه عنصرى الى كونها حركة استعمار استيطانى تقوم على مايسمى بتمييز « شعب اللـــه المختـــــار » .

٥ — ونحن نرى أن مثل هذه الجبهة ، يجب أن تنفتح برحابة ومساواة أمام كل من يثبت

قولا وعملا في مواقعه ، نضاله ضـــــدالامبريالية والعنصرية أيا كان المجتمع الذي يعيش فيه او الدين الذي يؤمن به » .

وتقدمت اللجنة بنصوص هذه المشروعات الثلاثة الى الاجتماع العربي الموسع للمناقشة وأيضا لاأريد أن أدع التفصيلات تجرني الى استطرادات لاداعي لها . ومرة أخرى خلال هذا الاجتماع بذلت محاولة جديدة من جانب بعض من الزملاء لتجاهل الاسئلة والالتزام بالصمت ، اكتفاء بما ورد على السنة المتحدثين العرب في جلسات التجمع من ردود غير مباشرة . ولكن الغالبية اصرت على الرد الصريح والمباشر . وهكذا طرحت المشروعات الثلاثة للمناقشة .

وتقدم الاخ **الدكتور حبيب حداد** ، وهومناضل سوري وعضو قيادي بحزب البعث ورئيس الوفـــد السوري الى التجمـــع ،باقتراح تعديلين للمشروع الاول الخـــاص « بالاعتراف » . التعديل الاول يقضي بحذف الفقرة رقم ٢ من المشروع . والتعديل الثاني هو استهلال مشروع الرد بفقرة أولية تربطه بواقع الهدف الاساسي الذي التقى من اجله التجمع في برلين وهو السلام . وقدم النص التالي :

« ان هذا التجمع العالمي للسلام ، تتركز اهدافه الاساسية في تدعيم قضية السلام العالمي وتعزيز نضال الشعوب . ونحن هنا ، جئنا جميعا ، للدفاع عن السلام واتخاذ المواقف التي من شـــأنها تحقيق التقـــدم الانساني عن هذا الطريق .

وجهودنا ومناقشاتنا يجب ان تنصب على الموضوع الاســــاسي الذي ينسف أسس السلام والمســـاواة والعـــدالة في الشرق الاوسط ، وهو موضوع الاحتلال الاسرائيلي لاراضي البلاد العربية واستمراره .

ومن واجبنا جميعا أن نعزز قضية السلام ،ونتخذ من المواقف مايخدم ذلك . أن طرح اعتراف الدول العربيـــة باسرائيل ، وهي ضحية العدوان والمحتلة أراضيها أمر لايتفق والاهداف التي اجتمعنا من أجلها ، لانه يعزز أهداف اسرائيل العدوانية واستهتارهـــــا بالرأي العام العالمي ، بدل أن تنصب جهود القوى المحبة للسلام ، وكل الاحرار في العالم الى المطالبة بالقضية الانسانية والملحة وهي الانسحاب من الاراضي المحتلة .

فالتصور بأن الاعتراف يحل المشكلـــة لصالح السلام هو تصور غير واقعي ، لان القضية في جوهرها ليست في الاعتراف أو عدم الاعتراف وانما هي في وجود عدوان واحتلال يجب أن يصفى ، لانه لايمكن تصور مثلا ، أن الاعتراف بروديسيا ، يحل مشكلة النظام العنصري القائم . فالاعتراف لايزيل العدوانية ولا يحل أزمة الاحتلال » .

وبعد مناقشـات مستفيضـة — وفي ضوء الحرص على أن يكون الرد العربي المشترك — **كما عبر عن ذلك الزعيم الوطني سليمان النابلسي** — ممثلا لاجمـــاع الوفود ، تمت الموافقة الاجماعيـــة على كل التعـــديلات المقترحة بالنسبة للمشروع الاول .

وبنفس الروح قبل بالاجماع نص المشروع الثاني الخاص بالرد على «طلب المفاوضات» دون تعديل .

أما نص المشروع الثالث الخاص بالموقف العربي من القوى التقدمية اليهودية في العالم وفي اسرائيل ، فقد تمت الموافقة عليه بعد حذف الفقرة الرابعة منه على أساس أنه فعليا لايوجد أي تعصب ديني في البلاد العربية . وكذلك استبدال عبارة « جبهة عالمية — غربية — يهودية » بعبارة « لقاء نضالي » .

وعهد الى اثنين من الاخوة الليبيين ،بترجمة المشروعات الثلاث المعدلة الى اللغة الفرنسية لتقديمها الى التجمع في جلسته الختامية كبيان عربي موحد ، وقاما فعلا بالترجمة يعاونهما الاخ المهدي العلوي .

وقبيل افتتاح الجلسة الختامية جاءني الاخ المهدي العلوي ليخطرني بضرورة العدول

عن البيان . لماذا ؟ لان الاخ « حبيب حداد » اكتشف ان جزءا من تعديلاته لم تترجم ، وبالتالى فهو يعتبر انه اخل بالاتفاق ، وراجعنا الترجمة الفرنسية على الاصل العربى . وبالفعل كانت هناك بعض العبارات فى الفقرة الاولية التى اقترحها «الاخ حداد» كى تتصدر الرد على المطالبة بالاعتراف لم تترجم ترجمة حرفية كاملة . وسالنا الاخوان الليبيين عن سبب ذلك ، فقالا ان اللغة الفرنسية غير اللغة العربية فى تركيباتها ومترادفاتها ، وان المعنى الذى قصده الاخ حداد قائم وواضح فى الترجمة الفرنسية . ولكنه لم يقتنع بذلك . فتدخلت قائلا : « المسألة بسيطة وما زالت فى ايدينا نعيد الترجمة حرفيا » ووافق الجميع ، الا ان الاخ حبيب حداد رفض وطلب العدول نهائيا عن القاء البيان ، وأيده فى ذلك كل من الاخوين الفلسطينيين **يحى حمودة وابو سلمى** من منظمة تحرير فلسطين . ولم تجد محاولات بقية الاخوة أعضاء غالبية الوفود العربيه بما فيهم ممثل فتح ، اقناعهم بالعدول عن موقفهم . ذلك لان مبدأ الرد على أسئلة الرأى العام العالمى قد أقر بالاجماع ، ووافقوا هم على ذلك بعد عرض وجهة نظرهم الخاصة بعدم الرد .

وهكذا ووجهنا بموقف صعب : عودة الخلاف على اساليب العمل فى الساحة الدولية بين اقلية وأغلبية داخل اطار القوى التقدمية العربية . وكان من رأى البعض عدم القاء البيان حتى لا يقوم واحد من الاخوة أمام التجمع ويدلى برأى معارض فتتداعى «صورة الوحدة » التى نبدو بها امام التجمع . ولكن البعض الاخر — وكنت منه — كانت ترى ضرورة القاء البيان رغم كل شىء . وذلك على أساس الاحساس بالحاجة الموضوعية اليه من ناحية ، وبأن الوحدة من ناحية اخرى ، اذا كانت شكلية فأن بقاء صورتها متكاملة أو متداعية لاضرر حقيقى منه ، وانما الضرر هو فى ان نظن اننا — رغم انتمائنا جميعا لحركة التحرر العربى التقدمية — موحدو الموقف والرأى والاسلوب ، فى حين اننا فى واقع الامر وحقيقته ، لسنا كذلك . ومع ذلك وافقنا على ايقاف القاء البيان اذا وافق الاخوة الثلاثة المعارضين على عقد اجتماع عام تحضره جميع الوفود العربية لاعادة مناقشة الامر . بيد ان الاخوة الثلاثة لم يستجيبوا لعقد اى اجتماع . وعلى هذا الاساس لم يكن هناك بد من القاء البيان بنصوصه الثلاثة على التجمع ، على اساس أنه موقف عربى من الاسئلة الثلاثة ، وليس بيانا عربيا موحدا ، وكان رد فعله — مع ذلك — ايجابيا الى حد كبير .

والان .. لماذا خصصت الافتتاحية ، هذا العدد ، لعرض هذا الموضوع ؟

الواقع انه يدفعنى الى ذلك هدف اساسى ، وهو ان أطرح للمناقشة الشعبية الواسعة ظاهرة ، أنه على الرغم من ان القضية الفلسطينية بصراعها العربى — الاسرائيلي الدامى هى مفتاح وجوهر حركة التحرر العربى التقدمية ، فانه مازال بين القوى الثورية العربية — على اختلاف منابعها واتجاهاتها — خلافات فيما يتعلق بالعمل ونوعية الاساليب الواجب استخدامها فى كل ساحة من ساحات نضالنا المصيرى المشترك .

والمسألة — اليوم — ليست فى تحديد من المصيب ومن المخطىء . فهذا فضلا عن انه حكم لايملكه الا التاريخ والنتائج ، فهو ترف لاتحتمله المعركة . وانما المسألة فى صميمها ، هى دعوة ملحة وحارة من أجل اللقاء ، دونما حساسيات ، بين كل القوى والعناصر التقدمية فى الوطن العربى على مواقف واساليب موحدة للنضال ، تغتنى بكل الطاقة العربية ، كى تزداد فاعليتها وتثمر فى كل ساحات المعركة ، القتالية منها والسياسية .

لطفي الخولي



الثقافة والعمال

"دراسة ميدانية ونظرية"

تقدم « الطليعة » دراسة ميدانية ـ نظرية عن الثقافة العمالية . و « الطليعة » اذ تقدم هذه الدراسة فانها تقدم صورة للنشاط الثقافي في قطاع أساسي من قطاعات مجتمعنا الذى يتحول من الرأسمالية نحو آفاق الاشتراكية .

ونحن اذ ننشر هذه الدراسة نرى أنه ليس هناك مايسمى بثقافة خاصة بالعمال ، وثقافة خاصة بالفلاحين ، وثقافة خاصة بالمهنيين .. الخ انما هناك ثقافة المجتمع ككل الثقافة التى يجب أن تسود كل الشعب وقطاعاته الاجتماعية ذلك ان ثقافة أى مجتمع هى سلاحه الذى يستخدمه فى بناء نفسه وثقافة أى مجتمع انما تعبر عن تطوره وعن المرحلة الاجتماعية لهذا التطور ، ومن ثم فهى فى صراع مع أى ثقافة لاتعبر عن هذه المرحلة . ومن ثم فالثقافة التى يجب أن تسود مجتمعا يتحول نحو الاشتراكية هى فى صراع وصدام مع ثقافة مجتمع رأسمالى او مجتمع متخلف . ان هذا الصراع لايجرد الثقافة من محتواها الانسانى ولكن يجعل هذا المحتوى الانسانى فى خدمة المجتمع المعين . أما المحاولات لتقسيم الثقافة الى نوعيات فئوية انما تفقد المجتمع وحدة الخط فى العمل الفكرى ، وهى عملية لاتخدم قضية فكر الطبقات الصاعدة فى المجتمع .

وتضم هذه الدراسة عن الثقافة العمالية :

اولا : خلفية تاريخية للثقافة العمالية فى الجمهورية العربية المتحدة .

ثانيا : مقالا عن مهام الثقافة العمالية كتبه نور الدين حسن عميد الدراسات النقابية والعامل بشركة مصر للحرير الصناعى وعضو النقابة العامة للصناعات الكيماوية . ومقالا آخر كتبه الدكتور عبد الرؤوف أبو علم عن الثقافة العمالية فى المجال العربى :

ثالثا : دراسة ميدانية عن الثقافة العمالية سجلت فيها الطليعة سلسلة لقاءاتها مع الدارسين والمشتغلين فى مجال الثقافة العمالية

رابعا : تعليقات على اللقاءات قدمها عبد الهادى ناصف عضو اللجنة المركزية ومسئول التثقيف الاشتراكى بالاتحاد الاشتراكى ، وعطية الصيرفى من عمال النقل وأمينة شفيق ، ثم تقدم الطليعة بعض الملاحظات حول الثقافة العمالية فى ج.ع.م

وكانت الطليعة قد طلبت من الاستاذ عبد الغنى سعيد مدير عام المؤسسة الثقافية العمالية أن يشترك بالتعليق ولكنه اعتذر .

والطليعة اذ تقدم هذه الدراسة ، انما تفتح الباب أمام تبادل الرأى على أوسع نطاق حول قضية من أهم قضايا العمل الفكرى فى مجتمعنا .

مؤسسة

الثقافة العمالية ١٩٦١ - ١٩٦٩

فى ١٩٥٧ تشكلت لجنة وزارية مشتركةبناء على طلب الاتحاد العام المصرى للعمال وأوصت هذه اللجنة بانشاء مؤسسة للثقافةالعمالية على ضوء تجربة ميدانية أجريت فى خمس نقابات عمالية بهدف التعرف علىالاحتياجات الثقافية للعمال • وفى أكتوبر ١٩٦١ تأسست مؤسسة الثقافة العماليةكجهاز من أجهزة الاتحاد القومى • وتضمنتالبرامجبعض مواد التوعيةالعماليةوالتدريب النقابى والسياسى العام •

وبعد صدور قوانين يوليو ١٩٦١ وانشاءالاتحاد الاشتراكى العربى أصبحت المؤسسة تابعة للاتحاد الاشتراكى ، وعدلت المؤسسةفى برامجها فى محاولة للتعبير عن المرحلة الجديدة ـ مرحلة التحول والانتقال الىالاشتراكية التى رفع الميثاق شعارها .

ومنذ انشاء المؤسسة أفتتحت ٥٢ مركزاللثقافة العمالية هدفها توعية القاعدة العريضة ـ نشر الثقافة العمالية علىالمستوى الافقى ـ ويبين الجدول التالى توزيع هذه المراكز الثقافية على المناطقالمختلفة وعدد الخريجين وذلك منذ انشائها حتى أكتوبر ١٩٦٧ :

المنطقة	عدد المراكز	عدد الدورات	عدد الخريجين
القاهرة	٢٠	١٢٥٩	٤٣ر٨٧٧
الاسكندرية	٦	٦٨٢	٢٥ر٨٥١
منطقة الوجه البحرى	١٦	١٣٨٥	٤٨ر٨٠٣
منطقة الوجه القبلى	١٠	٢٥٩	١٥ر٢٠٣
الاجمالى	٥٢	٣٥٨٥	١٣٣ر٧٣٤

وأنشأت المؤسسة مجموعة من معاهدالثقافة العمالية لتدريب القيادات العمالية المتخصصة فى مجالات مختلفة ، ففى ١٩٦٣تأسس **معهد الدراسات النقابية وهو يضم**

خمس شعب ، هى: الادارة العمالية والعلاقات العمالية العربية والدراسات النقابية الافريقية والدراسات النقابية الدولية وعلاقات العمل والتشريعات العمالية • وفى ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ تأسس معهد الادارة العمالية ويقوم بتدريب اعضاء مجالس ادارة الشركات المنتخبين من العاملين •

وفى ١٩٦٥ افتتح معهد التربية العمالية وهو يضم ثلاث شعب الاولى شعبة **المثقفين العماليين** : لتخريج المشرفين العماليين المؤهلين لادارة المراكز الثقافية أو الاشراف على المناطق ، كما تؤهل المشرفين الثقافيين على النقابات والاتحادات العمالية ، وشعبة المحاضرين غير المتفرغين وشعبة الدراسات التكميلية لمتابعة تطور المثقفين أو المشرفين والمنظمين والمحاضرين ولتنظيم تبادل الخبرة بينهم فى حلقات البحث والمناقشة •

ويستفيد من هذا المعهد المؤسسة الثقافية العمالية والنقابات العامة التى تنشىء مراكز ثقافية خاصة بها وفى البلاد العربية •

وفى ١٩٦٥ تأسس معهد الامن الصناعى **والتأمينات الاجتماعية** • **ويضم شعبتين هما : شعبة الامن الصناعى ، وشعبة التأمينات الاجتماعية** ، كما انه نظم برنامجا بالاتفاق مع وزارة التربية والتعليم لتدريب المعلمين والمدرسين فى ورش المدارس الصناعية على وسائل الامن الصناعى •

واخيرا تأسس معهد **اقتصاديات العمل** وقد بدأ نشاطه فى اوائل هذا العام •

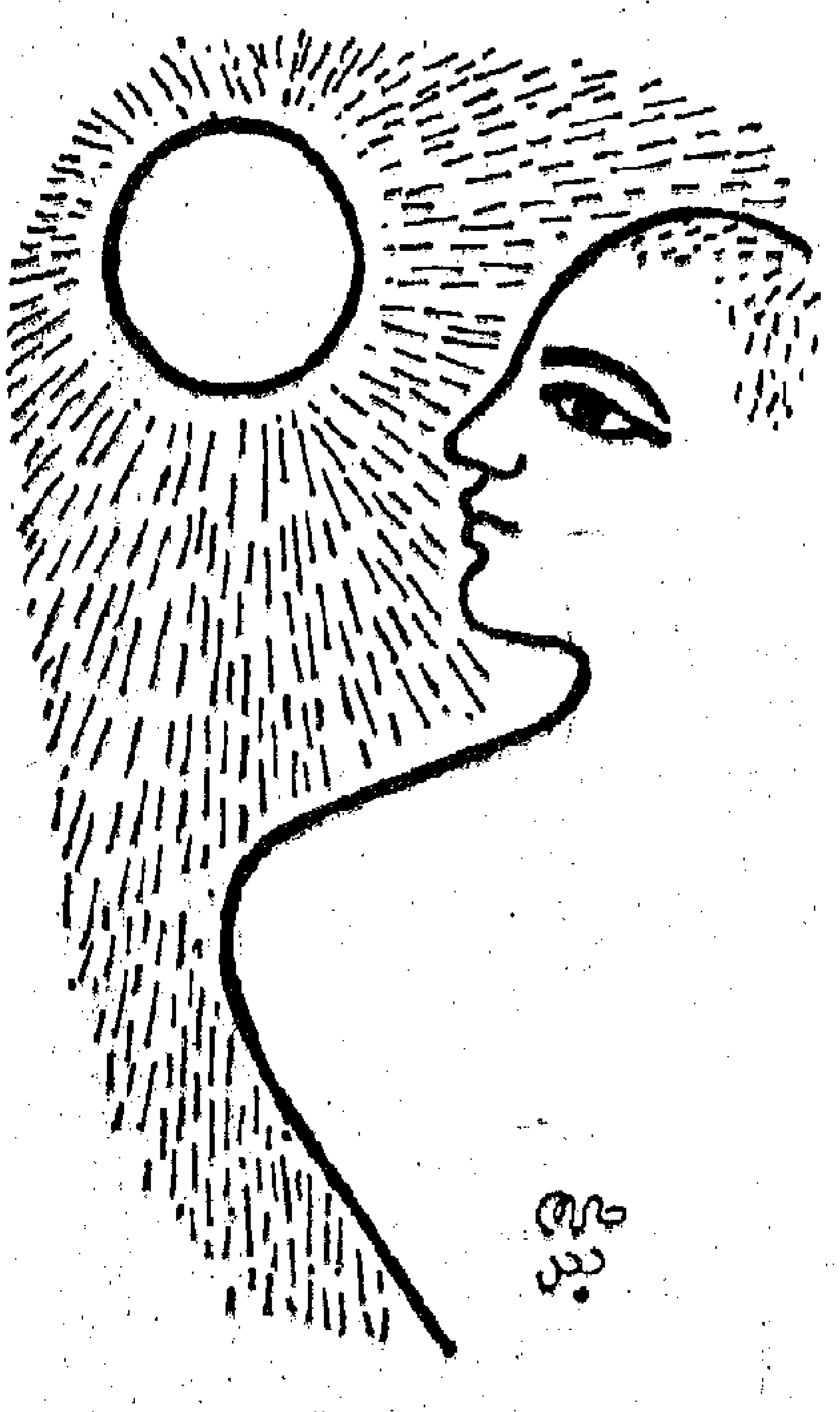
ويوضح الجدول التالى نشاط هذه المعاهد منذ انشائها حتى اكتوبر عام ١٩٦٧ :

المعهد	تاريخ انشائه	عدد الدورات	عدد الخريجين
معهد الدراسات النقابية	اكتوبر ١٩٦٣	٣٣	٨٣١
معهد الادارة العمالية	يناير ١٩٦٥	٤٨	١٨٢٥
معهد الامن الصناعى والتأمينات الاجتماعية	يناير ١٩٦٥	٨٣	٢٩٣٩
معهد التربية العمالية	يوليو ١٩٦٥	١١	٥٢٢
الاجمالى		١٧٥	٦١١٧

واهداف المؤسسة طبقا للائحة النظام الاساسى للمؤسسة الصادرة فى ٢٠/٦/١٩٦٥ تتلخص فى أن المؤسسة تهدف الى تدعيم الثقافة القومية للعمال وتربيتهم تربية قومية لينهضوا بمسئولياتهم فى بناء الوطن والقيام بدورهم فى المجتمع الاشتراكى الجديد واعداد القادة النقابيين ليضطلعوا بمسئولياتهم فى الميدان العمالى الدولى وتعريفهم باتجاهات الحركة العمالية الدولية ، واعداد قادة نقابيين قادرين على القيام بمسئولياتهم تجاه الحركة العمالية العربية والافريقية وتنمية الوعى الثقافى والنقابى عملا على قيام الحركة النقابية والعمالية على قاعدة أساسية من الوعى السليم الذى يتجه بهذه الحركة وجهة قومية بناءة والعمل على اعداد قيادات نامية متجددة من النقابيين المدربين على التنظيم النقابى وعلى النهوض بمسئولياتهم •

مهام الثقافة العمالية في مرحلة التحول

منهج العمل.. مجالاته وتطوره في التطبيق



نور الدين حسين
عميد معهد الدراسات النقابية

كمدخل

طبيعي لمناقشة الثقافة العمالية في مرحلة التحول فانه يقتضي ان نناقش بعض الامور الهامة ، ونبدأ بالتعريف :

الثقافة العمالية : هي تلك الافكار والمعلومات والخبرات التي يقصد تسليح العمال بها لمواجهة مواقف معينة في ظل ظروف اجتماعية معينة ، وتكون على اتصال بالواقع الذي يعيشه العمال ، ومحاولاتهم المستمرة لتغيير ذلك الواقع .

كذلك هي كفكر وتطبيق لا تنبع من فراغ ، ولا تستهدف العدم ، انما تنبع اساسا من طبيعة ونوع ومستوى المشاكل التي يتعرض لها العمال نتيجة التناقضات الاساسية بينهم وبين غيرهم من القوى الاجتماعية في المجتمع ، وتستهدف الثقافة العمالية كاسلوب الوصول الى حلول لهذه المشاكل بما يتفق مع نوعها وشدتها .

ـ والثقافة العمالية بهذا التعريف لا تعيش منفصلة عن باقي الثقافات النوعية ، او بمعنى ادق عن باقي ثقافات القوى الاجتماعية الاخرى ، حيث ان العمال المقصود تسليحهم بالثقافة لا يعيشون متفرقين او منفردين في المجتمع ، انما تربطهم بباقي القوى الاجتماعية علاقات اجتماعية ، تختلف من حيث شكلها ونوعها باختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ـ ان شكل ونوع العلاقات الاجتماعية يؤثر تاثيرا مباشرا في طبيعة ونوع الثقافة العمالية ، فقد تأخذ هذه الثقافة العمالية خطا موازيا او مندمجا أو مضادا لخط الثقافات الاخرى الموجودة ، وخاصة بما يعرف بثقافة المجتمع . ويقصد بثقافة المجتمع تلك الثقافة التي تخدم الاساس المادي والاقتصادي لذلك المجتمع وتعمل على استمرار واستقرار العلاقات الاجتماعية لخدمة القوى الاجتماعية المستفيدة .

ـــ تطبيقا لهذه المفاهيم نرى انه فى المجتمع الرأسمالى،حيث تكون ثقافة المجتمع تخدم القاعدة المادية والاقتصادية الرأسمالية ، تشكل الثقافة العمالية الحقيقية خطا مضادا لهذا الخط الثقافى ، وما ينبع عنه من قيم واخلاقيات وتقاليد اما فى المجتمعات الاشتراكية حيث تكون ثقافة المجتمع تخدم اساسا ماديا واقتصاديا اشتراكيا يعمل على رخاء الشعب ويؤكد ويدعم حريته ، نجد ان الثقافة العمالية تأخذ خطا مندمجا تماما مع تلك الثقافة لتثبيت وتدعيم وتنمية قيم واخلاقيات وتقاليد المجتمع الاشتراكى ، وهذا ماكانت تسعى اليه الثقافة العمالية الحقيقية فى ظل النظام الرأسمالى ٠

ـــ وحتى تستطيع الثقافة العمالية ـــ كأسلوب نضالى للعمال واداة هامة من ادوات كفاحهم ـ ان تأخذ مجراها الطبيعى لمواجهة كل مايتعرض له العمال من المشاكل وتعمل على ايجاد الحلول لها فانه يقتضى الامر وجود تنظيمات عمالية تتبنى هذه الثقافة ، وتعمل على تطبيقها وتحقيقها ونشرها .

ان النقابات العمالية هى احدى التنظيمات الطبيعية والتى يمكن للقوى العاملة من خلالها وبالثقافة العمالية من ان تجعل لذلك الاسلوب النضالى المجرى الملائم لها ٠

ان مجرى الثقافة العمالية ومجالاتها تتحدد بما يتعرض له العمال ٠ ففى المجتمع الرأسمالى يتعرض العمال للاستغلال من قبل القوى الرأسمالية الحاكمة داخل المصانع كمنتجين وخارجه كمستهلكين ، ويلاقون استبدادا سياسيا كمواطنين مما يعطل قدراتهم الانسانية الخلاقة ٠

ومن اجل الكفاح ضد الاستغلال بصوره المختلفة ، والاستبداد باشكاله المتباينة تعمل قوى العمال على انشاء وتكوين النقابات والتعاونيات والاحزاب السياسية كوسائل نضالية توجه جهودها من اجل حمايتهم وامنهم ، وتنظيم حركتهم العمالية ٠

ـ فالثقافة العمالية الحقيقية مطالبة ان تسلح العمال لتمكينهم من اداء اعمالهم فى هذه المجالات المختلفة ، وفى نفس الوقت توحد حركتهم بتوضيحها الاسباب الحقيقية للاستغلال والاستبداد وكيفية العمل لازالة هذه الاسباب والقضاء عليها ، كما تنمى فى العمال القدرة على الملاحظة والتحليل للظواهر الاجتماعية ومعرفة قوانين حركة المجتمع ٠

ومسئولية الثقافة العمالية فى ذلك المجتمع هى احدى المسئوليات المباشرة للتنظيمات العمالية حتى يمكن ان تحقق افكارها ، ولا شك بأن القوى المضادة للعمال فى المجتمعات الرأسمالية وهى القوى الحاكمة تزيف ثقافة عمالية مهادنة وترغب فى أن تفسد مفاهيم العمال وتقلم اظافرهم باستمرار ، وذلك بالايحاء لهم بأن ماهو كائن انما هو طبيعى ودائم ٠ ولا يكون لهذه الثقافة المزيفة التأثير الكامل على العمال الا اذا تبنتها تنظيمات عمالية عميلة ، وبهذا تواجه القوى العمالية بعضها ببعض ويكون المستغل والمستبد الحقيقى بمنأى عن الصراع ٠

أما حين تتحقق الثورة الاشتراكية التى تعمل منذ لحظتها الاولى على ضرب وتقويض وتصفية معاقل الاستغلال والاستبداد ، وتعمل فى الوقت نفسه على اقامة دعائم العدل الاجتماعى ٠ وهى الاهداف الهامة والحيوية بالنسبة للقوى العاملة ٠ فان القوى الاجتماعية الجديدة صاحبة الثورة التى تتشكل اساسا من قوى العمال والفلاحين والتى سيتحقق من خلالها ومن نتائج عملها استمرار الثورة الاشتراكية ، تواجه اول ماتواجه فى مسيرتها الوانا عديدة من التناقضات ، ولا سبيل لتفهم هذه التناقضات واسبابها ومظاهرها الا بالعلم وبالثقافة ٠ ومن هنا يتضح ان اولى مهمات الثقافة العمالية وهى تأخذ بفكر المجتمع الجديد ان تعمل على :

ـ تدعيم العلاقات الاشتراكية فى المجتمع بتأكيد سلطة الشعب على كل المقدرات الاقتصادية والسياسية .

ـ ان تحقيق ماترجوه القوى الاجتماعية الجديدة من تدعيم العلاقات الاشتراكية فى المجتمع يتطلب مزيدا من العمل الاشتراكى فى المجالات الانتاجية والسياسية والاجتماعية ٠

برنامج للتثقيف مرتبط بمشكلات الواقع

ومن خلال ماذكرناه وكدراسة لمجتمعنا المصرى وثقافته الثورية والثقافة العمالية بعد ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ، فانه يقتضى ان نناقش :

١ ـ الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية قبل الثورة ٠

٢ ـ طبيعة تكوين القوى الاجتماعية التى كانت تسيطر على المجتمع سواء داخليا او خارجيا ووسائلها قبل الثورة ٠

٣ ـ الفكر السائد سواء مع النظام القائم فى ذلك الوقت او ضده ٠

٤ ـ اشكال التنظيمات السياسية والشعبية الموجودة وحركة كل منها ٠

٥ ـ ثورة ٢٣ يوليو ومبادئها وأهدافها وأبعادها • داخليا ـ عربيا ـ عالميا •

٦ ـ القوى الاجتماعية الجديدة •

٧ ـ الفكر الجديد منشىء الثقافة الثورية •

٨ ـ شكل التنظيمات السياسية والشعبية بعد قيام الثورة •

٩ ـ التحديات التى تواجه المجتمع الجديد الداخلية منها والخارجية •

١٠ ـ وسائل وادوات النضال السياسي والشعبى للتغلب على هذه التحديات والقضاء عليها •

١١ ـ صورة المجتمع الجديد وأبعاده وكيفية الوصول اليه •

أن ناتج هذه المناقشة يشكل الاتجاه الذى يفرض نفسه على كل مجالات التثقيف بما فيها الثقافة العمالية ، وبانتصارثورة ٢٣ يوليو المجيدة تحققت البدايات الثورية فى المجالات المختلفة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، ولقد أخذت قيادة الثورة طليعة هذا الشعب مع قوى الشعب المتحالفة موقفا واضحا ومعاديا للقوى المستغلة والمستبدة فى الداخل والخارج ، وعملت جماهيريا على القضاء على اسباب الاستغلال •

وكان للفكر الثورى المصاحب لثورة ٢٣ يوليو وهو فكر يمكن الجماهير وقواه العاملة من أنتأخذ مكانها الصحيح ـ الاثر الواضح فى صياغة ثقافة المجتمع الجديد •

كما ان استمرار الثورة وتحقيقها للحرية السياسية وللحرية الاجتماعية ، والتى تمثلت فى خطواتها الثورية الواثقة بصدور قوانين يوليو الاشتراكية وصدور الميثاق معبرا عن فكر الثورة وثقافتها واختيار الشعب لتنظيمه السياسى ـ الاتحادالاشتراكىالعربى ـ قد أعطى مناخا جديدا لثقافة جديدة اشتراكية تخدم بالاساس مجتمعنا وهو مجتمع تحالف قوى الشعب من العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية بقيادة طلائع العمال والفلاحين •

ان العمال والفلاحين وهم من القوى المطحونة سابقا وغلبت على أمرها باستغلالها والاستبداد بها ، هذه القوى أنهكت قواها حيث تضافرت كل القوى المعادية ، وتجمعت لاستنزاف قواها ، وتكبيل حركتها •

ان هذه القوى هى صاحبة الثورة الاشتراكية ومحققتها •

انها هى قيادة المجتمع الجديد •

وحتى يمكنلهذهالقوى أن تسير المجتمع الجديد وتضمن باستمرار مسيرته فى الخط السليم دون انحراف ، كان لابد لهذه القوى أن تعى أولا حركة المجتمع الجديد ومساره ، وحركتها هى داخل هذا المجتمع ، وتعى ثانيا مشاكل المجتمع الجديد الداخلية والخارجية ، ومشاكلها هى داخل هذا المجتمع ، وتعى ثالثا وسائل وأدوات حل هذه المشاكل •

هذا الوعى أساسه الثقافة والعلم ، والمعرفة والعمل العلمى المنظم •

والثقافة العمالية فى مرحلة التحول الاشتراكى ، واستمرارا للثورة الاشتراكية تعمل كفكر منبثق من فكر المجتمع الجديد ، وهو ما جاء بميثاقنا الوطنى ، وتلتزم بالمنهج والاسلوب المتفق عليه من كل قوى الشعب العامل •

مجالات النشاط وأساليب العمل

ان المجتمع الاشتراكى مسئول عن تثقيف الجماهير ، وهو يمارس هذه المسئولية من خلال تنظيمه السياسى • الاتحاد الاشتراكى العربى • لذلك نرى ان أسلوب الثقافة العمالية فى مجتمعنا فى المرحلة الحالية وهو يعالج المشاكل المختلفة ويسلح العمالبأدواتنضالية ، ينبغى أن تتفق هذه الادوات مع المجتمع الذى نعيشه ، والذى نريده ، بمعنى أن أسلوب الحل السلمى للصراع الطبقى داخل اطار التحالف يفرض نفسه على كل اساليب معالجة ومناقشة المشاكل وطرق حلها داخل اطار التحالف •

ومجال النشاط الطبيعى للثقافة العمالية هو الحركة العمالية • وتنشد فى نشاطها هذا تسليح العمال بالافكار والمعلومات والخبرات لمواجهة مواقف محددة فى ظل ظروف مجتمعنا الجديد •

وهذه المواقف هى :

نقابية : تستهدف رفع الكفاية الفنية والفكرية للعمال بغية رفع الكفاية الانتاجية وصيانة حقوق العمال ، والاسهام الجدى فى مواجهة مشاكلهم كمستهلكين بالتعاونيات المختلفة ، وتنظيم الاجازات وحماية العاملين والعمل من حوادث واصابات العمل ، وتدعيم وتعميق ملكية وسيطرة الشعب على وسائل الانتاج •

انتاجية : تستهدف تدعيم المشاركة الايجابية فى ادارة الوحدات الانتاجية والمشاركة فى عمليات

التخطيط والتنفيذ والمتابعة والتقييم لزيادة الانتاج وتوسيع قاعدته وتحسين نوعه .

سياسة داخلية : تستهدف تدعيم تحالف قوى الشعب والتنظيمات النقابية والتعاونية ، وحل الصراع سلميا فى اطار التحالف والعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات • رفع قدرة الشعب القتالية والدفاعية نظرا للظروف الراهنة وظروف العدوان ، لمواصلة مرحلة الصمود وتخطيها الى مرحلة الردع ، والى مرحلة تحرير الارض المغتصبة — الوقوف ضد أي محاولة استغلالية أو محاولة تمركز قوى غير قوى الشعب •

سياسة عربية : تستهدف تدعيم العمل العمالى العربى المحقق لوحدة الامة العربية بالدعامتين الاساسيتين الحرية والاشتراكية ، وتعبئة الجهود العمالية العربية لمواجهة حالة العدوان القائم على الامة العربية •

سياسة خارجية : تستهدف محاربة الاستعمار والاستغلال بكل أشكاله وصوره عن طريق الدراسة الواعية للظروف الداعية لوجود الاستعمار ، والعمل على كشف الوان الاستعمار والاستغلال — تدعيم السلام القائم على العدل — تبادل الخبرات الفنية والعلمية المؤدية الى توسيع قاعدة الرخاء — الاشتراك الواعى مع المنظمات العالمية العمالية ، وبالقدر الذى يخدم اهدافنا العامة ، ومن خلال سياستنا الخارجية .

— تطبيقا لكل هذا ، نجد ان الثقافة العمالية فى ج.ع.م منذ نشأتها تعمل نشطة لتحقق هذا كله حسب امكانياتها بالعديد من مراكز الثقافة العمالية والمعاهد المتخصصة من خلال برامج عامة أو متخصصة فى المجالات الفنية المختلفة التى يحتاجها النشاط العمالى فى مجتمعنا • وهناك ستة معاهد متخصصة هى :

معهد الدراسات النقابية بشعبه الفنية — الدراسات النقابية — الخدمات الاجتماعية — العلاقات الصناعية — التعاونيات — يؤدى عمله لمجموع القيادات النقابية •

معهد اقتصاديات العمل بشعبه الفنية المتخصصة فى مجالات الانتاج والكفاية الانتاجية ولجان الانتاج — يؤدى عمله لمجموع الزملاء أعضاء مجالس الادارات المنتخبة وأعضاء اللجان النقابية •

معهد الامن الصناعى ، يعمل من أجل رفع مهارات القيادات العمالية فى مجال الامن الصناعى وحماية العمل والعمال •

معهد التأمينات الاجتماعية ، يعمل على ايجاد الكوادر الفاهمة الواعية بالتأمينات الاجتماعية خدمة للعمال فى هذا الميدان •

معهد العلاقات الدولية العمالية ، يعمل على ايجاد الكوادر التى تستطيع ممارسة مسئولياتها فى مجال التمثيل فى المؤتمرات العالمية .

معهد التربية العمالية ، يعمل على ايجاد كوادر المثقفين العماليين الذين يتحملون مسئولية العمل فى مجال الثقافة العمالية فى جميع مراكز الثقافة العمالية •

ان موادالبرامج الثقافيةالتى تناقش فى المراكز والمعاهد ملتزمة أساسا سواء فى جانبها الفنى والعقائدى والسياسى بفكر المجتمع — الميثاق — ولا شك فى أن تجربة الثقافة العمالية فى مجتمعنا رغم كل المجهودات فى حدود امكانياتها الحالية مازال أمامها الكثير حتى يمكن أن تحقق أهدافها الكبيرة البعيدة المدى وهى أن تعطى الثقافة لجميع العمال والفلاحين بشكل سريع ومؤثر ، ولا شك كذلك انه بالمزيد من توسيع قاعدة الثقافة العمالية مع استمرار تعميقها وزيادة ارتباطها بثقافة المجتمع سوف تصبح فى مراحلها المتقدمة فى معاهدها المتخصصة ثقافة المجتمع ككل .

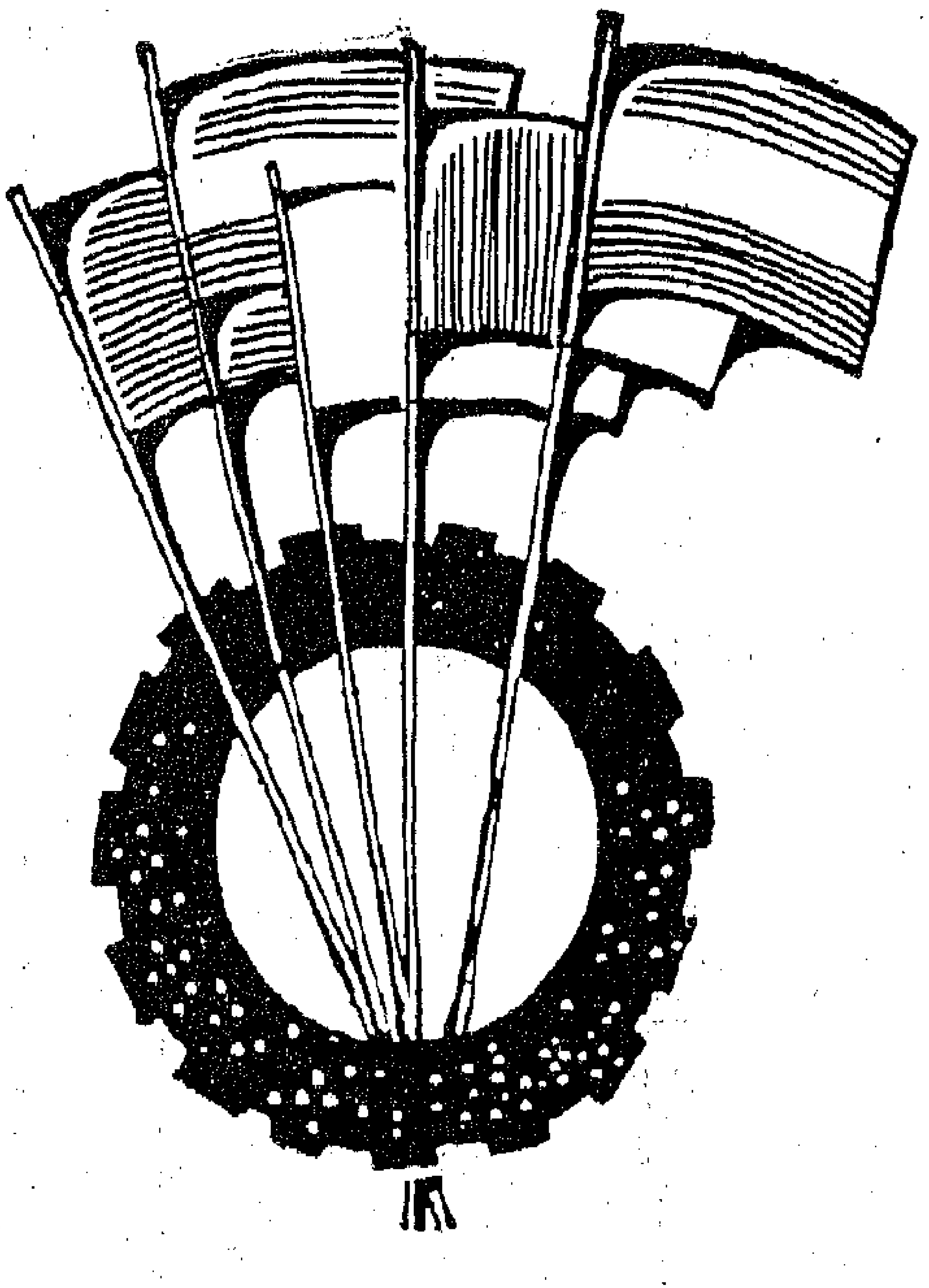
ان أمام الثقافة العمالية مجالين هامين الا وهما :

- محو الامية •
- التدريب المهنى •

ان امتداد نشاط المؤسسة الى هذين المجالين بالاضافة الى المجالات الاخرى سوف تمد العمال والفلاحين بأدوات نضالية ثقافية صالحة للاختراق لتغيير الواقع والمناخ ، هذا التغيير المستمر والذى سيحقق عدلا انسانيا يتمتع به الانسان المصرى وينمى فيه قدرة الخلق ، هذه القدرة التى توجد الحياة •

وحيث ان المجتمع الاشتراكى مسئول عن الثقافة بكل اشكالها وأنواعها ، ويمارس هذه المسئولية من خلال الاتحاد الاشتراكى العربى ، ولضرورة تغيير معالم التخلف الشديد الذى فرض على قوى الشعب وايجاد تقدم يعوض هذا التخلف ، فاننا نعتقد ان زيادة الامكانيات الحالية للثقافة العمالية بالقدر الذى تستطيع به ان تمارس عملها بصورة أكثر فاعلية سوف تؤدى الى اتساع حركة التثقيف الاشتراكى وتطبيقه فى مجال العمل العمالى النقابى والانتاجى والتعاونى والسياسى ، الامر الذى سوف يخلق الكوادر السياسية المؤمنة والتى لها قدرة نقل المعلومات وقدرة التثقيف والتعليم والتى سوف تؤدى دورها الوطنى الخلاق بالشكل الحاسم السريع وذلك لملاحقة ركب التقدم وتجاوزه •

هذا التقدم هو الاساس للمجتمع الاشتراكى ، وهو الدرع الواقى والحامى لهذا المجتمع •



الثقافة العمالية في الدول العربية

كان لظهور التناقض فى النظام الرأسمالى بين العمال ورأس المال أثره في سرعة ظهور التنظيمات النقابية لتقودوتنظم العمل الجماعي من جانب العمال فى صراعهم مع رأس المال . وقد شهدت هذه الفترة تبلور الفكر الرأسمالى فى أيديولوجية واضحة ، وقام الاقتصاديون الرأسماليون بجهد كبير فى هذا الشأن ، كما قامت اجهزة الدعاية ووسائل الاعلام التى تسيطر عليها الرأسمالية بنشر هذا الفكر الرأسمالى بين جماهير الشعب والعمال .

كان على الطبقة العاملة أن تسرع بصياغة فكرها العمالى وأن تعمل هى الاخرى على نشره بين صفوف العمال والشعب كله . وقد ساعد الطبقة العاملة فى صياغة فكرها وأيديولوجيتها بعض المثقفين الثوريين الذين قاموا بدراسة تطور المجتمع عبر عصوره المتعددة ، وباكتشاف القوانين التى تتحكم فى النظام الرأسمالى ، مثل قانون فائض القيمة ، والتى تتسبب فى النهاية فى استغلال الانسان (الرأسمالى) للانسان (العامل) . ومن حصيلة هذا كله صاغت الطبقة

العاملة فكرها وايديولوجيتها على أساس من الاشتراكية العلمية • كان على الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية والسياسية بعد ذلك أن تعمل على نشرفكرها بين صفوف العمال والشعب كله ، وان تدرب قيادتها على اسلوب القيادة والعمل على أساس من هذا الفكر • ولتحقيق هذا لجأ العمال وتنظيماتهم النقابية الى الثقافة العمالية •

المحاولات الاولى للثقافة العمالية في الدول العربية

رغم تأخر النهضة الصناعية في المنطقة العربية بسبب وجود الحكم العثماني ثم الاستعمار الذى عزلها لفترة طويلة عن الاخذ بأساليب التقدم الصناعى ، الا ان مسار الثقافة العمالية ارتبط منذ البداية بحركة الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية •

شهدت مصر المحاولات الاولى للتقدم الصناعى بالمنطقة وبالتالى ظهور الطبقة العاملة ، كما سجلت ايضا بداية التنظيمات النقابية وذلك فى أواخر القرن الماضى • وقد شهدت هذه الفترة ايضا بداية الثقافة العمالية فى الدول العربية ، فالتاريخ يسجل أن العمال المصريين الذين اشتركوا فى حفر قناة السويس فى أواخر القرن الماضى مارسوا بعض اساليب الثقافة العمالية ، فعندما زاد استغلالهم بسبب المستوى المنخفض للاجور والزيادة الكبيرة فى ساعات العمل مما أدى الى وفاة الكثير منهم ، قامت بعض قياداتهم ، بمساعدة بعض المشرفين الاجانب فى عمليات الحفر (فرنسيين) ، بعقد ندوات عمالية ، وعقد حلقات نقاشية ، والقاء محاضرات • وقد استمر عمال مصر فى ممارسة هذه الاساليب الثقافية خصوصا فى فترات النزاع مع أصحاب الاعمال لشرح وجهة النظر العمالية والتوعية بها بين جماهير العمال الامر الذى ساعد على نجاح العديد من الاضرابات العمالية التى شهدتها مصر فى الجزء الاخير من القرن الماضى ، وقد كان ذلك من اسباب نجاح عمال مصر فى محاولاتهم الاولى لتنظيم انفسهم فى نقابات عمالية ثم فى ظهور اول تنظيم نقابى فى أواخر القرن الماضى •

وفى بداية هذا القرن زاد اهتمام عمال مصر بالثقافة العمالية وتم ذلك عن طريق بعض النقابات فى صورة ندوات ولقاءات وحلقات نقاشية وايضا فى صورة منشورات ومجلات حائط ، ثم مجلات شهرية وأسبوعية . وقد شهدت بدايات من هذا القرن حدثين هامين اثرا على الثقافة العمالية فى مصر :

● الاول : التطور الواعى فى الحزب الوطنى باهتمامه بالطبقة العاملة كقاعدة للنضال الوطنى ومن ثم فتحه فصولا لتوعية العمال ، الامر الذى ساعد على نزول الثقافة العمالية للقاعدة العمالية العريضة •

● الثانى : ظهور بعض التنظيمات الاشتراكية ، الامر الذى ساعد على اعطاء الثقافة العمالية فى ذلك الوقت مضمونا اشتراكيا واضحا •

وقد تسبب هذان الحدثان فى هذه الفترة فى ازدهار الثقافة العمالية ، وقيامها على اساس فكر عمالى اشتراكى سليم وتركيزها على تدريب قيادات عمالية واعية ، وتوعية القاعدة العمالية • فشهدت الثقافة العمالية فصولا نظامية بجانب الندوات وحلقات المناقشة والمحاضرات العامة • كما شهدت صحافة عمالية ناضجة وواسعة قامت بعملية تثقيف للقاعدة وللشعب كله •

وهذه المحاولات الاولى لم تقتصر على مصر وحدها ، بل ظهرت فى بعض مناطق الوطن العربى متأخرة بعض الشىء عن مصر وذلك بسبب تأخر ظهور الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية بها ، فقد ظهرت محاولات مماثلة فى المغرب وتونس والجزائر فى المغرب العربى وفى سوريا والعراق وفلسطين فى المشرق العربى • وكانت هذه المحاولات الاولى للثقافة العمالية من أسباب سرعة ظهور التنظيمات النقابية فى هذه المناطق •

الوضع الحاضر للثقافة العمالية فى الدول العربية

تأثر الوضع الحاضر للثقافة العمالية فى الدول العربية لعدة عوامل تتابعت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى مقدمتها :

— ظهور التنظيمات النقابية فى الدول العربية ، وحصولها على الاعتراف القانونى ، وازدياد دورها على المستوى القطرى فى مجالات مختلفة ، الامر الذى دفعها الى مضاعفة جهودها فى مجال الثقافة العمالية .

— ظهور الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب عام ١٩٥٦ ، ومباشرته بعض النشاط فى مجال الثقافة العمالية ، ثم انشائه للمعهد العربى للدراسات العمالية ليقوم بدوره فى هذا المجال على المستوى العربى .

— التحولات الاجتماعية فى بعض دول المنطقة ، الامر الذى فرض التوسع فى الثقافة العمالية

فى هذه الدول لسرعة تربية واعداد القيـــادات النقابية للقيام بدورها على الوجـــه الاكمل فى مجالات العمل المختلفة ، سياسيـــة واقتصـــادية واجتماعية ، نتيجة لهذا التحول .

– تطور لقـــاءات وزراء العمل العـــرب الى اجتماعات دائمة تعقد سنويا ، واصدار هـــذه المؤتمرات لعدة قرارات تنادى بضرورة انشاء أجهزة خاصة بالثقافة العمالية على المستوى القطرى .

– زيادة اهتمام جامعة الدول العربية بالانشطة غير السياسية وبالتنظيمات العربية غير الحكومية ونشاطها فى تنفيذ مقررات وزراء العمل العرب ومنها مقرراته بشأن الثقافة العمالية .

– زيادة اهتمام منظمة العمل الدولية بالثقافة العمالية ، واهتمامها بها فى المنطقة العربية ، اذ عقدت المنظمة اجتماعا لخبراء الثقافة العمالية لمناقشة وضع الثقافة العمالية فى الدول العربيـة عام ١٩٦١ ، وأعقب ذلك ايفاد خبراء من المنظمة فى مجال الثقافة العمالية الى العديد من الدول العـربية ، منها الجمهورية العـربية المتحدة ، وســـوريا والعـــراق والـكويت ولبنـــان ، وليبيـــا ، والجـــزائر ، وايضـــا ايفاد بعثـات من بعض الدول العربية فى الثقافة العمالية الى بعض الدول المتقدمة فى هذا المجال ، واصدارها بعض النشرات الخاصة بالثقافة العمالية باللغة العربية .

– زيادة اتصال التنظيمات النقابية العربية بالتنظيمات النقـابية فى بعـض الدول الاخـرى ، وبالتنظيمات النقابية الدولية ، وتعرفهـــا على النشاطات المختلفة فى مجـال الثقافة العماليـة ومسـاهمتها فى بعض هذه النشـاطات .

وقد أدت هذه العوامل ، الى تدعيم الثقـافة العمالية فى الدول العربية ولذلك نجد اليوم أجهزة للثقافة العمـــالية فى معظم الدول العـــربية ، تحت اسم مؤسسة أو معهد أو مركز .

● ففى الجمهورية العربية المتحـدة انشئت **مؤسسة الثقافة العمالية** عام ١٩٦٠ ويتبعها فى الوقت الحاضر ستة معاهد للدراسات العليا هى : معهد الدراسات النقابية ، ومعهد التربية العمالية ومعهد اقتصاديات العمل ، ومعهـد الدراســات العمالية الدولية ، ومعهد التأمينات الاجتماعيـة ومعهد الامن الصناعى . هذا بجانب مراكز الثقافة العمالية المنتشرة فى انحاء الجمهورية ويبلغ عددها خمسون مركزا .

● **وفى العراق** انشئت المؤسســة الثقافيـــة العمالية عام ١٩٦٥ ، ومن حصيلة نشاطها حتى هذا العام ، تم وضع خطة عمل لمدة ثلاثة اعوام ١٩٦٩ – ١٩٧١ تتضمن انشـــاء معهـــد عـــال للدراسات العمالية وعدة مراكز فى الالوية ذات التجمعات العمالية .

● **وفى الاردن** انشىء معهد الثقافة العمالية عام ١٩٦٨ ، ويتضمن نشاطه برنامجا للتدريب العام وآخر للتدريب القيادى ، وتم فى النصـــف الثانى عام ١٩٦٨ الدورة الاولى للتدريب القيادى .

● **وفى الكويت** انشىء معهد الثقافة العماليـــة عام ١٩٦٨ وعقد خلال ذلك العـــام أربعـــة دورات كانت الرابعة منها للتدريب القيادى .

● **وفى سوريا** انشىء أول معهـــد نقابى عـــام ١٩٦١ ، ويوجد بها الان المعهد النقابى المركزى ومقره دمشق وأربعة معاهد تسمى معاهد الاعداد النقابى فى المحافظات ، فى مدن حمص واللاذقية ودمشق وحلب ومدة الدراسة فى هـــذه المعـــاهد طويلة اذ تتراوح من ٣ – ٩ أشهر .

● **وفى الجزائر** انشئت الكلية العمالية عام ١٩٦٤ وتبع ذلك انشاء مراكز للثقافة العماليـــة فى بعض المحافظات .

● **وفى المغرب** انشئت مدرسة الثقافة العمالية بواسطة الاتحاد المغربى للشغل عام ١٩٥٥ ثم تم انشاء بعض المراكز فى الاقاليم ايضا .

● **وفى تونس** انشىء معهد الثقافة العمالية عام ١٩٥٧ ثم انشئت مدارس ثقافية اخـــرى فى الاقاليم .

● **وفى لبنان** انشئت عام ١٩٦٣ لجنة سميت اللجنة الدائمة للتدريب النقابى والتثقيف العمالى مركزها بيروت ، ولها ميزانية مستقلة مصـــدرها وزارة العمل والشئون الاجتماعية ورغم أن هـــذا الجهاز لا يحمل اسم معهد الا انه قام بعقد دورات للثقافة العمالية وله مجلس ادارة خاص به .

وتختلف علاقة التنظيمات النقابية فى هذه الدول بأجهزة الثقافة العمالية ففى بعضها مثل المغرب وتونس والجـــزائر وســـوريا تشرف التنظيمـــات النقابية اشرافا تاما على هـــذه الاجهـــزة وتتولى ادارتها ، وفى البعض الاخر توجد ادارة مشتركة من جانب التنظيمات النقابية وبعض الاجهزة الحكومية كما هو الحال فى الجمهورية العـــربية المتحدة والعراق والاردن والكويت . وفى البعض الاخـــر تتولى الاجهزه الحكومية وحدها ادارة اجهـــزة الثقافة العمالية كما هو الحال فى لبنان .

ولا يعنى عدم وجود اجهزة نظاميـــة للثقافـــة العمالية فى الدول العربية الاخرى انه ليس بهـــا ثقافة عمالية ، ولكنها تتم فى صورة دورات غير منتظمة وندوات وحلقات نقاشية تنظمها التنظيمات النقابية ، احيانا وحدها مثل السودان وأحيـــانا أخرى بمساعدة الحكومات .

الواقع العمالى العربى

واحتياجات الثقافة العمالية

ان هذا العرض العام يدفعنا الى التعرض الى الواقع العمالى العربى لتقدير الاحتياجات الفعلية للثقافة العمالية فى المنطقة العربية ومعرفة الحجم الحقيقى للمشكلة •

- فالمنطقة العربية يقدر عدد سكانها بحوالى ١١٠ من الملايين •
- ويقدر مجموع القوى العاملة بها بحوالى ٣٥ مليونا •
- وتبلغ العضوية النقابية بها حوالى ٥ ملايين
- ويصل مجموع القيادات النقابية بهابحوالى ١٠٠ الف •
- وتقدر نسبة الامية بين صفوف العمال بحوالى ٨٥ فى المائة

والثقافة العمالية من المفروض والضرورى أن تصل الى كل عامل بصرف النظر عن كونه عضوا او غير عضو فى تنظيم نقابى ، اذ لا يجوز أن يحرمه عدم انضمامه الى عضوية التنظيم النقابى من الثقافة العمالية وذلك لاسباب كثيرة ، منها : ان الثقافة العمالية نفسها هى عامل من عوامل تدعيم العضوية النقابية ، اى لابد وأن تصل الثقافة العمالية الى الـ ٣٥ مليونا ، وليس الى الخمسة ملايين نقابى فقط •

ومن المفروض والضرورى ايضا أن تصل الثقافة العمالية الى كل عامل بصرف النظر عما اذا كان يعرف او لايعرف القراءة والكتابة، والا تقف الامية عقبة تحرمه من حقه فى الثقافة العمالية •ومعنى ذلك أيضا أن تشمل الـ ٨٥ فى المائة الاميين من العمال العرب •

وعلى ضوء هذا الواقع العمالى ، تفرض الاحتياجات التالية نفسها على مخططى الثقافة العمالية فى المنطقة العربية •

أولا : توسع افقى فى الثقافة العمالية للقاعدة العمالية العريضة ، مع اعداد برنامج تدريب عام لهذه القاعدة ، يحقق هدف الثقافة العمالية ، والسرعة لامكان التوصل الى الملايين فى هذه القاعدة •

ثانيا : توسع رأسى للقيادات النقابية ، أى اعداد برامج تدريب قيادى تحقق التدريب النقابى الاعلى، والاحتياجات المتخصصة للكوادر العمالية فى مجالات العمل المختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية او المراكز المحددة •

ثالثا : ربط الثقافة العمالية بمحو الامية بحيث يحقق محو الامية فى النهاية زيادة تهيئة العامل لاكتساب مهارات مهنية أعلى بجانب تهيئة العامل لمزيد من الثقافة والتقدم الفكرى الخلاق •

المشاكل التى تواجه الثقافة

العمالية فى الدول العربية

المشاكل التى تواجه الثقافة العمالية فى الدول العربية عديدة ، وتختلف بالضرورة من دولة الى اخرى ، نظرا لاختلاف ظروفها الاقتصادية والاجتماعية ، ودرجة نمو الحركة النقابية بها ، على أنه ممكن تسجيل بعض المشاكل التى تواجه أكثر من دولة عربية وهى :

- ارتفاع نسبة الامية وصعوبة ربط الثقافة العمالية ببرامج محو الامية •
- ضعف التنظيمات النقابية، وضعف مساهمتها فى الاشراف على أجهزة الثقافة العمالية وفى تخطيط وتنفيذ برامج الثقافة العمالية •
- عدم وجود خطط للثقافة العمالية على المستوى القطرى ، فى تناسق مع خطة على المستوى العربى •
- عدم وضوح الخط الفكرى للثقافة العمالية ، وعدم وجود خط فكرى واحد للقائمين على أمرها على المستوى القطرى أو المستوى العربى •
- تعدد مصادر تمويل الثقافة العمالية ،وعدم ثبات بعض هذه الموارد •
- تفاوت واختلاف مستويات الدارسين فى دورات الثقافة العمالية فكريا وثقافيا •
- عدم وجود كوادر مدربة للاشراف على أجهزة الثقافة العمالية وادارتها على اسلوب علمى واضح
- عدم وجود نظم لمتابعة الدارسين بعد تخرجهم من دورات الثقافة العمالية لدوام اتصالهم بالثقافة العمالية ، وامدادهم بالجديد فى مختلف التطورات •
- الافتقار الى أجهزة نظامية دائمة للثقافة العمالية فى بعض الدول العربية •
- عدم اقرار مبدأ الاجازة بأجر للعامل فى دورات الثقافة العمالية فى عدد كبير من الدول العربية •

التثقافة والعمال

خطة عمل للثقافة العمالية

فى الدول العربية

ان وضع خطة عمل للثقافة العمالية فى الدول العربية لابد وان يتعرض لوضع خطة لكل دولة على المستوى القطرى ، وخطة أخرى على المستوى العربى مع تنسيق كامل بين الخطط القطرية والخطة العربيـة على مستوى المنطقة كلها •

المستوى القطرى :

١ — استكمال انشاء اجهزة نظامية للثقافة العمالية واقرار مبدأ الاجازة بأجر كامل للعامل الملتحق بالدورات التى تعقدها هذه الاجهزة .

٢ — تركيز الاجهزة القطرية على برنامجين :

الاول برنامج التدريب العام الخاص بالقاعدة العمالية مع التركيز وتقصير مدة الدورة حتى يمكن الوصول الى القاعدة العمالية العريضة فى فترة معقولة •

الثانى برنامج التدريب القيـادى الخـاص بالقيادات النقابية •

المستوى العربى :

١ — استكمال بناء المعهد العربى للدراسات العمالية وتدعيم تمويله وجهازه الفنى والادارى ليكون قادرا على تولى مسئولية الثقافة العماليـة على المستوى العربى •

٢ — تركيز المعهد العربى على ثلاثة برامج :

الاول برنامج تدريب المشرفين على أجهـزة الثقافة العمالية الموجودة على المستوى القطرى، وذلك لعدم توافر الامكانيات الفنية والمادية لتنفيذ مثل هذا البرنامج على المستوى القطرى . فضلا عن أن اتمامه على المستوى العربى يزيد من فرص الحصول على مساعدات ومعونات دولية .

الثانى برنامج تدريب قيادى عال ، وذلك لتكملة هذا البرنامج على المستوى القطرى عن طريق تقديم دراسات عالية للقيادات العليا فى التنظيمات النقابية العربية ، مثل رؤسـاء ونواب رئيس وسكرتيرى الاتحادات العامة والنقابات العامة ، وذلك فى محاولة لاعطائهم تدريب عال ، وتوحيد فكرهم ، وتدعيم التعارف بينهم .

الثالث برنامج لدورات متخصصة أما لموضوع معين مثل العلاقات العمالية الدولية أو التأمينات الاجتماعية او لمن يحتلون مركزا نقابيا معينا لرفع كفاءتهم فى هذا المركز مثل امنـاء صندوق الاتحادات العامة ، والنقابات العامة ، او سكرتيرى النقابات العامة .

ولابد وان يلاحظ عند التخطيط ثلاثة أمور :

الاول الاهتمام بالبحوث والدراسات فى المعاهد القطرية والمعهد العربى للدراسات العمالية ، وذلك بانشاء ادارة خاصة لذلك بكل معهد مع اعداد مكتبة كبيرة بها تساعد الباحثين وتمدهم بالمراجع المختلفة • ويجب زيـادة اهتـمام المعهـد العربى للدراسات العمالية بهذا الامر بحيث تكون مكتبته أكبر مكتبة عربية تضم جميع الكتب والمطبوعات العربية وغير العربية فى شئون العمل والعمال ، وحتى تخدم ابحاثه ودراساته الحركة العماليـة العربية على المستوى القطرى ، والمستوى العربى، وتخدم كذلك الثقافة العمالية فى تطورها الدائم السريع . وتكون هذه الابحاث والدراسات جزءا هاما من حركة البحث العلمى فى البلاد على اساس الفكر العمالى السليم •

الثانى تبادل الخبرات فى هذا المجال ، على المستوى القطرى أو المستوى العربى مع الدول الاخرى خصوصا تلك المتقدمة فى مجال الثقافة العمالية •

الثالث الحصول على أكبر قـدر ممكن مـن المساعدات والمعلومات غير المشروطة من المنظمات الدولية التى لها نشاط فى هذا المجال مثل منظمـة العمل الدولية واليونسكو ومن الاتحادات العمالية الدولية والقطرية الصديقة •

أن الدول العربية تمر بفترة تطور اقتصادى وسياسى واجتماعى • وأن كـان ذلك بطرق وأساليب مختلفة ، وفى هذا لابد وان يلعب العمال وتنظيماتهم النقابية دورا رئيسيـا •

فلابد من مساهمة العمال فى وضع أسس هذا التطور وخطط التنمية فى المجالات المختلفة ، ثم أخذ دور فى التنفيذ والمراقبة والمتابعة • وهذا يستلزم وجود قيادات نقابية ثورية ومدركة لكل هذه الابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويتطلب قاعدة عمالية واعية تتفاعل مع قياداتها وتضمن نجاح الخطط وسلامة التطور ، بما يحقق أهداف جماهير الشعب والطبقة العاملة •

كما ان الوحدة العربية تستلزم فى المقام الاول وحدة بين جماهير الشعب العربى ، وعلى الطبقة العاملة العربية ، والتى سبقت بايجاد شكل عمالى وحدوى تنظيمى ، ان تستكمل ذلك بوحدة الفكر والهدف والاسلوب •

وفى هذا كله تبرز أهمية الثقافة العمالية كأحد أساليب الطبقة العاملة لتحقيق أهدافها واهداف الشعب العربى •

دراسة ميدانية **رؤية الدارسين**

فى سلسلة من اللقاءات عقدتها الطليعة مع الدارسين والمشتغلين فى مجال الثقافة العمالية أدلوا بالآراء التالية عن ايجابيات وسلبيات المناهج واسلوب العمل ٠

مهام ومسئولية التثقيف

● **يقول نبيه الشوبكى محاضر بالثقافة العمالية بالاسكندرية :**

أنه نتيجة احتكاكى بالثقافة العمالية فى الاسكندرية يمكننى أن أحدد أن عملية التدريب السياسى كان لها أثر كبير فى الاسكندرية وكانت هى الاساس للعمل بعد ذلك فى الثقافة العمالية ٠ وبخبرتى يمكننى أن أقول أن العمل ينقصه أيديولوجية واضحة تحدد الهدف المطلوب الوصول اليه — فانه من المفروض أن للثقافة العمالية اهدافا محددة تسند الطبقة العاملة فى كفاحها اليومى ، والواجب الملقى على عاتقها هو النهوض بهذه الطبقة لتتبوأ المكانة الجديرة بها فى تحالف قوى الشعب العاملة — أن الطبقة العاملة تمثل قاع المجتمع — ومازالت الرواسب القديمة [مثل عمل البنت عيب) مجسدة فى الوجدان الثقافى للطبقة العاملة ، ومن الضرورى مواجهة هذه الرواسب والتصدى لها بالعمل الثقافى، وأمر آخر بالنسبة لضرورة وجود أيديولوجية واضحة وهو أنه يجب تغيير الرواسب والمفاهيم المصبوغة بصبغة دينية وهى بعيدة عن الدين ، وهذا الامر يوجب على رجل الدين أن يطور نفسه بحيث تصبح المفاهيم الدينية فى خدمة تطورنا .

● **عبد الجليل سلام مثقف عمالى بمنطقة الاسكندرية :**

ان مهمة الثقافة العمالية فى مرحلة التحول هى الاهتمام بتكوين الطبقة العاملة البسيطة الكادحة صاحبة المصلحة الحقيقية فى التحول الاشتراكى ويجب أن نفرق بين حالتين ، بين التثقيف العمالى والتثقيف الاشتراكى . فالتثقيف الاشتراكى يكون قيادات اشتراكية تساعد فى مرحلة التحول ، وتتصدى له منظمات ذات طبيعة خاصة مثل التدريب السياسى ومعهد الدراسات الاشتراكية ومنظمة الشباب . أما دور التثقيف العمالى فالاساس فيه هو تكوين العامل كعامل منتج فى مصنعه ، وكمواطن فى المجتمع ، اى ان التثقيف العمالى فى الدرجة الاولى عمل جماهيرى ٠

فالثقافة العمالية تسلح العمال بالمعرفة الخاصة بالتشريعات العمالية والكفاية الانتاجية والامن الصناعى ودور العمال ونقاباتهم فى المجتمع الاشتراكى ٠٠ الخ ٠

فمن هنا يمكننا أن نقول أن الثقافة العمالية تساعد فى التصدى لمهام مرحلة التحول ، بينما تتصدى المنظمات السياسية والفكرية الاشتراكية الاخرى لتحمل العبء الرئيسى لمرحلة التحول ٠ اننا يجب أن نضع الثقافة العمالية فى موضعها الصحيح باعتبارها البداية والتمهيد للعمل السياسى ٠

ولما كانت مهمة الثقافة العمالية هى خلق أجيال جديدة ، فان البرامج الحالية ، خاصة البرنامج العام يجب أن تحقق الهدف من الثقافة العمالية فى مرحلة التحول . فالملاحظ ان البرامج مازالت تقدم

بطريقة بدائية ، وأساليب المحاضرات أساليب قاصرة لاتراعى ظروف مجتمعنا كمجتمع متخلف تنتشر فيه الامية ، وهى تقدم بأرخص السبل وأسهلها . أن البرامج يجب أن تطور لتخدم الجماهير العمالية العريضة ، فتأخذ بالوسائل السمعية والبصرية ، وذلك حتى تتمكن الثقافة العمالية من أن تصل الى كل عامل أمى ـ وكما أن البرنامج العام يجب ان يهتم اكثر بمشاكل العمال وبمناقشة الطرق والوسائل التى تمكن من حل مشاكل الحياة والتغلب عليها .

ومن المهم ان نتابع الدارسين فى الثقافة العمالية بعد تخرجهم ـ ولكن المتابعة هنا تختلف عن متابعة الذين تلقوا دراسات فى البرامج السياسية حيث تكون متابعة هؤلاء الدارسين بالقيام بتكليفهم باشياء معينة ومحاسبتهم عليها داخل اطار التنظيم . والمتابعة بالنسبة للثقافة العمالية انما تكون بتزويد الدارس دائما بكل جديد ، أى نتابع زيادة المنفعة بالنسبة للدارس أى أن المتابعة لا تؤدى الى انشاء تنظيم لخريجى دراسات الثقافة العمالية .

ويجب أن يكون للنقابات دور فى المتابعة ، ولكن مع التنبه ، لان الثقافة العمالية لو تبعت النقابات حاليا لماتت لان النقابات لا تؤدى دورها ، وعندما تصحو النقابات وتصبح ايجابية نفكر فى تحديد شكل الارتباط بينها وبين الثقافة العمالية .

● اسماعيل التلاوى محاضر بالثقافة العمالية بالاسكندرية :

المفروض أنه فى المجتمعات الاشتراكية تقوم بالثقافة العمالية المؤسسات النقابية ـ وفى مصر مازالت النقابة تعتمد على الكوادر النقابية التقليدية المحترمة وهم ليسوا على المستوى لتنظيم دراسات ثقافية أو اجتماعية داخل المؤسسة أو المنشأة . والثقافة العمالية فى مصر تقوم أساسا بالخدمة الثقافية للطبقة العاملة فى مصر بعد أن فشلت النقابات فى مصر فى تأدية هذه الخدمة .

وللثقافة العمالية هدفان : هدف قريب وهدف بعيد ، الهدف القريب هو اعطاء جرعة لكافة الطبقة العاملة فى مصر لان هذه الطبقة حرمت حرمانا تاما من التعليم والثقافة ـ ولا ننسى كيف كانت تعامل قبل يوليو ، حيث كانت ممنوعة من ممارسة حقها فى الحياة .

والهدف البعيد هو اعداد القيادات الصالحة ، والتى تستكشف من بين القاعدة العمالية العريضة ، وهذه القيادات يجب أن يوضع لها برامج لاحقة تدرس فيها الاهداف العامة للمجتمع بهدف خلق كوادر نقابية تستطيع بذل الجهد داخل المؤسسات فى المجتمع الاشتراكى . وهنا يجب أن يكون المشرفون على الثقافة العمالية عناصر غير تقليدية حتى تكون العناصر المنتقاة نفسها غير تقليدية .

وأهمية التركيز على تكوين قيادات عمالية منتقاة من القاعدة العريضة يؤكدها واقع الثورة فى بلادنا . فميثاق العمل الوطنى اعترف وأقر بالصراع الطبقى ، ولكن تمشيا مع ظروفنا أخذ بفكرة الصراع السلمى ، الامر الذى يتطلب من العمال معرفة حقيقية بموقعهم الطليعى فى المجتمع .

وحتى تؤتى الثقافة العمالية ثمارها فانها تحتاج الى نوعيات معينة من القائمين على الثقافة العمالية . يجب ان يكون القائمون على الثقافة العمالية اصلا من العمال وليسوا من الطبقة الوسطى أو اى طبقة تتصادم مصالحها مع مصالح الطبقة العاملة ، أو غير فاهمة لاهداف واتجاهات الطبقة العاملة ، والعمال انفسهم لا يثقون اطلاقا ـ والتجربة تثبت ذلك ـ الا بالشخص الذى ينبع منهم ويرتبط بهم ، الشخص الذى يكون قد أعطى للعمال قبل ذلك من ذاته ومن فكره ، وعندئذ ستكون العملية اكثر اثرا ونجاحا من الوضع الحالى .. والنجاح الذى تحقق فى الاسكندرية يرجع أساسا الى أن معظم المثقفين الذين يقودون العمل كانوا دارسين فى دورات سابقة .

وأحب أن أثير قضية فى هذا المجال من أهم قضايا المجتمع المصرى وهى قضية محو الامية ـ والتى يجب وان يكون لها خطة كالخطة الاقتصادية لمواجهتها ، فالاهتمام بالاقتصاد والصناعة يعادله الاهتمام بمحو الامية ، انها مشكلة خلقها لنا الاقطاع والاستعمار ، أنه فى خلال الـ ٢٥ عاما الاولى من حكم الاستعمار البريطانى من ١٨٨٢ الى ١٩٠٧ كانت جملة ميزانية التعليم فى مصر حوالى ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ مليون جنيه .

● عبد الغنى الدولتلى

لا شك أن نشاط الثقافة العمالية له تأثير على العمال الدارسين ، فالشخص الذى يدرس ليس كالشخص الذى لم يدرس ، مثلا فى مجال الانتاج او فى مجال تفهم الاحداث والتصرف الصحيح عند مواجهتها . ولكنا اذا ناقشنا الموضوع على أساس ماهية الكيف الذى تقدمه الثقافة العمالية فان نقطة هامة يجب مناقشتها فى هذا المجال ، وهى مشكلة الامية فى مجتمعنا كله ـ وهى نقطة لا يمكن اهمالها ـ وفى الواقع انا

ضد الرأى القائل بأن الثقافة لا تحتاج حتى الى مجرد معرفة القراءة والكتابة لان الامية عقبة فى وجه الانسان الذى يرغب فى الثقافة كما ان فى ذلك ابتذال كبير للثقافة .. ان هذه المشكلة تعتبر من المعوقات فى اثناء الدورات فهى مضيعة للوقت والجهود والامكانيات ، كما انها تخلق مشكلة التفاوت الكبير بين الدارسين اثناء المحاضرات، ان الدارس الامى لا يخرج بالنتائج المرجوة . ان هذه المشكلة ترتبط بواحدة من المشاكل الكبيرة التى يعانى منها المجتمع ، وهذا بدوره يؤثر على « الكيف » المطلوب تحقيقه .

ويهمنا كذلك من ناحية الكيف ان الافراد الذين درسوا يكون لهم فعالية فى مجالاتهم وان يحدث تجديد وتغيير فى نشاطهم وفى حياتهم .

وفى داخل الوحدات نجد ان هناك مشكلة كبيرة ايضا لها تأثير اكبر واشد من تأثير البرامج الثقافة على الكيف المطلوب لدى الذين حصلوا على هذه البرامج ، فأثر الثقافة وفعاليتها لا يمكن ان تنفصل عن مشاكل الحياة ـ فالمسألة ليست مجرد برامج تعطى لافراد ونتصور انهم سيتأثرون بها وحدها . وبذلك فان الكيف يتأثر رغما عنا بالظروف العامة السائدة فى المجتمع ولو حاولنا بهذه الطريقة ان نعالج الامر فيما يتعلق بالامية فاننا نكون مضطرين الى تحديد الكم .

وعليه فانه فى المدى القصير يجب الاهتمام بالكيف ، وبعد ذلك فى المدى البعيد يتجه اهتمامنا الى الكم ـ أى لابد اولا من اعداد الكادر ، وبعد ذلك يمكن لهذا الكادر ان يغير الكم العريض وان يخلق منه كيفا جديدا ، مع ايجاد تخصصات فى الأمن الصناعى والتأمينات الاجتماعية والتخصصات النقابية . فلنعمل اولا على اعداد الكادر الذى يقوم بتعليم الناس ، عندنا مثلا فى الاسكندرية حوالى نصف مليون عامل ، ولكن ليس عندنا الكادر الكافى لتعليمهم ، اذن لابد اولا ان اتجه الى تعليم كادر يقوم بتعليم القاعدة الجماهيرية الواسعة .

● **مسعد الرفاعى عوض ـ من المشتغلين بالثقافة العمالية بالمحلة الكبرى :**

الهدف من الثقافة العمالية هو تغيير سلوك الفرد الى سلوك افضل ليساير الوضع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى سواء كان النظام رأسماليا أم اشتراكيا ، أى ان الثقافة العمالية يجب وأن تساير المجتمع ، وعليه فانها يجب ان تساير مرحلة التحول .

● **محمود رزق فاخر ـ من المشتغلين بالثقافة العمالية ـ ومن العاملين بشركة كيما باسوان :**

ان المجتمع وهو يتحول من الرأسمالية الى الاشتراكية تحدث عملية تغيير للقيم والمفاهيم الموجودة داخله . فالقوى الاقتصادية التى كانت تمتلكها القلة تنتقل لجماهير الشعب وفى مقدمتها العمال ، ومن هنا يجب العمل على تغيير القيم والمفاهيم القديمة ، وان تكون قاعدة هذا التغيير هى زيادة الانتاج . ان الثقافة والمعرفة النظرية تنعكس على السلوك اليومى ، السلوك حيال الملكية العامة ، السلوك فى العمل النقابى ، قيمة القيادة الجماعية .. ومن هنا تصبح مهمة الثقافة العمالية فى مرحلة التحول هى تزويد العمال بالمعارف حتى يكون سلوكهم متمشيا مع القيم الاشتراكية .

● **خيرى صبرى**

ان هدف العمل الثقافى دائما هو اطلاق طاقات الانسان الفكرية ليتمكن من خدمة المجتمع الذى يعيش فيه ، ومهمة الثقافة العمالية فى مرحلة التحول الاشتراكى هى اطلاق هذه الطاقات الفكرية للعمال وتكوين كوادر نقابية ليكون لها دورها الفعال داخل الوحدات الانتاجية . انه لايمكن بناء المجتمع الحر الا بانسان قوى ومهمة العمل الثقافى بين العمال هى خلق هذا الانسان الحر .. ويجب على الثقافة العمالية ان تبذل كل جهد لتحطيم القيم الرأسمالية العفنة ونشر وبعث ثقافة جديدة

● **صادق سليمان ـ مركز الثقافة العمالية بميت غمر :**

ان مجتمعنا فى مرحلة التحول يعيش فى ظروف حرب نفسية ، حرب تشكيك فى كل القيم والخطوط العريضة لمجتمعنا . والرسالة الهامة للثقافة العمالية فى هذه المرحلة هى تعبئة العمال لمواجهة الحرب النفسية ، وحرب التشكيك فى كل القيم التى يحملها المجتمع الاشتراكى وذلك حتى يكون للعمال دور طليعى فى اجتياز مرحلة التحول الصعبة وحتى نتمكن من بناء مجتمع اشتراكى يؤتى ثماره .

● **احمد حسين ـ مركز الثقافة العمالية بعابدين بالقاهرة :**

ان مهمة الثقافة العمالية فى مرحلة التحول هى تكوين العامل كرجل مسئول عن ابنائه فهم شباب

المستقبل ورجال الغد ، وكرجل مسئول عن الانتاج الذى ينتجه ، وتكوينه كقائد سياسى ونقابى يذوب داخل المجتمع العمالى فى المصنع حتى يتمكن من دفعه للسير فى طريق التقدم . ان على الثقافة العمالية ان تهتم بالعامل كرجل مسئول داخل الوطن يشارك كل المشاركة فى كل ما يهم هذا الوطن ، وتهتم به كذلك كمسئول فى المجال العالمى ويتطلب ذلك ان تنقل له الثقافات العالمية ، فالحضارة الثقافية تهم كل الناس ، كما ان تجميع الخبرات المتعددة وجعلها تتوائم مع الواقع الوطنى هو أمر على جانب كبير من الاهمية .

● محمود الجندى — مركز الثقافة العمالية بالجيزة :

ان الاسس التى بنيت عليها مرحلة التحول منذ ١٩٦١ هى المكاسب التى تحققت بصدور القوانين الاشتراكية ، ولقد فرضت هذه المكاسب مهام جديدة على العمال ومن ثم رتبت مهام جديدة كذلك على مؤسسة الثقافة العمالية . واصبحت مهمة المؤسسة هى اعداد العمال والقادة النقابيين ليكونوا على مستوى المسئولية . ومن ثم نجد المؤسسة اتجهت الى انشاء المعاهد المتخصصة لاعداد اعضاء مجلس الادارة المنتخبين ، واخيرا انشاء معهد اقتصاديات العمل ، ومعهد الامن الصناعى لاعداد عاملين قادرين على مراقبة الامن الصناعى للمحافظة على القوى البشرية العامل الاساسى فى عملية الانتاج .

ولا تقتصر مهمة مؤسسة الثقافة العمالية على القيادات العمالية والنقابية فقط ولكنها كذلك تقوم بدور التوعية العامة على نطاق القاعدة العريضة حتى تعرف حقوقها عن طريق المعرفة وحتى تتبين واجباتها كذلك فى المجتمع الجديد ، وحتى تزاول حقها فى العمل السياسى بحد ادنى من المعرفة العامة .

منهج وبرامج التثقيف

وعن برامج الثقافة العمالية واساليب التعليم ودور النقابات ومتابعة العمل الثقافى سجلت مجموعة من المسئولين عن العمل الثقافى فى بعض المناطق والمراكز ، وعددا من الدارسين آراءهم حول هذه المسائل :

● محمد الفولى الشريف مدير منطقة شمال الوجه القبلى للثقافة العمالية :

لاشك أن الثقافة العمالية قد افادت كثيرا ، والبرامج متنوعة فيها نواح نقابية ونواح متعلقة بالانتاج والاقتصاد واقتصاد الحرب والدين وموضوعات سياسية عن القومية العربية ، وموضوعات تتعلق بالعمال كالتأمينات الاجتماعية والقوانين ومن هنا فهى تلمس جميع النواحى .

ولكن هل يعمل الدارسون بما يتلقونه فى الثقافة العمالية ؟ فى اعتقادى ان قلة هى التى تفعل ذلك . ولكن هل هذا هو دور الثقافة العمالية ؟ ؟ ان الثقافة العمالية تنمى الوعى الثقافى والانتاجى ودورنا ينتهى عند هذا الحد . اننا نعد الدارس ونربطه بنا بأى وسيلة ، ولكنه عندما يعود الى مصنعه تنتهى كل علاقته بنا . نحن نريد أن نربط الدارسين بالثقافة العمالية ونبذل جهدا فى هذا ، كارسال النشرات والكتب وطلب الابحاث وعمل مجلات الحائط ، ولكن الظروف المحيطة بنا من الناحية المالية والجهاز الفنى ظروف صعبة .

وهناك قطاع كبير من العمال لم يصل نشاط الثقافة العمالية اليه ، هم العاملون بالقطاع الخاص ، وهو قطاع مازال مستبعدا تقريبا من عملية الثقافة العمالية . ونرى انه من الممكن ان نختار بعض العاملين فى القطاع الخاص على ان يدفع مركز الثقافة العمالية مرتبهم خلال مدة الدراسة التى تضغط الى ثلاثة ايام فقط ، وذلك لمد نطاق العمل التثقيفى الى هذا القطاع المحروم منه . انه رغم كل الجهود فان من تم تثقيفهم من القطاع الخاص لا يزيد عن ٢ فى المائة وبالنسبة للقطاع العام وحتى لا تعرقل العقليات البيروقراطية التوسع فى عملية التثقيف يجب ان يلزم كل رئيس وحدة انتاجية او مصلحة بتقديم ١ فى المائة من العاملين لمدة اسبوعين للثقافة العمالية ، على ان ينصرف الدارسون من العمل مبكرين قبل مواعيد العمل الرسمية ، وكذلك لابد من الزام الوحدات الانتاجية بتنظيم دورات تثقيفية عندها ، والمؤسسة مستعدة لتزويدها بالمحاضرين ، انه يجب على كل وحدة يزيد عدد العاملين بها عن ٥٠ عاملا ان تقيم عندها دورة خاصة بعمالها .

● سيد صالح — أمين مساعد لجنة الاتحاد الاشتراكى بمركز المنيا ومسئول الشباب :

ان الثقافة العمالية يجب أن تضع خطة مقدمة للدورات ، فتتصل بمديرى الشركات وتطلب منهم ترشيح عدة أفراد ، وتقوم المؤسسة باختيار النوعيات المتشابهة من جميع الشركات وتقسمها الى مجموعات متجانسة وتحدد لكل منها دورة . وكذلك يمكن الاخذ بفكرة التنظيم على أساس جغرافى ، وسيفيد ذلك فى حالة تنفيذ دورات زراعية لتثقيف الفلاحين .

وبخصوص الدورات الزراعية فهى مفيدة للغاية ، ولكن يجب أن نختار لها الموعد المناسب ، فلا تكون مثلا فى أيام توفر مياه الرى ، وكذلك يجب أن تكون المحاضرات مرتبطة بالواقع وتقدم الجديد الى المستمعين ، فهناك محاضرات لا تكون مستوفاة ، مثل محاضرة لطبيب عن مسائل صحية يعرفها الجميع . وفى الدورات الزراعية يجب أن نوحد نوعيات الدارسين ، فنحن مثلا ندعو كبار البلد وشخصياتها حتى يحضر الباقون ، وعندئذ سيتأثر جو الدراسة بوجود مثل هؤلاء .

وأحب ان اتعرض لموضوع هام ، وهو أن بعض المحاضرات التى تلقى تختلف مع الخط السياسى للبلد — فمثلا محاضرة الاشتراكية — نحن نقول مثلا ان الخط السياسى ينادى بتطبيق عربى للاشتراكية ، ولكن مدير المؤسسة مصر على أنها اشتراكية عربية .

● محمد أنس عامل بالسكة الحديد ودارس بالثقافة العمالية بالمنيا :

ضرورة ربط الدارسين بالمنهج الذى أخذوه والا أصبحت المسألة هى قضاء ١٢ يوما وانتهى الامر . ومن الممكن لمركز الثقافة العمالية ان يوجد متابعين للعمل الثقافى فى كل شركة .

● حلمى عبد العاطى كمسارى بالسكة الحديد بالمنيا :

اقترح لمتابعة العمل الثقافى أن كل دارس بعد عودته الى عمله يحاول أن يقوم بجهد — بعمل ما — لربط العاملين بالثقافة العمالية ويقدم بذلك تقريرا الى الثقافة العمالية » .

●عبد الدايم ابراهيم وكيل منطقة الاسكندرية للثقافة العمالية :

أن الثقافة العمالية تعطى للقاعدة العمالية فى البرامج العامة — حيث مدة الدورة ١٢ يوما — جرعات بسيطة أو شروحا مبسطة — لما يحدث فى المجتمع من احداث او قضايا ، وبعد انتهاء الدورة يتم عمل تقييم للدورة وللدارسين ، وقد تبين لنا أن درجة تحصيل الدارسين تكون ضئيلة لا تتناسب مع الجهد المبذول . ولكننا نلاحظ فى نفس الوقت أن الدارسين يتقبلون مناقشة مشاكل الساعة المرتبطة بالاحداث اليومية .

ولا شك أن دورنا قاصر ، لاننا لا نتابع الدارسين ، فالعناصر البارزة لابد من رعايتها وتتبعها ولكن ليس عندنا الامكانيات التى تسمح لنا بذلك ، ولاشك أنه من الممكن ، بل من الواجب أن يقوم التنظيم السياسى والنقابات بدورهم فى متابعة الدارسين فى الثقافة العمالية حتى لا ينتهى العمل الثقافى بانتهاء الدورة .

ولقد فكرنا فى منطقة الاسكندرية بضرورة وأهمية المتابعة ، فطرحنا فكرة **المندوب الثقافى** ، ويتم اختياره من بين خريجى الدورات وتقام لهم دورة خاصة يؤهلون فيها للعمل الثقافى بين العمال ، وقد بدأنا بتطبيق الفكرة فى الاسكندرية وعندنا الان حوالى ٣٠ مندوبا ثقافيا ، ولكن الشىء المهم هو أن التنظيم النقابى ليس له دور ايجابى فى مجال الثقافة العمالية ، بينما المفروض أن من مهامه الرئيسية الاهتمام بالعمل التثقيفى بين العمال .

● عبد الناصر عبد المقصود — مثقف عمالى بالاسكندرية :

ان بعض النقابات ليس عندها استعداد لتوعية العاملين لانهم يحتكرون الوظائف النقابية ويخشون وجود عناصر واعية تناقشهم فى وظائفهم النقابية .

ومن المفروض أن تؤدى النقابات دورها فى نشر الثقافة العمالية وفى متابعة العمل الثقافى وتنميته ، فانه من المهم ان تتابع الثقافة العمالية خريجيها وان يستمر ارتباطهم بالمراكز على اساس شغلهم بالهوايات الخاصة ، وأن تنفيذ فكرة المندوب الثقافى ستساعد على حل كثير من مشاكل العمل الثقافى والمتابعة .

● عثمان احمد ابو الحسن — مثقف عمالى بالاسكندرية :

ان دور الثقافة العمالية فى مرحلة التحول التى تمر بها بلادنا هو محو الامية الثقافية بكافة فروعها وعناصرها ، ومن اهم هذه الفروع والعناصر النواحى الخاصة بالمسائل السياسية . والملاحظ أن غالبية الكادحين ليس لديها اى نوع من انواع التثقيف ، وغالبا مايعتمدون على التثقيف الذاتى من خلال القراءة للقادرين على القراءة ، ولذلك فان الثقافة العمالية يجب أن تعمل لادماج غالبية الكادحين هؤلاء فى العمل التثقيفى .

وتتضح أهمية دور الثقافة العمالية اذا لاحظنا

الثقافة والعمال

أن كافة النقابات على المستوى العام لم تؤد الدور المطلوب منها فى المجتمع الاشتراكى • كما أن التعاون بين حركة الثقافة العمالية والحركة النقابية مفقود حاليا ، بالرغم من ان المفروض هو ان يسيرا فى خـــط واحـــد .

وكثرة خريجى المراكز المتعددة تجعلنا نواجـــه صعوبة فىمتابعة هؤلاء الخريجين ،وهناك اقتراح للمتابعة هو أن يقوم بها الجهاز السياسى ، وذلك بالتزامه بمد معسكرات التدريب السياسى بخريجى مراكز الثقافة العمالية . كما أنه يجب أن تلتزم النقابات والشركات بفتح مراكز ومعاهد داخل الوحدات الانتاجية واللجان النقابية •

● محمد محمد عربى ــ مثقف عمالى بمركز طلعت حرب بالاسكندرية بالشركة الاهلية للغزل والنسيج :

تؤدى الثقافة العمالية فى مرحلة التحول التى نعيشها دورا كبيرا ، وليكون لهذا الدور فعاليته وأثره فيجب أن تحدد بوضوح الى أى المؤسسات تنتمى مؤسسة الثقافة العمالية ، وهى تنتمىحاليا للاتحاد الاشتراكى وهذا هو الوضع الطبيعى • ولكن المطلوب هو أن يقدم الاتحاد الاشتراكى كل الامكانيات لاتاحة الفرصة لها لتحقيق رسالتها على الوجه الاكمل •

ومن أهم القضايا ضرورة أن يقدم التدريب السياسى كافة امكانيـاته للثقـافة العمـالية ومراكزها ، وأن تعطى هذه المراكز صفة الشرعية بحيث تتمكن فعلا من ممارسة نشاطها على اوسع نطاق ، فى الوحدات الانتاجية ، ولا يتوقف نشاطها على موقف هذا المدير ، أو ذاك .

وقضية أخرى هى قضية الجهاز الذى يعطى المحاضرات ، فهذا الجهاز لا ينتمى أصلا للثقافة العمالية ، رغم أنه قد أعد مثقفين عماليين على مستوى عال من الفكر ، وهؤلاء تنتفى صفتهم أمام المحاضر ، رغم أنهم هم الذين يعايشون العمال من الدارسين ، أما المحاضر فانه مجرد ما يلقى محاضرته ويقبض أجره ينتهى كل شىء •

وانني أرى أنه يجب أن تحدد معاملة المثقف العمالى سواء من ناحية دوره أو معاملته المادية ، فهو يحصل على دورة مدتها ثلاثة شهور يتخصص فيها فى أساليب تعاليم الكبار ، وهو بعد ذلك يشتغل بالقطعة ، فاذا وجدت دوره يحصل على المكافأة ، واذا لم توجد فلا مكافأة ، يجب أن تحدد معاملته المادية وأسس هذه المعاملة .

● محمد عبد الرحمن سرور ــ مثقف عمالى من مصلحة الجمارك :

الثقافة العمالية تعطى الفرصة الأساسية لتكوين القيادات سواء كانت سياسية أو نقابية لان الفئة الكادحة عاشت مرحلة طويلة جدا من الجهـل والفقر ، وهى محتاجة لمن ينير لها الطريق ، طريق التوعية السياسية والنقابية •

وانى أرى أن الترشيح للتدريب السياسى يجب أن يكون عن طريق المؤسسة وخاصة وأن المؤسسة مرتبطة بالتنظيم السياسى •

ويجب أن تكون البرامج مرنة وغير جامدة ، ويجب أن تهتم البرامج بقطـاعى الانتـاج والخدمات •

ولتتابع الثقافة العمالية عملها يجب عليها أن تهتم بالانشطة العامة ، فتقوم بتنمية الهـوايات وصقلها ــ ان مهمة الثقافة العمالية يجـب الا تنحصر فى محو أمية وظيفية أو أبجدية ، انها تشمل كل أنواع التثقيف فىالحياة ،والاهتمام بالهوايات والانشطة المختلفةسيربط الدارسينبالعمل الثقافى ويضمن الاستمرار لهذا العمل • ومن الممكن أن يلحق بالمراكز الثقافية أو مناطق الثقافة العمالية مسرح ، وفرقة للفنـون الشعبيـــة ونـاد لـــلادب الشعبى ، وان يوجدمركز نموذجيللانشطة . وهنا يجب أن يشارك فى المتابعة التنظيم السيـاسى والتنظيم النقابى ، وللاسف فان التنظيم النقابى جامد أو مجمد منذ اعادة بنائه فى ١٩٦٤ ولا دور له امـــا بسبب موقف الادارات منه ، أو بسبب بيروقراطية قياداته •

ومن هنا يجب الاهتمام بالمحـاضرين ، وان يكونوا منتمين للمؤسسة والتدريب السياسى ، أى يكون هناك جهاز متفرغ ومتخصص، لان ذلك سيحقق ارتباط المحاضر بالدارسين ، ولا تصبـح مهمته قاصرة على القاء المحاضرة ثم يقول لنا السلام عليكم •

●جمال حسنين محاضر ــ بالثقـافة العمالية بالاسكندرية :

من واقع خبرتى ــ وجدت أن العمال يهتمون أساسا بالموضوعات المرتبطة بالمشاكل التـى يواجهونها فى عملهم أو فى حياتهم ــ فهم مثلا يهتمـون بمحاضرة مثـل محاضرة التأمينـــات الاجتماعية ، لان الموضوع يتعلـق بحيـاتهم ومستقبلهم ــ لان العامل اذا عرف حقوقه سيعرف واجباته ، وهنا تصبح مثل هذه المحاضرات رسالة هدفها أن يعى العمال حقوقهم وواجباتهم والطريق لمعالجة المشاكل التى يعانون منها ، ولذلك يجب الاهتمام بشكل أكثر بالمحاضرات المرتبطة بحياة العامل اليومية •

● سعيد محمود — مدير مركز طلعت حرب للثقافة العمالية بالاسكندرية :

ان قضية الثقافة العمالية من وجهة نظرى هى قضية الاهتمام اولا بتكوين المثقف العمالى ، واذا احسنا تكوينــه من الناحيتين الفنيــة والادارية حصلنا على المثقف العمالى الامثل • وحتى الان فالملاحظ أننا نهتم بالمثقف العمالى على مستوى معهد التربية العمالية من الناحية الفنية ، حيث يعد المثقف لمدة ثلاثة شهور يكون بعدها مؤهلا لتعليم الكبار ، السياسة والتاريخ والاقتصــاد والادب والفن •• الخ أى مطلوب منه أن يكون موسوعة فى هذه الفترة المحدودة — وهو بعد تخرجه لا يكون متفرغا طول الوقت لعمله ، فهو يعمل طول النهار فى شركته ويتوجه للعمل بالمركز بعد الظهر ، ومطالب بجذب الدارسين وقيادتهم وتوجيههم ، والاشراف على الدورات وعقد الاتفاقيات ، وهو فوق ذلك يشارك فى انشاء البرامج وتعديلها ويتابع العمل الثقافى فى مجاله • وهنا تبرز قضية انتماء المثقف العمالى — هل ينتمى لشركته ، لوحدته الانتاجية ، أى « للشباك » أم ينتمى لمؤسسة الثقافة العمالية ويتفرغ لعمله الثقافى ؟ انه يجب حل هذه المشكلة وتنظيم علاقة المثقف العمالى بالمركز الثقافى الذى يعمل به ، أى يجب أن يكون هناك اعتراف بشرعية وجود المثقف فى المؤسسة وذلك حتى يكون فى الامكان مطالبته بأن يعطى بسخاء لعمله ، وحتى يمكننا متابعته اذ كيف يمكن ان تتابع من ليس لك صلة به ، يجب أن يكون هناك رباط تنظيمى يربط المثقف بالمؤسسة •

كما انه يجب الاهتمام بتكوين المثقف بربطــه بالخبرة العالمية فى مجال الثقافة العمــالية ، والاهتمام بتنظيم بعثات علمية الى الخارج ، حيث انه توجد فى كثير من بلاد العالم تجارب ناضجة فى مجال الثقافة العمالية •

دراسة ميدانية

تعليقات

مركزيــة البــرامج .. وتنــوع الأســاليــب

عبد الهــادى نــاصف

أدب

قبل أن اتعرض لهــذه الاجابات بالتحليــل والتعليق أن اســجل ملاحظتين :

الملاحظـــــــــة الاولى : فى رأيى أن الاجــــــــابات الــــواردة كمحصلة لهذا الاستطلاع لا يمكن أن نستخلص منها تقييما موضوعيا للثقافة العمالية ، وقد يكون السر فى ذلك أن الاسئلة المطروحة نفسها كانت تحتاج الى تفصيل وتخصيص أكثر لتكون الاجابة عليها بالتالى أكثر دقة وتحديدا • فالاجابات التى بين يدينا قد صيغت فى الغالب الاعم على شكل عبارات أقرب ما تكون الى الشعارات العامة دون أن تتعرض الى المضمون الا فى حالات قليلة ، وحتى فى مثل هذه الحالات القليلة فانها تمس الموضوع مسا خفيفا يمر بالسطح دون أن يصل الى الجذور والاعماق •

الملاحظة الثانية : أن العينــــة المختــــارة للاستطلاع اقتصرت على العاملين فى مجال الثقافة العمالية • ومن هنا جاءت الصورة ناقصة لانها أغفلت باقى الاطراف المعنية

مؤشرات أربعة

وعلى الرغم من ذلك فاننا نستطيع أن نستشف من واقع هذه الاجابات عدة مؤشرات ذات دلالات هامة نرجىء الحديث عنها الى ما بعد تحليل الاجابات بالنسبة للموضوعات الرئيسية التــى تناولتها وهى :

اولا — بالنسبة لرسالة الثقــافة العمــالية ومهامها ، نجد أن حوالى ٤٠ فى المائة من الاراء قد تركزت حول مهمة الثقافة العمالية فى تفريخ واعداد القيادات العمالية فى مجالات العمل النقــابى والسياسى • بينما توزعت الـ ٦٠ فى المائة الباقية من الاراء بنسب تكاد تكون متساوية على النواحى الاتية :

● تكوين الطبقة العاملة ثقافيا •

● تكوين العامل كمنتج فى مصنعه وكمواطن فى المجتمع •

● المساعدة فى التصدى لمهام مرحلة التحول •

● بداية وتمهيد للعمل السياسى •

● تغيير القيم المتخلفة من عهد ما قبل الثورة •

● تغيير سلوك الفرد الى أحسن •

● محو الامية الثقافية بكافة أنواعها •

● تكوين العامل كرجل مسئول عن أبنائه ومسئول عن الانتاج الى جانب تكوينه كقائد سياسى ونقابى •

ثانيا ـ بالنسبة للبرامج وأساليب التدريس فقد تضمنت الاجابات آراء يمكن أن نقسمها الى قسمين: قسم يتناولها كما هى ، والقسم الاخر يقدم اقتراحات بشأن تطويرها •

فبالنسبة **للقسم الاول** سجلت الاجابات الاراء التالية :

● أن العمل ينقصه ايدولوجية واضحة تحدد الهدف المطلوب الوصول اليه •

● أساليب المحاضرات ، أساليب قاصرة لا تراعى ظروف مجتمعنا ولا تتعرض لمشاكل العمال •

● القائمون على الثقافة العمالية هم فى الغالب بعيدون عن وسط العمال •

● انها تهتم بالكم لا بالكيف •

● أنها لا تعنى بتنمية التخصصات •

● أن بعض المحاضرات تختلف مع الخط السياسى للبلد •

● المحاضرون لا ينتمون الى الثقافة العمالية ، وأغلبهم لا يهتم بأكثر من القاء المحاضرة ليقبض المكافأة •

● أنه بالرغم من كل ذلك فقد حققت الثقافة العمالية نجاحا فى تغيير المناخ الفكرى للعمال اختلفت الاراء فى تقدير مداه •

أما بالنسبة **للقسم الثانى** فقد تضمنت الاجابات المقترحات التالية :

● أن تكون البرامج مرنة وغير متجمدة •

● أن يكون المحاضرون منتمين الى المؤسسة والى التنظيم السياسى •

● أن يكون هناك اهتمام أكثر بمشاكل العمال •

● أن يعتنى عناية أكبر باعداد المثقفين العماليين وتكوينهم تكوينا يمكنهم من أداء مهمتهم بكفاءة •

● أن تحسم قضية انتماء المثقف العمالى •

ثالثا ـ بالنسبة لمتابعة الدارسين فقد وردت بشأنها الاراء التالية :

الثقافة والعمال

● هذه المتابعة تكاد تكون مفتقدة تماما فى الوقت الحاضر •

● يجب متابعة الدارسين وامدادهم بما يجدد معلوماتهم وينمى معرفتهم •

● ضرورة وجود نوع من الربط بين الدارسين ومتابعتهم •

● أن تكون المتابعة اما بواسطة التنظيم السياسى أو النقابات أو المؤسسة •

رابعا ـ بالنسبة لدور النقابات فى الثقافة العمالية فقد أجمعت الاراء على أهمية هذا الدور من حيث المبدأ ، أما من حيث الواقع فقد أجمع من تعرضوا لهذا الموضوع على ان النقابات لم تفعل شيئا لانها « متخلفة وجامدة » وأن القادة النقابيين لا يريدون تثقيف العمال لانهم يخشون على مراكزهم من العمال المثقفين ••

اتجاهات واضحة

ويمكن أن نستشف من واقع الاراء التى وردت فى هذه الاجابات على النحو الذى قدمناه عدة مؤشرات تدل على اتجاهات واضحة فى فكر العاملين بالثقافة العمالية نستطيع أن نجملها فيما يلى :

● اجماع على أهمية الثقافة العمالية والدور الحيوى الذى تستطيع أن تؤديه بالرغم من وجود اختلافات فى التصور لهذا الدور •

● احساس بأن هناك بعض الوان القصور التى تعوق أداء الثقافة العمالية لهذا الدور على النحو المرضى •

● اجماع على ضرورة وجود منهج يكفل متابعة النمو الثقافى للعامل ويضمن انعكاس ذلك على عمله وعلاقته بمجتمعه •

● موقف متراوح بين الرفض والتحفظ نحو دور النقابات فى مجال الثقافة العمالية مع التسليم ـ من حيث المبدأ ـ بأهمية هذا الدور •

حقائق •• بلا حساسية

والذى يهمنا بعد هذا العرض لخلاصة آراء أكثر من عشرين من العاملين فى مجال الثقافة العمالية ، وفى أنحاء متفرقة من الجمهورية ، هو أنها تؤكد من جديد جملة من الحقائق يجب أن توضع محل اعتبار كل مهتم بهذا الموضوع الحيوى ـ مع رجاء خاص ـ بطرح الحساسيات والاعتبارات الذاتية جانبا ، بغية الوصول من خلال النظرة النقدية المخلصة والحوار الموضوعى البناء الى الاسس التى يمكن أن تقوم عليها عملية تطوير هذا المرفق الثقافى الهام •

هذه الحقائق تتلخص فيما يلى :

أولا ـ أن الثقافة العمالية قد قامت بدور لا سبيل

الى انكار آثاره على المناخ الثقافى بشكل عام بين العمال ، وان كان تقييم هذه الاثار كما وكيفا محل خلاف كبير .

ثانيا ـ أن تقييم عمل الثقافة العمالية وتصور أهدافها والنظرة الى مناهجها هى أمور تختلف فيها وجهات النظر اختلافا صارخا بين العاملين فيها أنفسهم ، وهو اختلاف يعكس بالضرورة اختلافا أوسع حول هذه الامور خارج دائرة العاملين فى الثقافة العمالية .

ثالثا ـ أن تطوير مناهج وأساليب هذا الجهاز الهام تطويرا يمكنه من أداء رسالته على الوجه الاكمل هو أمر يشكل ضرورة ملحة ، ثم ان هناك اجماعا عليه من كل المهتمين بأمرها ، والمطالبة باستمرار التطوير أمر منطقى ومشروع ، ومن ثم فلا يجب أن يحمل على غير القصد منه خصوصا اذا وضح هذا القصد .

رابعا ـ أن المطالب الاساسية للتطوير تتركز حول النقاط الاتية :

● اعداد مركزى للمادة البرامج مع مراعاة المرونة والتنوع فى أساليب تقديم هذه المادة بما يتناسب مع كل مستوى وظروفه الموضوعية .

● مزيد من الدقة فى اختيار المحاضرين واعدادهم على مستوى التخصص فى تقديم المواد المختلفة ، وتقييمهم على أساس من النتائج التى يحققونها .

● عناية أكبر ببرامج تأهيل المثقفين العماليين ومتابعة تنمية قدراتهم ، مع ابعاد كل من يثبت عدم صلاحيته .

● أن تكون المواد السياسية وخاصة ما يتصل منها بالفكر والتطبيق الاشتراكى مصدرها الجهات المختصة فى التنظيم السياسى ، وأن يتولى المحاضرة فيها كوادر مؤهلة للتثقيف السياسى ترشحها قيادات التنظيم على مستوى لجنة المحافظة .

● أن يتزايد باضطراد دور النقابات العمالية والاتحاد العام للعمال فى مجال الثقافة العمالية تزايدا يؤدى الى التنمية الطبيعية ، وهى أن تؤول مسئوليتها بالكامل الى التنظيم النقابى .

الحركة النقابية .. منبع الثقافة

عطية الصيرفى

تتطور

حركة الفكر من المعرفة الحسية البسيطة الى المعرفة العقلية الاكثر كمالا ورقيا ــ ولهذا فالثقافة بهذا المعنى هى بوصلة الانسان لتكوين مفاهيمه عن الحياة والمجتمع . هذه المفاهيم التى تحدد النوعية الطبقية لهذه الثقافة حيث أن لكل طبقة من الطبقات الاجتماعية ثقافتها الخاصة التى تشكل مفاهيمها وتبشر بمستقبلها الاجتماعى ..

ومن ثم فالطبقة العاملة لديها ثقافتها النابعة من وضعها الاجتماعى ، بدأت معرفة حسية خلال مرحلة تحطيم الالات وتخريبها ظنا منها انها مصدر شقائها وليست الراسمالية التى لم تعرف عنها فى هذه المرحلة المبكرة الا بعض ظواهرها السطحية . ولكن مع تزايد خبراتها النضالية وتشربها بنظرية الاشتراكية العلمية ، تطورت معرفتها الحسية الى معرفة عقلية راقية ، تطورت من خلال الممارسة الثورية والمباشرة من اجل اكتشاف الحقيقة وتأكيدها تعبيرا عن وحدة النظرية والتطبيق كضرورة لاستمرار المعرفة العقلية التى لاتتقدم ابدا بدون الممارسة العملية .

والطبقة العاملة المصرية قد تشكلت ثقافتها على هذا النحو ، حيث عاشت ايضا مرحلة المعرفة الحسية الناقصة التى بدات بتحطيم الالات وتخريبها باحد مصانع النسيج التى انشأها محمد على باسيوط ، ثم تطورت هذه المرحلة من المعرفة الى المرحلة العقلية المتقدمة بفضل زيادة خبرات العمال النضالية التى امتزجت مبكرا بخمائر الفكر الاشتراكى التى حملها الى مصر فى نهاية القرن الماضى بعض العمال الاجانب فى الاسكندرية . وكذلك بفضل مثقفى الحزب الوطنى الذين انشأوا المدارس الليلية لمحو امية العمال وساعدوا فى تنظيم نقاباتهم .

الثقافة والعمال

قوة العمال الروحية ..

ومع مرور الايام ازدهرت ثقافة العمال اكثر فاكثر فى المناخ الربيعى الذى عاشته النقابات المصرية فى الاربعينيات ، حيث تصاعد نضالها بشكل ملموس . وحيث تواجدت قيادات عمالية لها فعل السحر فى التأثير على الجماهير لانها كانت تقدم لها قوة المثل الحى والثورى ولان درايتها بنفسية الجماهير تفوق دراية العلماء والفلاسفة ، وهذا ما جعلها تكسب عن جدارة ثقة الجماهير التى كانت بمثابة الارضية الخصبة لاية دعاية عمالية ونقابية .. ومن ثم كانت الاثارة والدعاية التى تتولى شرح هذه القضية الاجتماعية تتسع وتنمو باضطراد ، وكان هذا خير دليل على ان الثقافة قد تحولت الى قوة روحية للعمال الذين استخدموها لتحقيق الامور التالية :

- ابراز الشخصية العمالية كشخصية اجتماعية جديدة فى الحياة المصرية .

- المشاركة القيادية فى النضال الوطنى ضد الاستعمار وتحالف الاقطاع ورأس المال .

- استقلالية النقابات عن الاحزاب السياسية القديمة ، ونمو وحدتها على المستوى المهنى وعلى المستوى العام .

- اثارة مطالب عمالية واجتماعية ، التأمين ضد البطالة والشيخوخة واعتبار مرض السل اصابة عمل ..

- زيادة حجم توزيع الصحافة التى تنطق باسم الطبقة العاملة . خصوصا فى الاربعينيات .

- اتخاذ موقف تضامنى رائع تأييدا للشعوب المستعمرة من خلال امتناع عمال الشحن والتفريغ فى بور سعيد عن تموين السفن التى كانت تحمل السلاح لضرب الشعب الاندونيسى .

- المساهمة فى قيام الاتحاد العالمى للنقابات ، والارتباط به باعتباره المثل الحقيقى لعمال العالم ، بينما تم فضح ومقاطعة الاتحاد العالمى الحر للنقابات التى تسيطر عليه النقابات الامريكية ويضم اسرائيل .

حرب المفاهيم ..

كان استخدام الثقافة العمالية كقوة روحية للعمال يعنى نشوء فكرية طبقية معادية للاستعمار

ومن هذا يتضح ان الثقافة العمالية فى مصر هى ثمرة المعرفة الطبقية الاصيلة ، حيث تجلت اصالتها فى ادراك العمال المصريين .. ان الصراع الطبقى هو قوة التاريخ المحركة فى كافة المجتمعات الاستغلالية . وبالذات فى مصر شبه الاقطاعية وشبه المستعمرة ، وبالتالى فلن يتحقق اى تقدم اجتماعى بدونه على الاطلاق ..

وهكذا ادرك العمال المصريون بفضل ثقافتهم هذه ضرورة الصراع الطبقى وحتميته ، مما جعلهم يرفضون نظريات الوفاق الطبقى . يشهد على ذلك تاريخهم النضالى الطويل والمرير ..

الحصاد الطيب ..

وهذه الثقافة العمالية الجديدة لم تورق وتخضر بفضل الاساتذة المحاضرين ، او بواسطة الدروس والمحاضرات والتفرغ عن العمل . بل بفضل النقابات وحدها باعتبارها مدارس النضال العمالى عموما ، ففيها قد تم تثقيف العمال المصريون ، بل وتربيتهم تربية طبقية ووطنية فى خضم النضال الشاق مما جعل الثقافة العمالية تحقق حصادا وفيرا وطيبا ..

وقد تجلى هذا الحصاد فى شكل العضوية النقابيه ذات الطابع الديمقراطى المتقدم فى هذا الوقت المبكر من نشأة الطبقة العاملة المصرية ، حيث كانت هذه العضوية تظلل العمال المصريين وغير المصريين بغض النظر عن الجنس والدين والعقيدة مما قد ساعد بلا شك على تدعيم الوحدة العمالية المصرية الى درجة ان التضامن العمالى اصبح يمثل فى ضمير العامل البسيط واجبا اجتماعيا ، ومسئولية اخلاقية . يؤكد ذلك حدوث الاضرابات التضامنية الطويلة المدى التى وقعت بالاسكندرية وحلوان بعد سنة ١٩١٩ ، وكذلك التضامن فى مواصلة دفع الاشتراكات والتبرعات النقابية بحماس منقطع النظير رغم انف السلطات التى اصدرت فى عام ١٩٢٤ قانونا يعاقب كل من يقدم اى عون مالى للنقابات ..

كما تجلى حصاد هذه الثقافة فى الكيفية الواعية التى عمل بها العمال فى نضالهم السياسى المعادى للانجليز والاقطاع . هذه الكيفية التى بدت فى تحالفهم السياسى لاول مرة مع الراسمالية الوطنية ممثلة فى الحزب الوطنى . وكان هذا التحالف يعبر عن امرين هامين ، اولهما : نمو بصيرة العمال الى حد معرفة التناقضات الموجودة فى قلب المجتمع المصرى وتحديدها . وثانيهما : وصول العمال الى معرفة الطريقة التى يتم بها تصفية هذه التناقضات العدائية داخل المجتمع المصرى . وتتمثل فى الثورة على الاستعمار وعلى الاقطاع .

والاستغلال تغطى قطاعات عمالية عريضة مما دفع هذه القطاعات الى تخطى حدود مطالبها الاقتصادية وتجاوزها بعيدا الى مطالب تهز قدس الاقداس فى المجتمع المصرى وقتئذ • حيث طالب عمال النقل فى مؤتمرهم العام الذى عقد سنة ١٩٥١ بتأميم شركات النقل فى القطر المصرى ، كما طالبت بعض النقابات بتاميم اربع شركات كبيرة تعمل فى مجال النقل والنسيج عن طريق الحراسة القضائية - وكانت هذه المطالبة الجماهيرية من قبل العمال هى نفس حرب المفاهيم • حيث قد هوجم مفهوم الملكية الخاصة فى مصر بشكل يتسم بالصراحة والجرأة وذلك فى الشارع والمصنع وفى الصحافة العمالية وخلال اجتماعات العمال ومرافعات المحاكم التى كانت تنظر قضايا الحراسة المستعجلة على بعض الشركات - وفى سياق هذا الهجوم لم تتوقف المفاهيم عن التراشق مدعمة بالاية القرآنية والحديث النبوى والحكمة السياسية والمثل الشعبى • ولهذا كان يكرر العمال الف مرة ومرة الاية الكريمة « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى » وذلك تدعيما لمفهومهم الذى يستهدف الملكية الاشتراكية ••

وازاء هذا لم تقف الراسمالية المصرية مكتوفة الايدى بل ردت على العمال بعنف وقسوة • وكان هذا يشير الى شىء واحد هو بلوغ الصراع الطبقى فى مصر ذروته • ومن ثم فسوف تحدث الثورة ويتم التغيير الاجتماعى لهذا المجتمع • بفضل مساهمة ثقافة العمال ومعرفتهم التى اصبحت قوة روحية وفكرية ثورية واشتراكية ••

وفعلا قامت ثورة ٢٣ يوليو المجيدة كتعبير عن هذا الصراع الطبقى المحتدم ، واستقبلها العمال بالاحضان واضعين قواهم المادية والروحية فى حمايتها حيث كانت تتردد هتافاتهم قائلة •• العمال جنود الثورة •• وكان هذا يتفق مع الواقع والحقيقة ، فقد راح العمال يرصدون حركة الثورة المضادة لصدها ووأدها فى مهدها (•)

وقد صاحب رصد حركة الثورة المضادة استمرار حرب المفاهيم وتصاعدها • وخاصة بعد الضربة التى هزت مفهوم ملكية الارض بواسطة اصدار قانون الاصلاح الزراعى الاول • حيث تعرضت هذه المرة كل المفاهيم الداعية الى استغلال الانسان لاخيه الانسان لهجوم رسمى وشعبى ، جعلها تتعرى من كل مهابة واحترام فى عقول النـــاس ، وكان ذلك خير مناسبة لاحداث تطوير هائل وشامل فى ثقافة العمال يؤدى الى تفجير ثورة الوعى فى صفوف العمال المصريين جميعا • ومن ثم تسود فكريتهم الثورية والاشتراكية فى الحياة والمجتمع • ولكن هذا للاسف لم يتم ، فقد تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن

ويعود ذلك الى التشقق الاجتماعى العميق الذى وقع فى قلب القيادات العمالية محققا انفصال العديد من عناصر هذه القيادات عن زملائهم العمال فكرا وعملا ، حيث كونت هذه العناصر فئة من « الارستقراطيـــة العمالية » وقد وضـــح ذلك فى ملاحقـــة حملة الثقافـــة والفكر مـــن العمال بالاتهام التقليدى «بلبلة الافكار» ، يؤيد ذلك ماكتبه محمود فهمى النقراشى عضو اللجنة المركزية بالاتحاد الاشتراكى بالطليعة فى عددها الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٦٨ • حيث كتب يقول •• اما فيما يتعلق بالوصاية الادارية من قبل الاجهزة الادارية والتنفيذية على الحركة النقابية ، فانى التقى تماما مع اصحاب التقارير والشهادات الواقعية المشار اليها فى ضرورة التخلص من الاجهزة الادارية فى الحركة النقابية تماما لانه تبين بالفعـــل ان هذا التدخل فى كثير من الاحيان مايكون لصالح العناصر النقابية التقليدية التى جثمت على صدور العمال - بل واكثر من هذا فهى كثيرا ما تستغل الحماية الادارية لها فى حماية مصالحها الذاتية سواء لدعم مركزها الوطيمى داخل مواقع عملها ، او العبث باموال النقابات ، بشكل اصبح يسىء تماما لسمو العمل النقابى وكريم مقصده • ولهذا تضاءلت ثقافتنا العمالية الشامخة واعتـــراها شحوب وضمور مما جعلنا نتذكر فى اسى ايام مجدها قائلين لانفسنا ، سلام على هذه الثقافة !!

وما عرضته من سرد طويل لقصة الثقـــافة العمالية فى مصر يعتبر ضروريا لمناقشة الاراء التى وردت باللقاءات الخاصة بالثقافة العمالية التى تنشرها الطليعة - حيث اوضح لنا هذا السرد ان النقابات ونضالها يعتبران منبع الثقافة والمعرفة العمالية • وان دعاة هذه الثقافة ومبشريها لابد ان يكونوا من ابرز مناضلى العمال ، وان يرتبطوا بطالبى الثقافة ودارسيها من العمال ارتبـــاطا كفاحيا ووجدانيا ، حتى تتحول الثقافة على ايديهم الى قوة روحية وفكرية ثورية ••

ان الزملاء عبد الجليل سلام واسماعيل التلاوى وعبد الناصر عبدالمقصود ، ومحمد عبد الرحمن سرور يرون من حيث المبدا ضرورة ان تسهم النقابات فى نشر الثقافة والمعرفة بين العمال ، ولكنهم جميعا فى الوقت نفسه يتحفظون ازاء هذه المساهمة خوفا من السلبية التى اصبحت تطغى على حياة هذه النقابات الى حد انها قد فقدت

الثقافة والعمال

مضمونها الثورى • وبالتالى لم تعد مصدرا مامونا لنشر الثقافة والمعرفة • كما عبر عن ذلك الزميل **عبد الجليل سلام** « ولكن مع التنبيه لان الثقافة العمالية لو تبعت النقابات لماتت لان النقابات لاتؤدى دورها » ، ويؤيده فى ذلك الزميل **عبد الناصر عبد المقصود** بقوله « ان بعض النقابات ليس عندها استعداد لتوعية العاملين لانهم يحتكرون الوظائف النقابية ، ويخشون وجود عناصر واعية تناقشهم فى وظائفهم النقابية » •

وهذا الفهم المستنير للدور السلبى الذى تتخذه النقابات بخصوص احياء ثقافتنا العمالية يدفعنى الى اضافة مايؤكده من واقع الحياة نفسها • حيث انشأت بعض النقابات الكبيرة معهدا ثقافيا فخما بلغت نفقات اعداده فقط اكثر من عشرين الف جنيه ، هذا عدا مصاريفه السنوية ، بالاضافة الى مايقرب من خمسة عشر الف يوم عمل سنويا التفرغ الدارسين فى هذا المعهد ، ومع هذا فلم يقدم هذا المعهد الثقافى شيئا مذكورا ، وذلك لسبب بسيط يتضمنه المثل القائل •• فاقد الشىء لايعطيه •

وجاء فى كلام الزميل **اسماعيل التلاوى** ، أن النقابة فى مصر مازالت تعتمد على الكوادر التقليدية المحترفة ، وهم ليسوا على المستوى لتنظيم دراسات ثقافية او اجتماعية داخل المؤسسة او المنشأة . والثقافة العمالية تقوم اساسا بالخدمة الثقافية للطبقة العاملة فى مصر بعد ان فشلت النقابات فى تادية هذه الخدمة . . وتعليقى على هذا الكلام يتمثل فى انه يعبر عن الحقيقة ، حيث ان التنظيم السياسى القائد والسلطة الثورية فى بلادنا رأيا ان الضرورة تقتضى البحث عن بديل للنقابات المجمدة منذ اعادة بنائها عام ١٩٦٤ ، ووفقا لرأى الزميل **محمد عبد الرحمن سرور** ، وذلك للقيام بمهمة نشر الثقافة العمالية ••

وتبدو ضرورة البحث عن البديل فى ان النقلة التقدمية التى تمت فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مصر لابد ان يواكبها نقلة مماثلة فى حياة العمال الروحية والفكرية لانه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، وذلك لكى يترسخ الرضى الاجتماعى فى اعماق الجماهير العاملة مما يؤدى الى تامين الثورة وتقدمها الى الامام •

وقد تم التوصل الى ايجاد البديل بقيام مؤسسة الثقافة العمالية تحت اشراف الاتحاد الاشتراكى مما اضفى عليها طابعا سياسيا ومهمة سياسية •

وكان ذلك ولا شك عملا منطقيا يتفق مع واقع الحال فى مجالنا العمالى والنقابى • ولذلك كان متوقعا من هذه المؤسسة ان تحقق بعض النشاط الجاد لاحياء الثقافة العمالية ، ولكنها لم تحقق فى هذا المجال الا القليل كما يرى الزميل **محمد الفولى الشريف** ويرجع ذلك الى احتواء المؤسسة الثقافية العمالية الوليدة بواسطة العقلية الادارية والبورجوازية التى لاتنتسب الى العمال فكريا ولا عمليا • يؤيد ذلك ماعبر عنه الزميل **اسماعيل التلاوى** بصدد مطالبته « بتعميل » الاشراف على الثقافة العمالية ، حيث قال : يجب ان يكون القائمون على الثقافة العمالية اصلا من العمال وليسوا من الطبقات الوسطى او اى طبقة تتصادم مصالحها مع مصالح الطبقة العاملة او غير فاهمة لاهداف واتجاهات الطبقة العاملة ••

والجدير بالذكر أن البورجوازية المصرية تتمتع بعقلية ذكية للغاية تمكنها من التسلل الى اى عمل شعبى وجماهيرى بقصد احتوائه ثم تسخيره وفقا لمصالحها ، كما حدث مثلا فى المجال النقابى حيث استطاعت فى كثير من الاحيان من التسلل الى بعض النقابات والسيطرة عليها ، ولذلك فقد ابتدعت وروجت اخيرا بعض الشعارات كستار ضبابى لتتسلل الى مجالات النشاط الثورى عموما • وذلك كشعارات — كلنا عمال — كلنا اشتراكيون — كلنا ثوريون . هذه الشعارات التى تصيب بعض الجماهير « بالعمى الطبقى » بحيث يصعب عليها التميز بين العمال وغير العمال ، وبين الاشتراكيين الحقيقيين والاشتراكيين المزيفين •

وكان الدليل الحى والاكيد ايضا على احتواء مؤسسة الثقافة العمالية من قبل العقلية البورجوازية هو طريقة مباشرة مهامها التى تكشفها الامور التالية :

اولا : يشير الزميل **عبد الجليل سلام** الى ان « الملاحظ ان البرامج تقدم بطريقة بدائية ، واساليب المحاضرات ، اساليب لاتراعى ظروف مجتمعنا ، وهى تقدم بارخص السبل واسهلها » وهذا يبين ان العملية الثقافية التى تمارسها هذه المؤسسة هى عملية مظهرية •

ثانيا : يقول الزميل **محمد محمد عربى** « وقضية اخرى هى قضية الجهاز الذى يعطى المحاضرات، فهذا الجهاز لاينتمى اصلا للثقافة العمالية » . ويصف المحاضر فيقول « اما المحاضر فانه مجرد ما

يلقى محاضرته ويقبض اجره ينتهى كل شيء » • وانني التقى تماما مع هذا الراى الذى يبرز واقع ان الثقافة العماليـــة تنحصر فى عمليـــة اختيـــار المحاضرين التى تتم بطريقة بعيدة عن أى التزام ثورى ، حيث يتم اختيارهم فى اغلب الاحيان من كبار موظفى الحكومة والقطاع العام والجامعة ممن لايتمتعون باى وجدان اشتراكى ، وهؤلاء السادة المحاضرون لايسكبون فى رءوس العمال الدارسين الا فكريات بورجوازية مغلفة بعبارات طنانة عن الثورية والاشتراكية ، ولذا فان الكثير من هذه المحاضرات تحمل السم الزعاف ، ثم عدم نمو اية رابطة وجدانية بين المحاضر والدارسين مما يجعل الثقافة العمالية اشبه بعملية تجارية خالية من اى عواطف فكرية او علاقات وجدانية ، وقد نتج عن ذلك ان العامل الدارس تنتهى علاقته بالثقافة العمالية فور عودته الى مصنعه كما عبر عن ذلك الزميل محمد الفولى »

ثالثا : تشويش عقليات العمال واغراقها فى متاهات لاتوصلهم الى المعرفة المنشودة بواسطة ترويج كتب لا تخدم موضوعية الثقافة العمالية مثل كتاب الحرب النفسية الذى وزع على العمـــال الدارسين ، وطبعا قد ترك هذا الكتاب غير الموضوعى بصماته فى ادمغة بعض المشتغلين بالثقافة العمالية مثل الزميل صادق سليمان من ميت غمر الذى كان كلامه منصبـــا على الحرب النفسية وحملة التشكيك الخ . وكان من الاجدران ينصب كلامه عن خبرة الثقافة العمالية فى مجال عمال الحرف والصناعات الصغيرة المنتشرة فى ميت غمر ، وكذلك فى مجال عمال الزراعة والتراحيل باعتبار ان قرى مركز ميت غمر هى الموطن الاول لعمال التراحيل فى بلادنا • وبالمناسبة لا ادرى لماذا لم تتعرض آراء الزملاء لاتجاهات الكتب التى تباشر الثقافة العمالية توزيعها ، وهل تتفق فى مجموعها مع خطنا السياسى المعادى للاستعمار والاستغلال ؟ ــ وهل تمس المشـــاكل الحيـــاتية للعمال ؟ وهل هى جزء من الادب الاشتراكى ؟ • وان كان فى تقديرى ان هذه الكتب لاتمشى على نفس الدرب بدليل ان الثقافة العمالية لم تنجح فى شد العمال الى كيفية استعمال الكتب كما يرى الزميل عثمان احمد ابو الحسن بقوله : والملاحظ ان غالبية الكادحين ليس لديها اى نوع من انواع التثقيف الذاتى من خلال القراءة للقادرين على القراءة ••

رابعا : خنق نمو وتطوير المثقف العمالى حتى لايزاحم افندية الثقافة العمالية الذين يدعون ثبوت المعرفة سواء فى مجال المحاضرات او فى مجال الكتابة • حيث يصف الزميل محمد محمد عربى سوء معاملة مثقفى العمال بقوله : رغم انه قد اعد مثقفين عماليين على مستوى عال من الفكر ، وهؤلاء تنتفى صفتهم امام المحاضر رغم انهم هم الذين يعايشون العمال من الدارسين •• وهذا الوصف الذى يقدمه شاهد عيان يبين كيف تعبث العقلية البورجوازية بالشخصية العمالية فى هذا المجال ، كمقدمة لاغتيال طموحها الثقافى ••

خامسا : يبدو ان الثقافة العمالية قد تأثرت الى حد بعيد بظاهرة تخلف الريف عن المدينـــة وتخلف عمال الزراعـــة والتراحيـــل بالريف عن زملائهم عمال التجـــاره والصنـــاعه والخدمات بالمدينة • وقد بدا هـــذا التـــأثر فى تجـــاهل الثقافة العمالية لعمال الزراعة والتراحيل الذين مازالوا يعيشون حياة الغربة الاجتماعية السحيقة بعيدا عن الحياة والمجتمع ، بدليل ان الاراء التى قدمها جميع الزملاء لم تتعرض لتجربة الثقافة العمالية فى مجال عمال الزراعة والتراحيل ولم تطالب كذلك بضرورة امتداد الثقافة العمالية اليهم بالريف • وكأن الزملاء اصحاب هذه الاراء قد تناسوا ان اهم متطلبات هذه المرحلة الثوريه يتمثل فى توثيق التحالف بين العمال والفلاحين ، وان هذا لن يتم ابدا الا من خلال عمال الريف وكادحيه الذين يجب ان تغطيهم الثقافة والمعرفة ، وان تضىء حياتهم ••

ورغم ان هذه الامور الخمسة قد مست بعض الايجابيات والسلبيات فى آراء الزملاء فاننى ارى ان هذه الاراء فى جملتها طيبة ومثمرة ، وبالذات الاراء التى تعرضت لخبرة الثقافة العمـــاليـــة بالاسكندرية المدينة الام للحركة النقابية المصرية ، حيث اتسمت الاراء بالصراحة والموضوعية وكان ذلك بمثابة نقـــد امين وشجاع للنفس ، ولذا فمن الممكن ان تشكل جملة هذه الاراء عملية تنقية الثقافة العمالية ، وتأصيلها بحيث تتخلص مـــن الشوائب البورجوازية والمتخلفة •

ومما يجدر ذكره هنا ابراز قوة الحياة ومنطقها من خلال الاراء التالية :

الزميل جمال حسين : « من واقع خبرتى ان العمال مهتمون اساسا بالموضوعات المرتبطـــة بالمشاكل التى يـــواجهونها فـــى عملهـــم او فى حياتهم » •

عبد الدايم ابراهيم : « وقد تبين لنا ان درجة تحصيل الدارسين تكون ضئيلة لا تتناسب مع الجهد المبذول ، ولكننا نلاحظ فى نفس الوقت ان الدارسين يتقبلون مناقشة مشاكل الساعة المرتبطة بالاحداث اليومية » .

عبد الغنى الدولتلى : « وفى داخل الوحدات نجد ان هناك مشكلة كبيرة ايضا لها تاثير اكبر واشد عن تاثير البرامج الثقافية على الكيف المطلوب لدى الذين حصلوا هذه البرامج ، وهذه المشكلة هى الانخفاض فى مستوى معيشة هؤلاء ، فأثر الثقافة وفعاليتها لايمكن ان تنفصل عن مشاكل الحياة » .

وهكذا قدمت الاراء الثلاثة شهادة على مدى قوة منطق الحياة ، التى فرضت نفسها على عقول العمال الدارسين ، وهذا يشير الى تخلف ثقافتنا العمالية التى تراجعت امام هذا المنطق لانها لا تلتقى معه ، مع العلم ان الثقافة والثقافة العمالية بالتحديد هى التعبير الواقعى والروحى لمنطق الحياة ومشاكلها ..

الثقافة العمالية ..
ومنطق « مشى حالك »

ان الوضع الحالى للثقافة العمالية فى مصر قد جعلها تفرخ فى صفوف العمال فكريات غير عمالية وضارة ، ومثلى على ذلك ماورد فى كلام الزميل **مسعد الرفاعى** الذى يرى ‥ الهدف من الثقافة العمالية فى تغيير سلوك الفرد الى سلوك افضل ليساير الوضع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى سواء كان النظام راسماليا ام اشتراكيا ، اى ان الثقافة العمالية يجب ان تساير المجتمع ، وعليه فانها يجب ان تساير مرحلة التحول .

ولا خلاف على ان هذا الراى يعبر عن فكرية « **مشى حالك** » السائدة فى حركتنا النقابية والداعية الى الوفاق الاجتماعى . ولهذا فترفضه الفكرية العمالية الثورية ، وترفضه كذلك الاخلاقيات العمالية التى ترى ان المسايرة هى آية النفاق الاجتماعى المقيت حيث تتمشى هذه المسايرة مع الشعارات الانتهازية القائلة : « **الناس على دين ملوكهم** » ، « مات الملك يحيا الملك » ...

ولذلك لم تعد الثقافة العمالية عندنا وسيلة كفاحية ناجحة للوصول بها الى غاية اجتماعية متقدمة ، بل بقيت — وللاسف — وسيلة رديئة لمنع وعرقلة نمو فكرية ثورية موحدة ، وبهذا يتواجد سلاحهم الروحى لمواجهة تحديات مستعمريهم ومستغليهم على السواء ، وقد وضح ذلك فى آراء الزملاء :

نبيه الشوبكى : « وبخبرتى يمكننى ان اقول أن العمل ينقصه ايديولوجية واضحة تحدد الهدف المطلوب الوصول اليه » .

اسماعيل التلاوى : « وهذا يتطلب وعيا عاليا جداً ومستوى من الفكر والعلم ، داخل القيادات العمالية حتى تستطيع ان تتصدى لقيادة المجتمع واخذ مكانها فى الصراع الطبقى السلمى . وهذه فى نظرى وظيفة هامة جدا للثقافة العمالية » .

خيرى صبرى : « ان هدف العمل النقابى دائما هو اطلاق طاقات الانسان الفكرية ليتمكن من خدمة المجتمع الذى يعيش فيه » .

ونتيجة تقصى الفكرية الثورية الموحدة بين العمال ، لم يتحقق الهدف الذى تنشده احتياجات مرحلة تحولنا الاشتراكى ، وماصاحبهامن تحديات استعمارية صارخة وخاصة بعد النكسة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ، حيث اصبح الواجب الرئيسى للطبقة العاملة المصرية ان تدافع عن الاشتراكية كوطن . وهذا واجب مثلث الجوانب . لانه دفاع بالسلاح ضد قوى الثورة المضادة فى الداخل والخارج .. ودفاع بالانتاج ضد التخلف .. ودفاع بالفكر ضد المفاهيم الاستسلامية والرجعية العفنة .

ولكن لن يتم هذا الا بثورة ثقافية يقودها التنظيم السياسى فى قلب الحركة العمالية والنقابية عموما ، حيث تعمل على تفجير ثورة الوعى العمالى ، وجوهر هذه الثورة الثقافية يتمثل فى اشاعة الديمقراطية بعمق متزايد ، وبدون محاذير فى قلب المجالات العمالية والنقابية حتى تعود النقابات العمالية سيرتها الاولى كمدارس نضال للطبقة العاملة المصرية . حيث تنشا فى رحابها الثقافة العمالية الخالصة من شوائب الفكريات البورجوازية والانتهازية — هذه الثقافة العمالية التى سوف تتحول فورا الى قوة روحية وفكرية ثورية اشتراكية بفضل النضال الذى ستقوده النقابات الجديدة ..

والثقافة العمالية السليمة هى السبيل الى ادراك العمال لموقفهم الطبيعى فى الصراع الطبقى للتصدى لقيادة المجتمع فعليا ، تحقيقا للديمقراطية الاشتراكية كسلطة للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، وهذا يتفق مع ماقاله الزميل **اسماعيل التلاوى** . واهمية التركيز على تكوين قيادات عمالية منتقاه من القاعدة العريضة يؤكدها واقع الثورة فى بلادنا ، فميثاق العمل الوطنى اعترف واقر بالصراع الطبقى ولكن متمشيا مع ظروفنا اخذا بفكرة الصراع السلمى ، الامر الذى يتطلب من العمال معرفة حقيقية بموقعهم الطبيعى فى المجتمع بهدف خلق كوادر نقابية تستطيع بذل الجهد داخل المؤسسات فى المجتمع الاشتراكى .

محـــو الأميـــة
قـاعدة الانطـلاق للثقافـة العـــماليـــة

أمـيـــنة شفـيـــق

اكتسبت حركة الثقافة العمالية ابعادا افقية وراسية خلال السنوات الثمانى الاخيرة ، فقد زادت رقعتها من ناحية الاعداد التى تخرجها سنويا وكذلك من ناحية المواد التى تقدمها لدارسيها .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الان هو .. هل ادت الثقافة العمالية دورها فى خدمة طبقة العمال والفلاحين التى انشئت من اجلها مد خدماتها اليهم ؟ وهل يرتفع نوع وكم الخدمة الى مستوى المرحلة السياسية والمهام الاقتصادية الحالية ام لا ؟

والاجابة على هذين السؤالين هى التى تحدد الى اى مدى نجحت رسالة المؤسسة الثقافية العمالية، أو الى أى مدى قصرت عن أداء مهمتها.

ومن الآراء التى قدمها العاملون فى حقل الثقافة العمالية ، وهم اكثر الناس احساسا بمدى نجاحها او قصورها — يتبين لنا أن ثلاث قضايا اساسية هى التى تفرض نفسها على اى تعليق .

- أولها : قضية محو الامية .
- ثانيها : قضية تكوين المثقف العمالى .
- ثالثها : قضية وحدة الفكر والعمل داخل المؤسسة الثقافية العمالية .

محو الامية

وهى التى تحدث عنها كل من **عبد الجليل سلام واسماعيل التلاوى وعبد الغنى الدولتلى** .. الاول مثقف عمالى والثانى محاضر عمالى وكلاهما من محافظة الاسكندرية . وقد تعرضا لقضية محو الامية باعتبارها عقبة تقف دون التقدم السياسى والاجتماعى ككل . ولكى ندرك ابعاد المشكلة علينا ان نتعرف اولا على حجمها .

فقد اصدرت ادارة محو الامية بوزارة التربية والتعليم احصائيات عام ١٩٦٨ عن مدى انتشار الامية فى البلاد .

قالت الاحصائيات مايلى :
تنتشر الامية فى المحافظات بالنسب التالية :
٤٨٪ فى القاهرة ، ٥٠٪ فى الاسكندرية ، ٥ر٥٦٪ فى السويس ٥٦٪ فى البحر الاحمر ، ٦١٪ فى بورسعيد ، ٦٤٪ فى دمياط ، ٦٧٪ فى الاسماعيلية ، ٦٨٪ فى الدقهلية ، ٦٩٪ فى الجيزة ، ٧١٪ فى الغربية ، ٧١٪ فى المنوفية ، ٥ر٧١٪ فى القليوبية ، ٧٥٪ فى الشرقية ، ٧٦٪ فى اسوان ، ٧٧٪ فى بنى سويف ، ٧٧٪

الثقافة والعمال

فى المنيا ، ٧٩٪ فى البحيرة ، ٨٠٪ فى الفيوم ، ٨٣ر٥٪ فى سوهاج ، ٨٤٪ فى قنا و ٨٦٪ فى مرسى مطروح .

ثم أضافت الادارة أن الامية تمثل نسبة ٧٠ ٪ من سكان الجمهورية العربية المتحدة . ثم حددت اكثر واضافت ان هذه النسبة قيست بالنسبة للمواطنين الذين تتراوح اعمارهم بين عشر سنوات و ٦٠ سنة . أى أن ٧٠ ٪ من الذين يمرون بسن الانتاج والعمل اميين .

ومن هنا يتضح لنا ان مشكلة الامية تتميز بخطورتها على الانتاج بسبب حجمها المتضخم بين المنتجين .

وبالاضافة الى هذا الحجم فقد ترتب علـى انتشارها مشاكل عديدة داخل وحدات الانتاج الصناعى . فلائحة العاملين فى المؤسسات العامة التى صدرت لتضع أسسا عادلة ورشيدة لتكافؤ الفرص فى الترقى والنمو الوظيفى داخل العمل حددت فى بنودها ١٥ و١٦ و١٧ أن تكون الترقية بالاختيار . ولكى تتيح للعاملين فرصة الحصول على نتائج جيدة فى هذه الاختبارات التـزمت الشركات بضرورة انشاء مراكز للتدريب المهنى داخل وحداتها الصناعية ، نتج عن ذلك أن وقفت الامية حائلا . أما ترقية العاملين وخاصة بالنسبة للفئات الدنيا من سلم الوظائف . وذلك لانه ثبت ان نجاح اى مشروع لتدريب العاملين يتوقف على حالتهم التعليمية وعلى درجة معرفتهم بمبادىء القراءة والكتابة .

وقد خرجت وزارة التربية والتعليم منذ شهر بفـكرة جديدة للقضـاء على الاميـة ، أهم ما يميزها أنها وضعت الحافز السلبى كأساس لمحو الامية ، فقد طالبت الوزارة بالتعاون بين الاجهزة التنفيذية فى الشركات والمؤسسات وبين الاتحاد الاشتراكى لخوض معركة محو الامية على النطاق القومى . وحددت فترة السنوات الخمس القادمة للقضاء على الامية ثم اضافت ان على الشركات وادارات الحكومة أن تعطى للعاملين بها مهلة لاتتجاوز مدة السنوات الخمس على ان توقف ترقية أو علاوة اى عامل لايقدم شهادة تثبت انه يجيد القراءة والكتابة ثم طالبت الحكومة بوقف تعيين اى عامل لايجيد القراءة والكتابة بعد هذه السنوات الخمس .

فنحن اذن نعـاقب الاميين على جريمـة لم يرتكبوها ،ونتناول المشكلة على أساس أنها مشكلة افراد ، لا على انها قضية قومية عامة .

واذا ما طبق أى قانون يحرم تعيين أو ترقية العامل الامى فى أى قطاع انتاجى ، فالذى سيتحمل تبعات تطبيق هذا القانون هم جماهير العمال الذين يشكلون غالبية العضوية النقابية فى الحـركة العمالية وهم الطبقة التى انشأت المؤسسة الثقافية العمالية من أجل اشباع حـاجتهم الثقافية .

ورغم تفشى هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة وسط قطاعات عريضة من عمالنا الصناعيين وغالبية عظمى من عمالنا الزراعيين فمازالت احدى القضايا التى لم تولها الثقافة العمالية اى اهتمام باقيـة وتحتـــاج الحل .

والتعريف العام والسليم لدور الثقافة العمالية فى اى مجتمع - سواء كان راسماليا او اشتراكيا او فى مرحلة التحول من النظام الاول الى الثانى - هو اشباع الحاجات الثقافية لجماهير العمال فى اى مرحلة من مراحل نمـوها الاقتصـادى والسياسى .

ويتحدد نوع الثقافة المقدمة للعمال .. سواء رأسمالية أو اشتراكية - بعد ذلك . ففى المجتمع الرأسمالى تســيطر مفـــاهيم **النقابيـــة البحتة « الخالصة »** على نوع التثقيف العمالى . حيث أنها تؤكد باستمرار الكيان النقابى العمالى على أساس أنه شىء منفصل عن العمل السياسى . فهى تقدم المفهوم الجزئى للعمل النقابى . فى حين ان فى المجتمع الاشتراكى ، أو مجتمع التحول تقدم الثقافة العمالية المفاهيم الجديدة **للنقابية السياسية** التى تؤكد ان الحركة النقابية هى جزء من حركة الجماهير السياسية ، وهى شىء يكمل ويتكامل بالعمل السياسى . ومن ثم فانه **اذا كانت حاجة الجماهير العمالية ، ومتطلبات التطور الاقتصادى والاجتماعى تقتضى محو اميتهم ، فعلى الثقـافة العمالية أن تؤدى هذه المهمة .**

وقد يجيب بعض المسئولين قائلين ، ان معارك محو الامية هى من صلب اختصاص التنظيـم السياسى ، فهو التنظيم القادر على تعبئة طاقة الجهود القومية سواء كانت تنظيمية او تنفيذية لخوض مثل هذه المعارك الواسعة .

ولكننا نرى أنه فى مجتمعنا حيث يوجد تنظيم سياسى واحد يضم قوى متحالفة منها العمـال والفلاحون المنظمون بدورهم فى نقابات عمالية يصبح من واجب النقابات العمالية اساسا - من خلال المؤسسة الثقافية العمالية - القيام بهذه المبادرة ، طالما ان قضية الامية تهم اول ماتهم جماهير العمال والفلاحين دون غيرهم من قوى الشعب العامل .

فالمثقفون لايحتاجون الى محو الامية ، وكذلك الرأسمالية الوطنية ، اذ تنتشر الامية بهذا الحجم الضخم فى صفوف العمال والفلاحين ولا تشكل خطرا ما فى صفوف الطبقة المتوسطة .

واذا كانت الدول الاشتراكية التى سبقتنا قد محت أمية جماهيرها على يد العناصر النشطة من اعضاء تنظيماتها السياسية ، فهذا ليس بالقانون الاجتماعى الذى نتمسك به ، ولكنه كان أسلوبا للعمل . فالقاعدة تحتم محو امية جماهير العمال والفلاحين ولكن اسلوب العمل لتطبيق هذه القاعدة قد يختلف من بلد الى آخر ومن تجربة الى اخرى . وطالما أن محو الامية هى القضية الثقافية الاولى للعمال والفلاحين وطالما هى قضية العمل الانتاجى والاقتصادى فى البلاد .. وطالما وجدت مؤسسة تقول « انا المسئولة عن تثقيف العمال والفلاحين الاجراء » فلابد اذن أن تشبع تلك المؤسسة هذه الحاجة الملحة لدى القطاع الاكبر من جماهير التحالف ، باعتبار محو الامية هى القاعدة التى ترتكز عليها عملية تشييد البناء الثقافى للعمال والفلاحين . اذ لايمكن ان تؤدى الثقافة العمالية مهامها دون أن تمهد الارض بمحو الامية الابجدية .

واذا لم تواجه مؤسسة الثقافة العمالية هذه الحاجة الملحة فهى تظل عاملا على سيادة الاوضاع الخاطئة التى تؤكد :

● استمرار سيطرة القيادات التقليدية على العمل النقابى ، ومن ثم على العمل السياسى ، لانها لا تغذى فى العمليتين بالعناصر الجديدة التى تجدد دماء التنظيمين .

● عدم مشاركة جماهير العمال والفلاحين فى الحياة العامة ، فالامية عائق يقف بين الانسان وبين طاقاته الايجابية ، حتى البسيط منها .

وقبل أن ننتقل الى مناقشة قضية اخرى من القضايا التى طرحت فى اللقاءات لابد أن نشير الى ان التنظيمات النقابية والسياسية التى سارت فى طريق محو امية جماهيرها قبلنا واكتسبت خبرات كبيرة من عملها قد خرجت بنتائج هامة فى هذا المجال . أهم هذه النتائج هى ظروفنا فى العالم المعاصر التى تتطلب من الانسان قدرات ذهنية وعملية تفوق المتطلبات الخاصة فى القرون الماضية ، ومن هنا تكتسب عملية محو الامية مضمونا جديدا سمى الامية الوظيفية . وهو مايعرف بذلك النوع من التثقيف الذى يهدف الى ربط الدارس بمجتمعه من خلال تعريفه المفاهيم الجديدة فى السياسة والصناعة والثقافة ..

فالدارس هنا ليس بالتلميذ الذى تقدم له الدولة كتبا نموذجية « تفك الخط » ، ولكنه مواطن يساعده تواجده فى الفصل على أن يفهم مشاكل حياته ويتعرف على حلها وعلى معرفة حقوقه وواجباته كمواطن وكفرد . ويستطيع من خلال هذه الثقافة الجديدة أن يتعرف على وسائل لتحسين معيشته وعلى الاسهام بطريقة فعالة لتطوير امته من جميع النواحى .

اما محو الامية الابجدية التى تحول المواطن الى مجرد تلميذ كبير السن تمارس عليه عملية تربوية منفصلة عن اى نشاط اقتصادى واجتماعى فقد وصفت بانها اسلوب متخلف اذا ما طبق فى البلاد النامية التى تحتاج الى قوى منتجة متطورة للحصول على عائد اقتصادى سريع لزيادة انتاجها ولتحقيق كفاية من الانتاج وعدالة فى التوزيع .

المثقف العمالى

لاشك اننا نعلم قيمة **المتفرغ فى العمل السياسى** ، فهو المناضل الذى يحمل على أكتافه عبء العمل النضالى اليومى . وهو كما يقولون « آخر من ينام من اعضاء الحزب واول من يستيقظ منهم » .

وكذلك نقدر قيمة **المتفرغ فى العمل النقابى** ، فهو الذى يقوم بالعمل اليومى وسط جماهير العمال . وهو محرك النشاط النقابى . يجب ان يكون المثقفون العماليون بمثابة الكتائب الطليعية فى جيش التثقيف ــ وهم العدد الاكبر من العاملين فى هذه الحركة . تنحصر مهمتهم فى تطهير الارض من اجل سيطرة المفاهيم الجديدة فى الحركة الاجتماعية . يكسبون العمال الى جانب الفكر الاكثر تقدما ، ينظمون الدورات ، يلازمون الدارسين ، يجيبون على كافة الاسئلة المطروحة ، يتابعون الخريجين ، يكتشفون العناصر الجيدة التى تستطيع ان توجه العمل التثقيفى اذا ما صقلت خبراتها العلمية . اذن فهى مهمة كبيرة .

والعمل الثقافى العمالى يقاس بمعايير عدة ، منها تاثيره المباشر على معدلات الانتاج ، ثم عدد العناصر الجديدة التى تساهم فى العمل السياسى والنقابى من خريجيه ، ومنها أيضا حجم المثقفين العماليين ونسبتهم الى الجهاز الادارى للمؤسسة التى تتولى حركة التثقيف واخيرا قيمة هذا المثقف ــ او المندوب الثقافى ــ من الناحية العلمية والجماهيرية .

فاذا زاد حجم المثقفين العماليين عن حجم العاملين فى العمل الادارى فى المؤسسة .. واذا كان لهم ثقل علمى وجماهيرى ملحوظ جاءت نتائج الحركة فى النهاية جيدة وسليمة .

واليوم وبعد مرور ثمانى سنوات على انشاء المؤسسة الثقافية العمالية علينا ان نطرح السؤال التالى :!

الثقافة والعمال

كم يبلغ العدد الحقيقى للمثقفين العماليين ·· وماهى قيمتهم العلمية والجماهيرية ؟

وحدة الفكر والعمل

ونحن لا نعنى هنا بالوحدة الفكرية الرد على السؤال التقليدى الذى يطرح دائما ·· هل هى اشتراكية عربية امتطبيق عربى للاشتراكية ؟ وانما نعنى بها وحدة عمل فى ظل اطار نظرى متفق عليه بالنسبة لكافة الافكار والمدارس النقابية والثقافية والسياسية ·

والمؤسسة الثقافية العمالية تصدر مؤلفات ومجلات تكونفى النهاية مكتبة عمالية لم تفكر جهة اخرى فى الاسهام فيها · كما انها تصدر نشرة دورية تنقل الاخبار ـ وخاصة اخبار ادارة القاهرة ـ من الاسكندريةحتى اسوان ، ومع ذلك فالمراكز الثقافية فى المحافظات تعانى من التفكك وعدم الترابط ، لكل منهم اسلوب عمل تنظيمى وجماهيرى ، منهم النشط جدا ومنهم الذى لايعمل الا فى اضيق الحدود ، ومنهم من يعتمد على الاتفاقيات الثقافية العمالية،ومنهم من يعتمد على مجهوده فى اقناع العمال ، بالاضافة الى مشاكل تثقيف الفلاحين ومايواجهها من صعوبة فى الاتصال وفى الاقامة وفى طرح المفاهيم ·

فنحن هنا امام قضية عمل جماهيرى لايمكن ان تصاغ حلولها بالقرارات الادارية او الزيارات المنظمة او المفاجئة ·· وانما لابد ان يوجد شكل للاتصال الدائم ·· الذى اثبتت الخبرات ان افضل وسائله هو عقد مؤتمرات دورية يحضرها الافراد العاملون فى الحقل من مديرى مراكز ومثقفين ومحاضرين · مهمة مثل هذه المؤتمرات هى تبادل الخبرات وطرح المشاكل ثم الوصول الى الحلول السليمة لها من خلال العمل اليومى · ومن خلالها يمكن ان توضع أسس المتابعة التى يشكو مديرو المراكز من عدم توفرها .

■ ■ ■

ملاحظات الطليعة

ملاحظات حول "الثقافة العمالية"

نص

القرار الجمهورى الخاص بتشكيل مجلس ادارة المؤسسة الثقافة العمالية على ان يتكون من رئيس مجلس ادارة المؤسسة الثقافية العمالية للاتحاد الاشتراكى العربى ، مدير عام للمؤسسة ، نائب مدير عام لشئون المعاهد العمالية ، ممثل لوزارة العمل ، ممثل لوزارة الثقافة والارشاد القومى ، ممثل لوزارة الصناعة ، ممثل للمعهد العالى للدراسات الاشتراكية و١٧ اعضاء يمثلون العمال ·

ولكن مجلس الادارة هذا لم يجتمع وفق هذا التشكيل منذ تاسيسه ، وهكذا فان مشاركة النقابات فى مجلس ادارة المؤسسة غير محققة ، ومن ثم اقتصر دور التنظيم النقابى على مجرد المساهمة المالية ، واستبعد الدور القيادى لهذا التنظيم من مجال الثقافة العمالية والتى هى واجب رئيسى من واجباته · ان اسهام العمال فى ادارة المؤسسة الثقافية الخاصة بهم امر ضرورى ، وليس متصورا ان تستمر هذه المؤسسة فى عملها دون مشاركة حقيقية فى نشاطها من قبل التنظيم النقابى · وليس متصورا ان يظل القرار الخاص بتشكيل مجلس ادارة المؤسسة على النحو السابق قرارا معطلا · والاتحاد العام للنقابات مسئول ولاشك عن هذا النقص ·

وكذلك فان مؤسسة من المؤسسات الفكرية الهامة فى البناء الاشتراكى الخاص ببلادنا وهو

المعهد العالى للدراسات الاشتراكية لم يشترك فى مجلس ادارة المؤسسة .» واشتراك المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ضرورى وهام لتوحيد العمل الفكرى ولضمان اتجاه العمل الدعائى الاشتراكى فى خط واحد فى كافة المجالات ، وان يكون محوره هذا الخط هو الاشتراكية العلمية التى اكد ميثاق العمل الوطنى انها المحتوى الفكرى لثورتنا وهى تسعى وتناضل من اجل الانتقال بمجتمعنا من مرحلة الراسمالية الى الاشتراكية ٠

والى جانب ذلك فان الهيئات الاخرى المكونة لمجلس ادارة المؤسسة لاتشارك فى اعمالها — وزارة التربية والتعليم ووزارة الثقافة ٠٠ وبذلك اصبحت المؤسسة فى الواقع امتدادا لاجهزة وزارة العمل ٠

ان خطوة هامة فى سبيل تطوير عمل المؤسسة الثقافية العمالية هى ان يقوم مجلس ادارتها بكامل هيئته كما نص على ذلك القرار الجمهورى الخاص بقيام هذه المؤسسة ٠

هذه ملاحظة اولية حول ادارة وقيادة المؤسسة الثقافة العمالية والاطار العام لنشاطها .»

اما بقية ملاحظاتنا الاساسية فنلخصها فى النقاط الخمس التالية :

١ ـ التثقيف العمالى بين المنهج والمحتوى

الاسلوب الذى مازال يحكم عمل مؤسسة الثقافة العمالية هو اسلوب المحاضرة وخاصة فى مراكز الثقافة العمالية او فى الدورات التى تقدم البرنامج العام ، وحيث تكون مهمة المحاضر هى القاء المحاضرة كواجب وظيفى يتم بطريقة مدرسية تعتمد اساسا على ذاتية المحاضر ٠ ان اساليب عديدة لنشر الثقافة العمالية يجب وان تنتهج داخل المراكز نفسها وخلال الدورات ـ اسلوب الندوات والمناظرات والمناقشة واعمال المجموعات والدراسات الميدانية ٠ وقد حققت بعض المراكز الثقافية التى تستخدم اساليب اخرى غير المحاضرة نجاحا فى مجال العمل الثقافى وتحقيق جماهيريته وتوسيع قاعدته . كما وان مراكز الثقافة العمالية ومناطقها تفتقر الى وجود مكتبات حقيقية يتمكن العمال من التردد عليها والاطلاع والاستعارة منها ـ بل ان المكتبات فى المعاهد المتخصصة نفسها فقيرة فى المراجع والدوريات فقرا شديدا ٠

كما ان المحاضرين فى الثقافة العمالية غير متفرغين لعملهم ، يؤدون هذا العمل الهام كعمل ثانوى واضافى ، يساعد عددا كبيرا منهم على تحسين دخولهم ٠ كما ان عددا كبيرا منهم ليس عنده المام حقيقى بحركة الثقافة العمالية ودورها فى تكوين الطبقة العاملة كطبقة طليعية فى تحالف قوى الشعب العامل وطليعية فى عملية بناء البلاد والانتقال بها الى الاشتراكية ومحاربة كل الافكار والعادات القديمة المتوارثة من النظم الاجتماعية السابقة . أن عددا كبيرا من المحاضرين المتخصصين الذين يحملون درجات علمية او مؤهلين تأهيلا عاليا لاعلاقة لهم بالفكر الاشتراكى وقضاياه النضالية، ومن هنا فان عملية التثقيف تفقد فى التطبيق محتواها ومضمونها الثورى ٠

٢ ـ المثقف العمالى وقضية التفرغ

ان عنصرا هاما من عناصر العمل فى مجال الثقافة العمالية هو « المثقف العمالى » ٠ وهذا العنصر يجب الاهتمام به بحيث يصبح معدا اعدادا اشتراكيا أولا ، أى لايكون محور اعداده «كمدرس للكبار » أو كعنصر ادارى ، على اساس انه القائد الرئيسى فى مجاله بالنسبة للثقافة العمالية وعليه فانه يجب أن يكون الاتجاه لتفريغه للعمل كل الوقت او نصف الوقت تبعا للظروف الخاصة بمجال العمل ، لانه لايتصور ان يتمكن المثقف العمالى من ممارسه عمله بجدية وهو مرهق بعد يوم عمل كامل فى وحدته الانتاجية ـ وهو عمل يتطلب وقتا وجهدا . كما يجب أن يكافأ على عمله وجهده المكافاة المادية المجزية ـ وخاصة وان التمييز فى المعاملة بين المثقف العمالى والمحاضر يولد تناقضا يضر العمل اكثر مما يفيده .»

٣ ـ جماهيرية الثقافة العمالية

ويجب ان تتجه الثقافة العمالية الى العمل المباشر فى الوحدات الانتاجية بالنسبة للبرنامج العام ـ ان هذا الاتجاه سيحول الثقافة العمالية من الانغلاق المدرسى داخل « المراكز » الى العمل الجماهيرى الواسع ـ وبذلك يكون فى الامكان تطوير العمل بحيث يكون لدينا مركز للثقافة العمالية فى الوحدات الانتاجية الكبيرة ، اومركز لكل مجموعة من الوحدات الصغيرة والمتوسطة الحجم ٠ فالهدف من الثقافة العمالية اساسا هوتعبئة الجماهير تعبئة مستمرة واعية فى عملية بناء البلاد وتشييدها والانتقال بها من بلاد متخلفة الى بلاد مستنيرة متقدمة ، الانتقال بها من الراسمالية الى الاشتراكية ٠ **وهى عملية اساسا تعتمد على حركة الجماهير الواعية المستنيرة المتفهمة لابعاد هذا البناء وآفاقه** ٠ ولا يعنى ذلك بطبيعة الحال الغاء وجود « مراكز الثقافة » ٠ ولكن هذا العمل سيدعم هذه المراكز وسيوسع من نشاطها ويخرجها من نطاق العمل المدرسى المحدود الى نطاق العمل الجماهيرى الواسع ٠

والملاحظ اننا نعتمد حتى اليوم على تجارب رأسمالية او « شبه رأسمالية » فى مجال المنهج بالنسبة للثقافة العمالية ، حيث اعتمادنا اساسا على تجارب « **منظمة العمل الدولية** » ومناهجها ـ وهى منظمة ثلاثية التركيب كما نعلم ـ تمثل العمال والحكومات واصحاب الاعمال ـ ومن ثم فان تجاربها فى هذا المجال **تتجه** اساسا الى التكوين « **القانونى** » أو « **التعليم العام** » دون الاهتمام بالمحتوى الاجتماعى والسياسى والفكرى ٠ومن هنا يجب ان نتجه للحصول على خبرات الثقافة العمالية من البلاد الاشتراكية ، وهى تجارب غنية ولها تاريخ طويل يجب وان نفيد منها ونستوعبها ٠

٤ ـ محو الامية الابجدية كقاعدة للتثقيف العمالى

من العقبات الاساسية التى تواجه الثقافة العمالية وخاصة فى مجال البرنامج العام هى الامية . ان قضية محو الامية يجب ان تكون قضية من قضايا الثقافة العمالية ٠ فالنضال ضد الامية يفتح الطريق واسعا امام اقامة نظام كامل وحقيقى لتعليم العمال وتثقيفهم ٠ وازدواج مهمة التثقيف بتوجيهها الاهتمام نحو محو الامية لايخرجها عن مهمتها الاساسية ، فهو واجب يجب وان تضعه كافة مؤسساتنا العاملة فى المجال الثقافى على راس واجباتها ، اذ كيف يمكن لنا ان نتحدث عن نتائج فى مجال الثقافة العمالية والذين يستفيدون من البرامج حتى الان نسبة ضئيلة من الذين يحضرونها لاتصل الا الى ٢٠ فى المائة والسبب الرئيسى فى ذلك هو الامية ٠

ان عملية التثقيف يجب ان ترتبط بعملية محو الامية ، فالى جانب قاعات المحاضرات فى « مراكز الثقافة » ، او فى مراكز الثقافة التى تنشأ فى الوحدات الانتاجية يجب وان توجد قاعات لمحو الامية ٠ ويتطلب ذلك وحدة كاملة فى العمل بين التنظيم السياسى والنقابى ، ومؤسسة الثقافة العمالية ومؤسسات التدريب المهنى باعتبار ان قضية محو الامية قضية جماهيرية تهم بالاساس من ٧٠ فى المائة الى ٨٠ فى المائة من قوانا العاملة ٠

٥ ـ الاقاليم والجامعة والعمال الزراعيين

هناك عدة ملاحظات ، نرى ان الاخذ بها وتطبيقها سوف يدفع بنشاط الثقافة العمالية الى مستوى اكثر ايجابية وفاعلية :

اولا : ان المعاهد المتخصصة ـ مازالت حتى اليوم مركزة كلها فى العاصمة ـ ويجدر بنا ان نضع فى اعتبارنا ان التطور الصناعى والاجتماعى فى مصر قد خلق مدنا ومراكز صناعية كبيرة فى حاجة الى تكوين اعـــداد كبيرة من الكـــوادر لتمارس العمل فيها . كما ان عملية التركيز تلك تبطىء وتطيل عملية تكوين عدد كبير من القيادات حيث أن كل دورة من دورات هذه المعاهد لايتجاوز عدد الدارسين بها الاربعون ـ فلو اخذنا مثل عدد القيادات العمالية فى اللجان النقابية وهو يزيد عن ٥٠ الفا ، لوجدنا اننا فى حاجة الى عشرات السنين لتكوين هذه القيادات او لصقل تكوينها او اعادة تربيتها ـ الامر الذى اصبح يوجب لا على مؤسسة الثقافة العمالية وحدها [لاننـــا حينـــئذ نظلمها] . ولكن كذلك على التنظيم النقابى والتنظيم السياسى العمل بجدية لانشاء العشرات من المعاهد المتخصصة فى كافة المدن والمحافظات .

ثانيا : ان التطور اصبح يفرض علينا ضرورة التفكير الجدى فى انشاء **جامعة عمالية** لتكوين القيادات العمالية العليا ، وبصفة خاصة ونحن نواجه مهام متعددة الجوانب على النطاق القومى وعلى النطاق العربى والافريقى والعالمى .

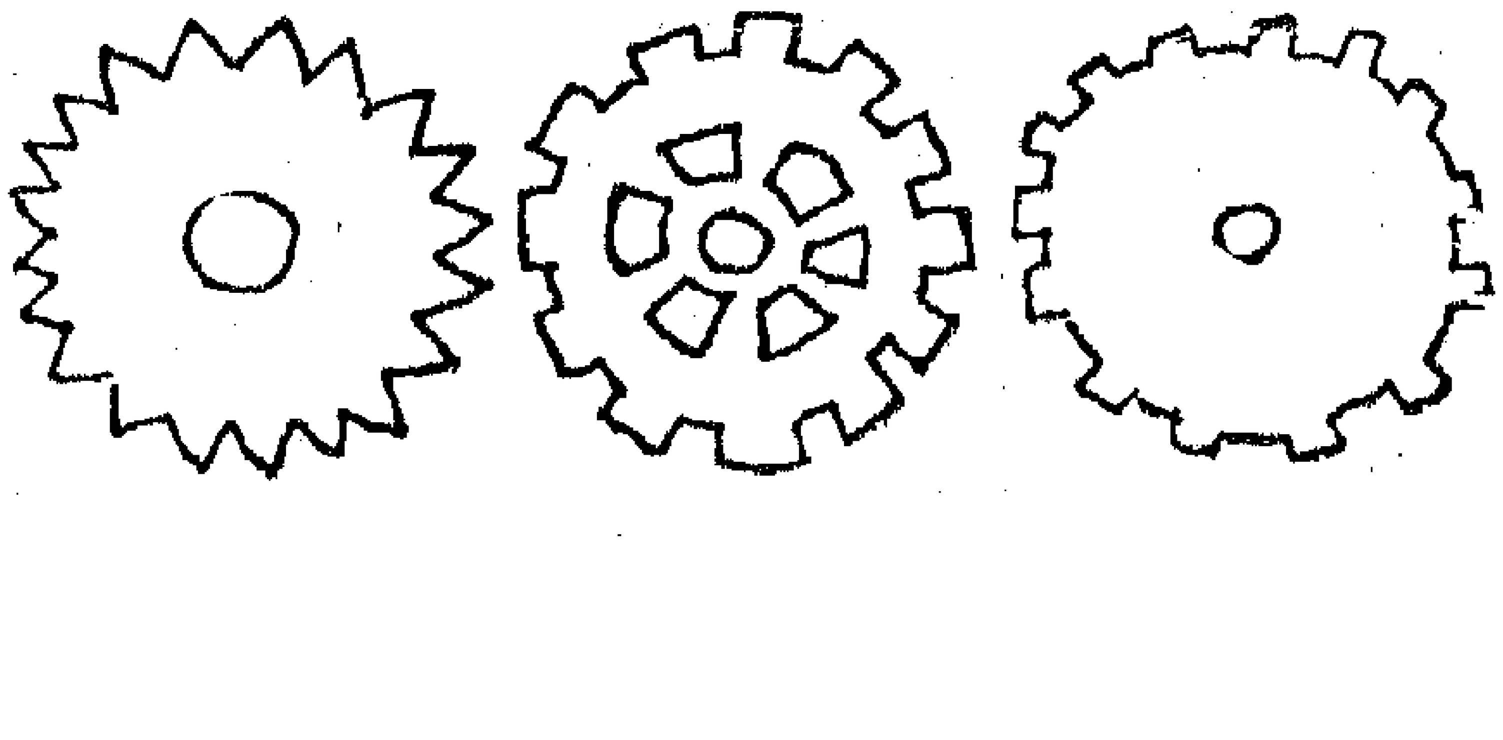
ثالثا : انه يجب الاهتمام بصفة خاصة بقطاعات **العمال الصناعيين غير « المؤهلين »** ـ اى بالصف العامل فى الصناعة مباشرة وليس بمستخدمى المكاتب ـ اى الاتجاه الى الغالبية الحقيقية للطبقة العاملة ، وان يلاحظ ذلك فى عملية تكوين القيادات العمالية .

رابعا : يجب ان تهتم هذه المعاهد بصفة خاصة بتكوين قيادات **العمال الزراعيين الحقيقيين** . هذا القطاع الذى مازال يشكل غالبية الطبقة العاملة فى بلادنا ، والذى مازال يفتقر بحق الى قيادات مدربة تدريبا علميا ومستوعبة لكل خبرة الطبقة العاملة فى نضالها الطويل ضد كل آفات وتقاليد وفكريات وعادات النظام الاقطاعى ـ الراسمالى القديم .

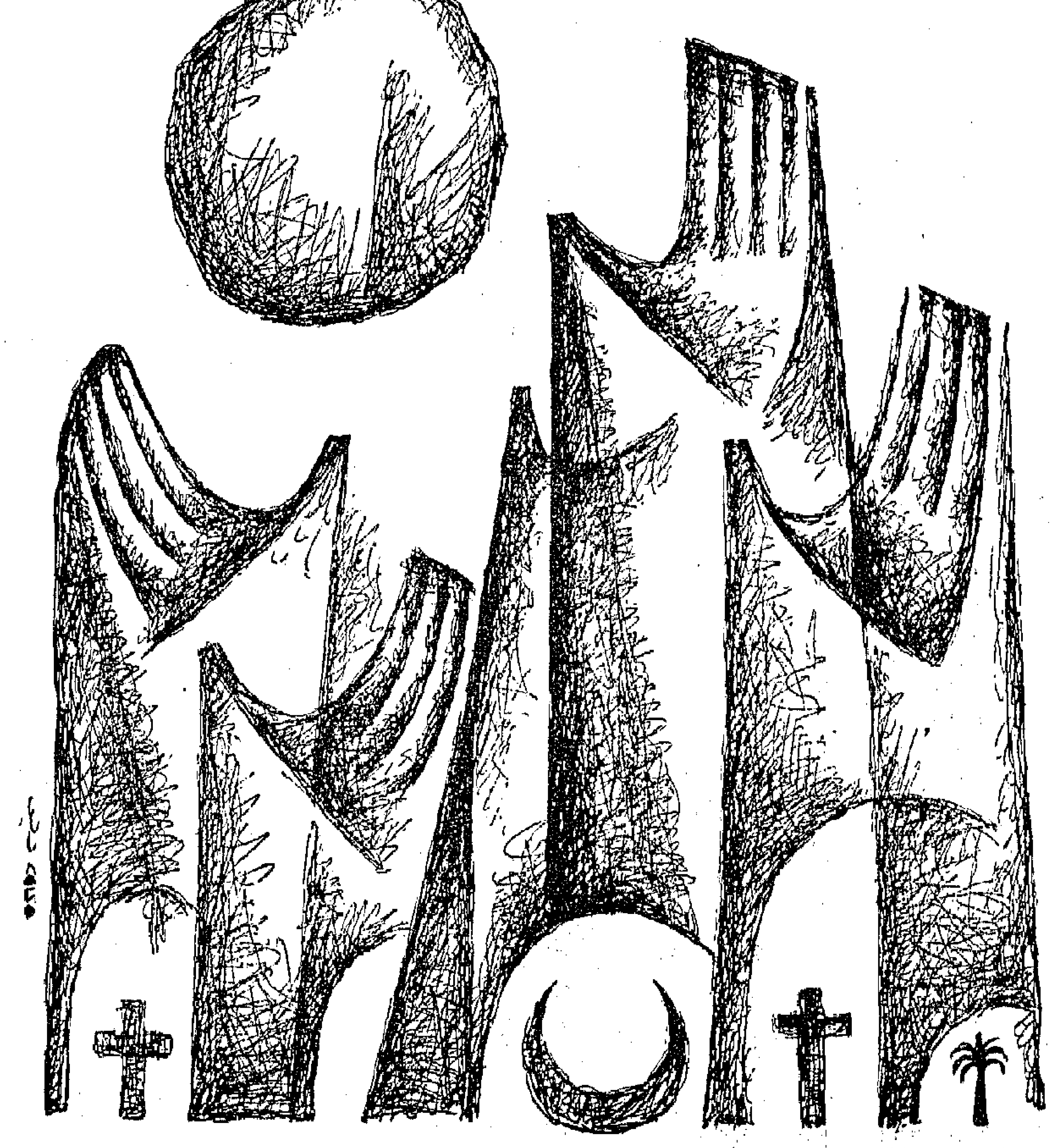
ان كل الملاحظات السابقة ـ لاتجعلنا نغمض اعيننا عن الجهد الذى يبذل فى مجال الثقافة العمالية ـ وعن النشاط الذى اصبح يغطى مناطق كثيرة وعن المطبوعات العمالية التى تصدرها المؤسسة ، ونشرتها الخاصة « **الثقافة العمالية** » .

والان مازال امام « **الثقافة العمالية** » مؤسسة وحركة دور كبير ومهام عديدة ، ليس فى امكانها وحدها ان تنجزها وتحققها . ولكن ذلك يتحقق بوجود التنظيم النقابى وجودا حقيقيا واساسيا وفعالا فى مجال الثقافة العمالية .. وكذلك تحقيق الدور القيادى للتنظيم السياسى فى هذا المجال .

« الطليعة »



وثيقة من وثائق النضال العربي -



فى يوم ليس بالبعيد ..
سوف تشرق شمس الحرية الدافئة

وصلتنا هذه الرسالة التى تخطت اسوارسجن « الدامون » الاسرائيلى البشع فى ٥ يونيو ١٩٦٩ ، وهذا العدد من الطليعة قد اصبح ماثلاللطبع .

وقد رأينا تقديرا لخطورة الرسالة من ناحيةولشجاعة كاتبها وشجاعة من تلقتها من ناحية اخرى ، أن لايخرج هذا العدد بدون هذه الرسالةالتى تعلن من خلال الظلمة وقيود السجن وسلاسل التعذيب ، أن « شمس الحرية الدافئة على سهوبالوطن العربى لابد وان تشرق من جديد » .

وكاتب الرسالة هو المناضل العربي « نعيم الاشهب » أحد قادة الحزب الشيوعي الاردني في نابلس ، الذي رفض باصرار ووعي أن يترك موقعه من الضفة الغربية المحتلة ، مؤثرا مواجهة الاحتلال وارهابه ، وسط شعبه ، ومهما كانت التضحيات • وقد تعرض من جراء هذا للسجن والتعذيب الوحشي أكثر من مرة • وفي كل مرة كان حاسما وصريحا في عدائه للصهيونية وللاحتلال الاسرائيلي ، مؤمنا حتى الاعماق بقضية شعبه في الحرية • وللمرة الخامسة – خلال عامي الاحتلال – يرزح اليوم « نعيم الاشهب » في ظلام سجن « الدامون » الاسرائيلي البشع الذي يتميز بتوافر أكبر مجموعة من آلات ووسائل وخبراء التعذيب للنازية الاسرائيلية •

والرسالة وجهها « نعيم الاشهب » في ٥ يونيو ١٩٦٩ – بالذات – الى محاميته التقدمية في اسرائيل « فليتسيا لانجر » عضو حزب راكاح ، التي تصدت – رغم كل الارهاب – للوقوف بجانب المناضلين العرب في الارض المحتلة ، الذين يتعرضون للسجن والاعتقال والتعذيب • وكان آخر مالاقته – نتيجة موقفها – هو شحنة من قنابل البلاستيك تفجرت في منزلها ، «هدية متواضعة من الصهيونية » •

وفي الرسالة يكشف « نعيم الاشهب » من سجنه ، وقائع التعذيب الذي يتعرض لها هو ورفاقه من آلاف الشباب العرب الذين يواجهون الاحتلال الاسرائيلي ، ويصرون على رفضه ومقاومته ، ويفضح بقوة زيف « الادعاءات الاسرائيلية الرأسمالية » عن « الديمقراطية والعدالة في اسرائيل » • ويؤكد – رغم كل ما هو قائم اليوم – ثقته في دحر الاحتلال الصهيوني الاسود ، وشروق شمس الحرية الدافئة على الارض العربية •

و « الطليعة » تنشر النص الكامل للرسالة ، تحية وتقديرا ، للاشهب ولفليتسيا لانجر ، معا • وتسجلها كوثيقة من وثائق النضال العربي – اليهودي المعاصر ضد الصهيونية والنازية الاسرائيلية • وذلك باعتبارهما عدوين للانسان أيا كان جنسه أو دينه أو لونه •

لطفي الخولي

رسالة من سجين عربي الى محامية يهودية

السيدة المحترمة المحامية فليتسيا لانجر •

تحية واحتراما وتقديرا وبعد • • •

اسمحي لي ، قبل كل شيء أن أعبر لك عن تقديري الخالص والعرفان بالجميل على جهودك المتصلة بأمر اعتقالي الكيفي ، والتي كان آخرها مبادرتك لرفع الامر أمام أكبر مرجع قضائي اسرائيلي • ولا يقلل من تقديري هذا ، قطعا ، كون هذه المبادرة التي تؤكد من جديد ، مدى اخلاصك لشرف المهنة التي تضطلعين بها ، كما تعرض الوجه المشرق لضمير اولئك الشرفاء من الاسرائيليين المعادين بحزم للاحتلال الاسرائيلي لتربة وطني الغالية ، والمستنكرين بقوة لاجراءاته التعسفية ضد أبناء شعبي • أقول ، لا يقلل من تقديري لهذه الجهود ، كون هذه المبادرة لم تحقق ما كنت أنت تصبين وتتطلعين اليه • واصارحك القول بأنني لم أكن اشاركك الامل في رفع قضية اعتقالي امام أية سلطة قضائية في اسرائيل ، فلقد تكونت لدى قناعات واضحة حول مفهوم « العدالة » في اسرائيل ، تلك العدالة المهزوزة التي لا تمتلك الجرأة الكافية ولا الثقة بالنفس لتواجه انسانا بتهمة محددة واضحة ، وتسلمه بدلا من ذلك لقوانين ارهابية • ولعله من سخريات التاريخ أن هذه القوانين الاستثنائية – وهي من مخلفات الانتداب البريطاني كما هو معروف – التي تستعملها اليوم السلطات الاسرائيلية على نطاق واسع ضد سكان المناطق المحتلة ، وكذلك ضد العرب في اسرائيل ، ان هذه القوانين بالذات كانت ابان الانتداب مثار سخط واستنكار العديد من المسئولين اليوم في اسرائيل ، لهمجيتها ومنافاتها لابسط مفاهيم العدالة ، كما تشهد على ذلك أقوالهم المسجلة •

سيدتي :

لقد سمحت لي الظروف للاطلاع على ماكتبته صحيفة « معريب » الاسرائيلية ، تعقيبا

على اثارة قضية اعتقالى أمام محكمة العدل العليا الاسرائيلية • وفى الحقيقة ، عندما يطالع المرء ذلك التعقيب ، فان أول ما يلفت انتباهه تلك القدرة على تزييف الحقائق وتشويه الوقائع التى تتمتع بها هذه الصحيفة ، ولكن لما كانت أجهزة الدعاية الصهيونية قد قدمت لنا ، ولا سيما منذ الاحتلال ، مقادير هائلة من أمثال هذه التزييفات والتشويهات •• لذلك فقد بدا لى الامر طبيعيا ، وطبيعيا جدا ، خاصة اذا أخذت فى الحسبان أن هذه الصحيفة سواها من أجهزة الدعاية الصهيونية ، لا هم لها ، اليوم ، سوى تشويه قيم شعبنا العربى الرازح تحت نير الاحتلال الصهيونى ، والافتراء على تاريخه ، ومحاولة النيل الرخيص من نضالاته المختلفة ورفضه للاحتلال •

فأى مظهر من مظاهر المقاومة ورفض الاحتلال ، هى ـ على حد رأى هذه الاجهزة الدعائية الصهيونية ـ صادرة من « مخرب » ، أو « ماجور » يتلقى المكافأة المالية على ذلك من عمان أو سواها من العواصم العربية ، أو « دعى » فى أحسن الحالات ! وهذا هو اللقب الذى ارتأت أن تخصنى به صحيفة « معريب » ..

وبدهى ، أنه استطرادا مع هذا التشخيص الصهيونى لمظاهر مقاومة شعبنا ورفضه القاطع للاحتلال ، فان « الحكمة والتعقل » وأكثر من ذلك استيعاب « الحضارة والديمقراطية » ، ولاسيما الاسرائيلية ، انما يقتضى مباركة الاحتلال والترحيب به ، أو ـ وهذا أضعف الايمان ـ التزام الصمت وموقف الحياد من قضية الاحتلال ، كأنما هو يخص شعبا آخر ، ربما يعيش على كوكب آخر !

وهل يمكن للمرء أن يعثر على غير هذه المعانى والمفاهيم فى اجهزة الدعاية الصهيونية منذ الاحتلال ؟ !

أما اذلال شعبنا ووطننا المحتل صباح مساء ، أما اعتقال الالوف المؤلفة من أبنائه وبناته واخضاعهم لشتى صنوف التعذيب الوحشى ، أما نسف مئات البيوت وتشريد العائلات ، أما الاستيلاء على الاراضى والممتلكات عنوة واقتدارا ، كما يجرى بنوع خاص في القدس ، بعد الاعلان الكيفى عن ضمها لاسرائيل ، واما هدم قرى بأكملها ، وارغام مئات الوف جديدة على النزوح الى صحارى الضفة الشرقية وحرمانهم ، حتى اليوم ، من حق العودة الى بيوتهم .. اما هذا كله وسواه ، فلعله بهدف ترويضنا على استيعاب « الحضارة والديمقراطية » الاسرائيليتين !!

ولكن لا غرابة فى الامر ، فقد كان هذا دائما ، وعلى مر العصور ، هو منطق الغزاة والمعتدين •

ترى ، ماذا كان يمكن أن تكون احاسيس أولئك الاسرائيليين ، الذين ذاقوا وعرفوا مرارة الاحتلال النازى ، لو سمعوا النعوت التى تطلقها اليوم أجهزة الدعاية الاسرائيلية الصهيونية ضد شعبنا ، تلتصق بهم بسبب رفضهم ومقاومتهم لذلك الاحتلال النازى ؟ أولا تحرك تجنيات الصهاينة ، اليوم ، ضد شعبنا عظام ضحايا المقاومة فى غيتو وارسو وغيرهم فى القبور ؟ .. لكن يبدو ان هذا هو منطق الضحية بعد أن تتحول الى جلاد • !

بعد ان « خلعت » على « معريب » اللقب الذى ارتاته ملائما ! فقد أطلقت العنان لخيالها •• فتحدثت عن لقاءات متعددة بينى وبين سلطات الاحتلال ، وتحذيرات السلطات المتكررة •• وبالمقابل ، وعودى المتكررة بهجر السياسة والحياة السياسية ، كذا ! وأحصت عمليات اعتقالى ، فبلغت خمسا بالتمام والكمال ! لتترك انطباعا لدى قرائها بأن سلطات الاحتلال الاسرائيلية كانت « حليمة » فى معاملتى حتى أبعد حدود الحلم ! خمس مرات ، خلال أقل من عامين ، وهى تطلق سراحى ، فى كل مرة ، مقابل وعد عرقوبى •• أو بعد هذا من حلم ؟ !

واكثر من ذلك ، فقد جنح الخيال بهذه الصحيفة الصهيونية الى حد تحديد تواريخ

مقابلاتي مع سلطات الاحتلال واعتقالاتي المتعددة ، فقد وقع اللقاء الاول - كما تزعم - بعد بضعة أسابيع من حرب حزيران !

والحقيقة أن أول لقاء قابلت فيه أي ممثل او مسئول في السلطة الاسرائيلية كان يوم ١/٧/١٩٦٨ ، بعد ان جرى اعتقالي ، مصحوبا بالضرب واسالة الدماء ، في الشارع العام على مرأى من الجمهور : ولا بد أن سجلات التحقيق الاسرائيلية تؤكد هذه الحقيقة . وبالمناسبة ، استذكر أن هذه الصحف الصهيونية اياها قد نعتتني ووصفتني آنذاك بأنني أحد صانعي محاولات الانقلاب ضد الملك حسين في الاردن ، وها هي اليوم ، تعود لتصفني بأنني احد الذين نفصوا على الملك حسين حياته منذ اعتلائه العرش » ! ترى : ما هي الغاية من خلع هذه النعوت ؟ ! .

ولقد دام اعتقالي منذ ٧/١/٦٨ حتى ٦/٥/١٩٦٨ ، اي أربعة شهور ، اطلق سراحي بعدها تحت قيود ثقيلة من الاقامة الجبرية واثبات الوجود مرتين في اليوم ، وعدم مغادرة البيت منذ غروب الشمس وحتى شروقها ، وعدم مغادرة القدس .

وخلال مدة الاقامة الجبرية ، التي استمرت ستة شهور ، واختتمت باعادة اعتقالي في ٣٠/١٠/١٩٦٨ ، وحتى الان ، فان السلطات الاسرائيلية لم تسمح لي ، ولو مرة واحدة ، بمغادرة القدس ، حتى ولو لزيارة شقيقي ، ولاداعي هنا لسرد المزيد من أعمال الانتقام التي كانت السلطات الاسرائيلية تمارسها ضدي والتي شملت حتى زوجتي ، بحيث حرمت وما تزال ، من زيارة والدها المسن المريض في الضفة الشرقية من الاردن والذي لم تلتق به منذ الاحتلال ، علما بأنها تقدمت بالطلب الضروري لذلك منذ اكثر من عشرة شهور .

أما « الوعود » التي كنت ، في كل مرة ، اقطعها لسلطات الاحتلال بترك الحياة السياسية ، كما تزعم «معريب» فلا تستحق التفنيد لسخافتها . والمحققون الاسرائيليون الذين حققوا معي يعرفون جيدا حقيقة موقفي من هذه المسألة . لكنني ، بالمناسبة ، أستذكر أن وعدا كهذا كان ، يوما ما ، سيسقط عني حكما بسنين عديدة ، لكنني لم أسمح لنفسي بمجرد التفكير به .

واذ تتعرض هذه الصحيفة الصهيونية لمسألة رفضي الانتقال الى الضفة الشرقية للاردن ، فانها لا تجد من سبب أو مبرر لذلك ، سوى رهبتي من أن تتلقفني سجون الاردن !

واستطرادا مع هذا المنطق المريض ، ومادام مصيري هو السجن ، سواء في ظل الاحتلال أو في الضفة الشرقية للاردن ، فلابد ، اذن ، انني قد اخترت وفضلت سجون اسرائيل !! ربما لارفل في نعماء « الديمقراطية » الاسرائيلية !

وفي الحقيقة ، فانني قد تعرفت ، خلال وجودي في سجون اسرائيل ، وتحسست عن كثب ، الكثير من معالم هذه «الديمقراطية» .. شاهدتها بأم عيني محفورة معالمها على أجسام ووجوه العشرات من ابناء شعبي ، الراسفين في أغلال السجون حيث يتعرضون ، كل يوم وكل ساعة ، لشتى صنوف التعذيب الوحشي والشتائم والاهانات ، عرفته في الزنزانات الرطبة التي تعج بالسجناء والمعتقلين السياسيين العرب المعادين للاحتلال .. شباب كزهور الربيع يقذف بهم في قبور الاحياء هذه ، الاسابيع تلو الاسابيع ، ليذبلوا وتختفي من وجناتهم حمرة الشباب لتترك مكانها لصفرة السقم والذبول المبكر ، عرفتها في التمييز العنصري الذي يشمل حتى قطاع المعالجة الطبية - التي يفترض ان تكون خدمة انسانية مجردة - ، عرفتها في حبك وتنفيذ اعمال الشقاوة والزعرنة من قبل ادارات مسئولة كادارة سجن الرملة وسجن القدس ، للانتقام من هذا السجين السياسي العربي او ذاك .. وغير ذلك الكثير من ضروب التمييز العنصري وفنونه ، حتى كنت اتصور نفسي احيانا زنجيا في جنوب أفريقيا أو في الولايات المتحدة الامريكية . لقد عرفت كل ذلك وسواه في ظل « الديمقراطية » الاسرائيلية .

ولقد عرفت فى حياتى اشـــياء كثيرةمزيفـــة ، من قطـــع النقـــود المزيفة ، حتى العواطف المزيفة ، لـــكن الانطبـــاع الذى احمله اليوم ، بعد عامين من العيش فى ظل الاحتلال الاسرائيلى ، يجعلنى اقول بثقة :اننى لم اعرف شيئا اكثر زيفا مما يسمونه بالديمقراطية الاسرائيلية •

نعود الى الاستنتاج الضحل الذى ترى « معريب » الاسرائيلية فيه سببا لرفضى الانتقال الى الضفة الشرقية من الاردن • وفى الواقع ، لو كانت هذه الصحيفة اكثر احتراما لنفسها ولشرف الكلمة ، لاعترفت بأنه منذ حرب حزيران لا يوجد فى سجون الاردن شيوعى واحد • أما لماذا رفضت ،وأرفض الرحيل ، فسبب ذلك لايمكن ان يخطر « لمعريب » على بال ، ولها فى ذلك عذرها ، فمنطق الاحرار لا يـدركه الا الاحرار •

لقد علمتنى الشيوعية ، التى اعتز وافتخر بالانتساب اليها ، علمتنى كيف أحب وطنى الاردن ، وفى عداده القدس العربية ، وان لااستنكف عن أية تضحية ، مهما غلت دفاعا عن كل ذرة من ترابه • لذلك ، فاننى اذ أرفض الرحيل ـ شأن بقية أبناء شـعبى الصامدين اليوم فى المناطق المحتلة ـ فانما اعبر بذلك عن رفضى الرضـــوخ لمشــيئة الاحتلال ومخططاته التــوسعية ، التــى تستهدف تشريد المزيد من أبناء شـعبى والتوسع ، أكثر فأكثر ، على حساب تربة وطنى الغالية •

ســـيدتى :

اننى أسطر لك هذه الرسالة يوم الذكرى المشئومة للعدوان الاسرائيلى ــ الامبريالى ، هذا العدوان الذى تعمدت فيه أطمـــاع الصهاينة الاشعبية للتوسع مع أهـداف الامبريالية العالمية وعلى رأسها الامبريالية الامريكية لضرب حركة التحـــرر العربية الصـــاعدة ، ودك معاقلها ، المتمثـلة فى الانظمة التقدمية وبخاصة فى مصر • لكن ، كما هو معروف ، فان صمود امتنا العربية المدعومة بالمساندة والتأييد اللذين لا حدود لهما من معسكر الشـــعوب وفى طليعته الاتحاد السوفييتى العظيـــم ، قـد احبط الاهداف الرئيسية للعدوان •

اننى واثق اليوم ، اكثر من أى وقت مضى ، بأن حصاد الاحتلال الاسرائيلى سوف لن يكون أكثر حظا من نصيب الثعلب الذى تســـلل الى بســـتان كرمة من أحد ثقوب جداره ، ولما ملأ معدته من ثماره استحال عليه الخروج الا بعد جوع أفقده نتـــاج سرقته . نعم فســـوف يضطر المغامرون الاسرائيليون الى تقيؤ ما حققوه بالنصر العسكرى • أما شـــهواتهم التــوسعية ،فستموت كالحسرات فى نفوسهم . فمجرى التاريخ ، اليوم ، لا تحدده قوى الامبريالية والعدوان ، بل تحدده قــوى التحــرر الاشتراكية الظـــافرة ، أمـــل الشـــعوب ومستقبلها النير .

ولسوف تشرق من جديد ، وفى يوم ليس بالبعيد ، شمس الحرية الدافئة على سهوب وطنى ورباه ، بعد أن ينحسر عنها ظـل الاحتلال الصهيونى الاسود •

أما ما ألاقيه فى سجنى من آلام ، لا سيما نتيجة لاشتداد وطأة المرض المزمن الذى أعانى منه ، فانما هى جزء متواضع جدا من آلام شعبى الرازح تحت الاحتلال ، ثمنا لتصميمه الراسخ على أحباط مخططـات التوسعيين الاسرائيليين •

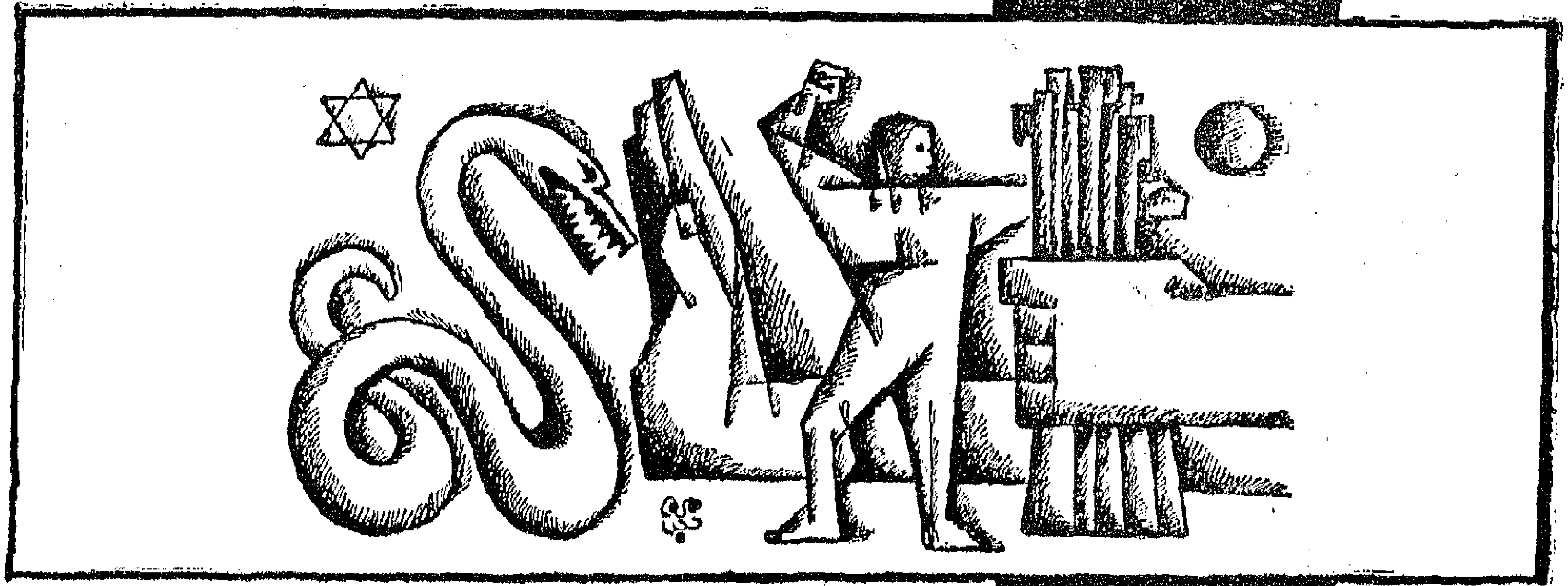
● ● ●

وختاما ، أرجو المعذرة اذ اطلت عليك .ولك احر تحياتى واحتراماتى •

سجن الدامون فى ٥/٦/١٩٦٩ •

المخلص

نعيم الاشهب



موقف المعسكر الاشتراكى من

مشكلة الشرق الأوسط

خيرى عزيز

لم تعد تحتاج الى كثير بيان حقيقة ان المساعدات العسكرية والاقتصادية والسياسية التى قدمها المعسكر الاشتراكى عامة ، والاتحاد السوفيتى خاصة ، منذ يونيو ١٩٦٧ ، قد لعبت دورا حاسما في استمرار منارة الثورة العربية التقدمية مشتعلة فى مرحلة من أدق واحلك مراحل تاريخ حركة التحرر الوطنى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية (*)

على أنه يكمن هنا برغم ذلك ، درس من أخطر دروس التاريخ المعاصر لحركات التحرير ، لانه لولا وقفة الشعب المصرى فى ٩ و ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ واصراره على مواصلة النضال ضد العدوان الاسرائيلى الاستعمارى ، لما توافرت الارضية

اللازمة لكى يقوم المعسكر الاشتراكى ، بأى دور ، فى حماية ودعم أوضاع الشرق الاوسط الثورية ، لان أصرار الشعب المصرى فى ٩ ، ١٠ يونيو على استمرار قيادة « **عبد الناصر** » الثورية هو الذى قلب موازين الهزيمة رأسا على عقب ، واتاح امكانية الاستفادة من وجود المعسكر الاشتراكى الدولى كقوة وعامل دولى مؤثر لصالح حركات التحرير الدولية بعامة • ولذا فينبغى التأكيد هنا على تلك الحقيقة البالغة الاهمية فى تاريخ الشعوب ، وحركات التحرر ، الا وهى ان موقف الشعب المصرى أصلا ، كان هو الفيصل والعامل الثورى الحاسم الذى اتاح للعوامل المساعدة الهامة الاخرى ان تقوم بدورها الفعال المؤثر •

على اننا اذا أردنا تقييم الدور الذى قام به المعسكر الاشتراكى بعد يونيو ١٩٦٧ ، لقلنا انه يتركز فى جهدين استراتيجيين هامين : **الجهد العسكرى والاقتصادى** لاعادة بناء الجيوش العربية ، ودعم اقتصاديات الدول العربية التقدمية التى تعرضت للعدوان ، **والجهد الدبلوماسى المساعد** لتكتيل الدول والرأى العام العالمى وراء مطالب الشعوب العربية العادلة بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية وسائر مطالبها المشروعة الاخرى •

جهود السوفيت الاستراتيجية

ولعل أخطر اسهام قدمه المعسكر الاشتراكى بأكمله فى صراع الشرق الاوسط ، هو **مساعدات** الاتحاد السوفيتى العسكرية للدول العربية فى اعادة بناء جيوشها • وقد بدأ الجسر الجوى بين موسكو ــ القاهرة ، وموسكو ــ دمشق ، يعمل دائبا على امداد البلاد العربية باحتياجاتها الشديدة الالحاح من الطائرات والمدرعات والاسلحة الاخرى ، بعد تحطم قواها العسكرية الرئيسية فى المعركة ، وذلك بمجرد وقف اطلاق النار • واعلن الاتحاد السوفيتى فى « البرافدا » فى ١٢ يونيو ١٩٦٧ انه سيقدم للدول العربية جميع المساعدات المادية اللازمة لردع العدوان • وأصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى ٢١ يونيو ١٩٦٧ قرارا اجماعيا «بتقديم كل ما هو ضرورى لمساعدة شعوب الدول العربية على ردع العدوان بشكل حاسم وحماية حقوقها الشرعية » • ورد «**اليكسى كوسيجين**» رئيس الوزراء السوفيتى على اسئلة الصحفيين الغربيين فى ٢٦ يونيو ١٩٦٧ ، بعد اجتماعه « **بجونسون** » فى جلاسبورو ردا حاسما على أساس : « ان شحنات الاسلحة من الطائرات والدبابات لمصر ، مسألة تخص مصر والاتحاد السوفيتى وحدهما » • كذلك لم يتلق **جونسون أى تشجيع منه بشأن تقييد ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط • وفى ٦ أغسطس ١٩٦٧ بدأت الدبابات والطائرات السوفيتية تشق طريقها لاول مرة الى السودان حسبما صرح السيد حمد السيد حمد** وزير التجارة السودانى حينذاك • ومما له دلالة بهذا الصدد ان موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى قد صرح أخيرا فى ١٢ مارس ١٩٦٩ بان الاتحاد السوفيتى زود الدول العربية بطائرات ودبابات وسفن ومعدات حربية ، تقدر قيمتها بحوالى ٨٣٣ مليون جنيه استرلينى •

«مظاهرات قوة» بحرية دعما للعرب

على أن الدعم السوفيتى العسكرى لم يتخذ فحسب صورة الامدادات العسكرية لاعادة تسليح الجيوش العربية ، التى هى على أية حال مساهمة سوفيتية غير مباشرة فى صراع الشرق الاوسط ، وانما اتخذ أيضا صورة الدخول السوفيتى المباشر الى حلبة صراع الشرق الاوسط ، عن طريق ظهور البحرية السوفيتية فى البحر الابيض المتوسط ، بحيث بلغ عدد وحدات الاسطول السوفيتى فيه حتى ابريل سنة ١٩٦٩ ما يزيد على ٦٠ سفينة حربية من المدمرات والبوارج وقاذفات الصواريخ الخ • وهى أضخم قوة سوفيتية من القذائف الموجهة ظهرت فى البحر الابيض المتوسط حتى الان • ولا شك ان ظهور هذا العدد الضخم من السفن الحربية السوفيتية فى البحر المتوسط ، وقيامها « بزيارات ودية » للموانى المصرية والسورية والجزائرية وكذلك المغربية الخ ، بالاضافة الى زيارة اسراب القاذفات السوفيتية الضخمة لمطارات القاهرة ودمشق ، كان بمثابة « مظاهرة قوة » لدعم الصمود العربى ضد اسرائيل من ناحية ، ومواجهة الاسطول الامريكى السادس كقوة مؤيدة لاسرائيل فى البحر الابيض المتوسط من ناحية اخرى •. ويمكن القول ــ حسبما يعتقد بعض المراقبين العسكريين ــ ان السوفيت دعما منهم لكفاح الدول العربية التقدمية والشعوب العربية ، ودفاعا عن مصالح الاتحاد السوفيتى والتوازن الدولى ، قد أحدثوا بارسالهم جنود البحرية السوفيتية وتجميعهم لسفن انزال الجنود على ارض ومياه أجنبية بعيدة عن الاتحاد السوفيتى ، تطورا جديدا فى الاستراتيجية السوفيتية عامة •

دعم معنوى ايضا

على ان الاتحاد السوفيتى لم يقدم للعرب بعد وقف اطلاق النار ، مجرد الدعم العسكرى ، لانه اذا كانت للحسابات المعنوية وفهمها العميق فى ظروف محن الشعوب ونكباتها فان زيارة الرئيس السوفيتى **بودجورنى** ، والمارشال **زخاروف** رئيس اركان الجيش السوفيتى للقاهرة ودمشق وبغداد ،

فى الايام المظلمة من يونيو ١٩٦٧ ، وموقف التضامن القوى والثقة بالمستقبل العربى الذى اظهراه للشعوب العربية حينذاك ، كان فى الحقيقة بمثابة دعم معنوى قوى لامة فى لحظة من احلك لحظات تاريخها ، لحظة كانت القوى الاستعمارية العالمية تريد ان تفرض عليها فيها الاحساس بالعزلة الرهيبة والوحدة واليأس .

وجهد دبلوماسى

وقد قام الاتحاد السوفيتى كذلك بجهود دبلوماسية كبيرة لتأييد المطالب العادلة للشعوب العربية ، فأجرى مشاورات مع الهند وغيرها من الدول الهامة بهذا الصدد ، واجتمع كوسيجين بالجنرال ديجول فى ١٦ يونيو ١٩٦٧ لنفس الغرض ، ثم ذهب كوسيجين بنفسه لحضور الدورة الطارئة للجمعية العامة بشأن العدوان فى نفس الشهر ، وقاد كوسيجين فى الامم المتحدة « أكبر هجوم دبلوماسى على اسرائيل » حسبما أوضحت وكالات الانباء الغربية نفسها ، واجتمع بيوثانت وقدم مشروع قرار للامم المتحدة بادانه اسرائيل وطلب انسحاب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٨ ودفع تعويضات كاملة للدول العربية عن العدوان . وفى ٢٣يونيو ١٩٦٧ اصركوسيجين فى محادثاته مع الرئيس الامريكى جونسون فى جلاسبورو علىان انسحاب اسرائيلفورا وبلا شروط هو المطلب الرئيسى ، وان انسحابها هو الضمان الوحيد لعدم تجدد القتال . كما قدم الاتحاد السوفيتى فى يناير ١٩٦٩ مشروعه الذى يتضمن جدولا زمنيا لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

« مؤتمر القمة »

فى موسكو وبودابست

أما فيما يتعلق بالجهود العامة للمعسكر الاشتراكى ، فأن ابرز دور لمساعدة الشعوب العربية فعليا ، فى كفاحها ضد العدوان والاحتلال الاسرائيلى ، قد قامت به الدول الاشتراكية الاوربية بخاصة ، وان كان هذا لاينفى علىالاطلاقتضامن الدول الاشتراكية الاسيوية ودعمها لنضال الشعوب العربية العادل .

وقد عقدت دول أوربا الشرقية ٤ مؤتمرات شاملة لها لمناقشة طرق دعم الدول العربية ومواجهة العدوان الصهيونى الاستعمارى فى الشرق الاوسط ، وذلك فى المدة من يونيو ١٩٦٧ حتى ديسمبر من نفس العام . فبمبادرة الرئيس اليوغسلافى « تيتو » انعقد فى موسكو فى ٩ يونيو ١٩٦٧ بعد العدوان بأيام ، **مؤتمر قمة** طارىء لرؤساء جمهوريات وحكومات دول أوربا الشرقية باستثناء رومانيا ، حضره **كوسيجين** ، **وتيتو** ، **ونوفوتنى** ، **وجومولكا** ، **وأولبريشت** ، **وكادار** ، **وتيودور جيفكوف** ، واعلن البيان الذى صدر عن المؤتمربوضوح انه «اذا لم توقف اسرائيلالعدوان وتسحب قواتها خلف خطوط الهدنة . فان الدول الاشتراكية الموقعة على هذا البيان ستعمل كل ما هو ضرورى لمساعده شعوب الدول العربية على توجيه ضربةحاسمة لردع المعتدى، وحمايةحقوق الشعوب المشروعة والقضاء على بؤرة الحرب فى الشرق الاوسط واعادة السلام فى المنطقة » . وفى ١٠ يونيو ١٩٦٧ قطعت الحكومة السوفيتية والتشيكوسلوفاكية والبلغارية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، وفى ١٢يونيو قطعت المجر وبولندة علاقاتهما الدبلوماسية مع اسرائيل ، اما المانيا الشرقية فلم يكن بينها وبين اسرائيل اية علاقات دبلوماسية لتقطعها .

كذلك عقدت نفسهذهالدول **مؤتمرقمة** آخر فى **بودابست** فى ١٢ يوليو ١٩٦٧ بحثت فيه « التدابير التى تهدف الى دعم القوى والامكانيات الدفاعية للبلدان العربية ، وكذلك الاجراءات اللازمة لقيام تعاون اقتصادى طويل الاجل بين البلدان الاشتراكية والدول العربية » واجرت مشاورات « حول المساعدات الاقتصادية التى يمكن ان تساعد على تنمية الصناعة والزراعة فى الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى من ضحايا العدوان الاسرائيلى » . واعلنت هذه الدول » تأييدها الحازم ، ومواصلة تأييدها للدول العربية الصديقة فى نضالها العادل لتصفية اثار عدوان اسرائيل، وفى الدرجةالاولى اجلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى العربية المستولى عليها على الفور »

مؤتمر بلجراد ووارسو

وواصلت الدول الاشتراكية فى شرق اوروبا تنسيق جهودها لدعم الدول العربية عسكريا واقتصاديا وسياسيا فعقدت **مؤتمرا اقتصاديا فى «بلجراد»** فى ٣ سبتمبر ١٩٦٧ ، لبحث سبل تحقيق التعاون الاقتصادى مع الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية على أساس وضع تخطيط شامل وسريع لمواجهة الموقف الراهن ، واتخاذ تدابيرمحددة لمساعدةضحايا العدوانالاستعمارى فى الشرق الاوسط . وحضر هذا المؤتمر نواب رؤساء وزارات دول أوروبا الشرقية الثمانية بما فيها رومانيا . وجاء فى البلاغ المشترك الذى صدر عن اعمال المؤتمر ان ممثلى الدول المشتركة فيه « **تحدثوا عن المعونة الاقتصادية التى عرضتها**

بلادهم على الدول العربية ، كما تبادلوا وجهات النظر بشأن الاجراءات التى يمكن ان تتخذ لتدعيم علاقاتها مع الدول العربية لمساعدتها على ازالة المصاعب التى تقابلها وتدعيم استقلالها » .

وفى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٦٧ اجتمع وزراء خارجية نفس الدول ، باشتراك رومانيا أيضا فى وارسو لمتابعة دور الدول الاشتراكية الاوربية فيما يتعلق بمشكلة الشرق الاوسط . وأعلنت هذه الدول فى بيانها ان انسحاب اسرائيل من المناطق العربية التى احتلتها خلال حرب يونيو ، هو الشرط الاساسى المطلق للسلام فى الشرق الاوسط . ورحب البيان بالاسلوب البناء لتسوية ازمة الشرق الاوسط الذى تتبعه حكومة الجمهورية العربية المتحدة ودول عربية اخرى . ومما هو جدير بالذكر ان مشاركة رومانيا فى هذا المؤتمر والتوقيع على بيانه تعد أول مرة تنضم فيهـا رومانيا الى الـدول الاشتراكية الاخرى فى اتخاذ مثل هذا الموقف المحدد من اسرائيل .

معونات اقتصادية سخية

وبالاضافة الى الاجراءات الاقتصادية العامة التى اتخذتها الدول الاشتراكية لدعم الدول العربية التى تعرضت للعدوان ، فى اطار العـلاقات الاقتصادية التقليدية ، قدمت الدول الاشتراكية عديدا من المعونات دون مقابل ، ففى ٢١ يونيو ١٩٦٧ قدم الاتحاد السوفيتى سـلعا بــ ١ر٥ مليون جنيه هدية منه للجمهورية العربية المتحدة وحدها . وتم الاتفاق فى ٢٥ يونيو على أن يقوم بتصدير بعض السلع والمواد التموينية التـى تحتاجها الجمهورية العربية . كما تبرعت حكومة يوغسلافيا فى ١٦ يونيو ١٩٦٧ بــ ٨٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى لضحايا العدوان . وفى اول يوليو ١٩٦٧ قررت تقديم ٣٠ر٠٠٠ طن ذرة قيمتها اكثر من ٨٥٠ر٠٠٠ جنيه هدية الى الجمهورية العربية المتحدة غير عشرات الالاف من الاطنان من المواد التموينية التى ارسلتها للبلاد العربية ، وقدمت بولندة موادا تموينية وادوية للجمهورية العربية المتحدة فى يونيو ١٩٦٧ قيمتها ٨ ملايين دولار كهدية . وأرسل الشعب البولندى هدية قمح تقدر بـ ٣٩٤ طنا الى الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٢ أغسطس من نفس العام . كذلك قامت كوريـا الشمالية باهدائها ٥٠٠٠ طن من الدقيق الفاخر ، وعرض جيرهارد فايس نائب رئيس وزراء المانيا الديموقراطية استعداد بلاده لتقديم الخبـراء الفنيين فى جميع المجالات دون ان تتحمـل الجمهورية العربية المتحدة أية نفقات وتقـديم مجموعات من السلع الى السوق المحلية ، واعلنت بلغاريا تقديم معونة من المواد الغذائية والملابس قيمتها ٤ر٥ مليون دولار الى الجمهورية العربية المتحدة ، وسوريا والاردن الخ ..

تأييد الهيئـات الشـعبية والمنظمـات الجمـاهيرية

لم يكن التـأييد الســوفيتى وتأييد البـلاد الاشتراكية لنضال الشعوب العربية مجرد تأييد حكومى رسمى فحسب ، بل لقد اسهمت الهيئات الشعبية والمنظمات الجماهيرية فـى البـلاد الاشتراكية بنفسها فى تقديم تأييدها وعـونها للشـعوب العربية . وقـد قامت المظاهرات الشعبية السوفيتية فى موسكو امام سفارات اسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا ، وعقدت فى جميع انحاء المدن الســوفيتية اجتمـاعات جماهيرية احتجاجا على العدوان ، وتألفت فى يوغوسلافيـا لجنة من الجامعات اليوغوسلافية لتنسيق جمع المعونات للدول العربية المعتدى عليها ، واعلن عمال المانيا الديموقراطية تضامنهم مع حكوماتهم فى تأييد العرب ضد المعتدين ، وقدمت ٥ منظمات سوفيتية اقتراحات بارسال اطبــاء ســوفييت للعمـل مجـانا فى الجمهورية العربية المتحدة وسـوريا والاردن ، واوضح متحدث باسم رابطة الشباب الشيوعى السوفيتى فى ٢٤ يونيو ١٩٦٧ بأن الافا من الشباب السوفيتى تطوعوا للسفر الى الدول العـربية ، وانهم على استعداد لتقديم جميع انواع المساعدات لو احتاج الامر اليهم . وعبر المعلمون السوفيت عن تأييدهم للشعوب العربية وادانتهم لاسرائيـل ومطالبتهم بانسحابها ، وقرر عمال عديد مـن المصانع اليوغوسلافية التبرع بما يتراوح بين اجر يوم و ٣ أيام لضحايا العدوان ، وبلغ مجموع المعونات التى جمعتهـا الهيئـات الشــعبية اليوغوسلافية فى جمهورية سلوفينيا الاتحـادية وحدها حوالى ٢٠٠ مليون دينار يـوغوسلافى قديم ، وبلغ فى مقدونيا ١٢٠ر١ مليونا ، وتبرع العمال والموظفون فى مناطق يوغوسلافية عديدة باجر عدة ايام لضحايا العدوان . وحتى اول نوفمبر ١٩٦٧ كان الشعب اليوغوسلافى قد جمع ٣٦ر٣ مليون دولار لضحايا العدوان الاسرائيلى ، وفى ١٤ يوليو ١٩٦٧ تبرع عمال تشيكوسلوفاكيا بــ ٥٠٠ر٠٠٠ كرون للاتحادات العمـالية فى الجمهورية العربية المتحدة وسـوريا والاردن . كذلك عقدت فى المصانع والجامعات البـولندية اجتماعات جماهيرية حضرها مئات الالوف من البولنديين اعربوا فيها عن احتجاجهم على العدوان الاسرائيلى وتضامنهم مع الشعوب العربية .

بولندا وملاحقة

« الطابور الخامس »

اما فى بولندة ، فان الحكومة البولندية — نظرا لقيام العناصر الصهيونية بنشاط معاد للنظام الاشتراكى فيها — لم تكتف بمجرد الاجراءات الاقتصادية والمواقف السياسية التى اتخذتها لتدعيم وضع الدول العربية فى مواجهة العدوان ، وانما قامت كذلك بحركة تطهير داخلى فى صفوف الحزب والحكومة — واوضح «**جومولكا**» فى ١٩ يونيو ١٩٦٧ فى خطاب القاه امام المؤتمر السادس للمنظمات العمالية البولندية « **اننا لا نستطيع ان ننظر بعدم مبالاة لقوم يعربون عن تأييدهم للمعتدين ولمدمرى السلام** » · وبالفعل بدأت الحكومة البولندية حركة تطهير للعناصر الصهيونية والمعادية، وفصلت قائد السلاح الجوى البولندى و ٣ جنرالات اخرين لانهم لم ينفذوا تعليمات الحزب الشيوعى بفضح العدوان الاسرائيلى على البلاد العربية · واحيل الى المعاش رئيس تحرير صحيفة تريبيونا لودو » الناطقة باسم الحزب واحد نواب رئيس التحرير من المعروفين بمشايعتهم للصهيونية الخ · وكشف جومولكا فى خطاب القاه فى ٩ يونيو ١٩٦٧ عن بعض العناصر الصهيونية بين اليهود البولنديين موضحا « ان بولندا حزبا وحكومة لن تسكت لحظة واحدة عن اى بادرة عطف على اسرائيل المعتدية تصدر من بعض اليهود البولنديين » ، ولن تسمح بوجود « طابور خامس » من منظمى الحملات الموالية لاسرائيل » ، كذلك ارتبط نشاط القوى الصهيونية والقوى المضادة للثورة فى تشيكوسلوفاكيا بالضغط على الحكومة والحزب لاعادة العلاقات مع اسرائيل ولكن هذه الضغوط لم تسفر عن شىء ، وتواصل تشيكوسلوفاكيا فى ظل قيادة هوزاك الجديدة دعمها للشعوب العربية فى نضالها لازالة اثار العدوان ·

ولقد كان من الواضح منذ يونيو ١٩٦٧ ، ان الاستثناء الوحيد فى الموقف الموحد لكل دول اوربا الشرقية المؤيدة للعرب ، هو موقف رومانيا · اذ طالبت فى بيان اللجنة المركزية للحزب فى ١٠ يونيو ١٩٦٧ بوجوب « أن تجلس الاطراف المعنية (اى العرب واسرائيل) **حول مائدة المفاوضات** للعثور على الحلول المناسبة لمصالح الشعوب المعنية ، ولضمان وتوطيد السلام » · ورفضت الموافقة على قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل ، وامتنعت عن التصويت على المشروع السوفيتى فى الامم المتحدة · ورفضت حضور اجتماعى القمة للدول الاشتراكية فى موسكو وبودابست ١٩٦٧ بشأن مشكلة الشرق الاوسط ، وسمحت بشكل غير مباشر بنوع معين من الهجرة الى اسرائيل وهى الهجرة التى تتم بحجة جمع شمل الاسرة ، بالرغم من منعها الهجرة الى اسرائيل رسميا ·

ومع ذلك فقد دعت رومانيا فى بيان اللجنة المركزية لحزبها الشيوعى فى ١٠ يونيو ١٩٦٧ « بصدد الوضع فى الشرق الادنى » الى « ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلتها » ، وايدت فى اول يوليو ١٩٦٧ مشروع الدول غير المنحازة الذى طالب بانسحاب هذه القوات ، كما طالبت رومانيا بحل مشكلة اللاجئين واعلن **رادولسكو** نائب رئيس وزراء رومانيا عند مجيئه الى القاهرة فى اغسطس ١٩٦٧ عن « ادانة بلاده لمحاولة اسرائيل ضم القدس الى اراضيها ، وادانتها لاى مطالب توسعية » ·

وكانت حكومة رومانيا قد قررت فى يونيو ١٩٦٧ كذلك ، توريد ٥٠ر٠٠٠ طن قمح الى الجمهورية العربية المتحدة فورا على ان يسدد ثمن الكمية فيما بعد · وفى ٢١ يونيو ١٩٦٧ قدمت الى الجمهورية العربية مواد طبية قيمتها ٥٠ر٠٠٠ دولار ، وأعلن رادولسكو فى القاهرة فى اغسطس ١٩٦٧ استعداد بلاده لتوريد ١٠٠ر٠٠٠ طن قمح ، و ١٠ر٠٠٠ طن سكر للجمهورية العربية المتحدة لمواجهة اثار العدوان ·

ومع ذلك احتفظت رومانيا بمواقفها السابقة من اسرائيل ، وفى ١١ نوفمبر ١٩٦٨ الغى العراق محادثاته الثقافية معها بعد ان رفض الجانب الرومانى اقتراحا للجانب العراقى بان يتضمن البيان المشترك للمحادثات ادانة العدوان الصهيونى على الامة العربية ، وغادر الوفد الرومانى بغداد الى بوخارست · وقد تعرض موقف رومانيا لهجوم بلاد المعسكر الاشتراكى التى اعتبرته نوعا من السياسة القومية الضيقة ·

الصين الشعبية

اما الصين الشعبية فقد تركز جهدها الاساسى خلال العامين الماضيين على الدعاية للمقاومة الفلسطينية ودعمها · وقد اوضحت وكالات الانباء العالمية مرات عديدة انها تشارك فى تزويد منظمات المقاومة بالاسلحة وتدريب بعض كوادرها فى الصين ·

الا انه بخلاف ذلك ، كانت الصين قد اعلنت من قبل فى يونيو ١٩٦٧ تأييدها لنضال الشعوب

العربية العادل • ونشرت صحيفة « الشعب » الصينيـــة فى افتتـاحيتها فى ١١ يونيو موضحة « ان النضـال الذى خاضتـه الشعوب العربيـة ضـد الامبرياليـة الامريكية وعميلتها اسرائيل تعرض لنكسة مؤقتة فقط ، ولكن المائة مليون عربى سيطردون بالتاكيد الاستعماريين القدامى والجدد بزعامـة الولايات المتحدة ، اذا ما رفعوا وعيهم السياسى وسلكوا سياسة صحيحة وثابروا على النضال » • وكانت المظاهرات من مئات الالاف من العمال والفلاحين وشباب الحرس الاحمر والطلبة والمدرسين قد اندلعت فى بكين ومدن الصين يومى ٧ و ٨ يونيو ١٩٦٧ تأييدا للشعوب العربية فى كفاحها ضد العدوان •

كذلك ابلغت حكومة الصين الشعبية فى ١١ يونيو١٩٦٧ الجمهورية العربية المتحدة رسميا انها سوف تقدم لها ٠٠٠ر١٥٠ طن من القمح و ١٠ ملايين دولار من النقد الصعب بدون شروط وبغير موعد للسداد وذلك تقديرا واعجابا بوقفة الشعب المصرى امام مؤامرة استعمارية عاتية » • وفى ١٢ يونيو سنة ١٩٦٧ طالبت جريدة الشعب الصينية فى افتتاحيتها ، الشعوب العربية بأن ترفع شعار « قاتل وافشل ، ثم قاتل ثانية وافشل ثانية ، ثم قاتل مرة اخرى حتى النصر » ، ووعدت الحكومة الصينية فى نفس الشهر بتقديم معونة مالية كبيرة للسودان تعويضا له عن المعونة الامريكية التى توقفت بعد ان اعلن السودان قطع علاقاته الدبلوماسية مع الولايات المتحدة ، وفى ١٧ يونيو سنة ١٩٦٧ فجرت الصين الشعبية اول قنبلة هيدروجينية لها ،وأعلنت أن أسلحتها النووية تأييد ضخم للشعب الفيتنامى والشعب العربى فى نضالهما ضد الاستعمار الامريكى وضد بريطانيا واسرائيل التى تعتبر اداة فى يدهما » •

كوبا

اما كوبا فلم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، على اساس ما ذكرته الصحف الكوبية حينذاك من ان اسرائيل ما هى الا اداة فى يد المستعمرين الامريكيين ، وان اية عقوبات دولية يجب أن تتخذ ضد الولايات المتحدة . ومع ذلك فقد ايدت الحكومة الكوبية فى بيانها الذى اصدرته فى ٩ يونيو ١٩٦٧ الجمهورية العربية المتحدة تأييدا كاملا واستنكرت بشدة العدوان الاسرائيلى • كذلك اشارت جريدة « **يديعوت احرونوت** » الاسرائيلية فى ٣ مارس الماضى اشارة لها مغزاها بهذا الصدد ، اذ اوضحت ان الفدائيين من رجال منظمة فتح يتلقون تدريبات على وسائل حرب العصابات فى كوبا ، وان مجموعة من ضباط فتح قد اتمت تدريباتها فى كوبا وان مجموعة اخرى موجودة هناك لنفس الغرض ، وعلى اية حال فالامر الواضح ان المقاومة الفلسطينية المسلحة تجد مساندة واضحة من جانب الكوبيين فى مطبوعاتهم الدعائية وبخاصة مجلات ونشرات منظمة « تضامن القارات الثلاث » التى تصدر فى هافانا •

هجوم « تيتو » الدبلوماسى

على ان الجانب الثانى البارز من مساهمات الدول الاشتراكية بعد عدوان يونيو ، هو ما يمكن أن نسميه بحملة تيتو الدبلوماسية لنصرة الشعوب العربية • هذه الحملة لم تقتصر فحسب على مبادرات تيتو داخل المعسكر الاشتراكى بمجرد وقوع عدوان يونيو ١٩٦٧ ، ولا داخل مجموعة دول عدم الانحياز فحسب ، وانما شملت مجالا عالميا شديد الاتساع يمتد من الدول الغربية الكبرى بما فيها الولايات المتحدة ، حتى دول اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية •

وقد تحرك تيتو طوال العامين الماضيين على هذه الجبهة العريضة بديناميكية ديبلوماسية كبيرة ، لتكتيل دول العالم والرأى العام العالمى وراء مطالب الشعوب العربية العادلة فى الانسحاب وازالة اثار العدوان الاسرائيلى • ففى ٢٨ يونيو ١٩٦٧ قدم مندوب يوغوسلافيا مشروع القرار الذى اعدته الدول غير المنحازة بانسحاب القوات الاسرائيلية •

وفى اغسطس ١٩٦٧ اجرى تيتو محادثات فى القاهرة ودمشق وبغداد ، قام بعدها بحركة اتصال سياسى فى كل الاتجاهات بعد ان تعرف على رأى الدول العربية فى كيفية ازالة اثار العدوان ، ووجه عديدا من الرسائل السياسية الى رؤساء الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ودول عدم الانحياز تتناول نتائج المحادثات التى اجراها فى العواصم العربية . كما ارسل عددا من الرسائل لعدد من رؤساء دول امريكا اللاتينية وعلى رأسها شيلى والمكسيك والبرازيل وفنزويلا • وارسل مجموعة اخرى الى اليابان ومنغوليا وقبرص واوغندة ، وكينيا ومالى وتانزانيا وزامبيا ، وايران ، واندونيسيا • كما قام المبعوثون الخاصون لتيتو بزيارة عدة دول فى شمال وغرب افريقيا ثم إثيوبيا لنفس الغرض • وقد اعربت **انديرا غاندى** رئيسة وزراء الهند عن تأييدها بلا تحفظ فى سبتمبر ١٩٦٧ لمبادرات تيتو . واعرب **الجنرال سوهارتو** فى أندونيسيا فى ٩ سبتمبر ١٩٦٧ عن موافقته التامة على جهوده لحل ازمة الشرق الاوسط •

اما اسرائيل فقد رفضت مقترحات تيتو بالانسحاب من الاراضى العربية ووصفتها بأنها منحازة الى جانب واحد »، وبلغت حملة تيتو الدبلوماسية حدا اضطر اسرائيل فى سبتمبر سنة ١٩٦٧ الى بحث مسألة ارسال بعثات خاصة تحمل رسائل الى عدد من الدول « بهدف مواجهة الهجوم الدبلوماسى » الذى يشنه تيتو قبل انعقاد الجمعية العامة للامم المتحدة حينذاك .

الا انه برغم الجهود الدبلوماسية التى بذلها، اوضح تيتو فى اكتوبر من نفس العام بعدمحادثاته مع انديرا غاندى، ان اسرائيل تزداد تعنتا فى موقفها مما يضعف الامل فىتسوية سلميةللازمة، وانها ترفض كل شىء فى الوقت الحاضر، ولا تحاول المساهمة بشىء فى سبيل ايجاد تسوية .

الاان ذلكلم يوقف نشاط تيتوالدبلوماسىلنصرة الشعوبالعربية، اذ قام فى يناير ١٩٦٨ بجولة دبلوماسية فىافغانستانوباكستانوالهندوكمبوديا واثيوبيالتعبئة دولعدمالانحيازمناجلمؤازرةالدول العربية ضد اسرائيل . واوضح فى مايو سنة ١٩٦٨ ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى تستطيعان القيام بدور للمساهمة فى ايجاد حل للازمة . ولكنه عاد فى اكتوبر من نفس العام ليوضح ان خطر الحرب العالمية يقترب بسبب عدم تسوية مشكلة الشرق الاوسط .

وعلى اية حال فقد القى الرئيس تيتو بنفسه ضوءا واقعيا على نتائج جهوده الدبلوماسية اذ اوضح امام مؤتمر رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف فى ١٢ مارس ١٩٦٩ : « ان الجهود البناءة التى بذلت لايجاد حل سياسى لازمة الشرق الاوسط، لم تسفر عن اية نتائج بسبب موقف اسرائيل » واكد ضرورة عقد مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز، المتوقع عقده فى اديس ابابا فى نهاية هذا العام . ودعا المجتمع الدولى وجميع الدول الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن الى اتخاذ موقف أكثر تصميما لتنفيذ قرار مجلس الامن لحل ازمة الشرق الاوسط .

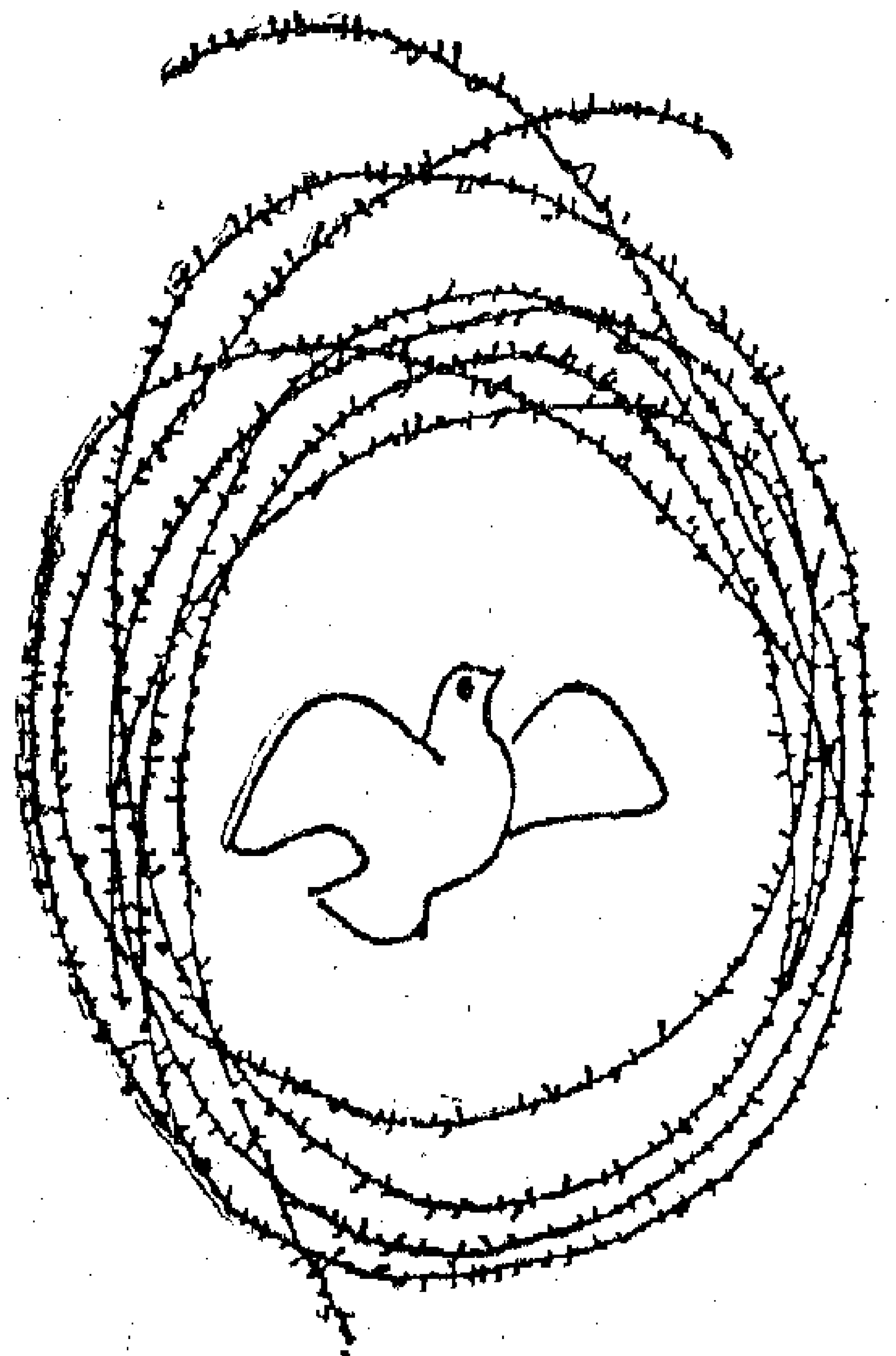
مؤتمر موسكو للاحزاب الشيوعية والعمالية

هذا وقد عبرت الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمية فى المؤتمر الذىعقدته فى موسكو فىيونيو من العام الحالى وضم ٧٥ حزبا شيوعيا وعماليا، عبرت فى بيان خاص أصدرته تأييدا لنضال الشعوب العربية العادل » عن ادانتها الشديدة للعدوان الاسرائيلى « الذى يعتبر انتهاكا سافرا للحقوق الوطنية للشعوب العربية بما فى ذلك الحقوق الشرعية لعرب فلسطين وانتهاكا سافرا لميثاق الامم المتحدة » . وأكدت « أن السلام والهدوء فى الشرق الاوسط لا يمكن اقرارهما الا بشرط سحبالقوات الاسرائيلية منجميع الاراضى العربية والتنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، كما ناشد المؤتمر فى بيان « جميع القوى التقدمية فى العالم كله أن تشدد تأييدها الفعال للشعوب العربية وان تصعد التضامن مع نضالها العادل » .

والحقيقة ان هذه هى المرة الاولى التى ينص فيها صراحة فى وثيقة للحركة الشيوعية الدولية على الحقوق الوطنية الشرعية للشعب العربى الفلسطينى . كذلك فان مؤتمر موسكو لم يكتف بتقديم تأييد الاحزاب الشيوعية والعمالية لنضال الشعوب العربية المشروع، وانما هو حلل كذلك الاهداف المبيتة وراء العدوان . وأوضح فىوثيقته بعنوان « مهام المرحلة الراهنة فى النضال ضد الامبريالية ووحدة العمل بين الاحزاب الشيوعية والعمالية وجميعالقوىالمعاديةللامبريالية » . « أن الامبريالية، وبالدرجة الاولى امبريالية الولايات المتحدة قد حاولت عن طريق العدوان الاسرائيلى على الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن، ان تسحق نظم الحكم التقدمية فى البلدانالعربية، وان تحتفظ بمراكزها فى الشرق الاوسط أو تستعيدها، لكنهم فشلوا فى ذلك » . واشار المؤتمر كذلك الى حقيقة ان « القوى الحاكمة فى اسرائيل تساندهاالرجعيةالعالمية، تواصل تجاهل مطالب الدول العربية والشعوب المحبة للسلام وقرارات الامم المتحدة حول سحب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة، وتصر على سياستها، سياسة التوسع والاحتلال، وترتكب بغير توقف تحرشات مسلحة جديدة » لكنه اشار كذلك الى ان « الشعوب العربية تواصل هى الاخرى « بحزم النضال للدفاع عن حريتها واستقلالها وتقدمها الاجتماعى ولاستعادة الاراضى المحتلةوالاعتراف بالحقوقالوطنيةلعرب فلسطين» كما أن حركة المقاومة ضد الاحتلال تنمو وتتخذ اشكالا مختلفة وتتمتع بتأييد متعاظم . ويقف الى جانبها الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى والحركة الشيوعية الدولية وتضامن قوى التحرر الوطنى ودوائر جماهيرية تتزايد اتساعا فى البلدان الرأسمالية .

محور

تل أبيب - بون - جوهانسبرج - واشنطن (١)



د . هربرت ابتكر

د . هربرت ابتكر يشغل منصب مدير المعهد الامريكى للداسات الماركسية فى نيويورك واستاذ زائر للتاريخ فى جامعة هارفارد . ظل طوال ثلاثين عاما فى مقدمة صفوف المناضلين ضد الحرب والتفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة وقام بتاليف اكثر من عشرين كتابا .

ونحن وان كنا نختلف — جذريا — مع ابتكر حول بعض الافكار التى وردت بمقاله ، مثل قوله بعدالة « قرار ايجاد اسرائيل الذى صدر عن الامم المتحدة » الا ان هناك نقاط التقاء عديدة ، وأبرزها الاتفاق حول طبيعة المعركة على اساس انها صراع بين الامبريالية وحركة التحرر الوطنى ، وليست صراعا بين العرب واليهود . واهمية هذا المقال انه يكشف عن حقيقة ومدى التحولات التى بدأت تطرأ على الرأى العام داخل الولايات المتحدة الامريكية ، وهى تكاد تكون مماثلة لبداية الخطوات التى حدثت فى الرأى العام الامريكى فيما يتعلق بالعدوان الامريكى على فيتنام .

تقف وراء الحكومة الاسرائيلية الحالية حكومات الولايات المتحدة ، وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، وجمهورية جنوب أفريقيا . وتمثل هذه الامم الثلاث — الولايات المتحدة على رأسها طبعا — المراكز الرئيسية للرجعية العالمية اليوم . ومن الطبيعى أن تتحد هذه الدول الثلاث فى دعم الحكومة الاسرائيلية الحالية التى تعمل كرأس رمح فى خدمة الامبريالية فى الجزء الذى تقع فيه من العالم .

وتبرز أمامنا عدة سمات عنصرية واضحة فى هذا النسق من القوى والمصالح . فيوجد داخل اسرائيل أولا تعصب عنصرى يتضح جليا فى

---

(١) تنشر الطليعة هذه الدراسة بتصريح خاص من د . هربرت ابتكر — وهو عبارة عن التقرير الذى القاه د. ابتكر فى اجتماع لجنة الشرق الاوسط بالتجمع العالمى للسلام ببرلين

التمييز ذى الدلالة بين اليهود الشرقيين واليهود المنتمين الى أصل أوروبى • كما يتضح أيضا بشكل اكبر حدة واكثر تنظيما فى التفرقة والتمييز اللذين يمارسان فى اسرائيل ضد سكانها من العرب • وفضلا عن ذلك يجد المرء فى الدوائر الصهيونية داخل اسرائيل وخارجها نوعا من التعصب العنصرى تجاه الشعوب العربية يفوق فى بشاعته أسوأ ماتعبر به العقول المريضة لاعضاء جماعة كوكلوكس كلان فيمايتعلق بأفراد الشعب الامريكى المنحدرين من أصل افريقى .»

المحور العنصرى الاستعمارى

وزيادة على ذلك فان الولايات المتحدة أمة اشتهرت بتعصبها العنصرى البربرى ضد كافة الشعوب الملونة خلال مايزيد على الثلاثمائة سنة ، ومازالت تمارسه حتى اليوم فى كافة مجالات ومراحل الحياة الامريكية • ولنضف الى ذلك أنه لاتوجد سوى قلة ضئيلة من الطبقات الحاكمة فى العالم اليوم تعادى السامية عداء عميقا كما تفعل الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة •

أما فيما يتعلق بالنظام الحاكم فى بون وطبيعته شبه النازية فلقد قيل الكثير عنه فى العديد من المراجع ، بحيث أن أى فرد لديه أى دراية يعلم أن جمهورية ألمانيا الاتحادية هى تجسيد للكثير من سياسة حكومة هتلر وأشخاصها • وانه لشىء يدعو الى السخرية أن نرى الحكومة الاسرائيلية الحالية وثيقة الصلة بل معتمدة على حكومة بون ، ولكن المال أقوى من ذكريات الماضى ، كما ان الاهداف العدوانية والتوسعية لكل من بون وتل أبيب قد جعلت من حكومتيهما حليفتين ، ومما تجدر ملاحظته فى هذا الشأن أن كلا من بون وتل أبيب قد رفضتا التوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، وهناك من الدلائل مايشير الى أن الحكومتين تتعاونان فى انتاج الاسلحة النووية بل هناك مايدعو الى الاعتقاد بأن هذا التعاون تعاون رباعى تشترك فيه **تل ابيب — بون — جوهانسبرج واشنطن** •

ان الطبيعة العنصرية والفاشية لحكومة جنوب افريقيا بلغت من الوضوح حداً جعل حتى واشنطون تضطر الى الانضمام — ولو بالكلام فقط — الى الادانة العالمية التى تواجهها تلك الحكومة عن حق من العالم المتمدين • ولكن اسرائيل تتلقى عونا ديبلوماسيا ومعنويا الى جانب المعونة المالية الضخمة من حكومة جنوب افريقيا ولها بالتالى تجارة واستثمارات كبيرة هناك •

ومن الضرورى أيضا أن نؤكد وجود مصالح اساسية للولايات المتحدة فى الشرق الاوسط . وهى مصالح اقتصادية فى المقام الاول ولا تقتصر على النفط فقط • ان كارتل النفط الدولى تسيطر عليه الاحتكارات الامريكية ، كذلك فان استثمارات الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط هائلة • وهذه الاستثمارات والارتباطات — بما فيها العون والدعم العسكرى — عامل حاسم فى حالة اسرائيل • ولكنه من المهم أيضا أن نلاحظ أن دعم الولايات المتحدة يمتد كذلك الى دول عربية رجعية وفى مقدمتها العربية السعودية ، وفى الحقيقة لقد أمدت الولايات المتحدة العربية السعودية بأموال وأسلحة أكثر بكثير مما أمدت به اسرائيل • ويساعدنا هذا على ابراز حقيقة أن القضية فى الشرق الاوسط ليست مشكلة اليهود ضد العرب بل هى بالاحرى الامبريالية ضد التحرر الوطنى ، الرجعية ضد التقدم • وامبريالية الولايات المتحدة هى حصن الاستعمار والرجعية مهما استخدمت الديانة أو غيرها من الواجهات لاخفاء جوهرها •

الا اننا يجب أن نذكر حقيقة أنه توجد بعض اشارات هامة عن اعادة الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة النظر فى سياستها فى الشرق الاوسط • وظهر هذا فى التصريحات التى أدلى بها المحافظ السابق سكرانتون عندما عمل كمبعوث غير رسمى لمرشح الرئاسة نيكسون الى الشرق الاوسط • كما أن المستر جون كامبل وهو أحد قادة معهد الشرق الاوسط فى واشنطون أشار أخيرا (فى كتاب « جدول أعمال للامة) معهد بروكينجز واشنطون ١٩٦٨) الى أن السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط توحى — بدرجة زائدة — بالتحيز الى اسرائيل ، وان الولايات المتحدة تحسن صنعا اذا غيرت تلك السياسة وذلك الانطباع •

مظاهر تغيير فى الشعب الامريكى

وهناك دلائل قاطعة على تغير الرأى العام فى الولايات المتحدة فيمايتعلق بالشرق الاوسط . وبدا ذلك ملحوظا منذ أصبح واضحا أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة قد قبلت القرار الاجماعى لمجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ بينما استمرت حكومة اسرائيل فى رفض ذلك القرار ، وغيره من القرارات – مثل القرار الخاص بالقدس مثلا – التى أصدرتها الامم المتحدة . وهذا التغير فى الرأى العام تغير شامل ، ويتضح مثلا على صفحات مجلة مثل « القرن المسيحى » (**كريستيان سنتشرى**) ذات النفوذ الكبير جدا فى الولايات المتحدة خاصة بين رجال الدين البروتستانت وعامة المتدينين منهم .

وظهر التغير فى الرأى لدى اليسار على وجه العموم منذ أصبحت وقائع حرب الصاعقة (**بليتز كريج**) الاسرائيلية واضحة وعندما عرفت حقيقة أن اسرائيل تستخدم النابالم فى هجماتها المفاجئة .

كما يوجد أيضا تغير فى رأى سكان الولايات المتحدة من اليهود . فقد اختفى شبه الاجماع الذى كان يساند العدوان الاسرائيلى وخاصة منذ استمرار احتلال الاراضى التى وضعت اسرائيل يدها عليها – رغم كافة الوعود التى بذلتها الحكومة الاسرائيلية منذ أواخر مايو ١٩٦٧ – وكذلك منذ أصبح الاستمرار فى اخفاء أعمال الكبت ضد السكان العرب عن الصحف الامريكية أمرا غير ممكن ، فقد نشرت صحيفة **نيويورك تايمز** مثلا خبر القاء السلطات الاسرائيلية القبض على فتاة عربية تبلغ الثامنة عشرة من العمر والحكم عليها بالسجن لمدة عشرين عاما بزعم أنها تشكل خطرا على سلطات الاحتلال ! . ان ازدياد عزلة اسرائيل أمام الرأى العام العالمى ازاء استمرارها فى رفض قرارات الامم المتحدة واستمرار احتلالها لارض الغير ، وقمع حركات الشعوب العادلة لايمكن الا أن يؤثر على الرأى العام فى الولايات المتحدة بما فى ذلك سكانها من اليهود .

اسرائيل وفيتنام الجنوبية

ويزداد الخوف يوما بعد يوم من أن تكون سياسة ديان هى فى الحقيقة سياسة حرب مستمرة واحتلال لا ينتهى وسفك للدماء وارتفاع فى عدد حوادث الاعتداء بما فى ذلك الاصابات الاسرائيلية . وفضلا عن ذلك فانه لايوجد سوى عدد قليل جدا من الناس يستطيع فى وجه الادلة الصارخة ، ان يظل على اعتقاده فى مزاعم اسرائيل عن « الحرب الوقائية » . ان سياسة الحرب الوقائية – فى عصر الامم المتحدة والاسلحة النووية ، تهدد باشعال حرب عالمية ، فضلا عن ان هذا النوع من التبريرات هو بالضبط مايستعمله **جونسون ونيكسون** لتبرير سياسة الولايات المتحدة فى فيتنام . ومن المعروف أيضا أن **ديان** زار فيتنام الجنوبية وهلل لجهود الولايات المتحدة من أجل « الحرية » هناك عاقدا المقارنة بين ماتقوم به اسرائيل فى الشرق الاوسط ودور الولايات المتحدة فى فيتنام . وأدى كل هذا الى عزل قطاعات هامة من الرأى العام فى الولايات المتحدة عن اسرائيل .

ولقد أتيحت لى بالذات فرصة الحديث عن الشرق الاوسط أمام جمهور من المستمعين أغلبه من اليهود يصل الى عدة مئات فى نيويورك ونيوجيرسى وبنسلفانيا وكونكتكت وماساتشوستس ، وأستطيع القول بناء على هذه الخبرة أن هناك تحولا محددا فى الرأى العام فى الولايات المتحدة فيما يتعلق بدور اسرائيل .

ولقد قلنا ومازلنا نكرر القول بأن هذا الامر ليس صراعا بين العرب واليهود بل هو بين الامبريالية والتحرر الوطنى . ومن بين هاتين القوتين لايوجد أدنى شك فيمن هو – تاريخيا – فى صعود . ومن هنا فان تل أبيب اذ تربط نفسها بمحور **واشنطن – بون – جوهانسبرج** انما تربط نفسها بجثة هامدة . ان التحدى الاساسى الذى يواجهه وجود اسرائيل لا ينبعث من أحد قدر انبعاثه من حكومة التحالف بين **ديان – بيجن** الحالية فى تل أبيب ، فان السياسة التى تتبعها تلك الحكومة اذا استمرت سوف تؤدى فى الواقع الى دمار اسرائيل .

ان قرار ايجاد اسرائيل الذى صدر عن الامم المتحدة لايمكن اعتباره – اذا شئنا الدقة والشمول – عملا رجعيا أوامبرياليا . اذ يجب أن نتذكر أن الاتحاد السوفييتى لعب دورا أساسيا فى ذلك الايجاد ، ولقد كان الاقتراح الاصلى يرمى بالطبع الى خلق دولة ذات قوميتين ، كما أن

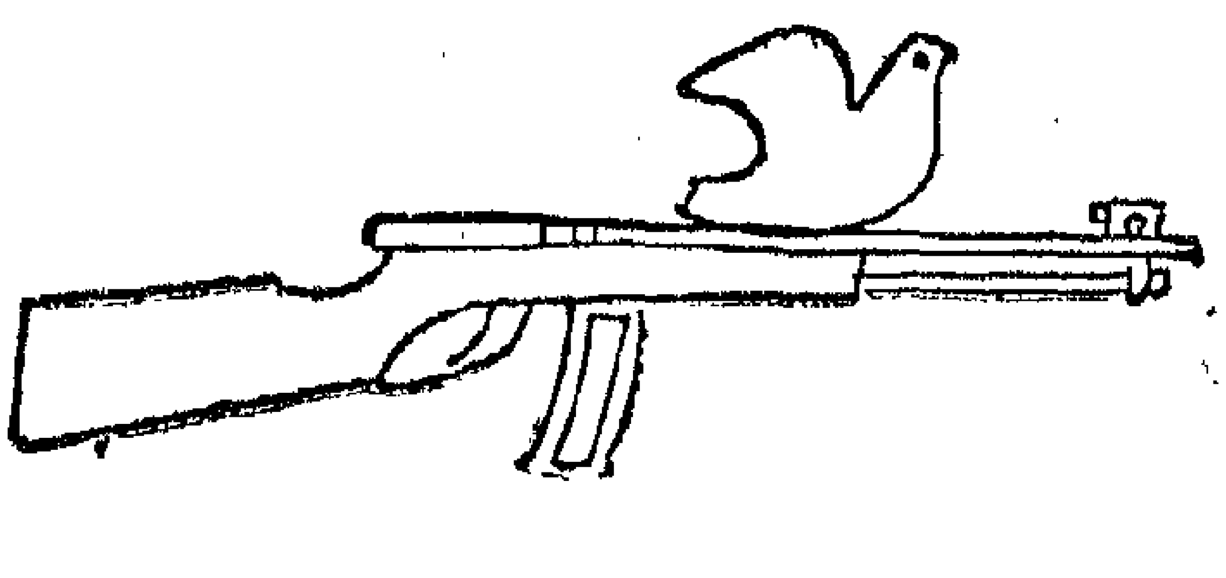
الحدود الاسرائيلية المقترحة فى عام ١٩٤٨ كانت أصغر بكثير من حدود ١٩٤٩ ناهيك عن ١٩٦٩ • ولكن الواقع أن خلق اسرائيل كعمل لم يكن رجعيا كلية ، فقد كانت هناك حكومة اسرائيلية تتبع سياسة اكثر ديموقراطية وسلاما لا عدوانية من الحكومات التى وجدت خلال السنين الاخيرة ، وهذه حقيقة هامة ، لانه اذا كان هناك تغير فى الحكومات فى اتجاه الاسوأ فانه يمكن ان يوجد تغير فى اتجاه الاحسن ــ تغير يستهدف الابتعاد عن العدوان وعن الاحتلال وعن ربط اسرائيل بعجلة الامبريالية • وهذا امر يقتضى صراعا ــ خاصة من سكان اسرائيل العرب واليهود ــ ولكنه امكانية يجب ألا تستبعد من الاعتبار •

ان اسرائيل يجب أن توافق اليوم على القرارات التى صدرت بالاجماع عام ١٩٦٧ عن مجلس الامن ، ويجب ان تؤخذ هذه القرارات فى كليتها ، كما أن القرار نفسه ــ شأنه شأن العدالة والقانون الدوليين ــ انما يستند على اجلاء القوات الاسرائيلية من كافة الاراضى التى استولت عليها نتيجة للعدوان الذى قامت به فى عام ١٩٦٧ •

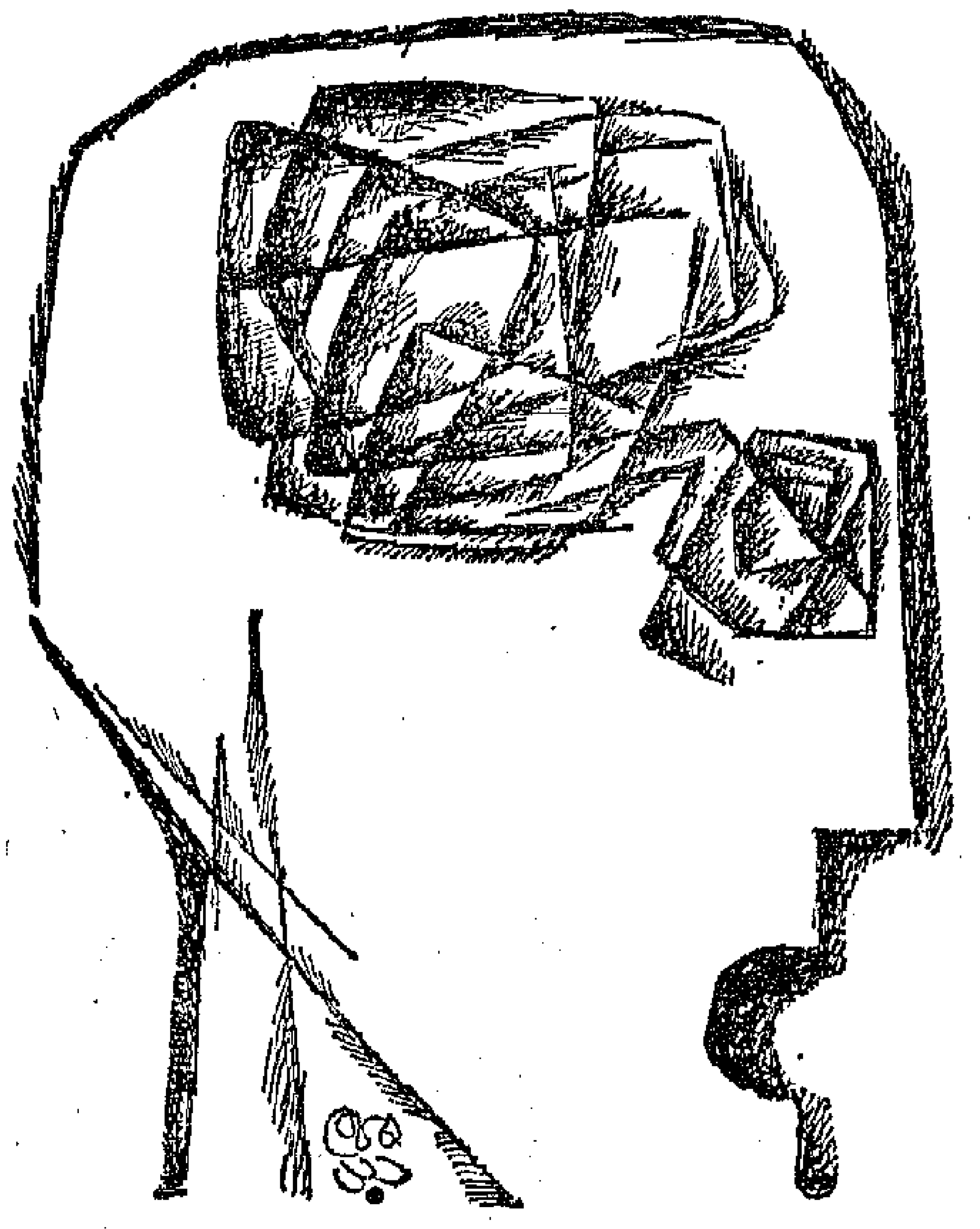
ان رفض اسرائيل لهذه القرارات ومطالبتها بالمفاوضات المباشرة ، أمر لا يمكن احتماله • فاسرائيل هى المعتدية ، وهى القائمة بالاحتلال ، وهى التى تتحدى الرأى العام العالمى واجراءات الامم المتحدة ، وبينماتستمر فى عدوانها واحتلالها تضع الشروط لضحايا عدوانها واحتلالها !

فاذا تم قبول ذلك من جانب الشعوب العربية فان القانون الدولى كله يصبح فى خطر ، وتنتهك كافة الاخلاقيات ، وتسدد ضربة قاضية ضد كافة النضالات من أجل التحرر الوطنى • وفضلا عن ذلك فان دعاوى الشعب الفيتنامى ضد عدوان الولايات المتحدة واحتلالها تضعف الى حد كبير •

ان تنفيذ قرار الامم المتحدة الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ ، وتأكيد واتخاذ الاجراءات للذود عن حقوق الشعب العربى الفلسطينى هو الطريق الوحيد لايجاد سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط • وكلمازاد تأجيل اتخاذ مثل هذا الاجراء كلما زاد الاحتمال بأن تشعل الاعتداءات الاسرائيلية نار حرب لا تبقى ولا تذر • ولذلك فانه واجب ملقى على عاتق كل من يقدرون العدالة والتحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى والسلام ان يبذلوا كل جهد ممكن للوصول بهذه النتائج الى الثمار المرجوة •



الحاجـــة الى فلســـفة نقـــدية وجماليـــة



محيى الدين محمد

تتحدد فلسفة لعلم الجمال ، اذا تحددت للاقيسة النقدية فلسفات مماثلة ، ففى غياب هذه الاقيسة الجاهزة المتمثلة فى قـــالب فلسفى معـــد سلفا ، لا يمكن التوصل الى قيمة جماليته ، أى ان هذه الفلسفة بناء بعدى لابد لنشوئه من ممارسة نقدية طويلة ، ومن تكامل للمواصفات النقدية ، بحيث لا تكون الحصيلة مجرد اعمال تطبيقية على الاعمال الابداعية ، او تقنينا مجددا للظواهر الفنية

ففى آوربا ، لم يتسن لفلسفة الجمال أن تصبح على ما هى عليه من قيمة وخطر الا بعد تحددسابق لفلسفات النقد باتجاهاتها المتعددة ، بحيث يكاد الامر يصل الى بروز فلسفة جمال مقابل كل فلسفة نقدية محددة ، وبعبارة أخرى ، يسارع النقاد النظريون باقامة الشكل الفلسفي للنظـرية أو الاتجاه ، بتحديده وتحليله وتقنينه ، مستخدمين التطور العلمى والحضارى والنفسى ، فـالنقد الارسطاطالى القديم ، وهو محصلة بناء نقدي فلسفى ، هو المنشىء الحقيقى لفلسفات الجمال التى انطلقت بعد ذلك فى مختلف العصور الادبية ، ولو لم يتسن لهذا النقد المعجز أن يتصل بالفلسفة فى مثل ذلك الوقت المبكر ، لربما تأخرت الى حد بعيد فرصـــة ظهور فلســـفات للجمال متكاملة . ان كروتشه وسانتيانا ودلاكرواهم السلسلة الطبيعية للنقـــد الارسطاطالى ، والنقد الفلســـفى الذى تبعه زمنيا .

أما فى الوطن العربى فقد عانى الفكر الادبى من تميع فلسفى طويل ، ولم يقدر له أن يتطور من مجرد المتابعة المنطقية أو الفكرية الى تحدد فلسفى تام الانضباط . فالنقاد العرب المبكرون كانوا فى الاصل نقادا وشراحا للشعر التقليدى المغـرم بالصـــنعة ، بل ان الكثيرين منهـــم كانوا يدينون بشدة ، ويرفضون اتجاه الشعراء فى القرن الثالث الهجرى مثلا الى بث الافكار الفلسفية فى صلب أعمالهم الشعرية ، ويحضرنا أسم أبى تمام وناقده الآمدى فى هذا المقام . لقد اعتبر الآمدى تطويع أبى تمام للفكر الفلسفي فى فنه خروجا على الاساليب القديمة • وزندقة فنية ، وتحطيمـــا

للقوالب الشعرية، وبعثرة للموضوعات المحددة التى اتخذها الشعر العربى علامات طريق يهتدى ويسترشد بها . فقـد كانت التقليدية والصنعة والنمنمة أهم الادواء التى عوقت تطور الشعر العربى، ولو لم تكن هذه التقليدية عميقة الاثر فى الفكر العربى لما أثرت هذا التأثير الضار فى عقول النقاد المفروض أن يكونوا نواة التجديد والتطور . ان من الغرابة وغير المقبول أن يكون الابداع العربى سباقا الى الاستعانة بالفلسفة، ولا يكون النقد العربى كذلك .

لقد بدأ النقد العربى تقليديا بسبب ارتباطه الوثيق بالشعر التقليدى، بدون أن يستطيع الانفصال عن هذا الاتجاه المقلق، فالرباط بينه وبين الشعر كان رباط النشأة من أصول فى الفكر تقليدية، أى رباطا دمويا يصعب على احدهما النكوص عنه دون أن يخل تماما بالاخر . من جهة أخرى، كان النقد الادبى مضطرا الى مسايرة الشعر بطريق التفسير الوجدانى له دون أن يحتكم الى العقل والواقع، الامر الذى كان حريا أن يفصل بينه توا وبين الشعر المساق سوقا فى درب التقاليد .

ولكن النقاد كانوا أقل ميلا للاخذ بالاحكام العقلية لجملة من الاسباب أهمها بالطبع هو ارتكاز هؤلاء النقاد على الاصول الاتباعية القديمة التى بنى أساسها عمالقة الشعر من الجـاهليين والاسلاميين، وأعتبارهم كل خروج عن هـذه الاصول تحريفا للاسس والقواعد . من جهة ثانية، لم يستطع هؤلاء النقاد أن يفيدوا من التطور الفلسفى والفكرى والحضارى العظيم الذى بدأ بترجمة أرسطاطاليس، وانتهى بظهور الفلاسفة المسلمين العظام، فقد كان النقاد يعتبرون أن هناك هوة واسعة بين الفلسفة وبين النقد الادبى لا يمكن عبورها . ربما لان علم الكلام كان مفتونا بتفسير وشرح وتحليل العقيدة الاسلامية، بل وبمحاولة التقريب بين الارسطية وبين الاسلام .. أى حددت الفلسفة ميدانها بالبحث فى العقيدة، وتطهيرها من شـوائب الشروح الخـوارجية والفـارسية والاعجمية، خاصة عندما تزامن تيار الترجمة مع الاتجاهات الجديدة لاعادة تفسير القواعد الدينية، وببروز التيـارات الغريبة على الخليج العربى كالمعتزلة والصـفرية .. الـخ، والشراح لا يستطيعون ولا يحسنون مهمة التقييم التى لاتتطلب انفتاحا وادراكا للنص فحسب، بل وعيا بالعالم وبالحضارة وبالموقفين الاخلاقى والعلمى بالدرجة الاولى .

لقـد كان الحفـاظ الدائب والمسـتمر على الاستمساك بالصنعة فى فن الشعر العربى — وهى اساسا النمنمة الشكلية والثرثرة — ركنا من اركان توطيد البناء التقليدى فى هذا الفن، وكان هذا يشكل بدوره ميدانا يجب على النقد الادبى الا يتخطاه، فالكلمات القديمة غير المسـتخدمة، والمصطلحات الاقليمية الغامضة على الاقـاليم الاخرى، والمعانى المطموسة تحت أكداس مـن الاستعارات والجناس والطباق، والالاعيب اللفظية المستخدمة بمهارة فائقة، والجرس والاصـوات والتصريع الحـاذق والقوافى .. كل هذه كانت تتطلب شراحا على غاية من المقدرة اللغوية يتلخص عملهم فى (نقل) هذه الملغزات الى لغة الواقع اليومى، مع بيان مواضع الاجادة والاسفاف، وتنبيه القارىء الى مواطن الضعف والخروج على الموروث القديم (انظر كتاب ابن قتيبة : الشعر والشعراء)، فالشعراء كانوا فى القرنين الثالث والرابع على الخصوص أئمة لغويين على دراية واسعة وعميقة بالالفاظ القديمة المستخدمة وغير المستخدمة، والمثال على ذلك هو خبرة المتنبى وأبى تمام وأبى العـلاء النادرة بالتراكيب اللغـوية الغريبة، ومعرفتهم الواسعة بالنحو .. أمـا الشعراء الذين كانوا أضعف من ناحية المستوى اللغوى فقد كانوا قلة، وكانوا على العموم احفادا مباشرين أو غير مباشرين للفرس والروم كأبى نواس وبشار وابن الرومى ومهيار ...

ولا شك أن مهنة النقد الادبى لم تكن تتطلب دراية فلسفية أو فكرية، فأى فقيه لغوى كان يمكن ان يقوم بهذا العمل لو توفر عليه . أما النقاد الذين استطاعوا أن يفلتوا من هذه المصيدة الشكلية فقد كانوا قلة، ولم يكن تأثيرهم يبلغ تأثير النقاد الاخرين .

نقدنا الحديث وروح العصر

وفى العصر الحديث، لم تكتمل فلسفة واحدة للنقد الادبى رغم العدد الكبير الذى اسهم فى هذا الميدان، منطلقا من وجهات نظر . وقد كانت تلك هى الآفة، فوجهة النظر لا تكون بالضرورة فلسفة ما، اذ أنها غالبا ما تكون شريحة أو جزءا من فلسفة . وهكذا رأينا نقادنا العظام منطلقين من وجهات نظر، **كالعقاد وطه حسين ومندور**، وأخيرا **لويس عوض** رغم أنه أقربهم الى الالتزام بموقف نظرى واقعى متكامل .

وقد يكون الاعتماد على وجهة النظر رضوخا للسهولة فى الحكم والتقييم، وقد يكون هربا من الانخراط فى موقف فلسفى أو فكرى محدد، وقد يكون استمرارا لوجهة النظر القديمة فى النقد .. وأيا ما كان الحال، فهو مرض عصرى مـن الامراض التى استمرت حضارتنا تحملها معها أينما اتجهت . والفـارق بين الموقف النظـرى أو الفلسفى وبين وجهة النظر، فارق متميز وواضح، يبدأ بانطلاق الناقد فى الحالة الاخيرة من النص الادبى، لا من الموقف الاخلاقى أو المذهبى له .

فالنص الادبى يحكم العمل النقدى ويربطه برباط خانق ، لا يستطيع الناقد منه فكاكا ».

تنطلق الاحكام النقدية اجتهادا من واقع النصوص ، ولا يحدث ذلك بناء على مفهوم معين عن الابداع يحكم الناقد ، بل بناء على ما فى النص نفسه من ارتفاع وانخفاض جمالى ، أو عقيدى يدركه الناقد بشكل من اليسر ، او الاعسار ، تبعا لتفتح النص أو انغلاقه .فاذا كان الناقد مشتركا مع الشاعر فى شريحة من الشرائح الجمالية او العقيدية ، تحول النص مهرجانا حماسيا ملتهبا، أما اذا كان هناك ثمة من خلاف ، فالويل والثبور .. ونحن نجد نقادا كثيرين دابوا على معالجة نصوص متناقضة فى مبحث واحد ، يجمع بينها وحسب وقوع النص [أى نص] تحت يد الناقد الادبى

والنقطة الثانية هى اعتماد النقاد على مواقف تذوقية تتجاهل التقدم العقلى والعلمى ، فمن حين انطلق النقاد الى اوروبا للتزود بالعلم،ثم عادوا وقد احتار كل منهم وجهة نظر من أخلاط وجهات النظر الملتحمة بالفلسفة هناك ، ولكنهم عادوا وقد شجبوا عن وجهة النظر منطلقها الفلسفى المرتكز على الارض وعلى حركة المجتمع ، واكتفوا بترجمة ما اتفق فى وجهة النظر مع مشاربهم وتربيتهم النفسية الطويلة .

والنقطة الثالثة هى غلبة المنطق على الدراسات النقدية . فالمنطق هو العلم القديم الذى استهوى الاذهان العربية لفترة طويلة من الزمن .. ولاشك أن هذه الهندسة ، وتلك الابنية الشامخة ، والمقارنات ، والاستدلالات ، وذلك الحرص الشديد على المحافظة على خطوط مرسومة للتحليل ، لا شك أن كل ذلك بتأثير ضاغط من علم المنطق الذى استهوى حتى عقول المجددين من النقاد . ولا يعنى ذلك بالطبع أننا نطلب نمطا من الدراسات النقدية يخلو من المنطق ، فذلك شىء مستبعد .. ولكننا نشير الى هذا الكلف الشديد بالمنطق الى الحد الذى تشجب بازائه أو تكاد تختفى الملامح الاخرى المتصلة بعلم النقد كعلم خالق .

وتعتبر الفترة التى ظهر فيها الرواد من النقاد العظام **كالعقاد وطه حسين** ، مرحلة من مراحل التطور الفكرى كان لابد منها كأرضية توثق الرباط بين الارض وحركة الفكر . فالوضع السياسى والاجتماعى كان متفسخا نتيجة تفسخ الدولة ، وسيطرة طبقة مالكة على خيرات الارض ، وسيادة الفقر بشكل كامل على الشعب المصرى .. ولم يكن متاحا للنقاد العظام أن يربطوا بين هذا الواقع الاجتماعى المتخلف وبين حركة الفكر ، رغم عنايتهم الفائقة ببحث الخلفيات الاجتماعية للشخصيات الشعرية التى درسوها .. ويبدو أن احتفالهم بتثبيت وجهة النظر كان فى صميمه نتيجة من نتائج الوضع الطبقى المميز الذى كانوا يطمحون اليه ، ونتيجة ايضا للروح التقليدى المسيطر على النقد الادبى منذ القديم .

فالتمذهب يحتم الرفض والقبول . يحتم المواجهة والانكار . يحتم الانتماء . وكان ذلك صعبا فى مرحلة تحول فيها طه حسين والعقاد الى داعيتين سياسيتين ، ربطهما حزباهما ببرنامج محدد يكاد الخروج عنه أو تطويره يعد انتهاكا للطقوس السياسية المتوارثة منذ سعد زغلول ومحمد فريد ، فقد كانت النزعة الاصلاحية هى المطمح الاصلى والاساسى للناقدين وللحزبين .

ولم تكن أخطر المؤلفات التى أسهم بها العقاد فى علم النقد الادبى ، وهى كتابه عن (ابن الرومى) مؤلفا معتمدا على خلفية فلسفية ، ولم يكن منطلقا من مركز اكتملت له معرفة محددة واضحة للعالم ، ينظمها تقعيد نظرى أو مذهبى معين ، بل كان كتابا معتمدا على وجهة نظر كاتب رأى فى النصوص رأيا وجده أكثر الآراء صوابا فيما يعتقده هو من أمور .. وبهذا المستوى كان كتاب (ابن الرومى) حلقة أخرى فى السلسلة الطويلة التى بدأ بها النقد العربى حياته . والفضيلة الوحيدة التى تحسب فى صالحه ، هى الاسلوب النقدى الجديد ، والوسيلة العلمية والمنطقية التى استخدمها العقاد فى التوصل الى ما ظنه حقائق حياتية من صلب قصائد بكاملها أو بضع ابيات لابن الرومى » والحق ، ان العقاد لم يدع بغير ذلك ، فالعنوان الفرعى لكتابه هو (.. حياته من شعره) ، وعلى هذا فلا يمكن اعتبار كتابه (ابن الرومى) اضافة حقيقية للنقد الادبى ، وتعتبر محاولات العقاد الاخرى اما تعريفا بالادب والحياة من حوله ، كما فى [**ساعات بين الكتب**] وأما دراسة للشخصيات الاسلامية كما فى عبقرياته ، واما هندسة منطقية تحليلية كما فى دراساته للنصوص ».

أما طه حسين فيعتبر كتابه فى **(الشعر الجاهلى)** شاهدا على ما بلغه علم النقد الادبى من اعتماد كامل على ما يشعه النص من مفاهيم ، وعلى اعتماده على وجهة النظر . فالمنطلق الذى يكاد يحكم الكتاب من أوله لاخره هو الرغبة فى اثبات انتحال الشعر الجاهلى .. ورغم ضخامة الجهد ، ووزن الافكار والمنطق الممتاز الذى أخذ به البحث ، الا أن قيمة الكتاب كمجهود فى النقد الادبى تصبح تحت مختبر الشك ، فالكتاب يعتبر ككتاب العقاد ، اضافة جديدة ، بل وممتازة للسلسلة الطويلة التى يكاد **ابن قتيبة** يكون اماما لها . والفارق الوحيد بين الدراسات القديمة والجديدة فيما يتصل بالشعر العربى هى أن الدراسات القديمة كانت جمالية [بأوهى ما فى الكلمة من تحديد) ، وأن الدراسات الحديثة تنهج نهجا أقرب الى الاتصال بالحياة التى تدور حول

الشاعر ، وحول قصائده ، وبهذا تصبح أشد التصاقا بالمكونات الخلفية والقاعدية لهذا الفن •

وتعتبر مؤلفات الدكتور طه حسين الاخرى مزيجا من التعريفات بالادب الفرنسي واليوناني ، ومن الدراسة الاجتماعية والجمالية واللغوية والنفسية ، وهو أمر من الصعب أن يحدد بعده فلسفة أو اتجاها ، أو على الاقل تأثيرا تياريا معينا ، فالمنطلق الرائد يموت عندنا بموت منشئه ، والاتجاه الجديد يهوى اذا ما أفل نجم مبدعه •• أليس غريبا ألا تكون للعقاد أو لطه حسين مدرسة تترسم خطاهما العقائدية — لا سبيلهما ووسيلتهما في النقد — بحيث تصبح المدرسة امتدادا للافكار المحدثة التي توصل اليها الرائدان ؟ وتنتفي الغرابة اذا فهمنا السبب في ذلك • فالرائدان لم يقدما للاجيال التالية فلسفة نقدية متميزة تصلح منطلقا •

ولمحمد مندور محاولة جاهدة في تطوير النقد الادبي من الاعتماد على تفسير وشرح وتحليل النصوص ، الى ربطها بالظواهر الحياتية الاجتماعية ، وجذبها أكثر ناحية الواقع ، ثم الانطلاق من مركز يشبه أن يكون مركزا نظريا محددا • وبالنسبة لمندور ، فان هذه المحاولة التي لم يكتب لها النجاح الكامل ، كانت رائدة في حد ذاتها ، رغم اعتماده على اخلاط نظرية عديدة أمدت مفهومه النقدي بالسعة لا بالعمق •

ان اكتشاف الاداء المهموس في الشعر هو كاكتشاف الانتحال تعبير عن وجهة نظر ، وليس انشاء لفلسفة أول شروطها هو الانطلاق من الارض ، من الواقع الاجتماعي والطبقي ، وهو ما غاب عن المرحلة بأسرها •

على أن لويس عوض يعتبر بالنسبة للاجيال الحديثة أكثر الرواد المجددين قيمة وأهمية • وبالرغم من أن سلامة موسى يعتبر الرائد الحقيقي للنقد الاجتماعي ذي الهدف والخط الواضح ، الا ان لويس عوض لا يعتبر امتدادا أفقيا له ، بل هو بعبارة أصح أنكسار في الخط الافقي وتصعيد صاروخي له الى أعلى ، الى السمت ، فالمقدمة التي كتبها (لبروميثيوس طليقا) وكتابه في الادب الانجليزي الحديث ، اسهام على غاية من الاهمية في بناء النقد الادبي المرتكز على أسس واقعية وعلمية واجتماعية •• والغريب حقا أن تفاجأ الاجيال الحديثة بكتاب محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس • بعد صدور ترجمة شلي والادب الانجليزي الحديث بمدة كبيرة •• وكان الاحرى أن توقن هذه الاجيال بأن أعمال لويس عوض الرائدة ليست الا مقدمات لاسهامات تالية من طراز كتاب العالم وأنيس لابد أن تتبعها • ولكن الجيل لم يستطع أن يفيد من مقدمات لويس عوض بشكل جاد ، ففي نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات ، كان الجيل الذي نسميه الان حديثا ، مجرد طفل يافع تدفعه تطلعات شبه ذاتية في أوائل تكونها ، بعد أن خرج لتوه من ازمة حرب كبرى تخلخلت فيها القيم وتهاوت المؤسسات العقيدية ، وجمدت الافكار المذهبية المنادية بالثورية والانقلابية ، وتوقف امتداد الافكار ذات الصيغة العملية ، مفسحة الطريق لافكار أخرى تبدأ وتنتهي بالذات الانسانية • فقد كان العصر باحثا دؤوبا عن مخرج سلامي • عن صيغة استقرار وثبات تعكس خوف الفرد وقلقه واضطرابه •• وهكذا عادت أوربا الى فحص باسكال وكافكا وكيركيجورد •• وقد انتقلت هذه التيارات الذاتية كما تنتقل التيارات الينا عادة ، أي بالتعريف لا بالترجمة ••

ففي تلك الاثناء بدأت حملة مجلة الكاتب المصري التي أشرف عليها الدكتور طه حسين في تعريف الجيل الجديد المثقف بأدب عصري لم يكن على صلة به من قبل • وأطل فيها داروين وشو بأقلام شبلي شميل وسلامة موسى وغيرهما •• وكان على مجلة الكاتب المصري ان توجه جيلا بأكمله نحو التحدد والالتزام ، وأن تطلق طاقاته نحو أهداف مرسومة • وفي التعريفات التي قدمتها المجلة لفرانز كافكا ، وللادب الوجودي ، والتيارات الذاتية التي وضحت في نماذج القصة المترجمة (الجرح في البطن • أرض البشر • غانية اطلنطا • شبح كانترفيل ••) وسواها ، كان الخط الذاتي بارزا بشكل حاد ، واختفت أوكادت تلك التيارات الفكرية اليسارية التي تربط الفكر بالطبقة والوضع الاقتصادي والاجتماعي ، وهي تيارات تفتحت بعد الحرب فجأة بمدة طويلة ، أي بعد تفتح التيارات الذاتية • فنحن لا نكاد نجد في مجلة (الكاتب المصري) أو في منشوراتها الا قسما ضئيلا يسيرا يعنى بالفكر الواقعي أو الثوري ، ألا أن يكون ليبراليا أو اصلاحيا •

والحق ان من المدهش أن نجد في عام ١٩٤٧ استهلالا يبدأ بهذه الفقرة : « لا سبيل الى فهم المدارس المختلفة في الفكر والفن الا اذا درسنا الحالة الاقتصادية في المجتمع الذي أنجب هذه المدارس • ولا سبيل الى فهم المدرسة الرومانسية التي انتمى اليها شلي على وجه التخصيص الا اذا درسنا حالة انجلترا في عصر الانقلاب الصناعي (١) •• » والمدهش حقا أن هذه الفقرة

---

(١) شلي — بروميثيوس طليقا — ترجمة الدكتور لويس عوض .

كتبت اثناء الحكم الفاشي للسراى والاقطاع ، حيث كان من الصعب ربط النشاط الفكرى بحركة المجتمع ، فى فترة كان المفهوم المثالى فيها تفسيرا لكل النشاطات العقلية والفنية ، ونحن لا نعنى بذلك أن لويس عوض هو الرائد الذى أثر فى ثقل كفة المفهوم اليسارى فى النقد الادبى بشكل عام ، ولكننا نشير الى أن تطبيق هذا المفهوم على النقد الادبى كان من حظ لويس عوض وحده ، ومن سبقه كانوا نقادا اجتماعيين بالدرجة الاولى .

رغم ذلك لا نكاد نجد المفهوم النظرى أو الفلسفى المتكامل فيما كتب لويس عوض ، بل نجد فى نقده التطبيقى خروجا عما اختطه قبل ذلك من مفاهيم ، ويتضح ذلك أكثر فيما كتبه عن شعر بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور .

حضارتنا وفلسفة الجمال

لا سبيل اذن الى فحص عشرات المؤلفات النقدية الموضوعة بحثا عن مؤلف مذهبى أو فلسفى فى النقد الادبى ، اللهم الا (**المدخل فى النقد الادبى**) لغنيمى هلال ، و (**الاسس النفسية للابداع الفنى**) لمصطفى سويف . والحق ان كتاب **غنيمى هلال** ليس الا عرضا مبسطا غير معمق للافكار النقدية الاوروبية والعربية ، وكان توفيقا أن اسماه مؤلفه [**المدخل**] .. ونحن لا نجد فيه رأيا نقديا أو جماليا أو فلسفيا ، انما هو عرض متسارع لا قيمة له لدى المثقف واسع الثقافة .

أما كتاب **مصطفى سويف** ، فهو أهم ما قدم الى حياتنا النقدية الحديثة من مؤلفات نظرية على الاطلاق . انه كتاب فريد فى تاريخنا النقدى ، لست أدرى كيف لم يؤثر تأثيرا خطيرا فيما تبعه من مؤلفات نقدية ، ويبدو أن نطاق من أفادوا به كان ضيقا ومحصورا ، فهو كتاب متخصص شديد العسر ، حاول سويف فيه أن يقيم نظرية فلسفية تامة تفسر الابداع الشعرى من وجهة نظر علوم النفس . والدراسة على غاية من الاهمية لعامل وحيد أساسى هو اعتماد المؤلف على دراسة ظاهرة الابداع ، على أنها نشاط اجتماعى ، رغم الركام الهائل من التفصيلات التى تكاد تغرق فى التجريد أو على الاقل تغرق فى أعماق استطيقية بحتة ، فميدان البحث بالنسبة للدراسات الحديثة فى الجمال هو : « .. الا يقتصر الاستطيقا على مبحث التذوق وحده ، فيضم اليه مبحث الابداع الفنى أيضا . ينظر فى طبيعة الدافع الفنى وفى أصله ووظيفته وفى الخيال وعلاقته باخراج الفكرة الى حيز الوجود خارج الذات ، هذا الى جانب النظر فى الصورة والمضمون ، وفى طبيعة الحكم الاستطيقى ومقولات الجمال ، وأصل الشعور الاستطيقى وطبيعته وعلاقته بالخيال والاحساس وتداعى الصور أو المعانى والاسس والشروط الفسيولوجية للنشوة الاستطيقية بما فى ذلك علاقة المنبه بالاستجابة والنسب الرياضية للانغام المتناسقة » [٢] ولا شك أن هذا المنطلق كان يمكن أن يجرف الدراسة نحو شطآن ميتافيزيقية أو جمالية خالصة لا صلة لها بوضع الانسان ، شاعرا كان أو متذوقا فى مجتمع ذى وضع طبقى معين ، ولكن الكاتب استطاع أن يتخطى هذه الحدود المغلقة ، وأن يضع فى الاعتبار معالجة الابداع على أنه نشاط يصدر عن مجتمع . ولكن مصطفى سويف لا يحدد بالضبط ما يقصد اليه حين يسند الابداع الى المجتمع ، فهو يقول : « .. بحيث ان تذوق (الاخر) للقصيدة يقوم كجـزء من هـذا الفعل ويحدد نهايته ، ومن هنا **كان فعل الابداع اجتماعيا** » [٣] .

والحق ، لا يستطيع دارس مهما كانت أصوله النظرية أقرب الى التكوين المثـالى ، ان ينكر الاساس الاجتماعى للفنان كظاهرة تحدث داخل مجتمع معين ، فالمفكرون المحدثون على الاقل مثاليين كانوا أو واقعيين ، ينطلقون من هذا المفهوم الذى لا ينكر تأثير المجتمع على الافراد أسوياء كانوا أو شواذا .. بيد أن هناك فارقا خطيرا بين الاعتراف بتأثير المجتمع — وهو اعتراف شبه عام — وبين دراسة الفنان كتعبير عن ظاهرة طبقية .

رغم ذلك فهذا المؤلف الجليل ، هو نسيج وحده فيما قدم من اسهامات نظرية لتحليل وتفسير ظاهرة الابداع الشعرى ، وهو أشد المحاولات جهـدا واخلاصا وقيمة واستعانة بالنتائج العلمية . وهو يعتبر من وجهة نظرنا أول وأهم دراسة نقدية جمالية فى تاريخنا الحديث .

النقد والابداع : دورة جدلية

غياب المؤلفات النظرية او الفلسفية فى النقد الادبى يعنى قيام النقد على اسس تذوقية وغير علمية .. أما استمرار هذا الغياب فهو المأساة الحقيقية المحيقة بفكرنا العربى الذى تقفز الابداع فيه لمجاراة آخر المستحدثات العربية فى القصة والشعر والرواية والمسرحية ، دون ان يتـوقف

---

(٢) ص ٢٣ — د . مصطفى سويف — الاسس النفسية للابداع الفنى (فى الشعر خاصة) دار المعارف ١٩٥٩ .
(٣) ص ١٤٦ نفس المرجع السابق

للاستزادة من الاصول الكلاسيكية لهذه الفنون جميعا ، بينما ظل النقد ــ المفروض ان يكون محكا للتجديد العقلى ــ متخلفا عن الابداع مسافة زمنية طويلة .

لقد كانت الحضارة العربية فى الدولة العباسية حضارة عقلية وعلمية ، وكان من الممكن لهذه الحضارة ان تؤثر تأثيرا دامغا على كافة الاشكال والنشاطات العقلية فى المجتمع ، بما فى ذلك الفلسفة والنقد الادبى ، بالشكل الذى يحدد لها منطلقات علمية بحتة لاتخرج عنها الى المنطلق التذوقى والاحساسى والانفعالى ، ولكن الذى حدث بالضبط هو استعانة الدولة بهوامش الحضارة الاوروبية وهوامش العلوم ، وأحيانا نتائجها فحسب . وما اعنيه هنا هو ذلك الفقر التخطيطى الذى دفع الدولة العربية الى الاخذ بالمنجزات دون البحث فى الاصول .

لقد كان حريا بالذهن الذى ترجم الفكر اليونانى ان ينطلق منه نحو ابتكارات ذاتية ، اى ان تكون ترجمة الفكر اليونانى شرارة انطلاق بالنسبة للذهن العربى ، ولكن العرب آثروا أن يحولوا ارسطاطاليس الى مبشر اسلامى ، كما حاولت العصور الوسطى المسيحية تنصيره .. لذلك كانت الردة قريبة جدا ، فبعد مئات قليلة من السنوات ، تهاوت الحضارة العربية وتقوضت ، بحيث لما اراد العرب مرة أخرى ، وفى العصور الحديثة ان يعتمدوا على التطور العلمى ، لم يجدوا أرضية يبدأون من فوقها ، ولم يجدوا مبادىء علمية موروثة تحقق لهم الانطلاق المأمول ، وكان عليهم أن يبدأوا مرة اخرى من الصفر المطلق .

ينطبق ذلك على اشكال الفكر المختلفة ، فبالنسبة للنقد الادبى ، ظلت الافكار الارسطية سائدة كما هى ، جنبا الى جنب النقد التقليدى الموروث ، رغم ما بينهما من تناقض تام فى المقدمات والاصول والنتائج . وبعد قرون عدة تسنى لنا أن نتحقق من مدى القوة والسيادة التى فى يد النقد التقليدى الموروث ، ومدى ضعف نتائج الفكر اليونانى وتهوشها فى هذا الميدان على الاقل .

ان النقد الادبى علم بالدرجة الاولى ، ولا ينبىء تخلفه الشديد الا عن شدة فى التخلف الحضارى ، ونحن نلاحظ بشكل عام ان فلسفات النقد تزدهر وحسب فى الدول الارقى علميا ، وتنحط فى الدول المتخلفة .. بل واكثر من ذلك ، يصعب علينا ان نستدل على امة متخلفة فى التاريخ ، استطاعت ان تقدم شيئا قيما يختص بالفلسفة أو العلوم العقلية الاخرى ، الا أن تكون أمة سبق أن دارت فى مركز الحضارة فترة من التاريخ .

لابد اذن ان نقر بان تخلف النقد الادبى ليس الا نتيجة مباشرة للتخلف الحضارى الذى نعيشه ، او بكلمة اكثر دقة ، ليس الاملمحا من ملامح هذا التخلف الحضارى ، وجزءا منه ، افيعنى ذلك ان علينا ان نصبر حتى نأخذ كلية بالاسلوب العلمى فى حياتنا ، حتى يؤذن لنا أن نحقق نقدا أدبيا علميا ؟

ذلك لا يقول به أحد ، ويكفى ان تطرح القضية بشكل واقعى وعلمى ، ليمكن القول بأن نتيجة كبيرة قد تحققت .

وفى فترة المخاض التى سبقت الثورة ثم تلتها عن قرب ، حيث ماجت الافكار التقدمية وتصارعت مع الافكار المتخلفة او التقليدية ، برز جيل جديد من النقاد الشبان الذين جاءوا بعد طه حسين والعقاد ومندور ، اتجه بكليته الى تفسير ظاهرة الفن والادب تفسيرا اجتماعيا ، رغم ما كان فى المحاولات من بكارة او غموض ، ورغم ان بعضها قد بتر قبل ان يتسنى له ان يحدث تيارا موصولا . فالكتاب الذى وضعه محمود امين العالم وعبد العظيم انيس ، باسم (فى الثقافة المصرية) كان يمكن ان يصبح نقطة ارتكاز لمؤلفات اخرى يكتبها الكاتبان ، ويصدران فيها عن نفس الموقف النظرى ، وعندئذ فقط كان يمكن القول بان فلسفة نقدية متميزة قد امكن لها ان تولد فى مصر ، رغم ان الركيزة النظرية لهذا المؤلف القيم مجلوبة من الخارج .

والجديد فى هذا الكتاب ، هو انه استطاع فى ظروف سيئة ان يلمس جوانب فكرية ماكان يمكن لمسها الا بدقة الكاتبين وقدرتهما الممتازة على التحليل والتوصل الى النتائج . ولم تكن القضية الاساسية هى قضية الشكل والمضمون او الوحدة العضوية للقصيدة أو ما سواها من قضايا ، فقد سبق للعقاد وطه حسين ان تكلما عن ذلك ، بقدر ماكانت هى التقدم الى العصر بمفهوم نقدى علمى يعتمد على رؤية موضوعية نفاذة ، ويعتمد على منجزات العقل والتحضر ، وهى كما لاحظنا جزء حيوى واساسى فى بناء النقد الادبى الحديث . فالمفهوم الجديد الذى استهدفه الكتاب كان معالجة النصوص على أنها نشاط انسانى اجتماعى ، وليس نشاطا ذهنيا مجردا . ولاول مرة امكن لكتاب فى النقد الادبى الحديث ان يحدد مفهوما صحيحا للجديد والقديم ، للمتطور والمتفسخ ، للابيض والاسود . وكان يمكن لهذا التحديد الصارم أن يصبح ركيزة انطلاق ، بل أن يصبح محتوى انطلاق وتخطيا ، لو تسنى للكاتبين وحسب ، الاستمرار والدأب ، ثم معالجة النصوص وتحليلها . غير انهما آثرا ترك ذلك للاجيال التالية الاكثر صلابة ، والاكثر تفتحا ، والاكثر أملا .

الجيل الجديد .. والازمة

أما (**فى ازمة الثقافة المصرية**) وهو الكتاب الذى اسهم به رجاء النقاش فى النقد الادبى ، فهو احد اهم المؤلفات التى صدرت فى هذه الفترة . وتنبع اهمية الكتاب من الخط الواضح الذى اخذ به رجاء النقاش رؤيته للفكر والادب ، هذه الرؤية المرتبطة بالارض والمجتمع ، بحيث يمكن القول بأنها رؤية مجتمعية تدرك أن النشاط العقلى جزء مركب من العلاقات الانسانية داخل حيز مكانى محدود . ورجاء لا يلتفت مطلقا الى الجذور والينابيع الدينية والاسطورية والنفسية والميتافيزيقية والجمالية للفن ، وخاصة فن الشعر .. ويبدو ان ذلك هو السبب فى قصور نظرته عندما يتطرق الى تحليل القصائد الشعرية تحليلا جماليا .

والكتاب تحديد لوضع نقدى اجتماعى ، فى وقت كان النقاد الشبان مشغولين فيه باطلاق نعوت وتعبيرات مجردة ، بل كان التيار النقدى العام مفتونا بخلق استطرادات وهوامش ابداعية متسلقة على الاعمال الادبية المنقودة ، مما يسهل على الدارس تقييم كتاب رجاء على اعتبار أنه جزء مهم من حركة التطور النقدى الحديث .

رغم ذلك ، لم يستطع رجاء ان يرسى اساسا نظريا فى النقد الادبى ، رغم المعالجة الاجتماعية المستمرة للنصوص ، ورغم الدراسات التى قصد بها اصلا ربط النشاط الفكرى بالتطور الاقتصادى وبالوضع الطبقى فى المجتمع ، فبعض القضايا التى عالجها المؤلف كانت وقتية ، ومن بينها دراسته عن مؤسسة فرانكلين ، ودراسته عن الازهر والثقافة الجديدة ، وعن قضية السودان والفكر السياسى ، وعن (اخبار اليوم) . ونحن نحس اثناء متابعتنا لهذه القضايا بالفكر السياسى والاجتماعى الذى سبق لسلامة موسى ان كان رائده ، ولكننا لانحس فيها بالناقد الادبى المتخصص .

نلتقى بعد ذلك بالمحاولات الجادة التى اراد بها **غالى شكرى** ان يحدد مفهوما اكثر تطورا لظاهرة الادب والفن بصفتهما نشاطا اجتماعيا . والحق اننا لا نجد مفهوما أكثر تطورا لظاهرة الادب والفن بصفتهما نشاطا اجتماعيا . والحق اننا لانجد القاعدة الفلسفية فى النقد الادبى عند غالى الا فى بضع مقالات متفرقة . أما كتابه عن **(الجنس ..)** فقد كان اسهاما حقيقيا لفهمه تجمد الانثى وتخلفها كظاهرة اجتماعية . وقد افاد غالى شكرى من النقص المذهبى والفلسفى الذى طبع كتابات قاسم امين بطابع مميز . وتدارك ذلك بأن شيد مفهومه على أرضية علمية أكثر صلابة ، واستخدم مفاتيح تقدمية فى التحليل والتوصل الى النتائج .

وتعتبر محاولاته الاخرى مثل كتابه عن **سلامة موسى والشعر الحديث** ومجموعاته النقدية ، حصيلة موقف يكاد يكون مذهبيا ، لولا الغموض والثقافة الفلسفية الضئيلة . غير ان ما اخذناه على رجاء النقاش يمكن ان نأخذه على غالى شكرى وبقية النقاد الشبان ، وهو نقص الاداة الفلسفية ، وعدم قيام مفهومهم على ادراك للعلاقات المركبة فى العالم .

رغم ذلك فان ماحققه غالى بالنسبة للنقد الادبى يعتبر اسهاما ممتازا لاشك فيه ، ويحضرنى هنا ان اشير الى مقاله (الواقعية الاشتراكية فى النقد العربى الحديث) (٤) فهو محاولة جادة ومخلصة لطرح بعض القضايا التى اهتدى اليها المؤلف من واقع هذا النقص الخطير للفكر الفلسفى فى حياتنا النقدية . ولست أشك أن هذا الكتاب هو أهم الكتب التى ألفها غالى شكرى ، رغم أنه مجموعة من المقالات التى سبق له نشرها فى الجرائد والمجلات الادبية .

ان كتابيه عن سلامة موسى ونجيب محفوظ سيظلان الى فترة بعيدة نموذجا يحتذى فى دراسة النصوص الادبية دراسة اجتماعية تعتمد على الاصول العلمية والواقعية . ولاشك ان السبب فى عثور الدارس على بعض الانحرافات والاخطاء والتناقضات والارتباكات الفكرية فى هذين الكتابين ، مرده الى عوج فى صميم البناء الفلسفى كما هو الحال بالنسبة لمعظم النقاد الشبان .

لم تستطع الحركة النقدية اذن ان تضع لها خطا فلسفيا موازيا لتطورها واستعانتها بالعلوم العصرية ، ولم تستطع أن تنشىء لها اطارا مذهبيا محددا لسبب واضح ، هو انها لم ترتكز على اصول محلية ، بل هى كما قلنا اخلاط جلبها النقاد المحدثون كيفما اتفق من أوروبا ، فبينما عكف العقاد على نقل الاصول النقدية الانجليزية ، عكف

(٤) ص ١٢٩ (ثورة الفكر فى ادبنا الحديث) غالى شكرى (مكتبة الانجلو المصرية) عام ١٩٦٥ .

طه حسين ومندور على استنزاف النقد الفرنسي الحديث ونقله أو نقل نتائجه الى العربية .

وصعب بالطبع انطلب من النقد المنقول المترجم ان ينشيء له فلسفة خاصة به بعيدا عن التاثرات التى جلبها معه من أوروبا ، وكما قلنا ، فالقضية الاساسية كانت الاستعانة بالشرائح النقدية الادبية المنبثقة عن الموقف الفلسفى او المذهبى .

حاجتنا الى فلسفة للجمال

يبدأ علم الجمال من حيث تنتهى اصول الفلسفات النقدية ، انه ، رغم انه مبحث فى العلاقات والقيم ، كالنقد الادبى سواء بسواء ، الا انه يمتاز عن النقد بانه يبحث ايضا فى اصول هذه العلاقات والقيم وارتباطاتها لدى المبدع والمتلقى على السواء . ان البحث فى مبدأ اللذة او الحسن او المسوغ الفنية ، والبحث فى التعبير والزخرف العرضى ، والاشكال الجمالية البحتة .. الخ هو صميم علم الجمال . ولكن .. لابد ان يستند هذا المبحث — الذى يبدو مجردا تماما — على أصول فلسفية واضحة . فنقص الدعم الفلسفى للنقد الادبى ادى الى غياب فلسفة الجمال .

ولابد أن نشير الى أن قصر عمر النقد العلمى فى مصر بالقياس الى المدة الزمنية الطويلة التى ساد فيها النقد التذوقى ، لم يساعد على تنمية حس بالجمال بين أوساط المشتغلين بالنقد الادبى . ونقول (حسا بالجمال) على اعتبار انه الخطوة الاولى نحو ادراك علمى للجمال .

ولكن .. الم تكن الالفاظ والجمل والتعابير المختارة والهياكل والمطالع ، موضوعات تدارسها النقاد العرب من القدامى ووضعوا لها الاصول والاسس ؟ افلا يعتبر ذلك علما قديما للجمال ، كما تعتبر تقنينات أرسطو لفن الشعر مثلا ؟ الاتعين هذه المشارب والاذواق والاهواء والميول ، درجات علم محدد يمكن الاستدلال عليه ؟

لقد كان ادراك الجمال قديما ، هو ادراك الصلة بين (هذا) المعنى ومايشبهه من المعانى التى سبقته . اى لقد كان تذوق الجمال مشروطا بان يكون الجميل مشابها او على الاقل قريبا من الجميل الجاهلى الذى سلكه النقاد طريقا مأمونا سليما للشعراء من قبل ومن بعد . وكان على الشعراء ان ينطلقوا — بعد غياب النمط الجاهلى بمدة كبيرة — من نفس الاسس والاصول بحثا وراء الكمال والخلود ورضى النقاد . وهكذا تحول (علم) الجمال العربى القديم الى دوجماطيقية جامدة .. فنحن لانجد تفسيرا للنشاط الفنى ، ولا نجد تحليلا كافيا ، أو حتى ناقصا للرؤى الشعرية .. بل نجد — وباستمرار — حرصا على التقاط بعض الخيوط التى تسند وجهة نظر الناقد من المضمون الشعرى المنقود ، ونجد ابرازا للعوامل الشكلية التى تجعل من هذا العمل ابداعا طيبا او رديئا بالمقياس الذوقى الذاتى ، وهو مقياس كما رأينا لايكاد يخرج عن ذوق القدامى .

وعندما تحول الشعر العربى عن انماطه وغاياته القديمة ، وبدأ يرتبط بالارض والنـاس ، كان المظنون ان تواكب هذه الحركة فلسفة تأخذ بيد التيار وتصوبه وتوجهه ، أو على الاقل تدفع عنه اذى أولئك الذين أرادوا شكلا كلاسيكيا لمحتوى كلاسيكى . ولكن الذى حدث كان عجبا ، فقد كان النقد الادبى المصاحب لهذه الحركة التقدمية فى الشعر ، نقدا رجعيا بليدا ، صوب سهاما من نار الى الحركة ، وكاد يقضى عليها ، لولا انها كانت تعبيرا عن حركة تطور خطيرة حدثت فى الوطن جميعا .

والغريب ان الذين تصدى للدفاع عن هذه الحركة الشعرية الجديدة ليسوا الا نقادا ما زالوا فوق عتبة المدخل النقدى .. اما الكبار الذين نادوا قبل ذلك بالتجديد فقد صمتوا عن الحركة او رفضوها ، اذ لم يكن طلبهم بالتجديد نابعا من الارض بقدر ماكان بتأثير هجرتهم الى الغرب .

ان علم الجمال الغربى ، فلسفة غربية مرتبطة بفكر معين انبثق عن علاقات معينة فى مجتمع معين ، وهو فى ذلك كالنقد الادبى سواء بسواء .

وانتقال هذا العلم الينا مترجما سيخلق هوة واسعة بين نقد جمالى شديد التطور ، وابداع مازالت حظوظه فى التطور موقوته بمبـادرات المدارس الغربية . ولاشك اننا كنا سنقع فى نفس خطأ القدامى عندما اكبوا على ترجمة الفكر اليونانى ووقعـوا على كتـاب (الشـعر) لارسطاطاليس ، ثم لم يبذلوا الجهد للتخطيط بدءا به .. بل ظلوا يمارسون الفهم التقليدى للشعر باستمرار .. ولابد ان نطرح عن بالنا فكرة ان الذهن العربى لم يستطع ان يحيط بذهن ارسطا الفلسفى ، فذلك غير صحيح لسبب واضح ، فالشروحات والتهميشات والتحليلات الموضوعة عن مؤلفات اشد صعوبة من مؤلف ارسطا عن الشعر تنفى هذه التهمة التى وجهها نقاد عرب ومستشرقون اوروبيون الى الذهن العربى .

ويبدو أن العصر والتطور الاجتماعي ، لم يكونا بحاجة الى علم جمال ارسطا فى الشعر خاصة . ففى الفترة التى نقلت فيها اعمال هذا الفيلسوف ، كانت الامبراطورية العربية فى اقصى شدتها .. امتدت رقعة الارض ، ودرت المستعمرات خيرا عظيما على الوطن الام ، واتسعت التجارة بين الدولة والممالك المجاورة والبعيدة ، ونمت طبقة تجارية عظيمة فى داخل الامبراطورية ، خالقة مجالا ضخما لنمو فكرى مصاحب ، اذ لاشك ان زيادة حجم الطبقة البورجوازية،وسعة مجالاتها، ونموها الاقتصادى وازدهاره ، يسهم بشكل غير مباشر فى تحول فكرى ضخم ، ويسهم ايضا فى ارساء اسس ثقافية معينة . اى ان الاستقرار الاقتصادى يؤدى بالتبعية الى استقرار فكرى .

ولو نقلنا علم الجمال عن الغرب الان ، ما احدثنا جديدا ، بل ستكون سلبيته موازية لسلبية النقد الادبى الذى انتقل الينا دون فلسفته . فالعصر الذى يمر العرب به مماثل الى حد ما لعصور الانطلاق القديمة ، اذ ان الاخذ بالعلوم ، واطراح التفكير الغيبى والميتافيزيقى ، والالتجاء الى التخطيط الثقافى ، وتمو التيارات اليسارية فى الفكر .. كل ذلك ينبىء عن رغبة عميقة بقلقلة التقاليد عن مركزها العظيم الذى تبوآته قبل ذلك خطأ . والحق أن دراسة علم النقد العربى التقليدى واجبة واساسية فى مثل هذه الظروف التى نمر بها الان ، اذ أن أى تحديد جديد لا ينطلق من القديم، خطأ ولا معنى له .. غير اننا سوف نصطدم لا محالة بغياب نقد ادبى تقليدى خاص بالرواية والمسرح والقصة والفنون البلاستيكية ، مما لم يعرفه العرب . ولكن المرحلة الفكرية التى مضت، استطاعت عن طريق النقد التذوقى وعن طريق النتف النقدية المترجمة أن ترسى أصولا — مهما كانت واهية — نقدية على هذه الفنون الجديدة . ولا شك أن هذه التحليلات الممتازة عن الرواية والقصة التى نطالعها بأقلام النقاد الجدد ، ماكان لها أن توجد الا فى ظل خلفية تذوقية ، أو انفعالية سابقة ، وهو مانقصد اليه بالنسبة لعلم الجمال .

فكما قلنا ، لن تتحدد فلسفة لهذا العلم قبل ان تتحدد فلسفات للنقد الادبى، وما دام النقد مازال حتى الان اخلاطا دون ما تعقيد فلسفى ، فعلينا اذن ان نعتمد على اذواقنا لنحت طرق ودروب ومسالك غشيمة وأولية فى النقد الجمالى . ويجدر بنا ان نلاحظ ان النقاد الذين استندوا الى ارضية عريضة من النقد العربى التقليدى ، استمروا يعطون وينتجون لفترة أطول بكثير مما أنتج وينتج النقاد المفتقرون الى مثل تلك الارضية ، أو الذين آثروا رفض النقد العربى التقليدى ، والاتجاه كلية الى الغرب .. ومما يدعو الى التأمل حقا ، هو ان الرواد (طه حسين ، العقاد ، المازنى ، مندور) كانوا يحسنون المعرفة بالنقد العربى القديم، ولم يكونوا يجهلونه ، حتى عندما آثروا الانكباب تماما على الادب والنقد الاوروبى .

فلسفة لا فلاسفة

وعلم لا تعالم

سؤالان يتبادران الى الذهن بصدد قضية الحاجة الى فلسفة نقدية وجمالية ، اولهما : هل يعنى ذلك الحاجة الى فلاسفة ؟ وثانيهما ، هل النقص الفلسفى جزء من التخلف يمكن الاحتجاج به ، والعمل بعد ذلك على ملء نقوصه ؟ . بالنسبة للسؤال الاول فان الاجابة هى (لا) بالتأكيد ، ففى ذلك من التعسف مافيه . ومستحيل ان نحول مسارا نقديا الى مسار فلسفى ، لا لشيء الا لاننا نريده هكذا . والحق ان بناء الناقد العربى الحديث بناء غير فلسفى ، اى انه بناء فنى اذا احسنا التعبير ، وفى مثل هذه الظروف لاتتسنى اعادة الخلق ، بل لربما ادى ذلك الى التجميد او الى البتر .

من جهة اخرى لايدعو وجود الفلاسفة بالضرورة الى وجود الفلسفات ، ففى كثير من البلاد — ونحن منها — فلاسفة لايصنعون شيئا الا ان يكونوا دارسين وشراحا للفلسفة ، لا ينشئون فيها ولا يضيفون شيئا ذا خطر .

وبالنسبة للسؤال الثانى ، لا بد من وقفة للمقارنة . فعصور الازدهار الحضارى القديمة هى بالتأكيد عصور ازدهار عقلية وفلسفية،ويكفينا أن ندلل على نمو التيارات العقلية فى اليونان — الصين — الامبراطورية العربية القديمة ، وهى المحاور الثلاثة التى خدمت الحضارة فى العصور القديمة . ويكفينا ان نشير بالنسبة للعصور الحديثة الى الفلسفة الاوروبية التى ارتبطت بنمو العقل الغربى ونمو مسالكه العلمية الجديدة . وبالعكس ، علينا ان نتجه ببصرنا الى افريقيا السوداء ، او ان ننقب فحصا فى سجلاتها عن فيلسوف واحد .. ولكن ذلك عبث بالطبع ولا طائل وراءه .. فالفلسفة بالفعل جزء من التطور والنمو الحضارى .

على ان هناك ملاحظة لابد من ذكرها . فالفلسفة لا تستطيع أن تحيا فى مناخ يضطرها الى ان تكون

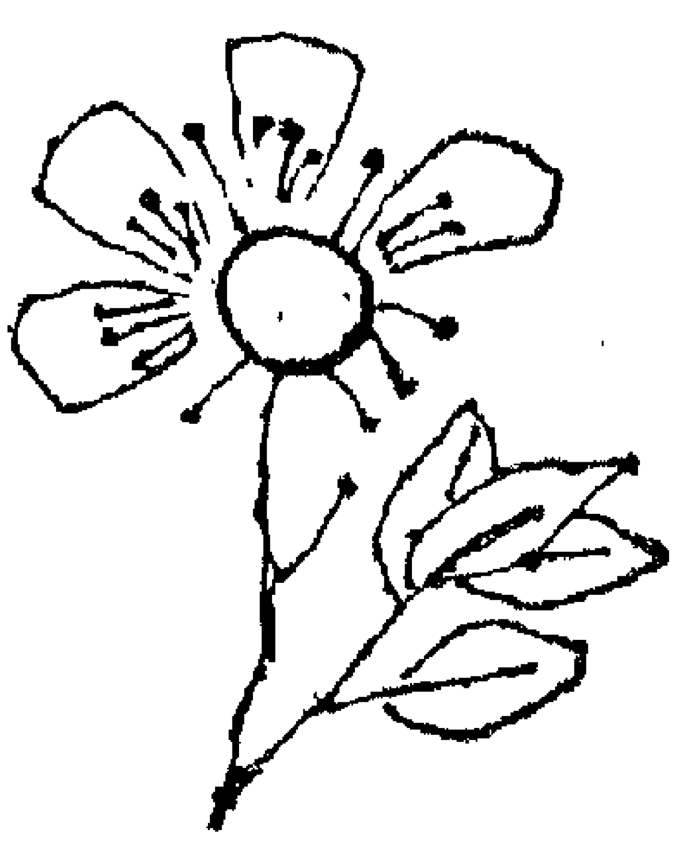
ثانوية ، فالسيطرة الدينية الخطيرة على الفلسفة مثلا ، من شأنها ان تقضى على الفلسفة ، وكذلك سيطرة العلوم الفيزيقية ـ رغم أنها كانت جزءا منها فى القديم ـ ففى العصور الوسطى المسيحية تم القضاء على الفلسفة كوسيلة فى التفكير الحر ، وتحولت الى ضرب من الفلسفة المتدينة التى تجرم كافة اشكال الفكر الاخرى ، ويتم الان فى بعض معاهد بعض الدول الكبرى ، استبعاد الفلسفات اليسارية المتطرفة باسم العلم ، وباسم الحصانة القومية .. او على الاقل يتم ابراز هذه الفلسفات مع التأكيد على ابراز التعليقات المسيئة والناقدة .

وقد نمت الان مئات الفروع من العلوم الفيزيقية واصبحت تنافس الفلسفة ، بل ونجحت فى ان تحولها الى مجـرد (تابو . .) ، فالتخصص الدقيق ، قد ادى الى البحث فى المطلق الاصغر ، لا المطلق الاعظم ، وهو غاية الفلسفة ..

هناك اذن مايشبه الاستغناء عن الفلسفة بين الدول الاوروبية المتطورة ، واستبدالها بالتخصص العلمى الدقيق العميق ، وليست هناك فلسفة حديثة تستطيع ان تدعى كما كانت تدعى الفلسفات القديمة بالاحاطة بالكون كله ، ميتافيزيقاه ، وفيزيقاه .

واذن ، يمكن تعديل صيغة السؤال السابق ، بهل يمكن البحث عن فلسفة جمالية ؟ ففى غياب فكر فلسفى تقليدى ، يصعب انشاء فلسفات جديدة ، الا بعد استقرار حضارى مؤكد .

لابد اذن من عملية استيراد تشبه عمليات الاستيراد التى تمت فى الماضى ، ولكن ، لابد من الحذر . فالدولة التى تتجه بفكرها الاقتصادى الى اليسار الاشتراكى ، ليست بحاجة الى ترجمة فلسفات يمينية أو مسيحية ، أو نقل اخلاط براجماطيقية أو وجودية . فانتقال السلطة من يد الطبقات الممتازة العليا ووضعها فى يد الطبقات المظلومة الدنيا ، يحتم وضع الاصول الفكرية الجمالية لهذه الطبقات موضع الاعتبار عند استيراد فكر فلسفى غربى . واذا لم يتم تزاوج مابين حركة المجتمع ، وحركة الافكار المنقولة ، كان فى ذلك الجناية الكبرى على الفكر والفلسفة جميعا .



السودان
من داخل
السودان



قام بالتحقيق : عبد المنعم الغزالى

تؤمن « الطليعة » أن من واجبها أمام الاحداث الخطيرة والتى يتجاوز آثارها حدود الساعة أو البلد الذى وقعت به لتتصل بحركة الحياة فى العالم ، أن تقدم عنها خدمة مكثفة وموضوعية خاصة .

وفى هذا الاطار أوفدت « الطليعة » عبدالمنعم الغزالى عضو أسرة تحريرها الى « السودان » اثر تفجر ثورتها التقدمية فى ٢٥ مايو الماضى . وخلال شهر كامل ، قام عبد المنعم الغزالى ، برحلة دراسية على الطبيعة فى موقع الثورة . وأتيح له أن يعقد العديد من اللقاءات والمناقشات مع قادة الثورة والمناضلين المسئولين والسياسيين والنقابيين والمثقفين من مختلف الاتجاهات . وأن يصغى الى كلمات وآراء رجل الشارع ، سواء فى شمال السودان أو جنوبه .

وتقدم « الطليعة » بايجاز — فى هذا العدد التحقيق الشامل الذى عاد به «عبدالمنعم الغزالى» من السودان ، مثلما قدمت فى عدد ديسمبر ١٩٦٨ التحقيق الذى عاد به من تشيكوسلوفاكيا « محمد سيد احمد » اثر الازمة .



- السودان من الاستعمار حتى الاستقلال
- الخريطة الاجتماعية للسودان
- الأوضاع الاقتصادية والطبقية بالسودان
- الأحزاب السياسية قبل ٢٥ مايو
- الاستقلال ومراحل الثورة الثلاث
- حركة الضباط والجنود وثورة مايو
- آفاق المستقبل

تحقيق سياسي من موقع الثورة

السودان من الاستعمار حتى الاستقلال

١

المعلومات

التى تقدمها كتب التاريخ عن السودان قبل عام ١٨٢١ — تاريخ غزو محمد على له — قليلة جدا .. وبرغم ذلك ، فاننا نعتقد بأهمية أن نرصد هنا — فى عجالة — أهم ملامح تطور هذا التاريخ القديم .

يبدو أن المنطقة المحيطة بما تعرف الان بمدينة الخرطوم ، كان يسكنها منذ ٦ أو ٧ آلاف سنة ، الزنوج الذين عاشوا على الصيد وجمع الثمار . وقد اهتم قدماء المصريين بالسودان ، كانعكاس لاهتمامهم بالزراعة فى مصر ، حيث ان السيطرة على منابع النيل ومياهه — اساس الزراعة — كانت قضية حيوية . فغزت الاسرة الاولى منطقة حلفا (٣ آلاف سنة ق . م) ووصلت الاسرة ١٢ (٢٠٠٠ ق.م) بالحدود الى سمنة . وما لبث المصريون أن فقدوا معظم هذه الاراضى ، أمام غزو الهكسوس (١٦٠٠ ق . م) . وسرعان مااهتمت الاسرة ١٨ بالسودان ، واستعادت هذه الاراضى حتى الشلال الرابع . وحتى حكم الاسرة ٢٥ ، ظل العراك — لقرون — ينشب دائما مع أمراء كوش الذين حكموا السودان حتى غزو الاغريق ثم الرومان لمصر . وكان على من يغزو مصر ، أن يسعى للسيطرة على السودان ضمانا لبقائه .

ثم تعاقبت المسيحية والاسلام [٦٣٠ ميلادية] حيث أرسل **عمرو بن العاص** ، **عبد الله بن سعد** فى ٦٤١ لفتح النوبة .. حتى وصل دنقلة فى ٦٤٣ وقامت علاقات وطيدة بين العرب وقبائل **البجة** . وبشكل عام كان للاسلام تأثير كبير فى شمال السودان ، أما جنوبه فلم يكن كذلك .

وفى ١٥٠٤ أقام الفونج مملكة لهم فى **سنار** عند النيل الازرق كما أقاموا علاقات طيبة بالعرب وتحالفوا معهم ضد مملكة سوبا . وبرغم أن أصل **الفونج** غير معروف ، الا أنه يمكن أن يقال أنهم ليسوا من أصول شمالية .

مصر الحديثة تظهر فى الصورة

بعد انسحاب نابليون من مصر — وتدخل تركيا وبريطانيا — عين محمد على «باشا مصر» عام ١٨٠٥ · وسعى محمد على الى مطاردة المماليك الذين فروا حتى دنقلة . فى ذلك الوقت كان محمد على قد أدخل الزراعة الحديثة فى مصر — وبخاصة زراعة القطن — وكان يستهدف التحكم فى منابع النيل التى كانت تتحكم بدورها فى نجاح أو فشل بنائه الاقتصادى · فوجه حملتين فى ١٨٢٠ ، احداهما بقيادة **اسماعيل** ضد مملكة الفونج ، والثانية بقيادة **الدفتردار** ضد مملكة كردفان · وبالاضافة الى ذلك كان محمد على يسعى الى استحضار سكان السودان ليكون جيشا يحقق به أطماعه التوسعية ، وضمانا لحكمه حرص على أن تكون ركيزة هذا الجيش من غير أبناء مصر خوفا من أن ينقلبوا ضده ، كما أن رائحة « الذهب » كانت تملأ أنف حملاته الزاحفة نحو السودان ·

وبعد حكم محمد على وحتى عام ١٨٨١ ، استعان حكام مصر من أسرة محمد على ، بالاجانب على رأس حملاتهم العسكرية فى السودان ، مما يعكس مدى نفوذ الغرب فى مصر فى ذلك الوقت · فاستعان اسماعيل بالسير **صمويل بيكر** الذى تمكن من احكام السيطرة على السودان بل ونجح فى اقامة علاقات ودية مع حكام أوغندا حيث منابع النيل · وفى ١٨٧٤ برز دور الكولونيل **تشارلس جوردون** الذى خلف السير بيكر كحاكم عام — من قبل خديوى مصر — للمناطق الاستوائية · كما استعان **بروموولوجيسى** الايطالى المعروف لمواجهة التمرد الذى جرى فى بحر الغزال ، وعين جيسى حاكما لبحر الغزال ١٨٧٩ ·

وفى هذه الفترة عزل سلطان تركيا الخديوى اسماعيل تحت الضغط الاوروبى ، وكانت بريطانيا قد خططت لمصر والسودان مصير مايقرب من قرن بعد ذلك ·

بريطانيا فى افق الصورة

منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وبريطانيا تشعر بالقلق ازاء اعتمادها على أمريكا كمصدر وحيد للقطن الخام الذى تحتاجه مصانع لانكشير حيث كانت صناعة النسيج من أهم صناعات بريطانيا · وفى بداية ستينات القرن التاسع عشر ، وبعد انفجار الحرب الأهلية الامريكية ، كانت أوربا كلها تعانى نقص القطن الخام لمصانعها ، وشهدت بريطانيا ماسمى « **بمجاعة القطن** » الشهيرة [١٨٦١ — ١٨٦٥] ، مما كان له اثره الواضح على الاقتصاد البريطانى ·

كان ذلك — فضلا عن المصالح السياسية الاستراتيجية الاخرى — موضع اعتبار بريطانيا وهى تتجه نحو غزو مصر ثم السودان ، لاقامة « مزرعة » تنتج لحساب مصانع بريطانيا القطن بأبخس الاسعار ·

وفى هذه الاثناء ، ظهر **محمد أحمد** (المهدى فيما بعد) من دنقلة ، وابن أحد صناع قوارب السفن — ونجح فى تجميع مئات من الجنود ، وأنزل هزائم متكررة بالقوات المصرية — الانجليزية ، وذاعت أنباء انتصار المهدى وتقدمه نحو الخرطوم ، وروجت بريطانيا شائعات تقول : أنه سيتقدم نحو مصر ، بهدف ايجاد مبرر لتدخلها وارسال حملات عسكرية هزمت فى أول الامر ، حتى تولى كرومر الموقف وأجبر الحكومة المصرية على اخلاء السودان تمهيدا لتقدم القوات البريطانية فى ١٨٨٥ وبداية هزيمة المهديين ·

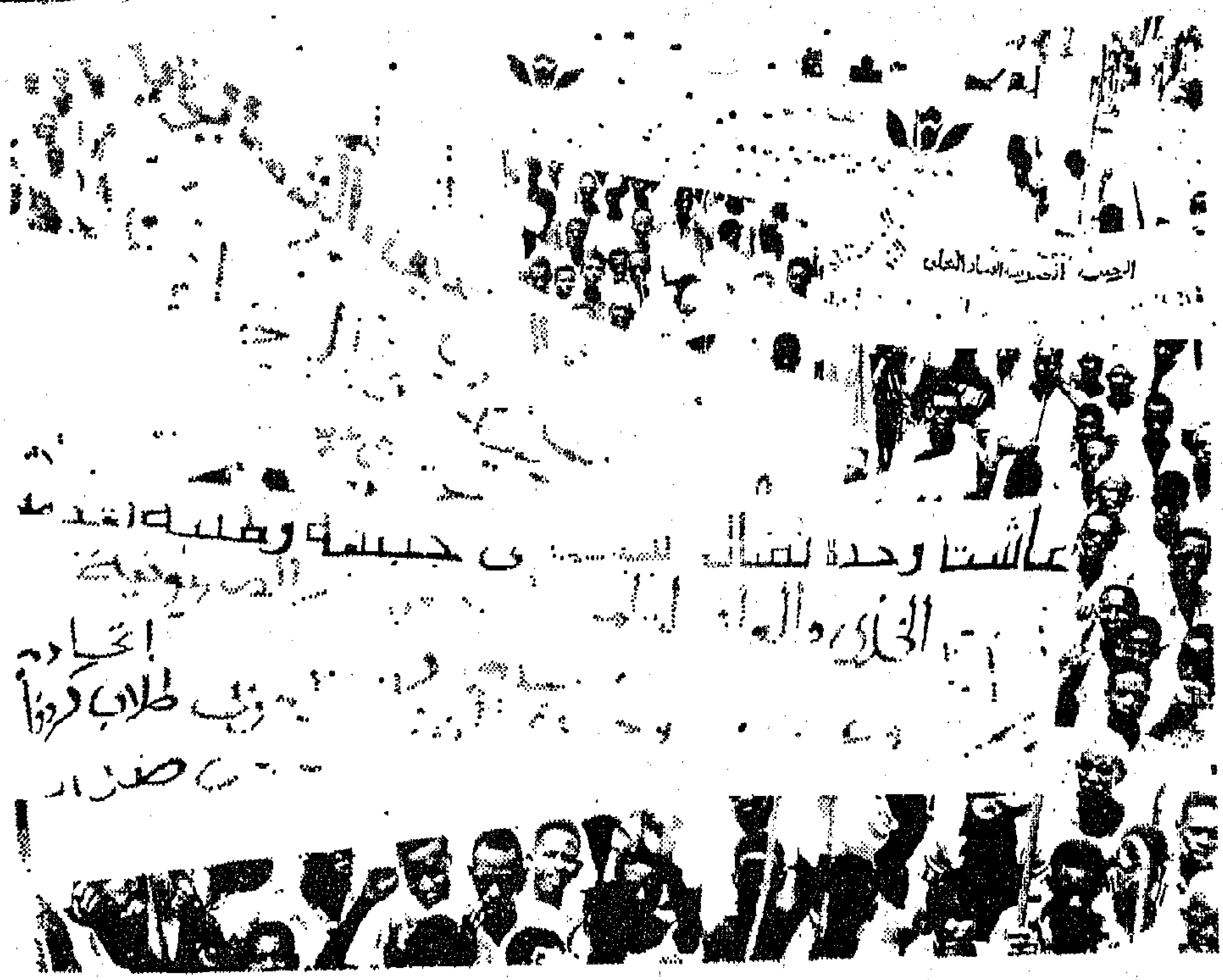
القوى الاوروبية ·· تدخل الحلبة

فى ذلك الوقت كان الاستعمار الاوربى ، يعمل على توزيع المستعمرات فيما بين قواه · وبرغم أن فرنسا وبلجيكا وايطاليا ، قد قدمت مساعدات بارزة لتمكين بريطانيا من غزو السودان واخضاعه الا أن التناقضات التى كانت تحكم علاقات القوى الاستعمارية ببعضها ، دفعت بريطانيا الى انتهاج سياسة تركز على التحالف مع مصر باعتبارها « الطرف » الضعيف حيث يمكن لبريطانيا — حتى يستقر الموقف — ان تنفرد بالسودان دون حليفتها ·· وكما تم بعد ذلك بالفعل . خاصة وأن كلا من فرنسا وبلجيكا وايطاليا ، كانت تحتل بعض مواقع السودان من الجنوب والغرب · وسارعت بريطانيا لحسم الموقف ، فأرسلت حملة **كتشنر** ١٨٩٦ أنزلت الهزيمة بالمهديين فى ١٨٩٨ ودخلت الخرطوم بعد أن مارست بريطانيا سلسلة من المناورات والمساومات مع فرنسا وبلجيكا وايطاليا .

بريطانيا تحكم ··

تحت واجهة ثنائية

وعلى جثث الشهداء واطلال المدن والقرى ، تمكنت جيوش الاحتلال البريطانى والقوات المصرية المسخرة فى عام ١٨٩٨ من تحويل السودان الى



قطر مستعمر تسخر جميع أوجه حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية لصالح الاحتكارات البريطانية . [١] .

وكانت المهمة الاساسية التي واجهت بريطانيا حينئذ ، هى اقامة جهاز دولة يحمى سيطرتها ويحول دون نمو اليقظة الوطنية . وقد استفادت بريطانيا من عملية تحطيم المهديين لجهاز الدولة والادارة القديم ، مما مهد لها تطبيق توصيات كتشنر « باقامة علاقات وثيقة بأحسن طبقات الشعب الذين نأمل (أى البريطانيين) – من خلالهم التأثير على السكان » [٢] وفى كلمة استندت بريطانيا الى حفنة من الاداريين ومن كبار رجال الادارة الاهلية من زعماء العشائر . وبمرور الوقت ، نما هذا الجهاز خلال عمليات القمع الوحشية التى باشرتها السلطة البريطانية ، وصيغت القوانين التى تنكل بالوطنيين ، واستطاع جهاز الدولة الاستعمارى أن يقضى – بقوة السلاح – على الحركة الوطنية فى اعوام ١٩١٩ ، ١٩٢٤ . واعدم قادة الحركة الوطنية من زعماء جمعية اللواء الابيض والاتحاد السودانى .

ولكن ذلك لم يحل دون أن تبدأ الحركة الوطنية منذ ١٩٣٨ وبعد الحرب العالمية الثانية – بشكل خاص – العمل من أجل استقلال السودان فى مواجهة السيطرة الاستعمارية وقوانينها البغيضة . ولجأت بريطانيا الى اسلوب وضع السياسة المراد تطبيقها فى السودان ، لينفذها موظفون مصريون بهدف ان توقع بين الشعبين المصرى والسودانى ، فى الوقت الذى كانت فيه الحركة الوطنية فى البلدين تتعاظم وتقوى .

اقتصاد تابع

ومنذ ١٨٩٨ ، صاغ الاستعماريون اقتصاديات السودان وفق أهداف تحويله الى مجرد «مزرعة» قطن خام ، ورغم اتساع أراضى البلاد وثرواتها ، فقد ظل السودان فى حالة فقر وحرمان ، وفى سبيل استنزاف أرباح خيالية أتام الاستعمار ، مشاريع القطن مهملاً المحاصيل الغذائية ، وحرم الشعب السودانى من اكتشاف ثرواته المعدنية ووقف تطوير وسائل الرى والنقل . وكانت وسيلته فى ذلك كله ، الشركات الاحتكارية التى سيطرت على عمليات التصدير والاستيراد ، وبذلك اصبح السودان سوقا مفتوحا – بدون حدود – لتصريف البضائع البريطانية خاصة – وظلت اقتصاديات

(١) ثورة شعب .. ٦ سنوات من الحكم العسكرى – اصدار الحزب الشيوعى السودانى .
(٢) السودان – ماكماهيل .

السودان تحت رحمة السوق العالمي ، وتحت ظل الحكم الاستعماري ،نشأت طبقة من أشباه الاقطاعيين وكبار ملاك الاراضي ، وتحول المزارعون من أفراد القبائل الى مجرد مستأجرين أو خدم في مزارع السادة الملاك أو مزارعين فقراء . وتحت الضغط ، هجرت اعداد من المزارعين القرى الى المدينة كعمال أجراء يتعرضون للبطالة بين حين وحين دون تشريعات تحمي مستقبلهم .

وعمل الاستعماريون — يساعدهم أشباه الاقطاعيين — على ابقاء وسائل الانتاج ، على حالتها البدائية ، وبالتالي بقيت الزراعة السودانية متأخرة وظل حجم انتاجيتها في حالة من الضعف يعجز معها عن تلبية حاجات الشعب المعيشية،مما كان يعرض البلاد الى المجاعة .

الحرب ضد الثقافة الوطنية

ولتهيئة كل الظروف .. لاستمرار اخضاع السودان وقهره ، حارب الاستعمار الثقافة والفكر الوطنيين في السودان ، عاملا على اشاعة مناخ ثقافي عام يروج لفكريات انهزامية واستسلامية تتلاءم مع المصالح الاستعمارية .

صحيح أن عددا من المدارس قد افتتح ليدخلها السودانيون ، ولكن بهدف تخريج مجرد « موظفين » للاعمال البسيطة في الجهاز الحكومي . بينما حرم أبناء السودان من دراسة العلوم الحديثة التي تبني جيلا من المثقفين لقيادة نهضة البلاد في الميادين الاقتصادية والفكرية . وفضلا عن ذلك ، تطاول الاستعمار على التاريخ الوطني للسودان وشعبه .. فجرحوه بينما مجدوا رسل الاستعمار ووسائله .

والحقيقة التي يصعب أن يختلف أمامها اثنان ، والتي تتضح من دراسة السياسة البريطانية في السودان ، تكشف بجلاء عن أن « المسألة السودانية » كانت تعالج كجزء فرعي من « المسألة المصرية » . وقد ظلت هذه الحقيقة .. صحيحة ، حتى عام ١٩٥٤ ، عندما تقرر اعطاء الشعب السوداني حق تقرير المصير .

٢

الخريطة الاجتماعية للسودان

تشابه « تضاريس » السودان الاجتماعية بشكل عام ، كل البلدان التي تعرضت للغزو الاستعماري وسيطرته العالمية طوال النصف الاول من القرن العشرين .

فقبل الاحتلال ، كانت خريطة السودان الاجتماعية ، تتشكل اساسا من تركيبات قبلية وعشائرية وشبه اقطاعية . وهي التركيبات التي اصطلح على تسميتها « **بتكوينات ما قبل الرأسمالية** » .

والواقع ان دخول الاستعمار وسيطرة نظامه الكاملة ، وهيمنته على مقدرات البلاد ، لم تحدث تغييرا **جذريا** في تلك التركيبات الاجتماعية .

ولكنها افرزت فئة اجتماعية محددة ارتبطت في الاساس بالنظام الانتاجي الجديد ، كتلك الفئات العاملة في جهاز الدولة ، وتلك العاملة في جهاز الخدمات والمواصلات . وقد اصطلح على تسميتها « بالجماهير الحديثة » المرتبطة — دون ما فكاك — باسلوب الانتاج الحديث غير المالوف سابقا والذي ادخله النظام الاستعماري .

نوعان للانتاج

ومن هنا وجدنوعان من الانتاج . **انتاج تقليدي** سابق في وجوده على العهد الاستعماري . **وانتاج حديث** تشكل نتيجة لنمط الانتاج الذي ادخله النظام الاستعماري الوافد .

وارتبطت بهذين النوعين المختلفين من الانتاج ، فئات اجتماعيةمتباينةومتمايزة التصقت كل منهما بقطاع انتاجي معين . الا ان الغلبة كانت — ومازالت — للفئات التقليدية المرتبطة بالقطاع التقليدي مما يضفي — بالضرورة — على المجتمع السوداني ، طابعا متخلفا مثل بقية بلدان العالم الثالث .

القطاع التقليدي

وينتج هذا القطاع ٥٠ في المائة من الدخل القومي للسودان . ويعمل به اكثر من ٧٥ في المائة من سكان البلاد . وينمو بمعدل ٣ في المائة في العام .

يرتبط بهذا القطاع التقليدي ، **المجموعات القبلية والعشائرية** ، ويشكلون اكثر من ثلاثة ارباع السكان . وتتركز هذه المجموعات بصفة رئيسية في **جنوب السودان** ، حيث يسود نمط انتاجي يشابه تلك **الانماط البدائية الاولى** في تاريخ البشرية . وتعمل هذه المجموعات في صيد الحيوانات وفي الزراعة البدائية البسيطة ، وفي رعي الابقار لاشباع الحاجيات الاولية .

ومازال التعامل في هذه المناطق الموغلة في البعد عن المدن ، يتم على اساس **المقايضة** حيث تشكل المعاملة « بالابقار » ركنا اساسيا منها .

وتدين فئة بسيطة من هذه المناطق ، **بالديانة المسيحية** . غير ان الغالبية العظمى من سكان هذه المناطق ، لا تدين بشيء فهي **وثنية** .

والنتاج السياسي لهذا الوضع في تلك **الاجزاء** من البلاد ، لا يلاحظ الا في مواسم الانتخابات العامة ، **حيث يجري** العمل الانتخابي على الاساس



● **اللواء أ.ح جعفر النميري**

القبلي ،وطاعةزعماء القبائل والامتثال لامرهم،حيث تؤيد القبيلة باكملها ، المرشح الذي يزكيه رئيس القبيلة بغض النظر عن وضعه الطبقي والاجتماعي او مدى استغلاله لجماهير القبيلة او غير ذلك .

وتشكل **الدونيكا والنوير والشلك** ، **القبائل** الرئيسية في هذه المنطقة الى جانب اقليات قبلية اخرى ، هي تلك القبائل ذات الاصل الافريقي الصرف . وذلك على خلاف بقية القبائل في انحاء السودان الاخرى حيث امتزج الدم الافريقي **بالدم العربي** الوافد .

ويبلغ العنصر الافريقي الصرف في **السودان**، نسبة ٤٠ في المائة من جملة سكان **البلاد** (١٤ مليون نسمة) . ولذلك ، يتسم العمل السياسي وسط هذه القبائل ، **بطابع عنصري** لاتخطئه اي دراسة ، حيث تتشكل مؤسسات سياسية تعبر عن الاتجاهات الاقليمية في هذا الجزء من **البلاد** ، وهي ماعرفت باسم « **الاحزاب الجنوبية** » .

وقد كان هذا الجزء من الوطن السوداني ، بازماته ووضعيته الخاصة ، يعتبر مشكلة المشاكل بالنسبة « للسودان الموحد » . ومن هنا كانت خطوة اقدام ثورة مايو على تقرير الحكم الذاتي الاقليمي للجنوب في اطار سودان موحد ، خطوة هامة وحاسمة على طريق حل هذه المشكلة .

تبقى هناك فئة ثانية ، اكثر تقدما نسبيا ، بين القوى الاجتماعية داخل القطاع التقليدى ، هى مجموعات القبائل التى تسكن **غرب السودان وشرقه** ٠ ويدخل اقتصاد هذه القبائل فى اطار **الاقتصاد الطبيعى المغلق** .. الا انه اكثر تقدما فى سلم التطور الاجتماعى ٠

ويتسم التكوين الاجتماعى لهذه المجموعات ، بطابع شبه اقطاعى ورعوى ٠ حيث يعمل غالبية السكان بالرعى والزراعة « **المطرية** » ، وتعتبر الثروة الحيوانية ، عصب اقتصاد هذه المجموعات ٠ وتمد السودان بكل ثروته الحيوانية من مختلف المواشى ، **مما يجعل لها وزن اقتصادى خاص فى القطاع التقليدى** وتكون هذه المجموعات مايقارب ٣٥ فى المائة من السكان ٠

القطاع الحديث ..

والجماهير الحديثة

تشكل هذا القطاع ، ابان الوجود الاستعمارى ، مثل زراعة القطن وجهاز الدولة والمواصلات والخدمات ٠ وترتبط بهذا القطاع ، فئات اجتماعية يتزايد حجمها ووزنها باستمرار على حساب القوى التقليدية التى تغذى القطاع الحديث بالعاملين فى الزراعة الحديثة واجهزة الخدمات ٠

وتشكل هذه الفئة ١/٤ سكان البلاد وتنتج نصف الدخل القومى ٠ مما يجعل لها وزنها الخاص فى الاقتصاد السودانى رغم صغر حجمها بالنسبة للقوى المرتبطة بالقطاع التقليدى ٠

القطاع الزراعى

وينقسم الى قسمين : **قطاع حكومى تملكه الدولة** مثل **مشروع الجزيرة** ومشروعات القاش وطوكر وجبال النوبة لزراعة القطن ٠ **وقطاع زراعى خاص** ، مثل مشروعات النيل الابيض ومشروعات النيل الازرق لزراعة القطن ايضا ٠

وينقسم العاملون فى هذا القطاع الزراعى الى : **اغنياء المزارعين ، والمزارعين المتوسطين ، وصغار المستأجرين ، واخيرا العمال الزراعيون** الذين يشكلون ١/٤ مليون عامل ٠ اما اغنياء المزارعين فيشكلون ١ر٧ فى المائة من مجموع المستاجرين ٠ ويدخل جميع المستأجرين تقريبا وبشكل عام ، فى علاقة واحدة مع الدولة من حيث ملكية الارض اذ تمنحهم الدولة الحق الثابت فى استغلال الارض مستخدمين فى ذلك العمل الماجور ٠ كما انهم يدخلون فى **علاقات مشاركة** مع الدولة فيما يختص بعائد الزراعة ٠

القطاع الزراعى الخاص

ويتكون من المشروعات الزراعية التى تملكها **البورجوازية الريفية** حيث تراكمت لديها ثروة لايدانيها اى قطاع آخر ٠ وتعد هذه الطبقة ، الاساس المادى للتطور الرأسمالى فى ميدان الملكية العقارية ، والتجارة الخارجية والصناعة .. الى حد ملحوظ ٠ وقد بلغ عائد هذه المشروعات خلال السنوات الماضية ، متوسط ١٣ مليون جنيه كل عام ٠

وتعمل بهذه المشروعات ، طبقة كاملة من المزارعين بمختلف شرائحها التى تماثل تلك التى فى مشروعات الدولة ٠ الا انها تعمل فى ظروف اصعب بكثير لارتباطها بالراسمالية الريفية التى تهدف الاستئثار بالنصيب الاكبر من عائد الثروة ٠

وقد شهد هذا القطاع ، صراعات طبقية عنيفة بين اصحاب المشروعات وبين المزارعين ، ابرزها



● الرائد ابو القاسم محمد احمد
عضو مجلس قيادة الثورة



● الرائد أبو القاسم هاشم
عضو مجلس قيادة الثورة



● محجوب عثمان
وزير الارشاد

ما عرفت « بحوادث جودة » عام ١٩٥٦ حيث دخل المزارعون أضرابا وتمردا كبيرا ضـد مساحب المشروع – وصل الى حد استدعاء البوليس واستعمال الرصاص .

وتنتظم هذه الفئة من المزارعين فى مؤسسات نقابية الا انها متعثرة الخطى على عكس منظمات الفئة العاملة فى مشروع الجزيرة المنظمة تنظيما ذا اثر فعال فى مجرى نضال الجماهير الحديثة .

٣
الأوضاع الاقتصادية والطبقية بالسودان

تميزت الحياة الاقتصادية فى السودان بعد الاستقلال ، بدخول رأس المال الاجنبى للاستثمارات فى القطاعين العام والخاص . فنجد بعد الاستقلال ان جملة القروض المسحوبة حتى عام ١٩٦٦ بلغت اكثر من ٧٠ مليونا من الجنيهات السودانية ، وفى هذه القروض يحتل البنك الدولى وفروعه والمانيا الغربية مركز الصدارة – بهدف دفع البلاد فى طريق التنمية الرأسمالية وعلى اساس خلق طبقة رأسمالية لها دور ثانوى وتابع له .

ومشروع السنوات العشر للتنمية كان تعبيرا عن التنمية الرأسمالية التى خططت لها قوى الاستعمار الحديث فى السودان ، وقدرت قيمة الاستثمارات الكلية بـ ٥١٢ مليونا ، منها ١٧٥ مليونا من القطاع الخاص و ٣٣٧ مليونا من القطاع العام ، ويبلغ فيها رأس المال الاجنبى ١٤٩٫٥ مليونا . ومحور الخطة العشرية كله ، كان هو دعم اساس التطور الرأسمالى وتنمية القطاع الخاص على حساب القطاع العام ، بل تسخير القطاع العام لخدمة القطاع الخاص .

وتقديرات الاستثمار فى الصناعة فى الخطة العشرية جعلت نصيب القطاع الخاص فيها ٦١ مليونا من الجنيهات ، بينما بلغ نصيب القطاع العام ٢٥ مليونا . وقد قدر للقطاع العام ان يتحمل عبء التنمية فى القطاع الزراعى ليتحمل هو اثر الهبوط المستمر فى اسعار منتجاته فى السوق العالمية فتتوفر بذلك شروط افضل لرأس المال الخاص فى ميدان الانتاج الصناعى . فبينما تحدد للقطاع العام ٩٠ مليونا من الجنيهات للاستثمار فى مجال الزراعة ، فانه قد قدر للقطاع الخاص ثلاثون مليونا من الجنيهات .

وأحيط الاستثمار الرأسمالى بضمانات كثيرة .. فهو لم يوجه لبناء قاعدة صناعية وطنية بل وجه ليكون منتجا لبعض السلع الصناعية البديلة . مثل المنسوجات القطنية [٨٫٣ مليون جنيه] السكر [٥٫١ مليون جنيه والمبيدات والمخصبات [٤٫٨ مليون جنيه]

ودقيـــــــق القمـــــــــح [١ر٧ مليون جنيه]
والاحـــــــذية مليـــون جنيـــه .. الخ ..

وفى عام ١٩٥٦ صدر « **قانون الميزات الممنوحة** » الذى اتاح فرصا واسعة للاستثمار الرأسمالى فى الصناعة ، ولكنه اعطى رأس المال الاجنبى ميزات وشروطا على حســـاب قضـــية الاستقلال الاقتصادى والتنمية العـــامة ، فتخلت الدولة فى هذا القانون عن حق رأس المـــال السودانى فى مشاركة رأس المال الاجنبى وكذا عن تمثيل السودانيين فى مجالس اداراته ، وقيـد القانون الاستيراد واعفى الارباح من الضرائب وفق جدول تصاعدى يحمى رأس المال الكبير ، واعفى الالات والمواد الخام مـن الرســـوم الجمركية .

وفى ظل هذه الظروف نمت الامكانيات الذاتية للطبقة الرأسمالية السودانية ولم تعد هذه الطبقة تتكون فقط من تجار صغار فى مستوى تجارة القطاعى .

الاستعمار الجديد ...

والرأسمالية السودانية

ونتيجة تزايد دور الاستعمار الجديد دخل الى صفوف الرأسماليين فئة كبار موظفى الدولة كوكلاء للشركات وفى الاعمال التجارية والصناعية الجديدة . ويوضح هذا الوجود الرأسمالى ان البنك الصناعى حتى اكتوبر ١٩٦٦ قام بتمويل ٦٧ صناعة بدأ ٥٠ فى المائة منها الانتاج ، وقد دفع البنـــك رأس مال قـــدره ١ر٠٦٥ مليون جنيه ، بينما استثمر الرأسماليون ٢ر٨١٢ر٥١٧ جنيها ومن هذه المجموعة يملك رأس المال السودانى الخاص ٥٧ صناعة .

ولكن الاتجاه العام الذى سيطر على الصناعة تحكمت فيه قوى الاستعمار الجديد . ان رأس المال الاجنبى هو الاساس فى اى عمليات صناعية ويعمل رأس المال السودانى فى تبعية كاملة له .. فمن بين ٤٤ صناعة نجد :

ـ ٩ صناعات برأس مال اجنبى خالص يصل الى ٧ر٢١٢ر٦٥٠ جنيها

ـ ١٥ صناعة مختلطة يصل رأس المال الاجنبى فيهـــــا الى ٨ر١٦٧ر٩٦٧ جنيهــــا ، ولا يزيد رأس المال السودانى فيها عن ٢ر٠٥٢ر٦٦١ من الجنيهات .

ـ ٢٠ صناعة سودانية خالصة لا يزيد رأس مالها عن ١ر٥٢٣ر٦٧٠ جنيها .

وهـــكذا يبلغ رأس المـــال الاجنبى ٧٩ ٪ من مجموع الاستثمارات ، بينما لا يزيد رأس المال السودانى عن ٢١ فى المائة .

والمثال الذى يوضح مدى تغلغل رأس المال الاجنبى ، واحتلاله المركز الممتاز ، هو مصنع النسيج السودانى الامريكى ، والذى يبلغ رأس المال المستثمر فيه ٦ر٥ مليون جنيه موزعة كالاتى :

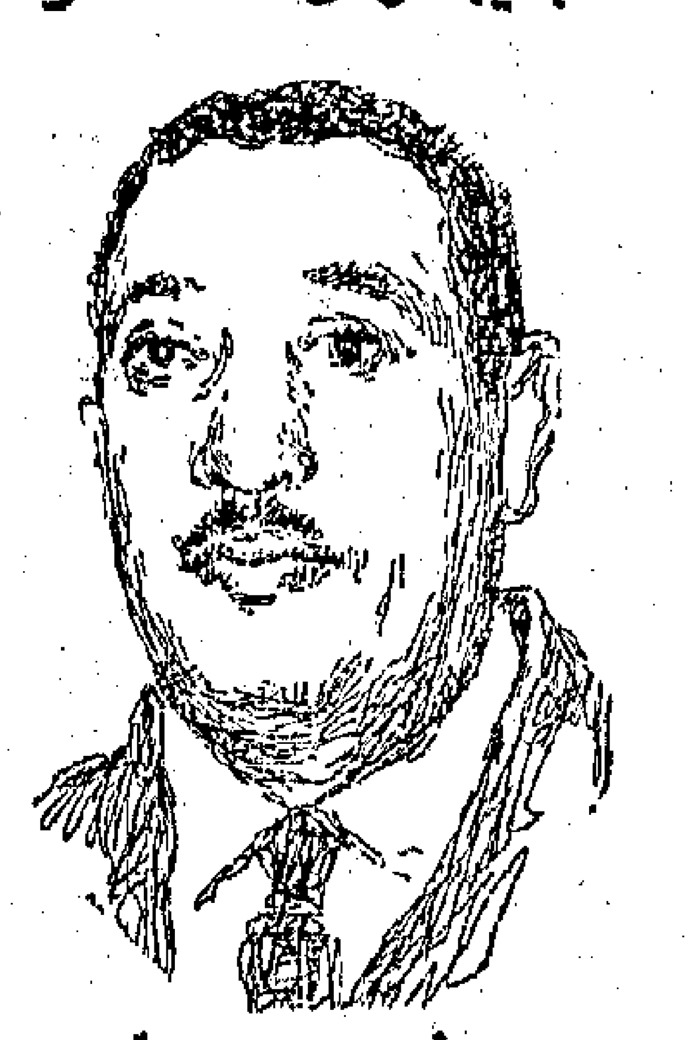
١ ـ دفعت المعونة الامريكية راس مال قدره ١٠ ملايين دولار بفائدة ٥ر٥ ٪ على مدى ١٨ عاما

٢ ـ دفع احتكار بريطانى مكون من شركات انجلش الكتريك ، واخـــوان يلات ومـــاربلس بروجواى ، رأس مال قـــدره ٢ر٦٣٥ مليون جنيه

٣ ـ دفعت مؤسسة اجنبية اخرى رأس مال قدره ٢ر٥ مليون جنيه .



• أمين طاهر الشبلى
وزير العدل



• د . مهندس سيد احمد الجاك
وزير الثروة الحيوانية



• د. موريس سدره
وزير الصحة

محاربة القطاع العام

وبتزايد نفوذ رأس المال الاجنبى على الاقتصاد السودانى فقد اخذ يفرض شروطه وطلباته وخاصة بالنسبة للقطاع العام لاضعاف دوره واحلال العناصر الرأسمالية محله ، فالمشاريع الزراعية ـ مثلا ـ التى تقوم على رى خزان الروصيرص والذى مول قيامه البنك الدولى ضمن الخطة العشرية ، يعمل خبراء البنك الدولى على وضعها فى نطاق القطاع الخاص وعلى اساس رأسمالى بحت بتصفيتها كمشروع عام وبيعها للقطاع الخاص . وفى قطاع المواصلات واستنادا الى القروض والوضع الممتاز للبنك الدولى فقد عمل على ابعاد الحكومة عن هذا القطاع تحت ستار وضعه تحت اشراف لجنة مستقلة ، وذلك بهدف ابعاده عن متطلبات التنمية العامة فى البلاد ولدعم العناصر البيروقراطية داخله مع تمثيل الرأسماليين فى ادارته .

عقبات فى وجه بناء الاقتصاد المستقل

اولا : عدم توفر تراكم رأس المال ، اى الفائض الاقتصادى لاستثماره فى عمليات التنمية ، الى جانب التقدم التكنولوجى بهدف ادخال وسائل الانتاج الحديثة لتحل محل نسبة من مجهود الانسان العضلى ، وهما عنصران ضروريان لرفع انتاجية العمل المنخفضة ، ولتوسيع قواعد الانتاج وتشغيل القوى العاملة بطريقة مثلى تؤدى الى زيادة الفائض الاقتصادى المتاح باستمرار . وعدم توافر رأس المال يؤدى الى بطء التقدم التكنولوجى .

ويوضح الجدول التالى نسبة اجمالى تكون رأس المال الثابت فى القطاعين الخاص والعام الى اجمالى الموارد المتاحة خلال الاعوام الثمانية الاخيرة :

الارقام بملايين الجنيهات السودانية

الموارد	٦١/٦٠	٦٢/٦١	٦٣/٦٢	٦٤/٦٣	٦٦/٦٥	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧
اجمالى الموارد المتاحة	٤٥٩٠	٥٣٩ر٠	٥٥٣ر٠	٥٨٧ر٨	٥٨٠ر٤	٦٠٦ر٠	٦٤٥ر٩
اجمالى تكوين رأس المال الثابت	٤٦ر٢	٥٦ر١	٦٨ر١	٨٣ر٧	٥٤ر٥	٥٠ر٦	٦٣ر٠
النسبة	٪ ١٠	٪ ١٢	٪ ١٢	٪ ٨	٪ ٩	٪ ٨	٪ ١٠

ويوضح الجدول التالى ان الاستثمارات المحققة فى القطاع العام كانت دائما اقل من اهداف الخطة العشرية وتقديرات الميزانيات :

المفردات	٦٥/٦٤	٦٦/٦٥	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧
أهداف الخطة	٥٣ر٠	٥٢ر٥	٥٣ر٠	٥٦ر٦
تقديرات الميزانية	٣٢ر٤	٣٦ر٥	٤٧ر٩	٤٩ر٦
المحقق	٣٢ر٢	٣٢ر٣	٢٦ر٦	٣٠ر٧

ان الاستثمار الحقيقى فى القطاع العام يقل كثيرا عن اهداف الخطة وتقديرات الميزانيات . ويعزى هذا الى انخفاض فائض الميزانية العامة وتذبذبه احيانا ـ والهبوط المستمر فى نصيب الدولة من عائد مؤسسات القطاع العام ووجود عجز فى ميزانياتها تتحمل ميزانية الحكومة المركزية عبء تغطيته ، مثل الخطوط الجوية السودانية ومؤسسة التنمية الصناعية ـ واجمالى قيمة سداد القروض وفوائدها المنساب سنويا خارج البلاد ـ وتصدير الارباح بطرق مشروعة وغير مشروعة بواسطة المؤسسات الاجنبية .

كل ذلك يسبب امتصاص الفائض الاقتصادى الذى تحصل عليه البلاد من العمليات الداخلية والخارجية . ويضعف نسبة التراكم المالى الضرورى لارساء قواعد التنمية . وهكذا تظل قضية التنمية فى السودان عرضة للتخبط والعفوية وعدم القدرة على التحكم فى دوامة الانهيار الاقتصادى الذى يجرف امكانيات البلاد وقدراتها الى فوضى الانتاج والاستهلاك .

ثانيا : تكاليف جهاز الدولة الباهظ ،

والقدر الضئيل من الفائض الاقتصادى لا يستخدم فى عملية تراكم رأس المال بسبب :

(أ) ان السودان ورث علاقات انتاج متخلفة ـ بعضها شبه اقطاعى والاخر اكثر بدائية حيث تنخفض انتاجية الفرد الى ادنى الحدود وحيث يتجه الاغنياء الى حياة البذخ والاسراف ، انشاء المبانى الفاخرة واكتناز الذهب ، الامر الذى ساعد على زيادة التركيز فى تصدير القطن والسمسم والصمغ والفول واستيراد سلع استهلاكية مصنعة وكمالية باسعار باهظة ابتلعت قدرا كبيرا من الفائض الاقتصادى .

(ب) والى جانب ذلك ورثت البلاد جهاز دولة باهظ التكاليف ، واحتلت فئة المتعلمين الجدد مراكز السلطة بعد الاستقلال وتوسعت راسيا وافقيا فى التمتع بامتيازات لا حدود لها مع تضخم متزايد فى قطاع الاستخدام . ويوضح الجدول التالى نسب الزيادة فى مصروفات الفصل الاول من الميزانية الخاص بالمهايا والمرتبات :

٥ فى المائة تكون عائدات ربح المصادر ٢٨ مليونا . وهكذا تكون جملة الارباح المحققة من التجارة الخارجية فى هذه الفترة ١٣٩ مليونا من الجنيهات أى بمعدل ١٢ الى ١٥ مليونا فى العام ، وحيث ان ٧٠ فى المائة من التجارة الخارجية تقع فى قبضة الاجانب وشركاتهم فان جملة ارباحهم تقدر بـ ٨ و ١٠ ملايين من الجنيهات خلال العام الواحد .

وفى نفس الوقت فان البنوك الاجنبية التجارية تحصل على ارباح طائلة من عمليات تجميع ودائع ومدخرات المواطنين السودانيين حيث توجهها فى مجال التسهيلات التجارية خاصة الشركات العاملة فى مجال التجارة الخارجية والتى يقع اغلبها فى قبضة رأس المال الاجنبى ، لقد ارتفعت جملة ودائع ومدخرات المواطنين لدى البنوك التجارية من ٣ر١٢ مليون جنيه عام ١٩٥٨ الى ٨ر٤٢ مليون جنيه عام ١٩٦٧ ، وارتفعت القروض الممنوحة لتمويل الشركات والافراد ـ خاصة الشركات العاملة فى مجال التجارة الخارجية خلال هذه الفترة من ١ر٢٥ مليون جنيه الى ٥ر٦٢ مليون جنيه . ان

	٦٥/٦٤	٦٦/٦٥	٦٧/٦٦	٦٨/٦٧	٦٩/٦٨
الفصل الاول بملايين الجنيهات	٥ر١٩	٢٦	٥ر٣٠	٥ر٣٢	٠ر٤١
النسبة المئوية الى الميزانية العامة	٧ر٣٠ ٪	٣٥ ٪	٣٧ ٪	٣٨ ٪	٤١ ٪

وتسبب فى هذا التضخم التوسع الداخلى فى التنظيم الادارى ونشوء هيئات مستقلة منفصلة ماليا واداريا وقانونيا عن التركيب الادارى لجهاز الدولة دون ادنى مراعاة للتكاليف التى تتحملها ميزانية الدولة ، ووضعت هذه الهيئات المستقلة لنفسها نظم كادر وفق اهواء القائمين عليها يفوق فى امتيازاته الدرجات المألوفة لموظفى الدولة . ولقد اسبغ الكادر الاخير على القطاعات العليا من موظفى الدولة ارتفاعا فى دخولهم النقدية تتراوح بين ٥٠٠ و ٧٠٠ جنيه فى العام للفرد مما جعلهم يستأثرون بأكبر نسبة من اجمالى قيمة الاجور والمرتبات مضافا الى ذلك الامتيازات العديدة مثل العلاوات والبدلات والمساكن والعربات .. الخ .

ثالثا : تسرب الارباح التجارية الى خارج البلاد، فى الفترة بين ١٩٥٥ و ١٩٦٣ بلغت قيمة الواردات ٧٤٠ مليونا وباعتبار ان نسبة ١٥ فى المائة من هذا المبلغ تخرج من البلاد كأرباح تجارية عائدة الى الشركات المستوردة يكون نصيبها حوالى ١١١ مليونا من الجنيهات . وفى خلال نفس الفترة بلغت جملة الصادرات ٥٦٢ مليونا من الجنيهات وعلى اساس ان نسبة ارباح المصدرين منها

سيطرة البنوك الاجنبية والشركات المرتبطة بها على حركة النقد الداخلى والخارجى ، وفى الظروف الاقتصادية والقانونية لنهب ثروة البلاد ، واضعاف عملية التراكم المطلوب لتنمية اقتصاديات السودان .

وتمتص شركات التأمين جزءا كبيرا من المدخرات محققة ارباحا خيالية ، وتؤدى عملية اعادة التأمين التى تتم خارج البلاد الى تصدير جزء كبير من الارباح خارج البلاد ويقدر صافى ربح شركات التأمين المحول للخارج بحوالى ٧ر١ مليونا من الجنيهات ـ وهذا الرقم مجرد تقدير حيث لا تتوفر احصائيات دقيقة فى هذا المجال .

رابعا : سياسة القروض والتسهيلات الائتمانية، ان القروض التى بلغت قيمتها حوالى المائة مليون جنيه ينفق معظمها على مشاريع لا تدر عائدا سريعا او مباشرا او لتغطية العجز فى الميزانية العامة او تعود للتسرب الى الخارج لتسديد اقساط وفوائد قروض سابقة ، وفى الفترة من ٦٥ ـ ٦٦ حتى ٦٨ ـ ٦٩ تم دفع ٤ر٢٢ مليون جنيه قيمة سداد القروض المسحوبة وفوائدها .

خامسا : الاتجـاه المحافظ لدى الرأسـمالية السودانية فانه رغم كل العوامل المواتية لرأس المال فى القطاع الخاص والامكانيات التى توضـع تحت تصرفه ، فان هـذا القطاع مازال محجمـا عن المسـاهمة الحقيقيـة فى تنميـة اقتصـاديات السودان ، فقد تضاعفت استثمارات القطاع العام اربع مرات بعد عام ١٩٦٠ ، بينما زادت استثمارات القطاع الخاص الى الضعف .

وتحجم الرأسمالية السودانية عن الاستثمارات الانشائية التى توسع قاعدة الانتاج ويتسع نشاطها فى الاستثمار العقارى ، ففى الفترة ما بين اعوام ٥٥ ــ ٥٦ و ٦٠ ــ ٦١ بلغ ما استثمره القطاع الخاص فى العقارات ١٢ مليونا من الجنيهات ، بينما بلغ جملة استثماراته فى الفترة من ٦١ ــ ٦٢ ــ ٦٢ ــ ٦٣ حوالى ٩٣٠ر٣٠ مليون جنيـه محققا بذلك ارباحا تزيد على ٣ ملايين من الجنيهات ، واصبحت هذه الفئة تحتل مكان الصدارة بين الطبقة الرأسمالية السودانية ، وهى وليدة فترة ما بعد الاستقلال . ولقد عكس ذلك احجام الطبقة الرأسمالية عن بناء القاعدة الانتاجية للبـلاد واتجاهها الى طلب الربح السريع والتخلى عن مواجهة المسئولية الوطنية .

وتتجه العناصر الرأسمالية السودانية كذلك الى العمل فى مجال التجارة الخارجية والتى مازالت تمثل ٣٩ فى المائة من اجمالى الانتاج الوطنى وهى عناصر تعمل كوكيلة لرأس المـال الاجنبـى وللمؤسسات الرأسمالية الغربية ــ وقد دخلت فى هذا المجال فئة جديدة من البيروقراطيين السودانيين أمدت الرأسمالية السودانية بقوة جديدة ، وهذه الفئة بالامتيازات التى منحت لها بعد الاستقلال تحصل على ٢٥ فى المائة من مجموع الاجور الاساسية لجميع العاملين فى قطاع الدولة ، بينما لا تتعدى نسبتها العددية ٦ر١ فى المائة من مجموع العاملين ــ وبعلاقاتها القديمة مع المـؤسسات الاجنبية وخاصة الانجليزية . وفى هذا المجال تستهدف الرأسمالية السودانية بكل قطـاعاتها المحافظة على جنى الارباح ــ ففى الموسم ١٩٦٣ لتجارة القطن كان اهم المصدرين ١٩ مؤسسة صدرت من القطن وبذرته ما قيمته ٤٠ مليونا من الجنيهات وحققت ربحا قدره مليونان من الجنيهات اى بمتوسط ١٠٠ ألف جنيه للمصدر الواحد . ان الارباح المحققة سنويا فى مجال التجارة هذا تتراوح بين ١٢ و١٥ مليونا من الجنيهات .. ومن هنا فان اتجاه الرأسمالية السودانية الى هذين المجالين : الاستثمار العقارى والتجارة الخارجية جعلها تصبح عقبة فى سبيل التنمية الاقتصادية .

الطبقـة العـاملة السـودانيـة

اهتم الاستعمار البريطانى بمشـاريع زراعة القطن فى السودان ليوفر المادة الخام الرخيصـة لمصـانعه فى الجـزيرة البريطـانيـة ، ولقـد تطلب تطـوير هـذه المشاريع وخدمة عملياتهـا التجـارية انشـاء سكك حديدية جديدة . ومنذ ١٩٢٤ بدأ مشروعاته لمد خطوط حديدية أخرى غير الخطوط القديمة . فارتبط خط **عطبرة ــ بورتسودان بكسلا** فى ١٩٢٤ **وبسنار** فى ١٩٢٩ . وبدأت تظهر بعض الصناعات ووجدت بورجوازية سودانية اساسا صـغيرة ومتوسطة وظهرت فئات المثقفين ، وطبقة عاملة صناعية وزراعية وان كانت فى البداية قليلة العدد .

وفى الثلاثينيات والاربعينيات شهدت البـلاد تغيرات اجتماعية ، فتطورت العلاقات الرأسمالية اكثر ، وشبت البورجوازية السودانية الفتية ولكن امكانية تراكم رأس مال وطنى ظلت محـدودة وخاصة فى الصناعة والتجارة الخارجية ، وهذا هو السبب فى ان البورجوازية السودانية كانت اساسا حتى هذه الفترة مرتبطة بالزراعة (كان مشروع الجزيرة فى هذه الفترة يستخدم حوالى ١٥٠ الف عامل زراعى موسمى) كما كان ملاك المزارع الصغيرة التى تستخدم طلمبات يستغلون العمال الزراعيين وفقراء الفـلاحين . وكانت بورجوازية المدن ممثلة اساسا بملاك المصانع الصغيرة والورش اليدوية وملاك السفن وتجار الجملة والقطاعى .

لقد كان العدد الاكبر من العمال المشتغلين فى عمل صناعى هم عمـال الورش والمصـانع الحكومية ــ القطاع العام .

وكان عدد العمال الصناعيين اقل من عدد العمال الزراعيين ــ ففى نهاية ١٩٥٠ كان يوجد حوالى ١٠٠ ألف عامل بالسكك الحـديدية وبالصناعة ، واذ احتاج الاستعمار البريطانى الى زراع قطن مهرة ، وعمال سكك حديدية متمرسين ، وفنيين وكتبة ، فقد افتتح المدارس الثانوية ومدارس التدريب المهنى التى بدأت تقدم انواعا جديدة من العاملين .

وبعد الاستقلال بدأت رؤوس الاموال الاجنبية منفردة او متعاونة مع قلة من الماليين السودانيين تنشىء صناعات جديدة ومتنوعة ، مثل صناعة النسيج . فنجد مثلا شركة الخرطوم للغزل والنسيج ، (النسيج اليابانى) وعدد العمال بها ١٨٩٤ ، مصنع النسيج السودانى برؤوس اموال بريطانية وامريكية وعدد العمال به ٣٧٨٥ عاملا ،

الشركة الاهلية للمنسوجات وبها ٢٦٩ عاملا ، شركة الزيوت السودانية وبها ٤٦٥ عاملا ، شركة صناعة الزيوت الافريقية وبها ٣٨٢ عاملا ، شركة صابون سوب وبها ٥٠١ من العمال ، مصنع السكر بالجنيد ويستخدم حوالى ١٧٠ موظفا ، و١٥٦٥ مستخدما و٥٠٠ عامل شبه فنى وحوالى ٢٢٠٠ فى الاعمال الزراعية والحصاد ومصنع السكر بخشم القربة ويستخدم حوالى ٢٠٠٠ عامل و ٢٦٠ موظفا وحوالى ٣٠٠ عامل فى موسم الحصاد .. الخ .

لقد أخذت الصناعات الجديدة فى النمو ، ومعها نمت الطبقة العاملة السودانية عدديا ، ولندرس التطورات التى طرأت على تركيب الطبقة العاملة السودانية فى السنين الاخيرة ستكون مديرية الخرطوم هى النموذج الذى نقدمه فى دراسة هذه التطورات والتغيرات .

١ — اتسعت فئات العمال الفنيين المهرة والوافدين للطبقة العاملة من المدارس الوسطى والثانوية والمعاهد المهنية ومراكز التدريب المهنى . واتسع القطاع العامل فى الانتاج الصناعى ، فنجد انه فى المنطقة الصناعية فى الخرطوم بحرى توجد اكبر مجموعة من الصناعات فى البلاد ، حوالى ٨٠ مؤسسة يعمل بها ١٨ الف عامل ، كما قامت مؤسسات للصناعة الانتاجية فى الخرطوم و٣ مؤسسات مماثلة فى المنطقة الصناعية ام درمان ويعمل بها حوالى ٣٠٠٠ عامل فى المنطقة . ويتمركز فى هذه الصناعات فى المناطق الثلاث ٧٥ فى المائة من جملة رأس المال المستثمر فى الانتاج الصناعى فى السودان ونسبة كبيرة منه رأس مال أجنبى .

٣ — أدى هذا التغيير الى اتساع فى صفوف الطبقة العاملة نتيجة هجرة عدد كبير من العمال من الريف ومناطق الجنوب والغرب المتخلفة ، ويشكل هؤلاء قوة عمل رخيصة وغير ماهرة وغير ثابتة فى صناعة واحدة .

٣ — كانت نتيجة هذه الظاهرة انضمام مراتب متخلفة فكريا وسياسيا الى صفوف الطبقة العاملة وهى حديثة العهد كذلك بالتقاليد النقابية . وكان من نتيجة ذلك تعرض الطبقة العاملة وتنظيماتها لهزات بسبب الخلافات القبلية والتى غالبا ما اعتمد عليها اصحاب العمل والعناصر الانتهازية لاحداث الفرقة داخل حركة الطبقة العاملة .

٤ — ازداد حجم قاعدة المؤسسات الحكومية القديمة — القطاع العام — والتى تستخدم عمال فنيين ومهرة فى صناعات قطع الغيار والصيانة . وأدى التوسع فى القطاع العام الى تحول اغلب اقسام هذه المؤسسات الى ورش حديثة بها من ١٠٠٠ الى ٣٠٠٠ عامل فنى ماهر وغير ماهر الى جانب المهندسين والفنيين والمتخصصين — ورش السكة الحديد بالخرطوم — الوابورات فى النقل الميكانيكى والادارة المركزية وورش الاشغال . وهذه المؤسسات هى التى نشأت فيها حركة الطبقة العاملة السودانية بتقاليدها الثورية — وقد أصبح عدد العمال فى هذه المؤسسات فى العاصمة اثنى عشر الف عامل ، ومازال لهم تأثير كبير فى الحركة النقابية .

٥ — زاد عمال قطاع الخدمات فى مجال الصحة وأعمال البلديات والمؤسسات والمعاهد وخدمات المكاتب الخ . وأصبح عددهم ١٤ ألف عامل فى الخرطوم وحدها وفى قطاع الحكومة وحده .

٦ — أصبحت المرأة العاملة تشكل عنصرا جديدا فى الصناعات الحديثة ، اذ بلغ عدد العاملات فى المنطقة الصناعية بالخرطوم بحرى حوالى ٦٠٠ عاملة وفى منطقة أم درمان الصناعية حوالى ٣٠٠ عاملة ، والعاملات فى التمريض (ممرضات خريجات) حوالى ٤٠٠ والموظفات فى الحكومة والشركات ٥٠٠ .

٧ — ازداد عدد العمال بالورش الصغيرة (الورش الحرفية والتعاونيات الراسمالية والورش التى تستخدم الالات الصغيرة المتقدمة) . وهذه الورش تستخدم أيدى عاملة يتراوح عددها بين ١٠ ، ٥٠ عاملا أغلبهم من الاحداث والصبية وعدد عمال هذه الورش فى المنطقة الصناعية بالخرطوم حوالى ١٥٠٠ وفى منطقة الخرطوم بحرى الصناعية حوالى ٢٨٢٢ وفى أم درمان ٧٣٦ .

والى جانب هذه الورش الصغيرة توجد الورش المتوسطة والتى تستخدم أيدى عاملة تصل الى ١٠٠ عامل .

٨ — ازداد وزن العاملين فى المكاتب — اذ أصبحوا يكونون جزءا هاما من الحركة العامة للطبقة العاملة . وهم موظفو الحكومة ، والبنوك ، والمحلات والشركات التجارية . نجد مثلا موظفى الحكومة بالعاصمة حوالى ١٥٫٠٥٥ موظفا منهم ١٦٤٤ موظفا كبيرا و٣٤٠٧ من خريجى الجامعات وباشكتبة و١٠٫٦٦٥ من العاملين فى المكاتب .

وقد ازداد الثقل السياسى لهذا القطاع بعد ثورة اكتوبر .

٩ — ومنذ اربعينيات القرن أقامت الطبقة العاملة مؤسساتها الديمقراطية (النقابات) وأنشأت فى ١٩٥٠ اتحاد نقابات عمال السودان ، وهو يضم اكثر من ٣٠٠ ألف عامل من جميع انحاء السودان . ولم يقصر الاتحاد نشاطه فى مجال النضال الاقتصادى ، بل خاض منذ تأسيسه معارك النضال ضد الاستعمار والرجعية وهو يضع على رأس اهدافه :

● التمسك بصيانة استقلال البلاد وحمايتها من

أى تدخل اجنبى والتصدى للاستعمار بشكليه القديم والحديث .

● تحرير الاقتصاد السودانى من النفوذ الاجنبى فى كل مرافقه وتطوير اقتصاديات البلاد وتنمية مواردها تنمية سليمة .

● الدفاع عن السلم العالمى ومساندة حركة التحرر الوطنى فى كل مكان والوقوف بصلابة مع الشعوب العربية فى معاركها المصيرية .

● النضال من أجل حياة افضل للعمال السودانيين ، وتوفير الحريات الديمقراطية والنقابية .

● تطوير جهاز الدولة والقضاء على البيروقراطية .

● اجراء اصلاح زراعى لصالح جماهير المزارعين ، وحل قضايا السكن والمواصلات .

كما قام اتحاد نقابات عمال السودان – بدور طليعى وكبير فى تنظيم الفئات الاخرى ، فبمساعدته تكونت اتحادات المزارعين الحلفاء الطبيعيين للحركة العمالية .

وقد توحدت أخيرا التنظيمات الممثلة لفئات العاملين فى « **المجلس العام للنقابات** » ويضم اتحاد نقابات العمال واتحاد الموظفين واتحاد المعلمين . وهو على درجة عالية من التنظيم ، وله فروع فى جميع المدن السودانية – ويقود العمل الجماهيرى الاساسى للجماهير العاملة .

● وبعد ثورة مايو اعلن اتحاد نقابات العمال ان الظروف الجديدة تفتح امامه آفاقا جديدة للعمل وتمنحه فرصة أحسن من الماضى ، وهى فى الوقت نفسه تلقى على عاتقه مسئوليات اكبر فى تحقيق مطالب العاملين التى تنكرت الحكومات السابقة لها ، وفى الرسالة التى رفعها الاتحاد فى ٢٧ مايو الى الحكومة أوضح الخطوط العريضة التى يتمسك بها العمال .. وهى تسير اساسا فى اتجاهين لا تناقض بينهما بل يكمل كل منهما الاخر : فالطبقة العاملة مسئولة عن تطوير الاقتصاد الوطنى وتنميته ويتفق اتحاد نقابات العمال فى ذلك مع جميع فرق الحركة الشعبية والثورية فى أن الطريق نحو اقتصاد سليم ومزدهر لابد أن يمر عبر الاجراءات التالية : **اولا** سيطرة قطاع الدولة وتمكينه من أن تصبح له اليد العليا فى التطور الاقتصادى . **ثانيا** : تحرير المرافق الاقتصادية من النفوذ الاجنبى وسيطرة القروض الاجنبية وذلك بتأميم البنوك والشركات الاجنبية ووضع مقدراتها وامكانياتها فى خدمة الاقتصاد الوطنى والميزانية العامة وتحرير التجارة الخارجية . وتأميمها واحتكار السلع الرئيسية وخاصة السلع الشعبية . ومن الضرورى لتحقيق ذلك اقامة مجلس تخطيط اقتصادى يمثل فيه العمال عن طريق تنظيماتهم النقابية .

الاتجاه الثانى ، يتمثل فى تحقيق المطالب العمالية الخاصة بظروف عملهم وشروطه والاجر . وتعديل كافة القوانين العمالية . واشتراك العمال فى ادارة المؤسسات الانتاجية حتى يتحملوا مسئوليتهم فى قضية الانتاج .

وقد اشترك العمال فعلا – بعد مايو – فى لجنة تعديل القوانين العمالية – وهى لجنة تتشكل من العمال وأصحاب الاعمال والحكومة وانتخب سكرتير اتحاد نقابات عمال السودان الشفيع أحمد الشيخ رئيسا لها – كما تكونت لجنة مشتركة من ممثلى اتحاد نقابات العمال وعدد من الوزراء لمناقشة المطالب العمالية .

ولهذه اللجنة تقدم الشفيع بمذكرة باسم المجلس العام للنقابات لحل الازمة الاقتصادية قال فيها : « ان الثورة جاءت لتقتلع كل ماكان يشكو منه الشعب وعلى رأس شكوى الشعب وفى مقدمتها الطريق الاقتصادى المدمر الذى سارت عليه الحكومات الماضية » .

الوضع الطبقى فى الريف

زعماء العشائر وهى طبقة تملك نفوذا كبيرا تاريخيا – ولها سلطات قضائية – وهى بذلك فى وضع يسمح لها باستغلال افراد القبائل استغلالا بشعا . وزعماء العشائر هم الذين يوزعون الارض الخاصة بالعشيرة على الافراد ، وهم الذين يفرضون الضرائب على القطعان ويقومون بجمعها ، وأخيرا أصبح الكثير منهم أصحاب مشاريع آلية ، ويملك زعماء العشائر قدرا كبيرا من الثروة .

تجار القرى : وهى فئة تحتكر تصدير منتجات الريف للاسواق وتقوم باستيراد السلع الاستهلاكية . وهذه الفئة قريبة من زعماء العشائر ومرتبطة بهم ، وبواسطة نفوذها الاقتصادى تمكنت من السيطرة على الحياة الاجتماعية فى القرية ، ولقد تمكنت من السيطرة على كثير من الجمعيات التعاونية التى تأسست أخيرا فى الريف السودانى . وهم يستغلون المزارعين اسوأ استغلال عن طريق (نظام الشيل) . ويحقق التجار من هذا النظام ارباحا تتراوح بين ٥٠ فى المائة و ٨٠ فى المائة .

أصحاب المشاريع الالية : ليس هناك تحديد دقيق لعدد أصحاب المشاريع الالية فى السودان لان اعدادا كبيرة منهم تملك مشاريع باسماء وهمية . ويعتبر أصحاب المشاريع عناصر رأسمالية فى الريف السودانى – وهم يقومون فى الريف بأعمال المقاولات والعمار والتجارة وبعضهم وكلاء لشركات اجنبية . وفى **القضارف** وفق احصائية

١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ ، يبلغ عدد أصحاب المشاريع حوالى ٦٣٣ منهم ٥٦٤ يملكون مشروعا واحدا و ٤٠ يملكون مشروعين و١٥ يملكون ثلاثة مشاريع و١٤ يملكون أكثر من ثلاثة مشاريع ، وفى الدالى والمزموم يبلغ عدد أصحاب المشاريع حوالى ١٣٠٠ وعدد كبير منهم من زعماء العشائر ٠

أ ـ **العمال** : سائقو التراكترات والعربات والعمال الميكانيكيون الذين يقومون باصلاح هذه الالات ٠ وقد وجد هؤلاء العمال مع ظهور المشاريع الحديثة بعد الحرب ، ويزداد عددهم بازدياد عدد المشاريع ٠ ويقدر عددهم بحوالى ٨ آلاف عامل فى المشروعات (يقدر عدد المشروعات الالية بحوالى ٢٠٠٠ مشروع) ٠

ب ـ **العمال الزراعيون** : يقومون بالزراعة والشلخ والحش والنظافة والحصاد ، وعملهم موسمى ، ويزيد عددهم على المائة الف عامل ٠ وهى طبقة تتكون أساسا من عنصر الشباب المتمرد على الاوضاع . ويعمل جزء منهم بالرعى ، والاخر يعمل بالمناطق المطرية كمزارعين ، ولا يبيع قوة عمله الا حيث تشح الامطار ، وجزء آخر يقيم اقامة دائمة الى جوار القرى القريبة من المشاريع الالية ، وقد تم ارتباط هؤلاء بأصحاب هذه المشاريع ٠٠ وغالبية هذه القوى ما زالت خاضعة لتأثير الرجعية والطائفية ٠ وارتباط العمال الزراعيين بالارض ضعيف ، فنتيجة قسوة ظروف العمل كثيرا ما يعودون الى قبائلهم ليعملوا رعاة أو يهاجرون الى المدن ٠

المزارعون : وهم يشكلون اغلبية سكان الريف، ويعتمدون على عملهم ـ وهم يعانون كثيرا ، ويقعون فريسة لاستغلال التجار (تجار الشيل) الذين يستولون على كل انتاج المزارعين مقابل تقديم الضروريات لهم ـ ويتحول افراد هذه الطبقة بالتدريج الى عمال زراعيين أو الى عمال مأجورين فى المدن ٠

الرعاة : ويشكلون الغالبية العظمى من افراد القبائل ٠ ويقومون برعى ماشية زعماء العشائر ـ وجزء منهم يملك الى جانب عمله نذرا يسيرا من الابقار أو الضأن أو الجمال ولكن الغالبية بغير ماشية وتؤجر قوة عملها للاخرين ٠ وتعتبر هذه الفئة من أهم مصادر العمل الزراعى المأجور ٠

٤ الأحزاب السياسية قبل ٢٥ مايو

بعد ثورة ١٩٢٤ اتجه الاستعمار الى اتباع سياسة اصلاحية ، هدفها الابقاء على الحياة المحافظة فى الريف والمدن ، وخلق طبقة غنية وارستقراطية ترتبط مصالحها بمصالح الاستعمار ٠٠ فصرفت المرتبات الضخمة للزعماء العشائريين ، وسلم الزعماء الروحيين مساحات ضخمة من الاراضى ، ومنحت «المشاريع الزراعية» كذلك لكبار الموظفين والضباط المتقاعدين . وخطط الاستعمار البريطانى كذلك لكسب التجار وبدأ بقانون ١٩٢٩ الخاص بضريبة الارباح والذى خفف الاعباء الضريبية المفروضة عليهم ، وانعم عليهم « بكساوى الشرف » واتيحت لهم ايضا فرصة الاستيلاء على الاراضى ٠

وفى الثلاثينات وجد المثقفون والمتعلمون وصغار

الموظفين أنهم اصبحوا وحدهم فى ميدان الصراع مع المستعمر ٠

وبدأت هذه الفئة ـ وخاصة ـ بعد معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا تنظم صفوفها فى تنظيم يكون اداتها فى العمل الوطنى ٠ ففى ١٩٣٧، تأسس « **مؤتمر الخريجين** » من المثقفين والطلاب وصغار الموظفين ، وبعض عناصر البورجوازية السودانية ٠ وفى فبراير ١٩٣٨ عقد مؤتمر الخريجين مؤتمره الاول حيث أقر لائحة وبرنامجا وانتخب لجنة تنفيذية ٠ وبدأ نشاطه أساسا فى المجال التعليمى وخلال السنوات الاربع الاولى من نشاطه أسس حوالى مائة مدرسة ، وفى ١٩٣٩، أصدر صحيفة « **المؤتمر** » ٠

وفى ابريل ١٩٤٢ قدم المؤتمر مذكرة الى الحاكم العام تطالب بحكومة سودانية بعد انتهاء الحرب ، وبالغاء احتكار الحكومة للتجارة الخارجية ، والسماح لرأس المال السودانى بالاشتغال فى هذا المجال ، ولكن الحاكم العام رفض المذكرة ، ورفض الاعتراف بالمؤتمر كممثل للشعب السودانى ٠

وفى ذلك الوقت ظهر اتجاهان داخل المؤتمر ، الاتجاه الاول يطالب « بعلاقة » مع **مصر** ويضم العناصر الوطنية وأنصار الطائفة الختمية ، ويحبذ الاتجاه الثانى ضرورة التمسك بالعلاقات مع **بريطانيا** ويضم كبار الموظفين وكبار اصحاب الاراضى وطائفة الانصار ٠

وبعد أغسطس ١٩٤٥ احتدم الصراع بين الاتجاهين بسبب قرار اتخذه المؤتمر حول المطالبة بجلاء القوات البريطانية من السودان وتحقيق اتحاد فيدرالى مع مصر ٠

وبدأ الانقسام ، ونظم كل فريق حزبه ، فتشكل حزب « **الاشقاء** » فى احضان طائفة الختمية ، وكانت شعاراته الاساسية هى قرار مؤتمر الخريجين فى أغسطس ١٩٤٥ ٠ وكان حزب الاشقاء على علاقة بالحكومة المصرية ، وببعض الاحزاب الوطنية حينئذ ٠ واختير **اسماعيل الازهرى** رئيسا للحزب ٠

ومن ناحية اخرى تشكل حزب « **الامة** » ممثلا للمصالح شبه الاقطاعية ، وزعماء العشائر ، وكبار موظفى الحكومة والعناصر البورجوازية الثرية المرتبطة مصلحيا بالاستعمار ٠ وكان قائده الفكرى هو **السيد عبد الرحمن المهدى باشا** ، وعلاقاته مع الانجليز ودية ـ لذلك فان الادارة البريطانية أشرفت على تكوين حزب الامة ٠٠ وكما قالت التقارير البريطانية حينئذ ليكون « ترياقا مرا للحركة الوطنية » ٠ وكان برنامجه يدعو الى العمل على تكوين مؤسسات الحكم الذاتى والوصول الى استقلال السودان تدريجيا تحت شعار « السودان للسودانيين » ٠

وفى نفس الفترة تكونت مجموعة من الاحزاب الصغيرة من المثقفين الوطنيين ، وكان اكبرها **حزب** « **الاتحاديين** » (كان يطالب باتحاد مع مصر وليس وحدة) وحزب «**الاحرار الاتحاديين**» وحزب «**وادى النيل**» (اسسه الدرديرى احمد اسماعيل) والذى كان يطالب بالاندماج التام مع مصر ٠ وهى التى كونت فيما بعد مع حزب الاشقاء فى ١٩٥٢ الحزب « **الوطنى الاتحادى** » ٠

ولقد اعتمدت هذه الاحزاب منذ تأسيسها على الطوائف الدينية والتى كانت قياداتها قد انتقلت الى المدن ، وقد لجأ قادة الطائفتين الكبيرتين الى الاعتماد على المثقفين لاستخدامهم فى التعبير عن افكارهم وآرائهم السياسية والتى لم تكن الظروف تسمح لهم بالتصريح بها ٠

وداخل الطائفتين الكبيرتين وجدت قوة لرجال الاعمال الذين تدعم كيانهم الاقتصادى بعد ١٩٢٤، سواء كانوا تجارا أو مقاولين او متعهدين أو ملاك عقارات، أواصحاب مشاريع زراعية ، او اعمال نقل او صناعات ٠ وكان لهم وضع خاص داخل الطوائف كقوة ممولة ـ ومن ثم عندما نشأت الاحزاب السياسية فى أحضان الختمية والانصار ، اصبح « لرجال الاعمال » هؤلاء مراكز خاصة داخل هذه الاحزاب . فزعماء الطوائف يمولون الاحزاب وهؤلاء بدورهم يمولون زعماء الطوائف ـ وهم ولاشك اقدر ماليا من القواعد الحزبية العريضة على تمويل القادة السياسيين ٠ وتفسر لنا هذه الحقيقة كثيرا من المسائل الخاصة بتطور حزب مثل الوطنى الاتحادى والتقائه مع حزب الامة ، وكذلك التقائه مع الاستعمار الحديث بعد الاستقلال وكذلك انغماسه فى مستنقع الفساد ، لقد كانت القيادة الحقيقية فى أيدى « **الاثرياء الجدد** » ٠

وفى نفس الوقت الذى نشأت فيه مجموعة الاحزاب السابقة والتى كان يجمعها « **مؤتمر الخريجين** » تأسس « **الحزب الشيوعى السودانى** » فى صيف ١٩٤٦ ٠ وكان اسمه فى البداية « **الحركة السودانية للتحرر الوطنى** » واعتمد هذا الحزب فى نشاطه منذ البداية على العمال التقدميين والمزارعين والمثقفين والطلبة ٠ وقد قاد الحزب منذ الاربعينيات الحركات العمالية وكان لكوادره الدور القيادى فى تنظيم نقابات العمال ٠ كما نشط فى تنظيم كثير من الفئات الاخرى فى منظمات ديمقراطية خاصة بها ٠ وكانت شعاراته الاساسية « التحرر الوطنى من الاستعمار البريطانى » « الكفاح المشترك بين الشعبين المصرى والسودانى » . وشعار « الجلاء وحق تقرير المصير » ٠

التنظيمات الجماهيرية

وفى نفس الوقت الذى نشأت فيه الاحزاب السياسية المختلفة نشأت **الحركة النقابية السودانية** مستقلة عن الاحزاب الوطنية والطائفية ،

وبقياداتها العمالية الخاصة ،ولقد تكونت اول نقابة عمالية فى ١٩٤٧ ـ **نقابة عمال السكك الحديدية**، وفى نوفمبر ١٩٥٠ تأسس أول **اتحاد لنقابات العمال** بعضوية بلغت ١٥٠ ألف عامل منظم فى ٥٣ نقابة تمثل العاملين فى المصانع والوحدات الانتاجية والمكاتب ٠

وتتصدر الحركة النقابية السودانية منذ قيامها النضال الوطنى ضد الاستعمار ـ وكانت لها المبادرة فى تأسيس « **الجبهة الديمقراطية الوطنية لتحرير السودان** » والتى اشتركت فيها كل العناصر والهيئات والاحزاب الوطنية ٠

وهكذا فانه بعد الحرب العالمية الثانية دخلت قوى اجتماعية تناضل مستقلة عن نفوذ منظمات ومؤسسات البورجوازية والطائفية والتخلف ـ نقابات العمال ـ منظمات الطلاب ـ تنظيمات المزارعين الديمقراطية ـ تنظيمات النساء ٠٠ الخ فالى جانب المؤسسات السياسية القديمة والتى كانت لاتزال ذات الوزن الاجتماعى والسياسى الاول وجدت مؤسسات تنازعها العمل السياسى ولا تعمل تحت قياداتها .

وهكذا لم تنفرد هذه القوى بالعمل السياسى وتحتكر قيادته ـ لقد وجدت قوى اجتماعية ثورية وديمقراطية براياتها المستقلة ترفض التهادن أو التوقف بالاستقلال عند حد رفع الراية أو اقامة برلمان يناقش الميزانية (مطلب الخريجين فى الاربعينيات) ٠ وهى قوى لها صياغتها الخاصة لقضية التحرر الوطنى ـ على اساس الارتباط العضوى بين التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى .

وقد كشفت هذه القوى ـ شعارات « **السودنة** » ـ باعتبارها شعارات لا تعبر عن مصلحة الشعب السودانى ككل بقدر ما تعبر عن مصلحة الفئات الحاكمة ورغبتها فى مشاركة الحكم البريطانى .

وهكذا برزت شعارات ثورية تقابل شعارات الرجعية والبورجوازية قبل الاستقلال ـ وارتفعت من على أرضية اجتماعية منظمة ـ كشعارات التأميم فى وجه « السودنة » و « لا تحرير بلا تعمير » فى وجه شعار « الحرية بلا تعمير » .

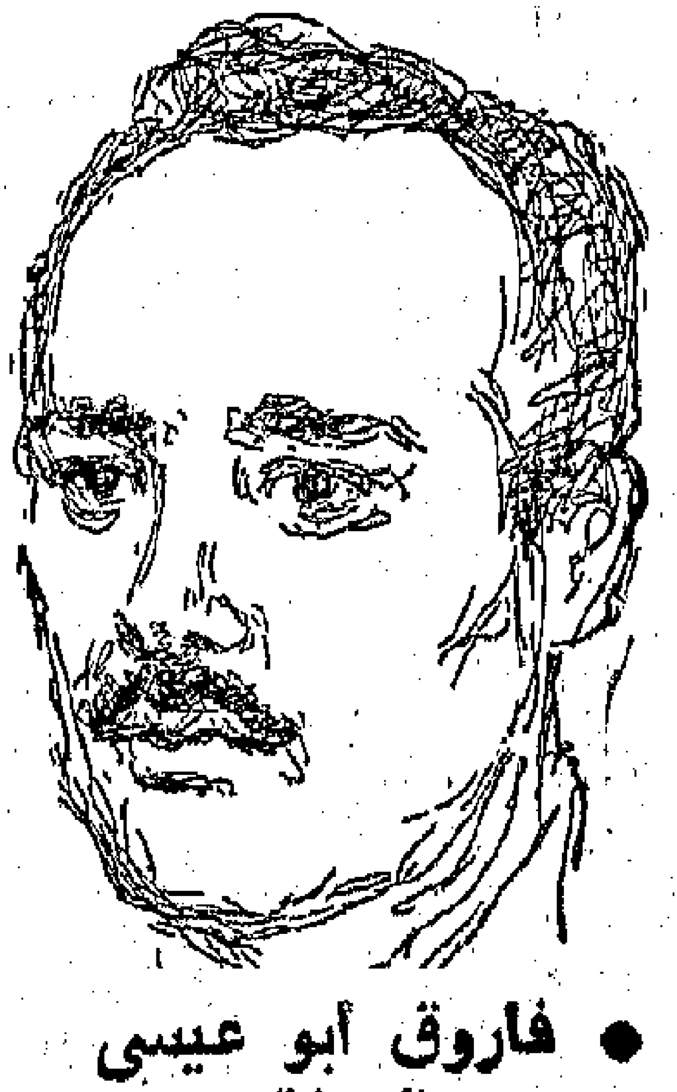
الاحزاب السياسية بعد الاستقلال

وبعد الاستقلال ـ ١٩٥٦ ـ بل ومنذ أن دخل الحزب الوطنى الاتحادى السلطة فى ١٩٥٤، ـ ازداد نهم الطبقات الاجتماعية المالكة والحاكمة ، ورغبتها فى الاستيلاء على خيرات البلاد ومشاركة المصالح الاجنبية فى الثمار ٠ وهنا لم يعد هدف الصراع الحزبى بين الاحزاب التقليدية ، تدعيم الاستقلال بقدر ما كان اقتتالا على مكاسب الاستقلال ٠

ولذلك واجه الحزب الوطنى الاتحادى الحاكم بعد الاستقلال خروج جزء هام ورئيسى منه مكونا لحزب «**الشعب الديمقراطى**» والذى تكون اساسا من الطائفة الختمية

وعندما سقطت حكومة الازهرى اشترك هذا الحزب فى حكومة **عبد الله خليل ـ الامة ـ فى** ١٩٥٦ ٠

ولكن اتجاه الاحزاب التقليدية هذا بعد الاستقلال لاحتكار السلطة لمصلحة الطبقات المالكة ولمصلحة قوى الاستعمار الحديث وعلى حساب الجماهير الكادحة ـ جاء فى عصر ملىء بالتجارب الثورية الجديدة فى عالم التحرر الوطنى ، فى عصر أصبحت الاشتراكية فيه شعارا تتغنى به الشعوب فى كل مكان ، فى عصر أصبحت فيه أساليب الاستعمار الحديث مفضوحة منذ ولادتها ، النقطة الرابعة والبنك الدولى مثلا ٠٠ فى عصر رفعت فيه شعارات التغيير الاجتماعى والديمقراطية الجديدة ٠ كل ذلك الى جانب النضال المستقل لجماهير الشعب السودانى العامل والجماهير السودانية المستنيرة ذات الاثر الكبير فى العمل السياسى بالسودان مما جعل الطبقات المالكة عاجزة تماما عن الاستمرار فى الحكم والسيطرة بطريق « البرلمانية » الغربية ، وعن الاستئثار بالمغانم ، وفتح الباب أمام زحف الاستعمار الحديث ومصالحه ٠٠ والبطش بالحقوق والحريات الديمقراطية ٠ مما جعل هذه القوى الحزبية الممثله للطبقات المالكة تلجأ الى تسليم السلطة فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ لجناحها العسكرى ليحكم بدلا من الجناح البرلمانى الذى أصيب بعجز قاتل ٠



● **فاروق أبو عيسى**
وزير الدولة



● **جوزيف قرنق**
وزير الحبوب



● **الرائد فاروق عثمان حمدالله**
وزير الداخلية

ثورة أكتوبر ـ وحركة الاحزاب

وشاركت فى ثورة أكتوبر القوى الاجتماعية الجديدة التى نمت من خلال عملية الصراع من أجل الاستقلال وبعده وضد نظام ١٧ نوفمبر ، وهى قوى العاملين والمثقفين والراسماليين الوطنيين غير المرتبطين بالاستعمار ، والمزارعين وأضيفت اليهم قوة جديدة نمت وتكونت خلال عملية صراع عنيفة منذ ١٩٥٣ وهى **الفرقة الثورية بالقوات المسلحة** ـ هذه القوى واجهت القوى الحزبية التقليدية وبرلمانيتها الغربية كأداة للثورة المضادة .

وأمام هذه المواجهة التى بلغت قمتها خلال عام ١٩٦٨ ، بدأت مراكز الاحزاب التقليدية تتغير ـ فكان عودة حزب الشعب الديمقراطى الى الوطنى الاتحادى وتكون الحزب « **الاتحادى الديمقراطى** » ، وكانت وحدة حزب الامة واعتماده كليا على **جماعة الاخوان المسلمين** والتى اصبحت بمثابة فرع من فروعه . ثم بدأت هذه الاحزاب تلتقى أكثر لمواجهة قوى الثورة الوطنية الديمقراطية ـ قوى ثورة أكتوبر ـ وهى تتصاعد بشكل لم يسبق له مثيل .

ولكن عوامل اكبر عصفت بالوجود الحزبى التقليدى فى السودان فرضتها حتمية التطور ـ **فأولا** : كانت هذه الاحزاب قد غرقت فى مستنقع الفساد حتى قاعه . **ثانيا** : ان هذه الاحزاب سلمت للمصالح الاجنبية تسليما كاملا . **ثالثا** : ان الصراع الحزبى اصبح « يلهث » وراء المال والعقارات والتملك ـ بأى وسيلة . **رابعا** : أن قوى الثورة استعادت قدراتها التنظيمية شيئا فشيئا وخاصة بين العاملين . **خامسا** : ان الفرقة الثورية فى القوات المسلحة دعمت نفسها وأجادت تنظيمها واصبحت على درجة من الوضوح الفكرى اكثر من أى وقت مضى **سادسا** : ان الجناح العسكرى الرجعى لم يعد قادرا على التحرك لاستلام السلطة من البرلمانية المنهكة .

وهكذا عندما جاءت ثورة ٢٥ مايو ، كانت هذه الاحزاب قد أصابها من التفكك ما سهل على القوى الثورية اسقاطها . ولكن بعض بقاياها لاتزال قائمة ، كالتنظيمات الطائفية والتخلف والنفوذ التقليدى للطبقات المالكة والرأسمالية الاجنبية ، وهى عمد الاحزاب التقليدية ـ اذ أن القوى المضادة للثورة لن تهدأ بل ستسعى بكل الوسائل للانقضاض على الثورة والاطاحة بها .

٥

الاستقلال ومراحل الثورة الثلاث

بعد نضال طويل ، قدم فيه الشعب السودانى الشهداء والتضحيات استطاع ان يحقق استقلاله فى يناير عام ١٩٥٦ . وقد كان اعلان الاستقلال والجمهورية ، ايذانا ببدء صراع جديد .

فقد كانت المهمة العاجلة أمام القوى الوطنية الديمقراطية ، بعد اعلان الاستقلال ، هى انجاز مهام بناء الاقتصاد الوطنى المستقل والاهتمام بسائر قضايا المرحلة الوطنية الديمقراطية . بينما كانت القوى التقليدية ممثلة فى حزب الامة والحزب

الاتحادى الوطنى ـ المعبرة عن اشباه الاقطاعيين والاجنحة اليمينيةمنالبورجوازية والبيروقراطيين فى جهاز الدولة ـ تسعى الى الاستيلاء على مكاسب الاستقلال لصالحها ووفق مفاهيمها الغربية ٠

مرحلة الحكم البرلمانى ١٩٥٦ ـ ٥٨

وفي ظل حكم الوطنى الاتحادى (اسماعيل الازهري) من ينايرحتى يوليو ١٩٥٦ ، ثم الحكومة الائتلافيةبرئاسةعبدالله خليل (ائتلاف حزب الامة وحزب الشعب الديمقراطى الذى انشق عن الوطنى الاتحادى)منيوليو حتى نوفمبر ١٩٥٨ ، لم تتغير جوهر الحياةالاقتصاديةوالاجتماعية فى السودان عن تلك التى كانت عليها قبل الاستقلال ٠

فقد عبر هذا الحكم ، عن اتجاهين : أحدهما قوى اليمين المتطرف المرتبط بالاستعمار القديم ، والاخرى اقســـام من البورجوازية عجزت عن ادراك مهام العمل الوطنى بعد الاستقلال ٠ ٠ فسلمت البلاد للاستعمار الجديد ٠

لقد أدى نضال الجبهــة الواســعة ـ قبل الاستقلال ـ من الرأسمالية الوطنية والطبقــة العاملة والمثقفين الوطنيين والفرق المتقدمة من المزارعين وبعض عناصر كبار الملاك ، الى فتح الطريق أمام انتصار معركة الاستقلال الوطنى ٠ ولكن ما أن لاحت آفاق هذا الانتصار ، حتى عملت فئات البورجوازية وكبار الملاك ، على محــاربة الديمقراطية ٠ وكان ذلك أول خطوة لاضـــعاف صفوف الجماهير والقوى الوطنية ٠٠ ومصادرة حرياتها ٠

وظلت طبيعة جهاز الدولة كما هى فى عهد الاستعمار ، جهازا دكتاتوريا بيروقراطيا معاديا للشعب ٠ وحل محل الاداريين الانجليــز ٠٠ اداريون سودانيون تشربت عقلياتهم بـــالمفاهيم الغربية ٠ وبقيت القوانين المقيدة للحريات كما بقيت المؤسسات الرجعية فى الريف ٠

أما فى المجال الخارجي ، فقد جنحت الحكومة الائتلافية الى رعاية المصـــالح الاســـتعمارية ، وجمدت السودان فى الامم المتحدة ، واتخـــذت موقف الحياديبينعراق حلف بغداد والدول العربية المتحررة ، وسلكت مسلكا شائنا ازاء الوطنيين الافريقيين ، كما فعلت مع رفاق فيلكس مومى ، وتقاربت مع حكام البلدان الخاضعة للنفــوذ الغربى ، أما علاقاتها بالقاهرة فقد شابها الفتور الملحوظ ٠

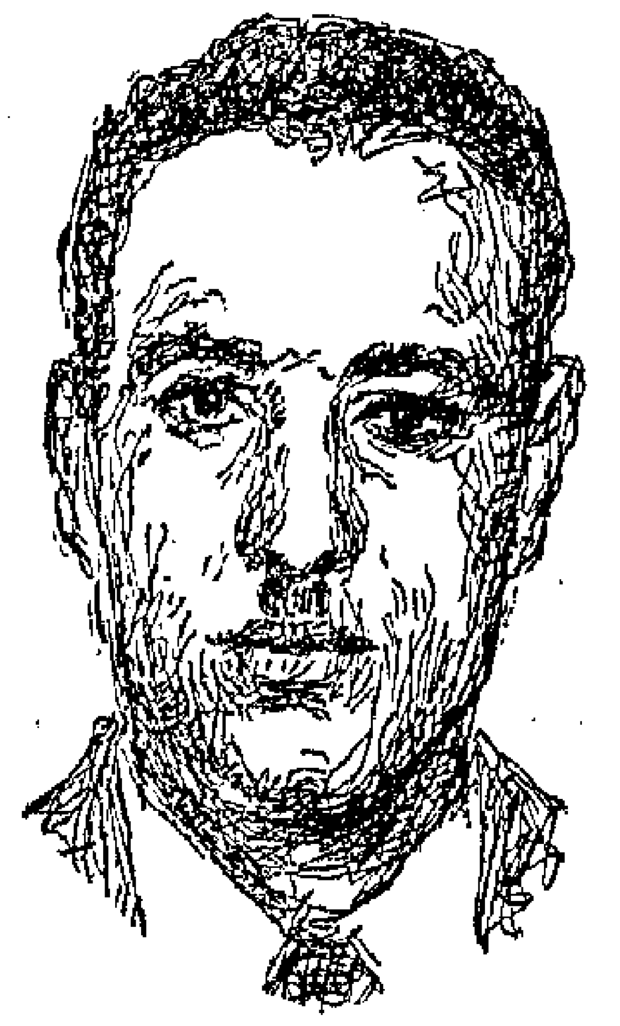
وبينما كان المد الثورى يجتاح الوطن العربى ، كانت حكومة عبدالله خليل تقبل « برنامج النقطة الرابعة » الامريكية وتدعم علاقاتها ببريطانيا ٠ ومع تدهور الحياة الاقتصادية والعجز الضخم فى الميزان التجارى ، وتأزم مشكلة الجنوب وعجز الحكومة عن ايجاد حل لها ، ثم استشراء الفساد فى جهاز الدولة والحياة العامة ، عجزت القوى التقليدية عن مواجهة مشاكل ما بعد الاستقلال ، بينما نمت قوة الحركة الديمقراطية والشعبية ٠ ودخلت الحركة السياسية فى أزمة ثورية حادة ، وارتفعتشعاراتالوحدة الوطنية وسطالجماهير المعادية للاستعمار وللرجعية الحاكمة ٠ أما قوى الرجعية ، فقد كانت تعانى من انقسامات فـــى صفوفها ٠ وأصبح واضحا أن حكومة عبدالله خليل على وشك أن تسقط لتقوم مكانها حكومة أقرب تمثيلا لمصالح الشعب ٠

فى ذلك الوقت ، وحيث برز دور الحـــزب الشيوعى السودانى والمنظمـــات الجمـــاهيرية الديمقراطية ، نقل الاستعمار واليمين معـــركة الصراع الطبقىمن أشكاله البرلمانية والسلمية الى شكل دكتاتورى عسكرى ٠٠ حيث شهروا السلاح فى وجهالحركة الديمقراطيةالشعبية بانقلاب أحمد عبود فى نوفمبر ١٩٥٨ ٠

مرحلة الحكم العسكرى

كان انقلاب عبود ، انقلابا رجعيا منذ لحظاته الاولى ٠ لانه كان امتدادا لسياسة قوى اليمين والاستعمار ٠ وقد استهدف منذ البداية مواجهة الحركة الديمقراطية فى البلاد وكبت منظماتها وهيئاتها وتصفيتها ٠فقدصادرت حكومة الانقلاب حقوق القوى الاجتماعية فى تأسيس منظمـــاتها الديمقراطية وقيدت حـــرية حركتها واعلنت حالة الطوارىء فىالبلاد واوقفتالعملبالدستور وحلت البرلمان ٠ ثم قررت تعطيــــــل النقـــــــابات والاتحادات العمالية ، وشنت هجوما ارهابيا ضد القوى الديمقراطية والوطنية والاشتراكية باسم معاداة الشيوعية ، وزجت بالعناصر الديمقراطية والوطنية فى السجون والمعتقلات ٠ وقيـــدت الصحافة ، وقـــدمت الصحفيين الوطنيين الى المحاكمة ٠ وتعرضت نقابات العمال واتحادات المزارعين للضغط الحكومى ، تارة بتعطيلنشاطها وتارة أخرى بفرض عناصر انتهازية عليها ٠

لم تقف حكومة الانقلاب العسكرى ، عند هذا الحد من الاعتداء على حقوق وحريات الشعب السودانى ، ففى نفس الشهر الذى وقع فيــــه الانقلاب ، أصدرت الحكومة قـــرارا « باجماع الاراء » يقول « انه لا يوجد فى اتفاقية المعونة الامريكية ما يحد من استقلال السودان أو يخدش كرامته » ٠ وصدق مجلس الوزراء على اتفاقية



● موسى المبـــــارك

المعونة الامريكية التى لاقت معارضة وعداء القوى الوطنية والديمقراطية ٠

ومنذ ذلك الحين ، فتح الباب على مصراعيه لا أمام التدخل الامريكى ورأس المال الامـريكى فحسب ، وانما أمام تدخل الدول الاستعمارية الاخرى مثل بريطانيا والمانيا الغربية وغيرها ٠ وفى ظل هذه الحكومة ، افتقدت الشعوب العربية ، « **وجه السودان العربى** » ، وافتقدت الحـركة الوطنية الافريقية ، « **وجهه الافريقى** » ٠ فقد وجد أحد وزراء عبود ــ **طلعت فريد** ــ فى نفسه الجرأة لان يقول للصحفيين فى مؤتمر صحفى عقد فى فبراير ١٩٥٩ أثيرت فيه « **المسألة الجزائرية** » : « لا معنى لان تهاجم صحافتنا فرنسا ٠ فكما تقتل فرنسا الجزائريين ، فان الجزائريين يقتلون الفرنسيين» ٠ وليس صدفة ان تقوم وفود الحكومة الجزائرية الثورية بزيارة جميع البلدان العربية وغير العربية ، دون أن تفكر فى زيارة « سودان حكم عبود » ٠

ولم تكتف حكومة عبود بمنع الطائرات العربية من الهبوط فى مطار بور سودان فى طريقها الى تقديم المساعدات الى الجمهورية اليمنية فحسب ، بل وفتحت ميناء بورسودان أمام قطع الاسطول البريطانى المعادى لثورة اليمن ٠ ووصل تنكرها للحركة الوطنية العربية ، الى حد انها جعلت من مطار الخرطوم قاعدة عسكرية بريطانية لضرب ثوار جنوب اليمن المحتل ٠

وفضلا عن ذلك ، قامت حكومة عبود بمطاردة واعتقال الوطنيين الافريقيين ٠ بل انها رفضت السماح لمرور الامدادات والاسلحة والمؤن والاغذية والادوية لحكومة **لومومبا** ابان أزمة الكونجو فى ١٩٦٠ . وقد اشاد **منين ويليامز** وكيل الخارجية الامريكية فى ١٧ فبراير ١٩٦١ بالدور الذى لعبته حكومـة عبـود « دون عبـور الاسـلحة الى الكونجو » ٠

أما فى المجال الاقتصادى ، فقد سارت سياسة حكومة الانقلاب باقتصاديات السـودان الى الخراب ٠ فبينما كانت القوى الديمقراطية مـع الحزب الشيوعى السودانى ، ترى أن طريق التطور الرأسمالى القائم على الاستغلال وتشجيع الرأسمالية فى صورها المختلفة ، لن يحل مشاكل السودان المتخلف ، استمرت حكومة الانقلاب على سياسة الحكومات السابقة فى طريق التطـور الرأسمالى المسدود ٠ وفى ظل حكومة عبود وصلت هذه السياسة الى نتائجها المنطقية والضرورية ٠ وفى خطتها للسنوات العشر ، اتجهت فى الاساس الى المعونات الامريكية ، فانتشرت مكاتب المعونة فى كافة اجهزة الدولة وظهر بوضوح التدخل الامريكى المباشر فى سياسة السودان الاقتصادية التى استهدفت فتح الطريق أمام الاحتكارات الامريكية للسيطرة على السودان بالقروض والاستثمارات المباشرة ٠

وفى خلال حكم الانقلاب ، بلغت ديون السودان من القروض الاجنبية حوالى ١٣٠ مليون جنيه ٠ ولم تكن هذه القروض ، لتقوم بتصنيـع البلاد وارساء دعائم استقلالها الاقتصادى ٠ بل على العكس لم تقدم للسودان أكثر من بعض صناعات خفيفة ومحدودة ٠ وعادت حكومة الانقلاب ، كل اتجـــاه ينـــادى بالتـأميم بهـدف تخليص الاقتصـاد القـومى مـن سـيطرة البنوك الاجنبية ٠ بل قابلت هذه المطالب بالقمع والارهاب والمعتقلات ٠ ووقع السودان فى قبضة الاسـتعمار الجديد الاقتصـادية وتحـكمت فيه رءوس الاموال الامريكية والالمانية الغـربية والبريطانية .٠

ولم تسع حكومة الانقلاب ، الى ايجاد حل حقيقى لازمة تسويق القطن ، أو لتفاقم البطالة وتسريح آلاف العمال تحت شعار ضغط المصروفات وارتفاع الاسـعار ، فساءت الاحوال المعيشية للفئات الشعبية والمتوسطة ٠

لم يصل مدى تدهور الاوضاع فى ظل حكومة عبود الى هذا الحد فحسب ٠ فمن ناحية أخرى شاعت ظواهر الفساد والرشوة ، واستشرت أعمال الاختلاس والنهب ، بل وزاد البذخ فى الانفاق الحكومى ، مما أجهـز على البقية الباقية من اقتصاد البلاد ٠

الشعب يقاوم ٠٠ والمعارضة تتجمع

لم يكد يمر عام واحد على حكم الارهـاب

العسكرى تحت قيادة احمد عبود ، حتى تخلت القوى التقليدية نفسها تدريجيا عن تأييدها للانقلاب الذى سلمته السلطة من قبل • وفى خلال هذا العام، قام اضراب عمالى كبير وآخر طلابى، وتمت ثلاث تحركات فى الجيش قوبلت بثلاث حملات اعتقال . وتمت محاكمات عسكرية للعمال والضباط •

لقد انتهز الحكم العسكرى ، فرصة فشل ثلاث محاولات للضباط الوطنيين للاطاحة بحكومة عبود ، ليقوم بتصفية الحركة الثورية سواء داخل صفوف الشعب أو الجيش •

فى ذلك الوقت من عام ١٩٦٠ ، وقعت ازمة الكونجو ، وتحرك الطلبة والعمال والمحامون على اثر اغتيال لومومبا ، مطالبين بالوقوف ضد مؤامرات الاستعمار فى الكونجو والاعتراف بحكومة **جيزنجا** • كما ادانوا الموقف المتخاذل للحكومة فى مذكرة رفعها المحامون • وتجددت هذه الاضطرابات فشنت الحكومة حملات للاعتقال والتعذيب ضد الوطنيين ، وفى خلال أزمة **الكاريبى** عام ١٩٦٢ شددت حكومة عبود من ارهابها بأن زجت بالمئات فى السجون ، واعتدت حتى على حرمة القضاء واستقلاليته •

وتحت الضغط الجماهيرى المتزايد واشتداد حركة العمال والطلبة والمزارعين والمثقفين فى مواجهة هذا الحكم العسكرى الرجعى أدرك حزبا الامة والوطنى الاتحادى مدى الاخطار التى تهدد النظام باكمله فبادرا بذكاء الى التحالف مؤقتا مع صفوف المعارضة بغية الاستيلاء على السلطة من جديد وعزل القوى الشعبية عنها • وفى نوفمبر ١٩٦٠ رفعت جميع الاحزاب السودانية مذكرة الى المجلس الاعلى للقوات المسلحة طالبت فيها :

أولا : ان يتفرغ الجيش لمهمته الوطنية الاساسية : حماية البلاد •

ثانيا : الغاء حالة الطوارىء وكفالة حرية المواطنين وضمان حرية الصحافة •

ثالثا : ان تتولى الحكم ، هيئة قومية انتقالية ، تمارس سلطات الحكومة فى فترة الانتقال وتضع أسس الديمقراطية وتخطط لها فى البلاد ، ثم تضع قانون انتخابات عادل لتمثيل الشعب فى البرلمان ووضع الدستور •

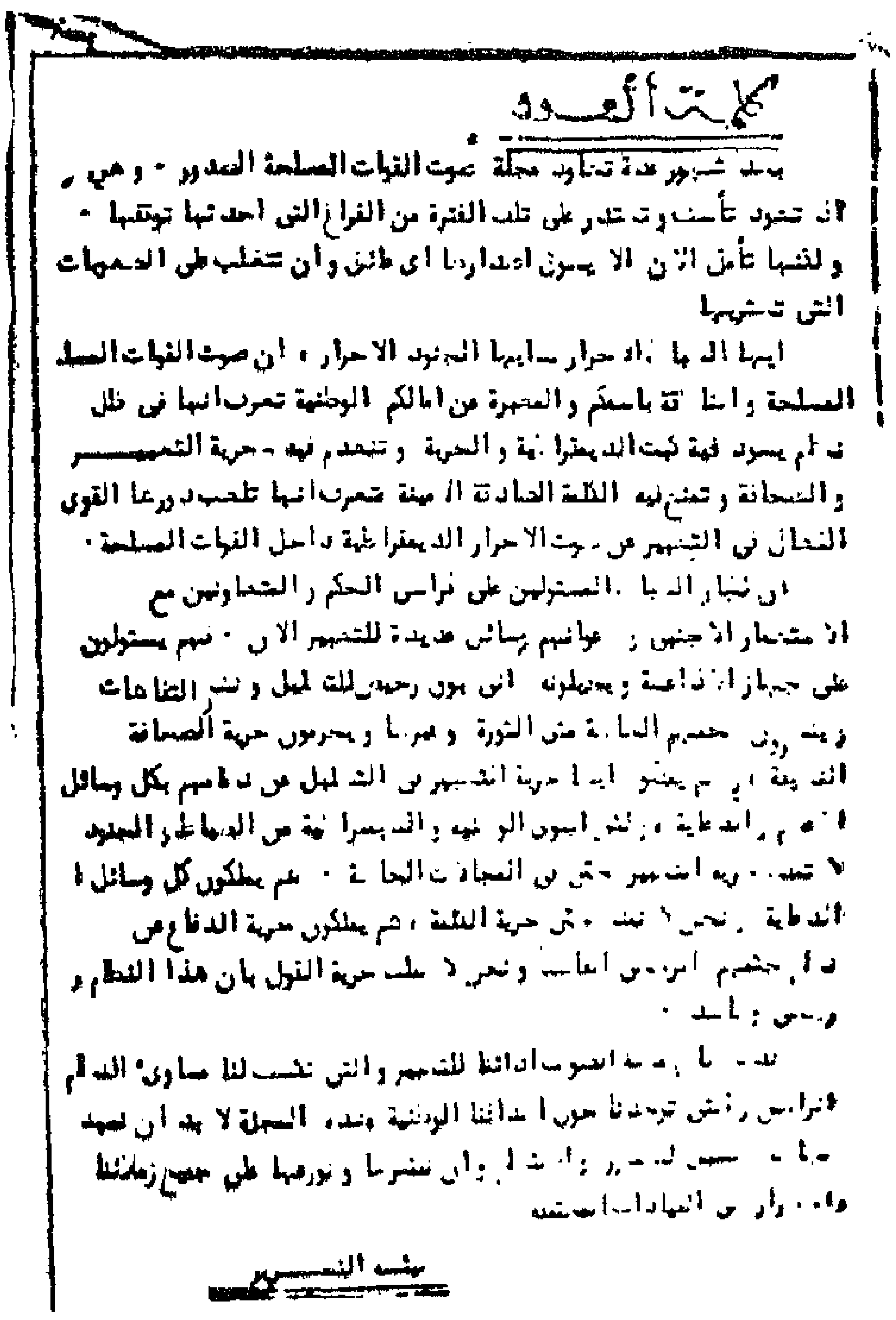
ولما تجاهل الحكم العسكرى ، هذه المذكرة ، رفعت الاحزاب مذكرتها الثانية فى مطلع عام ١٩٦١ • وقد كانت المذكرة الثانية ، بمثابة اعلان عن قيام « **جبهة احزاب المعارضة** » التى ضمت كل الاحزاب • وفى مواجهة هذا التطور الهام فى الحركة السياسية والجماهيرية ، اعتقلت حكومة الانقلاب ١٢ زعيما من جبهة المعارضة ونفتهم الى جوبا • وكان منهم **اسماعيل الازهرى** من الحزب الوطنى الاتحادى ، **وعبد الخالق محجوب ، واحمد سليمان** من الحزب الشيوعى ، **ومحمد أحمد محجوب ، وعبدالله خليل** من حزب الامة . فنظم الحزب الشيوعى مظاهرة احتجاج ضخمة فى أم درمان والابيض ، قبض فيها على عدد منهم وقدموا للمحاكمة . وما لبث زعماء المعارضة المعتقلون ، أن اضربوا عن الطعام لحين أن يتم الافراج عنهم • وكان لاضرابهم اثر على الحركة الجماهيرية من جهة والاوساط الحاكمة من جهة أخرى مما اضطر الحكومة الى الافراج عنهم فى اليوم التالى لاضرابهم •

عجز الحكم العسكرى عن الاستمرار فى احكام قبضته على البلاد • واقتنعت جميع الاوساط بافلاس حكم عبود • واصبحت المظاهرات السياسية والاضرابات ، هى الطابع العام الذى يحكم سنوات الحكم العسكرى الاخيرة • ولم تجد الحكومة من وسيلة سوى مواجهة هذه الاضرابات والمظاهرات ، بالرصاص • وبتعاظم حركة المد الثورى الجماهيرية فى البلاد ، بدأت الاحزاب التقليدية تكشف عن مواقفها المحافظة والرجعية ازاء عدد من التطورات • مثلما حدث ، حينما وافقت على قرار الحكومة بالغاء الاحتفال بعيد الاستقلال فى يناير ١٩٦٣، ورفضت دعوة الحزب الشيوعى لتبنى الاضراب السياسى ضد الحكم العسكرى . وكان لتباين هذه المواقف ، تعبير عن جذور الخلافات التى ستبدو فيما بعد حتى بعد أن تتولى جبهة الاحزاب السلطة •

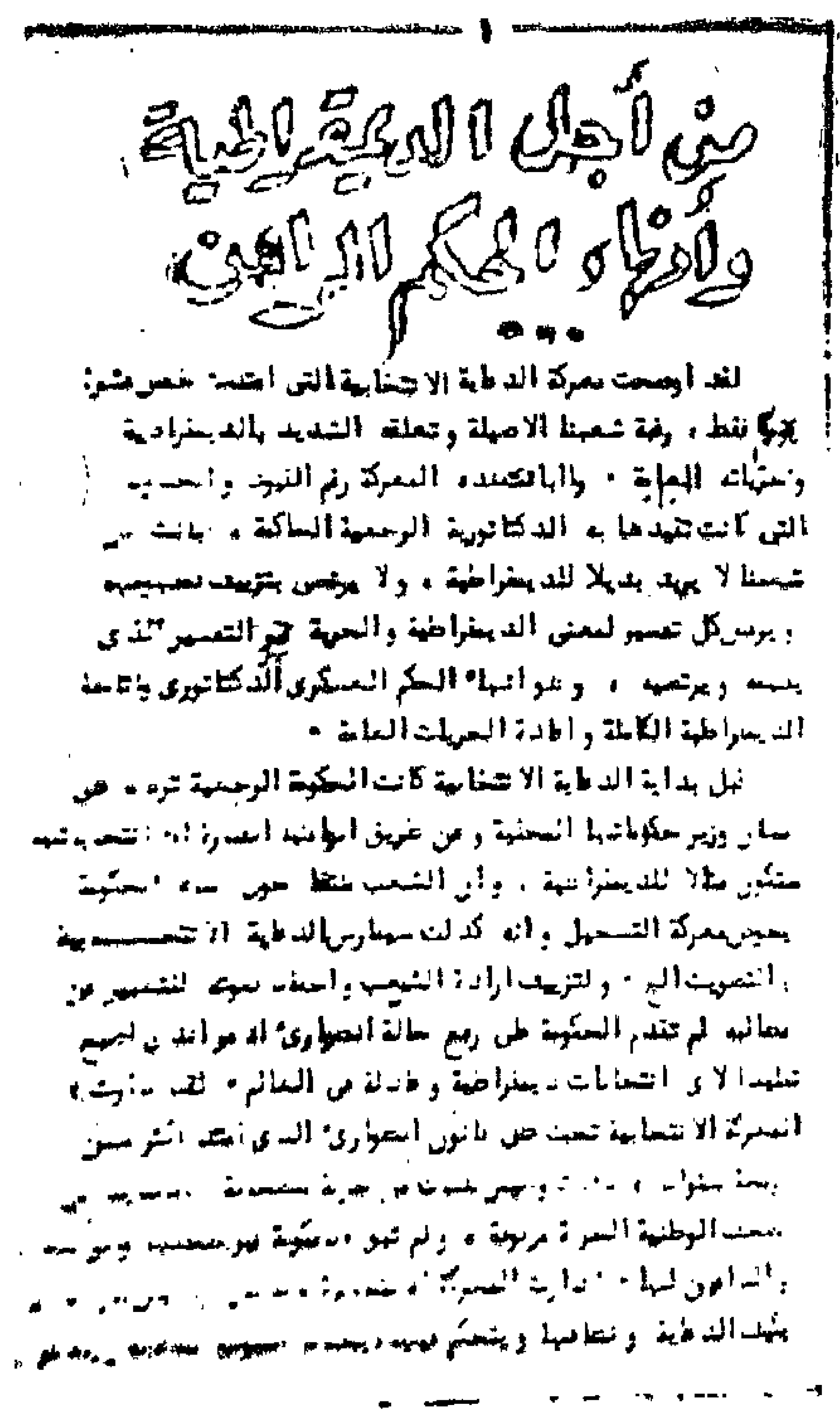
ثورة اكتوبر ١٩٦٤

ثورة اكتوبر ، نموذج حقيقى للانتفاضة الشعبية ولمفهوم الثورة • فالحكم العسكرى ، عجز عن مواجهة الموقف ولم يعد فى استطاعته أن يقدم جديدا يمكن أن يقبله الشعب ، والحركة الوطنية والشعبية مع سائر القوى التى تعارض الحكم العسكرى ، قد تسلمت زمام المبادرة ولم تعد مستعدة لتقبل المزيد على ايدى ذلك الحكم وكانت الطبقة العاملة قد عبرت فى مؤتمر اغسطس ١٩٦٤ لاتحاد النقابات عن تحديها للحكومة وواجهت مؤامرة جديدة لها لفرض قيادة انتهازية على اتحادها ، وافسدت المؤامرة وظهر ضعف الحكومة ، هنا عادة تصبح البلاد مهيأة للتغيير الذى يظل رهن تواجد « القشة » التى تعجل بتفجير الموقف •

وقد كان أن تعرض البوليس بالرصاص لاجتماع طلبة الجامعة فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ لمناقشة قضية الجنوب التى فجرها الحكم العسكرى باستخدامه السلاح ضد ابناء جنوب السودان • وسقط احد الطلبة شهيدا • وفجأة ، انفجر الموقف ، وعمت



كلمة العدد



من أجل الديمقراطية وانهاء الحكم الرجعي

من مطبوعات الضباط الاحرار ضد النظام ١٧ نوفمبر

المظاهرات برغم تهديدات الحكم العسكرى وقرار حظر التجول • وازداد ارهاب الحكم العسكرى – تعبيرا عن انهياره – كما تعاظمت الحركة الجماهيرية •• وخرجت كل فئات الشعب السودانى •• ولم تهدأ الا عندما انهار عبود واستسلم وفشلت محاولته في مساومة الهيئات والجبهة الوطنية •

اكتوبر – فبراير ١٩٦٥

فى ١١ نوفمبر ١٩٦٤ انتهى كل أثر لحكومة نظام ١٧ نوفمبر بابعاد « **عبود** » نهائيا من الحكومة وكان لا يزال محتفظا بالرئاسة والقيادة العامة • وتشكلت وزارة برئاسة **سر الختم خليفة** من ١٥وزيرا يمثلون الاحزاب المشتركة فى الجبهة الوطنية المتحدة • وكان للقوى الديمقراطية أغلبية فى هذه الوزارة – ولاول مرة وصلت هذه القوى الى المشاركة فى الحكومة مستقلة عن نفوذ الاحزاب التقليدية ، وتمثلت هذه القوى بثمانية لجبهة الهيئات وممثل للحزب الشيوعى ؛ كما مثل العمال والمزارعون فيها – وتشكل الجناح اليمينى داخل الوزارة والجبهة من الامة والوطنى الاتحادى والاخوان المسلمين وجبهة الجنوب • ومنذ اللحظة الاولى لتشكيل هذه الوزارة بدأ الصراع الداخلى فيها بعنف وأصبحت الجبهة الوطنية لافتة باهتة • وبدأت جبهة اليمين قتالها وحملتها المضادة ومؤامراتها ، باعلان الحرب على الحزب الشيوعى ، وتعطيل تطبيق شعارات أكتوبر كالاصلاح الزراعى ، والغاء الادارة الاهلية ، وتطهير اجهزة الدولة من العناصر الفاسدة والعميلة للاستعمار •• الخ •

واحتدم الصراع داخل مجلس الوزراء بين القوى الديمقراطية من ناحية والقوى اليمينية من ناحية أخرى حول – رفض اليمين سرعة محاكمة قادة نظام عبود ، ورفض اليمين بشدة اقتراح الحزب الشيوعى وحزب الشعب الديمقراطى ونقابات العمال بتكوين حرس شعبى مسلح ، واحتدم الصراع وبلغ ذروته عندما طرح موضوع تحديد موعد لانتخابات الهيئة البرلمانية اذ طالب اليمين بضرورة سرعة اجراء الانتخابات – فالامة والوطنى الاتحادى كانا متأكدين تماما من ان انتخابات عاجلة تعنى مجيئهما مؤتلفين للحكم • وارتبط موقف اليمين داخل الوزارة بموقف الدوائر الاستعمارية والتى قامت بنشاط مع عملائها لانهاء هذا الوضع « الخطير » •

ونقل اليمين الصراع الى الشارع ، واستقدم حزب الامة ٣٠ الفا من الانصار بسلاحهم وأقاموا فى أم درمان – ولم تسكت الجبهة الاخرى ؛ وسيرت المظاهرات رافضة وزارة بلا « عمال » وبلا « مزارعين » •

ولكن سر الختم الخليفة أعلن استقالة وزارته فجأة ودون سابق انذار حتى للوزراء فى ١٨ فبراير ١٩٦٥ ٠ وكلفه مجلس السيادة بتشكيل وزارة جديدة ٠

وتحركت القوى الشعبية لتواجه المد الرجعى الجديد والقوى المضادة للثورة فسارت مظاهرات فى كل مدن السودان فى ٢٠ أكتوبر ، ودعا اتحاد نقابات العمال الى الاضراب لمدة يوم ، وتحرك المزارعون من الجزيرة بسلاحهم الى العاصمة للدفاع عن الثورة ولكن البوليس والجيش سد الطريق أمامهم ٠

وتشكلت وزارة جديدة ـ وأصر حزب الامة والوطنى الاتحادى على ابعاد جبهة الهيئات من الوزارة ، وأصبح للامة فى الوزارة الجديدة ثلاثة وزراء وللوطنى الاتحادى ثلاثة وزراء وللاخوان المسلمين وزير واحد ولحزب الشعب الديمقراطى ثلاثة وزراء ، وللحزب الشيوعى وزير واحد ٠ ويعتبر ذلك انتصارا لليمين ـ وبداية النهاية بالنسبة لثورة أكتوبر ٠

وأجريت انتخابات فى ابريل ١٩٦٥ وقاطعها الجنوبيون وحزب الشعب الديمقراطى ، وانتهت بفوز حزب الامة بـ ٧٥ مقعدا من ١٧٣ ، والوطنى الاتحادى بـ ٥٣ ، والحزب الشيوعى بثمانية مقاعد ٠

وشكل محمد محجوب وزارته الاولى على أساس الائتلاف مع الوطنى الاتحادى ـ ومضت الايام بعد استيلاء القوى الرجعية على الحكم بطريقة « ناعمة » و « برلمانية » من قوى ثورة أكتوبر ٠ وكشفت قوى الثورة المضادة عن وجهها الحقيقى ، فأعلنت أنها تفتح الابواب لرأس المال الاجنبى وأنها تشجع الرأسمالية (الميثاق الوطنى بين حزبى الامة والوطنى الاتحادى ٢٤ يونيو ١٩٦٥) ٠

وافرج عن كبار ضباط نظام عبود واعيدت الصحافة الرجعية والعميلة والتى كانت ثورة أكتوبر قد أغلقتها ، واحتدم الصراع مع قوى الشعب المعارضة بكل فرقها العمال والمزارعون والمثقفون الوطنيون ، والنساء والشباب ، والحزب الشيوعى وحزب الشعب الديمقراطى ٠ وأرادت الرجعية أن تغير وجهها ـ وكان يقابل ذلك الصراع صراع آخر داخل حزب الامة نفسه بين **الصادق** وعمه **الهادى**، ورفع الصادق شعارات اصلاحية ، ولما كان الامريكيون يطمئنون اليه تماما ، فقد جاء الصادق فى ١٩٦٦ مشكلا الوزارة الرجعية الثانية منذ انتخابات ابريل ١٩٦٥ ـ والتى سقطت فى مايو ١٩٦٧ وشكل محمد محجوب وزارته الثانية والتى أعاد تشكيلها بعد انتخابات أبريل ١٩٦٨ ٠

لماذا انتكست ثورة اكتوبر

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نحدد أولا أن ثورة أكتوبر لم تكن الا فترة ثورية من فترات مرحلة الثورة الديمقراطية الوطنية ـ وقد قامت لان قوى عريضة عانت من قهر نظام ١٧ نوفمبر وبطشه بمقدرات حياتها واستقلال بلادها ٠ ولان القوى النازعة الى التغيير الاجتماعى ـ الطبقة العاملة وجماهير العاملين والمزارعين بدأت تتحرك مستقلة عن نفوذ الاحزاب الوطنية التقليدية التى باعت نفسها لحزب الامة ولسادة هذا الحزب ٠

لقد انقضت قوى عديدة على نظام ١٧ نوفمبر باهداف استراتيجية مختلفة ، فهناك قوى كانت تريد الاطاحة بهذا النظام لا على أنه مجرد نظام قهر عسكرى ولكن باعتباره نظام طبقى اداته القيادات العسكرية الرجعية وسنده الاستعمار الحديث ، واحلال نظام وطنى ديمقراطى ٠ وهناك قوى كانت تريد الاطاحة بهذا النظام لانه نزع الحكم منها رغم أنها هى التى ساندته وسلمته السلطة ، ولان جماهيرها لم تعد تحتمل الصبر أكثر على السنوات الست العجاف التى حكم خلالها نظام ١٧ نوفمبر ، وهذه القوى بطبيعة الحال كانت ترفض أى تغيير اجتماعى أو ديمقراطى لان مثل هذا التغيير يستهدفها هى ذاتها ٠

ومن هنا جاءت سلطة اكتوبر وقوى اليمين التقليدية مشاركة فيها ـ وقوى اليمين التقليدية هذه كانت لا تزال قوية بروابطها الطائفية وعلاقاتها القبلية والطبقية ، بل ان مراكز اليمين خلال فترة حكم نظام ١٧ نوفمبر كانت قد تدعمت أكثر فى اجهزة الدولة والاقتصاد والتعليم والثقافة والاعلام ٠ ان موقف النظام العسكرى من « شكل »



جيش وطني لحماية الاستقلال والديمقراطية

* دعائم لحماية استقلال البلاد •
* سلاح متقدم لحماية الديمقراطية •
* تجنيد للشباب الاكفاء والعمال •

من نشرة الضباط الاحرار السرية

الاحزاب السياسية التقليدية باضطهاده الشكلي لها لم يحدد نهائيا — بل ان الذى حدد استمرارها ودعمها أكثر هو أن نظام ١٧ نوفمبر حماها طبقيا بدعمه لطريق التطور الرأسمالي وبتسليحه البلاد تسليحا شبه كامل للاستعمار وشركاته وبنوكه الدولية • وذلك في نفس الوقت الذى بطش فيه بحركة الطبقة العاملة والمزارعين والمثقفين الوطنيين وبكل القوى النازعة الى التغيير الاجتماعي •

ولذلك فانه عندما جاءت ثورة أكتوبر كانت احزاب اليمين التقليدية مبعدة ولكن مواقعها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وفي السلطة ظلت مدعمة وقوية • فلما جاءت وزارة اكتوبر الاولى برياسة سر الختم وكان اليمين يكون فيها اقلية — كانت هذه الاقلية هي الحاكمة حقا لانها كانت متمكنة من قاعدة الحكم بكل مقوماته •

أمر آخر — هو أن قطاعا كبيرا من الجماهير عارض نظام ١٧ نوفمبر ولكنه كان لا يزال حبيس الفكر التقليدي ويتطلع الى جبهة أحزاب المعارضة بعناصرها الرأسمالية والطائفية • وهكذا لم تكن أجزاء كبيرة من الجماهير قد وعت بذاتها ، ومن خلال نضالها عجز هذه القوى عن تغيير حياتها والحفاظ على كرامتها الوطنية . والايمان بالثورة الديمقراطية للتغيير ، وليس بالطريق البرلماني الغربي أداة للتغيير . فانه لا يمكن انجاز الثورة الديمقراطية الوطنية دون اقتناع الجماهير بها وبفساد النظام البرلماني الراسمالي •

أمر ثالث ، انه خلال حكم نظام ١٧ نوفمبر أرهقت المنظمات الديمقراطية للقوى الحديثة نتيجة البطش والارهاب فحل اتحاد نقابات العمال ، وسلمت بعض نقابات العمال لقيادات انتهازية . وكانت سياسة نظام ١٧ نوفمبر تستهدف تصفية فكرية وتنظيمية لكل القوى الثورية •ورغم ان هذه القوى قاومت ببسالة وواجهت الموت بشجاعة — اعدام الضباط الخمسة في نوفمبر ١٩٥٩ — فانها بعد اكتوبر كانت مواجهة باعادة تنظيم صفوفها وتوحيدها •

ان هذه العناصر قد أثرت على مسار أكتوبر — فتمكنت القوى الرجعية من الانتكاس بالثورة من ١٩٦٥ حتى قيام ثورة مايو ١٩٦٩ •

ولكن حدث في نفس الوقت أن قوى الثورة رغم قصورها حينئذ على تحويل ثورة أكتوبر تحويلا جذريا لثورة وطنية ديمقراطية بسبب القصور الذاتي في حركة الجماهير — فانها تمكنت — وهى التي قادت الاضراب السياسي الذى أطاح بنظام ١٧ نوفمبر — أن تعيد تنظيم صفوفها شيئا فشيئا — فتدعم اتحاد نقابات العمال وبرز دوره القيادى أكثر ، وانتظمت اتحادات المزارعين في حركة النضال العامة بفعالية ، وتقوت المنظمات المهنية للمحامين والاطباء والمهندسين وغيرهم واتسعت منظمات المعلمين واتحاداتهم ، وتشكلت اتحادات الموظفين •• الخ • وتكون المجلس العام لنقابات العاملين من اتحاد نقابات العمال واتحاد الموظفين واتحاد المعلمين • ومن ناحية أخرى تدعم تنظيم القوى الثورية داخل القوات المسلحة واتحدت صفوفها في جبهة الضباط الاحرار، واعتمدت على

الجنود والصف ضباط كمحور اساسى لحركتهم الثورية ..

لذلك فانه عندما جاء مايو ١٩٦٩ والقوى المضادة للثورة الحاكمة فى قمة أزمتها - ميزانية مفلسة ، فساد افتلع كل شىء من أمامه ، سيطرة أجنبية غالبة - كانت هذه القوى مستعدة لحماية انتفاضة ٢٥ مايو ، وتطويرها الى ثورة شاملة دخلت بالسودان مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ..

٦ حركة الضباط والجنود وثورة مايو

فى ظل الادارة الاستعمارية البريطانية كان مخطط الحكام الانجليز هو خلق قوة سودانية مسلحة تكون فى خدمة الحكومة البريطانية ، وان تكون القوة المسلحة - الجيش السودانى - معزولة عن تناقضات المجتمع ، وخاصة بعد حركة جمعية **«اللواء الابيض»** العسكرية ،وهى اول تمرد سياسى داخل القوات السودانية ساندته القوى المدنية الوطنية . وهدفت هذه السياسة الاستعمارية الى اختيار الضباط من أبناء الطبقات الغنية والعائلات التى ربطت مصيرها بمصير البريطانيين ، والى عزل الجنود من أبناء العمال والفلاحين عن واقعهم ، وانتهاج نظام ضبط وربط لم يكن هدفه النظام العسكرى بقدر ماكان تحقير آدمية الانسان .

وكان من اهم اهداف هذه السياسة عزل الضباط عن أى عناصر سودانية مثقفة ، لان اغلب العناصر المثقفة فى ذلك الوقت كان متأثرا بالثقافة الوطنية المصرية وبكل ابعادها الوطنية المعادية للاستعمار . وقد عمد الاستعمار فى سبيل تحقيق هذا الهدف الى انشاء المعسكرات خارج المدن ، وأقام بها نوادى - ميس - يسر فيها سبل الانحراف لتدمير المعنويات الذاتية للضباط ، كما روج لفكرة احتقار المدنيين بين العسكريين ، وقسم المواطنين الى « ملكى » و « عسكرى » .

بعد الحرب العالمية الثانية

وبعد الحرب العالمية الثانية ،ومع صعود الحركة الوطنية السودانية متأثرة بالنهضة الثورية فى مصر والتى أثرت فى القوات المسلحة فى ١٩٤٦ عندما رفض ضباط الجيش فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ تصويب اسلحتهم الى المظاهرات الوطنية .. فى ذلك الوقت كانت سياسة الحكومة البريطانية استبعاد أى طلبة لهم « ميول سياسية » من الانخراط فى الكلية الحربية ، واعتمد فى ذلك على تقارير البوليس وتقرير ناظر المدرسة الانجليزى ، وعلى الاصل العائلى (ابن من ؟) فكان طلبة الكلية الحربية يختارون اساسا من ابناء النظار والمشايخ . ورغم ذلك تمكنت عناصر من أبناء الطبقة الوسطى من دخول الكلية الحربية وكذلك عناصر محايدة او ذات اتجاهات وطنية اصيلة لم تظهر خلال مرحلة التعليم الثانوى .

بعد حركة ١٩٥٢ فى مصر

وكان لحركة الضباط الاحرار فى مصر وانتصارها فى يوليو ١٩٥٢ أثرا كبيرا على العناصر الوطنية فى الجيش السودانى ، ففى ١٩٥٣ تكونت اول منظمة للضباط الاحرار من صاغات ويوزباشية وضباط صغار ، وكان من منظمى هذه المجموعة البمباشى **محمود حسيب** الضابط بسلاح الاشارة حينئذ . وعندما قام تمرد الجنوب فى ١٩٥٤ كان لهذه المنظمة دور كبير فى توعية الضباط سياسيا . واستمرت هذه المنظمة تعمل بين الضباط والصف ضباط . ولم يكن لدى هذه المنظمة فكر معين للاستيلاء على السلطة ، انما على حد تعبير محمود حسيب نفسه انه بعد الثورة المصرية أحس الضباط بأن لهم دور ايجابى وانه لابد لهم ان ينظموا انفسهم ليكونوا على الاقل صمام امان فى المستقبل اذا انحرف القادة السياسيون عن الطريق القويم ، وكان المهم ان يشعروا المستعمر الانجليزى ان الجيش لن يستمر مطية يمكنه ان يسخرها لاغراضه الخاصة .

وواجه هذا التنظيم فى البداية صعوبة انتماء الضباط للاحزاب ، ولذلك كان أول شرط وضع ان الضابط الذى ينتمى للضباط الاحرار لابد ان يتخلى عن انتمائه الحزبى . وركز التنظيم على التربية الوطنية بين الضباط والجنود واصدار النشرات التى كانت تكتب باليد . وقوى التنظيم واثبت وجوده فى انتخابات نادى الضباط والذى كان يرأسه دائما القائد العام واستطاع الضباط ان يضعوا ضابطا آخر هو القائمقام **أحمد عبد الوهاب** رغم رجعيته وانتمائه لحزب الامة .

وفى ١٩٥٧ جرت محاولة لاعادة التنظيم الاول وتقويته ، وكان الصاغ **عبدالرحمن كبيدة** قد بدأ ينظم عمل المنظمة فى الخرطوم ولكن أمره كشف وحوكم مع مجموعة من الضباط هم **يعقوب كبيدة وعمر خلف الله وعوض بابكر** . واحيل النقيب **النميرى** الى الاستيداع وبعد هذه الضربة تبعثرت المنظمة الاولى وتشتت أعضاؤها .

الانقلاب العسكرى الرجعى
نـــوفمبـــر ١٩٥٨

فى ١٩٥٦ تولت قوى اليمين ــ حزب الامة ــ السلطة ، وذلك نتيجة الموقف المتردد لحزب الطبقة الوسطى الوطنى الاتحادى ورفضه الاعتماد على



بابكر عوض الله
عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء

جماهير الشعب السودانى والتحالف مع حركة الطبقة العاملة وجاءت حكومة **عبد الله خليل** الرجعية .

ورغم تذبذب الطبقة الوسطى وأحزابها وانسلاخ عناصر منها ، وانضمامها الى اليمين السودانى المتطرف ، فان الجماهير الشعبية وبقيادة منظماتها الديمقراطية بدأت مقاومة واسعة لحكم اليمين الرجعى ، وقد توج هذا النضال بالاضراب الكبير الذى نظمه وقاده اتحاد نقابات العمال فى ٢١ اكتوبر ١٩٥٨ والذى كان بداية لحركة جماهيرية واسعة ، فقامت المظاهرات الكبيرة التى اشترك فيها العمال والمزارعون والطلاب والتجار الصغار . وتصدرت الطبقة العاملة وجماهير العاملين فى النضال ضد الرجعية والاستعمار الحديث ــ النقطة الرابعة ــ وضد القوانين الرجعية المقيدة للحريات الديمقراطية . واذ استشعر الاستعمار واليمين السودانى التحرك المستقل للجماهير وأحس بخطر هذا التحرك على مصالحه دبر عملية انقلاب عسكرية بواسطة بعض كبار الضباط من أنصار « الامة » . يقول محمود حسيب « فى ١٩٥٨ شعرنا بأن هنالك تحركات خاصة من حزب الامة (١) بقصد عمل داخل الجيش للاستيلاء على الحكم ، وقد نجح المتآمرون فى احداث انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ ووضعوا على رأسه الفريق عبود . ولم تكن عندنا قدرة على التجمع المضاد لهذه الحركة ، فقد أثرت علينا الضربة الاولى وكنا مبعثرين » .

---

(١) اشترك فى تدبير انقلاب عبود العسكرى من كبار ضباط حزب الامة احمد عبد الوهاب وعوض عبد الرحمن صغير ومن شخصيات حزب الامة السير عبد الرحمن المهدى وعبد الله خليل .

العـودة الى التنظيم

انقــلاب مارس ١٩٥٩

وقد اعتبر كل الضباط الوطنيين ان انقلاب ١٧ نوفمبر انقلابا رجعيا ، وبدأوا فى التجمع مرة أخرى وخاصة أنهم كانوا قد اختبروا قوتهم عشية انقلاب١٧ نوفمبر عندما تقدموا بشروط معينة،منها ان يكون على رأس الحكومة مجلس أعلى للقوات المسلحة ، وان يشكل مجلس للوزراء لا يدخله اى حزبى ، وان الجيش هو المسئول اولا واخيرا عن الحكم دون تبعية لاحد ، وتطهير الاجهزة الادارية والسياسية ووضع دستور دائم • وهددت القوات المرابطة فى الابيض بالزحف على الخرطوم ان لم تقبل الشروط • ولكن جاءت تشكيلات الانقلاب وبها عناصر عسكرية ومدنية من حزب الامة •

وأعاد الضباط الاحرار تشكيل صفوفهم ونظمت حركة انقلابية ضد الحكم العسكرى الرجعى، قادها الصاغ أحمد محمد أبو الدهب والصاغ حسن ادريس ، واستعان الضباط الاحرار حينئذ بالاميرالاى عبد الرحيم محمد خير شنان والاميرالاى محيى الدين أحمد عبد الله ، ولم يكونا من الضباط الاحرار ولكنهما كانا متذمرين بسبب عدم دخولهما المجلس الاعلى للقوات المسلحة بحكم أقدميتهما •

ونفذت هذه الحركة فى ٤ مارس ١٩٥٩ وقد نجح الانقلاب عسكريا ، ولكنه فشل سياسيا ، اذ دخل فى تهادن مع المجلس الاعلى ادى الى تغييرات جزئية فى المجلس الاعلى فدخله عبد الرحيم شنان ومحيى الدين عبد الله وأخرج منه اللواء أحمد عبد الوهاب المدبر الحقيقى للانقلاب الرجعى ، ولكن فى نفس الوقت تسلل الى المجلس اللواء المقبول الامين الحاج ، وادت هذه الحركة الى اعادة بعض الضباط المحالين الى الاستيداع ومنهم « النميرى »

ان كل ماحققته حركة ٤ مارس انها غيرت بعض مراكز السلطة ولكنها لم تتمكن من تغيير طبيعة النظام الرجعى ،وذلك لان حركة جماهير الشعب لم تكن قد بلغت درجة من القوة لتتلاحم معها وتحميها وتشل تردد قيادتها ، ولان تأثير القوى الوطنية داخل الجيش كان ضعيفا من الناحية التنظيمية والفكرية •

حركة ٢٢ مايو ١٩٥٩

وقرر الضباط الاحرار القيام بحركة أخرى ، واعادوا تنظيم صفوفهم ، ففى ٢٢ مايو ١٩٥٩ تحركت القــوات الشــمالية والشرقيــة بقيادة الاميرالاى عبد الرحيم محمد خير شنان والبكباشية حسن ادريس وعبد الحفيظ شنان . ولكن الحركة فشلت وحوكم عشرات من الضباط ، وصــلت الاحكام على عشرة ضباط ١٤٠ عاما وطرد حوالى ٣٢ من خيرة ضباط الجيش من الخدمة واعتقل المئات من المواطنين •

ان هذه الحركة قد أوضحت أن الضباط الاحرار بدأوا بوضوح فكرى وسياسى ـ فنجد مثلا عبد الرحيم شنان فى دفاعه أمام المجلس العسكرى يكشف المؤامرة التى دبرها الاستعمار بالتعاون مع حكام ١٧ نوفمبر لتحويل حلايب الى قاعدة عسكرية أمريكية ولبناء طريق الخرطوم حلايب لاغراض عسكرية استعمارية ،وقال فى دفاعه كاشفا لعملية تسليم الحكم للعسكريين من قبل حزب الامة ، « لقد قال عبد الله خليل لى اننى عندما سلمت الحكم للرئيس عبود كنت مطمئنا اليه •• »

وقال البكباشي عبد الحفيظ شنان في دفاعه أمام المجلس العسكرى العالي : (٢) .

« لقد قامت حركة ١٧ نوفمبر وقال قائدها ان الذى قامت من أجله هو القضاء على الفساد والمحسوبية والارتشاء وتبصير الشعب بمصالحه الحقيقية •• فماذا فعلت حركة ١٧ نوفمبر ؟

١ ـ كممت الافواه وأسكتت الشعب وأغلقت الصحف وعطلت النقابات •

٢ ـ حاكمت زعماء العمال بتهم لم يعرفها الشعب وبطريقة مريبة •

٣ ـ كونت لجنة للنظر فى قوانين العمال لم نسمع بها ولا بمجهوداتها الا يوم أعلن نبأ تشكيلها •

٤ ـ وصفت العلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان بأنها جفوة مفتعلة خلقهــا الساسة المدنيون ولم تزدها الا جفوة وافتعالا •

٥ ـ لم تحاكم أى مرتش او مستغل لنفوذه،او مثر على حساب الشعب أو مفسد للحكم •

٦ ـ قال الرئيس ان الثورة لا تحقد على أحد ولذلك عفا الله عما سلف ونقول أنه من حق أى

---

(٢) المصدر : ست سنوات فى ظل الحكم العسكرى .

شخص أن يعفو عما له من ديون على الغير ولكن حق الشعب لا يعفيه الا الشعب .

٧ ـ اعتقلت المواطنين بالجمله وهي تعلم انها لا تستطيع محاكمتهم لانه لا يسندها قانون يحاكمهم وليست هناك جريمة يحاكمون عليها .

٨ ـ انها بدلا من محاكمه المرتشين واللصوص صارت تحيلهم على المعاش وتزيدهم من مال الشعب الذى نهبوه .

٩ ـ انها لم تتخلص من اعوان الاستعمار فى الخدمة المدنيه وهى تعلم انها سبب كل بلاء وفساد اصاب البلاد منذ نيل الاستقلال .

١٠ ـ انها لا تعلم ان المبادىء لا تحارب الا بالمبادىء واشياء اخرى اكثر واعظم (٣) .

انتفاضة نوفمبر ١٩٥٩

واعدام قادة الضباط الاحرار

شهد شهر نوفمبر ١٩٥٩ تحركات شعبية واسعة قادها اتحاد نقابات العمال والحزب الشيوعي السوداني ، اضراب عمال السكك الحديدية بالخرطوم واضرابات طلابيه شملت جميع المعاهد العالية والثانوية بالسودان بما فيها مدارس البنات .

وكامتداد لهذه الحركة الشعبية نظم الضباط الاحرار حركة عسكرية ، تكاتف الضباط داخل الجيش وخارجة فى القيام بها فى ١٠ نوفمبر ١٩٥٩ . وقدم قاده الحركة للمحاكمة وصدرت أحكام سريعة قاسية ، فحكم بالاعدام على : **البكباشى على حامد والبكباشى يعقوب كبيدة والصاغ عبد البديع على كرار واليوزباشى طيار الصادق محمد الحسن واليوزباشى عبد الحميد عبد الماجد** ونفذ الحكم قبل اعلانه فى سرية تامة ، وأعدم هؤلاء الابطال شنقا مع مخالفة ذلك للتقاليد العسكرية فى جميع جيوش العالم خشية أن يرفض الجنود تنفيذ الامر باطلاق النار . وحكم بالسجن المؤبد على **الصاغ عبد الرحمن كبيدة والملازم ثان محمد محجوب عثمان** ـ وطرد وابعد من القوات المسلحة عدد كبير من الضباط منهم **القائمقام ابو بكر فريد والصاغ محمد خير محمد سعيد واليوزباشى محمد الحسن ابو طيارة والملازم محمد الحسن مكى واعتقل محمود حسيب** فى كتم وحكم بالسجن خمس سنوات على الاستاذ **الرشيد طاهر بكر المحامى** .

اعادة بناء التنظيم (١٩٦١)

وابتداء من ١٩٦١ أعيد احياء تنظيم الضباط الاحرار والجنود وضباط الصف ، وصدرت مجلة سرية خاصة بالتنظيم « **صوت القوات المسلحة** » وهى خاصة بالضباط الاحرار . وبدأت المجموعات العديدة تقترب من بعضها وتستعيد الثقة شيئا فشيئا ويزداد قدرتها التنظيمية . وتركز النشاط بصفه خاصة بين الجنود وصف الضباط فى الاسلحة الفنية . وبدأ تنظيم الضباط الاحرار يتحسس وجوده فى سرية كاملة ويعمل بتعاون وثيق مع الحركة الجماهيرية بمفهوم أن الجيش فرقة من فرق الثورة السودانية ليس فى امكانها أن تحقق النصر وحدها ، ولا بعيدة عن الحركة الثورية والديمقراطية لجماهير العاملين والمثقفين والمزارعين .

وأخذت اهداف الضباط الاحرار تتضح اكثر ، وتزداد ارتباطا بأهداف الشعب السودانى .

● فى العدد السابع من مجلة صوت القوات المسلحة الصادر فى ١٩٦٢/٢/١٥ جاء بتوقيع « ضابط » وبعنوان « **طريقنا واضح المعالم** » :

« ان الحكومة الراهنة والمجلس الاعلى أصبح اليوم فى موقف لا يحسد عليه وكل يوم يمر يقرب من نهايتهم ويقوى من الوحدة الشعبية حتى اصبح السؤال عن : هل يمكن الاطاحة بالوضع الراهن يجيب عليه حتى الاطفال بكلمة نعم » .

« ان تنظيم الصفوف فى الجيش والحركة الشعبية اصبح شعار الساعة ، وشعبنا وجيشنا الذى اصطدم بالاستعمار اصطداما مباشرا خلال اعوام ١٩١٠ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٧ وبأعوانه فيما بعد لقادر على الاطاحة بهذا الحكم الضعيف المعزول » .

« ان برنامج الوحدة الشعبية الذى تتمثل فيه

---

(٣) حكم بالسجن المؤبد على الاميرالات عبد الرحيم شنان ومحيى الدين عبد الله والبكباشية حسن ادريس عبد الحفيظ شنان ومحمد على السيد والصاغ احمد ابو الدهب وبالسجن ١٥ عاما على اليوزباشى محجوب بابكر سوار دهب وعامين على اليوزباشى اسامة المرضى والملازم اول محمد عثمان كيلة وسنة على الصاغ عبد الحفيظ حسيب طرد ١٧ ضابطا منهم اللواء احمد عبد الله حامد والقائمقام على صالح سوار الدهب

أمانى ومصالح بلادنا الحقيقية والذى يتلخص فى قيام حكومة وطنية معادية للاستعمار تكفل للشعب حقوقه وحرياته الديمقراطية ليتمكن من صنع أمجاده بنفسه ، وتتخذ أسلوبا واضحا فى سياستها الخارجية ضد الاستعمار والاحلاف العسكرية وتقف فى صف السلم ، ومن أجل صيانة الاستقلال ومساعدة الشعوب الاخرى المكافحة من اجل استقلالها ،حكومة تتجه لتحسين حياة الشعب المادية والثقافية وتنهج سياسة اقتصادية من أجل تصنيع البلاد ومن أجل تجارة حرة .

هذا البرنامج كفيل بتوحيد كافة المواطنين من أجل انجاح الاضراب السياسى المقترح الذى سيشل حركة العصبة العسكرية الحاكمة ويلقى بالسلطة فى أيدى الشعب وطبقاته الوطنية خاصة اذا تفاعلت الحركة الشعبية وتجاوبت مع القوى الوطنية فى الجيش » .

أهداف الضباط الاحرار

من واقع مطبوعاتهم

١ ـ النضال من أجل الديمقراطية

كان هدف النضال من اجل الديمقراطية الحقيقية فى السودان هو اول اهداف حركة الضباط الاحرار ففى مجلة « صوت القوات المسلحة » الصادرة فى ١٩٦٣/٧/٢٥ نجد مقالين لهيئة تحرير المجلة احدهما بعنوان « من اجل الديمقراطية والغاء الحكم الراهن » والاخر بعنوان « حول اهدافنا » واختتم المقال الاول بالعبارة التالية :

« لقد ساهمنا نحن افراد القوات المسلحة من ضباط وجنود فى معركة انتخابات المجالس . ساهمنا فيها بتسجيل انفسنا وتابعنا الدعاية الانتخابية ، ووعينا جيدا المطالب الحيوية لبلادنا ، وادلينا باصواتنا لهذا المرشح او ذاك ،فما هو الامر الجوهرى الذى خرجنا به من هذه المعركة ؟ لقد وضحت لنا جليا مطالب الشعب ورغباته وعلى راسها الديمقراطية التامة ، وتكشفت فى خلال هذه المعركة زيف الدعاية التى تنادى بها الحكومة فى الديمقراطية الجديدة وغير المستوردة .. الخ من الفاظ التضليل !

ان بلادنا لاتطلب بديلا غير الديمقراطية والحرية الكاملة وصيانة الاستقلال ، وهذا ما سيتحقق بانتصارنا مع الشعب فى الاطاحة بهذا الحكم الرجعى » .

وفى المقال الثانى تقول هيئة التحرير : « ...

والديمقراطية التى نريدها هى الديمقراطية الحقة والتى فى مضمونها تعنى حكم الشعب بواسطة الشعب ،والتى لا تقبل تسلط فرد او طبقة معينة »، ثم يستمر المقال محددا اسباب ضرورة قيام نظام ديمقراطى فى السودان فيقول : « ان الديمقراطية تفرض نفسها علينا لاستحالة حكم هذا القطر عسكريا وذلك للاسباب التالية :

(ا) اتساع رقعة السودان وترامى اطرافه مع سوء المواصلات وانعدامها فى بعض المناطق ،أضف الى ذلك انقطاع بعض اجزاء القطر فى فصل الخريف اكثر من ٦ اشهر عن الحكومة المركزية .

(ب) مشكلة جنوب السودان الذى ظل يحكم حكما عسكريا استعماريا منذ دخول الاستعمار الى يومنا هذا ، الشىء الذى جعله لايحس بالحرية والاستقلال والتقدم ، لانه لم تتح له الحياة الديمقراطية .

(ج) الضعف العسكرى الذى منى به جيشنا فى السنوات الاخيرة من ناحية الكم والنوع ، فخيرة ضباطه هم فى السجون والشوارع وتحت الثرى مع انعدام التدريب ـ كل هذا مضاف اليه عدم وجود الخبرة العسكرية والسياسية .

(د) موقع السودان الجغرافى والاستراتيجى يجعله مطمعا لكل الدول الاستعمارية فى العالم .

(هـ) ان هذا الشعب بعد ان نال استقلاله الذى جاء نتيجة كفاح دام عشرات السنين لايمكن ان تسرق منه حرياته التى كافح من أجلها طيلة خمسين عاما بعد ثلاث سنوات فقط .

(و) ان الانقلابات التى حدثت فى السنوات الاخيرة جعلت الشعب يفقد الثقة فى أى انقلاب عسكرى غير مرتبط بكفاحه ،وقد قال الشعب كلمته وهو انه يريد الديمقراطية ولن يؤيد اى حكم عسكرى مهما كانت اهدافه ، ومادام تنظيمنا قام من اجل هذا الشعب مندفعا بثوريته مرتبطا بنضاله فالديمقراطية تفرض علينا نفسها ويفرضها علينا الشعب السودانى بتراثه الوطنى وبكفاحه المستميت » .

٢ ـ بناء جيش وطنى لحماية الاستقلال والديمقراطية

نشر تنظيم جبهة الضباط الاحرار فى عدد « صوت القوات المسلحة » الصادر فى ١٩٦٥/١/٤ برنامجا عاما لاعادة بناء الجيش السودانى بعنوان « جيش وطنى لحماية الاستقلال والديمقراطية » . جاء فيه :

● تنظيم الجيش لحماية استقلال البلاد .
● سلاح متقدم لحماية الحرية والديمقراطية .
● تجنيد شباب الطلبة والعمال .

وبالرجوع الى تاريخ تكوين الجيش نجد ان الاستعمار تحت ضغط الحاجة ، ومن أجل ضمان بقائه اجبر لخلق جيش او قوات تساعده لحفظ الامن وكبت حركات التحرر الوطنية التى تنمو بين صفوف الشعب — ونتيجة للغرض الذى كون من اجله الجيش عمل الاستعمار لعدم تقويته وتطويره لكيما يصبح قوة تعمل ضد وجود « المستعمر » ويصعب ضربها . ولذا استمر الجيش طيلة عهد الاستعمار قوة ضعيفة من ناحية التنظيم والتسليح مما جعله قوات أمن مسلحة اكثر منه قوات محاربة يعتمد عليها للدفاع عن الوطن . وبالرغم من تعاقب الحكومات الوطنية منذ الاستقلال على كراسى الحكم لم ينظر فى أمر تطوير الجيش او تغيير الواجب الذى من اجله خلق — ولقد برهنت التجارب على ضعف القوات المسلحة السودانية من ناحية التسليح والتنظيم . واقرب مثال لذلك اشتراك قواتنا المسلحة فى حوادث الكونغو فى اوائل عام ١٩٦١ .

ا — التنظيم والتسليح

بما ان التنظيم والتسليح هما اساس اى جيش هدفه الاساسى حماية الدولة يجب ان يراعى فى التنظيم والتسليح مايكفل للقوات المرونة فى تجميع وتحركات القوات بالسرعة المطلوبة للوصول الى المكان المعين فى الوقت المعين . ولذا يجب مراعاة الظروف الاتية عند اعادة تنظيم وتسليح قواتنا حتى تتماشى مع واقعنا ومع الظروف العالمية :

أ — مساحة السودان الشاسعة .

ب — وجود اقطار عديدة متاخمة لحدود السودان .

جـ — عدم وجود تحصينات طبيعية .

د — وجوب ايجاد قوات خفيفة الحركة تتماشى مع طبيعة السودان .

هـ — توزيع وحدات الجيش داخل مناطق السودان المختلفة توزيعا صحيحا مع مراعاة رداءة الطرق وسبل المواصلات — باضافة مواصلات الجيش الخطية وغير الخطية .

ولمناقشة هذه الاسس يجب العمل على ضوء هذه النقاط :

● يجب اعادة النظر فى تسليح الجيش الحالى والذى يعتمد على القوة العددية اكثر من اعتماده على قوة السلاح ، وهذا راجع لبلاء هذا السلاح المستعمل فى جيشنا وقدمه وهذا السلاح ممثل فى البنادق والمدافع وحتى العربات المستخدمة حاليا — كومر — مرسيدس — والعربات المقاتلة .

● اعادة النظر فى الاسلحة المختلفة وخاصة المقاتلة مثل سلاح الطيران — تقوية هذا السلاح وتطويره وذلك لاهميته فى بلد مثل السودان مترامى الاطراف ، وتعداد السكان لا يساعد على خلق قوات ضخمة تتناسب مع مساحته ، وتستطيع تغطية حدوده . كما يجب مراعاة تدريب ضباط وجنود هذا السلاح فى بلدان مخلصة فى نواياها وابعاد الضباط والصف الموردون من دول استعمارية او الضباط « الاجانب المرتزقة » .

● كل التسليح الحالى مرتبط ارتباطا وثيقا بالاستعمار والدليل على ذلك العربات والاسلحة المستعملة حاليا ترد أساسا من احدى الدولتين الاستعماريتين انجلترا أو ألمانيا وهذا الوضع يجعلنا دائما وابدا طائعين لسياسة هذه الدوائر مخافة ايقاف امدادنا بقطع الغيار المطلوبة والذخيرة وغير ذلك . فلمعالجة هذا الموقف يجب العمل السريع للتخلص من السوق الاستعمارية فى سياسة التسلح والتوجه نحو الدول الصديقة والتى لاترمى الى كشف سرية جيشنا من آجل استقلاله فى حماية مكاسبها الاستعمارية .

● العمل الدائم لتقوية قوات المظلات ، لان هذه القوات بتعاونها مع سلاح الطيران تضمن لنا دائما وجود القوى الكافية السهلة التحرك الى الاماكن المطلوب وجود قوات فيها بالسرعة المطلوبة .

ب — توزيع وحدات الجيش على مناطق السودان

بالنظر الى التوزيع الموجود حاليا لوحدات الجيش فى السودان تتضح الحقائق التى ذكرناها سابقا من الاغراض التى من اجلها كون الجيش وجعل ضعيفا لايستطيع القيام بتأدية واجبه الاساسى . لقد وزعت قيادات الجيش على المناطق التى يحتمل قيام الانتفاضات الشعبية فيها وبدأت تقوية هذه الوحدات حسب سرعة تطور هذه المناطق كما وضعت رئاسة هذه القيادات فى عواصم المديريات فى الوقت الذى كان يجب أن تكون هذه الوحدات موزعة على مناطق السودان حسب حساسية المناطق نفسها بالنسبة للدول المجاورة وبالقرب من الحدود حتى تتمكن من ايقاف آى تدخل أجنبى فى حينه بدلا من مركزتها فى العواصم واقرب مثال لذلك هو حامية الخرطوم التى تعتبر اقوى وحدة ضاربة فى الجيش السودانى نتيجة

لتسليحها وتنظيمها نجدها فى الخرطوم فى الوقت الذى نجد ان الاماكن المناسبة لها هى الحدود الجنوبية للسودان والحدود الشرقية او الغربية، تلك الاماكن التى يتوقع منها التدخل الاستعمارى فى اى وقت . فعلى ضوء هذا يجب اعادة النظر فى توزيع وحدات الجيش حسب متطلبات الموقف وحسب الوضع السياسى والطبيعى لبلدنا » .

ج ـ مستوى الافراد

« العادة المتبعة فى اختيار الضباط للجيش هى اختيار أبناء البيوتات الكبيرة والمعروفة وابناء الشخصيات البارزة أو ذويهم أو الاختيار على الاسس القبلية والحزبية ، وهذا الاتجاه بناه الاستعمار ليضمن ولاء هذه الفئة ويضمن الضغط عليها لتعمل مايريده هو واستمر هذا الاتجاه قاعدة استفادت منها الحكومات المتعاقبة ايضا ونتيجة لهذا المفهوم عمق الاستعمار الاراء الخاطئة وهى أن الجيش جهاز حساس يجب أن يبتعد العاملون به عن محيط السياسة ولايبدون بارائهم فيها حتى ولو كانت السياسة الموجودة ترمى الى ضياع سيادة القطر ـ كما بدأ ينظر الكثيرون من مثقفى البلد الى الجيش على أنه قبلة الفاشلين من خريجى الثانويات وهذا بالفعل ساعد على حشد اعداد كبيرة من فاقدى الطموح والوطنية كما ساعد ايضا فى تفشى الانحلال والفساد فى صفوف القوات المسلحة والادلة كثيرة على قولنا هذا .

« أما بالنسبة للجنود فكان الاستعمار يفضل اختيار الجنود من الجهلة وغير المتعلمين بحجة أنهم طيعون وأن المتعلمين غير صالحين للجندية من حيث الضبط والربط والطاعة وهذا كلام مردود ومنافى للواقع والدليل على هذا أن بريطانيا نفسها صاحبة هذا الرأى يقوم جيشها بتجنيد المتعلمين لان مستوى الفرد فى بريطانيا فوق التعليم الاوسط وبالرغم من هذا فان جيشهم لا يعانى من عدم الضبط والربط والطاعة حسب هذه النظرية .

« ولهذه الاسباب بدأ الناس يتجهون للجيش على أساس انه مصلحة من مصالح الحكومة يخدم فيها الفرد لكسب عيشه فقط فاذا ما وجد مكانا آخر يكفل له دخل أحسن من ذلك فانه يترك الخدمة فى الجيش ،ويتوجه الى تلك الخدمة غير آسف على ما فعل لان الجيش بالنسبة له مصدر رزق فقط . ولذا يفتقد الجيش الروح الوطنية التى كان يجب توفرها فيه كما يفتقد الكفاءات فى الاشخاص نتيجة لسوء الاختيار .

« فلعلاج هذا يجب ان تتجه انظار الشبان الممتازين من الطلبة والعمال نحو بناء جيش وطنى هدفه الاول صيانة وحماية استقلال ومستقبل السودان ، كما يجب دراسة موضوع التجنيد الاجبارى حتى تتغير المفاهيم الموجودة حاليا وهى « أن الجيش ليس أكثر من مصلحة حكومية ينتسب اليها الفرد من أجل لقمة العيش » ، كما يجب أن تراجع المفاهيم القديمة التى غرسها الاستعمار فى نفوس الضباط والجنود بأن الجيش جهاز غير مربوط بما يدور فى سياسة القطر . ويجب أن تتمشى الروح الوطنية فى نفوس هؤلاء الضباط والجنود حتى يفهموا واجبهم ويقوموا به على الوجه الاكمل » .

٣ ـ الضباط الاحرار و «الاشتراكية»

وفى العدد الصادر من « صوت القوات المسلحة » فى ١٩٦٥/١/٤ ، نشر الضباط الاحرار بيانا بعنوان : « ١٩٦٥/١/١ والنضال من أجل التقدم » . جاء فيه : « فى هذا اليوم الاغر تهل على بلادنا الذكرى التاسعة للاستقلال ، تسعة أعوام مضت منذ أن حققنا نصرنا على الاستعمار البريطانى عام ١٩٥٦ وطردنا جنود احتلاله . ويجدر بنا اليوم وقد خرجنا منتصرين مرة أخرى فى ٢١ أكتوبر على الاستعمار وأذنابه .. حكام ١٧ نوفمبر ان نفكر تفكيرا عميقا فى مصير وطننا .. فى أى طريق يجب أن تسير البلاد لتحمى الاستقلال وتبنى الحياة اللائقة للذين حققوا انتصار ١٩٥٦ وانتصار أكتوبر ١٩٦٤ ؟ »

ويعلن البيان : « واليوم فاننا ضباطا وجنودا لا يمكن أن نتجاهل أمانى شعبنا فى ايجاد الطريق لحماية مستقبله وتأمين الثورة وضد كل محاولة لطمس أهدافها أو سرقة المكاسب التى حققتها ، أو محاولات الرجوع الى الاوضاع السابقة . ان الاعوام التسعة الماضية رغم الالام والشقاء الذى فرضته على شعبنا ، وبصفة خاصة اعوام الحكم الدكتاتورى ، الا انها كانت تجربة خطيرة فى حياتنا . فنحن ندرك اليوم كما يدرك العمال والمزارعون والمثقفون بأن طريق الرأسمالية الذى سرنا فيه بعد الاستقلال والذى ادى انقلاب ١٧ نوفمبر لترسيخه انما هو طريق شقاء لا حدود له بالنسبة للشعب وهو لا يقود الى التقدم بل الى التخلف والتبعية التامة للاستعمار ، ولفقدان الاستقلال نفسه » . « نحن ندرك ذلك فنتلفت حولنا فنرى بلادا عانت من الاستعمار مثلنا بل أشد ولكنها شقت طريقها ونجحت فى حماية استقلالها ، ذلك لانها رفضت الطريق الرأسمالى واتخذت الاشتراكية هدفا لها » .

«ان التطور غير الرأسمالى والاتجاه للاشتراكية فى العالم اليوم لا تستطيع أى قوة وقفه ، لان الاشتراكية لم تعد محصورة فى بلد واحد ولم تعد محصورة فى مدرسة او شكل واحد رغم ان جوهرها وأهدافها فى التقدم والعدالة الاجتماعية

ما زالت واحدة • اننا نلاحظ باهتمام ما يجرى فى الجمهورية العربية المتحدة وفى جمهورية الجزائر وغانا وغيرها من بلاد افريقيا الشقيقة التى رفضت الرأسمالية كطريق وكهدف » .

ونحن نحتفل اليوم بذكرى استقلالنا لابد أن نفكر فى هذه القضية ـ **ولا سبيل لنا سوى تحقيق العدالة الاجتماعية ـ تحقيق الاشتراكية والديمقراطية فى بلادنا** » .

٤ ـ مشكلة الجنوب

فى ١٩٦٦ أصدر الضباط الاحرار منشورا حددوا فيه موقفهم من مشكلة الجنوب ، وقد بدأوا بطرح بعض الاسئلة « عن الذى ينبغى أن نفعله ازاء هذه المشكلة ـ هل نلجأ الى ما يريد الاستعمار أن يدفعنا اليه فى الجلاء عن الجنوب كما يردد بعض افراد قواتنا التى تحارب هناك ؟ هل نلجأ الى الحل السياسى وهو دعوة تروج على السنة بعض افراد قواتنا أيضا دون التفات الى أن الحل السياسى الذى يشيرون به لا يعنى فى ظروف بقاء التمرد سوى التخلى عن الجنوب » •

ويحدد هذا المنشور الاجابة على مجموعة الاسئلة والقضايا المطروحة ويحددها فى ثلاث نقاط رئيسية :

الاولى : هى تصوير الجنوبيين لوحدة القطر على أنها استعمار عربى انما هو اعتقاد غرسه وغذاه الاستعمار ولا يؤيده واقع ولا منطق ، ولا مصلحة لاى من الطرفين الجنوبى والشمالى » وانه : « لمعرفة الخطأ والصواب فى تصور المتمردين لقضية الجنوب أن نزنها بميزان الاتجاهات التقدمية ونلاحظ انسجامها أو تناقضها مع التيارات التقدمية السائدة فى عصرنا هذا » •

« ولا أدل على انحراف حركة التمرد والاتجاه الانفصالى عن طريق التحرر أكثر من أن الذين يناصرونه معنويا وماديا هم مجموعة الدول الاستعمارية وحلف « **ناتو** » واذنابهم وبعض رجال الكنائس وعصابات اسرائيل » •

الثانية : ان الدفاع عن وحدة القطر السودانى ليست مسألة كبرياء وكرامة وطنية ورجولة سودانية انما هى مسألة متعلقة بالحرية •• « **حرية حياة وحرية مصير للجنوب والشمال على السواء** » .

« ان الحقيقة الواضحة التى لا تقبل الجدال هى أن القلاقل فى الجنوب وان بدت فى مظاهرها تمردا داخليا وصراعا عنصريا داخليا فانها فى الحقيقة ليست سوى حلقة فى سلسلة مؤامرات الاستعمار وان قواتنا العاملة فى الجنوب وان بدت أنها تقاوم مواطنين خوارج فهى فى الحقيقة انما تتصدى لاحباط أكبر مؤامرة تقف من ورائها مجموعة دول حلف الاطلنطى بالسلاح وبالتدريب وبالمال وبالتخطيط وتتخذ من المواطنين السذج ستارا تعمل من ورائه »

الثالثة : ويحدد المنشور ان مشكلة الجنوب هى مشكلة قومية يجب حلها على أساس الاعتراف بالوضع القومى للجنوبيين فيقول : « انه يجب أن نعترف بان هناك مشكلة بالنسبة للجنوبيين وانهم يعانون من اضطهادين اضطهاد عنصرى واضطهاد طبقى كما أن هناك اختلاف فى المستوى الحضارى والمعيشى • وقد كان مؤتمر جوبا عام ١٩٤٨ معالجة لمشاكل التخلف للجنوب فى اطار القطر الواحد . وعندما جاء الاستقلال لعبت الاحزاب الشمالية التقليدية دورا اساسيا فى تعميق المشاكل الرجعية وجعل الجنوبيين يتجهون للاستعمار الذى تلقفهم . وكانت الاحزاب الرجعية تعطيهم الوعود تلو الوعود من أجل الحصول على أصواتهم وتأييدهم وبمجرد جلوسهم على كراسى الحكم يضربون بالجنوبيين والجنوب عرض الحائط » .

ويحدد المنشور أن الحل الحقيقى والثورى لمشكلة الجنوب هو اولا بتغيير الاوضاع فى الخرطوم والاطاحة بحكم اذناب الاستعمار وبعد ذلك يكون الحل الثورى لمشكلة الجنوب القومية ويحقق وحدة القطر الوطنية الديمقراطية •

ويستطرد المنشور « نحن نحارب الاستعمار أمامنا فى الجنوب وهو فى الخرطوم يسدد لنا الطعنات طعنة بعد الاخرى فى ظهورنا فهو يعرف كمية سلاحنا وتدريبنا ونوعه وكفاءة ضباطنا بل يعرف أكثر من ذلك ـ عن طريق عملائه فى رئاسة القوات المسلحة ـ يعرف توزيع قواتنا وأدق الاسرار عنها ويكشفها للمتمردين ، يكشف لهم توزيع قواتنا وطريقة تسليحنا وكفاءة اسلحتنا »

« وكل هذا يوضح أن مشكلة الجنوب الاصلية ليس مكانها جوبا أو توريت وانما مكانها هنا فى الخرطوم لننزع الخنجر المغروس فى ظهورنا لنبتر اذناب الاستعمار لنعدم الخونة لنرمى بالسلاح الذى فى ايدينا لانه سلاح موجه نحو صدورنا ونسلح انفسنا من الدول الصديقة صاحبة المصلحة فى حل قضية الجنوب » •

الضباط الاحرار وأكتوبر

فى أكتوبر ١٩٦٤ كانت كل الظروف قد نضجت للاطاحة بنظام ١٧ نوفمبر العسكرى الرجعى • واشترك فى تنفيذ الاضراب السياسى كل القوى

الثورية والوطنية ، العمال والمزارعون والطلاب والمثقفون والشباب والنساء . . وواجه الشعب من خلف المتاريس النظام العميل للاستعمار فاسقطه بانتفاضته الجبارة بعد ست سنوات . وخلال أحداث أكتوبر تقدم الضباط الاحرار للعمل وكان لهم دور كبير فى أحداث اكتوبر .. وعندما أصدرت قيادة القوات المسلحة الرجعية أوامرها للقوات المسلحة باطلاق **النيران** على المتظاهرين ـ رفض **الضباط الاحرار** تنفيذ الاوامر ، وكان لذلك الرفض **دورا** مساعدا فى هزيمة نظام ١٧ نوفمبر .

وتزعم ثلاثة من قادة الضباط الاحرار ـ **البكباشى جعفر النميرى واليوزباشى فاروق عثمان حمدالله واليوزباشى الرشيد نور الدين** ـ عملية حصار القصر الجمهورى حتى أعلنت اجراءات حل المجلس الاعلى للقوات المسلحة . وأعلنوا عدم قبولهم تولى عبود لرئاسة الوزارة . وقدموا ـ مع مجموعة من الضباط ـ عريضة تطالب بتطهير الجيش من العناصر الفاسدة والخائنة والعميلة للاستعمار والتى كانت فى خدمة نظام ١٧ نوفمبر لتأمين الثورة وحمايتها .

ودبرت الدوائر الرجعية فى الجيش مؤامرة ضد الضباط الاحرار وقامت باعتقال الضباط الثلاثة ، فأصدر الضباط الاحرار منشورا فى ١١/٨/ ١٩٦٤ يوضحون فيه ابعاد مؤامرة اعتقال هؤلاء الضباط ـ فيصف المنشور هذا العمل بانه « خطوة فى سبيل تطهير الجيش من العناصر الوطنية التى شاركت فى ثورة الشعب وبذلك تمهد الارض للسيطرة الكاملة على الجيش بواسطة العناصر الرجعية ، واحداث انقلاب رجعى جديد يطيح بكل مكتسبات ثورة الشعب ويفرض على الشعب حكما أكثر رجعية من حكم ١٧ نوفمبر المباد » .

« ان الدوائر الرجعية تحاول أن تردد الاتهام للضباط الاحرار المذكورين أعلاه بأنهم يعملون لحساب مصر . وهذه محاولة رخيصة لستر الحقيقة تقصد من ورائه الدوائر الرجعية أن تبرر موقفها فى تصفية الجيش من العناصر الوطنية وفرض سيطرة العناصر الرجعية عليه » .

وطالبت الجماهير بالافراج عن الضباط الاحرار ، مما اضطر السلطات الحاكمة الى اطلاق سراحهم ، وقد انعكس هذا الموقف على تنظيم الضباط الاحرار فازداد قوة وتنظيما وتلاحما مع الحركة الشعبية . وأصبحت هذه العناصر تمثل بطولة شعبية يصعب على القوى الرجعية أن تمسها .

الضباط الاحرار خلال حكم القوى المضـــادة للثـــورة

من خلال سلطة أكتوبر المزدوجة والتى اشترك فيها هؤلاء الذين صنعوا أكتوبر وقادوا الاضراب السياسى ، وهؤلاء الذين كانوا يمثلون اليمين التقليدى بكل اتجاهاته ـ من خلال هذه السلطة المزدوجة تمكنت الاحزاب التقليدية من الانقضاض على الثورة ، وفى أوائل ١٩٦٥ وعندما استقال سر الختم خليفة باتفاق بينه وبين القوى الرجعية ، وكانت استقالته تعنى تصفية لثورة أكتوبر ، فكر الضباط الاحرار بالقيام بحركة يردوا بها على هذه الحركة المضادة ، ولكن بعد دراسة لخريطة قواهم ولوضع الحركة الشعبية وجدوا أن التوقيت غير مناسب .

الاتجـــاه أكثر الى الجنود وضباط الصف

ومنذ ثورة أكتوبر أبدى الضباط الاحرار انعطافا أكثر نحو الجنود ، فقد تأكد أن نقطة الضعف التى تعانى منها القوى الثورية داخل القوات المسلحة هى ضعف اتصالهم بالجنود ..

ففى العدد الاول من مجلة « **الاحرار** » والتى حلت محل « **صوت القوات المسلحة** » جاء : « أن الجبهة تضع فى المقام الاول علاقة الضباط بالجنود فالارتباط بينهم ارتباط حتمى تمليه طبيعة العمل والاهداف المشتركة . ولذا كان لزاما ان تصل العلاقة بينهما الى أقصى مراتب التعاون » .

وجاء فيها : « فالضابط مسئول أن يكون قدوة حسنة لجنوده فى كل تصرفاته . على الضابط أن يتعرف على جنوده فردا فردا وأن يحتفظ بسجن واف لكل واحد منهم حتى يتسنى له الالمام التام بالمشاكل التى تواجههم فى عملهم . وعلى الضابط أن يعايش الجنود فى غير ساعات العمل وأن يتعرف على مشاكلهم العائلية والتى تنعكس بدورها على العمل فيساعد على حلها بكافة الطرق » .

لقد كان الانعطاف نحو العمل بين الجنود هام جدا بالنسبة للثورة السودانية اذ ان الاحزاب التقليدية وخاصة الامة كانت قد حشدت الجيش بمجندين من أنصارها مستفيدة من الضبط والربط ولمواجهة التنظيمات الحزبية الاخرى بالقوات المسلحة مثل ضباط الصادق والذين كان من قادتهم القائمقام شبرنى .

مؤامرة ضد الضباط الاحرار

وأثناء تولى الصادق المهدى - ١٩٦٦ - سلطة الحكم دبرت مؤامرة داخل الجيش باستخدام ملازم ثان **خالد الكد** ، وقد شكل مجلسا للثورة على الورق كتب فيه اسماء النميرى ورشيد نور الدين وهاشم العطا ورشيد ابو شامة . ولكنها كانت مؤامرة ساذجة ، فضحت ، وفشلت فى تحقيق الهدف منها .

الاعداد للثورة

فى أكتوبر كشفت عناصر كثيرة من الضباط الاحرار فنقلوا الى الجنوب والى معسكرات بعيدة عن العاصمة - ووضعوا تحت الرقابة الشديدة - وعندما احتج الضباط فى الجنوب وتمردوا ضد الاوضاع المتخلفة للقوات المسلحة (فالاسلحة التى فى أيديهم قديمة البندقية ماركة ٤) بينما يتسلح المتمردون بالاسلحة الاوتوماتيكية الحديثة وكانوا يملكون البازوكا • وكانت حالة الجنود والضباط بالغة السوء ، فمرتبات الجنود يتأخر صرفها لمدة ستة شهور ، والاغذية الفاسدة ترسل اليهم ، وكانت ملابسهم فى حالة رثة ، وحتى موتاهم لايدفنون •• وفى هذه الفترة شكل الجنود عددا من الجمعيات السرية وطبعوا المنشورات الخاصة بهم ومن أشهر هذه الجمعيات جمعية « **لهب** » التى أرسلت منشوراتها من الشمال الى الجنوب •

وقرر الضباط الاحرار - ضرورة اتخاذ موقف لمواجهة الوضع - فاجتمع فى **جوبا** فى ١٩٦٥ - ٨٤ ضابطا من رتب مختلفة ، وقرروا التقدم بمطالب الجيش للخرطوم : ١ - تحسين حالة الصف والعساكر خاصة ورعاية عائلات الشهداء - ٢ - تنظيم وتسليح القوات المسلحة وتطهيرها •

وانتقل اليهم وزير الدفاع والقائد العام السابقين ، وبعد مفاوضات مع الضباط اقر بمطالبهم ، واقسم بالشرف السودانى ان أى ضابط لن يمس بسوء - ثم استدعوا الضباط الى الخرطوم ، وصدر القرار بطردهم من الجيش - وكان من بينهم **فاروق عثمان حمد الله** (وزير الداخلية الحالى) •

وقد أثرت حادثة جوبا ونتائجها على تفكير كثير من الضباط ، اذ تأكد لديهم أن النضال للاصلاح داخل الجيش لم يعد ممكنا فى ظل الاوضاع السائدة ، وأنه لابد من الاعداد الجاد للاستيلاء على السلطة لتغيير الجهاز الحاكم نفسه •

وفى اغسطس ١٩٦٨ أعلن اتحاد نقابات العمال الاضراب العام من أجل المطالب العمالية ، وقد كان نجاح هذا الاضراب علامة طريق لكل القوى الثورية فى السودان ، على ان النظام الحاكم لم يعد فى امكانه الاستمرار فى السلطة وان ساعة الخلاص منه قد اقتربت • فقد كان الاضراب استفتاء شعبيا قال للحكام التقليديين « لا » .

وتأكد للضباط الاحرار ان الشعب بدأ يستعيد ذاته بعد الانتكاس بأكتوبر - وأن القوى الحاكمة قد طغت وافسدت وخانت ، وباعت البلاد للاجانب وتاجرت بالشعارات وخاصة بشعار التعاون العربى - وابلغ مثل على هذه المتاجرة ان الاموال التى تبرع بها العاملون والشعب السودانى للفدائيين بددت الحكومات جزء كبيرا منها ! ! •

وهنا قرر الضباط الاحرار ضرورة العمل ، وأن لحظة انهيار النظام الرجعى قد دنت - والظروف مواتية لتوجيه الضربة للعدو •

وتحددت ساعة الصفر ••

- مجموعات كبيرة من كبار الضباط الرجعيين خارج العاصمة وخارج البلاد •
- تجمع أكبر مجموعة من الضباط الاحرار بالخرطوم •
- التعبئة العامة للحركة الشعبية والاستعداد لخوض المعركة - وتأكد ذلك بالاعداد الناجح الذى كان يعده اتحاد نقابات العمال لخروج العمال فى مظاهرة كبيرة ، ومعهم عائلاتهم واطفالهم واحتلال ميدان عبدالمنعم والاعتصام به حتى تلبى المطالب •
- الانهيار المالى والاقتصادى فالميزانية شبه مفلسة ، والسوق بغلائه ينهش الكادحين •
- فاحت رائحة الفساد حتى زكمت الانوف ولم يعد فى الامكان السكوت عنها •

● تأكد لدى الضباط الاحرار أن الرجعية كانت تدبر لانقلاب رجعى عسكرى مثل انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ ، ولكنها فشلت فى تحقيقه ، رغم وجود القيادة المسلحة فى صفها .

وكان تحديد ساعة الصفر دقيقا وذكيا ..

وفى ٢٥ مايو خرجت الفرقة الثورية فى القوات المسلحة .. ونجحت العملية الثورية ، واعلن قيام جمهورية السودان الديمقراطية .

٧ آفـــاق المســـتقبل

فى يوم الخميس ١٢ يونيو ١٩٦٩ وبعد عشرة ايام من مسـيرة الثانى من يونيو فى الخرطوم والتى كانت اعلانا ثوريا عن تلاحم قوى الشعب العامل مع « الفرقة الثورية » التى قادت حـركة ٢٥ مـايو ، وقف اللـواء أ . ح **جعفـر محمــد النميرى** رئيس مجلس قيـادة الثورة السـودانية **فى بورت سـودان** ليخاطب مسيرة العاملين الحاشدة ، فقال فى خطـابه :

« **يسعدنى أن أعلن هنا أمام جمعكم الحاشد هذا أننا متفقون تمام الاتفاق مع ممثلى القوى العاملة فى رسم طريق الخلاص ، فالمذكرات التى بعثت الينا بها المنظمات الديمقراطية وعلى رأسها اتحاد نقابات عمال السودان تتطابق مع أهداف الثورة ومع بياناتها الاولى** » .

« ان التخريب الذى قاموا به ــ أى الاحزاب التقليدية ــ يفوق التصور وما تسمعون عنه من قصص الفساد والمحسوبية والبذخ وتبديد الاموال ما هو الا جزء يسير من جرائمهم ، وفوق هذا وذاك فهو فى نظرنا لا يوازى الجريمة الكبرى التى تتمثل فى تمكين الاستعمار الحديث والابقاء على مصالح الاستعمار القديم » .

ثم أضاف قائلا :

وسنعيد تخطيط الحياة الاقتصادية على أسس علمية تتوخى مصلحة السودان ومصلحة جماهيره العاملة وسنشرك القوى المنتجة ، صاحبة المصلحة الحقيقية فى تطور البلاد فى مجالس التخطيط وفى ادارة المؤسسات الانتاجية الكبيرة والصغيرة ، وسنعمل على تعديل كل القوانين التى تحكم سير العمل بما يتمشى والتطلعات الجديدة للقوى العاملة حتى نفتح لها الطريق لتشارك فى عبء البناء وتتحمل معنا المسئولية كاملة » .

« ايها المواطنون الاحرار ــ لقد عملت الاحزاب الرجعية الفاسدة على تشويه ارادة هذا الشعب فخدعوه بديمقراطية عرجاء تمكنهم وحدهم من احتكار الحكم والتحكم فى رقاب العباد وانهكوا قواه وبددوا طاقاته وأمواله فى انتخابات مشوهة تضمن لهم التربع على كراسى الحكم والشعب بعيد من أن يقول كلمته بعيد من ان يشارك ويفرض

ارادته ، واليوم وقد انطلقت ثورتكم المظفرة لترد للشعب حقوقه ، اليوم ستفتح صفحة جديدة من صفحات الارادة والكرامة ، صفحة تكون فيها الكلمة العليا للشعب ، لقد أعلنا مرارا وتكرارا اننا لسنا طلاب حكم أو جاه أو سلطان ، ولم ننتزع السلطة من أيدى الرجعيين للتحكم بها فى رقاب المواطنين ولكنا جئنا لنسهر على مصالح الشعب ولنعيد له حقوقه السليبة ولنسلمه السلطة كاملة يديرها بارادته الحرة بعد أن نزيل جميعا كل المعوقات التى كانت تقف فى سبيل انطلاقنا وتحررنا » .

« ان ثورة ٢٥ مايو التى قام بها نفر من ابنائكم الضباط الاحرار تعاونهم مجموعة خيرة من الدنيين الشرفاء ليست نبتا شيطانيا ولا حركة معزولة . ان آمال وتطلعات وكفاح الجماهير — هى جزء منه وامتداد له ،وارتكازها الاول والاخير كان وسيكون على الشعب العامل ، على المثقفين الثوريين ، على الرأسماليين الوطنيين ، على الجنود ، والضباط الاحرار الذين هم ابناء هذا الشعب ، وفى كلمة واحدة سيكون ارتكاز الثورة على الذين تهمهم مصلحة البلاد وخير الشعب وسعادته وتلك هى الديمقراطية الحقيقية التى نسعى الى ارساء قواعدها وتثبيت اركانها الديمقراطية التى تضمن لنا التقدم والحرية والانعتاق » .

ان قادة ٢٥ مايو يؤكدون بهذه الكلمات أن حركتهم لم تستهدف تغيير حكومة بحكومة، فهى ثورة اجتماعية — من أجل بناء واستكمال مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وارساء الاساس المادى للاشتراكية فى السودان .. وهى مهمة صعبة كما قال الرئيس **جمال عبدالناصر** لوفد الصداقة السودانية .. « ان الانقلاب أو الوصول الى الحكم مهمة يسيرة اذا قيس بمهمة الثورة الاجتماعية واستتباب السلطة الثورية » .

بناء الديمقراطية الجديدة

القضية الاولى التى تواجه ثورة ٢٥ مايو ، هى قضية البناء الديمقراطى للسودان — ومحورها :

اولا : وضع السلطة فى يد الطبقات الحديثة فى البلاد ، فى يد القوى التى مهدت للثورة بنضالها قبل الاستقلال وبعده وضد نظام ١٧ نوفمبر العسكرى الرجعى والتى صنعت أكتوبر والتى قاومت حكم القوى المضادة للثورة من ١٩٦٥ حتى مايو ١٩٦٩ . وبذلك تضع ثورة مايو الاساس لمبادرة الطبقات الحديثة فى المجتمع السودانى لتتصدى للحكم بهدف التغيير الاجتماعى التى هى صاحبة المصلحة فيه ، وبهدف اخراج جماهير القطاعات التقليدية فى الاقتصاد والمجتمع من مجتمع البداوة والاقتصاد الطبيعى والحياة الطائفية الى مجتمع الحضارة والتقدم والمعرفة .

ويعنى ذلك ، اشراك جماهير العاملين اشراكا مباشرا فى السلطة — بواسطة منظماتها الديمقراطية والتى كان لها دور طليعى حقيقى فى مسار الثورة السودانية وعلى رأسها اتحاد نقابات عمال السودان واتحاد المزارعين واتحادات الموظفين والمعلمين ، والتى لا تعد مجرد منظمات مهنية او نقابية بالمفهوم التقليدى لهذه المنظمات فى مجتمعات رأسمالية متطورة ، فهى فى ظروف السودان تضطلع بدور مباشر فى الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية .

والبدايات الاولى التى بدأتها ثورة مايو باشراك العاملين فى عملية تغيير القوانين العمالية القديمة ، وفى عقد المؤتمر المشترك مع منظماتهم لبحث مطالبهم ، والاعلان عن اشتراك العمال الزراعيين والمزارعين فى مشروع الجزيرة وغيره .. كل هذه البدايات الاولى — بدايات تشير الى الاتجاه نحو المشاركة الحقيقية للعاملين فى السلطة ولانجاز البرنامج الاجتماعى للثورة .

ثانيا : تغيير جهاز الدولة السودانى ، وهو جهاز يتميز بخصائص مغايرة لكثير من اجهزة الدولة الحديثة فى البلدان الاكثر تطورا ، فبرغم انه انشىء لخدمة الاستعمار قبل الاستقلال ، وقام بخدمة مصالح الطبقات المالكة بعد الاستقلال . الا ان المحور الاساسى فى تكوينه هو فئات البورجوازية الصغيرة وابناء الطبقة الوسطى المثقفة الوطنية والعاملين .. وذلك اذا ما استثنينا الفئة البيروقراطية الكبيرة والقائدة له — وقد اثبتت احداث ثورة أكتوبر من قبل امكانية تحرك هذا المحور الاساسى فى اتجاه الثورة الاجتماعية ، واثبتت البدايات الاولى لثورة مايو تحرك هذا المحور فى العملية الثورية الجديدة ، لذلك فان عملية اعادة بناء جهاز الدولة انما تتركز فقط وفق ظروف السودان الخاصة فى ضرورة التخلص من الفئة البيروقراطية العليا ومن مراكزها فى السلطة وامتيازاتها — ولذلك رفعت الجماهير شعار التطهير باعتباره « واجبا وطنيا » ، والغاء التشريعات القديمة التى جعلت جهاز الدولة فى خدمة الطبقات القديمة .

ثالثا : وتحتل قضية تصفية الادارة الاهلية مكان الصدارة من أجل بناء الديمقراطية الجديدة فى السودان ، باعتبارها العقبة الحقيقية فى وجه تطور أغلبية سكان البلاد ليشاركوا فى عملية الثورة الاجتماعية — ولقد كان من أول الاجراءات الثورية لمايو وأهمها : الغاء الادارة الاهلية

وسلطاتها الادارية والقضائية فـي المناطق الحديثة ـ ولقد اعتبر هذا الاجراء حماية للسلطة الجديدة ، وضربة وجهت لاحتياطي القوى المضادة للثورة •

رابعا : ان بناء الديمقراطية الجديدة فـي السودان انما يتطلب حرمان القوى الرجعية من ممارسة أي نشاط سياسي ، وقد كان اجراء الغاء الاحزاب التقليدية والتمهيد لمحاكمة قادتها محاكمة سياسية خطوة ثورية هامة في هذا المجال ، لتأكيد طبيعة السلطة الجديدة ، وكذلك كان الرفض النهائي لشاركة أي عناصر منها في السلطة الجديدة خطوة هامة استفادت مـن دروس أكتوبر ـ حيث انقلب على أكتوبر ليس فقط عناصر احزاب الامة والوطني الاتحادي والاخوان المسلمين، بل وحتى العناصر الوسـطية القـابلة للتردد والذبذبة ـ والتي التقت نهائيا مع اليمين فـي الائتلاف الوزاري الاخير قبل ثورة مايو .

خامسا : ان توسيع قاعدة الحكم المحلي وسلطاته التشريعية وقدراته الاقتصـادية ـ شيء أساسي في ارساء قواعد الديمقراطية المباشرة ، ولحل مشاكل المجتمع الذي تبلغ مساحته مليون ميل مربع ، ويحتوي على تكوينات اجتماعية وقبلية متنوعة ويفتقر الى الطرق والمواصلات • وقـد أعلنت ثورة مايو حل المجالس المحلية القديمة واعادة بنائها بوسيلة الديمقـراطية ولاشراك العاملين فيها • وأن قضية التكوينات القبليـة الخاصة ستحتاج الى أشكال ووسائل جديدة تتفق وظروف السودان لممارسة الديمقراطية الجديدة ، حيث يمكن تطويعها كسـلطات محلية للنظـام الجديد

البناء الاقتصادي

القضية الثانية التي تواجه ثورة ٢٥ مايو هي قضية البناء الاقتصادي ـ فالبناء الديمقـراطي والتحرر الوطني ، يصبح مجرد اطار بلا محتوى ان لم يصحبه تغيير اقتصادي جذري • ولقد أعلنت السلطة الجديدة رفضها التام لطريق التنميـة الرأسمالي ، وأنها تسعى لاقامة نظام اشتراكي كهدف استراتيجي للثورة ـ كما جاء في خطابات النميري وبابكر عوض الله وقادة العمال فـي الخرطوم وبورت سودان ومدني وغيرها من المدن ـ والطريق أمام السلطة الجديدة ـ لسلوك طريق غير رأسمالي ـ يرتكز على :

١ ـ خطة اقتصادية تستهدف في الاساس تنمية الاقتصاد الوطني بالاستفادة من الموارد الداخلية المتاحة وهي موارد كانت مهدرة أو مهملة •

٢ ـ وقف تدفق الجزء الكبير من الدخل القومي الى الخارج كأرباح وفوائد للشركات والبنـوك الاجنبية ولسداد قروض غير انتاجية تستغل لتلبية حاجات الاستهلاك الخاص بالطبقات الثـرية والمالكة

ويتحقق ذلك :

- بتأميم التجارة الخارجية وتصفية مراكز الشركات الاجنبية التي تحتكر ٧٠ في المائة من تجارة السودان الخارجية وتستأثر بأرباح سنوية تصل الى ١٥ مليون جنيه ، وان تحتكر الدولة التجارة في السلع الرئيسية المستوردة والمصدرة.

- تأميم البنوك الاجنبية ، وشركات التأمين الاجنبية والتي تشارك في نهب موارد الثروة السودانية وتعوق أي تمويل لتشييد الصـناعة والمشروعات الانتاجية في السودان •

- انتهاج سياسة مالية جديدة في الحصول على القروض الاجنبية ـ بأن تكون قروضا طويلة الامد وبفائدة قليلة ، ومستثمرة في مجـالات انتاجية ، وغير مشروطة بشروط تقيد اسـتقلال السودان أو تطوره •

- انهاء المركز الخاص لرأس المال الاجنبي في الصناعة الكبيرة الناشئة ، والذي يصل المستثمر منه الى ٧٩ في المائة ، وتدعيم القطاع العام والقطاع الوطني الخاص غير المرتبط بالاحتكارات الاجنبية

- تدعيم قاعدة القطاع العام وحمايته من هجمات الاستعمار الحديث ـ هجوم البنك الدولي على المشاريع الزراعية ، ومشاريع المواصلات ـ بهدف اضعافه وانهاء وجوده •

الاصلاح الزراعي

القضية الثالثة : قضية الاصلاح الزراعي ، وهي قضية اربعة اخماس الشعب السوداني الذين يعملون مباشرة في الزراعة ، وتبدو الاهميـة الخاصة لهذه القضية اذا وضعنا في اعتبارنا ان الزراعة في السودان هي المصدر الاساسي للفائض الاقتصادي الذي يلعب دورا مؤثرا في اعـادة تخطيط الاقتصاد القومي وفي العمل على توسيع نطاق التصنيع ولتحديث الزراعة •

وآفاق الاصلاح الزراعي في السودان ليست هي آفاق الاصلاح الزراعي التقليـدي والذي يكون اساسه شعار « الارض لمن يفلحها » على اساس تجريد الاقطاعيين وكبار الملاك من تملك الارض

ان هدف الاصلاح الزراعى فى السودان هو — فى الاساس — العمل من أجل زراعة ٢٠٠ مليون فدان — ثمانون مليونا منهـا للرعى ، واستثمار ٣٥ مليون رأس من الحيوانات .

١ — دعم المشاريع الزراعيـة الحكومية والمختلطة — مثل مشروع الجزيرة .

٢ — اقامة مشاريع جديدة تتنوع منتجاتها وتكثف الزراعة فيها — والاستعانة فى ذلك بعون البلدان الاشتراكية والبلدان العربية المتقدمة .

٣ — عدم الاعتماد على المحصول النقدى الواحد — القطن — وانشاء مكاتب ولجان لتسويق الصادرات الزراعية للحصول على افضل مركز فى التعامل مع السـوق العالمى — وعلى اسـاس الاتفاقيات الثنائية الطويلة المدى .

٤ — ارساء اسس الزراعة التعاونية وحيث الارضية الاجتماعية ممهدة لها فى السودان ، والتى ستكون اداة هامة فى الاستثمار الزراعى .

٥ — الاهتمام بالمناطق المتخلفة وجذب سكانها الى مجال الانتاج الحديث وذلك بتوجيه الجهود لتنمية الثروة الحيوانية ، والاهتمـام بالمراعى وزراعتها بزراعة فنية بالمواد الغذائية ، وتجميع الرعاة فى مراكز انتاجية وانشاء القرى الخاصة بهم ، وانشاء المراكز البيطرية ومقاومة الامراض المتوطنة والعمل على حل مشكلة المياه ، حيث يعانى الانسان والحيوان من العطش ، والعمل على تصنيع المنتجات الحيوانية ، وانشاء صناعات للجلود ودبغ الجلود والالبان وصناعات لانتاج الاسمدة والمواد الكيماوية .

ان جزءا هاما من سياسة الاصلاح الزراعى فى السودان ، هو انشاء صناعات خاصة بالمنتجات الزراعية — صناعة النسيج صناعة الخيش — صناعة المبيدات والاسمدة — استثمار جزء من محصول الصمغ فى صناعة الحلوى — صناعة الاغذية المحفوظة والمعلبات .. الخ .

السياسة الخـارجية

القضية الرابعة : قضية السياسة الخارجية للسـودان وعلاقتـه بدول العالم ومعسـكراته والسـياسـة الخـاصـة بالمـوقف العـربى والافريقى ، وفى هذا المجال يحدد اللواء جعفر محمد النميرى السياسة العربية فى خطابه فى بورت سودان بقوله : « كانت سياسة بلادنا الخارجية فى ظل حكومات الرجعية المندحرة تتسم بالضعف والخور والتبعية للاستعمار حتى خفت صـوت السودان وتضاءلت مكانته بين الامم »

« وجاءت ثورة الخامس والعشرين من مايو لتضع السودان فى موضعه الطبيعى من حركة التقدم السياسى والاجتماعى فى العالم العربى وفى افريقيا .

« ان حركتنا جزء من الحركة العربية الثورية التى تسعى الى بناء امة عربية ثورية بعيدة عن نفوذ الاستعمار بشقيه القديم والحديث . وفى هذا الميدان سنسخر كل امكانياتنا للوقوف فى خط النار الاول دفاعا عن الحق العربى حتى نسترد اراضينا السليبة التى اغتصبتها اسرائيل قاعدة الاستعمار العالمية الاولى فى وطننا العربى .

« وليس بعيدا ذلك اليوم الذى ترفرف فيه رايات الاشتراكية المظفرة فوق كل بقعة من بقاع الارض العربية وتعود فيه فلسطين حرة وعربية خالصة لابنائها

« وفى افريقيا نحن مع حركات التحرر الوطنى ان الاستعمار الذى امتص خيرات القارة الافريقية البكر ، لم ينعم بالراحة طويلا وسندق طبول النصر وترتفع اهازيج الحرية فوق سهول قارتنا ووديانها واحراشها ، وسيستعيد الانسان الافريقى عزته وكرامته ففى قوتهم قوة لنا وفى عزتهم عزة لنا .

« وفى كلمة واحدة ستكون سياسة بلادنا الخارجية مستمدة من تطلعات هذا الشعب الذى يتوق لان يلعب دوره كاملا فى مسيرة الحرية والسلام فى العالم اجمع وسنقيم علاقاتنا مع دول العالم الاخرى باستقلال تام وعلى قدم المساواة نصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا — يدنا بيضاء ممدودة للاصدقاء ، وهى فى نفس الوقت حرب على الاعداء » .

تقارير الشهر

■ الحقيقة التى لا يمكن تفاديها فى الشرق الاوسط
■ الاعتراف بألمانيا الديمقراطية نبض أمين للالتزام الثورى
■ كينيا « فوق سطح من الصفيح الساخن »
■ أضواء على التغييرات فى اليمن الجنوبية

■ **المؤتمر القومى**

وحدة النضال على الجبهتين الوطنية والاجتماعية

فى العيد السابع عشر لثورة ٢٣ يوليو افتتح **المناضل جمال عبد الناصر** الدورة الثالثة للمؤتمر القومى العام بخطاب سياسى كانت له أصداء واسعة وبعيدة المدى فى الداخل والخارج على السواء .

ويميل المراقبون الى اعتبار ان الحلقة الرئيسية فى الخطاب هى التصور الذى قدمه الرئيس لطبيعة المعركة مع اسرائيل على أساس أنها معركة طويلة هدفها انهاك العدو الاسرائيلى . وهذا التصور هو الذى حكم فى الواقع المواقف التى حددها الخطاب بازاء عدد من القضايا الهامة فى المجالات الداخلية والعربية والدولية .

ويرى المراقبون أن الخطاب بما اشتمل عليه من تقدير للموقف العسكرى على الجبهة ، وبما تضمنه من قضايا سياسية هامة ، يمكن ان يعتبر فى حد ذاته بداية مرحلة جديدة فى التعبئة السياسية . وقد ركز الرئيس على النقاط الرئيسية التالية :

● عند الحديث عن العدو الصهيونى الامبريالى ركز الرئيس تركيزا خاصا على كشف وفضح الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة الامريكية التى تتبنى اسرائيل وتدافع عنها ، وتمدها بكل انواع الدعم ، تشجعها على مواصلة احتلال الارض العربية . وفى هذا أشار الرئيس الى ان فهم موقف الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا يتطلب ان نضع اعتداءات اسرائيل السابقة على عام ٦٧ فى موضعها الصحيح باعتبارها حلقة من حلقات المخطط الامبريالى الثابت الموجه ضد الثورة العربية . وفى هذا الصدد ايضا اهتم الرئيس بأن يبدد كل عوامل البلبلة حول الموقف الحقيقى للولايات المتحدة الامريكية وذلك عندما اشار الى ان تغيير امريكا لاسلوبها فى التعامل معنا لايعنى تغيرا فى اهدافها وفى دعمها لاسرائيل .

● وعند الحديث عن العدو الاسرائيلي اهتم الرئيس بأن يقيم قوة العــدو التقييم الصحيح فلا مبالغة ولا تهوين من خطره . وأوضح انه بينما تستطيع اسرائيل ان تعبىء نصف مليون فان هذا لا يعنى ان الجيش الاسرائيلي جيش لا يغلب . وعلى العكس أوضحت المواجهة التى حدثت فى الايام الاخيرة بين الجندي المصرى وبين الجندى الاسرائيلى أن جنودنا يستطيعون ان يقاتلوا تحت كل الظروف ويستطيعون ان يحققوا نجاحات مؤكدة ضد العدو . وفى تقديره لمستوى قواتنا المسلحة اشار الرئيس الى اننا ندخل مرحلة جديدة فى العمل العسكرى اساسها تعاظم المقدرة القتالية وارتفاع الروح المعنوية فى صفوف القوات المسلحة .

● **وقد ركز المراقبون اهتمامهم على تلك الفقرة من الخطاب التى دعا فيها الرئيس الى وضع استراتيجية عربية هدفها استنزاف قوى اسرائيل.** واكد الرئيس هذا المعنى فى أكثر من مكان عندما دعا الشعب الى ان يستعد لمواجهة طويلة والى ان يســتعد لمواجهة التضــحيات المطلوبة وهى التضحيات التى دلل الشعب باســتمرار على استعداده لبذلها .

● وبعد أن تحدث الرئيس عن جبهة الاعداء تكلم عن جبهة الاصدقاء ، هذه الجبهة التى تضم الاتحاد الســوفيتى والدول الاشــتراكية الاخرى ودول عدم الانحياز فى آسيا وافريقيا كما تضم قطاعات متزايدة الاتساع من الرأى العام العالمى بما فى ذلك الرأى العــام فى بلاد غرب أوربا خصوصا فى فرنسا . وقد خص الرئيس الاتحاد السوفيتى بشكر الشعب العربى فى مصر لمواقفه الثابتــة على الجهات العسكرية والسياســية والاقتصادية ، فى دعم بلادنا .

● وكان اهتمام الرئيس بالعمل العربى الموحد من ابرز النقــاط فى خطــابه . فبينما دعا الى استئناف العمل العــربى المشــترك على أعلى المستويات واكد على اهميته وعلى انه يواجــه ظروفا غير ظروف عام ٦٧ ايام مؤتمر الخرطوم ، دعا ــ فى الوقت نفسه ــ الى أن تشترك قوات المقاومة الممثلة لنضال الشعب الفلسطينى وتمثل ايضا على أعلى المستويات . وبينما رحب الرئيس بثورة السودان اكد ان القاهرة ترفض سياسة المحاور داخل الوطن العربى ، كما ترفض أن ترغم أى بلد عربى على عمل لا يريده .

● فاذا ما وضعنا جبهة الاعداء من ناحية ، ووضعنا من الناحيــة الاخرى تعاظم المقــدرة القتالية فى صفوف قواتنا المســلحة ، وتعاظم المقاومة العربية فى فلسطين ، وازدياد اصرار الشعوب العربية على تحــرير الارض ومواقف الاصدقاء ، أمكن القول ــ كما أوضح الرئيس ــ بأن الشعوب العربية تستطيع أن تصمد فى المعركة وأن تواجه الاعداء وتفسد مخططاتهم .

● ويرى المراقبون ان الرئيس اهتم اهتماما خاصا بتحديد الشروط أو الضمانات الاولية لتحقيق النصر على العدو الاسرائيلى الامبريالى . **ومن هنا كان تركيزه على الاهمية الحيوية لتماســك وصلابة الجبهة الداخلية ، وعلى اعتبار أنها الهدف الرئيسى الذى يوجه اليه العدو نيران حــربه النفسية.** وهذا يفسر ماقاله الرئيس من ان الجبهة لم تعد فقط هى خط القتال بل « ان الجبهة فى كل مكان ، والمعركة فى كل مكان » .

● وفى مجال دعم وحماية الجبهة الداخلية اشار الرئيس الى ان مفتاح الموقف يكمن فى العمل والتعبئة السياسية . وهنا حمل الرئيس الاتحاد الاشتراكى مسئولية النهوض بهذا العمل . **واكد انه يتعين على الاتحاد الاشتراكى أن ينشط فى صفوف الجماهير ليصبح « التنظيم الذى تستند عليه سلطة الدولة وليس التنظيم الذى يستند الى سلطة الدولة»** . واهتم الرئيس بالبحث عن صيغة نضالية تضع اقدام الاتحاد الاشتراكى على هذا الطريق فدعا الاتحاد الاشتراكى الى تكوين « لجان المواطنين من أجل المعركة » .

● ويرى المراقبون ان الرئيس قد حسم فى خطابه نقطة على جانب كبير من الاهميــة من النقاط التى كانت موضع اخذ ورد بعــد حــرب يونيو . وهذه النقطة تتعلق بالصلة بين المعركة الوطنية ضد الاستعمار والصهيونية وبين التحولات الاجتماعية : هل يستمر تعميقها أم يتم تجميدها فى ظروف المعركة . وأجاب الرئيس على ذلك **بان المعــركة « يجب الا توقف عملية التحــول الاشتراكى » وانما يجب ان تساعد على تعميقها .** وحدد أن الطريق الى ذلك انما هو بمواصلة التنمية وبناء قاعدة الصناعة الثقيلة . وطرح على المؤتمر اقتراحين فى هذا الصدد :

اولهما : اقتراح بالا تزيد الملكية الزراعية عن خمسين فدانا للفرد وان يبقى الحد للاسرة ١٠٠ فدان .

ثانيهما : فيما يتعلق بمستقبل الاراضى الجديدة اقترح أن تنشأ شركات أو مؤسسات عامة تنقل اليها هذه الاراضى ، ويكون لهذه الشركات او المؤسسات مهام الاستغلال المباشر او التأجير لاجال طويلة او البيع لصغار الملاك الجدد ، مع اعطاء اولوية فى التملك للمقاتلين فى ميدان المعركة ولاسرهم .

● واخيرا يرى المراقبون ان خطاب الرئيس

بما اشتمل عليه من قضايا يضع الاتحاد الاشتراكي فى الفترة المقبلة امام واجبات عاجلة فى مجال التعبئة السياسية لمواجهة متطلبات حرب التحرير

الاعداد لعقد المؤتمر

وكانت لجان الوحدات الاساسية ومؤتمرات الاقسام والمحافظات فى الاتحاد الاشتراكي قد دعيت ــ من قبل ــ تمهيدا لانعقاد الدورة الثالثة للمؤتمر القومى .

ونوقشت الاراء والمقترحات التى تراها القيادات المحلية كفيلة بدعم خط النضال لتصفية آثار العدوان .

أما اللجنة التحضيرية التى شكلتها اللجنة المركزية للاعداد للدورة الثالثة فقد طرحت تصورها للموقف السياسى فى شكل نقاط على مؤتمرات الاقسام والمحافظات ثم عادت وصاغت تقريرها على ضوء المناقشات التى تمت .

وتقدمت اللجنة المركزية الى الدورة الثالثة للمؤتمر القومى بتقرير سياسى شامل ـ كانت أهم عناصره

● ان معارك المواجهة التى تخوضها قواتنا المسلحة فى كل يوم مع العدو سواء بالضرب المكثف عبر القناة او فى المعارك الجوية المتصاعدة العنف والاتساع بالطائرات ، وانتظام عمليات اجتياز حاجز القناة الطبيعى لضرب تحصينات العدو فى داخل مواقعه ــ هذه العمليات التى تعد اختبارا بالغ الاهمية للقدرة القتالية المتعاظمة انما تصبح الامس الواسع والرحب امام جماهيرنا لانجاز المهمة المقدسة وهى تحرير الارض .

● وان تصاعد العمليات العسكرية على الجبهة المصرية لا يمكن بحال من الاحوال ان تتركه المؤسسة العسكرية فى اسرائيل يمر دون رد تحاول به أن تعيد ميزان القوى العسكرية والنفسية فى داخل اسرائيل وخارجها .

● ولقد اخذ العدو الاسرائيلى يغير من تكتيكه العسكرى بمحاولة توجيه ضربات انتقامية الى مراكز مدنية نائية عن خط المواجهة ليلحق الضرر ببعض مرافقنا الاقتصادية ، او ليلحق خسائر فى الارواح بين المواطنين ـ مستهدفا بذلك التاثير النفسى فى جماهير الشعب العربى . لقد بات واضحا ان أمل العدو يتركز على النفاذ الى جبهتنا الداخلية .

ويربط العدو الاسرائيلى هذه العمليات بحرب نفسية محمومة يستخدم فيها أجهزته ويستخدم فيها ايضا مراكز الاعلام والنشر فى الدول التى تقف موقف التأييد والمساندة للاطماع الصهيونية فى المنطقة العربية . والخط العام الذى تنتهجه هذه الاجهزة كلها هى تضخيم العمليات التى تقوم بها اسرائيل بينهما تسدل ستارا من الصمت على أعمال قواتنا وتقلل من اهميتها وتأثيرها على الرأى العام العالمى من ناحية ــ ومن ناحية آخرى تساعد على نشر حالة من البلبلة واليأس فى صفوف الجماهير العربية .

واستعرضت اللجنة المركزية فى تقريرها للمؤتمر النتائج العامة التى حققتها الاجراءات الاقتصادية ، واشارت الى أنها تدل على سلامة الاقتصاد المصرى وعلى امكانياته فى الاستمرار والصمود ومواجهة متطلبات حرب طويلة مع العدو .

وعرضت اللجنة المركزية فى تقريرها للتحرك السياسى على كافة الجهات لشرح موقفنا وفضح حقيقة المخطط الصهيونى الاستعمارى وتحديد معالم التحسن الملموس الذى طرأ على دائرة الفهم الدولى لحقيقة العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية **وأكدت فى هذا الجزء من التقرير على اهمية ماشهدته الفترة الماضية من تعاظم مستمر فى علاقات الصداقة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى الذى أبدى فى كل** المواقف تفهما واعيا ودقيقا للحقائق الاساسية فى الصراع العربى الاسرائيلى والذى اعطى ومازال يعطى الكثير من تأييده المادى والمعنوى للنضال العربى المشروع **وأكد تقرير اللجنة المركزية على أن بيان مؤتمر الاحزاب الشيوعية العالمية الذى عقد فى موسكو فى اوائل شهر يونيو الماضى حول ازمة الشرق الاوسط يعتبر اضافة جديدة الى مظاهر التأييد والمساندة المتعددة الصور والاشكال التى تقفها الدول الاشتراكية من النضال العادل للشعوب العربية ضد الصهيونية المدعم من الامبريالية العالمية .**

والى جانب التقرير السياسى قدمت اللجنة المركزيه تقريرا للمؤتمر القومى عن نتائج متابعتها لقرارات المؤتمر القومى وسجل المراقبون ان نقاطا عديدة كانت مشتركة بين اغلبية المؤتمرات التى عقدتها المحافظات والاقسام فمثلا :

● كان هناك تركيز واضح على شعار لا صوت يعلو على صوت المعركة وما يتطلبه من ضرورة مواصلة دعم القوات المسلحة وتوفير كافة احتياجاتها وضرورة بذل مزيد من الجهود . والتضحيات للوصول بها الى الحد الذى تستطيع فيه ان تنتقل الى مرحلة الهجوم الشامل لتحرير الارض العربية المغتصبة .

● وكان هناك الحاح على ضرورة بذل الجهود لدعم اعمال المقاومة العربية داخل الاراضى المحتلة والعمل على توحيدها تحت قيادة واحدة ٠

● ومع ماسجلته المؤتمرات من ان تحسنا ملموسا قد طرأ على دائرة الفهم الدولى لحقيقة العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية فقد طالبت بضرورة تعزيز الجهود الرسمية بجهود المنظمات الشعبيةودعت الى التوسع فى الوفود من الهيئات والشخصيات الجماهيرية بشرط ان تكون قادرة فعلا على شرح القضية وكذلك دعت الى الاستفادة من كافة الارتبطات والعلاقات مع الهيئات الديمقراطية العالمية ٠

● واحتلت مشكلات الدفاع الشعبى والدفاع المدنى جانبا كبيرا من مناقشات المؤتمرات كان هناك اجماع على ضرورة تدعيم الدفاع المدنى وأساليبه وتدريب المتطوعين الجدد والذين سبق تدريبهم ٠ وكان هناك تركيز على ضرورة ان يزيد التنظيم السياسى من دوره فى تدعيم الدفاع الشعبى والدفاع المدنى ، وضرورة أن تضرب قيادات التنظيم المثل والقدوة فىقيامها بمسئوليات واضحة ومحدده فى الدفاع الشعبى والدفاع المدنى ٠

● **وبالنسبة للمهجرين - طالبت بعض المؤتمرات بضرورة البدء فى تحويل مفهوم الاعانة التى تصرف للمهجرين الى أجر نظير عمل معين يؤديه كل مهاجر . بحيث يمكن الاستفادة من كل الطاقات والقدرات الانتاجية والحرفية والمهنية المتاحة بين أفراد المهاجرين القادرين على ذلك .**

● واجابة على السؤال الذى طرح عن كيفية حشد قوى الشعب فى مواجهة الحرب النفسية أجابت بعض المؤتمرات بضرورة تحقيق مزيد من الفاعلية والحركة للتنظيم السياسى فى مواجهة حملات التشكيك والبلبلة وسد جميع المنافذ التى يحاول العدو التسلل منها ٠ وان السبيل الى ذلك يتطلب توافر التوضيح السريع للاحداث وتوفير المعلومات الصحيحة الكافة فى الوقت المناسب والتى تمكن القيادات من الاجابة على تساؤلات الجماهير دون المساس بما يتعلق بالامن القومى ٠

● وطالبت بعض المؤتمرات بأن تقوم القيادات لمواجهه التحدى برصد اهم المشاكل الملحة ودعم الانتاج الصناعى والزراعى والا يقتصر العمل السياسى على المدن وانما لابد وان يمتد الى اعماق الريف ٠

● ودعت بعض المؤتمرات أيضا الى ضرورة قيام التنظيم السياسى فى الريف بالعناية بمقاومة دودة القطن والعناية بكافة المحاصيل وخاصة الارز .

● لقد كانت النقطة البارزة فى المناقشات هى الدعوة لعمل سياسى مبادر من جانب القيادات فى كل مكان - ودعتبعض المؤتمرات الى ان يتم تقييم قيادات التنظيم السياسى خلال هذه المرحلة الهامة ، أساسا على ضوء مابذلته من جهد فى مواجهة الحرب النفسية والتصدى لها ، ومدى قدرتها على الارتباط بالجماهير وتوجيه حركتها ٠

والحصيلة النهاية كما بلورها تقرير اللجنة المركزية المقدم للمؤتمر هى ان نسبة هامة من قرارات وتوصيات المؤتمر القومى قد نفذت فعلا او اخذت طريقها للتنفيذ - على اساس ان هناك مسائل كان تنفيذها الكامل يحتاج لفترة قصيره نسبيا ومسائل اخرى تحتاج فترة طويلة تبدأ برسم سياسة ، وقد حددت اللجنة المركزية فى تقريرها الخطوط الرئيسية التى تقترح أن تكون أساسا لواجبات ومهام العمل السياسى فى المرحلة القادمة وهذه الواجبات هى :

١ - التحرك مع الجماهير فى اتجاه المعركة وازالة كل العوائق الفكرية والمادية التى تعوق انطلاق الدفع الشعبى فى هذا الاتجاه ٠

٢ - توسيع دائرة منظمات الدفاع الشعبى لتغطى الجمهورية كلها مع توفير الامكانيات المادية والمعنوية لها والتدريب الواسع علىوسائل الدفاع المدنى وتنمية امكانياته مع توزيع المهام وتحديد المسئوليات فى كلا المجالين .

٣ - وضع اهداف نضالية محددة لزيادة الانتاج فى الزراعة والصناعة وغيرهما من القطاعات تلتزم بها القيادات السياسيةو الشعبية والتنفيذية وتعمل وسط الجماهير فى كل مركز من مراكز العمل على تحقيقها مع تحديد مهام ومسئوليات التنظيم فى تحقيق هذه الاهداف .

٤ - اليقظة الكاملة من قيادات التنظيم فى كل موقع من مواقع العمل السياسى لمواجهة الحرب النفسية المركزة التى تواجهنا بها اسرائيل ، والقوى المؤيدة والمساندة مع تعميق الوعى والفهم بمقاصد اسرائيل وأهدافها .

٥ - الاستمرار والتزايد فى تحركنا فى المجال العربى وعلى كافة المستويات واتخاذ المبادرات التى تدعم العمل العربى فى كافة مجالاتها - ومضاعفة الجهد على النطاق العالمى وملاحقة اسرائيل وكسب المواقع منها ٠

■ مجلس الامة :

مناقشات هامة حول قانون التعاون

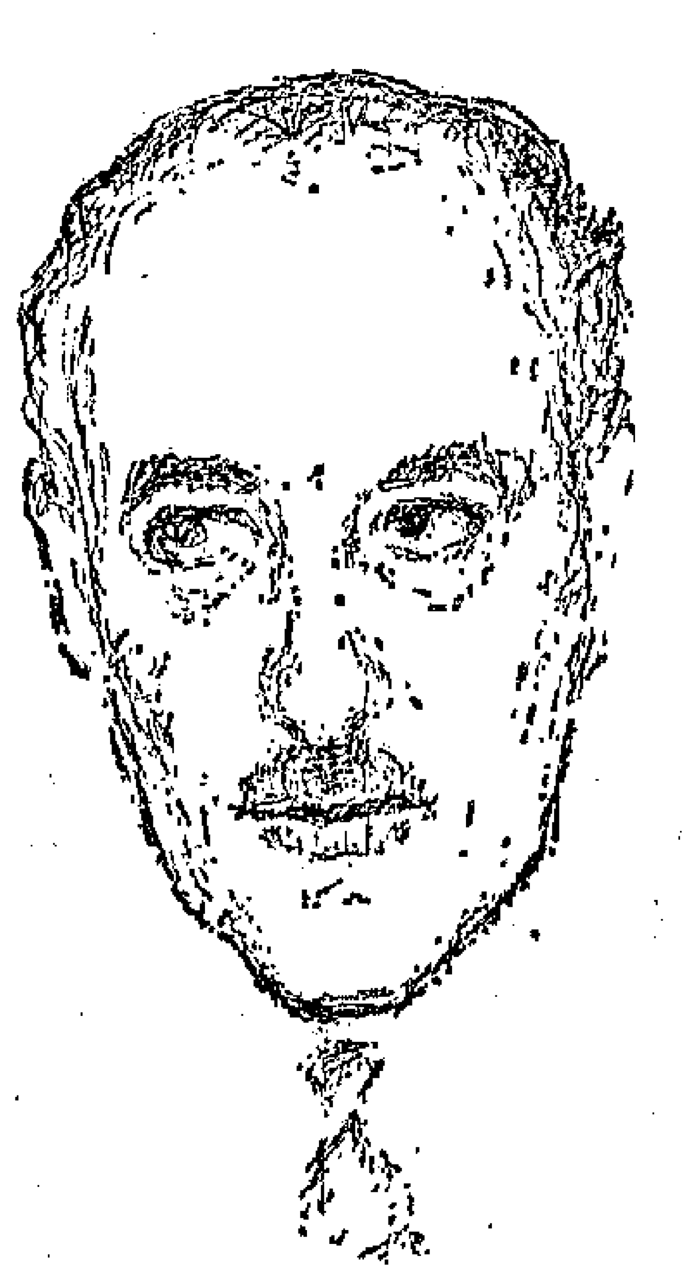
بعد انتهاء مجلس الامة من اقرار معظم قوانين النقابات المهنية، ثم مناقشة واقرار أول ميزانية قدمت له — وعلى امتداد شهر يوليو المنقضى — وتنفيذا لقرارات المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى أقر مجلس الامة أيضا عدة مشروعات قوانين هامة — فى مقدمتها مشروع قانون تنظيم الجمعيات التعاونية الزراعية — ومشروع قانون تنظيم الايجارات وتنظيم العلاقة بين المؤجرين والمستأجرين — ومجموعة القوانين الخاصة بالتيسير على المولين المتأخرين فى سداد الضرائب .

كما أقر المجلس قانونا عاجلا بايقاف اجراءات التنفيذ والاجراءات المترتبة على التنازل عن عقود الايجار والتأجير من الباطن للمهجرين من القناة وسيناء ووقف تنفيذ الاحكام الصادرة بذلك ما لم يكن قد تم تنفيذها .

وقد شدت انتباه المراقبين والرأى العام فى البلاد الآراء والاتجاهات التى ظهرت عند مناقشة قانون التعاون .

فمنذ البداية وفى مستهل المناقشة احتدمت المناقشات حول اصدار القانون من حيث المبدأ . وكان هناك اتجاهان — الاول مثله **أحمد الدمرداش التونى وعبدالعزيز نور وعبدالجابر علام** — الذين اعترضوا على اصدار القانون على أساس المطالبة باصدار قانون موحد « للحركة التعاونية كلها على اختلافها يضع مبادىء للتعاون ويضع للشعب حقوقه واضحة » . واعتبروا ان اصدار قانون زراعى منفصل عن القوانين التعاونية الاخرى سوف يؤدى الى تفتيت الحركة التعاونية واستندوا فى مطلبهم الى مادعا اليه مؤتمر التعاونيين العرب من وحدة التشريع التعاونى .

أما الاتجاه الثانى فقد أيد اصدار القانون — وعبر ممثلوه **منصور قطر وعبد العاطى نافع والمهندس سيد مرعى وأحمد يونس** عن أن جموع الفلاحين خارج القاعة تطالب بهذا القانون ويجب الا يرتبط هذا القانون بالتعاونيات الاخرى . وان شعار توحيد التعاون كان مفهوما عندما كانت الحكومة فى جانب والشركات الاحتكارية فى ظل النظام الرأسمالى فى جانب آخر ، أما فى النظام الاشتراكى فالدولة والتعاون كل لا يتجزأ — وانه لم يسمح فى ظل أى نظام بتوحيد الحركة التعاونية » .



● سيد مرعى ●

وبالرغم من أن لجنة التنمية الزراعية قد أكدت « قيام القانون على مبدأ ديمقراطية التعاون بمعنى قيام التعاونيين أنفسهم بانتخاب من يدير أمورهم » — فان نقاشا واسعا دار حول « أبعاد الديمقراطية » كما هى واردة فى مختلف مواده وفى علاج القانون لمختلف قضايا التعاونيات .

من ناحية نجد أن الدمرداش التونى **يطالب بألا تكون هناك رقابة على التعاونيات الزراعية** ، **وأن يترك الامر لاعضائها — لان التسليم بسلطة الادارة فى الرقابة يعتبر سلبا لسلطة الجماهير** ، وطالب فى حالة الرقابة الادارية بأن تكون سلطة « الرقابة واحدة لان تعدد جهات الرقابة على التعاونيات يقضى على الحقوق الديمقراطية لجماهير التعاونيين » ، ومن ناحية أخرى نجد أن **نبيل نجم ومنصور قطر** يؤكدان أن القانون يرسى فكرة الديمقراطية مع الرقابة المركزية من ناحية الهدف وأسلوب العمل والنشاط والتخصص .

وأبدى بعض أعضاء مجلس الامة تخوفا مما أورده القانون بشأن تعيين مدير للجمعية التعاونية الزراعية وكيفية محاسبة ذلك المدير .

لقد طالب الدمرداش التونى وعبد العزيز نور أن تترك الحرية لمجلس الادارة فى تعيين المدير، وأن يوقع به الجزاء . وطالبوا بأن تكون محاسبة المدير وتوقيع الجزاء عليه من حق رئيس الاتحاد التعاونى وليس من حق الوزير المختص — واعتبروا ان محاولة التشكيك فى القاعدة الشعبية وانها ليست قادرة على كشف الاخطاء وتوقيع الجزاء — محاولة رجعية .

ونفى **المهندس سيد مرعى** أن يكون تعيين المديرين عودة من الباب الخلفى لنظام المشرف

التعاونى الذى شكا منه الفلاحون والذى سوف يلغى بعد تنفيذ القانون ، وأكد أن الوزير سوف يقوم بالنقل والترقية لحين قيام الاتحاد التعاونى بذلك وان تدخل الوزير هو لفتح باب الترقى أمام المديرين .

وانتهى المجلس الى أن يكون تعيين مدير الجمعية من اختصاص مجلس الادارة بعد ترشيح الجهة الادارية .

وفى مناقشة شروط عضوية مجلس ادارة الجمعيات الزراعية عارض **ضياء الدين داود** ما جاء فى المشروع من اشتراط أن يكون عضو مجلس ادارة الجمعية الزراعية مجيدا للقراءة والكتابة على أساس أن ذلك عودة للظروف التى تجعل من أفراد معينين أعضاء لمجلس الادارة ، لان جماهير فلاحينا لا تجيد القراءة والكتابة – وطالب أن يكون الشرط هو الالمام بالقراءة والكتابة . وكان هذا الرأى وسطا بين رأى الدمرداش التونى الذى طالب بحذف الشرط كلية على أساس أن الجمعية العمومية قادرة على انتخاب الصالح – وبين رأى **عبد الفتاح عزام وناصف طاحون** اللذين طالبا بشرط الاجادة الوارد فى المشروع .

وقد قرر المجلس الاخذ بوجهة نظر ضياء الدين داود بأن يكون العضو ملما بالقراءة والكتابة .

وحول تحديد من هم الفلاحون الذين نص القانون على أن يحتفظ لهم بأربعة أخماس مقاعد مجلس ادارة الجمعية التعاونية على مستوى القرية أو البندر :

طالب **يوسف مكاوى** بترك التقدم لعضوية مجلس الادارة دون قيد لكل الفلاحين – بينما **حدد صبرى المبدى** هؤلاء الفلاحين بالحائزين على خمسة افدنة – وقصرهم **سيد مرعى** على ملاك الافدنة الثلاثة فأقل .

ولكن المجلس أبقى النص كما هو على أساس التعريف الذى يحدده الاتحاد الاشتراكى .

● وعارض الدمرداش التونى وعبد الحميد عبد العزيز صالح حق الوزير فى تعيين خمسة أعضاء فى مجلس ادارة الاتحاد التعاونى الى جانب الاعضاء الثلاثين المنتخبين من الجمعية العمومية بالاقتراع السرى – وطالبا بترك هذا الحق للاتحاد التعاونى بدلا من الوزير – ورفض المجلس اقتراح الدمرداش التونى بشأن الاعضاء الخمسة – ولكنه وافق على اقتراحه بأن يكون الاتحاد التعاونى وليس مجلس المحافظة أو لجنة الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة – هو المختص بتعيين مجلس ادارة مؤقت للجمعية التى يصدر قرار بحل مجلس ادارتها .

وعندما انتقل المجلس الى مناقشة المادة الثامنة من القانون التى تنص على « أنه يجوز بقرار من الوزير المختص وفقا لظروف كل مركز أو قسم أن يكون جمعية زراعية واحدة متعددة الاغراض ويشترك فى عضويتها جميع الجمعيات المتعددة الاغراض فى نطاق المركز ،أو القسم ،والجمعيات الفرعية التى تعمل فى هذا النطاق » .

وقد عارض تكوين جمعيات المراكز ضياء الدين داود والدمرداش التونى وسيد عبد العزيز عيسى وأمين عبد الكريم على أساس ان عدم وجودها لن يخل بالنظام التعاونى وانها ستكون عبئا على الجمعيات المحلية ،وليس لها دور ملموس ،والحوافى ألا يكون هناك الزام للجمعيات المحلية فى الانضمام الى جمعية المركز باعتبار ان الحرية يجب أن تكون أساس الاختيار فى الحقل التعاونى ..

وأخذ المجلس بوجهة نظر المهندس سيد مرعى أنه اذا رأت معظم الجمعيات المحلية اقامة جمعيات مشتركة بالمركز ، فتقام الجمعية للمصلحة العامة . واذا لم يطلبوا ذلك فلن تقام الجمعية المشتركة ، واذا طلبت أغلبية الجمعيات الانضمام وشكلت الجمعية فان الانضمام يسرى على الجميع .

وبينما أيد أحمد يونس وأبو الفتوح الجندى ومحفوظ سعد الدين وعبد العزيز نور ترك الحرية لاية جمعية بالاصلاح الزراعى فى الانضمام الى جمعية تعاونية أخرى ، اعترض ضياء الدين داود وأيده الدكتور رمزى استينو ، اعترض على النص فى القانون على جواز اندماج جمعية تعاونية للاصلاح الزراعى فى الجمعية التعاونية الزراعية بناء على قرار يصدر بالاغلبية المطلقة لاعضاء الجمعية العمومية المندمجة – وطالب بأن يكون الاندماج اذا وجد بقرار من الوزير المختص على أساس أن الاصلاح الزراعى نظام تاريخى يجب المحافظة عليه وحماية الملاك الجدد – كما أن العضوية فى جمعيات الاصلاح اجبارية ، أما العضوية فى الجمعيات الاخرى فاختيارية

ويرى المراقبون أن مجلس الامة قد أنهى دورته الاولى بعد أن التزم بالخط العام لقرارات المؤتمر القومى ، هذه القرارات التى أشارت الى ضرورة وضع التشريعات التى طال انتظارها . بالاضافة الى أنه قام بدراسة بعض مشكلات محددة على الطبيعة فى بعض المحافظات مثل التعاون الزراعى والتسويق التعاونى والرى والحرفيين، كما درس أوضاع المهجرين ومشكلات النوبة . كما أن المجلس قام بتوسيع الاتصالات مع الهيئات البرلمانية فى الخارج وساهم فى اجتماعات الاتحاد البرلمانى الدولى . ويستعد المجلس الان لتحضير مؤتمر دولى للبرلمانيين لبحث مشكلة الشرق الاوسط . هذا المؤتمر الذى ينتظر أن يعقد فى القاهرة فى فبراير ١٩٧٠ .

الاعتراف بألمانيا الديمقراطية نبض أمين .. للالتزام الثورى

رحبت أوساط الرأى العام الوطنيـة والتقدمية في الوطن العربى وفي العالم بالخطوة التاريخية التى خطتها الدبلوماسية العربية عندما أعلنت الاعتراف بدولة صديقة هى جمهورية ألمانيا الديمقراطية .

وهـذا التطـور المنطقى في العلاقات يتطلب ان نؤكـد على دلالته الاساسية وابعاده الحقيقية ، وأن نضعه في موضعه ، لا في ظروف الحرب التي تفرضها الامبريالية والصهيونية على بلادنا فحسب ، بل لابد وأن ينظر اليه ـ ايضا ـ فى الاطار الارحب ، اطار الحركة الثورية العامة والمتعاظمة في العالم كله ، حركة النضال ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطنى والاشتراكية والديمقراطية والسلم .

وأول ما يلاحظ هنا ، ان اعتـراف ج . ع . م بجمهورية ألمانيا الديمقراطية هو اعمال للمبادىء الاساسية التى طالما اعلنتها بلادنا فى حقل السياسة الخارجية . هذه المبادىء التى تقوم على صيانة السـلم العالمى ، ومناصرة النضـال المعـادى للامبريالية ، والحفاظ علـى الاسـتقلال القومى ، والتعاون الدولى بين جميع الدول على اختلاف انظمتها على اساس مـن الاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشئون الداخلية . وهكذا فان الجمهورية العربية المتحدة عندما تقيم علاقات دبلوماسية كاملة مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية تظل أمينة على المبادىء التى التزمت بها ، لان هذه الدولة الصديقة تناضل بجسارة ضـد الامبرياليين دعاة الانتقام واحياء النازية فى المانيا الغربية ، وتقف بثبات فى صف الكفاح الوطنى المعادى للامبريالية والاسـتعمار الجديد ، وتقيـم عـلاقاتها الاقتصـادية والثقافية مع بلادنا على الاسس التى تخدم تدعيم الاستقلال والسيادة القومية .

والملحوظة الثانية هى أن بلادنا باعترافها بجمهورية ألمانيا الديمقراطية تؤكد ـ كما أكدت أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة ـ حقوقها كدولة ذات سيادة . فمن المعروف أن ألمانيا الغربية التى تحكمهـا الاحتكارات وكبار الملاك قد عارضت بضراوة لا مثيل لها وهددت فى الصميم وجود دولة المـانية ديمقراطية ، معادية للفاشية والامبريالية . وتحكمها جبهة من العمال والفـلاحين والمثقفين . وفي سبيل ذلك أعلن حكام المانيا الغربية ما سمي « بمبدأ هالشتين » وهـو المبدأ الذى يهدد كل بلد يعترف بـالمانيا الديمقـراطية بحـرمانه مـن معـونات ومساعدات المانيا الغربية ، وبسحب الخبراء وقطع العلاقات الدبلوماسية . ورغم أن وقائع الحياة ذاتها اقوى من كل تضليل ، الا أن المانيا الغربية لم تتوقف عن ممارسة الضغوط المختلفة الاقتصادية والدبلوماسية على بلدان العالم الثالث ، وذلك تنفيذا لذلك المبدأ . ولا يمكن أن تقبل دولة ذات سيادة كاملة كالجمهورية العربية المتحدة أن تخضع علاقاتها الدولية لتحكم خارجي يسمى بمبدأ هالشتين . ولقد أجابت بلادنا الاجـابة الصحيحة ، فرفضت بحزم أن تحنى الرأس لضغوط الامبرياليين من الالمان الغربيين ، مؤكدة حقوقها كدولة مستقلة تمارس حقوق السيادة القومية .

أما الملحوظة الثالثة ، فتدخل تحت باب معارك الوجود والمصير العربى ضد مخطط الصهيونية التوسعية ، والمسنودة من قبل الامبريالية الامريكية والالمانية الغربية ، ذلك انه اذا كانت بلادنا في بداية معاركها ضد الاحتلال ، ومن أجل تثبيت الاستقلال ، قد دخلت هـذه المعـارك تحت الشـعار المعروف « نسالم من يسالمنا ، ونعادى من يعادينا » ، فقد آن لهذا الشعار خاصة بعد اشتداد المعركة ضد الامبريالية والصهيونية وبعد التحام الثورة الاجتماعية بـالثورة الوطنية ، أن يصبح استراتيجية واعيـة وثابتة ، والا يقف عند مجرد رد الفعل اليومى الذى تمليه المناسبة . وبالفعل ، ومنذ ٥ يونيو ، أصبح موقف الدول والهيئـات والجماعات من الخطر الصهيونى ومـن العدوان الاسرائيلى مقياسا لا يخطىء فى تحديد من هى قوى الثورة ، ومن هى قوى الثورة المضادة فى داخل كل بلد على حدة ، وعلى النطاق العالمى باسره . ومنذ حرب يونيو وجدت الشعوب العربية نفسها أمام دولتين المانيتين . احداهما وهى المـانيا الاتحادية تدعى « الحياد » بين العـرب واسرائيل ، وفى الوقت ذاته تمد العدو

الاسرائيلي بالمال والسلاح ، وتضع اجهزةدعايتها في خدمة اغراضه التوسعية ، بل وتحتفل بانتصاره على البلدان العربية ،وتنظم معه شبكات التجسس وتتعاون معه في مجال انتاج اسلحة الابادة والدمار ، وتتخذمن اسرائيل فرقة صدام مسلحة ورأس رمح للاستعمار الجديد في الشرق الاوسط وفيبلدان افريقيا . أما الدولة الالمانية الثانية فهي جمهورية المانيا الديمقراطية التي ادانتمنذ اللحظة الاولى العدوان الاسرائيلي ، ووقفت بجسارة الى جانب الشعوب العربيةوقدمت ولا تزال تقدم مساعداتها غير المشروطة للبلدان التي تعرضت للعدوان ،وقامت بجهد كبير في سبيل فضح المخطط المشترك الذي يوحد جهود الامبرياليين فيالمانيا الغربية والمؤسسة الصهيونية في اسرائيل .

فاذا ما مضينا بعد ذلك لنضع الاعترافبجمهورية المانيا الديمقراطية في نطاق الحركة الثوريةالعامة في العالمكلهأمكن ان نحدد الابعاد الحقيقية لهذه الخطوة فيما يلي :

أولا : اذا نظرنا الى أن قوى الاشتراكيةوالطبقة العاملة وحركة التحرر الوطني قد اخذت منذ مدة تتحرك في اتجاه استئنافالهجوم على مواقع الامبريالية العالمية ، وأنها بدأت بالفعل تتخذ الخطوات لتعزيزوحدة العمل بين جميع فصائلها ضد العدو المشترك ، فان الاعتراف بجمهورية المانياالديمقراطية يدخل بالفعل في نطاق التحرك لتعزيز العلاقات بين قوى الاشتراكيةوالتحرر الوطني ، بل في نطاق العمل الهجومي ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية . ومن هنا يكتسب هذا الموقف اهميته الخاصة .

ثانيا : اذا نظرنا الى أن قوى الامبرياليةالعالمية قد استطاعتخلال السنواتالاخيرة أن توجه أكثر من ضربة شديدة الى بعضالبلدان المستقلة حديثا ، وأنها بدأت بعد حرب يونيو ، ومنذ احداث تشيكوسلوفاكيا تمهد للهجوم على بلدان المعسكر الاشتراكي ذاته ، فان موقف ج.ع.م. من الاعترافبجمهورية المانيا الديمقراطية يشكل مساهمة هامة ، اذ يأتي ليعزز مواقفالبلدانالاشتراكية ، ويدعم جبهتها ، ويساندها في النضال ضد العدو المشترك الامبرياليةالعالمية ، خصوصا ضد مخططات بون العدوانية التي تهدد سلامة الدول الاشتراكيةالمجاورة ، وتهدد بالتالي السلم في اوربا وفي العالم .

تبقى بعد ذلك كلمة أخيرة : وهي انءاعتراف بلادنا بجمهورية المانيا الديمقراطية لا يتضمن أي معنى من معاني معارضة أماني الشعب الالماني ، والامة الالمانية في الوحدة والاستقلال والسلم . ذلك انه اذا نظرنا الى القضية من وجهة نظر الاتفاقات الدولية فسنجد ان نقض الدول الامبرياليةوحكام المانيا الغربية لمعاهدة بوتسدام ورفضهم تشكيل حكومة مركزية لكل المانياهو الذي يؤخر توحيد قوى الامة الالمانية . واذا نظرنا من ناحية اخرى الى المصالح الحقيقية للشعب الالماني كله ، فسنجد ان المانيا التي تؤيدها الشعوب ليست ولن تكون المانيا دعاة الانتقام والنازية ، وحلفاء اسرائيل ، المانيا ، الاحتكارات ، والاستعمار الجديد . وانما تريد الشعوب أن ترى الوجه الحقيقي للشعب الالماني الموهوب في ظلدولة تؤمن العمل السلمي والخلاق لهذا الشعب . ولقد اخذت جمهورية المانيا الديموقراطية على عاتقها أن تسير في هذا السبيل : وقطعت فيه بالفعل شوطا مجيدا مليئا بالصعوبات المريرة والوان الحرمان والتقشف ، ولكنه ملىء ايضا بانتصاراتكبيرة ، وبانجازاتحاسمة جعلتهذه الدولة الصغيرة تقفز وفي مدى عشرين عاما فقط ،الى مصاف الدول الصناعية المرموقة ، وجعلت منها قوة نشطة في المجال الدولييتزايد وزنها ، وتتزايد على الدوام مساهمتها من أجل عالم متحرر من الاستعمار والاستغلال والحروب .

« الطليعة »

■ الصراع العربي الاسرائيلي :

الحقيقة التى لايمكن تفاديها

كانت معركة الجزيرة الخضراء من ابرز معارك الشهر الماضى فى جبهة القناة .. فقد احبطت القوات المصرية محاولة اسرائيلية كانت تهدف الى الاستيلاء على الجزيرة لاتخاذها قاعدة لقصف مدينة السويس .. وكشفت هذه المعركة عن كفاءة الدفاع المصرى اذ تمكنت قواتنا رغم كل ما بذله العدو من جهود فى توجيه ضربة قاسية الى قواته ، وكبدته خسائر فى الرجال وفى الطائرات .. اعترفت اسرائيل بجزء منها ..

ولقد شهدت جبهة القناة طوال الشهر الماضى تجدد واستمرار الاشتباكات وتصاعد العمليات العسكرية • فقامت قواتنا المسلحة بدك تحصينات العدو وتعزيزاته ، وعبرت قواتنا القناة مرات عديدة • وانقضت على مواقع العدو واجهزت عليها . وقامت طائراتنا باستطلاع مواقع العدو فى سيناء واشتبكت مع طائراته فى معارك ضارية • وقد اشار تقرير الامم المتحدة حول الموقف فى الشرق الاوسط خلال الشهر الماضى الى ذلك فقال : « ان الطائرات المصرية تقوم يوميا باستكشاف القوات الاسرائيلية فى اعماق سيناء •• والدوريات المصرية تعبر القناة يوميا تقريبا ••وخسائر اسرائيل تزيد كثيرا عن بلاغاتها الرسمية •• »

واعلن أوثانت فى تقرير بعث به الى مجلس الامن « ان الموقف خطر على جبهة القناة ، وأن الحقيقة التى لا يمكن تفاديها هى أن الحرب الفعلية قد استؤنفت فى منطقة القناة ••• » كما أعلنت فرنسا وبريطانيا وامريكا انها تشعر بقلق متزايد ازاء تدهور الموقف فى الشرق الاوسط وذلك عقب تقرير اوثانت عن خطورة الموقف خاصة فى جبهة القناة ••• وتقول وكالة الانباء الفرنسية « ان التصعيد العسكرى وصل الى درجة من الاتساع لا يمكن معها استبعاد ما هو أسوأ • ولكى يصبح اقرار السلام فى الشرق الاوسط حقيقة فليس هناك بديل لنبذ سياسة فرض الامر الواقع ••• ! وحذر موسى ديان الاسرائيليين فى خطاب القاه عن احتمال نشوب الحرب ودعاهم الى الاستعداد لمواجهة حرب جزئية على خطوط وقف اطلاق النار •

أما القاهرة فقد أعلنت ان اسرائيل هى المسئولة عن تدهور الموقف فى الشرق الاوسط وعدم احترام قرار وقف اطلاق النار •

العمل الفدائى

وفيما يختص بالعمل الفدائى فقد اسفرت المشاورات التى عقدتها اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير عقب دخول كافة التنظيمات العاملة فى الحقل الفدائى فى اطار منظمة التحرير وقبولها الخضوع لقيادة الكفاح المسلح عن اتخاذ عدة قرارات أهمها انشاء قيادة موحدة للعمل الفدائى فى الاردن تكون مهمتها توجيه العمل الفدائى المسلح ضد العدو داخل الارض المحتلة وحماية العمل الفدائى من مؤامرات الاستعمار ومن أى ضربة مفاجئة قد تقوم بها اسرائيل •

وقد شهد الشهر الماضى نشاطا ملحوظا وعمليات جريئة للفدائيين احدثت ذعرا فى صفوف العدو وكان من أهمها :

فى قطاع غـــزة :

● نسف الخط الحديدى فى قطاع غزة ومحطة المياه الرئيسية ونسف بنكين اسرائيليين •

● شن هجمات واسعة بالقنابل اليدوية والمدافع الرشاشة ومدافع الهاون على العدو •

● مهاجمة السيارات العسكرية للعدو وانزال اضرار بمعداته وجنوده •

وفى الجبهة الاردنية :

● واصل الفدائيون هجماتهم على المستعمرات والمواقع الاسرائيلية بصواريخ كاتيوشا •

● نسفوا ابراج الضغط العالى فى ايلات ومستودعا للمواد الكيماوية •

● فجروا منزل الحاكم الاسرائيلى فى نابلس •

● اشتبكوا مع القوات الاسرائيلية فى معارك ضارية داخل الارض المحتلة •

وازاء ذلك اضطر العدو الى تجنب الاشتباكات مع الفدائيين على طول خط وقف اطلاق النار وتركزت مهمته فى محاولة منع تسللهم الى داخل الارض المحتلة • واضطرت القوات الاسرائيلية الى الانسحاب الى ما وراء الضفة الغربية لنهر الاردن حماية لنفسها من هجمات الفدائيين الذين اصبحوا يسيطرون بالفعل على حافة الضفة الغربيــة •

المفاوضات الثنائية

وفى الوقت الذى تدور فيه رحى المعارك فى الشرق الاوسط مهددة بانفجار الحرب تواصل الدول الكبرى مساعيها من اجل التوصل الى تسوية سلمية للازمة . وقد تركزت الجهود طوال الشهر الماضى حول المفاوضات الثنائية التى تمت بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى . فقد قام **جوزيف سيسكو** وكيل الخارجية الامريكية برحلته الى موسكو مارا بلندن وباريس للتشاور حول الازمة . وحمل سيسكو معه الى موسكو رد الولايات المتحدة على نقاط المشروع السوفيتى بشأن الازمة . **واكدت المصادر الامريكية ان المشروع السوفيتى وان كان يسمح باستمرار النقاش الا انه لا تزال هناك خلافات حادة بين الطرفين حول الانسحاب وتعديل الحدود ومشكلة اللاجئين . وان المفاوضات التى دارت فى موسكو لم تسفر عن اى نتيجة الا انها ساعدت على توضيح موقف كل من الدولتين**

وقد علقت المصادر المصرية المسئولة على الاتصالات التى تجرى فى موسكو « بأنها تتم فى ضوء توضيح موقف القاهرة للطرفين . وقد اتضح ان المقترحات السوفيتية متفقة مع المبادىء الاساسية لوجهة النظر المصرية بالنسبة للحل السياسى » .

وتقول بعض المصادر الدبلوماسية ان هناك اتصالات لعقد مؤتمر قمة لوزراء خارجية الدول الاربع الكبرى اثناء انعقاد الجمعية العامة فى سبتمبر لبحث ازمة الشرق الاوسط . وقد وافقت الاتحاد السوفيتى وانجلترا وفرنسا على ذلك ولكن الولايات المتحدة لا تزال غير متحمسة للفكرة .

بومبيدو يتحدث

وفى باريس اعلن بومبيدو استمرار سياسة فرنسا حيال الشرق الاوسط كما كانت فى عهد ديجول ، وجاء فى تصريحاته بهذا الخصوص « ان فرنسا ستواصل فى الوقت الحاضر سياستها القائمة على فرض حظر كامل على تزويد اسرائيل بالاسلحة » ولكنه اعلن فى نفس الوقت « ان فرنسا ستستأنف شحن قطع الغيار الى اسرائيل وانها تسعى للوصول لحل لازمة الشرق الاوسط يسمح لاسرائيل ان تعيش فى سلام . وان على اسرائيل ان تدرك أنه ليس فى وسعها أن تحقق مصالحها عن طريق السلاح » .. وقد علقت الجريدة اللبنانية على تصريحات بومبيدو فقالت : « ان عهد بومبيدو لا يبدو أن يكون متطابقا تماما مع عهد ديجول » .

ورغم الجهود المضنية التى تبذل على النطاق الدولى من اجل التوصل الى تسوية سلمية للازمة تستمر اسرائيل فى سياستها القائمة على العدوان وفرض التوسع الاقليمى بالقوة وتحدى قرارات الامم المتحدة ، وتخريب محاولات التسوية السلمية ، وفرض سياسة الامر الواقع ومساعدة اعمال التخريب داخل البلدان العربية .

● فقد رفضت اسرائيل قرار مجلس الامن بخصوص القدس . وكان المجلس قد وافق بالاجماع على لوم اسرائيل على الاجراءات التى اتخذتها لتغيير وضع القدس ، وذلك رغم الجهود التى بذلتها امريكا لاجهاض اى محاولة لادانة موقف اسرائيل وامتناعها عن التصويت فى الفترة التى تطالب اسرائيل بالعدول عن اجراءاتها .

● وأصرت اسرائيل على استمرار احتلالها للاراضى العربية متحدية الرأى العام العالمى وقرارات الهيئات الدولية فدعا ديان فى خطاب انتخابى الى ضم الجولان والضفة الغربية وغزة وشرم الشيخ الى اسرائيل . وقال بارليف ان انشاء مستعمرات فى سيناء امر بالغ الاهمية بالنسبة لاسرائيل . وأعلنت جولدا مائير امام البرلمان « ان امن ونمو اسرائيل يتطلبان اقامة مستعمرات جديدة فى اقرب وقت بالاراضى العربية التى تحتلها اسرائيل » .

● وسعت اسرائيل الى تخريب المحادثات الثنائية فوجه ايبان وزير خارجيتها الدعوة الى يارنج للاجتماع فى زيورخ واستئناف جهوده فى الشرق الاوسط وذلك بهدف تخريب المحادثات الثنائية . وقد رفض يارنج ان يقوم بمهمته بناء على طلب ايبان .

● **وواصلت اسرائيل سياستها فى التهديد بالقيام باعمال انتقامية ، بل ان كثيرا من الاوساط الدبلوماسية تميل الى الاعتقاد بأن اسرائيل تعد العدة للقيام بعمل انتقامى واسع النطاق ضد الدول العربية وخاصة ضد مصر بهدف كسر مقاومتهم والوصول الى فرض شروطها بالقوة عليهم .**

● وشجعت اسرائيل علنا اعمال التخريب ضد الحكومات الوطنية العربية بهدف القضاء عليها واستبدالها بحكومات تقبل شروط الاستسلام الاسرائيلى ، وقد صرح ابا ايبان فى حديث له مع صحيفة لورور الفرنسية قائلا :

« ان قيام حكومات عربية اخرى غير الحكومات القائمة الآن هو السبيل الوحيد الذى يؤدى الى صنع السلام » •

القاهرة تواصل العمل الدبلوماسى

وشهدت العواصم العربية نشاطا دبلوماسيا واسع النطاق لمواجهة التطورات فيما يتعلق بالازمة

تعليق

قانون التعاون الزراعي بين الفلاحين والاجهزة الادارية

قانون الجمعيات التعاونية يمس بشكل مباشر حياة اكثر من ١٨ مليونا من السكان يعيشون ويعملون فى الارض استغرق فترة طويلة بين الاعداد والمناقشة واختلاف الرأى النابع من اختلاف المصالح ، وليس هذا غريبا فتنظيم التعاون الزراعى فى بلدنا يعنى باختصار تنظيم الثورة الزراعية ، ونظرة الى المهام التى اوكلها الميثاق للتعاون الزراعى تجعل منه الوسيلة الرئيسية لتطوير العمل الزراعى ابتداء من تحسين وسائل الانتاج وزيادة خصوبة التربة الى رفع مستوى دخل العاملين فى الحقل الزراعى ..

ولسنا بصدد مناقشة مواد القانون الجديد التى تزيد عن المائة مادة ولكن الذى يهمنا فى هذا المجال ان نعرض لثلاث قضايا هامة كانت ومازالت هى القضايا الرئيسية التى تشغل بال كل العاملين والمهتمين بقضايا التعاون الزراعى وتطويره •

القضية الاولى وهى الصفة الجماهيرية للعمل التعاونى ، وهذه القضية على جانب كبير من الاهمية وخاصة اذا ادركنا ان عدم وضوح الفهم الحقيقى لدور الجمعية التعاونية كان هو المسؤول عن كثير من الاخطاء التى عانى منها العمل التعاونى فى السنوات الماضية حينما افتقد التعاون الى حد كبير صفته الشعبية ، واتخذ اكثر واكثر وصفا تنفيذيا تمثل فى استحواذ المشرفين الزراعيين والممثلين للاجهزة الادارية على اغلب السلطات فى الجمعية التعاونية مع التقليل من دور مجالس الادارة والجمعيات العمومية • ويكفى ان نذكر فى هذا الصدد انه كانت هناك حوالى الف جمعية من مجموع الجمعيات البالغ عددها حوالى ٤٦٠٠ جمعية تدار عن طريق المشرف الزراعى بعد اعطائه تفويض وسلطات مجلس الادارة ..

ولقد حاول القانون الجديد ان يقدم حلا لهذا الوضع المعكوس والذى كاد ان يقضى على شعبية العمل التعاونى وحوله فى اغلبه الى عمل ادارى تستشرى فيه الوان الفساد والبيروقراطية التى كشفت عنها منظمات الاتحاد الاشتراكى وتحقيقات الصحف خلال السنوات الماضية ..

لقد جعل القانون الجديد من الجمعية العمومية السلطة الرئيسية وجعل من مجلس الادارة المنتخب صاحب الحق الاول فى اصدار القرارات المنظمة للعمل التعاونى على مستوى القرية او المحافظة كما جعل من المجلس التعاونى الاعلى فى التنظيم الهرمى السلطة العليا فى العمل التعاونى .. وبهذا التصحيح الهام يقدم القانون الجديد حماية للعمل التعاونى من اى تضخم او تدخل ادارى ضار ، على الاقل من الناحية النظرية ...

ولا يمكن لاحد ان يزعم ان القانون الجديد كفيل بوضع حد للتدخل الادارى ، فمن المؤكد ان التطبيق قد يسفر عن بعض الاخطاء ولكن من المؤكد ايضا ان هذه الاخطاء ستكون قابلة باستمرار لتحاشيها ونسفها لان سلطة التغيير موجودة دائما فى يد الجمعية العمومية التى تشمل كل الاعضاء •

اما القضية الثانية التى ترتبط بالاولى ولا تقل خطرا عنها فهى تشكيل مجالس ادارات الجمعيات .. او بمعنى آخر لمن السلطة فيها ؟

ان القانون الذى كان معمولا به كان يعطى لصغار الفلاحين (خمسة افدنة فاقل) الحق فى ان يمثلوا ٤/٥ اعضاء مجلس الادارة انطلاقا من فكرة صحيحة وهى ان صغار الفلاحين الذين يمثلون الغالبية الساحقة من المنتجين الزراعيين (حوالى ٩٠٪) هم اصحاب المصلحة الاولى فى العمل التعاونى •

ولكن القانون الجديد توسع مفهومه عن صغار الفلاحين فجعل الاغلبية لمن يملكون عشرة افدنة فاقل ، والباقى ممن يملكون بالطبع فوق الافدنة العشرة .. ومعنى هذا انه من الممكن ، بل ان الواقع سيفرض ، ان تكون السلطة فى مجالس الادارة غالبا فى يد من يملكون اكثر من خمسة افدنة ... وانطلاقا من الحرص على دفع العمل التعاونى وفقا للاهداف التى رسمها الميثاق ، وانطلاقا ايضا من فهم واقعى لطبيعة وظروف علاقات الانتاج القائمة فى القرية فاننا نعتقد ان هذه الثغرة قد تعطى الفرصة الواسعة لاغنياء الفلاحين ومتوسطى الملاك من السيطرة على العمل التعاونى والمضى به فى طريق مصالحهم بعيدا عن مصالح صغار الملاك الذين يمثلون كما قلنا اكثر من ٩٠٪ من المنتجين الزراعيين والذين هم احوج من غيرهم للخدمات والعمل التعاونى ، الامر الذى يدفعنا الى المطالبة باعادة النظر فى الاسس الخاصة بتشكيل مجالس ادارات الجمعيات التعاونية واذا اضفنا الى هذا الشرط الذى وضعه القانون لعضوية مجلس الادارة فى الجمعية وهو ضرورة الالمام بالقراءة والكتابة ، فان الطريق يصبح مسدودا امام الغالبية العظمى من صغار الفلاحين •

ولا شك ان الامية وصمة لابد من ان تتكاتل كل القوى للقضاء عليها ولسنا مبالغين اذا قلنا ان معركة محو الامية لا تقل خطورة ان لم نزد عن معركة الاصلاح الزراعى .. فاذا كانت نسبة الامية فى الجمهورية تبلغ حوالى ٧٥٪ فان نسبتها فى القرى ولا شك تزيد عن ٨٥٪ ، واشتراط الالمام بالقراءة والكتابة فى هذه الظروف يعنى حرمان الغالبية الساحقة من الفلاحين من عضوية مجالس الادارة ويعنى ايضا تعقيد المشكلة التعاونية بوضع العربة قبل الحصان ..

ان المنطقى ان نبذل الجهود الجادة لمحو امية الفلاحين والى ان يتم تحقيق هذا الهدف لا يمكن حرمانهم من حقهم فى قيادة جمعياتهم التعاونية ووضعها فى يد من يعرف القراءة والكتابة فقط وهم فى اغلب الاحوال من اغنياء ومتوسطى الفلاحين •

اما القضية الثالثة فتتعلق بمفهوم التعاون نفسه ، هل هو وسيلة ام هدف ... وليس من شك ان التعاون الزراعى هو وسيلة لتحقيق اغراض ثورية فى مجال العمل الزراعى يهدف الى زيادة الانتاج من ناحية والى رفع المستوى المادى والحضارى للمنتجين الزراعيين من ناحية اخرى ...

ومن هنا فان قضايا مثل الميكنة والملكية التعاونية فى بعض الاشكال وتربية الماشية وتصنيع منتجات القرية ، كلها قضايا مطروحة وستطرح نفسها بشكل اكثر امام قيادات العمل التعاونى الزراعى وقواعده .. وكنا نعتقد انه من المفيد ان تحدد بعض هذه الاهداف فى القانون الجديد لكى يكون معبرا بحق عن الاحتياجات الحقيقية للثورة الزراعية التى تهدف الى تحقيقها ..

فتحى عبد الفتاح

وتطوراتها • فقد استقبل الرئيس عبد الناصر وزير خارجية الهند وتبادلا وجهات النظر حول تطورات الموقف فى الشرق الاوسط • وصرح الوزير الهندى عقب المقابلة « بان الحل هنا فى الشرق الاوسط •• وعليكم أنتم تنفيذ قرار مجلس الامن بمعاونة اصدقاء السلام القائم على العدل • اننى أؤيد كل جهد نحو الحل السلمى ولكنه ليس الحل الذى يقوم على تقديم الشروط وطلب التنازل عن اى جزء من الوطن » • كما مر بالقاهرة كذلك كريشنامينون واستمع الى وجهة النظر العربية وصرح قائلا « لا تنتظروا اى نتيجة من المحادثات الرباعية او الثنائية • فهذه المباحثات لا تخدم اى غرض وهى لن تؤدى الى انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية » •

وفى نفس الوقت طاف عدد من المسئولين بعواصم العالم فسافر حسين الشافعى فى جولة فى غرب افريقيا بينما ذهب محمد فائق الى شرقها • كما سافر على صبرى الى الاتحاد السوفيتى وتشاور مع المسئولين السوفيت فيما يتعلق بالازمة ومساعى السلام ، وذهب شعراوى جمعه فى رحلة الى المانيا الديموقراطية • وهذا النشاط الدبلوماسى الواسع انما يرمى الى القاء مزيد من الوضوح على موقف القاهرة وتعرية موقف اسرائيل •

■ لبنان

الحلف الثلاثى ••
والطريق المسدود

ينابيع المراقبون فى الدول العربية باهتمام بالغ تطورات الاحداث السياسية فى لبنان بعد ان دخلت الازمة الوزارية شهرها الرابع بدون الوصول الى حل • وذلك بسبب موقف القوى الرجعية المتمثلة فى الحلف الثلاثى (شمعون ـ الجميل ـ اده) وتمسكها برفض العمل الفدائى من الاراضى اللبنانية ، « وتحييد » لبنان فى مجال الصراع العربى الاسرائيلى ، واستدعاء البوليس الدولى لحماية الاراضى اللبنانية • الامر الذى يجد مقاومة شديدة من جانب القوى الوطنية والتقدمية فى لبنان ، التى لا تجد تفسيرا لسياسة الحلف الثلاثى الا فى ضوء المشروع الامريكى ذو الثلاث عشر نقطة،



● كميل شمعون ●

والذى يشترط فى أحد بنوده وقف مساعدة الدول العربية للفدائيين وذلك بهدف اتاحة الفرصة لاسرائيل والقوى الاستعمارية للاجهاز على حركة التحرر الفلسطينية وتصفية القضية الفلسطينية نهائيا •

وقد هاجمت الصحف الوطنية والتقدمية فى لبنان التحركات المشبوهة للسفير الامريكى دوايت بورتر وتدخله فى شئون لبنان الداخلية ، والتى تبررها صحيفة الشمس ٦/٢٨ الناطقة بلسان كميل شمعون : « بأنها زيارات لبعض الشخصيات السياسية التقليدية لمحاولة اقناعها بتوحيد مواقفها مع موقف رئيس الجمهورية ، وان يستخرج منها الآراء فى الحلول التى تراها بلاده كفيلة باعادة الاستقرار الى لبنان خاصة والشرق الاوسط عامة » والمعروف ان رئيس الجمهورية شارل حلو ، سبق أن أعلن فى رسالة بتاريخ ٢/٣١ ، معارضته لحرية العمل الفدائى ووجود الفدائيين فى الاراضى اللبنانية ، من اجل المحافظة على سيادة لبنان وسلامة اراضيه واستقلاله ، وان وجود الفدائيين وانطلاقهم من الاراضى اللبنانية يعطى لاسرائيل المبرر للقيام بعدوان على لبنان •

كما رحبت صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية بتاريخ ٦/٢٧ بجهود لبنان الحازمة لتجميد نشاط الفدائيين المقيمين فى أراضيه » ووصفت ذلك بأنه فأل حسن • وحتى كتابة هذا التقرير لا تبدو هناك أية دلائل تشير الى قرب انفراج الازمة ، وان الرئيس اللبنانى شارل حلو ما زال عند موقفه السابق من عدم السماح لرشيد كرامى بتشكيل الوزارة الجديدة قبل التعهد بتنفيذ

مضمون رسالته ، وابعاد الفدائيين من الاراضي اللبنانية قبل تشكيل الوزارة

وقد حذررشيد كرامي من النتائج الخطيرة التي يمكن ان تترتب على استخدام العنف مع الفدائيين على الصعيدين المحلي والعربي ، وان حل المسألة اصبح الان في يد رئيس الجمهورية للوصول الى تسوية مناسبة للمشكلة .

ويسود الاوساط النيابية اعتقاد باستمرار الازمة الحالية حتى شهر اكتوبر المقبل لحين انعقاد الدورة الجديدةللبرلمان . بينما ترى القوى الوطنية

تعليق

الانسـان في القمر

اخيرا تحقق حلم من اكبر احـلام البشرية في ان تطأ قدم الانسان جرم من الاجرام السماوية ، عندما نجح ((نيـل ارمسترونج)) وزميله ((ادوين الدرين)) في الهبوط بمركبتهما القمرية ((النسر)) فوق سطح القمر في المنطقة المسماة ببحر الهدوء يوم ٢١ يوليو ، حيث خرجا من المركبة وامضيا نحو ساعتين خارج المركبة واجريا بعض التجارب المطلوبة منهما ووضعا الاجهزة العلمية المقـرر وضعها فوق سطح القمر وحملا معهمـا ٣٦ كيلوجراما من تربة وصخور القمر.

ولقد امضى ملايين الناس سـاعات مثيرة قلقة وهم يتابعون السـاعات الاخيرة التي سبقت هبـوط الرائدين الامريكيين فوق سطح القمر ،والساعات المثيرة الـ ٢٢ التي امضـوها فوق سطحه بالفعل داخل وخارج مركبتهما ، الى ان غادراه وارتفعا مرة اخرى ليلتقيا بالسفينة الام ((ابوللو ١١)) التي بقي فيها زميلهما الثالث ((مايكل كولينز)) طوال فترة تواجدهما في القمر ،ويعودا بعد ذلك الى الارض .

لقد سجلت هذه الرحلة الفضائيـة المثيرة والاولى من نوعهـا نصرا كبيرا لتقـدم البشرية في مختـلف العلوم والتكنولوجيا الحديثة ، ودخلت بها الى بداية عصر جديد لا يستطيع احد الان ان يتنبأ بدقة بكافة الامكانيات الجبـارة والتطورات الضخمة التي ستحدثخلاله والتي يحملها بين طياته،لقد وضعترحلة ((ابوللو ١١)) الناجحة الانسان علىعتبة العالم الجديد الغامض المليء بالاسرار ، عالم الكواكب الموجودة في المجموعـة الشمسية ، ذلك العالم الذي بدأ العلم الحديث يتجه الى دراسته على اسس سليمة بعيدا عن الخرافات والاساطير والمعتقدات البالية المكبلة لحركة العقل الانساني ، منذ بداية عصر النهضة على ايدي الرواد الاوائل من العلماء الذين ضحوا بحياتهم واعمـارهم في بعض الحالات دفاعا عن حق العقل البشري في البحث والمعرفة الموضوعية امثـال ((كوبرنيكس)) و ((جاليليو)) .

هذا وتعكس هذه المرحلة الفضائيـة المثيرة ــ كما تعكس رحلة لونا ١٥ في نفس الوقت ــ تطورا هائلا فيتقدمالعلوم المتصلة بالفلك والميكانيكا والالكترونات والتحكم الالي الخ ، تقدما يبشر بمستقبل طيب للبشرية في مجال مزيد من سيطرة الانسان على الطبيعة واستخلاص المزيد من خيراتها بوسائل اكثر فاعلية ،خاصة اذا ما وضعت تلك التطورات العلميـة بالكامل في خدمة السلام وتحقيقالرفاهية للبشرية جمعاء ، وهو ما تأمل فيـه وتناضل من اجله الانسانية التقدمية .

ولقد كانت رحلة ((ابوللو ١١)) الناجحة هذه ،نتاج جهود مضنيةمن البحث العلمي والتجارب السابقة التي اسـتغرقت سنوات طويلة منذ وضع ((اينشتين)) نظريته عن ((النسبية)) . وتمثلتهذه الجهود في المراحل العملية الاخيرة في ٣٢ رحلة فضائية اشترك فيها ٤٠ من رواد الفضاء داروا حول الارض ١٣٢١ مرة وحول القمر ٢١ مرة وامضوا في الفضاء ٥٣٨٢ ساعةالتقطوا خلالها آلاف من الصور للقمر وللارض . وقدساهمت كل من الولايات المتحدةوالاتحاد السوفيتي في هذه الجهود الجبارة ، وقدم اربعة من رواد الفضاء حياتهم ثمنا في طريق نجـاح تلك الجهـود ((كوماروف)) السوفيتي والامريكيون الثلاثة ((جريسوم)) و ((هوايت)) و ((شافي)) .

ان الهدف من رحلة الانسـان الى القمر وكافة الرحلات الاخرى اليـه ، ليس هو البحث عن الذهب او المعادن النفيسة الاخرى كما يتصـور بعـض الناس احيانا ، وانما هو تحقيق تقدم علمي وتكنولوجي سوف يؤدي بطريقـة غير مباشرة الى اكتشاف كثير منالاشياء التي لم تكتشف على سطح الارض نفسها حتى يومنا هذا ، هذا بالاضافة الىانه نظرا لخلو القمر من الغلاف الجـوي ومختلف عوامل التعرية من رياح ومياه ، فانه من المنتظر ان يكونالقمر محتفظا في صخوره بسجل تاريخي جيولوجي لماضيه كله الذي يقدر بنحو ٥٠٠٠ مليون سنة، الامر الذي قد يؤدي الى القاء مزيد من اضواء البحث العلمي على اصل الارض والمجموعة الشمسية ونشأتهـا الاولى والتطورات التي لحقت بها .

كما انه من المنتظر ان يؤدي نجـاح تلك الرحلات البشرية الى القمـر الى امكان استخدامه مستقبلا كمحطة اطلاق واستقبال لسفن الفضاء الذاهبـة او العائدة الى الكواكب الاخرىالبعيدة مثل المريخ » نظرا لضعف جاذبيته بالنسبة للارض بحيث لن يلزم لاطلاق تلكالسفن الا طاقة اقل من ١ الى ٢٠ من الطاقة اللازمة للافلات من جاذبية الارض والتي تستخدم حاليا في الصواريخ الضخمـة الباهظة التكاليف والمعقدة الصنع ، التي تحمل سفن الفضاء الان الى خارج الكرة الارضية .

وبعد ، ان نجاح رحلة ((ابوللو ١١)) الى القمر وتحقيقها الحلم الذي راود خيال كثير من الادباء من قبـل وعلى رأسهم ((ج.ه.ويلز)) ، عمل ضخم يستحق التقدير من جانب البشرية جمعاء بالنسبة لكل منساهم فيه منعلماء وعمال ورواد فضاء . الا ان الشـعوب تأمل الا يكون من نتائج هذهالرحلةاو الرحلات الاخرى التي ستتلوها استخدام القمر مستقبلا كمحطة فضائية ثابتـة لاطـلاق الصـواريخ المحملة بالاسلحة النووية والحرارية الى الارض وسكانها .

وباختصار ، فان هذا النجاح العلمي التاريخي قد بات يلقيبمسئوليات متزايدة الثقل على قوى التقدم في العالم لكي تشدد كفاحها من اجل ان توضـع مكتشفات العلم في خـدمة التقـدم الانساني . وفوقذلك تجد البلدان النامية نفسها في وضع مليء بالتحديات ، الامر الذي يضاعف مسئولية القوى التقدمية والثورية فيها من اجل ان تخوض نضالا لا هوادة فيه من اجل انتحطم الى الابد هذه الحلقة الخبيثة ، حلقة التخلف .

محمود عزمي

والتقدمية ان اطالة فترة الازمة ودفعها الى الطريق المسدود ، هو نفس ما يسعى اليه الحلف الثلاثى على آمل ان تتاح له الفرصة لكسب المزيد من تأييد الرجعية العربية فى مواجهة القوى الوطنية والتقدمية وحركة المقاومة الفلسطينية ، وتفتيت وحدة الصف الوطنى والتقدمى فى لبنان ، وخلق كيانات طائفية مستقلة، والخلاص من صبغة لبنان العربى وعزله عن نضال بقية الامة العربية »

والظاهرة الجديرة بالملاحظة فى لبنان حاليا ، هو تنامى الدعوة فى الاوساط الشعبية والوطنية والتقدمية للالتقاء حول برنامج واضح محدد لمواجهة تزايد خطورة المخطط الرجعى الاستعمارى فى لبنان •

■ ■

■ كينيا

كينيا « فوق سطح من الصفيح الساخن »

سعت بعض الدوائر — وبخاصة الغربية — لان تضفى على اغتيال **توم مبويا** **سكرتير حزب الكانو** ووزير التخطيط والتنمية ، طابعا قبليا تارة وطابعا سياسيا يوحى بأن المعارضة وراءه تارة اخرى •

وبرغم أنه لم يكشف اللثام عن شخصية القاتل حتى كتابة هذا التقرير ، الا أن المراقبين الافريقيين يدعون الى تقبل تحليلات وايحاءات الدوائر الغربية ذات النفوذ الواسع فى كينيا ، بحذر شديد • والواقع أن أحدا من المراقبين — حتى الغربيين منهم — لم يختلف حول حقيقة ميول مبويا الغربية ، فتقول وكالة **اليونايتيدبرس** الامريكية — مثلا — « ان مصرع مبويا قد حرم الغرب من صديق مخلص وماهر فى افريقيا ، فمبويا هو مهندس فكر « الاشتراكية الافريقية » فى كينيا التى تعنى فى جوهرها — كما يقول التقدميون الافريقيون — انتهاج طريق الرأسمالية المسدود • ومعروف أن مبويا كان يعارض انشاء اتحاد مستقل لعمال افريقيا ، مثلما عارض كل دعوة الى دعم الوحدة الافريقية ، واتخاذ خطوات تطبيقية نحوها. وبرغم انه بدأ حياته العامة فى صفوف الحركة النقابية والوطنية فى كينيا حيث لعب دورا بارزا فى كل منهما ، الا أنه بعد تدريبه فى الولايات المتحدة وتوليه السلطة فى الحزب والحكومة ... غير كثيرا من مواقعه الفكرية •

وجدير بالذكر أن **أبا ايبان** وزير خارجية اسرائيل كان قد صرح فى أعقاب مقتل مبويا قائلا « لقد فقدت اسرائيل واحدا من أقدم وأحسن اصدقائها فى القارة الافريقية » كما جاء فى برقية عزاء **جولدا مائير** رئيسة وزراء اسرائيل الى جومو كينياتا رئيس جمهورية كينيا « صدمت بحادث اغتيال مبويا الذى كان قد حاز اعجاب الاسرائيليين » •

ويخشى المراقبون الافريقيون أن يكون الهدف من ايحاءات الدوائر الغربية ، العمل على اذكاء الحزازات القبلية بين قبيلة **الليو** التى ينتمى الى احدى سلالاتها مبويا وبين قبيلة الكيكويو التى ينتمى اليها كينياتا • ويميل هؤلاء المراقبون الى استبعاد احتمال أن يكون مبويا قد قتل لاسباب قبلية . أما الايحاء بان المعارضة تقف وراء هذا الحادث ، فهو أمر يستبعده أيضا المراقبون الافريقيون ، فمن المعروف أن مبويا من نفس القبيلة التى ينتمى اليها معظم زعماء حزب « **كبو** » المعارض، والذى يتزعمه **أوجينجا أودينجا** . وبرغم أن سلاح الاغتيال قد استخدم من قبل ضد رفاق أوجينجا حين اغتيل **بيو بنتو** عضو البرلمان وعضو الجمعية التشريعية المركزية لشرق افريقيا ومدير عام مجلس الصحافة الموحد لافريقيا ومدير معهد لومومبا بنيروبى ، الا أن اقدام المعارضة على استخدام مثل هذا السلاح نفسه أمر لا تحتمله تطورات الاحداث أو طبيعة فكر قيادة المعارضة أو حتى أية أنباء عن مسار التحقيق •

ومن ثم يخشى المراقبون الافريقيون أن يكون الهدف من الترويج لمثل هذه الايحاءات ، هو الاقدام على اتخاذ سلسلة من الاجراءات بدأت باعلان حالة الطوارىء بين قوات البوليس وانتشار الدوريات المسلحة فى الشوارع ، ضد زعماء المعارضة وأعضاء حزب كبو • وذلك بهدف الحد من نفوذ هذا الحزب الذى تكون فى عام ١٩٦٦ فقط ولكنه استطاع أن يكتسب قاعدة نفوذ واسعة وخاصة بين الفلاحين • ويضع هؤلاء المراقبون فى اعتبارهم حقيقة أن الانتخابات العامة سوف تجرى فى الاشهر القليلة القادمة • وهى المرة الاولى التى تتم فيها منذ الاستقلال من عام ١٩٦٣ • ومن الجدير بالذكر أن المعارضة كانت قد اتهمت حكومة كينياتا بالتزوير فى الانتخابات التى جرت بعد عزل أوجينجا ورفاقه من البرلمان • وقد وصفتها **الايكونوميست** البريطانية وقتها بأنها « أقرب الى التمثيلية الهزلية » وقد فسر ذلك على أن الحكومة كانت تخشى جماهيرية المعارضة •

وأيا كانت احتمالات الاضطراب والصراع فى كينيا ، فالذى لايشك فيه أى متابع لتطور الاحداث

فى افريقيا ، أن الاستعمار الجديد الذى مكنه مبويا من التسلل الى البلاد لن يسمح باحداث تغيير لصالح المعارضة . فاذا ما تبين من مؤشر تطورات الاحداث ما يوحى بمثل هذا التغيير ، فربما سارعت دوائر الغرب الى القيام بشىء ما فى كينيا . على أن الذى يطمئن الغرب الى حد ما استمرار جماهيرية كينياتا زعيم الكانو من جهة ووجود عناصر فى قيادة الحزب من أمثال **دانيل آراب موى** نائب رئيس الجمهورية (الذى عين خلفا لاوجينجا بعد اقالته) **وتشارلز نجونجو** وزير العدل . ومن المعروف أنهما قد تحالفا فى الفترة الاخيرة لعزل مبويا من سكرتارية الحزب (الكانو) وحيث كان هو المرشح الاقوى نفوذا لان يخلف كينياتا الذى قارب الثمانين من العمر .

■ الهنـد

أنديرا غاندى تقـود تحولا طـال انتظـاره

وافقت اللجنة التنفيـذية للهيئة البرلمانية لحزب المؤتمر الهندى بالاجماع على قرار مجلس وزراء الهند فى جلسته الطارئة فى ١٩ يوليو ١٩٦٩ بتأميم البنوك التجارية الرئيسية فى الهند التى يبلغ حجم ودائعها ٥٠٠ مليون روبية .

ولقد سبق اتخاذ القرار صراع حاد فى اللجنة المركزية لحزب المؤتمر وفى الوزارة الهندية مالبث ان تحول الى أزمة سياسية حادة ادت الى خروج **مورارجى ديساى** وزير المالية ونائب رئيسة الوزراء والممثل المعروف للجناح اليمين لحزب المؤتمر .

ان الصراع داخل حزب المؤتمر الهندى بين أجنحته المختلفة صراع قديم ، وعندما كان الزعيم الراحل **نهرو** يدير دفة الحزب والسياسة الهندية كان مركزه المحلى والعالمى هو الصمام الذى يمنع الحزب من التفجر . واذا كان حزب المؤتمر قد استطاع ان يحتفظ بوحدته فى ظل نهرو فان التراجع امام تهديدات الجناح اليمينى بتفجير الحزب قد فوت على الهند الكثير ، ومنع اتخاذ اجراءات كانت ومازالت ضرورية لتطوير الهند والمحافظة على استقلالها . وعلى كل حال فان هذا لم يمنع الجناح اليمينى وعلى رأسه ك.س.باتل من أن يحاول فى أواخر عهد نهرو استغلال النزاع الصينى الهندى لتقويض زعامة نهرو والانقضاض على كريشنا منون .



● أنديرا غاندى ●

وبعد وفاة الزعيم الراحل نهرو دأبت الاجنحة اليمينيـة بزعامة **فيجالانجيا** رئيس الحـزب ، وك.س.باتل أمين الصندوق ، ومورارجى ديساى بالتحالف مع القوى اليمينية خارج الحزب وخاصة **حزب سوتناترا** الممثل الرسمى للاحتكارات الهندية والمرتبطة مصلحيا برأس المال الامريكى فى الهند ، على تدعيم مراكزها داخل الحزب ومنعه من اتخاذ اى خطوات فى اتجـاه بلورة منهجه الاجتماعى الفعال ، وسجنه فى اطار « ازدواجية » القول الاشتراكى والعقل المناهض للاشتراكية ، بل لقد استطاعت دفعه الى بعض المواقف والخطـوات المتخلفة ، والرجعية فى الحقل السياسى فى كثير من المجالات . »

واذا كان حزب المؤتمر قد حافظ على وحدته الشكلية فانه قد فقد تلاحمـه مع الجمـاهير . وسجلت انتخابات ١٩٦٧ تدهورا بالغا فى مركز الحزب . فلم يحصل الا على ٥٥ر٢ فى المائة من اصوات الناخبين مقابل ٧١ر٦ فى المائة فـى انتخابات ١٩٦٢ . وازدادت الصراعات الاجتماعية حدة حتى وصلت الى حد قيام الفلاحين بحمل السلاح فى عدد من المقاطعات .

وشـكلت مجموعة الاوضـاع السياسيـة والاقتصادية والاجتماعية هذه رأس جسر متسع للاستعمار الجديد لتأكيد مواقعه فى الهنـد ، وخاصة وهو يجد نفسه مجبرا على الانسحاب من الشرق الاقصى خطوة بعد خطوة .

ولقد أنذرت انديرا غاندى الحزب بأنه « اما ان يواجه مسئولياته أو ان يندثر » وامتدت الازمة السياسية وتبلورت طوال الشهرين الماضيين فى نقطتين رئيسيتين :

أولاهما : محاولة الجناح اليميني تقويض زعامة انديرا غاندى بالالتفاف حول سنجيفا روى كمرشح لرئاسة الجمهورية والاعلان عن ذلك بصراحةباعتباره هزيمة لانديرا ،والدعوة الىتأكيد سلطة رئيس الجمهورية فى مواجهة رئيسة الوزراء . مما دفع ف . ف . جيرى الى ترشيح نفسه مستقلا حاجبا احتمالات الاجتماع حول سنجيفا روى مرشح الجناح اليمينى .

وثانيتهما والاخطر ، حول مدى اهمية بلورة المنهج الاجتماعى للحزب الى اجراءات عملية .

ويؤكد المراقبون ان انديرا ظلت طوال الاشهر الاربعة الماضيةتستقطب من حولها جماعاتاليسار والشباب فى الحزب التى يقودها مالافيا وشاندر اسيفار وموهان داريا معربة عن منهجها الجديد المتمثل على حد تعبير كاران سنج وزير الطيران « فى هجرة اساليب المناورة التقليدية .. والتركيز على الاهتمامات الاصلية للشعب والتعبير عن معاناته وآماله .. باعتبار ان ذلك هو الطريق الوحيد لهزيمة القوى اليمينية فى الحزب » .

وتفجر الصراع فى اجتماع اللجنة المركزية لحزب المؤتمر الذى انعقد فى بانجلور فيما بين التاسع والثانى عشر من يوليو الماضى عندما قدمت انديرا وثيقة تتعلق بتفكيرها فيما يجب ان يكون عليه الالتزام الحزبى للبرنامج الاقتصادى . وقد احتوت الوثيقة على برنامج محدد لتأميم البنوك التجارية واتخاذ خطوات فى مراقبة الشركات الكبرى ، وتأميم الاستيراد ووضع الحدود على توظيف رأس المال الاجنبى . وعلى خطوط عريضة لاعادة النظر فى توزيع الارض ، واعادة توزيعها بشكل يتفق مع العدالة وحماية صغار المزارعين ... وغيرها من التشريعات .

وقدم مورارجى ديساى استقالته فقبلتها أنديرا غاندى على الفور واحتفظت لنفسها بالمنصب ، واشتد السعار من جانب الجناح اليمينى واستدرج بعض عناصر الوسط الاخرى من امثال كاماراج وشافان للضغط على ارجاع ديساى تحت شعار المحافظة على وحدة الحزب مع تسليحها - أى كاماراج وشافان - ببرنامجها الاقتصادى . ولكن انديرا أصرت على عدم ارجاع ديساى الى وزارة المالية او الى اى موقع وزارى له علاقة بالسياسة الاقتصادية نظرا لميوله اليمينية ، وواجهت شافان وكاماراج بأنهم اذا كانوا مخلصين فىتأييد سياسة التاميم فلابد انيكون على رأس السياسة المالية من يؤمن بهذه السياسة . وان كانت عرضت ارجاعه لوزير الداخلية .

وفى اجتماع طارىء عقده مجلس الوزراء اعلنت الحكومة الهندية اتخاذ الخطوة التنفيذية الاولى لتحقيق برنامجبانجلور ،وذلك بتأميم البنوك التجارية العشرين فى الهند ، وبهذا وضعت الهيئة البرلمانية لحزب المؤتمر امام امر واقع جديد .

ومازال أمام انديرا غاندى طريق طويل وصعب لمواجهة الضغوط العنيفة من جانب الجناح اليمينى القوى داخل الحزب وحلفائه ، ولتحطيم محاولاتهم الانقسامية والتخريبية .

■■

■ **يوغسلافيا**

امتحان جديد ..

بدأت الاتصالات منأجل عقد مؤتمرالقمة الثالث لدول عدم الانحياز . ويتم التحضير لاجراء أولاجتماعرسمى بين وزراء خارجية الدول السبع والخمسين فى ديسمبر القادم للاتفاق على انعقاد مؤتمر القمة الذى ينتظر ان يتم فى خريف عام ١٩٧٠ .

وتاتى هذه الاجراءات تنفيذا للتوصيات التى أصدرها المؤتمر الاستشارى لدول عدم الانحياز الذى انعقد فى بلجراد من ٨ الى ١١ من الشهر الماضى ، والذى حضره ممثلون للدول التى اشتركت فى مؤتمر القاهرة الذى انعقدفى اكتوبر ١٩٦٤ . واشترك فى مؤتمر بلجراد ممثلو ٥١ دولة بينها ٨ دول يمثلها مراقبون ، وصرح وكيل وزارة الخارجية اليوغوسلافية فى بداية المؤتمر « **انه يجب الا ننتظر صدور قرارات بالغة الخطورة عن هذا المؤتمر** » .

وقد ناقش المؤتمر فى جلساته :

- دور دول عدم الانحياز تجاه قضية الاستقلال والتطور الاقتصادى .

- دراسة امكانيات زيادة التعاون بين دول عدم الانحياز فى المستقبل بحيث تكون اكثر فاعلية وايجابية فى مواجهة المشاكل العالمية على ضوء ماطرأ من تطورات منذ انعقاد المؤتمر السابق .

والقى رئيس وزراء يوجوسلافيا كلمة فى افتتاح المؤتمر الاستشارى دعا فيها الى التأكيد من جديد على المبادىء الايجابية لمفهوم عدم الانحياز وقال « ان حركة عدم الانحياز قد ساعدت على تحقيق المزيد من الحرية والاستقلال فى العالم ولكن خطر العدوان المسلح لايزال قائما » . وقال « ان موقف عدم الانحياز الذى تتخذه الدول المشتركةفى المؤتمر قد تعرض خلال السنوات الماضية المضطربة

لمختلف الاختبارات والضغوط ولكنه أثبت انه طريق واقعي لكثير من الدول في جهودها للمحافظة على استقلالها وسيادتها » .

وقبل انعقاد المؤتمر كان وزير خارجية يوغوسلافيا قد تلقى برقية من **ياسر عرفات** رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يطلب فيها ايفاد وفد عن المنظمة لعرض قضية فلسطين على المؤتمر . وقد عرض الامر على المؤتمر حين انعقاده على اساس الموافقة على دعوة ممثلي حركات التحرير في العالم لحضور المؤتمر باعتبارهم مراقبين . ولكن اختلفت الاراء اختلافا كبيرا حول ذلك،فبينما عارضت بعض الدول الافريقية ذلك اقترحت الجزائر ضرورة الموافقة على اشراك حركات التحرير ، وبعد مناقشات وافق المؤتمر على توجيه الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية لعرض وجهة نظرها على المؤتمر كما وافق كذلك على حضور ممثلين عن الحكومة الثورية لفيتنام الجنوبية كمراقبين .

وقد ثارت غانا والاردن مسألة اشراك باكستان وماليزيا كاعضاء في مجموعة دول عدم الانحياز بناء على الطلب الذى تقدمت به كل منها . **وقالت الدولتان ان اشتراكهما في حلف جنوب شرقي آسيا يجب أن لايقف حائلا دون قبولهما في المؤتمر نظرا لأن الحلف اصبح غير فعال من الوجهة العملية ، وآثار انضمام باكستان وماليزيا خلافات حادة داخل المؤتمر حول عدم توفر شروط العضوية في هاتين الدولتين ، باعتبارهما اعضاء في احلاف عسكرية .**

وعند مناقشة التحضير لانعقاد مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز اعلن الوفد العربي أن عقد مؤتمر القمة يحتاج لاعداد كاف حتى تستطيع مجموعة دول عدم الانحياز ان تلعب دورا ايجابيا وفعالا في مواجهة المشكلات الدولية على ضوء التطورات التى حدثت منذ انعقاد المؤتمر السابق والضغوط الاستعمارية التى تتعرض لها كثير من دول عدم الانحياز .

ويرى كثير من المراقبين ان المؤتمر قد سادته خلافات كبيرة في الاراء حول بعض القضايا الرئيسية وذلك نتيجة للتطورات التى طرات على مواقف كثير من دول عدم الانحياز في الفترة الاخيرة . وكانت اهم المسائل التى ثار حولها الخلاف :

● الخلاف حول تحديد معنى سياسة عدم الانحياز والحدود التى يمكن ان ينطبق على أساسها هذا المفهوم على دول المجموعة وبالتالى حدود اتساعها .

● الخلاف حول افضل الوسائل لتنشيط سياسة عدم الانحياز في الظروف الدولية الراهنة بما فيها من ضغوط استعمارية ومن تزايد خطر العدوان والاستعمار الجديد .

● الخلاف حول جدوى عقد مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز في ظل الظروف الراهنة وخاصة داخل مجموعة الدول غير المنحازة .

وقد اختتم المؤتمر اجتماعاته يوم ١١ يوليو ببيان مشترك جاء فيه ان الدول المشتركة في المؤتمر ترى أنه سيكون من المفيد عقد مؤتمر قمة للدول غير المنحازة بعد الاعداد له اعدادا كافيا ، ولكنه لم يحدد مكان وزمان انعقاد مثل هذا المؤتمر .. وقد وصف **سميح أنور** مندوب ج.ع.م. في المؤتمر تلك النتيجة بانها « تعتبر نجاحا اكبر مما كان متوقعا » وجاء في البيان الذى اصدره المؤتمر « ان الوضع الاقتصادى في الدول النامية يسوء بالتدريج نظرا للعلاقات غير المتكافئة مع الدول المتقدمة » .

غير ان المؤتمر لم يتمكن نتيجة للخلافات من ادانة العدوان الامريكى في فيتنام صراحة واكتفى (من أجل امكانية اصدار البيان) بوضع عبارة غامضة حول الجلاء الكامل لجميع القوات الاجنبية عن فيتنام . وفيما يختص بالشرق الاوسط لم يتمكن المؤتمر من اتخاذ موقف حاسم ضد العدوان الاسرائيلى وان كان قد طالب « باعادة الحقوق المغتصبة لعرب فلسطين وضرورة انسحاب القوات الاجنبية من اراضى الدول العربية بالاضافة الى رفض ضم الاراضى عن طريق الحرب . **وقد حذر المندوبون العرب المؤتمر من أن قوى الامبريالية والاستعمار الجديد ستقوم بهجوم على دول عدم انحياز أخرى مالم يوضع حد للعدوان الاسرائيلى على العرب بصورة حاسمة ومالم يتخذ المؤتمر موقفا حاسما ازاء هذا العدوان وتاييدا لنضال الدول العربية ضد الاستعمار والتوسع الصهيونى .**

■■

■ **جمهورية المانيا الديمقراطية**

التجمع العالمي للسلام

يمكن القول بأن هذا التجمع واحد من أهم واكبر التجمعات العالمية الشعبية فقد حضره ١١٠٢٥ عضوا يمثلون ١٠١ بلدا و٥٦ منظمة عالمية و٢٢ منظمة قومية . وقد عقد هذا التجمع بمناسبة الذكرى العشرين لتأسيس المجلس العالمى للسلام .

وقد تميز هذا التجمع بعدة ميزات هامة منها :

● انه اتسع ليضم ممثلين لمختلف الاتجاهات السياسية والدينية والعقائدية ، ولعله من حيث التمثيل يعتبر التجمع الاول من نوعه الذى استطاع أن يضم ممثلين لكل هذه القوى .

● انه ضم عددا كبيرا من ممثلى حركات الشباب فى أوربا الغربية وامريكا وامريكا اللاتينية ، وهى

تعليق

عصام الدين حفنى ناصف ... وداعا

اخيرا آن للفارس ان يترجل ، آن للصوت المدوى ان يستريح .

اخيرا .. وبعد معركة متصلة استمرت خمسين عاما كاملة ، آن لعصام الدين حفنى ناصف ان ينهى رحلته وان يصبح قطعة من ماضى مصر المجيد .

ولعل الرجل قد مضى فى صمت ، ولعل الكثيرين من ابناء هذا الجيل لم يسمعوا عنه الا لماما ، لكن اياما مضت فى تاريخ مصر كان فيها عصام الدين حفنى ناصف .. عملاقا يتحدى طغاة العهد الملكى ، ومبشرا بالاشتراكية والحرية والتقدم .

واذا كان لكل عصر مقاييسه ، فان ما اسمته عصور الطغيان بصحيفة سوابق عصام الدين حفنى ناصف تصبح بالنسبة لنا سجلا للفخار .

ولنتامل هذا السجل :

● فى ١٩١٩/١٢/١٤ حكم حضوريا بحبسه ثمانية اشهر بسيط ، واعدام المنشورات وذلك بسبب اشتراكه وآخر فى طبع منشورات تحرض الناس على كراهية الحكومة وبغضها والازدراء بها .

● وفى ١٩٢٣ وصل الى الاسكندرية فمنع من النزول اليها . وعندما صمم كمصرى على حقه فى العودة الى وطنه سمح له بالدخول مقبوضا عليه .

● وفى ١٩٢٤ قدم لمحكمة جنايات مصر بتهمتين :

الاولى : انه نشر فى جريدة ازاء شرق (حرية الشرق) التى تصدر فى برلين مقالا يتضمن عيبا فى الذات الملكية .

والثانية : انه حبذ جناية قتل بطرس غالى باشا وذلك بأن اشهر وحمل فى عروة سترته فى الطريق العام صورة ابراهيم الوردانى الذى ارتكب الجناية المذكورة .

● وفى قضية السردار اعتقل ايضا .

● وفى ١٩٣١ قدم للمحاكمة بتهمة الترويج للاشتراكية . وفى محضر التحقيق وامام المحكمة قدم دفاعـا مجيدا عن الاشتراكية وعن حقه فى الدعوة اليها وحكمت المحكمة ببراءته .

● وفى عام ١٩٣٤ القى القبض عليه بتهمة طبع خمسة آلاف منشـور تدعو الى الاشتراكية .

ثم تمضى رحلة عصام . لم تكن مجرد تحد للسلطة وانما كانت ايضا جهدا علميا شاقا اثمر خمسة وعشرين كتابا فى موضوعات شتى ، بعضها مترجم والاخر مؤلف :

اخفاق الفاشية ، التجديد الاجتماعى ، الاشتراكية الحديثة ، مبادىء الاشتراكية النشوء والارتقاء ، المسألة الاشتراكية ، حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية نظرية التطور ، موسكو ــ برلين ــ لندن ، الحياة فى الاتحاد السوفيتى ــ لماذا كانت الرأسمالية تعنى الحرب ، سيرة لينين ، آراء فى السياسية المصرية . الخ

ثم ومئات المقالات فى مجلات عديدة اصدر هو بعضها مثل مجلة « روح العصر » التى ما ان صدر منها خمسة اعداد فقط حتى عقد اسماعيل صدقى اجتماعا خاصا لمجلس الوزراء ليصدر قرارا بالغاء ترخيصها .

لكن عصام الدين حفنى ناصف كان مثقفا مناضلا ، لم يكن مجرد رجل يقول كلمته ويمشى بل يحاول ان يصل بهذه الكلمة الى غايتها .

وعندما قرر فى اواخر ١٩٢٨ ان يبدأ النضال من اجل نشر الفكر الاشتراكى لم يكتف بمجـرد الكتابة فى الصـحف ولا باصدار عدد من الكتب وانما سعى الى تاسيس حزب للعمال والفلاحين يقود خطاهم نحو تحقيق الاشتراكية .

وتتالت محاولاته والحكومات الرجعية تطارده ولاتكف عن مطاردته ، وهو يصمم على المثابرة ولا يتراجع عن تصميمه .

عشرات من المحاولات العلنية والسرية سعيا وراء تأسيس منبر للنضال الاشتراكى

وعندما بدأت الفاشية تهدد العـالم بخطرها ، كان عصام الدين اول من نبه الى ذلك الخطر فى مصر .

وعندما اوشكت الحرب العالمية الثانية على القيام وظهـرت بوادرها شـارك ايضـــا فى الجهـود العـالمية التى بذلت لمنع نشـوب الحـرب واسـهم فى تأسيس « اتحاد انصـار السـلام بالقاهرة » فى عام ١٩٣٧ وذلك بهدف تجميع كل القوى المعادية للفاشـيـة والحرب .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية تزعم فى مصر حملة لمطالبة الامريكيين بفتح الجبهة الثانية ضد هتلر حتى يتحملوا نصيبهم فى مقاومة الفاشية وحتى يخف العبء عن القوات السوفيتية التى كانت تقاوم جيوش هتلر .

ولم يكن عصام الدين حفنى ناصف مجرد سياسى مناضل ، فقد كان اديبا ايضا ، ولعل ذلك أمر طبيعى : فهو ابن حفنى ناصف وشقيق باحثة البادية .

وقـد ترجم عصـام الدين كثيرا من القصص والروايات التقدمية التى اتاحت لقراء الادب فرصة الاطلاع على هذا اللون من الادب فى وقت مبكر .

فترجم قصة ليوتولستوى «النور يضىء الظلام » فى عام ١٩٢٦ . وفى هذه الفترة ايضا ترجم «الزوج الابدى» لدوستوفسكى ، « والمتشرد » لمكسيم جوركى ، وترجم كذلك « البترول » لابتـون سـينكلر « ومحقرون ومهانون » لدوستوفسكى .

ولم يقتصر دور عصام الدين على الترجمة فقد قدم للادب العربى رواية من افضل ما عرفه هذا الادب هى « عاصفة فوق مصر » .

وبعد ، لقد واصل عصام الدين حفنى ناصف مسيرته المجيدة . ولقد رأيته فى آخر ايام حياته ، ثائرا ، شجاعا ، فتيا ، كما كان دوما . يشعر وهو يلفظ انفاسه الاخيرة انه لاتزال امامه رسالة يجب ان تؤدى . ويحس ــ رغم كل ما قدم ــ ان ثمة واجبا ثقيلا يتعين اداؤه

ولقد نختلف نحن اشتراكيو هذا الجيل مع بعض تفسيراته او تقييمات عصام الدين ناصف . ولقد نختلف معه فى بعض ما اتخذ من مواقف . لكنه مع ذلك وبرغم كل ذلك يبقى نموذجا للفارس الشجاع الذى آمن بالاشتراكية ، ورتب على ايمانه هذا واجبات عسيرة ، فوهب حياته كلها دفاعا عما آمن به وكرس كل وقته وجهده لاداء هذا الواجب .

ان عصام الدين حفنى ناصف نموذج يجب الا ينسى .

نموذج للمناضل الاشتراكى الذى يشعر دوما ان نضاليته ، رغم كل العقبات ، لم تجف ولن تجف ، وانه قادر دوما ــ ورغم كل العقبات ، على ان يقدم شيئا لشعبه وللفكرة التى آمن بها .

لكن كلمة قصيرة كهذه لا تكفى فالى مرة قادمة فى دراسة اكثر تفصيلا .

رفعت السعيد

قدم مجلس السلام بجزيرة مدغشقر تبرعا رمزيا قدره ستون دولارا الى « منظمة فتح » تعبيرا عن مساندة شعب مدغشقر للنضال الفلسطيني التحرري .
سلم التبرع للطفي الخولي خلال التجمع العالمي للسلام في برلين .

حركات تلعب الان دورا هاما في التأثير على اتجاهات الرأى العام العالمي .

● انه ضم عددا من الشخصيات العالمية التي تتمتع باحترام دولي كبير .

وقد انقسم التجمع الى خمسة لجان : فيتنام — الشرق الاوسط — الامن الاوربي — حركة التحرر الوطني والاستعمار والاستعمار الجديد — نزع السلاح .

وقد أدركت الجمهورية العربية المتحدة منذ البداية أهمية هذا التجمع فشاركت في الاعداد له وتولى خالد محيي الدين مسئولية الاعداد لواحدة من لجانه الخمس وهي لجنة الشرق الاوسط . كذلك شاركت في التجمع بوفد كبير يضم عددا من اعضاء اللجنة المركزية ومن اعضاء المجلس القومي للسلام وممثلين للازهر الشريف والكنيسة القبطية ومنظمة الشباب .. كذلك حضر المؤتمر وفد يمثل المركز الدولي لنصرة الشعوب العربية وهو مركز منبثق عن المؤتمر العالمي الثاني لنصرة الشعوب العربية .

وقد القى خالد محيي الدين رئيس وفد ج . ع . م . كلمة في الاجتماع الافتتاحي للتجمع ، مما يعد تعبيرا عن تقدير بالغ لدور مصر في المجال العالمي

وقد شارك أعضاء الوفد في مختلف اللجان واسهموا في المناقشات التي دارت فيها وقد امكن من خلال هذه المناقشات التي دارت سواء في اللجان الخمسة ، او في التجمعات المهنية (البرلمانية — الطلبة — النقابيين — النساء — المحامين — رجال الدين — المثقفين) عرض بعض جوانب القضية العربية ، ونتج عن ذلك أن تضمنت معظم التقارير الصادرة عن هذه اللجان مواقف تضامنية مع الشعوب العربية .

لكن الجهد الاكبر لوفد الجمهورية العربية المتحدة قد تركز في لجنة الشرق الاوسط التي حظيت باهتمام كبير من عديد من الوفود والشخصيات الهامة التي حضرت التجمع والتي كانت أكبر لجان المؤتمر عددا والتي شهدت مناقشات هامة ومثمرة ومتعددة الاتجاهات .

ومن خلال المناقشات استقر اجماع الاراء في اللجنة على مبدأين أساسيين هامين :

● ضرورة جلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضي التي احتلت عقب عدوان الخامس من يونيو .

● الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره .

كذلك صدر عن التجمع نداء عام وردت فيه فقرة عن الشرق الاوسط جاء فيها أن الموقف المتوتر في الشرق الاوسط والذي يهدد السلام العالمي بالخطر سببه امتناع اسرائيل عن سحب قواتها من الاراضي المحتلة ورفضها تنفيذ قرار مجلس الامن والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني .

والحقيقة أن أهم ما يميز هذا المؤتمر هو اتساع تمثيل وفود امريكا وكندا وامريكا اللاتينية وغرب اوربا وقد أبدت هذه الوفود اهتماما بالغا بقضية الشرق الاوسط الامر الذي يؤكد أنه مع استمرار الصمود العربي واستمرار الجهود المبذولة في المجال العالمي فانه يمكن احداث تغييرات هامة في اتجاهات الرأى العام العالمي ، وهو أمر يؤثر بلاشك على مصير المعركة .

■ ■

■ **ايطاليا**

هل من نهاية لازمات « يسار الوسط » ؟

بدأ « **ماريانو رومور** » رئيس وزراء ايطاليا السابق ، مساعيه لتشكيل وزارة جديدة كلفه الرئيس الايطالي « **ساراجات** » بتأليفها . وهذه الوزارة هي التاسعة والعشرون منذ الحرب العالمية الثانية . ويجسد سقوط وزارة رومور السابقة الثامنة والعشرين فشل حكم « يسار الوسط » ، من ناحية كما انه يعكس ازمة الحكم في ايطاليا من ناحية اخرى .

وازمة الحكم الايطالية في نظر عديد من المراقبين التقدميين ليست ازمة سياسية على

السطح ، وانما ترجع الى عجز حكم يسار الوسط (الذى كان قائما فى آخر حكومة له على ائتلاف الحزب الديموقراطى المسيحى ، والحزب الاشتراكى والحزب الجمهورى) عن تقديم الحلول الجذرية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، تلك الحلول التى اصبح المجتمع الايطالى يتطلبها بشدة . وقد بدا هذا العجز واضحا فى الاحداث الدامية التى وقعت فى الاشهر الماضية فى المناطق الفقيرة فى شبه الجزيرة مثل افولا وصقلية وباتيباليا ثم انتقلت الى المناطق المنتعشة مثل تورينو . وكانت حركة الجماهير تستهدف فى الاساس تحقيق زيادات فى الاجور . ويزيد من تفاقم الوضع ان الازمة الوزارية الاخيرة جاءت فى وقت تزايدت فيه من جديد المطالب العمالية لا فى مناطق الوسط الفقيرة فحسب ، بل فى مناطق الشمال المتطورة كذلك ، وفى ظروف شهدت ارتفاعا جديدا فى نفقات المعيشة ليس ذلك فحسب ، بل ان هذا الوضع معرض لان يزداد خطورة فى الخريف القادم حيث تنتهى فى اكتوبر عقود العمل الجماعية الخاصة بـ ٥ ملايين عامل منهم ٤ ملايين عامل صناعى .

وقد فرض ضغط المشكلات الاقتصادية ، على الاحزاب السياسية الايطالية ، ان تسارع بالتقدم بالحلول الاقتصادية والاجتماعية الاكثر اهمية . وبينما نجح الشيوعيون فى تقديم برامج جذرية لمعالجة الازمة . انفجرت خلافات حادة داخل احزاب الائتلاف الحكومى « يسار الوسط » حول

الموقف من التحالف او عدم التحالف مع الشيوعيين .

فاذا كان انقسام الحزب الاشتراكى ، واستقالة ٣ من الوزراء التابعين للجناح اليمينى فى هذا الحزب ، وهم وزراء الميزانية ، والصناعة والبحرية التجارية من الحكومة ، بالاضافة الى استقالة سبعة من نواب الوزراء الذين ينتمون لهذا الجناح ايضا منها ، نقول اذا كان ذلك قد ادى الى استقالة حكومة « **رومور** » الاخيرة ، فان الموقف من الشيوعيين ايضا كان وراء هذا الانقسام .

ذلك ان اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى قد رفضت الوثيقة السياسية المقدمة من «**بيترونينى**» رئيس الحزب ، وايدت اغلبيتها وثيقة « **فرانشسكو دى مارتينو**» زعيم الجناح اليسارى فى الحزب ونائب رئيس وزراء ايطاليا التى تدعو الى التعاون مع الحزب الشيوعى فى الانتخابات البلدية والاقليمية بهدف دفع سرعة الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية . ولذا قدم مسئولو الحزب وعلى رأسهم بيترو نينى ممن يعارضون اى تعاون مع الحزب الشيوعى ، استقالاتهم . وفى ٥ يوليو الماضى اعلن « **ماريو تاناس** » وزير الصناعة المستقيل ، والذى ينتمى الى الجناح اليمينى فى الحزب الاشتراكى ، تكوين حزب اشتراكى جديد هو الحزب الاشتراكى الموحد ، الذى اصبح « **ماوروفيرى** » الذى كان يشغل منصب سكرتير الحزب الاشتراكى الايطالى حتى مايو الماضى ، سكرتيرا له .

والملاحظ ـ حتى كتابة هذا التقرير ـ ان الديموقراطيين المسيحيين لم يتخذوا موقفا واضحا من الازمة . اما قادة الجناح اليسارى بينهم وعلى رأسهم **الدو مورو** رئيس الوزراء السابق ، فقد اعلنوا عن موقفهم ، فهم لا يوافقون على تشكيل حكومة ائتلافية تستبعد الاشتراكيين اليساريين ، كما ان عددا من المراقبين السياسيين يؤكدون ان الديموقراطيين المسيحيين « اليساريين » ، يؤيدون بدورهم التعاون مع الشيوعيين على المستوى البرلمانى . ولذا يخشى ان يثير انشقاق الحزب الاشتراكى ، انشقاقات مماثلة بين « الجناحين » « اليسارى » و « اليمينى » فى هذا الحزب ايضا .

وعلى اية حال ، يذهب بعض المراقبين الى ان الحزب الاشتراكى الايطالى ، والحزب الموحد الجديد الذى استقطب جانبا كبيرا من اليمين فى الحزب الاشتراكى ، يؤيدان استمرار سياسة « يسار الوسط » . لكن المشكلة التى يراها عدد من المراقبين السياسيين هى انه اذا كان الحزبان لم يتمكنا من التعايش داخل اطار حزبى واحد ، فهل يمكنهما التعايش فى حكومة جديدة . خاصة وان زعماء الحزب الموحد قد اكدوا اخيرا بان اشتراك كلا من الحزب الموحد والحزب الاشتراكى معا فى الحكومة امر لا يمكن التفكير فيه ، وهم يقولون انهم اذا كانوا قد تركوا الحزب الاشتراكى فانهم قد فعلوا ذلك لخلافات اساسية بينهم وبين الاتجاه الاخر فى الحزب الاشتراكى .

والمشكلة التى تواجه الديموقراطيين المسيحيين وتعكس جانبا من تعقيدات ائتلاف يسار الوسط المتتالية فى ايطاليا هى انهم لن يستطيعوا فى صفوف الائتلاف تحقيق شروط الاشتراكيين « اليمينيين » والاشتراكيين « اليساريين » معا ، خاصة بعد ان اعلن زعماء الحزب الموحد انهم يريدون حكومة تعلن بحزم انها لن تقوم باى انفتاح على الشيوعيين ، فاذا ادركنا ان الحزب الديموقراطى المسيحى يعارض من حيث المبدأ مسألة التعاون مع الشيوعيين ، اتضحت لنا صورة الموقف الذى تتخذه الاجنحة القيادية فى احزاب « يسار الوسط » من هذه المسألة الهامة .

ولذا فــان التعليــق الذى قــدمته صحيفة « الايمانيتيه » الفرنســية على الازمة الايطالية فى ٧ يوليو الماضى يحتفظ بكل مغزاه من هذه الناحية تقول الايمانيتية « ان تصدع الحزب الاشتراكى والازمة الوزارية الايطالية يبرهنان على فشل « يسار الوسط » وفشل سياسة التعــاون الطبقى • وهذا الدرس يذكر بأحدى النتائج التى استخلصت من الانتخابات الفرنسية الاخيرة ، رغم اختلاف الظروف • فان الاشتراكيين عندنا ايضا قد شاهدوا بأعينهم الاضرار التى تترتب على رفض العمل المشترك . ذلك انه لا يمكن اتباع سياسة تجــديد فى ايطاليا ، وكذلك فى فرنســا بدون الشيوعيين ، وبالاحرى لايمكن انتهاج السياسة على اساس مناهض للشيوعيين •

■■

تقــريـــر من أمــريكــا الــلاتينيــة

حركة الجماهير تنهض من جــديد بعد عامين من مصرع جيفــارا

تشهد قــارة أمريكا اللاتينيــة تحولات سياسية واجتماعية سريعة ، لم تنعكس فحسب فى المجــالات الجماهيرية حيث تزداد الحركــة المعادية للولايات المتحدة نشاطا ، وانما على المستوى الحكومى كذلك ، حيث بدأت بعض حكومات القارة تتخذ اجراءات تأميمية لقطاعات اقتصادية هامة يملكها المستعمرون الامريكيون الشماليون •

وجاء هذا التطور فى الحقيقة ، بأسرع مما توقع كثير من المراقبين السياسيين • فمنذ عــامين وبالتحديد فى عام ١٩٦٧ ، بدا الموقف فى امريكا اللاتينية ، وكأن الولايات المتحدة قد وجهت ضربات قاصمة لحركة الثورية سوف تشلها لسنوات عديدة • وكان ذلك العام ، هو عام الضربــات العنيفة لحركات المقاومة المسلحة فى عديد من بلاد امريكا اللاتينية ، وبخاصة ضد « جيش التحرير الوطنى فى بوليفيا » الذى تعرض لضربات عنيفة وأعتقل قائده « شى جيفارا » فى اكتوبر من نفس العام واعدم • وشهدت تلك الفترة ايضا تنسيقا حيويا شاملا بين اجهزة المخابرات اللاتينيــة



● شى جيفارا

والمخابرات المركزية الامريكية • كما شهدت نشاطا محموما فى ملاحقة القوى الثورية فى المــدن والارياف ، بالاضافة الى اغتيال المنــاضلين النقابيين والعماليين مع دعم الحكومات العسكرية العميلة ، وانفاق الاموال الطائلة فى اعمال الدعاية المضادة للثورة ، هكذا بدا لكثير من المراقبين حينذاك ان حركة الثورة فى امريكا اللاتينية سوف تتعطل مؤقتا •

لكن زيارة « **نيلسون روكفلر** » مبعوث الرئيس الامريكى نيكسون ، لعديد من بلاد امريكا اللاتينية فى اوائل يوليو المــاضى ، قد اتســمت بأهمية خاصة • فمن ناحية كشفت فى الحقيقة عن كثير من العوامل السياسية الكامنة فى القارة اللاتينية ، واوضحت الموقف الحقيقى الذى تتخذه شعوب هذه القارة من امبريالية الولايات المتحدة •

وتمت زيارة روكفلر لبلاد امريكا اللاتينيــة المختلفة وأسنة حراب الحكومات العسكرية العميلة موجهة الى صدور الحركة الجماهيية •

ففى الارجنتين تمت زيارة روكفلر وسط أكبر حشد للبوليس فى تاريخ العاصمة الارجنتينية • وكانت الحكومة قد أعلنت الاحكام العرفية قبل مجيئه بعد ان قامت الجماهير المتظاهرة ضد الزيارة بأحراق ١٣ مجمعا تجاريا تتبع شركة أمريكية شمالية • ثم تظاهرت فى مناطق عديدة من البلاد • واسفرت الاصطدامات عن مقتــل ٢٤ شخصا واصابة عدة مئات بجراح •

ووجهت اجراءات القمع ضد الاوساط النقابية والجامعية بنوع خاص : حيث جرى اعتقال عدد كبير من الاشخاص ، منهم عدد كبير من قادة الاتحاد العام للعمال الموالى لبيرون ، هذا الاتحاد الذى يتزعمه « **ريموند أونجارو** » وبعض الاساتذة الجامعيين . وقد اعتقل « اونجارو » نفسه ، وكذلك المحامى « **ريكاردو روجو** » الذى تولى الدفاع عن « **ريجى دوبريه** » و « **سيروس بوستوس** » صديقى « **جيفارا** » .

أما الجنرال « **فرانشسكو ايماز** » وزير داخلية الارجنتين فقد اتهم فى مؤتمر صحفى عقده فى ٣ يوليو الماضى ، « الماويين والشيوعيين وانصار كاسترو ، بانهم وضعوا خطة تخريبية تستهدف قلب نظام الحياة المسيحية والغربية فى الارجنتين » .

وقد أوضح روكفلر فى مؤتمر صحفى عقده فى الارجنتين فى أول يوليو الماضى أن مهمته فى هذه البلاد هى « تجميع المعلومات » . كما اشار الى ان الولايات المتحدة ستستند فى وضع سياستها المستقبلة فى أمريكا اللاتينية على النصائح التى قدمها رؤساء الدول المختلفة لروكفلر . ومما يلقى الضوء على جانب من نشاط الولايات المتحدة فى القارة ، ان روكفلر كان قد صرح خلال زيارته للارجنتين بأنه اجتمع مع خمسة من الزعماء الطلابيين ، ولكنه لم يفصح عن اسمائهم أو ميولهم .

وطلب المسئولون الارجنتينيون من روكفلر تسهيلات أكبر فى مجال التبادل التجارى يسمح بصفة خاصة بدخول منتجاتهم الخام والمصنعة الى أسواق الولايات المتحدة . وطلب تجار الحبوب من الولايات المتحدة تنفيذ الاتفاقية الخاصة بالقمح ، وذلك لتفادى بيعه بسعر أقل من السعر الادنى المحدد ، وأوضحوا انهم لا يرغبون فى منح وانما فى استثمارات منتجة فى جميع قطاعات الانتاج .

ومما يلقى الضوء — ايضا — ولو بشكل غير مباشر على مستوى المعارضة الارجنتينية ضد الولايات المتحدة من ناحية ، وضد حكم الرئيس « **اونجانيا** » من ناحية أخرى ، ذلك التصريح الذى أدلى به « **جوان بيرون** » رئيس الارجنتين السابق ، والمنفى حاليا فى أسبانيا ، موضحا فيه انه « على استعداد فى أى لحظة للعودة الى الارجنتين ، إذا اعرب شعب الارجنتين عن رغبته فى ذلك » . وكان بيرون قد أدلى بتصريحه هذا فى « اليخانتى » وأكد من ناحية أخرى « ان أمريكا اللاتينية فى حاجة الى المزيد من امثال « **فيديل كاسترو** » لتتحرر من سيطرة « الرأسمالية الامريكية » وأضاف : انه « على اتصال دائم بالمعارضة فى الارجنتين من أجل قلب نظام حكم الجنرال أونجانيا » .

أما فى هاييتى فقد استقبل روكفلر استقبالا رسميا وديا . وأعلن **ديفالييه** رئيس هاييتى له « اننا لن نسلم هذا البلد مطلقا الى الشيوعية ، حتى اذا تعين علينا الدفاع عنها بصدورنا وحدها » . وتساءل عن سبب « الرفض والحظر الذى تتعرض له بلاده فيما يختص بمنحها القروض وبارسال الاسلحة والذخائر الامريكية اليها لتمكينها من الدفاع عن نفسها ضد أى عدوان شيوعى » . وحاول عبثا ان يعرض بكوبا الثورة عندما أشار الى ما اسماه « بالخطر المتمثل فى اختفاء الجنرال باتستا من كوبا ومجىء فيدل كاسترو ، ذلك الزعيم الفاشستى ذو النزعة الماركسية اللينينية » . واعرب لروكفلر عن اقتناعه بامكان وضع سياسة بناءة بالاشتراك مع حكومة نيكسون .

أما فى « **الدومينيكان** » التى وصلها روكفلر فى ٣ يوليو الماضى ، فقد اتخذت سلطاتها فى العاصمة أكثر الاجراءات تشددا منذ الثورة . وكانت دوريات الجيش والبحرية والبوليس تجوب شوارع العاصمة حتى قبل مجىء روكفلر . والجنود المسلحون يرابطون فوق اسطح المنازل . ومع ذلك ، تسلل بعض الشبان الى أرض مطار العاصمة حاملين اللافتات المعادية للولايات المتحدة . كما وقعت فور وصوله عدة انفجارات فى العاصمة وتظاهرت مجموعات من الشبان ، واستهدفت مظاهراتهم الشركات ذات رأس المال الامريكى . وبمجىء روكفلر الى العاصمة اصبحت المدينة خالية من المارة ، واغلقت الحانات والمطاعم وأصبحت دور العرض خاوية . وقد قتل ٥ اشخاص فى الاضطرابات وعاشت العاصمة بعد اتمام الزيارة فى جو عنيف يشابه أيام الحرب الاهلية التى وقعت فى ابريل ١٩٦٥ . ورفض البوليس اذاعة العدد الحقيقى للجرحى أو المعتقلين الذين يعتقد انهم كانوا عددا كبيرا جدا .

وهناك أجرى روكفلر محادثات مع الرئيس « واكين بالاجوير » لم يعرف شىء عما دار بها ، وان كانت وكالات الانباء قد رجحت ان تكون قد تناولت العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة وجمهورية الدومينيكان .

وفى **جامايكا** أجرى روكفلر مباحثاته مع رئيس الوزراء **هيوج شيرر** ومع المسئولين الاخرين ، ولم يعرف فحوى هذه المباحثات وفى **جيانا البريطانية**

أجرى محادثات مع الحاكم العام سير « دافيد روز » بعد ان اعتقل البوليس ٣٠ من انصار « شيدى جاجان » زعيم المعارضة التقدمية ووضع مركز دعايته تحت مراقبة عدد كبير من رجال البوليس • أما زيارة روكفلر لبيرو فقد استبعدت ، خاصة وقد أوضح المراقبون أن الرأى العام فيها لا يحبذ مثل هذه الزيارة •

وقد أعلن روكفلر بعد انتهاء جولته التى زار خلالها ٢٠ دولة فى أمريكا اللاتينية ، « انه سيوصى الرئيس نيكسون باجراء تقييم شامل فى السياسة الامريكية تجاه دول امريكا اللاتينية • واوضح ان توصياته لنيكسون ستكون بشأن المشكلات الاقتصادية لامريكا اللاتينية والتى تدور أساسا حول اختلال ميزان مدفوعاتها مع الولايات المتحدة ، ونقص احتياطيها من العملات الصعبة •

وقال « انه ليس واثقا مما اذا كان نيكسون سيقبل توصياته » •

على ان تحرك القارة السريع لم يظهر فحسب فى اشتداد ساعد الحركة الجماهيرية المضادة للحكومات الرجعية العميلة وللولايات المتحدة الامريكية : وانما تبدى كذلك فى الاجراءات الاقتصادية التقدمية التى بدأت بها بعض حكومات امريكا اللاتينية وبخاصة شيلى وبيرو •

ففى شيلى أعلن الرئيس « **ادواردو فراى** » رئيس الجمهورية فى ٢٧ يونيو الماضى تأميم مناجم النحاس التابعة لشركة « أناكوندا » والتى تنتج ٦٢٠٠٠٠ ألف طن سنويا • وأعلن كذلك ان حكومته ستقوم بتأميم بعض الشركات والمناجم الامريكية بالتدريج • وكان الرئيس « **جوانى**

تعليق

هوليود فى المعركة

معركة هوليود هى الوجه الاخر للمعركة التى تدخلها الولايات المتحدة الامريكية فى فيتنام ، وفى كل مكان تشتعل فيه الثورة من اجل التحرر الوطنى •

ورغم تكاثر عدد الافلام الامريكية التى لاتخدم اهداف السياسة الاستعمارية للولايات المتحدة، الا ان الفكر الاستعمارى فى الافلام الامريكية تظل له الغلبة بطبيعة العلاقة الوثيقة بين ادوات الانتاج وما تقدمه من انتاج ، فشركات السينما الامريكية شركات احتكارية تتيح للفنان قدرا ضئيلا من الحرية ، ولا يستطيع ان يفوز معها بحريته الا قلة نادرة من الفنانين وفى حدود يصعب تجاوزها ، ولعل هذا مايفسر الحقيقة القائلة بان معظم الافلام الامريكية التى لاتخدم اهداف السياسة الاستعمارية ليست من انتاج شركات السينما الكبرى •

ونحن لانعنى بالافلام ذات الفكر الاستعمارى تلك التى يدور حولها البعض ويفسرونها على ضوء جنسيتها الامريكية، فذلك فى تقديرنا سخف لاحد له يضر بالقضية التى يدافع عنها ذلك المفسر اكثر مما يفيدها ، وانما نعنى الافلام ذات الفكر الاستعمارى التى لايختلف حولها اثنان ، فهذه الافلام هى التى تشكل خطرا حقيقيا على جمهور السينما الذى يستسلم لما يراه على الشاشة ويعتبر دار العرض السينمائى مكانا لقضاء الوقت ، وهو النوع الغالب على جمهور السينما فى العالم كله حتى الان، وبخاصة فى دول العالم الثالث وفى كل مكان حيث تنتشر الامية •

وقد قدمت هوليود خلال العام الحالى مجموعة كبيرة من الافلام ذات الفكر الاستعمارى مثل « القبعات الخضراء » الذى اخرجه الممثل جون واين والذى اثار المظاهرات فى بعض المدن التى عرض فيها لدفاعه عن العدوان الامريكى على فيتنام ، و «جيفارا» الذى اخرجه ريتشارد فليشر وفيه يبدو جيفارا مغامرا اكثر منه مناضلا ثوريا ، ولا يكتفى الفيلم بذلك وانما يجعله فى النهاية يائسا من جدوى كفاحه ، ويوحى لنا بان مصرعه كان نوعا من الانتحار ، كذلك هناك فيلم « الزعيم » الذى اخرجه ج.ل تومسون عن الزعيم الصينى ماوتسى تونج، وقد حدث اثناء تصوير هذا الفيلم فى هونج كونج ان قامت مظاهرة عنيفة هاجمت العاملين فيه وحطمت معداتهم ، ويمكننا ببساطة ان نتصور ما يمكن ان تقوله هوليود فى هذا الفيلم الذى تظهر فيه شخصية الزعيم الصينى للمرة الاولى فى الافلام الامريكية (*)

وقد شاهدت القاهرة فى هذا العام ثلاثة افلام امريكية ذات فكر استعمارى صريح ، « المرتزقة » لجاك كارديف و « مائة بندقية » لتوم جرايس و «مسز بلوسوم » لجوزيف ماك جرات ، وقد مرت هذه الافلام من الرقابة المشغولة بمنع روائع السينما العالمية ، وتمزيق الافلام الممتازة بسبب قبلة هنا او فخذ عار هناك ، مرت هذه الافلام بينما منعت افلام امريكية تحتمل الخلاف حول أهدافها ومراميها مثل « مدمرة على النهر الاصفر » لروبرت وايز الذى اعتبره بعض نقاد نيويورك هجوما على التدخل الامريكى فى آسيا ، بينما اعتبره بعض نقاد باريس انشودة من اجل السلام •

فى «المرتزقة» نرى المرتزقة ابطالا يساهمون فى حل مشاكل افريقية ، انسانيون تفيض قلوبهم بالرقة على الاطفال الزنوج ،بينما الزنوج من المرتزقة يقتلونهم ، وفى «مائة بندقية » نرى المكسيكيون يحاربون الهنود بينما تعمل الشركات الامريكية على تعمير المكسيك واحلال السلام بدلا من الحرب ، اما فى «مسز بلوسوم » فنرى رجلا يسعى الى اختراع « سونتيان ثورى » يمكن عن طريقه تكبير حجم الثديين أو تصغيرهما وعندما ينجح الرجل فى الوصول الى السونتيان يذهب الى اديس ابابا — مقر منظمة الوحدة الافريقية — ليقدمه هدية الى «زعماء البلاد النامية» الذين نراهم حوله واقفين يتهللون عندما يبلغهم نبأ الهدية •

سمير فريد

فيلاسكو » رئيس جمهورية بيرو قد أعلن فى ٢٥ يونيو الماضى قانونا للاصلاح الزراعى ، يؤمم جميع اقطاعيات الارض الكبيرة فى بيرو ويوزعها على المعدمين . وقد شمل قرار التأميم هذا اقطاعيات ضخمة من الاراضى يملكها الامريكيون . كما اممت بيرو جميع عمليات انتاج السكر فى البلاد بما فى ذلك الممتلكات الضخمة لشركة « جريس » الامريكية ، وأممت أيضا مزرعة أخرى للسكر تملكها اسرة المانية مهاجرة تعادل مساحتها مساحة سويسرا وبلجيكا مجتمعتين . ليس هذا فحسب ، بل لقد بدأت لجنة حكومية فى بيرو منذ أوائل يوليو الماضى فى دراسة امكانية تدخل الحكومة فى الصناعات القائمة على الثروة المائية وتعد اضخم صناعة من نوعها فى العالم ، وهى صناعة معظمها استثمارات امريكية . ومما هو جدير بالذكر ان اثنين من كبار مستشارى الجنرال جوان فيلاسكو قد أوضحا حقيقة « ان الغالبية العظمى من شعب بيرو لم تستفد من الحياة الاقتصادية فى بلادها رغم الارباح الطائلة التى حققتها جماعات قومية بعضها من الاجانب وقالا « اننا لن نتوقف حتى يتم تصحيح بعض هذه الاوضاع : واشار الكولونيل « أرتورو فالدين » أحد هذين المستشارين الى احتمال شراء بيرو اسلحة من الاتحاد السوفيتى فقال ، انه « اذا قدم لنا السوفيت ما ينبغى شراؤه وبثمن مناسب فاننا قد نشترى منهم » .

وقد أدلى الزعيم الكوبى « فيدل كاسترو » بعدة تصريحات فى ١٤ يوليو الماضى فى مركز « جيتراس » لصناعة السكر اوضح فيها موقفه من الاجراءات التى اقدمت عليها بيرو اخيرا وقال كاسترو « اننا حاولنا ان نلتزم الحذر تجاه الاصلاحات الجارية فى بيرو ، لاننا لا نريد ان يقال اننا نؤثر على حكومة بيرو . ومن رأينا ان الحركة العسكرية فى بيرو تختلف عن نظيراتها فى البلاد الاخرى فى أمريكا اللاتينية لان عملها يسير فى اتجاه التقدم . هذا الى ان قرار تأميم شركة بترول امبريالية ، يعتبر عملا وطنيا منطويا على شجاعة » .

واعرب عن اعتقاده بأن قانون الاصلاح الزراعى فى بيرو ، قانون راديكالى ، ولو أحسن تطبيقه لاصبح قانونا ثوريا » . كما صرح فى ١٥ يوليو الماضى لمراسل وكالة الانباء الفرنسية فى اقليم اورينتى بكوبا من انه « على يقين بأن الاصلاح الزراعى فى بيرو سيؤدى الى صراع مميت بين الحكومة والاقليات فى بيرو ، واذا تمخض هذا الصراع عن ثورة فتأكدوا فى اننا سوف نساندها » .

على ان هناك تصريحا آخر لكاسترو ادلى به فى ٢٤ يوليو الماضى فى مركز جيتراس لصناعة السكر ويلقى الضوء على الاتجاه الاستراتيجى لحركة شعوب آمريكا اللاتينية ، بالنظر الى ان احدى خطط الولايات المتحدة الاساسية فى القارة هى عزل كوبا ، قال فيدل كاسترو انه يتعين على اية دولة تريد اقامة علاقات مع كوبا ان تتخلى عن الاتفاقيات التى تربطها بمنظمة الدول الامريكية ، وأوضح بالتحديد « انه اذا كانت بيرو تريد اعادة علاقاتها مع كوبا فاننا لن نرفض عرضها » .

■ ■ ■

رسالة من جنوب اليمن

أضواء على الأحداث والتغييرات الأخيرة فى عدن

مكرم محمد أحمد

فجر ٢٣ يونيو الماضى ، اذاع راديو عدن ان السيد قحطان الشعبى قد قدم استقالته من منصبه ، كأول رئيس لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، ثم اذاع الراديو بعد ذلك ان القيادة العامة للجبهة القومية التى تتكفل بمسئولية الحكم هناك قد قبلت هذه الاستقالة ، وأنها قد عهدت بالسلطة العليا فى البلاد الى مجلس رئاسة من ٥ أشخاص هم : محمد على هيثم وزير الداخلية السابق ورئيس الوزراء الان ، وعبد الفتاح اسماعيل وزير الثقافة والارشاد الاسبق والمسئول عن التنظيم الحزبى فى الجبهة ،

ومحمد صالح العولقي وزير الدفاع وعلي أحمد ناصر عنتر قائد جيش التحرير في منطقة الضالع، وسالم ربيع قائد المجاهدين في منطقة الفضلي خلال مرحلة التحرر الوطني .

ولم يتوقف راديو عدن عند حد ذلك ، وانما اذاع بيانا باسم القيادة العامة للجبهة انتقد حكم الرئيس الشعبي ، وأكد مبدأ القيادة الجماعية . وقال بيان القيادة العامة ايضا «ان قرارها قبول استقالة الرئيس قحطان وتشكيل مجلس رئاسة من خمسة أشخاص انما جاء لتصحيح الاوضاع وتثبيت سلطة القيادة العامة كسلطة عليا منتخبة من قبل قواعد تنظيم الجبهة القومية . وقال البيان : « ان النزعة الفردية نسجت نفسها عبر السلوك اليومي على كل المستويات سواء بالنسبة للسياسة الداخلية أو السياسة اليمنية ، أو السياسة العربية ، أو السياسة العالمية ، وان الاخطاء التي ارتكبت تجاه قضايا الشعب خلال عام ونصف العام من الاستقلال لم تكن بسبب عدم وضوح اهداف الثورة ، وانما بسبب النزعة الفردية التي انحرفت بالثورة عن طريقها الحقيقي الى طريق مشبع بالتصرفات الفردية التي اوقعت الثورة في مشاكل لا حصر لها » .

ثم أذاع راديو عدن بعد ذلك .. بيانا ثانيا للقيادة العامة للجبهة أعلنت فيه أن عملية التصحيح التي تمارسها الان ترتكز على اربعة مبادىء :

أولها : ان سلطة الديموقراطية الشعبية هي الوسيلة لتجنب مخاطر النزعة الفردية .

ثانيها : ان حماية ثورتي اليمن شمالا وجنوبا هي المهمة العاجلة للثورة .

ثالثها : ان تثبيت علاقات وطيدة مع البلدان العربية الشقيقة وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة وتعزيز الروابط الوطنية والقومية لهو خدمة لقضية الثورة العربية ذات الهدف والمصير المشترك ، وكذلك للاسهام الحقيقي في قضية فلسطين

رابعها : انتهاج سياسة واضحة بالنسبة لقضايا التحرر في العالم وتوثيق العلاقات مع الدول الاشتراكية الصديقة .

ذلك ما اذاعته عدن .. فما هي الحقيقة من حول ما جرى هناك اخيرا ؟

ابتداء نستطيع أن نقول أن ما جرى في عدن خلال الشهر المنصرم يمكن تفسيره في ضوء عدد من العوامل :

أولا : الازمات المتصلة التي عاشها تنظيم الجبهة القومية منذ أن تولت السلطة في الجنوب اثر الاستقلال .

ثانيا : التحالفات الاخيرة التي ربطت بين عدد من مجموعات الجبهة القومية ، هذه التحالفات التي بدت صورتها واضحة من خلال تكوين مجلس الرئاسة الجديد . التجمع الذي يقف الان على رأس السلطة في عدن .

ثالثا : الظروف العامة لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية سواء من ناحية الازمة الاقتصادية التي تعتصرها منذ الاستقلال أم من ناحية طبيعة القوى السياسية فيها ، والتي لم تستطع أن تتخلص تماما من الحس والعلاقات القبلية ، أو من ناحية علاقاتها باليمن الشمالي ، تلك العلاقات غير المنتظمة التي يسودها الهدوء نادرا ، والتوتر غالبا .

وعلى كل فان أقرب الحوادث الى أزمة رئيس الجمهورية السابق مع القيادة العامة للجبهة القومية وهي القيادة المشكلة من ٤١ شخصا وتمثل أعلى سلطة في التنظيم كانت **اقالة محمد علي هيثم وزير الداخلية** . وهي الاقالة التي أعلنها الرئيس قحطان قبل ٤ أيام من وقوع الاحداث الاخيرة .

والمعروف أن محمد علي هيثم من أقوى شخصيات الجنوب الحاكمة ليس فقط لانه المسئول عن الامن الداخلي باعتباره وزير الداخلية منذ الاستقلال ، وانما ايضا للعلاقات الوثيقة التي تربطه بجيش الجنوب ، وهي علاقات تعود الى أنه كان قبل الاستقلال حلقة الاتصال بين الجبهة القومية كمنظمة وطنية تناضل من أجل الاستقلال وبين جيش الجنوب باعتباره احدى القوى الرئيسية التي كانت الجبهة القومية تسعى الى كسبها ، حتى أنه يمكن ان يقال ان الجبهة القومية استطاعت قبل الاستقلال وخلال مرحلة صراعها على السلطة مع باقي المنظمات السياسية الاخرى — ان تكسب الجيش الى جوارها بجهد وزير الداخلية الذي بدأت علاقاته بالحركة الوطنية خلال عام ١٩٦٤ ، عندما قاد هو وتسعة من شباب المنطقة الوسطى أول عمليات الكفاح المسلح ضد الوجود البريطاني في هذه المناطق ، وقبلها كان محمد علي هيثم مدرسا في مدرسة مودي الابتدائية عاصمة ولاية دثينا .

ومن المعروف أيضا ان العلاقات بين رئيس الجمهورية ووزيرداخليته لم تكن على ما يرام ليس فقط منذ اشتراكهما سويا فى الحكم اثر الاستقلال وانما لوجود رواسب تعود الى خلافهما الدائم ونظرتهما المختلفة حول كثير من المشاكل التنظيمية خلال فترة التحرر ٠

وإذا كان ثمة ضرورة لان نقول بأن أصول هذا الصراع داخل الجبهة القومية يمتد الى مرحلة ما قبل الاستقلال ، ففى الوسع أن نقول أنه خلال سبتمبر عام ٦٥ مارست القيادات الوسطى أو قيادات الداخل ضغطا عنيفا من أجل تصحيح قيادة الثورة ٠ كان الصراع يومها يدور بين قيادات الداخل وقيادات الخارج ٠ أى بين المسئولين عن جهات القتال فى الولايات وبين الذين يعيشون خارج الحدود فى مدينة تعز اليمنية ٠ وظهر هذا الصراع الطبيعى الذى يلازم فى مرحلة ما كل جبهات التحرر الوطنى لاول مرة فى كيان الجبهة القومية خلال سبتمبر عام ٦٥ عندما اجتمعت قيادات الداخل فى شكل مؤتمر طالبت فيه قيادة الثورة الموجودة خارج الحدود بانهاء وجودها فى مدينة تعز اليمنية ودخولها الى قلب الجنوب كى تعيش الثورة المسلحة وحتى تسهم فى خلق تنظيمات المدن والقرى ٠

كانت أصول قيادات الخارج فى المجموع هى آخر أجيال حزب الرابطة القديم الذين آثروا الانسلاخ عنه عندما اتضح لهم أن الحزب ليس أكثر من مؤسسة فى خدمة أصحابه الاقلية والذين هم فى النهاية من طبقة السلاطين وكانت قيادات الداخل من جيل أحدث فى العمر كله أبعد فكرا بحكم زمانه وعصره ٠ فلقد تفتحت آراؤه خلال تجربة الثورة المسلحة عن الفكر العقائدى والتنظيمى للثورة فى العالم ٠

لم تستطع الثورة فى الجنوب أن تصفى كل صراعاتها خلال مرحلة التحرر الوطنى ٠ وعلى العكس حملت الثورة بصراعات أخرى منها صراعات ذات سمة عقائدية ٠ ومنها أيضا صراعات من طبيعة قبلية ، حتى جاء المؤتمر الرابع اثر الاستقلال وانفجر الصراع مرة أخرى من حول برنامج التحرر الوطنى ٠

بعد مؤتمر زنجبار

اثر المؤتمر الرابع المعروف باسم مؤتمر زنجبار كان يمكن أن نميز فى الجبهة القومية ٣ مجموعات :

مجموعة عبد الفتاح اسماعيل ، عضو مجلس الرئاسة الحالى ، وهى مجموعة عرفت بانها أكثر تشددا ازاء الاهداف الاجتماعية للثورة وراء قضية الوحدة الوطنية ٠ وازاء الضرورات التى يتطلبها التنظيم من تحديد للعلاقة بين الحزب والسلطة وما بين الثورة ومؤسسات الدولة القديمة المتمثلة فى الجيش والامن العام ٠

ثم مجموعة قحطان الشعبى : وهى التى تولت زمام السلطة ٠ كانت أكثر استجابة للدواعى العملية للمواقف ، وكانت على استعداد اكثر لان تظاهر مؤسسات الدولة القديمة حتى لا يقع النظام فى المزيد من المشاكل ٠

ثم مجموعة أخرى تتوسط المجموعتين : وان كانت ترى نفس الاهداف التى تراها المجموعة الاولى لكنها ترى ايضا ان الوصول الى هذه الاهداف لا يمكن أن يتم بالصدام المباشر مع هذه المؤسسات وانما بمحاولة الالتفاف حولها .. أو الاستيلاء عليها من الداخل ٠

ولقد هيأت الحوادث المعروفة باسم حوادث ٢٠ مارس ظروف الصدام بين هذه المجموعات عندما قامت احدى كتائب الجيش باعتقال عدد من أعضاء الجبهة البارزين أهمهم عبد الفتاح اسماعيل ، وعلى سالم البيض بدعوى أنهم يهدفون الى تصفية الجيش ، والامن العام ويقودون البلاد عبر نهج متطرف لايوائم الظروف الواقعية للمنطقة ٠

كان الموقف الواضح يومها لرئيس الجمهورية السابق انه اختار موقفا وسطا من هذه الحوادث ٠ وان كان قد تكشف اثر الاحداث الاخيرة ان رئيس الجمهورية السابق كان هو الذى أعطى للجيش اشارة خضراء للعمل ضد ما أسماه بالمجموعات المتطرفة ٠

على كل لم يلق موقف رئيس الجمهورية قبولا عاما من عدد من أعضاء القيادة العامة ، الذين انسحبوا الى جبل جعار وأعلنوا أنهم سوف يعملون على ضرب الوضع القائم لاقامة سلطة الحزب ، والتنظيم الحقيقية وكان ابرز المجموعات التى لجأت الى الجبل لتقود ما اسمته ثورة فى الثورة سالم ربيع رئيس مجلس الرئاسة الحالى والمعروف فى الجنوب كله باسم سالمين ٠

استطاع هذا الفريق سواء الذين لجأوا الى الجبل أو الذين آثروا الانسحاب الى اليمن أن

يحظى بتأييد واسع النطاق من جماهير الطلاب واتحادات العمال وتجمعات الفدائيين والحرس الشعبي ٠

وتمزقت الجبهة القومية بين هذه الكتل وفي النهاية أصاب الحزب نوع من الشلل ، وتوقفت اجتماعاته ابتداء من القيادة العليا ، حتى اصغر حلقاته وتركزت السلطة كلها في يد رئيس الجمهورية الى الحد الذي أصبح فيه هو كل شيء ٠ وكان الشخص الوحيد الذي ينمو الى جواره هو وزير الداخلية محمد علي هيثم للاسباب التي تحدثنا عنها انفا ٠

مجموعات الجبل تعود

غير ان ظروفا اخرى هيأت وضعا جديدا عادت خلاله الى داخل البلاد مجموعات الجبل المعتصمة في جعار ، والمجموعات التي انسحبت الى اليمن ٠

كان ذلك في مايو سنة ١٩٦٨ عندما تعرضت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية الى عمل تخريبي واسع النطاق منظم من خارج حدودها يستهدف اثارة التمرد القبلي في مناطق العوالق وردفان ٠

عاد هؤلاء جميعا ليحملوا السلاح من اجل حماية الثورة ٠ وعندما خمدت حركة التمرد في العوالق وردفان كان ايضا قد تبلور لهؤلاء أسلوب عمل جديد يختلف تماما عن أسلوب عملهم الاول ٠ كانوا ايضا قد تبنوا نظرية العمل من الداخل ٠ وكانوا قد ربطوا أنفسهم بمؤسسات الجيش من خلال قياداته الوسطى وضباطه الصغار ٠

وبدأت اجتماعات القيادة العليا من جديد ، غير ان الرئيس قحطان فيما يبدو كان قد اعتاد على اسلوب العمل المنفرد ٠ وكانت شكوكه فيما يجري من حوله تجعله أكثر تحفزا خلال اجتماعات القيادة العليا كان يشك في كل خطواتهم وعندما وافقت القيادة العليا على انشاء وظائف المحافظين اشتم من قوائم الاسماء المقترحة انهم يرتبون لانفسهم فرفض القائمة دون ذكر أي أسباب واضحة وعاد الى اصدار القوانين والتشريعات دون علم القيادة المسبق ٠

يمكن أن نقول أيضا ان التغييرات الاخيرة التي جرت في عدن واستهدفت اقصاء رئيس الجمهورية السابق كانت في جانب منها صراعا بين فكرتين أيهما أكثر الحاحا : بناء الدولة أم بناء الحزب ؟

ومثلما عبر عن ذلك احد المسئولين في القيادة العامة :

« في الحقيقة كانت لدينا مشكلتان .. مشكلة أولى مع أنفسنا مصدرها ثقافة البعض السياسية والمتقدمة على واقعنا الاجتماعي المتخلف . هذه المشكلة برزت منذ أول يوم لاستلام السلطة ٠ كان الكثيرون منا متحمسين لاسقاط مؤسسات القمع (الجيش والامن العام) في الدولة القديمة وكنا نسأل كيف يتمكن ٥٠٠ كادر من تصفية مؤسسة عسكرية لديها السلاح من ١٠ آلاف شخص ٠ أليس الافضل السيطرة عليها من الداخل ٠ خصوصا وان الجيش في الجنوب ينبغي اعتباره ضمن المؤسسات الوطنية للدور الهائل الذي قام به كثير من عناصره خلال مرحلة التحرر الوطني ٠

« كان في الامكان اذن أن نتجه بالجهد المنظم تجاه قواعد الجيش ٠٠ لتبقى قياداته في النهاية حلقة في الفراغ ٠ كان هؤلاء يريدون في الحقيقة أن يوطدوا فورا وبالصراع سلطة التنظيم في الدولة ــ ولم يكن التنظيم خاليا من المشاكل ٠

« لم يكن هناك توجيه فكري مركزي موحد ٠ وكان هناك الحس القبلي . وكان هناك الاحساس بالزهو لانهم أجلوا الانجليز عن أرضهم بالرصاص ٠ وكانت هناك أيضا المشاكل المترتبة على بنية افرادنا الخاصة . ذلك ان اعتماد أسلوب الكفاح المسلح كان له أثره دون شك في اختيار العناصر التي ارتبطت بالجبهة القومية وهي عناصر الغالبية منها ذات ثقافة محدودة ، والاقلية منها ذات ثقافة تسبق واقعها الاجتماعي ٠

لكن هذه المشاكل ما كان يمكن أن تبرز على هذا النحو لولا مشكلتنا الثانية مع رئيس الجمهورية السابق : ٠

المسئولون في عدن يرون ان رئيس الجمهورية السابق كان يريد ان يوطد سلطته على حساب اضعاف التنظيم ■

كانت هناك لجنة تنفيذية المفروض انها مخولة من القيادة العامة بسلطة التشريع ، لكنه كان يصدر القوانين وحده. كانت اجتماعات القيادة العليا تظل فى انتظاره ساعات طويلة تصل الى نصف النهار. لم يحدث أن حضر اجتماعا واحدا للقيادة العامة منذ أن تولت الجبهة القومية السلطة دون أن ينسحب منه ويقدم استقالته .

عوامل الازمة تنفجر

وعندما أعلن السيد قحطان الشعبى اقالة وزير الداخلية كان من الواضح أن كل عوامل الصراع تتهيأ نحو انفجار الازمة .

لم يستطع فيما يبدو رئيس الجمهورية أن يورد أسبابا مقنعه لاقالة وزير الداخلية .. عندما سأله أعضاء القيادة العامة .. خصوصا وان الاقالة ليست من اختصاص الرئاسة وانما هى من حقوق القيادة العامة باعتبارها أعلى سلطة فى الدولة .

قال رئيس الجمهورية فى مبرراته ان الاقالة تمت بناء على طلب من رئيس الوزراء السابق فيصل عبد اللطيف لان وزير الداخلية سمح لنفسه بأن يراقب عددا من أجهزة التليفونات فى عدن كما انه أرسل رجالا من الامن العام فى مهمة خارجة المنوط بها جهاز المخابرات التابع لرئاسة الجمهورية ..

على كل تطورات الاحداث نحو النهاية عندما طرح أحد أعضاء القيادة العامة اقتراحا يقضى باصدار قرار بعودة وزير الداخلية الى منصبه والذى كان هو الاخر قد رفض تنفيذ الاقالة . ولم يجد رئيس الجمهورية بدا من أن يقدم استقالته التى قبلتها القيادة على الفور .

والان ماذا يرونه فى مستقبل بلادهم بعد التغيرات الاخيرة ؟

الحقيقة أن رئيس مجلس الرئاسة فى عدن قد أوضح اتجاهات الوضع الجديد فى عدن عندما قال ان الكثيرين كانوا يتوقعون منا اتجاها أكثر تطرفا باعتبار ان السلطة تضم الان مجموعة الجبل وهى المجموعة التى أعلنت تمردها على خط الرئيس قحطان الشعبى واعلنت عن عزمها على احداث ثورة فى الثورة ولكن الذى يحكمنا هو واقع الجنوب ولا شىء سواه .

قال أيضا ان توجهنا لحل المشكلة الاقتصادية لن يأخذ طابع التأميمات ولا التعديلات الجديدة التى كانت مقترحة لقانون الاصلاح الزراعى ولكننا معنيون بأمرين اثنين : استغلال اوسع لامكانيات التوسع الزراعى فى الاراضى القابلة للزراعة [مليون فدان] ، ثم استثمار علمى لمصايد الاسماك الوفيرة فى ساحل حضرموت .

على كل فالامر المؤكد أن السلطة الجديدة فى عدن قد تمكنت تماما من منظمة الامن العام بفضل جهود محمد على هيثم عندما كان وزيرا للداخلية وهى منظمة للامن تعدل منظمة الجيش ويبلغ عددها (١٠ آلاف فرد) وذلك عندما أسند المناصب القيادية فى هذه المؤسسة الى أعضاء من تنظيم الجبهة القومية الامر الذى اقتضى تغيير عدد يقرب من ١٥٠ ضابطا أحل مكانهم عناصر مسئولة ممن كانوا قيادات فى جيش التحرير .

ومع أن مثل هذه الفرصة لم تكن مواتية فى مؤسسة الجيش لكن الواضح أن السلطة الجديدة استطاعت أن تضم الى جانبها معظم القيادات الوسطى والصغيرة حتى ان القيادات العليا لم تجد أمامها ما تستطيع كرد فعل للتغيرات الاخيرة التى جاءت الى الدولة بالعناصر التى واجهها الجيش فى حركة ٢٠ مارس .

وفى الحقيقة أيضا فان الجيش قد تعرض لموجة استقالات جماعية من الذين آثروا الانسحاب من الموقف كنوع من عدم الرضى على التغيرات الاخيرة . وكان الخطر الحقيقى فى ان هذه الاستقالات كانت تضم بالفعل أعلى القدرات القتالية فى جيش الجنوب . لكن السلطة الجديدة عالجت الموقف وما زالت تعالجه بقدر كبير من الحذر والتعقل وذلك ما يعطيها الامل الكبير فى أن تكسب الجيش الى جوارها . والمعروف أن عدد الاستقالات والتى كانت قد وصلت الى أكثر من ١٥٠ استقالة قد انخفض الى نطاق ٨ استقالات هى التى تم قبولها .

ومع كل ذلك فسوف تبقى المشكلة الاقتصادية والمالية للجنوب مشكلة الحكم الاولى والاساسية .

مكتبة الطليعة

شهادة للشعر الأمريكي

■ تأليف : مجموعة من الشعراء الامريكيين

■ عرض وتحليل : غالي شكري

عندما تدخل القصيدة عين او اذن انسان ما ، فانها تكف عن ان تكون نقاط حبر على قطعة ورق ، وتلج وجودا جديدا في حياة الاخرين. هذا هو ما يحدث الان في الولايات المتحدة .. بهذه الكلمات قدم **ولتر لوينفيلز** مجموعة الشعر الامريكي المسماة «**أين هي فيتنام**» التي نقلت عنها واختارت منها مجلة «شعر» اللبنانية عشرين قصيدة وصفها **سركون بولص** وصفا دقيقا حين قال « حرب فيتنام بالنسبة للشعر الامريكي منقذ رسمي . فهنا الجرح البشري الاكبر الذي تصب فيه الالام جمعاء ».. والحق ان هذا الوصف الدقيق يكتسب معناه الحقيقي لدى المتابع الدؤوب لتطور الشعر الامريكي . ذلك أن هذا الشعر منذ نشأته الاولى - أي باستقلاله عن دوحة الشعر الانجليزي - يعاني ولايزل كثيرا من العقد ، سواء في ابنيته الفنية أو أخيلته الفكرية .. ويكاد يجمع النقاد ومؤرخو الادب على ثلاث ملاحظات رئيسية في هذا الصدد : أولاها أن الولايات المتحدة أشبه ما تكون بقارة واسعة تتفاوت فيها من جزء الى آخر طبيعة الحياة ، وهي بذلك تتضمن مادة فنية لا

تنفد من الفن . وثانيها أن الولايات المتحدة أشبه ما تكون بنبات شيطانى من الناحية الحضارية ، فهى لاتكاد تمد جذورها حتى تصطدم بالاصول الاوروبية التى تفرعت عنها أو بالاصول الزنجية التى سحقتها . والملاحظة الثالثة هى ان الولايات المتحدة بلد المتناقضات الحادة بين الثراء والفقر ، والديموقراطية والدكتاتورية ودعوات السلام والعنف الدموى والنظام المتكامل والفوضى المخيفة . على أن الاشارة العاجلة الى « **العنف الدموى** » لا تنال أهتماما يذكر من جانب المؤرخين والنقاد ، وبخاصة الامريكيون منهم ،بينما يعد هذا العنصر فى تقديرى من أخطر العناصر التى كونت الوجدان الامريكى على مر العصور والاجيال . ذلك انه الجذر « **الحضارى** » الواضح المعالم فى كيان الامة الامريكية ، كما أنه المؤشر «الحضارى» الواضح المعالم لمعظم المآسى والكوارث التى سببتها لنفسها ، او تسببت فيها للاخرين . ولا سبيل الى تفسير العنف الابيض أو العنف الاسود المضاد فى الحياة الامريكية الا على أنه « **الحصاد المر** » للتراث الحزين ، تراث الجماهير البروتستانتية المضطهدة فى اوروبا ، وقد فرت الى « **العالم الجديد** » تكتشف الذهب وتبحث عن الامن وتفرغ عذابها فى المطاردة الدموية لسكان الارض الاصليين . هكذا كانت سنوات « **الفتح** » بمثابة البذرة الاولى لكابوس « **الحرب العنصرية** » التى رافقت التاريخ الامريكى ، جنبا الى جنب رد الفعل الطبيعى : النضال من أجل الديموقراطية .

وبينما استطاعت الرواية الامريكية أن تحرز استقلالها القومى عن الادب الانجليزى بأن عكست آلام الحضارة الوليدة ، وواكبت — مع المسرح — أحزانها ، فقد ظل الشعر فى أروع نماذجه معبرا عن « امريكية » الحضارة سواء كان تعبيرا ثوريا حرا كما هو الشأن فى **وولت ويتمان** ، أو تراثيا أصيلا كما هو الحال فى **روبرت فروست** ، أو مناضلا اجتماعيا كما هو الامر مع **هارت كرين وأودن** ، او مناضلا روحيا كما نلاحظ على **روبرت لويل** . أولئك جميعا ، كان شعرهم يتوسد التراب الامريكى ويلتحف بالسماء الامريكية ، فقد كان الذى يعنيهم أولا وقبل كل شىء أن يكونوا شعراء امريكيين فى القلب والروح ، ان يحققوا الذات الامريكية المستقلة عن الذوات الاوروبية الاخرى ، وفى مقدمتها الذات الانجليزية . ولقد نادى معظمهم بالمساواة بين البشر ، بل وكان بعضهم ماركسيا ، ولكنهم فى غالبيتهم لم يصلوا بالشعر الى مستوى الرواية — ومن بعدها المسرح — فى تجسيد الجوهر الحزين الدامى للحضارة الامريكية. هذا الجوهر الذى يطل بعينيه على طول التاريخ الامريكى : فى حروب الجنوب العنصرية ، فى المكارثية ، فى القاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكى ، واخيرا فى الحرب الفيتنامية عبر سلسلة طويلة من الحروب الاستعمارية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

ولكن فيتنام من بينها جميعا تبرز فعلا « **كمنقذ رسمى** » للشعر الامريكى من حالة العقم والبوار التى كاد أن يتردى فيها بعد الحرب العالمية الثانية : ها هى ذى امريكا تلطخ بالوحل والعار كافة « **الانتصارات** » التى تغنى بها الشعراء من القرن الماضى لاثبات « امريكية » الولايات المتحدة . ولكن الوجود الامريكى لم يعد فى حاجة الى براهين ، والكينونة الامريكية لم تعد بحاجة الى بطاقة هوية . وانما أضحت القضية المطروحة للبحث هى « التقييم » . وجاءت الحرب فى فيتنام معيارا ناضجا لهذا التقييم « الشعرى » الذى تجىء مجموعة قصائد « **أين هى فيتنام** » أروع تسجيل له . والشاعر الامريكى يجد نفسه حقا فى موقف حرج ازاء فيتنام . أكثر حرجا من الموقف ازاء مأساة الزنوج او المكارثية « **داخلها** » الولايات المتحدة ، أو القنبلة الذرية الاولى « خارجها » .. ذلك أن التراث الامريكى — وان لم يكن شعرا — قد حفل بالاعمال المعادية للحرب العنصرية ضد السود ، والاعمال الحانية على ملايين الضحايا من اليابانيين . ولكن هذا التراث خلا بغير شك — شعرا ونثرا — من متابعة العنصرية الامريكية ، متابعة الجذور الغائرة فى الاعماق الدامية منذ الفتوحات الوحشية للارض الجديدة . فالحق ان هذا « **المركب** » الحضارى من أهم العوامل المؤثرة فى تفسير الفتوحات الامريكية الجديدة للاراضى القديمة ، الصفراء والسوداء . ولكن فيتنام أفلتت من الحصار الدعائى للمخابرات المركزية ، واحتلت مركز الضوء من اهتمام — وهموم — الانسان المعاصر فى كل بقعة من عالمنا . واصبح الضمير الامريكى مهددا بالضياع والانهيار اذا تخلف عن التقاط الصدى المروع لصوت الضمير الانسانى العام . ولم يعد كتاب مثل « **أمة من غنم** » أو « **الامريكى القبيح** » بكاف ان يعد فى نظر البشرية المعاصرة مرآة حقيقية للضمير الامريكى المعذب . لقد أمست فيتنام خامة فكرية وفنية لعديد من الاعمال الادبية العظيمة فى التاريخ الحديث ، كتبها شعراء وروائيون ومسرحيون من شتى الامم والاجناس . ولكن فيتنام فى الادب الامريكى لا ينبغى لها أن تكون هى نفسها فيتنام فى الاداب العالمية الاخرى ، ذلك أن أمريكا طرف فى المأساة . ومن هنا يزداد موقف الشاعر الامريكى حرجا لانه يعبر فى النهاية بلسان الطرف العدوانى . ولا اعنى باللسان موقف السلطة السياسية ، وانما قصدت به ذلك التاريخ الطويل من الوعى واللاوعى الرابض فى أدغال النفس والمترسب فى حنايا الضمير . أى اننا لا ينبغى ان نتوقع من الشعر الامريكى — وسط هذه الظروف مجتمعة — ان يتخذ موقف المقاتل

الفيتنامي ، ولا حتى موقف الانسان العادي في أي مكان . هذا الشعر الذي انشغل طويلا بتحقيق الذات الامريكية ،يصل الى اعنف درجات المعارضة بالتحقيق مع هذه الذات . ولكن هذا التحقيق — حتى لا نفاجأ بنتائجه — ينتهي بتعليق الحكم الى أجل غير مسمى ، واذا افلت الحكم من شاعر فانه يصدر غير مشمول بالنفاذ . أقول ذلك مقدما لاضم صوتي مع المتسائلين : الى أي مدى يمكن ان ندرج هذا الشعر في ادب المقاومة ؟ ولكني اجيب نفسي احيانا بأن « امريكا في قفص الاتهام » الامريكي أمر له قيمته في شحنة اسلحة النضال الفيتنامي أمام الرأي العام العالمي ،فلاريب ان الاتهام في ذاته « اعتراف » بأن ثمة خطأ جوهريا في تمثال الحرية القابع عند مدخل نيويورك . أي ان يقظة الشاعر الامريكي المفاجئة من سبات الالحاح على الذات الامريكية التي تضخمت للدرجة التي تهدد ذوات الاخرين ، هي الحد الاقصى لما يمكن ان تصل اليه صرخة الشعر في الولايات المتحدة . ان هؤلاء الشعراء يصوغون التعبير الفني الامثل عن مظاهرات الاحتجاج الدامية وتمزيق بطاقات التجنيد ، ولا تتجاوز هذه الخطوة الى ما هو ابعد منها ، خطوة « التظـاهـر » ورفض « المنطق العسكري » . ولاريب أنها خطوة هامة من أجل السلام ، تندرج في باب المقاومة الذاتية ، كبديل للحرب في حل المشكلات الدولية . وهي الوجه الاخر للحرب في حل المشكلات الداخلية ، سواء كانت حربا طبقية او حربا عنصرية .

لذلك يحتفل الادب « **الانساني** » بهذه الباقة من الشعر الامريكي « **اين هي فيتنام** » فانسانيتها لا تقف عند حدود **هارييت بيتشرستو** في « **كوخ العم توم** » ولا عند حدود ايفيل مانين في « **الطريق الى بئر سبع** » ، فليست القضية هنا ان كاتبة بيضاء تدافع عن السود أو ان كاتبة انجليزية تدافع عن العرب . . وانما القضية هنا هي الدفاع عن امريكا ضد امريكا من ناحية ، والدفاع عن الانسان ضد الانسان من ناحية اخرى . لهذا تكاد تتحدد اتجاهات هذه المجموعة من القصائد في الشعور بالذنب وخيبة الأمل وتصوير الوجه الاخر لامريكا واعتبار المشهد الخارجي كمرآة للمشهـد الداخلي والسخط عـلى افراد بعينهم كممثلين للنظام .

والاحساس بالذنب هو الشعور والفكر السائد على قصيدة « **اعتراف** » **لمورتون ماركوس** ، وفيها يصور مأساة الجندي الامريكي التي تعادل مأساة الشهيد الفيتنامي :

كيف لي أن أقول
بأنني قاتل ؟
انني أجرجر ظلي
وكأنه كيس
ملىء بأجساد منبوذة

يزاوج الشاعر بهذه المقدمة بين التعبير المجرد والصورة الحية ، ذلك ان السؤال المطروح في البداية ، مجرد بطبيعته ، ولكنه التجريد المحمل بأثقال الاجابة . . فهو ليس سؤالا بريئا من الذنب ، ولكنه استنكار لان يكون مجرد قاتل . هو قاتل ،أجل ،ولكنه ليس ككل القتلة الذين لاظلال لهم ، انه « يجرجر » ظله الثقيل الذي لو تفحصناه لن نجد فيه أثرا لصاحبه ، وانما نجده ظل الاجساد التي اغتال ارواحها . هذا لون من الوان التوحد بين القاتل والقتيل ، يصبح فيه الذنب معادلا موضوعيا للشعور به . أنه — هذا الجندي الامريكي — هو القاتل والقتيل معا . بعد المقدمة يفتح « الكيس » المعلق في ظله ، ويقدم لنا كشف حساب الدم . على غير هذا النحو تعالج الشاعرة **اليزابيث بارتليت** احساسها بالذنب ، فتستعير من التوراة صورها واحيانا الفاظها :

حسنا ، ان الشيوخ احلامهم وللشبان
رؤاهم ، لكن ذلك اليوم لن يعود ثانية
حتى تسقط الجبال ، والتلال
تدفننا ، ان كانت لاتزال هنا
لقد رأيت أرضا خضراء تتحول الى ملح
وديدانا تتعفن تحت مدارات ، بينما البشر
يناقشون شروط السلام .

انها هنا تختتم القصيدة بهذا التعبير المجرد ، بعد ان نسجتها من هذه المجسدات الحية التي لا تلتقط صورة واقعية ما ، ولا تنفرد بنمط فردي معين تصب عليه اللعنة والعذاب . . وانما هي تختار الصورة الشاملة للضحايا والصورة المقابلة لالهة الدمار ، والصورة البديلة للصورتين هي الملح بدلا من الارض الخضراء . لاتلجأ الشاعرة الى الجزئيات ، وانما الى الكليات القريبة من سفر الامثال ومزامير داود .

ونحن لا نكاد نجد تقليدا في الشعر الامريكي يمكنه ان يرفد مثل هذه الاشعار برافد الاحساس بالذنب على هذا النحو المخيف ، حتى هيروشيما لم تخلف هذه الحدة في تمزيق النفس ونهش الذات ، وهذه المرارة في «تجسيم» الكارثة المعنوية التي حاقت بالفن الامريكي . وقد تخصص شعراء آخرون في تفصيل الازمة بتجاوزهم لعذاب الضمير الى مرحلة الابلاغ عن « الجريمة » بابراز مشهدها ابرازا دمويا صارخا . وتأتي قصيدة « **موعظة النار** » للشاعر **هاري لويس** في مقدمة المشاهد التي ابرزها الشعر الامريكي « للجريمة » في

فيتنام . يستلهم الفنان تفاصيل الصورة من الراهب البوذى وهو يحترق ، ولكن النار لا تشوى جسدا فحسب ، وانما هى تعانق الروح فى « رؤيا » الشهادة . والنار فى الميثولوجيا الدينية رمز الولادة الجديدة ، كما انها فى الرمز المشترك بين العنقاء والفينيق وتموز رمز البعث . ولكنه ، عن أى ميلاد وأى بعث ، يتحدث الشاعر :

الجسد يحمل اللهب ويتحرك
الى خارج الكون
صلاة تغنى
على شفاة محترقه
الاشجار تراقب ولكنها لن تحترق

ان الراهب — كفيتنام — يحترق ، ولكنه لايموت ، يتحلل الجسد الى رماد ، ولكنه — كفيتنام — لا يفنى . والشاعر لا يتركنا حيارى ازاء هذه الاشارات التى تبدو للوهلة الاولى غامضة ، فالراهب البوذى هو فيتنام ، والنار هى المقاومة البطولية لشعبها ، والاشجار التى لا تحترق هى الوف المقاتلين من شباب فيتنام .

شبان يدخلون الغابة
شبان ينتظرونهم — شبان تحولوا الى اشجار
يرقب الاشجار يطعن بعضها البعض الاخر
يصنع احدها ثقوبا فى الاخر
يضيف احدها الاخر الى الاموات
رؤيا لا يمكن ان يحملها غير اللهب

يركز الشاعر على صورة البطولة بشقيها : الاول هو ذلك الاحتجاج النارى ، والاخر هو الاحتجاج الدامى ، نيران الراهب المحترق ودماء المقاتلين الشهداء ، تمتزج فيما بينها لتصوغ هذا اللون الفريد من الوان البطولة الفذة فى مواجهة « الجريمة » الوحشية التى تزيد اللهيب لهبا والدماء دماء ، وليست مقاومة الراهب المحترق بأقل ضراوة من مقاومة الشباب المقاتل ، بل هما يتكاملان فى وحدة واحدة اسمها فيتنام . الراهب فى موعظة النار — يمثل صورتها الاسطورية البعيدة كل البعد عن اسلوب العصيان المدنى ، والاشجار الدموية تمثل الصورة الواقعية القريبة كل القرب من معنى الاستشهاد . فالبوذى المحترق ليس عنوانا فرديا للمأساة ، وانما هو ايجاز مركز لبشاعتها .

ويضيف **دنيس لفيرتوف** بعدا جديدا « للمشهد » بمجموعة من الاسئلة والاجوبة عنوانها « **كيف كانوا ؟** » ، وهو على النقيض من **هارى لويس** لا يستخدم الصورة المليئة بالخطوط والالوان والظلال ، وانما هو يباشر القول المجرد فى اروع اشكاله غير التقريرية . والبعد الجديد فى مشهد « الجريمة » كما تخيله دنيس ان طبيعة الشعب الفيتنامى تتنافى مع غريزة القتال حقا ، ولكن طبيعة الحرب الوحشية تكسبهم الحق الدموى فى الدفاع عن النفس . والاسئلة جميعها تبدأ بالفعل الماضى « هل كانوا » والاجابات جميعها تشير الى التحول الخطير الذى يضيف الى دوسيه البشرية حيثيات جديدة لادانتها :

هل كانت لهم قصيدة بطولة ؟
لا يذكر ذلك . تذكر ،
كان اكثرهم فلاحين ، وحياتهم
كانت فى الارز والباميو .
حينما كانت الغيوم المسالمة تنعكس فى الترع
وثور الماء يخطو بأمان عبر الشرفات ،
ربما كان الاباء يسردون على أبنائهم
حكايات قديمة
أما حينما حطمت القنابل المرايا
فلم يكن هناك وقت الا للصراخ

مثل هذه الصور تجرد الوجدان الامريكى من سلاح الدعاية العنصرية ضد الشعب الفيتنامى ، لانها تبرز الوجه الانسانى العميق لهذا الشعب ، يقابله على الطرف الاخر ، الوجه القبيح لامريكا ، وهو الوجه الذى تخصص **جيمس وكى** فى تبين ملامحه وتأكيده فى « **القذف بالقنابل** » :

صوب الآلات
الى الاسفل ، والشفرات الثمانى تتأوه
للحظة التى تربط فيها السقوف
نيرانها ، وتصنع بلدة تحترق بها
النار الامريكية

أما الشاعر **روس تيدلر** فيقدم مشهد الجريمة على نحو مختلف ، فقد تقمص شخصية الجندى الامريكى لا فى لحظة الانكسار ولا فى لحظة الانتصار ، انما فى لحظة الرقيب على النفس . الرقيب الذى يحصى مشاعره وهى تعكس ما يجرى امامه ومن حوله فى غمضة عين وانتباهتها ، على ضوء الشر المسمى بالنابالم . على أنه وهو يرصد مشهد الجريمة لايستخدم الضمير المفرد ، وانما يستخدم ضمير الجميع :

بحثنا جميعا عن بعض الوسائل
للاحتفال بأنفسنا
وايماننا أقوى من مخاوفنا ،
ويأسنا ملتهب
ومحمول على أنه مشاعل

هكذا يقدم صورة مزدوجة الدلالة عن لحظة القدرة على سحق الاخرين ، ولكن الاحتفال بالنفس — وليس الاحساس بالذنب — اذا كان يأسا ملتهبا فيظنه البعض « مشاعل » ، فان سحق

الاخرين لن يكسب الفم طعم الانتصار ، وانما يكسبه طعما مرا مأخوذا من جسم « الجريمة » .

هذا الرجل ، العارى تقريبا ،
بماذا يفكر
عندما يسمع طائراتنا
وتحت الاوراق الثقيلة
يظهر النور وينشطر نفسه
بين الاشجار وينتشر
المساء فوقه

هذا الرجل ليس هو الراهب البوذى المنتحر احتراقا ، وانما هو البطل الفيتنامى المستشهد فى مقاومة هذا الرقيب على النفس . اذا كان الاول قد سكب على نفسه غازا مشتعلا ليقول « لا » بصوت مسموع ، فان الاخر لم تتح له قوى الشر الامريكى فرصة الاحتجاج الاختيارى ، وانما اعطته فرصة الاستشهاد الاضطرارى حتى :

ان ذهنه ، قائم بالالم
بينما هو يحترق ،
لا يستطيع ان يتذكر ،
لا يستطيع ان يتذكر
لماذا هو يجرى ،
مضيئا الارض بالالم

فاذا جمعنا صورة البطل الاسطورى المحترق فى نيران الولادة الجديدة ، جنبا الى جنب السقوف التى ربطت بينها النيران فتحترق البلدة كلها تحت عنوان « صناعة امريكية » ، وكذلك الرجل العارى الذى فقد ذاكرته قبل ان يتساءل « لماذا ؟ » .. فاننا نضع ايدينا على تفاصيل هذا المشهد المروع الذى قدمه الشعر الامريكى وثيقة ادانة «للانسان» الامريكى سواء كان يرتدى بذلة عسكرية فى ميدان القتال ، او يرتدى بذلة مدنية فى احد شوارع المدينة التى يشمخ عند مدخلها تمثال الحرية ،ولكن مشهد « الجريمة » فى ذاته هو مشهد خارجى لاتكتمل دلالته المأساوية الا بالمشهد الداخلى الذى جسده خير تجسيد الشاعر **روبرت لويل** . ولم يكن روبرت فى قصيدته « **خريف ٦١** » مجرد شاعر احدى المناسبات الدامية التى تصرخ من هولها الانسانية جمعاء ، فهو شاعر له رصيده عند القارىء الامريكى فى تشخيص الادواء الخفية فى بنيان الحضارة وجذورها . فى قصيدة قديمة له عنوانها «**ابناء النور** » كان يردد محزونا :

آباؤنا انتزعوا الخبز من الخشب والحجارة
وسيجوا بساتينهم بعظام الهنود

وفى قصيدة اخرى عنوانها « **الموتى فى أوروبا** » يصيح بقلب موجوع :

بعد ان افرغت الطائرات ركابها ، سقطنا
مقبورين معا ، نساء ورجالا اعزابا ،
لاتاج من شوك ، لا حديد ، لاتاج لومبارديا،
لا حراب مسنونة مصوبة الى السماء
كانت تستطيع انقاذنا . اقيمينا أيتها الامم ،
سقطنا
هنا بعضنا فوق بعض ، فى النار المحصلة
ارضنا المقدسة فى ايامنا كانت لعنتنا

ومعنى ذلك ان روبرت لويل — هذا المناضل الروحى العظيم — لم تفته لحظة واحدة تلك الابعاد الخافية عن العين الامريكية المتورمة فلا ترى ابعد من انفها. ان من القلة النادرة التى ادركت فى وقت مبكر ذلك الجذر اللعين ، حتى انه يرى الروح الامريكية وقد تحجرت على اعتاب الوحشية والفتح والافتراس فلم تعد روحا حقيقية ، وانما هى فى واقع الامر تمثال خشبى للروح يسكنه الجد القديم . ومرة اخرى يستعير الشعر الامريكى من التوراة ، فهنا صورة طبق الاصل من الحكمة العبرية القديمة التى يثأر فيها الله من الاباء فى الابناء والاحفاد حتى الجيل الثالث والرابع من « مبغضيه » . يقول روبرت لويل فى اروع مقاطع « خريف ٦١ » :

ان ابا ما ليس درعا
لطفله
اننا مثل كثير من العناكب
البرية تبكى معا ،
لكن بلا دموع

فاذا كان الاب غير حام لطفله وحفيده من ضراوة المأساة « الوراثية » ، فان لويل يمزق الى الابد ذلك الشعور الكاذب بالذنب ،لان الشعور الحقيقى بالذنب هو الكف عن الاستمرار فى الجريمة .. أما البكاء جنبا الى جنب صوت القنابل ، فانه بكاء بلا دموع ، لا قيمة له ، واذا كانت « الجذور » فى باطن الارض هى التى تغذى الاغصان والفروع بعصارة العنف الدموى ، فان هذا العنف فى فيتنام ليس الا وجها آخر للعنف داخل الولايات المتحدة . من هذه النقطة ينطلق الشاعر **سان جيرود** فى قصيدته « **فيتنام فى شيكاغو ١٩٦٥** ». ونحن لا نكاد نفرق فى المقطع الاول من القصيدة ما اذا كان مشهد الجريمة فى شيكاجو أم فى فيتنام ، حيث :

انف كل انسان اسود من الخوف ،
يفتح الجنرالات أجساد الاطفال المحترقة
كرسائل مخرمة الأطراف من الوطن ...

والاغلب ان الشاعر يزاوج بين فيتنام وشيكاغو ، لان المقطع الثانى يصرح بهذه العلاقة الوثيقة بين المشهدين ، فميدان القتال مشترك ، واذا كان الفيتناميون هم الذين يلقون مصرعهم فى جنوب شرق اسيا ، فان حظ الامريكيين لا يقل عنه سوءا فى قلب الولايات المتحدة .

أوه ، انه من السهل ان نجد
فيتنام فى شيكاغو .. فى هذه الشوارع
الســـاطعة حيث ترقد دموعنا
متعفنة ، اننا ما قد ضاع (أطرق على
ظلك لنسأل الطريق الى البيت من الموت)

واذا كانت النار فيفيتنام بمثابةالولادة الجديدة لشعبها ، فماذا يكون الامر بالنسبة للنار فى شيكاغو ؟ يعى الشاعر هنا وعيا مأساويا حادا الفرق الهائل بين رمز النار هنا ورمزه هناك . هنا النار تأكل نفسها ، تأكل الجسد والروح معا، وهناك تأكل الجسد لتبقى على الروح . بل ان النار فى شيكاغو هى فى أحيان كثيرة تبدو كرد فيتنامى طويل المدى على قاذفة القنابل الامريكية، حينئذ يندمج الحزن على فيتنام بالحزن على امريكا اندماجا يعزف الاسى فى موســـيقى الشـــاعر التراجيدى العنيف :

تموت الضحايا فى المكانين كليهما
بنفس الشكل . ولكن ، على الاقل فى فيتنام
الموت هو الموت .. هنا فى هذه المدينة
اللاملوثة الفولاذية العفيفة البرجية البيضاء
الاسمنتية الزجاجية ،
الموت هو النبت الاصلى ! الموت هو الحياة،
مغنطيس أخضر .

ويعكس هذا الشعور الحاد الشاعر **أملان كانزمان** فى صورة أخرى ، هى انه ــ مع الوعى النافذ بأبعاد المأساة كلها ــ ماذا يستطيع ان يفعل ، وهو لا يختلف عن الاسير الفيتنامى الا فى ان الاسير بطل مقـــاومة ، أما الامريكى فبطـــل الاستسلام « **من اناشيد الى ريح الشرق** » :

يصرخ طالبا النجدة . انهم يقتلون
بلادى وليس هناك ما يمكننى فعله
أسير وترتفع خيول من الارض
فتدهشـــــنى

ويصبح ــ من ثم ــ النضال الفيتنامى ضـــد العسكرية الامريكية نضالا مزدوجا . من أجل فيتنام ، ومن أجل امريكا فى وقت واحد ! هكذا ينبغى ان يفهم الامريكيون حقيقة ما يجرى على الارض الصفراء ، انها معركتهم ، ولكن الشهيد الفيتنامى يحمل النير كله عنهم. بينما ينظر الشاعر **لويس سمبسون** للقضية نفسها من زاوية اخرى، من زاوية شخصية جدا ، هى زاوية الدم الازرق المراق على ارض غريبة ، فهو يرى الخسارة الامريكية افدح من الخسارة الفيتنامية ، ولكن من زاوية الجزع على المصير الامريكى المزدوج :

بينما انظر الى الشارع
ذات يوم مشمس نموذجى فى كاليفورنيا
فان بيتى هو الذى يحترق
واحبائى هم الذين يرقدون فى المجارى
عندما يدخل الجيش الامريكى
فى كل يوم استيقظ بعيدا
عن حياتى ، فى قطر أجنبى

وهذه النغمة رغم سلبيتها فانها تقدم رمقا ايجابيا فى انه ليس من مصلحة امريكا ــ على اية حـــال ــ ان تتخصـــص فى الغزو والفتح الامبراطورى فى القرن العشرين ، وهذه النغمة ــ من ناحية ايجابية اخرى ــ هى بداية « خيبة الامل » التى سادت على الوجدان الامريكى الذى كان يحلم بالمجتمع «العظيم» ، هذه الخيبة المريرة هى التى تسيطر على قصيدة **روبرت بترسون** « **عزيزتى امريكا** » :

لم تعودى ارض الاحرار
وبيتك لم يعد الباب الذهبى

على ان هذه الخيبة المريرة كثيرا ما يمتص صداها السخط على افراد بعينهم ، يمثلون النظام حقا ، ولكنهم « افراد » فى نهاية الامر ما يصيبهم من « سخط » قد لا يمس النظام فى جوهره . تقول الشاعرة **نان بريمر** فى قصيدتها « **جناز خماسى الايام الى فيتنام** » :

انا التى لست بينى وبين الصلاة آلهه
أجد نفسى أتمتم يارب ، اصعقهم
حتى المـــوت

أما الشاعر **روبرت بلاى** فيذكر « راسك » بالاسم فى « **عروض سلام آسيوية** » فتقل قصيدته اهمية عن القصيدة القديمة « امبراطور الايس كريم » للشاعر والاس ستيفنز . فى هذه القصيدة لا يفصح الشاعر عن اسم احد حتى يعمم صفاته على كل من يأنس فيه القارىء هذه الصفات ، فالبطل هنا اقرب الى « النمط » بينما الاسم **ينفى** صفة النموذجية . يقول ستيفنز مثلا :

نادوا ذا العضلات القوية
ذاك الذى يلف السيجار الكبير ،
واطلبوا اليه ان يخفق
فى اوعية المطبخ خثارات شهية
ودعوا الفتيات يتسكعن فى اثواب
اعتدن لبسها ، وخلوا الفتيان
يحملوا الازاهير فى جرائد الشهر الماضى
وضعوا حدا للتظاهر العقيم
فالامبراطورالوحيد هو امبراطور الايسكريم

هنا تأخذ القصيدة أبعادا ودلالات أعم من ذكر اسماء بعينها تنتفى اهميتها حين ينتفى الغرض

منها بالاقالة او الاستقالة ، اما الاختفاء عن حلبة العمل السياسى أيا كان سببه . وتبقى المأساة « متوارثة » فى الاسماء التالية بغير ان يسمع الرب الى صلاة نان بريمر اليتيمة ، وبغير ان ينال منهم قول روبرت بلاى ان رجالا مثل راسك ليسوا من البشر . ان اقرب القصائد الى روح والاس ستيفنز قصيدة « **نثر الزهور** » **لجورج هتشكوك** التى يبدأها بكلمات جونسون « ان حكمنا الافضل والمقرون بالصلاة بأن الهجوم الجوى جزء ضرورى من الطريق الاكثر توكيدا التى توصل الى السلام » ويختتمها بقوله :

والان فى كراسيهم القصب الشيوخ
الذين يصغون الى ريح الرصاصات
المرة ، يفردون على افخاذهم
خرائط ، محافظ اوراق ، اساطير من شعر ،
وصورا فوتوغرافية لفتيان آسيويين سمر
يتحللون منذ الان فى الماء المحطم

ويتخذ الشاعر **ايتل عدنان** من هذا البيت الاخير صورة رئيسية فى قصيدة كاملة عنوانها « **انجيل العدو** » تكشف الوجه الانسانى للمأساة على لسان مناضل فيتنامى شهيد يهدى اجزاء جثتـه جزءا فجزءا فى « وصية » مفتوحة الى رئيس الولايات المتحدة وجنرالاتها وكاردينالاتها . ولكنـه قبل الوصية « يقدم » نفسه « **بغير ماهوية** » لان هويته ضاعت منذ خنقوه بالغاز وفقدت عيناه البصر ، وامستا كعينى دودة ، واجروا له « غسيل مخ » فلما حكوا له عن الحرية انطفأ النور فى دماغه . ثم رموه بالرصاص . وبعد التعريف بهذه الذات المضيعة فى المقطع الاول « يعرض » موضوعة فيذكر أنه كان يستثمر ارضه حين أخرجه منها الاجانب ليحرروه ، ليحرروه من نصيبه . ويبدأ فى خاتمة وصيته بأن يهدى دماغه الى مراكز الابحاث الامريكى « ليروا ما الذى جعلنى أقاتل » وليبعث بعينيه الى الرئيس الامريكى لتنظرا اليه وجها لوجه « انهما لم تعرفا غير ظلام الانفاق » ويبعث بأسنانه الى جنرالات امريكا وقد عضت البندقية اكثر مما عضت الخبز « لان الجوع كان رفيقى » ويبعث بلسانه الى الكاردينالات الامريكان ليخبرهم بما قاله يسوع عن السيف ، أما جسدى ، فأتركه لنهر ميكونغ » . وهكذا يزاوج الشاعر بين الحكاية الشعرية والصورة الشعرية مزاوجـة طبيعية غامرة بالعطف على اصحاب المأسـاة الحقيقية ، متلمسا — بقدر ما يستطيع — جذورها الامريكية .

على انه يتبقى بعد ذلك كله ان الاحساس بالذنب وخيبة الامل ومشهد الجريمة والسخط على افراد بعينهم والوجه الاخر لامريكا هى المحاور الفكرية لهذه القصائد التى انقذت الشعر الامريكى من بوار محقق ، كما انقذت الروح الامريكية من الموات العظيم . ولسنا نستطيع فى نهاية الامر ان نتطلب من الشعر — وأى فن آخر — اكثر من ان يكون ضميرا للعصر وشاهدا عليه .

■■■

هل هناك يسار أمريكى ؟

■ **تأليف : مارسيل روكيه**

المنشورات الاشتراكية — باريس ١٩٦٩

■ **عرض ونقد : كمال السيد**

يعتبر كتاب مارسيل روكيه عن اليسار الامريكى سلسلة من اللقطات الذكية ذات الدلالة العميقة على واقع الحياة السياسية والاجتماعية فى الولايات المتحدة ، أوردها الكاتب فى اطار منهج علمى قائم على التحليل العميق للظواهر الاجتماعية والربط بينها بما يسمح بالتنبؤ بمسيرتها المقبلة . ففى الفصل الاول من الكتاب وهو بعنوان « **الخداع الانتخابى فى نوفمبر ١٩٦٨** » يبين الكاتب أنه فى حين زاد عدد المسجلين فى قوائم الانتخابات من

١٠٨ من الملايين فى ١٩٦٠ الى ١٢١ر٥ مليونا فى ١٩٦٨ فان نسبة من مارسوا هذا الحق قد انخفضت من ٦٣ر٨ فى المائة الى ٦٠ فى المائة فى نفس الفترة ، ويفسر انصراف الناخبين هذا بانهم قد ادركوا ان النظام القائم لا يعبر عن آرائهم بل أنه لا يتيح لهم أدنى فرصة لذلك ، اذ أن عملية اختيار رئيس بعينه تتم رغم انف المعارضين مهما بلغ عددهم ، فقد أختير نيكسون رئيسا رغم أنه حصل فقط على ٢٥ فى المائة من أصوات مجموع الناخبين ، ورغم ان معهد « **لويس هاريس** » كان قد اجرى استفتاء قبل الانتخابات بشهر واحد ، تبين منه أن ٥١ فى المائة من الآراء ترى ان نيكسون « **الخاسر الدائم** » لا يصلح لكى يكون رئيسا . ويؤكد الكاتب — وقد كان موجودا اثناء الانتخابات — أن نيكسون لم يثر أى حماس لدى الناخب الامريكى ، وان السر فى نجاحه يتمثل فقط فى أن هذا الناخب الذى كان جولد ووتر بعنصريته المتطرفة ودعوته للحرب ، قد أجبره فى ١٩٦٤ على اختيار جونسون باعتباره أقل سوءا ، هذا الناخب لم يعد يطيق الحزب الديمقراطى الذى تفاقمت مشكلة الزنوج فى عهده والذى فشل فى فرض السلام الامريكى Pax Americana على فيتنام ، خاصة وان هذا الحزب قد فضل فى الانتخابات الاخيرة أن يخاطر بفقد البيت الابيض ، عن أن يتيح للناخب الامريكى فرصة اختيار مرشح يرضى عنه ، فقد رفض الحزب ترشيح أدوارد كيندى أو يوجين مكارثى وكلاهما ينادى بالسلام فى فيتنام ، ورشح همفرى وهو ضالع فى سياسة جونسون العدوانية فى فيتنام .

ويوضح الكاتب أن اختيار كيندى أو مكارثى لم يكن ليحدث تغييرا جذريا فى السياسة الامبريالية الامريكية ، فذلك لن يحدث الا اذا تغير ميزان القوى الداخلى ، ومع ذلك فلم تتح لهم الفرصة ، وذلك لان المخاطر أقل مع نيكسون وهمفرى وولاس — وذلك من وجهة نظر أصحاب النظام — فهؤلاء ينادون « **بالقانون والنظام** » ويكبتون السود وانصار السلام وطلاب الجامعة وقوى اليسار الناهضة .

وفى بلاد الدولار من المستحيل أن يعمل الفقراء بالسياسة ، فالسلاح الاساسى فى المعركة الانتخابية وهو التليفزيون (٦٠ مليون جهاز فى ٩٥ فى المائة من البيوت) يصل أجر الدقيقة الواحدة فيه الى ٥٠ ألف دولار تزيد اذا كان الاعلان او البرنامج الانتخابى تتم اذاعته خلال برنامج شعبى ناجح . وتقدر تكاليف المعركة الاخيرة بثلاثين مليون دولار يدفعها أصحاب المصلحة فى اختيار ممثل لهم على قمة جهاز الدولة ، ومما له دلالته مثلا ان نيكسون استأجر « هوتيل ويلارد » ليكون مقرا « لاركان حرب المعركة الانتخابية مقابل ٣ ملايين دولار » .

وبالطبع لا تقتصر الدعاية الانتخابية على التليفزيون ، وهو السلاح الرئيسى ، فالواقع ان الاحزاب الحاكمة تضع نوعا من التخطيط الطويل الاجل للانتخابات لاعداد المرشح والدعاية له وتكييف الرأى العام الانتخابى ، وتستخدم كل الاساليب « لبيع وترويج » مرشحها وافكارها .

الخداع العنصرى

مع ان ولاس المرشح العنصرى المتطرف لم يحصل الا على ما يقرب من عشرة ملايين صوت ، فى حين ان نيكسون زاد عن واحد وثلاثين مليونا ، الا أن دخول ولاس الانتخابات والافكار التى عبر عنها والاساليب التى اتبعها تدل أبلغ دلالة على طبيعة المجتمع الامريكى . فقد اعتاد ولاس استخدام الالفاظ البذيئة فى خطبه فى محاولة لاكتساب طابع شعبى ، وسعى الى التمايز عما أسماهم « **جيدو التربية** » وذلك بهدف اكتساب « **صغار القوم** » واقناعهم بانه مثلهم وانه سيدافع عنهم . وتاريخ ولاس معروف ، فقد عارض باعتباره حاكما لولاية الاباما قرار الحكومة الفدرالية بادخال السود فى مدارس الولاية مع البيض واستخدم اقصى درجات العنف فى قمع المظاهرة التى كانت قد قامت من سلما الى مونتجمرى للاحتجاج على التفرقة العنصرية . وكان ولاس قد بدأ قبل الانتخابات بعام ينظم « الحزب الامريكى المستقل » واثناء الانتخابات كان يقوم بزيارة مدينة أو عدة مدن كل يوم حيث يعقد قبل وصوله اجتماع حاشد ينشد فيه أحدهم « **فالس جورج ولاس** » وتقول كلماته « قفوا لامريكا ذات العلم الاحمر والابيض والازرق ، انتخبوا ولاس الذى يقاتل من أجلكم ، انه سيسحق الشيوعيين واصدقاءهم المتخفين ، أرقصوا فالس جورج ولاس يا أصدقائى الحلوين » ثم يندفع ولاس داخلا فى حركة مسرحية ويصرخ احدهم « ها هو الرجل الذى ستنتخبونه رئيسا للولايات المتحدة » ثم يجلس الرئيس المقبل الذى يرتدى صديريا ضد طلقات الرصاص لا يظهر منه الا رأسه وبعدها يبدأ فى القاء نفس الخطبة التى يستهلها بتهنئة البوليس ويطالب بأن يحكم هذا البوليس البلاد حكما مباشرا ثم يقدم سلسلة من الوعود منها ايقاف السود عند حدهم : « بعد ٥ نوفمبر سامنعكم من الصراخ وأعدكم بانى بعد ما أصبح رئيسا اذا رفع احدكم علم الفيتكونج أو جمع النقود أو الدم للعدو فسأضعه فى الظل فى أحد السجون ، واذا نام احد الفوضويين أمام عربتى فاعدكم بانها ستكون المرة الاخيرة التى يفعل فيها ذلك » ولا يخفى كراهيته واحتقاره للمثقفين «جيدو التربية اكثر من اللازم» ويقول عنهم « أن أى سائق لورى يعرف ما يجب عمله اذا رأى حادثا ، أما المثقف فيكتفى بعقد ذراعيه والنظر أو قد يسقط مريضا » وبالطبع يهاجم ولاس

بعض المؤسسات الاحتكارية مثل فورد وروكفلر وكارنيجى الذين يتهربون من الضرائب ، ولكنه يصمت تماما عن « ملوك البترول » فى تكساس ، هنتوبويت لان هؤلاءيمولونه ويدفعون له • ويعلن ولاس أنه يفضل الموت الذرى عن أن يموت ببندقية عادية ، ويؤكد أنه لابد من اجبار الفيتناميين على التفاوض ، واعلان حسن النية ، والاستعداد للتفــاهم . أما نائبه كورتس ليمـــاى ، جنرال الطيران المتقاعد ،فيطالببضرب هانوى وهايفونج وزيادة القوات الامريكية • والهدف الاســاسى لولاس هو تكوين حزب عنصرى فاشى يعتمد على « الجنــوب العميــق » وحســب اســتفتـــاء أجراه « جالوب » تبين أن أنصار جولد ووتر هم الذين يساندون ولاس ، ومن جانب آخر يسانده أنصار الحزب الديمقراطى الذين خاب أملهم فى حزبهم ، أما الغريب فهو أن جانبا من الطبقة العاملة ومن النقابيين البيض يســاند ولاس العنصرى • ففى استقصاء تم بين ٨٠٠٠ عامل فى مصانع بويك فى فلنت قرب ديترويت حصل ولاس على ٤٩ ٪ من التأييد ، ونيكسون على ٣٩ ٪ وهمفرى على ١٢ فى المائة . أن شعور كثير من الناخبين «بالاحباط والخداع» الذى اثاره الفشل الامريكى فى فيتنام وهــزيمة « سوبرمان وزورو الذى لا يقهر » قد دفع بهم الى التصويت لصالح ولاس احتجاجا على السلطة القائمة ، أما سبب نجاح ولاس بين بعض فئات العاملين وبين بعض فئات البرجوازية المتوسطة فهو العنصرية لا غير ، اذ يحس هؤلاء أن أى تقدم للسود قد يهددهم فى عملهم ويجعلهم ينازعونهم مناصبهم المربحة نوعا ما •

سـياسـة الديمقراطيين

لقد كان اختيار مؤتمر الحزب الديمقــراطى لهمفرى ضربة سياسية مدبرة ، فقــد كانت الانتخابات « الاولية » فى الحزب قد بينت تأييد الاغلبية لمكارثى وكيندى ، ولكن جونسون استطاع التحكم فى اختيار المندوبين بحيث استطاع ضرب المطــالبين بــالمفاوضات والســلام مـــع فيتنام «سياسيا» فى حين ان تولى البوليس ضرب أنصار السلام الذين تجمعوا خارج مؤتمر الحزب الديمقراطى « ماديا » •

والغريب انالحزب الديمقراطى ،رغم مسئوليته الاسـاسية عن حرب فيتنام ، وعن تفاقم مشكلة الزنوج ، الا أنه ما زال قادرا على خداع جانب كبير من الفقراء (يقدر ميشيل هارنجتون عددهم ب٥٠ مليونا فى كتابه « أمريكا الاخرى ») والسود لانه ليس لدى هؤلاء ما يأملون فيه لدى نيكسون أو ولاس ، وذلك لان الحزب الديمقراطى قد اشتهر منذ عهد روزفلت والينوديل بأنه يعمل فى سبيل « الرفاهية الاجتماعية » وذلك بتقرير المساعدات الاجتماعية التى تتصف بشكل عام بعدم كفايتها • وبالطبع لن يستمر الحزب الديمقراطى فى خداع هــؤلاء طــويلا ، وقـــد اتضـــح هـــذا فى الانتخـــابات الكبيرة ، اذ اوصـــت القيـــادات السوداء « الراديكالية » بعدم التصويت لهمفــرى وذلك بعد سماع خطبه عن القانون والنظام • ومن جانب آخــر فان الجناح الليبرالى فى الحــزب الديمقراطى بزعامة كيندى ومكارثى وآخــرين يسارع فى اللحظات الحاسمة بتأييد خط الحزب ومرشحه والتخلى عن الناخبين الذين التفوا حول ممثليه وعلقوا عليهم الامال مما يؤدى الى مزيد من الوعى بحقيقة هؤلاء الليبراليين .•

التليفزيون فى المعركة

أجاد همفرى استخدام التليفزيون لتعــويض النقص فى حماس أنصاره وفى محاولة « تغيير جلده » ولجـــأ الى اخصـــائى الاعـــلانات المستنير « جونا بوليتان » الذى تولى تنظيم ما يزيد عن عشرين حملة دعائية انتخابية ، واحاط همفرى نفسه برجال الدعاية من امثال « بارى نوفا » وهو الذى ينظم حملات الدعاية لشركة منتجـات الحبوب ، وشركة ليبريا للطيران ، وشركة سيجار موريل ، وشركات تأمين رويال جلوب . وقد سأل احد الصحفيين بارى نوفا هذا عن شعوره اثناء العمل من أجلهمفرىفقال « انه نفس شعورى وأنا أعمل من أجل أى سلعة أخرى » •

ولعبت الصحافة دورها فقد جاء فى أحصائية نشرتها مجلة « اديتور آند ببلشر » أن ٤٩٢ صحيفة ومجلة كانت تؤيد نيكسون ، يبلغ توزيعها ٧ر٢٠ مليون نسخة يوميا •

الساخطون والمحافظون

يؤكد الكاتب أن اختيار نيكسون لم يكن لصفات خاصة يتميز بها هو شخصيا ، ولكن جاء ذلك نتيجة لحالة السخط واليأس من حكومة جونسون والرغبة فى اسقاطها ، لقد ساعد نيكسون على الفوز هذه المرة تمزق الحزب الديمقراطى . ويقول المؤلف ان نيكسون بذل جهده الاساسى لكسب اصوات المحافظين ، وان التدخل السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا قد ساعده على هذا ، وفى سبيل هذا أعلن أنه سيعمل على تخطى السوفيت فى مجال الاسلحةالذرية بعد أن تفوقوا على امريكا فى عهد جونسون • أما فى الداخل فقد وعد نيكسون بموازنة الميزانية لا على اســاس مــن تخفيض النفقات العسكرية ــ فهذه يعتقد انها غير كافية ــ بلبالمزيد منالاستقطاعاتمن الاعتماداتالاجتماعية الهزيلة اصلا الى الحد الذى جعل همفرى يصف

اتجاهه هذا بأنه «النيكسوقراطية» . وكما فعل المرشحان الاخران فقد اعلن نيكسون انه سيعمل على حفظ القانون والنظام ، وفى تبرير هذا يقول والتر ليبمان « سيكون من المستحيل القضاء على الانقسام بالمصالحة والاقناع وحدهما ، اذ لابد من اللجوء الى الكبت » .

وحتى يكسب نيكسون أصوات الرجعيين فى الجنوب اختار نائبا له ، سبيرو اجنيو ، حاكم ماريلاند العنصرى المتطرف ، الذى اشتهر باخماده لحركات السود التى نشبت بعد اغتيال مارتن لوثر كينج . ويقول المؤلف « ان اجنيو هذا يتكلم قليلا ليهاجم المثقفين ، وهو يحتقر الاقليات فيسمى البولنديين « بولاك » واليابانيين « جابس » أما قراءاته المفضلة فهى مجلة « ريدرز دايجست » وقد اتهمته صحيفةالنيويورك تايمز بأنهاستغل وظيفته فى أغراض شخصية » .

تكامل السود

يوضح المؤلف أن العنصرية البيضاء قد قتلت الحلم الذى راود البعض فى « تكامل » السود فى المجتمع الامريكى الابيض . فمنذ الحرب الاهلية لم يتغير شيء بالنسبة للسود ، اذا استمر الاستغلال كما هو ، وان اختلفت اشكاله ،فالسجن الذىيضم السود كان من قبل يسمى « مزرعة » أما الان فيسمى « أحياء السود » أو المعازل « الجيتو » . ففى الوقت الذى يصل فيه متوسط البطالة فى الولاياتالمتحدة الى ٥ر٣فى المائة منالبد العاملة، فان هذه النسبة ترتفع الى ٢٥ فى المائة بين شباب السود حتى الحاصلين منهم على دراسات عالية . وللدلالة على الطابعالعنصرى الاصيل يورد الكاتب احصاء طريفا يبين فيه ان نفس السلعة تباع بسعرين احدهما للبيض وهو السعر المنخفض طبعا والاخر للسود ، وهناك سعر ثالث للبورتوريليين يقع بين السعرين السابقين .

وفى البدء سعىالسود بكل قوتهم للحصول على حقوقهم بالطرق السلمية ، واستمر هذا الاسلوب لمدة ١٠ سنواتحتى ١٩٦٥ ، الىأن تبين هؤلاء أن ذلك الاسلوب لايؤدى الى نتيجة ، وبسبب تراكم الغضب وتفاقم استفزاز البوليس الابيض ، وغياب تنظيم سياسى قوى للسود فان هذا قد ادى الى « الثورة التلقائية » واللجوء للعنف . وتؤكد دراسة قامت بها لجنة رسمية لتقصى اسباب الحرائق التى اشعلها السود فى واتس ونيوآرك وديترويت ، ان من قاموا بالحريق ليسوا عناصر منعزلة عن بعضها البعض كما لم يقم بها مهيجون قدموا من الخارج ، وان هذه الاضطرابات تعكس المشاكل الاجتماعية فى الاحياء السوداء .

الجنوب يبدأ من كندا

ليس صحيحا ان اضطهاد السود قاصر على الجنوب الامريكى الا اذا أعتبرنا ـ كما يقول المؤلف ـ أن هذاالجنوب يبدأ من الحدود الكندية . أما التآخى المفتعل والذى تضلل به الحكومة الفيدرالية فقد كف عن خداع اقسام متزايدة من السود التى بدأت تضع القضية وضعها الصحيح باعتبارها « مشكلة تحرر حقيقى » لملايين السود ، العاطلين والجائعين . لقد بدأت اعداد متزايدة من السود تدرك أكثر فأكثر أن الحكومة التى تنفق ٧٥ مليار دولار على الاغراض العسكرية لا تنوى محاربة البطالة والفقر ، وبنفس الدرجة بدا السود يدركون أنه لا أمل لهم فى الاحزاب التقليدية ، وانه ليس أمامهم الا أن ينشأوا تنظيمات سياسية سوداء مستقلة تتحالف مع الاقسام الاكثر تقدمية من البيض .

وهكذا ولدت فكرة « السلطة السوداء » التى لا تعنى نفس الشيء بالنسبة لكل الناس ، فهى عند البعض تعنى «تنمية رأسماليةسوداء» وعند آخرين يتعلق الامر بحصول مزيد من السود على بعض المناصب السياسية فى المجالس النيابية والبلدية . اما المفهوم الصحيح والذى يظاهره غالبية السود فهو « سيطرة السود على كل نشاط اجتماعى وثقافى وسياسى : البوليس ، العدالة ، التعليم ، الادارة ، وذلك فيما يتعلق بمجتمعاتهم السوداء » وبالطبع يدرك التقدميونالسود أن هذا لا يحقق لهم التحرر من « العبوديةالجديدة » التى يرسفون فيها حاليا اذ أن ذلك لن يتحقق بأى حال من الاحوال فى ظل النظام الحالى .

وينادى السود بتنظيمات سياسية قاصرة عليهم فقط وذلك ليس بدافع من العنصرية ، بل لان منطق الامور هناك يقتضى أن السود لابد وأن يكونوا هم صانعو مستقبلهم . وينفى القادة السود كل اتهام بالعنصرية ، فيقول بوبى سيل رئيس حزب « بلاك بانثرز » الاسود « اننا لا نكره البيض ، أن الكراهية هى شغلة البيض ، انها شغلة الكوكلوكس كلهان ، الكراهية والقتل بسبب لون الجلد ، أما نحن فلا نريد أن نقتل أحدا وأن نعامله بوحشية بسبب لون جلده ، نعم هناك بعض الاشياء التى نكرهها ، فنحن نكره مثلا الاضطهاد الذين نقع ضحية له ونكره رجال البوليس الذين يسحقون ويقتلون السود ، اننا لا نريد أن نكرس طاقتنا لكراهية أى انسان بسبب جلده ولكن للنضال من أجل القضاء على الاضطهاد والقهر » .

اصرخ عاليا : أنا أسود

وتحاول القيادات السوداء بعث التراث الثقافى

والحضارى الاسود ، وكل ما يمكن ان يبعث الفخر فى نفوس السود . وذلك فى محاولة للقضاء على روح الاستسلام والخنوع الناجمة عن قهر القرون الماضية والتى يحاول البيض ، ومن لف لفهم من القيادات السوداء ، العمل على دوامها بحجة أن ذلك يتفق مع المبدأ المسيحى « من صفعك على خدك الايمن » . وبالفعل هناك تيار ثقافى نام من الادب والشعر والرسم والتصوير والمسرح والموسيقى ، يمجد السود ، فاغانى جون براون الاخيرة « أنا اسود » وأعمال بن كالدويل ، وجوجاكسون المسرحية تحث الاسود على الفخار بلون جلده . وتقوم منظمات السود بتنظيم دورات مسائية لتدريس موضوعات مثل : المسرح الاسود ودوره فى النضال الثورى ، تكنيك تنظيم المظاهرات ، الرسم والتصوير والنحت ادوات لتحررنا ، الخ .

ولقد بدأت معركة السود فى سبيل سيطرتهم على التعليم الخاص بهم فى بروكلين . فبعد أن عينت الحكومة لجنة من السود للاشراف على التعليم ، قررت هذه اللجنة الاستغناء عن بعض المدرسين البيض بسبب عدم صلاحيتهم وانخفاض مستواهم المهنى وعنصريتهم ، ولكن السلطة البيضاء استخدمت قوات الجيش والبوليس فى أرجاع هؤلاء المدرسين البيض رغم أنف السود وأدى هذا بدوره الى تطور جديد فى وعى السود جعلهم يدركون أن أية حلول فى اطار النظام القائم لن تحقق شيئا ذا بال .

وبالمثل بدأت حركة نقابية سوداء ، وذلك كرد فعل طبيعى للطابع العنصرى لجانب من الحركة النقابية البيضاء ولخضوع القيادات النقابية البيضاء لسيطرة اجهزة المخابرات ، فضلا عن أن طبيعة عمل ، ومن ثم مصالح ، العمال السود تختلف عن مصالح واعمال البيض ، فالسود يقتصر عملهم على الوظائف غير المتخصصة التى لا تحتاج الى مهارة عالية .

تيار جديد

لقد بينت انتخابات ١٩٦٨ أكثر من أى انتخابات مضت فى التاريخ الامريكى ، أن الجزء المتقدم من الشعب الامريكى الذى يريد بديلا « سلاميا حقا » للسياسة الامبريالية التقليدية والذى يتطلع الى مجتمع مختلف جذريا عما هو قائم ، مجتمع يكون فى خدمة الانسان لا رجال الاعمال ، هذا الجزء المتقدم من الشعب الامريكى ليس له حزب سياسى يعبر عنه .

ومع ذلك فان المجتمع الامريكى يتعرض لعملية تفاعل وتجمع متزايدة تشمل كل انحاء البلاد وذلك على اثر اشتداد النضال من أجل فرض السلام فى فيتنام ، والتغير الذى طرأ على اتجاه نضال الشعب الاسود ، وتصاعد القوى الثورية . ولقد ادى كل هذا الى نهوض قوى جديدة واقتحامها لحلبة العمل السياسى . وهذه القوى وان كانت منقسمة على نفسها فى الفترة الحالية ، فانها ان استطاعت ان تتوحد وان تنظم نفسها على النطاق القومى لاصبح لها تأثيرها الفعال على الحياة الامريكية .

ويؤكد الكاتب « ان حرب فيتنام قد ساهمت فى تنمية القوى اليسارية ، فموقف الحزبين الحاكمين ، وخاصة الحزب الديمقراطى يبرهن للكثيرين على أن عملا سياسيا مستقلا قد أصبح أمرا ضروريا للنضال الفعال ، ليس فقط ضد الحرب ولكن ضد الامبريالية ايضا ، ومن أجل نظام سياسى يستبعد العدوان والاضطهاد ، أن هزيمة همفرى والتفاف الليبراليين حوله فى الساعات الحاسمة قد فتح الاعين ودفع الشباب الى التجمع حول اليساريين » .

وعلى نطاق البلاد تكونت تجمعات طلابية يسارية فى الجامعات والمعاهد لها خطرها ، ففى جامعة برنستون تكونت « حركة الطلبة من اجل مجتمع ديمقراطى » وتضم ١٣٥ ألف عضو ويلتف حولها ٧٠٠٠٠٠ عاطف على اتجاهها وقد بدأ التركيب الطبقى لهذه التجمعات يتجه الى رجحان كفة الطلبة ابناء العمال فيها .

والواقع أن اسباب الالتقاء بين مختلف هذه التجمعات بدأت تتوفر وتصارع عوامل التفرقة ، وتتمثل هذه فى بعض الخلافات الايديولوجية الثانوية ولكن ما زال الشوط طويلا أمام تحقيق وحدة كاملة بين هذه الحركات بما يكفل انتظامها فى حزب واحد على النطاق القومى يكون له تأثيره الفعال على الحياة السياسية الامريكية ويستطيع أن يستوعب حركة جماهير الفقراء والمضطهدين من السود والاقسام المتقدمة من الشعب الامريكى .

ولكن ـ كما يقول المؤلف ـ فان « الطريق مفتوح أمام تكوين حزب ثالث يكون اداة للنضال الفعال من أجل السلام والحرية والتقدم الاجتماعى » .

والكتاب وأن كان عنوانه يوحى بأنه بحث تفصيلى حول موضوع اليسار الامريكى الا أنه فى الواقع لم يتعرض لهذا الموضوع ـ الا فى الفصل الاخير ، أما باقى الكتاب فقد كرسه المؤلف لتحليل العوامل التى تصطرع فى المجتمع الامريكى والتى يؤدى الالمام بها الى ادراك اسباب ظهور هذا التيار اليسارى والافاق والامكانيات المتاحة له ، وحدوده وابعاده ، والحق أن الكاتب يوفى هذه العوامل حقها من البحث والدراسة بما يكفل للقارىء فهما موضوعيا للاوضاع هناك ، وان كان يحس فى نهاية الكتاب أنه ما زال فى حاجة الى مزيد من التفصيلات حول موضوع اليسار الامريكى .

مناقشات مفتوحة

حوار • • مع العدد السادس

فتحت الطليعة صفحاتها فى العدد السادس ، للتعريف بالمقاومة العربية بأقلام أعضاء منظماتها بغض النظر عن مدى اتفاق أو اختلاف هذه الكتابات مع وجهةنظر الطليعة • وفى هذا العدد ـ من مناقشات مفتوحة ـ تنشر الطليعة خطابا من المواطن**محمد فتحى صفا** ـ من**دمشق بسوريا** ـ يتضمن رأيه فى مقال « **الخلفية التاريخية للمقاومة العربية فى فلسطين** » للكاتب الفلسطينى **عبد القادر ياسين** ، ثم رأيه فى عرض ونقد كتاب « الماركسية والمسألة اليهودية » ـ تأليف **ناجى علوش** الذى عرضه ونقده الكاتب المصرى **حمدى عبد الجواد** • وفيما يلى الخطاب ثم تعليق الكاتبين •

فى عدد يونيو ٦٩ ، وفى مقالين من المقالات المنشورة فيه ، أكثر من رأى يستحق الوقوف عنده ، فى المقال الاول مقال عبد القادر ياسين والذى يحمل اسم « **الخلفية التاريخية للمقاومة العربية فى فلسطين** » وبالذات تحت العنوان الفرعى « **ما بعد الهزيمة** » ، يوضح الكاتب أنه **بعد انتكاس الثورة فى أيلول** (سبتمبر) ١٩٣٩ ، نما فى فلسطين اتجاهان متضادان الاول استسلامى انهزامى،أما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه اليسارى •

ومما تقدم نجد أنه فى رأى عبد القادر ياسين كان الاتجاه اليسارى « اتجاه عصبة التحرر الوطنى » هو فقط اللاانهزامى اللااستسلامى ••

ويدلل على ذلك بما أورده عن انشقاق الشيوعيين الفلسطينيين عن الشيوعيين اليهود ، وبأن عضوين بارزين من «عصبةالتحررالوطنى» ، اشتركا فى مؤتمر نقابات العمال العالمى الذى عقد فى باريس عام ١٩٤٥ والذى أدى اشتراكهما فيه « الى محاربة الصهيونية فى صفوف العمال وفضحها كحركة استعمارية رأسمالية مما الغى ونفى مساعدة العمال العالميين لها » الى آخر ماهنالك من تصريحات المندوبين لوكالة الانباء الفرنسية بباريس •

وكنت أود لو تفضل الكاتب بذكر أعمال أكثر ايجابيــــة للدلالة على اللاانهزاميـــــة ، واللااستسلامية «عصبةالتحررالوطنى» ، من مجرد الخطب والتصريحات والاشتراك فى المؤتمرات ، وأن يبين لنا مجهودات « عصبة التحرر الوطنى » فى خدمة القضية واستعداداتها للكفاح المسلح ضد الاستعمارين البريطانى والصهيونى على حد سواء ، كما كنت أود لو تفضل فأوضح لنا كيف استمرت لا انهزامية ولا استسلامية العصبة بعد ١٩٤٧ وبعد موافقة الاتحاد السوفيتى على قرار التقسيم فى الامم المتحدة •

والذى يدعو للاستغراب والدهشة أنه اذا كانت مجهودات مندوبى العصبة لمؤتمر نقابات العمال العالمى عام ١٩٤٥ قد أدت الى فضح الحركة الصهيونيةكحركة استعمارية رأسمالية فكيف نفسر ما كان يسود اليسار الاوربى منذ النكبة والى الان عن اشتراكية وتقدمية اسرائيل •

أما المقال الثــانى فهــو عــرض ونقــد

كتاب « الماركسية والمسألة اليهودية » لمؤلفه ناجي علوش والذى عرضه ونقده حمدى عبد الجواد .

الرأى الاول الذى يستلفت النظر من آراء حمدى عبد الجواد ما يتصوره من أنه « مع مرور الزمن أمكن تمييع تلك الجماعات اليهودية فى داخل المجتمع الاشتراكى السوفيتى وفشلت كل المحاولات الرامية الى تطوير ثقافة يهودية مستقلة لانه لم يكن يتوفر أساس اجتماعى قومى لتطوير مثل هذه الثقافة » وهذا الرأى يحتاج الى دليل اكثر من مجرد القـــول به ، كما أنه يدفعنـــا للتســـاؤل اذا تم تمييع اليهود داخل المجتمع السوفيتى ، فلماذا تركز اسرائيل على يهود الاتحاد السوفيتى باعتبارهم السكان الجدد محط الآمال ، كما أنه يدفعنا للتساؤل عن مدى تأثير موقف حكومـــة الاتحاد السوفيتى فى منع الهجرة اليهودية منها الى اسرائيل وعن أثر موقفها فى العدوان فى منع أى تحرك يهودى صهيونى تأييدا لعدوان يونيو واحتفالا به على غرار ما حدث فى بولونيا ورومانيا والذى بين عدم انصهار تلك الجماعات اليهودية فى المجتمع الاشتراكى الذى تعيش ضمنه .

ويقول فى مكان آخر « ونحن نختلف مع المؤلف تماما فيما يراه نقيصة نراه نحن موقفا سليما بل اننا نعتقد ان الاستعمار والصهيونية فى جانب والرجعية العربية المتعاونة معها فى جانب آخر ، قد سعيا خلال تلك المرحلة لتطبيق الافكار التى ينادى بها المؤلف من عدم التفريق بين الصـــهيونية والجماهير اليهودية باعتبارهما شيئا واحـــدا وبالعمل الدؤوب من أجل تحطيم أخاء ووحـــدة الجماهير الفلسطينية العربية اليهودية فى نضالها ضد الاستعمار والصهيونية . ونحن نعجب لدفاع المؤلف عن تلك الافكار الممعنة فى شوفينيتها والتى عمقت فى التطبيق العملى ما أراده الاستعمار والصهيونية من استحالة تعايش العرب واليهود فى دولة مستقلة لتبرير تنفيذ مؤامرة خلق دولـــة اسرائيل ونعتقد ان نجاح هذه الافكار عمليا كان أحد الاسباب الرئيسية للنكبة التى نعانى منها حتى الان » .

الرأى السابق يمكن أن نستخلص منه أكثر من نتيجة :

١ ـ يعترف حمدى عبد الجواد صراحة بأن اليهودية قومية طالما يضعها على مستوى واحد مع العربية .

٢ ـ قبول حمدى عبد الجواد بالهجرة اليهودية الصهيونية الى فلسطين ، وقبوله باعطاء اليهود حقوقا قومية فى أرض فلسطين نتيجة لهذا التوطن غير المشروع ، فلو كان اليهود مواطنين عربا فى فلسطين لقبلنا طرح المشكلة بذلك الشكل ، أما أن تهاجر جماعات بشرية غريبة عن فلسطين لا رابط بينها سوى الصهيونية واقامة دولة اسرائيل ومحق الوجود العربى فى فلسطين ثم ننادى باعطائهم حقوقا تساوى حقوق المواطن العربى فهذا أمر غير مقبول لانه قبول بالاستعمار نفسه .

٣ ـ يتجاهل حمدى عبد الجواد برأيه ذاك واقع الانسان العربى فى فلسطين فى تلك الفترة تجاهلا مطلقا . كما أنه يتجاهل واقع اليهود فى نفس الفترة . فاذا كنا سنفرق بين الجماهير اليهودية باعتبارها جماهير لا مطامع استعمارية لها وبين الصهيونية كحركة استعمارية فيجب أن يكون لتلك الجماهير وزن وتأثير وفاعلية .

وأسوق لحمدى بعض مقتطفات من كتاب **ماكسيم رودنسون « اسرائيل واقع استعمارى »** ترجمة احسان الحصنى منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى عام ٦٧ بدمشق . يقول فى الصفحة ٩٦ « صحيح أن الايديولوجية الاشتراكية باحلالها القيم الانسانية المحل الاول قد هيأت عددا ممن كانوا مشبعين بها للاهتمام بمصير الناس المتصلين بهم . ولذا اهتمت أرسخ عناصر اليشوف فى الاشتراكية بالعرب ولكن النزاع الذى كان فى أعماق نفوسهم والذى يقوم على تعارض مثلهم الاعلى الانسانى مع مشروع النهضة اليهودية على أرض فلسطين ، كان ينتهى فى أغلب الحالات الى نتائج وهمية بتأثير آليـــه تدخل فى اختصاص التحليل النفسى وكانوا يعزون أنفسهم بيسر بواسطة النظرية المحببة القائلة بأن الجماهير العـــربية الخاضعة للاقطاع والمستغلة من قبل مواطنيها أنفسهم لا يمكن **الا أن تفيد من الفتح اليهودى** على الاقل فى المدى البعيد . وهكذا كانوا يصنعون لهذه الجماهير سعادتها أو يهيئونها لها بالرغم عنها **ولم ينتبهوا أنهم بذلـــك يكررون الحجج الاستعمارية التقليدية التى كان موقفهم حيالها واضحا تماما عندما كان الامر يعنى غيرهم** . وانه لجميل جدا أن يدفع الوعى الاشتراكى أقلية هامة من اليشوف بعض الاحيان أن يعلنوا بصدق فى زمن الانتداب أنهم مع الدولة الثنائية القومية المتوازنة ولكن ترسخ اليشوف فى فلسطين كان طبعا بالنسبة لمن اشتركوا بهذا الاعلان أمرا لا يتنازع فيه وقوة الايديولوجية الستالينية وحدها هى التى استطاعت أن تؤدى ببعض الافراد القلائل الى مواقف وأعمال متطرفة فى ميدان هذا النزاع **غير أن ظروف الكفاح المسلح فى فترة ٤٠ ـ ١٩٤٨ قد عبأت تقريبا كل العقول لانقاذ اليشوف واستقلالها ولنسف كل الوساوس ، وانتهى المتطرفون القوميون كما هو مألوف فى مثل هذه المنازعات الى جر الجماعة كلها تقريبا »** .

ويقول في الصفحة ١٠١ « صحيح ان هذه الجماهير كانت مشبعة بالمثل الاشتراكية بعمق تلك المثل التى تتعارض مع المفاهيم الهرزلية • غير ان هذه المثل لم تهيء سوى نخبة قليلة جدا عدديا وضعيفة كثيرا سياسيا تخشى دون موارية واعية أو لاواعية رد فعل الشعب الذى كانت تؤذيه الحركة بمجموعها من جهة وان الحركة من جهة أخرى كانت على الاخص تشكل كلا واحدا » •

ويقول فى الصفحة ١٠٣ « ومهما يكن من أمر فان الاشتراكيين الإسرائيليين كانوا تابعين شاؤوا أم أبو ، لسياسة المنظمة الصهيونية بل كانوا الى حد بعيد متضامنين معها » •

أما الدكتور أسعد رزوق فيقول فى كتابه « نظرة فى أحزاب اسرائيل » سلسلة دراسات فلسطينية وفى الصفحة ٦٨ « ومن الطريف أن نفرا من الاشتراكيين اليهود والمتطرفين لم ينجحوا فى الجمع بين النقيضين : الشيوعية ، والصهيونية ففضلوا مغادرة فلسطين والاستقرار نهائيا فى الاتحاد السوفيتى » •

فاذا كان اليسار اليهودى المفروض انه بحكم عقيدته الاشتراكية سوف يرفض الصهيونية ويتصدى لمحاربتها على تلك الدرجة من الانهزامية والاستسلامية وعلى تلك الدرجة من العلاقة الوثيقة بالصهيونية وعلى ذلك القدر من التبعية ، فكيف لنا أن نتصور امكانية التفريق بين اليهودى كانسان واليهودى كصهيونى فى تلك الفترة ، واذا ما سألنا عن حجم وعدد اليهود الذين رفضوا الصهيونية وانضموا الى القوى العربية فى محاربة الصهيونية وأهدافها بطرق غير البيانات والنشرات لتعذر علينا أن نسمع أى جواب ، واذا سألنا كيف يمكن للمواطن العربى فى فلسطين أن يصدق أن بين اليهود من يرفضون الصهيونية وهو يرى الجميع : جميع اليهود خصوصا الذين يدعون بأنهم اشتراكيون يبنون الكيبوتزات ويبنون فيها مصانع ومستودعات الاسلحة وينطلقون منها لقتله وعائلته وأفراد قريته وسلب وطنه ، كيف له أن يقبل بالاخوة العربية اليهودية وهى وهم وهى خرافة لا تستند على أساس ، لتعذر أن نجد الجواب أيضا •

ان رأى ناجى علوش أصوب فى اعتقادى مما ذهب اليه حمدى عبد الجواد ، كما أن موقف الاحزاب الشيوعية العربية من حرب فلسطين كان خاطئا الى درجة كبيرة ، درجة فادحة •

وقد علق عبد القادر ياسين على الجزء الخاص بمقاله فى هذه الرسالة •• يقول :

فى البداية ، اشكر للاخ اهتمامه ومتابعته .. أما عن مواقف الشيوعيين الفلسطينيين حيال قضيتنا الوطنية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، فان المناضل فؤاد نصار ــ السكرتير الاول للحزب الشيوعى الاردنى الآن ــ كان يقود فصيلة من الثوار المسلحين فى منطقة بئر السبع ابان ثورة ١٩٣٦ ــ كما أن أميل توما ــ عضو المكتب السياسى لعصبة التحرر الوطنى ــ قد خاض ، هو ومجموعة من التقدميين ــ الكفاح المسلح ضد الصهيونية عام ١٩٤٨ •

واحب ان اوضح للاخ محمد بأن المساحة المحددة لم تكن تسمح باستعراض مواقف العصبة بتفاصيلها ، ومن ثم فقد اكتفيت باستعراض المعالم الرئيسية فقط •

أما عن مواقف « عصبة التحرر الوطنى » بعد ١٩٤٧ ، والخاصة بالموافقة على التقسيم •• فرأيى أن التقسيم ــ فى حينه ــ كان فى صالح حركة التحرر العربية ، حيث كانت الرجعية العميلة تقود الحركة الوطنية العربية ، بما لا يسمح لتلك الحركة بالنصر حيال الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار ، وحيث كان ميزان القوى مائلا بشكل واضح لصالح الصهيونية والاستعمار •

ومن جانبى أعد الاخ محمد أن أوضح بالتفصيل موقف العصبة فى دراسة منفصلة .

أما ماكان يسود اليسار الاوروبى عن « اشتراكية وتقدمية اسرائيل » ، فأعتقد أننا كنا ــ شعوبا وحكومات واحزاب ــ مقصرين فى متابعة وفضح هذه الدعايات الكاذبة ، وان كانت تلك الصورة قد تبددت الان •

وتعليقا على الجزء الخاص المتعلق بعرض ونقد كتاب الماركسية والمسألة اليهودية ، كتب حمدى عبد الجواد :

فى هذا التعليق مايستحق الرد لالقاء الاضواء على بعض جوانب المشكلة محل النقاش ... واود أن أتعرض للنقاط التالية :

النقطة الاولى التى يثيرها السيد المعلق والخاصة برفضه لفكرة فشل الجماعات اليهودية داخل المجتمع السوفيتى فى تطوير ثقافة قومية يهودية مستقلة ، وقوله بأن ذلك يحتاج الى دليل والدليل الذى يطلبه المعلق يمكن ان يجد بعضه فى كتاب ناجى علوش نفسه حينما يتعرض للمحاولات العديدة التى قامت بها الجماعات اليهودية لاحياء الثقافة اليهودية ولغة اليديش سواء عن طريق المجلات او النشر أو المسرح او عن طريق اقامة

تنظيمات مستقلة لليهود . لقد تتبع ناجى علوش تلك المحاولات فى كتابه ووضح أنها باءت بالفشل فى الاتحاد السوفيتى، وليس أدل على ذلك أيضا من النتائج التى انتهت اليها جمهورية بيـروبيجان السوفيتية . فرغم التسهيلات الضخمة التى قدمتها الدولة السوفيتية لليهود فى الاتحاد السوفيتى لتطوير دولة قومية لهم لم تنجح تلك المحاولات فى النهاية فى بلورة يهود روسيا كجماعة قومية ، أما عن هجرة يهود الاتحاد السوفيتى لاسرائيل فان اليهود المهاجرين من الاتحـاد السوفيتى كانوا محدودين للغاية ولم يهاجروا منه مباشرة ، وان اليهود الروس كانوا اقل يهود الدول الاشتراكية تأثرا بالدعاية الصهيونية وعطفا على اسرائيل رغم الجهود الضخمة التـى بـذلتها الصـهيونية والاستعمار فى سبيل ذلك .

أما النقطة الثانية التى يطرحها المعلق أنه يخرج من محاولتنا التفريق بين الصهيونية كحركة استعمارية وبين الجماهير اليهودية وبـوحدة مصالح الجماهير العربية واليهودية وبحقهم فى التعايش معا فى ظل دولة فلسطينية ديمقراطية معـــادية للصهيونية والاستعمار باننا نسلم بالهجرة الصهيونية غير المشروعة وبأن اليهود قومية نضعها فى مستوى واحد مع العرب .

ونحن نعتقد ان المعلق جانبه التوفيق فى الخروج بهذه النتائج المتعسفة وكان من الافضل له أن يرجع الى رأى أصحاب القضية الحقيقيين الى مواقف واتجاه هؤلاء الذين يتصدون اليوم لقيادة نضال الشعب الفلسطينى العربى، والذين يحظون بتأييد ومساندة كل القوى الشريفة فى حركة التحرر العربية . ان هؤلاء القادة واعنى بهم قـادة التنظيمات الفلسطينية وعلى الاخص فتح ومنظمة التحرير يدافعون عن نفس الافكار التى يهاجمها المعلق وهم يشجبون كل الافكار الشوفينية للقيادات السابقة التى يدافع عنها المعلق . واتجاه قادة الكفاح العربى الفلسطينى وافكارهم بخصوص هذه القضايا واضحة فى مطبوعات فتح وفى التصريحات المتكررة لقادة التنظيمات المختلفة ، وأقرب تلك التصريحات الينا التصريح الذى أدلى به ياسر عرفات لصحيفة الفيجارو الفرنسية فى ٧/١٢ حيث يقول :

« ان هدف المنظمة هو تحرير أرض فلسطين المحتلة لاقامة دولة فلسطينية ديمقراطية يعيش فيها العرب من المسلمين والمسيحيين كما يعيش فيها اليهود على قدم المساواة وفى ظل الاخاء والعدل والسلام » وقال فى نفس التصريح « ان حـربنا موجهة ضد الصهيونية والاستعمار والامبريالية ، ورغم اننا طردنا من أراضينا وبيوتنا وما نلناه من تشريد وتعذيب منذ ٢٠ سنة ، فاننا لسنا ضد أى عنصر أو لون » .

ونحن لم نفعل اكثر من اننا دافعنا عن هذا الاتجاه ، والاحرى بالمعلق ان يحاول ان يتفهم اتجاه قيادة كفاح الشعب العربى الفلسطينى حتى لا يضع نفسه فى تعارض مع نضال هذا الشعب تحت ثقل الافكار الشوفينية .

والنقطة الاخيرة ان المعلق يسوق لنا عددا من الاقتباسات للتدليل على زيف موقف الاشتراكيين من اليهود وتبعيتهم للصهيونية وسلبيتهم . ونحن نعتقد ان المعلق قد اختلط عليه الامر فيما يتعلق بالاشتراكيين اليهود فنحن لم نكن بصدد مناقشة الاتجاهات الاشتراكية المختلفة بين اليهود . وفى الحقيقة فغالبية من يدعون الاشتراكية بين اليهود خاضعون تماما للصهيونية وليست الاشتراكية سوى قناع زائف يريدون به اخفاء طـابعهم الاستعمارى العنصرى . ولكننا بصدد مناقشة موقف الشيوعيين داخل اسرائيل، وهل حقا كانوا معادين للصهيونية وللهجرة رغم ماقد يوجد من بعض المآخذ على مواقفهم ؟

ان نظرة بسيطة على تاريخ ومواقف الشيوعيين داخل اسرائيل سواء من العرب أو اليهود ــ وبغض النظر فى بعض الاخطاء التى لاتتعلق بجوهر اتجاههم ــ توضح أنهم كانوا ضد الصهيونية وضد الهجرة . وليس هناك مجال لاستعراض ذلك وانما يكفى للتدليل عليه ان الشيوعيين اليهود داخل اسرائيل ، الى جانب اتجاههم العام المعـادى للصهيونية والهجرة كانوا هم القوة الوحيدة بين يهود اسرائيل التى وقفت بحزم ضد المغامرتين العدوانيتين الاستعماريتين ضد العرب عام ٥٦ ، ٦٧ ووقفوا ضدها بشدة وادانوها باعتبارهـــا مغامرة استعمارية توسعية وتحملوا فى سبيل موقفهم ذلك ابشع انواع الاضطهاد من قبل الدولة الاستعمارية العنصرية .

ويجب علينا ان نتوخى الدقة اذا أردنا أن نصل الى الحقيقة وأن نكون منصفين .

تعليق مقاتل من الجبهة

من الجبهة على خط النار ، يعلق **المقاتل احمد مصطفى عبد اللطيف** ، على افتتاحية « **يونيو ٦٧ ـ يونيو ٦٩** » من عدد يونيو الماضى ، فيقول :

عند حصولى على عدد يونيو الخاص ، التقيت بلطفى الخولى ، مع سطور افتتاحية العدد . ولى تعليق بسيط على تلك الافتتاحية الواقعية هو،ان هذا التغيير مابين يونيو ٦٧ ويونيو ٦٩ ، والذى صار المنتصر بمقتضاه ـ يشكو من الضغط والخسائر اليومية التى يتعرض لها على الجبهات العربية ، واستطاع المهزوم ان يمارس ضغطا على العدو ويلحق به خسائر يومية .. هذا التغيير ، ماكان يتحقق لولا صمود الشعب العربى امام العدوان .

ان ثورة الشعب العربى فى ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ ، وصموده الرائع ورفضه للهزيمة فى ساعات كان المنتصر يظن فيها ان العرب ، سوف يرفعون سماعة التليفون ليعلنوا له استسلامهم ـ صمود الشعب العربى هذا ، هو الذى أحدث كل هذا التغيير . فمن ارادة الصمود ـ هذه ـ بدانا التغيير فى حياتنا السياسية والاقتصادية ، اصلاحا لنواحى القصور التى أدت بنا الى كارثة يونيو ٦٧ . ومن ارادة الصمود ، بدأ التغيير فى القوات المسلحة وبدأت عملية اعادة بنائها . ولولا هذا الصمود الشعبى ، ماتحقق للقوات المسلحة ماوصلت اليه الان .

اننا هنا على خط المواجهة مع العدو ، نستمد قوتنا وتصميمنا على احراز النصر مهما كانت التكاليف ومهما كانت التضحيات .. من ارادة صمود شعبنا العظيم .

ذلك هو ـ عامل الاساس ـ فى التغيير الذى حدث ما بين يونيو ٦٧ ـ يونيو ٦٩ ، والذى ماكان يمكن ان يحدث ، لولا صمود شعبنا الذى لا تموت ارادة الحياة فيه ولا يقبل ان يستسلم لارادة العدو مهما كانت قوته وجبروته .

■

الطلبة العرب فى ألمانيا الديمقراطية والوضع الجديد فى السودان

بعث اتحاد روابط طلاب البلدان العربية فى المانيا الديمقراطية ، ببيان جاء فيه :

فى الوقت الذى ظنت فيه قوى الاستعمار العالمى والصهيونية والرجعية العربية ان ظروف النكسة ستعرقل اية تطورات تقدمية فى البلدان العربية، وان هذه الظروف ستضمن تجميد الاوضاع الرجعية فى بعض هذه البلدان مانعة اياها من الالتحاق بركب الدول العربية التقدمية حطم الشعب السودانى المجيد الطوق الاستعمارى الرجعى بثورته المجيدة .

ومنذ الساعات الاولى للتغيير الثورى الكبير فى السودان اتضح للملايين من انصار الحرية والتقدم فى الوطن العربى وفى العالم بأسره الوجه الوطنى الديمقراطى للثورة السودانية . **ان اعلان ـ جمهورية السودان الديمقراطية ـ يعد حدثا ثوريا** ذو أهمية عربية وأفريقية وعالمية عظمى .

لقد كنست الثورة السودانية التقدمية بضربة قوية وسريعة حكما رجعيا فاسدا عرقل تطور السودان مبقيا اياه فى أطار التخلف والتبعية الاقتصادية حارما الجماهير الشعبية السودانية من ممارسة حقوقها السياسية والاجتماعية الاساسية ومبعدا السودان عن ان يلعب دوره الهام بوصفه حلقة الوصل الطبيعية بين حركة التحرر العربية وحركة التحرر الافريقية .

لقد استخدمت الفئات الاقطاعية والبورجوازية التقليدية التى سيطرت على السلطة فى السودان ثلاثة عشر عاما وهى الفترة منذ الاستقلال حتى ثورة مايو (أيار) السودانية حكمها من أجل تحقيق مطامعها الانانية على حساب خبز ومستقبل الكادحين السودانيين ، وهكذا ظلت المطالب السياسية والاجتماعية الاساسية لجماهير الشعب السودانى بعيدة عن التحقيق ، ولم يكن البرلمان والمؤسسات الدستورية سوى العوبة فى يد هذه الفئات الرجعية واداة لتثبيت نظام القهر والاستغلال الطبقى ضد اوسع الجماهير السودانية .

ان كل يوم يمر ، يحمل اجراءات هامة وذات محتوى وطنى واجتماعى عميقين . وهكذا حققت الثورة السودانية مطالب هامة للشعب السودانى فى أيام قليلة ، الامر الذى عجز عنه حكم الاقطاع والبورجوازية الرجعية خلال ثلاثة عشر عاما .

اننا نعلن للشعب السودانى العظيم ، وللرأى العام العالمى ، تأييدنا التام للبرنامج الوطنى الديمقراطى للثورة السودانية وتضامننا مع نضال الشعب السودانى من اجل السير بثورته قدما ومن اجل تحطيم التآمر الاستعمارى الرجعى ضد الثورة .

ان سباب وتهديد صحافة الاستعمار فى العالم الراسمالى ، وخصوصا صحافة المانيا الغربية ضد الشعب السودانى ونظامه التقدمى أنما هو تهيئة لاعمال تآمرية . وقد تعلمنا ان الامبريالية لا تتورع عن أرتكاب احط الجرائم وأبشعها فى سبيل المحافظة على مصالحها الاستغلالية والاستراتيجية القذرة ، وهى فى هذا تعتمد على قوى داخلية خائنة تستخدمها من أجل تحقيق اهدافها ، أننا ندين بشكل خاص الدور القذر الذى تلعبه جماعة الاخوان المسلمين فى السودان ، تلك الجماعة التى جعلت من نفسها قوة صدام للاستعمار الجديد وللرجعية . ان هذه الجماعة التى تآمرت على التحولات التقدمية فى الجمهورية العربية المتحدة وفى الجمهورية العربية السورية ، منظمة مؤامرات الاغتيال السياسى ضد القادة الوطنيين فى العربية المتحدة ، تقف اليوم ضد ثورة الشعب السودانى وتضع نفسها فى خدمة الاستعمار وحليفته الرجعية السودانية • أن جماهير المؤمنين قد كشفت وستكشف مستقبلا محاولات هذه الجماعة لاستغلال الدين والدين منها براء • أننا نؤيد تقديم قادة هذه الجماعة لمحكمة الثورة وانزال العقاب الصارم بهم •

ان التفاف الشعب السودانى حول ثورته هو اهم العوامل التى تسير بالثورة نحو النجاح • ولكن حماية الثورة السودانية ازاء التآمر الامبريالى والصهيونى والرجعى ليس واجب الشعب السودانى وحده بل هو واجب كل الحركة الوطنية فى البلدان العربية وواجب القوى التقدمية فى العالم بأسره • لذلك فأننا نتوجه بنداء لكل القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى وفى العالم من أجل مساندة الثورة السودانية وبشكل خاص لكل الوطنيين من طلاب البلدان العربية الذين يتلقون العلم خارج الوطن ان يقوموا بحملة تضامن واسعة مع الثورة السودانية ، وان يدحضوا الاصوات الرجعية ، وان يتدارسوا أنسب الاشكال للقيام بالواجب ازاء الشعب السودانى فى معركته •

عاش الشعب السودانى العظيم

عاشت ثورة مايو السودانية

تسقط المؤامرات الاستعمارية والرجعية ضد الشعب السودانى وثورته المجيدة •

عاش التضامن مع الثورة السودانية

طلاب البلدان العربية
درسدن — المانيا الديمقراطية

وثائق

وثائق تاريخية عن :

الحركة الدستورية في مصر من أواخر القرن الثامن عشر

١٧

تواصل الطليعة — في هذا العدد — نشر الوثائق الخاصة بالحركة الدستورية في بلادنا ، والتي كانت قد بدأت في نشرها منذ العدد الماضي [يوليو ١٩٦٩] حيث وقفنا عند هبة الشعب عام ١٨٠٥ .

وعلى اثر تلك الهبة ، أمضى الحاكم الجديد — محمد علي — الذي استقر له الحكم ، عدة سنوات لتصفية مناوئيه ، وضمان استقرار السلطة في يده .

تلك اذن مرحلتان من مراحل الحركة الدستورية في بلادنا . تبدأ الاولى بعام ١٨٢٤ حينما أصدر محمد علي أولى الوثائق الدستورية التي وضعها لتنظيم حكمه ، وتتضمن انشاء « المجلس الاعلى » وتتميز هذه المرحلة التي تعاقبت فيها تطورات تنظيم هذا المجلس ، بنوع من « الانفتاح على الشعب » ومحاولة اشراك ممثليه — وان كانوا معينين من قبل الوالي — في مناقشة أمور الحكم بطريقة ما .

وتبدأ المرحلة الثانية لعام ١٨٣٧ حيث عدل محمد علي عن النظام السابق . وتتميز هذه المرحلة بالتركيز على « الدواوين الادارية » التي نظمها « قانون السياساتامة » . واستمرت هذه المرحلة حتى نهاية حكم محمد علي .

ونحن نقدم — في هذا العدد — الوثائق المتعلقة « بالمجلس العالي » .

المجلس العالى ١٨٢٤ – ١٨٣٧

وثيقة رقم ٦٠٦ صفحة ٦١ دفتر رقم ١٨ معية ترجمت من اللغة التركية الى العربية بمعرفة قسم المحفوظات التاريخية بالسراى الملكية عن الاصل المحفوظ ضمن وثائقها .

المرجع : محمد خليل صبحى ، تاريخ الحياة النيابية فى مصر من عهد ساكن الجنان محمد على باشا ، الجزء الخامس ، ص ٣ وما بعدها .

ترجمة الامر الكريم الصادر من الجناب الخديوى فى ٥ ربيع الثانى سنة ١٢٤٠ هجرية [٢٧ نوفمبر ١٨٢٤] الى البيك الكتخدا رئيس المجلس عن تأسيس المجلس وطريقة مناقشاته وحسن معاملة أعضائه .

من الجناب الخديوى الى البيك الكتخدا (١) .

لقد كان دابنا ازاء كل أمر مما يتعلق بالمصالح المصرية وتقضى حكمة الحكومة بتنظيمه وتسويته أن نجتنب عند البت فيه الانفراد برأينا ، والاكتفاء بحكمنا ، بل نحوله على المجلس وفقا لاصولنا المقررة وأسلوبنا المعلوم ، كما قد جرت عادتنا ازاء كل شأن من الشئون المرهونة تسويتها بقرار المجلس ، أن نحمل التسوية التى سوى بها على ما أبداه رجال المجلس من تضامن واتحاد ، وما أظهره كل واحد منهم من سعى واجتهاد ، وأن نعتبرها ويعتبرها معنا النظار والحكام كافة جديرة بالقبول ، لتتاح لها أن توضع موضع التنفيذ والاجراء ، ومادام هذا دابنا واسلوبنا ، فانه لواجب عليك محتوم الاداء ، وفرض مستلزم الوفاء والقضاء ، أن تراعى مقتضيات الحال ، فتنسج فى المجلس على هذا المنوال .

كن فى كل خطيرة وحقيرة من المسائل التى تقضى الاصول ببحثها فى المجلس حريصا على أن تحيلها برمتها على أعضاء المجلس ، مفوضا اليهم وحدهم أن يتصرفوا فيها حلا وعقدا ، وفتقا ورتقا ، ومتوقيا أن تسوق فيها حرفا واحدا من الكلام قبل أن يبلغ المجلس من بحثها الختام ، ومتوخيا الدقة فى التزام الانصات لهم اذكاء لشوق المتكلمين منهم ، حتى اذا فرغ المجلس من تمحيصها ، ورئيت الحاجة ماسة الى التكلم فيها ، فاياك أن تنسب الكلام الى نفسك ، بل انظر : فأى الاعضاء كان فى ملاحظته مصيبا ، فاليه وجه خطابك ، قائلا : ان رايى أنا الاخر لموافق لرأيك ، وانى لاراك قد أحسنت التدبير وأجدت التقرير ، ثم تناول من قوله ، ما كان مبهما ، فاخلع عليه بالنيابة عنه حلة من البيان ، وما كان مجملا فأوضحه على لسانه حتى تجلوه للعيان ، لئلا يطرأ على همته فتور ، ولا يتطرق الى نشاطه وهن أو قصور ، ولتوفى كل أمر حقه من تداول الرأى والملاحظة ، وتبلغ به غاية المقدور من البحث والمناقشة .

وليحظ أعضاء المجلس فى أثناء المناقشة وينعموا بمرتبة من الحرية والترخيص تضطرهم الى ابداء آرائهم فى غير مبالاة ، والى الادلاء بثمرة تدبيراتهم بدون ممالاة ولا محاباة ، ذلك لان اضطرارهم هذا يستوجب منهم الاهتمام بالمناقشة المحولة على عهدتهم ، فيعيرون هذه المناقشة صميم عنايتهم ، كما يستنجز تسويتهم لكل أمر من الامور الموكول اليهم تسويتها ، فيقدمون هذه التسوية بموجب ما تفضى اليه المناقشة .

حتى اذا قيض لاحدهم أن يجد الحل المنشود أقبل الاخرون على امضائه ، فيكونون كلهم على اتحاد ، سواء فى استنباط الحل ومعرفته ، أو فى صوغه ووضعه . وليس المراد سوى هذا الاتحاد الذى متى جعل دستورا للعمل صدر حكم المجلس موافقا للمرام ، وتحققت الغاية المرجوة من نظامنا وأصولنا ، ووفق كل ذى جهد الى رؤية ثمرته . وهى ثمرة من شأنها أن تبعث فى المجلس القوة وتسبغ على اعضائه العزة ، حتى يصيب رأيهم من الغرض السويداء ، وتكون تدابيرهم محمودة فى نظر العقلاء .

هذا والى جانب التزامكم حيالهم لكل هذه المعاملة الطيبة ، ينبغى عليكم كلما انستم منهم استهتارا بأمر المناقشة ، أن تفتحوا

---

[١] هو محمد بك لاظ اوغلى كتخدا جناب والى مصر ، توفى الى رحمة الله فى ٢٢ رمضان سنة ١٢٤٢ هـ [١٨ ابريل ١٨٢٧] .

للسانكم باب الكلام فتخاطبوهم في انصاف بما يناسب المقام ، كأن تقولوا لهم : أيها الاخوان ، أيها الزملاء — ان هذا المجلس منوط بكم ، فما عرض فيه من أمر فمناقشته موكولة اليكم ، وبحثه محول على عهدتكم ، وأنا مأمور بان اقتصر على الحضور بينكم ، وأضم قلبي الى قلبكم . فان أنا تخلفت عنكم في ميدان القول ولزمت الصمت مراعاة لمقتضى الوظيفة فاني في ذلك لمعذور وما دامت هذه المصلحة مفوضا أمرها الى المجلس ، فاني مجبر على الاهابة بكم أن ابدوا فكرتكم ، وقولوا كلمتكم فان قدرتم مهمتكم ونطقتم بما تؤدون به واجب البحث والمناقشة ، كنتم ملبين لدعوتي ، مستمعين لكلمتي ، ناهضين بعملكم على وجه الاحسان والاتقان . وان قعدتم دون ايفاء لوازم المجلس ولم تؤدوا للنعمة حقها ، فما على الا أن أكتب الى صاحب المجلس ، فأبلغه الحقيقة ، وأنبئه بالواقع . فكونوا على هدى وبينة لكيلا ترموني يومئذ بالدعاوى الباطلة .

حرضوهم واحدا واحدا بهذه الاقوال ، واقنعوهم بوجوب الاخذ بهذا المثال ، فان تلقوا شرطكم هذا بالقبول ، واعاروا نصحكم أسماع الرضى والانتباه فبها ونعمت ، والا فاكتبوا الينا بفحوى الحال لنجد الوسيلة التي بها يقبلون ويسمعون ، ولنحافظ على ثمرات ما انفقنا من السعي ، فلا تضيع هباء ولا تذهب جفاء .

وبالجملة فان ما يحتمه الواجب أن ينظر بعين الرعاية الى هذا الاسلوب الذي بينا أنه اعظم اساس لحكومتنا ، واهم دعامة لمصلحتنا ، وما أكثر ما بصرتك بهذا الواجب ونبهتك اليه . فان يكن قولي لم يحظ منك بالاصغاء ، ولا لقي ما يستحقه من التنفيذ والاجراء ، فانه قد أصبح لزاما عليك من الان فصاعدا أن تضعه نصب عينيك وتشمر لتحقيقه عن ساقيك وساعديك .

وان شيئا سميناه قاعدة وأصولا ، وأجمعنا الرأى على اتباعه لجدير منك أيضا بالاتباع والامتثال ، وما دمنا محاذرين أن تمنى هذه الاصول بعوارض الاهمال والتعطيل ، فجدير بك كذلك أن تحذر ، فلا تمسها أو تعرض نفسك للندامة من أجلها .

اللائحة الاساسية

ترجمة الامر الكريم الصادر في ١٣ جمادي الاولى سنة ١٢٤٠هـ [٣ يناير ١٨٢٥] من المغفور له محمد على باشا الى اعضاء المجلس بالقلعة بعرض اللائحة الاساسية على المجلس لفحصها واتخاذها دستورا للعمل بها .

[المرجع: محمد خليل صبحي، المرجع السابق ، ص ٦]

ختم محمد علي

الى حضرات رجالي ذوى الحمية أصحاب العزة الاغوات والافندية بقاعة المجلس بالقلعة :

بما أنه من الواجب جعل ما تقتضيه مهام الحكم من مداولات المجلس المختص بنظر أمورنا ومصالحنا ، خاضعا لقاعدة ملائمة وأصول صالحة ، فسان فحوى أرادتنا المتعلقة بذلك قد أمر بتحريرها وتقريرها في شبرا ، وها هي بعد تبييضها ترسل اليكم اليوم على حالتها المبينة في هذه المذكرة . فعليكم أن تقرأوها وانتم حاضرون بأجمعكم في قاعة المجلس ، حيث تمعنون النظر في مضمونها وتدققون في درك مدلولها ، فان تبين لكم سواد معناها ومغزاها فعليكم أن تتخذوها دستورا تلتزمون العمل بموجبه والسير بمقتضاه . وان رأيتم فيها نقصا فتحروه وسدوه ، أو زيادة فنقحوها وأحذفوها . وعلى كل حال ينبغي عليكم أن تهتموا بعرض النتيجة علينا وأعلامنا بما يستقر الرأى عليه في ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٤٠ .

ترجمة نص اللائحة (٢)

لما كانت هذه الامة الناجية قد نشأت على أن تسير شئونها — صورة ومعنى — على مقتضى ما ورد في معجز الذكر من قوله تعالى « وشاورهم في الامر » وكانت مأمورة بالرجوع الى أهل النظر تخاطبهم وتداولهم الرأى فيما اختصوا بعلمه من الامور التي لا تفتأ تعرض لها وتطرأ عليها — فان صاحب الدولة مولانا ولي النعمة المطبوع على الخير والرحمة ، قد رأى وقاية للنظام والتدبير الواجب اتخاذهما تبعا للظروف والملابسات فيما يعن لدولته من الامور المهمة ، أن ينعقد مجلس خاص يكون واجبه ايضاح جميع التفصيلات وتفهيمها ، بحيث اذا حررت مضبطة مداولته للشئون والمواد المقدمة اليه مع القرار الذي يتفق رأيه عليه ، ثم عرضت هذه المضبطة على أنظار دولته ، كانت المناقشة كأنها قد دارت على مسمع من ذاته العلية ، وبين يدى حضرته السنية . لذلك صدرت أرادته الحافلة بالمفاخر ، الشاملة للمكارم والمآثر بانعقاد هذا المجلس الخاص . وها هي ذي

---

(٢) ترجمت هذه الوثيقة من اللغة التركية الى اللغة العربية بمعرفة قسم المحفوظات التاريخية بالسراى الملكية عن الاصل المحفوظ ضمن وثائقها بالمحفظة رقم [١] مجلس ملكية — وثيقة رقم ١ .

لائحته المتعلقة بالأصول الواجبة رعايتها فيه .

هنالك ثلاثة موارد للمسائل التى تستوجب الحال مناقشتها فى المجلس لاتصالها بالاعمال والمصالح .

فأما المورد الاول فهو أن يسنح خاطر مولانا صاحب الدولة ولى النعم برأى سديد ذى صلة بمصلحة من المصالح المهمة • فان صدر نطقه العالى بشأن هذه المصلحة ، فعلى عبده المأمور أن يدون هذا النطق ويشعر به المجلس فى صورة تقرير •

وأما الثانى ، فهو ما يقدمه عبده صاحب العطوفة البيك الكتخدا أو عبد غيره من عبيده النظار وسائر المأمورين ، من افادات متصلة بتنظيم بعض المصالح وتسويتها مما ينطوى على جلب منفعة ،او دفع مضرة .

وأما الثالث ، فهو أن تقوم فى وجه ولاة الاعمال مشكلة متعلقة بالمصالح الموكول اليهم تصريفها ، فلا يستطيعون الى حلها سبيلا ، وينبغى بالطبع رجوعهم فيها الى المجلس ، وحينئذ يتعين عليهم هم الاخرين أن يدرجوا كل مسألة يعتزمون بسطها فى تقرير يسطره الواحد منهم بالتركية أو العربية ، ويسلمه الى خادمه كاتب المجلس ثم يختار يوما مخصوصا من ايام الاسبوع يحضر فى صباحه الذين يلزم حضورهم فيجتمعون فى قاعة المجلس ، حيث يبادرون الى الاعمال المتراكمة فيزيلون ركامها ويفضون زحامها بتقديمهم ما كان مهما بحثه من الاعمال والمصالح على غيره • حتى اذا خلصوا الى تلك التقارير ، واطلعوا عليها تقريرا تقريرا ، متبينين مغزاها والمقصود منها ، شرعوا عندئذ فى مناقشة الاهم والالزم من بين المسائل المذكورة متوخين تجزئة كل مسألة وتفريعها بحسب عدد الفروع التى ينبغى بحثها ومعرفة جوابها ، ثم يردون المسألة الى مراجعها التى تقتضيها هذه الفروع ، فان رأوها متصلة بمصلحة ما بادروا الى المأمور المختص بهذه المصلحة فسألوه عنها ، وان رأوها غير متصلة بالمصالح المتفرقة بل متعلقة بالامور المهمة العامة ـ استفتوا فيها من كان على تمام الخبرة بهذه الامور حتى اذا أبدى المأمور المختص أو ذو الخبرة رأيه وسجل هذا الرأى نظر اليه • فان وجد مطابقا للمرام ، وكانت البراهين العقلية والادلة المقنعة التى قام عليها موافقة لحسن تسوية المسألة المذكورة فلابد من تدوين هذه البراهين والادلة بنصها متى وقعت من جميع الحاضرين موقع الاقرار والاستحسان • على أن يراعى فى ذلك حق كل حاضر بالمجلس ، وذلك بسؤاله على حدة عن الحل الذى يراه ملائما للمسألة . أما اذا أقر نفر من الحاضرين هذا الرأى واستحسنوه ، وراح فريق يعارضه ويؤثر غيره من الاراء ، فحينئذ ينبغى على رجال المجلس أن يزنوا الرأيين ، ويميزوا أسباب الخلاف بينهما ،ثم يرجحوا اصوبهما ويختاروه .

وأما اذا اقتضت الحال أن يجتمع المجلس فى غير اليوم المخصوص لبحث أمر جلل من الامور المهمة العظيمة ، فيخطر كل عضو بتذكرة تؤذنه بانعقاد المجلس فى اليوم التالى ليحضر الاعضاء فى صباح ذلك اليوم وبعد اجتماعهم وتبادلهم الاقوال فى تنظيم هذا الامر وتسويته ينظر الى ما استقرت عليه أفكارهم بصدده ، فان كانوا كلهم مجمعين على رأى واحد فبها ونعمت ، وان رأى فريق منهم رايا ، وذهب فريق آخر الى رأى يخالفه ، وشوهد أن لكل فريق وجها لارجحية قوله ومذهبه ، فينبغى فى مثل هذا الاختلاف أن تسطر أقوال الفريقين وتعرض على العتبات الخديوية • فما تتعلق الارادة السامية به ، فهو الذى يجب التزامه والعمل بموجبه • وكذلك الحال فى المسائل المتعلقة بامور الحكومة ، مهما تكن النتيجة التى يؤول اليها بحثها والقرار الذى يتخذ بشأنها • فان الواجب يقضى بأن تناط بصدور ارادة ولى النعم ، فلا تعلن ولا تذاع قبل رفعها الى عتبات عنايته والاستئذان فيها من على سدته .

ومما تستلزمه المصلحة أن يكون الذهن عند بحث احدى المسائل على المنوال السالف شرحه ، منصرف الى مايتناوله الكلام فيها من المواد ، فليس لاحد أن يقول : خطر ببالى كيت وكيت من المواد المتعلقة بمسألة أخرى ، ولا أن يسلك سبيلا غير سبيل الاصغاء التام الى كل صغيرة وكبيرة من الكلمات الملقاة فى المسألة المطروحة على بساط البحث ، ولا أن يخرج من الجلسة لغير ضرورة ماسة ، حتى تفضى المباحثة الى نتيجة ، وتنتهى الى اتخاذ قرار معلوم • لان الامر العظيم اذا تقحمت عليه المواد الاخرى وهو وشيك الوصول الى القرار المستمد من مناقشته ، حال ذلك دون بلوغ غايته وحسن نتاجه ، وبات الامر فى حاجة الى اجتماع آخر ،وفى هذا ما فيه من ضياع الوقت •

وليفتح الباب ـ على الوجه المشروح بعاليه ـ لكل فرع من فروع المسألة المشروع فى بحثها ، ومتى تمت كتابة الباب وفرغ من مناقشته ، فلتقرأ مسودته فى مواجهة الجميع ، ليعلم على أى وجه اثبتت اقوال كل قائل ، ثم تبيض مضبطة المسألة ويختمها رجال المجلس ويودعونها عبدهم الافندى كاتب المجلس الذى يحفظها عنده ويقيدها بدفتره ، لاجل التتبع والافتقاد ، ثم تحرر منها صورة تقدم الى عتبات ولى النعم •

وأما اذا كانت المسألة المطروحة على بساط البحث قد

طرحت منذ الصباح ، ولم يتم بحثها حتى الظهر ، فحينئذ يؤتى الجميع فاصل استراحة ، قدرها ساعة من الزمان لاجل الغداء • ثم يجمعون مرة أخرى ويبادرون الى استئناف البحث . فاذا فهم ان المسألة لن يفرغ منها حتى المساء ، فلا ينبغى التزام الاستعجال ، بل يرجأ البحث الى الجلسة القادمة ، لتستكمل المسألة صفحات مناقشتها ، ويعنى بتنظيم مقتضياتها

هذا ، ومتى كثر عديد رجال المجلس ، فان الوقت يضيق عن متابعة تحرير الاراء التى تقدم ، أو الرأى الذى ينطق به كل عضو على التوالى ، وهذا من شأنه أن يعوق ما يصدره المجلس من نتيجة أو قرار ، فضلا عن أن البشرية من دأبها السهو ، وتصحيح السهو من شأنه تأخير المباحثة ، فان يكن من الحكمة اتقاء هذا العوق ، والتأخير بايتاء الافندى كاتب المجلس مساعدا يشد أزره ، فان هذا الامر سوف يبرز واضحا عند مباشرة الكتابة • فمتى علم به ورئى انفاذه فيومئذ يندب عبد مناسب من عبيدكم لتأدية هذا العمل على المنوال المتقدم بيانه .

وبعد فاذا حظى هذا الترتيب بموافقة لرأى ولى النعم ، وتفضل جنابه العالى فزانه بلطف استحسانه ، اتخذ دستورا للعمل ، واجتنب تسويغ كل سلوك يخالفه .».

العدد رقم ٣ فى سلخ جمادالاخرة سنة ١٢٤٤

محمد خليل صبحى ، المرجع السابق ، ص ١٤

ان سعادة افندينا ولى النعم صاحب العظمة والهمم ، من غزل رأيه ورويته منصرف فى حبسك اجزى مصالح البلاد والعباد ، ومراحمه وعدله عمكل قطروناد ، بحيث أن جوهر افكاره مصروفة من كل جهة الى تحصيل عمار البلاد ، وتسهيل أمور الناس ومقصودة بالاجتهاد أن يقف على حال سكان القرى والبلدان الداخلة فى حوزة الحكم والتصرف ، ويبين لهم شغل اصناف المزروعات كالقطن والنيلة وباقى اجناس الحبوب التى يصدر من زراعتها الخير والبركة • ويحث ويرغب من يسعى بحسب قوانينه المرغوبة ويعلن طريق الصواب بالنصايح المناسبة لمن هو متغافل عن ذلك ، ويجعل العاجزين آمنين من تسلط الاقوياء عليهم .»

النتيجة أن تكون الاقاليم المصرية كافة معتبرة ومشمولة بعواطف نظره الشريف كدائرته الخاصة ، وأن يتربى فى فضله كأولاد له قاطنوها كبيرا كان أو صغيرا ، رفيعا أو وضيعا ، تربية بها يصيرون بصيرين بأمورهم ، مطلعين على حال اخطائهم واستقامتهم •

وبحيث أن هذه الارادة الحسنة ظهرت لديه من أحسن الاعمال ارتأى فى سنة واحد واربعين فى شهر رجب الفرد أن تقسم الاقاليم البحرية الى أربعة عشر قسما والاقاليم الصعيدية الى عشرة اقسام • وسلم زمام تدبير كل قسم منها لمحسوب ممن تربوا فى نعمته وتهذبوا بشغل الزراعة وتدبير امور المصالح ، ونبه عليهم شفاها بتدبير المصالح الملكية وترتيب المواد المقتضية •

ولما كان مقصوده أن يعمر القرى ويهب الراحة للفقراء وأن يسير ويجول فى البلدان ويجعل النظر باصناف الزراعة فيها فيصير المأمورين بهذا أصحاب خبرة وانتباه بدقائق الامور ، وأن ينشر أوامره العلية فيسبب بهذه الارادة الحسنة شوقا وشغفا الى المأمورين بالاجتهاد فى المصالح – أمر بنصب الخيم فى بندر الجعفرية الكائنة فى وسط الاقاليم البحرية ، وتوجه اليها بالسطوة والاجلال ، وأخر السير الى الاقاليم القبلية والدوران فيها الى وقت آخر لسبب بعدها عن الجعفرية • ونقل كتخداه العالى من مأورية المنصورة وارسله الى بندر اسيوط الذى هو مركز حكام الاقاليم الصعيدية • وفوض للمشار اليه نظارة الاقاليم القبلية ليعمرها بحسن قدومه كالاقاليم البحرية .»

والان فى هذا الوقت المقترن بالسعد ، لكيلا يتأتى الخلل على الاشغال البحرية والقبلية ، بل ترتقى وتزداد ، ويحصل أهلها على الراحة وتيسير الامور ، قسم الاقاليم البحرية التى انقسمت سابقا أربعة عشر قسما الى ثلاثة اقسام الاول خصصه لذاته الكريمة ، والثانى بحضرة ولى النعم ابراهيم باشا والى جدة ، والثالث بذى المقام العالى دفتر المحروسة • وكذلك قسم القبلية التى انقسمت سابقا عشرة اقسام الى قسمين احدهما لكتخدا بيك الافخم المشار اليه والثانى لحضرة ذى الخصال الكريمة والفعال المحمودة احمد باشا طاهر •

وقد كان مراد حضرة ولى النعم أن حسابات الاقاليم البحرية والقبلية والحجازية والسودانية – عموما شهرية كانت أو سنوية ترد الى الخزينة العامرة وتحسب حسابات الايراد بمعرفة كاتب الايراد وحسابات المصروف بمعرفة كاتب المصروف ، وتقدم أجمال الحسابات الشهرية فى غاية الشهر الى الاعتاب الكريمة واليها يقدم أيضا اجمالى الحسابات السنوية فى آخر السنة •

وبعد ذلك تحال الى ديوان المجلس العالى الذى هو ميزان الحل والعقد ومركز الفتق والرتق . وهناك يقرأ ويستقصى

باتحاد أهل الشورى عما يقتضى لاجله السؤال والجواب ...

فى بيان كيفية ترتيب المجلس

ان حضرة افندينا ولى النعم الاكرم منبع الشفقة والمراحم ما برح متفكرا فى عمار الملك والملة وفى راحة أهالى الامصار والبلاد ورفاهية الرعايا والعباد . ولا يزال يتصور تحصيل اسباب الامور الخيرية ساعيا ومجتهدا فى استخراج اسبابها من القوة الى الفعل . ولاجل ذلك أوصى حضرة افندينا ابراهيم باشا ولى النعم قبل أن أرسله من الاسكندرية الى مصر بأن يجمع مأمورى الاقاليم المصرية العظام ومشايخ البلاد الكرام وينعقد مجلس المشورة كل يوم ويبدى كل منهم ما فى باله ويقولون مرادهم من غير تعصب وعناد أى لا يمارون بما يرون ، بل يقولون على وجه الحق والانصاف لينتج منها تلك القضية الخيرية . فيحصل رضاه السنى . وأمر أيضا بأن يجتمع فى ذلك المجلس أشراف العلما المصرية لكيلا يبدو انحراف عن تلك الاصول المستحسنة التى يراد تأسيسها على جادة الشريعة المطهرة .

فاجتهد سعادة المشار اليه بتحصيل رضا سعادته بما كان مفطورا عليه من حسن المسعى والاجتهاد حيث جمع المذكورين كلهم الى قصره العالى بعد مضى يومين من وقت تشريفه مصر . وأوضح لهم ما سمع من ابيه الاكرم من درء الوصايا والنصايح . فلذلك انعقد المجلس فى القصر العالى فى اليوم الثالث من شهر ربيع الاول بعد العصر وسئل كل منهم عما لاح فى ضميرهم وتقرر أن يضبط فى الوقائع مآل ما يجرى فى ذلك المجلس .

الوقائع المصرية العدد رقم ٤٩ فى ٤ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩)
[محمد خليل صبحى ، المرجع السابق ص ١٦]

وهذه اسماء اعضاء المجلس وبيان وظائفهم :

حضرة افندينا ولى النعم ابراهيم باشا رئيسا .

اعضاء من الاكابر ورؤساء ومصالح الحكومة والعلماء [٣٣]

الاعضاء من مأمورى الاقاليم [٢٤] .

مشايخ الاقاليم (٩٩)

انه فى عصر يوم ٤ ربيع الاول عقد مجلس المشورة لاول مرة فى قصر ولى النعم افندينا ابراهيم باشا وتحت رياسته وحضر الاجتماع جميع الاعضاء وعرض عليه كل الشئون الخاصة بالاقاليم خصوصا ما كان موجودا فى تلك الشئون بالديوان العالى وقرار اعداد محل لتعليم الكتبة .

(المرجع : امين سامى ، تقويم النيل ، جـ ٢ ، ص ٣٤٩ — ٣٥٢
[محمد خليل صبحى ، المرجع السابق ص ١٦]

الجزء الثالث
ينشر فى العدد القادم



مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين
رمز
كيما
للجودة
والانطلاق
بإنتاجها الجديد
نتروكيما ٣١٪ آزوت
أعلى نسبة فى الآزوت تضاعف
خيرات أرضنا الطيبة وترفع
مستوى الإنتاج الزراعى
شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما» بأسوان
إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

الثمن ١٠ قروش

مطابع الاهرام التجارية

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

٩

سبتمبر ١٩٦٩ - السنة الخامسة

ماذا ننتظر : حريق آخر ؟!

- حرب الاستنزاف
- رومانيا : اللعب على الحبال

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

« شهادات واقعية وتعليقات »

- المقاومة الفلسطينية بين التأملات الرومانسية والممارسة الثورية
- الفدائيون في الصحراء

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أبو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبد الله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠.

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد التاسع — السنة الخامسة — سبتمبر ١٩٦٩

■ ماذا ننتظر : حريق آخر ؟ ! « الافتتاحية » — لطفى الخولى — ٣

● حرب الاستنزاف — د. اسماعيل صبرى عبد الله — ٨

■ هكذا يتكلم الادباء الشباب « شهادات واقعية وتعليقات » — ١٣

— شهادات واقعية — ١٥
— جيلنا : النقد والحرية والمشاكل — سامى خشبة — ٦١
— « ظاهرة العقاد » لن تتكرر — د. سهير القلماوى — ٦٦
— هذا الجيل : اعصار حقيقى أم زوبعة فى فنجان ؟ — د. لويس عوض — ٦٩
— عناد «كورديليا» وحكمة « الملك لير » — د. على الراعى — ٧١
— الجيل الجديد.. بين الرفض والانتماء — د. لطيفة الزيات — ٧٤
— جيل الثورة والتمرد والحجرة المغلقة — لطفى الخولى — ٨٠
— نحن جيل ضائع — غالى شكرى — ٨٨

■ الطريق العلمى.. لحل مشكلة جنوب السودان (وبيان حزب الجنوب الديمقراطى) — جوزيف قرنق — ٩٢

■ الفدائيون فى الصحراء — محمود عزمى — ٩٩

■ المقاومة الفلسطينية .. بين التأملات الرومانسية والممارسة الثورية — نورى عبد الرزاق حسين — ١١٠

■ انقذونا من هذا الحب القاسى (خطاب مفتوح الى النقاد والادباء العرب) — محمود درويش — ١١٣

■ اعمدة المؤسسة العسكرية الصناعية فى أمريكا — وديع وهيب — ١١٧

■ تقارير الشهر وتعليقات — ١٢٤

— لجان المواطنين : «سؤال الوقت»
— رومانيا : اللعب على الحبال
— يقظة الضمير الغربى على الشاشة المعاصرة — سمير فريد

■ مكتبة الطليعة — ١٤٦

— علم النفس المعاصر — تأليف : جورج بوليتزير، عرض ونقد : سمير كرم

■ مناقشات مفتوحة — ١٥١

■ وثائق

— وثائق تاريخية عن الحركة الدستورية فى مصر من أواخر القرن الثامن عشر — ١٥٨

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الــرأى ولــكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » ؟

الافتتاحية

ماذا ننتظر : حريق آخر ؟!

لاتستطيع اسرائيل ، مهما حاولت ، ان تتنصل من مسئوليتها عن احراق المسجد الاقصى . فالمسجد ومدينته التاريخية، يقعان منذ يونيو ١٩٦٧ تحت الحكم المباشر لجيش الاحتلال الاسرائيلى .

وحين ادان الرأى العام العالمى ، ممثلا فى قرارات حاسمة لمجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة ، الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل لضم القدس العربية وتهويدها، كان المحتلون الاسرائيليون يحاولون طمأنة الرأى العام الدولى بأن ضم المدينة لن يؤثر على استمرار حرية العبادة واحترامها لجميع الطوائف فى مساجدها وكنائسها المقدسة ، وانهم يتعهدون ــ للعالم ــ بسلامة وحماية هذه المقدسات .

والنار التى شبت فى صباح يوم الخميس ٢١ أغسطس والتهمت الجناح الشرقى للمسجد الاقصى ، تأتى شاهدا جديدا ، على كيفية تنفيذ الصهيونية والاحتلال الاسرائيلى لتعهداتهما والتزاماتهما .

وليس هذا أول اعتداء اجرامي مادى على الاماكن المقدسة غير اليهودية بالقدس • فقبل حوالى عام ونصف العام ، انقضت مجموعة من الشباب الصهيوني المتعصب على كنيسة القيامة وسرقوا تاج العذراء • وما حرق المسجد الاقصى ، الا حلقة فى سلسلة مخططة من جانب الصهيونية العنصرية التي يؤججها التعصب الديني لتدمير كل المقدسات الدينية غير اليهودية فى المدينة • ذلك أن هدفهم لبناء « اسرائيل الكبرى » من حول عاصمة موحدة تلتهم القدس وتهودها تماما ، قد افصحت عنه اجراءات نسف المنازل العربية من حول حائط المبكى ومصادرة آلاف الامتار من الاراضى العربية . والمسجد الاقصى ذاته يقف عقبة أمام تنفيذ مشروعات الصهيونية من أجل توسيع الميدان امام حائط المبكى واعادة بناء هيكل سليمان .

وهكذا تمضى الصهيونية العنصرية المتعصبة ، فى سبيل بناء اسرائيلها الكبرى ، تستخدم القنابل والمدافع والنابالم والقتل واحراق المساجد •

وهي من أرضية التعصب اللا انساني المقيت ، تفجر اليوم فى الارض العربية من جديد ، نيران حرب عنصرية رهيبة تسكب عليها أتون التعصب الدينى • وحتى محاولتها للتنصل من الجريمة ، تتم فى اطار التفكير العنصرى وموقف التعصب الدينى • اذ تقدم للمذبحة « متهما » غريبا يعيش « سائحا » جنسيته « استرالية » وديانته مسيحية !

وهذا كله ، رغم أنه تصرف جنوني أحمق ، الا أنه يتفق وجوهر الطبيعة الصهيونية من ناحية كما أنه ، من ناحية أخرى ، يعبر عن يأسها من ضرب الصمود العربى المتعاظم لهزيمة يونيو ١٩٦٧ والحد من نمو حركة المقاومة الفلسطينية .

وهكذا عادت الصهيونية ـ على « المكشوف » الى نقطة البداية فى حركتها : شن حرب صليبية يهودية ضد المسلمين والمسيحيين • وذلك ، دون ما اعتبار ، الى الهاوية الرهيبة التى تدفع اليها منطقة الشرق الاوسط والعالم كله ، بل والجماهير اليهودية نفسها .

ان شجرة الشر لا مفر من أن تطرح ثمار الشر • والصهيونية بكيانها الاسرائيلى المزروع بالقوة فى الارض العربية ، لا مفر من ان تفجر ـ وفى الثلث الاخير من القرن العشرين ـ نيران الحقد العنصرى وحرب التعصب الدينى ، ضد الاخوة الانسانية وتقدمها وسلامها •

وقد يسأل سائل : لماذا تقدم الصهيونية على احراق المسجد الاقصى ، أليس ذلك ضارا باسرائيل نفسها محليا وعالميا : اذ يكتل ضدها مزيد من القوى الاسلامية غير العربية ويفضحها فى المجتمع الانسانى ؟

والاجابة عن هذا السؤال تتصل بالتناقض الذى تعانيه الصهيونية بين طبيعتها واهدافها العنصرية المتعصبة ، وبين القناع الانسانى الذى تضطر للظهور به أمام العالم الذى يدين العنصرية والتعصب الدينى •• بين فعلها وبين دعايتها •

فعندما تتوالى الاحداث باتجاه مضاد لمصالح الصهيونية وأهدافها : ينبثق من داخلها أقصى عناصرها عنصرية وتعصبا ومغامرة ، محاولا أن يحل التناقض بالقوة الارهابية المدمرة لصالح اهدافها وفعلها ، ويترك بعد ذلك « لساستها » وأجهزة دعايتها أن يقوموا بالتبرير المطلوب والتغطية الواجبة • ولا مانع من أن يصلوا فى ذلك

الى حد « الادانة » وانزال « عقاب » صورى ببعض مرتكبى « الجرائم » .. الجرائم التى تسجل فى تاريخ الصهيونية ، بعد ذلك ، كانتصارات .

وفى هذا المجال تتعدد « **جرائم الانتصارات الصهيونية ومسرحيات الادانة والعقاب** » .. قتل الكونت برنادوت وسيط الامم المتحدة فى فلسطين عام ١٩٤٨ .. مذابح دير ياسين وكفر قاسم .. ضرب قرى الفلاحين العرب العزل من السلاح بقنابل النابالم الحارقة ..

وجريمة احراق المسجد الاقصى هى بالتأكيد من فعل حركة اسرائيل الكبرى التى يعمل فى قيادتها كل من الارهابى العنصرى القديم **مناحم بيجين** وزير الدولة **وموشى ديان** وزير الدفاع . ولا يستبعد أن ذلك قد تم فى اطار محاولتهما كسب تأييد الصهاينة المتعصبين الذين يكونون أغلبية الناخبين فى اسرائيل خلال معركة انتخابات الكنيست التى ستجرى فى نوفمبر القادم ، سعيا وراء الاستيلاء على السلطة .

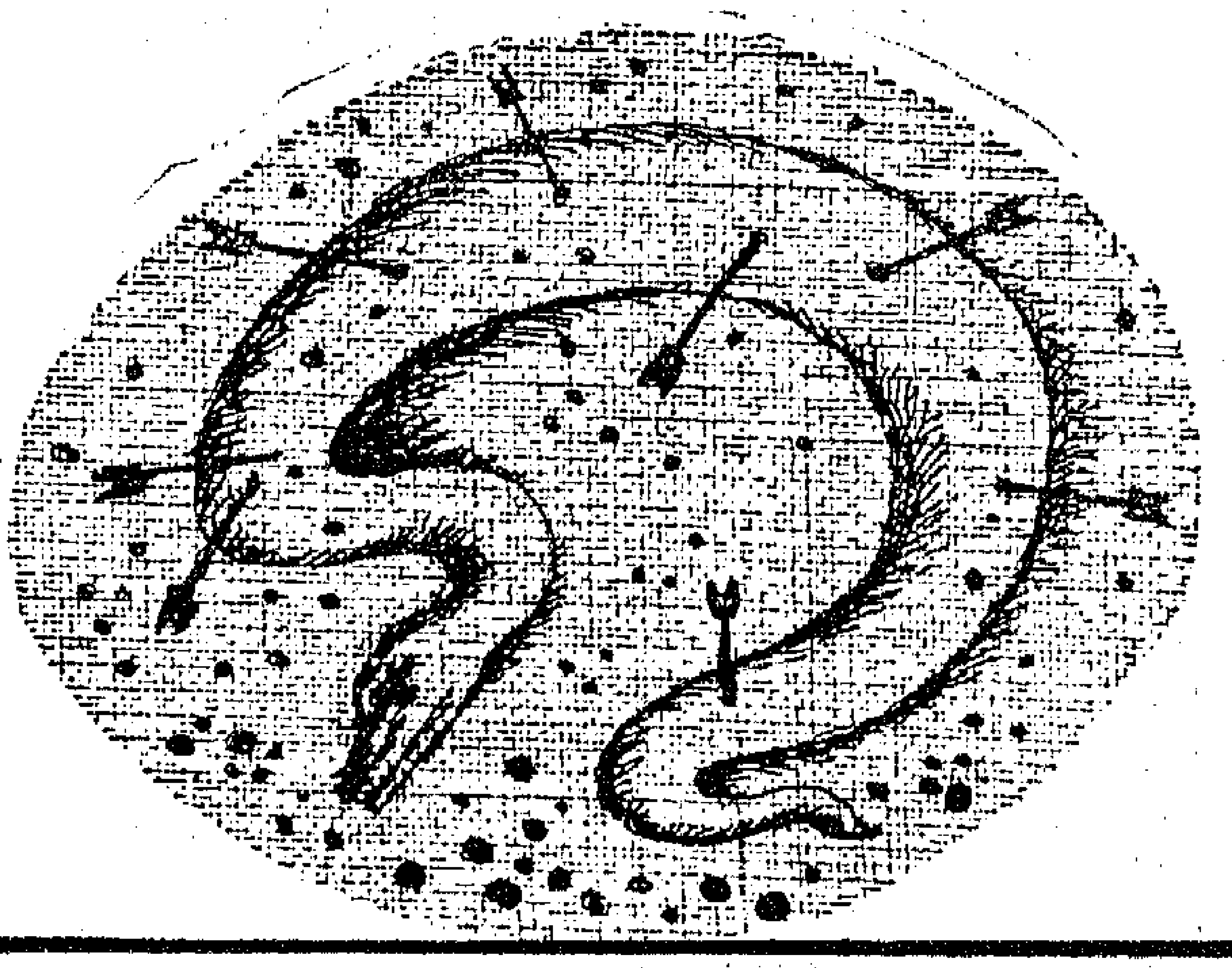
وعندما وقعت الجريمة جرى سباق خفى بين المتنافسين الصهاينة على «شرف اثبات الاشتراك فيها» أمام الناخبين . وهذا مايفسر التباطؤ المريب من جانب أجهزة الحكومة الاسرائيلية فى اطفاء الحريق . وفى توقف اندفاع الماء فى خراطيم سيارات اطفاء الحريق ، عندما بدأت عملها ، بعد ٨ دقائق فقط !

واذا كانت النار التى اشتعلت فى المسجد الاقصى قد أحرقت جناحه الشرقى ، فانها يجب أن تحرق كل تردد وكل عقبة وكل حساسية داخل الوطن العربى ، تنتصب حائلا دون وحدة قواه وامكانياته ضد العدو واحتلاله الاستيطانى العنصرى .

العدو لايتكلم كثيرا ولكنه يتصرف كثيرا .. بعنف واجرام . ونحن ، مازلنا مع الاسف ، نتكلم كثيرا حول وحدة القوى من حول المقاومة الفلسطينية وحول التنسيق العربى الشامل على مختلف الجبهات ، ولكننا لا نترجم ذلك بعد — عمليا — بالدرجة المطلوبة والواجبة . وذلك فى معركة لن تتكرر .

ماذا ننتظر ياسادة ، ياثوريين ، ياوطنيين .. هزيمة أخرى .. حريق آخر ؟ !
ألا سحقا لكل الشعارات ، ان لم تتجسد فى عمل .. فى تنظيم قادر على الحركة والفعل .

لطفى الخولى



حرب الاستنزاف

د. اسماعيل صبري عبد الله

بعد أن مر أكثر من عامين على العدوان الصهيوني الاستعماري ، أصبح في وسع العرب أن يروا كثيرا من الامور في وضوح لم يكن ميسورا قبل العدوان • فقد كشفت الهزيمة العسكرية عن عدد كبير من الاخطاء • وفي رأس تلك الاخطاء الخطأ في معرفة حقيقة العدو وعناصر قوته واسباب ضعفه ، ومدى ارتباطاته الدولية ، وواقع نواياه التوسعية • فالخطأ في هذا هو جذر كل الاخطاء التي ارتكبت في أساليب مواجهته بالقول الدعائي أو بالعمل السياسي أو بالقتال • وفور الهزيمة كان الانفعال يتملك المشاعر فيحرفها عن التفكير العلمي السليم وعن « التحليل على البارد » • ولذلك كان طبيعيا أن تختلف بين العرب الاراء الى أبعد ما يكون الاختلاف ، برغم وحدة الهدف وحسن النية • أما الان ، فان الشهور الستة والعشرين التي انصرمت قد بددت زائف الامال • وخففت حدة الانفعال ، وفضحت الكثير مما كان مستورا • وقد كان خطاب الرئيس جمال عبدالناصر في المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي في ٢٣ يولية الماضي معبرا عن هذه الحقائق حين تحدث عن حتمية القتال من أجل تحرر الارض المحتلة ، وحين أوضح أن ذلك القتال لابد أن يأخذ طابع حرب الاستنزاف (•)

أمور لم تعد محل خلاف

وفى صورة الصدام بين حركة التحرر العربى وبين الغزو الصهيونى الاستعمارى توجد حقائق أصبحت ثابتة لا ينبغى أن تغيب عن أحد ولو لحظة واحدة · فهى حقائق جوهرية تحكم مسار هذا الصدام ، ويجب أن نأخذها بعين الاعتبار عندما نناضل من أجل التأثير فى مصيره ·

١ ــ نوايا اسرائيل التوسعية : لقد ثبت بالدليل القاطع أن اسرائيل لم ولن تقتنع باقتطاع جزء محدد من الوطن العربى · بل انها تسعى للتوسع المستمر فى المنطقة · وشعار « الدولة التى تمتد من النيل الى الفرات » ليس مجرد فكرة خيالية يتبناها حفنة من المتطرفين ، وانما هو هدف للدولة الصهيونية بكاملها ، رسمته خريطة على جدار « الكنيست » · ولدى انشاء اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ رفض حكامها الاعتراف بحدود التقسيم الذى قررته هيئة الامم المتحدة ، وتركوا دولتهم بلا حدود . ثم عادوا فرفضوا ان تكون خطوط الهدنة بعد عدوان ١٩٤٨ (الذى مكنهم من ضم مناطق أخرى واسعة من أرض فلسطين) حدودا دولية · وها هو ذا حزب العمل الاسرائيلى الحاكم يعلن فى مؤتمره الاخير رسميا أن أمن اسرائيل يقتضى ، فضلا عن ضم القدس ، ضم مرتفعات الجولان وأجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة وشريطا من سيناء حتى شرم الشيخ · والامر الملفت للنظر هنا هو أن حكام اسرائيل يتحدثون عن مقتضيات « **أمن اسرائيل** » حين يفصحون عما يريدون ضمه من الارض العربية ، ولكنهم لا يتحدثون عن « **حدود اسرائيل** » · فتلك قضية تظل مفتوحة أمام مزيد من التوسع · وفى ٥ يولية من العام الماضى قال **ديان** بالحرف الواحد « **منذ بدء العودة الى صهيون ــ قبل مائة عام ــ بدأت عملية مزدوجة : الاستعمار الاستيطانى والتوسع الاقليمى ·· ونحن لم نصل بعد الى نهاية هذا الطريق الذى اخترناه · ان شعب اسرائيل وحده هو الذى سيحدد حدود دولته** » · والمعنى الواضح لهذا الكلام هو أن الصهيونية قد اختارت طريق السلاح ، وأنها تزمع التوسع بقدر ما تمكنها قوة السلاح من التوسع . والاحزاب السياسية والتنظيمات النقابية وأجهزة الاعلام تهيىء الرأى العام هناك ــ كما يقول الصحفى الفرنسى اريك رولو بعد زيارة طويلة لاسرائيل ــ لضم الاراضى المحتلة كلها · **فهى لا تتحدث عنها باسم الاراضى المحتلة ، وانما تسميها « الاراضى المشتراة » أو « المحررة » وتطلق عليها اسماء عبرانية قديمة مثل : السامرة ، واليهودية . . الخ .**

ولكل هذا يصبح الامل فى « حل سلمى » سرابا يبدده اصرار الصهيونية . على التوسع ، ويغدو القتال فرضا علينا لا فكاك منه .

٢ ــ الدعم الامريكى الشامل : وتجد اسرائيل فى موقفها العدوانى والتوسعى الدعم الشامل من جانب الولايات المتحدة الامريكية · لقد سمعنا طويلا نغمة تقول أن أمريكا وحدها تستطيع الضغط على اسرائيل واجبارها على الانسحاب ، وانه لو استرضينا واشنطون لامكن الوصول الى حل سلمى وتجنب القتال · وهذا الكلام مبنى على خطأ ــ أو مغالطة ــ فى فهم حقيقة موقف أمريكا · فالولايات المتحدة لا تنهج هذه السياسة تحت تأثير النفوذ الصهيونى لان هذا كلام ساذج معناه أن تل ابيب تسير واشنطون ·· ! وانما هى تتخذ هذا الموقف لانها ــ بوصفها الدولة الاستعمارية الكبرى ــ تعادى حركة التحرر العربى ، وتبغى الابقاء على التبعية والتخلف فى أرجاء الوطن العربى ليسهل عليها استغلال موارده الطبيعية الضخمة وموقعه الاستراتيجى الممتاز · ولذلك فهى تحاول بكل ما تملك من وسائل ضرب النظم التقدمية فى البلدان العربية بالذات ، لان تلك النظم تعمل على تحرر الشعوب العربية واستخلاص مواردها وتنمية اقتصادها ورفع مستوى معيشتها · وهى فى الوقت ذاته تجد فى اسرائيل وجيش اسرائيل ومطامع اسرائيل وسيلة تمكنها من العدوان دون أن تتورط مباشرة فى حرب فيتنام جديدة · ولكل ذلك كان من الطبيعى أن يعادل كره واشنطون للنظم العربية التقدمية حبها لاسرائيل ودعمها لها ، وكان من العبث ان نتخيل الولايات المتحدة فى موقف الحكم المنصف بين العرب واسرائيل . **اننا لن نسترضى أمريكا الا اذا دفعنا أعز ما نملك ألا وهو استقلالنا ذاته وعملنا فى بناء مستقبلنا كما نريد .** ان واشنطون أشد حرصا على ضرب حركة التحرر العربى من اسرائيل · ولهذا فليس معقولا أن تضغط على اسرائيل لتنسحب انسحابا كاملا الى حدود ٤ يونية · ونفوذ أمريكا فى هيئة الامم المتحدة يجعل المنظمة الدولية عاجزة عمليا عن أن تفرض الحل السلمى . وهكذا نرى مرة أخرى انه لا سبيل لتحرير الارض المحتلة الا القتال ·

والوقائع تؤيد ما ذهبنا اليه ؛ فرغم كل الجهود العربية التى بذلت فى اتجاه التأثير فى موقف واشنطون لحملها على بعض من الاعتدال · تزايد الدعم الامريكى لاسرائيل بعد العدوان عنه قبله · فأمريكا اليوم تتولى بشكل مباشر وسافر تسليح اسرائيل بأحدث الاسلحة غير عابئة حتى بشعور من تسميهم أصدقاءها فى العالم العربى · وهى تقدم لها العون الاقتصادى الذى مكن تل أبيب من أن تنفق على الجيش فى السنتين الماضيتين ١٥٠٠ مليون دولار وأن تخصص له ٧٥ ٪ من ايرادات الدولة و٢٠ فى المائة من الدخل القومى كله · ان اسرائيل منذ نشأتها قد حصلت بفضل

مساندة واشنطون لها حتى سنة ١٩٦٨ على ١٠ فى المائة من مجموع المساعدات الاجنبية التى حصلت عليها كل دول العالم الثالث ، أى أن مليونى اسرائيلى حصلوا على ١٠ فى المائة من مجموع ما حصل عليه ٢٤٠٠ مليون انسان فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية • وبعبارة أخرى حصل كل مواطن اسرائيلى على ٢٢ مثل ما حصل عليه المواطن فى أكثر دول العالم الثالث استفادة من المعونات الخارجية •• !

٣ – حتمية القتال ومسئولية الشعب المصرى،

والحقيقة الثالثة هى أنه ليس أمامنا من خيار • فنحن لا نملك التسليم باحتلال أرضنا ، والتمهيد بذلك لمزيد من التوسع الصهيونى • والعدو المنتصر يرفض الانسحاب منها فى اطار « تسوية سلمية » • والنصر العسكرى قد منحه حق الاختيار • ولم يبق لنا الا أن نقاتل من أجل تحرير الارض وحرية الشعب • وتلك حقيقة يجب ألا يطمسها أى نوع من انواع الجدل . فالحديث الطويل عن « تفوق العدو » عسكريا أو تكنولوجيا لا يمكن أن يسوغ التقاعس عن القتال • لقد كانت بريطانيا وفرنسا تحتلان معظم أجزاء الوطن العربى وكل منهما كانت دولة عظمى متفوقة علينا « عسكريا وتكنولوجيا » بكل مقاييس التفوق • ولكن هذا لم يقعد بشعوبنا عن النضال حتى قضينا على الاحتلال الاجنبى • وعبثا يحاول البعض الفت من عضدنا بالتهويل من شأن الدعم الامريكى • فالشعب الجزائرى الشقيق حارب فرنسا ، ومن خلفها كل حلف الاطلنطى يدعمها ، وصمد وانتصر • أما المساعدات التى يقدمها لنا الاصدقاء ، فنحن نقدرها حق قدرها ، لانها عون كبير لنا فى حرب هى أولا وأخرا حربنا نحن • وكما قال جمال عبدالناصر فى احدى خطبه : لو لم نجد السلاح لحاربنا ولو بالنبابيت » •

ان تحرير الارض المحتلة هو مسئولية الشعوب العربية • ان هذه الشعوب مطالبة بوضع حد للزحف الصهيونى وضرب العسكرية الاسرائيلية ضربة يبدأ بعدها انحساره • وعليها أن تقبل بكل تضحية فى هذا الصدد • وتقع على الشعب العربى فى مصر مسئولية خاصة تتناسب مع عدده (فالمصريون ثلث الامة العربية) وموقعه (فى خط الصدام الاساسى مع العسكرية الاسرائيلية) وقدراته وموارده ، وكذلك دوره التاريخى فى كل صدام حضارى خاضه العرب ، ضد الصليبيين ، وضد المغول •••

المزايا الطبيعية فى الحرب ضد اسرائيل

حقا كتب علينا القتال فهو قدرنا • ولكن علينا أن ننظر اليه نظرة علمية عميقة لكى نهيىء له أفضل وسائله ، ونخوضه فى أحسن الظروف ، ونصل به الى أهدافه • ولا شك أن هذا يقتضى الدراسة العميقة لقوة العدو واستراتيجيته العسكرية وتكتيكاته ، ليس فقط كما مارسها فى الماضى ، بل وعلى الخصوص كما يمكن ان تتفتق عنها عقليته العسكرية فى المستقبل • كما أنه يفترض الادراك العميق لحقيقة آمكانياتنا والرسم الدقيق للاستراتيجية والتكتيكات التى تجعلنا نحقق منها أقصى فائدة • وهذا كله فى النهاية من صميم عمل القيادات العسكرية والسياسية • وفى الحدود التى يمكن للكاتب السياسى أن يعالج فيها مثل هذا الموضوع ، هناك أمور لابد من التنبيه اليها :

فالعدو : نظرا لعدده المحدود ، وتسليحه المكثف ، وقدراته التكنولوجية وخبراته العسكرية لابد أن يفضل دائما **الحرب الخاطفة • وبعبارة** أخرى : الحرب الخاطفة تكون دائما مواتيه للعدو أكثر مما تكون مواتية للعرب • أما نحن ، فاننا نستفيد فى مواجهته من عدة عوامل اساسية لابد من استغلالها على أفضل وجه •

● **الارض : أن أرض العرب واسعة** تعطيهم قدرة على المناورة لا يملكها العدو • ولذلك كان قادته يفضلون دائما البدء بالهجوم ليتم القتال خارج اسرائيل • ولو وصل القتال الى داخل الدولة الصهيونية لانقلب ميزان القوى تماما • وليس معنى ذلك أن « الهجوم خير دفاع » كما يقال عادة فى جملة معروفة تنسب الى نابليون • فقد خصص فون كلاوستنتز – أعظم من كتب فى نظرية الحرب – الجزء الاكبر من كتابه ليثبت أن المدافع يكون فى وضع أفضل عسكريا من المهاجم • فالمهاجم تطول خطوطه ، ويبتعد عن قواعده ومراكز تموينه ، ويتقدم فى أرض غير معروفة ووسط جماهير معادية . واحتلال اسرائيل اليوم لاراض عربية واسعة نقطة ضعف وليس سبب قوة فى كل مواجهة مقبلة • والمهم هو أن يكون لدينا التصميم على أن تكون الارض لهيبا يحيط بقوات العدو ،لا يستطيع ان يقر له قرار فى جزء منها ولا يهدأ له بال ، بحيث يبذل فى سبيل مجرد البقاء فيها أضعاف ما يمكن أن يستفيده من ذلك البقاء • وهنا تبرز أهمية أعمال المقاومة ، وغارات المجموعات الفدائية ، وأعمال التخريب ، وتكتيك الارض المحترقة •• الخ • ولابد فى هذا المقام من الاشارة الى أمرين – الاول ، هو أن حرب التحرير تعنى التضحية بكل شىء فى سبيل التحرير • وبالتالى يسقط كل حديث عن الخسائر المادية • ان علينا أن نفعل ما نستطيع لصيانة كل ما بناه شعبنا بعمله وعرقه ، ولكن علينا ايضا ان نكون مستعدين عند الضرورة للتضحية

بأى شيء فى سبيل النصر · يجب الا نتردد لحظة واحدة ازاء ما يمكن أن يصيب بعض منشآتنا من أضرار · ولنعلم أن الضمان الوحيد هنا هو قدرتنا على الرد ، على ان نلحق بالعدو مثل ما يلحق بنا من خسائر ·

والامر الثانى ، **هو طبيعة الارض · فكثيرا ما** سمعنا أن أرض فيتنام بما بها من جبال وغابات تسهل الحرب ضد الاستعمار الامريكى بعكس طبيعة بلادنا السهلة المستوية .. وهذا كلام مرفوض · فالغابات لا تصبح وسيلة للحماية حين تغرقها الطائرات بقنابل النابالم فتحيلها سعيرا يفنى كل مظهر للحياة · والجبال ظرف مساعد فى حرب الانصار فقط · والطبيعة فى بلادنا تساعدنا فى أكثر من موضع · فصحراء سيناء ليست جنة ينعم فيها الجيش الاسرائيلى · بل ان عليه أن ينقل كل نقطة ماء وكل حبة غذاء تلزم لجنوده · وعليهم الا يخرجوا عن دروب مرسومة والا التهمتهم الصحراء · وجبال سيناء ووديانها يمكن أن تصبح معاقل لقوات الفدائيين ..

وعلينا مرة اخرى ان نتذكر ظروف اسرائيل نفسها ، شريط ضيق من الارض سهل المنال جوا وبحرا يتكدس ٦٠ ٪ من سكانه فى مثلث حضرى صغير بين تل ابيب وحيفا والرملة ·

● **العنصر البشرى** : ما اكثر ما نقول اننا مائة مليون عربى فى مواجهة مليونين من الاسرائيليين · بل اننا ثلاثون مليون مصرى · وعلينا أن ندرك المعنى العميق لهذه الحقيقة · انها تعنى قبل كل شيء انه اذا كان الاسرائيليون أكثر تقدما فى النواحى العلمية والتكنولوجية فان الفارق العددى الضخم ينبغى أن يعوض هذا التقدم وزيادة · ولكنها تعنى ايضا استعدادنا للتضحية بالالوف المؤلفة من رجال مصر ونسائها فى سبيل حرية أرضها · وأننا مستعدون لخوض حرب تكون ضحايانا فيها اضعاف ضحايا اسرائيل · فالعدد فى ذاته أمر مجرد · وهو لا يصبح قوة فعالة تغير شكل التاريخ وتقلب كل موازين القوى الا اذا نفخت فيه الوطنية من روحها فأصبح ناسا يسترخصون الموت ثمنا لحرية الوطن ·

وليست مثل تلك التضحيات الغالية أمرا غريبا على شعبنا العربى فى مصر · فقد كان جنود أحمد عرابى مثالا للبسالة والاقدام ، ولولا الخيانة لما نال منهم جيش بريطانى · وثوار سنة ١٩١٩ واجهوا جيش الاحتلال وهم لا يملكون الا ابسط انواع السلاح ، بل وهم عزل من السلاح أحيانا · وشباب مصر من الطلبة ومن الضباط الاحرار هاجم معسكرات الانجليز غداة الحرب العالمية بأسلحة من صنعه · وهذا الشباب نفسه زحف فى منطقة القنال على القواعد البريطانية سنة ١٩٥١ مستهينا بالموت فى مواجهة المعقل الحربى للمستعمر · وفلاحو دنشواى ، وعمال بولاق ، وشهداء الجامعة سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٤٦ نماذج خالدة لما يضمه هذا الشعب العريق من بطولات ·

ليعلم العدو اذن أننا شعب تستعذب الشهادة فى سبيل الحرية وأننا سنغرق جنده فى بحر من الرجال العازمين على النصر أو الموت ، وان عزيمة الفلاح فى حقله والعامل فى مصنعه والمرأة فى بيتها على تحمل كل نتائج الحرب تحاكى عزيمة الجندى فى خط القتال · ليعلم العدو أننا قادرون على مواجهته فى حرب ابادة شاملة ، وأن أساليب الحرب النفسية وما تتضمنه من التغنى بالتفوق فى السلاح او فى التكنولوجيا أو فى المستوى الفردى للمواطن لن تنال من عزيمة شعب يدرك أنه فى النهاية هو الاقوى عددا والامضى عزيمة لانه لا يغزو ولا ينهب وانما يدافع عن أرض الاباء والاجداد ، مهد الحضارة الحافل بالامجاد .

● **الزمن** : واخيرا فنحن ـ ككل شعب يحارب الاستعمار ـ نملك الصبر على الحرب ومكارهها ، ونرفض ان نستدرج الى حرب خاطفة ونعرف كيف نخوض حربا طويلة وشاملة تنهك قوى العدو ، وتستنزف موارده ، وتحطم عدة الحرب عنده . ان الحرب الحديثة أصبحت ـ بعد استخدام الطيران والصواريخ ـ لا تقتصر على ميدان محدد ، ولا تحسم فى معركة واحدة · لقد أصبح من الممكن دائما للمعتدى المتزود باحدث انواع العتاد ان ينتصر فى معارك كثيرة وأن يحتل أرضا واسعة · ولكنه لا يكسب بذلك الحرب . وكما قال فون كلاوسنتز ان النصر فى الحرب يتم بتحطيم أرادة المقاومة لدى العدو وأجباره على الاستسلام · ولذلك فان أصرار الشعوب على المقاومة ورفض الاستسلام لا ينهى الحرب بعد الانتصارات الاولى مهما تكن أبعادها · ويمكن أن تستمر المقاومة سنوات حتى تشتد وتتم التعبئة وتجهز القوات المسلحة بالعتاد · وعندئذ تنقلب الاية ويتحول المعتدى الى خط الدفاع وهو الذى بنى كل تكتيكاته على الهجوم . لقد كان هذا هو أعظم دروس الحرب العالمية الثانية · فقد نجح هتلر فى احتلال أوروبا كلها فيما عدا بريطانيا واحتل الجزء الاكبر من اراضى الاتحاد السوفيتى الأوروبية . ولكن اصرار الشعوب على رفض الخنوع مع الوحش النازى منع كسب المعارك من أن يصبح كسبا للحرب · وبعد ثلاث سنوات من

المقاومة والاعداد بدأت الامور تتحول • وبالنصر في ستاليتجراد وفي العلمين أخذت جيوش هتلر تقاتل متراجعة حتى اقتحم المارشال زوكوف عاصمة الرايخ الالماني ، واحترق هتلر في مبنى حكومته •

وكذلك كان درس حرب الجزائر والحرب في فيتنام •

بعض النتائج الهامة

وفي ضوء هذا الفهم لطبيعة الحرب التي نخوضها ضد المعتدى الاسرائيلي ومن وراءه من المستعمرين يمكن أن نستخلص بعض النتائج الهامة :

١ ــ المعنى الحقيقي لحرب التحرير الشعبية : لقد ساد بيننا احيانا فهم خاطىء لحرب التحرير الشعبية بقصرها على حرب الانصار ويجعل منها نقيضا للحرب النظامية ، وهذا خطأ بعيد ، فالمعارك الحاسمة في حروب التحرير خاضتها جيوش نظامية • واذا كانت تلك الحروب قد بدأت في شكل حرب انصار ، فان ذلك لم يكن جزءا جوهريا من طبيعتها ، وانما أملته الظروف التاريخية في معظم الاحوال • فحيث يحتل المستعمر الوطن بأسره ، لا مفر من ان تبدأ حرب التحرير في شكل حرب أنصار • ولكنها متى احرزت انتصاراتها الاولى ، لابد ان تستهدف تحرير جزء من أرض الوطن • وعندئذ تصبح الخطوة الحاسمة بناء جيش نظامي في هذا الجزء المحرر • وجيوش ماوتسي تونج التي قضت نهائيا على حكم تشانج كاي تشيك كانت جيوشا نظامية • وكذلك كان جيش الجنرال جياب الذي كسب معركة « ديان بيان فو » الحاسمة ، وبالمثل جيش التحرير الشعبي الجزائري ، فاذا بدأت حرب التحرير والعدو لا يحتل الا جزءا من أرض الوطن ، فلابد منذ البداية من أن يلعب الجيش النظامي الدور الاساسي فيها •

وانما معنى حرب التحرر الحقيقي هو انها حرب شاملة يشترك فيها الشعب بأسره ولا تقتصر على القوات المسلحة وحدها • فالى جانب الجيش والاسطول والطيران توجد كتائب المتطوعين المساعدة ، وتوجد وحدات المقاومة المسلحة في المناطق المحتلة ، وتوجد القوات الشعبية التي تدافع عن المنشآت الصناعية وطرق المواصلات في مختلف أنحاء البلاد ، وتوجد مجموعات الدفاع المدني ، وفيما وراء هذا كله يكون كل مواطن في موقع عمله مناضلا من أجل كسب الحرب عن طريق زيادة الانتاج وتحسين الخدمات ومقاومة الاهمال والضياع والوفر في الاستهلاك وتحمل التضحيات • يصبح الشعب بأسره جيشا لا يشغله الا النضال من أجل النصر سواء في ذلك من ارتدى الزى العسكرى ومن لم يرتده •

٢ ــ العمل السياسي ودوره الحاسم : وفي حرب الاستنزاف الطويلة لابد من الارتقاء بتنظيم الجماهير ، ورفع وعيها السياسي باستمرار ، واشتراكها على أوسع نطاق في كل شيء يتصل بالمعركة • ان مقاومة الحرب النفسية لا تكون فقط بفضح اقوال الاعداء وبيان كذبها • ان السبيل الاساسي لتحصين الجبهة الداخلية هو أن يحس كل مواطن بانه يشارك في المعركة ، ويصنع كل يوم شيئا من أجل كسبها ، ويناقش في تنظيمه السياسي كل ما يتصل بها • وبعبارة أخرى لا يمكن أن نترك للعدو المبادرة ونقنع بالرد •

وكما نأخذ المبادرة في الاعمال العسكرية : يجب أن نأخذها في العمل السياسي بخطة ايجابية لتعبئة الجماهير وتنظيمها تحت شعار « كل شيء وكل انسان في خدمة المعركة » • وهذا بلا شك ما عناه الرئيس جمال عبد الناصر بحديثه عن ضرورة تطوير العمل في الاتحاد الاشتراكي العربي ، وتنظيم « لجان المواطنين لخدمة المعركة » •

٣ ــ استمرار البناء الداخلي : وما دامت الحرب طويلة ، فانه لا يتصور أن يتوقف كل شيء ، في الداخل حتى تنتهي بكسبها • بل ان كل تقدم نحرزه في البناء الداخلي سلاح جديد نضيفه الى ترسانة المقاومة والنصر • وهذا يعني ان المجهود الحربي بكل ما يلزمه من تضحيات لا يمكن أن يصرفنا عن التنمية الاقتصادية • لقد كان هذا الموضوع محل نقاش طويل • ولكن القيادة السياسية قد حسمته مستجيبة لرغبة الجماهير كما عبرت عنها مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي ، وجاءت ميزانية العام الجديد تعبيرا عن الرغبة في الاستمرار في التنمية •

كذلك يترتب على هذا الفهم ان استمرار المعركة من أجل التحرير لا يمكن أن يوقف عملية التحول الاشتراكي • وتلك رؤوس موضوعات تحتاج الى معالجة تفصيلية تخرج عن نطاق هذا المقال •



- شهادات واقعية
- تعليقات

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

من الملاحظ على الحركة الادبية والفنية خلال السنوات القليلة الاخيرة أنها استقبلت وجوها شابة جديدة تلمست طريقها الى الانتاج الفعلى من بداية الستينات على وجه التقريب ، وتعد فى غالبيتها ممن تنفسوا الحياة مع الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها .

ولاشك أن صراع الاجيال فى مختلف مجالات الحياة والوجود الانسانى ظاهرة طبيعية ، مهما شاب هذا الصراع من تطرف هنا أو هناك .. وفى ميدان الوجـــدان البشرى لاسبيل الى اثراء فكر أو فن الا اذا اغتنى التراث الادبى على مـــدى التاريخ بتجارب ورؤى جديدة .

لذلك ترى « الطليعة » أنه من حق الجيل المصرى الجديد فى الادب والفن أن تفتح له صفحاتها منبرا ، ليقول كلمته فيما يعن له من آراء وأفكار توجز تجربته الخاصة فى الفكر والحياة . وهكذا توجهت الى مجموعة كبيرة من شباب هذا الجيل حتى تجىء كلمتهم فى أكثر حالاتها تنوعا وتفصيلا ، غير أنه لم يتيسر لنا عند « النشر » الا هذا القدر من الاجابات على الاسئلة التى قدمتها « الطليعة » اليهم .

ومن واقع هـــذه الاجابات التى أمكن الحصول عليها وأمكن نشرها ، نلاحظ ان أعمار هذا الجيل قد تفاوتت بين ١٨ سنة كحد أدنى و ٣٥ سنة كحد أقصى : وكان متوسط العمر لاحدى وثلاثين اجابة هو ٢٩ عاما : ١٤ منهم فوق الثلاثين ، و ١٢ من الخامسة والعشرين الى الثلاثين ، و ٥ من الثامنة عشرة الى الرابعة والعشرين . يكتب القصة منهم ١٨ والشعر ٩ والنقد ٧ والمسرح ٤ . مع ملاحظة أن بعضهم يزدوج اهتمامه بأكثر من فن كالشعر والمسرح معا ، أو الفن التشكيلى والقصة ، أو النقد والقصة أو القصة والشعر .

وقد توجهت « الطليعة » الى مجموعة من النقاد والمشتغلين بقضايا الادب الذين ينتمون الى اتجاهات فكرية مختلفة واجيال متنوعة ليقولوا ايضا كلمتهم فى هذه الظاهرة الثقافية الجديدة ، ومن بينهم من ينتمى الى نفـــس الجيل موضع هذه الدراسة ، وهو الاستاذ سامى خشبه الذى يبلغ من العمر ٣٠ عاما .

وتدرك « الطليعـــة » أن ظـــاهرة الجيل المصرى الجديد فى الادب والفن ليست بمعزل عن ظاهرة الاجيال المعاصرة له فى بقيـــة أرجاء الوطن العربى ، لذلك فهى ترجو أن تخصص أحد أعدادها القادمة لاستكمال مابدأته فى هذا العدد . بل ان هذا العدد ليس أكثر من فاتحة لمناقشة الموضوع من كافة جوانبه ، من مختلف الاتجـــاهات والاجيال . و « الطليعة » بذلك تدعو كل صاحب رأى فى هذه القضية ان يشارك به على صفحاتها .

وكانت الاسئلة التى طرحتها « الطليعة » على ابناء هذا الجيل (بعد ذكر الاسم والسن والجهة التى يعمل بها ودخله الشهرى وانتاجه الفنى المنشـــور وغير المنشـــور] هى :

س ١ : متى قامت العلاقة بينك وبين الفن الذى تمارسه الان ، ومتى بدأت الانتاج فيه؟

س ٢ : ما هو المناخ الذى يسيطر على ممارستك لفنك من حيث :

- العلاقة بينك وبين زملائك الفنانين والاجهزة والمؤسسات المتصلة بهذا الفن .

- والعلاقة بينك وبين المجال الذى تعمل فيه سواء كان مجالا فنيـا أو غير ذلك .

- الموقف من الاجيال الفنية السابقة على جيلك وعلاقتك بها .

س ٣ ماهى المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تشارك فى ابداعك الفنى ، واين تقف ـ بهذه المؤثرات ـ من قضية التغيير الاجتماعى فى بلادك ـ بشكل عام ، وقضية العدوان الاسرائيلى ، وقضايا العالم المعاصر ؟

■ ■ ■



الاسم : احمد هاشم الشريف .

السن : ٢٩ عاما .

الجهة التى يعمل بها : ادارة التفرغ بوزارة الثقافة .

دخله الشهرى : ٢٥ جنيها .

انتاجه الفنى :

ـ المنشور : وجه المدينة ـ الطيور والاحلام والكرنفال .

ـ غير المنشور : العربة ذات الاجراس .

السؤال الاول : عـلاقتى بالفن مبكرة . فقـد بـدأت اكتب للمجلات وانا فى الثالثة عشرة . وكان إنتاجى موزعا بين الشعر والزجـل والقصـة والمقـال والمسرحيـة . ثم بدأت وانـا فى العشرين (عام ١٩٦٠) اكتشف فى القصة شكلا ملائما لـى . وتوالى انتاجى بعد ذلك فى هذا الطريق . لكن القصة ليست كل شىء . فقـد اهجـرها فـى المستقبل . وقد اهجر الكتـابة وابحث عـن « شكل » آخـر يلائمنى ، عنـدما يضيق نمـو الجسم بالثوب القديم .

السؤال الثانى : علاقتى بزملائى فى الكتابة فاترة أحيانا ، وساخنة احيانا اخـرى . وهى ليسـت عـلاقات مثمرة فى النهاية .

علاقتى بوزارة الثقافة واجهزتها علاقة سلبية . ولا اظنها تؤدى الى نتيجة ، لان الروتين وعقلية الوظائف تحكمها . علاقتى بأجهزة النشر طيبة وهم يرحبون بى دون سابق معـرفة وينشرون قصصى دون صعوبة ماعدا بعض المشاكل المالية او الشـخصية . مـع استثناء علاقتى بدار الكاتب وهى علاقة سيئة الى ابعد حد .

كنت اعمل فى مجال الوظائف التى اكرهها من صميم قلبى . وكلما تذكرتها شعرت بالتقزز من الموظفين واحـاديثهم ونكاتهـم وآرائهم التى لا تسـاوى مليما واحدا . انهم اغبياء ومنافقون وتجار بضائع مهربة .. وقـد انقذت نفسى من هذا الجو الذى علق بثـوبى الكثيـر منـه ، بالاستقالة عدة مرات ، حتـى قبلوها فى النهاية .

الجيل الماضى لا يفهمنا بطبيعة الحال . ولكن بعض افـراده يحاولون ذلك بصـورة مضحكة ومنفرة سرعـان مـا تكشـف نفسها . ان الزمن لا يـرحم والتغيرات الكثيرة التى طـرأت على المجتمع ، جعلت من الجيل الماضى اشباحا هزيلة .

السؤال الثالث : المؤثرات تحتاج لوقت اوسـع ، موقفى هو موقف ابن الطبقـة المتوسـطة الصـغيرة التـى يحـاول ان يتخطاها بفكره ليصبح ثـائرا وليس انتهازيا متطلعا . لا اشعر بعداء لليهود كجنس وديانة ، ولكنى اكره الطبقة العسكرية من اسرائيل واكافـح مـن اجـل زوالها ■

الاسم : مجيد طوبيا .
السن : ٣٠ سنة
الجهة التى يعمل بها : منحة تفرغ لدراسة الاخراج السينمائى بمعهد السينما [دراسات عليا] .
دخله الشهرى : مابين ٢٥ ــ ٣٠ جنيها .
انتاجه الفنى :
ــ المنشور : ــ مجموعة قصص بعنوان « فوستوك يصل الى القمر » ــ قصة وسيناريو وحوار فيلمى « المكامير » و « فاتح الكوبرى » ــ بعض الجوائز عن القصة القصيرة والقصة السينمائية .
ــ غير المنشور : مجموعة قصص بعنوان « خمس جرائد لم تقرأ » .

السؤال الاول : بدأت العلاقة بينى وبين الفن منذ ١٥ سنة .

السؤال الثانى : بالنسبة لزملائى فانا حريص على قراءة كل انتاجهم المنشور وغير المنشور ، لاعرف كيف يفكر ابناء جيلى .

بالنسبة للمجال الذى اعمل به ، العلاقة جيدة جدا ، مليئة بالمحبة ومبادلة الكتب والخبرات الاطلاعية .

بالنسبة للاجيال السابقة ، استفيد من الممتازين ، واتعلم من السيئين كيف يجب الا يكون الفن .

بالنسبة للاجهزة المتصلة بهذا الفن ، فالعلاقة حسنة جدا فى دور النشر والمجلات ، ومتوسطة فى شركة السينما .

السؤال الثالث : لا مفر من ان تشغلنى قضايا العالم كله . فالعلم جمل الكرة الارضية تتضاءل . بالنسبة لقضية فلسطين ، فبالاضافة الى انها قضية حق ، وتحرير ارض مغتصبة فقد اصبحت ايضا مسألة كرامة و « نبقى او لا نبقى » .

اما عن التغيير الاجتماعى فى بلادى بوجه عام ، فانا اؤيد كل تغيير يخدم الانسان ويؤكد كرامته .

انتاجى الادبى يدور فى هذه الدوائر الثلاث : العالم ــ الوطن ــ المجتمع اللصيق بى .

الاسم : رضوى عاشور
السن : ٢٣ سنة
الجهة التى يعمل بها : معيدة بكلية الاداب جامعة عين شمس
دخله الشهرى : ٢١ جنيها
انتاجه الفنى :
ــ المنشور : مقالات متفرقة بالمجلات
ــ غير المنشور : مجموعة من القصص القصيرة ــ رواية لم تكتمل بعنوان « التماثيل المحطمة »

السؤال الاول : قامت العلاقة بينى وبين القصة والرواية فى مرحلة الطفولة ، فى شكل اهتمام شديد بمتابعة معظم التمثيليات الاذاعية ، ثم فى شكل قراءات عديدة ومتنوعة للقصص والروايات العربية والاجنبية بلا أى تفريق بين الغث والثمين : من روايات ارسين لوبين واجاثا كريستى الى كلاسيكيات القرن التاسع عشر . فى فترة متأخرة نسبيا ــ الخامسة عشرة او السادسة عشرة ــ بدأت هذه القراءات تخضع لشكل من التنظيم والانتقاء .

بدأت الانتاج فى الثامنة عشرة ، وكنت فى السنة الثانية بكلية الاداب .

السؤال الثاني : عموما لاتربطني علاقات وطيدة مع عدد كبير من الفنانين . ولكن العلاقة بيني وبين من اعرفه منهم سواء من جيلي او الجيل السابق علاقة طيبة ، يدور بيننا في احيان كثيرة نقاش خلاق يؤدي الى نوع من وضوح الرؤية وبلورة للافكار بصرف النظر عن اتفاقنا او اختلافنا في الموضوع المثار ومع هذا فانني اعتقد ان هذه العلاقة بين بعضنا البعض وبين الجيل السابق والجيل الاسبق يجب ان تنظم في شكل ندوات ومناقشات تكون حوارا مفتوحا تمكننا من تبادل وجهات النظر والاستفادة من خبرة الاجيال السابقة .

اعتقد ان مناقشة العلاقة بيني وبين المجال الذي اعمل فيه ، وهو الجامعة ، يمكن تناولها من زاويتين : **الاولى** هي اتصالي بهذا المكان وتفاعلي معه كجزء من اتصالي وتفاعلي مع المجتمع عموما ، اتحسس مجموعة من الشخصيات والنفسيات والمواقف التي تزيد من خبرتي بالعالم المحيط وتمدني بجزء من المادة الانسانية التي اتناولها في فني . **اما الزاوية الاخرى** فهي الوجود في الجامعة بامكانياتها اللامحدودة في الفكر الطليعي والنقاش والاخذ والعطاء . وهذا ما يجب ان يكون ، والواقع مغاير . كانت القصائد التي القيت في مهرجان الشعر بجامعة عين شمس في العام الماضي كلها بلا استثناء قصائد تقليدية . ويبدو ان اللجنة المشرفة على المهرجان رفضت ماعداها . ومع هذا فلم يكن هناك ولا « مشروع جوهري » واحد ! نوع آخر من الندوات والمناقشات مطلوب .. عناصره بدون شك متوفرة .

في ميدان الادب عموما اعتقد اننا جيل تعلم ومازال على يدي نجيب محفوظ والحكيم ويوسف ادريس وسعد وهبة ونعمان عاشور والسياب والبياتي وصلاح عبد الصبور (ولعل كلامي ينطبق اكثر على ابناء المدينة) . اعتقد اننا نكاد نجهل طه حسين والعقاد ورفاقهم ممن تتلمذ عليهم الجيل السابق . قد نقرأ لهم كجزء من التراث ، ولكننا لم ننشأ في حظيرتهم .

اعتقد ان الثورة على الاجيال السابقة لا تأتي من اجل ذاتها . والتجريب ـ وهو غالبا اساس الاختلاف ـ ما هو في نهاية الامر سوى محاولة لفهم اعمق للعالم المحيط ، وتعبير افضل عن رؤانا . الجيل السابق لم يتجمد وهو ما يزال يعبر عن نفسه بطرق جديدة . ومع هذا اعتقد اننا نكتب وسوف نكتب بطرق جديدة ، لانني اعتقد انه ليس للتجريب حد او نهاية . ان المادة الانسانية التي بين ايدينا والزوايا التي نتناول منها هذه المادة هي التي تفرض وسوف تفرض اشكالا اخرى جديدة . وفي معرض حديثي عن الاجيال الفنيه السابقة لا اشير الى موقفنا من صالح جودت والعوضي الوكيل ويوسف السباعي واحسان عبد القدوس لان هناك من جيلهم من رفضهم وتجاوزهم .

السؤال الثالث : يمكن تلخيص المؤثرات المختلفة التي تؤثر في انتاجي الفني في النقاط التالية :

بيئة بورجوازية : بمتناقضاتها الحادة وزيفها الصارخ ، وتعصبها التشنجي . استكشاف الانسان سيد الصورة . امكانيات الخير والشر الكامن . امكانيات تحقق امكانيات تكتب . مواجهة . تخطى . صراع . قضايا عديدة يطرحها الانسان اتلمسها من داخل الانسان وليس من كتب الفلسفة . روائع الادب . علم النفس الفرويدي . التاريخ .. تضيء بعض جوانب الطريق . الانسان في المكان (الانسان في المجتمع كجزء من الطبقة) الانسان في الزمان . الفكر الماركسي ، والفكر الوجودي يساعدان على نوع من شمولية النظرة .

المؤثرات الفنية : الادب الحديث عموما . السينما كفن من فنون العصر وامكانيه الاستفادة من التكنيك السينمائي ـ الافلام التجريبية ـ في التعبير عن رؤية الروائي بشكل اكثر فعالية . الفنون التشكيلية .

المادة الانسانية التي بين ايدينا خصبة وهي تسمح في الوقت ذاته بتناولها من زوايا عدة . ولعل الشكل الروائي يسمح بذلك اكثر من اى شكل آخر . عندما يكون التركيز على النفس الانسانية المتوترة النابضة فان تيار الشعور وكتابات فرجينيا وولف وجويس والرموز الفرويدية تلعب دورا في كتاباتي . وعندما ابتعد قليلا لارى الانسان والخلفية ـ وليس الخلفية من داخل الانسان كما في الحالة الاولى ـ اعتقد انني وجيلي نتأثر بعدد من الروايات المصرية ارخت لتاريخنا الحديث . عودة الروح للحكيم ، وثلاثية نجيب محفوظ ، والباب المفتوح للطيفة الزيات ، تشكل العمود الفقري لهذا العدد الكبير من الروايات المصرية توفيق الحكيم : ١٩١٩ ـ نجيب محفوظ : ١٩ ـ ١٩٤٦ ـ لطيفه الزيات : ٤٦ ـ ١٩٥٦ . اعتقد ان على جيلنا ان يكمل هذا الخط .

اننا كجيل مسئولون ، واعتقد اننا واعون بهذه المسئولية . وكمشروع ادبي اعتقد ان للفن رسالة . وان الفنسان يلتزم

بقضايا عصره . وهذا الالتزام قد يكون التزاما مباشرا كالتزام جوركي في الام . وقد يكون التزاما بالانسان وليس بقضية بعينها . رسالة الفن في نظري اكبر من مجرد تعليم الناس شيئا او دفعهم الى الثورة بشكل مباشر . ان الفن له وظائف عديدة ، من اولها فهم الانسان لذاته ، والعالم المحيط ، وتفجير امكانياته الكامنة .

القضية التي تقلقني ، واعتقد انها ايضا تطرح بالنسبة لعدد من ابناء جيلي هي : كيف يمكن ان نصل بانتاجنا على ما فيه من تعقيد الى الجماهير العريضة ؟ كيف يمكن ان نساهم بكتاباتنا ـ وهي التي تتخذ موقفا ثوريا من قضايا العصر عموما ـ وقضية التحول الاشتراكي والعدوان الاسرائيلي بوجه خاص ـ في التقدم والثورة اذا كانت كتاباتنا لا تصل الى الجماهير العريضة .



الاسم : أمل دنقل
السن : ٢٩ سنة
الجهة التي يعمل بها : منحة تفرغ من وزارة الثقافة
دخله الشهري :
انتاجه الفني :
ـ **المنشور :** ديوان « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » نشرته دار الاداب اللبنانية .
ـ **غير المنشور :** ملحمة شعرية عن حفر قناة السويس .

السؤال الاول : في عامي الثالث عشر بدأت قراءة منتظمة للقصص والروايات التي كانت استعيرها من اصدقائي او من مكتبة المدرسة ، وكنت انتوي ان اصبح قصاصا ـ وفي عامي السادس عشر عبرت تجربة عاطفية حين اردت التعبير عنها لم تكن هناك حوادث هامة تصلح مادة لقصة . وهكذا اضطررت الى التعبير عن انفعالاتي بالشعر . ومنذ عام ١٩٥٦ الذى كتبت فيه اولى قصائدى المكتملة نسبيا لم اتوقف عن كتابة الشعر الا عام ١٩٦٢ اثر ازمة حادة نشأت بيني وبين نفسي عن جدوى الكلمة في مجتمع بدا لي وقتها انه لم يعد يصغي الا لهدير الاذاعة ومبالغات الصحف . ثم عدت للكتابة عام ١٩٦٦ بعد ان وصلت الى مفهوم « قلها وامض » . وهو المفهوم الذى يسيطر على حتى الان .

السؤال الثاني : العلاقة بيني وبين الشعراء تخضع لقوانين المجاملة نظرا لحساسيتهم المفرطة تجاه بعضهم ، وتكاد علاقتي تصبح ذات اثر علي وعلى من حولي حين تتصل بالقصاصين ، فهناك حركة طليعية ومناقشات جادة بين كتاب القصة الجدد . اما علاقتي بالاجهزة والمؤسسات الثقافية فلا تتحكم في حياتي اطلاقا ولا تؤثر في انتاجي ، ربما لان هواية النشر (التي تتيحها لي هذه المؤسسات) تأتي في المرتبة الثانية بعد هواية الشعر بالنسبة لي .

● لا اعمل في اى مجال

علاقتي بالاجيال الفنية السابقة علاقة ودية ، ربما لاني اقدر تاريخهم ، فمن كانوا روادا ومجددين يوما ما لا ذنب لهم في عدم استمرار شبابهم الفني بحكم قوانين التطور ، والذين لم يكونوا مبدعين في الماضي وفي الحاضر لن يستطيع غضب كل الشباب عليهم ان يخصب مواهبهم . انني لا اقتبس من الماضي الا ما هو مشع ومضيء فيه ، ولا اطلب العطاء الا من المستقبل .

السؤال الثالث : المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التي تشارك في ابداعي الفني هي نفس المؤثرات التي تشارك في ابداع جيلي ، فغالبية هذا الجيل من ابناء الطبقة الوسطى التي تلقت تعليما عاديا وتفتحت على الاداب التي شاء جيل التحرر السابق ان تنفتح عليها ابتداء من جوركي وديستويفسكي الى تنيسي وليامز وجيمس جويس في القصة والرواية . ومن ماياكوفسكي الى اليوت في الشعر . ومن شكسبير الى بريخت في المسرح . ومن الماركسية الى الوجودية في الفلسفة . ولا استطيع ان احدد

بدقة مكان وقوفى من قضية التغيير الاجتماعى فى مصر ، ولكن مما لا شك فيه اننى اقف الى جانب سيطرة الشعب على ادوات الانتاج ، والى جانب عدالة توزيع الثروة القومية ، والى جانب حرية الفكر المطلقة بشكل عام ، والحرية الفردية بشكل خاص .

اما بالنسبة لقضايا العالم المعاصر ومنها قضية العدوان الاسرائيلى ، فاننى اقف فيها الى جانب التقدم ـ لكن انتصار الذين يقفون فى هذا الجانب مرهون بمحاولتهم الدائبة لتطوير افكارهم واساليبهم وتطهير صفوفهم من الانتهازيين والنصوصيين ، دون ان يبخلوا بتضحياتهم سواء فى ساحات القتال او فى الداخل المتخلف ».

الاسم : اسامة محمد الغزولى »

السن : ٢٤ سنة

الجهة التى يعمل بها : مجند

دخله الشهرى : ٥ جنيهات

انتاجه الفنى :

ـ المنشور : قصائد متفرقة بالمجلات والصحف

ـ غير المنشور : قصائد

السؤال الاول : كانت العلاقة بينى وبين الفن مبكرة ، وبالتالى ساذجة تقل سذاجتها بمرور الايام وان لم تكن قد اختفت نهائيا حتى الان وكذلك بالنسبة للانتاج .

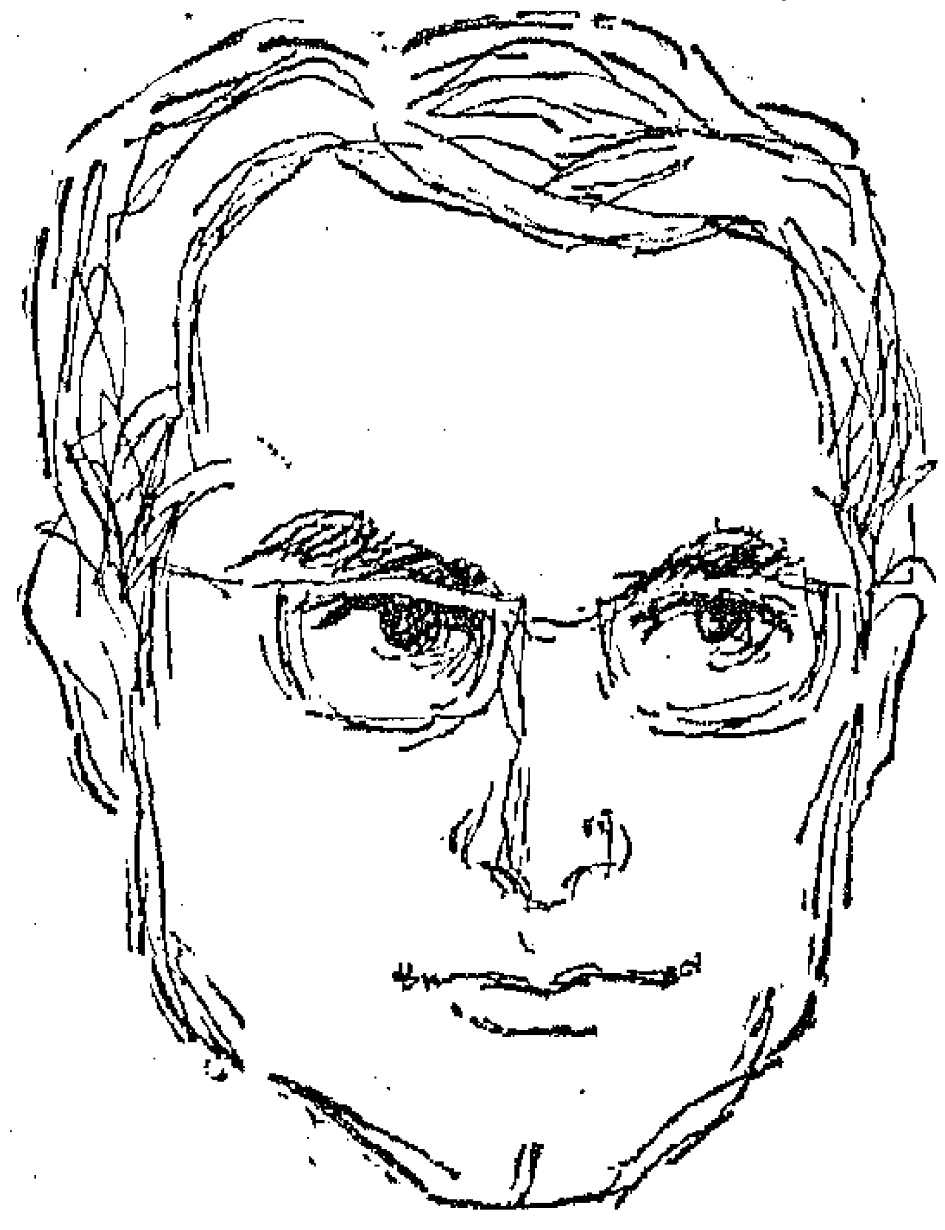
السؤال الثانى : تقوم العلاقة بينى وبين الاشخاص والمؤسسات ذات الصلة بالفن على اساس شخصى بحت ، وضيق لاتسمح كثيرا بحوار ذى فائدة ».

العلاقة التى تقوم بينى وبين المجال الذى اعمل فيه علاقة بسيطة جدا من حيث انها تحمل ـ تقريبا ـ نفس السمات ، وتحتوى على نفس المتناقضات الموجودة بين أى انسان على درجة من الوعى وبين عمله فى مجتمع متخلف .

أنا أومن بالرأى الشائع الذى يقول ان التراث كيان منتظم يضم اعمال السابقين واللاحقين ، والذى يحتاج دائما الى تغيير اساسى فيه لكى يقبل اى عمل يمثل اتجاها جديدا وانا بانضوائى تحت الاتجاه المعاصر بشقيه « الشعر الحديث » و « شعر اللهجات العربية » ، احس احساسا واضحا بالاضطراب الذى حل بهذا الكيان كمقدمة لتقبله هذه التيارات الجديدة ، واحس فى نفس الوقت بضرورة ان اكون جزءا من هذا الكيان .

السؤال الثالث : الفنان ، وهو الانسان الذى تتجمع فى داخله ارادة التغيير كاقوى ما تكون ، هو بالضرورة على شقاق مع المجتمع ، مع كل المؤسسات والنظم التى تريد أن تحتفظ ببقائها ، ومع الجماعة التى سيكون التغيير من اجلها ولصالحها ، لانها نتيجة لظروف التخلف التى تعيشها فهى بالضرورة متخلفة عن فكره هو . وهكذا يجد الفنان انه لكى يصل الى الناس اما ان ينزل الى مستوى الشعارات الساذجة ، او المرور العابر بسطح الاشياء ، واما ان يظل بمعزل عن الجماهير . ولكن الفنان فى هذه العزلة المفروضة عليه يستمر فى العمل واضعا بذلك مع غيره اسس التغيير . ذلك التغيير الذى لن يؤدى فى النهاية الى حدوث انسجام بين المجتمع والفن فى ظروف ارقى . فالشقاق دائم دوام التناقض بين ارادة الانسان والعالم داخله وخارجه ».

هذه الرغبة العارمة والدائمة فى التغيير ـ كما هو معروف ـ تهدف الى تحقيق انسجام بين كل ما نفعله وبين القوانين التى تحكم تاريخ الناس والاشياء ..ومن هنا ثورة الفنان ضد كل ما فى الوجود من مظاهر القبح والقصور . ومن هنا وقوف الفنان المصرى المعاصر الى جانب النضال من اجل بناء اشتراكية حقيقية فى مصر ، والنضال ضد الامبريالية ، والنضال ضد الكيان العنصرى الاسرائيلى الذى تقف القوة العسكرية وحدها كمبرر لوجوده ».



الاسم : عبد الحكيم قاسم
السن : ٣٤ سنة
الجهة التى يعمل بها : الهيئة العامة للتامين والمعاشات « متفرغ الان »
دخله الشهرى : ١٨ جنيها
انتاجه الفنى :
ـ المنشور : أيام الانسان السبعة « رواية » .
ـ غير المنشور : محاولة للخروج « رواية » ـ الاشواق والاسى « مجموعة قصص » ـ حكايات حول حادث صغير « مجموعة قصص » .

السؤال الاول : لعلها تلك الامسيات الطيبة المضاءة بالفانوس فى ردهة دوارنا ، كان الرجال يجتمعون حول الاحاديث الطلية ، يطرقون ساكتين والكلام يترى محملا بالشجن ، شىء مختلف عن الواقع اليومى المترب الساخن من لهب الشمس .

كنت احلم ان اتربع على الاريكة ذات مساء وحولى الرجال مفتوحى القلوب والاذان ، وانا احكى الحكايات الحزينة .

وحدث اننى ـ وكنت تلميذا فى المدرسة الابتدائية فى ميت غمر ـ جمعت التلاميذ من حولى امليهم (موضوعا انشائيا) عن رحلة فى النيل وكان العيال فرحين بكلماتى الغريبة عن حقول القمح التى كالذهب .. كان هذا رائعا ، لكننى حين تسلمت كراستى من المدرس كانت الصفحات مزركشة بالعلامات الحمراء ، انكسرت جسارتى وانكمشت على نفسى .

لم تكن حياتى فى بيت جدى فى ميت غمر سعيدة ابدا ، وكم حلمت ان اكون واحدا من هؤلاء الصغار الاتين من القرى مثلى يتكدسون فى الغرف القديمة ويحيون حياة مرحة حرة بلا رقيب ، حولت حلمى الى صفحات كثيرة تحكى عن شاب يعيش وحده فى غرفة على السطوح ويقع فى حب جارته .. كان حلما رائعا .. وكأنى لم اصدقه فانهيته نهاية فاجعة ، انتحرت الفتاة وجن الفتى .

وانتقلت الى المدرسة الثانوية فى طنطا ، اسافر لها كل يوم من قريتى البندره ، كان العيال يتشممونني ويقولون ان رائحتى دخان ، كنت اعلق بذلتى فى مسمار فى حائط الغرفة ذات الفرن الذى يوقد بالليل لتدفئتنا ، كنت زريا شاحبا بين الاولاد المتوردين اللامعين ، كنت اجلس على آخر درجة من السلم الصاعد لعربة القطار ، وفى صخب القطار والريح ارفع عقيرتى بأبيات من الشعر صنعتها لنفسى .

وفى الجامعة ، فى الاسكندرية بقيت اكتب ابياتا من الشعر كل آن ، وأكاتب أصحابى ، رسائل طويلة ملؤها القهر والخوف ، لكنها مذيلة بالوعود .. اشياء عظيمة سوف أنجزها ، لكننى لم أكن أدرى بالتحديد ماهى هذه الاشياء .

ثم كتبت مرة ، قصة اسمها « العصا الصغيرة » عن طفل صنع لنفسه عصا صغيرة واحبها ، تقدمت بهذه القصة فى مسابقة نادى القصة عام ١٩٥٧ ولكنها لم تلفت نظر أحد ..

بعد ذلك بقليل دخلت حياتى مرحلة اضطراب عظيم ، لكننى خرجت بحقيقة صغيرة واضحة ، انا لااجيد شيئا غير الكتابة ، الكتابة او لا شىء ، الفراغ الى العدم .

السؤال الثانى : الى وقت قريب جدا لم اكن اعرف احدا من زملائى الكتاب الشبان ، ولم اكن اقرأ لهم ، ثم بدأت مؤخرا اعرفهم واتردد على نفس الاماكن التى يترددون عليها ، وانا احبهم ، هؤلاء الذين لا يملكون الا اقلامهم ولا يقدمون الى الصفحات السودة ـ وهى دائما شىء مشكوك فى قيمته ـ انهم عصبيون ومتحاسدون ويضربون فى كل اتجاه ـ وفى الاتجاه الخطأ فى احيان كثيرة ـ لكنهم نبلاء يعيشون مأساتهم بصدق وجرأة .

ولم تقم بينى وبين (مؤسسة ما) اى صلة ما عدا دار الكاتب العربى حال طبع روايتى « ايام الانسان السبعة » والان اتردد على ادارة التفرغ ، ومن حظى ان الاستاذ يحيى حقى متحمس لمنحى التفرغ ، ولى امل كبير فى الحصول على هذه المنحة .

وانا اعمل فى الهيئة العامة

للتأمين والمعاشات فى ادنى درجة من درجات السلم من حيث السلطة ، وذلك يعنى اننى فى المقدمة من حيث المسئولية ، نحن الموظفون خائفون دائما ٠٠ من الخطأ ٠٠ من العقاب ٠٠ من غضب الرؤساء ٠٠ من نفاذ النقود قبل آخر الشهر ، وعلى ذلك فنحن حذرون مداهنون مرتعدون الى النخاع ٠ وهذا يعنى الغاء كل العواطف النبيلة والمواقف الانسانية ، واذا امتدت بين بضعة افراد وشائج من التبادل الصادق الودود ، دارت قرون الاستشعار حول نفسها باحثة ، وحملقت العيون المرعوبة دهشة ، واهتزت الاسلاك بالوشاية ، وانقض الامر الادارى يفرق ماالمجتمع ، وينشر الذعر ويعيد الموظفين الى القواقع التى يحملونها فوق ظهورهم جاهزة للهرب ٠

لعل الامر بدأ يتحول الى ما يشبه مباريات الكرة ، وانقسام المتحمسين الى اهلى وزمالك ٠٠ لقد قرأت هذه العناوين على رأس حديث اجراه الشاعر « احمد حجازى » مع « الدكتور لويس عوض » فى مجلة « صباح الخير » :

● ادب الشبان ليس خطيرا وليس عميقا

● ليس صراع اجيال بل محاولة لهدم الكبار

● لن اكتب عنهم فلدى اعمال اهم

● لا اتنبأ بأن تخرج منهم مدرسة ادبية جديدة

● الجيل السابق يمر بأزمة نفسية وسوف يقول اكثر مما قال

● لماذا يصرخون واسماؤهم تتردد فى الصحف والاذاعة والتليفزيون ٠

وحينما قرأت بنفسى صلب الحديث وجدت ان الدكتور يرى فى الشبان :

● هم فنانون فى طريقهم الى النضج

● كل ما اراه فيهم مواهب شابة تجتهد لاخصاب حياتنا الادبية والفنية ولكنها لا تزال فى اول الطريق وهى بحاجة الى رعاية وحماية ٠

● ان رعاية الاساتذة لابنائهم لا تتمثل فى الكتابة عنهم بقدر ما تتمثل فى حمايتهم واعانتهم على رعاية مواهبهم ٠

● ليس منهم من طرق بابى وتأكدت من ان لديه موهبة الا وعاونته فى حدود استطاعتى ٠

واذكر اننى قابلت « يوسف ادريس » للمرة الاولى فى مكتبه بجريدة الجمهورية وقدمت له ثلاثا من قصصى القصيرة قرأها جميعا امامى ، ويومها وجدت ان رغبتى فى ان اكلمه اكبر من رغبتى فى سماع رأيه فى قصصى ، كلمته كثيرا باندفاع ولهفة عن آخر قصة قرأتها له « لغة الآى آى » ٠ كان السرطان فى جسد الريفى المريض هو الى انا،والآى آى هى حرقتى انا ، ويومها كلمنى « يوسف ادريس » عن نفسه ، عن ازمته ، عن تناقضه المرير مع واقعه اليومى ، وخرجت من عنده مشحونا بطاقة هائلة ، ثمة انسان آخر يتعذب ٠

اننى اوافق « الدكتور لويس عوض » على اننا لا ننتمى الى مدرسة جديدة فى الادب ، لكننى اضيف ان ذلك ليس عيبا ، ان المدارس الجديدة فى الفن والادب لا (تنشأ) بقرارات ، انما توجد نتيجة لتغيرات اجتماعية اساسية ، ونحن ــ الادباء الشبان ــ ننتمى الى نفس الهموم والاحزان والمخاوف التى شكلت وجدان الجيل المستقر (كما يسميه **الدكتور لويس**) ٠

وحينما يحدث التغيير الكامل فى اساليب حياتنا وفى بنية مجتمعنا وفى شكل وجداننا ، وحين تعجز الاقلام المعاصرة عن استيعاب هذا التغيير فانها لن تجد من يلتفت لها وسوف تكتسحها اقلام اخرى فتية ٠

السؤال الثالث : قبل يوليو ١٩٥٢ كان المجتمع المصرى مجتمعا زراعيا فقيرا متخلفا فكريا وحياتيا ، وكان الناس يحلمون بالتغيير ، بمجتمع آخر متقدم يسود افراده العدالة والحرية واحترام القيم الانسانية ٠

وبقيام الثورة سقطت الطبقات صاحبة المصلحة فى الوقوف فى وجه التغيير ، واصبحت الظروف مواتية للبدء فى عمليات طويلة ومعقدة هدفها خلق مجتمع جديد من انقاض هذا المجتمع القديم ٠

لكن الناس سقطوا فرائس وهم فى غاية الغرابة ، حينما جاءهم صوت المذياع يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ معلنا الثورة صاحوا فرحين [لقد تغير المجتمع]، والمجتمع يومئذ لم يكن قد تغير ، وهو الى الان ــ رغم الانجازات العظيمة ــ لم يتغير تغييرا اساسيا ٠

وربما يعزى هذا الوهم الى خلو حياتنا السياسية قبل الثورة من تنظيم جماهيرى فعال يؤمن بالثورة ايمانا علميا ، ويبشر بها تبشيرا واقعيا ويحطها فى ذهن الجماهير كمسئولية هائلة ، شرارة تندلع فى كيان المجتمع فتحوله الى شعلة من عمل لا يهدأ لتحقيق احلامه ، لم يعرف الشعب (الثورة) الا من كتابات المثقفين الحالمين ، ولم يعرفها الا كنتائج باهرة جاهزة ٠

ربما كان هذا هو السبب ،لكن المؤكد ان النتيجة كانت هذا الوهم ، وكما يوجد بين اى تجمع من خمسين شخصا بائع

سجائر ، وجد بين الناس عشرات من الناس يأكلون عيشهم من ترديد الدعاوى العالية الصوت عن مجتمعنا الصناعى وعن التكنولوجيا فى حياتنا ، وصدرت صفحات مزينة بريفيين يبتسمون سعادة ، وعمال يقضون عطلة آخر الاسبوع فى الحدائق الغناء .

لكن الصاق النتيجة بالوجه الاخر لعملية البداية ، والغاء المراحل الطويلة من العمل الثورى البانى تكون نتيجته الوقوع فى ورطة لايكون ثمة سبيل للخروج منها الا الاغراق فى الوهم حتى تصديقه ، وشجب وضرب اى حديث واقعى مخلص يرى ما حوله رؤية صادقة .

ايا ما كان الامر ، فمن حيث ان المجتمع قد تغير تماما – فى زعمهم – فلابد ان يلد هذا الجديد فى المجتمع جديدا فى الادب ، جيلا جديدا من الادباء الشبان يحتقر القديم ويبصق عليه ويقول مالم يقله احد .

عن نفسى لا اعتقد اننى شىء مغاير لجوهر طه حسين اوتوفيق الحكيم او نجيب محفوظ او يوسف ادريس او يحيى حقى ، اننى امتدادا لهؤلاء مصنوع منهم ، احملهم فى دمى ، اختلف عنهم طبعا لكننى لست جوهرا مغايرا .

يجب ان نفهم ثورتنا فهما سليما والا نلقى بمسئولية تقدمنا على عاتق فرد او افراد ، بل نتقدم لتغيير انفسنا ، وان نضع الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى قائد بحيث يخرج من صفوف الناس خروجا طبيعيا صحيحا .

اننا لا زلنا نعيش مجتمعا هو – فى الاساس – مجتمع زراعى فقير ، الى جوار مجتمعات صناعية هائلة تمد اذرعا فولاذية تطول بها القمر ، وتمد ذراعا استعمارية تغرس كفها على ارضنا ، وتدفع اصابعها لتدخل من آعتابنا وتأخذ برقابنا ، ان التخلف بالنسبة لنا يعنى الموت ، الموت بكل معنى الكلمة خلوا من المبالغة أو التهويش .

اسرائيل بالنسبة لنا ليست تحديا عسكريا فقط ، لقد كان بالوسع تجنب ماحدث فى الخامس من يونيو ٦٧ . وبوسعنا أن نهزم اسرائيل وسوف نحرر ارضنا من الوجود الاسرائيلى ، لكن ليس هذا هو التحدى الوحيد ، لقد وضع النظام الاستعمارى العالمى فى منطقتنا دولة صنعها على عينه ووضع تحت تصرفها كل امكانياته ، دولة اكثر تقدما منا معادية لنا متربصة بنا على عتبة دارنا ، القضية هى ان نطور انفسنا او نموت .

ليس عيبا اننا متخلفون ، الجريمة هى ان ننكر تخلفنا ونجعجع بالترهات ، تلك جريمة يمكن ان يكون عقابنا عليها الموت .

لنواجه انفسنا بواقعنا صراحة وبلا هروب ، ولنواجه العالم الرأسمالى بمسئوليته عن تخلفنا ، لقد نزحوا ثرواتنا لعشرات من السنين وكدسوها فى قصور دورهم ، عليهم الان ان يساعدونا ، علينا ان نطالبهم بهذا ، وان نحول مطالبتنا الى قضية يتبناها المنصفون من قادة جماهيرهم ، وشعارات يحملها شبابهم الثائر الزاخر بالسخط عليهم .

الشباب فى اوربا وامريكا بدأ يفيق على حقيقة آبائه – العظام الشامخين – كمشعلى حروب ومصاصى دماء وناهبى ثروات الشعوب ، بدأ يعرف ما هو شرف مبادئهم وقيمة حضارتهم الشامخة المبنية من الجماجم .. رفضها ورفضهم جميعا . وبدأ يكتب لنفسه ادبا لم يكتبه احد ، يرتدى ثيابا على غير طراز ، يطلق شعره على غير نمط ، شبان فرنسان يقفون فى وجه الآباء يشهرون الرفض التام ، يبصقون فى وجه زيفهم ، يصرخون فيهم ذات الصرخات التى يطلقها المحاربون فى جنوب آسيا ، وفى افريقيا السوداء وامريكا اللاتينية .

هؤلاء الشبان هم اصدقاء قضيتنا ، كيف نرفضهم أو نسخر منهم ، علينا ان نحبهم وان نقرأ لهم ، ندعوهم عندنا نشرح لهم انفسنا .

تخلفنا من صنع آبائهم ، نجمة اسرائيل هى ذات الجمجمة والعظمتين على صوارى سفن القراصنة اجدادهم ، فليأتوا الينا ، يرونا ويكتبوا عنا ، يساعدونا باقلامهم وسواعدهم .

نحن ابناء الاباء الفقراء المرضى بالبلهارسيا الذين ماتوا خلف المتاريس فى شوارع القاهرة وخلف التحصينات فى كفر الدوار ، نحن لا نرفض آباءنا ، نحبهم ، نحملهم فى قلوبنا ونحن ننطلق من الدور والمخيمات لنقتل عدونا ونبنى دارنا .

نحن استمرار للحمة خالدة هى كراهية القهر والخوف والفقر والتخلف .

الاسم : شمس الدين موسى
السن : ٢٦ سنة
الجهة التى يعمل بها : شركة مطاحن وسط القاهرة
دخله الشهرى : ٢٧ر٥ جنيه
النتاجه الفنى
ـ المنشور : قصص متفرقة ودراسات بالصحف والمجلات
ـ غير المنشور : قصص ومقالات

السؤال الاول : العلاقة بينى وبين الفن قائمة منذ كنت طالبا بالثانوى ـ من حوالى عشر سنوات ـ فقد عشت الليالى الطويلة مع الروائع العالمية والعربية ـ وتمنيت ان اكون فى بعض الاوقات مثل توفيق الحكيم • ولم تستقر فى نفسى ممارسة الكتابة الا منذ حوالى اربعة سنوات تقريبا ـ وبدأت كتابة القصة القصيرة والدراسة منذ ذلك الحين •

السؤال الثانى : فى الواقع توجد كثير من العلاقات التى تقوم فى الوسط الادبى والفنى • وهذه العلاقات فى مجموعها تكون فى اغلب احوالها حول قضايا الادب والثقافة عموما • وان كانت تواجه الكاتب الجديد عدد من المشاكل الحيوية بالنسبة له باعتباره غير معروف بالدرجة الاولى بالنسبة لاجهزة الثقافة •

ولكن توجد علاقات تقوم بين كبار الادباء والفنانين والاجيال الحديثة ، وهذه فى رأيى لها اهمية كبيرة جدا للكتاب الجدد حيث يستطيعون فهم تجربة الكبار وتمثلها ، ليس من خلال مؤلفاتهم فقط ولكن من الاختلاط بهم ايضا •

ولكن هناك كثير من المشاكل التى تتولد فى الوسط الفكرى والادبى فى مصر ـ فى الاونة الاخيرة ـ وهى ظاهرة الشلل الادبية والثقافية حيث هى من أخطر ما يمكن • وان كنت أتمنى أن يوجد فى مصر العديد من المدارس الفنية التى تشترك كل منها فى خصائص فكرية وثقافية وفنية معينة ، ولكن هذا فى رأيى مرتبط لحد بعيد بالمستوى الثقافى والحضارى المتخلف الذى لا يزال يكبل تطورنا بالقيود ، حيث أن القراء والمتابعين للثقافة والاداب فى مصر عدد ليس كبيرا بالمقارنة بالبلدان الاخرى المتحضرة . وذلك فى رأيى مرتبط لحد كبير بانتشار الامية التى تصيب مجتمعنا فى غالبيته بعدم استطاعته تذوق الادب والفن •

السؤال الثالث : فى بلدان العالم الثالث عموما ـ هناك كثير من المؤثرات التى تستطيع ان تدفع الموهوبين لمحاولة تمثل المشاكل العديدة الموجودة فى مجتمعاتهم والبحث لها عن حل • وهناك مشاكل التنمية والامية ـ ومشاكل التحول نحو الاشتراكية حيث أصبحت فى قرننا العشرين هى قضية القضايا بالنسبة للبلدان المتخلفة والتى عانت من ويلات الاستعمار سنين طويلة •

وفى اعتقادى أن لدينا العديد من المشاكل هنا ـ مشاكل التطور ومشاكل توعية الطبقات التى حرمت من أهم ما لها فى الحياة مدة طويلة حتى تستطيع أن تكون فى مستوى الصراع الدائر بين التقدم والرجعية التى تحاول أن تنتصر على قضية التحول نحو الاشتراكية لربط مجتمعنا بالامبريالية والاستعمار • ولقد الهمت النكسة كثير من الادباء والفنانين ، وستظل معين لاينضب فى السنوات القادمة ، حيث تحولت انظار الجميع نحو العدو الذى لم يستطع ضرب مكاسب التقدم والتحول الاجتماعى من الداخل • وبدأ يجرب محاولاته من الخارج حتى يستطيع تحقيق مآربه فى جعل مصر والبلدان التى سارت على طريق التقدم احدى مستعمراته ومناطق نفوذه وكما حدث فى كوبا ويحدث فى فيتنام ، لابد ان تكون نفس المخططات هنا فى الوطن العربى الذى سارت جميع شعوبه ضد التخلف والامبريالية ، كاحدى الحلقات الرئيسية من حلقات الثورة التقدمية فى العالم •

الاسم : حسن محسب
السن : ٣١ سنة
الجهة التى يعمل بها : المحرر الادبى لمجلة الاذاعة والتليفزيون
دخله الشهرى : ٢٥ جنيها « بعد خصم السلف والاقساط يتبقى منه ١٣ جنيها فقط » .
انتاجه الفنى :
ـ المنشور : مجموعة « لحظة حب » عام ١٩٥٨ ـ « السكوخ » ١٩٦٤ ـ « التفتيش » ١٩٦٧ .
ـ غير المنشور : قضية الفلاح فى القصة المصرية « دراسة » ـ أبو زيد الهلالى « رواية » ـ حلم الليل والنهار « رواية »

احترفت الكتابة والعمل الصحفى فى وقت مبكر منذ ١٩٥٨ « فى جريدة الشعب فى رعاية عبد الرحمن الشرقاوى » ثم فى الجمهورية والمساء فمجلة الاذاعة ..

السؤال الاول :

لا أذكر بالتحديد متى بدأت العلاقة بينى وبين فن القصة .. لكن ذلك ـ بالتأكيد ـ حدث فى وقت مبكر الى حد ما .. كنت قد أنهيت دراستى الالزامية « الابتدائية » عام ١٩٥٢ . وكان المؤكد أن أنتظم فى العمل أجيرا فى « العزبة » التى يعمل بها أبى .. مثل غيره من الانفار « التملية » . لم يكن فى طاقة أبى أن يصرف على تعليمى لابعد من ذلك .. كما أن مدارس المركز أو المديرية لم تكن متاحة آنذاك الا لابناء الموسرين أو القادرين .

وكالحلم .. افتتح فى قريتى « منية النصر ـ دقهلية » مدرسة اعدادية .. بعد أن قدم بعض المتحمسين من الاهالى المبنى مجانا لحكومة الثورة .. ولانه كان لابد من ملء فصول المدرسة الجديدة بالتلاميذ ، فقد وجدت نفسى تلميذا من جديد « على أن أعود للعمل أجيرا فى فترة الاجازة الدراسية » ..

فى المدرسة .. ازداد احساسى بالفروق الطبقية .. ومن ثم دفعتنى الضغوط الحادة التى تعانيها أسرتى ، الى ادمان القراءة .. هربا من الظروف الاجتماعية السيئة .. الى ذلك « العالم الساحر » .. الذى أجده على صفحات الكتب .

ثم .. شدنى بعنف عالم « جوركى » و « تشيكوف » و « يوسف أدريس » و « نجيب محفوظ » و « شتاينبك » .. وغيرهم .. ممن وجدت مؤلفاتهم فى مكتبات الاصدقاء من طلبة الجامعة ومن المدرسين ..

وأتذكر الان .. أن ذلك كان ابتداء من عام ١٩٥٤ .. حيث جعلنى هؤلاء أفهم حقيقة مايحدث حولى .. ومن ثم بدأت أولى محاولاتى للكتابة .. وجدتنى أواصل الكتابة كعملية خلق دؤوبة ، لعلنى أحقق التوازن الذى افتقده فى حياتى بين ماأريده .. وما أعيشة بالفعل .

وفى عام ١٩٥٧ نشر لى الاستاذ ـ المرحوم ـ أمين الخولى أولى قصصى فى مجلته « الادب » وواصل ـ رحمه الله ـ رعايتى .. بتوجيهى الى القراءات المثمرة وبنشر كتاباتى التى جمعتها فى كتابى الاول « لحظة حب » عام ١٩٥٨ .

ولفشلى فى تغيير ظروف أسرتى الاجتماعية ، الى الاحسن ، بالعمل اليدوى .. فقد

السؤال الثانى :

انه مناخ مشبع بالقلق والتمزق أيضا .. جعل ممارستى لكتابة القصة عملا مرهقا للغاية .. ذلك لأن الظروف الاجتماعية ـ خاصة فى مرحلة التحول الاشتراكى ـ تتعرض لكثير من عوامل التعرية

وعلى ذلك فالعلاقة بينى وبين زملائى الادباء والفنانين ، أصبحت علاقة عمل « ربما لطبيعة عملى كمحرر أدبى » .. كما أنها ـ هذه العلاقة ـ تفتقد الى الاستقرار المثمر .. لاننا جميعا نفتقد المكان الذى يمنحنا فرص اللقاء .. ولاننا أيضا نعانى احساسا حادا بالاغتراب داخل القاهرة .. وليس هناك سوى أقدامنا التى نصافحها كل صباح ـ على حد قول شاعرنا أمل دنقل .

بهذه المناسبة .. فان « دار الادباء » شأنها شأن بقية الهيئات الثقافية .. لاتمنح الشبان القدر الكافى من الامن أو الطمأنينة النفسية .. كما أن « المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب » وهو أحد الاجهزة الثقافية ، يقع فى تناقض حاد بين أهدافه المعلنة والمحددة سلفا .. وبين ماتفعله لجانه فعلا .. اذا احتدم الخلاف بين الشعر الحديث والشعر التقليدى .. اكتفى المجلس بضم بعض الشعراء المجددين الى لجنة الشعر .. ثم .. تميع

القضية •• ويشبه لنا الامر كأنه « مهادنة » أو « مصالحة » تؤدى الى اهتزاز ثقة الشبان .. و « خذ جائزة الدولة التشجيعية مثالا •• »

ونعـانى نحن من هـذا التناقض •• فبرغم أن بيانات وزير الثقافة تنص على ضرورة الاهتمام بالشبان بوصفهم الجيل الذى سيحمل مسئولية العمل الثقافى مستقبلا — أنظر مؤتمرات وزارة الثقافة — نجد أجهزة الثقافة — ربما لميراثها الهائل من المشاكل المالية والادارية ، وربما لعدم وضوح أهدافها — تعامل الشبان بتعنت غير مبرر !

أما هيئات ودور النشر بالقطاع العام — مثل دار المعارف ودار الهلال — فهى تمتنع تماما عن نشر انتاجنا — برغم اقرارها بامتيازه — وذلك بحجة أنه سلعة غير رائجة •• ولان قراء هذا القطاع « تقليديون ولا نحب أن نغامر بازعاجهم بالتغيير أو التجديد •• الخ •• »

أما عن العلاقة بينى وبين مجال عملى — الصحافة — فهى على حد القول الشائع « علاقة الزوجة التى لاتقبل ضرة » •• ولاننى احترفت الادب والصحافة فى وقت واحد تقريبا •• فاننى أعانى من مشاكلهما المتداخلة •• وافكر كثيرا فى الهرب من الصحافة لاجد الوقت الكافى للقراءة والاطلاع •• لكننى مضطر للبقاء فى هذه الدوامة الى أن تصبح كتابة القصة مبررا « شرعيا » لحصولى على ثمن الخبز وايجار المسكن •• الخ ••

أما عن الموقف بين الاجيال السابقة وعلاقتى بها •• فاننى — انسانيا — لست ضد « هؤلاء الاباء العواجيز !! » باعتبار أنهم نتاج طبيعى لظروف عصرهم • لكننى ضد هذا الاصرار الغريب من جانبهم على اتهامنا بالسطحية .. الخ .. انهم يعلنون أننا جيل بلا تيار •• أو تيار لاينتظمه بيان بفلسفة أو وجهة نظر واضحة .. هؤلاء أسألهم :

● **هل استطعتم** — وانتم الجيل المستقر — على حد قول د. لويس عوض .. أن تعلنوا « بيانا » بفلسفة أو وجهة نظر واضحة ؟ ! ..

ان الاجيال الكاتبة للقصة •• منذ « المدرسة الحديثة » الى جيل يوسف ادريس .. تفتقد الى مثل هذا « البيان » الواضح المحدد •• وربما كان ذلك أحد أسباب الازمة ! ..

اننا جيل يصارع فى أكثر من جبهة •• وعليه فى نفس الوقت أن يستكمل أدواته الفنية — برغم كل الصعاب — وان يعيش .. ، بمعنى أن لا يموت جوعا ••

ولنأخذ أحمد هاشم الشريف ، وأمل دنقل — مثالا .. انهما يبذلان العطاء الفنى باخلاص شديد •• ثم فجأة تنتهى فترة تفرغهما ليواجها من جديد مشكلة البحث عن متطلبات الانسان الاساسية ! ..

السؤال الثالث :

لاننى فلاح .. لايمكن أن انسلخ من جلدى ..

ومن ثم فان « رحم الارض » .. والفلاح المغروس فى طينها منذ ٤٠ قرنا قبل الميلاد و١٥ قرنا بعده •• وقصة الاستغلال اللاانسانى لهذا الفلاح الذى انتزع أرضه شبرا شبرا من الصحراء وفيضان النهر •• ثم انتزعها منه الحكام والغزاة والولاة •• والاقطاع •• هذه القصة التى بدأت تنتهى بكل ماتمثله من قهر منذ ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ، هى شغلى الشاغل • هى أهم المؤثرات فى حياتى •• اجتماعيا وفكريا وفنيا ••

وكان على أن أحاول فهم هذه القضية منذ « الثورات الشعبية فى عصر المماليك وأسبابها الاقتصادية » •• وأغلبها كان بلا أيديولوجية محددة •• وصولا الى ثورة الفلاحين ضد الاقطاع فى بهوت •• وتلك الاحداث التى انتهت بمصرع الشهيد « صلاح حسين » فى كمشيش •

•• **ذلك بالقطع ليس** بمعزل عن معركة الاشتراكية فى بلدى •• الاشتراكية طريق حتمى •• وانتصارها نهائيا أمر هو الاخر حتمى •• ومن ثم فاننى أعتبر القرار الاخير بتحديد الملكية بـ ٥٠ فدانا للفرد •• عاملا هاما للغاية فى الحد من « الفوضى الرأسمالية الخاصة وحصرها » •• فهو قرار « يضعف من قوة البرجوازية وبالتالى يقلل من قدرتها على المناورة » مرة أخرى ••

هذا كله ليس له أن يخفى أبعاد مشكلة « الامية » عن عينى •• فان الـ ١٢ مليون أمى فى بلادى ، « يشكلون عائقا مزعجا للتحول الاشتراكى ، والثقافة الاشتراكية أيضا •• » وأنا مع القول بأن « الانسان الامى يقف خارج السياسة » •• وهذه هى المشكلة التى عانت منها البلاد منذ الاحتلال الانجليزى ••

وبشكل أكثر خصوصية ، يعانى هذه المشكلة الادباء الشبان •• لانهم أمام قضية ذات حدين : أن يسهموا بفكرهم فى التعجيل بالتحول الاشتراكى •• وفى نفس الوقت يكتبون لاغلبية يسيطر عليها « التفكير القدرى » والاعتقاد فى كرامات « الاولياء » .. فى عصر العلوم والفضاء ..!

انها مشكلة •• بل واختبار حقيقى للادب الجديد •• الذى يواجه صراعات • ليس أخفها موقف الصلافة من الجيل السابق الذى مازال « مستقرا » بينما

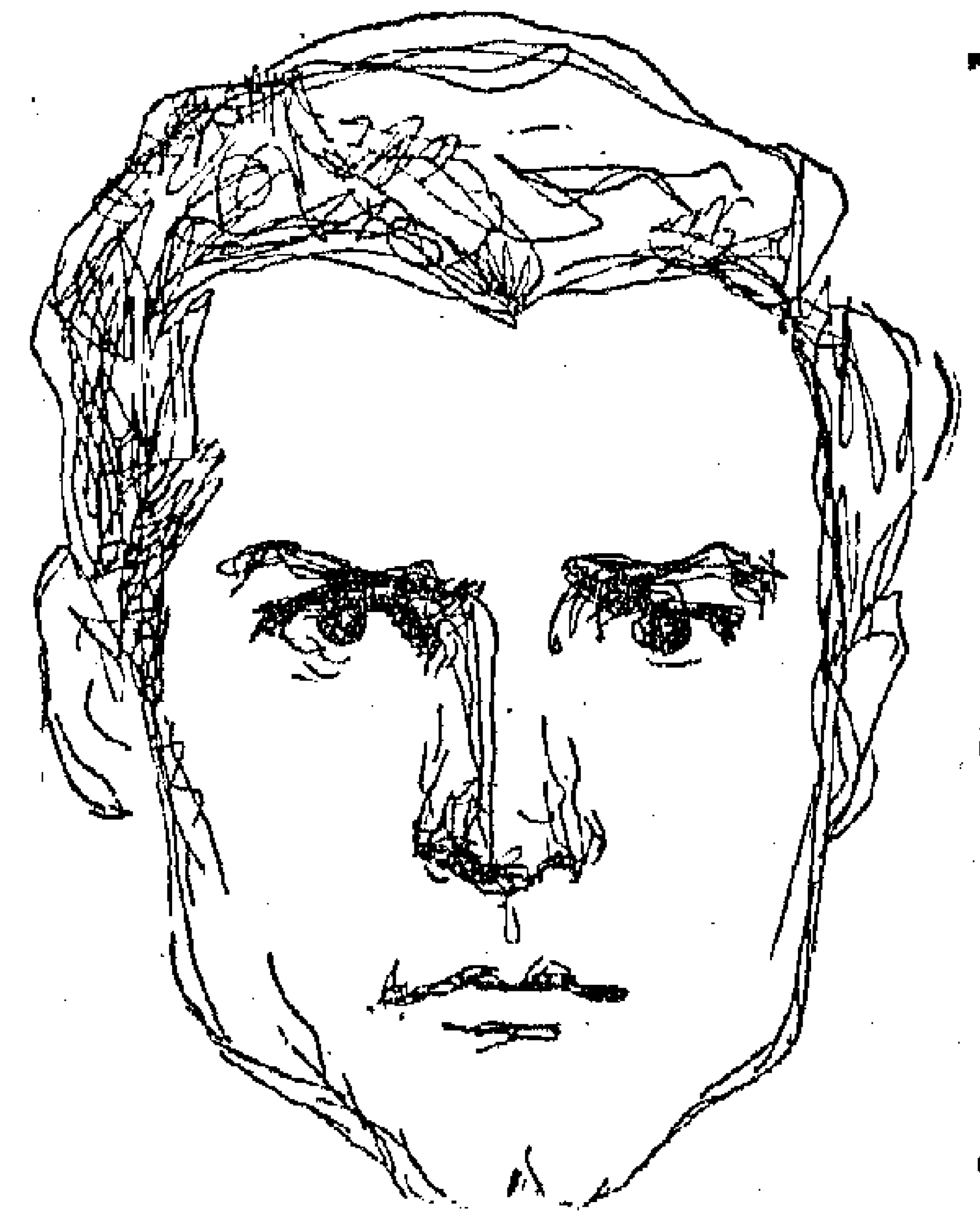
التغيير الاجتماعى « سحب البساط من تحت أقدامهم » ! ..

.. وأيضا .. لا أملك أن أفصل بين كل هذا ، وبين قضية مثل قضية العدوان الاسرائيلى .. انها تشكل تحديا أكثر الحاحا .. واذا كنا سياسيا وعسكريا قد صححنا الاخطاء ونعد العدة لتحرير الارض المحتلة .. فاننا على الجبهة الثقافية مازلنا فى حاجة الى مزيد من العمل ..

.. وقد أتيح لى أن أزور الجبهة على طول خط المواجهة العسكرية مع العدو ـ وربما كانت هذه الزيارة هى الحسنة الوحيدة لعملى الصحفى ـ وقد حزنت لاننا بالفعل نحارب عدونا ـ على الجبهة ـ بكل الاسلحة .. الا سلاح الفن .. !

اننا لن نبنى السد العالى مرتين .. وأيضا .. لن نحارب ـ فى ظنى ـ مثل هذه المعركة الشرسة ، مرة أخرى ـ فى هذا الجيل ـ ومن ثم فاننى أرى أن الحسم فى قضية العدل الاجتماعى فى بلادنا .. والحسم العسكرى والسياسى أيضا .. لاينفصل عن ضرورة الحسم فى مشكلة الثقافة .. ان ذلك كله يمكن أن يضعنا فى موقف أكثر تأثيرا فى الكثير من قضايا العالم المعاصر .

.. ولنضع حدا لذلك السيل من كتابات أولئك « الذين تقرأهم الطبقة البورجوازية المجزعة على القيم البورجوازية » .. على حد قول د . لويس عوض .. فى كتابه « الادب والثورة » (*).



الاسم : محمد ابراهيم أبو سنة

السن : ٣٢ سنة

الجهة التى يعمل بها : الهيئة العامة للاستعلامات

دخله الشهرى : ٢٢ جنيها

انتاجه الفنى :

ـ المنشور : قلبى وغازلة الثوب الازرق ـ حديقة الشتاء ـ فلسفة المثل الشعبى

ـ غير المنشور : مسرحية « عمر مكرم » ـ مسرحية « حمزة العرب »

ـ ديوان شعر « هشيم الاشجار الحمقاء »

السؤال الاول : بدأت العلاقة بينى وبين الشعر ، وهو الفن الذى أزاوله ، فى سن مبكرة جدا فى سن التاسعة تقريبا عندما هجانى أحد أساتذتى فى المرحلة الابتدائية على سبيل المزاح ، فقد كنت مشاكسا الى حد ما . ولفت نظرى لاول مرة أن الشعر يختلف عن الكلام العادى وتأكد هذا الاكتشاف خلال المظاهرات التى قامت قبل الثورة مباشرة ، وكانت الشعارات المطالبة بسقوط معاهدة ٣٦ تصاغ صياغة موسيقية تسهل حفظها . ولكن بداية انتاجى الشعرى وهو انتاج لا صلة له بأصول الشعر الحقيقية فى ذلك الوقت فقد كانت بدايته عام ١٩٥٤ وكانت البداية لا تبشر بالخير كثيرا وخاصة بعد أن اطلعت على انتاج هذه الفترة منذ وقت قصير . فلو أتيح لشاعر ناضج أن يرى هذه البداية لنصحنى بتوفير وقتى وجهدى والاتجاه الى مجال آخر .

السؤال الثانى : لقد كان فهمى لدور الشعر ورسالته كسراج يضىء الطريق الى الحقيقة وينشد الجمال ويتغذى بالحرية . وهو ، أولا وأخيرا ، ككل نشاط انسانى هدفه تدعيم التواصل بين البشر . هذا الفهم هو الذى حكم علاقتى بعد ذلك بزملائى الفنانين . فرغم أننى كنت طموحا جدا وأوشك أن أحدق طويلا فى أعلى الدرجات فقد كنت مستعدا للاستفادة من أصغر زملائى وقد رأيت لفترة طويلة أن لكل جيل مشاعر مشتركة وقضايا تكاد تلح بصورة مختلفة على مزاج كل منهم . ورغم اختلاف البيئات فان الفن فى النهاية يشبه البحر الذى يجذب اليه كل الانهار . والحقيقة أننى شعرت لبعض الوقت بالوحدة الفنية نتيجة لقلة الاصوات التى كانت تعبر معى مرحلة الوهج الاولى . ولقد قامت علاقتى بالشعراء على أساس من الاعجاب والحب ومحاولة الاستفادة بقدر الامكان ، مع الاحتفاظ لنفسى بحق الطموح الفنى .

أما الاجهزة ، فقد أتيح لى أن

اتجـه الى أشرف العنـاصر الموجودة بها • وهى عادة عناصر تتمتع بالاخلاق الطيبة والنزاهة والرغبة فى التعاون مع الناس وكم آلمنى أن الشعر لم يكن الفن الذى تطلبه هذه الاجهزة المختلفة بل كانت تنظر اليه فى أغلب الاحيان بمنطق السلعة البائرة • ولو أننى كنت مدفوعا بمثل هذه الحوافز التى يطلق عليها البعض بالحياة العملية لكنت قد توقفت من البداية • ولكن العنـاصر الشريفة التى لجأت اليها لمعاونتى فى طريقى قد بذلت جهدا كبيرا لجعل سمعة الشعر مقبولة ، وأن تصوره على أنه فن مطلوب • ولكننى أؤكد أن هذه العناصر المثقفة الواعية توشك أن تكون قلة وسط كثرة غامرة من اللامباليين والساخرين من كل ماهو جاد • هذا من حيث علاقتى بـزملائى والمؤسسات المتصلة بالفن •

من حيث علاقتى بالمجال الذى أعمل فيه فاننى أضع فى اعتبارى أن جهد الانسان ينبغى أن يصرف فى عمل مفيد ، ومن الغباء أن يبدد الانسان طاقته فى صراع هامشى يعطل نشاط الانسان ويحد من حريته ويضعف من حيويته • فانا احب عملى واتعـاون مع زملائى ، ولكننى أرى مستقبلى حيث يكون قدرى الشعرى •

الاجيال الفنية السابقة على جيلى كانت أسعد حظا لوضوح الرؤية وانسجامها مع التيـار الثورى العام • أما جيلى فقد حـاصرته الامـال الضـائعة والرغبات المحبطـة • وان كان التفتح الثورى قد أضاء بعض الطريق ، الا أن العواصـف لم تكف لحظة واحدة عن اثـارة المتاعب أمام جيلنا حتى اضطربت الاشياء • وأنا شخصيا معجب بعدد من كتاب الجيل السابق على جيلى • ولكننى أرى أن قلة منهم فقط قادرة على تذوق المعنى الجديد للحياة والفن عند جيلنا • اننا جيل محاصر ، ولكن الجيل السابق علينا كان جيلا يملـك القدرة على الانطلاق • ولم يحتج جيلنا لقيمه مثل حاجتـه الى الحرية ، هذه الحرية التى ناضل الجيل السابق من أجلها ويبدو أنه خسر المعركة ، وانا أنتمى نفسيا الى بعض أجواء الجيل السابق ولكننى فنيا أنتمى الى نفسى فقط • وأدين لهذا الجهد الذى بذلته للحصول على زاد من القراءات الاجنبية • اننى أحترم الجيل السابق على جيلى ولكننى أعترف أنه أعطانى القليل •

السؤال الثالث :

لم أنس للحظـة واحدة اننى قادم مـن الريف •

ورغم أننى حضرت فى سـن التاسعـة من عمـرى الى المدينة ، فاننى كنت دائم العودة الى القرية أثنـاء الاجـازات الطويلة • ولعل ذخيرتى مـن المشاعر الانسانية تعـود فى معظمها الى الريف المصرى،لقد روعتنى تعاسة هـذا الريـف وأذهلنى تعـاونه وتضـامنه • وكانت الروح الجماعية فيه هى ملاذ روحى عندما تكاد هـذه الروح أن تنفطر شفقة على هؤلاء الناس •

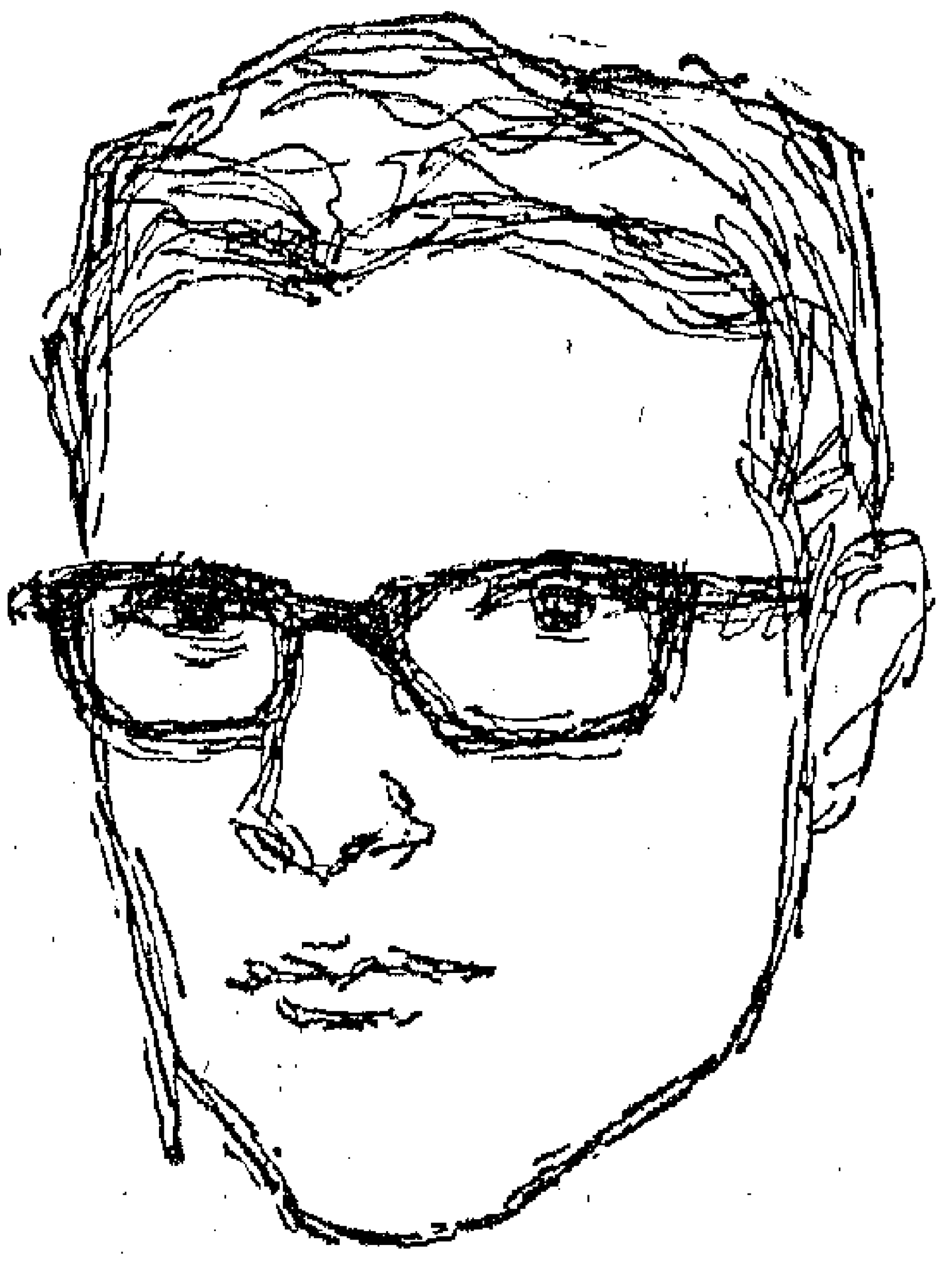
ان الريف فى نظـرى يعنى التعاسة والبراءة والتعاون وروح الجماعة ووجدان الجمـاعة • ولكن على المستوى الفردى كانت هنـاك تعاستى الخـاصة التى نشأت نتيجة لظروف خـاصة • وفى المسافة الشاسعة بين بؤس القرية وأنانية المدينة ، بيـن البراءة المنعزلة والحشـــد الضـائع ، اقمت منظـارى الشعرى •

لقد تأثرت أبلغ التأثر بمشاكل مجتمعى سواء كان المدينة او القرية ، وتأثرت فكريا نتيجة لذلك بالفكـر الوجودى والماركسى وتأثرت فنيا بكل الاتجـاهات الناضجة فى الشرق والغرب • ولكن الانسانيين هم الذين تركوا آثارهم واضحة خاصة تولستوى وتشـيخوف • ودخل الاتجـاه الرومانسى فى الشعر والرواية كعنصر أساسى فى تكوينى الفنى ، وهذا ماجعل شخصيتى الفنيـة تتكون من عنصر الفكر الاشتراكى والرومانسية الثورية والاحساس بالوحدة الوجودية فى حـالات كثيرة •

وايضا قادنى هذا بالطبع الى الترحيب بالتحول الاشتراكى فى بلادنا كوسيلة للخلاص بالنسبة للطبقات المقهورة • وعندما وقع العـدوان الاسرائيلى كانت الصدمة فوق طاقة الاحتمال •

ولكننى رأيت أن الوقت غير ملائم لتوجيه اللوم والتقـريع وتعنيف النفس العربية ، بل اننى رأيت الوقت مناسبا لشحذ الهمة وتوكيد العزم على النضال • أما بالنسبة لقضايا العالم المعاصر فان الانتصار الدائـم للمعسكر الاشتراكى يمثل لى الامل فـى سبيل سعـادة البشرية •

وأن الغضب ليجتاحنى حين أبصر هذه الفروق الهائلة بين دول العالم الثالث ودول العالم المتقدم • ان هذه الهـوة تعكس وضعا خلقيا محزنا بالنسبـة للجنس البشرى ، وأرى أننى مع العالم الثالث فى تقدمه البطىء والانسانى معا • هذا العالم الذى يضم أغلبية البشر •



الاسم : صبرى حافظ
السن : ٢٨ سنة
الجهة التى يعمل بها : المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب
دخله الشهرى : ٢٥ — ٣٠ جنيها أواقل قليلا
انتاجه الفنى :

— المنشور : وهى أكثر من ١٠٠ دراسة نقدية تتناول اما بعض القضايا الاساسية فى الاعمال الفنية وتتبعها لدى عدد كبير من الكتاب او مناقشة بعض الاعمال الفنية سواء أكانت شعرا أم رواية أم اقصوصة .. وقد نشرت هذه الدراسات فى عدةمجلات وصحف عربيةمختلفة منها [المجلة] و [الكاتب] و [المساء] فى مصر و [الاداب] و [العلوم] و [دراسات عربية] و [الحرية] و [الاديب] فى بيروت و [المعرفة] و [الثورة] فى دمشق و [الرائد العربى] فى الكويت .. وغيرها .

— غير المنشور : مسرح تشيكوف « مدرج ضمن خطة دار الكاتب العربى عام ٦٩/١٩٧٠ » — الصمت والصدى [دراسات فى نقدالشعر] « مدرج ضمن خطة دار الكاتب العربى عام ٦٩/١٩٧٠ » — مأساة فلسطين فى أدبنا الحديث « سيصدر بعد شهور عن دارالاداب ببيروت » — الشعر السوفيتى الحديث « دراسة لهذا الشعر طوال الخمسين عاما الماضية ومنذ الكسندر بلوك حتى اليوم . مع نماذج مترجمة لاكثر من عشرين شاعر وتبلغ أكثر من ٨٠ قصيدة » — حاضر الاقصوصة المصرية « وهى دراسة منجزة خلال عام من التفرغ الذى منحته من وزارة الثقافة ونفذته عام ١٩٦٥ .. وهى دراسة نقدية طويلة تتبع مختلف اتجاهات الاقصوصة المصرية وتياراتها منذ عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٦٥ .. مع دراسة لمستقبلها من خلال أعمال اغلب الناضجين من الشباب » — الاتجاه الروائى الجديد عند نجيب محفوظ « دراسة نقدية للمرحلة الروائية الاخيرة من انتاج هذا الفنان الكبير منذ [اللص والكلاب] حتى [ميرامار] » — شاعران عراقيان « دراسة نقدية عن أعمال البياتى والسياب الشعرية » — تنويعات على لحن واحد [مجموعة قصص قديمة].

السؤال الأول :

بدأت علاقتى بالادب قارئا نهما منذ عام ١٩٥٢ ، وكاتبا منذ عام ١٩٥٩ حيث كتبت القصة القصيرة ثم بدأت فى كتابة النقد والمقالات الادبية . وقد نشرت قصصى القصيرة ودراساتى النقدية للمرة الاولى عام ١٩٦٢ فى كل من جريدة (المساء) و (الاداب) البيروتية . ومنذ عام ١٩٦٢ حتى الان وأنا أواصل كتابة الدراسات النقدية ونشرها فى مختلف المجلات الادبية الكبيرة فى العالم العربى ومصر . وقد حصلت على منحة التفرغ لمدة عام لاعداد دراستى النقدية عن (حاضر الاقصوصة المصرية) عام ١٩٦٤ وقمت بهذه المنحة عام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ ، نظرا لان ظروف عملى أخرت تنفيذى لها لمدة عام كامل .

السؤال الثانى :

اعتقد اننى أعيش فى ظروف سيئةالى حد ما وخاصة من الناحية الاقتصادية فكل الكتب التى اريد قراءتها واقتنائها لا استطيع الحصول عليها ، والظروف التى يعيشها الاديب الشاب فى ظل تسلط الوظيفة الجهنمى بدفاتر حضورها وانصرافها .

والاحساس الحاد بضرورة أن يثقف نفسه بشكل كامل ، وان يعكف لفترات طويلة على أصول المعرفة البشرية الاساسية اللازمة لتكوين عقل حديث جديد بمعايشة مشاكل عالمنا وقضاياه ، قادر على التفكير فى تلك القضايا والاحاطة بكل جوانبها ، الاحساس بضرورة هذا والعجز عن تحقيقه بشكل كامل هو الذى يوقع الكاتب الشاب فى براثن أزمة رهيبة .. فنادرة تلك اللحظات التى يشعر فيها بالرضى عن نفسه والاطمئنان لمستقبله .

فالظروف التى يعيشها تدفعه فى اليوم ألف مرة لان يكفر بالثقافة .. ولان يهتف مع ابن سليمان فى سفر (الجامعة) الكل باطل وقبض الريح .. لان يكفر كل لحظة بالثقافة ثم يلوح له شىء يدفعه الى معاودة الايمان من جديد .. ولكنه مايلبث ان يصطدم بجمود جديد وبعراقيل جديدة ، وبتشوهات جديدة ويستمر « كسيزيف » يدفع الصخرة ولا يصل بها الى قمة الجبل أبدا . لانه يصطدم كل لحظة بمفاهيم الاجهزة الثقافية المتخلفة . وباكتظاظ الحقل الثقافى بالمدعين وعديمى الموهبة . وبعشرات الناس الذين يتسللون الى واجهات الحياة الثقافية كوباء . بل بكثير من الادباء الشبان — من أبناء جيله — الذين لايعرفون ماذا يريدون ، ولا يقرأون أو حتى يعيشون .. انه يصطدم بضحالة خبرتهم وبعقم ثقافتهم وبنضوب موهبتهم وبانبهارهم ببعض

الحيل والالاعيب التكنيكية الفارغة ·

لكن أهم الاشياء التى يعانى منها الكاتب الجديد ـ فى اعتقادى ـ هى افتقاده الشديد للنموذج الذى يمكن ان يحتذيه فكريا وثقافيا وأخلاقيا أيضا ·· ففى مجال النقد الادبى الذى أكتب فيه لا أستطيع أن أعثر على ناقد أدبى كبير ـ فى أى بلد من بلدان العالم العربى قاطبة بما فى ذلك مصر بالطبع ـ يمكننى أن أقول مرتاحا هذا هو الكاتب الذى أريد أن أكونه بعد عشر سنوات أو عشرين ·· أو حتى الذى أريد أن أتجاوزه · فليس ثمة تقاليد متينة فى أى مجال من مجالات الادب ·

وأنا أعرف أن فقدان الثقة ذاك بالاجيال القديمة فكريا وثقافيا واخلاقيا لا يقتصر على مجال النقد الادبى وحده بل يتعداه الى كل المجالات الاخرى · لكنه أكثر وضوحا فى ميدان النقد عنه فى بقية الميادين ·· فقل لى بالله عليك ·· أين هو الناقد الذى يمكننى أن أقول ـ بفم ممتلىء ـ هذا هو أستاذى الذى أريد أن أكون مثله أو حتى أتجاوزه ؟

فأغلب كتابنا يقدمون أفضل ما عندهم فى سنواتهم الاولى ـ ثم يفتقدون بعد ذلك من ينصحهم بالكف عن الكتابة والاعتزال وهم فى أعظم مراحلهم حتى لايواصلون الانحدار · لانهم غالبا مايستنيمون ـ بعد فترات متفاوتة ـ الى دعة الرخاء المادى والكسل العقلى معا · ويعجزون تماما عن تجاوز بداياتهم ، المتواضعة بطبيعة الحال ، أو حتى العودة الى مستواها · وقد يظهر لهذه القاعدة استثناء أو استثناءان ،ولكنه الاستثناء الذى يؤكد القاعدة وليس الذى يهدمها ·

فى ظل هذا المناخ الثقافى المليء بالشلل واكلة لحوم البشر ولحومهم أيضا ، والذى يحتل أغلب الواجهات الثقافية فيه أناس يعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر ، يعيش الكاتب الجديد ، وعليه أن يتجاوز كل هذا وأن يحقق مستوى فنى يواكب به أعمال كتاب بلدان العالم الاخرى ·· فهو يعرف أن هناك العديد من الدول الاصغر منا حجما والاقل عراقة والتى تقترب فى مستواها الحضارى من مستوانا ، حقق كتابها العديد من الانتصارات الكبيرة وحصل عدد منهم على جائزة نوبل · وهو يعرف أيضا أن عليه أن يكون معاصرا لكل مايدور فى عالمه ذاك ـ سياسيا وحضاريا ـ وأن يحتفظ مع هذا بحسه القومى وبالاصالة التى يستمدها من التغلغل فى وجدان الارض التراثية التى يقف فوقها · ويعرف ايضا ان عليه ان يلتصق بنبض واقعه الوطنى ، وأن يكون قادرا فى الوقت نفسه على استشراف مستقبل اللحظة الحضارية التى يعيشها ويعبر عنها ·

أما العلاقة بينى وبين المجال الذى أعمل فيه أو الاجهزة الثقافية التى أتعامل معها فاننى أحس بأنها علاقة طيبة الى حد ما ·· ففى بعض هذه المجالات مازال هناك بعض الاساتذة الكبار الذين يحسون بمسئوليتهم ازاء الاجيال الجديدة وبدورهم فى اضاءة وتيسير الطريق أمامهم كأستاذنا يحيى حقى فى مجلة (المجلة) على وجه التحديد ·

ومازال هناك بعض الذين يعطون آذانهم فحسب ـ للادباء الشبان ·· غير أن هذا كله هو أقل بكثير من الحد الادنى ·· وهذا لايعنى بأننى أقول بأن هناك مشكلة نشر فأنا من الذين يعتقدون بأن هناك مشكلة افراط فى نشر عشرات الاشياء التى لا تستحق النشر · وهذه المشكلة فى نفس الوقت تشير الى طبيعة أجهزة النشر من جهة والى أن هناك الكثير من الاعمال الجيدة والموهوبة التى لاتستطيع أن ترى ضوء هذا النشر ·

ولكن الذى أريد أن أؤكد عليه هنا هو أن هناك مشكلة أهم وأكبر وهى افتقاد العلاقة الجدلية الحقيقية بين الاجيال المختلفة ·· علاقة تبادل التأثير والتأثر ·

وهناك ملاحظة هامة وأخيرة ·· وهى أن الكاتب الجديد يجد نفسه فى بداية مرحلة التكوين الفعلى من الناحية الثقافية فى فترة تبدأ الكثير من القضايا والمشاكل الاجتماعية فى محاصرته ·· وهو يبدأ هذه الرحلة فى الوقت الذى يكون فيها قرينه فى البلدان الاخرى قد انتهى منها وبدأ مرحلة الانتاج بالفعل · فالكثير من مناهجنا الدراسية ، تساهم فى خلق حائط سميك بينه وبين الفن الصحيح ، وهذه من أهم أسباب سوء تسويق الاعمال الفنية الجديدة ·

هذا من ناحية الكاتب : اما من ناحية الاجهزة الثقافية فان ثمة تقليدا قديما سائدا يعمل على تنحية الشبان الموهوبين دائما عن الاماكن القيادية ويتركهم حتى يكبر سنهم وتشيخ رؤيتهم وتتحجر أفكارهم ثم بعد ذلك يستدعيهم للعمل فى هذه الاماكن القيادية فى المجال الثقافى ·· أى أن بداية تأثير الكاتب الفعلى دائما ماتقترن ببداية تدهوره الفنى والفكرى ·· كما يبدو أن هناك زواج كاثوليكى بين مرحلة النضج والانتاج الرائد الحقيقى فى حياة الكتاب وبين مرحلة النفور منهم وابعادهم الدائم عن مجالات التأثير ·

السؤال الثالث : اعتقد ان المؤثرات الفكرية والاجتماعية والفنية التى تشارك فى تحديد اتجاه رؤيتى للاعمال الادبية وللواقع الاجتماعى هى كل الروافد المكونة للفكر التقدمى

بمعناه الشامل • سواء أكان هذا فكرا اجتماعيا أو سياسيا أو فلسفيا أو علميا • وقد شاركت دراستى الجامعية لعلم النفس والاجتماع فى تكوين جانب أساسى من رؤيتى الفنية والادبية •

ومن هنا فاننى أقف بلا شك فى جانب التقدم من قضية التغيير الاجتماعى أو بشكل أكثر تحديدا فى جانب الفكر الاشتراكى وان كنت أرى أهمية كبيرة لقضيتى الحرية والاصالة فى هذا الميدان •

أما مسألة موقفى من قضية العدوان الاسرائيلى فأعتقد أننى كنت من أول الكتاب الذين أشاروا فى دراسات منشورة قبل النكسة بأكثر من أربع سنوات للكثير من الفكريات والاتجاهات الجديدة — والتى لم تظفر بما تستحقه من الاهتمام الا بعد النكسة — والصحيحة فى القضية الفلسطينية • وهى دراسات تشكل بعض فصول كتابى عن « مأساة فلسطين فى أدبنا الحديث » •

أما موقفى من قضايا العالم المعاصر فيمكن استشفافها من كتاباتى وان كان لى أن ألخصها فى كلمات قليلة فهى أننى أقف باستمرار مع كل مافيه خير الانسان وحريته وضد كل مافيه تشويه لهذا الكائن العظيم •

الاسم : فؤاد ابراهيم حجازى
السن : ٣١ سنة
الجهة التى يعمل بها : محافظة الدقهلية ومنتدب بمجلس مدينة طلخا
دخله الشهرى : ٢٠ جنيها
انتاجه الفنى :
— المنشور : مسرحية ذات فصل واحد « الناس اللى ممعهاش » مثلت فى قصر الثقافة بكفر الشيخ — رواية قصيرة « شارع الخلا » طبعت فى أكتوبر ١٩٦٨ — مجموعة قصص قصيرة نشرت فى مجلة آخر ساعة وروزاليوسف وجريدتى الجمهورية والعمال وقد تم تجميعها تحت الطبع بدار الكاتب العربى •
— غير المنشور : « مذكرات أسير » — رواية قصيرة « الجنايبية » — مسرحية ذات فصل واحد « الزنقه » — نادين حبيبة الورد والياسمين « مسرحية للعرائس » — مجموعة قصص قصيرة عن حرب ١٩٦٧ •

السؤال الاول : قامت العلاقة بينى وبين الفن الذى امارسه الان فى مرحلة الصبا ، وبدأت الانتاج فى عام ١٩٥٦ •

السؤال الثانى : المناخ الذى يسيطر على ممارستى للفن :

● علاقة صداقة مع بعض القصاصين • ولا علاقة مع الاجهزة والمؤسسات المتصلة بهذا الفن

● العلاقة بينى وبين المجال الذى أعمل فيه كالاتى : فهو مجال غير فنى ، ولكنه من ناحية يفيدنى فى التعرف على نماذج مختلفة من الناس ، والتعرف على مشاريع الحكم المحلى الجديدة • ولكنه من ناحية اخرى قاتل للمواهب لعمله الروتينى الممل ولعدم حرية الحركة الى المواقع التى أرغب ان اكون موجودا فيها والكتابة عنها •

● موقفى من الاجيال السابقة موقف التقدير والدراسة ومحاولة الاستفادة من تجاربهم وتفهمها وتقدير الظروف التى أنشأتها •

السؤال الثالث : المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية : الاعمال الجديدة التى انشأتها الثورة وتأثيرها على الانسان المصرى وما تساهم به فى دفعه الى التقدم الحضارى •

● الاكتشافات العلمية فى العالم وأبحاث الفضاء ومدى تأثير ذلك على طريقة تفكير الانسان المعاصر •

● النظر لقضية العدوان الاسرائيلى من زاوية الناحية الانسانية ومخالفة العدوان للقيم والمثاليات التى تعارف عليها البشر على مر العصور •

● الاهتمام بقضايا العالم المعاصر كقضايا بناء الاشتراكية والتحرر والتفرقة العنصرية وقضايا التقدم والتنمية ومشكلة السلام العالمى ونزع السلاح . الخ والوقوف الى جانب الوجه المتقدم للحياة ، والوقوف بحزم ضد اعداء الشعوب ، وهذا الاهتمام يولد انعكاسه على الانتاج الادبى والفكرى للفنان سواء بوعيه او بلا وعيه •

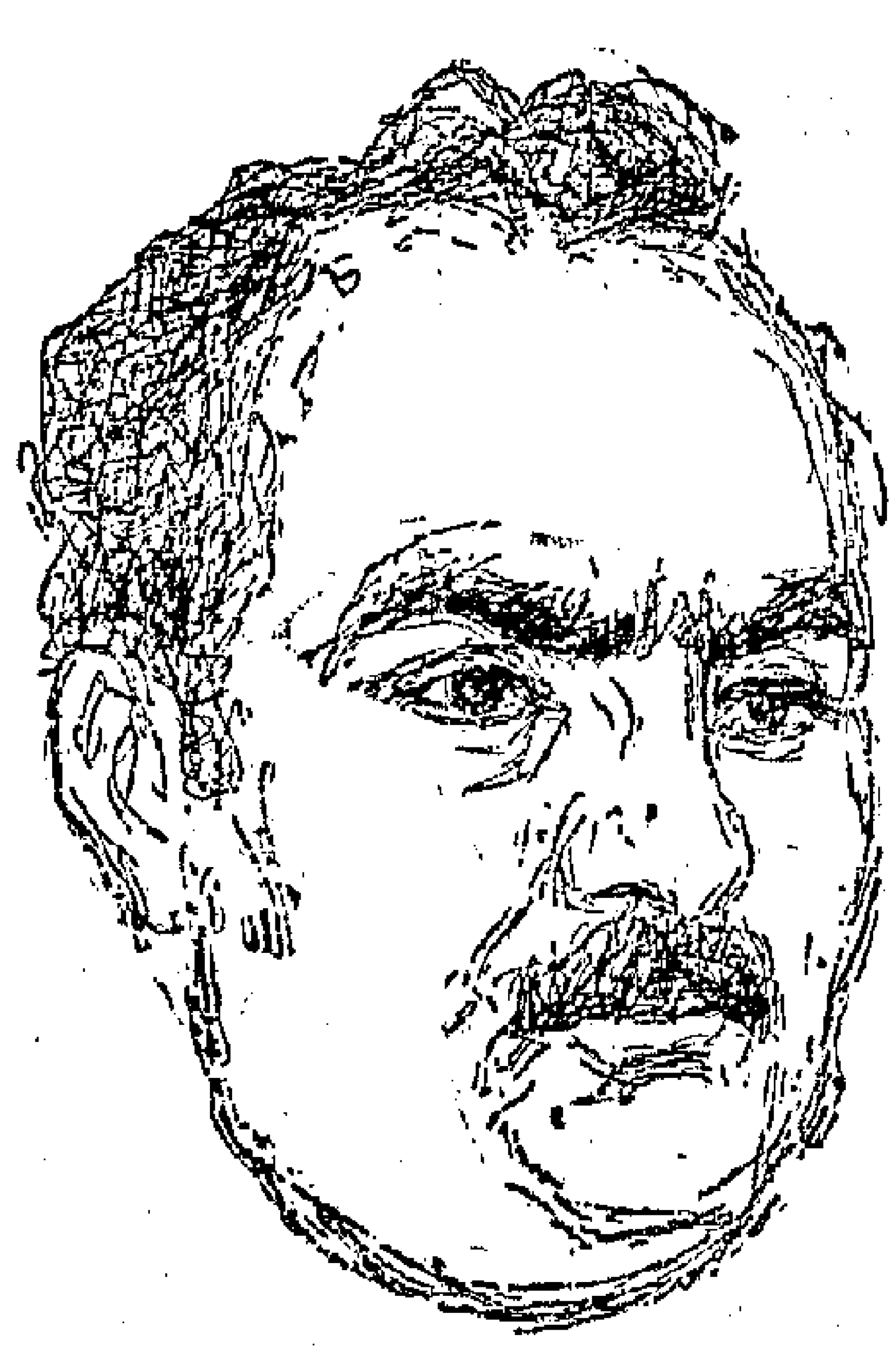


الاسم : بدر توفيق
السن : ٣٥ سنة
الجهة التى يعمل بها : نقيب [جيش] متقاعد منذ ١٩٦٧ وطالب بقسم اللغة الانجليزية بكلية الاداب .
دخله الشهرى : ٤٠ جنيها .
انتاجه الفنى :
ــ المنشور : ديوان « ايقاع الاجراس الصدئة » ــ ديوان « قيامة الزمن المفقود » .
ــ غير المنشور : ديوان « رجال على الطريق » ــ ديوان « طائر الحب المهاجر » .

السؤال الاول : منذ ميلادى ، نشرت لى أول قصيدة فى مجلة « صباح الخير » ١٩٦٢ ، كما نشرت لى أول قصائدى فى « الاهرام » ١٩٦٣ .

السؤال الثانى : الصداقة والاحترام المتبادل ــ علاقة منتج بموزع .
● علاقة حب متصلة .
● طموح طالب يتخطى بفنه منهج معلمه

السؤال الثالث : الحرب والشعر والغرائز الانسانية موقف ايجابى ــ الدعوة للحرب ــ الدعوة للسلام العالمى .



الاسم : سمير عبد الباقى
السن : ٣٠ سنة
المجهة التى يعمل بها : متفرغ للدراسة بالمعهد العالى للفنون المسرحية « الدراسات العليا » نقد وادب مسرحى .
دخله الشهرى : ٢٥ جنيها
انتاجه الفنى :
ــ المنشور : كلام من القلب « ديوان » ــ أغنيات للايدى السمرة « ديوان » ــ غنوة لمصر « ديوان » . الجائزة الثالثة [مجلس الاعلام الريفى] ــ حكاية سقا [مسرحية للعرائس] ــ ٣ أرانب [قصة للاطفال] ــ وعدد كبير من قصص وحكايات الاطفال بمجلة سمير .
ــ غير المنشور: مطر على الجراح [ديوان شعر بالعامية] مغامرات مشمشة ، الشاطر بلحاية ، ملاعيب تعاليبو وأبناؤه السبعة ، مملكة القط بسبس ، ضحكة بنت السلطان [وكلها قصص للاطفال] .

السؤال الاول : لما كنا صغار .. كان الواحد منا بيتنفس ويسا النسمة حرارة الكلمة . . كنا فى الشتا نتدفى بكتاب . . فى الصيف نمسح عرق الشقيان بالامل المخفى فى الغيب .. نحلم بالفجر يشيل الناس . كل الناس . . يديهم طعم لتعب اليوم وشقاه . . .

حسيت لما وعيت . ان فى نفسى اعيش أيام الناس واخليهم يدخلوا بستان أحلامى .. ويعيشوا همى وألاقى طعم الكلمة ورد الفعل .. وفى الاحساس بألمهم . تبرير لالامى . . . . ولرحلة أيامى فى سكك الغيب .

كان الشعر ابن الحلم الوردى . . وابن الشقا . . . . وابن الاحساس الصادق بحقيقة الدنيا .. وحقيقة قهر الناس كان عهد بعيد .. لكن حتى لدلوقتى باقى . . . مادخلش فى غيم الذكرى .. والحمد لرب الشعر .. والحمد لرب الطهر الصادق ابن الارض الخضرة . اللى لسه بتساعى وتسمع لهموم الناس ..

يمكن ده .. هوه اللى خللى الكلمة المكتوبة المحكية للاطفال لها عندى القيمة الباقية .. يمكن تتحقق معجزة الرب .. وخللى المسرح فى أحلامى صورة تقربنى من ارض وترجعنى لارض . .

حسيت انى باتغرب عنها وأتوه ..

السؤال الثانى : وبتسألنى عن اصحابى وزملائى .. تسلم وتعيش احنا فى البحر جزاير .. بينها شعاب ووحوش أسطورية .. يمكن من صنع خيالنا .. ويمكن من صنع الواقع لكن دى قضية اكبر منى .. أكبر حتى من فنى .

والحل ؟ . . .

دور ويايا ع الحل . . . يمكن لو دورنا مع بعض عليه .. يمكن نفلح .. نتواضع .. نعرف ان الحق مالوش وشين وان الباب الضيق والسكه الصعب هيه طريق الشعب ..

والحدوته اللى انت بتقراها معايا فى الجرانين ـ ع القهوة فى الندوات والقعدات .. مش من تأليفى ولا تأليف واحد وحده .. الحدوته كتبها الاشطر حتى لو كان كداب .. والاكتر قدرة على تغيير احساسه والتعبير الطافح على وشه بسرعة تحويل مفتاح الراديو

أما بالنسبة لحدوته الاجيال . فاسمع ..

اللى مالهش قديم مالهش جديد واللى مالهش كبير حنرد معايبه ونقصه على مين .. ده كلام الناس فى بلدنا .. واللى مالوش ضهر . . فى ايامنا ياعزيزى مشلوح مضروب على بطنه .

السؤال الثالث : وانا من ميت سلسيل . . قرية فى شمال الدلتا .. عشت طفولتى زى ما بيعيشها الطفل المتبندر فى القرية . وشربت غيطانها وناسها وأوقاتها . وصلاتها وانفاسها بتنور فى عروقى . . .

وكبرت .. صاحبت لينين وعشقته .. عشق الفلاح للنبتة الخضرة بعد التحاريق . . واستنيته .. كما فلاحة بتستنى نهار السوق .. ترجع وترشرش بسمة على وش عيالها . وقريت حكمت .. عشت فى زنزانته ويزودوا حلمت معاه بالانهار الحمرا فى الصين . . . وعاشرت الفلاحين المنسيين فى أيام الجوع فى بلدنا من ايام فرعون لبهوت وحلمت بفيتنام فى كل مكان وشاركت جيفارا فى أحلامى العاجزة .. **وعاشرت الصيادين والبحارة فى قهوة رمانة** .. واللى يعيش ياعزيزى يشوف .. واللى حيمشى حيشوف اكتر ، واللى عنده كلام وف قلبه الصدق .. عمره ما بيحتاج للتفسير .. وادعى لنا .. بطولة العمر تبلغ للامال .. **زى ما قالت أمى فى ودنى زمان .**

الاسم : د. بشرى خميس

السن : ٣٢ سنة

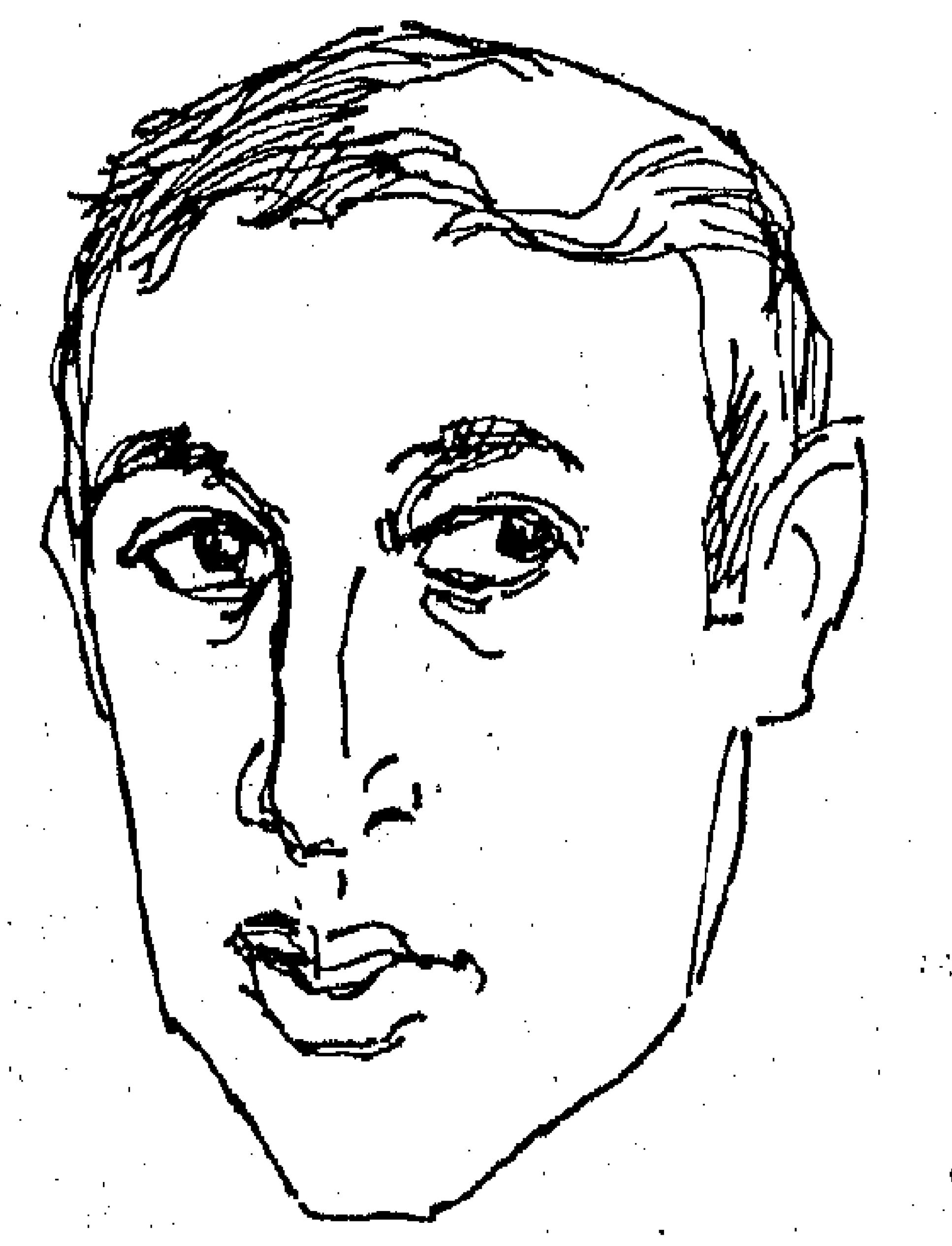
الجهة التى يعمل بها : جامعة القاهرة

دخله الشهرى : ٤٠ جنيها

انتاجه الفنى :

ـ المنشور : مسرحيتان مترجمتان ـ اشعار ـ دراسات وتراجم .

ـ غير المنشور : ديوان شعر ـ مسرحيتان .



السؤال الاول : دفعتنى رغبة عميقة لكتابة الشعر وانا فى التاسعة عشرة من عمرى فجرها عدوان ١٩٥٦ ، فوجدت نفسى أمسك بالقلم وأكتب قصيدتى الاولى ، ومنذ ذلك الوقت وانا لم أتوقف عن كتابة الشعر ، محاولا التعرف على العالم والبحث عن معنى الشعر والحياة .

تعرفت على الشعر قبل ذلك الوقت ، واتسع أمامى عالم القراءة والفكر الذى جزبنى داخله .

أما شغفى بالمسرح ، فهو شغف قديم يرجع الى مرحلة طفولتى وأنا فى السابعة من عمرى ، حيث ذهبت مع اخى شوقى خميس الى مسرح المدرسة الابتدائية ، وبهرنا تماما ـ ثم أصبحنا نقوم باستمرار بتمثيل مسرحيات فى المنزل مع اختنا الكبرى مستعملين أدوات الماكياج المنزلية البدائية .

ثم تعرفت على فن المسرح خلال قراءاتي لمسرح توفيق الحكيم وتراجم طه حسين للمسرح اليوناني والفرنسي في فترة الصبا ، ثم قراءاتي للمسرح في فترة الشباب ، وشدني فن المسرح أثناء بعثتي التعليمية بأوروبا حيث انفتح أمامي عالم مركب معقد قادر على استيعاب طموح الفنان .

ابتدأت الكتابة للمسرح وأنا في سن الثلاثين عام ١٩٦٧ عندما اعتقدت أنه من الممكن الدخول في عالم المسرح المعقد ، وانتهيت من مسرحيتي التسجيلية الاولى (الانفجار) ، ومن مسرحيتي الشعرية بعنوان (عروسة النيل) عام ١٩٦٨ ، واكتب المسرحية الثالثة .

السؤال الثاني : العلاقة بيني وبين زملائي الفنانين علاقة انسانية تتأرجح بين الصداقة العاطفية ، والاهتمامات الفنية والفكرية المشتركة ، وبين الرفض للاشكال الانتهازية والمزيفة التي تصدمنا باستمرار .

علاقتي باجهزة ومؤسسات النشر ، علاقة الثور بالملاءة الحمراء ، أجري خلفها بكل طاقتي ، ولا أصيبها قط ، ما المسها حتى تبتعد ، وفي النهاية أتعب وأصبح مرهقا وأرجع الى حظيرتي بالداخل . علاقة صدام غير متكافيء بين جهاز ضخم معقد متوحش موروث ، وبين انسان عاجز متكبر .

مناخ العمل ، علاقة مخلوق غريب أتى من القمر يتكلم لغة غريبة لا يفهمها احد فقط . كل شيء مختلف ، حتى اللغة ، مفقودة تقريبا .

علاقة صراع بين الرغبة الحقيقية في التغيير والفهم وبين واقع صلب متراكم كمخزن للقش والمخلفات ، بين الطموح في كسر كليشيهات جاهزة وثابتة للاخلاق والدين والحرية والحب ، وبين مواجهة الفشل والصراخ والاعتراض والاصرار المستمر في المواصلة حتى النهاية .

اهتمامي بالعلم كمجال للنشاط البشري يتيح لي رؤية وجه العملة الاخر من الواقع الانساني . العلم والفن يتداخلان بطريقة لا تقبل الانفصال . أكتشف الشعر داخل الدم والجرح والالم والموت الذي أراه كل يوم وأواجهه وأتحداه ، وأحاول فهم طبيعة الاشياء .

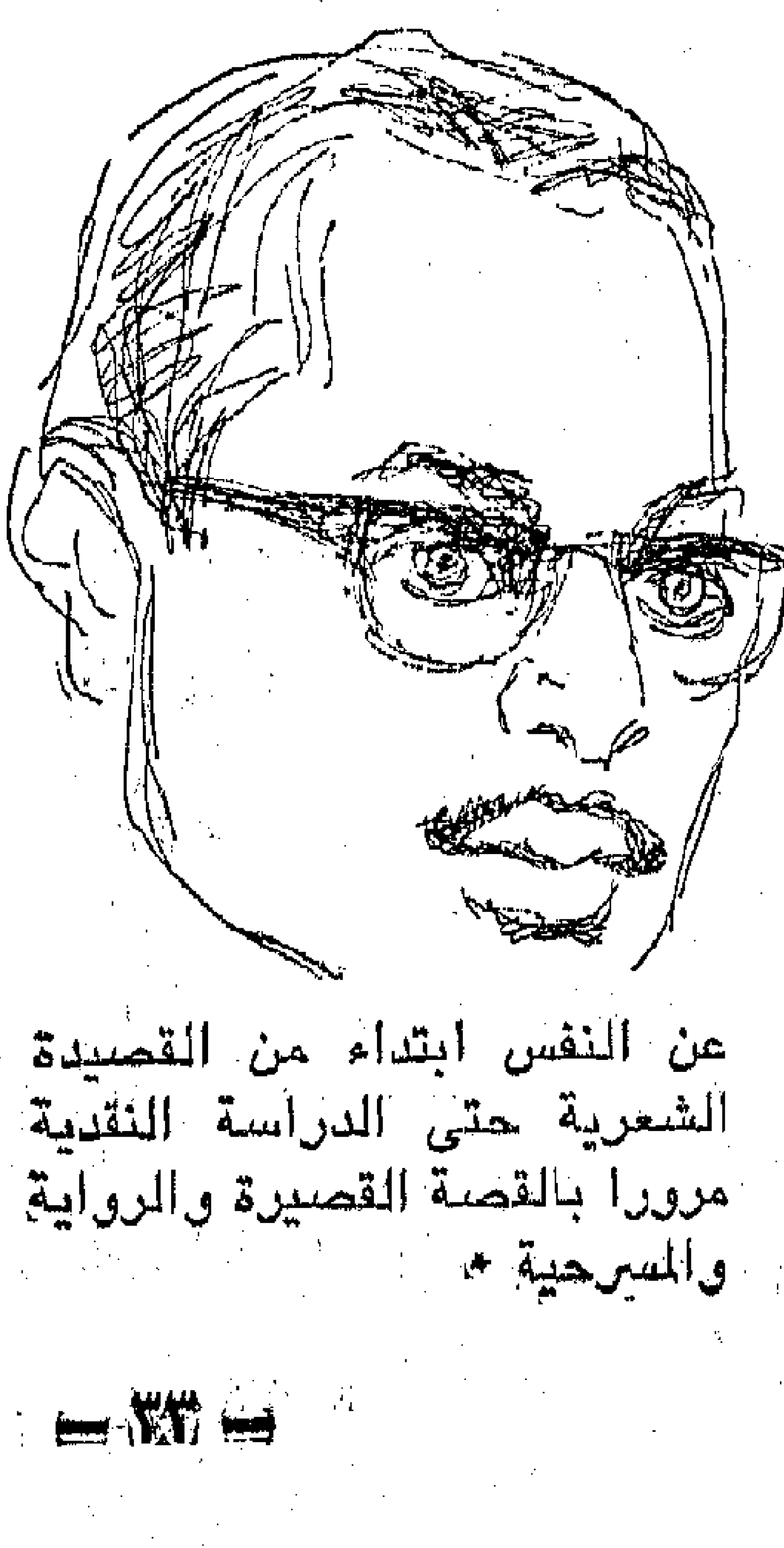
مناخ الاجيال الفنية السابقة، مناخ مليء بالدخان والتراب والرمل يمنع كل منا من رؤية الاخر .

موقفي هو الاحترام ومحاولة فهم التجربة الفنية في حدود اطارها الانساني والتاريخي .

السؤال الثالث : الانسان هو الكل ، هو القضية . الحرية هي المشكلة الاساسية التي تواجه الانسان باستمرار وسط كل الظروف والاشكال الاجتماعية .

التغييرات العميقة التي حدثت في مصر منذ عام ١٩٥٢ جذبتنا الى الاهتمام والمشاركة في تتبع العملية التاريخية التي تتم .

العجز عن المشاركة الفعالة ، والوقوف موقف المراقب يمزق روح الفنان ، العجز عن الفعل المباشر ومحدودية أثر الفن في التغيير والطموح الحاد في تغيير الواقع ، والرغبة في قلب العالم في صف العدل والحرية تمزقه تناقضات الواقع وبطء عملية التاريخ وحركته المملة أشكال الاستعمار المختلفة ، الحركات الصهيونية ، العدوان الاسرائيلي كل أشكال القهر والتعسف أساليب لا انسانية مرفوضة أصلا لانها تجسد مدى غباء الانسان ولانهاض حريته وكرامته . وعلى الكاتب أن يقف ضدها باستمرار حرية الانسان على كل المستويات — الاجتماعي والفردي — هي القضية الاساسية التي يجب أن تشغل فكر الكاتب وتؤرقه باستمرار .



الاسم : محمد يوسف القعيد
السن : ٢٤ سنة
الجهة التي يعمل بها : وزارة التربية والتعليم
دخله الشهري : ١٥ جنيها
انتاجه الفني : كاتب قصة
— المنشور : رواية « الحداد »
— غير المنشور : ....

السؤال الاول : منذ عشرة أعوام كاملة وبالتحديد في غضون عام ١٩٥٩ وجدت في نفسي ميلا محددا لمحاولة التعبير عن أشياء غير محددة وقد عبرت هذه الرغبة عن نفسها بوسيلة او باخرى . حيث بدأت رحلة البحث عن النفس ابتداء من القصيدة الشعرية حتى الدراسة النقدية مرورا بالقصة القصيرة والرواية والمسرحية .

اما عن بداية الانتاج الفعلى ؟ والذى لم ينشر معظمه ان لم يكن كله حتى الان فهى منتصف عام ١٩٦٤ • حيث أنتجت فى هذه الفترة اعمالا أدبية تعد محاولة للاستيطان الذاتى بحثا عن صيغة جمالية تصلح للتعبير الفنى عن النفس ، فالبحث عن الاسلوب المناسب أو الصيغة الصحيحة يعنى فى نفس الوقت محاولة البحث عن الذات . ولذا فان المحاولات الاولى بكل ما تحمله من بكارة الخلق وروعة المعاناة تعد التعبير الصحيح عن هذه المحاولة • اقصد البحث عن الذات •

السؤال الثاني : عن العلاقة بينى وبين الزملاء من الادباء فانها تقوم على أساس جماعى من الرغبة الصادقة فى أن يتمكن هذا الجيل من أن يقول شيئا محدودا . ولذا فالعلاقة قد تتسم بشكل المنافسة أو السباق • ولكنه سباق مشروع من حيث أنه محاولة للوصول الى أصدق الصياغات الجمالية وأصحها عن هذا العصر . ثم ان هناك مناخا واحدا يعيشه كل خالقى الفن فى هذه اللحظات ومع اختلاف السمات والتسليم بعذوبة الفنان فاننى أشعر شعورا صادقا على مستوى ما أقراه من انتاج الزملاء أو من خلال العلاقة الشخصية •• ان هذا الجيل يطرح هموما وقضايا واحدة •

أما عن المؤسسات والاجهزة المتصلة بهذا الفن فهى بالتحديد الصحف والمجلات ودور النشر ، فهى تضيف الى المناخ الرئيسى ازمة جديدة هى ازمة النشر فضلا عن نوع المعاملة التى يلقاها الانسان وشكلها، وعلى كل فأكثر دور النشر ترفع الازمة الى مستوى الحدة القاتلة ، ويزيد الازمة غثاثة ما ينشر عادة مما يؤدى بالاديب الشاب الى السقوط فى هاوية الاستشهاد المزيف والرفض الاحمق لكل شيء .

لا توجد أية علاوة بالمرة بين الفن الذى أمارسه وبين مجال عملى الرئيسى وهو العمل كمدرس بوزارة التربية والتعليم لدرجة ان يصل الامر بان يتصور المرء ان هوايته الادبية شيء لا يجب التصريح به فى مجال عمله الرسمى •

تربطنى بالجيل السابق علاقة مزدوجة • فلقد تمثلت هذا الجيل ودرسته وعايشته بعمق كامل ، لدرجة ان بعض كتاب هذا الجيل قد اصبحوا شيئا أساسيا فى التركيب الفكرى والمزاج الفنى لى • هذا هو الوجه الاول للعلاقة المزدوجة المركبة ، الاعصاب والدهشة والرغبة فى الدرس والاستيعاب والتمثل لكل ماقاله هذا الجيل •

اما الوجه الاخر للعلاقة ، فيأتى عندما يطرح الانسان على نفسه هذا السؤال : ترى ماذا سنقول نحن بعد هؤلاء ؟ وعلى الاخص نجيب محفوظ كروائى ويوسف ادريس ككاتب قصة قصيرة • ان تصور ما قدمه كل منهما لفنه ، ومدى عمق المغامرة الفنية التى قدماها للادب .. قد يشعر الانسان بالعجز واليأس من ان يتمكن من ان يقول شيئا بعدهما ولذا فانه فى اللحظة التى تحول فيها كل من نجيب محفوظ ويوسف ادريس الى رعب للجيل الحالى فى هذه اللحظة ادركت ان هذا الجيل لابد وان يعد بمواقفه الشخصية ونتاجه الفكرى وخلقه الفنى - اضافة لما قاله الجيل السابق عليه . والا فما هو المبرر الوحيد لدى هذا الجيل لان يقول أى شيء ؟

اننا جيل مختلف فى كل شيء عن الجيل السابق ولا بد لنا أن نعيد النظر فى كل المسلمات القاتلة التى تحيط بنا كى نتمكن من ان نقول شيئا له مذاق خاص وشكل خاص •

اما عن العلاقة بهذا الجيل فليس لها شكل خاص، وانا بهذا لا أثير القضية القديمة « نحن جيل بلا أساتذة » ولكنى اقر ان الجيل السابق باستثناء بعض الافراد منه قد اغلق نفسه على نفسه واضحت هناك الان اسلاك شائكة بين الجيل السابق والجيل الحالى - انا شخصيا اتمنى ان نلتقى بهذا الجيل بلا اقنعة براقة .. وبدون موهبة مغلقة او انتماءات شللية ، لكى نقوم معا - نحن وهم بمحاولة لمعايشة رحلة الخلق والعذاب والبحث عن الذات • ولكن هذا لا يحدث الا فى ظل ظروف نادرة الحدوث . وهذا ما يقلل قيمة انتفاعنا من هذا الجيل • ذلك ان تجربته مع الخلق والمعاناة والابداع ليست ملكية خاصة له، بل هى تجربة من حق الجميع . ولكن اين هى ؟ تلك هى القصة.

السؤال الثالث : خالق الفن شخص له فرديته الخاصة وظروفه الاجتماعية والفكرية الخاصة به • فالاديب الحزين المتشائم هو فى نفس الوقت الانسان المتشائم انتجه مجتمع له قيم ادت بالاديب الى هذا الموقف المتشائم ، ولذا فعملية الخلق لاتتم بمعزل عن ظروف الفنان ، فالفنان لا يمكن ان يعيش فى صندوق زجاجى مغلق ، ويمارس الخلق ، بل لابد له من الانفتاح الدائم والمستمر على الظروف الموضوعية المحيطة بالفنان او الاديب •

ومن ناحية المؤثرات الاجتماعيه فهى تنبع من شكل الحياة الذى عشته ، والفئة التى قدر لى الانتماء اليها • ومهما يكن فان قضية التغيير الاجتماعى التى يعيشها المجتمع المصرى قد أثرت بشكل واضح فى موقفى من هذا المجتمع • فان كانت الحرية هى قضية القضايا فلقد تعانقت معها فى هذه الفترة قضايا اخرى ، مثل التخلف الرهيب ، والفقر المدقع .

الا أننا الان لا نجد أن هناك

قضية اخرى ترتفع الى مستوى قضية التغيير الاجتماعي . فالمجتمعات لايتم تغييرها بقرارات جامدة . والثورات لا يمكن ان تغير البشر بين يوم وليلة ، ذلك ان عملية تغيير المجتمع تتم ببطء

واما المؤثرات الفكرية فلقد حاولت استيعاب كافة التيارات الفكرية المعاصرة لى ، دون ان انزلق فى هاوية التقليد الساذج أو الرفض الاعمى . الا اننى اعتقد ان الفكر الاشتراكى كحل لكثير من العذابات التى عاشها هذا العصر ، قد اصبح يشكل لى موقفا فكريا . ولكن هذا الموقف لا ينغلق على نفسه ، وانما هو موقف لا مانع لديه من محاولة الفهم لكثير من صفوف الفكر الاخرى .

وعموما فقضية المؤثرات الفكرية لدى الادباء — الشبان منهم والشيوخ — لاتتمتع بقدر كاف من الوضوح والدقة . ذلك انه لم تظهر حتى الان مدرسة فكرية محددة فى الخلق الفكرى عندنا . والغريب أن تاريخنا الفكرى خال تماما من ظهور مفكر له مذهب واضح . **ولذلك فقضية الجيل الجديد من الادباء هى أنه جيل بلا قضية** ، ان اختفاء الموقف الفكرى ، او الايديولوجية المحددة يدفعنا الى هذا التناقض الحاد . فبينما نجد أن بعض الكتاب يضاجعون قلقهم الفردى ، نجد ان البعض الاخر يرفعون شعار ان القلق رذيلة برجوازية وانه لم يعد امامنا الا أن نعيد رثاء انفسنا .

تبقى بعد ذلك المؤثرات الفنية وهى تتلخص فى محاولة الانفتاح الكامل على ماوصلت اليه الحضارة الاوربية . فعلى جيلنا أن يعيد النظر فى كثير من مسلمات الفن والادب . لابد وأن ياتى العمل الفنى خطوة الى الامام . فصل جديد فى مسيرة المغامرة الفنية لدينا . لقد قيل كل شيء قبل أن نحاول الكتابة . ولم يبق لدينا الا ان نعيد صياغة كل شيء . ان التجديد — فنيا — ليس مطلبا فى حد ذاته .

ان هذه المؤثرات ..

اجتماعيا . مجتمع يحاول ان يعيد صياغة نفسه من جديد . وان يضفى علاقات وتراكيب اجتماعية قديمة واحلال صيغ وعلاقات اخرى مكانها .

وفكريا : الارتباط بالفكر الاشتراكى ، كحل لقضيتى الخير والمعرفة .

وفنيا ، ان يكون الانتاج الفنى مغامرة فنية جديدة تحاول ان تطرح جانبا كبيرا مما وصلت اليه الاداب . محاولة فى نفس الوقت ان تقول شيئا جديدا .

كل هذه المؤثرات تدفعنى الى ان اتخذ من قضايا التغيير الاجتماعى والعدوان الاسرائيلى وقضايا العالم المعاصر الاخرى موقف الالتزام ، الالتزام الذى يصل الى شكل من اشكال القدرية الصارمة ، والذى يرفعه عن مستوى المنافسة والاخذ والرد . والالتزام هنا يأتى نتيجة حتمية للعناق الصادق مع واقعنا المعاصر كاقرار حتمى للارتباط بهذا الواقع ومعايشته . وقد يصطبغ هذا الالتزام بلون المأساة الدامية ، وقد اتحول الى ملتزم مأزوم ، ولكن كل هذا لا يهبط بقضية الالتزام الى مستوى النقاش .

هذا هو موقفى بوضوح ، الالتزام بالواقع المعاصر ، ومحاولة استشراف موقف تقدمى من الواقع المعاصر ، وبهذا يتحول الفن والادب الى صياغة جديدة للواقع لا يمكن لها ان تلغيه ولا ان تنوب عنه . ذلك ان لكل منهما استقلاله الخاص ... وتراكيبه الداخلية الخاصة .

الاسم : عبد العال الحمامصى
السن : ٣٤ سنة
الجهة التى يعمل بها : متفرغ حاليا . قبل التفرغ كنت اعمل بشركة انتاج سينمائى وقدمت استقالتى
دخله الشهرى : مرتب التفرغ ٣٠ جنيها
انتاجه الفنى :
— المنشور : للكتاكيت اجنحة « مجموعة قصص » .
— غير المنشور : وسادة فوق القمر « مجموعة قصص » — مذكرات اديب من الاقاليم « مذكرات ودراسات وانطباعات عن تجربة الكاتب فى الحياة الادبية » — وبالحب يمكن ايضا « رواية مشروع التفرغ » .

السؤال الاول :

قامت العلاقة بينى وبين الفن القصصى الذى امارسه منذ أن كنت صغيرا . تقابل موضوعات الانشاء التى اكتبها بالاهتمام والاعجاب من جانب اساتذتى .. بعض هؤلاء الاساتذة وجهونى الى القراءة فعرفت تيمور والمنفلوطى والرافعى والمويلحى وطه حسين والمازنى وغيرهم فى مرحلة سابقة لمرحلة اليفاعة . وبعدها اندفعت تلقائيا للسياحة فى اجواء الادب الروائى والقصصى الهث وراء ماتقذفه المطابع هنا وفى البلاد العربية من مترجمات رخيصة ورفيعة ، بجانب عيون تراثنا فى الادب العربى .

ولا انسى تأثير الف ليلة وليلة والحواديت التى كانت تسردها على جارة عجوز قبل النوم • وكذلك الاساطير القديمة بحكم كونى ولدت فى مدينة (اخميم) العريقة ذات التاريخ الفرعونى والقبطى والعربى •• لا انسى تأثير هذا فى تكوين وجدانى ككاتب قصصى •

بعد ان بدات مرحلة التعبير بكتابة الخواطر الذاتية وجدتنى احاول كتابة القصة القصيرة للتعبير عن موقفى من الناس والاشياء • وفى مرحلة اليفاعة نشرت لى بعض القصص القصيرة فى صحافتنا القصصية والادبية كانت تتسم بالانفعال والاحاسيس الزاعقة وحماس يفاعة مفعمة بالقراءة والرغبة فى تغيير الواقع الشائه •

ثم انقطعت عن كتابة القصة القصيرة فترة طويلة عندما وجدت نفسى اندفع بحماس الشبيبة وأحلام التغيير التى فجرتها ثورة يوليو فى الانغماس المباشر فى قضايا وطنى الاجتماعية بالنسبة لمحيطى الاقليمى فى الصعيد بجانب ما اكتبه من مقالات وخواطر لينشر فى صحف القاهرة مشاركا فيما يدور من نقاش حول القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية، بجانب ما اكتبه من رسائل عديدة لبعض كتاب مصر وادباء الجيل فى القاهرة والاقاليم •.

ولكنى لم افقد الحس القصصى خلال هذه المرحلة فقد كانت احب المطالعات لنفسى هى قراءة الادب الروائى والقصصى اتابع ماينشر هنا وكذلك التطورات التى تلحق بهذا الفن سواء هنا وفى الغرب •

بعد ان اصبحت نظرتى للعالم وللانسان انضج موضوعية واكثر شمولا ، اكتشفت بان القصة القصيرة هى اداتى المطواعة لتوصيل رؤيتى للحياة فعدت لكتابة القصة القصيرة من جديد ونشرت قصصى القصيرة منذ عام ١٩٦٤ فى عديد من صحف مصر والبلاد العربية • وفى نهاية عام ١٩٦٧ صدرت عن دار « الكاتب العربى » مجموعتى القصصية الاولى « للكتاكيت اجنحة » والتى قوبلت باهتمام طيب من المحافل الادبية والصحفية •• كما لقيت من القراء استجابة اعطتنى الثقة فى نفسى فقد نفذت من السوق تماما بعد عام واحد تقريبا من صدورها . . وانا الان اعد للنشر مجموعتى القصصية الثانية (وسادة فوق القمر) منوها بانى ساقوم بنشرها على نفقتى الخاصة •• فبعد تجربتى المريرة مع دار الكاتب العربى فى نشر مجموعتى الاولى لان اعاود التعامل مع اجهزة النشر الرسمية • ولو كلفنى هذا قوت يومى •• ضنا بكرامتى من ان تهان ومشاعرى من ان تتمزق •

منذ سنوات وانا احاول البحث عن شكل جديد لقصصى • وهذه المحاولة تنبع اساسا من داخلى انا ،ومن تطورى الذاتى.وليست ابدا مجرد مجاراة للاتجاهات السائدة فى الادب الجديد باسم المعاصرة • فبعض هذه المحاولات يتسم باصالة تتوخى الاضافة . وبعضها زائف يهدف الى الابهار بالشقلبة ليس الا •• فعلى الكاتب ان يكون هو قبل كل شىء وان ينبع تجديده من داخله ومن امكانياته •• ففى الاشكال التقليدية كان يمكن بسهولة او بمعاناة ، اكتشاف الزائف من الاصيل . اما فى الموجات الجديدة فالمسألة تكاد تكون صعبة •• لان الادب الجديد لم تتكون له بعد ارضية جمالية •• والمسئولية هنا تقع على عاتق الحركة النقدية خصوصا الحركة النقدية الشابة سيما اذا عرفت كيف تنجو من براثن (الشللية) التى بدات تزحف على حياتنا الادبية وتخرب قيمها وتشوه معالمها ، وتميع جديتها ، بدات مرحلة التجديد بقصة (قابيل يخنق القمر) المنشورة فى نهاية مجموعتى القصصية « للكتاكيت اجنحة » وبعض قصص اخرى بعضها نشر وبعضها لم ينشر •• مجموعتى القصصية الثانية « وسادة فوق القمر » التى اعدها للنشر تتضمن بعض نتاج هذه المرحلة •.

السؤال الثانى : العلاقة القائمة بينى وبين الزملاء . هى علاقة حب وصداقة ومشاركة وجدانية فى هموم عملية الخلق الفنى ومشاكلنا كجيل يفتقد الرعاية والحدب ، وتنمو حياته فى جو ادبى ملىء بالعقد والحزازات والخصومات . وفى جو مثل هذا فعلى الجيل ان يلتف حول نفسه وان يناضل جماعيا من أجل قضاياه واستشرافاته. من هذه الزاوية تتشكل علاقتى بزملائى فى درب الادب خصوصا الاصلاء منهم الذين يعانون الفن مسالة وجود وقضية مصير ومسئولية تجاه ضمير الحضارة •

اما عن العلاقة بينى وبين المؤسسات المتصلة بالفن الذى امارسه فانا عضو بجمعية الادباء اشارك فى نشاطاتها ونشاط نادى القصة وغير ذلك من التجمعات والندوات الادبية • اما عن مؤسسات النشر والاذاعة فأجد لزاما على ان انوه عن ظاهرة « الشللية » التى تفشت فى تلك الاجهزة والتى تكاد تسمم حياتنا الادبية • فهناك من تجربتى مايجعلنى اعتقد بان هذه الاجهزة تتحكم فيها اعتبارات مغايرة لاعتبارات الموضوعية والجودة ورعاية المواهب •

لقد كنا نعانى فى الماضى من عملية تقييم الاسماء لا الانتاج عندما كانت تتحكم فى اجهزتنا

عقلية تكونت من خلال فكريات النظرة الرأسمالية ، والان نعانى من ظاهرة تقييم الانتاج من راويه الشلة التى ينتمى اليها صاحب هذا الانتاج • بجانب المصالح المتبادلة فصاحب البرنامج فى الاذاعة يخدم صاحب العامود فى الصحيفة وهكذا • اما الانسان الذى لاينتمى الا لضميره وقضايا الفن والانسان فكلمته مخنوقة وتصل بالعذاب ان قدر لها ان تنفذ •• هذه الظاهرة ان لم يعمل على علاجها بساشاعة الروح الموضوعية فى اجهزتنا وتاصيل اخلاق الاشتراكية فى حقلنا الادبى فانها كفيلة بان تعوق مواهب اصيلة تعصمها قيمها واصالتها وكرامتها من الانغماس فى صراعات وخلفيات تهدر طاقاتها وتنتهب ابداعها وفوق ذلك تلوث اجمل ما يملكه الفنان وهو نقاء وجدانه .

انا شخصيا توقفت حاليا عن التعامل مع الاجهزة المتصلة بما اكتبه ، لانى لست مستعدا لان ابتذل كبريائى فى سبيل قصة تنشر او تذاع لى •• انى افضل ـ لو وجدت نفسى مضطرا للاختيار ـ ان يموت الفنان فى سبيل ان يبقى لى الانسان الذى كونته يدى خلال مسيرتى فى ارض الثقافة والحب والالم •

من حيث العلاقة بينى وبين المجال الذى اعمل فيه فطوال عمرى كنت اعانى الانفصام بين طبيعة عملى وبين اهتماماتى الثقافية والفنية •• سواء عندما كنت اشتغل فلاحا او صحفيا او موظفا بشركة توزيع سينمائى وهذا آخر عمل كنت ازاوله وقدمت استقالتى منه قبل ان احصل على منحة تفرغ من وزارة الثقافة عندما افتقدت التوائم بينى وبين الوسط المتصل به هذا العمل •• ولانه كان يهدد طاقاتى فى نشاط لايتصل بمناخى كفنان •

بهذه المناسبة لماذا لاتعمل وزارة الثقافة بحكم مسئوليتها تجاه حياتنا الادبية على ان تحل هذه المشكلة . اعنى ان تعمل على توفير مناخ العمل الملائم لكل من يشتغل بعملية الخلق الفنى واثبت كفاءته فيها ، فمن المحزن ان اغلب ادباء الجيل يمارسون اعمالا شاقة وبعيدة كل البعد عن طبيعة اهتماماتهم وتكويناتهم الروحية والوجدانية ، وكلهم يشكو من هذا ، وذلك لنعصم مواهبهم من الضياع ونكفل لها الجو الصحى الذى يتيح لها النمو والازدهار .

اما عن موقفى من الاجيال الفنية السابقة ، فمن الناحية الموضوعية لا املك الا الاعتراف بفضل ما اعطته فى حدود ظروفها الحضارية والتاريخية •• وكان لهذا الذى اعطته اثره فى تكوينى كمثقف وكفنان • اننى ادين لها بكل ما تعلمته منها •• واذا كان البعض ينتقص من قيمة ما اعطته الاجيال السابقة فعليه ان يضع فى الاعتبار الظروف التاريخية والحضارية التى قدمت من خلالها الاجيال السابقة معطياتها •

اننا نختلف تماما عن الاجيال التى سبقتنا • واذا كنا نرفض الان مفاهيمها فليس معنى هذا ان نتنكر لمعطيات رائعة ابدعتها •

ولكن من الخطورة ان تدفع الانانية ، او القصور عن فهم التطور هذه الاجيال لان تعتبر ما اعطته هو نهاية المطاف وغاية الكمال وتطالبنا بان ندور فى فلكه او ننتج داخل نطاقه . . عليها ان تدرك روح العصر وان لا تقف عقبة فى وجه اضافاتنا • عليها ان تدرك بانها محكوم عليها بالهزيمة لو حاولت هذا •• فهناك حركة جديدة تحاول ان تضيف معطياتها التى تعبر عن حياة الانسان المصرى المعاصر وهمومه وآزماته ومايستشرقه من مستقبل حضارى كجزء من الانسانية الجديدة التى تستهدف واقعا يتخلص فيه الانسان من كل الضغوط التى تجعل الحياة مضطهدة وشائنة . . . حركة التجديد هذه حقيقة واقعة لانها وليدة منطق الاشياء بمعنى ان الحياة فى تجدد مستمر ، وبالتالى تتجدد قيمها • ووفقا لهذا تتجدد اشكال التعبير التى تبلور هذه القيم وتؤصلها •

اما من حيث العلاقات الذاتية بالاجيال السابقة • فانا اعاملها بالاحترام والتوقير تقديرا لدورها الرائد • هذا بالنسبة للاجيال التى اعطت ما هو اصيل وجيد . ولكنى لا استطيع ان اعامل بهذه الاخلاق بعض الذين تحجروا وفقدوا خواص ملاءمتهم لواقعنا الجديد المتحرك ويعملون على عرقلة مسيرته •

هؤلاء اعاملهم بعداء مهما كانت الاعتبارات • لانها قضية التقدم بكل تفاصيله قبل كل شىء •

السؤال الثالث :

من حيث المؤثرات الاجتماعية فأهمها بالتأكيد هو انتمائى اصلا للطبقة التى يحاول التغيير الثورى انصافها ، فانا ابن اسرة من الطبقة الزراعية تحت المتوسطة ، اعنى ليست كادحة بالمعنى الحرفى للكلمة ولكنها كانت توفر احتياجاتها بالمعاناة وعرق الجبين . كان ابى فلاحا غير ماجور للغير يستأجر من الغير بعض ارضه ليزرعها ، وفى طفولتى ويفاعتى عانيت الكثير من الارتباكات من جراء عسف الملاك وحجزهم على محصول ابى • لقد عرفنا الضائقات ووقفنا كثيرا على حافة الهاوية ، بل ان فرص التعليم النظامى لم تكفل لى من جراء هذا ، ولكننا لم نعرف الجوع •

من اجل هذا اجد فى قضية التغيير الاجتماعى فى وطنى مسالة تخصنى على المستوى الاجتماعى وتخصنى ايضا كفنان

لابد ان يكون صادقا مع نفسه ومع وجدان عصره .

اما عن المؤثرات الفكرية ، فالضوء من التراث العربي والاسلامي ، وكذلك الثقافة الانسانية عموما بجانب الثقافة العربية والاوروبية المعاصرة وكذلك ايماني بقضية الاشتراكية بكل هذه المؤثرات اقف موقف المساند تماما لقضية التغيير الاجتماعي في وطني .

اما عن موقفي من العدوان الاسرائيلي فهو موقف اى مواطن عربي يتحرق شوقا الى اليوم الوعود الذى يسترد فيه الوطن كرامته ، ويضمد جرحه ويهزم الموعود الذى يسترد فيه الوطن الاحساس بدافع من كوني مواطن عربي مازال قلبه ينزف الدم لاحساسه بان العدوان يلوث ترابه .

وبدافع ايضا من ادراكي لتركيب عالمنا المعاصر ودور اسرائيل كعميلة فعلية للقوى الشريرة في عالمنا فموقفي منها لاتشكله عنصرية متعصبة وانما الوعي الثوري بالفعاليات التي ساهمت في تكوينها . والهدف الاساسي من تكوينها . هذا موقفي من اسرائيل عموما . اما موقفي من العدوان الاسرائيلي فلابد من هزيمته ودحره .. مهما كان الثمن لانها مسالة حياة او موت قبل كل شيء،وبهذا لابد من مساندة كل الجهود التي تبذلها الدولة لهزيمة هذا العدوان .

اما عن موقفي من قضايا العالم المعاصر فانا اقف بجوار كل القضايا العادلة في عالمنا . اقف بجوار قضية السلام العالمي . اقف بجوار قضية تقرير المصير وحق كل شعب في ان يصنع حياته بالطريقة التي يريدها . اقف موقف التأييد المطلق لكل الحركات الرامية لانهاء دور الاستعمار بكل اشكاله ومفاهيمه ومخططاته .. ليتسنى للانسانية كلها أن تصنع واقعا جديدا يسترد فيه الانسان مصيره وشرفه وحيرته .

هذا هو موقفي كمواطن وانسان يعيش عصره .. اما موقفي كفنان فانا لا احبذ ابدا ان يتحول الفنان الى داعية مباشر لهذه القضايا في اعماله الابداعية .. اريد ان تنعكس هذه المواقف في اعماله بواسطة عبقرية الفن لا بمباشرة الداعية .. فاذا كانت مهمة الداعية ان ينطق مباشرة فعلى الفنان ان يرسب ايحائيا عن طريق عبقريته وامتلاكه لادواته ، **فانساننا المعاصر قد سئم البزة الزاعقة في الفن ..**



الاسم : احمد الشيخ

السن : ٢٩ سنة

الجهة التي يعمل بها : ادارة التفتيش العمالي ـ وزارة العمل .

دخله الشهري : ١٧ جنيها

انتاجه الفني :

ـ المنشور : قصص قصيرة نشرت في جريدة المساء والعمال ومجلة الاذاعة ومجلة القصة والمجلة والبرنامج الثاني .

ـ غير المنشور : قصص قصيرة

السؤال الاول : في محاولة التعرف على التاريخ الذي بدأت فيه علاقتي بالفن الذي امارسه ، اجدني مشدودا الى ذكر بدايات الخروج من الموقف الى الكلمة كوسيلة اكثر قدرة على التعبير من مواجهة ما كان الموقف يحتويه من امكانيات قهر وطاقات حصار .. بمعنى ان الموقف الاجتماعي الذي كنت اعيشه كان من الحدة بحيث اصبح لزاما على ان ارضخ واستسلم ، مالم اجد في الكلمة تعبيرا ايجابيا عن هذا الواقع والرغبة في الخروج من دائرة حصاره . ويمكن ارجاع المحاولات الاولى والتي كانت بالضرورة ساذجة وبدائية الى سنة ١٩٥٩

اما متى بدات الانتاج حقيقة فيمكن القول بأنه كان في فترة تالية ، وفي حدود سنة ١٩٦٣ . اي في الفترة التي امكنني فيها الخروج الى حد ما من اطار الموقف الذي لم يتيسر لي خلاله تحقيق رغبتي حتى في القراءة ومتابعة النشاط الادبي والفكري .. واذا كانت هذه البدايات للانتاج الفني بحيث وجدت في جائزة نادي القصة سنة ١٩٦٤ ما يدفعني لمواصلة التعبير . فانني ارى ان تحديد التاريخ الفعلي للقدرة على الانتاج يخضع هو الاخر الى دخولي الى ميدان النشر في سنة ١٩٦٦ ، وان كانت هذه السنة لاتعبر بالضرورة عن العلاقة

الزمنية الحقيقية التى ربما كانت جذورها اقدم او انها حتى لم تبدا بعد بالشكل الذى ارتضيه ٠

السؤال الثاني : فى محيط الزملاء والعلاقة بهم ثم الحديث عن الاجهزة والمؤسسات المتصلة بهذا الفن ، فاننى اود ان اشير الى ظاهرة ربما اصبحت من الوضوح بحيث تسيطر فعلا على الجو الادبى ، واعنى بها « الشلل الادبية »

واذا كان اختلاف الاجيال ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ثم موقفهم من القضايا العالمية والسياسية والفكرية يتطلب بالضرورة وجود مثل هذه « الشلل » ، فانا اعنى ان هناك واقعا آخر غير ذلك الخلاف الذى ربما يضيف الى الفن من خلال الحوار الذى يمكن أن يدور ، واعنى بذلك وجود « الشلل » فى حالات التشابه او التطابق وحتى التساوى على الاقل فى الموقف من واقع العصر ٠

واذا اضفنا الى ذلك ارتباط بعض الاجهزة التى تقوم بعملية النشر بهذه الظاهرة الى حد ملحوظ ، فانه يمكن القول بان العلاقات الاجتماعية مازالت تلعب دورها السحرى حتى فى مجال الفن والى حد ما ٠٠ حتى واذا كانت توجد بعض الجهود الخاصة والذاتية فى المجال مثل « مجلة ٦٨ » مثلا فان هذا يمكن ترجمته الى وجود جيل من الشبان يحتاج الى متنفس لامكانيات الخلق لخدمة الفن وليس الافراد ، ولكنها فى الواقع لا تمثل شكلا هاما ٠

وذلك يؤدى بالضرورة الى ان تتوارى امكانيات خلق جديدة خجلا او ضعفا بحيث يمكن القول ان هناك محاولات جادة للابداع لاتملك القدرة على اقتحام الوسط ٠ ان الكلمة الشريفة تندثر احيانا وتتيح الظروف الفرصة لمحاولات مفتعلة الى حد كبير ٠٠

ومن هنا فيجب ان تنتظم عملية الاختيار لاحساس صادق او من بحقيقته ، وهو ان هذا الجيل سوف يحرج بالقصة القصيرة الى مستوى رفيع ليشارك الانسان المبدع فى اطراف العالم ابداعه وليسجل الانسان المصرى كلمته فى القرن العشرين ٠

اما عن المجال الذى اعمل فيه فالعلاقة الانسانية والاجتماعية هى التى تسود ، وعلاقات العمل الذى لايرتبط بالفن من اى الزوايا ٠ ومن هنا فلا شيء يمكن ان يقال الا الرغبة فى وضع الفنان كلما امكن فى مجال يرتبط ولو الى حد ما بالعمل الاساسى لحياته ، واعنى به العمل الفنى ٠

اما عن موقفى من الاجيال الفنية السابقة فهى تتارجح بين الرفض والاحترام الشديد ٠٠ الرفض عندما اجد من يعيش احلاما منفصلة عن واقع العصر ٠٠ ويلح باساليب فنية متخلفة وعتيقة ، وربما كان هذا الرفض نوعا من رد الفعل لرفض الجديد بشكل متعسف لايرتضى حتى بالحوار ثم الاحترام عندما تتواجد اعمال فنية قادرة على تجديد الرؤيا وتطوير الاشكال والمشاركة مع العصر نفسه ومعايشته وعدم الانفصال عنه خاصة اذا كانت الاجيال شاركت قبلا فى البناء الفكرى الذى لاشك فى مقدار الطاقات التى بذلت فى سبيلها ٠

واذا كنت ارى ان ضراوة التحديات التى نعايشها فى هذا العصر سوف تجد لدينا استجابات خلاقة فان الكثير من الرواد والاساتذة يرون نفس الشيء تحقيقا لنظرية «التحدى والاستجابة » التى يقول بها المؤرخ « ارنولد توينبى » ٠ ومن ثم فالمأمول ان تتواجد ادوات فنية اكثر خصبا وملاءمة لظروف عالمنا ، لكى نشعر اننا نشارك العالم كوجود له حساسية العضو فى جسم العصر نفسه ٠

السؤال الثالث : يبدو لى ان الظروف الاجتماعية التى يعايشها الانسان المصرى فى الثلث الاخير من القرن العشرين بكل ماتحويه من مظاهر للتخلف او التقدم ـ بمعنى التذبذب بين مستويين حضاريين ٠٠ او التارجح بين الاستكانة والاقتناع والرضى بالواقع من ناحية والحماس والاندفاع للخروج من كل قيود التخلف وقطع المسافة التى تضيق وتتسع تبعا لنشاط الدول التى قطعت اشواطا فى مجال الرقى والتقدم ٠٠

ولاشك ان الموقف الذى يبدو متناقضا فى كثير من الاحيان بين اجيال متطلعة واخرى قانعة ٠٠ ذلك الموقف لاشك يعبر عن رسوخ بعض القيم والافكار السائجة فى جانب ٠ وميلاد قيم وافكار جديدة من ناحية اخرى ٠ هذه قضية ربما يمكن القول بان لها دورا اساسيا فى تناول أى الرؤى الاجتماعية والفكرية بالنقاش والمعالجة ٠

ويبدو انه من خلال دراسة التاريخ سيكون لوفود او ميلاد تلك القيم والافكار الجديدة شأن فى صياغة جديدة للعلاقات الفنية والفكرية ، وتولد نظرة اشمل تتناسب مع تطلعات ومشاكل انسان القرن العشرين ٠

وليس ذلك بالطبع يعنى رفض كل الجذور والقيم القديمة بقدر ماهو شيء من الاستيعاب والهضم لكل من قيمنا وافكارنا والخروج فى النهاية بشكل انقى وانصع واكثر تطورا ٠ وارى أنه لولا مواجهة كل الافكار ومحاولة الافادة منها بما يتمشى مع واقعنا

الاجتماعى فان اى محاولة منعزلة عن التيارات الفكرية والقيم الاجتماعية والانسانية فى العالم المعاصر . انما ستكون مجرد رغبة فى التقوقع المجدب والغير مخلص لعلاج مشكلاتنا التى لاشك انها من الكثرة بحيث يمكن القول انها تحتاج الى اخلاص واتساع افق الى حد كبير .

ولعل من ابرز مشاكلنا مثلا سيادة الامية بشكل مزعج رغم كل الجهود بحيث تبدو علاقات المجتمع الوليدة شيئا مخالفا للعرف والعادة التى يعايشها انسان محروم حتى من متابعة مايدور فى العالم المعاصر من تطورات فى شتى المجالات . ولاشك فى ان الخروج بمجتمع من واقع متخلف الى عالم اكثر اشراقا وتطورا يحتاج الى جهود خالصة فكرية وعملية .

اما عن **قضية العدوان الاسرائيلى** فان رواسبها تؤكد ان التخلف الفكرى والسياسى لشعوب المنطقة بالاضافة الى وصاية الاستعمار وتواجد نوعيات من الحكام مشكوك فى اخلاصها . كل ذلك اتاح الفرصة لولد قاعدة استعمارية فى صلب المنطقة بهدف استنزاف الطاقات الخلاقة وبقاء وصاية الاستعمار . غير ان مواجهة عوامل التخلف وتواجد نظم اكثر تقدما فى بلدان المنطقة . كل ذلك يؤكد ان تلك القاعدة العنصرية ستتهاوى فعلا ويبقى للشعب صاحب القضية وللشعوب التى يهددها بقاء تلك الصورة من صور الاستعمار ان تلعب دور المخلص لاهل فلسطين .

وفى محاولة الحديث عن قضايا العالم المعاصر ، فان الشعوب فى اعتقادى قادرة على صياغة مقدراتها مهما كانت قسوة القوى المعادية للانسان ولعل فى فيتنام مثلا حيا يتجدد من خلاله ذلك الايمان .. واذا كان المعسكر الراسمالى يقف فى اصرار مدافعا عن بقايا قلاعه المخربة فان النهاية معروفة . واذا كان المعسكر الاشتراكى نفسه ينقسم ويختلف وتصل المسألة الى تشكيك من جانبى الخلاف . . بينما تقف الدول المتخلفة حائرة ودول الحياد الايجابى عاجزة عن الخروج بالانسانية الى حل .. فانما يمكن ان نفسر ذلك التمزق والتداخل والارتباك الذى يفصل الانسان عن احلامه ويجعله مهما كان شكل النظام الذى يتبعه متخوفا قلقا حائرا على مصيره الذى يمكن ان يتهاوى فى لحظة طيش بفعل وسائل التدمير والتخريب وابتكار اسلحة رهيبة الاثار ، والنتائج تنفق عليها بلايين الجنيهات ، بينما يقف الانسان فى كثير من الاماكن عاريا يتهدده الجوع بالموت . ان حيرة الانسان المعاصر بين العقائد السياسية واختلاط الرغبة فى الحياة بالرغبة فى الخلاص بالموت شىء طبيعى لانسان يحس بانه يحمل وزر غيره ولا يملك الا ان يذعن او يرفض .

الاسم : ماهر شفيق فريد

السن : ٢٥ سنة

الجهة التى يعمل بها : مترجم بالامانة العامة لمجلس الامة

دخله الشهرى : ٢٥ جنيها

انتاجه الفنى : النقد وكتابة القصة القصيرة

— المنشور : قصص قصيرة ومقالات نقدية بالصحف والمجلات

— غير المنشور : قصص قصيرة وكتاب عن الموت



السؤال الاول : منذ سن مبكرة ، بدأت بالقصة القصيرة ثم انقطعت عنها زمنا تفرغت فيه للنقد والترجمة واخيرا عدت اليها . على انى مقل جدا واجد عنتا شديدا فى الكتابة الخلاقة . كل انتاجى من القصص القصيرة بعد التمزيق والشطب والمحو ، لايتجاوز اربعة اقاصيص نشرت منها اثنتان .

السؤال الثانى : ليس لدى الكثير الذى اقوله فى صدد الاجابة عن هذا السؤال : النقد يحتاج الى بيئة ثقافية حية وخلفية مشتركة الى حد ما ، وهو ماليس متوافرا لدينا . الفن يحتاج الى عزلة لان كاتبه يحتاج مادته من اعمق آبار النفس . ازاء هذا لامعنى لكل مايحيط بالكاتب ، سواء كان زملاء فنانين ، او اجهزة ومؤسسات متصلة بفنه ، او وظيفته ، او موقفا من الاجيال الفنية السابقة .

على الكاتب ان يضرب صفحا عن ميول معاصريه وتميزاتهم وان يغلق على نفسه باب حجرته

ليتصارع مع الكلمات • ان الكاتب مطالب بتقديم الحساب لرتبة الفن وليس لرؤساء التحرير او الهيئسات الثقافيه او معاصريه •

السؤال الثالث : المؤثرات الاجتماعيه والفكريه والفنية التي تدخل في تكوين عملي هي باختصار عملية البحث عن الذات التي يمر بها مجتمعنا ، الفلسفات المثالية ، الوجودية وخاصة في صورها الاكثر قتامة : كيركجورد • وهيدجر وسارتر في مرحلته الباكرة ، مدرسة التحليل النفسي) فرويد) ، الموسيقى الكلاسيكية ومن المحدثين : سترافنسكي ، وشوستاكوفيش ، السيريالية والرمزية والتعبيرية والتاثرية ، الفن الحديث (وخاصة النزعة الى التجريد ، شعر اليوت وباوندوييتس وفاليرى وسان جون برس ، قصص بروست وكافكا وجويس ، مسرح العبث .

من المؤثرات التي صنعت ذهني ايضا : اساطير اليونان ، الادب اللاتيني : الحدة الانفعالية المكظومة في شعر بروبريتوس وكاتولوس وجوفنال ومارتيال ، بعض الشعر العربي •

أومن لمذهب الفن للفن . ولكني اومن ايضا بانه لكي يكتب النصر لقيم الحق والخير والجمال ، فينبغي محاربه العدوان والظلم بكل صورهما • ان تحرر الانسان من الاستعباد والخوف ، شرط ضروري لنموه الروحي والعقلي •

الاسم : محمد ابراهيم مبروك

السن : ٢٦ سنة .

الجهة التي يعمل بها : مكتبة مجلة كتاب آسيا وافريقيا [عمل بمكافأة مؤقته] ، دار الادباء . « متفرغ الان بمنحة من وزارة الثقافة »

دخله الشهرى : ١٠ جنيهات [في حالة العمل]

انتاجه الفنى :

— المنشور : ٣ قصص في مجلة المجلة وجاليرى ٦٨

— غير المنشور : ٥ قصص .

السؤال الاول : بدأت علاقتي بالادب منذ عشر سنوات في مرحلة التعليم الثانوى ، ولقد بدات بشغف غير عادى بقراءة الادب والفلسفة والتاريخ • ولقد بدا انتاجي الادبى بشكل جاد في بداية عام ١٩٦٦ ، وتوقف الانتاج في اوائل ٦٧ ، وكل ٦٨ لظروف قاهرة دفعتني لاتخاذ موقف الصمت حتى الان •

السؤال الثاني : العلاقة بيني وبين زملائي علاقة في مجموعها طيبة وان لم تخل من احساس بالمرارة احيانا من تصرفات البعض ، والتي تتسم بالانانية وعدم النضج ، والذى تؤدى اليه امراض الشللية وسيطرة التحزب على مجالات النشر •

اما عن المؤسسات المتصلة بهذا الفن فانني في الواقع احس ازاءها بالغربة تماما ، وللاسف فان معظم عمل هذه المؤسسات قائم على اسباب لاعلاقة لها بالتقدير الحقيقي للفن والادب •

اما عن العلاقة بيني وبين المجال الذى اعمل فيه ، ففي الواقع انه من الصعب تحديدها ، اذ انني التحقت باعمال كثيرة جدا ، ومتباينة ، فانا مازلت طالب دراسة بكلية الاداب ، والتحقت على فترات متباعدة بالاعمال التالية : صبي في مقاومة دودة القطن • عامل في تربية الدواجن ، وعامل عمالة باحدى شركات الاغذية المحفوظة ، عامل بوابة في شركة ، كاتب في الجمعية الاستهلاكية ، سباك ، امين مخزن . واخيرا ومنذ شهرين فقط عمل مؤقت : كامين لمشروع مكتبة • والفائدة الوحيدة من كل ذلك هى التعرف على عديد من الناس وادراك حياتهم المتباينة عن قرب •

اما قيمة كل هذه الاعمال في ذاتها وتأثيرها في انتاجي فلا اعتقد ان لها اى تأثير يذكر •

وسوف اجيب على موقفي من الاجيال الفنية السابقة على اساس الاجيال الفنية العالمية وليست في مصر فقط • لانني لا اعتقد في الواقع ان ثمة علاقة قوية تربطني بالاجيال السابقة في مصر ، وعلاقتي بها علاقة ثانوية تماما لاتتعدى مجرد اشباع الفضول لما يكتبونه • وبالتالي

فتأثيرها على الى جانب تأثير الاجيال الفنية السابقة فى العالم ، لايكاد يذكر .

اما عن الاجيال الفنية السابقة فى العالم فأنني استفدت كثيرا من امكانيات الابداع لكل رحلة ادبية فى الادب والفكر العالمى على اعتبار انها تشارك دوما رغم مايبدوا احيانا من اختلاف او تناقض بينها فى الوصول بالاشكال الفنية الى غايتها ، وهى التعبير عن الوجود الانسانى ، وموقف الانسان منه .

واذا كنت انمو الى الكتابة بشكل اكثر حداثة وحدة ، فذلك لاعتقادى بان على الكاتب ان يحيا عصره ، وفى هذا العصر تتدفق كل تجربة الماضى ، وباضافة الكتابة المعاصرة لها ، نعطى المستقبل وجها صادقا لنا .

ويبرر التباين بين ما اكتبه وبين ما اقراه ، ايمانى بان **الكاتب كشجرة** التفاح ، عليها أن تستمد غذاءها اليومى من مخلفات الحياة السابقة لها ، لتعطى هى تفاحتها التى تتميز تماما عن الغذاء الذى استخدمته كعناصر اولية ، وكوسيلة لعطائها المركب . ولذلك فاننى اقف مع الاتجاهات المعاصرة فى الرواية والقصة والمسرحية والسينما ، على اساس انها التعبير المتطور الصادق عن هذا العصر .

السؤال الثالث : فى هذا العالم الذى اؤمن تماما بان وطننا جزء صغير جدا منه ، يحيا الكاتب كل الصراعات والمشاكل التى تهدد عالمنا وتدمر امكانياته ، وتحيله الى جحيم حقيقى ، وبالتالى فان هذه المشاكل والصراعات تؤثر بشكل قوى على انتاج الكاتب .

فالذعر النووى الذى يعايش **الانسان اليوم** ، والخوف من ان تجىء لحظة مجنونة يفاجأ بها العالم فاذا بكل هذا التاريخ الذى يمكن ان يوصف بالعظمة والسفالة ، فى نفس الوقت ، ينتهى الى لاشىء . والحروب الدائرة الان فى الشرق الاوسط ، وفى فيتنام ، وفى نيجيريا ، وجنوب افريقيا ، وامريكا ، وحركات التحرر ، والفشل الذى يصيب بعض الثورات ، وسوء توزيع الثروات وجرائم الجوع ، والاثار السيئة القاتلة لانسانية الشعوب ، نتيجة لذلك . وسط الصراعات العالمية بين قضية التقدمية والرجعية ، وكل صفوف التزييف والخداع التى تقفز من معسكر الى آخر بشكل مزر ومهين ، كل ذلك مضافا اليه مشاكلنا المحلية القريبة جدا والشديدة الوطاة تبعا لذلك ، لاشك يؤثر فى انتاجى فيخرج متسما بالغرابة ، والخوف ، والقسوة ، والذعر ، والاحباط ، والرعب من القوى اللا انسانية التى تتحكم فى عالمنا ، واليأس من الخلاص .

اما موقفى بهذه المؤثرات من قضايا العدوان الاسرائيلى ، والتغيير ، وقضايا العالم المعاصر . فاننى ارى ان اسرائيل جريمة عالمية ، مسئول عنها العالم كله ، ونحن مسئولون بمواقفنا — كأمة عربية — واذا كان اعتبارها جريمة عالمية يجب ان يحاكم العالم كله من اجلها يبدو كلاما مثاليا ، فأننا ابتداء من الواقع يجب ان نتحمل نصيبنا الاكبر للدفاع عن وجودنا ، واعتقد ان الضمير العالمى ، الذى تشكك كل الجرائم الموجودة الان فى العالم فى وجدوه ، ربما يتيقظ ليعى فعلته ، وقتها فقط .

اما عن موقفى من قضية التغيير الاجتماعى ، فاننى ارى ان كل كاتب عظيم هو بالضرورة مع التغيير الاجتماعى نحو مجتمع انسانى افضل ، بمعنى انه من الصعب العثور على كتاب ضد التقدم ، وبالتالى فانا تقدمى بالمعنى الانسانى الشامل ، وليس بالمعنى السياسى فقط ، وبأختصار : «أننى مع الانسان» وقد يبدو هذا المعنى غامضا ، او مستهلكا لكثرة اللعب به ، لكنه ببساطة الوقوف دائما الى جانب الانسان ضد كل ما هو ضده ، سواء كان ذلك معتقدات ، او قوانين ، او سلطة . باعتبار ان الانسان هو المصدر الوحيد ، والهدف الوحيد ايضا ، لكل المعتقدات والقوانين والنظم ، وأن ذلك هو المبرر الوحيد لوجودها . وعندما تحدث فجوة بين اى منها فى اية لحظة وبين الانسان فواجب الكاتب الرئيسى المطالب به ، هو ان يعبر هذه الفجوة بسرعة متنقلا نحو الانسان ، ذلك الكائن الذى يخفت صوته وسط كل الاصوات العالية التى تصيبنا الان بالصمم ، وتنادى بتقديس كل شىء قائم ماعدا الكائن الوحيد الذى كاد العالم ان ينسى ملامحه ليتردد السؤال المذهل القاتل : ماذا تعنى بالانسان ؟» .

واننى لاقف تماما الى جانب قضية الحرية ، مؤمنا بان الانسان هو حريته ، وكل دعوة لعرقلة هذه الحرية ، مهما كانت المبررات ، هى دعوة ضد الانسان ، سواء كان ذلك بالنسبة للانسان المصرى او العالمى .

اما موقفى من قضايا العالم المعاصر فأننى أومن بشىء واحد ، ربما لو استطعنا ادراكه جيدا لامكننا ان نكون افضل : « ان واقع العالم هو محصلة كل الصراعات فى العالم » وبالتالى فلا الكلمات الطيبة ، ولا الادانة ، ولا الاستفتاءات عديمة

الصدق والجدوى ، بقادرة على ان تغير او تجـدى ازاء الواقع اللا انسانى تماما الذى يحياه عالمنا .

ومايمكن ان نصنعه لايخرج عن ادراكنا لهـذه الحقيقـة البسيطة ، واذا كنا نرغب حقا فى عالم انسانى ، ولاشك انه لـم يوجد حتى الان ، فان دور كل انسان فى هذا العالم ، ان يبحث بسرعة عن مكانه قبل ان يفوت الاوان ، ويصحو العالم فيصعقه ويشل قدرته حتى على الصراخ سقوطه فى فوهة هاوية .



الاسم : عز الدين نجيب
السن : ٢٩ سنة
الجهة التى يعمل بها : مشرف على قصر المسافرخانة بالجمالية
دخله الشهرى : ٢٣ جنيها
انتاجه الفنى :
ـ المنشور : أيام العز [مجموعة قصصية] ١٩٦٢ ـ المثلث الفيروزى [مجموعة قصصية] ١٩٦٨ ـ الطوفان [قصة قصيرة مطولة] بمجلة المجلة ، وأمارس فن التصوير واشتركت فى بعض المعارض .
ـ غير المنشور : بعض القصص . واستعد لاقامة معرض خاص فى الموسم القادم .

السؤال الاول :

لا أذكر تاريخا محددا بدأت فيه عـلاقتى بالرسم أو الكتابة ، هى غالبا بدأت على هوامش كتب وكراريس الدراسة فى المرحلة الابتدائية ، وفـى مواضيع الانشاء التى تحـولت الى أحداث تتحرك فى زمن .

وربما كان لاقامتى بعيدا عـن قريتى خلال معظـم مـراحل الدراسة ، الفضل فى استمرارى فى تلك الشخبطات حيث التحرر الكامل من الاهل . الا أننى كنت دائما أحمل قريتى معى فـى الغربة ، وكانت هى الزاد الذى عاش عليه انتاجى الجدى فـى القصة والتصوير فى أوائـل الستينات .

السؤال الثانى :

خـلال سنوات التنقـل فـى المحافظـات فى مجال العمل الثقافى الجماهيرى، لاحظت أن الناس لايعـرفون شيئا ـ ولا يعنيهم شيء ـ ممـا يدور من ضجيج فى الحيـاة الادبية والفنية بالقاهرة . فهـم أصلا لا يقرأون ، والقلة المحدودة جدا التى تقرأ مـن أبنـاء البرجوازية لا يقرأون الا لاحسان عبد القدوس والسباعى وأنيس منصور ... بالطبع يسمعون عن طـه حسين والعقاد والحكيم . والمثقفون منهم يسمعون عن نجيب محفوظ ويوسف ادريس . وقس على ذلك فى كل الفنون الاخرى .

وهكذا ، البرجوازية تنتـج للبرجوازية !

أما الجماهير فهى منسـحقة تحت الجوع والتخلف والامية .

وسط هذا الواقع عملت فترة طويلة فى الريف ، واقع ثقافى ينعكس عن بناء مازالت تحكمه علاقات الانتاج الاقطاعية وتسلط البرجوازية ، بناء يدور فيـه الصراع الطبقى بأفظع أشكالـه حيث لا ثمن لحياة الانسان أو عرقه . وكان الطريق الوحيـد الممكن لدخول الثقافة حيـاة الفلاحين والطبقات الشعبية ـ فى تجربتى بكفر الشيخ هو قضايا هذه الجماهير فى صراعها من أجل الحياة . وفى شهور قليلة أصبح قصر الثقـافة وقـافلته بعشرات القرى احتياجا ضروريا لهذه الجماهير ، ينهلون منهما الوعى والزاد الروحى ، ويعبرون من خلالهما عن صراعهم ضـد القوى التى تقهرهم . ونمت حركة فكرية حقيقية بمحافظة من أكثر المحافظات تخلفا ، وما أسرع ما انقضت على القصر كل قـوى البرجوازية بأشكالها المختلفة فى المحافظة ، كبار الملاك والحكم المحلى والتنظيم السياسى فـى مرحلته السابقة . وضربت تلك الحركة فى مهدها .

لذلك فقد دهشت حين عدت للحياة الثقافية بالقاهرة منذ عام تقريبا ، وصم أذنى طنينهـا

الاجتماعية ودون أن تحمل أى الاجوف ، وهى تدور فى خلقة مفرغة بعيدا عن التناقضات مضمون فكرى حتى فيما يسمى بالصراع بين القديم والجديد لم يكن للقوى الاجتماعية والسياسية التى تضرب أى حركة ثورية بين المثقفين أو الجماهير ، أى دخل فى هذا الصراع •

وحتى فيما يطلقون عليه أزمة النشر ، لم أعرف كاتبا جديدا ممن يزعقون منها الا وينشر معظم انتاجه - ان لم يكن كله - بوسائله الخاصة طبعا •

وقد لاحظت ظاهرة غريبة فى الحياة الادبية والفنية ، وهى أن كل القديم سىء فى نظر الجديد على صفحات الورق فقط ، أما على المكاتب والمقاهى فتنطلق قصائد المديح وسط دخان السجائر المتبادلة • والغريب أن القديم لا يغضبه البتة هجوم الجديد ، ويعتبره من الامور الطبيعية ، وبهذا يستمر فى رضائه عن نفسه ، ويستمر الجديد فى تمثيلية قذف الطوب من تحت النوافذ طلبا للمزيد من اللقيمات •

وقد تكون الشلة هى أكثر الاشكال ملاءمة لممارسة الصراع ، فهى لا تحتاج الى وسائل اعلام لنقل الهجوم الى الشلة الاخرى ، ولا توجد عليها رقابة من أى نوع •• وهكذا تزدهر الشلل حول مستنقع المصالح •

هذا ماجعلنى - بعد أن عدت الى القاهرة منذ أكثر من عام - أقف من الحركة الادبية والفنية والعلاقات التى تحكمها موقف المتفرج •

اننى اجد أن كل ذلك أمرا طبيعيا فى حركة ثقافية منعزلة عن الجماهير ، يغيب عنها الوضوح الفكرى وتتجاهل الصراع الطبقى اختيارا أو اجبارا •• **وهى حركة تعكس** طبيعة البرجوازية فى فترات الجزر الثورى •

السؤال الثالث :

اعتقد اننى اكتب أو أصور ، لاقول رأيا ما فى الواقع الذى أعيشه لقد عشت هذا الواقع قبل أن أفكر فى التعبير عنه ، واهتديت مبكرا الى الفلسفة التى أستطيع أن أفهمه من خلالها • وقد قدمت لى الاجابات عن كل اسئلتى الحائرة أمامه وأمام العالم •• وهى المادية الجدلية •

ورغم تنوع مصادر ثقافتى بعد ذلك واتصالى بمختلف الثقافات الانسانية وتأثرى بالعديد منها ، الا أنها ظلت المصباح الذى أرى على ضوئه كل شىء •• وبالطبع كان لها أثرها المباشر فى انتاجى ، فقد ارتبط الادب والفن عندى بقضية التغيير الاجتماعى ، وتمزيق القشرة الخارجية للصراع الطبقى وتفجيره ، وفضح الظروف الخارجية التى تسحق الانسان الفرد وتهدر حريته وارادته •• باختصار كل الواقع الخارجى الذى يضغط على روح الانسان ويتحول داخلها الى واقع نفسى مريض يدفعها الى الضياع أو الاغتراب •

وكانت قضية الصراع الطبقى هى القضية الرئيسية فى معظم قصص المجموعة الاولى (أيام العز) بينما كان ضغط الظروف الخارجية على الانسان الفرد ومحاصرته حتى الهزيمة هو محور معظم قصص المجموعة الثانية (المثلث الفيروزى) بعد ست سنوات • وفى القصص التى كتبتها بعد ذلك وفى اللوحات التى رسمتها ، كان ٥ يونيو ينتصب أمامى دائما • لم أصور ذلك مباشرة بالطبع فى قصة أو لوحة ، لكنه كان يتخلل سطورى وألوانى : لم يعد الاشخاص عندى صرعى الضياع والغربة واليأس ، يمضغونها فى استسلام أو استعذاب ، بل اكتسبوا شيئا من التمرد الذى قد ينتهى بدمارهم ، هذا مانراه فى قصص مثل (الطوفان - الاختطاف) وفى لوحات مثل [الحواجز - انتظار - السقوط والارتفاع]

لكننى **لا أقف محصورا فى اطار القضية الاجتماعية** : بل أسعى الى أن أصل من خلالها الى التعبير عن هموم انسانية ووجودية ، تعكس الضغوط التى يعانيها الانسان فى الحضارة المعاصرة ، وهذا لاشك يترك أثره فى أسلوب كتابتى ،فأحيانا يتلون بلغة الشعر ، أو يلغى منه الزمن الميكانيكى ويصبح الزمن والكائنات هى ماتشعر به الشخصية أو تراه • كما أننى فى التصوير لم أعد أهتم بالشكل الواقعى والبعد الثالث ، وأصبحت العلاقات الدينامية للاشكال والالوان والخطوط ، وثراء السطح ، مشاكل أساسية لى كمصور •



الاسم : كرم يوسف
السن : ٢٧ سنة
الجهة التى يعمل بها : مؤسسة اخبار اليوم
دخله الشهرى : ١٢ جنيها
انتاجه الفنى :
ــ المنشور : قصص قصيرة نشرت بجريدة المساء
ــ غير المنشور : بعض القصص .

السؤال الاول : فى عام ١٩٥٤ انجهت اهتماماتى الى الادب ونشأت علاقة حميمة مع الكلمة ، وبدأت كتابة القصة القصيرة فى عام ١٩٦٥ .

السؤال الثانى : التجاوب مع تجاوز النفس وتخطيها باستمرار فى تفاعل مثمر وخلاق .

اعط مالقيصر لقيصر وما لله لله .. وأنا مؤمن بكل يقين بأن العمل الذى يؤدية الفنان أو الكاتب له قدرة لايمكن الاستغناء عنها فى شحن طاقات الفنان الابداعية .

موقف الصراع الفكرى مع التفاعل والاستفادة من تجارب الاجيال الفنية السالفة .

السؤال الثالث : بما أن الفنان أو الاديب جزء غير منفصل عن بيئته ومجتمعه وعصره الذى يعيش فيه فان كل مؤثر سواء كان ناتجا عن أحداث اجتماعية أو فكرية أو فنية ، له دور فى انتاجه وابداعه ومراقبة التغيرات والتبدلات التى تطرأ على المجتمع هى فى مجموعها تثير فى الحماس وتدفعنى الى المشاركة الايجابية فيها .

وبما أن الفكر الاشتراكى أصبح ضرورة حتمية بالنسبة للدول النامية وللعالم فاننى أرى أن الوعى التام بالطبقات ومحاولة اذابتها مع توسيع النشاط البشرى وتعميقه عن طريق الفكر الاشتراكى له تأثير لايمكن اغفاله على انتاجى كما أنه يشارك فيه .. هذا بجانب الرؤيا الفنية التى نناضل من أجل انسان جديد ومجتمع جديد فى عالم تسوده العدالة .

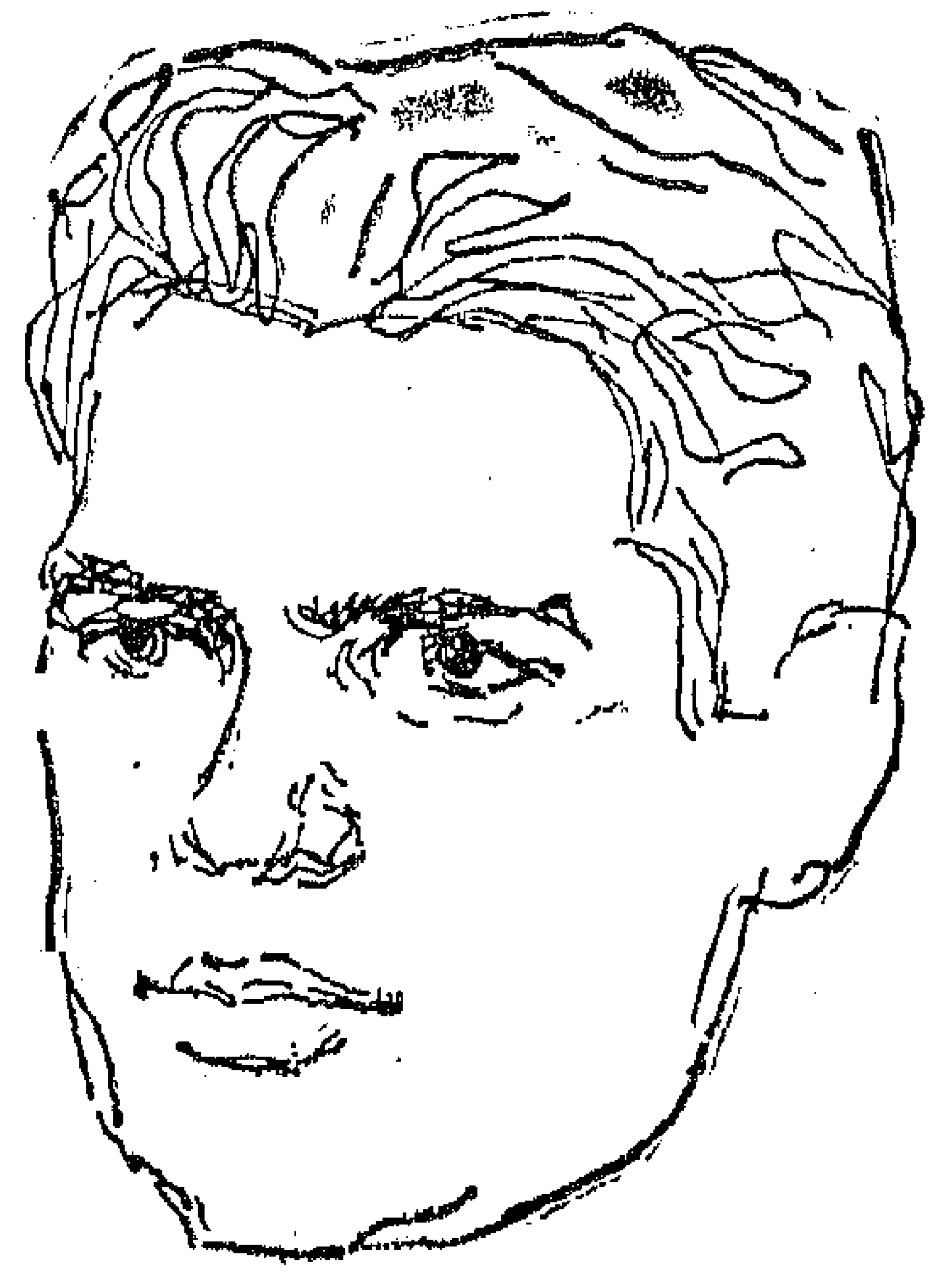
ولذلك فان مؤثرات التغيير الاجتماعى فى بلدى ، والفكر الاشتراكى الديمقراطى والاعمال الفنية التى تجعل الفن من أجل الحياة .. كل هذا يجعلنى أقف موقف «مع» بالنسبة لقضية التغيير فى بلدى .

وبما ان الحرب لم تعد فى صالح البشرية .. كما وأن العصر يرفضها ويحتم التخلص من دوافعها المخربة .. وبما ان حربنا مع اسرائيل حرب عادلة لانها مفروضة علينا ولانها نتجت عن مأساة مفجعة عانينا ومازلنا نعانى منها ، وبما أن وجود اسرائيل فى حالة صلح مع العرب يعنى بالدرجة الاولى هزيمة القوى التقدمية فى العالم العربى بجانب القضاء على الاقتصاد العربى فى مجالات التصنيع المختلفة .

كل هذا يجعلنى لا أحس بأنى أمن طالما أن هناك حكومة اسرائيلية تحكم فى فلسطين العربية .

وبالنسبة لقضايا العالم المعاصر وهى كثيره ومتشابكة فهناك فيتنام وفلسطين والامبريالية الامريكية والاستعمار والتحدى الامريكى والاقمار الصناعية وغزو الفضاء وانقسام العالم الى معسكرين متصارعين ومشكلة الصين والعالم الثالث والتسابق فى التسلح النووى. بجانب مايعانيه الجيل الحاضر من خواء روحى وكذلك مشاكل الشباب على المستوى العالمى .

كل هذه المشاكل تتطلب ضرورة اتخاذ موقف حاسم .. وفى تصورى كما أننى أؤمن بضرورة العمل على ازالة المعوقات من طريق البشرية وأنا ضد كل من يعوق تقدم الانسان وتطوره . ولذلك فاننى أقف مع كل قوى التقدم فى العالم .



الاسم : زهير الشايب
السن : ٣٣ سنة
الجهة التى يعمل بها : دار المحفوظات العربية بالقلعة ــ مترجم لغـــة فرنسية .
دخله الشهرى : ٢٨ جنيها
انتاجه الفني : القصة القصيرة ــ الرواية .
ــ المنشور : ثلاث قصص قصيرةبروز اليوسف
ــ غير المنشور : قصص وروايات قصيرة

السؤال الاول : بدأ اهتمـــــامى بالقصة فى سن مبكرة ، لكنهـــا كانت واحدة من عدة اهتمامات ، وعندما بلغت حوالى الثـامنة عشرة بدأت اولى محاولاتى فى تـــأليف القصص فكتبت بعض القصص القصيرة ، لكن اهتمامى الاساسى كان الروايـــة . وكنت أؤلفها فى ذهنى بأحداثهـــــــــا وموضوعها وأشخاصها ، ثـــم أنصرف لاخرى بنفس الطـــريقة دون أن احـــاول ممارســـــة الكتابة ، « وألفت » بهذه الطريقة حوالى ست روايات كبيرة ..

وعندما بدأت محاولة الكتابة تبينت الفارق الهائل بين ابداع قصة فى الذهن وبين تنفيذها على الورق ، فتوقفت شاعرا بقلـــق غريب ، وساعدت ظروف العمل وقتها على الهروب من المشكلة . وعندما تحسنت ظروف العمـــل وحظيت ببعض الفراغ ، الحت على فكرة معاودة الكتابة . وبالفعل كتبت رواية اسمها « الحقيبة » وهى غير الست الاوليات التى لم أكتب فى احداها حرفا . وبعد حوالى شهرين كتبت رواية أخرى أسـميتها « السراب » .. وكنت حتى ذلك الوقت ــ ١٩٦٣ ــ بعيدا عن الوسط الادبى ..

وعندما تعرفت على الوســـط الادبى عن طريق ندوة الاستاذ حسين القبانى ، وجدت أن من غير اللائق أن أرتـــاد مجلس الادباء دون أن أقدم نفسى لهم فى عمل فنى ، وحيث أن قراءة رواية فى ندوة شبه مستحيل ، فقد بدأت أهتم بكتابة القصة القصيرة . وبالفعل كتبت قصة « الغريب » ، وبعدها توقفت مؤقتا عن كتابة الرواية ، وبدأت أكتب القصة القصيرة ، ولعل هذا هو السر فى أن معظم قصصى القصيرة تخرج فى شكل القصـــة القصيـــرة الطويلة .

وعدت حاليا لكتابة الروايـــة بجانب القصة القصيرة .

السؤال الثانى : بدأ اتصــــــالى بالوســـط الادبى متأخرا . لكن ذلك لايمنع من أننى كونت فكرة أعتقد أنها ليست خاطئة عن هـــذا الوسط :

فبالنسبة لجيلنا ، حسبمـــا خبرته عن قرب وما قرأت من أعماله ، أستطيع أن أقـــول ان السمة الواضـــحة والتى تدعو للاسف هى الانانية والتخـــريب والشلليـــة . ولعـــل لظـــروف النشر غير الصحية التى نواجهها أثرها ، لكن المؤكد أن هذا العيب يتضخم يوما بعد يوم .

ومن جهة ثانية فان الكثيرين من جيلنا يقعون فريسة لمـــا يتوهمون أنه التجـــديد ، وكانت النتيجة هذا السيل من الاعمال السطحية والتافهة ، التى تتسربل بالغموض ، لكنه غموض شفاف يكشف ماوراءه من الضحالـــة وانعـــدام التجربة والرؤيـــــة النفاذة .. وهؤلاء يكثرون مـــن الصـــخب والضـــجيج حـــول أسمائهم . حتى لقد نجح البعض فعلا فى صنع اسم لهم دون أن يقدموا شيئا يذكر ، وعندما يعد كتاب القصة تذكر أسماؤهم دون أن ينسب لهذه الاسماء أعمال ذات أثر .. وقد ترتب على ذلك أن كثيرا من أساتذتنا الذيـــن يشرفون على مـــؤسسات النشر يقعون فريسة لهذه الضحية ، فينشرون كثيرا من الاعمال التى قد لايكونون على اقتناع بها وانما ينشرونها خوفا من أن يتهمـــوا بمعاداة التجديد .. ومقابل ذلك لاتزال كتابات أخـــرى « شابة » تدور فى فلك التجـــارب التى تجاوزتها القصـــة المصرية مـــن زمن .. وفى الحقيقـــــة فان التجديد الاصيل الواعى المتزن فى حكم النادر ..

أما بالنسبة لعلاقتى بأجهزة ومؤسسات النشر فيكفى أن أشير الى انى كتبت حـــوالى اربـــع روايات ، وأكثر من عشرين قصة قصيرة . ومن بين هذا كله لم ينشر لى فى مصر الا ثلاثة أعمال

تفضلت روزاليوسف مشكورة بنشرها . وقد حال دون مواصلتي النشر هناك أن معظم قصصي في شكل القصة القصيرة الطويلة .. ولست أريد أن أنتهز الفرصة لابث همومي الشخصية وشكاواي المرة من دور النشر والقائمين على أمرها ، أولئك الذين في يدهم أن ينحوا أو يحجبوا الفرصة .. لكن مايزيد المرء مرارة أن ترحب بنا مجلات لبنان ونظل غرباء في بلدنا ».

توجه لي على الدوام نصيحة مؤداها أن « أجرى وراء عملي كما يفعل غيري » ، لكنني بعد محاولات اكتشفت انني غير موهوب مطلقا في مثل هذا السلوك . وعدت أؤكد لنفسي أن الكلمة التي نكتبها ـ لاتكسبا ولا سعيا وراء جاه ـ دفاعا عن كرامة الانسان وحريته ، لاينبغي أن تكون هي وسيلة لاذلال صاحبها .. ورغم ذلك فانني أبدا لن أتوقف .

وبالنسبة للاجيال السابقة على جيلنا فأنا أكن لهم جميعا كل احترام . فلا شك أن كلا منهم قد أعطى على قدر ظروفه وظروف عصره ، وأنا ولابد قد مررت عليهم جميعا منذ بدأت القراءة . لكن عدد الذين أقرأ لهم من بينهم كان يتناقص باستمرار تناقصا يتدرج مع السن ودرجة النضوج حتى أصبحت الان لا أقرأ الا لقلة أبرزها بالطبع أستاذنا نجيب محفوظ . وعلى ذلك فهم جميعا أساتذتنا ، لكني لست تلميذا لاحد بالتحديد ، كما أن مكوناتنا لا تعود فقط لتراثنا من القصة فكلنا ولاشك نقرأ الادب العالمي ونتأثر به بجانب مانقرأ من الادب المصري ..

السؤال الثالث : لاشك ان كل كاتب وفنان يتأثر بما مر به في حياته من تجارب ، وبكل مايلفت انتباهه من أمور . وفي أوقات كثيرة تطل برأسها ذكريات كنا نخالها اندثرت فاذا بها لاتزال حية ذات أثر .

وأنا ككل واحد : تأثرت بكل ماقرأت طيبه ورديئه ، فالتجارب الرديئة ـ بشرط عدم الاسراف في قراءتها ـ لاتخلو من فائدة ، انها كما لو كانت قد أخطأت نيابة عنك ان جاز هذا التعبير . وعندما ترفض فيها أشياء فانك تضع يدك على ماينبغي وما لاينبغي في العمل الفني .. وفي تجاربي الفنية تأثرت كذلك بكل ماسمعت وأدركت ، وحتى النقد الذي يوجه لاعمال لم أقرأها أو لافلام لم أشاهدها يقدم لي أحيانا فوائد جمة .

بل ان الاحداث اليومية والاحاديث العادية كثيرا ماتضع يدك على ماكنت تبحث عنه من زمن وقد شغلني مثلا كيف أنقل الحوار الذي نسمعه بما فيه من مقاطعة وتداخل وما يحدثه من أثر على القائل والمستمع بكل مافي الواقع من حياة .. وكيف نسيطر على اللحظة التي تمتلىء بالكثير من الاحداث والانفعالات وتمضي كلمح البصر .

وكاعتراف : أؤكد أنني حين بدأت أكتب ، شعرت بقلق كبير . لقد وجدتني رجلا بلا عقيدة ، أي بلا فكر محدد . وثمة كثير من الموضوعات لم أحسم برأيي فيها الا عندما تناولتها على الورق . وفي مرات كثيرة وجدتني ـ بلا وعي أو قصد ـ قد انتهيت الى تأييد فكرة كنت أظنني على النقيض منها تماما ، والعكس .. بل ان كثيرا من الاراء التي تقال في أحاديث المكتب ومع الزوار والاقارب لا تعبر عن حقيقة آرائي ، وكثيرا ما أرفضها .

واكتشفت أنني أحيانا أردد آراء لا أومن بها ، ولاشك أن للوسط ولظروفي أنا أثر في ذلك . ان الانسان دون أن يشعر يمكن أن يكون صدى لافكار لم يتمعنها . ومع ذلك فانني أجزم أن هذا فيما يتصل فقط بالتفاصيل . وفي أحيان أخرى أتصدى لفكرة دافعت عنها في مجال آخر . هل ثمة تناقض ؟ لا ، ولكن ليست الفكرة ـ مجردة ـ هي المهم ، لكن المهم فيم توظف ؟

وكلنا بالطبع يعرف الكثير عن كلمات الحق التي يراد بها باطل ورغم ذلك فهذا بعض مايقلقني .. وفي مرات كثيرة يهيأ لي أنني قد اقتربت من الوقوف على عقيدة ثم اكتشفت أنني أبعد مايكون عنها .. قد أكون ضد التطرف دون أن يعني هذا انني محافظ أو حتى اصلاحي ، لكنني أقصد أنه قد يكون لكثير من الافكار التي نرفضها جوانب صحيحة ، وقد يكون فيما نأخذ به انحراف كبير . ومن ثم فعلينا أن نراجع أنفسنا على الدوام ولا ننخدع بقدرتنا ، وليس في هذا خطر فلسنا رجال سياسة ، نحن رجال أدب ..

هنا نصل للشطر الثاني من السؤال . أنا بصراحة مع الانسان . ولكن أي انسان ؟ هذا هو السؤال . القاتل أو المجرم عندما يسقط ونراه أمام حبل المشنقة أو داخل جدران السجن يثير عطفنا ، لكننا أبدا لن تبلغ بنا الحماقة حدا نطالب معه باطلاق سراحه دون عقاب ، وحتى لو كنا نقر أن ثمة نوازع شريرة كامنة في بعض النفوس ولا حيلة لهم فيها . ان هذا لن يعني بحال أن نغض الطرف عما يحدث لنا من جراء ذلك ، ولو اعترض طريقك مجنون فلابد ان تدافع عن نفسك وقد تضربه لتردعه وأنت تعلم تماما أنه فاقد لوعيه .

هذا بديهي ، ولكن يبدو أن أكثر مايحتاج الى توضيح هو مايعد من البديهيات . أنا مع

الانسان اذن ، لكنه الانســـــان الضعيف المتهور • أريد له حريته وكرامتــــه ، ولابــــد أن تعبر ــ ككتاب ــ عن ذلك فهـذا أضعف الايمان • ومن هنـــــا فالاديب ولابــد علــى صـلة بالسياسة وعلى غير وفاق مع السلطة على الدوام ، فالفنـان حتى ولو رأى كل أحـلامه بالانسان تتحقق فانه لايمكن أن يكون مهللا • ثمة أخطاء تقـع ولابد ، والاديب يصر عليها لا لانه لايرى سواها ولا يريد أن يرى ايجابيات النظام •

ولكن لان الاديـب ــ الفنان عموما ــ يحترم الانســـان ويكن احترامـــا عميقا للذات المتفـردة دون ان يتنـــافى هذا مع تبنيه لمطالب الجمـوع • ولان هـذه الذات ، لابد ان تحيا فى ظروف طيبة ، فالفنان اشتراكى النزعة أى مع الجموع ، يعنى أنه مع تهيئـــــــــة الظــــــــروف لـكل هذه « الذوات المتفردة » أن تحيا فى كرامة وحرية • والاديب هنا يتوقف أمـــــام التفــــاصيل ، والتفاصيل ليست دوماتافهة بل هى فى كثير الاحيان محك حقيقى لمدى نجاح الافكار العظيمة •

ان الاديب لن يكون أبدا مثل رجل الحرب ، فى أول هجـوم سنخسر ثلث قواتنا وفى الهجوم الثانى سنخسر الثلث الثـانى ، ولكننا سوف نكسب المعركة بما تبقى من الثلث الثـالث • ان الاديب ــ رغم احترامه للنظـام السائد ورغم وقوفه بجـــانبه ليدعمه وينتصر له قد يقيــــم الدنيا ويقعدها لان النظام لظرف ما قد وضع فى الحجز واحدا من الناس ليلة واحدة بطريق الخطأ والاشتباه بل وربما لان عـدوا لافكاره هو وللنظام الذى يدعو اليه يعامل من قبل النظام بطريقة تهين فيــه ذات الانســـــــان وانسانيته • ومن هنا فـــان الفنان أقرب الى المتمرد منه الى الثورى •

وأظن أن فيما قلت الرد على بقية السؤال فأنا كما قلت لست انسانا مجـردا ، بـل مصرى عربى • « ولحسن حظى » فـان الحق فى جانب بلادى ، وحين أدين العدوان الاسرائيلى وأمقته وأدعو لمقاومته بلا هـوادة ولا شفقة •• فلست فى موقفى هذا أدافع عن بقائنا فى مستعمرة أو أنادى بأن نقمعمقاومة شعب يبعد عنا آلاف الاميال •• اننا ندافع عن بلادنا وكرامتنا ولا يمكن أن يجرنا مانقول عـــن التزامنـــــا بالانسان الى موقف عربى •

الاسم : الداخلى طـه
السن : ٣٢ سنة
الجهة التى يعمل بها : مدرس بمدرسة ملوى الاعدادية للبنات
دخله الشهرى : ٢٥ جنيها
النتاج الفنى :
ـ المنشور : مجموعة قصص « الجزاء » ـ مجموعة قصص مشتركة ـ
ـ غير المنشور :
بعض القصص القصيرة نشرت فى الصحف

السؤال الأول :

فى البداية كنت أقـرأ جميـع الالوان الادبية .. ولــكن بمضى الوقت وجــدت رغبتى تتركـزا فى القصــــة القصيرة • ومن خلال قراءاتى لجميع القصص القصيرة التى كانت تنشر فى المجلات فى الفترة من (٥١ ــ ١٩٥٥ م) بدأت تتضح أمامى أبعـاد القصـة القصيرة وحدودها •• فحاولت أن أحـاكى بعض كتـابهــــا حينذاك •• ومازلت أمارس هذه المحاولة وأتتبعها حتى توصلت الى تجربة يمكن أن تقترب بعض الشىء من القصة القصيـرة •• ومن يومها وأنا أكتب القصـة القصيرة ، وفى كل قصة أحاول أن أصل الى الشكل المثالى فى ذاكرتى •• واذا كانت محاولاتى الان ليست صورة مطابقة لما ينطبع فى ذهنى عن شكل القصة التى أنشدها • فانها تقترب يوما بعد يوم من الشكل المنشود

ظهرت أول محاولة لى سنة ١٩٥٤ ونشرت فى مجلة اقليمية تصدر فى المنصورة •

السؤال الثانى :

من خــــلال معـــايشتى لزملائى الادباء الشبان أتزود بكل ما يمكننى من مواصلة المسير ، وأمتص منهم الدماء الحارة التى تعيننى على التجديد والابتكار ومتابعة الركب حيثما يمضى •

أما علاقتى بعملى •• فكونى أعمل بالتدريس هــذا يحـول بينى وبين الابداع الفنـى • فطبيعة عملى التى تحتم على أن أقرأ أسوأ الاساليب التعبيرية •• تنعـكس على تشربى لموسيقية

الجمل .. ومن ثم يعود هذا على انتاجى بجفافية السرد .

أما موقفى من الاجيال السابقة ، فاننى وان كنت أرفض اصرارهم على التمسك باتجاههم القديم الا أننى أشعر أن كتاباتهم تتخلل كيانى وتطل من خلال تكوينى الفنى

السؤال الثالث : التفاوت الطبقى يحتل جزءا كبيرا من المؤثرات التى تستقبلها نفسى دائما .. ولعل هذا راجع الى معايشتى لما أخلفه هذا التفاوت على حياتى وحياة أسرتى .. وأنا ان كنت أحاول أن أساهم بانتاجى فى ابراز هذا الوضع فانما أتطلع الى تجنيد كل الامكانيات الفنية المملوء بها وطننا للنهوض به ، ودفعه الى مسايرة العالم فى كل المجالات المختلفة .

الاسم : نبيل راغب
السن : ٢٩ سنة
الجهة التى يعمل بها : مدرس بمدرسة الظاهر التجارية الثانوية للبنين
دخله الشهرى : ٢٥ جنيها
انتاجه الفنى :
ـ المنشور : كتاب « قضية الشكل الفنى عند نجيب محفوظ » ـ كتاب « الاشتراكية والحب عند برنارد شو » ـ ترجمة مسرحية « المليونيرة » لبرنارد شو ـ ترجمة رواية « ثورة الصيادين » لآنا سيجرز .
ـ غير المنشور : كتاب « اعمدة المسرح العربى المعاصر : نعمان عاشور ـ ألفريد فرج ـ رشاد رشدى ـ سعد الدين وهبه ـ يوسف ادريس » .

السؤال الاول : قامت العلاقة بينى وبين النقد الفنى الذى أمارسه الان منذ كنت طالبا بكلية الاداب ـ قسم اللغة الانجليزية ـ وكونت الجمعية الادبية ، وكنا نراسل الصحف والمجلات ونجحنا فى نشر مقالا وأبحاث عن الادب الانجليزى . منذ عشر سنوات مضت ..

بدأت الانتاج الفعلى بنشر كتابى النقد الاول عام ١٩٦٧ « قضية الشكل الفنى عند نجيب محفوظ » .

السؤال الثانى : عن العلاقة بينى وبين زملائى الفنانين ، فأنا أعتبرهم المناخ الطبيعى الذى اتنفس خلاله .. وأنا أستفيد منهم ومن الاطلاع على أعمالهم الفنية وأبحاثهم النقدية .

أما عن الاجهزة والمؤسسات المتصلة بهذا الفن فمازالت تقصر النشر على الاسماء المعروفة ولا تفسح مجالا للاقلام الناشئة ..

أما عن العلاقة التى بينى وبين المجال الذى أعمل فيه فليست موجودة على الاطلاق .. فأنا أعمل مدرسا بمدرسة الظاهر التجارية الثانوية .. أدرس الانجليزية فيما يختص بالمصطلحات التجارية ومعاملات المصارف ولا يمت ذلك بصلة حتى الى الادب الانجليزى التى حصلت على درجة الماجستير فيه عام ١٩٦٧ .

أما عن موقفى من الاجيال الفنية السابقة على جيلى .. فاعتقد أنها قامت بدور الريادة فى ميادين لم تكن موجودة من قبل فى ميدان الادب العربى كالرواية بمفهومها العالمى والمسرحية والقصة القصيرة .. وكذين على تجاهها فأنا أحاول تقييمها نقديا وأنتهز الفرصة لادعو النقاد الشباب أبناء جيلى للاسهام فى هذا المجال ..

السؤال الثالث : فى اعتقادى أن الفن هو أكبر وسيلة فعالة لتشكيل الوجدان الاجتماعى والفكرى والفنى .. وأحسن وسيلة لانماء هذا الوجدان هو فتح الابواب لكل المؤثرات الفنية العالمية التى يمكن أن تخدم قضية التغيير الاجتماعى فى بلادنا .. ومحاولات الدراسة الجادة لالقاء أضواء كاشفة على الآداب التى كشفت حقيقة اسرائيل البشعة وتعريف جمهورنا بها .. وكذلك بالنسبة لقضايا العالم المعاصر وعلى رأسها قضية الحرية والديمقراطية فى مواجهة قوى الاستعمار والامبريالية .

ولكن يجب أن يحتفظ الفن بدوره الجمالى والسيكلوجى بعيدا عن الكتابات السطحية والتقارير المباشرة التى تنتهى بانتهاء المهمة التى كتبت من أجلها .. لان الفن ليس سوى قطعة حية وخالدة من وجدان الامة .

الاسم : حسنين علي محمد
السن : ١٨ سنة
الجهة التي يعمل بها : طالب بكلية الاداب ـ جامعة القاهرة
دخله الشهري :
انتاجه الفني :
ـ المنشور : قصائد متفرقة بالمجلات
ـ غير المنشور : ديوان « عشاق مهر الصبية » شعر بالعامية .

السؤال الاول : قامت العلاقة بيني وبين الادب والفن من عام ١٩٦٥ .. وأنا طالب بالثالثة الاعدادية .. وأقمنا رابطة لادباء ديرب نجم . وبدأت نشر انتاجي في مجلات وصحف العاصمة من عام ١٩٦٥ . ونشرت في الرسالة ، والثقافة ، وصوت الشرقية ، وصوت الشرق ، ومنبر الاسلام ، وغيرها .. وكنت أنشر شعر الفصحى وشعر العامية .. حتى فزت بجائزة محافظة الشرقية في الشعر . سبتمبر ١٩٦٦ ، وفزت بجائزة جامعة القاهرة في الشعر بقصيدة (حكايتي والحب) أكتوبر ١٩٦٨ .

السؤال الثاني : عن العلاقة بيني وبين زملائي من الادباء والفنانين . فهي علاقة ببعض أدباء الاقاليم الناضجين الذين تعرفت بهم من خلال كتاباتهم .. وتعرفوا بي من خلال كتاباتي .. في أبواب أدب الاقاليم التي يحررها في التعاون ، محمد جبريل ، والجمهورية محسن الخياط .

العلاقة بيني وبين المجال الذى أعمل فيه .. فأقوم بالاتفاق مع أصدقاء أبوللو باصدار نشرة فنية شهرية .

الاجيال الفنية السابقة ... وموقفي منها باعتبار أنهم جيل الرواد .. وكلنا تتلمذنا على أيديهم .

السؤال الثالث : أما عن المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية .. فأعتقد أن الاديب أو الفنان .. لابد أن يتأثر بما يدور حوله من أحداث .. ولكنه في نفس الوقت ليس « مصورة » .. تنقل مايدور حوله ، وانما ينفعل .. وينقل بطريقته الخاصة .. وواجب الاديب او الفنان في هذه المرحلة أن يقوم بدور التوعية ازاء اسرائيل وخطرها الذى يتهدد الوطن العربي .. ليس في قالب مباشر .. ولكن في قالب فني بسيط ..

ولذا فأعتقد أن على شعر العامية .. مسئولية كبرى .. وهي تنوير آلاف الشعب الكادح البسيط .. وتعريفه بما يدور حوله من أحداث .

الاسم : ضياء الشرقاوى
السن : ٣١ سنة
الجهة التي يعمل بها : شركة النصر للاسمدة والصناعات الكيماوية
دخله الشهري :
انتاجه الفني : الصوت (رواية) ـ رحلة في قطار كل يوم (مجموعة قصص) ـ سقوط رجل جاد (مجموعة قصص) ـ رحلة الحياة عبر الموت (مجموعة قصص) .
ـ المنشور :
ـ غير المنشور :

السؤال الاول : قامت العلاقة بيني وبين القصة سنة ١٩٥٤ ، وبدأت الانتاج سنة ١٩٦٢ .

السؤال الثاني : العلاقة بين الاديب الجديد وبين الظروف المحيطة به علاقة غير جدلية في معظم ظروفها ـ ومن ثم فهي غير متفاعلة وغير مثمرة كما يجب أن تكون .

تكاد ان تكون العلاقة بيني وبين زملائي الفنانين علاقة **غير منتظمة ـ وغير فعالة ـ** وذلك راجع الى اكثر من سبب : ـ

اتجاه أغلب الادباء الجدد الى نظام الشلل ــ وهذا النظام تربطه الصداقات الشخصية والمصالح المتداخلة اكثر مما تربطه الاتجاهات الفنية او الادبية •

عدم وجود المكان الملائم الذى يضم بين جوانبه أشتات الادباء الجدد ، وأدباء الاجيال السابقة مما يوحى **بالجدية** ، **والتفاعل** • يستثنى من ذلك **دار الادباء** ،وان لمتكتمل لها الامكانيات المطلوبة ، فمكتبتها هزيلة ، وليس بها قاعة للموسيقى ، كما تفقد روح الفن التشكيلى ، الممثل فى لوحات ، او فى قاعة دائمة لعرض اللوحات الفنية •

ثم نجد معظم الادباء الجدد متناثرين فى المقاهى وأشباهها (ريش) و (ايسافيتش) .. الخ . وهى أماكن غير صالحة مطلقا لنشوء علاقات عميقة وجادة ».

وهذه العلاقة بينى وبين الكتاب الجدد هى **علاقة وحيدة** ، أى قائمة بينى وبين **الادباء فقط** ، وكم كنت اود ان اجد ذلك المكان الذى يعرفنى الى فنانين جدد آخرين من الفنون الاخرى **كالفن التشكيلى والموسيقى والمسرح والسينما** • فمما لاشك فيه ان فنى ليس منعزلا عن الانجازات والتطورات التى تتم فى هذه الفنون • وذلك راجع كما قلت الى افتقاد **المكان الملائم** الذى يجتذب اليه كل هؤلاء ، ويتيح لهم المناخ الصحى لعقد صداقات وعلاقات جادة ومثمرة ينشأ من خلالها نهضة واسعة فى الفن والادب •

أما علاقتى بالاجهزة والمؤسسات المتصلة بفنى، فهى علاقة لا تقل جدبا وعدم فعالية. **وهاهى بعض الامثلة :**

الصحف والمجلات :

مما لا ريب فيه ان الصحف والمجلات هى المتنفس الجماهيرى للاديب ، وهى التى تعقد بينه وبين الجمهور الذى يكتب اليه ، علاقة جدلية وصحية ، من خلالها **يتعرف الى اللغة الصحيحة التى يخاطب بها شعبه ، والتى يتناول من خلالها مشكلاته تناولا سليما وايجابيا** ، فيصحح ادواته ومفاهيمه من خلال هذا التفاعل •

ولكن صحفنا ومجلاتنا مازالت تفتقد الى المنهج الاشتراكى السليم فى عقد هذه العلاقة بين الكاتب الجديد والجمهور اولا ثم بين الكاتب الجديد والجريدة أو المجلة ثانيا •

فمازالت بعض التيارات البورجوازية والبيروقراطية تتحكم فى معظم مجلاتنا وصحفنا ، ومن أمثلتها الاتى :

● تقتصر بعض المجلات والصحف على التعامل مع الاسماء الكبيرة فقط • **(مثل الاهرام)**

● تقتصر بعض المجلات على التعامل مع محرريها دون الاستعانة بأية أقلام جديدة • **(مثل صباح الخير)**

● تكاد تكون بعض المجلات مقصورة (فى الناحية الادبية) على انتاج رئيس تحريرها ــ الى جانب بعض محرريها ــ **مثل آخر ساعة** ــ فلنر كم عددا شغله رئيس التحرير بروايته (نحن لا نزرع الشوك)وكم عددا سيشغله بروايته الجديدة (لست وحدك) يقاس هذا الى عدد القصص التى قدمتها المجلة لاقلام جديدة ».

● اختناق المجلات المتخصصة واختفاء معظمها رغم المحاولات المتكررة الرسمية وغير الرسمية ــ مما لا يتناسب وحجم الحركة الثقافية فى بلدنا • وذلك لاسباب بيروقراطية فى الغالب ».

● غياب القيادات الجديدة الواعية عن هذه المجلات والصحف ، مما يفقدها همزة الوصل بينها وبين الادباء الجدد والحركات الجديدة،ومما يجعلها مجلات وصحف تنتسب الى القديم (روحا) اكثر من انتسابها الى الجديد ، ومما يصيبها بنوع من الشيزوفرانيا الفنية والادبية مع ماتتجه اليه البلاد فكرا وعملا •

أجهزة الثقافة مثل دور النشر :

رغم ان دارا كبيرة كدار الكاتب العربى خصصت سلسلة للكتاب الجدد ورغم ما قدمته من اقلام جديدة فى السنوات الماضية فان مساهمتها فى هذا المجال مساهمة مبتورة وغير ناضجة ، وصار اكثر الكتاب الجدد لا يجندون الان التعامل معها وذلك لاكثر من سبب ... منها :

● طريقة تقييم الكتب المقدمة لها ، وكفاءة الجهاز المنوط به عملية التقييم •

● ضآلة المكافآت •

● التعقيدات البيروقراطية والتى يواجهها تنفيذ واصدار الكتاب •

أما عن العلاقة بينى وبين العمل الذى أعمله الان بشركة النصر للاسمدة والصناعات الكيماوية ــ فهى علاقة جافة ولا صلة لها اطلاقا بالادب ــ وفى بعض شهور السنة تصل عدد ساعات العمل الى أكثر من عشر ساعات يوميا ــ وهذه الظروف القاسية تعرقل عملى كأديب وتأخذ منه أكثر مما تعطيه ».

تكاد أجيالنا الفنية ان تعمل فى دوائر مغلقة ، ليس هناك التحام حقيقى بين الاجيال ، مما

يجعل لهذه الاجيال ذاتيتها المغلقة وتجاربها المنفصلة ، بحيث لا يكاد الجيل الجديد يستفيد من تجارب الاجيال السابقة استفادة حية • مما لا يعطى التجربة الثقافية فى بلدنا صفة **الاتصال** والتقدم المستمر الى الامام ، واذا تخيلت هندسيا طريقة عمل جيل من الاجيال فانني اتخيلها كدائرة **تبدأ ثم تنغلق** ، وليست كخط مستقيم • وربما كان السبب هو ان مثقفينا مازالوا يخضعون **لكادرات اجتماعية وانماط سياسية قديمة** ، ولم تتمكن الظروف والتغييرات الحالية من اذابة الجليد الذى يعيشونه ويدمجهم فى وحدة واحدة •

لذا فان العلاقة بيني وبين الاجيال السابقة علاقة فاقدة **للتأثر والتأثير** ، زاد من حدتها ان الجيل الجديد يواجه تغيرات جذرية حاسمة ، يواجهها ويعيشها ، ويحمل نصيبا اكبر من الاجيال السابقة ، عليه للتعبير عنها • لذا فان المناخ الذى نعيشه مغاير تماما لمناخ الاجيال السابقة مما يزيد من حدة الانفصام •

أضف الى هذا بعض الاسباب التى سبق ان ذكرتها ، كالمكان ، والتى تحول دون التقاء بعض الاجيال المتقاربة التقاء فعالا ومثمرا • ولا أذكر سوى اديبنا الكبير نجيب محفوظ الذى يواظب على لقاء الجيل الجديد فى مقهى ! !

ولا يتبقى سوى **علاقات شكلية** بين الاجيال السابقة والجيل الجديد ، تتمثل فى نوع من **الوصاية الادبية** ، كرئاسة تحرير مجلة أدبية ، وهذه العلاقة لا تعطى سوى وجه واحد للعملة الادبية فى بلدنا ، وهذا الوجه لا يتقبله الادباء الجدد بارتياح كبير •

السؤال الثالث : أرى أن الفنان أو الاديب كي يشارك مشاركة فعالة وايجابية فى قضايا التغيير فى البلد — فلا بد ان **تحسن الدولة من الظروف والمؤثرات** المحيطة به ، كالمؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية •

ولا اجد افضل من النظم التي تتبعها بعض الدول الشرقية تجاه فنانيها وأدبائها ، **مع بعض التغييرات** التى تتلاءم وظروفنا •

فأغلب المؤثرات التى تشارك فى ابداعى الفنى لا تساعدني على **النمو الصحي السليم** ، أنا ومعظم الادباء الجدد الذين يحملون فوق اكتافهم تبعة ومسئولية مرحلة خطيرة وحاسمة من تاريخ أمتنا •

فمن الناحية **الاجتماعية :** عملى كموظف فى قسم حسابات لا يتيح لى الظروف الملائمة للانتاج الادبى • **فهو** يقتطع افضل ساعات اليوم • كما لا يتيح لى حرية الحركة (كالسفر) لدراسة الاماكن التى اكتب عنها • فانا بصدد كتابة رواية عن مرحلة خطيرة وهامة من مراحل تاريخنا الوطنى وهى الثورة العرابية ، وأعد لها منذ سنوات طويلة ، وكنت أرغب فى زيارة المناطق الهامة التى تتصل بالاحداث ، والتفرغ بدرجة اكبر على المصادر والابحاث ولكن ظروف العمل لا تتيح لى ذلك •

من الناحية الفكرية والفنية : يكاد يقتصر المؤثر الفكرى والفنى على الكتاب والمسرح والسينما وبعض المعارض الفنية القليلة من حين لاخر •

وتتفاوت فعالية هذه المؤثرات ، فرغم الحركة الثقافية الكبيرة فى البلد ، فان **الكتب الجذرية تكاد تفتقدها مكتبتنا العربية ، وسعرها فى اللغات الاجنبية مرتفع •**

وقد حل نادى السينما **بعض مشكلة متابعة الحركات الجديدة فى السينما** ولكن ارتفاع قيمة الاشتراك هذا العام ، ثم ظروف العمل ، حالت دون متابعة هذا الجانب الهام متابعة حريصة •

أما عن المسرح ، فان قلة عدد الفرق الزائرة والتى تكاد تقتصر على (الباليه .. الخ) وقلة المسرحيات الجديدة الجيدة ، وخفوت اشعاع مسرح الجيب كمسرح تجريبى وطليعى ، فان تأثير المسرح اقتصر على جانب الكتاب ، وكانت هناك سلسلتان تقدمان زادا رائعا وهما (روائع المسرح العالمى — المسرحية العالمية) ، ولكن احداهما احتجبت ، والثانية تتعثر •

أما عن المعارض التشكيلية وخفوت الحركة الفنية التشكيلية فيشكل قصورا خطيرا فى ثقافتى الفنية •

ولا أنسى ان اكرر ان **أزمة النشر** على مستوى **المجلة والصحيفة أو الكتاب** ، تشكل عاملا خطيرا ، أو مؤكدا فى عدم فعالية الاديب الجديد وعدم قدرته على المساهمة الواجبة والواعية فى قضايا التغيير فى بلادى •

ومما لا شك فيه ان هذه المؤثرات تعرقل اسهامى فى قضية التغيير الاجتماعى فى البلد ، كما وتشكل **أزمة ضمير** بالنسبة لقضية العدوان الاسرائيلي ، ولا تساعد مساعدة فعالة فى الاسهام فى قضايا العالم المعاصرة ، والتعبير عنها كقضية العدوان الامريكي **على شعب فيتنام** •



الاسم : جمال الغيطانى
السن : ٢٤ سنة
الجهة التى يعمل بها : دار أخبار اليوم
دخله الشهرى ٢٠ جنيها
انتاجه الفنى :
ــ المنشور : مجموعة « أوراق شاب عاش منذ الف عام » ــ قصص قصيرة أخرى
ــ غير المنشورة : قصص قصيرة

السؤال الاول :

ترجع علاقتى بالقصة ، الى فترة مبكرة جدا من عمرى . كانت هذه العلاقة تتخذ فى البداية شكل الميل الى اختلاق حكايات من ذهنى اثناء الطفولة اقصها على الاصدقاء • طبعا تبلور هذا فيما بعد ، واتخذ هذا شكل الاهتمام بالقراءة ، واستطيع تحديد اول مرة كتبت فيها القصة خلال عام ١٩٥٩ • كنت فى نهاية المرحلة الاعدادية من التعليم ، وفى ليلة سمعت حكاية يرويها والدى ، صغتها بعد ايام فى قصة قصيرة أسمها « السكير » •

السؤال الثانى :

عن زملائى الفنانين فعلاقتى وثيقة جدا بعدد منهم ، بحيث تتخذ شكل العلاقة الشخصية ، وهؤلاء لا يتجاوز عددهم اصابع اليد الواحدة طبعا آرائى الفنية تتفق معهم ونقرأ انتاجنا أولا بأول ، ونتبادل فيه الرأى ، وهناك عدد كبير اعرفه لكن لا تربطنى بهم العلاقة الوثيقة ، انما علاقتى بهم لا تتعدى اللقاء فى ندوة ادبية مرة او مرتين كل شهر ، والحقيقة ان العلاقات بين الادباء الشبان يسيطر عليها الاضطراب والسطحية ، ووجود جماعات مغلقة على نفسها ، او تدعى ان لها موقفا معينا من العالم •• وبالنسبة لى فلا أحاول الانضمام الى اى منها ••

عن علاقتى بالمؤسسات التى تعمل فى هذا المجال ، فهى مقطوعة ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون لم أذهب اليه غير مرة واحدة فى حياتى وكانت لسبب لا يتعلق بالفن ، أما نادى القصة فهو نادى محنط لا يقدم شيئا بالمرة ، وبالنسبة لى شخصيا فقد نموت بعيدا عن هذه الاجهزة ، ولم تقدم لى شيئا على الاطلاق • وطبعا كان يمكن لهذه المؤسسات ان تساعدنا فى مجالات النشر وتعريفنا بتيارات الادب العالمى والادباء عن طريق المؤتمرات واللقاءات لكنها مغلقة على مجموعة معينة •

أما بالنسبة لدار الكاتب ، فقد كان من الممكن ان تساعد الشباب بالذات فى مجال نشر الكتب ، لكنها حتى الان لا تقوم بهذا الدور كما يجب ، وان كنت أعتقد أن مسئوليتها فى هذا المجال كبيرة جدا ، وأتمنى ان تفى بها ••

حتى وقت قريب كنت اعمل فى الجمعية الصناعية لمنتجات خان الخليلى ، وبرغم متاعبها الوظيفية • ومواعيد العمل التى كانت تجعل وقت قراءتى قاصرا على فترة معينة ــ ليلا ــ وعلى حساب ساعات من فترة نومى ، غير ان هذا العمل اتاح لى فرصة معايشة ناس لا اعتقد اننى سوف التقى بهم فى مجال آخر ، خاصة وأنه كان متصلا بالحرفيين وبالصناعات اليدوية التى تحمل فى طياتها تراثا شعبيا عريقا ــ صناعات خان الخليلى ــ وانا شخصيا كثير الاهتمام بتاريخ المنطقة التى اعمل فيها ، تتبع الاحداث ، وتاريخ المبانى الاثرية ، وتفاصيلها ، ودراسة معمارها ، ايضا تاريخ الحوارى والخطط والشوارع • وقد أتاح لى هذا جوا خصبا وغنيا جدا •

ومنذ شهور تغير مجال عملى اذ انتقلت الى جريدة الاخبار للعمل بها • وقد اتاح لى العمل الجديد فرصة أوسع للقراءة ، ولشمولية الرؤية •ولكنى لاحظت ان العمل الصحفى بالذات التحقيقات الصحفية ــ يمكن أن يشكل خطرا داهما على الفنان ، اذ يمكن استهلاكه وطحنه فى عجلة الصحافة اليومية التى لا ترحم ، لهذا فأنا حريص جدا على ابتعادى عن هذا المجال فى الصحافة ، خاصة واننى أعى جدا ماحدث لكثير من الفنانين الذين التهمتهم الصحافة فلم يصبحوا أدباء ولا صحفيين ، ان عملى فى الاخبار ــ بقسم المعلومات ــ يبعدنى عن هذا ، ومن حين الى اخر اسافر الى منطقة معينة فى مصر ، تهيىء لى ظروفى هنا امكانية السفر اليها ، واعود منها لاكتب انطباعات

ادبية ، او مايمكن تسميته بموضوع أدبى ، وقد اتاح لى عملى هنا قضاء ايام هامة جدا فى الجبهة المصرية بقناة السويس ، وقد اثرت فى الفترة ، التى قضيتها هناك تأثيرا عظيما وعلى جميع المستويات ، وحاليا انا حريص جدا على قضاء مدة هناك كل فترة معينة ، وكلما سنحت لى الظروف بذلك .. والحقيقة ان عملى بالاخبار يتيح لى ايضا رؤية ومعايشة مناطق اخرى فى مصر لم اكن سأذهب اليها ولن أراها فيما لو بقيت بعملى القديم . هذا الى جانب التنوع الكبير وتعدد الشخصيات والنماذج التى التقى بها ..

بالنسبة لموقفى من الاجيال السابقة : احاول قدر الامكان الاطلاع على كافة مايمكن من انتاج هذه الاجيال ، ليس بالنسبة للاسماء المعروفة فقط . ولكن غيرهم من الذين لم يقدر لاسمائهم الذيوع والذين انتجوا اعمالا ادبية وفنية ذات مستوى جيد ، مثلا رواية مليم الاكبر لعادل كامل ، او حافة الليل لامين ريان . الى جانب عديد من الاعمال الفنية الهامة ، حديث عيسى بن هشام ، ليالى سطيح ، مؤلفات ، عيسى عبيد ، لاشين ، احمد خيرى سعيد .. الخ وليست هذه العلاقة قاصرة على الاعمال الفنية فقط بل والفكرية أيضا لقد تعلمت حب مصر وتاريخ مصر والاحساس العظيم بها من الدكتور حسين فوزى - برغم اننى لم التق به شخصيا -

أما عمق التحصيل والدأب واهمية القراءة فقد احسست بهما جدا من خلال الدكتور لويس عوض ، وهناك الكثيرون الذين لا استفيد منهم فكريا فقط ، بل على المستوى الشخصى ايضا مثل نجيب محفوظ ، ومحمد عودة ، والاستاذ توفيق الحكيم ، والاستاذ حسن فتحى الفنان المعمارى العظيم ، ان الانفصال عن هذه الاجيال يعنى خسارة بالنسبة للجديد .

السؤال الثالث : ان وضعى الاجتماعى — باعتبارى أحد أبناء أسرة فقيرة — جعلنى أتطلع منذ وقت طويل الى الفكر الاشتراكى ، وقد أثر هذا فى رؤيتى الفنية ، كما ان احساسى العميق بمصر ، جعلنى اغوص فى التاريخ المصرى، أعايشه فى المخطوطات القديمة ، خاصة الفترة الواقعة بين الفتح العربى لمصر والحملة الفرنسية ، فهذه الفترة تكاد تكون الوحيدة التى نجد أحداثها مدونة يوما بيوم فى كتب التاريخ الاسلامى ابتداء من ابن عبد الحكم حتى الجبرتى ، وقد انعكس هذا بشكل مباشر وغير مباشر على رؤيتى الفنية وادواتى التعبيرية .

وقد دفعنى هذا الى عمق الاحساس بالشعب المصرى ، فى حركته التاريخية ، فى الماضى والمستقبل والوقوف الى جانب قوى التقدم فى المجتمع المصرى التى تزيل اسباب التخلف الاجتماعى والاقتصادى ، وترسى حياة الناس على أسس اكثر طمأنينة واستقرارا .

غير انه فى عام ١٩٦٧ وقعت احداث يونيو ، واصبحت مصر التى اعرفها جيدا فى امتدادها وعظمتها مهددة بعدو بشع يريد القضاء على كل ماانجزناه وما نود أن ننجزه ، لقد كان **نابليون** يقول : ان مصر أهم بلد فى العالم ، والاستعمار العالمى يدرك ذلك ، ويعلم جيدا ان القضاء على الحكم التقدمى فى مصر ، وضرب الشعب المصرى يعنى القضاء على اكبر قوة موجودة فى المنطقة ، سواء العالم العربى او الافريقى .

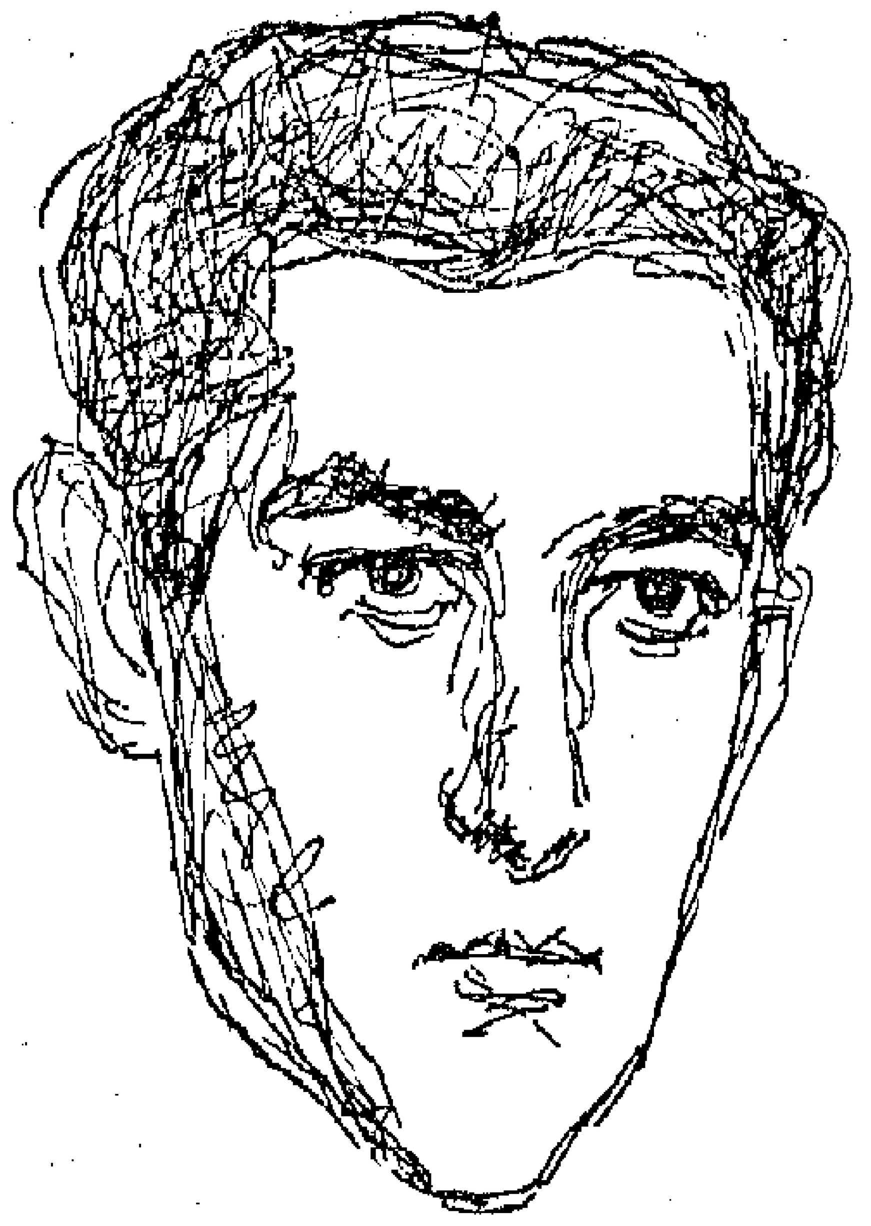
ان احساسى بحدة هذا الصراع ، والاحتلال الاسرائيلى ، يجعل كيانى كله ، اهتماماتى ، فكرى موجها الى هذه الناحية ، ان وجود الاسرائيليين على أرضنا يهدد مصر ، ومصر هذه ليست معنى مجردا ، انها عملى الذى سأفقده لو تمكنوا منها ، وابى العجوز الذى سيشرد ، وأختى .. والاحساس بالامتهان لحظة رؤية الاسرائيليين لهذا فان فكرى كله وكيانى وفنى موجه نحو العمل على ازالة هذا الاحتلال .

وباعتبارى احد ابناء الجيل الجديد فمعاناتنا أكثر قسوة ، ان الجيل الجديد الذى انتمى اليه ، هو الذى يقف اليوم على مياه القنال ، ان اعمار الضباط والجنود هناك تتراوح بين العشرين والثانية والعشرين ، وفيهم وفى الجبهة كل ماأتطلع اليه وأرجوه ، لهذا فكل ماأكتبه الان ارجو ان يرقى الى مستوى مايشعر به هؤلاء الشبان ابناء جيلى وان اتمكن من التعبير عنه .. فحياتى ومستقبلى ، ومستقبل الناس ، ومستقبل مصر مرهون بهم .. سواء هناك او هنا ..

طبعا العالم اليوم ملىء بالصراعات والمنازعات التى تدور حول الصراع الرئيسى بين الشعوب وبين القوى الراسمالية التى تريد الابقاء على العالم فى حالة من التخلف لتربح أكثر وأكثر ، وحيث أن معركتنا هى جزء من هذه المعركة ، فاننى شديد الاحساس بما يجرى فى فيتنام ، والصراع بين زنوج امريكا ورأسمالييها ، وعندما تنزل القوات الامريكية فى نيكاراجوا لتقمع شعبها مثلا فأننى احس بالقلق بل والاهانة ، العالم اليوم ضيق ، ومايجرى هناك يؤثر علينا هنا ، والرصاصة التى تنطلق فى فيتنام صداها يسمع هنا ، ويدوى ، ان المشاكل والهموم التى تقع على جيلنا اكثر واعظم واشد معاناة ، واعتقد أن هذا ينعكس فى كل مايقدمه من فن .. **بأصالة .. وصدق .**

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

شهادات واقعية



الاسم : سمير فريد
السن : ٢٥ سنة
الجهة التى يعمل بها : جريدة الجمهورية
دخله الشهرى : ٦٠ جنيها
انتاجه الفنى :
ــ المنشور : ٦٦ ــ ١٩٦٧ : ثلاثة كتيبات عن « سينما ٦٥ » ، « دليل السينما » ، « كابوس السينما العربية »
١٩٦٨ ٤٥١ فهرنهيت (ترجمة لفيلم فرانسوا تريفو)
١٩٦٨ · العالم من عين الكاميرا
ــ غير المنشور : ٤ مهرجانات سينمائية ــ اضواء على السينما المعاصرة ــ فصول فى النقد السينمائى ــ نحو سينما جديدة ــ مسرح صمويل بيكيت

السؤال الاول : كان البحث فى علم الجمال يشغلنى كثيرا ، وعن العلاقات بين الفنون وخاصة المسرح والسينما بدأت فى كتابة بحث لم يتم خلال العام الاخير من دراستى للنقد فى المعهد العالى للفنون المسرحية ، لقد بدت لى السينما فتاة صغيرة تعيش مع رجل عجوز هو المسرح ، ولم يكن هذا البحث ــ وعنوانه دفاع عن المسرح ــ الا تعبيرا عن حبى للمسرح وشفقتى عليه من حبى الاكبر : السينما ، كنت أتابع السينما ، مثلما أتابع المسرح وأكتب النقد عن كلاهما ، ولكنى اكتشفت ان السينما تتضمن المسرح ، أو بمعنى أصح الدراما بينما لا يتضمن المسرح السينما ، ولذلك قررت أن أكون ناقدا سينمائيا لاشبع حبى للمسرح والسينما معا . ولاساهم فى صنع مسرح مصرى عظيم وسينما مصرية عظيمة .

وقد بدأت كتابة النقد السينمائى قبل تخرجى من المعهد بنصف عام تقريبا ، وبذلت جهدا كبيرا لاقنع العاملين معى بأن النقد السينمائى يستحق أن يأخذ شكل المقال تماما كالنقد الادبى والمسرحى ــ وأنا هنا أتحدث عن الصحف اليومية ــ ، وبالفعل ظلت المساحة المتاحة لى تكبر يوما بعد يوم ، ولم تكن المسألة بالطبع مسألة مساحة فحسب ، وانما أيضا مسألة منهج نقدى يتضح ويتبلور ، وحب للسينما والجمال عامة ينضج ويتخلص من طابعه العاطفى .

السؤال الثانى : نقاد السينما فى مصر كالزنوج فى أمريكا ، ولذلك فنحن معا ليل نهار ، هناك اختلافات فكرية ، واختلافات فى المستوى ، وهذا طبيعى ، ولكننا نتفق على أشياء كثيرة بحكم ظروفنا وظروف موضوعنا : السينما ، نعانى أكثر ما نعانى من أدعياء النقد السينمائى ــ وهم أضعاف أدعياء النقد الادبى أو النقد المسرحى ــ ولكن بينما يكاد ينعدم تأثير أدعياء النقد الادبى أو النقد المسرحى نظرا لوجود العديد من نقاد الادب ونقاد المسرح ، نجد أن لادعياء النقد السينمائى شىء من التأثير نظرا لقلة عدد نقاد السينما ، وهناك دلائل عديدة على نوع علاقتى بزملائى من النقاد أو بالاحرى علاقة نقاد السينما بعضهم ببعض وتكاتفهم لعل أوضحها الكتاب الذى أصدرته مع اثنين منهم هذا العام ، وروح العمل الجماعى فى مجلة السينما ، تلك الروح التى كانت تثير دهشة العاملين فى مجلة المسرح حين كانت تصدر مجلة المسرح والسينما فى غلاف واحد !

أما عن علاقتى بالاجهزة والمؤسسات المتصلة بعملى فتتوقف على طبيعة هذا الجهاز أو تلك المؤسسة وطبيعة المسئولين عنه ، ولعل مما يثير الدهشة حقا ان من النادر فى مجال السينما أن تجد من يقتنع بسهولة انك تقول رأيك فى الفيلم على ضوء منهجك النقدى وما تؤمن به من مبادىء وقيم ، فيقال لك قبل أن ترى الفيلم « ماذا يحدث لو قلت أن هذا الفيلم ممتاز ورائع » أو يقال لك « انني مخرج مصرى ولست اسرائيليا ، ما الذى بينى وبينك حتى تهاجمنى دائما » !

ولاشك ان هذا يرجع الى وجود الكثير من أدعياء النقد السينمائى الذين يقولون كل شىء الا رأيهم ، هذا ان كان لهم رأى !

ولذلك يتكاتف نقاد السينما الشباب حتى يغيروا من طبيعة النقد السينمائى وخاصة فى الصحف اليومية ، ولذلك أيضا يعانى هؤلاء النقاد أكثر ما يعانوا من الادعياء كما قلت فى بداية اجابتى على هذا السؤال ويحملون الصحافة مسئولية هذه الجريمة التى ترتكب كل يوم فى حق السينما وجمهور السينما .

وباعتبار ان المجال الذى أعمل فيه هو جريدة يومية فان اجابتى على السؤال الخاص بالمناخ الذى يسيطر على عملى فيها ستكون تكرارا للسطور السابقة ، ان من الواجب على الصحافة فى مجتمعنا أن تكون جادة بقدر ما يجب على هذا المجتمع نفسه أن يكون جادا ، والصحافة التى تسمح بنشر كل ما يكتبه أى كاتب عن أى شيء صحافة غير جادة ، وهذا ما يغلب على كل صحفنا ومجلاتنا فيما يتعلق بالنقد السينمائى بوجه خاص ، أما عن موقفى من الاجيال السابقة التى مارست النقد السينمائى، فانى لا أعتقد بادىء ذى بدء ، انها كانت تكتب ما يمكن اعتباره نقدا ، واننى لاحمل لها كل الاحتقار لانها تتحمل مسئولية الفيلم المصرى الردىء الذى تسلمناه منها والذى سنعمل على تدميره وبنائه من جديد مهمتنا كلفنا ذلك .

السؤال الثالث : كنت لا أعرف شيئا عن الدنيا حين قامت ثورة ٢٣ يوليو فأنا ابن هذه الثورة وأحد أفراد جيلها ، تفتحت على انتصاراتها الباهرة فى باندونج وبورسعيد عام ١٩٥٦ ، ونضجت على نار هزيمتها العسكرية عام ١٩٦٧ ، الجيل الذى يقف الان على ضفاف قناة السويس ليمحو هزيمة الاجيال التى خرج من صلبها ، كنت أفصل فصلا حادا بين الفن والحياة السياسية والاجتماعية وأطلق على الواقعية الاشتراكية « مشنقة الفن فى سجن الجبرية » .

ومع بداية حياتى العملية اكتشفت أن من الممكن رفض أى شيء الا أن الفن ظاهرة منعزلة عن الحياة السياسية والاجتماعية ، كنت أعتقد أن الاشتراكية « وسط مستحيل وأحمق » بين الرأسمالية والشيوعية ، وكنت أختار الشيوعية من خلال الكتب كحل غير سعيد ولكن لا مفر منه لمشاكل المجتمع المصرى ، ولكنى اكتشفت أننى لا أفكر أبعد من ظلال جسدى ، وأن الاشتراكية هى الحل الوحيد .

لهذه المشاكل ، أؤمن بأننى انسان من العالم الثالث ، وأرى الهداية فيما تقرر فى باندونج بعد أن كاد يصبح من ذكريات الماضى ، رأسى يدور وأشعر بالحاجة الى الانفتاح على العالم كله ومحاولة فهمه من جديد ، ومن الطبيعى أن تجد كل هذا فى المقالات والكتب التى أكتبها .

الاسم : مصطفى ابراهيم مصطفى
السن : ٢٩ سنة
الجهة التى يعمل بها : الاهرام
دخله الشهرى : ٣٧ جنيها
انتاجه الفنى :

ـ المنشور : مقالات فى الفن . ترجمات « نحو رواية جديدة »
ـ « انتشار الشر » الى العربية ، وأخرى الى الفرنسية ..
ـ غير المنشور : قصص قصيرة وترجمات اخرى

السؤال الأول : تعلمت التذوق الفنى فى مكتبة الليسيه بالاسكندرية . وعندما دخلت الجامعة توطدت صلتى بأستاذ الحضارة وتاريخ الفن فكنت أستمع اليه فى كلية الاداب وكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية .

ولما كنت أعرف اللغة الفرنسية فقد كنت أساعد زملائى بفنون الاسكندرية على قراءة مراجع تاريخ الفن . وبعد ذلك شرعت أقدم فى حلقات بحث الفنانين الفرنسيين المحدثين وكان ذلك فى سنة ١٩٥٨ .

السؤال الثانى : ليس لى زملاء فى النقد التشكيلى ، ولاننى لا أنتمى الى شلل الفنانين فاننى أكاد أكون مكروها من الجميع باستثناء من هم فى سنى . وليس هناك أجهزة ومؤسسات فنية بالمعنى المتضمن فى السؤال . واذا كان القصد هو دور النشر فانها للاسف تتردد كثيرا فى طبع أى كتاب به صور .

ويسمح لى الاهرام بقدر لا بأس به من حرية التعبير اذا قورن بالمجالات الفنية الرسمية وهو المجال الوحيد تقريبا الذى أعبر فيه عما أريد .

أما موقفى من الجيل السابق ، فهو سيء بالطبع فمعظم أساتذتنا الكبار لا يعترفون بنا ويتصورون انى أحاول كسر فرع الشجرة الذى يجلسون عليه .

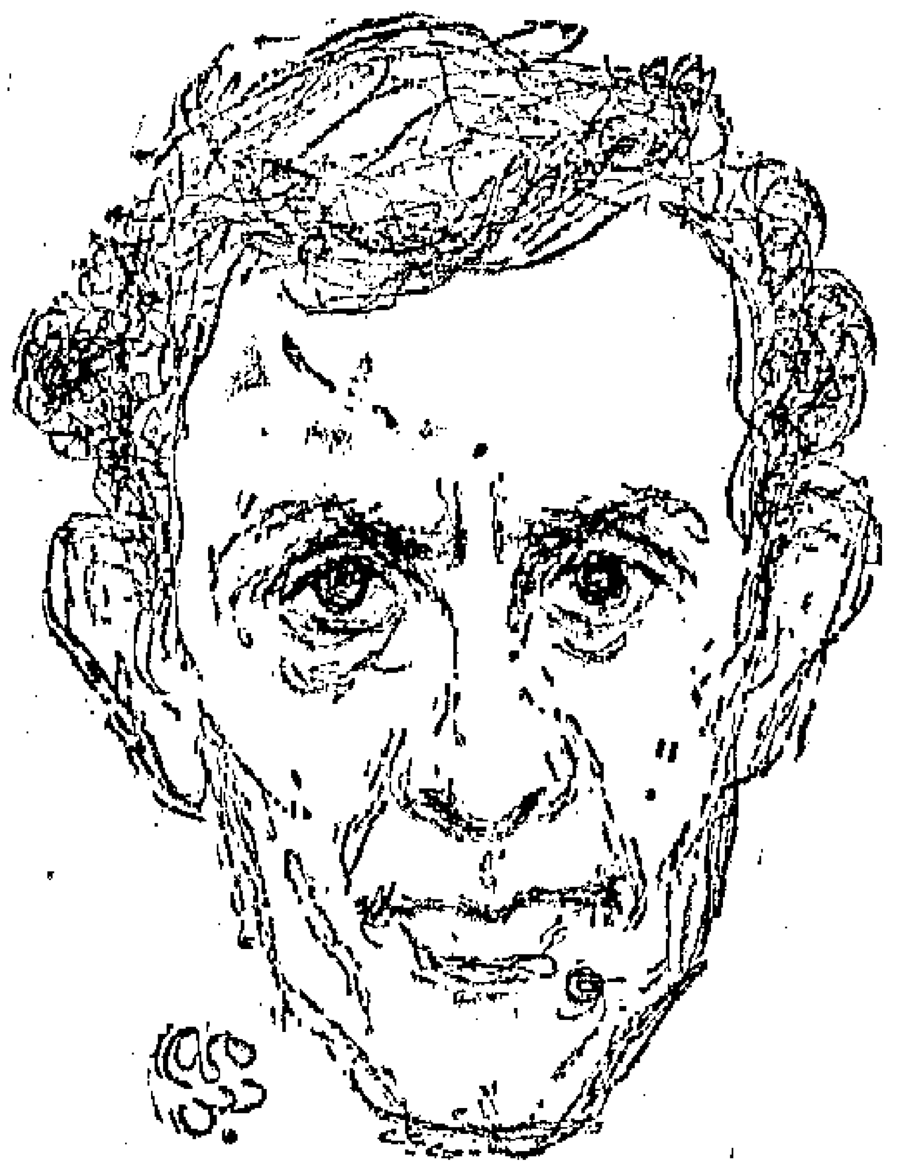
السؤال الثالث : من الصعب تحديد هذه المؤثرات ولكن يمكن اجمالها في عنصرين : الاول هو « الثورة » ولكن هذه تحولت الى كليشيه جامد بحيث أصبح من الضروري رفضها والثورة عليها • أما الثاني فهو الفكر الحديث (وأعني أعمال المفكرين الجدد الذين ظهروا في السنوات القليلة الاخيرة) والمكتشفات العلمية الحديثة التى تثير فى النفس احساس حاد جدا بالتخلف عندما أفكر فى مشاكل بلدي •

ان العنصرين يدفعاني في كثير من الاحيان الى الشعور بأني لا أكون ترابطا وثيقا مع الحياة في بلدي ، وربما كان هذا هو حال كل المثقفين في بلدنا •

ومع ذلك فلا يمكن للمرء أن يكف عن دفع الناس الى المطالبة بضرورة التغيير وأول خطوة في ذلك هو المطالبة بحرية التعبير لهؤلاء الذين يفكرون بطريقة تختلف عن تفكير النظام القائم . أما بالنسبة لقضية اسرائيل فلاشك أننا بحاجة الى اعادة النظر فى أساليب مواجهتنا الفكرية لها بحيث لا يصبح السلاح وحده هو العنصر الفعال الوحيد لمواجهة العدوان . وأعتقد أن فكرة الثورة والفكر الانساني الحديث كفيلان بأن يغيرا كثيرا من واقعنا فى الداخل وبالتالى من حربنا مع اسرائيل •

أما بالنسبة لقضايا العالم المعاصر فأعتقد أن هذا سؤال سابق جدا لاوانه •

الاسم : سامي السلاموني
السن : ٣٢ سنة
الجهة التي يعمل بها : دار الهلال
دخله الشهري : غير ثابت
انتاجه الفني :
ـ المنشور : مقالات في النقد السينمائي وفيلم تدريبي قصير لمعهد السينما
ـ غير المنشور :



السؤال الاول : لا أعي تماما متى قامت العلاقة بيني وبين السينما •• فهي العلاقة الطبيعية بين أي طفل يهوى الافلام ولا يتوقف عن رؤيتها كلما استطاع الحصول على قروش التذكرة •• ولكن تفتح وعيي بالسينما كفكر وفن ولم يبدأ الا مع تفتح وعيي السياسي •• وهو ما بدأ مع فترة القراءة النهمة في الخمسينات •• وظروف الانتقال الحاسم من النظام الملكي الاقطاعي الى تحولات ٥٢ •• فقد وعيت هذه الفترة جيدا وعشتها أما بمجرد القراءة اليقظة ؟ وأما بالتمرد المبكر على كل سوءات نظام كامل •• أو بالاشتراك الفعلي في حركة الفدائيين ضد قوات الاحتلال في القناة عام ٥٢ •• وتحول كل هذا بعد ذلك الى رغبة في المشاركة في التغيير •• وهو تغيير ثوري جذري لا بديل له من أي حركة اصلاحية او « ترقيعية » أو أية حلول « توازنية » أو وسطية •• ولكن هذه الرغبة في المشاركة في التغيير لم تأخذ شكلا ايجابيا باستثناء اشتراكي في معارك ٥٢ في القناة كما قلت ووجودي قرب « عباس الاعسر » لحظة استشهاده في « عزبة اللبن » في التل الكبير •• وهو الحدث الوحيد الذي يمكن أن أفخر به في كل حياتي •• التي استمرت بعد ذلك حياة باردة لمثقف سلبي •• يكثر من الكلام بلا عمل حقيقي •• ولكن لعل عذري وعذر جيلي كله أننا صدمنا كثيرا في المنظمات التي كانت تتصدى لتغيير المجتمع على أيامنا •• والتي كانت مع تراوحها من أقصى اليمين الى أقصى اليسار •• لا تخلو جميعا من العمالة والانتهازية والتسلق وطعن قضية الشعب الحقيقية •• بل وبيعها بعد ذلك ••

ولقد استطعت أن أنفذ بجلدي الخاص فلم أسقط في شرك هذه التنظيمات •• والا كنت واجهت أزمة ضمير قاسية الان ـ وكانت عملية التنفيس الطبيعية والوحيدة بالنسبة لي هي الكتابة • وأذكر أنني كنت أكتب مجلات على ورق كراسات المدرسة •• كميات رهيبة من هذه

المجلات كتبتها لنفسي أو لبعض الاصدقاء ولم يبعد منها شيء ولم تترك أثرا .. فقد ضاعت كل محاولاتي للكتابة الحقيقية في الصحافة كنتاج طبيعي للاوضاع الاحتكارية الرهيبة التي تسود كل مجالاتنا الثقافية ، وسيادة القيم التهريجية والتزييفية .. وعجزي أنا الكامل عن مسايرة التيار والانحناء والتسلق وتقبيل الايدي مما أضاع عشر سنوات كاملة من عمري كموظف لا يصنع شيئا .

وبدا لي أحيانا أنه يمكن لاي انسان في البلد أن يصبح صحفيا ما عداي .. حتى استطعت أن أجد ثغرة صغيرة أنفذ منها في صفحة المساء الاخيرة العظيمة التي يشرف عليها عبد الفتاح الجمل والذي يدين له جيلنا كله بكل ما يمكن أن نصل اليه .. ولم استطع أن أجد لنفسي مكانا الا بالاتجاه الى النقد السينمائي .. فقد كنت أحب السينما دائما .. واستطعت أن أفهمها أكثر على ضوء وعيي السياسي .

وهذا هو الجديد الذي قد يكون لفت النظر الى كتاباتي عن السينما .. فهي لم تكن سينما خالصة .. وانما كانت ما يمكن أن ندعوه « سينما سياسية » .. وهذا شيء لا أستطيع أن أنكره أمام جذلقة نقاد « الفن للفن » .. ولكي استكمل ادراكي لتكنيك السينما التحقت بمعهد السينما .. لا لاصبح مخرجا خطيرا يحول مجرى السينما المصرية .. فليس هذا في نيتي ولا في قدرتي .. وانما لاصبح فقط أول ناقد سينما دارس سينما بالفعل .. أما لو جاءت الفرصة لاستطيع ممارسة أفكاري النظرية عمليا فلن أفر من واجبي بالطبع .. وسأحاول أن أصنع شيئا مما كنت أثرثر عنه طويلا ..

السؤال الثاني : تسود العلاقات الاحتكارية حقلنا الثقافي كله .. كل مكان فيه اله تربع على عرشه وانتهى الامر .. وأصبح من المستحيل زحزحته عنه .. واذا تكرم الاله بأن يشاركه أحد مجده .. فهو ذيل من أذياله فقط .. مما أدى الى سيادة الاسماء التقليدية نفسها والافكار القديمة نفسها وأصبح من غير الممكن أن يبزغ اسم جديد في مجال جديد الا بمعركة شخصية يخوضها هو بمفرده .. وتتوقف نتيجتها على مدى اصراره واستمراره هو .. فاما مات .. واما وصل بعد أن يكون قد نزف نصف دمه ..

وهذا لا ينفي ، أن الشبان الجدد أنفسهم يشوبهم الكثير من أخلاقيات القدامى : الانانية .. والتناحر .. والحسد .. والاستسهال والاستعداد لبيع أنفسهم لاول مشتر .. والطموح المادي الرهيب الذي حولهم الى تجار صغار يحاولون مزاحمة التجار الكبار .. ولا يملكون حتى خبرتهم ..

أما الاجهزة والمؤسسات الرسمية فكلها يسودها الجمود وسيطرة الالهة القدامى كما قلت .. ولابد من قيادات شابة قبل أن نصنع فنا جديدا .. فلا فن جديد لبلادنا مع نفس الاجهزة السابقة هو موقف الرفض والقيادات التقليدية ..

موقفنا من الاجيال الفنية السابقة هو موقف الرفض ببساطة .. أنا لا أحس أنني مدين لاحد منهم .. ولا أذكر أنني تعلمت شيئا منهم .. بل أومن على العكس أن حصاد فكر هذه الاجيال هو الذي أدى بنا الى ٥ يونيو .. ولكن هناك تحرزا لابد منه .. وهو أن « قلائل » من فنانينا ومفكرينا استطاعوا أن يكونوا عظماء وأن يبقوا في نفس الوقت أنقياء بحيث لا يبقى لهم أثر سيء .. وان لم يكن لهم أثر جيد .. ونحن تعلمنا من الفكر العالمي الكثير .. ولكن لا أذكر أنني تعلمت الكثير من فكرنا الخاص .. وهذا ليس جحودا ولا نكرانا للجميل .. فأين أولا هذا الجميل نفسه ؟

السؤال الثالث : أعتقد أن اجابة هذا السؤال واضحة ضمنا في الاجابة السابقة .. فالمنهج الفكري الذي أصدر عنه هو الالتصاق بحياة شعبنا الحقيقية بكل ما فيها من نواقص ومن مآسي أيضا تجاهلها الجميع حتى الان وصنعوا لنا فنا خرافيا لا ينتمي الينا بقدر انتمائه الى المريخ .

وبالنسبة للسينما فلابد أن نصنع سينما جديدة برفضنا أولا كل قيم السينما المصرية التقليدية .. وبمحاولة الارتباط بناس مصريين حقيقيين وتقديم حياتهم كما هي ولكن بشرط أن تكون السينما سينما أولا .. بمعنى محاولتنا اللحاق بتيارات السينما العالمية .. لا لتقليدها كالقرود بل للتأثر بها فقط والتعلم منها ..

وعندما يصنع السينمائيون الجدد سينما تحمل فكرا جديدا وتكنيكا جديدا .. فانهم عندئذ ـ وليس قبله ـ يمكن أن يفهموا أو يعبروا عن قضايا بلادهم كلها ـ بما فيها قضية العدوان الاسرائيلي ـ وقضايا العالم المعاصر .. ولكن ليس لدينا أحد حتى الان ـ أو أن أحدا لا يريد ـ أن يعبر حتى عن قضية حي شبرا .



الاسم : مصطفى بهجت مصطفى
السن : ٣٤ سنة
الجهة التى يعمل بها : معيد بكلية العلوم (قسم رياضة بحته ــ جامعة اسيوط) .
دخله الشهرى : ٤٠ جنيها
انتاجه الفنى :
ــ المنشور : « ميرزا » ــ « حكاية شركان » ــ « السيد والغريب » : مسرحيات .
ــ غير المنشور : « كان ياماكان » : مسرحية .

السؤال الاول : الحقيقة أن علاقتى المباشرة بالمسرح خاصة قامت عندما كنت فى سنواتى الاخيرة بالجامعة سنة ٥٥ ــ ٥٦ ... وذلك من خلال المسرح الجامعى والنشاط الطلابى من اخراج وتمثيل لتقديم العروض المسرحية الجادة وغير الجادة .. العالمية .. والمحلية ..ليوجين أونيل وسارتر وتنبس ويليمز وتشيكوف وغيرهم. أومسرح نجيب الريحانى الذى كان فى حد ذاته هدفا لابرازه على المسرح الجامعى فى الخمسينيات .. وهذه العلاقة الخاصة بالمسرح ــ كانت تسبقها علاقة بالادب عموما قبل هذا التاريخ بست سنوات على الاقل ...

ولقد بدأت محاولاتى الفعلية للكتابة سنة ١٩٦٠ ... بعد احساسى العميق بأن ما يجرى بداخلى من حوار يمكن تسجيله . . ولم أجد أمامى الشكل الفنى الذى أفرغ فيه شحنة معاناتى الا فى شكل المسرح .. لا فى القصة ولا الرواية أو القصيدة وانما المسرح فقط .. وهكذا كتبت سنة ١٩٦٤ مسرحية « كان يا ما كان » ثم تلتها مسرحياتى ميرزا « والسيد والغريب » وحكاية شركان ــ ومن شهر فقط مسرحية « لعبة السلطنة » .

السؤال الثانى : ان ضعف علاقاتى بالزملاء ممن يمارسون الكتابة المسرحية يرجع فى الاساس الى طبيعة عملى وتواجدى المحتم والدائم تقريبا فى أسيوط . أما علاقتى بالمهتمين بالمسرح .. فانها تبدأ بعد انتهائى مباشرة من كتابة أحد النصوص ... وهذه الفترة التى تلى النهاية من العمل الفنى ــ حيث القلق على جودته ــ يحتاج الفنان دوما أن يسمع عن عمله كلمة صدق خالصة ... أين مكان هذا العمل ؟ هذا السؤال هو ما يجعلنى بمجرد الانتهاء من كتابة المسرحية .. أوزع هذا العمل على المهتمين بالمسرح ... والذين أثق فى صدقهم . . والحقيقة أنه يوجد عندنا عدد غير قليل من ذوى الحاسة الفنية الصادقة والحكم الصائب .. سواء من ينقدون المسرح والكتب الادبية عامة داخل الصحافة وعلى صفحاتها .. أو من يرون المسرح مجسدا على خشبته ... من المخرجين أو المهتمين بالمسرح من خلال العمل الدرامى ذاته .

ولكن كل من يكتب للمسرح يعانى طبعا من الجهاز الذى تشرف عليه وزارة الثقافة وهو مؤسسة المسرح . فكانت القصة ، أو الرواية ، أو القصيدة .. فينتهى صراعه فى طريق أن تسمع كلمته المكتوبة بعد نشرها مباشرة .. أما كاتب المسرح لا ينهى هذا الصراع الا عندما يرى عمله مجسدا حيا على المسرح ... فالمسرحية المكتوبة قد تصبح عملا أدبيا وهى بين دفتى كتاب ولكن لا تكون مسرحا الا اذا مثلت على المسرح .. والمكان الوحيد لكاتب المسرح الجاد الذى يستطيع فيه تقديم نصوصه هو مؤسسة المسرح .. وهنا تبدأ المشكلة الحادة .. والعذابات التى تساير موكب انتقال الدخل من يد .. الى يد حيث تقرأ من لجنة القراءة .. وتجاز منها تماما .. ثم طريق آخر لتنظيم الخطة لمسارح المؤسسة التى انكمشت فأصبحت فى القاهرة ثلاثا فقط .. وهذا ما مهد للمسرح الخاص بأن يغدو جناحيه تماما على جمهور المشاهدين فى بلدنا .. المهم أنه بعد أن توضع المسرحية فى الخطة للموسم القادم طبعا ... يجب على الكاتب أن يتواجد وبصفة دائمة داخل المؤسسة حتى لا تسقط سهوا من الخطة ... هذه حقيقة وليست شيئا لاستجداء الضحكة .. وهنا .. وبحكم عدم القدرة على التواجد فى مكانين فى وقت واحد يكون العذاب الدائم .. فى أن أظل أغنى ولا أحد يسمع .. وشىء آخر كذلك .. هو عدم استقرار الاجهزة الفنية داخل المؤسسة .. وسرعة تغييرها ... وكل من يأتى ... يهدم تماما ما سبق أن شيده من سبقه داخل المنصب .. ليبدأ اللاحق فى البناء من جديد وهكذا ..

أما عن موقفى ممن سبقونى فهو موقف الذى تعلم منهم الكثير فنعمان عاشور وسعد وهبة .. والفريد فرج .. وضعوا علامات واضحة ومحددة على طريق .. مسرحنا .. هذا مما لا شك فيه فالذى أوكده ولا انساه أن أول

مسرحية مصرية خالصة انفعلت بمشاهدتها هي مسرحية « الناس اللي تحت » لنعمان · ثم جاءت مسرحيات سعد ·· والفريد ·· كلها علامات واضحة ومطورة لهذا الفن ·· قد يقول البعض أن أفراد الجيل السابق من الفنانين يقفون حجر عثرة في طريقهم لعلمهم بأن الجديد يزيح القديم من مكانه ليحتله هو .. ولكن في اعتقادي انه حتى ولو كان هذا القول صادقا ·· لا أجد من يستطيع أبدا أن يقف في طريق الفنان الجيد الصادق ··· فالفن الجيد يفرض نفسه في النهاية حتى ولو وقف كل أفراد الجيل السابق من الفنانين وقفة واحدة في انتظار وأده ··· وأنا أقول أن هذا وهم وخيال مريض للفنانين المتوسطين ·· أو العاجزين ·· فالفنان من الجيل السابق ·· الفنان الحقيقي ·· له امتداده طبعا داخل هذا الجيل ·· فهو ما زال يعايشه وينفعل به ويكتب فيه ·· ونقرأ له ·· ونتأثر به ·· والمثال الواضح على ذلك هو نجيب محفوظ ·· أما الفنان الذي توقف ·· فالكل ينساه ولا يتذكر الا عمله القديم ·· وهذا لا يقدر على ان يقف أمام فنان حقيقي افرزه الجيل الذي يليه ··· واعتقد أنها ليست مشكلة ·· القديم والجديد ·· بقدر ما هي مشكلة قدرة الجديد على اثبات نفسه وفرضها عن طريق العمل الفني وحده وليس عن طريق اطلاق الكلمات عن الصراع الخيالي ··· الذي لا يوجد الا في ذهن الفنانين المتوسطين والاقل من ذلك ··

السؤال الثالث : كل ما حول الفنان من أشياء تؤثر ويؤثر فيها

بوعي أو بغير وعي ··· فالفنان في مجتمعنا المعاصر الذي تفتحت عيناه على التغيير الاجتماعي الذي حدث داخل المجتمع المصري بعد ٥٢ ، والقيم الجديدة التي انبثقت لتحل مكان قيم جديدة انهارت ·· والصراعات الفكرية المتقدمة والمتخلفة التي زادت حدتها داخل دائرة غير واضحة الرؤيا ·· والضباب الكثيف الذي يغلف كثيرا من الاحداث ·· كل هذا يجعل الفنان في عملية بحثه عن الجديد يقف ··· مترددا حائرا ·· حزينا في معظم الاحيان ·· سعيدا عندما يرى بقعة ضوء صغيرة داخل القتامة التي تغلف الاشياء من حوله ·· ولكن مع هذه البقعة الصغيرة من اشاعاته الضوء يستطلع الفنان أن يرى الكثير مما يجري حوله ·· ويرى بوضوح مؤكد أن عملية التحول الاشتراكي يجب أن تتم وبسرعة ·· ليقف مجتمعنا صلب العود .. وبالنظرة ذاتها وبعد ما حدث بعد نكسة ٦٧ ·

أجدني كمعاصر لكل ما حدث أن الهزة العنيفة التي ارتج بها عالمي ·· تأخذ بكلماتي التي أسطرها على ورق طريقا جديدا ·· يحمل وضوح الرؤيا ·· ويذيب عنها الضباب .. فكل ما حدث ناتج خلل كبير ··· يستطيع الرائي أن يراه واضحا ··· والفنان يعبر عما هو كائن وما يجب أن يكون ·· وهكذا أجد أن كلمة بعد ٦٧ تسطر ، ولاتعبرعما نحن فيه لهي كلمة خائنة ·· فاعادة البناء الداخلي ·· والخارجي ·· وشخصية الانسان المصري ·· وشخصية مصر ذاتها ·· والاعداء على القنال ·· والقتال الدائر على الضفتين ·· وانفصال من يقفون على خط المواجهة ·· عن الموجودين بعيدا عن صوت الطلقات ·· و ·· و ·· كل هذا ·· وأكثر بكثير من المقاومة المسلحة التي تقف الان داخل الارض المحتلة ··· والتي لا تستخدم الكلمة ولكن تعمل بالسلاح ··· والفكرة التي امتلأت بها رؤوس الغرباء عن الانسان العربي ·· كل هذه اشياء هي في الحق أولى الاشياء المستمرة .. والبغض الدائم الدافق لاكتب .. وأكتب وأكتب ··

تعليقات :

- سامي خشبة
- د · سهير القلماوي
- د · لويس عوض
- د · علي الراعي
- د · لطيفة الزيات
- لطفي الخولي
- غالي شكري

جيلنا: النقد والحرية والمشاكل

سامي خشبة

مثل كل الاجيال ، لم يظهر جيلنا هذا فجأة ، ولم يهبط من السماء ، ولم تنبته اسنان التنين . ومثل كل الاجيال ايضا ، نشأ في معظمه في «**حجور**» أجيال سبقته : آباء واجداد ، فلم يات بدعا بين الاجيال ، طالما انه قد اخذ — ومازال يأخذ — ممن سبقوه ما يستطيع ان يتقبله وان يتمثله او يتواءم معه ،وقد رفض — ومازال يرفض — مالا يستطيع ان يجعله جزءا من كيانه العقلي والروحي المتميز والخاص .

ولكن ، أمن الحقيقي ان قد اصبح لجيلنا كيان عقلي وروحي متميز وخاص ؟ .

تستلزم الاجابة على هذا السؤال — الذي يشكل في اعتقادي محور مشكلة كل جيل يشرع في الانسلاخ عن المؤثرات والعوامل التي انتجته ، ويشرع بالتالي في صنع ذاتيته الجديدة التي هي اكبر وأشمل من مجموع او محصلة المؤثرات والعوامل — تستلزم الاجابة ان ندرس او ان نفحص على الاقل — كل أو اهم ما انتجه هذا الجيل في كل فنون التعبير والفكر .

وقد يكون لطريقة توجيه الاسئلة ودراسة الاجابات نفع في اكتشاف قضايا هـذا الجيل ومشاكله وهمومه ودراستها . ونحن لا نظن ان الهدف من اتاحة الفرصة لبعض أبنائه لكي يقولوا ماعندهم عن أنفسهم — قضاياهم ومشاكلهم وهمومهم من خلال اجاباتهم على اسئلة محددة سلفا — لا نظن ان الهدف من هذه الفرصة هو اغلاق الباب أمام كلمات غير هذا البعض ، ولا أمام ما قد يجد من كلمات على شفاه من قدموا اجاباتهم بالفعل ، كذلك فاننا لا نظن انه قد تحققت الوحدة بين ابناء هـذا الجيل ، او تبلورت التجمعات والتيارات الفكرية والفنية بالقدر الذي يسمح لبعض أبنائه بأن يمثلوا غيرهم ، ولكن هذا لا يعني ان ننظر الى كل حالة على حدة — رغم اهمية هذه النظرة ان كانت في حيز الامكان — لان البحث عن الملامح المشتركة للحالة الراهنة او للصورة الموضعية لجيلنا سيكون مساهمة لا شك فيها في بلورة ملامحه ككل ، او تحديد ملامح تجمعاته وتياراته ، علاوة على ما يؤدي اليه هذا البحث من كشف عما يختلج في صدور جيلنا وعما يريد ان يقول .

الملامح العامة للجيل

يمكننا ان نحدد الملامح العامة لجيلنا ككل اذا نظرنا اليه من الزوايا التالية :

● **الزاوية الاجتماعية** ، على ضوء الواقع الاجتماعي الذي يعيشه هذا الجيل مع الاجيال المعاصرة له .

● **المناخ الفكري والعقلي** ، الذي يشمل اساسا المؤثرات الثقافية التي أثرت على جيلنا .

● **الزاوية الانسانية** ، ونقصد بها علاقة هذا الجيل بالاجيال السابقة وموقفه منها وموقفها منه .

● **زاوية العمل والعلاقة بالمؤسسات** ذات الصلة بنوع الانتاج الذي يمارسه كل من أبناء هذا الجيل .

واذا كان علينا ان ننظر من خلال هذه الزوايا ، فان علينا ان نلتزم هنا باجابات الاصدقاء والزملاء المنشورة في هذا المكان ، رغم اننا لن نلتزم بالتعليق على « نصوص » هذه الاجابات وان كنا سنلتزم بداهة باطارها العام وقضاياها الجوهرية المشتركة .

ونحن لن ننجو من التكرار ، فالكثير من القضايا متداخل ومشتبك ، وكاتب هذه السطور — كواحد من أبناء هذا الجيل (محل الفحص) قد يعجز عن

الرؤية الموضوعية الكاملة ، اى دون ان يكون متأثرا بشكل او بآخر بمشكلة او قضية ، من مشاكل او قضايا او هموم جيله ، ان لم يكن بها مجتمعة فى آن واحد ، رغم ماتتيحه الظروف الفردية لكل منا — وانا اتحدث عن جيلى ، من قدرة على استيعاب جوانب تجربة الحياة من مستويات ، ومن زوايا متعددة .

بصراحة ، اريد ان اعتذر مقدما لاصدقائى وزملائى من أبناء جيلى نفسه ، ان وجدوا فيما اقوله مجافاة للحقيقة ، او مجانبة لما يظنون انه الصواب .

الزاوية الاجتماعية

بدأ جيلنا يعى الحياة من حوله منذ خمسة عشر عاما تقريبا ، فى نفس الوقت الذى واجه فيه مجتمعنا زلزالا تاريخيا تبعته زلازل كثيرة رافقتها فى نفس المرحلة محاولات هائلة ، ربما لم تكن مخططة او متوقعة من أجل اعادة البناء . فقد بدأ وعى جيلنا للحياة من حوله مع سقوط الملكية وتصفية الاقطاع ، ثم تحقق الاستقلال الوطنى ، وبدأ تمصير ثم تأميم معظم الاقتصاد الوطنى ، وفى نفس الفترة واجه وطننا العدوان الثلاثى ، ثم بدأ حركة البناء الجديد وما صاحبها من توسع اقتصادى ضخم مع تنوع مجالات العمل الاجتماعى ، وترتب على هذا النشاط الايجابى — الذى تكفلت بقيادة تنفيذه فى مجالات العمل نفسها عناصر تنتمى اجتماعيا وفكريا الى فئات وقيم المجتمع السابق على ١٩٥٢ — ترتبت على ذلك النشاط ظواهر اجتماعية سلبية لم يكن هناك مفر منها فى ظروفنا الخاصة ، كظهور عناصر اجتماعية — قديمة وجديدة — داخل الجهاز الادارى للدولة وخارجه ، تحاول ان تتسلق او أن تستفيد ، بل وان تضرب محاولات البناء ، ونجحت هذه الفئات غالبا فى تثبيت اقدامها داخل مراكز العمل الاجتماعى فى كل المجالات ، هذان الجانبان المتناقضان : تقويض القديم وبناء الجديد ومحاولات تخريبه او استغلاله ، مضافا اليهما الافتقار الى الدليل الفكرى المحدد والعلمى للعمل الاجتماعى كله ، أفقدا هذا العمل القدرة على الاقناع العقلى ، رغم الحماس العاطفى خصوصا بالنسبة للمثقفين من الشبان ، الذين يطالبون — ككل المثقفين — بالاقتناع من خلال ابنية نظرية متماسكة من ناحية ، والذين وجدوا انفسهم خارج عملية التغيير الاجتماعى من ناحية أخرى ، ربما بحكم حداثتهم ، وربما بحكم الافتقار الى التنظيم السياسى الجماهيرى والقيادى الحقيقى والصحى القادر على استيعاب طاقاتهم والاستفادة منها اجتماعيا .

ومن ناحية أخرى ، فقد ظهر جيلنا تاريخيا بعد ان تبلور عالم مابعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد ان انتهت محاولات استعادة الاستقرار الاجتماعى والفكرى بالتمزقات السياسية والاجتماعية والفكرية التى تجسدت فى حروب التحرير الوطنية ، وانتكاسات القوى الثورية فى العالمبعد بلوغها قمة انتصارها ووحدتها سنة ١٩٥٤ ، وفقدان الفلسفات المستقرة منذ القرن التاسع عشر لاستقرارها — وأعنى هنا الماركسية بالذات ، وهى أقوى الفلسفات النقدية التى استخدمت طاقتها النقدية ضد نفسها احيانا — وتعاظم فلسفات جديدة تحاول اعادة تفسير الحركة الاجتماعية على ضوء موقف الانسان الفرد وعلاقته بالمؤسسات الاجتماعية ، هذه الفلسفات التى اجمعت على ان الفرد يعيش بالضرورة فى حالة من التمزق بين تمرده على تلك المؤسسات وبين احتياجه الاجتماعى والنفسى اليها واضطراره الى الخضوع لها .

المناخ الفكرى

من المستحيل تاريخيا — حتى فى ظروف الثورة — ان يتخلى اى مجتمع عن ماضيه — فالماضى يعيش فى الحاضر بقدر او بآخر من التسلط او التأثير . ان المثقف القادم من الريف — بل وذلك الذى ولد ونشأ فى المدينة — مازال يحمل آثارا من الثقافات البدائية التى سادت فى عصور الخرافة العقلية منذ خمسة آلاف عام ، ولكنه يحمل ايضا فى عقله آثارا مختلفة من تراث الاجيال السالفة . وقد يصدق هذا الحكم على شعوب العالم بأسره وعلى كل الاجيال وحتى على الجيل المعاصر لنا الان فى أكثر بلدان العالم تقدما . ولكن الفارق الجوهرى ، هو ان أكثر هذه الشعوب المتقدمة قد اتخذت من ماضيها موقفا نقديا منذ عصر الثورة البورجوازية حتى الان ، وبالتالى فانها تتأثر الان بماضيها تأثرا غالبا ما يخضع لاختيارها هى الخاص ، وقد أنجزت هذه المهمة النقدية الاجيال السالفة الامر الذى يتيح للجيل المعاصر لنا ان يختار تأثراته بحرية ، او ان يجد تقاليد الحرية الفكرية التى تكفل له بقدر أو بآخر ان يستكمل مهمة نقد الماضى والتخلص من تأثيره التلقائى والغيبى ، أما نحن فان كثيرا مايجد احد مفكرينا الكبار انه

من « الخطورة » الاجتماعية ان يتخذ موقفا نقديا من أحد « المطربين » ·· حتى !

ان اعمال اجيال الكتاب والمفكرين المصريين منذ بداية القرن التاسع عشر — مثلا — مازالت تؤثر تأثيرا قويا ، وبشكل تراكمي وتلقائي وغيبي على وضعنا العقلي العام ؛ هناك من أبناء جيلنا من تعرفوا على « الكتاب » في روايات **المنفلوطي او شرلوك هولمز او جورجي زيدان** ، وعلينا ان نلاحظ ان الاجيال السابقة علينا مباشرة — وهي التي تتلمذنا نحن على أيديها — لم تبذل حتى الان الجهد الحقيقي الذي كان متوقعا منها من أجل نقد كل هذا التراث لتحريرنا من تأثيره التلقائي والغيبي · لقد كتب طه حسين مثلا ، كتابا واحدا او كتابين يصفي فيهما جزءا من حساب جيله مع الثقافة الجاهلية او الشعر العباسي ، وكذلك فعل **العقاد وسلامة موسى وأحمد أمين** ، ولكنهم لم يصفوا حسابهم مع جيل **الطهطاوي او على مبارك او حسن المرصفي او البارودي** · أما جيل **محمد مندور ولويس عوض** فانه لم يصف اى جزء من حسابه مع الاجيال السابقة عليه باستثناء محاولة مندور الباكرة في « **النقد المنهجي عند العرب** » ثم محاولة **لويس عوض المتأخرة جدا** في « **تاريخ الفكر المصرى الحديث** » رغم ماينتاب المحاولتين من جوانب القصور الواضحة · واذا كان الجيل السابق علينا مباشرة قد حاول ان يصفي حسابه مع الاجيال السابقة عليه فانه لم يستكمل هذه المهمة ، علاوة على أنه لم يتخذ في الغالب المواقف النقدية الصحيحة ، أما تطرفا بالرفض او مبالغة في القبول ، وان كان في أحسن الحالات قد فضل ان يمسك العصا من منتصفها ، وبذلك فان تأثير الاجيال السابقة على جيلنا ظل تأثيرا تراكميا وتلقائيا في الحقيقة ، ولم يكن أبدا تأثيرا من خلال علاقة نقدية صحية ومتحررة ، بل أن أعمال الكثير من أبناء تلك الاجيال قد اكتسبت نوعا من القداسة التي لا نظن نحن الان أنها تستحقها ·

وبنفس الطريقة التراكمية والتلقائية تأثرت الاجيال السابقة علينا بثقافات عربية قديمة ، أو اجنبية قديمة ومعاصرة وكان لها تأثيرها الاجتماعي علاوة على تأثيرها العقلي · تأثرت هذه الاجيال بتراث الفلسفة الاسلامية ، ومن جانبها غير العقلي بالذات ، وحين حصل جيل **طه حسين واحمد أمين والعقاد** على ثقافاته البورجوازية الغربية ، نضا عن نفسه التأثير بهذا التراث ،دون ان يبذل الجهد العقلي المكتوب الكافي لنقده وتقويضه من ناحية ، ودون ان يجهد نفسه للبحث في تراثنا القومي عن الجذور الانسانية المستنيرة لكي يربط نفسه بها من ناحية ثانية ، ومن ناحية ثالثة فقد مضى يستعير من ثقافته الغربية الجديدة مناهج البحث « **العلمي** » كان تطبيقه لها تطبيقا ميكانيكيا في أفضل الاحوال ، ولم يحاول ان يصوغ هذه المناهج في صورة استمرار لتراثنا نحن العقلي المستنير · ولا ننسى ان هذا الجيل قد تراجع حتى عن مواقعه التي كان قد اكتسبها في بدايته بعد قليل ، وعاد قبل ان يبلغ السمت سريعا لكي يتحدث بلغة السلف الصالح غالبا ، واعظا ومهددا — وممتلئا بالحب · وتكرر النصف الاول من هذا التاريخ تقريبا في جيل **محمد مندور ولويس عوض** ، أما الجيل التالي — وهو السابق علينا مباشرة — فلم يبذل من ذلك شيئا على وجه التقريب ، باستثناء محاولات قليلة وجزئية وفردية وهي محاولات مفيدة ومشكورة ، ولكنها لم تقدم لنا حتى الان بناء او منهجا فكريا يمكن ان نستكمله ، معهم او من بعدهم · وبينما تأثر الجيلان السابقان اما بالفكر الليبرالي البورجوازي ، أو بالفكر الماركسي فقد ومضوا ينقلون تأثراتهم دون جهد كبير لخلق أبنية فكرية قومية واصيلة ، أو مضوا في احسن الاحوال يطبقون ما اقتبسوه ، دون مراعاة لتاريخ « **الظاهرة** » القومية وملامحها المحلية التي كان لابد لها ان تكون لها قوانينها الخاصة التي كان من الواجب اكتشافها والعمل على هداها قبل ان تطبق عليها القوانين العامة ، العلمية وغير العلمية · والى جانب الفلسفات الليبرالية والفلسفة الماركسية ، جاءتنا الوجودية ايضا ،وفي فترة كانت صحافتنا البورجوازية مزدهرة فيها ، وتحولت الوجودية الى تقليعة فكرية جديدة ، هذا الى جانب استمرار تأثير العقلية السلفية المرتبطة بأكثر جوانب تراثنا الفكري جمودا وتخلفا ولا انسانية ·

ثقافتنا والحركة الاجتماعية

ورغم الجهود الكبيرة التي بذلها فنانون مبدعون ، من **نجيب محفوظ الى يوسف ادريس** ، ومن **توفيق الحكيم الى ألفريد فرج وسعد الدين وهبه** ، ومن **حافظ ابراهيم حتى صلاح عبدالصبور واحمد حجازي** ، الا ان الاعمال « **الابداعية** » يظل تأثيرها محدودا — اجتماعيا — بالنسبة للمناخ الفكري الاجتماعي الذي تسيطر عليه تيارات سلفية او مستوردة ومطبقة بطريقة ميكانيكية · لاننكر أن الاجيال السابقة — والجيلين السابقين على وجه التحديد — قد بذلوا جهودا خارقة من أجل توصيل أشعاعات ثقافتهم ومعارفهم وابداعهم الينا ، ولكننا لا نتحدث هنا عن مثقفين يكتبون لبعضهم ، وانما لا نحب أن ننسى اننا نشأنا وسط شعب ثمانون في المائة من أبنائه أميون ، وغالبية النشاط الثقافي مركز في

مدينة واحدة ، ومجموع «القراء» المواظبين لكل انواع الاعمال المكتوبة لايتجاوز ربع المليون ، وبقية الملايين الثلاثين غارقين فى الخرافة والجهل والامية ، واجهزة الاذاعة والسينما (وهى الاجهزة الاكثر جماهيرية والتى يمكن ان يتلقاها الاميون) لا تمتاز ابدا على غيرها من أجهزة التثقيف والاعلام ان لم تكن أسوأ بكثير .

ونمونا نحن عقليا فى هذا المناخ العقلى ، التراكمى ، وغير النقدى ، ذى المؤثرات المتناقضة التى يقتبسها او يتأثر بها دون ان يهضمها فى الغالب ، بينما كانت الحركة السياسية والاجتماعية لوطننا تسبق حركته الثقافية والفكرية الى انضاج واقع قومى مستقل ، مرتبط بجذور عروبته الاصيلة وغير الميتة التى أعاد اكتشافها ومضى يعمق ارتباطه الحيوى بها . كانت الحركة السياسية والاجتماعية تنمو فى اتجاهها القومى واللارأسمالى العام ، ونحو تحديد الملامح وهضم المؤثرات ـ ودون ترتيب ، وفى خضم متناقضات متطاحنة قاسية ، وعلى غير هدى ايديولوجى فى الغالب ولكنها دائما كانت تشير برأس السهم فيها الى الامام ، بينما كانت الحركة الثقافية التى كونتها الاجيال السالفة والسابقة علينا تستشرى وتتعاظم ، دون ان تنجح الا فى حدود ضيقة وغير مؤثرة لحداثتها وعدم ضخامة الجهد المبذول فيها ، دون ان تنجح فى اكتشاف جذورها القومية ، ولا فى تحديد اهدافها التى كان لابد ان تكون كامنة فى الواقع نفسه ، بل ان اكثر جوانب هذه الحركة الثقافية احتمالا للارتباط بالواقع ولتحديد الهدف اصابها التجمد العقائدى لفترة قبل ان تجرفها حركة الواقع السياسية والاجتماعية بعد انعزالها من ناحية ، وقبل ان تربكها تطورات الواقع السياسى والفلسفى فى العالم كله من ناحية أخرى .

باستطاعة أبناء جيلنا ان يقولوا : نحن متأثرون بالاجيال السابقة ، ولكننا لن نستطيع ان نحدد حتى الان نوعية تأثرنا ولامداه ، وان استطعنا ان نحدد ملامح عامة لاتجاه ذلك التأثر .

وباستطاعتنا ان نقول : نحن متأثرون بالماركسية والوجودية ، وباستطاعة اقلية منا ان تقول : نحن نؤمن بمبدأ « **الفن للفن** » ، وباستطاعة بعضنا ان يقول نحن متأثرون بالجوانب المستنيرة من تراثنا ونحاول ان نعصرها وان نستحضر جوهرها التقدمى والانسانى ، ولكننا فى الحقيقة لن نستطيع ان نعثر على مفكر او كاتب مصرى واحد استطاع ان يقدم لنا الماركسية ، او الوجودية او « **الفن للفن** » او الجانب المستنير او الانسانى من تراثنا القومى من خلال معالجة « **قومية** » و « **عصرية** » فى وقت واحد ، معالجة واعية بكل جوانب وجودنا التاريخى والحضارى والاجتماعى والعقلى والسياسى فى عصرنا هذا ، وفى وطننا هذا .

أما فى مجال السياسة ، فاننا حين نقول : نحن ضد التفرقة العنصرية ، وضد الاستعمار العالمى ، وضد الحرب العدوانية ، وضد الاستغلال ، وضد الصهيونية ، ومع السلام العالمى والكفاح الوطنى المسلح ومع الاشتراكية والتحرر الوطنى .. فسوف نجد لوطننا تراثا « **سلوكيا** » مليئا بالتناقضات حقا ، ولكنه دائم الاتجاه نحو التماسك والاكتمال ، صنعنا نحن وجدانيا من خلال معايشته يوما بيوم طوال السبعة عشر عاما الماضية من أعمارنا ، وهى السنوات التى بدأ وعينا الحقيقى بالحياة فى بدايتها ، ونما هذا الوعى عبر امتدادها .

ونكتفى فى نهاية هذه النقطة بالتساؤل عن مدى تأثر هذا المناخ الفكرى بافتقارنا التاريخى للحرية المحرية ، وبظاهرة اكتفاء كل جيل بتقديم ماالديه دون أن ينجز مهمة الانسلاخ عن الاجيال السابقة . لم يحقق اجدادنا مهمة التنوير ولا الاصلاح الدينى ولا الثورة الانسانية ، ولم ينجز آباؤنا مهمة تخطيط ملامح الثقافة القومية ولا الشخصية القومية بالتالى . ونحن نعتقد انه من المستحيل لوطننا ان ينتج ثقافة تساهم فى تغذية وجدان البشرية وفى التعبير عن جوهر انسانيتنا الحقيقى دون ان ننجز مالم ينجزوه .

الزاوية الانسانية

مثلما تتمزق العلاقات الاسرية المستقرة فى المجتمع الزراعى ، اذا شرع يتحول الى التصنيع ، كذلك تتمزق العلاقات بين الاجيال . فحتى فترة قريبة كانت افضل صور العلاقات بين التلميذ والاستاذ فى بلادنا هى صورة العلاقة القبلية بين الابن وأبيه ، وبينما نمت الاجيال السابقة علينا فى احضان سابقيهم فقد نمونا نحن فى ظل تأثير سياسى واجتماعى لمرحلة تاريخية تفرض علينا ان نفكر فيمن سبقونا بطريقة نقدية ربما اتسمت بالعنف الشديد ، تعبر عن كبت الطاقات النقدية الذى عانينا طويلا من كبتها . لقد وصف **الدكتور لويس عوض** الجيلين السابقين بأنهما « **أجيال مستقرة** » وهذا وصف صحيح تماما . فقد كان باستطاعة جيله هو على الاقل أن يقول مامعناه ان الحقيقة مكتملة وان معرفتنا بها هى الناقصة ، اما نحن فقد نمونا بعد ان اصبح فى حكم اليقين ان الحقيقة أيضا ناقصة وانها لا تسير بالحتم نحو الكمال .

نمونا بعد ان قتل نصف مليون انسان فى ليلتين دفعة واحدة ، وبعد ان فقدت الاجيال السابقة علينا مباشرة ايمانها باقتراب تحقيق الفردوس على الارض لان صناع الفردوس لم يكونوا كما تصورهم ذلك الجيل من الملائكة ، ونمونا فى ظل تصور يقول بأن التاريخ والكلمة الشريفة كفيلين بتحقيق ذلك الفردوس لكى نكتشف قبل ان يشرعوا فى مناقشتنا كجيل ان البندقية فى قبضة المقاتل الثورى هى السبيل الى تحقيق انسانيته (**وليس الى تحقيق الفردوس**) ونمونا لكى نشاهد على شاشة السينما ، ولكى نقرأ فى التقارير البليغة جرائم الجيل الذى كان الجيل السابق علينا يضعه فى مرتبة القديسين . ونمونا بعد ان اكتشف العلم كيفية تدمير الارض برمتها واكتشف المادة النقيضة التى يمكن ان تدمر المادة الكونية وان تفنيها فى نفس الوقت الذى اكتشف فيه الوسائل لضمان مستقبل أبدى للبشرية وللحضارة الانسانية فى الكون بأسره وليس على الارض وحدها . نمونا فى عالم بالغ الضآلة والذعر رغم انه بالغ الثراء والطموح . ولم يكن من الطبيعى ان نظل أسرى الامتنان العميق لمن سبقونا لانهم نقلوا الينا الكثير من المعارف الثمينة والافكار الوضاءة وعلمونا كيف نفكر وكيف تكون لنا آراؤنا الخاصة ، فأغلب الظن ان ماتعلمناه منهم لم يعد يصلح لنا ، ومن الواضح انهم ـ انفسهم ـ غير قانعين بما تعلموه ، فحرى بنا ان لا نقنع بما تعلمناه منهم ، وحرى بنا ان ننظر الى ما علمونا اياه تلك النظرة النقدية التى عرفناها من خلال اقوالهم وليس من خلال ماصنعوه بالفعل .

ليست علاقتنا بهذه الاجيال اذن هى علاقة الابناء بالاباء حسب التكوين الاسرى القبلى ، وانما هى علاقة النقيض مع نقيضه . انها علاقة « وحدة وصراع » طالما ان الزمن جمعنا معا واننا ابناء وطن واحد وأبناء ثقافة واحدة نشكل جميعا تيارها المتصل .

العمل والعلاقات مع مؤسسات النشر والتوزيع

من خلال ماكتبه الزملاء الذين أجابوا على الاسئلة المطروحة ومن خلال تجربتى الشخصية يمكن ان نستشف ملامح المشاكل التالية :

الفقر المادى او **قلة الدخل** بصورة عامة ، الامر الذى يستتبع الانشغال الشديد بمشاكل الرزق ومطالب الحياة اليومية ، علاوة على العجز عن الحصول على المراجع والكتب ومصادر الزاد الثقافى .

العمل او الوضع الوظيفى ، فمعظمنا عمل او مايزال يعمل فى مجالات بعيدة عن اهتمامه ، وحتى من يعمل فى الصحافة مثلا فانه يعانى من سيطرة الطابع الصحفى على انتاجه ، او من تحكم العلاقات العملية على علاقته بأبناء جيله ، وقليل منهم من يرى انه استفاد من عمله الوظيفى فى انتاجه الفنى . وينبغى ان نلاحظ انه نتيجة للايديولوجية غير العلمية السائدة فى مجتمعنا ، ونتيجة لظروف العمل غير الانسانية فى معظم الاحوال فاننا لا نستطيع ان ننظر الى العمل فى حد ذاته كقيمة اجتماعية او انسانية ثمينة .

صعوبة الحصول على الثقافة المتخصصة من ناحية ، وصعوبة الوصول الى الجمهور المتلقى من ناحية اخرى : الاولى بسبب الفقر او عدم اهتمام الاجهزة الثقافية بتوفير مصادر تلك الثقافة بالقدر وبالتنوع الكافيين ، والثانية بسبب الامية المتفشية فى مجتمعنا وهبوط مستوى الدخول بصورة عامة وهبوط مستوى التعليم ، وانفصاله عن المطالب والاحتياجات العقلية والروحية لانسان عصرنا ، وهذه أسباب تؤدى الى قلة الجمهور القارىء . ثم الانحدار العقلى والفكرى لاجهزة الاعلام الجماهيرية وعدم اهتمامها بوظيفة « **التثقيف** » . وتشبثها بوظيفة « **التسلية** » وسيطرة عناصر بيروقراطية ومتخلفة فكريا على مراكز القيادات المتوسطة فى أجهزة النشر والتوزيع ، الامر الذى قد يؤدى الى كثرة ماينشر من أعمال الشباب ، ولكنه يؤدى الى اختيار أسوأ النماذج غالبا من هذه الاعمال ، والنتيجة المنطقية لهذا الوضع هى هروب الموهوبين القادرين اما الى بيروت لينشروا فيها انتاجهم ، واما الى محاولة اقتطاع جزء من قوتهم اليومى لتمويل نشر جزء من هذا الانتاج . . . ويكون هذا على حساب قدرتهم الاصلية على الانتاج .

ظاهرة الشللية التى يشكو منها جيلنا ، والحق ان الاجيال السابقة هى المسئولة غالبا عن تكوين الشلل القادرة على تحقيق مصالح افرادها ومحاربة مصالح الاخرين (وهذا هو منطق الشلة) ، علاوة على ان الشلل القوية غالبا ما تسيطر عن طريق زعمائها على جهاز ثقافى من اجهزة الدولة ، وتستخدم سلطة الدولة نفسها لحماية مصالحها ، ولضرب مصالح الاخرين . وسبب آخر للشللية هو عدم تبلور تجمعات فكرية تستقطب نشاط المنتمين اليها وتستخلص من بينهم اكثرهم نضجا وموهبة لكى تصدرهم كوجوه ممثلة لها . ومرة ثانية نتساءل عن مقدار تأثير افتقارنا الى الحرية الفكرية على ظاهرة الشللية ، علاوة على تأثير هيمنة قيادات متخلفة فكريا او ضعيفة

ثقافيا وفنيا على كثير من مراكز القيادات الثقافية فى أجهزة النشر ومؤسسات الثقافة القومية ، مع هيمنة اعتبارات السوق وحساب الربح والخسارة والاصرار على اعتبار الثقافة سـلعة لابد مـن تتجيرها رغم سيادة أفكار سطحية عن حرية الفنان والابداع الفنى . ان هذه الحرية قد لا تعنى فى مثل هذه الظروف بالنسبة للفنانين الشبان الا حرية ان يتخلوا عن الانتاج الفنى ، او ان يساوموا على مثلهم العليا الفكرية والفنية لكى يضمنوا « بيع » انتاجهم بأسعار تؤمن لهم الحد الادنى من الحياة الكريمة ، او من الاحساس بكرامة الانتاج الفنى فى حد ذاته .

■ ■ ■

"ظاهرة العقاد" لن تتكرر

د . سهير القلماوى

لاشك ان هذا الاستفتاء الذى قامت به مجلة « **الطليعة** » هـو اشـمل استفتاء قرأته فى الموضوع . ولعله يمتاز أيضا بأنه وجـه الاسئلة الرئيسية (من حيث البداية أو العلاقة الاولى بالفن ومن حيث المؤثرات والارتبـاط بالحـاضر والمـاضى ، والارتبـاط بالمجتمع وقضـايا الانسـان) كـل هـذا فى نظـرى يجعـل لهذا الاستفتاء قيمة ، ولكنى لابد ان اسأل على أى أساس أجرى هذا الاستفتاء ؟ كيف جمعت هذه الاسماء وماذا كانت معايير الاختيار . انهم كلهم شبان وكلهم يؤمنون بقضايا المجتمع الصغير والكبير من زاوية مشتركة ، ولكن هل هم كل الشبان الذين يكتبون ؟ .

انى أجد كثرتهم الغالبة من كتاب القصة القصيرة ومنهم قلة روائيون وكتاب مسرح ، بل ان بعض كتاب الرواية والمسرح يكتبون قصة قصيرة ايضا ، وقلة منهم شعراء ، وبعضهم يمارس الرسم أو النحت هواية ، وقلة أيضا نقاد ـ نقاد أدب وهؤلاء أكثر ونقاد سينما وهم أقل . من هنا يبدو تساؤلى عن أساس الاختيار .

ولكن هذا كله لا يقلل من قيمة هذا الاستفتاء ومن جديته وشموله . فانا لا أنكر ان الغالبية العظمى من الشبان الكتاب قد مثلوا فى هذا الاستفتاء .

هذا من ناحية « الطليعة » . أما من ناحية الشبان انفسهم ، فانى ألمح نضجا واضحا يميز المجموعة التى تخطت الثلاثين من المجموعة الاصغر سنا . وألمح هذا النضج خاصة فى علاقتهم بالمجتمع من حولهم وبالجيل السـابق وبالزملاء فى الميدان وفى العمل .

والذى حدانى لان اكتب تعليقا على هذه الدراسة الطيبة أمران : **الاول** خاص بتكوين هذه المجموعة الثقافى ، فانى ألمح فى وضوح اخطارا عامة لابد من تداركها ، واهم هذه الاخطار ان التكوين لايكاد يدخل فى الحساب التراث العربى من أى باب . فاشدهم اهتماما بالتراث قد قرأ نتاج الثلاثينات عند مدرسة مجلة الفجر الأخوين **عبيد وخيرى سعيد وحسين فوزى الخ** . ثم لا شىء تقريبا ابعد من هذا . منهم من ذكر حديث **عيسى بن هشام** ومنهم من ذكر **الف ليلة وليلة** على أنها حواديت . وأنا اسأل هذا الجيل أين ثقافتهم العربية الحقة وهل حتى جماعة « **الهيبيز** » فى انجلترا مع تمردها ورفضها لكل قديم لا تعرف **شكسبير** معرفة قوية وعميقة . هل يمكن أن تحدث احدا من هؤلاء عن **هملت** مثلا فلا يفهمك . ثم حدث اى شاب من شبابنا عن **ابى العلاء** مثلا عن **ابن خلدون** .. أكاد أجزم ان أحدا منهم لم يقرأ قراءة منتظمة شاملة لمفكر عربى واحد يعتبر من قمم تراثنا . وهذا خطير للغاية ، لان الجيل المنبت دائما لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى . ولعل بعضهم لا يفهم حتى هذا المثل .

ان الادب أسلوب تعبير .. طريقة تصـوير للافكار والعواطف .. تقنية معينة يسـتخرجها المعبر من خلال معاناة عملية التعبير . ولكن على أسس من طاقات اللغة التى يستعملها وطاقات ميراثها عبر القرون لا طاقات تميزها من سائر اللغات الخ .

هذا الخطر يصاحبه خطر آخر .. ما الذى استعاض به هؤلاء الشبان عن تراثهم ؟ تراث الغرب ؟ يا ليت ! وانما نتف من هنا ومن هناك اغلبها للاسف ما يتعلق بالفكر السياسى والاقتصادى واقلها ما يتعلق بالفن أو بالادب • والمح ، وأرجو أن أكون مخطئة ، ترداداً لاسماء وكتب يدل ذكرها وطريقة ذكرها انها لمجرد الحلية . او تدل ولعلى مخطئة مرة اخرى ، على ان الشاب قد قرأ « عن » هذا الفيلسوف أو ذاك ولم يقرأ «من» هذا المفكر أو ذاك . ذكر بعضهم **هيجل وكيركجارد** الخ .. ولكن هل مجرد الذكر جاء لارتباط هؤلاء بالفكر الماركسى أم انهم فعلا قرأوا مرجعا واحدا قراءة منهجية عميقة مما الف هيجل أو غيره من الفلاسفة •

اين تكوينهم الثقافى ؟

كذلك ينضم الى هذا خطر التكوين كيفما اتفق • ان « **ظاهرة العقاد** » لا يمكن ان تتكرر لان المناخ الثقافى قد تغير حتى فى زمن **العقاد** نفسه • ولا يمكن لمجرد القراءات ان تكون مثقفا فى الثلث الاخير من القرن العشرين • وهؤلاء الشبان معذورون • كيف يمكن لشاب فى الثانية والعشرين من عمره أو حتى الثامنة والعشرين ان يكون قد تكون ثقافيا ؟ وانا اقدر ذلك . ولكنى المح الخطر فى الاتجاه منذ البداية ، فهل الاتجاه عند ابنائنا سليم من حيث أنه نحو ثقافة جادة . أخشى ما أخشاه ان يكون العكس صحيحا • انها ثقافة خاطفة غير منظمة ويضيف الى خطرها ان غرورا بها يملأ جنبات العقل والفكر وينعكس على الانتاج •

أما الامر الثانى فهو مشكلة علاقة الشبان الكتاب بأجهزة النشر ورعاية الثقافة عامة وعلاقتهم بعد ذلك بزملائهم وبالجيل السابق لهم •

أما العلاقة بأجهزة النشر فانى المح مرارة لا معنى لها ولا أساس لها • هذا أولهم نشرت له دار الكاتب كتابا ومنح منحة تفرغ من وزارة الثقافة وسنه ٢٩ سنة • هل صادف **نجيب محفوظ** مثلا فى مثل سنه هذا التشجيع ؟ قد يكون ما حوله باعثا على السخط ، والسخط مشروع فى سنه ومسلم به ، ولكن السخط لا يصل الى حد التشهير والادعاء • قد تكون معاملة شركة دار الكاتب مثلا قاسية ولكن هل فكر احد فى سبب هذا ؟ هل شعر أحد منهم بالمشكلة والمعاناة التى كان يخوضها كل مسئول عن الشركة ؟ ابدا .

ولمجرد الاستطراد فى هذه النقطة ، لانى اعتبر نفسى مسئولة عنها الى حد ما ، اقول ان ستين انتاجا قدم للنشر بدار الكاتب وبعد دراسة من أكثر من مختص خارج الشركة والمؤسسة لم يجز الخبراء الذين استعانت بهم الشركة أكثر من خمسة أعمال • معنى هذا أن خمسة وخمسين لابد ان يسخطوا ، ولهم حق فى ذلك ما داموا مؤمنين بانفسهم ، ولكنى أخشى أن يقتل ملكاتهم التمادى فى السخط • ان الجيل الجديد ضيق الصدر سرعان ما ينفعل ويندفع نحو التدمير • وقد يدمر نفسه فى سبيل ان يدمر ما ليس قابلا للتدمير • ولذلك لابد من أن يسأل نفسه بكل تواضع لماذا يرفض انتاجى • تصور أن أحدهم قال لى مرة « **أنا قابل رفض انتاجى ولكن ما ذنب القراء ان يحرموا من قراءة قصتى** » ، أو يطالب آخر بحيثيات الرفض لانتاجه ، وفى أول سطوره اغلاط لغوية ونحوية لا يستقيم معها المعنى ، وتحتاج الى ضرب الرمل لتفهم ما يريد •

قد ترفض دار نشر أو لجنة وخبراء انتاجا يكتب له الخلود فيما بعد ، ولكن الخلود لن يكتب له الا اذا صمد صاحبه وعمد الى أن يستفيد من الرفض بأن يكمل نفسه ويسير فى جهاده مع المجتمع فى سبيل تغيير أوضاع لايمكن أن تستمر بالقيم التى تحكمها •

ان الغرور محبب فى الشباب ، ولكن بشرط ألا يدمر نفسه بنفسه • وهنا أعاتب الشباب وأسأل كيف تعلو نبرة الشكوى من النشر وعشرون منهم أى ثلثيهم على الاقل قد وجد فى أجهزة النشر صدرا رحبا والثلث الباقى نصفه ليس عنده ماينشر باعترافه • معنى هذا أن خمسة من ثلاثين لم ينشر لهم فهل عندهم ماينشر ؟

احيانا نجد الانتاج قصائد متفرقة مثلا عند **اسامة الغزولى** • ومع ذلك منها مانشر ومنها مالم ينشر • واحيانا اجد شابا واحدا ممتازا مثل **عبد الحكيم قاسم** اشهد بنفسى أنه لم يجد أى صعوبة فى نشر روايته فى دار الكاتب، ولكنه لايريد أن يعارض تيار الهجوم العام فلا يذكر دار الكاتب حتى بكلمة . له ثلاثة أعمال غير منشورة ومع ذلك فان الذى نشرته له دار الكاتب هو رواية فى مئات الصفحات • والكاتب **صبرى حافظ** سنه ٢٨ عاما وله مائة دراسة منشورة . والكاتب **حسن محسب** دارس جاد ممتاز له ثلاث دراسات منشورة وعنده صفحات فى مجلة الاذاعة والتليفزيون يكتب فيها وكان يكتب بانتظام • والكاتب **عبد العال الحمامصى** ينحى باللائمة على دار الكاتب وقد نشرت له مجموعة قصص ، وكل مالم ينشر له مجموعة أخرى و «دراسات ومذكرات» غير واضح أمرها . وقد يكون على حق فيما يشكو منه من دار الكاتب ، ولكن كما أسلفت لايعرف ماذا كانت تعانى الدار الا من مارس العمل بها • ان الفوضى فى المال والقوى البشرية مازالت تؤرق نومنا ، والاصلاح دائما عسير جدا ولا يمكن أن يتم بين يوم وليلة •

وأنا أقدر أن يثور الشبان على أى عمل أو تصرف ، ولكنى أرجو أن يقدروا وأن يتكاتفوا معنا لا ضدنا لنصلح معا باذن الله • أما مجموعته التى سينشرها على حسابه « وسادة فوق القمر » فانى أرجو له حظا أحسن من حظه مع دار الكاتب فيها • والكتاب الذى طبعته دار الكاتب لم يتفذ بعد ، ومع ذلك فدار الكاتب مستعدة لطبع كتاب آخر له بشرط توفر المستوى • ولعله بعد عام تقريبا سيجد فرقا فى المعاملة ينسيه الماضى اذا أراد •

وهذان شابان « **أحمد الشيخ** » و «**كرم يوسف**» قد وجدا فى جريدة المساء متنفسا بحيث استوعبت الجريدة انتاجهما.وهذا الشاب « **نبيل راغب**» له أثر منشور نشرته دار الكاتب ومسرحيتان وعمل واحد غير منشور • ومع ذلك يزعم وسنه ٢٩ فقط أن دور النشر لا تنشر الا للاسماء المعروفة وهو فى هذه السن له ثلاث أو أربع كتب منشورة •

والشــــاعر الواعد « **جمال الغيطانى** » نشر لحسابه مجموعة قصصية قوبلت بكل تـرحاب ودرست دراسات جادة • وله قصص أخـرى نشرت ، منها مانشر فى الملحق الادبى لاخبار اليوم حيث يعمل الان • وهو لايشكو من اجهزة النشر فلعله لا يجد مايشكو منه ، وأنا أحيى فيه اعتماده على نفسه ، ونشره قصته الاولى أو مجموعته الاولى • ولكنه يصف نادى القصة بأنه ناد محنط • وهنا مسألة فرعية أخرى. لمن نادى القصة ؟ اليس لكل عضو • لماذا لايكون عضوا مع مجموعته ويستعمل النادى وهو ملك الدولة والاعضاء • ان النادى ليس حكرا على احد • وطالما نادينا ، وطالبنا بأن يؤمه من يشاء وبأن يخرجه من التحنيط الى النشاط من يشاء ، ولكن مازلنا فى الانتظار •

ولعل **الغيطانى** من اكثرهم بشرى بالمستقبل ، ومع هذا فهو من أعدلهم حكما على الجيل السابق وعلى اجهزة الدولة ، يرجو لدار الكاتب « أن تفى بمســئوليتها الكبيرة » ويتمنى لهـــا التوفيق • والعجيب أن أكثر هؤلاء الشباب وعدا بمستقبل وأكثرهم دلالة على انتاج متميز هم أكثرهم اعتدالا فى وصف صلتهم بالجيل السابق واعترافهم بدينهم له • وهم أكثرهم اعتدالا فى الحكم على الغير • كذلك الشابين العاملين فى حقل السينما فقد نشرا فى دار الكاتب انتاجا وأفسحت لهما مجلة السينما مجالا وهما لايشكوان من ذلك •

دخلت فى كل هذه التفصيلات لابين أن الشكوى والسخط نغمة جرفت من عنده اسباب لذلك ومن ليس عنده أى سبب • بل جعلت من ليس عندهم سبب للسخط على الجيل السابق أو على أجهزة الثقافة أن يتحرج من التعبير عن ذلك ويلــوذ بالصمت مجاراة للزملاء •

وهذا ماأراه شرا • والاكثر شرا ألا أجد بين هؤلاء الشبان الشعور الواجب نحو بعضــهم البعض • أنهم ثائرون على أنفســـهم ، يتهمون بعضهم بعضا فى هذا الاستفتاء بالانانية ويتهمون بعضهم بعضا بأشد من هذا ، بالتفاهة والانتهازية وغير ذلك من مواقف •

ليسوا تيارا • • ولــكن

ان هؤلاء الشبان لا يمثلون تيارا ، ولا يمكن أن يمثلوا تيارا فى هذه السن المبكرة من انتاجهم • وهم ولاشك سيدمرون أنفسهم اذا استمروا فى الثورة والسخط دون أى تخطيط لما يريدون تحقيقه بواسطة الثورة والسخط • وأرى من واجب جيلنا ان يجتمع بهؤلاء الشبان ،ولتكن دعوة الى مؤتمر او حلقة دراسية ليسمع بعضنا بعضا ويناقش بعضنا بعضا لانهم فى أعناقنا مسئولية مستقبل الادب فى مصر، ولا يمكن أن نتخلى عن هذه المسئولية . ان نجاحهم ليس لهم وحدهم وانما نجاحهم نجاحنا ولن نرضى لانفسنا بالفشل • انهم اذا دمـروا أنفسهم أفقدوا أدبنا استمرار الحياة وهذا يفضى الى الموت •

لذلك أرجو ان تدعــو « الطليعـــة » و « المؤسسة العامة للتأليف » مستعدة ان تشارك بكل امكانياتها فى سبيل دراسات متتابعة لانتاج هذا الجيل حتى نحميه من شرورنا ومن شرور نفسه ومن شرور الجيل السابق والاجهزة الرسمية ومن شرور اخوانه

ان الشىء الوحيد الذى اتفق فيه كل الشبان هو موقفهم من قضايا المجتمع وقضايا العالم • وهذه بادرة طيبة أن نحس أن هموم العالم بأسره مترابطة ترجع فى جذورها الى أسباب واحدة ، والشباب يحس هذا ويدركه ويحمل هموم العالم كما يتحمل همومه الخاصة • هناك اذن نقاط التقاء جوهرية • هناك قضايا نقر من بها جميعا • هناك أسلوب حل للقضايا نتفق فى عمومياته وان اختلفنا فـى الجزئيات • كل هذه فى نظرى أرضية طيبة يمكن أن يتلاقى فوقها الجيلان ليعملا معا .بل ليثورا معا فمن تخلف عن الثورة والتصميم على التغيير شابا كان أو كهلا فهو ليس منا . اننا لابد أن ننقى الجو من الشعارات الزائفة ومن الانتهازية الخـانقة لتتضح لنا الرؤية • لابد أن نعرف بشجاعة منذا الذى يجب أن نهاجمه ، ولماذا • فاذا جبنا عن أن نهاجم العدو الحقيقى فلا أقل من ان نعترف بالجبن فلا نلقى بالحمم والنيران على بعضنا البعض لاننا عاجزون عن مهاجمة من يستحق المهاجمة منا جميعا •

وفى ختام تعليقى مازلت أكرر أن علينا جميعا أن نلتقى ، وأن نتـــدارس ، وأن ننــــاقش ، وأن نخرج (مختلفين أو متفقين سيان) ولكن أن نخرج عارفين ماذا نريد وراسمين طريقا ما للوصول الى مانريد · وأكرر مبدئيا دعوة المؤسسة الى حلقة دراسية أو مؤتمر للشباب نناقش فيه المشاكل مناقشة قد لا تتسع لها صفحات الجرائد أو المجلات مهما رحبت به ·

■ ■ ■

هـــذا الجيـــل: إعصـــار حقيـــقى أم زوبعــة فى فنــجان؟

د. لويس عـــوض

سأحاول أن أكون موجزا فى التعليق على هذا الاستفتاء الادبى الذى قامت به مجلة « **الطليعــة** » بين الادباء الشبان لاستخراج مايدور فى انفسهم من عوامل القلق أو الاحتجاج أو السخط ، ولمعرفة ما يدعون اليه من أفكار جديدة ولتحديد علاقتهم بالاجيال المختلفة وبالسلطة على حد سواء ·

وأعتقد أنه يمكن تبويب هؤلاء الادباء الشبان تبويبا أوليا الى ثلاث فئات :

١ ـ **قلة قليلة جدا** مجردة من الاخلاق · وتتمثل لا أخلاقيتها فى بعض الاستجابات الدالة على الانحراف الخلقى والنفسى كالعقوق مثلا وعض الايدى التى تمتد لمساعدتها وتنمية مـواهبها واظهارها على الملأ . ومن هؤلاء تلك الفئة التى تهجمت على وزارة الثقافة رغم أن وزارة الثقافة قد أتاحت لها من خلال مؤسسات النشر ولجنة التفرغ سنوات من الرزق المتصل الموفور دون قيد أو شرط الا أن يفرغ هؤلاء الشبان الى القراءة والتأمل والتجربة والانتاج · فهذه القلة القليلة من الشبان تتصف بالجحود والبجاحة · واعتقادى أن النزاهة العقلية على الاقل هى أول سمة من سمات الفنان · ولذا فانى أخشى أن يكون فن هذه الفئة وفكرها مهما بدا طريفا وواعدا كما يقولون أن يكون نابعا لا من طبيعة فنية أصيلة ولكن من مهارات الحواة · وهؤلاء سرعان ما ينضبون بعد أن يفرغوا القليل الذى لديهم ، ثم يتحولون الى عبء على الحركة الادبية وينحولون الى حرب ، حتى على جيلهم نفسه ·

٢ ـ **وهناك ايضا** قلة قليلة من هؤلاء الشبان لا يسيئون الى أحد بالذات ، ولكنك تلمح من الطريقة التى يوزعون بها البسمات والتحيات هنا وهناك انهم انتهازيون مدربون ·· ولكن هؤلاء أقل خطرا من الفئة الاولى لانهم مداحون لا شتامون ، وطالب الرزق بالنفاق أهون ضررا من طـالب الرزق بالبلطجة ·

٣ ـ **الكثرة الكثيرة** من الادباء الشبان ، أقول نحو ثمانين فى المائة منهم بالفعل متماسكون ، ويحاولون فى اخلاص التعبير عن مشاكل يحسون بها وان كانوا فى كثير من الاحيان لا يفصحون تماما عما يريدونه بالسلب أو بالايجاب من مقومات الادب والفن ، وهؤلاء يجب أن نأخذ أقوالهم مأخذ الجد ونحاول أن نجيد الاستماع اليهم وأن نتعاون معهم لبلوغ فهم لهذه المشاكل التى تؤرقهم أولا ثم لايجاد حلول لهذه المشاكل ·

ماهى ثقافة هذا الجيل ؟

فحديثى الان موجه الى هذه الفئة الثالثة وحدها ·

● فلننظر اذن الى أقوال هؤلاء الشبان وسنجد أنه يعبر عن مجموعتين من الاشياء :

١ ـ **يعبر عن** موقف هذا الذى يسمونه الجديد من ذاك الذى يسمونه القديم ·

٢ ـ **وهو يعبر عن** بعض المعتقدات الاساسية والاشواق وعوامل القلق التى يحس بها جيل الشبان ·

● **أما عن موقفهم مما يسمونه القديم فلى عليه** بعض الملاحظات : حين يتحدثون عن القديم يذكرون بصفة أساسية **نجيب محفوظ** فى الرواية ، **ويوسف ادريس ونعمان عاشور وسعد الدين وهبــة والفريد فرج** فى المسرح · ثم يذكرون من باب الادب **توفيق الحكيم ويحى حقى** غالبا احتراما لسنهما ، أو تقديرا لتشجيعهما على المستوى الشخصى · ولكنهم يركزون على الجيل الاوسط فى كل مايقدمون من اعتراضات أو تململات أو اعترافات بالتلمذة ·

● **ويبدو** أن معاصرى نجيب محفوظ مــن الروائيين أو كتاب القصة القصيرة أو الشعراء

غير موجودين بتاتا فى أفق هؤلاء الشبان أو فى وجدانهم • يبدو أن احسان عبد القدوس ويوسف السباعى وفتحى غانم وعبد الحليم عبد الله ومحمود البدوى وآمين غراب وابراهيم الوردانى فى باب القصة غير موجودين بالنسبة لهؤلاء الشبان • ولا أدرى ان كان هذا الاغفال رأيا وموقفا أم مجرد عدم التفات . فاذا كان القديم عند هؤلاء الشبان هو مجرد نجيب محفوظ ويوسف ادريس (وهما عندى جيلان مختلفان) فلست افهم لماذا أغفل هؤلاء الادباء الشبان الكلام عن يوسف الشارونى وشكرى عياد رغم أنهما من معاصرى يوسف ادريس ولا يقلان عنه اجتهادا فى تجديد فنية القصة المصرية ، كل حسب المدرسة التى ينتمى اليها • بل ان عجبى يشتد حينما أحس أن بعض ما أقرأ للادباء الشبان هو الامتداد الطبيعى لمنهج يوسف الشارونى • واحساسى العام أنهم بعيدون كل البعد عن طبيعة يوسف ادريس الفنية والنفسية ، لان يوسف ادريس عندى هو الغابة بكل ما تحتويه من ظلام ومجهولات وديناصورات ووحوش من وحوش ما قبل الطوفان ، بينما يوسف الشارونى يمثل عندى نوعا من الزواج الغريب بين « العقل الفنى » و « تفتيت اللحظة النفسية » و « انضباط الفنان الواعى » وهذا ما نلمحه فى انتاج كثير من الادباء الشبان •

● فوجه الغرابة اذن هو أن تقف ثقافة هؤلاء الشبان الفنية عند نجيب محفوظ ويوسف ادريس • ومنهم من يعترف صراحة أنه لم يقرأ شيئا لطه حسين أو العقاد ، وضمنا لهيكل والمازنى وسلامة موسى وعلى عبد الرازق وابراهيم المصرى والمنفلوطى • دعك من شوقى وحافظ ومطران وناجى وشعراء المهجر • وقد جرت العادة أن الشاب الذى يهب نفسه للادب منذ الصبا لا يعرف هذا التخصص أو التحديد الا فى مرحلة متأخرة ، فأبناء جيلى مثلا كانوا يقرأون فى العلم والفن والفلسفة والتاريخ من ناحية ، ويقرأون الادب العربى والاداب الاوروبية ، شعرا ونثرا ، ولا يقيمون حواجز بين ابن الرومى وألف ليلة وليلة ، أو بين بوكاشيو و ت • س • اليوت • أما أن تتحدد خبرات الاديب فى جيل واحد ، بل فى فن واحد ، بل فى كاتب واحد هو نجيب محفوظ ، فهذا هو موضع العجب • حتى محمد مندور وخالد محمد خالد وهما معاصران لنجيب محفوظ لم يذكر أحد أنه قرأ لهما شيئا أو تعلم منهما شيئا ، وقد كانا فى يوم من الايام ملء السمع والبصر • وقد كنت أؤثر لهم أن يقرأوا معاصرى نجيب محفوظ ثم يرفضونهم حتى يصبح لرفضهم معنى ، حتى من يصمونهم منهم بالرجعية ، كان ينبغى أن يطلعوا على آثار مفكرى اليمين وأدبائه قبل الاعتراض عليهم •

● كذلك الشعر يبدأ عندهم بالسياب والبياتى وعبد الصبور (أنا لا أعرف لماذا سقط الشرقاوى عندهم من قعر القفة ؟) كان شيئا لم يحدث قبل ذلك . ولست أشك فى أن بعض هؤلاء الشبان منصف العقل والقلب ان من ليس له قديم ليس له جديد ، وانهم يحاولون الاستفادة من ولكنهم قد حاولوا الاستفادة من القدماء ، القدماء ، ولكنى أحس احساسا واضحا انهم مقتنعون بذلك اقتناعا ميتافيزيقيا أشبه شىء بمعتقدات السحر ، وهذا يجعل من الماضى الادبى كله « مغاليق » مقدسة لا يجترىء أحد على فضها أو الاقتراب منها •

● ويشكو البعض من عدم تحقق اللقاء بين الاجيال المختلفة • ويبدو أنهم يفكرون فى اللقاءات الشخصية . وهذا مؤسف حقا ، ولكن له اسبابا موضوعية لان نوادينا الادبية والفنية للاسف الشديد قد ضمرت أو خرجت عن رسالتها بحيث جعلت من أعسر العسير على أديب أو فنان يحترم وقته وصحته النفسية أن يتردد عليها . وقد جرى العرف أن أخصب مكان تلتقى فيه الاجيال هو الجامعات • وأنا لا أعرف شيئا كثيرا عما يدور داخل جامعاتنا لبعدى عنها • ثم الصالونات الادبية ، ولكن حياتنا الاجتماعية قد تطورت فى اتجاه يجعل من أعسر العسير الابقاء على هذا التقليد الذى عرفناه فى صالون مى وصالون العقاد وصالون طه حسين .. الخ ، وربما كان استشراء الشلل الذى يشكو منه بعض الشبان نتيجة انقراض الصالونات الادبية التى يجتمع فيها الرائد وحواريوه أو زملاؤه فى المدرسة الادبية ، فأصبح التجمع يتم فى القهوة أو فى النادى أو فى الاماكن الخاصة ، ولكن على مصلحة خاصة وليس على فكرة عامة •

ماهو القديم والجديد ؟

● وقد حاولت أن أضع يدى على بعض المعانى المحددة التى يعترض فيها الادباء الشبان على أصحاب « القديم » أو يعبرون فيها عن دعوتهم الى « الجديد » • وللاسف لم أوفق الى شىء كثير غير الاعتراض العام أو الدعوة للمبادىء العامة التى يلتقى عليها الكثيرون من أبناء الاجيال المتعاقبة كالايمان بالانسان أو الايمان بحرية التعبير •

● وهناك من الادباء الشبان من يرفض كل النقاد مثلا • وهذا رأى يمكن أن يكون موضع اعتبار ، وهو فى جميع الاحوال من حق صاحب هذا الرأى ، ولكنى بوصفى ناقدا كنت أحب فى هذا الناقد الشاب الرافض لكل نقد سبقه أن يعلمنى كيف يكون النقد ، فيقول لى : النقد يكتب هكذا ولا يكتب هكذا ، وأن يعلم رشاد رشدى نفس الامر ، وأن يتصدى لمنهج محمد مندور بالتحليل والتقييم ، فان كان يضيق بجيلنا أو يرى فيه مضيعة للوقت فليفعل هذا بجيل القط والراعى والعالم ، فان كان

من رافضة هذا الجيل أيضا فليتناول بالحجة جيل غالى شكرى ورجاء النقاش ومحيى الدين محمد مثلا · وينتهى من كل ذلك وغيره الى الرفض الشامل المسبب ، المبنى على حيثيات واضحة يمكن أن يشاركه الناس فى الاقتناع بها ، وأن يرسى فى الوقت نفسه معالم منهجه الجديد أو نظريته الجديدة · هذا فى رأيى أجدى لنا وللقراء ولرسالته الادبية الخاصة · أما اجمال القول بأن كل ما هنالك مرفوض شكلا وموضوعا دون ابداء الاسباب ، فلا أعتقد أن هذا يدخل فى باب النقد ، وانما هو مجرد حالة نفسية يعانى منها صاحب هذا الرأى أو لعل له فيه مآرب أخرى ·

وددت لو تعلمت منهم

● كذلك يشكو البعض من أن أصحاب « القديم » ينتمون الى عصر مضى وانقضى ، والى قيم فكرية واجتماعية وفنية مضت وانقضت دون أن يتنازل فيحدد لنا ما هذه القيم التى مضت وانقضت وما هى القيم الجديدة التى يعتقد أن جيل الشبان يعتنقونها ويدعون لها : أهى الفكرة الليبرالية مثلا ؟ أهى الفكرة الاشتراكية مثلا ؟ أهى الفكرة القومية مثلا ؟ أهى الايمان بالسلف ؟ أهى الايمان بالمستقبل ؟ كل هذه الاشياء يجب أن تبين تفصيلا فى عريضة الاتهام حتى يمكن للمتهم أن يدافع عن نفسه أو أن يعترف بأنه مذنب · أما القاء التهم جزافا على هذا الوجه ، فهو بمثابة قول قائل : هؤلاء القوم جناه فاشنقوهم · ولعلى شخصيا قد أثبت فى أكثر من مناسبة قدرتى على التعلم ورغبتى فيه . ولعل آخر محاولة لى فى هذا الاتجاه هو اجتهادى فى أن أعرف ما يدور فى نفوس شباب أوروبا وأمريكا من قلق حضارى يعبر عن نفسه فى حركات الهيبز والخنافس وغيرها من الحركات الجديدة · وربما لو أقدم بعض الادباء الشبان على الافصاح عما يدعون له من قيم جديدة فقد نتعلم منهم الشىء الكثير · مثلا ، أنا تعلمت من قول القائل فى الاستفتاء أن شباب هذا الجيل فى مصر يحسون بالعزلة وكأنهم جزر منفصلة ومتجاورة · وهذا الاحساس احساس لم أصادفه فى شاعر من الشعراء بمثل هذا الوضوح ،منذ ان قرأت فى ماثيو آرنولد الشاعر الانجليزى أيام القرن التاسع عشر قصيدته « الى مرجريت » التى تبدأ « **أجل ! أننا فى بحر الحياة محصورون كالجزر تفصل ما بيننا مضايق ذات رياح كثيره الاصداء ، فقط نحن فى خضمبلا ساحل ، نحنالملايين الفانية نعيش وحيدين** » . وأعتقد أن التعبير عن هذا الشعور يمكن أن يخرج منه أدب جديد ، وهو غير الاحساس بالضياع ، وهو غير الاحساس باليأس ، الى آخره ، فهذه كلها طبقات فى الجحيم · فهل هذا الجيل الجديد جيل معذب فعلا ، أم انه مجرد قلق بيولوجى من ذلك القلق الذىيجعل الابناءيثورون على الاباء بمجرد أن يخضر شاربهم وتظهر فيهم علامات الذكورة · اننا لن نستطيع ، ولا هم بمستطيعين أن يصلوا الى نتيجةفىهذا الموضوع الا من خلال ما يقدمونه من تجارب فى الادب والفن

■ ■ ■

عناد "كورديليا" وحكمة الملك "لير"

د. على الراعى

قال الملك « **لير** » لابنته « **كورديليا** » ، وقد ابت أن تتملق غروره وتسمعه ما تطرب له اذنه من مديح :

— لا شىء يأتى من لا شىء .. تكلمى ثانية .

غير ان البنت المخلصة ، المربوطة اللسان اصرت على الا ترضى غرور الشيخ الاحمق ، الطيب ، الذى هو بعض منها ..

قالت فى اصرار : لا شىء ، يا مولاى .. !

حاولت جاهدا ، وانا اعاين هذه القطع الحيةمن نفوس ادباء الشباب وارواحهم التى وفرتها لى اسئلة هذا الاستجواب واجوبته ان أبعد جانبا صورة المواجهة بين لير وكورديليا ، فلم افلح ...

وربما لان موقف الملك الشيخ من ابنته وموقف البنت منه ، فيهما شىء مما نجده فى هذا الاحتشاد والمواجهة بين ادباء الشباب ، وادباء الشيوخ .

ان كورديليا كانت تبشر باسلوب جديد فى معاملة الناس للناس • اسلوب يقوم على الاعتراف بانسانية الانسان ، ويرفض الوصاية المستندة على مجرد السلطة ، ويطلب ان يكون الاحترام نتيجة لعمل ، وليس ارثا ، او وقفا او وظيفة .

وهذا مايطالب به ادباء الشباب ، او المخلصون منهم على الاقل •

غير ان البنت تورطت فى شطط واضح ، حين الحت على موقفها السلبى من اختيها ومن ابيها • عبرت بالتنصل التام عن احتقارها للماضى ، ولم تقدم للحاضر ما يكفى لانقاذ الموقف ، فهيأت الفرصة بهذا لانتصار الماضى ، وهزيمة ما تدعو اليه من قيم •

ذلك ان الشيخ على حمقه وتهوره قد وضع يده على قلب الحقيقة حين قال :

— لا شىء يأتى من لا شىء • • تكلمى ثانية • • !

الجدة والعصرية = الاتصال بالماضى

وبودى لو قلت انا القول ذاته لادباء الشباب الذين يرددون فى خيلاء من واجه العدسة وتهيأ للقطة الفوتوغرافية :

— نحن نتاج لنفسنـــا ، لافضل لاحد علينا

ومن يقولون :

— لا ماضى بالنسبة لنا • • الكل اشباح .

فليس صحيحا ان جيلا من الكتاب يمكن ان يولد من العدم • حتى بنات الشوك فى الصـــحراء لاينبت دون بخار الماء • والذين يخيل اليهم انهم نتاج انفسهم وحسب لايعلمون انهم تغذوا غذاء غير منظور اطلقه من حولهم اناس لايعرفونهم ، او لايعترفون بهم •

على انه لو صح انهم نبت شيطانى لم يزرعه احد ، لكان هذا فالاسيئا • • معناه البعيد : انه لن يقدر لهم بقاء •

ومعناه الاقرب : انهم فى واقع الامر غيـــر معاصرين — غير جدد • فان الجدة والعصرية تعنيان تمام الاتسام بالماضى ، وليس تمام الانفصام عنه •

وليست الجدة زيا جديدا يرتدى : ولا علاقة لها باوراق النتيجة اليومية ، اننا نقـــرا الى اليوم مسرحيات كاتب عصرى اســـمه « يوربيدس » الذى عاش قبل اربعة وعشرين قرنا تقريبا ، بينما اندثرت اعمـــال مـــن تـــلاه بقـــرون • عاش « يوربيديس » لان فـــكره كان متقـــدما فى زمانه ، ولانه ارتبط بالاعمق والاهم من قضايا الانسان ، فضمن له هذا طول البقاء •

واتخلى بسرعة عن هذه البديهيات لالتفت الى اجوبة الاستفتاء فان فيها من النقد الذاتى لحركة الادباء الشباب قدر ما فيها — ان لم يزد — من نقد للادباء الشيوخ .

فيها قول « **عز الدين نجيب** » : ان ثورة الشبان على الشيوخ هى تمثيلية تجرى حوادثها على الورق فقط ، وان هناك نوعا من الاتفاق الضمنى بين الشيوخ والشبان على الا تتعدى الثورة حدود الصراخ ، وبهذا يبقى القديم على قدمه ، ويستمتع الجديد بلذة الثورة التى لا تجر عليه الخطر ، ولا تحرمه الميزات •

وقول « **صبرى حافظ** » : ان الكثير من الادباء الشبان لا يعرفون ماذا يريدون ، ولا يقرأون او حتى يعيشون • • وان المرء يصدم بضحالة خبرتهم وعقم ثقافتهم وبنضوب موهبتهم ، وبانبهارهم ببعض الجمل والالاعيب التكنيكية الفارغة .

وقول « **زهير الشايب** » : ان الادباء الجدد يمارسون نوعا من الارهاب ضد اجهزة النشر الرسمية ، فيضطر المشرفون عليها الى نشر اعمال لا يرضون عنها ، خوفا من ان يتهموا بمعاداة التجديد •

وفى هذه الاجوبة ايضا نواح كثيرة ايجابية :
فيها قول « عبد الحكيم قاسم » : اننى لا اعتقد اننى شىء مغاير لجوهر طه حسين او توفيق الحكيم او نجيب محفوظ او يوسف ادريس ، او يحيى حقى ، اننى امتداد لهؤلاء ، مصنوع منهم ، احملهم فى دمى ، اختلف عنهم طبعا ، ولكنى لست جوهرا مغايرا .

وفيها قول « **رضوى عاشور** » : ان جزءا من السبب الذى يحول بين اعمال الشباب ، وبين الوصول الى الجماهير العريضة يرجع الى ان هذه الاعمال معقدة فنيا فى الوقت الذى تنطوى فيه على محتويات ومواقف جماهيرية فى جوهرها •

وقولها : ان الجيل السابق لم يتجمد ، وهو مايزال يعبر عن نفسه بطرق جديدة •

ومطالبتها بأن ينظم حوار مثمر وخـــلاق بين

الاجيال الادبية المختلفة على شكل نـدوات ومناقشات تستهدف تبادل وجهات النظر والافادة من خبرات الاجيال السابقة ٠

وفي الاجوبة ايضا اقتراحات بناءة : مثـل مطالبة « **ضياء الشرقاوى** » بان تقوم دار الادباء بدور اكثر فاعلية فى جمع شمل الادباء بكافة اجيالهم ، وتوفير عناصر ثقافة اكثر شمولا بتضمين الدار قاعة لعرض نماذج للفن التشكيلى ، وانشاء قاعة للموسيقى بها وتدعيم المكتبة ٠

ومثل شعور الكثير من الادباء الجدد بأن فنهم **لا** يمكن ان يحيا بعيدا عن وحدة عضوية مع باقى الفنـون ـ مسرح وسينمـا ونحت وتصـوير وموسيقى ٠٠ الخ ٠ وهى ميزة واضحة تحسب لهم ، وان كان ينبغى القول بانها ارث ورثوه عن جهود العاملين فى مختلف المجالات الثقافية من افراد الاجيال الماضية : « **حسين فوزى** » فى حقل التبشير بالموسيقى ، « **مختار** » فى النحت « **توفيق الحكيم** » فى المسرح ٠٠ الخ ٠٠

والمتأمل فى النواحى الاخرى للصورة التى ترسمها الاجوبة يجد ناحية مشرقة اشراقا لا يلحقه ظلام من اية ناحية ، تلك هى ان الادباء الجدد يتنفسون قضية الالتزام تنفسا ، وتنبض بها قلوبهم نبضا طبيعيا ، ولا يفكرون فيها ـ حين يفكرون ـ الا على انها امر طبيعى ، كالدم الذى يجرى فى عروقهم سواء بسواء ٠

ذهب العهد الذى كان فيه السؤال المطروح هو : التزام او « حرية » ، واصبح السؤال الان هو : كيف نعمق مفهوم الالتزام ونزيد من فاعليته ، ونوسع من رقعته ؟

اصبح الحديث عن الوطن يشمل ايضا الحديث عن المنطقة التى يقع فيها الوطن ، وعن العالم الفسيح من بعد ٠

واصبحت الوطنية اقتصـادا ، وعلما ، الى جانب حماس الكلمات ، وروعة الاحلام ٠

وهذه ايضا ميزة واضحة للجيل الجديد ٠

من أجل الاعتراف بهم

وبعد : فانى ارى المشكلة التى يثيرها هذا الاستجواب ،وتوضحها الاجابات عن اسئلته تتلخص فى نقطتين رئيسيتين :

● **ان جديدا قد ولد فى حقل الادب ، وان هذا** الجديد يزعق طالبا الاعتراف ٠

● **ان ثمة معوقات كثيرة** تحول بين الوليد وبين ان يتبناه اعداد كبيرة من الناس ، على رأس هذه المعوقات جميعا ان الاعتراف بالوليد لم يتم بعد ٠

ولى مقترحات تهدف الى تسهيل الاعتـراف بالادب الجديد ، وتضع هذا الاعتراف على قواعد واضحة تتخلص قدر الطاقة من الاسباب غير الموضوعية للرفض او القبول :

● **اول هذه المقترحات** انشاء لجنة جديدة تتفرع عن المجلس الاعلى للفنـون والاداب تسمى : «**لجنة رعاية المواهب الجديدة**» على ان تشكل من دارسى ونقاد الادب والفن ،غير المشتغلين بالانتاج ، وبشرط ان يكونوا من العاطفين على الحركات الجديدة فى هذه الميادين ، او فى القليل ان يكونوا من غير المعادين لها ابتداء ٠

وتكون مهمة هذه اللجنة تتبع الانتاج الجديد ، وقراءته وتقييمه ، وترشيحه للنشر او الاذاعة بين الناس بمختلف الوسائل بحيث تكون قراراتها ، او توصياتها ملزمة للجهات التنفيذية ٠

وليس من العسير ـ فى هذا الصدد ـ توفير الاموال اللازمة للانفاق على النشر ، فان الامر كله لن يتعدى بضعة آلاف الجنيهات يمكن ان تقتطع من نفقات احدى المسرحيات او احد الافلام دون خسارة تذكر للانتاج الفنى ٠

● **ثم اقترح** زيادة منح التفـرغ للمـواهب الجديدة فى كافة الميادين ولو ادى الامر الى انفاق ميزانية التفرغ كلها على هذه الفئة وحدها ٠

● **ثم تخصيص** اقسام لادب وفن الشبان فى الصحف والمجلات الرسمية والاخرى التى تتبع الاتحاد الاشتراكى ٠ وكذلك افساح المجال الواضح للشباب فى برامج الاذاعة والتليفزيون ٠

● **وارى اقامة** مهرجان سنوى لاعمال الشباب فى كل مجالات الادب والفن ، يفتتح رسميا ، على النطاق الحكومى والنطاق الشعبى ٠

● **ومن المفيد** ـ وقد تعالت الصيحات بان النقد عندنا لايقوم بواجباته ـ النظر فى تخصيص مجلة للنقد الادبى والفنى من بين المجلات التى تصدرها الدولة ، على ان تفسح هى الاخرى المجال لنقد اعمال الشباب ٠

● **واخيرا** اقترح ان يوفد عدد كاف من الشباب ضمن كل وفـــد فنى أو ثقافى توفده بلادنا ، ولا يقتصر الامر ــ كما هو حادث الان ــ على الاسماء المعروفة ٠

وانى لاعتقد ان الاخذ بهذه المقترحات ، مع ماقد يتقدم به غيرى من مقترحات اخرى ، خليق بأن يساعد على تبديد ازمة الثقة التى تكتنف الحقل الادبى الان ، وتحول دون سهولة جريان التيارات الصحية فيه بين الشباب والشيوخ وبالعكس .

اذ ذاك تتخلى كورديليا عن عنادها ويصبح لين اكثر حكمة ٠٠ !

■ ■ ■

الجيــــل الجـــديـد .. بــيــن الرفـــض والانتماء

د . لطيفة الزيات

ترتكز الدراسة الادبية عادة على مجالات ثلاثة ، يعرض فيها الاول لعلاقة الكاتب بعمله الفنى ، والثانى لعلاقة الكاتب بالعالم الخارجى ، والثالث لعلاقة الكاتب بالقارىء . والمجالات الثلاثة تلقى الضوء بعضها على الاخر وتنبع فى تناسق كامل بعضها من الاخر ، وتساعد والامر كذلك على تحديد موقف الكاتب ٠ فالكاتب يصدر عــادة ، سواء عن وعى أو عن لا وعى ، عن موقف محدد هو الذى يفرض فى مرحلة زمنية معينة نوعية علاقته بالعمل الفنى الذى يمارسه ، وبالعالم الخارجى والقارىء ٠

فالكاتب الذى يعتبر العمل الفنى مجرد تعبير عن الذات يصدر عن موقف يختلف عن موقف الكاتب الذى يضفى على العمل الفنى وظيفة اجتماعية ما ، وموقف الاول من العالم الخارجى ومن القارىء يختلف قطعا عن موقف الثانى ، وأهمية العمل الخارجى وكذلك أهمية القارىء تتضاءل بالنسبة للاول بينما تتضخم بالنسبة للثانى ٠

والدراسة التى نحن بصددها تركز على المجالين الاول والثانى ، أى على علاقة الكاتب بعمله الفنى وبالعالم الخارجى بينما تهمل أو تكاد علاقة الكاتب بالقارىء ، رغم حيوية المجال الاخير وأهميته فى تحديد اتجاهات هذا الجيل من الكتاب ، لانه قطعا جيل لا يمثل اتجاها موحدا ٠ غيــر أن بعض المشتركين فى الدراسة ممن يبدون اهتمــاما بالوظيفة الاجتماعية للادب قد تعرضوا ، دون دعوة ، لابداء الرأى فى طبيعة هذه العلاقة ٠ وهذا القصور لايخل بحال بأهمية هذه الدراسة ، وبمدى المجهود الذى بذل فيها سواء من جانب القائمين عليها او من تفضلوا من الكتاب الشبان بالمساهمة فيها . وقد استطاعت الدراسة أن تلم بعدد من الكتاب يمثل تمثيلا صحيحا جيلا متكاملا يمارس الكتابة فى مجالات الخلق والنقد ٠ فمن بين الواحد والثلاثين كاتبا الذين اشتركوا فى الدراسة ، تنتمى الغالبية العظمى الى الجيل الذى يتراوح عمره بيــن الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين ٠ ومن بين هؤلاء الكتاب الذين يمثلون أوجه الخلق والنقد معا كتاب للقصة القصيرة والرواية والمسرحية والشعر ، والنقد الادبى والتشكيلى والسينمائى ٠ ومن بين هؤلاء الكتاب من توصل الى النشر ومن لم يتوصل ، ومن وطد أقدامه فى الحقل الذى يمارس فيه نشاطه ، ومن لم يكتب له بعد أن يفعل ، ومنهم الممتاز الذى أثبت قدرته على تقديم الجديد ، ومنهم الذى يمر بمرحلة التشكيل ولم يبلغ بعد طور النضوج الفنى ، ومنهم أيضا من لن يأت أبدا بجديد ٠

الــكتابة ٠٠ لماذا ؟

ومن ثم فنحن ازاء مجموعة من الكتاب تتوفر فيها كل الصفات التى تجعلها ممثلة أصدق تمثيل لجيل متكامل من الكتاب ، ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة ٠

وتسهيلا للامر : سأحاول وأنا أتجاوز الشكل الى الموضوع ، أن أدرج تعليقى فى المجــالين السابق الاشارة اليهما وهما علاقة الفنان أو الناقد بعمله ، وعلاقته بالعالم الخارجى الذى يعيش فيه ، ثم أورد بعد ذلك ما يعن لى من ملاحظات ٠

وفى المجال الاول : أى مجال علاقة الكاتب بعمله لا تتطرق الاجوبة الى نظرة الكاتب الى طبيعة هذا العمل ، وعما اذا كان العمل الفنى بالنسبة الى الكاتب مجرد تعبير أم بناء موضوعى ، الهام أم موهبة بالاضافة الى الصنعة ، معاناة أم مجرد حرفية ، بل أن معظم الاجابات لا تتناول حتى الدوافع التى دفعت الكاتب الى الكتابة ، وتقتصر على الفترة الزمنية التى بدأ فيها الاهتمام بالفن المعين والتى بدأ فيها الانتاج الفعلى لهذا الفن . وهذا هو الفهم السائد فى معظم الاجوبة لعلاقة الفنان بعمله ، أو حتى علاقة الناقد بعمله ، ومن ثم فنحن لا نخرج بشىء محدود مباشر عن مفهوم هؤلاء الكتاب للادب أو للنقد ، وان كنا نملك أن نخرج بهذا المفهوم بطريق غير مباشر من مجمل الاجابات ، لان المجالين اللذين تطرقهما الدراسة متصلان أوثق الاتصال كما سبق وأشرت .

ومعظم الكتاب هنا كتبوا فى سن مبكرة . واذا تجاوزنا عن مبالغة « **بدر توفيق** » الذى يقول أن اهتمامه بالشعر بدأ مع ميلاده وعن بعض المبالغات الاخرى ، لاستطعنا أن نقول أن الاهتمام بالتعبير بدأ مع الاكثرية من هؤلاء الكتاب فى سن المراهقة . ونحن لا نتلقى تفسيرا عند معظم الكتاب عن سبب هذه البدايات المبكرة ، ولكننا نستطيع أن نتوصل الى التفسير .

ففى فترة المراهقة ترتطم الصورة المثالية التى كونهـا المراهق عن الحيـاة بواقع الحيـاة ، يصطدم الوهم بالخيال ، وما ينبغى أن يكون بما هو كائن . ويبلغ التناقض بين الصورتين مداه عند المراهق ، ويشكل الدافع الى الابداع عند من يتمتع بالموهبة أو بالخيال . ومن منا لم يحاول أن يعبر عن أزمته وهو مراهق ؟ ! والانسان يتخاصم عادة مع الحياة نتيجة لهذا التناقض ، ويشعر بالتالى بالاختلاف عن الاخرين نتيجة لهذا التخاصم ، وبالحاجة الملحة الى كسر وحدته وعزلته بايصال رؤيته أو اكتشافه للاخرين ، أو حتى بفرض رؤيته على الاخرين . وهو حين يفعل لا يتصالح ، ولا يتراجع ولا يحاول أن يتشابه ، وانما هو يأمل أن يكسب الى جانب اختلافه أكبر عدد من الاخرين ، وأن ينتمى نتيجة لهذا الكسب .

وهذا التخاصم العنيف مع الحياة ، هذا الادراك الذى ينطوى على شعور بأن الاشياء تهتز أمامنا ، وأن لا شىء يسير كما ينبغى أن يسير عليه ، وان الحياة ذاتها قد تصدعت الى حد ما ، قد يواتى الانسان فى فترة المراهقة ، وقد يواتيه فى فترة لاحقة نتيجة لازمة من الازمات العاطفية سواء على النطاق الخاص أو النطاق العام تتفجر أثرها المتناقضات . وكتابنا فى هذه الدراسة يمدوننا بدوافع الخلق التى تندرج تحت النطاقين . فأحدهم بدأ يكتب الشعر بعد تجربة حب فاشلة ، والاخر بدأ يمارس الكتابة بعد عدوان ١٩٥٦ . والفروق الطبقية الصارخة ، وانتماء بعض الكتـاب الى الطبقات التى تئن تحت وطأة هذه الظروف تشكل نقطة انفجار ، حيث يبدأ التناقض الحاد بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون . ويعبر كل من « **حسن محسب** » و « **أحمد الشيخ** » عن هذا الوضع الذى يشكل تيارا ملموسا بين مجموعة المشتركين فى الدراسة .

ويقول الاول :

كتبت « لاحقق التوازن الذى افتقده فى حياتى ، بين ماأريده وما أعيشه بالفعل » .

اما الثانى فيقرر :

« ان الموقف الاجتماعى الذى كنت اعيشه كان من الحدة بحيث اصبح لزاما على ان ارضخ او استسلم ، مالم اجد فى الكلمة تعبيرا ايجابيا عن هذا الواقع والرغبة فى الخروج من دائرة الحصار » .

وفى مجموع القولين اجمال للدافـع الاساسى للابداع : رفض القصور فى الحياة والرغبة فى توصيل هذا الرفض للاخرين .

وهذا التخاصم مع الحياة ، وهذه الرغبة المعذبة فى الانتماء عن طريق توصيل الرؤية المبنية على هذا التخاصم الى الاخرين شكلت دائما وما زالت تشكل الدافع الى الابداع . واذا كان لابد من التقييم لجدة جيلنا الجديد فى هذا الاتجاه فالتقييم هنا هو « **لا جديد** » .

الكاتب والعالم الخارجى

والسؤال الثانى يعرض للمناخ المسيطر على فن الفنان من حيث العلاقة التى تربط بينه وبين زملائه من الفنانين ، وبينه وبين الاجهزة والمؤسسات المتصلة بالفن الذى يمارسه ، وبينه وبين المجال الذى يرتزق منه سواء أكان مجالا فنيا أم لم يكن . أما **السؤال الثالث** فيربط بين المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تؤثر فى الفنان وبين موقف الفنان من قضية التغير الاجتماعى فى مصر ، وقضية العدوان الاسرائيلى وقضـايا العـالم المعاصر ، أى أن السؤال يحاول أن يتبين أين يقف الفنان **بفنه** من هـذه القضايا . والسؤالان فيما بينهما بشكل مرض للغاية علاقة الفنان بالعالم الخارجى على النطاقين الخاص والعام .

وإذا حاولنا أن نتبين اتجاهات عامة في الاجابات وجدنا أن الاغلبية العظمى تشعر بعزلة وغربة على المستويين ، وبالتناقض الحاد في الحياة الخاصة والعامة ، على الصعيد المحلى والعالمى ، بين ماهو قائم وبين ما ينبغى ان يكون ومن الطبيعى أن تفعل • فلحظة يتم التصالح بين الانسان وبين القصور فى الحياة يموت فيه الفنان •

وإذا أردنا أن نفصل ما أوجزناه نجد أن أغلبية الكتاب يشعرون بغربة عن كتاب جيلهم والاجيال السابقة عنهم كأفراد . أما فى مجال العمل فالغربة تبلغ أقصى آيات حدتها لا فى الاماكن التى تنأى بطبيعتها عن الفن والفكر ، بل حتى فى الاماكن التى من المفروض أن يتوفر فيها المناخ الثقافى والفنى الملائم للفنان والمفكر ، كأجهزة الثقافة والجامعات والجرائد والمجلات • والغالبية العظمى تشكو من الاجهزة الثقافية والاعلامية ، وتكيل لها الاتهامات ، وتشكو كذلك من انعدام فرص النشر ، ومن اعتماد هذه الفرص على المصالح النفعية ، وعلى الشللية ، وعلى ابتذال الفنان لكرامته الانسانية وعلى تمرسه فى الانتهازية . غير أن التيار السائد لايلغى وجود غيره من التيارات ، فالبعض يتآلف مع جيله من الكتاب ويستفيد منهم ويفيد ،وكذلك مع الاجيال السابقة عليه من الكتاب وهو يعتبر نفسه امتدادا لها وان كان يؤكد اختلافه عنها •

ومما يستحق التنويه أن بعض الكتاب يردون — دون قصد — على بعضهم الاخر معادلا للتطرف ومحلا للتوازن ومضفيا على الصورة العامة كل الزوايا المتباينة المتناقضة الفنية اللازمة لتكامل صورة جيل يحمل وسيحمل عبء التعبير الفنى والنقد الفنى فى مصر • فليس جيل الكتاب الجدد هو المنقذ الاعظم ، ولا المسيح المنتظر كما نخرج من بعض الاجابات ، وليس هو الذى يصفه **زهير الشايب** فيقول :

« **أما بالنسبة لجيلنا ، حسبما خبرته عن قرب وما قرأت عن اعماله : استطيع ان اقول ان السمة الواضحة التى تدعو للاسف هى الانانية والتغرب والشللية** » •

ولعل الجيل الجديد ، شأنه شأن كل جيل من الكتاب ، هو ذلك الذى يصفه **عبد الحكيم قاسم** فيقول :

« **انهم عصبيون ومتحاسدون ويغربون فى كل اتجاه — وفى الاتجاه الخطأ فى احيان كثيرة — ولكنهم نبلاء يعيشون مأساتهم بصدق وجراة** » •

وقلة نادرة من المشتركين فى الدراسة هى التى لا تشكو من انعدام فرص النشر ، ولعلها القلة التى تتمتع بامكانيات النشر . ولكن «**عز الدين نجيب**» الذى يؤمن بأن المعركة بين الجديد والقديم معركة مفتعلة ، تعبر عن خواء الحركة الادبية وانعزالها الكامل عن الملايين من الاميين الكادحين فى بلادنا ، يبدى رأيا آخر فى موضوع النشر :

« **وحتى فيما يطلقون عليه ازمة النشر لم اعرف كاتبا جديدا ممن يزعقون منها الا ونشر معظم انتاجه — ان لم يكن كله — بوسائله الخاصة طبعا** » •

ولعل « **صبرى حافظ** » **يضفى** وضوحا أكثر على الصورة حين يقول « **ان المشكلة ليست مشكلة نشر ، ولكنها مشكلة نوعية ماينشر ، فهناك نتيجة لتخلف أجهزة الثقافة افراط فى نشر مالا يستحق أن ينشر ، وحجب للاعمال الجديدة والموهوبة عن النشر** » •

ويلتهب الموقف حين نصل الى مناقشة العلاقة بين الجيل الجديد والاجيال السابقة عليه ، وتختلف النبرة متلونة بالاحتقار حينا وبالاستعلاء حينا آخر وبالاشفاق حينا ثالثا ، ويتحول كل الكتاب ممن أمسكوا ويمسكون القلم فى مصر ، وعمرهم يتجاوز الخامسة والثلاثين ، الى « **أشباح هزيلة** » ، والى آباء عواجيز انتهى دورهم فى الحياة ، والى آلهة موتى وأيديهم متشنجة على عروشهم ، والى أولئك الذين صنعوا هزيمة يونيو وأورثوها للجيل الجديد • وتتوالى كلمات : **أنا لا أنتمى ، وأنا أعتمد على الثقافة الاجنبية ، وأنا أقرأ لهم لمجرد أن أعرف ما يفعلون • وفى مجال الخلق** الفنى [القصة القصيرة] يصرخ **أحمد هاشم الشريف** [٢٩ سنة] :

« **الجيل الماضى لايفهمنا بطبيعة الحال • ولكن بعض افراده يحاولون ذلك بصورة مضحكة ومنفرة سرعان ماتكشف نفسها • ان الزمن لايرحم والتغيرات الكثيرة التى طرأت على المجتمع جعلت من الجيل الماضى اشباحا هزيلة** » •

وتجاوب صرخة الشريف صرخة أخرى فى مجال النقد الادبى يخرجها مدوية « **صبرى حافظ** » :

« **قل لى بالله عليك ••• اين هو الناقد الذى يمكننى ان اقول — بفم ممتلىء — هذا هو استاذى الذى اريد ان أكون مثله او حتى اتجاوزه ؟** » •

على أن الرفض المطلق للاجيال السابقة ، والذى هو عنصر أساسى لا يتأتى بدونه امكانية التغير

والتجدد لا ينفرد لحسن الحظ بالصورة العامة ، اذ يكتمل لها العنصر الاخر الذى يلزمها هو الاخر لامكانية الاستمرار وبالتالى لامكانية النمو والتغير والتجدد ، عنصر الاقرار بأن الجيل الحالى ليس بالنبت الشيطانى ، ولا هو الجيل الذى يبدأ من نقطة الصفر ، وانما هو الامتداد الطبيعى والاستمرار الحتمى للاجيال السابقة عليه .

هذا الجيل : ابن من ؟

والاغلبية العظمى من كتابنا الجدد ، سواء من الانفعاليين أو المتعقلين ، من الذين يعتبرون أنفسهم نبتا شيطانيا أو استمرارا ، تجمع على وجود اختلاف بين الاجيال السابقة والجيل الحالى من الكتاب والنقاد ، وتجمع على حتمية الصراع بين الجيلين كنتيجة لهذا الصراع ، وان كانت قلة هى التى تحاول أن تتصدى لتفسر لنا طبيعة هذا الاختلاف وطبيعة القضية التى يدور حولها الصراع . وترى « رضوى عاشور » ان الاختلاف « **انما هو اختلاف عن رؤية الاشياء ، فرؤية الجيل الجديد للاشياء تختلف عن رؤية الجيل القديم ، وهذا الاختلاف فى الرؤية يحتم بالضرورة ايجاد أساليب جديدة تخدم وتعبر عن الرؤية الجديدة ويحتم بالتالى التجديد أو التجريب فى الاساليب الفنية . وحول هذا التجريب أو التجديد يدور الصراع بين الجديد الذى يرفع راية التجديد وبين القديم الذى يتمسك بقدمه** » .

ويمسك « ابراهيم أبو سنة » **الخيط** من حيث افلتته « **رضوى عاشور** » فى محاولة لتعريف طبيعة هذا الاختلاف فى الرؤية :

« **الاجيال الفنية السابقة على جيلى كانت اسعد حظا لوضوح الرؤية وانسجامها مع التيار الثور العام ، اما جيلى فقد حاصرته الامال الضائعة والرغبات المحبطة . الا ان العواصف لم تكف لحظة واحدة عن اثارة المتاعب امام جيلنا حتى اضطربت الاشياء** » .

ويكمل « **جمال الغيطانى** » الصورة مؤكدا لطبيعة اختلاف الرؤية الذى طرأ على الجيل الجديد من الكتاب :

« **باعتبارى احد ابناء الجيل الجديد فمعاشنا اكثر قسوة . ان الجيل الذى انتمى اليه هو الذى يقف اليوم على مياه القنال : ان اعمار الضباط والجنود هناك تتراوح بين العشرين والثانية والعشرين . وفيهم وفى الجبهة كل ما انطلع اليه وارجوه ، لهذا فكل ما اكتبه الان أرجو ان يرقى الى مستوى مايشعر به هؤلاء الشبان** » .

ويستطرد « **جمال الغيطانى** » ليبرز الارتباط الوثيق بين الشباب اليوم وبين ما يجرى على نطاق العالم ككل ، ان العالم قد أصبح بالنسبة للشباب اليوم أصغر مما كان وأقرب وألصق :

« **عندما تنزل القوات الامريكية فى نيكاراجوا لتقمع شعبها مثلا فاننى احس بالقلق بل والاهانة ، العالم اليوم ضيق . وما يجرى هناك يؤثر علينا هنا ، والرصاصة التى تنطلق فى فيتنام صداها يسمع هنا ويدوى ، ان المشاكل والهموم التى تقع على جيلنا اكثر واعظم واشد معاناة . واعتقد ان هذا ينعكس فى كل مايقدمه من فن بأصالة .. وصدق** » .

ويرى عبد الحكيم قاسم رأيا مخالفا للاغلبية الساحقة من زملائه ، فهو يؤكد الاختلاف بين جيله والاجيال السابقة عليه من الكتاب :

« **اننى اوافق « الدكتور لويس عوض » على اننا لا ننتمى الى مدرسة جديدة فى الادب ، لكنى اضيف أن ذلك ليس عيبا ، ان المدارس الجديدة فى الفن والادب [لاتنشأ] انما توجد نتيجة لتغييرات اجتماعية اساسية ، ونحن الادباء الشبان ننتمى الى نفس الهموم والاحزان والمخاوف التى شكلت وجدان الجيل المستقر (كما يسميه الدكتور لويس)** » .

وحينما يحدث التغير الكامل فى **أساليب حياتنا وفى بيئة مجتمعنا وفى شكل وجداننا ، وحين تعجز الاقلام المعاصرة عن استيعاب هذا التغير فانها لن تجد من يلتفت لها وسوف تكتسحها أقلام أخرى فتية .**

وكلام **عبد الحكيم قاسم يحتمل النقاش وهو** ينطوى على حقائق لا يمكن انكارها ، ولكنه يتجاوز حقيقة لايمكن انكارها أيضا . فالواقع أن الجيل الجديد لا ينتمى الى مدرسة جديدة بل هو متباين

الاتجاهات ، والواقع أن ظهور مدرسة جديدة رهين فعلا بخروج تغييرات اجتماعية أساسية فى القيم والعلاقات العامة الى حيز الوجود ، والواقع أن كتاب الجيل الجديد ينتمون وبعض كتاب الاجيال السابقة ـ وأؤكد كلمة « **بعض** » الى نفس الهموم والاحزان والمخاوف ٠ الا أن هذا لا يلغى بحال حقيقة أن هناك اختلافا فى زاوية الرؤية ٠ ولكن النتائج التعسفية التى يحاول بعض الكتاب الجدد أن يخلصوا بها لا يمكن بحال أن تترتب على هذا الاختلاف ٠ وهذه الحقيقة تدعونا الى التوقف لمناقشة بعض البديهيات التى فاتت بعض الكتاب ممن ساهموا فى هذه الدراسة ، ولعل العذر يكمن فى حماس واندفاع سن الشباب :

أولا : ان الاختلاف لا التشابه هو الذى يضمن الاستمرار والاعتناء للادب وكل جيل من الاجيال السابقة على الجيل الحالى اختلفت بعض الشىء عن الجيل السابق عليها ، وهى ترى التراث والعمل الفنى الذى يعد عملا فنيا حقا هو العمل الذى يتواءم مع التراث ويضيف فى ذات الوقت اضافة جديدة الى هذا التراث ٠ والاختلاف لا يعنى الانسلاخ ، ولكى نقدم الجديد لابد لنا أن نستوعب تماما ما قدم فعلا ٠

ثانيا : أن التعميم رذيلة لا يقع فيها الرواد ، والقديم كلمة لا معنى لها ، وليس من العلمية فى شىء أن نتحدث عن عدة أجيال وكأنما هى جيل واحد نطلق عليه اسم القديم . وقلة هى التى فرقت جيل وجيل ، وبين كاتب وآخر من كتاب الجيل الواحد ٠

ثالثا : أن التجديد وبالتالى التجريب الذى يأتى كضرورة للتغير الدائب للرؤية لا يرتبط على الاطلاق بالنسبة للفنان بالسن ٠ وقد يشعر الشبان فى مجموعهم بوطأة التغير أكثر مما يشعر به الشيوخ فى مجموعهم . ولكن الفنان الحق المتفاعل مع العالم الذى نعيش فيه يعانى تغيرا مستمرا فى رؤيته للاشياء ويملك المعاصرة أو القدرة على ملاحقة التغير فى تطور الرؤية ٠ وحقيقة أن **نجيب محفوظ** يزيد قدرة على التجدد والتجريب من أصغر وأقدر شاب من الكتاب الجدد حقيقة يدركها شباب كتابنا حتى النخاع ، وان لم توات بعضهم الشجاعة على الاعتراف بها ٠

رابعا : أن أدبنا الحديث بدأ فى أوائل هذا القرن ، وفى فترة لاحقة بدأ نقدنا الادبى وأخيرا نقدنا التشكيلى والسينمائى ٠ وان رواد الادب ورواد النقد اعتمدوا على الثقافة الغربية التى نبعت منها هذه الاشكال الجديدة على أدبنا . وقد استفاد كل جيل من الاجيال التى سبقته وأكمل ما بنته ، وان لم يعتمد اعتمادا كليا عليه كمصدر من مصادر المعرفة فى مجال الخلق أو النقد الذى يمارسه . وكان الجهد ينصرف الى ادراج هذه الاشكال الجديدة فى التراث لا الى المباهاة بالاعتماد على الثقافة الاجنبية ٠

خامسا : ان كل جيل من أجيال الادب المصرى الحديث يدين بالوجود للاجيال التى سبقته ، وقد كان من المستحيل أن يخرج الى حيز الوجود جيل **توفيق الحكيم ومحمد ومحمود تيمور دون جهود** المترجمين الاوائل فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ٠ ونفس الشىء ينطبق على الاجيال التالية بما فيها الجيل الذى نحن بصدده ٠ والادب لغة وبناء ٠ واللغة لم تنزل الينا من السماء بل طوعها للتعبير الفنى بأشكاله الراهنة أجيال من الكتاب ٠ والبناء أيضا لم ينزل الينا من السماء ٠ **وتوفيق الحكيم** لا يدين للمترجمين والمصريين بالشكل الفنى لعودة الروح على وجه المثال ، ولكنه يدين لهم بتقبل القراء للشكل الفنى **لعودة الروح** ٠ ولم يكن ممكنا على وجه المثال أن نخرج الى الاسلوب التعبيرى والتجريدى والرمزى ، دون أن يمهد **نجيب محفوظ الارض** لهذا التغيير طوال فترة طويلة من القصص الواقعى ٠

وفى مجال النقد تتشابه الصورة ، وان انطوى التشابه على الاختلاف فكل جيل من النقاد يدين بوجوده الى الاجيال التى سبقته من النقاد حتى لو لم يعتمد عليها كليا كمصادر للمعرفة ٠ والاصطلاحات التى تواتى ناقد اليوم فى يسر ، حتى لايكاد يدرك انها اصطلاحات على الاطلاق ، كدت أجيال من النقاد لتدرجها فى قاموس اللغة وفى قاموس القراء ٠ والمناهج النقدية التى يعتمد عليها نقاد اليوم ، وخاصة نقاد الادب ، سواء عن وعى أو بلا وعى ، مناهج نقدية أرستها أجيال من النقاد ٠ غير أن النقد لم يتطور بمدى ما تطور الفن فى بلدنا ، فنحن نفتقد النظرية النقدية المتكاملة ، وان كنا لا نعدم نقادا يصدرون عن منهج نقدى متكامل ٠٠ ويوم يخرج الى الوجود الناقد الادبى الجديد المسلح بالمعرفة الجمالية والفلسفية واللغوية ٠ والنفسية والاجتماعية التى تمكنه من تقديم مثل هذه النظرية ، ستكون هذه هى الاضافة الحقيقية التى ينتظرها مجال النقد ٠ ولكم يسعدنا أن يضيف أحد نقادنا الجدد هذه الاضافة ، وان لم تبد بعد فى الافق أى دلائل فى هذا الاتجاه ٠ فالكل ما زال يدور فى نفس الدائرة ، دائرة النقد التطبيقى ٠

بماذا يلتزم الجيل الجديد

والسؤال الثالث يربط بين المؤثرات الفكرية والفنية التى تأثر بها الفنان وبين الموقف الذى يقفه

من قضايا بلده والقضايا العالمية فى محاولة لتحديد أين يقف الفنان بفنه ، ومفهومه لطبيعة هذا الفن ، ولدور هذا الفن ووظيفته •

وتتحاشى الاجوبة فى معظم الحالات تحديد هذه المؤثرات ، ربما لان من الصعب أن يعى الانسان وعيا كاملا للمؤثرات التى يقع فى دائرتها ، وربما لان الانسان فى فترة التكوين يتراوح بين أكثر من اتجاه ، ويميل الى تحديد موقفه فى بعد بمدى ما يكتسب من وعى بحقائق الحياة • ومعظم المشتركين فى الدراسة تأثروا بالادب الاجنبى على اطلاقه ، وبفترات مختلفة وكتاب مختلفين . لهذا يبرز من بينها الادب الحديث باتجاهاته المعاصرة ، وبعضهم تأثر بالفكر الماركسى والبعض بالفكر الماركسى والوجودى معا ، والبعض الاخر بالفكر الوجودى فحسب ، والبعض يواتيه الصدق ليقول الا عقيدة له ، وانه تداكتشف هذهالحقيقة منخلال الكتابة ، وأن الكتابة هى بالتالى وسيلة الى استكشاف مواقعه ومواقفه من الحياة .

غير أن الاتجاه الساحق ، سواء من جانب من حددوا المؤثرات ، أو من جانب من لم يملكوا تحديدها ، أو من جانب من لم يشاءوا تحقيقها هو الاتجاه الاجتماعى الذى يتولد عنه الالتزام ، انسانيا ، ان لم يكن فنيا ، بالقضايا المحلية والعالمية ، وبقضية الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية بوجه خاص . واننا نشعر مع الاغلبية الساحقة من هؤلاء الكتاب الشبان أن العالم ضيق كما يقول « **جمال الغيطانى** » . فالاغلبية العظمى تقف ضد الاستعمار وضد القهر بصوره المختلفة والى جانب الحرية الفردية ومع قضايا التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى • غير أننا نلاحظ درجات متفاوتة من الالتزام بهذه القضايا ، ونوعين مختلفين من الالتزام • التزام وجدانى صادق يتجاوز الانسان الى الفنان وينعكس فى نظرته الى فنه ، والتزام عقلى محدود فى حدود عقل الفنان لا ينفذ الى وجدانه ولا ينفذ بالتالى الى مفهومه للفن أو للنقد ، أو لوظيفة الفن او النقد ، والفنانللفن بقضية التحرر الوطنى فى مصر أميل الى الربط بين هذه القضية وقضايا التحرر الوطنى والتغيير الاجتماعى فى العالم أكمل •

وقضية الحرية تشغل الجميع سواء على المستوى الخاص أو على المستوى العام ، سواء بالنسبة للملتزمين وجدانيا أو بالنسبة للملتزمين عقليا ، غير أن هناك تفاوتا فى الموقفين • فالفريق الاول يؤكد على ضرورة التغير الاجتماعى ، وحتمية التحول الاشتراكى بمدى ما يؤكد قضية الحرية ، اما الفريق الثانى فلا يحتل التغيير الاجتماعى بالنسبة اليه أهمية كبرى ، وتستحوذ قضية الحرية على تفكيره استحواذا يكاد أن يكون كاملا ، وان كان هناك اختلاف فى مدى هذا الاستحواذ بين كاتب وآخر من هذا الفريق كصدى لوطأة الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية ومدى ارتباطه بالرجعية العالمية والاستعمار العالمى •

وينعكس الالتزام الوجدانى على موقف الفنان من فنه ، وكذلك موقف الناقد من النقد الذى يمارسه ، وعلى مفهومه لهذا الفن ، أو لهذا النقد ، فالالتزام هنا التزام انسانى وفنى ، وللكتابة هنا وظيفة اجتماعية معينة ، وهذه الوظيفة فى خدمة قضايا التحرر وقضايا الحرية وقضايا الاشتراكية والتحول الاجتماعى ، غير أن المهم هنا أن نشير أن الالتزام الفنى لا يعنى بحال بالنسبة لهؤلاء الكتاب تحويل الادب الى دعاية ، فهم جميعا حريصون على التفرقة بين الدعاية والادب ، وعلى أن يكون الادب هو التعبير الفنى الصادق عن انفعال الكاتب المهموم بأمور بلده وبأمور البشرية جمعاء ، ذلك الكاتب الذى يعانى حاضر البشرية ويستشرق مستقبلها •

أما الالتزام العقلى الذى لا ينفذ الى الوجدان فيقف بالكاتب عند حدود معينة لا يستطيع أن يتخطاها فى مفهومه لفنه وفى ممارسته لهذا الفن ، والفن بالنسبة له تعبير أيضا عن انفعال ، وتصوير لهموم الذات ، ولكن هموم هذه الذات هى فى الغالب هموم لها صفة الخصوصية لا صفة العمومية ، ومن ثم لا تتضح ثمة وظيفة اجتماعية للادب عند هذا الكاتب ، وحرصه على قضية الحرية هو فى أعماقه ليس سوى حرصا على حريته الفردية فى التعبير عن هموم هذه الذات ، فالحرية بالنسبة اليه هى فى نهاية المطاف ليست قضية عامة ولكنها قضية خاصة •

غير أننا نكتشف أن من الصعب أحيانا أن نجد الخطوط الفاصلة بين الموقفين فعند الكاتب الواحد تصطرع الرغبة أحيانا فى تغليب الهموم الخاصة على العامة ، والعامة على الخاصة ، والنظرة بالتالى على مفهوم الادب ، ولعل فى قول كاتب من الكتاب أنه من أنصار الفن للفن ولكنه فى نفس الوقت يناصر قضايا الشعوب ويعادى الاستعمار ، مع ما فى هذا القول منتناقض،لابلغ دليل على أن أحدا منا لم يعد يملك فى مثل العالم الذى نعيش فيه ، أن يهرب من الوفاء بالتزاماته تجاه البشرية •

جيـــل الـشـــورة والـتـمـرد والـحـجـرة المغلقـــة

لطفى الخولى

ترن بوضوح ، خلال كلمات جيل الادباء الشباب ، نغمة الغضب . تتفاوت فى حدتها ومداها ومضمونها بين واحد وبين آخر ، لكنها تظل بدرجة ما تلون صوت هذا الجيل الذى تنفس الحياة مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، وامتشق قلمه منذ أوائل الستينيات تقريبا ، وراح يبذر كلماته فى حقل مجتمعه وعصره اللذين تعصف بهما رياح التغيير والتحدى : شعرا ومسرحا وقصصا وروايات ونقدا ودراسات أدبية وفنية •

يصل الغضب ببعضهم الى حد الاحتجاج ضد كل شىء من حوله الا « **الانا** » •• حتى « **الكتابة** » كأداة تعبير ، لم تسلم من الاحتجاج • « **احمد هاشم الشريف** » ابن التاسعة والعشرين ربيعا ، والذى يكتب القصة القصيرة منذ عام ١٩٦٠ ، يسدد طلقات غضبه **ضد** « العلاقات غير المثمرة » بينه وبين زملائه وأبناء جيله من الكتاب الشباب •• **ضد** « الجيل الماضى » من الادباء الذين « لا يفهمنا بطبيعة الحال » ، وحتى من يحاول منهم ان يتفهم فانه يفعل ذلك « بصورة مضحكة ومنفره سرعان ماتكشف نفسها » •• **ضد** « العلاقات السلبية » القائمة بينه وبين وزارة الثقافة وأجهزتها •• **ضد** مجال الوظيفة الذى عمل به حيث يتكوم « الاغبياء والمنافقون وتجار البضائع المهربة » •• وفى النهاية لا يعفى كتابته للقصة القصيرة بل والكتابة ذاتها من موجة الغضب ، **فيقول** « قد اهجر الكتابة وابحث عن شكل آخر يلائمنى عندما يضيق نمو الجسم بالثوب القديم »

أما « أمل دنقل » •• الشاعر الذى لا يحمل على كتفيه اكثر من ٢٩ عاما أيضا ، فانه ماأن بدأ يقرض الشعر حتى توقف عام ١٩٦٢ أثر أزمة حادة « نشأت بينى وبين نفسى من جدوى الكلمة فى مجتمع بدا لى وقتها انه لم يعد يصغى الا لهدير الاذاعة ومبالغات الصحف » • ثم مايلبث ان يتغلب على الازمة وينطلق من موقف الغضب ينشد الشعر عام ١٩٦٦ من جديد « بعد ان وصلت الى مفهوم : قلها وامض ، وهو المفهوم الذى يسيطر على حتى الان » • ورغم غضبه ، فهو على عكس **احمد هاشم الشريف** ، علاقته بالاجيال الفنية السابقة « ودية » لماذا ؟ « ربما لانى أقدر تاريخهم فمن كانوا روادا ومجددين يوما لا ذنب لهم فى عدم استمرار شبابهم الفنى بحكم قوانين التطور ، والذين لم يكونوا مبدعين فى الماضى وفى الحاضر لن يستطيع غضب كل الشباب عليهم ان يخصب مواهبهم •• »

ويتخذ غضب **عبد الحكيم قاسم** الروائى الذى بلغ الرابعة والثلاثين ، صورة مغايرة ، وهدفا مختلفا عن كل من الغضب الشريفى والغضب الدنقلى . هل لفارق السن بما يحويه — على الاقل — من كم أوفر من التجارب ، دخل فى رسم الصورة وتحديد الهدف ؟ أغلب الظن • **فقاسم** مثلا **يرى تقريبا نفس رأى الشريف** فى جيله الشاب • لكنه يختلف عنه فى نقطة جوهرية ، هى محاولته الصادقة فى ان يتفهم جيله . وهو فى هذه المحاولة يسعى أيضا الى أن يتفهم حقيقة ذاته ومجتمعه العصرى ، بصراعاتها المعقدة . ربما لم تصل المحاولة الى نتيجة بعد ، لكنها تحمل مع رنة الغضب رغبة التعاطف والتفاعل مع الغير خارج حدود الانا •• « الى وقت قريب جدا لم أكن أعرف أحدا من زملائى الكتاب الشبان ، ولم اكن اقرأ لهم ، ثم بدأت مؤخرا أعرفهم وأتردد على نفس الاماكن التى يترددون عليها . وانا احبهم هؤلاء الذين لا يملكون الا اقلامهم ••• انهم عصبيون ومتحاسدون ويغربون فى كل اتجاه — وفى الاتجاه الخطأ فى أحيان كثيرة — لكنهم نبلاء يعيشون مأساتهم بصدق وجرأة »

وهو « **كالشريف** » يعانى اغلال الوظيفة ومجتمع الموظفين الآسن ، لكنه عندما يتكلم عن الموظفين لا يفصل نفسه منهم رغم غضبته ضدهم •• لا يقف من عل ويقول « هم » وانما يقف وسطهم ويقول « **نحن** » •• « نحن الموظفون خائفون دائما •• من الخطأ •• من العقاب •• من غضب الرؤساء •• من نفاذ النقود قبل آخر الشهر ، وعلى ذلك فنحن حذرون مداهنون مرتعدون الى النخاع » هنا يوجه « **قاسم** » غضبه الى نفسه أيضا •• الى « حاله » هو جزء منها •• ولهذا كانت غضبته تشوبها درجة معينة من **الوعى** الاجتماعى — **الفنى فتشكلت فى صورة النقد الذاتى** •

هل تكفي هذه الصور الثلاث من غضب الادباء الشباب ؟
لا ٠ ٠ ٠ (*)

ان الشهادات تقدم لنا صورتين أخريتين ، تقفان وجها لوجه في تناقض مباشر وحاد ٠٠ تكنيكيا وموضوعيا ٠

الصورة الاولى تكاد تكون وحيدة وسط الواحد والثلاثين شهادة ، ويعبر عنها «**ماهر شفيق فريد**» ابن الخامسة والعشرين والذي يقتحم دائرة النقد والقصة بتأن وحذر ٠ فمن داخل حجرته حيث يصارع الكلمات يصرخ **ماهر فريد** غاضبا في وجه المجتمع والعصر وكتابات الاولين ـ عدا قلة معينة ـ والآخرين بما فيهم جيله : « اومن بمذهب الفن للفن ٠٠ الفن يحتاج الى عزلة ، لان كاتبه يحتاج مادته من أعمق آبار النفس ٠ ازاء هذا لا معنى لكل ما يحيط بالكاتب ، سواء كان زملاء فنانين أو أجهزة ومؤسسات متصلة بفنه او وظيفته او موقفا من الاجيال الفنية السابقة » وهو يدير ظهره لكل شيء لان الكاتب ـ في رأيه ـ مطالب فقط « بتقديم الحساب لربة الفن وليس لرؤساء التحرير او الهيئات الثقافية او معاصريه » ٠

أما الصورة الثانية فتشمل عددا ليس بالقليل من أصحاب الشهادات ٠ بحيث يمكن القول أن اصحابها يمثلون ـ كخط عام ـ اتجاها ذى شعب متقاربه لانها تنبع عن مصدر واحد في الحقيقة ٠ فالغضب هنا «موضوعي» ينطلق من نظرة فلسفية معينة وموقف اجتماعي يتميز بقدر معين من الوضوح ٠ نلمس ذلك ـ بدرجات متفاوتة ـ في شهادات كل من : **احمد الشيخ** ، قاص ، ٢٩ سنة ـ **زهير الشايب** ، قاص روائي ، ٣٣ سنة ـ **رضوى عاشور** ، قاصة ، ٢٣ سنة ـ **محمد ابراهيم أبو سنه** ،شاعر ، ٣٢سنة ـ مجيد طوبيا : قاص ، ٣٠ سنة ـ **أسامة الغزولي** ، شاعر ، ٢٤ سنة ـ **الداخلي طه** ، قاص ، ٣٢ سنة ـ **سمير عبد الباقي** ، شاعرومسرحي ، ٣٠ سنة ـ **سمير فريد** ، ناقد سينمائي ، ٢٥ سنة ـ **مصطفى ابراهيم مصطفى** ، ناقد ، ٢٩ سنة ـ وان كان **عز الدين نجيب** ، قاص ورسام ، ٢٩ سنة من اكثرهم تحديدا وتبلورا ٠ وهم جميعا ينطلقون من موقف فلسفي مادي يمزج في كثير من الاحيان بين الماركسية والوجودية بمفهومها السارتري ٠ وهم على عكس « ماهر شفيق فريد » لا يؤمنون بأن الفن للفن او ان جهة الحساب عن فنهم هي اعتاب ربة الفن ، وانما « للفن ـ كما تقول **رضوى عاشور** ـ رسالة ٠ وان الفنان ملتزم بقضايا عصره ٠ وهذا الالتزام قديكون التزاما مباشرا كالتزام جوركي في الام ٠ وقد يكون التزاما بالانسان وليس بقضية بعينها ٠٠ »

وهم ـ كما يقول **محمد ابراهيم أبو سنه** ـ متأثرين « بالفكر الوجودي والماركسي ٠٠ وهذا ماجعل شخصيتي الفنية تتكون من عنصر الفكر الاشتراكي والرومانسية الثورية والاحساس بالوحدة الوجودية في حالات كثيرة » ٠ والادب والفن ، عندهم ـ كما يقول **عز الدين نجيب** ـ قد ارتبطا « بقضية التغيير الاجتماعي وتمزيق القشرة الخارجية للصراع وتفجيره وفضح الظروف الخارجية التي تسحق الانسان الفرد وتهدر حريته وارادته » ٠ وهو يعتقد انه يكتب او يصور (لانه ايضا رسام تشكيلي) « لاقول رأيا ما في الواقع الذي أعيشه ٠ لقد عشت هذا الواقع قبل ان افكر في التعبير عنه ، واهتديت مبكرا الى الفلسفة التي أستطيع ان أفهمه من خلالها ٠ وقد قدمت لي الاجابات عن كل أسئلتي الحائرة أمامه وامام العالم ٠٠ وهي المادية الجدلية » ٠

الاصل الطبقي لجيل الشباب

اعتقد أن هذه الصور الخمس لغضب جيل الشباب الجديد ، تمثل ، فنيا وموضوعيا ، النماذج الانسانية التي تكشف عنها الشهادات الى حد كبير ٠

صحيح انه لا يجب ان نتورط في ربط كل كاتب منهم الى صورة نموذج من النماذج الخمس ربطا تعسفيا محكما ، والا وقعنا أسرى التعميم والتبسيط .فكل كاتب ،شابا كان او شيخا ،لهفي النهايه خصوصيته بجانب عموميته مع تيار او اتجاه معين ٠ ودون ان نضع ذلك في الاعتبار ، نهدر سمة أساسية من سمات الفن والادب ، وهي تفرد الذات الفنية الخالقة بتجربتها الخاصة ، رغم موضوعية الحياة والعصر والموقف ٠

ولما كان من غير الممكن ـ في هذا المقام ـ تتبع شهادة كل كاتب على حدة واستخلاص نتائج محددة منها ، فليس هناك من بديل ، الا محاولة تلمس الاتجاهات العامة بصورها الرئيسية ٠ وهنا ايضا يحسن ان نستحضر في اذهاننا ان معيار التقييم الاساسي للاديب والفنان ليس ما يقوله او يقدمهمن آراء ،وانما ما يبدعه من خلق أدبيوفني ، صحيح ان آراء الفنان العامة والنقدية تقدم اضواء تعين في التعرف اليه ٠٠ الى تكوينه الثقافي وموقفه الاجتماعي ومدى تجاوبه مع عصره ووقوفه على المدارس الجمالية للفن .ولكن تظل الاعمال الفنية ذاتها هي المفتاح الاساسي في التقييم ٠ وهناك أمثلةعديدة في تاريخ الادب والفن القديم والحديث تدل على عدم التطابق بين آراء الفنان الجمالية والموضوعية بل والاجتماعية ، وبين خلقه الفني ٠ ٠ ٠

برناردشو .. دستيوفسكي .. بلزاك .. روب جرييه .. المتنبى .. الجواهرى .. توفيق الحكيم .. ميخائيل نعيمة .. نعمان عاشور .
ولازلت أذكر كلمة استاذنا مندور لنعمان عاشور يوما : « أصمت عن الدفاع عن مسرحك فأنت أسوأ محام عنه » ..

واذ كنا هنا لا نتناول الاعمال الفنية لجيل الادباء الشباب بالتحليل والتعليق ، وانما نتناول فقط اراءهم التى تضمنتها شهاداتهم ، فان التعليق ، فى الحقيقة يتصل أولا وأخيرا بما « يعتقدونه هم عن موقفهم الفنى والموضوعى كأدباء ونقاد » .

والآن ما هو التفسير الذى يمكن أن نقدمه لنغمة الغضب فى كلمات الشباب ذات الاصوات الخمسة المتميزة ؟

الواقع أن الاجابة على هذا السؤال تتطلب اجابة مسبقة عن سؤال آخر : **ماهو الاصل الطبقى الغالب لهذا الشباب ، ثم ماهو بالتالى موقفهم ــ الواعى او غير الواعى ــ من المجتمع والعصر ؟**

اذا طالعنا الشهادات ، وضعنا ايدينا دون عناء ، على تحديد صريح حينا وشبه صريح حينا آخر لاصل طبقى موحد لجميع أصحاب الشهادات او على الاقل للاغلبية الساحقة منهم . وهذا الاصل الطبقى هو بالتحديد البرجوازية الصغيرة . وغالبا البرجوازية الصغيرة الريفية .

« **احمد هاشم الشريف** » يحدد وضعه الطبقى بصراحة وموقفه منه عندما يقول « موقفى هو موقف ابن الطبقة المتوسطة الصغيرة التى يحاول ان يتخطاها بفكره ليصبح ثائرا وليس انتهازيا متطلعا » .

« **رضوى عاشور** » تؤكد تأثرها ببيئة برجوازية بمتناقضاتها الحادة » ..

« **أمل دنقل** » يروى لنا من خلال معرفته بزملائه ان « غالبية هذا الجيل من أبناء الطبقة الوسطى التى تلقت تعليما عاديا وتفتحت على الاداب التى شاء جيل التحرر السابق ان تتفتح عليها .. »

« **عبدالحكيم قاسم** » ينبع من الريف « وأمسياته الطينية المضاءة بالفانوس فى ردهة دوارنا » .. ويصرخ فى ختام شهادته « نحن ابناء الاباء الفقراء المرضى بالبلهارسيا الذين ماتوا خلف المتاريس فى شوارع القاهرة وخلف التحصينات فى كفر الدوار »

« **حسن محسب** » ، يعين موقعه الطبقى

فيقول « كنت قد انهيت دراستى الالزامية (الابتدائية) عام ١٩٥٢ . وكان من المؤكد ان انتظم فى العمل اجيرا فى العزبة التى يعمل بها أبى .. مثل غيرى من الانفار التملية . لم يكن فى طاقة أبى ان يصرف على تعليمى لابعد من ذلك .. وكالحلم افتتح فى قريتى مدرسة اعدادية .. ولانه كان لابد من ملء فصول المدرسة الجديدة بالتلاميذ فقد وجدت نفسى تلميذا من جديد .. فى المدرسة ازداد احساسى بالفروق الطبقية .. لاننى فلاح .. لا يمكن ان انسلخ من جلدى .. »

صبرى حافظ ، وهو الموظف الصغير الذى لا يتجاوز دخله الشهرى ٣٠ جنيها ، يشكو من معيشته « فى ظروف سيئة الى حد ما ، وخاصة من الناحية الاقتصادية فكل الكتب التى اريد قراءتها واقتناءها لا استطيع الحصول عليها » ..

سمير عبد الباقى ، يروى لنا باللغة العامية حكايته « انا من ميت سطيل .. قرية فى شمال الدلتا ــ عشت طفولتى زى مابيعشها الطفل المتعذر فى القرية وشربت غيطانها وناسها وأوقاتها وصبلاتها وأنفاسها بتفور فى عروقى »

عبد العال الحمامصى ، يحدد انتماءه الاجتماعى الى « الطبقة التى يحاول التغيير انصافها » كان ابوه يعمل اجيرا عند الغير ويستأجر فى نفس الوقت من الغير بعض ارضه ليزرعها . « لقد عرفنا الضائقات ووقفنا كثيرا على حافة الهاوية ، بل ان فرص التعليم النظامى لم تكفل لى من جراء ذلك ، ولكننا لم نعرف الجوع » .

محمد ابراهيم مبروك ، يعرفنا بأنه التحق بأعمال كثيرة جدا او متباينة خلال دراسته « فأنا مازلت طالبا بكلية الاداب والتحقت على فترات متباعدة بالاعمال التالية : صبى مقاومة دودة القطن . عامل فى تربية الدواجن . عامل صالة باحدى شركات الاغذية المحفوظة . عامل بوابة فى شركة . كاتب فى الجمعية الاستهلاكية . سباك ، أمين مخزن . وأخيرا ومنذ شهرين فقط أعمل مؤقتا : كأمين لمشروع مكتبة » .

عز الدين نجيب ، حمل دائما قريته معه فى الغربة داخل الاقاليم المصرية التى اضطر للدراسة او العمل بها « وكانت هى الزاد الذى عاش عليه انتاجى الجدى فى القصة والتصوير فى أوائل الستينات » .

الداخلى طه ، يصرح بأن « التفاوت الطبقى يحتل جزءا كبيرا من المؤثرات التى تستقبلها نفسى

دائما ٠٠ ولعل هذا راجع الى معايشتى لما خلفه هذا التفاوت على حياتى وحياة أسرتى » ٠

جمال الغيطانى ، يقـــرر ان « وضـــعى الاجتماعى ــ باعتبارى احد ابناء اسرة فقيرة ــ جعلنى اتطلع منذ وقت طويل الى الفكر الاشتراكى وقد أثر هذا فى رؤيتى الفنية » .

واذا اضفنا الى ماتكشف عنه هذه الشهادات حقيقة أن الغالبية الساحقة من الادباء الشبان يعيشون من أعمالهم فى مستوى دخل ، يتراوح شهريا ، بين ١٠ جنيهات و٤٠ جنيها (سميرفريد وحده يرتفع دخله الشهرى الى ٦٠ جنيها) وأن ثمة اقلية مازالت تبحث بالحاح عن عمل ، أو عن منحة تفرغ ، تأكدت النوعية الاجتماعية الغالبة للمنبع الطبقى لجيل الشبان الادباء كبرجوازيين صغار ٠

والواقع ان التطورات الاجتماعية التى حدثت بمصر منذ ١٩٥٢ وفى خلال المدة ، منذ ميلاد هذه البراعم حتى تفتحها عن الكلمة الفنية والادبية ، قد شقت الطريق ، بأوسع ما يمكن ولاول مرة تاريخيا أمام أبناء الطبقة البرجوازية وخاصة الفئـات الصغيرة ،وأتاحت لها فرصا رحبة للتعلم والثقافة نتيجةمجانيةالتعليم وتخفيضاسعار الكتب وانشاء مزيد من المكتبات العامة فى المدن والمراكز وبعض القرى الكبيرة ٠ ومن هناتكونت على مدى الخمسة عشر عاما الماضية قاعدة عريضة نسبيا من أبناء البرجوازية الذين نجوا من ظلمة الامية وظلت قلوبهم تنبض بآلامها وآمالها ٠ وأمكن بالتالى لهذه القاعدة العريضة بكمها المتزايد أن تفرز ــ **نوعيا** ــ ادباء وفنانين من رحمها . ينتمون ــ **زمنيا** ــ الى أعمار شابه ، **واجتماعيا** الى مرحلة كسر قداسة الرأسمالية الكبيرة الريفية والصناعية والتجارية وشق الطريق نحو تحولات ذات آفاق اشتراكية ، **وعصريا** ، الى نبض الثلث الاخير من القـرن العشرين ابتـداء مـن عـالميـة الظـاهـرة الاشـتراكية وثورة كوبا والجـزائر الى الثورة المضادة فى غانا واندونيسا الى تأميم قنـاة السويس والمعارك التى دارت حولها الى اطلاق سبوتنيك ودوران جاجارين من حول الكرة الارضية الى الصراع الصينى السوفيتى الى حرب فيتنام الى هزيمة ١٩٦٧ ، وانطلاق المقاومة الفلسطينية العربية المسلحة الى هبوط ارمسترونج والدرين على سطح القمر .

جيل الخمسينات وجيل الستينات

وهنا يمكن ان نفتح قوسين لنقول داخلهما ، ان هذه الطبيعة الطبقية الغالبة لجيل شباب اليوم من الادباء والفنانين تماثل الى حد بعيد نفس الطبيعة الطبقية للجيل السابق عليه ٠٠ جيل اواخـر الاربعينيات والخمســينيات . وان كان الجيل السابق فى غالبيته يقترب الى درجة البرجوازية المتوسطة فى السـلم البرجوازى ؟ فان الجيل الحالى يقف على ادنى درجات السلم حتى ليكاد يقع منه الى الطبقة العاملة . ومن هنا نجد العديد من «الظاهر المرضية المشتركة» بين الجيلين ،على الرغم من الاختلافات . مثلا .. ظاهرة « الشللية والتحزب الضيق وعدم تبلور المدارس الفكرية الفنية » ٠ ظاهرة تضخم « الانا » وتصور القيام منذ البداية بدور الرائد غير المسبوق دون التلمذة على أحد ، ظاهرة البحث ــ بطريقة مازوشتيه عن المطلق والانسان المثالى المجرد الخ ٠٠

انظر على سبيل المثال شهادات احمد هاشم الشريف ، محمد ابراهيم أبو سنه ، صبرى حافظ ، احمد الشيخ ، محمد ابراهيم مبروك ، زهيـر الشايب ، ضياء الشرقاوى ، سامى السلامونى ، محمد يوسف النعيد ، عبد العال الحمامصى .

وهى ظواهر كانت ولاتزال قائمة ومتفشية فى جيل الاربعينيات والخمسينيات ٠ وان كان هذا كله سواء فى الجيل الشاب او فى الجيل السابق قد تغطى تحت اعلام اشتراكية متناحـرة . يختلط العلمى فيها بالطوباوى بالطفولة اليسارية .

ومن هنا فانى أميل الى الموافقة على الرأى القائل بأن جيل شباب الستينيات هو فى الحقيقة امتداد طبيعى ومتطور لجيل أواخر الاربعينيات والخمسينيات ٠ لماذا ؟

أولا : هناك نوع من التوحد فى المنبع الطبقى لكل منهما ، كما رأينا .

ثانيا : أن مرحلة أواخر الاربعينيـات والخمسينيات والستينيات فى مصر بـل الوطن العربى كله ماتزال مرحلة الثورة الوطنية التقدمية ذات الابعاد الاشتراكية ــ وبالتالى مازالجوهر القضية واحدا وبالتالى المنـاخ والتحـديات . ربمـا كان التحرر الوطنى الذى يصـاحبه بذر بذور الفكر الاشتراكى فى الحقل ، هو الجانب الاكثرحركةواستقطابا بعكس ماكان عليه الحال فى أوائل الستينيات حيث تم اتخاذ اجراءات فعلية لشقالطريق نحو الاشتراكية بعد القضاء علىالنفوذ الاستعمارىالتقليدى الا ان الجـانب الوطنى وتنقيـة الفـكر الاشـتراكى ممـا علق به من رواسـب برجـوازية قـد عـاد ليحتل مـركـزا الاهتمام من جديد وبشكل اكثر حدة بعد هزيمة ١٩٦٧ وتكشف أخطاء التطبيق للفكر الاشتراكى ٠

ثالثا : ان جيل أواخر الاربعينيـات والخمسينيات قد دخل بالفعل مرحلة الانتقال

السياسية والاجتماعية نحو الاشتراكية وهو مازال قادرا على التعبير والرؤية الى مدى ابعد من ظلال الانوف ، ومن قلب هذه المرحلة ذاتها يخرج الان جيل الشباب ·

رابعا : ان الجيلين معا يتسمان بالنزعة التقدمية العامة وتحركهما عن وعى أو دون وعى ـ مفاهيم ذات تأثر ، سطحى او عميق بالفكر الاشتراكى · وهما فى هذا مايزالان يصارعان معا فى ميدان الادب والفن الاتجاهات التقليدية المحافظة والليبرالية والمدرسة الرومانسية ·· وهذه كلها مابرحت منتجة وذات وزن مؤثر فى وجدان المجتمع ومؤسساته .»

اختلافات الجيلين

ولكن هل يعنى ذلك عدم وجود خلافات نوعية بين جيلى الخمسينيات والستينيات ؟
بالطبع لا ·· الخلافات واردة ، وهى بالتأكيد تتبلور يوما بعد يوم · ذلك انه مهما كانت المرحلة التاريخية البعيدة المدى ماتزال قائمة وممتدة ، الا ان نبت الستينيات فى النهاية يختلف فى تكوينه زمنيا وموقفا واسلوبا فى نواح معينة عن نبت الخمسينيات ·

واذا كان من غير الممكن ـ حاليا ـ تحديد كل هذه الاختلافات تحديدا علميا دقيقا ، الا أنه مع ذلك يمكن دون تورط فى أخطاء أو مبالغات أن نرصد بعضا منها .»

● **جيل اواخر الاربعينيات والخمسينيات دخل** الادب والفن من أرضية السياسة ، بمعنى أنه كان فى غالبيته سياسى يناضل ضد الاستعمار والسلطة الشبه اقطاعية ـ شبه رأسمالية · فلما ضاقت عليه السبل وامتدت اليه مخالب السجون اتخذ من الادب وسيلة جديدة للعمل السياسى بطريق غير مباشر · ومن هنا كان الادب أو الفن لديه « فعلا اكثر منه تعبيرا » . على عكس جيل الستينيات من الادباء ، نبت اساسا ـ دون الصعوبات الاجتماعية والسياسية التى واجهت الجيل السابق ـ فى حقل الادب والفن مباشرة · ومن هذا الحقل راح يقترب ويدخل الى أرضية السياسة · ومن هنا كان الفن أو الادب عنده « تعبيرا أكثر منه فعلا » ·

ولعل هذا ، ما يفسر لنا طابع المباشرة حينا والنغمات الزاعقة حينا آخر والاهتمام بالمضمون على حساب الشكل والتكنيك فى اعمال الجيل السابق · فى حين نرى ادانة المباشرة والنغمات الزاعقة والاهتمام بالتكنيك ، ولو على حساب المضمون فى أعمال الجيل الشاب ·

ان الجيل السابق قد أرسى دعائم نظرية عدم الفصل بين الشكل والمضمون فى العمل الفنى لكنه عمليا ، سواء فى مجال الخلق أو النقد ، منح معظم جهده للمضمون كى يتميز موضوعيا ولم يعط الشكل الا أقل عناية · والجيل الشاب ، لان المضمون عنده لم يعد يشعر انه محتاج لمزيد من التمييز ، كثف جهده من حول الاشكال والاساليب والأدوات الفنية . وهكذا نرى أنه رغم الاتفاق بين الجيلين على الوحدة الديناميكية بين المضمون والشكل الا انهما يختلفان من حيث نقطة التركيز .»

« **أحمد الشيخ** » فى شهادته ، مثلا ، يتهم الجيل السابق بأنه « يلح بأساليب فنية متخلفة وعتيقة » · ويأمل لجيله أن « تتواجد أدوات فنية أكثر خصبا وملاءمة لظروف عالمنا ، لكى نشعر أننا نشارك العالم كوجود له حساسية العصر فى جسم العصر نفسه »

عز الدين نجيب ، وهو من أكثر الشباب وعيا بقضية المضمون فى الفن ، يهاجم حصر الفن فى اطار القضية الاجتماعية ، ويوضح موقفه بقوله : « أسعى الى أن أصل من خلالها (القضية الاجتماعية) الى التعبير عن هموم انسانية ووجودية ، تعكس الضغوط التى يعانيها الانسان فى الحضارة المعاصرة · وهذا لا شك يترك أثره فى أسلوب كتابتى: فأحيانا يتلون بلغة الشعر ، أو يلغى منه الزمن الميكانيكى ويصبح الزمن والكائنات هى ما تشعر به الشخصية أو تراه · كما أننى فى التصوير لم أعد أهتم بالشكل الواقعى والبعد الثالث · وأصبحت العلاقات الديناميكية للاشكال والالوان والخطوط وثراء السطح ، مشاكل أساسية لى كمصور » ·

غير أن القضية التى نحس أنها تواجه الجيل الجديد ، كما لا تزال تسيطر على الجيل السابق هى فى كيف يمكن ان تكون الكلمة الادبية او الصورة الفنية « فعلا وتعبيرا على نفس المستوى » . وهذا هو جوهر أزمة الفنان والاديب فى المرحلة التاريخية التى ما برحت ممتدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

● **جيل الادباء الشباب** ، اكثر اهتماما من الجيل الماضى بقضية مستقبلى أدبه ومتذوقى فنه · وهو حريص على أن يزرع أزهاره فى وجدان أرحب وأوسع من وجدان الاربعينيات والخمسينيات · ولهذا نراه فى اغلب شهاداته يلح على مشكلة أساسية : الامية · ولعل ذلك راجع الى احساسه المباشر والحاد بهذه المشكلة التى تقيم حواجز الصمت الاسود مع ابائه وأمهاته واخوانه واخواته نتيجة ترعرعه فى الريف ·

تصرخ « **رضوى عاشور** » متسائلة « كيف يمكن أن نصل بانتاجنا على ما فيه من تعقيد الى الجماهير العريضة ؟ كيف يمكن أن نساهم

بكتاباتنا — وهى التى تتخذ موقفا ثوريا من قضايا العصر عموما وقضية التحول الاشتراكى والعدوان الاسرائيلى بوجه خاص — فى التقدم والثورة اذا كانت كتاباتنا لا تصل الى الجماهير العريضة ؟ » .

ونسمع رجع الصدى ، يثير نفس التساؤلات بعنف وتكثيف فى شهادات حسن محسب ، وشمس الدين موسى ، وأحمد الشيخ ، وعز الدين نجيب . ما معنى هذا ؟ ان الجيل السابق كان يركز اهتمامه فى اثبات وجوده داخل نفس دائرة القراء ومستقبلى الفن القائمة خلال صراع الحياة جنبا الى جنب مع طه حسين والحكيم والمازنى والعقاد ويحيى حقى ونجيب محفوظ وغيرهم . كان يريد أن يشاركهم التأثير فى ذات الوجدان ، بحجمه ونوعه . الجيل الجديد ، أكثر طموحا . فبعد أن مهد له الجيل السابق الطريق لم يعد يكفيه هذا الحجم الضئيل من الوجدان وانما يستهدف بطاقاته وجدانا أرحب وأوسع وأعمق . قضية اثبات الوجود لديه ، محلولة ، أو هو واثق بقدرته على حلها . لكن القضية التى تؤرقه هى وزن تأثيره وفاعليته .

● **ودراسة الشهادات** تضع أعيننا على ظاهرة هامة وخاصة . وهى أن — اذا ضربنا صفحا عن المبالغات الشاذة عن الارتباط بين الميلاد والحاسة الفنية كما فى شهادة بدر توفيق — فان الغالبية بدأت انتاجها وهى فى أوائل العشرينيات من عمرها وأحيانا فى سن الخامسة عشر والسادسة عشر . وهى بالطبع سن مبكرة جدا بالمقياس الزمنى ، لا يتاح معها تحصيل درجة كافية من الثقافة العامة الاساسية ، والتفاعل مع الانتاج الادبى والفنى العربى والعالمى بشكل معمق نسبيا . ومعنى هذا ان جيل الشباب كان أسبق فى تعبيره من تكوينه ، وبتعبير آخر كانت كتابته أسرع من قراءاته . حتى ان **زهير الشايب** — قد بدأ الكتابة فى سن الثامنة عشرة — يقول بشجاعة : « كاعتراف ، أؤكد أننى حين بدأت أكتب وجدتنى رجلا بلا عقيدة . أى بلا فكر محدد . وثمة كثير من الموضوعات لم أحسم برأى فيها الا عندما تناولتها على الورق » .

وهذه الظاهرة فى تقديرى لا نلحظها فى الجيل السابق . ما تفسيرها ؟ هل يمكن أن نرجعها الى أن وسائل التكوين الثقافى والفنى قد تعددت وتنوعت وسهل الحصول عليها أمام هذا الجيل بدرجة لم تكن متاحة للجيل أو للاجيال الماضية .. بمعنى هل يمكن أن تغنى السينما والمسرح والتليفزيون والاذاعة ببرامجها وأفلامها وأعمالها الثقافية والفنية عن القراءة الذاتية المنظمة ولو لفترة معينة .. وهل هى كافية لتخصيب الذات وافراخها .. ؟ أم أن اصطدام الجيل الجديد بالاحداث المادية ، السياسية والاجتماعية والعلمية ، خلال سنوات الستينيات المتخمة ، اصطداما مباشرا ، عنيفا ومبهرا لجميع الحواس الظاهرة والباطنة ، قد ولدت فيه شرارة التعبير ، مبكرة .. ؟

الحق ، لم أستطع الاهتداء الى جواب . بيد أنه لم أستطع أيضا أن أنكر الظاهرة الواقعية ، رغم ما قد يشوب انتاجها من نقص وعدم نضج نسبى . ولكنه فى النهاية ينتمى فعلا الى عائلة الادب والفن

● **ثمة ظاهرة هامة أخرى** نلمسها من مطالعة الشهادات . ففيما عدا قلة قليلة جدا لا نعثر على أى اهتمام بالتراث العربى فى الادب والفن . ان الجيل السابق كان متهما من الجيل الاسبق بانصرافه عن التراث . وكان الجيل السابق يقف موقف الدفاع ويؤكد دراسته واهتمامه وانتماءه الى الايجابى والمشرق من هذا التراث . ولكن هذا الجيل لا يهمه الدفاع أو عدم الدفاع . أنه يؤكد تأثره بالاداب والفنون الاوربية ويهمل تماما ذكر أى تأثر بالتراث العربى . ترى هل يرجع ذلك الى أن معظم كتاب الجيل الجديد يعبرون فنيا بالقصة القصيرة والرواية والمسرح وهى أشكال وأدوات فنية ليس لها رصيد فى التراث العربى ؟

ولكن حتى ولو كان ذلك صحيحا ، فانه تبقى قضية اللغة كجزء أساسى من تكوين الاداة الفنية ووعائها .. وهذه مصدرها الاول والاخير التراث العربى .. ناهيك عن فهم الشخصية العربية والخلفية الحضارية للانسان العربى ؟ ! .

● **من الاختلافات الجديرة بالتسجيل** ، فى رأيى — بين الجيل السابق والجيل اللاحق . هو أنه على الرغم من كون الغالبية الساحقة من أدباء الجيلين قد اتخذوا — على الاقل فى البداية — من القصة القصيرة ، الوسيلة الاثيرة لتعبيرهم الفنى . فان الجيل السابق لم يحدث أكثر من تغييرات كمية فى النسيج العصرى للقصة وتكوينها التقليدى من بداية ولحظة تنوير ونهاية . أما الجيل الحالى فانه يعمد الى احداث تغيرات نوعية فى القصة القصيرة تحطم التكوين التقليدى وتمزق النسيج المتعارف عليه فتحولها الى تكوين أشبه بالخلية الاميبية بلا حدود ، ولا بداية ولا نهاية ولا لحظة تنوير . وهو فى هذا يتفاعل مع العديد من الاتجاهات الفنية الحديثة فى أوربا .

وبالتالى فأعتقد انه يمكن القول بأنه اذا كان الجيل السابق قد نجح الى حد كبير فى

تحطيم عمود الشعر التقليدى منذ أشعار بروتولاند للويس عوض وأشعار الشرقاوى وأدونيس ونزار قبانى وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى والبياتى والسياب ، فان الجيل الجديد من الادباء يتجه حثيثا الى مهاجمة الشكل التقليدى للقصة القصيرة ، والخروج بشكل جديد متنوع ورحب وغنى بألوانه وايحاءاته .

العلاقة الجدلية

أريد أن أخرج من هذا كله الى تأكيد قناعتى بأن الجيل الجديد من الادباء هو جزء من الجيل السابق عليه .. امتداد له ، وفى نفس الوقت يختلف عنه . وهذا هو جوهر العلاقة الجدلية بين الجيلين . واذا كان العدد الغالب فى الشهادات لم يستطع أن يرى ، بعد ، هذه العلاقة الجدلية بوجهيها واقتصرت قدرته على رؤية وجه واحد .. وهو وجه الاختلاف .. فانه حتى عندما كان « يقرر الاختلاف » وقف عاجزا عن تحديده مكتفيا بشعارات حماسية لا تقول شيئا .

فعندما يقول **أحمد هاشم الشريف** : « الزمن لا يرحم والتغييرات الكثيرة التى طرأت على المجتمع جعلت من الجيل الماضى أشباحا هزيلة » لا يقدم أى حيثيات .. مجرد اتهام غامض مجهل ، كالاتهامات التى واجهها بطل محاكمة كافكا .

وحينما يقرر **عبدالعال الحمامصى** : «اننا نختلف تماما عن الاجيال التى سبقتنا .واذا كنا نرفض الان مفاهيمها فليس معنى هذا أننا نتنكر لمعطيات رائعة ابدعتها » .. عظيم « وكتر خيرك » .. ولكن ما هى أوجه الاختلاف ؟ ما هى المفاهيم التى ترفضها ؟ لا يجيب بشىء .

كذلك يفعل **محمد يوسف القعيد** . فى الوقت الذى يقرر ان هذا الجيل يطرح هموما وقضايا واحده يعود ليقرر ان « قضية الجيل الجديد من الادباء هى أنه جيل بلا قضية » ومع ذلك فهو لا يعبر الا عن احساسات عامة غامضة عندما يقول : « نحن جيل مختلف فى كل شىء عن الجيل السابق ... ولابد ان نعيد النظر فى كل المسلمات الثابتة التى تحيط بنا كى نتمكن من ان نقول شيئا له مذاق خاص وشكل خاص » .

ماذا ؟ كيف ؟ لا يجيب !

وعلى العكس من ذلك نرى وعيا بجدلية العلاقة بين الجيلين ، عند الاخرين ، بدرجات متفاوتة .. **أمل دنقل .. اسامة الغزولى .. رضوى عاشور .. عبد الحكيم قاسم .. نبيل راغب .. كرم يوسف .. عز الدين نجيب .. مصطفى بهجت مصطفى .. جمال الغيطانى .. و د . يسرى خميس .**

وبهذا الاتحاد والاختلاف مع الجيل السابق ، وبالتكوين الطبقى البرجوازى الصغير ، اقتحم الجيل الجديد الحياة العامة والحياة الادبية معا خلال احداث جسام محليه وعربية وعالمية . ومع الاقتحام بدأت رحلة صراعاتهم التاريخية وهم يحملون فى عقولهم ووجدانهم — بشكل واع وغير واع — الطبيعة المزدوجة المتناقضة للبرجوازية الصغيرة المتمردة والمساومة .. الثائرة والمحافظة .. المغامرة والمستكينة .. التطلع الى أعلى والشد الى أسفل .. المادية والمثالية .. المحلية والعالمية ..

وتكشف العديد من الشهادات بجلاء عن هذه الطبيعة المزدوجة .

أحمد هاشم الشريف متمرد على كل شىء حوله الا الذين « يرحبون بى دون سابق معرفة وينشرون قصصا دون صعوبة » فعلاقته معهم « طيبة » .

رضوى عاشور ومحمد ابراهيم أبو سنة **يؤكدان تأثرهم بالفكر الماركسى والفكر الوجودى فى آن واحد .**

بدر توفيق يعزف على نغمتين فى وقت واحد وبشكل مطلق : « الدعوة للحرب .. والدعوة للسلام العالمى » .

غير ان الصراعات فى الحياة العامة والحياة الادبية تشمل ضمن ما تشمل الاصل الطبقى فتعمقه أو تحد منه أو تتيح لصاحبه أن يتخطاه الى اليمين او الى اليسار مانحا ولاءه لطبقة أعلى او لطبقة دنيا .. وهى هنا الطبقة العاملة وحلفائها . ويتم ذلك من خلال الممارسة اليومية للحياة وللفن وبلورة مواقف محددة من الاحداث والاختيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية . وبقدر ما يستطيع الاديب الشاب ان يتحرر من قيوده الطبقية متجها الى اليسار بوعى فكرى وقناعة موضوعية بقدر ما يغدو ثائرا ، وقد يتجه الى اليسار ولكن دون وعى فكرى فيقف عند حدود التمرد وأحيانا المغامرة ، أو يغلق الابواب على ذاته ويعيش محصورا فى اطار فرديته الفنية .

والشهادات تقدم لنا نماذج ثلاثة واضحة لاصحاب الشهادات . **عز الدين نجيب** يتغلب على برجوازيته الصغيرة ليختار الثورة . **أحمد هاشم الشريف** يضيق ببرجوازيته ولكنه يقع فى دائرة التمرد دون أن يتجاوزها . **ماهر شفيق فريد** يغلق على نفسه باب حجرته مع ربة الفن ليصارع الكلمات فى احضانها وحيدا .

مصادر الغضب

ومع ذلك فالكل غاضب :

ونستعيد الان سؤالنا الاول : ما هو التفسير الذى يمكن أن نقدمه لنغمة الغضب العامة فى كلمات الادباء الشباب ؟

فى اعتقادى ، بصفة عامة ، أن غضب الشباب — مهما كان مداه ولونه — طبيعى وصحى . **طبيعى** حتى بالقياس الى عامل السن المجرد . **وصحى** لانه ينمى الحاسة النقدية فى الذات الانسانية . والشباب الراضى الذى لا يحتج ضد شيء ، الخائف من ان يصرخ بلا فى وجه وضع لا يعجبه ، خطأ او صوابا ، الساكن عن الحركة الهادرة .. شباب عقيم فى مجتمع عقيم .

وتصبح القضية اذن هى **اولا :** فى الاعتراف بحق الشباب فى الغضب والاحتجاج ، **وثانيا :** فى تحديد مكامن دوافع غضبه بموضوعية وصدق ، **وثالثا :** فى مشاركته البحث لتحويل هذا الغضب الى طاقة ثورية بناءة ومنتجة . وذلك دون محاولة للالتفاف من خلف لاستيعابه وتصييده ، واخماده ، والا كنا نخمد أنفاس الامة وحيويتها .

والشهادات تعطى لنا أكثر من مصدر محدد لغضب الشباب ، تتنوع اجتماعيا وسياسيا وفنيا .

● هزيمة ١٩٦٧ : مصدر اساسى لغضبه . وهو وان كان يعتبرها ملهمة لابداعه — كما يقول **شمس الدين موسى** — الا أنه يعتبر — وله بعض الحق دون شك — الجيل السابق مسئولا عنها ، كما يقول **سامى السلامونى** . ويؤكد انتماءه — كما يقول **سمير فريد** — « الى الجيل الذى يقف الان على ضفاف قناة السويس ليمحو هزيمة الاجيال التى خرج من صلبها » .

● **افتقاد الحياة الادبية الفنية** فى المجتمع المصرى التى تتيح لكل مبدعى الفن والادب من جميع الاجيال أن تتفاعل بانتظام وان تتبادل الخبرات ، وأن تتواصل الاجيال بعضها ببعض على حد تعبير **مصطفى بهجت مصطفى** . وان لا تعيش كجماعات مغلقة على نفسها كما يقول **جمال الغيطانى** . وفى هذا الاطار تندرج أزمة العلاقات المتوترة بين ادباء الشباب ومجالات النشر المختلفة والاجهزة الثقافية ، والابواب المغلقة التى لا تفتح غالبا الا لطرقات الكبار .

● **احساسهم بالعجز عن المشاركة** الفعلية فى حركة بناء الحياة الجديدة فى مجتمعهم ، على الرغم مما يختزنونه من طاقات شابة ، فيضطرون الى اتخاذ « **موقف المتفرج** » على حد تعبير عز الدين نجيب ، او الوقوف « موقف المراقب » كما يقول د . يسرى خميس ، حيث تتمزق روح الفنان بسبب العجز عن الفعل المباشر او الشعور بأنهم « **جيل محاصر** — كما يقول محمد ابراهيم ابو سنة . فليست أمامهم قنوات كافية للسباحة فيها ، او منابر فنية تتيح لهم التعبير المنتظم

● **شعورهم بمدى التخلف** عن نبض العصر وايقاعاته فى العالم ، وضيقهم بالبلادة الموضوعية والفنية التى تلجم حركتهم عن الانطلاق . وبالتالى فهمهم كما هم فى زمنهم ومقابل تحدياتهم دون سوء نية مسبق ودون استخفاف بقدراتهم أيضا . فهم ازاء حساسيتهم بايقاع العصر السريع يخشون فى أعماقهم من الشيخوخة المبكرة . يقول **صبرى حافظ** : « فى هذا المناخ الثقافى الملىء بالشلل وأكلة لحوم البشر ولحومهم أيضا ، والذى يحتل أغلب الواجهات الثقافية فيه أناس يعيشون بمفاهيم القرن التاسع عشر ، يعيش الكاتب الجديد وعليه أن يتجاوز كل هذا وان يحقق مستوى فنيا يواكب به أعمال كتاب بلدان العالم الاخرى .. فهو يعرف أن هناك العديد من الدول الاصغر منا حجما والاقل عراقة والتى تقترب فى مستواها الحضارى من مستوانا حقق كتابها العديد من الانتصارات الكبيرة وحصل عدد منهم على جائزة نوبل . وهو يعرف أيضا أن عليه أن يكون معاصرا لكل ما يدور فى عالمه .. »

● **ما اصطدم به الجيل الجديد** من مناذج فى جيله السابق بدأت ببدايات موضوعية وفنية ثورية ثم اذا بها ،بعد فترات متفاوتة، قد استنامت الى دعة الرخاء المادى والكسل العقلى معا وراحت تسير فى أروقة « البرجماتيه » المتعددة الالوان . ويريد الجيل الجديد ان يحقن شبابه بمصل مضاد لهذا المصير .

وبعد .. ان الشهادات تطرح للبحث قضايا حيوية ، مثل قضية الالتزام والحرية ، تتخطى مسئوليتها كاتب واحد او عدد من الكتاب .. مجلة واحدة او مجلات .. ان المسئولية تمسك بالمجتمع كله . وعليه ان يفتح عقله وقلبه لشبابه . لا من باب العطف ولكن من باب الاحساس بالواجب . ولعل ما استهدفته « الطليعة » بهذه الدراسة الميدانية المتواضعة هو ان تطلق دعوة ، وتنير ضوءا فى هذا المجال .

نحن جيل ضائع

غالى شكرى

كانت الامور في الجيل الماضي ، بسيطة وواضحة ، سواء في الوسائل أو الغايات . كانت الدولة مهما ارتدت من ثياب الديمقراطية الغربية ليست اكثر من جهاز القهر الملكي الاستعماري البرجوازي . وكانت الثقافة في خطها العام مجرد « **رد فعل** » للحضارة الاوروبية من ناحية ، وللتراث العربي من الناحية الاخرى . وكانت الاحلام الفكرية للاجيال الثلاثة السابقة على ثورة ٥٢ لا تكاد تتجاوز الحلم الليبرالي عند جيل الرواد ، والحلم الاشتراكي الديموقراطي عند الجيل الذي يليه ، والحلم الماركسي عند الجيل السابق علينا مباشرة . وهي في مجموعها أحلام الثقافة الاوربية ، كرد فعل للتخلف الحضاري المرعب ، وانعدام التقاليد الديمقراطية في أسلوب الحكم . وقد مضت في خط سيرها ، جنبا الى جنب مع الاحلام اليمينية المتطرفة كرد فعل مذعور أمام الحضارة الوافدة .

على أن الاحلام الفكرية عموما ، يسارا أو يمينا ، لم تكن مجرد ردود أفعال تلقائية عند بعض الافراد المثقفين ، وانما كانت قبل ذلك وبعده ، تجسيدا عميق الدلالة لامال الطبقات المهيمنة على السلطة ، أو الطبقات المقهورة . وهذا ما يمنحها صفة الاصالة في جانب أستيرادها هذا الفكر أو ذاك من هنا أو هناك . فليست القضية كسلا عقليا دفع بفريق ناحية الفكر الغربي وبفريق آخر ناحية التراث ، وانما كانت هناك هوة عمرها حوالي ألف سنة تفصل بين قمة ازدهار الحضارة العربية ، وبين اقتحام الحضارة الحديثة لكياننا الروحي والمادي على السواء . وقد تسببت هذه الهوة الغائرة بظلمتها في وجداننا أن يتلمس مثقفونا الاوائل ركائز رفضهم او قبولهم للحضارة الجديدة في أقرب وسائل الانقاذ . وكانت الثقافة الاوروبية هي الوسيلة المثلى لمن تقبل هذه الحضارة ، وكانت الثقافة العربية هي الوسيلة المثلى كذلك لمن رفضها .

ولم يكن ذلك يتم بمعزل عن العصر الذي عاشوا فيه وهو العصر الذي شهد حربين عالميتين اختتمتا بتفجير الذرة ، كما شهد ميلاد أول ثورة اشتراكية ناجحة في التاريخ ، وانبثاق نظام اشتراكي عالمي . أي أنه العصر الذي حقق انتصارا حاسما ضد اعداء الديموقراطية ، وذلك عن طريقين : أحدهما الطريق البرجوازي التقليدي ، والاخر هو الطريق الاشتراكي الجديد ، وقد انعكس هذا الصراع بالضرورة على خريطة الاحلام المصرية انعكاسا واضحا لا لبس فيه .

ولو أننا أمسكنا بالاتجاه « **المتقدم** » على طول تاريخنا الادبي الحديث - فاليمين المصري لم يقدم انجازات يعتد بها في هذا الميدان - فاننا نلاحظ تطورا طبيعيا وخطا منطقيا يبدأه جيل الرواد بالفكرة الديموقراطية التي تمتد عنها الفكرة الاشتراكية الديموقراطية عند الجيل الاوسط حيث يؤدي بدوره الى الفكرة الماركسية عند الجيل الثالث . ولا يعني ذلك أن « **التطور** » كان يمضي هكذا في خط مستقيم وبصورة تلقائية ، فقد نجد بذورا لاحدى المراحل في أحشاء مرحلة سبقتها ، ولكنها لم تزدهر وتصبح تيارا لا استثناءات فردية الا في زمن لاحق . على أن هذا لا ينفي ان كل جيل كانت له محطة وصول كما كانت له نقطة انطلاق ، ويكاد ان يكون متوسط عمر الجيل الادبي في مصر عشر سنوات بالرغم من كل ما يمكن احصاؤه من تعرجات وتحفظات ، فجيل منتصف العشرينات الذي يعد « **الديوان** » و« **في الشعر الجاهلي** » و« **اليوم والغد** »(1) ثمرته الاولى قد القى مراسيه الفكرية في منتصف الثلاثينات ، وكانت معاهدة ٣٦ بالنسبة له بمثابة تاريخ النهاية . وكذلك جيل منتصف الثلاثينات بلغ ذروة تقدمه في منتصف الاربعينات أو حواليها كما تدل مؤلفات « **النقد المنهجي عند العرب** » و« **الميزان الجديد** »

[1] الديوان للعقاد ١٩٢١ ، والشعر الجاهلي لطه حسين ١٩٢٦ ، واليوم والغد لسلامة موسى ١٩٢٨ .

و « بلوتلاند » و « فى الادب الانجليزى »(٢) ، ولا يختلف الامر عند جيل منتصف الاربعينات الذى كان عام ٤٦ هو شهادة ميلاده فقد عرف قمة ازدهاره عام ٥٦ قبلها بقليل وبعدها بقليل فى « الناس اللـى تحت » و« الارض » و« ارخص ليالى » « والناس فى بلادى » و« فى الثقـافة المصرية »(٣) .

وقد كانت الملاحظة الرئيسية على هذه الاجيال هى أنها فى تطورها الفكرى تكاد تلتزم بخط تصاعدى ، وأنها فى تطورها الزمنى تكاد تلتزم بحلقة السنوات العشر وانها ـ وهذا هو الاهم ـ ترتكز دائما على منهج متكامل ونظرية متماسكة ، فسواء كانت الفكرة ليبرالية أو اشـتراكية ديموقراطية أو مـاركسية ، فـانها متقـولة ومؤصلة ـ معا وفى وقت واحد ـ عن بناء فكرى مترابط ومتسق ومنطقى الى أبعد حد . وكان الزمن ـ المحلى والعالمى ـ يتجاوز بعنفه وضراوته مختلف الابنية والافـكار ، فتتزعزع أركان هذه النظرية أو تلك ، وتقتلع رياح التطور جيلا من الاجيال من موقعه الرائد للحركة الاجتماعية لتحل مكانه جيلا آخر أكثر قدرة على الريادة ، سواء باستجابته للتغير الاجتماعى أو بقناعة فكريـة خاصة لمنطق التاريخ . وهكذا كان يحدث ما نسميه بنقاط التحول التاريخية ، فيصبح الرائد التقدمى محافظا ويولد من أعماق الصراع الاجتماعى جيل جديد لا يلبث أن يتحول بدوره الى جيل محافظ وهكذا . ولا ضرورة للتخطيط باللون الاحمر تحت الشذوذات الفردية على هذا القانون العام .

وكان من الممكن أن نستحضر فى وعينا مواد هذا القانون ونطبقها فى سهولة ويسر على هذا الجيل الذى تقدم « الطليعة » شهادته فى هذه القضية . كان ممكنا أن نقول هذا هو المنطق الطبيعى للتطور وحركة التاريخ حتى يصمت أولئك الذين لا يرحبون من قلوبهم بقدوم جيلنا .. لولا أن المسألة فى واقع الامر أعقد من أن تحلها تلك المعادلة اليسيرة السهلة . فقد عرفت بلادنا ، والعالم من حولها ، ظروفا تغاير من حيث الجوهر ، منطق ما بين الحربين ومنطق ما بعد الحرب العالمية الثانية ، جميعا . ولم يكن السقوط مطلقا ـ كما تتـوهم غالبية الشهادات ـ سقوطا لجيل أو أجيال سابقة علينا ، وانما كان سقوطا لعالم كامل ، وانسانية كاملة . وليست هذه كلمات مجردة ، فقد سقطت انتصارات الديموقراطية الغربية على النازية فى أوحال المكارثية وحرب الزنوج وحرب فيتنـام وعشرات غيرها من الحروب السرية والمعلنة .

وتحولت الولايات المتحدة الامريكية قلعة العالم « الحر » الى امبراطورية من أبشع ما عـرف الانسان فى تاريخه من وحشية ودكتـاتورية وعنصرية . وقد تعثرت كذلك انتصارات الماركسية على الديمقراطية الغربية فى العالم الاشتراكى ، وفى المقدمة منه الاتحاد السوفيتى والصيـن الشعبية . تعثرت للدرجة التى يعلن معها كل من هذين البلدين العظيمين أن « الآخر » منحرف عن الماركسية مراجع لها . تعثرت للدرجة التى يثور معها شباب العالم فى الستينات وهو يرفع أعلاما بالغة التناقض ، بالرغم من ثورته الجارفة على الديمقراطية الغربية . ذلك أن أحدا لم يعد يفرق بين الصـواب والخطـأ : ستالين وخروشوف ، خروشوف وماو ، باسترنـاك واتحاد الكتـاب ، شـولوخوف وجائزة نوبل ، ايفتوشـنكو وترتز وسينيافسكى وأخيرا كوزنتسيف ، أراجـون وجارودى ولوكاتش ، حركة تشيكوسلوفاكيا .. الى غير ذلك من مئات العناوين التى يمكن أن نضـعها على تفريعـات « الازمـة » فى ظـل الاشتراكية . وهى الازمة التى عبرت عن نفسها أخطر تعبير فى الضربات المتوالية من جـانب الامبراطورية الجديدة ضد العالم الثالث ، وقد وصلت ذروتها العليا فى الضربة « الاسرائيلية » الاخيرة للوطن العربى .

متناقضات الجيل الجديد

ولم يكن منطق التطور الجديد مغايرا للمنطق القديم على مستوى العصر والعالم فحسـب ، فبالرغم من الانعكاسات الحتمية لروح العصر الممزق على بلادنا ، فقد كان المنطق الخاص بنا هو الاخر فى حالة مغايرة جذريا لمنطق المرحلة السابقة على الثورة . لذلك سقطت كافة احلامنا الفكرية على أرض الواقع الجديد . لم تر الفكرة الليبرالية ولا الاشتراكية الديمقـراطية ولا المـاركسية « حلمها » يتحقق ، حلمها الذى ناضلت من أجله تلك الاجيال المتعاقبة . لقد رأت كل فكرة من هذه الافكار بعضا من حلمها يتحقق ، وبعضا آخر غاص فى الرمال او فى قاع النهر . ولـم يتحقق « البعض » الذى تحقق على هواها أو على طريقتها أو على يديها . والبعض الذى غاص الى الابد غاصت معه أحلام وأعمار وأجيال كاملة . وكان من الطبيعى أن تحتجب وجوه وأن تبرز وجوه ، أن تصمت أفواه ، وأن ترتفع أصوات . صمت الذين صدقوا مع انفسهم حين رأوا احلامهم تسقط أمام عيونهم . وتكلم الذين آثروا التكيف

---

[٢] النقد المنهجى والميزان الجديد لمندور ١٩٤٤ ، وبلوتلاند والادب الانجليزى للويس عوض ١٩٤٧ .

[٣] لنعمان عاشور وعبد الرحمن الشرقاوى ويوسف ادريس وصلاح عبـد الصبور ومحمود العالم « على الترتيب »

والتأقلم ولو على حساب أحلام قديمة • وبين هؤلاء وأولئك تمزقت القلة القليلة التى تناقضت مع « **الامر الواقع** » وفق حلمها الباهر عن « **المجتمع الجديد** » ، تمزقت بين مد وجزر ، بين السلب والايجاب ، بين ما تراه وما تؤمن به •

هذا هو المناخ الحقيقى الذى ولد فيه وعى هذا الجيل الذى حصلت « **الطليعة** » على شهادته • فان معظم الذين أدلوا بشهاداتهم بدأوا ينهلون ثقافتهم منذ سبعة عشر عاما أو أقل قليلا فلم يجدوا ـ بطبيعة الحال ـ الا صمتا وزيفا وقلقا عنيفا ، وحين قرأوا « **ماضى** » السابقين عليهم أحسوا حتى النخاع بهول الفجوة التى تفصل بين الاحلام والواقع • ولكنهم أحسوا فى نفس الوقت بهول ضياعهم هم ، لانهم لا يملكون حلما ولا واقعا • لقد تلقف « **مندور** » فى الماضى حلم « **طه حسين**» وطوره ،كما تلقف « **نعمان عاشور** » حلم « **توفيق الحكيم** » وطوره ، ولكن الجيل الجديد اقبل والاحلام تتساقط الواحد بعد الاخر ، والواقع الجديد له لغته الخاصة والاقل بساطة ووضوحا مما كانت عليه لغة الواقع القديم • لذلك افهم الرفض القاطع والفج أحيانا من جانب بعض ابناء هذا الجيل ، لما قدمته الاجيال السابقة ، كما افهم لهجة العطف والتقدير من جانب البعض الاخر ، ولكنى أفهم أكثر وانفعل أعمق بما قاله **عبد الحكيم قاسم** حين قابل **يوسف ادريس** للمرة الاولى وخرج من عنده « **مشحونا بطاقة هائلة ، ثمة انسان آخر يتعذب** » فلا الرفض ولا العطف بكافيين لتفسير أزمة الاجيال السابقة ، وبخاصة ذلك الرفض السطحى الفج الذى يرى فيهم « اشباحا هزيلة » كما وصفهم **أحمد هاشم الشريف** ، فالحق أن أزمتهم أخف وطأة من أزمة الجيل الجديد ،فتلك أزمة التناقض بين الحلم والواقع ، أما هذه فأزمة الضياع الكامل • كان المثقف الليبرالى يناضل الاستعمار والتخلف الاقطاعى ففاجأته الثـورة بالاستقلال الوطنى وكان عليه أن يفرح ، غير أنها فجعته فى ليبراليته فحزن • وكان المثقف الاشتراكى الديمقراطى يناضل الاستعمار والاقطاع والفئات العليا من البرجوازية ، فحققت له الثورة اقتصادا قوميا متقدما ولم تعبأ بمفهومه عن التقاليد الديمقراطية • وكان المثقف الماركسى يناضل الاستعمار والاستغلال بكافة أشكاله ، ولم تتواز أحلامه مع واقع الثورة ، بل ارتبطت وتناقضت فى أحيان كثيرة • وقد خلق هذا الواقع من أعظم ابناء الاجيال الماضية أبطالا تراجيديين منقسمين على أنفسهم بين « لا » و« نعم » • وكان من الطبيعى الا يتلقف الجيل الجديد حلما من أحلامهم ، وبخاصة وأن سقوط المدن الفاضلة أمام عينيه وفوق رأسه دفعه الى الشك فى أن يكون هناك حلم جدير باستيطان الرؤوس • أسهمت فى ذلك الشك كما أثمرت من قبل ظروف عالمية مريرة كالتناقض الحاد بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة للدرجة المذهلة التى أوضحها شرايبر فى كتابه « **التحدى الامريكى** » وهى الدرجة التى يحتمل معها أن تنقرض بعض شعوب العالم • لعل ذلك أو جانبا منه ، ماتعبر عنه كلمات « **عبد الحكيم قاسم** » : « **اننا لا نزال نعيش مجتمعا هو ـ فى الاساس ـ مجتمع زراعى فقير ،الى جوار مجتمعات صناعية هائلة تمد أذرعا فولاذية تطول بها القمر ، وتمد اذرعا استعمارية تغرس اصابعها لتدخل من اعتابنا وتأخذ برقابنا ، ان التخلف بالنسبة لنا يعنـى الموت ، الموت بكل معنى الكلمة** » •

حضارتنا •• وضياعنا

وعربد الشك فى وجدان الجيل الجديد حين انهار المثل الديموقراطى فى الغرب ولم يولد بديله فى الشرق، بل وحين انقسم الشرق الاشتراكى على نفسه انقساما مريرا بحيث أننا نستطيع أن نفهم لماذا يقول **محمد ابراهيم مبروك** فى تفسيره لما يمكن ان يتهمه به البعض من « **غموض** » فيما يكتبه من قصص « **كل ذلك مضافا اليه مشاكلنا المحلية القريبةجدا والشديدةالوطأة تبعا لذلك،لاشك يؤثر فى انتاجى فيخرج متسما بالغرابة والخوف والقسوة والذعر والاحباط والرعب من القوى اللاانسانية التى تتحكم فى عالمنا واليأس من الخلاص** » •

ويعى هذا الجيل وعيا حزينا يثقب القلب ان ضياعه يختلف فى الكثير عما يبدو على الاجيال المعاصرة له فى أوربا وأمريكا من ضياع • ذلك ان ضياعهم هناك وليد حضارة متقدمة تتجاوز نفسها على الدوام بحيث انه يمكن ان يكون عامل خصوبة ونماء • اما ضياع جيلنا فهو وليد حضارة متخلفة تنتكس أميالا كلما تقدمت خطوة بحيث ان الامل شبه مفقود فى أن يؤثر هذا الضياع تأثيرا عميقا يحرث الارض ويخصبها • وهذا أو قريب منه يوجزه تعبير **محمد ابراهيم أبو سنه** « •• **أما جيلى فقد حاصرته الآمال الضائعة والرغبـات المحبطة • وان كان التفتح الثورى قد أضاء بعض الطريق،الا أن العواصف لم تكف لحظة واحدة عن اثارة المتاعب أمام جيلنا حتى اضطربت الاشياء** » •• ويستكمل **زهير الشايب** هذا المعنى بصورة اكثر صراحة وجلاء فيقول : « **وكاعتراف أؤكد انني حين بدأت اكتب ، شعرت بقلق كبير • لقد وجدتنى رجلا بلا عقيدة ، أى بلا فكر محدد •• واكتشفت أننى اردد احيانا آراء لا أؤمن بها** » •

بالطبع تتحدث الغالبية الساحقة من الشهادات عن الاشتراكية والحرية، وبعضها يتطرف بهذه او بتلك ، ولكن ما لا شك فيه ان اشتراكيتهم وحريتهم تتخـذ لنفسها معنى خاصا يختلف عن المعـانى المستقرة والمتكاملة فى أذهان الاجيال الاخرى • لذلك أكاد أقول ان الذين قالوا بأن الجيل السابق

يسري في دمائهم، أو أن لكل جيل ظروفه التاريخية التي لا يمكن تجاوزها او ان الجيل السابق يشكل عقبة أمامهم، او ان التفرقة ضرورية بين قطاعات مختلفة في الجيل السابق .. هؤلاء جميعا يشتركون في خطأ واحد كبير هو أنهم تصوروا خصما او صديقا لا وجود له . فالوجود بمعناه الفكري هو حوار، فاذا انعدم الحوار لم تعد ثمة قيمة لـ « وجود » أطراف صامتة أو متكلمة مونولوجيا . والحق ان هذه نقطة البداية ونقطة النهاية في ضياع هذا الجيل : لقد ولد « **مقطوع الحوار** » سواء بينه وبين الجيل السابق عليه، او بينه وبين الواقع المحيط به . وبانقطاع هذا الحوار لا فضل للجيل السابق ولا تثريب عليه بالنسبة للجيل الجديد . ذلك ان ضياع جيلنا هو الثمرة الشرعية لسقوط منطق قديم للتطور وعدم قيام منطق جديد يحل مكانه، هذا السقوط الذي يعانيه العالم المعاصر بأسره، والبلدان المتخلفة على وجه الخصوص .

غير ان هذا الضياع ــ بعيدا عن الشهادات المقدمة للطليعة ــ قد عبر عن نفسه تعبيرا فنيا اصيلا، فجاءت الرؤيا ضبابية غائمة لا تبني مدينة فاضلة ولا تشيد حلما من الوهم الجميل .

أصحاب رؤى .. لا حرفيون

وبعد، فان الاعمال الفنية لهذا الجيل اكثر صدقا من هذه الشهادات « الواقعية » التي بسطت كثيرا من المسائل المعقدة بطبيعتها، واختلط عليها الامر في مسائل احتاجت الى عمق أكثر .. فلو كانت فضيلة جيل تقاس بمدى ما قدمه الى جيل آخر من « **الاشياء** » لكان الجيل المصري السابق على الجيل الجديد هو أفضل الاجيال لقد مد اليهم يده بأقوى مما كانت الايدي القديمة تمتد اليه، فالذين قرروا التفرغ لعدد كبير من كتاب هذه الشهادات والذين قرروا نشر كتب لعدد كبير آخر، هم من أبناء الاجيال الماضية فهم أصحاب فضل ــ بالمعنى الاجتماعي ــ لا ينكر . ولكن مشكلة الفكر والفن اعمق من ذلك وأدق، انها مشكلة « **الرؤيا** » التي نواجه بها الحياة . لربما يستطيع الجيل الجديد أن « **يتثقف** » على كتابات الاجيال التي سبقته، ولكنها ثقافة « **حرفية** » ان جاز التعبير وليست ظلا لرؤيا يتسلح بها في مواجهة واقعة وعصره . وهو جيل لم تتخلق رؤياه الخاصة بعد، الا ان ضياعه وعذابه بمثابة آلام المخاض والولادة العسيرة . والذين يطالبونه ببيان او مانفستو يشرح فيه معتقداته الاساسية كمن يطالب جنينا باستخراج شهادة الميلاد من قبل ان يولد . ان أمثال هذه « الطلبات » تقدم برهانا لا يدحض على انقطاع الحوار منذ البداية بين جيلنا والجيل السابق، ومن ناحية اخرى فان ظاهرة الشللية والغوغائية في جيلنا دليل دامغ على انقطاع الحوار بينه وبين الواقع المحيط به . وبين انقطاع الحوار هنا وانقطاعه هناك يضيع جيلنا ضياعا مأساويا فادح الثمن، وربما كان ذلك سر تعاسته .. وعظمته معا .

وكلما أثيرت قضية هذا الجيل سوف تظل النتائج مرهونة دائما بقدر الموضوعية الذي يمكن ان نتزود به في الرؤية . ذلك ان المشكلة تظل دائما هكذا : الاجيال السابقة مهما تطورت لن تتخلى عن ذاتيتها وتكوينها التاريخي في النظر للامور . وحينذاك ستجيء نتائجها لا شعوريا مزيجا مضطربا بين العقل والعاطفة . وهذا الجيل نفسه لن يتخلى بدوره عن ذاتيته واستقلاله بحيث يصل بعض بنيه الى حدود المبالغة والكاريكاتير .

والحد الادنى من اللقاء هو ان نسلم بجملة اشياء، **أولها** ألا ننتظر من هذا الجيل ــ لزمن يطول ــ منهجا فكريا متماسكا أو نظرية مترابطة ومتسقة . **وثانيها** ألا نتوقع من تطوره ان يكون امتدادا طبيعيا لاية جذور . **وثالثها** الا نتصور دورات زمنية محددة يمكن ان ينضج فيها أحد الاجيال ليفسح الطريق أمام جيل آخر وهكذا . وأخيرا ألا نفرض عليه انسجاما مفتعلا مع الواقع . ولنبق له على بكارة الرؤيا وشرف المغامرة .

كلمة من الطليعة

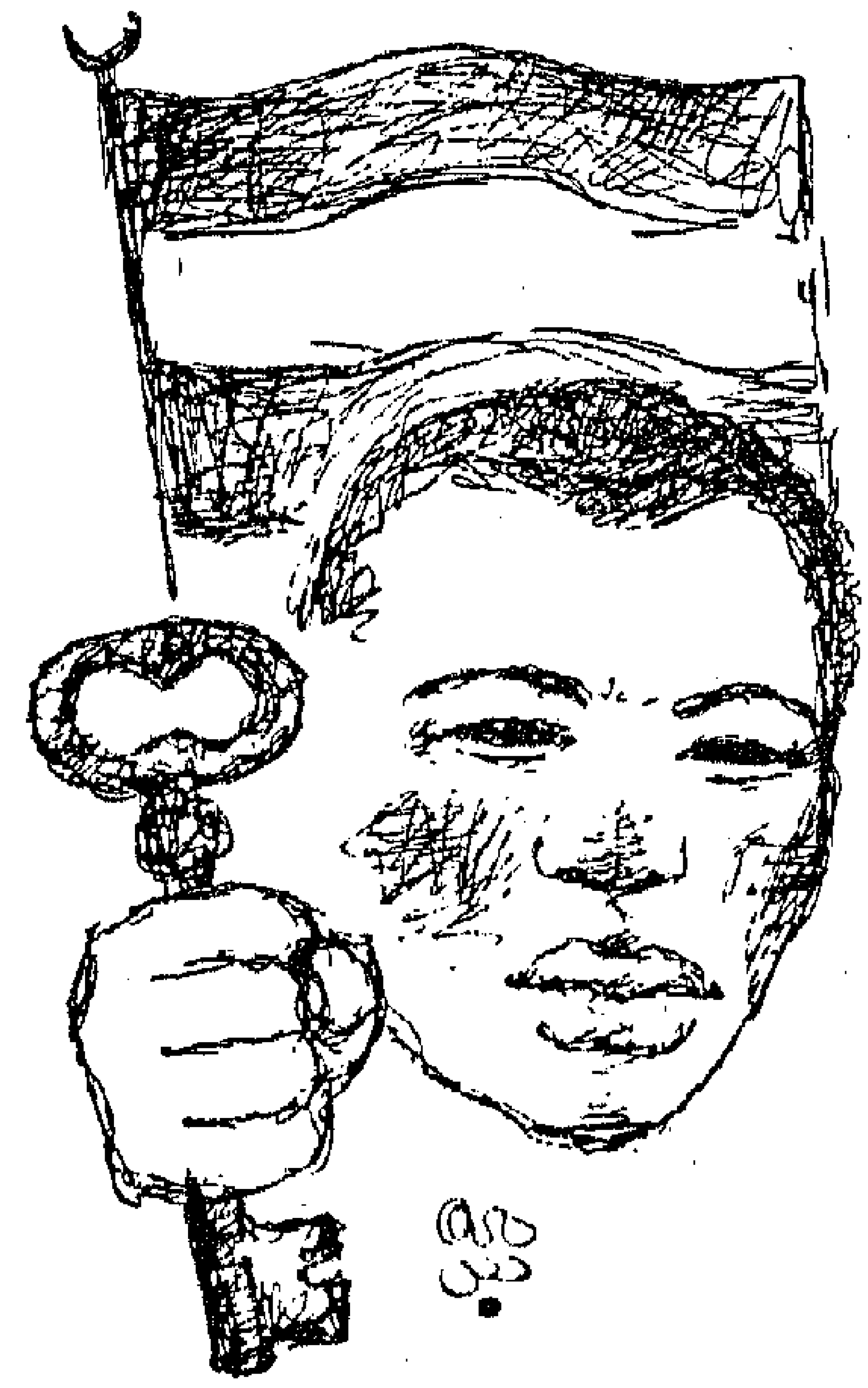
ورد في تعليق الدكتورة سهير القلماوي وتعليق الدكتور علي الراعي مجموعة من الاقتراحات يمكن ايجازها فيما يلي :

١ ــ عقد ندوة موسعة في شكل مؤتمر يدعى اليه شباب الجيل الجديد مع بعض رواد الاجيال السابقة عليه لمناقشة المشكلات التي أثارها الجانبان في الشهادات الواقعية والتعليقات .

٢ ــ تشكيل لجنة تختص برعاية المواهب الجديدة، وزيادة منح التفرغ، واقامة مهرجان سنوي لانتاجهم، وانشاء مجلة خاصة بالنقد الادبي تفسح المجال لتقييم هذا الانتاج .

و « الطليعة » اذ ترحب بهذه الاقتراحات تعلن استعدادها للمشاركة في الدعوة والاعداد للمؤتمر الذي اقترحت الدكتورة سهير القلماوي عقده بالتعاون مع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

الطريق العلمى لحل مشكلة جنوب السودان



جوزيف قرنق

يكتب هذا المقال « للطليعة » المناضل السودانى التقدمى « جوزيف قرنق » الذى أصبح وزيرا للجنوب فى حكومة ثورة مايو بالسودان .

« وقرنق » محام من أبناء جنوب السودان له نضال طويل منذ الاربعينيات . ومن رواد حركة التقدم والديمقراطية ووحدة السودان فى الجنوب . وكان مسئولا عن « الجبهة المعادية للاستعمار » فى الخمسينيات باقاليم الجنوب . ومحررا لمجلة التقدم . وأصبح عضوا بالهيئة النيابية فى السودان بعد ثورة اكتوبر . وفى ديسمبر ١٩٦٦ أسس الحزب الديمقراطى الجنوبى . (راجع بيان الحزب المنشور مع هذا المقال) .

وفى هذا المقال يعرض ، جوزيف قرنق — وقد أصبح فى موضع المسئولية السياسية التنفيذية — لمشكلة الجنوب وأسبابها وتطوراتها والافاق التقدمية الجديدة لحلها على اساس المبادىء الاشتراكية ووحدة التراب السودانى

والمقال ، رغم انه ينصب على مشكلة جنوب السودان التى تعتبر من اخطر مشكلات السودان المعاصر ، الا انه فى الحقيقة يطرح للبحث على أسس ديمقراطية قضية الاقليات القومية فى الوطن العربى وارتباطها بحركة التحرر العربى التقدمية مصيريا .

السودان

كمعظم البلدان الافريقية ، يتكون سكانه من أصول جنسية متعددة ، من قبائل وجماعات قومية مختلفة وكل منها يعيش فى اقليم خاص به وكلها تعيش فى مراحل تطور مختلفة . فوسط البلاد تسكنه « **قومية عربية** » ، والتى هى الى حد كبير قومية متماسكة ، تستخدم لغة متطورة ومتقدمة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا أكثر من سكان السودان الاخرين . ولقد احتفظت لقرون طويلة بعلاقات وثيقة مع مصر ، استفادت منها كثيرا . وتكون « القوميـــة العربية » ٣٩٪ من مجموع السكان .

وعلى حدود اريتريا وفى مناطق البحر الاحمر تعيش مجموعة قومية أخرى وهى قبائل « **البجا** » وهم رعاة جمال أساسا ، وتقطن « البجا » اقليما جافا ، فرض عليهم حياة البداوة ، ويصل تعدادهم الى مليونى نسمة .

وفى اقصى الغرب تعيش كذلك قبائل ليست من اصل عربى وهى أساسا قبائل « **الفر** » — FW — والتى ظلت حتى عام ١٩١٦ محتفظة بسلطنة خاصة بها . وكذلك فان « **النوبيين** » فى **أقليم كردفان** ، لهم تكويناتهم القومية الخاصة .

وشعب جنوب السودان شأنه شأن «النوبيين» و «الفر» من أصل **زنجي**، وله ٤٥ لغة مختلفة ويكون ٣٠٪ من مجموع سكان السودان . وبسبب تعدد اللغات فان مثقفى الجنوب يتبادلون الحديث **بالانجليزية** . ولكن لغة التبادل التجارى والحياة اليومية ، وخاصةفى مدن الجنوب هى **العربية**، نطقا فقط .

فترة للحكم التركي ـ المصري

وترجع مشكلة جنوب السودان تاريخيا ، الى وقت الحكم التركى ـ المصرى والذى ضم المناطق المعروفةالان باسم جنوب السودان الى مستعمرته السودانية فى١٨٣٨ ، بعد غزوه لشمال السودان فى ١٩٢١ . لقد كان هدف الادارة التركية ـ المصرية فىالسودان الحصول على الذهب والعاج وريش النعام والعبيد لتجنيدهم فى الجيوش الخديوية . ولقد كان الحكم التركى المصرى فاسدا وقاسيا . فقد فرض الضرائب الباهظة النقدية والعينية ، وتمثل ذلك فى الجنوب بطلب كميات غير معقولة من العاج وريش النعام . وكان جزاء عدم تقديمها حرق القرى وتخريبها . ولكن القسمة الاساسية لهذا الحكم فى الجنوب كانت الحصول على « العبيد » للوفاء بمتطلبات الجيش والخدمة المنزلية فى العالم العربى وشمال السودان .

وقد كان للقبائل العربية فى الشمال دور كبير فى تجارة العبيد ، فنظموا مجموعات من العصابات المسلحة وشجعوا الحروب القبلية الداخلية . ولقد أدى ذلك الى استنزاف القوى البشرية فى الجنوب وشل الحياة اليومية العادية ، وجعل أى تقدم مستحيل .

وبعد الثورة المهدية ـ ١٨٨٥ ـ استمرت **تجارة « العبيد »** حيث كان من بين أقوى مؤيدى المهدى أكبر تجار للعبيد ، من الذين عارضوا السياسة التركية ـ المصرية الجديدة التى حرمت تجارة « العبيد » .

ولقد ألغيت تجارة « العبيد » فى ١٨٨٩ بعد استيلاء بريطانيا ومصر على السودان . ومنذ ذلك التاريخ لم تعد تجارة « العبيد » تشكل عنصرا من عناصر مشكلة الجنوب. ولكن من المهم أن نضعها فى اعتبارنا لانها تركت ذكريات مريرة فى وجدان الجنوبيين عن الشماليين ، وكراهية لدى الشماليين وهى عناصر هامة فى تفهم الوضع وكذلك لان الادارة البريطانية اعتمدت على هذه « التجارة » فى تنفيذ سياستها المعروفة بـ «فرق تسد» .

فترة حكم الاستعمار البريطاني

ان السياسة الاستعمارية للحكم البريطانى هى التى خلقت مشكلة الجنوب . [**لقد كان دور مصر فى حكم السودان ثانويا وبعد ثورة ١٩١٩ ـ ١٩٢٤ لم يعد لها أى دور على الاطلاق**] . وهدفت السياسة البريطانية لاحكام السيطرة على

بيان حزب الجنوب الديمقراطي

الى جماهير الشعب السودانى والى كل الجنوبيين الديموقراطيين والمعادين للامبريالية بصفة خاصة :

منذ فترة بدانا نحس بالحاجة الى حزب للجنوب ديمقراطى ومعادى للامبريالية . ذلك ان دراسة تاريخ حركتنا السياسية تبين ان مختلف الاحزاب والقيادات السياسية الجنوبية المتعاقبة قد برهنت على انها عاجزة كلية عن تحقيق التطلعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية العادلة لشعب الجنوب ورغبته فى حياة افضل والتحرر من الفقر والجوع والمرض .

فلقد انتهجت هذه الاحزاب والقيادات، ومازالت تنتهج ، طريق عزل شعب الجنوب وحركته السياسية عن الحركة الديمقراطية المعادية للامبريالية العامة فى البلاد انتهجت طريق التعاون مع الامبريالية والاستعمار الجديد ومع الدوائر التقليدية العقيمة فى الشمال .

وفى اوائل الخمسينات ، بذل السياسيون الجنوبيون التقليديون كل جهودهم ، فى ارتباط وثيق مع الادارة الاستعمارية ، لتاخير استقلال بلادنا ، وتسببوا بما قاموا به من حملات دعائية واستفزازات واثارة فى قيام اضطرابات اغسطس ١٩٥٥ ، ومن ثم جروا آلاما كثيرة لشعب الجنوب وأخروا تنمية وتطوير الجنوب فى كل مجال ، كذلك ساعدوا على استنزاف الموارد الفنية فى الدولة والتى نحن فى أمس الحاجة اليها لتطوير الاقتصاد السودانى .

وبعد الاستقلال عملت القيادات السياسية للجنوب بثبات على تكوين جبهة مشتركة مع الرجعية فى الشمال فى محاولة لتقوية قبضة الاستعمار الجديد فى البلاد ، ولمنعها من انتهاج طريق ثورى يؤدى الى استبعاد راس المال الاجنبى والاستقلال السياسى ، تلك الخطوة الضرورية لتقدم دولة متأخرة. ونحن نذكر مثلا ان الغالبية العظمى من القادة التقليديين قد تحالفوا فى ١٩٥٨ مع نظرائهم فى الشمال ليفرضوا على

الجنوب ، وفصله عن الشمال واستخدامه بعد ذلك ضد حركة التحرر الوطني في الشمال بهدف تأخير استقلال السودان .

ومن البديهيات ، أن أي دولة رأسمالية عندما تستولي على اقليم تحوله الى مستعمرة لصالح احتكاراتها الراسمالية – كسوق لسلعها ومصدر للمواد الخام ، وكمجال لتصدير رأس المال . وتركز هدف الاستعمار البريطاني الاول في الحصول على القطن طويل التيلة من السودان ، ومن الناحية الجغرافية كانت الاراضي التي يقطنها العرب في الشمال على النيلين الازرق والابيض أصلح الاراضي لزراعة القطن طويل التيلة ، حيث تتوفر أسهل وأرخص وسائل الري غير الالي . وكما أن تقدم القبائل العربية في الشمال ثقافيا واجتماعيا عن شعوب السودان الاخرى كان يسمح بقيام سوق للسلع البريطانية الصنع . كل ذلك جعل الاستعمار البريطاني يركز على استغلال الشمال اقتصاديا ، فأنشأ الاستعمار البريطاني أكبر مشروع لانتاج القطن في الجزيرة ، ومد الخطوط الحديدية لخدمة تصدير القطن والصمغ ، وأقام المدن . وبذلك ادخلوا الانتاج الحديث والتقدم في الشمال .

واستفادت كذلك « القومية العربية » من عنصر آخر هو نفوذ مصر النضالي والثقافي . ففي الثلاثينيات والاربعينيات بدأت المدارس الثانوية والجامعات تخرج مئات من الطلبة السودانيين ، واذ خشيت الحكومة البريطانية اثر الخريجين السودانيين الذين تربوا في مصر ، أنشأت بعض المدارس الثانوية في الشمال ، فضلا عن كلية شبه جامعية تربية خاصة بعيدا عن مصر ، وهكذا أزداد عدد المتعلمين في الشمال .. وقد أدى ذلك الى أن أصبحت القومية العربية في الشمال أكثر تقدما وتطورا من المجموعات القومية الاخرى والتي بسبب تخلف المناطق التي تعيش فيها وانقطاع سبل المواصلات بينها ، بسبب الصحراء والمستنقعات أو بعدهم عن البحر ، لم تحظ باهتمام الاستغلال الاستعماري . وهنا يكمن سبب من الاسباب الرئيسية في عدم التكافؤ بين الشمال والجنوب .. حيث جاء الاستقلال في ١٩٥٦ والهوة كبيرة بينهما اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

ولكن هذا النمو غير المتكافيء بين الشمال والجنوب ، لم يحدث فقط نتيجة لسياسة الاستعمار حيال الشمال ، ولكنه حدث كذلك وفق مخطط مرسوم للابقاء على تخلف الجنوب حتى يتمكن الاستعمار البريطاني من تحقيق سياسة « فرق تسد » . والتي كانت تقوم أساسا على :

● **فصل الجنوب عن الشمال وعزله عن العالم المتمدين . ففي ١٩٢٢ اصدر الحاكم العام قانون المناطق المغلقة ، والذي يمنع دخول أي انسان للجنوب دون اذن خاص . . وبمقتضى هذا القانون أبعد الشماليون من الجنوب ، باستثناء العناصر التي تثق فيها الحكومة البريطانية . وفي المناطق التي يمكن للقبائل العربية أن تتصل بالشمالية حددت الحكومة مناطق حدود تفصل بينها . ومنع تدريس اللغة العربية في المدارس الجنوبية القليلة ولم يكن مسموحا لاي جنوبي أن يتحدث بالعربية في المكاتب الحكومية.**

الامة « المعونة » الامريكية وبهذا ساعد القادة الجنوبيون التقليديون على تقوية النفوذ الامبريالي في البلاد ، واطالوا في اجل النظام الرجعي القائم حينذاك ، وأتاحوا له الفرصة ليمهد للدكتاتورية العسكرية وليقوم بها ، تلك الدكتاتورية التي جرت الالام والمعاناة على الشعب في الجنوب وفي الشمال ايضا .

ولم تقنع القيادة الجنوبية التقليدية بهذه الجرائم اذ دبرت بمساعدة الاستعمار الجديد ، والكنائس الاجنبية داخل وخارج السودان ، قيام تمرد مسلح لا طائل من ورائه ، بهدف فرض انفصال المديريات الجنوبية ، وتحويلها الى قلعة للاستعمار الجديد للاستغلال ، وكقاعدة للعدوان على حركة التحرر الوطني والاشتراكي الافريقية بصفة عامة والحركة الكونغولية والشمالية بصفة خاصة .

لقد جر التمرد ، ولايزال ، آلاما لايمكن تصورها علي شعب الجنوب ، فقد عطل الانتاج تماما في الجنوب ، واعاد ذلك القسم من بلادنا الى الوراء عدة سنوات .

وبعد ثورة ٢١ اكتوبر ، والتي تحققت اساسا بفضل الجهود البطولية للحركة الوطنية الديمقراطية والتقدمية لشعب الشمال ، وبعد اتباع حكومة الثورة لسياسة جنوبية اخوية وثورية ، اعتقدنا ان القيادات التقليدية في الجنوب لابد وان تعود الى صوابها وتلقي بثقلها خلف الثورة وتعمل علي توحيد الشعب السوداني [في الشمال والجنوب] حول برنامج للتقدم الديمقراطي والاقتصادي والاجتماعي وحل مشكلة الجنوب على اساس من سيادة السلام والديمقراطية والوحدة في البلاد .

ولكن فوجئنا بالقيادات التقليدية في الجنوب وهي تدعم روابطها مع الرجعية الشمالية ، والاستعمار الجديد ، والكنائس الاجنبية ، وبمساعدة هذه القوى اطاحت بالحكومة الوطنية في فبراير ١٩٦٥ . لقد استغلت هذه القيادات النية الطيبة لحكومة اكتوبر لا لنزع سلاح انصارها ، بل على النقيض من ذلك لتقوية تنظيمها العسكري بشكل الطرق وللاعداد للقتال والتذبيح ومواصلتهما

وفي مارس ١٩٦٥ احبطت هذه القيادة آمال شعب الجنوب في حل ديمقراطي لمشكلة الجنوب ، وفي السلام والامن والتقدم . فقد اتخذوا في مؤتمر المائدة المستديرة [القادة الجنوبيون التقليديون] مواقف انفصالية متعنتة ورفضوا الاصغاء الى النصيحة حتى من الوفود الشقيقة من الدول الافريقية الاخرى .

ولم يكن الشعب قد افاق بعد من هذه الصدمة حين سارعت القيادات السياسية في الجنوب الى تدبير صدمة جديدة غيرها . فقد فرضت بمعاونة الرجعية الشمالية الانتخابات في قسم واحد من البلاد وبذا حددت

● وفي مدارس المبشرين تدرس التاريخ مزيفا ، وصور العرب على أنهم هم المسئولون وحدهم تاريخيا عن تجارة العبيد — متجاهلين بذلك تجار العبيد الاوربيين والذين شحنوا الزنوج الى الولايات المتحدة . بل على العكس صور الاوربيين على أنهم الرسل الالهية التي انقذت الجنوب من تجار العبيد .

● انحصر التعليم فى الجنوب فى تخريج عددقليل من الكتبة الثانويين ، وحتى عدد المدارس لم يكن كافيا فى بلاد تبلغ مساحتها ¼ مليون ميل مربع . فكان فى الجنوب ثلاث مدارس ، يتراوح عدد التلاميذ فى كل منها بين ٧٠ و١٠٠ تلميذ .

● اتبعت سياسة التمييز بين الشمال والجنوب فى العمل والاجر . فبينما كان العامل الشمالى يحصل على أجر يتراوح بين ٢٠ و٦٠ شلنا فى الشهر ، كان الجنوبى يحصل على ثلاث شلنات فى الشهر . وبينما كان خريج المدارس يحصل على مرتب شهرى يتراوح بين ١٢ و ١٥ جنيها استرلينيا فى الشهر ، كان الجنوبى يحصل على مرتب يتراوح بين ١٢ وأربعين شلنا فى الشهر .

واستمرت الحكومة الاستعمارية البريطانية تمارس هذه السياسة حتى ١٩٥٤ بهدف تقسيم السودان ، وضم اقاليمه الجنوبية الى الممتلكات البريطانية فى شرق افريقيا . واذ فشل هذا المخطط نتيجة لمعارضة المصريين والشماليين وخشية الرأى العام العالمى ، فقد أعلن البريطانيون أنهم يريدون تأجيل الحكم الذاتى فى السودان حتى لا يقهر الشمال الجنوب ، وحتى تتمكن بريطانيا من البقاء بحجة تطوير الجنوب اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ليلحق بالجنوب !

وعندما أخذت الحكومة البريطانية تطبق الحكم الذاتى فى السودان فى ١٩٥٤ ، وبدأت سودنة الوظائف والمناصب التى كان يشغلها البريطانيون لم يكن هناك اى جنوبى مؤهل ليفيد من السودنة . وهكذا تسلم الشماليون كل المراكز الرئيسية ، بما فى ذلك الوظائف التى كان يتولاها البريطانيون فى الجنوب . ومن هنا فانه عندما جاء الاستقلال فى يناير ١٩٥٦ وجد الجنوب نفسه فى وضع متخلف عن الشمال ، وذلك بسبب سياسة الاستعمار البريطانى .

موقف الدوائر الرجعية الشمالية والجنوبية

وفى ١٩٥٤ ، عندما شكل «**اسماعيل الازهرى**» الحكومة الوطنية الاولى اشترك فيها عدد من الجنوبيين بقيادة « **بولين آلير** » على وعد من « **اسماعيل الازهرى** » وغيره من قادة الحزب الوطنى الاتحادى انهم سينفذون برنامجا اصلاحيا بالنسبة للجنوب ، وسيوفرون عددا من الوظائف الملائمة للمتعلمين الجنوبيين . ولكن حكومة الوطنى الاتحادى لم تفعل شيئا ، واذ استشعر الجنوبيون أن عملية السودنة قد اهملتهم تماما ، بدأوا تمردا فى اغسطس ١٩٥٥ قامت به القوات المسلحة المعسكرة فى الاستوائية ، واشترك معهم بعض قوات البوليس فى «**نزارا**» و «**يامبيو**» و « **ماريدى بى** » و « **توريت** » — كل المدن الاستوائية ، ولقد غذى هذا التمرد الاول الدعاية

بيان حزب الجنوب الديمقراطي

مصير ثورة اكتوبر ومصير الديمقراطية .

ونتائج هذه الاعمال بالنسبة لشعب الجنوب بصفة خاصة واضحة اليوم امام كل ذى عينين .

ومن الجلى ان استمرار الحركة الجنوبية فى المسار الذى اختاره لها القادة التقليديون يعنى انتحارا أكيدا لشعب الجنوب . لانه من الواضح لكل عاقل ان الاستعمار الجديد وهو العدو الرئيسى للثورة الافريقية لايمكن ان يكون صديقا للجنوب . كذلك فقد ثبت بالبرهان القاطع أن الحلفاء الشماليين التقليديين للقيادة الجنوبية عاجزون هم ايضا عن حل مشكلة الجنوب . فقد فشلت اول حكومة سودانية فى حل هذه المشكلة فى ١٩٥٥ فى حين انها لم تكن قد غدت بعد مشكلة معقدة . ولم تبرهن الحكومات التقليدية المتعاقبة على انها افضل من هذه ، فقد مر الان مايزيد عن عشر سنوات ولم نقترب من الحل . اما بالنسبة لحكم محجوب فقد اتبع سياسة جنوبية متناقضة فهو من ناحية يضج ويصرخ من التدخل الامبريالى فى الجنوب وهو من الجانب الاخر يسعى الى الحصول على المساعدة المالية والعسكرية من نفس الامبريالية وبصفة خاصة من المانيا الغربية بغرض سحق التمرد ، ولكن المانيا الغربية هى السند الرئيسي لنفس ذلك التمرد .

ومن ثم فانه لا التحالف مع الامبريالية ولا مع الدوائر التقليدية الشمالية سيؤدى الى حل مشكلتنا .

تكوين حزب جديد

ولذلك ، فان مجموعة من الديمقراطيين الجنوبيين والوطنيين اعداء الاستعمار ، فى مواجهة لهذا الوضع المتدهور ، قد اجروا مشاورات ومناقشات استغرقت عدة شهور فى الخرطوم وفى المديريات الجنوبية على حد سواء .

وكان موضوع المناقشات هو الحاجة الى حزب جنوبى جديد يمكن ان يجمع ويضم طاقاتهم .

وكانت محصلة هذه المناقشات والمشاورات ميلاد حزب الجنوب الديمقراطى والذى يهدف هذا البيان الى اعلان الشعب به .

فقد وافق اجتماع عقده ٢٥ من الاعضاء المؤسسين فى ١٥ يوليو ١٩٦٦ ، على المبادىء العامة لدستور الحزب وبرنامجه ، وقد فصلت هذه المبادىء فى اجتماعات تالية ووضع برنامج تفصيلى ودستور تجرى الان مناقشتهما تمهيدا لاعلانهما . وتم انتخاب لجنة تنفيذية مؤقتة من ١٣ شخصا وكذلك تم انتخاب قيادات الحزب .

اهدافنا

ان هدفنا العاجل هو العمل لاعادة السلام والامن الى مديريات الجنوب . ان السلام ليس امرا مرغوبا فيه فحسب بل انه الشرط الجوهرى لتقدم حركة الجنوب وللوصول الى حل

التى قام بها البريطانيون والمبشرون ؟ وخاصة ترويجهم لاشاعة كاذبة أن « **اسماعيل الازهرى** » رئيس الوزراء قد أصدر أمراسريابعملمذابح فى الجنوب ، ونقل القوات الجنوبية للشمال وضربها بالرصاص . ولم تفكر حكومة الوطنى الاتحادى فى مواجهة المشكلة مواجهة سياسية ، بل لجأت الى استخدام القوة الى أقصى الحدود ، الامر الذى زاد كراهية الجنوب للشمال . .

وهكذا بدلا من مواجهة مشكلة تعتبر سياسية بحلول سياسية ، وجهت بالحلول العنيفة ، وهى ماتر يده الدوائر الاستعمارية — لتطيل من عمر نفوذها فى الجنوب .

ومنــذ الاستقلال فان القوى التقليدية التى حكمت السودان ، لم تقم بعمل أساسى لتغيير الاوضاع فى الجنوب . وحقا ، ان القيود التى فرضت من قبل البريطانيين قد أزيلت ، وعديد من المدارس والمستشفيات قد أقيمت ، كما أن عددا من الجنوبيين المؤهلين قد تولى بعض الوظــائف التنفيذية والفنية ، وأصبح منهم أطباء ومحامون ومهندسون . ولكن رغم ذلك فان جوهر مشكلة الجنوب لم تمسه يد التغيير الاساسىمنذالخمسة عشر عاما التى مضت على الاستقلال ، وفى ظل حكم الاحزاب التقليدية الشمالية ، فقد بقيت على ماهى عليه مشاكل التخلفالاقتصادىوالاجتماعى والثقافى ، ومستوى المعيشة المنخفض الىأدنى حد ، يكفى أنه مازال مليون ونصف المليون من سكان الجنوب عراة !! ما زالت دوائر الاستعمار القديم والحديث هى التى تدبر المؤامرات فى الجنوب ، وهى نفس الدوائر التى ظلت أحزاب الشمال الرأسمالية والشبه اقطاعية لمدة خمسة عشرة عاما منذ الاستقلال تتعاون معها وتسلمها موارد البلاد ومقاليدها .

ولقد كانت سياسة الاحزاب الرجعيةالشمالية دائما أبدا ، هى نفس سياسة الاستعمار تحويل الجنوب الى احتياطى للتطور الرأسمالى وضــد الحركةالشعبية والثورية فىالشمال . واعتمدوا فى ذلك علىتحالفات يقيمونها مع القادةالجنوبيين الرجعيين والذين صنع معظمهم بمعرفة الدوائر الاســتعمارية . فنجد **حزب الامة** فى ١٩٥٨ وبواسطة حكومة « **عبد الله خليل** » يتحالف مع نواب جنوبيين ويقدم اليهم الرشوة ليقفوا معه تحت قبة البرلمان لقبول المعونة الامريكية . وبعد اكتوبر فى ١٩٦٤ تمكنت الاحزاب الرجعية من ضم بعضالسياسيين الجنوبيين من جبهةالجنوب ودوائر رجعية أخرى ، الى الجبهة الرجعية التى عملت على تصفية ثورة اكتوبر .

وخلال الفترة الماضية منذ الاستقلال وقبيله [باستثناء فترة نظام عبود العسكرى] تعــاون غالبية قادة الجنــوب فى العمـــل مع الدوائر الرأسمالية والشبه اقطاعية الشمالية وشاركوا فى حكوماتهم .ورغمذلك فقد استمروا يروجــون الدعاية المسمومة بين الجماهير الجنوبية بتصوير مشكلة الجنــوب على أنها صراع بين العرب والافارقة ،وذلك بهدف الاستمرار فى فصــم العلاقات بين الجنوب والشمال . ولم يرفع قادة الجنوب التقليديون أى شعار أو مطالب لمعالجة

ديمقراطى لمسالة الجنوب ومن ثم فان اكثر شعاراتنا الحاحا هو « السلام والامن فى الجنوب » .

ان مشكلة الجنوب فى جوهرها هى مشكلة تأخر وفقر نجما عن ظــاهرة النمو غير المتساوى للاقتصادالاستعمارى وشبه الاستعمارى .

وادى هذا الى نشوء عدم مساواة اقتصادية وسياسية وثقافية بينالشمال والجنوب . وكان السبب الهام الاخرهو محاولة الاحزاب التقليدية فى الشمال والجنوب على حــد ســواء لتطبيق الديمقراطية الغربية على ظروف بلادنا . **ورغم جهازها البرلمانى ، والاحــزاب المعارضة والحكومية ، والوزارات ، وما يسمى بالصحافة الحرة ، الخ — فقد برهن هذا النمط من الديمقراطية على انه غير ملائم اطلاقالكى يستخدمه الشعب كاداة لاحداث ثورة فى الحياة الاجتماعية ولاحداث تغييرات سياسية فى البلاد .** انه يعمل فقط فى اطـــار اقتصاد دولة للاستعمار الجديد . ولكن عندما بدات جماهير الشعب فىاستخدام الديمقراطية الغربية فى تجميع صفوفها من أجل تغيير اجتماعى وحياة افضل فان الامبريالية والرجعية المحلية قضت على نفس تلك الديمقراطية التى كانوا قد خلقوها،واغتصبت الحقوق والمكاسب السياسية ولجأت الى ديمقراطيةصريحة وعارية ، سواء كانت من طرازعسكرى او مدنى . فالانقلاب الذى تم فىبلادنا فى ١٩٥٨ يعد من الطراز الاول ، فى حين ان تحالف حزبى الامة والاتحادى الوطنى منذ ١٩٦٥ يهدف الى الوصول الى النمط الثانى . ومن المــلاحظ انه خلال هذه الاشكال من الدكتاتورية على وجه التحديد ، قد بلغت معاناة الشعب فى الجنوب اقصاها ، اولا تحت حــكم عبود ثم تحت حكم محجوب .

ان تجربة السودان ليست فريــدة فى نوعها . فاذا ما القينا ببصرناحولنا القينا ان التقــدم قد تحقق فقــط فى البلاد الافريقية التى هجرت الديموقراطية الغربية الى نمط جديد يعتمد علىالجماهير الواعية فى المدينة والريف . وفى هذا الصدد نذكر ج.ع.م ، الجزائر، مالى ، غينيا ، تنزانيا وغانا فى ظل نكروما .

ومن جانب آخر فان البلاد الافريقية التى تعلقت بالديمقراطيــة الغربية لم تحقق اى تقدم وان الحركات الشعبية فيها التى تستهدف القضاء على الفقر قد تلقت لطمات قاسية من الانقلابات التى دبرها الاستعمار الجديد والرجعية المحلية . والامثلة على ذلك تقدمهـــا الكونغو [كينشاسا] نيجيريا ،فولتا العليا ، الخ .

ويستنتج من ذلك ان مشكلة الجنوب جزء لايتجزأ من المشاكل العامة للفقر والديمقراطية التى تواجه اولئك الذين يرغبون احداث تغيير اجتماعى فىبلادنا. ومن ثم فلا يمكن حلها فى معزل عنبقية البلاد . ولهذا فان الظروف الموضوعية تقتضى ان تعمل الحركة الجنوبية لافى معزل من النضال الديمقراطى الوطنى فى الاجزاء الاخرى بل فى ارتبــاط وثيق معه .

ان الحزب الجنوبى الديمقراطى يعتبر

جوهر مشكلة الجنوب « التطور الاقتصادي » رفع مستوى المعيشة ، تطبيق الديموقراطية الجديدة باعتبارها الطريق الوحيد لايجاد الحل السياسى للمشكلة . وفى نفس الوقت الذى يشاركون فى العمل السياسى مع رجعية الشمال يشتركون فى اعمال المتمردين فى الجنوب ، والتى تمولها الدوائر الاستعمارية الغربية مثل الاحزاب الديمقراطية المسيحية فى المانيا الغربية ، الكنائس البلجيكية والبريطانية ... الخ ».

موقف القوى التقدمية

وفى مواجهة موقف رجعية الشمال ورجعية الجنوب وسياسة الاستعمار ، كان موقف القوى التقدمية فى تعارض تام. ولقد أسست القوى التقدمية موقفها على أساس نظرة الاشتراكية العلمية للمشكلة القومية ، وعلى ضوء تطورات العصر وأوضاع السودان بصفة خاصة ، وموقف القوى التقدمية من أى حركة قومية انما يتحدد على أساس — هل هى تخدم قضية التقدم والتغيير الاجتماعى أم لا ؟

وكانت وجهة نظر القوى التقدمية هى أن حركة جنوب السودان ، موضوعيا « نضال ضد التخلف ومن أجل الديمقراطية . وعليه ، فان الحركة يجب ان تكون جزءا من الثورة الديموقراطية فى السودان ، وانه لايمكن حل مشكلة الجنوب حلا نهائيا الا بانتصار الثورة الديمقراطية .

ولما كانت قيادات الجنوب فى غالبيتها العظمى قيادات رجعية ومتحالفة تماما مع الرجعية المحلية والاستعمار الحديث وضد الثورة الديموقراطية الحقيقية ، وترفع شعارات حق تقرير المصير والانفصال . ولما كان تحقيق مثل هذه الشعارات يعنى فى الحقيقة تسليم الجنوب نهائيا للاستعمار وافادة الفئة البورجوازية القليلة العدد وعناصر البورجوازية الصغيرة وليست جماهير الجنوب العريضة « لذلك كله وقفت القوى التقدمية ضد الشعار الزائف لتقرير المصير والانفصال بالنسبة لجنوب السودان ، لان ممارسة مثل هذا الحق كانت تعنى عزل الشعب الجنوبى عن قوى التقدم فى السودان . وقد وضعت القوى التقدمية فى اعتبارها ظروف التخلف الشديد فى الجنوب « وحيث لاتوجد طبقة عاملة نامية ، ولا طبقة فلاحين ، وان كانت هناك فئة محدودة جدا من المثقفين وغير واعية بأخطار الامبريالية والاستعمار الحديث .

وكان الحل البديل لذلك ، والذى تقدمت به القوى التقدمية — وعملت من اجله منذ ١٩٥٤ داخل المنظمات الجماهيرية والنقابات العمالية وفى الحزب الشيوعى ... الخ هو الحكم الذاتى الاقليمى لجنوب السودان ، وحق شعوب الجنوب فى تطوير ثقافاتها وعاداتها وقسماتها القومية الاخرى .

ان هذا الحل ،هو ماكافحت من أجله القوى التقدمية ، وحاولت ان تجعل الطريق السياسى لحل مشكلة الجنوب بعد ثورة اكتوبر ، ولكن الرجعية مدعومة بالدوائر الاستعمارية ، وقد

بيان حزب الجنوب الديمقراطى

نفسه جزءا من هذا النضال ». وذلك ليس مجرد جعجعة فارغة » فالتاريخ يبين ان حلفا بين شعب الجنوب بأسره وبين الاقسام المتقدمة من شعب الشمال هو فقط الذى يحقق ديمقراطية حقيقية ويؤدى الى حل مشكلة الجنوب ».

اما برنامجنا فى السياسة الخارجية فينص على النضال ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والوقوف ضد تدخل تلك الاحلاف الاستغلالية وضد الكنائس الاجنبية فى شئون الجنوب . اننا نتضامن مع حركة التحرر الوطنى فى افريقيا . وفى البلاد العربية . وكذلك فى الاجزاء الاخرى من العالم .

وفى المجال الإقتصادى فاننا مقتنعون بان المستغلين الرئيسيين للجنوب وللشمال ايضا هم احتكارات الاستعمار الجديد سواء تلك التى تعمل فى داخل البلاد او فى السوق العالمى . ان رجال الاعمال والتجار السودانيين يحتلون مركزا ثانويا لانهم اساسا وسطاء للاحتكارات الاجنبية ».

ولهذا فاننا ننادى باستبعاد الاحتكارات الاجنبية من اقتصادنا ، بتأميم التجارة الخارجية ، والاستقلال الاقتصادى من طريق التصنيع وتنويع وميكنة الزراعة ، والتوسع المستمر للقطاع العام ، والتخطيط الاقتصادى، والرقابة على القطاع الخاص والاقلال من دوره ثم القضاء عليه فى نهاية الامر ، وباختصار فاننا ننادى بالطريق غير الراسمالى الى الاشتراكية . ان شعب الجنوب ، او اى قسم منه ، لايملك اى راسمال خاص ولا يرغب فى استجلابه من خارج المنطقة ولا فى نموه فى الداخل . ومن ثم فان الاشتراكية هى طريقه الوحيد الى الخلاص ».

ورغم حقيقة أن الاسباب الرئيسية لمشكلة الجنوب تكمن فى الاستعمار الجديد ، والتطبيق الجبرى لديمقراطية غربية عقيمة ، واضفاء طابع بيروقراطى على اجهزة الدولة ، فان الجنوب يجب ان تكون له مكانة خاصة فى تطبيق ديمقراطية حقيقية ، نظرا للاختلافات العرقية والتاريخية وغيرها بين شتى البلاد . وبصفة اساسية يجب الاعتراف بماله من خصائص مميزة . وهذا يتحقق فقط بالاعتراف للجنوب باستقلال ذاتى اقليمى فى اطار من سودان موحد وتطبيق ذلك . ولذا فاننا سنطالب بأن ينشأ فى الجنوب [باعتباره اقليما واحدا] مجلس تشريعى وهيئة تنفيذية موازية لها سلطات كافية لتسيير الامور المحلية فى الجنوب . وتفصيل هذه الخطة نجده فى برنامجنا وعلاوة على ذلك فان القضاء على النظام البيروقراطى للادارة العامة والبوليس وعلى نظام الزعماء المعينين ، ذلك النظام الوراثى الطويل الامد واستبدال كل ذلك بهيئات منتخبة ، هو جوهر الحل السياسى لمشكلة الجنوب ».

اننا سنطالب بميزانية خاصة لتنمية الجنوب للاسراع بالتطور الاقتصادى

انكسرت بأكتوبر ، وعادت الى الطريق الرجعى طرق العنف والدماء .

ثورة مايو تحقق « الحكم الذاتى »

وجاءت ثورة مايو ، ولما كان محتوى هذه الثورة هو استكمال الثورة الوطنية الديموقراطية والنضال من أجل بناء الاشتراكية فى البلاد ، فقد تبنت منذ أيامها الاولى الحل الذى تبناه القوى التقدمية لمشكلة الجنوب ، وهو الحل الذى يرفض الانفصال ويعترف بكل الفوارق القومية بين الشمال والجنوب . ان الشيء الذى سيوحد الشعبين فى السودان ، لايمكن أن يكون هو التقاليد أو التراث أو العنصر أو أى شيء من هذا القبيل .. ان وحدتهما فى اعتقادى لايمكن أن تتم بغير رغبتهما المشتركة فى التقدم والنضال ضد عدوهما المشترك .. وبكلمة ، لا سبيل لهذه الوحدة بغير العقيدة والسياسة الاشتراكية . ان اشتراكيتنا هى بداية وحدة شعبينا .

أسس مبدئية سليمة

وتطبيق برنامج مايو الخاص بتحقيق الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب فى اطار الوحدة الوطنية يفترض أولا ظهور حركة ديمقراطية عريضة فى الجنوب قبل التنفيذ ، يعنى ظهور حركة واعية من العمال والمثقفين الثوريين ، وتلك هى مهمة الحركة الثورية . والدولة تتجه لتحقيقها ليس عن طريق العمل الدعائى فقط ، وانما عن طريق وضع الاسس العملية لخلق قاعدة حقيقية لتلك الحركة ، وعندما يحين وقت تسليم السلطة فى الجنوب ، فسيتم وضعها فى أيدى الحركة الثورية فى الجنوب والتى تشكل جزءا من الحركة التقدمية على نطاق القطر كله .

وجوهر القضية ليس مسألة دستورية فى نظرنا ، وهو أيضا ليس هيكل أو تفاصيل السلطات التى تخول للجنوب .. كل هذه مسائل شكلية وليست أمورا جوهرية .

ان جوهر القضية هو : فى يد من توضع السلطة ؟

والمهمة التى تواجهنا الان هى : البدء فى تنفيذ البرنامج الذى أعلنته ثورة ٢٥ مايو . وذلك بانجاز برنامج اقتصادى يكون الغرض منه بناء الاساس المادى لحكم ذاتى اقليمى ، بناء كوادر وتدريبها لاستلام السلطة فى الجنوب ، ولكن الاهم من ذلك كله هو بناء حركة ديمقراطية قوية ضد الاستعمار القديم والحديث لتتسلم زمام الحكم فى الجنوب عند تطبيق الحكم الذاتى الاقليمى .

ان الحل الذى قدمته ثورة مايو لمشكلة الجنوب سيحول الجنوب الى جانب الثورة ، ويجرد الرجعية وقوى الثورة المضادة من سلاح خطير طالما استعملته بنجاح ضد حركته التقدمية والحركة الثورية .

والثقافى والاجتماعى للمنطقة والوصول بها الى نفس مستوى المناطق المتقدمة فى الشمال .

ايها المواطنون ذلك هو برنامجنا فى خطوطه العريضة . اننا ندرك فعلا انه بسبب الجو الشوفينى السائد فى الجنوب فان نضالنا سيكون شاقا وقاسيا ولكننا سنواصله . ونحن على ثقة باننا سننجح فيه بالمساعدة المعنوية للثوريين الشماليين وبنصائحهم .

اننا لن نسير على طريق جديد بل على طريق قد دلتنا عليه فى الماضى التقاليد الطيبة للحركة الجنوبية ، كالموقف الذى اتخذه مندوبونا فى مؤتمر جوبا فى ١٩٤٧ ، والاضراب العام فى نفس العام ، ودور بولين ورفاقه فى اول برلمان ، ومؤتمر طلاب الجنوب فى ١٩٦٥ ، وموقف جناح ستانسلاوس — فرانكو ضد « المعونة » الامريكية فى ١٩٥٨ .

تلك هى التقاليد الطيبة التى نرمقها بعين الاعجاب ونستلهمها .

ان اعتمادنا على مساعدة الثوريين فى الشمال لا يضيع هباء . ففى الماضى قدمت الحركة الوطنية الديمقراطية الشمالية مساعدة كبيرة لشعب الجنوب ، ومازالت تفعل ذلك . لقد بذلت هذه الحركة جهودا كبيرة لاجبار بريطانيا على فك العزلة التى ضربتها على الجنوب فى الاربعينات ، اننا نرمق باعجاب دورها فى بناء النقابات فى الجنوب فى ١٩٥٥ ، وكذلك دفاعها المستمر عن شعب الجنوب وعن الديمقراطية ضد قهر وبيروقراطية النظم التقليدية ، واننا على ثقة من ان هذه المساعدة ستستمر .

اننا ندعو الديمقراطيين ، اعداء الامبرياليين ، وندعو الوحدويين **الحقيقيين فى الجنوب للالتفاف حول الحزب الجديد . ذلك هو الوقت الذى يتحتم فيه على كل المجموعات ان تتحد .**

ونفس الشيء ينطبق على كل الثوريين السودانيين الاخرين المقيمين فى الجنوب او الذين يعملون فيه . وحسب لائحتنا فان العضوية ليست مقصورة على الجنوبيين بل تمتد لتشمل غيرهم من الثوريين السودانيين المقيمين فى الجنوب ايا كان اصلهم .

اننا نطالب بتشجيع كل الثوريين السودانيين الاخرين وبمساعدتهم المعنوية .

عاشت وحدة شعب السودان فى الشمال والجنوب ، من أجل ديموقراطية جديدة ومن اجل الاشتراكية ولاسقاط الاستعمار الجديد .

ومن اجل السلام والامن فى الجنوب

حزب الجنوب الديمقراطى

ديسمبر ١٩٦٦

الفدائيون في الصحراء



محمود عزمي

تمت في الصحراء الليبية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، العديد من العمليات الفدائية الهامة خلال الحرب العالمية الثانية . قامت بها وحدات خاصة من قوات الطرفين المتحاربين وقد تمخضت عن تلك العمليات خبرات ثمينة تستحق الدراسة والاهتمام.هذا واذ نقدم فى المقال عرضا موجزا لابرز الخبرات المستفادة من تلك العمليـات، فانما نقدمه كتحية حارة لنضال فدائيي منظمة سيناء العربية ومنظمات المقاومة العربية الاخرى ، وخلاصة خبرات ثمينة يمكن الاستفادة منها بحكم تشابه الظروف الطبيعية والعسكرية التى تعمل فيهـا بالظروف التى كانت تعمل فيها قوات الطرفين المتحاربين فوق الصحراء الليبية والغـربية خلال الحرب العالمية الثانية .

غربت الشمس فى خليـج « **سرت** » المواجه لمطار « **طاميت** » بليبيا ، مساء يوم ١٤ديسمبر١٩٤١ ،وقلت حركةالمرور على الطريق الساحلي القريب من الجانب الغربى للمطار ، بينما كانت نسمات المساء تهب ببرودة خفيفة فوق الرمال البيضاء ،الواقعة بين البحر والطريق .وانصرف ملاحو الطائرات الرابضة فى ارض المطار الايطالى الى تناول عشائهم فى « الميس » القائم بالجانب الغربى من المطار ، وهم لايعلمون ان هناك مجموعة من المظليين البريطانيين التابعين لوحدة الطيران الخـاصة الخـاضعة لقيـادة المقـدم « **دافيد ستيرلنج** » ، تكمن فى هدوء بالقرب من المطار ، تراقب الحركة فيهوتنتظر الوقت المناسب للهجوم وذلك بعد ان انزلتهم عربتان من عربات احدى دوريات « **مجموعة الصحراء بعيدة المدى** » عند نقطة تبعد نحو ثلاثة اميال الى الجنوب من المطار فى الطرف الشمالى لوادى « طاميت » بعـد ان اخترقتا بهدوء الارض المنبسطة هناك ، المليئة بالمستنقعات المالحة والرمال الخفيفة ، دون أن يلحظها أحد من الايطاليين الموجودين فى المطار القريب ، وقد انصرفت العربتان بعد ان اتفق النقيـب « **هوليمان** » ـ قائد الدوريـة ـ مع النقيب « **ماين** » ـ قائدة قوة المظليين ـ على موعد يلتقون فيه لينقلوهم ثانية بعد ان ينتهوا من مهمتهم ويعودوا بهم الى قاعدةالعمليات الفدائية المتقدمة الموجودة فى واحة « جالو » التى تقع على مبعدة نحو ٢٠٠ ميل الى الغرب من « سيوة » .

وقد ظل « ماين » يرقب وينتظر اكثر من ساعة الى ان هدات الحركة فى المطار وخيم سكون الليل ، ثم اصدر اوامره ببدء تنفيذ العملية . فزحفت الجماعة الى المبنى الذى ينام فيه جنود قـوة الحراسة فى هدوء وصمت ، حيث كان يدور همس باللغة الايطالية بين الجنود الذين لم يناموا بعد . وبنفس الهدوء فتح رجال«ماين»باب الثكنةالذى كان ينبعث من ورائه نور خافت ، ودلفوا داخلها بسرعة مطلقين دفعـه سريعة من نيران ست مدافع « تومى » ، اسكتت همس الذين كانوا لم

يناموا بعد من رجال الحامية واطالت نوم الاخرين الى الابد ·

ثم انطلقت الجماعة اثر ذلك الى الطائرات الرابضة فوق ارض المطار ، يثبتون بأجسامها قنابل زمنية من نوع خاص ابتكره احد ضباط قوة « ستيرلنج » هذه ، يسهل عمليات نسف الطائرات بطريقة مامونة الى حد ما · وكانت هذه القنابل تشبه العصى ولذلك سميت « **بعصى المظليين** » . وهي مصنوعة من خليط من المفرقعات والمواد الحارقة ، وبها جهاز تفجير زمنى صغير، ولكنه دقيق ومعقد التركيب يشبه القلم الرصاص ، ويمكن بواسطته تحديد الزمن المناسب لانفجار القنبلة ، وهو الزمن الذى يعطى المهاجمين الوقت اللازم للابتعاد عن الطائرة قبل ان تشتعل فيها النار ، ولا يعطى المدافعين – فى الوقت نفسه – فرصة نزع القنابل قبل ان تنفجر .

وبعد قليل حين انسحب « ماين » ورجاله من المطار فى طريقهم الى نقطة التلاقى مع دورية « الصحراء بعيدة المدى » فى الموعد المتفق عليه مع قائدها « هوليمان » ، كانت هناك ٢٤ طائرة ايطالية تحترق على الارض بالاضافة الى مخزن الوقود المدفون فى حفرة عميقة بارض المطار الرملية ·

وبعد اسبوعين تقريبا من اتمام هذه العملية الناجحة ، كان « هوليمان » ودوريته يقود « ماين » وجماعته مرة ثانية الى نفس الهدف فى ليلة عيد الميلاد · ومن العجيب ان الايطاليين فوجئوا ايضا فى هذه المرة ، ولذلك نجح « ماين » ورجاله فى تثبيت«عصيه الزمنية»فى نحو ٢٧ طائرة اخرى، قبل ان يفيق حراس المطار من هول المفاجأة(١) .

مجموعة الصحراء
بعيدة المدى ومهامها

اذهلت الانتصارات الالمانية الخاطفة التى حققها « **هتلر** » فى خريف ١٩٣٩ وصيف ١٩٤٠ ، الزعيم الايطالى الفاشى«**موسولينى**» ،وجعلته فى موقف لايحسد عليه . فقد كان يعتبر «**هتلر**» احد تلاميذه فى العقيدة الفاشية ، وذلك بحكم ان الفاشية الايطالية تولت السلطة فى ايطاليا منذ عام ١٩٢٢ ، بينما لم يصل «**هتلر**» وحزبه النازى الى السلطة فى المانيا الا فى يناير عام ١٩٣٣ . ولذلك قرر « **موسولينى** » ان يدخل الحرب بسرعة فى الايام الاخيرة لسقوط «فرنسا» ، حتى يستطيع ان يحجز لايطاليا مقعدا فى مؤتمر الصلح المتوقع عقده فور انتهاء الحرب بهزيمة « بريطانيا » ايضا ، التى كان يقدر لها ان تتم فى خلال ثلاثة شهور أخرى · ولذلك قال لماريشالات جيشه يوم ٢٦ مايو ١٩٤٠ حين جمعهم ليبلغهم قراره هذا : « **لو ارادت ايطاليا ان تجلس على مائدة الصلح عندما يقسم العالم فيجب عليها ان تدخل الحرب وان تدخلها بسرعة** » (٢) .

وعندما اعترض الماريشال « **بادوليو** » رئيس هيئة اركان حرب الجيش الايطالى ، على ذلك القرار نظرا لعدم استعداد الجيش لمثل هذه الحرب من كل النواحى الى حد انه لايملك حتى العدد الكافى من القمصان لجنوده ، قاطعه موسولينى قائلا : « **ان التاريخ لايمكن ان يكتب بعدد القمصان التى نملكها** » (٣) . **وهكذا دخلت** « ايطاليا » الحرب ضد « بريطانيا » و « فرنسا » يوم ١٠ يونيو عام ١٩٤٠ وهى غير مستعدة لها على الاطلاق من الناحية العسكرية الحديثة · فرغم انه كان لديها جيش ضخم فى ليبيا يبلغ عدده نحو ٢٢٠ الف جندى موزعين على ١٤ فرقة مقاتلة ، الا ان عدد الفرق المؤهلة للقتال الفعلى لم يكن يزيد عن ٤ فرق ، منها فرقتان فقط كانت تتوفر لهما السيارات او العربات الكافية ·

بينما كان عدد القوات البريطانية المقاتلة الموجودة فى مصر وقتئذ تحت قيادة الجنرال « ويفل » لايتعدى نحو ٣٥ الف جندى .

وكذلك كان لايطاليا فى الحبشة والصومال نحو ٥٠٠ الف جندى من الايطاليين والصوماليين ، بينما لم يكن تحت قيادة الجنرال « ويفل » فى السودان غير ٢٥٠٠ جندى بريطانى و ٤٥٠٠ جندى من قوة الدفاع السودانية،هذا وكانت توجد للقوات الايطالية فى جنوب ليبيا ، عدة حاميات واراض لنزول الطائرات فى العديد من الواحات المتناثرة فى الصحراء المترامية الاطراف ، تتبع ماسمى « **بقيادة الاراضى الجنوبية** » التى اتخذت من واحة « **هون** » ، الواقعة فى وسط « ليبيا » الى الجنوب من « سرت » ، مركزا لرئاستها · وكانت اهم هذه « المحطات » الايطالية ، هى واحات « **الكفرة** » و « **جالو** » و « **جغبوب** » « **ومرزوق** » وجبل « **العوينات** » الواقع عند نقطة تلاقى حدود « مصر » و « ليبيا » بحدود « السودان » ، الذى يبعد عن بلدة « وادى حلفا » – التى يبدأ عندها الخط الحديدى

١ – تفاصيل هذه العملية مستمدة من كتاب « لويد أوين » احد ضباط مجموعة الصحراء بعيدة المدى عن « قصة عملياتها فى ليبيا » ، الترجمة العربية – القاهرة ١٩٦٦ – صفحات ٨٦ ، ٨٧ .

٢ ، ٣ – « بول كارل » فى كتابه « ثعالب الصحراء » – الترجمة العربية – القاهرة ١٩٦٦ – صفحة ١٥٣ ، ١٥٤ .

الى « السودان » ــ بمسيرة ثلاثة ايام فى ارض سهلة العبور جدا • ولذلك كان فى امكان اى قوة ايطالية مغامرة تتالف من مائتى رجل مثلا ان تهاجم « حلفا » فى صيف ١٩٤٠ وتستولى عليها مؤقتا وتدمر ورش السكك الحديدية والسفن النيلية واحواض اصلاحها الموجودة هناك .وبذلك تقطع طريق المواصلات بين « مصر » و « السودان » ، وتضطر قيادة « الشرق الاوسط » بالتالى الى الاعتماد بشكل رئيسى على طريق البحر الاحمر المعرض لهجمات القطع البحرية الايطالية الموجودة فى ميناء « مصوع » او قاذفات القنابل الرابضة داخل كهوف مطارات « اريتريا » الحصينة • كما انه كان من الممكن للقيادة الايطالية العليا ان تعزز قواتها فى الحبشة ، عن طريق الجو ، مستخدمة اراضى النزول المتناثرة فى هذه الواحات التى يحميها من الشرق بحر « الرمال الاعظم » • وذلك لان المسافة بين جبل « العوينات » والحبشة عبر صحراء شمال السودان لاتزيد عن ٩٠٠ ميل • هذا بالاضافة الى انه كان يمكن استخدام هذه المطارات فى الاغارة على خزان « اسوان » وقناطر جنوب الصعيد ايضا ، وكان يمكن ايضا لاى قوة خفيفة الحركة ان تعبر بحر الرمال الاعظم وتحتل واحات « الداخلة » و « الخارجة » و « الفرافرة » لتهدد منها معظم مدن الصعيد • ولكل هذه الاسباب قرر « ويفل » ان ينشىء قوة خفيفة الحركة ، صغيرة العدد ، لديها القدرة على القتال والحركة لعدة اسابيع باكتفاء ذاتى ، وذلك حتى تستطيع ان تعبر « بحر الرمال الاعظم » وتجوب المناطق الصحراوية الجرداء الجافة الممتدة وراءه لمئات الاميال ، للقيام بعمليات الاستطلاع اللازمة للتعرف على نوايا القيادة الايطالية فى هذا القطاع من جبهة القتال ، ومهاجمة المراكز العسكرية والمطارات الموجودة به باسلوب « اضرب واهرب » لمنعها من القيام باى عمليات هجومية ضد « مصر » او « السودان » ، خاصة وان « قيادة الشرق الاوسط » لم يكن لديها فى ذلك الوقت العدد الكافى من طائرات الاستطلاع بعيدة المدى او من قاذفات القنابل القادرة على ضرب هذه الاهداف البعيدة . فقد كانت «الكفرة» مثلا تبعد عن « النيل » بـ ٧٠٠ ميل نحو الغرب ، وكانت « مرزوق » تبعد نحو ١٠٠٠ ميل هى الاخرى •

وقد عهد الى الرائد « باجنولد » بتشكيل هذه القوة التى عرفت بعد ذلك باسم « مجموعة الصحراء بعيدة المدى » ، وذلك بحكم خبرته السابقة بالصحراء ، فقد عمل طويلا بمصلحة المساحة المصرية ، كما قام بتكوين جماعة صغيرة من هواة الرحلات فى عام ١٩٣٠ ، قامت بسلسلة من الرحلات الطويلة خلال السنوات التى تلت ذلك على نفقتها الخاصة ، جابت اثناءها معظم الصحراء المصرية شرقا وغربا بين البحر الابيض وشمال السودان .وقد بدا «باجنولد» فى تجميع نواة هذه القوة فى اواخر يونيو ١٩٤٠ فاستدعى العدد القليل من رواد الصحراء الذين يعرفهم من قبل . وعلى راسهم « كلايتون » الذى وصل فى الحال من « تنجانيقا » ، وقد سبق له ان عمل لمدة ثمانية عشر عاما فى مصلحة المساحة المصرية وله خبرة بالصحراء التى لم يسبق ان اخترقها احد ، اذ انه كان من الانجليز القلائل الذين زاروا واحة « الكفرة » قبل الحرب . واستدعى ايضا « ميتفورد » ، وهو ضابط دبابات بريطانى كان يعرف مصر جيدا وسبق له ايضا زيارة « الكفرة » ، و « لويداوين » مؤلف الكتاب السابق ذكره عن قصة عمليات هذه المجموعة ، وكان يعمل وقتئذ فى ادارة المستعمرات بفلسطين بقسم الرقابة على الصحف الفلسطينية ،وقد سبق له ان خدم فى الجيش البريطانى فى مصر واشترك فى رحلات « باجنولد » الصحراوية هذه (٤) •

اما الجنود فقد كان معظمهم ان لم يكن كلهم فى بداية الامر ، من النيوزيلنديين الاقوياء الاصحاء القادرين على تحمل مشاق الصحراء بحكم بداوتهم ونشاتهم الريفية فى بلادهم ذات الطبيعة المعتدلة المختلفة عن طبيعة الجزر البريطانية الاصلية ،وقد جاء فى نداء صادر من قيادة « م•ص•ب•م » (*) (اى مجموعة الصحراء بعيدة المدى) فى ذلك الوقت وموجه الى وحدات « جيش الصحراء الغربية » بطلب متطوعين لعمليات هذه المجموعة خلف خطوط العدو ، ان الصفات المطلوبة فى هؤلاء المتطوعين هى : « القوة البدنية ، والقدرة على تحمل الحياة الخشنة مع الطعام الشحيح والماء القليل والجهد الكبير ، والشجاعة ، والذكاء الذى يمكن صاحبه من الاحتفاظ بالمبادأة ،وسرعة التصرف معتمدا على نفسه فى الاساس » •

ويعلق « لويداوين » على الصفات المطلوبة فى فدائيى الصحراء . فيقول « **عندما يقع رجل (م•ص•ب•م) تحت رحمة طيران العدو فى الصحراء المكشوفة يكون فى اشد الحاجة الى** هذه الشجاعة • اما الشجاعة والصلابة بدون ذكاء **فكانت عديمة القيمة بالنسبة لنا، كما اننا لم نحتج الى الشباب الغض كضرورة ،وانى ارى ــ دون الالتزام باحصاء دقيق ــ ان افضل سن واوفقه كان بالتجربة بين الخامسة والعشرين والثلاثين** •

---

٤ ــ المعلومات الخاصة بتشكيل هذه المجموعة الصحراوية مستمدة اساسا من كتاب « لويد أوين » السابق الاشارة اليه صفحات ٣ ، ٤ وكتاب « الحرب العالمية الثانية فى البحر الابيض المتوسط» لحافظ اسماعيل وآخرون ــ القاهرة ١٩٦٤ ــ صفحات ٢٥٥ ، ٢٥٦ •

(*) ــ « م•ص•ب•م » هى الاختصار العربى لكلمة « مجموعة الصحراء بعيدة المدى » التى تعرف فى الاصل الانجليزى بـ « The Long Range Desert Group » واختصارها « L. R. D. G. »

ولاشك فى ان النجاح المستمر خلال الايام الاولى من عمليات « م.ص.ب.م » كان بفضل السرعة والكمال التى ادى بهما النيوزيلنديون العمل وتحملهم مشاق الحياة فى الصحراء ، ولو ان ذلك لا يمثل غير نصف المعركة » (٥) .

وقد تكونت « م.ص.ب.م » فى مبدأ الامر من فصيلتين ، احداهما **نيوزيلندية** ، والاخرى **روديسية** ، وجماعة اشارة وجماعة اصلاحات خفيفة ميكانيكية بالاضافة الى رئاسة المجموعة ، ولم تزد قوتها بعد ذلك عن مايعادل كتيبة من المشاة (اى حوالى ٧٠٠ او ٨٠٠ رجل تقريبا) .

وكانت دوريات هذه المجموعة تتشكل فى بادىء الامر من ضابطين ونحو ثلاثين جنديا واحد عشر سيارة بكل منها مدفع رشاش متوسط . ومع كل دورية اربع بنادق مضادة للدبابات ومدفع خفيف مضاد للطائرات (٣٧ مم تم استبداله بالمدافع البريدا ٢٠ مم) ، بالاضافة الى البنادق العادية ، والطبنجات ، ورشاشات التومى الصغيرة ، والقنابل اليدوية ، والالغام . ثم رئى بعد ذلك من واقع الخبرة العملية جعل الدورية تتكون من ضابط واحد و ١٥ ـ ١٨ جنديا فى خمس عربات معهم انواع افضل من الاسلحة المؤدية لغرض الاسلحة القديمة بطريقة احسن واحدث . وكانت عربات الدوريات غير مصفحة حتى لاتشل حركة العربة كثيرا فوق كثبان الرمال الناعمة ، وتحمل كل عربة منها تعيينات ومياه تكفى لثلاثة اسابيع ، وتستطيع ان تقطع نحو ١١٠٠ ميل بدون حاجة الى التزود بوقود جديد ، وقد جهزت بمعدات جرى تحسينها وتطويرها كثيرا بعد ذلك ، تساعدها على السير فى الرمال الناعمة التى يتكون منها بحر الرمال الاعظم ، مثل القنوات الصلب التى توضع بين العجلات الخلفية فى حالة انغراسها فى رمال كثيفة ناعمة .

كما ابتكرت طريقة للتقليل من الماء المستهلك فى السيارات الى اقل حد ممكن ، وذلك عن طريق وضع مكثف بسيط متصل « بالرادياتور » يحول البخار الاتى منه الى ماء مرة اخرى يمتصه « الفاكوم » الموجود فى « الرادياتور » فيمتلىء من جديد . واذا كانت جميع الوصلات محبوكة تماما فلا تكون هناك حاجة لملء الرادياتور بالماء لعدة مئات من الاميال ! . وبمثل هذه الاساليب التى كان « باجنولد » قد توصل الى معظم اساسياتها من قبل خلال رحلاته الصحراوية التى قام بها فى الثلاثينات ، جرى اعداد وتجهيز وسائل عمل وحياة مجموعة « م.ص.ب.م » .

وبعد حصول « باجنولد » على افراد مجموعته والعربات اللازمة لهم ، بدأ تدريبهم على قيادة السيارات فى الصحراء وكيفية اصلاحها اذا ما تعطلت لاسباب ليست جوهرية ، هذا بالاضافة الى تعليمهم اساليب الملاحة البرية وقراءة الخرائط . كما بدأ بالاشتراك مع القسم الطبى فى اعداد قائمة الماكولات والمشروبات اللازمة لرجال هذه المجموعة ، الذين سيضطرون الى قضاء اسابيع عديدة فى عملياتهم دون الحصول على لحوم طازجة او خضروات او خبز ، بحيث يمكن لهم ان يحصلوا على تغذية صحية وكافية لتعويضهم عن الجهد الشاق الذى يبذلونه والظروف المعيشية السيئة التى سيواجهونها خلال فترات انقطاعهم الطويلة عن قواعدهم الخلفية . كما قام بعض الخبراء ، فى المساحة بعدة رحلات فى الصحراء الغربية والليبية قبل بدء العمليات ، لوضع خرائط مفصلة ودقيقة قدر الامكان ، وقد اكتملت هذه الخرائط بعد ذلك اثناء سير العمليات نفسها ، بحيث اصبحت هناك فى نهاية عام ١٩٤١ ، لدى قيادة الشرق الاوسط ، مجموعة كاملة من الخرائط الملونة للصحراء الممتدة من النيل غربا حتى « سرت » فى ليبيا ، تحتوى على كل المعلومات الطبوغرافية المطلوبة لاى قوات تقاتل فى المنطقة . هذا وقد اكتمل التشكيل الاولى « لمجموعة الصحراء بعيدة المدى » فى خلال خمسة اسابيع فقط ، وذلك بفضل جهود وخبرة « **باجنولد** » ورفاقه القدامى ، واصبحت مجموعة مقاتلة قادرة على البدء فى العمل وراء خطوط العدو .

العمليات الاولى

تنقسم الصحراء المصرية الغربية والصحراء الليبية الى **صحراوين** ، **الاولى** تمتد فى الشريط الساحلى المجاور للبحر الابيض الى مسافة تصل الى نحو خمسين ميلا جنوب الشاطىء ، **والثانية** هى الصحراء الحقيقية الخالية من كل اثر للحياة فيما عدا الواحات القليلة المتناثرة فيها كجزر بالغة الصغر وسط محيط هائل تبلغ مساحته نحو مليون ومائتى الف ميل مربع ، وهى التى عملت فيها « م.ص.ب.م » .

اما كافة المعارك الاخرى الكبرى مثل « **العلمين** » و « **طبرق** » و « **بير حكيم** » الخ ، فقد دارت كلها فى الصحراء الاولى حيث توجد النباتات او المزروعات فى بعض المناطق وحيث تكثر الابار وتوجد المدن والقرى التى ارتبطت اسماؤها باسماء تلك المعارك .

وقد كان « **كلايتون** » هو اول من عبر بدوريته الحدود الليبية فى ١١ اغسطس ١٩٤٠ ، بادئا رحلته من « سيوه » عبر اسوا اجزاء بحر الرمال الاعظم فى مصر ، مستعينا فى رحلته بست عربات « بيك آب » استعارها من سلاح الحدود المصرى لتساعده فى نقل الوقود اللازم للرحلة ، ولذلك اصطحب معه بعض جنود هذا السلاح وكانوا من السودانيين الى

---

(٥) ـ « لويد اوين » ـ المرجع السابق ـ صفحة ٦ .

داخل الاراضى الليبية ليعودوا بعرباتهم مرة اخرى . وعندما اتم عبور بحر الرمال هذا الذى يقول « **لويد أوين** » عنه ، ان مساحته تقارب مساحة « ايرلندا » وان عمق غرور الرمال فيه يصل الى خمسمائة قدم فى بعض المناطق ، ويصفه على النحو التالى :

« فى آخر المساء عندما تبرد الرمال بسرعة **ويكون للغرور ظلا طويلا ، يبدو بحر الرمال من اجمل المناظر فى الدنيا .. اما فى ايام الصيفعند الظهر ، عندما تسقط الشمس بكل حرارتها على سطح الرمال ، ثم تأخذ الريح فى دفع الرمال الناعمة من الحواف العليا للغرود كما يطير الثلج الخفيف من قمة « ايفرست » يصبح هذا المنظر « جهنم » كما نتخيلها » (٦)** .

نقول عندما اتم عبور هذا البحر الرملى بعرباته المثقلة بالاحمال وجد ارضا زلطية سهلة العبور تمتد نحو مائة ميل الى الغرب ، وبعد ان اجتازها « **كلايتون** » وجد نفسه فى بحر رمال آخر لم يسمع عنه من قبل ، فعبره بصعوبة بالغة يوم ١٢ اغسطس الى ان وصل خلال الليل الى حافته الغربية حيث يمر طريق « جالو » — « الكفرة » . وهناك كمنت الدورية لمدة ثلاثة ايام تراقب الطريق طوال الاربع والعشرين ساعة من اليوم ، فى جو حار للغاية . الا انها لم تشاهد اية حركة ايطالية بعد كل هذا العناء ، واضطرت للعودة الى « سيوه » مرة اخرى ! ورغم ذلك فقد افادت هذه العملية الاستطلاعية « م·ص·ب·م » مستقبلا ، اذ انها كشفت عن طريق لم يسبق السير فيه عبر بحر الرمال من « سيوه » ، استخدم مرارا بعد ذلك خلال عام ١٩٤١ فى الذهاب الى واحد «**الكفرة**» .

وتلا رحلة « **كلايتون** » القيام برحلات الى « عين دله » الواقعة الى الغرب من واحد « الفرافرة » على الحافة الشرقية لبحر الرمال المصرى ، وذلك لتشوين الوقود بكميات كبيرةفى مخزن مختفٍ وراء صخرة كبيرة هناك لتتزود منه الدوريات مستقبلا قبل ان تعبر بحر الرمال .

وقد بدأت الدوريات عملها بانتظام بعد ذلك خلال شهر سبتمبر ، وهو الشهر الذى زحف فيه الجيش الايطالى بقيادة « **جرازيانى** » داخل الحدود المصرية عند الشريط الساحلى للصحراء ، يوم ١٠ سبتمبر ، وتوقف يوم ١٨ منه عند « سيدى برانى » تقريبا بعد ان قطع مسافة ٨٠ ميلا دون أن يواجه مقاومة فعالة وفقا لخطة « ويفل » .

وقد حدث اول اشتباك مسلح بين الايطاليين و «م·ص·ب·م» يوم ٢٠ سبتمبر ، حين اشتبكت احدى دورياتها مع جماعة الخدمة نصف الشهرية الى « الكفرة » ، بالقرب من ارض نزول للطائرات تقع على مقربة من الواحة ، وكانت الجماعة الايطالية تستقل سيارتى لورى ٦ طن تسيران ببطء على الرمال الناعمة ، وقد استسلمت الجماعة بمجرد ان اطلقت الدورية النيوزيلندية نيران الرشاش«لويس» فوق رءوسها ، وبدون أن تسفك نقطة دم واحدة . وقد تم نقل الاسرى الايطاليين الى « القاهرة » التى تبعد عن « الكفرة » بنحو ٦٥٠ ميلا فى حالة رسم خط مستقيم بين الاثنين على الخريطة ! .

كما هاجمت دورية اخرى ، نقطة ايطالية فى « عين دوا » الواقعة الى الجنوب من جبل « العوينات » الذى يبلغ ارتفاعه ستة آلاف قدم المطل على حدود « مصر » و « السودان » ، حيث كانت هناك حامية ليبية صغيرة تعسكر فى موقع طبيعى منيع به ارض لنزول الطائرات . وبعد معركة صغيرة تمكنت الداورية المهاجمة من ان تستولى على النقطة الحصينة ، هذا وكانت الطائرات الايطالية قد اكتشفت الدورية قبل وصولها الى هدفها بقليل واغارت عليها لمدة ساعة بالقنابل ، ولكن القنابل سقطت بعيدا عن العربات ، وكانت هذه هى المرة الاولى التى واجهت فيها احدى دوريات « م·ص·ب·م » طيران العدو فى الصحراء المكشوفة .

ويقدم « **لويد أوين** » من واقع خبرته العملية بعض الارشادات الخاصة بوسائل مواجهة الطيران فى الصحراء فيقول :

« **تحدث العربات اثناء سيرها غبارا ، ولذا فهى سهلة الرؤية من الجو ، ولكن اذا امكنك ان تسمع صوت الطائرة وتراها ثم تقف فربما لاتلاحظك الطائرة ، لان العربات الثابتة صعبة الرؤيا .. اما اذا ما رآك الطيار فما عليك الا الالتجاء الى الارض ، فاذا كانت الارض بها شقوق فحرك العربة الى ثنايا الارض ، او بين الصخور حيث يصعب على الطيارين تمييزها كما يمكن للرجال الالتجاء الى ساتر ما . ولاتحدث قنابل الطائرات ضررا كبيرا عادة (اذا ما كانت الارض رملية) ، بل اذا كانت نيران الداورية الموجهة اليها حامية ، لاضطرت طائرات العدو الى الارتفاع عاليا فى السماء ومنعتها بذلك من الاستمرار فى الهجوم ، بل يستطيع الرجل الماهر استخدام سلاحه بعيدا عن العربة غير المسلحة ضد الطائرة المنقضة ، وقد تكرر حدوث هذا معنا بنجاح** .

واذا هاجمتك الطائرة فى صحراء منبسطة ليس فيها اى هيئات ارضية ، فالافضل ان تستمر متقدما وتدوس على البنزين وترى ما سيفعله الطيار ، فاذا القى قنابله اصبح الامر سهلا ، اذ يمكن للسائق ان يستمر مع تعيين مراقب فى العربة من الخلف ، فاذا راى الطائرة مستمرة فى ملاحقته او ان القنابل تسقط يستطيع ان يصرخ محذرا

٦ — المرجع السابق — صفحة ٢٠ .

السائق الذى عليه أن ينحرف يمينا أو يسارا » (٧) .

وقد واجهت بعض الدوريات متاعب شديدة نتيجة اغارات الطيران المعادى عليها التى كانت تحدث عادة فى الصباح التالى لاى هجوم فدائى يتم اثناء الليل ، وذلك عندما تنشط الطائرات فى تفتيش المناطق القريبة من موقع المعركة ، متتبعة مدق العجلات الذى تخلفه العربات اثناء سيرها فوق الرمال . وذلك مثلما حدث يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٤٢ ، حين اكتشفت طائرة « مسرشميت » الالمانية دورية كانت تقترب من مطار « ماربل آرش » لتهاجمه قوة فدائية تحملها عربات الدورية ، وعادت ومعها طائرتان « شتوكا » منقضة ، بعدان فشلت فى تدمير العربات بواسطة نيران رشاشاتها فقط . وقد استطاعت « الشتوكا » ان تدمر ثلاثة من العربات الاربع التى كانت لدى الدورية بقنابلها شديدة الانفجار ، واضطر الاحياء من رجال الدورية والمظليين الذين معهم ان يعودوا الى قاعدتهم التى تبعد عن مكان الهجوم الجوى بمسافة ٢٠٠ ميل تقريبا ، سيرا على الاقدام فى خلال عشرة ايام .

الهدف : مرزوق

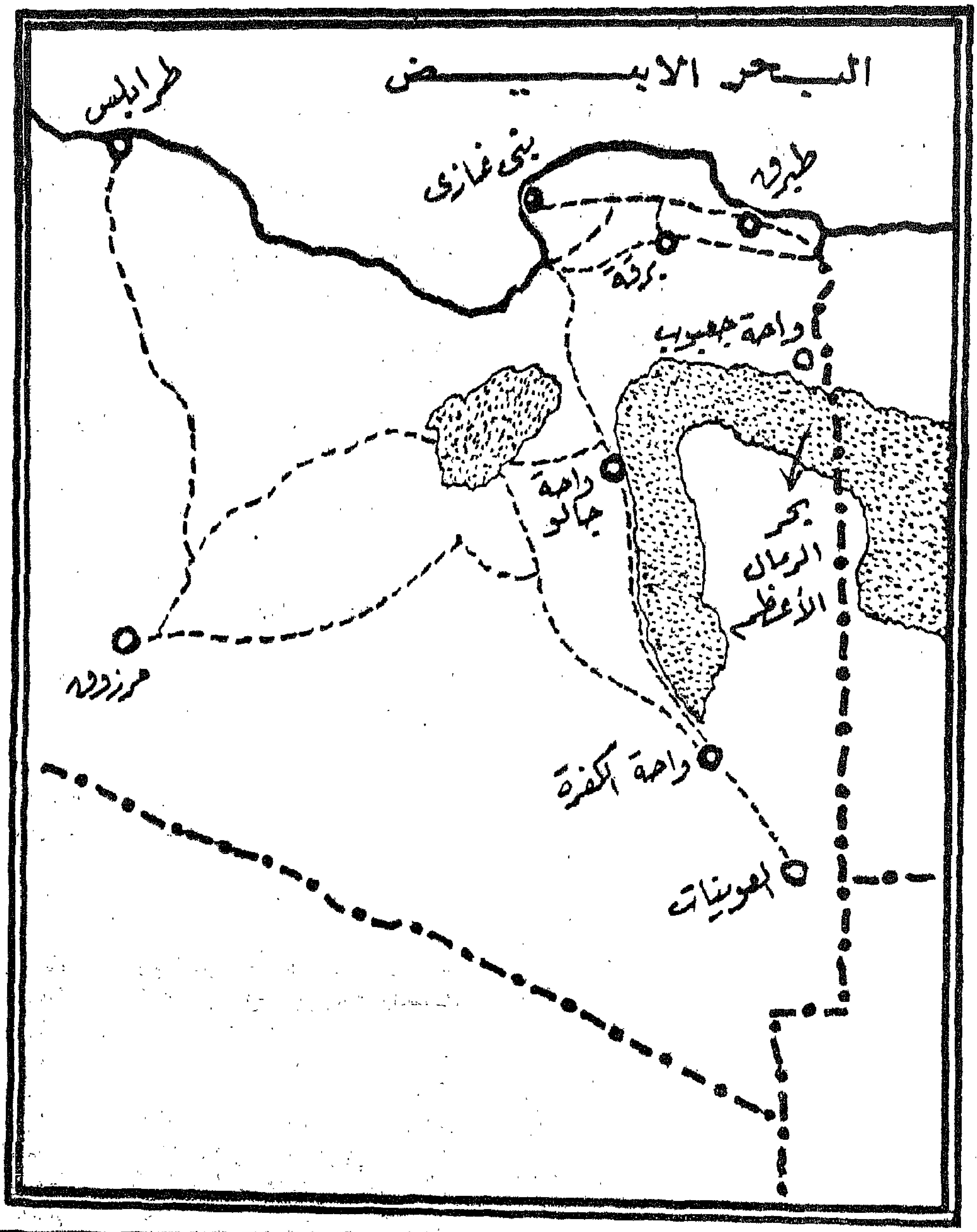
فى عصر يوم ٢٦ ديسمبر عام ١٩٤٠ ، خرجت من تكنات « العباسية » بمدينة « القاهرة » قافلة مكونة من ٢٣ عربة وبداخلها ٧٢ رجلا من رجال « م .ص .ب .م » ، من بينهم « **كلايتون** » و « **لويد أوين** » . وانسابت فى شوارع المدينة المزدحمة قاصدة الطريق الصحراوى الذى يبدأ عند يمين فندق « مينا هاوس » وبعد أن دخلته بقليل انحرفت يسارا فى طريق « الفيوم » لتخرج منه مرة أخرى الى الكتف الشمالى لجبل الخشب . وبعد أن اجتازت الرمال الناعمة حول الجبل انطلقت داخل الصحراء الى الجنوب الغربى فى طريقها الى « عين دلة » لتتزود منها بالوقود وتبدأ رحلتها عبر بحر الرمال الاعظم ، متجهة فى هذه المرة الى « **مرزوق** » ، عاصمة اقليم « **فزان** » بجنوب غرب « ليبيا » ، والتى تبعد عن القاهرة ــ فى حالة الخط المستقيم ــ بنحو ألف ميل .

وقد نشأ التفكير فى مهاجمة « مرزوق » لدى « باجنولد » فى نوفمبر ١٩٤٠ ، وسافر من أجل ذلك الى قلعة « لامى » ، حيث توجد رئاسة مستعمرة « تشاد » الفرنسية ، التى كان حاكمها المسيو « ايبوى » قد انضم الى حركة « فرنسا الحرة » ، التى دعا الجنرال « **ديجول** » اليها بعد هزيمة « فرنسا الام » فى يونيو ١٩٤٠ ، وتولى حكومة « بيتان » الانهزامية الحكم فى جنوب فرنسا واتخاذها « فيشى » مقرا لها ، وذلك للاتفاق على تنسيق العملية مع الفرنسيين الاحرار هناك . وقد تحمس الفرنسيون الاحرار فى « تشاد » للفكرة حماسا شديدا ، وذلك ليثبتوا عمليا لانصار « فيشى » وللعالم كله أن « فرنسا الحرة » فى المنطقة الاستوائية لديها العزيمة والقدرة على مواصلة القتال ضد الفاشية . ونتيجة لذلك قرر « **دورنانو** » قائد حامية « لامى » ان يشترك بنفسه فى هذه العملية الهجومية الفدائية . وقد وضع « **باجنولد** » ، اثر ذلك مباشرة ، تفاصيل الخطة وأصدر أمر العملية قبل أن يغادر « **لامى** » عائدا الى « القاهرة » . ووفقا لهذه الخطة المشتركة كان على « **كلايتون** » أن يترك المجموعة بعد أن تتخطى طريق « الكفرة » ويذهب جنوبا حتى « كابوجى » ليأتى بالقوة الفرنسية ــ التى كان جنودها يتألفون أساسا من رجال المستعمرة نفسها ــ ومعها الوقود الذى أحضرته على ظهور الجمال عبر الجبال فى هضبة « تيبستى » ويلتقى بالقوة مرة أخرى قبل أن تصل الى « مرزوق » بنحو ثلاثة أيام .

وفى صباح يوم ١١ يناير ١٩٤١ كانت عربات القوة المهاجمة تكمن على مبعدة ميلين تقريبا من الواحة ، التى توجد بها حامية مكونة من نحو ٥٠ ايطاليا و ١٥٠ ليبيا موزعة بين قلعة صغيرة ومطار به حظيرة طائرات وثلاث قاذفات قنابل ، دون أن يحس بها أحد من القوات الايطالية الموجودة بمرزوق أو فى بقية المراكز الاخرى المتناثرة فى الصحراء على الطريق الطويل اليها .

وعند الظهر تناول رجال القوة طعام الغداء فوق الجرف الذى كمنت فيه عرباتها بين تكسرات الارض الموجودة فيه ، ثم هبطوا منه اثر ذلك الى تبة منخفضة عنه تقع على اطراف البلدة ، ومنها دلفوا الى الطريق المؤدى الى القلعة والمطار . وعند البئر الموجودة على جانب الطريق حيا بعض الاهالى الموجودين هناك القافلة المتقدمة بشكل عادى للغاية بالتحية الفاشية ، صائحين بالايطالية « صباح الخير » ! وبعد ذلك بقليل التقط « **كلايتون** » مأمور البريد الايطالى من فوق عجلته التى كان يتجه بها الى القلعة وأخذه فى عربته ليكون دليلا لمجموعته فى سيرها نحو المطار . وكان « **كلايتون** » يصطحب معه المجموعة الفرنسية بقيادة « **دورنانو** » . وبسرعة انقسمت القوة الى قسمين : قسم اتجه الى القلعة ليناوش حاميتها بقيادة ضابط يدعى « **هيوسون** » ، والقسم الاخر ، وهو الرئيسى ، أخذ طريقه نحو المطار ، وكان يضم « **كلايتون** » و « **لويد أوين** » و « **دورنانو** » و « **بروس** » . وقد تسابقت عربات هذه المجموعات

٧ ـ المرجع السابق ـ صفحة ٢٨ .



خريطة لمسرح العمليات

فى اطلاق نيران رشاشاتها على « دشم » المدامع الرشاشة الايطالية التى تحرس المطار فاستسلم رجالها بسرعة دون ان يطلقوا رصاصة واحدة من هول المفاجأة ! ولكن كان هناك رشاش آخر عند حظيرة الطائرات استطاع أن يطلق النار على عربة « كلايتون » التى تعطل رشاشها « الفيكرز » عن العمل ، ونتج عن ذلك مقتل « دورنانو » وجندى ايطالى أسير كان كلايتون قد أخذه معه ، فاستخدمت بقية القوة المهاجمة المدفع « البوفرز » ـ مدفع ٤٠ ملم مضاد للطائرات ـ ضد حامية الحظيرة فى معركة استغرقت نحو ثلث ساعة ، استسلمت على اثرها الحامية البالغ عددها ٢٠ جنديا بعد أن قتل منها أربعة جنود ، ثلاثة منهم ليبيون والرابع ايطالى . ثم انسحبت القوة من البلدة كلها بعد أن دمرت الحظيرة واشعلت النار فى الطائرات الثلاث ومخازن الذخيرة والبترول ، ومعها أربعة فقط من الاسرى . اما الباقون فقد أخلى سبيلهم لعدم القدرة على نقلهم جميعا عبر الصحراء الممتدة مئات الاميال حتى « تشاد » . هذا وقد توقفت القوة خارج البلدة مباشرة وقامت بدفن « دورنانو » و « هيوسون » الذى قتل هو الاخر أثناء الاشتباك مع حامية القلعة الليبية التى لم تستسلم (•)

ثم عادت القوة الى « فورت لامى » خشية أن تصطدم بالحاميات الايطالية المبعثرة على الطريق الاصلى الذى أتت منه عبر الحدود المصرية • وهناك اجتمع « كلايتون » و « لويد اوين » مع ضابط فرنسى آخر من أنصار « ديجول » يدعى الكولونيل « ليكليرك » ، لوضع تفاصيل خطة مشتركة جديدة لمهاجمة واحة « الكفرة » وقد لمع اسم « ليكليرك » هذا بعد ذلك حين زحف عبر الصحراء والتقى بقوات « مونتجمرى » عند حدود تونس » فى بداية عام ١٩٤٣ ، وحين قاد الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية أثناء حملة « نورماندى » ، واشترك فى تحرير باريس عام ١٩٤٤ •

وهكذا أثبتت مجموعة الصحراء بعيدة المدى قدرة هائلة على التعمق وراء خطوط العدو بمسافات بعيدة المدى حقا ، لتثبت له انه لا يوجد هدف او موقع يمكنه ان يأمن الهجوم مهما بعد عن خطوط القتال الامامية ، وبذلك يصبح جنوده فى حالة من القلق والتوتر المستمر خشية الهجوم الفجائى من قبل فدائيى هذه المجموعة الذين تنشق الصحراء عنهم فجأة ، والذين لا تقف أمامهم أى موانع أو عقبات طبيعية •

« م ص ب م تواجه المتاعب »

اتفق « **باجنولد** » مع « **ليكليرك** » ، الذى كان قد أصبح حاكما لتشاد بأمر « ديجول » ، على ضرورة مهاجمة « الكفرة » واحتلالها نهائيا ، لتأمين الجناح الجنوبى الشرقى من الصحراء الليبية تماما ، خاصة وان « **ويفل** » كان يزحف نحو « طبرق » فى أقصى الشمال بعد أن هزم « **جرازيانى** » هزيمة حاسمة فى « سيدى برانى » خلال النصف الاول من ديسمبر عام ١٩٤٠ •

وقد تم وضع تفاصيل الخطة المشتركة بينهما فى يناير ١٩٤١ • وبمقتضى هذه الخطة وضعت دوريتان من « م ص ب م » برئاسة « كلايتون » تحت قيادة « ليكليرك » الذى ستقوم قواته بالمهمة الرئيسية فى الهجوم على هذه القاعدة الايطالية الرئيسية فى ذلك القطاع من الصحراء •

وفى ٢٦ يناير قامت الدورية « ت » بقيادة « **كلايتون** » للاستطلاع حول جبل « العوينات » والى الجنوب من « الكفرة » ، وبدأت رحلتها هذه من « فايا » بمستعمرة « تشاد » والتى تبعد عن الكفرة بمسافة ٥٦٥ ميلا • وفى ٣١ يناير كانت قد وصلت الى جبل « شريف » الذى يقع الى الجنوب من « الكفرة » بنحو ٦٠ ميلا فقط ، وهناك التقت فى وادى بين التلال بدورية ايطالية راكبة من قوة سرايا السيارات الصحراوية ، البالغ عددها نحو ٦ سرايا ، والتى كان جرازيانى قد شكلها ودربها على القتال الميكانيكى فى تعاون مع الطيران منذ بضع سنوات قبل الحرب ، ولم يسبق لدوريات « م ص ب م » أن التقت بها فى عملياتها المفاجئة السابق ذكرها • ولذلك كانت دهشة « كلايتون » كبيرة حين فوجىء بهذه الدورية تدخل اليه فى الوادى الذى كان فيه من الشمال وتفتح على قوته نيرانا قوية ودقيقة بالتعاون مع ثلاث طائرات كانت تحلق فوقها للاستطلاع وقذف القنابل ، فاشتعلت النار فى ثلاث عربات من عربات القوة البالغ عددها ١١ عربة • وحاول « **كلايتون** » اثر ذلك القيام بهجوم مضاد من الجنوب بعد أن جمع بقية عرباته ورجاله البالغ عددهم ٣٠ رجلا ، الذين قتل وجرح بعضهم فى بداية الاشتباك • ولكن « **هومورشينى** » — قائد الدورية الايطالية — رد على محاولته هذه بنيران شديدة من مدافعه الرشاشة والاربعة مدافع عيار ٢٠ مم التى كانت لديه ، وكانت النتيجة أن جرح « كلايتون » ووقع فى الاسر ومعه رجلان آخران ودمرت ثلاث عربات أخرى ، واضطرت بقية الدورية الى الانسحاب بسرعة الى بئر « سارا » الواقع على مبعدة ١٣٠ ميلا الى الجنوب من جبل « شريف » • بعد أن فقدت قائدها وخمسة قتلى ونصف عرباتها بالاضافة الى الاسيرين الاخرين اللذين أسرا مع القائد ، وهناك التقت مع الدورية « ج » — ومعها « **ليكليرك** » ، الذى اضطر أن يؤجل عمليته ضد « الكفرة » نتيجة لافتقاد عنصر المفاجأة بعد معركة جبل « شريف » وأسر « كلايتون » •

ويبدو أن الايطاليين كانوا يتوقعون هذه العمليات ضد « الكفرة » أو أنهم كانوا على علم مسبق بها ، نظرا لانتشار الشائعات حول العملية فى « فايا » قبل أن تبدأ فعلا بعدة أسابيع ، الى حد أنها كانت موضع أحاديث الناس فى الشوارع والبارات الموجودة بالمدينة !

لقد أثبتت معركة « جبل شريف » هذه ومعارك أخرى مماثلة حدثت بعد ذلك ، أن من أخطر الامور التى يمكن أن تواجه أى قوة فدائية متسللة فى الصحراء ، أن تكتشف بواسطة قوة معادية ميكانيكية مجهزة بمركبات قادرة على السير فى الرمال بسهولة ، تعمل فى تعاون مع الطيران • وذلك نظرا لشبه انعدام السواتر الطبيعية التى يمكن أن تحتمى بها القوة أو عرباتها ، ونظرا لطبيعة الارض الصحراوية الخالية تقريبا فى معظم الاحوال من العوائق التى يمكن أن تعيق المركبات الميكانيكية فى حركتها السريعة وقدرتها على المناورة • وبطبيعة الحال تتضاعف المخاطر ، التى عرضناها آنفا ، فى حالة اكتشاف أو معرفة هدف القوة الفدائية المحتمل فى وقت مبكر ، نظرا لافتقاد عنصر المفاجأة الذى يكسب المهاجمين المتسللين ميزة المبادأة ، فى مثل تلك الظروف •

قواعد فدائية متقدمة فى أرض العدو

بعد معركة «جبل شريف» واسر «كلايتون» ، اعيدت بقية قوته الى مصر فيما عدا بعض خبراء الملاحة البرية الذين بقوا فى « تشاد » ليعاونوا « لكليرك » فى محاولة الاستيلاء على « الكفرة » بواسطة قوة الفرنسيين الاحرار التى تحت امرته • وقد قام « ليكليرك » بمهاجمة هذه الواحة فى ١٩ فبراير ١٩٤١ مستخدما قوة مكونة من ٣٩٦ جنديا ، من بينهم ١٠١ من الفرنسيين والباقون من جنود المستعمرات ، مسلحة بالبنادق والرشاشات وأربعة مدافع هاون ومدفع عيار «٧٥ مم» . وقد دارت فى هذا اليوم بينه وبين سرية السيارات الصحراوية الايطالية معركة عنيفة شمال قلعة « الكفرة » لم تسفر عن نتيجة حاسمة ، ولكن الايطاليين قاموا لسبب غير مفهوم بسحب هذه السرية خفيفة الحركة مساء اليوم التالى ، وهكذا استطاع « ليكليرك » أن يدخل الواحة ويحيط قلعتها بمدافعه ، التى أخذت تمطرها بقنابلها بشكل متقطع عدة أيام حتى استسلمت حاميتها ، المؤلفة من ٦٤ ايطاليا و ٣٥٢ ليبيا ، صباح أول مارس ، ومعها ٥٣ رشاشا و ٤ مدافع « بريدا » ٢٠ مم فى حالة سليمة !

ولم يحاول الايطاليون بعد ذلك حتى نهاية القتال فى « ليبيا » أن يسترجعوا « الكفرة » التى أصبحت قاعدة حيوية كبرى لـ « م ص ب م » خلال عملياتها التى قامت بها وراء خطوط « روميل » بعد ذلك حتى خريف عام ١٩٤٢ . وانتقل « باجنولد » ومعه رئاسة المجموعة اليها فى ابريل ١٩٤١ مباشرة وكذلك معظم دورياتها ، أما بقية المجموعة فقد اتخذت من واحة « سيوة » مركزا لعملياتها فى القطاع الشمالى من الصحراء . ثم لحقت به قوة جوية صغيرة تضم بعض الطائرات القديمة التى استخدمت فى نقل الجرحى والبحث عن المفقودين والتنقل السريع لبعض القادة • هذا وقد انسحب الفرنسيون بعد ذلك الى « فايا » مرة أخرى ، تاركين « الكفرة » فى حماية (م ص ب م) ، التى استعانت اثر ذلك بقوة من قوات الدفاع السودانية لاحتلال وحماية هذه القاعدة ، حتى تتفرغ دوريات المجموعة لمهامها المتحركة الاصلية ولا تنشغل بمشكلات حراسة القواعد الخلفية .

هذا وقد تم بعد ذلك أيضا احتلال واحتى «جغبوب» و «جالو» واستخدمتا كقواعد متقدمة لـ « م . ص . ب . م » ترتكزان على كل من « الكفرة » و « سيوة » كقاعدتين خلفيتين اساسيتين ، يتم تموينهما بانتظام من القواعد الاصلية فى « القاهرة » و « الفيوم » •

الفدائيون يراقبون الصحراء

اضطرت القوات الإيطالية والالمانية التى حاربت فى « ليبيا » خلال عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، الى استخدام ميناء « طرابلس » فقط فى فترات كثيرة كميناء أساسى تفرغ فيه امداداتها المختلفة ، الامر الذى اضطرها بالضرورة الى استخدام طريق برى واحد لنقل كافة الامدادات والتموينات الى قواتها فى الجبهة ، الا وهو الطريق الساحلى الرئيسى الذى يربط « طرابلس » « ببرقة » • ولذلك قرر « برندر جاسست » ـ القائد الجديد لـ « م.ص.ب.م » بعد ترقية « باجنولد » الى ضابط أركان حرب فى القيادة العامة للشرق الاوسط فى أغسطس ١٩٤١ ـ أن ينشىء مركزا سريا دائما لمراقبة الطريق بالقرب من «ماربل آرشى» يرصد كافة قوافل امداد وتموين قوات «روميل» ، ويرفع عنها تقريرا مفصلا يوميا الى القيادة بواسطة اللاسلكى .

وقد تمت أول تجربة لهذة العملية فى سبتمبر ١٩٤١ ، ثم طبقت بشكل جدى لمدة أربعة أشهر ونصف دون انقطاع تقريبا فى ربيع وصيف ١٩٤٢ ، ثم سبعة أسابيع فى خريف نفس العام ، وذلك تبعا لحركة المد والجزر فى الجبهة • وفى بعض الاحيان كانت الجبهة الامامية تبعد عن مركز المراقبة هذا بنحو أربعمائة ميل .

وكانت دوريات الرقابة ثلاثا : واحدة تقوم بالعمل ، والثانية راجعة بعد انتهاء خدمتها الى القاعدة الخلفية «سيوة» على مبعدة ٦١٠ اميال الى الشرق ، والثالثة فى طريقها من سيوة لتسلم دورها فى العمل ، وهكذا دواليك • وكانت الدورية القائمة بالرقابة تتخذ لها معسكرا صغيرا مموها بشباك التمويه فى واد صغير تغطيه الاعشاب على مبعدة أميال قليلة من الطريق • ثم يبدأ رجلان منها بالسير نحو نقطة تبعد نحو ٥٠٠ متر من الطريق قبل الفجر ، حيث يكمنان وراء ساتر بسيط من الاعشاب بين ثنايا الارض طوال النهار ، ولا يغادرانه قبل هبوط الظلام ، وهما يحملان نظارات ميدان قوية جدا وكراسة صغيرة لتدوين البيانات وصورا فوتوغرافية حديثة لانواع عربات ودبابات ومدافع العدو ، ثم يتولى أحدهما المراقبة ويملى على الاخر أعداد المركبات أو الاسلحة والجنود اذا أمكن ، التى تعبر الطريق على الاتجاهين • وبعد الغروب يصل الغيار الجديد من المعسكر ، الذى يقترب اثناء الليل الى مسافة ٥٠ مترا فقط من الطريق ليمكنه تمييز الحركة على قدر الامكان ، بينما يبدأ عامل اللاسلكى فى المعسكر فى ارسال المعلومات الى القيادة فى الحال • وهكذا مضت دوريات « م ص ب م » ورجالها الفدائيون فى مراقبة تحركات العدو فى المؤخرة ، وإفادة قيادة الجيش الثامن ومخابراته بها ، الى أن انسحب روميل نهائيا الى الغرب من خط « العقيلة » الدفاعى فى ١٦ ديسمبر ١٩٤٢ • وذلك اثر نجاح قوات « مونتجمرى » فى الالتفاف حول الخط من

الجنوب ، بفضل استطلاع دوريات « م . ص . ب . م » للأرض صعبة العبور هناك واكتشافها طريقا صالحا لمرور الدبابات والعربات هناك . وكثيرا ما قامت هذه الدوريات باستطلاع طبيعة الارض التى ستكون مسرحا لعمليات هجومية فى المستقبل ، لتحدد المناطق الصالحة لسير الدبابات او العربات حموله ٣ اطنان أو حمولة ١٠ أطنان مثلا ، وكذلك لتعين الاماكن الصالحة لنزول الطائرات ، والاماكن التى توجد بها موارد المياه ، ثم ترسم خرائط مفصلة لهذه المناطق مسجلا عليها كافة هذه المعلومات .

تطور تكتيكات مهاجمة المطارات

كان الظلام حالكا فى تلك الليلة الحارة من ليالى شهر يوليو عام ١٩٤٢ حين وقف النقيب « **هنتر** » احد ضباط الدورية ى ٢ احدى دوريات « م.ص.ب.م » ، على حافة المطار رقم « ١٦ » القريب من بلدة « فوكة » الواقعة على مبعدة ١٠٠ ميل تقريبا الى الغرب من خط « العلمين » الدفاعى ، وأنزل من عرباته مجموعة من المظليين الفرنسيين الاحرار كانت تعمل ضمن مجموعة « ستيرلنج » . ووقف ينتظرهم لمدة ساعة حتى عادوا جميعا بعد أن أدوا مهمتهم بنجاح ، ثم انطلق بعرباته نحو المطار رقم ٦٨ القريب ، الذى أخذ حراسه الايطاليون يطلقون النار على غير هدى بعد أن سمعوا وشاهدوا الانفجارات فى المطار رقم « ١٦ » السابق مهاجمته ، ولذلك امتلأت صفحة الليل المظلمة بوميض طلقات « البريدا ٢٠ مم » والرشاشات المتوسطة والخفيفة التى انطلقت تعوى بشدة لتعطى المدافعين شعورا بالاطمئنان . ولم يغامر « **هنتر** » نتيجة لذلك باقتحام هذه العاصفة الهوجاء من الطلقات النارية ، وانما أخذ يحوم حول المطار بسيارته مطلقا نيران رشاشاته « الفيكرز » المثبتة فوقها على أربع طائرات كانت جاثمة على الارض عند أطراف المطار فدمرها كلها على اثر اشتعال النار فى خزانات الوقود الموجودة بها . وفى نفس الوقت أخذ « **ستيرلنج** » ، الذى تطورت وحدته الخاصة كثيرا عن العام السابق بحيث أصبحت لها قواعدها الخاصة ووسائل نقل مستقلة وان بقيت معتمدة على « م . ص . ب . م » الى حد ما فى الملاحة البرية والاشارة ، نقول أخذ يهاجم المطارات فى المنطقة الممتدة وراء خط « العلمين » حتى « سيدى برانى » ، أى المطارات الامامية لقوات « روميل » ، مستخدما تكتيكا جديدا لتدمير الطائرات . وذلك بعد أن تسلم مجموعة من العربات الجيب الجديدة المسلحة تسليحا ثقيلا . اذ صفحت تصفيحا خفيفا واقيا من الرصاص وركب على كل منها مدفعان رشاشان قويان تتألف ذخيرتهما من طلقات كاشفة وشديدة الانفجار وحارقة ، عن طريق تشكيل عرباته هذه فى صورة ثلاثة أضلاع مربع ، ثم يتقدم بها الى المطار وهو فى مقدمة القوة ، ويأخذ المدفعيان الموجودان فى كل عربة فى اطلاق النار خارج هذا المربع المتقدم على الطائرات الداخلة فى نطاق مرمى المدافع ، التى تقذف سيلا متدفقا من الطلقات المضيئة والمتفجرة والحارقة يبث الرعب فى نفوس الحراس فيهرعون الى حفر الوقاية ، بينما تشتعل النار فى الطائرات الرابضة على الارض فى استسلام صامت . وقد تم تدمير ١٥ طائرة مثلا بسبب هذا التكتيك فى مطارات قريبة من « معاطن باجوش » الواقعة الى الجنوب من « مرسى مطروح » فى احدى الليالى بواسطة احدى دوريات « م.ص.ب.م » بقيادة الملازم « **وايلدر** » . كما قام « **وايلدر** » هذا بتكرار هذا التكتيك مرة أخرى فى صورة معدلة بعض الشىء ، حين هاجم بعد ذلك فى ليلة ١٤ سبتمبر ١٩٤٢ ، مطار « برشى » الايطالى الواقع فى الجزء الشمالى الشرقى من « ليبيا » على مقربة من الحدود المصرية عند « السلوم » ، مستخدما عرباته الـ ١٢ ومن بينها ٣ « جيب » فى شكل قطار فردى حول المطار وهى تطلق النار من وقت لاخر على الطائرات بالدور ، ونتج عن ذلك اشعال النار فى عشرين طائرة واصابة اثنتى عشرة طائرة أخرى .

وكانت هذه الهجمات جزءا من عمليات التخريب الواسعة النطاق ، التى كلفت بها قيادة الجيش الثامن ، التشكيلات الفدائية الثلاث المعدة للعمل وراء خطوط العدو وقتذاك . وهى مجموعة الصحراء بعيدة المدى ، ومجموعة الطيران الخاصة ، (مجموعة استيرانج) ، ومجموعة « الكوماندوز » الخاصة بالشرق الاوسط ، والتى الحقت بعض الوقت بقيادة « م . ص . ب . م » فى « سيوة » خلال عام ١٩٤٢ . وقد تم خلال شهور يوليو وأغسطس العصيبة حين كانت قوات « **روميل** » تقف على مبعدة ٦٠ ميلا من الاسكندرية فقط عند خط « العلمين الدفاعى ، مهاجمة كثير من المطارات الامامية وقطع أنابيب المياه غرب مرسى مطروح ومهاجمة محطات الخط الحديدى الساحلى الممتد بين الضبعة و « طبرق » ، ونقط تجمع عربات العدو وفناطيس بتروله المخزون الخ .. وكانت معظم هذه العمليات تتم من خلال السير عبر منخفض القطارة ، المتعذر السير فيه بقوات ميكانيكية كبيرة ، وعبر بحر الرمال الاعظم من الجنوب عند « الكفرة » التى بقيت فى أيدى « م . ص . ب . م » طوال هذه الفترة الحرجة رغم اخلاء « جالو » و « جغبوب » و « سيوة » بسبب تقدم « **روميل** » الخاطف بعد هزيمة الجيش الثامن فى « طبرق » بقيادة « ريتشى » خلال شهر يونيو عام ١٩٤٢ .

وقد تمت عدة عمليات فدائية أخرى هامة سواء من جانب البريطانيين أو الالمان فى الصحراء خلال عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، سوف نفرد لها دراسة مستقلة نظرا لاهميتها الخاصة وعدم اتساع المجال لعرضها فى دراستنا هذه .

أبرز الخبرات المستفادة

لقد أوضحت عمليات الوحدات أو التشكيلات ذات الطابع الفدائى فى الصحراء ، التى اوردنا فيما سلف بعض الامثلة الهامة لها من واقع أحداث الحرب العالمية الثانية ، أن الصحراء تعطى مجالا واسعا فى أغلب الظروف ، للقيام بمثل هذه العمليات . وذلك نظرا لاتساعها وصعوبة اخضاعها للرقابة البرية الدقيقة من جانب العدو . وأنه يمكن لهذه الوحدات أن تقوم بمعظم تحركاتها أثناء الليل فى حالة اخضاع العدو أرض العمليات المتوقعة لرقابة الطيران النهارية ، التى يصعب عليه اكتشاف مثل هذه الوحدات فى النهار اذاما كانت متوقفة عن الحركة ومتخذة بعض اجراءات التمويه البسيطة كوضع شباك جيدة التمويه ، أو الاحتماء بشقوق الارض ، أو بين الصخور والاعشاب البرية فى حالة وجودهما .

وبطبيعة الحال يجب علينا الان أن نضع فى الاعتبار ، عند محاولتنا الاستفادة من هذه الخبرات ، تطور الطيران الحديث ووسائل مراقبته لما يحدث فوق الارض ، عما كان عليه الحال أيام الحرب العالمية الثانية ، حيث كانت طائرات « الهليوكوبتر » مثلا لاتزال فى طور الاختراع والتجريب الاولى . ولكننا فى نفس الوقت يجب أن نضع فى الاعتبار أيضا أن الوسائل الهجومية والدفاعية المتاحة لمثل هذه الوحدات الخاصة حاليا قد تطورت هى الاخرى كثيرا عما كانت عليه خلال هذه الحرب ، وكذلك وسائل النقل وسبل الوصول الى الاهداف البعيدة وراء خطوط العدو .

فهناك مثلا الان أجهزة القصف بالصواريخ المتنقلة بسهولة والتى يمكن فكها وحملها وتركيبها بسرعة بواسطة الافراد .

وهناك مثلا مدافع الهاون ذات العيار الثقيل التى يمكن نقلها بواسطة الافراد أو العربات الخفيفةالىاماكن العمليات ،مثل الهاون «١٢٠مم» الذى يستطيع أن يقذف قذائفه التى يبلغ وزنها ٢٥ أو ٣٥ رطلا على أهداف تبعدعنهبعدة أميال .

وهناك أيضا مختلف أنواع « البازوكا » المضادة للدبابات والمصفحات التى يسهل نقلها سواء بواسطة الافراد أو عربات « الجيب » ، والتى يصل عيار بعض أنواعها القوية البعيدة المرمى الى « ١٠٦ مم » .

وهناك الانواع الخفيفة الحديثة والقوية من المدافع المضادة للطائرات المنقضة أو « الهليوكوبتر » ، فضلا عن وجود بعض أنواع الصواريخ الصغيرة المضادة للطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة والتى يمكن للفرد أن يطلقها من فوق كتفه ، كما يفعل بالنسبة لمدافع « البازوكا » .

هذا بالاضافة الى تطور وسائل النقل الميكانيكية القادرة على السير فى الرمال بسرعة وعبور الموانع المائية . وامكان استخدام الهليوكوبتر البعيدة المدى فى اسقاط الوحدات الفدائية عند أهدافها خلال الليل ومعها عرباتها السريعة وأسلحتها الثقيلة آنفة الذكر الخ .. وامكان استخدام أجهزة الاشعة تحت الحمراء فى توجيه سير العربات بسرعة أثناء الليل دون الحاجة الى استخدام المصابيح الموجودة بها ، وتوافر أجهزة الضبط الدقيق للنيران وأجهزة الملاحة وتحديد الاتجاهات الحديثة وأجهزة الارسال القوية الخفيفة الوزن ، وما الى ذلك من وسائل القتال والنقل التى لم يكن متاحا مثلها لدى « م.ص.ب.م » وغيرها من التشكيلات الفدائية الصحراوية الاخرى ، خلال معارك الحرب العالمية الثانية .

ولكن الخبرة الاساسية التى اثبتتها تلك العمليات الفدائية ،والتى لم ولن تتبدل بسبب التطور التكنيكي والعلمي ، هى أن هذه الوحدات لابد وأن تكون ، وحدات مختارة من خيرة الرجال صلابة وشجاعة ومقدرة على التصرف وايمانا بالقضية التى يحاربون من أجلها .وأنها يجب أن تكون ذات مستوى عال من التدريب والكفاءة القتالية والصلاحية البدنية والصحية ، وأن افرادها لابد وأن يتوافر لديهم قدر معقول من الثقافة والعلم والذكاء يمكنهم من الالمام الى أكبر حد ممكن وبطريقة علمية لا بأس بها ، بطبيعة الارض والظروف المناخية التى سيواجهونها ، وكيفية الاستفادة من وسائل الملاحة البرية وأجهزة الرصد الليلية ، وكيفية تمييز أسلحة ومعدات ووحدات العدو المختلفة ، وطبع اكبر قدر من المعلومات المفصلة فى ذاكرتهم للاستفادة منها بعد ذلك الخ .. وكل هذه الصفات مطلوب توافرهافى أى فدائى بصفةعامة ، ولكنها مطلوبة بصورة أكثر الحاحا فى فدائيى الصحراء بصفة خاصة .

وغنى عن البيان بطبيعة الحال أن نقرر استنادا الى واقع تلك الخبرات ، أن فاعلية وجدوى هذه العمليات الفدائية فى الصحراء ، انما تستمد من كونها عملياتموضوعة فى خدمة عملياتالجيش النظامى الرئيسى الذى تقع عليه مهمة الوصول بالمعارك الى نتائج حاسمة .

المقاومة الفلسطينية



بين التأملات الرومانسية والممارسة الثورية

نورى عبد الرزاق حسين

يكتب هذا المقال « للطليعة » المناضل العراقى « نورى عبد الرازق حسن » الذى تولى لسنوات عديدة ، وحتى أوائل عام ١٩٦٩ ، مسئولية السكرتير العام لاتحاد الطلبة العالمى .

وهذا المقال عبارة عن ملاحظاته الاولية والشخصية « كماركسى عربى » ، بعد معايشته للمقاومة الفلسطينية اخيرا . وذلك خلال اشتراكه بالمؤتمر الوطنى الخامس للاتحاد العام لطلبة فلسطين الذى انعقد بعمسان فى الفترة من ٣١ يوليسو حتى ٦ اغسطس ١٩٦٩ .

لايسع المتتبع لتطورات النضال المسلح الذى تقوده منظمات المقاومة الفدائية الا الاقرار بواقـع نهوض ثورى للكفاح الفلسطينى ، وان الثورة الفلسطينية قد بدأت لتخط للشعب الفلسطينى طريق النصر ، فى انتزاع حقوقه المغتصبة منذ قرابة ربع قرن ، ولتمكينه من تقرير مصيره على ارض وطنه .

لم يعد هنالك شك فى بداية الثورة الفلسطينية التى يعبر عنها الكفاح المسلح ، انها ثورة قائمة وسائرة على طريق النصر .

الا ان مايهمنا هنا ، هو مناقشة هذه الثورة المسلحة ، ونحن حلفاؤها وانصارها ، لاجل ابداء الاراء والملاحظات التى تتطلبها مصلحة الثورة الفلسطينية ، لاجل المساهمة فى مساعدتها لتجنب بعض من متاهات الطريق ، مستندين من مبدأ التحالف الثورى المعادى للامبريالية والرجعية .. وفى سبيل توطيد اتحاد القوى التقدمية العربية والعالمية لنصرة الثورة الفلسطينية .

الثورة الفلسطينية فى اطار الثورة العربية

ان انطلاق ثورة الشعب الفلسطينى ، كانت علاوة عن انبثاقها فى ظروف الاحتلال والتشرد لسنوات عديدة ، ورفضها للمحاولات المتكررة لاخماد جذوة نضال الشعب الفلسطينى ، واشاعة روح اليأس والاستسلام فيه ، بمختلف السبل والوسائل الهادفة لتصفية القضية الفلسطينية . اقول علاوة عن واقعه ، فان ثورته كانت تعبر عن الرفض لاسلوب النضال السابق .. الرفض والتمرد ضد تسليم مصير الشعب الفلسطينى لقيادات غير قياداته النابعة من صميم جماهيره والتى عانت معه فترات التمزق واليأس ، ومرت بامتحانات قاسية عبر معاناة مصيرية لمستقبل هذا الشعب المناضل . ولذا فالثورة الفلسطينية بشكلها

الحالى ، هى رفضا للماضى ، وانطلاقا بالشخصية الفلسطينية لمستقبل تحررى للشعب الفلسطينى .

والثورة الفلسطينية ، رغم وضوح هويتها وشخصيتها الفلسطينية ، الا انها مدعوة فى عدم الوقوع فى « الاقليمية » الفلسطينية كرد فعل لاوضاع الماضى والذى كان طابعه المتاجرة بقضية هذا الشعب من قبل القوى العربية المختلفة • ان الثورة الفلسطينية هى جزء من حركة التحرر العربى المناهض للامبريالية والهادفة لتحرير الامة العربية ووضعها فى طريق الديمقراطية والتقدم الاجتماعى • ان اكبر خطأ تقع فيه الثورة الفلسطينية وقياداتها هى انكماشها على نفسها وعدم انفتاحها على حركة التحرر العربى ، وعليه فالثورة الفلسطينية لايمكن ان تنمو بمعزل عن النهوض الثورى العربى •

تصفية آثار العدوان والثورة الفلسطينية

ان تصفية اثار عدوان الخامس من حزيران (يونيو) ، ليس حلا للقضية الفلسطينية ، ولكنه خطوة هامة فى طريق التحرر الفلسطينى ، وعليه فتجاهل القيادات الثورية الفلسطينية للجهود الرامية لتصفية اثار العدوان والاستخفاف بها ، ليس من شأنه دفع الثورة الفلسطينية للامام ، برغم كافة التأملات الرومانسية للكفاح المسلح • ذلك ان العدو عندما ينسحب من الاراضى التى سيطر عليها بعد ٥ حزيران ، فهذا من شأنه دفع الحركة التحررية العربية الى الامام • وهذا يعنى ايضا بأن ميزان القوى العالمى فى صالحنا ، لانه من السذاجة الاعتقاد بان العدو الاسرائيلى هو فقط مسئول عن وجوده • ان الامبريالية الامريكية خاصة والامبريالية العالمية عامة هى اساس وجوده • وعليه فعلينا حسبان الوضع العالمى فى استراتيجيتنا ، وضرورة تلاحم استراتيجيتنا مع قوى الاتحاد السوفيتى ودول المنظومة الاشتراكية .

ان تقوية القوة العسكرية الرادعة والهجومية لجيوش الدول العربية المتحررة واعادة بناء قواها المسلحة ، يعتبر مسألة هامة فى تعزيز واسناد جهود الثورة المسلحة الفلسطينية • ومن هنا فان هذه الثورة مطالبة بأن تأخذ فى الحسبان وبكل دقة وجدية الوضع العسكرى ، والقوة القتالية ووضع الانظمة فى الدول العربية ، ولاسيما الدول العربية المتحررة • والثورة الفلسطينية رغم تأثرها المباشر بالوضع الثورى فى الدول العربية المتحررة ، فانها نفسها سوف تؤثر وتصحح من النواقص فى هذه الانظمة • وهذه العلاقة الجدلية ، يجب ان لاتغيب عن حساب قيادات الثورة الفلسطينية •

قضية الحليف

والثورة الفلسطينية تنمو فى ظروف مد عالمى لحركة التحرر الوطنى ، وضمن اطار التحالف المتين مع الاتحاد السوفيتى ودول المنظومة الاشتراكية ، والقوى التقدمية فى المعسكر الراسمالى • وعليه فالمحاولات والاصوات التى تنطلق هنا وهناك فى داخل قوى الثورة الفلسطينية او من خارجها فى التشكيك بالاتحاد السوفيتى ودوره وجهوده ، سواء فى مجال اعادة بناء القوة القتالية للدول العربية او فى مجال الدعم الدبلوماسى والاعلامى العالمى لصالح قضيتنا •• هذه المحاولات التى تريد ان تدق اسفين فى العلاقات بين الثورة الفلسطينية والاتحاد السوفييتى هى بذور قوى ثورة الردة بشكلها الجنينى ، داخل الثورة الفلسطينية ، وعلى قيادات الثورة الفلسطينية ان تتحلى بأعلى درجات اليقظة والوعى لاسكات هذه الاصوات او المحاولات •

ورغم ان هذه المحاولات تلقى صدى فى مايسمى « باليسار الجديد » ، فان اليسار الجديد بمذاهبه المختلفة ، وبرؤيته الناقصة ، فانه ليس الا مجرد تمرد برجوازى صغير ، ضد اوضاع احتكارات راسمالية الدولة فى البلدان الرأسمالية ، لا يمكنه ان يشكل تيارا ثانيا . وبالتالى فاى حركة بورجوازية صغيرة ستتمزق بين يمين ويسار ، وتستقر فى قطبى قوى الانتاج ، اما مع الراسمالية واما مع البروليتارية . ولهذا فلا يمكن الركون اليها كقوى متطورة او ثابتة • والانكى من ذلك الاستناد الى تأييدها المتشنج كبديل عن القوة الدولية والثبات المبدئى للاتحاد السوفيتى ، ودول المنظمة الاشتراكية والحركات الديمقراطية التقدمية فى الدول الراسمالية •

واعتقد ان الثورة الفلسطينية وقياداتها ، رغم ترحيبها باى دعم ياتيها للاستفادة منه ، الا ان عليها ان تميز بين حليف ثابت معها على مدى استراتيجيتها ، ومرحلة انتصارها النهائى ، ومابعده ، وبين حليف متذبذب لاتعلم مصيره غدا ، كما لم تكن تعلم ماضيه بالامس •

فتح والجبهة الشعبية

واذا اردنا الحديث عن الثورة الفلسطينية فلابد لنا من التعرض لمسألة تعدد المنظمات الفدائية وتزايدها ، والثورة مازلت فى البداية او فى بداية البداية . والواقع انه رغم ايماننا بعدالتها

ويمستقبلها ، فان التعدد - برأينا - يعود لعاملين :

الاول : هو الخلاف المسبق حول الرؤية لابعاد الثورة الفلسطينية ومستقبلها ، ويمكن القول بان هذا الخلاف (رغم امكانية تلافيه) فانه خلاف منطقي يحصل بين القوى الثورية . وانا اشخص هذا الخلاف بين المنظمتين الثوريتين الاصيلتين ، والتي على اساس كفاحهما يعتمد مستقبل الثورة الشعبية » التي يقودها الدكتور جورج حبشي .

اما السبب الثاني : فهو نتيجة للمزايدة وافتعال تشكيل المنظمات الفدائية بتشجيع من هذه الدولة العربية او تلك ، تعبيرا عن الانانية التي مازالت تسود بعض الانظمة العربية والتي لم تتخل للان عن اسلوب المزايدة والمتاجرة بقضية الشعب الفلسطيني .

وهنالك منظمات انشقت عن منظمات اخرى ، واتخذت من التطرف المتشنج في اهدافها وشعاراتها اسلوبا لعملها ، واصبحت محاربتها للمنظمات الفلسطينية التي انشقت عنها هدفا بدلا من تركيز نيرانها ضد العدو الاسرائيلي .

ولابد لي عندما اتكلم عن الثورة الفلسطينية ، ان اتكلم عن **فتح والجبهة الشعبية** باعتبارهما قطبي الثورة .

هنالك منطلقان لرؤية الثورة الفلسطينية : منطلق وطني عام يجمع كل قوى الثورة او القوى المساندة للعمل المسلح باطاره الوطني العام ، في ظروف الاحتلال ، وظروف عدوانية العدو الاسرائيلي ، وهذه النظرة تؤمن بان القضية الوطنية باطارها العام تطرح نفسها في المرحلة الراهنة ، ويجب الاستفادة من كل القوى ، بما فيها القوى التي يمكن ان يكون تأييدها صغيرا او مؤقتا او مصلحيا لاجل تجنيدها للمعركة . وهذه النظرة طبعا لا تفكر بالتخطيط الطبقي ، او الصراع الاجتماعي للثورة الفلسطينية .

وهذا ما نلاحظه في قيادة « فتح » . فمنظمة « فتح » هي قطعا اكبر المنظمات الفدائية ، الا انها مزيج من اتجاهات مختلفة تجتمع حول مسألة التحرير ، اما نظرتها الاجتماعية والطبقية في اطار الثورة فليست متبلورة بعد .

اما بالنسبة للجبهة الشعبية (مجموعة د . جورج حبشي) فانها تضع المسألة الاجتماعية بالاساس ، وعليه فهي تركز حول قوى الثورة وضرورة التأكيد على قيادتها من قبل الطبقات الكادحة العمال والفلاحين . كما تؤكد على ضرورة نشوء التنظيم الفلسطيني المؤمن بايديولوجية الاشتراكية العلمية لقيادة نضال الشعب الفلسطيني .

واذا قيمنا النظريتين ، على ضوء تجارب الحركات الثورية في اطار النظرية العلمية للثورة ، نجد ان كلا من النظرتين وحيدة الجانب .

ان الكفاح الثوري الفلسطيني يمر بالمرحلة الراهنة باطار الثورة الوطنية العامة ضد الاحتلال الاسرائيلي والاستعمار العالمي . وعليه فالثورة وطنية عامة تهدف تحرير الوطن الفلسطيني من استعمار استيطاني عدواني مسنود من الامبريالية العالمية ، وفي ظروف احتلال لدول عربية اخرى . وتبعا لمهمات الثورة الوطنية يجب عدم اسقاط حساب اي قوة جماعية من قوى المجتمع الفلسطيني مهما كان دورها ضعيفا ومتذبذبا ومؤقتا ، بما فيها قوى البرجوازية الفلسطينية . كما انه من الناحية الاخرى ، يجب ان تكون قيادة الثورة الفلسطينية ، قيادة واعية متمرسة ، ليس لمهمات المرحلة الوطنية للثورة ، وانما للصراعات الاجتماعية التي ستدور حتما في المستقبل حول مصير الثورة ، وحول مستقبل الجمهورية الفلسطينية المقبلة ، وحتى قبل النصر . فالثورة ستفرز قوى خارجها اما لعجزها عن مواصلة الكفاح او حتى تآمرها على مصير الثورة .

وهنا يدخل اهمية الرؤية الفكرية الواضحة لقيادة الثورة ، وامكانية القيادة في مواكبة المراحل المتطورة للثورة الفلسطينية ، وقيادتها للصراعات داخل الثورة ، باطار التحالف الجمهوري بين الفئات الاجتماعية المختلفة للشعب الفلسطيني ، وتمكين القوى الكادحة العمال والفلاحين من قيادة الثورة . ذلك ان الطبقة العاملة هي الطبقة الوحيدة المؤهلة تاريخيا لقيادة الكفاح الى نهايته المنطقية . وعليه فانه رغم ان اطار الثورة الفلسطينية وطني ، فهنالك ضرورة لقيادة واعية مؤمنة بالاشتراكية العلمية وايديولوجيتها ، مع اهمية المحافظة على الجبهة الوطنية الثورية داخل قوى الثورة الفلسطينية .

هذه ملاحظات اولية شخصية لماركسي عربي ، مؤمن بان الشعب الفلسطيني قد كون شخصيته خلال كفاحه المسلح ، وانه سائر على طريق النصر .



خطاب مفتوح

من محمود درويش إلى النقــــاد والأدباء العرب

ننشر هنا نص المقال الذى كتبه الشـــاعر الفلسطينى « محمود درويش » فى مجلة «الجديد» الاسبوعية العربية التى يصدرها الحزب الشيوعى فى اسرائيل [العربى — اليهودى] والمعروف باسم « راكاح » .

ويرأس « محمود درويش » تحرير مجلـــة « الجديد » باعتباره أحد الاعضاء العاملين فى الحزب .

والمقال ، فى الحقيقة ، عبارة عن خطاب مفتوح يوجهه الشـــاعر والمناضل محمـــود درويش — بصراحة علمية وشجاعة أدبية — الى عدد من النقاد والادباء العرب ، الذين درجوا على تقييم أعماله وأعمال زملائه فى انعزال عن حركة الادب والفن فى الوطن العربى من ناحية ، والنضـــال العربى الشامل من ناحية أخرى . وهو وان كان يشكر من أعماقه الاهتمام العربى بأعمالهم ، الا انه يوجه نقدا مباشرا الى أولئك الذين يقدمون هذه الاعمال وكأنها « صاعقة انفجرت فجأة » ليس لها مـــاض ، أو تراث عميق الجـــذور . ويسطحون الأمر كله عندما يضفون — بدوافع الاثارة وغيرها — أوصافا مثالية غريبة وأحيانا مختلفة ، تضر بتطور الحركة الادبية فى اتصالها بواقع الحياة والنضال العربى . ويلح « محمود درويش » على ادانة الاتجاه النقدى الغير علمى لدى بعض الكتاب العرب ، الذى يبالغ فى تقدير أشعاره وأشعار زملائه حتى ليجرى عمليـــات مفاضلة ساذجة بينها وبين مجموع الشعر العربى المعاصر .

وفى النهاية يطلق صرخة نجدة الى مجموع الحركة الادبيـــة والفنيـــة فى الوطن العربى : « أنقذونا من هذا الحب القاسى » .

ولأن المقال يستهدف بالاساس الحركة الادبية فى البلاد العربية ، فقد رأت « الطليعـــة » — استثناء من تقاليدها — أن تعيد نشره بعد «الجديد» التى تصدر فى اسرائيل ، تمكينا لصرخة محمود درويش من أن تصل الى الاذان التى يقصدهـــا

انقذونا من هذا الحب القاسى

أنقـــذونـــا
مـــن هـــذا الحــب القـــاسى

قد يبدو هذا الحديث نشازا في جـو الانسجام البارز بين حركتنا الادبية هنا وبين الكتاب الذين اولو هاجل ما لديهم من امكانيات ووسائل النشر والتعميم على مساحة الارض العربية الواسعة . لقد كان من حق حركتنا الادبية ، بماتمثله من صراع ناسهامع واقعهم الخشن ، ان تفرح وتعتز بالمكانة الطيبة التي احتلتها في مسيرة الادب العربي العامة ، وكان من المقدر لهذا الاهتمام المشرف بشعرنا خاصة ، ان يزود شعراءنا بقوة جديدة من دوافع السعي نحو الابداع ، وان يحملهم مزيدا من المسؤولية والاجتهاد الدائمين لتحقيق انجازات ادبية اكبر . فان المراقبة الايجابية لاعمالهم ، بهذا القدر من التقدير ، لاتحتاج الى كثير جهد للاشارة الى الدور الـذي بوسعهم تأديته في حركة الادب العربية . ولعلنا في غنى ، الان ، عن تسجيل مجموعة المدلولات الثمينة لما يشبه التهافت على هذا الشعر في المجـلات والصحف وادوات الاعلام في العالم العربي . ولكننا لن نمل تكرار القول ان طرف الخيط في هذه المسألة هو الاندماج او الالتحام التام بين الكاتب وواقعه . لم يكن أدبنا خارق الموهبة حين عرف كيف يختار مكانه في حركة الصراع . أن المواجهة الحادة واليومية كانت اعنف من أن تتيح لنا فرصة الوقوف طويلا امام ابواب المدارس الفكرية المختلفة . ولعل هـــذه الخاصة ، بما تفرع عنها من جوانب ، هي اللافتة التي استوقفت المراقبين في العالم العربي . فعندما كان قسم كبير من اخواننا الكتاب خلف حدود بلادنا يعطفون على القضية الفلسطينية ويتضامنون مع ضحاياها كان القسم الاكبر من كتابنا يعيشها ويذوب فيها . وحين حلت نكبة حزيران وشاعت عدوى الاحساس بالمأساة ، ثم سقط طرفا حبل كان يلوح على مساحة معينة من الفكر العربي هما : الطبل .. والتمارض العصري ، ثم اقتحمت ضرورة مواجهة الحقيقة شجاعة كل مواطن ، وصارت المجابهة والصراع قدرا ، وانهارت قيم سيـاسية واخلاقيـة كثيرة . عندها ارتدى الاهتمام بما يكتب لدينا من شعر وقصة طابعا جديدا يمتاز باكثر من حب ، اضفى على الكثيرين من النقاد والكتاب ميزات العاشق القديم الذي لايرى في الحبيبة الا ما يبرر العبادة . وقد نتجت عن ذلك اشكال من سوء التفاهم تحرضنا على هذا الحديث الذي قد يبدو نشازا في جو الحب العميق . ولكن لايجوز لنا ، ونحن نقف في دائرة هذا الاهتمام ، الاستمرار في تلقي مظاهر كل هذا الحب دون ان نقول : شكرا ، أولا .. وان نعترف بصراحة العاشق العصري ، بأننا لسنا اهلا للتقديس في زمان لايجوز فيه التقديس كما لا يجوز فيه اليقين المطلق .

ان اخطر ظاهرة تستوقفنا في هـــذا السياق ، هي أن وتيرة الحب قد أوصلت بعض المراقبين الادبيين في العالم العربي الى محاولة وضع شعرائنا ليس في مكان أوسع منهم فقط ، وانما الى محاولة وضعهم على امتداد مساحة الشعر العربي المعاصر بحيث يغطونها كلها . ان مافي هذه المحاولة من خطورة يتعدى حدود المبالغة الفنيـة والتنكر غير المسؤول للواقع الى الاعتداء على حركة تاريخ . ولا يغفر لهذا الموقف

كونه ناشئا عن نية طيبة وحماس حقيقي ،وعطف عميق على ظروف الحركة الشعرية في بلادنا . ولعل جذور الخطأ الذي أوصل الى مثل هذا التطرف في معاملة شعرنا هي اسقاط انتماء هـذا الشعر الى حركة الشعر العربي العامة في ماضيهاوحاضرها، وتسليم اصحاب المبالغة والتطرف بالاعتقادبأن هذا الشعر هو بمثابة صاعقة انفجرت فجأة . ان شعرنا غير منقطع ابدا عن حركة الشعر في البلاد العربية ، وان كان غير مواكب لها مواكبة يومية . وشعرناليس ندا أو بديلا للشعر العربي المعاصر .. انه جزء غير متجزىء منه ورافد من روافد النهر الكبير . لقد تربينا على ايدي الشعراء العرب القدامى والمعاصرين ، وحاولنا اللحاق باسلوب الشعر الحديث بعدما تعرفنا على رواد هذا الشـعر في العراق ومصر ولبنان وسوريا . ونحن لا يمكن الا ان نعتبر أنفسـنا تلامذة لاولئك الشـعراء .

ولا يصعب على الناقد ، حتى الان ، العثور على بصمـات هؤلاء الشعراء على اكثرية انتاجنا . ولكن المسألة ، كما نراها ، ليست صعوبة الرؤية لدى الناقد ، وانما هي أن الناقد لايزال مشغولا بالفرح الذي يملأه نتيجة اكتشافه هذا الشعر دفعة واحدة ، ولا يزال العطف على الشباب الذين يكتبون هذا الشعر ، في ظروفهم السياسيـة الخاصة ، هو المعيار الاول في عملية نقد شعرنا . وقد يكون لهذا الدافع مايبرره في فترة ما ، ولكن امتداد هذه الفترة محاط بالمحاذير التي تخلق نتائج ضارة قد تتطور الى ما يشبه الخداع .. خـداع القراء العرب ، وخداع شعرائنا انفسهم الذين يواجه بعضهم خطر الاحساس بالكمال .. ولذلك ، فان الضرورة تلح على وضع حركة الشعر في بلادنا في مكانها الصحيـح . والضرورة تلح ، بادىء ذي بدء ، على معاملة هذا الشعر على انه شعر ، بالتخفيف من تسليط الضوء على شخصيات الشباب الذين يكتبونه . ولا نعني بذلك اسقاط الرابطة بين النماذج الشعرية وبين الظروف التي فرزتها او التي جرت فيها عملية خلق هذه النماذج ، وانما نعني انه آن الاوان لاجراء عملية موازنة ، بالتأكيد على استخدام المعايير الفنية لا السياسية وحدها . فان الموضوع المطروح على بساط البحث ، في اخر المطاف ، هو الشعر لا الاخلاص ولا النوايا الطيبة . ثم ، ان الزاوية السياسية في هذا المجال تفتقر الى ضرورة التأكيد على ان هذا الشعر الثوري لايعبر عن ثورية اصحابه معزولين عن حركة جمـاهيرية يعبرون عن صراعها . اي ان هؤلاء الشعراء ليسوا مجموعة من اشجار النخيل النابتة في صحراء قاحلـة . ان كونهم شعراء يملكون اصواتا مسموعة لاينبغي ان يخلق الانطباع بوحدانيتهم وبانقطاع انتمائهم الى جماهير تملك ماضيا وحاضرا ثوريين . انهم ابناء هذه الجماهير وهي التي ربتهم واعطتهم الجذور .

ومن حقنا ان نرى ان دورة الالتباس ، فيما يتعلق بمكانة حركتنا الشعرية من حركة الشعر العربي العامة ، تبدأ من انشغال المواطن العربي ، بكل حواسه ، بالقضية الفلسـطينية ، وبالنزاع الاسرائيلي ـ العربي . فقد كان من نتائج حرب حزيران ان مشاغل المواطن العربي كلها ، باستثناء مايتعلق بمعركة تحرير الارض ، قد وضعت في الظل وفي مرتبة دنيا من الاهتمام . وقد انعكس ذلك على معاملة المواطن للادب ايضا ، ولان شعرنا صادر من لحم القضيـة الفلسطينية ، فقد حظي بالقدر الاكبر من الاهتمام ، ودفع حتى بعض الكتاب والنقاد الى اجراء عملية مفاضلة بينه وبين مجموع الشعر العربي المعاصر . ان الخطأ يكمن في مجرد اجراء عملية المفاضلة ، فليس من الضروري ولا ينبغي ان تكون القضية الفلسطينية ، منذ نشأتها حتى حزيران ، هي المحور الاوحد الذي يدور حوله كل الادب العربي المعاصر . والا ، فاننا نصاب باقصى اشكال ضيق النظر ، ونعتبر ان كل التطورات السياسية والاجتماعية في العالم العربي ، منذ مايزيد عن عشرين سنة ، غير جديرة بتعامل الاديب معها ، أو نعتبرها ضربا من ضروب الكماليات لمجرد عدم التصاقهـا المباشر بقضية فلسطين . ولعلنا لانختلف على اعتبار هذا الموقف تنكرا لمسيرة التاريخ العربي . ومن هنا ، لا يمكن تقييم اعمال الشعراء العرب بميزان مدى تفاعلهم مع قضية فلسطين ، كما ان احدا لم يجر مثل هذه المحاسبة مع الشعراء العرب في مدى اشادتهم بالثورة الجزائرية مثلا او التحولات

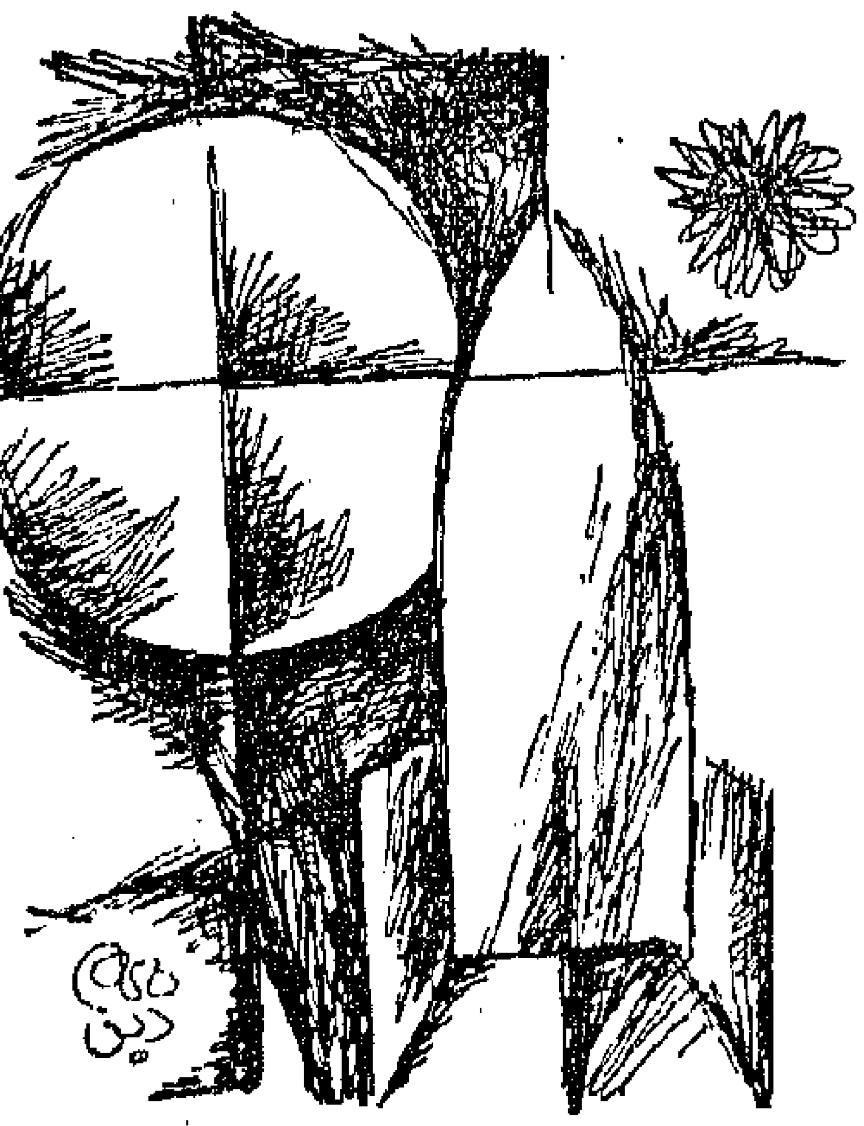
الاجتماعية العميقة في الجمهورية العربية المتحدة وغيرها .» واذا لم يكن مفر من اجراء عملية المفاضلة او المقارنة — وذلك اصح — فلا يجوز ذلك الا اذا حصرنا الامر في اطار الشعر المتعلق بالقضية الفلسطينية. وهنا نعثر على الحلقة المفقودة في سلسلة المناقشات . عندها ، قد يكون من الجائز — الى حد ما — القول ان الشعر العربي الذي يكتب في اسرائيل ، بشكل عام ، اقرب الى صدق التجربة والاصالة من غيره في تصويره صراع الانسان الفلسطيني .وكلمة « الصدق » لاغيرها هي الجديرة بتركيز الانتباه حولها في سياق المقارنة التي تمتد الى ميزات اخرى لهذا الشعر يفتقر اليها شعر القضية الفلسطينية الاخر . والحاحنا على عنصر « الصدق » هنا جاء ليعبر عن تحفظ فني — فالصدق — كما نعرف — ينتمي الى مجموعة الصفات الخلقية الحميدة ، ولكنه ، وان كان شرطا من شروط الادب الانساني ، ليس ضمانا لنجاح العملية الفنية ، ولا يمكن ان يكون ، وحده ، معيارا للنقد الادبي .» واذا كان من الجائز تسجيل ملاحظة هامشية في مجرى حديثنا عن ميزة الصدق في حركتنا الشعرية ، فاننا لانظلم احدا اذا لاحظنا ان المبالغة في تقدير شعرنا قد أدت الى ان يقوم بعض شعرائنا الناشئين بعملية تصميم قصائدهم وفقا لمقاييس غريبة عن الصدق ، وكأنهم يستوحون قصائدهم من تصورهم لكيفية استقبال تلك الاذاعة لها ! .

وملخص القول انه آن الاوان ، لان توضع حركتنا الشعرية في مكانها الصحيح ، بصفتها جزءا صغيرا من حركة الشعر العربي المعاصر عامة ، وذلك يستدعي تخلص الناقد العربي من الخضوع التام لدوافع العطف السياسي ، وحدها ، على اصحاب هذه الحركة ، فلا يكفي هذا الشعر انه يكتب في اسرائيل . ان وضع الحركة في مكانها الصحيح هو خير طريقة لنموها وتطورها لارتياد افاق اوسع ، خاصة اذا تذكرنا دائما انها مازالت في المراحل الاولى من الطريق الطويل .»

تبقى جوانب اخرى معاكسة للمبالغة في التسديد ، وأمور اخرى تتعلق ببعض التفاصيل قد نتناولها في مرة قادمة .»



أعمدة المؤسسة العسكرية الصناعية فى أمريكا



وديع وهيب

تشهد البلدان الرأسمالية عادة نشوء مراكز قوى ضاغطة ، يستطيع افرادها من ذوى « المصالح » أن يكون لهم تأثيرهم الدائم على أجهزة الحكم سواء كانوا داخل الحكومة او خارجها وهو ما اطلق عليه تعبير «المؤسسات الضاغطة» سواء كانت عسكرية أو دينية .. أو غير ذلك .. كما شهدت البلدان الرأسمالية هذا الشكل أو غيره من التداخل العضوى بين المراكز الاقتصادية الخاصة والهيئات التنفيذية للدولة . وفى أكثر فترات انتعاش الديمقراطية الغربية كانت المصالح الرأسمالية الخاصة تجد طريقها لممارسة سيطرتها على أجهزة الحكم المختلفة . وكان مفكرو البورجوازية يرسمون صورة للمجتمع الرأسمالى « تلغى فيها المصالح الخاصة اثار بعضها البعض لتكون المحصلة فى النهاية هى مصالح الامة فى مجموعها » .

ولكن .. اذا كان نمو الرأسمالية الى مرحلة الاحتكار ، وتقضاؤها على المنافسة الحرة قد قاد سفينة السلطة بأكملها لترسو دائما على شاطىء الاحتكارات الكبرى فى الدول الرأسمالية عامة ، فان دخول الامبريالية مرحلة أزمتها العامة التى تميزت بالحروب العالمية ، واللجوء الى التوجيه الحربى للاقتصاد ، قد ولد ظاهرة جديدة تميزت بها بعض البلدان الرأسمالية التى اندفعت فى اتجاهات اكثر عدوانية على النطاق الخارجى ، ومنها المانيا واليابان ثم الولايات المتحدة الامريكية ، الا وهى نشوء وتدعم وسيطرة المؤسسات العسكرية الصناعية التى عبرت عن تداخل بين المؤسسات العسكرية التى تجد فى الحروب والتحضير لها اكبر مبرر لوجودها ونفوذها ، وبين قطاعات محددة من الاحتكارات ، هى احتكارات صنع الاسلحة والتجهيزات الحربية ، والتى تنظر الى الحروب باعتبارها السوق الاوسع ، والمستهلك الاكبر لمنتجاتها .. ومن هنا استحقت هذه المؤسسات عن جدارة لقب « **حلف تجار الموت** » الذى أطلقه عليها السناتور الامريكى **جيرالد ناى** فى الثلاثينات من هذا القرن . ولقد كانت الفترات التى سيطرت فيها امثال هذه المؤسسات من اكثر الفترات حرجا فى تاريخ تلك الدول ومن أخطرها على قضية السلم العالمى .. وذلك هو ما نعنيه عند الحديث عن المؤسسة العسكرية الصناعية فى الولايات المتحدة الامريكية ..

ولقد ظل دور المؤسسة العسكرية الصناعية الامريكية بعيدا عن الاضواء الى حد ما لفترة من الزمن ، وذلك تحت تأثير انتصار الولايات المتحدة فى الحرب العالمية الثانية ، وما خرجت به من قوة تبهر الابصار . ولكن ما أن واجهت فى حرب كوريا فشلها الاول فى استراتيجيتها للسيطرة على العالم ، حتى بدأت الاضواء تسلط على دور

هذه المؤسسة وعلى تأثيرها على السياسة الخارجية الامريكية ». فأصدر **رايت ميلز** سنة ١٩٥٦ كتابه « **الصفوة المتحكمة** » الذى القى فيه الضوء على اسلوب عمل هذه المؤسسة الضخمة وتأثيرها فى الحياة السياسية الامريكية ».

ومن خبرته فى انهاء حرب كوريا وشعوره بالدور الكبير الذى لعبته المؤسسة فى انتخابات الرياسة فى عام ١٩٦٠ ، دق « **دوايت ايزنهاور** » الرئيس السابق للولايات المتحدة فى خطبته للوداع ناقوس الخطر ، معلنا :

« ان هـذا الارتباط بين المؤسسة العسكرية الضخمة وبين صناعة الاسلحة الواسعة ظاهرة جديدة فى التجربة الامريكية . ويظهر اثرها ـ الاقتصادى والسياسى والمعنوى ـ فى كل مدينة ، وكل حكومة محلية ، وفى كل وزارة من وزارات الحكومة المركزية .... وعلينا ان نحتاط من استيلاء هذه الاجهزة على السلطة ، وان نحمى الدولة من سيطرة هـذه الكتلة العسكرية الصناعية ، فان خطر نشوء مركز للقوة فى غير مكانه الطبيعى خطر قائم ، وسيبقى قائما » .

ولقد اثارت ملاحظات الرئيس « **ايزنهاور** » سلسلة طويلة من المجادلات التى كانت تتجدد بالذات مع كل فشل تواجهه الولايات المتحدة فى مغامراتها العسكرية العدوانية ، وخاصة منذ اتضح الفشل الاعظم فى فيتنام . وكتبت مجلة **ناشيونال اوبزرفر الامريكية** فى عدد اغسطس ١٩٦٧ ، تقول :

« ان المؤسسة العسكرية الصناعية التى اشار اليها الرئيس ايزنهاور هى حقيقة واقعة وقوية ، انها تصل بنفوذها الى كل مدينة بل وكل قرية فى الولايات المتحدة . انها قد لاتستطيع هى ان تبدا الحروب بمفردها ولكن من الواضح ان اندلاع الحروب واستمرارها انما يخدم مصالحها تماما » .

وتعلن جريدة **نيوزويك** فى عددها الصادر فى ١٩٦٩/٦/٩ « **ان الكثيرين من أعضاء الكونجرس يشعرون ان مخاوف ايزنهاور قد اضحت حقيقة واقعة** » .

وعندما اختار الرئيس نيكسون اعضاء حكومته فى يناير الماضى ، لاحظ الكثيرون ان نيكسون قد اختار شخصيات لوزارته قد تكون متفوقة فى مجالاتها الا انها ليست بالشخصيات المعروفة باتجاهاتها السياسية المحددة . ومع تطور الاحداث بدا أن هذا الوضع كان هو الوضع الامثل للمؤسسة العسكرية الصناعية لفرض مزيد من النفوذ والسيطرة ، فرغم عباءة الكلمات المرنة التى تصاغ بها سياسة الولايات المتحدة فى الآونة الحاضرة ، فان الاتجاهات العدوانية تزداد حدة على حدة ، وتجمع مصادر واشنطن على أن العسكريين ورجال صناعة الاسلحة يشعرون بالرضا للطريقة التى تسير عليها الامور فى ظل حكومة الجمهوريين .

لم تعدم المؤسسة العسكرية الصناعية الامريكية بالطبع مدافعين صريحين عنها من أمثال بارى جولد ووتر الذى اعلن فى احد خطبه الاخيرة فى الكونجرس « شكرا للسماء على وجود المؤسسة العسكرية الصناعية » . ان هدفها الاسمى هو المحافظة على السلم فى زماننا ، رغم ما يحاوله الجناح اليسارى من اضفاء صورة عدوانية عسكرية عليها » ومن امثال ملفين ليرد وزير الدفاع الحالى الذى اعلن « أن أكثر الانتقادات الموجهة الى المؤسسة العسكرية ليست فى موضعها » ، بالاضافة الى ٦ر١٤٠ من رجال العلاقات العامة المنبثين فى العالم أجمع للدفاع عن وجهة نظرها و ٣٣٩ من رجال الردهات فى الكونجرس المزودين فى عام ١٩٦٩ وحده بميزانية تبلغ ٤ر١ مليون دولار .

ولكن المطلع على الصحف والمجلات الامريكية فى هذه الايام يجد العديد من المقالات والتعليقات المثيرة حول المؤسسة العسكرية الصناعية الامريكية . فيقرر الجنرال دافيد م . شوب «أن أمريكا قد أصبحت دولة عسكرية عدوانية » وتتزايد المطالب من عدد من رجال الكونجرس باجراء تحقيق فى الصفقات التى يعقدها البنتاجون مع الشركات الصناعية . ويعرب سناتور **جورج ماكجوفرن** وأربعة عشر شيخا ديمقراطيا آخر عن اعتقادهم بأن هناك من يجنون ارباحا طائلة من وراء الحرب الفيتنامية ، ويدعون الى اصدار تشريع [لم يصادفه التوفيق] لالغاء هذه الارباح الزائدة .

ان هذه الحملة تعود من جانب الى المناخ العام المعادى للعسكرية الذى خلقته حركة الشباب الامريكى الواقفين فى وجه التجنيد للقتال فى فيتنام . ومن جانب آخر الى هجمات احتكارات

الانتاج المدني التي تواجه تقلصا حادا في اعمالها نتيجة للنقص المتزايد في اعتمادات الاصلاحات المدنية الداخلية ، الا ان الحملة في طابعها الرئيسي تتطبع بالعقلية البراجماتية الامريكية ، **فليس وجود وسيطرة المؤسسة العسكرية الصناعية هو الذي يثير العدد الاكبر من المعلقين والشيوخ الامريكيين ، ولكن فشل المؤسسة ، و « نقص كفاءتها » ، واسلوب عملها** . بل ان دوايت ايزنهاور الذي دق ناقوس الخطر كان قد سلم في نفس الوقت بأن وجود المؤسسة العسكرية الصناعية هو أمرضروري ، ولم تستطع جريدة نيوزويك الا أن تعلق بقولها :

.. **فقط بعد أن أصبح** من الواضح أن سياسة الحرب في فيتنام لم تكن باللعبة الناجحة كلية فقط ، عندئذ بدأت جماعات لها وزنها من الحمامات تحوم في مجلس النواب الامريكي ، بينما لاتستطيع الا قلة تعد على الاصابع أن تزعم لنفسها أنها لم تكن موافقة على قرار تصعيد الحرب في فيتنام في عام ١٩٦٥ ، وبكلمات اخرى فان الهجوم الحالي من الكونجرس على المؤسسة العسكرية الصناعية ليبدو بوضوح باعتباره نوعامن الهروب من المصيدة ».

فما هي العناصر المكونة المؤسسة العسكرية الصناعية الامريكية ؟ وما هي سماتهاالخاصة ؟ ومامدى تاثيرها على قضية السلم العالمي واستقلال الشعوب ، وعلى مصالح الشعب الامريكي نفسه ؟

العناصر المكونة للمؤسسة العسكرية الصناعية الامريكية

● **البنتاجون** : هو الدعامة العسكرية للمؤسسة ، وقادة أركان الحرب في البنتاجون الامريكي قد يتناحرون فيما بينهم حول اعطاء الاولوية لهذا السلاح أو ذاك من اسلحة الجيش المختلفة ، وقد ينقسمون بين مؤيدين لنظرية الحرب المحدودة وبين مطالبين باستخدام الاسلحة النووية في هذه الحروب . ولكنهم يتفقون في النهاية على ان أكبر مبرر لنفوذهم ، وأقوى دافع لهم الى المسرح هو الابقاء على حالة التوتر الدولي والحرب الباردة وسباق التسلح ».

ومع أن اقطاب البنتاجون الامريكي حريصون على عدم الاعلان عن الاهداف العامة لمؤسستهم العسكرية فان الاحداث والتصريحات المختلفة قد أشارت دائما الى حقيقة أن البنتاجون قد اعتبر نفسه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية الاداة الرئيسية لتحقيق استراتيجية السيطرة على العالم ». وتحت الحاح لجنة الخدمات العسكرية التابعة للكونجرس حدد الجنرال برادلي الرئيس السابق لهيئة الاركان المشتركة اهداف البنتاجون في اربع نقاط :

● ضمان السلم والامن ».

● الحفاظ على أسلوب الحياة السياسية الامريكية ».

● تحسين مستوى المعيشة ...

● ضمان تحقيق الاهداف السابقة لمختلف دول العالم ».

وتضم أرشيفات البنتاجون تقريرا أعده منذ ١٩٥٦ قسم الابحاث التابع لشركة دوجلاس [وهي الشركة التي احتلت المركز الاول في تنفيذ العمليات العسكرية ، وبلغ حجم العقود التي وقعتها ٢١٠٠ مليون دولار في عام ١٩٦٧ فقط] ، بناء على طلب الجيش الامريكي عن الاساليب التي يمكن استخدامها حتى تضمن الولايات المتحدة السيطرة على العالم مستقبلا ، وكان عنوان البحث الاصلي هو « العصر الامريكي » ثم عدل الى « الاختيار الاستراتيجي والاهداف العسكرية « **ليكون اهدأ** ، وان لم يتحرج صلب التقرير من استعمال تعبير « السيطرة على العالم » مما جعله يظل أحد التقارير السرية حتى الان ».

ويكاد البنتاجون أن يكون دولة مستقلة داخل الولايات المتحدة الامريكية ، **حتى أن بول هاموند** وهو من كبار أساتذة العلوم السياسية في الولايات المتحدة ، ومن القلائل الذين اتيح لهم الاطلاع على اهم وثائق مجلس الامن القومي الامريكي ، وهيئة رؤساء الاركان ، يعلن في كتابه « المؤسسة العسكرية الامريكية » في مائة عام :

« أنه لا رئيس الولايات المتحدة ولا غيره من كبار الرسميين يستطيع أن يتدخل لتتبع مسالة معينة داخل البنتاجون الا في حالات نادرة ، وهي الحالات التي تتعلق عادة بمركز الرئيس الحزبي وبشعبيته »

وترجع بداية تضخم البنتاجون وتحوله الى « مؤسسة عسكرية قائمة بذاتها داخل الدولة الامريكية .. وغير خاضعة عمليا لسيطرة الكونجرس ، وتملك ميزانية سنوية تبلغ ثلثي الميزانية العامة للولايات المتحدة ، وذلك الحشد الهائل من الاسلحة التقليدية والنووية ، وقادرة حتى على فرض قرارات معينة على رئيس الجمهورية الامريكية نفسه . نقول أن تضخم وضع البنتاجون يرجع الى نهاية الحرب العالمية الاولى عندما عمل « ستيمسون » وزير الدفاع الامريكي

انذاك على تخليص البنتاجون من أى رقابة من جانب الكونجرس بناء على اقتناعه :

« **بأن الوقت قد حان لكى تصبح الولايات المتحدة قوة كبرى فى السياسة الدولية ، وأن الاستثمارات الامريكية فى الخارج تحتاج أول ما تحتاج الى قوة عسكرية كبرى تتولى حمايتها من خطر الدول الكبرى الاخرى ، ومن شعوب البلاد التى يستثمر فيها رأس المال على السواء** » (١) .

أما بانتهاء الحرب العالمية الثانية واندفاع الولايات المتحدة الى استراتيجية السيطرة على العالم فلقد كان العامل المميز فى تطور البنتاجون هو « احتضان الاحتكارات الرأسمالية الكبرى للبنتاجون صاحب الفضل الاول فى الحفاظ على الثروات الطائلة فى الخارج سواء أخذت هذه الثروات شكل مواد خام أو أسواق واسعة لاستهلاك المنتجات المصنوعة » [٢] .

ولا يستطيع اكثر المراقبين حيدة الا أن يلاحظوا أن العسكرية الامريكية تزداد قوة وشراسة مع تزايد رؤوس الاموال الامريكية المستثمرة فيما وراء البحار .

مزرعة الاسلحة

ان الاقتصاد الامريكى الذى شهد اكبر عملية توسع وازدهار أثناء الحرب العالمية الثانية وخرج كأقوى اقتصاد فى العالم ، سرعان ما واجهته الازمات فى سنوات ٤٦ — ١٩٤٨ ، ٤٩ — ١٩٥٣ — ٥٤ — ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ — ١٩٦٠ ، ١٩٦١ [٣] .

لم تكن الصورة الشعرية المشهورة عن القاء البنلاسماك المحيطتليق بهيبةالرأسمالية الامريكية المختالة بقوتها وبأسلوب الحياة الامريكية . ولما كان الاقتصاد الامريكى يحتاج الى سوق لا يعرف «الاكتفاء» اذن فسيستمر ويزداد التحول الى الانتاج الحربى ، ولتدفع السياسة الخارجية الامريكية لتشديد الحرب الباردة وسباق التسلح وسياسة حافة الحرب وشن الحروب الساخنةفى اليونان .. فى كوريا .. فى فيتنام .. ولتلق اثنتى عشرة قنبلة على متر مربع واحد من ادغال فيتنام !! [٤] .

لقد اصبح تخزين السلاح واستهلاك السلاح هدفا فى حد ذاته ، وبرع تلامذة كينز فى الدعوة للانفاق الحكومى كسبيل لامتصاص البطالة والتغلب على الازمات ، ولكن على سباق التسلح هذه المرة .

يقول الرئيس السابق دوايت ايزنهاور « حتى الحرب العالمية الاخيرة لم يكن لدى الولايات المتحدة صناعة خاصةللاسلحة ،كانت نفس المصانع التى تنتج الجرارات والمحاريث قادرة على ان تتحول عند اللزوم الى انتاج البنادق والدبابات ولكننا اضطررنا الى انشاء صناعة دائمة للاسلحة على نطاق واسع ، وفوق هذا فان ٣ر٥ مليون من الرجال والنساء يعملون بصورة مباشرة فى مؤسسات الدفاع ، ونحن ننفق سنويا على الاغراض العسكرية اكثر من الدخل الصافى للشركات الامريكية مجتمعة » .

أما د. رالف لاب الذى كان عضوا فى مشروع مانهاتن لتطوير أول قنبلة ذرية والمتخصص فى مشكلات الدفاع فهو يجلو الامر بوضوح فى كتابه « مزرعة الاسلحة » حيث يقول :

« **ان الولايات المتحدة تتحول فى الوقت الحاضر الى مزرعة للاسلحة . لقد أصبحت صحة الاقتصاد الامريكى باسره تعتمد على صنع الاسلحة ، واضحى الجهاز الدفاعى الذى تسنده السياسة والتكنولوجيا الها جديدا تقدم له اكبر التضحيات فى المجتمع الامريكى المعاصر » ويتابع رالف لاب حديثه :**

« منذ الحرب العالمية الثانية ، ومنذ الحرب الكورية على وجه الخصوص لم تعد صناعة الاسلحة مجرد عمل طارىء تساهم به الشركات الخاصة لمساعدة الحكومة الامريكية ، بل اصبحت كثير من الشركات الامريكية الخاصة تقوم بصنع الاسلحة فى المحل الاول . لقد أصبحت تجارة تلك الشركات وأرباحها تعتمد على الفوز بعقود أكثر واضخم تنفذها لحساب وزارة الدفاع ، فى انبعض الشركات مثل « نورث امريكان روكويل » و « جنرال ديناميكس » و « ماكدونالد دوجلاس » لا تكاد تعيش الا على عقود الاسلحة لحساب الحكومة الامريكية .. ولولا تلك العقود الحكومية لافلست كثير من تلك الشركات . لقد حصلت شركة « لوكهيد ايراكرافت » لصناعة الطائرات فى السنوات السبع الماضية على عقود دفاعية قيمتها ١٠ر٦٠٠ مليون دولار وتبلغ مبيعات هذه الشركة للحكومة الامريكية ٨٦ فى المائة من اجمالى مبيعاتها ، وفى خلال السنوات السبع الماضية

---

(١) بول هاموند « المؤسسة العسكرية فى مائة عام » .
(٢) المرجع السابق .
(٣) س . فيجورسكى : الاقتصاد الرأسمالى .
(٤) ولفريد بورشيت : فيتنام حرب العصابات .

حصلت كل من ٣٨ شركة لخاصة على عقود تزيد قيمتها على ١٠٠٠ مليون دولار من وزارة الدفاع » ويضيف لاب :

« لقد أصبح التوسع الاقتصادي مرتبطا دائما باستمرار التوسع في التكنولوجيا العسكرية ومواصلة تكديس المعدات الحربية . ولقد كرست الولايات المتحدة في سنوات ما بعد الحرب مبلغ تريليون دولار (ألف بليون دولار) لشئون الامن القومي . أنفق نصف هذا المبلغ الضخم في عهدى كيندى وجونسون وحدهما »[٥]

وتذكر جريدة نيوزويك ان مشتروات البنتاجون في عام ١٩٦٩ تبلغ ٧ بلايين دولار من الطائرات و٩ر٢ بليون دولار من الذخائر ، و٨٩٨ مليون دولار من السفن .. الخ .

ويصرح رئيس مؤسسة سيكورسكاي اير كرافت قائلا : « اذا ما قطعت الحكومة الفيدرالية تعاقداتها معنا فلسوف نموت » وتعترف مجلة ناشيونال اوبزرفر الامريكية انه « في العلاقة بين العسكرية والصناعة تلعب الصناعة دور صاحب اليد الاعلي . ان الهم سام في الغالب لا يذهب لشراء الاسلحة تبعا للاحتياجات العسكرية الفعلية بل تبعا لمتطلبات الصناعة .. وباسعار تضخمية»

مراكز الابحاث : والعبء الملقى علي عاتق دافع الضرائب الامريكي لا تصوره ميزانية البنتاجون التى تنتهبها احتكارات الاسلحة انتهابا فحسب ، بل ان هناك ميزانية الابحاث الفيدرالية حيث تبتلع الابحاث العسكرية أربعة أخماس ميزانية الابحاث . وهى معين لا ينضب لمراكز الابحاث التابعة لاحتكارات السلاح .. **ويذكر د . رالف لاب ان :**

« أموال الحكومة قد اصبحت تستخدم في مساعدة مشروعات ضخمة للبحوث العسكرية في شتى الجامعات ، لصالح صناعة الاسلحة ، والحق أن المجتمع العلمي في الولايات المتحدة قد أفسد أو أخرس الى حد كبير بفعل سيطرة المؤسسة العسكرية الصناعية » (٦) .

ويكفى أن يتقدم أحد احتكارات الاسلحة بمشروع لتطوير نوع جديد من الاسلحة حتى تتدفق عليه الاموال من ميزانية الابحاث ، بغض النظر عما يصادفه بعد ذلك من نجاح أو فشل ، وتذكر مجلة نيوزويك أن ٩٠ بليون دولار قد صرفت في السنوات الاخيرة لتطوير اسلحة معينة عفى عليها الزمن قبل أن ترى النور ، واضطر البنتاجون الى الاستغناء عنها بعد أن كانت الاموال قد صرفت الى « مستحقيها » !!

وفى مراكز الابحاث هذه التابعة لاحتكارات الاسلحة والبعيدة عن أى رقابة من أى نوع تواصل المؤسسة العسكرية الصناعية تجاربها لابتكار أخطر أنواع اسلحة الابادة بالجملة واسلحة الحرب الكيماوية من غازات سامة وغازات الاعصاب القاتلة وتطوير قنابل النابالم وغيرها من الاسلحة المحرمة دوليا .

لقد استغلت المؤسسة العسكرية الصناعية التقدم التكنولوجي أوسع استغلال لصالحها ولزيادة نفوذها . ان تعقد نظم الاسلحة الحديثة وختمها بخاتم « سرى للغاية » أصبح سلاحا فى يد البنتاجون ، للافلات من أى رقابة ، كما أن ارتفاع نفقات البحوث الحديثة أصبح سلاحا فى يد احتكارات السلاح لابتزاز المزيد من الاموال على حساب دافع الضرائب الامريكي .

وبكلمات أخرى فان التكنولوجيا الحديثة المكلفة والتى تقف شاهدا على الطبيعة الاشتراكية للانتاج والبحث ، وعلى عجز رأس المال الخاص عن التطوير الابعد للاقتصاد قد حولتها احتكارات السلاح الامريكية الى وسيلة لتدعيم رأس المال الخاص ، واضافة أرقام خيالية من الارباح الطفيلية الى خزائنها .

وشيئا فشيئا تصبح الابحاث وسيلة مجردة لابتزاز الاموال دون ضابط أو رابط .

التداخل : تلتحم حلقات جهاز الحرب الامريكى من خلال **« الحركة السهلة للضباط العسكريين من ذوى الرتب العالية الى المراكز الاساسية لشركات المتعاقدين على المعدات العسكرية ، والحركة العكسية لكبار موظفي شركات التعاقدات الدفاعية الى المراكز الرئيسية للبنتاجون (٧)**

لقد نشر السناتور ويليام بروكسمير تقريرا بين فيه ان عدد كبار الضباط المتقاعدين الذين تم تعيينهم فى شركات صناعة الاسلحة الكبرى قد تضاعف ثلاث مرات ما بين ١٩٥٩ و ١٩٦٩ ، (من ٧٢١ من كبار الضباط المتقاعدين الى ٢٠٧٢ ، وهنا يتلقى هؤلاء الضباط مرتبات خيالية مكافأة لهم على خدماتهم أثناء عملهم الرسمى ، ويستغلون علاقاتهم بمرءوسيهم السابقين الذين أصبحوا « كبارا » لجلب التعاقدات السخية للشركات التى يعينون فيها . وتبين الارقام التالية عدد الضباط المعينين

---

(٥) د . رالف لاب «مزرعة الاسلحة»
(٦) المرجع السابق .
(٧) تقرير سناتور ويليام بروكسمير .

فى العشر شركات الرئيسية من شركات التعاقدات العسكرية :

شركة جنرال ديناميكس ١١٣ ضابطا ، شركة لوكهيد ٢١٠ ضابطا ، شركة جنرال اليكتريك ٨٩ ضابطا ، شركة ايركرافت المتحدة ٤٨ ضابطا ، شركة ماكدونالد دوجلاس ١٤١ ضابطا ، شركة التليفون والتلغراف الامريكية ٩ ضباط ، شركة بوينج ١٦٩ ضابطا ، شركة روكويل لامريكا الشمالية ١٠٤ ضابط ، شركة جنرال موتورز ١٧ ضابطا . ومن جانب آخر يندر وجود مسئول كبير من « المدنيين » فى البنتاجون ، ولجان الدفاع المختلفة لم يكن على علاقة باحتكارات الاسلحة . وتقول مجلة نيوزويك فى عددها الصادر فى ٦/٩/ ١٩٦٩ ، ان المراقب المحايد لايمكنه ان يعتبر معظم هؤلاء المدنيين فى البنتاجون وغيره الذين يشير اليهم وزير الدفاع الحالى ، سواء من حيث اتجاهاتهم أو مصالحهم الاقتصادية ، الا جزءا لا يتجزأ من المؤسسة العسكرية الصناعية ، ذلك أن **دافيد باكارد نائب** وزير الدفاع ، والذى يقف فى قمة البنتاجون هو الرئيس السابق لشركة باكارد وهيوليت التى تعتبر احدى كبريات شركات التعاقدات العسكرية » .

المؤسسة العسكرية الصناعية

وكالة المخابرات المركزية

وحيثما تعمل المؤسسة العسكرية الصناعية على فرض سياستها تجد نفسها فى التحام وثيق مع جهاز آخر من الاجهزة التى تشكل السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ، الا وهو وكالة المخابرات المركزية الامريكية .

أن تقارير هذه الوكالة تكون دائما تحت الطلب حالما تبدأ المؤسسة ضغطها لتنفيذ مآرب من مآربها . وتقارير هذه الوكالة التى تقرع نواقيس الخطر مبالغة فى التفوق السوفييتى ، أو القوة الصينية غالبا ما تكون وسيلة الضغط على الرأى العام الامريكى لتقبل انفاق مزيد من الاموال على مشروعات التسلح .

وفى بداية ١٩٦٠ كانت تقارير وكالة المخابرات عن تفوق الاتحاد السوفيتى فى مجال قاذفات القنابل ، وتمت تعبئة الرأى العام لانتاج أعداد كبيرة من قاذفات القنابل الامريكية من طراز ب ــ ٤٧ ، ب ــ ٥٣ .

وفى بداية ١٩٦٠ كانت تقارير وكالة المخابرات عن التفوق السوفيتى فى مجال الصواريخ هى الركيزة التى اتخذها جون كيندى فى حملته الانتخابية معلنا أن السنوات التى قضاها أيزنهاور فى الحكم « سنوات ضائعة » ، ومع ذلك اكتشف كيندى بعد فوزه بالرئاسة ودراسته للمعلومات الحقيقية المتوفرة أن أمريكا كانت هى المتفوقة . ومع ذلك الح على الكونجرس حتى يوافق على صنع المزيد من صواريخ نيوتمان وبولاريس .

وفى عام ١٩٦٥ ، وحينما رأت المؤسسة العسكرية الصناعية أهمية تصعيد الحرب الفيتنامية كانت التقارير المزورة لوكالة المخابرات المركزية عن حادث خليج تونكين هى وسيلة الضغط الرئيسية على الرأى العام الامريكى لتقبل قذف مدن جمهورية فيتنام الديمقراطية بالقنابل .

وفى الاونة الحاضرة وحيث تضع المؤسسة العسكرية الصناعية كل ثقلها وراء مشروع شبكة الصواريخ المضادة للصواريخ الذى سيضع تحت تصرفها عند تكامله ١٠٠ الف مليون دولار تتوالى تقارير وكالة المخابرات عن التفوق السوفييتى تارة ، وعن اخطار القوة الصاروخية الصينية تارة أخرى ..

وتحت حصار ذلك الثالوث الرهيب من احتكارات السلاح والبنتاجون ووكالة المخابرات المركزية غالبا ما يرغم الرأى العام الامريكى على الاستسلام لرغبات المؤسسة العسكرية الصناعية .

زيف الديمقراطية الامريكية

أين تقف أجهزة الديمقراطية الامريكية ازاء كل هذه الاوضاع ؟ أين يقف الكونجرس الامريكى بمجلسيه ؟

لقد أطاح ستيمسون وزير الدفاع الامريكى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى بكل وسائل سيطرة ورقابة الكونجرس على البنتاجون ، وبعد ذلك بدأت مرحلة سيطرة المؤسسة العسكرية الصناعية على الكونجرس نفسه .

ان ممثلى ٣٦٣ مدينة يسيطر الانتاج العسكرى على حياتها الاقتصادية بات اعادة انتخابهم متوقفا على مقدار نجاحهم فى الفوز بعقود تنفيذ المشروعات العسكرية لمؤسسات الاسلحة التى تقع داخل دوائرهم الانتخابية . وهناك ١٣٩ نائبا وعضوا بمجلس الشيوخ كلهم أعضاء فى شركات صناعية عسكرية .

واعضاء لجنة الاعتمادات والقوات المسلحة بالكونجرس كانوا باستثناء حالات ضئيلة اعضاء فى مؤسسات عسكرية عند حصولهم على عضوية هذه اللجان أو انضموا الى هذه المؤسسات بعد حصولهم على عضوية هذه اللجان . ولم يحدث

مطلقا منذ القاء القنبلة الذرية على هيروشيما أن رفض الكونجرس الامريكى تمويل اى نظام للاسلحة ٠

ويقرر بول هاموند فى كتابه « المؤسسة العسكريةفى مائة عام » أن جل ماأصبح الكونجرس الامريكى يستطيع أن يفعله فى المسائل العسكرية هو أن يؤخر من مدة أصدار قرار معين لا أن يلغى هذا القرار ٠ وهكذا لم يعد جهاز الديمقراطية الامريكية غير مجرد اداة لاضفاء الشرعية على قرصنة البنتاجون ٠

خطر على السلم وعلى رفاهية الشعب الامريكى

يقول د ٠ رالف لاب « كان ينبغى علينا أن نبحث خفض اسلحتنا لا زيادتها ولكن هذه الفكرة تخيف رجال الكونجرس ، وترعب رجال صناعة الطائرات ، ومشروعات غزو الفضاء التى اصبحت برنامجا حكوميا لتشجيع الصناعة. أن السياسيين أنفسهم متورطين فى المؤسسة العسكرية الصناعية والعسكريين لايعرفون معنى «الاكتفاء» ، أما رجال الصناعة فيريدون الحصول على مزيد ومزيد من عقود السلاح » ٠

ومن ناحية اخرى ، فلقد اطاح نهم المؤسسة العسكرية الصناعية بكل آمال دعاة الاصلاح الاجتماعى فى الولايات المتحدة ٠ وتبدد مشروع **جونسون** عن « المجتمع العظيم » ، كما تبدد غيره من المشروعات ، واودت بكثير من شركات الانتاج المدنى الى حافة الافلاس ٠

ويحلو لعدد من الكتاب الامريكيين تبرير وجود المؤسسة العسكرية الصناعية باعتبارها تقوم بتشغيل واحد من كل عشرة من قوة العمل الامريكية ، وان ٢٦٣ مدينة من مدن الولايات المتحدة تعتمد حياتها كلية على نشاط هذه المؤسسة ، وأن وجود المؤسسة العسكرية الاقتصادية كان السبيل الوحيد للتوسع الاقتصادى بعد الحرب العالمية الثانية ٠

الا ان الحقائق الاقتصادية الصلدة انما تدحض هذه الدعاوى ٠ لقد كانت المؤسسة العسكرية الصناعية أداة تبديد للثروة الامريكية ٠ لقد وصلت النفقات العسكرية الامريكية خلال السنوات المالية ١٩٥٦ ـــ ١٩٥٧ ، ١٩٦٢ ـــ ١٩٦٣ ـــ الى ٣٣١ر٠٠٠ مليون دولار ٠ وبهذا زاد حجم الانتاج القومى الامريكى بنسبة ٢٤٪ فى المائة فقط فى هذه السنوات ، أى أن كل ١٪ من النمو الاقتصادى (أو ما يعادل زيادة فى الانتاج القومى مقدارها ٣ر٣٠٠ مليون دولار] قد كلف الاقتصاد الامريكى صرف ١٣ر٨٠٠ مليون دولار ؟ (٨) فأى تبديد للثروة تم على يد المؤسسة العسكرية الصناعية ٠ والتمويل الحربى للاقتصاد لم يكن سوىحل مؤقت لازمةالاسواق ،وسرعان ما ازدادت التناقضات حدة ، وبدت عوارض التضخم والازمات النقدية تتوالى على اقتصاديات الولايات المتحدة ٠

وتدل الدراسة التى قام بها الاقتصاديان الامريكيان البارزان **اميل بنوا وكينيث بولدنج** فى كتابهما « نزع السلاح والاقتصاد » (نيويورك ١٩٦٣) على امكانية استخدام الاعتمادات التى تنفق على الاغراض العسكرية لمحاربة الفقر واعادة تجهيز الصناعة وتحسين الظروف الصحية العامة والتعليم والمسكن وغيرها من الاغراض السلمية ٠ ولن يكلف الامر سوى التضحية بالارباح الضخمة لتجار الاسلحة ٠ وفى هذا تكمن المصالح الحقيقية للشعب الامريكى ٠

واذا كانت صيحة هؤلاء قد ضاعت وسط قرقعة سلاح المؤسسة العسكرية الصناعية ،فان صفعات كوبا والدومينكان وفيتنام لهى علامات طريق للفشل المحتوم لمخططات المؤسسة العدوانية ٠

ان جهاز الحرب الامريكى بكل بشاعته وضخامته عجز حتى الان فى أن يكسب نصرا حاسما واحدا فى حرب مكشوفة ضد أى شعب صمم على أن ينال حريته ٠ وبين ادغال الفيتنام تبددت خرافة القوة الامريكية التى لا تقهر وتكمن أخطر نقاط ضعف المؤسسة العسكرية الصناعية الامريكية فى افتقادها للعامل الايديولوجى ٠ واذا كانت المؤسسات العسكرية الصناعية فى كل من المانيا واليابان قد نجحت لفترة من الوقت فى أن تجد ايديولوجية عرقية تجذ بها شباب بلادها فى مغامراتها تحت دوافع عقائدية ولو مزيفة ورجعية ، فان المؤسسة العسكرية الصناعية الامريكية فشلت حتى فى أن تجد مثل هذه الايديولوجية لتسوق بها الشعب الامريكى الى مجزرة عالمية جديدة ٠ وسياسة التخويف من الخطر الشيوعى التى ترتكز عليها المؤسسة هى فى النهاية ايديولوجية سلبية لا تصلح ـ فى حد ذاتها ـ لاقناع الشباب الامريكى بان يلقى بنفسه الى التهلكة فى حروب المؤسسة العدوانية . ولسوف يقرر نضال شعوب القارات الثلاث ، وكل القوى المدافعة عن السلام مصير مخططات المؤسسة العسكرية الصناعية الامريكية للسيطرة على العالم ٠

---

(٨) س ٠ فيجورسكى : الاقتصاد الراسمالى ٠



■ ٩٠ مليون جنيه لدعم القاعدة الصناعية
■ اختفت الحدود الوهمية بين الصقور والحمائم في اسرائيل
■ جبهة السودان الوطنية الديمقراطية ..
في مواجهة القوى المضادة
■ حماية الاستقلال بحزام من النحاس في زامبيا

■ **الجمهورية العربية المتحدة :**

لجان المواطنين : « سؤال الوقت » ؟

على اثر انتهاء الدورة الثالثة للمؤتمر القومي العام بادرت قيادات الاتحاد الاشتراكي العربي الى شرح القضايا التي تضمنها خطاب **الرئيس جمال عبد الناصر** في افتتاح دورة المؤتمر – وكذلك القرارات والتوصيات التي اصدرها المؤتمر .

هكذا عقدت المستويات المختلفة اجتماعات موسعة لتعبئة القيادات النشطة ، ثم عقدت سلسلة من الاجتماعات الجماهيرية الواسعة في الوحدات الانتاجية وفي الوحدات السكنية وعقدت في غالبية الاقسام اجتماعات ضمت طوائف نوعية كالاطباء والتجار ورجال التربية والتعليم والائمة والوعاظ واللجان النقابية والجمعيات الخيرية المقصور ، على الاحياء .

والى جانب ذلك عقدت اجتماعات جماهيرية على المستوى المركزي وتولى مسئوليتها والمشاركة فيها أعضاء اللجنة التنفيذية العليا وأمانة القاهرة وشمل بعضها مناطق جغرافية وبعضها الاخر كان لقاءات نوعية ومنها :

● **لقاء موسع** مع أعضاء الاتحاد العام للعمال والقيادات النقابية العمالية من رؤساء ووكلاء النقابات العامة وسكرتيريها .

● **لقاء سياسي** شارك فيه **علي صبري** وضم لجان الانتاج مع القيادات السياسية والادارية في الوحدات الانتاجية بمنطقة حلوان .

● **اجتماع مؤتمر** شباب القادة .

● **لقاء موسع** ضم رئيسات الجمعيات الخيرية مع ممثلي التنظيم النسائي بالقاهرة .

● **ثلاثة لقاءات** فى محافظات الصعيد وشارك فيها **أنور السادات وشعراوى جمعة وأمين هويدى وعبد المحسن أبو النور**

● **لقاء موسع** عقد فى طنطا واشترك فيه أنور السادات وشعراوى جمعة وحمدى عاشور — وضم قيادات الوجه البحرى السياسية والادارية .

● **وفى كل هذه اللقاءات** كان هناك تركيز على التوعية بالعناصر الاساسية فى قرارات المؤتمر القومى وهى :

● **ضرورة التصدى للحرب النفسية .**

● **ضرورة دعم منظمات الدفاع الشعبى والدفاع المدنى .**

● **ضرورة رعاية أسر المجندين والمهجرين .**

● **ضرورة السهر على دعم الانتاج .**

وتميزت الاجتماعات التى خصصت لنوعيات معينة من الجماهير بتركيزها على تحديد معالم الدور الذى يمكن أن تقوم به جماهير هذه النوعيات خلال المرحلة الحالية .

ففى الاجتماع الخاص باتحاد العمال والقيادات النقابية ركز مشروع برنامج العمل الذى نوقش فى الاجتماع على :

● **تكوين لجنة للوعى السياسى** والفكر الاشتراكى بالاتحاد العام للعمال ، وانشاء فروع لها بالنقابات العامة تعمل على رفع درجة الوعى السياسى والفكر الاشتراكى للقواعد العمالية ، وتواصل ما بدأه الاتحاد من دراسات حول الميثاق وتجربة التطبيق الاشتراكى فى مصر وفى الدول الاشتراكية الاخرى بهدف اعداد الدراسة النهائية عن رأى الحركة النقابية فى الميثاق الوطنى عام ١٩٧٠ .

● **وطالب برنامج العمل لجان الانتاج** — التى صدر القرار الجمهورى بتشكيلها فى الوحدات الانتاجية والتى تتكون من ممثلين لمجلس الادارة والاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية ولرؤساء الاقسام الانتاجية — أن تقوم هذه اللجان ببذل الجهد لاشراك العاملين فى تفهم خطط الانتاج فى الوحدة وفى حشد طاقاتهم لتحقيق أهداف هذه الخطط كاملة من حيث كمية الانتاج أو من حيث الارتفاع بنوعيته .

● **طالب** البرنامج بأن تحاول الوحدات الاخذ بما هو معمول به فى بعض البلدان الاشتراكية من قيام النقابة المعنية بعقد اتفاقية جماعية مع ادارة المنشأة تتعهد فيها بتنفيذ الخطة الموضوعة للمنشأة فى وقت أقصر من المقرر أو بزيادة أكبر فى الانتاج مما هو منتظر . وفى هذه الحالة يحصل عمال المنشأة على امتيازات أكبر من المقرر — كنوع مفيد ومثمر من الحوافز المادية والاشتراكية .

● **ودعا البرنامج** الى توسيع عضوية لجان الانتاج بحيث تضم أعدادا نسبية من ممثلى عمال كل قسم بالمنشأة . مما يجعلها بمثابة جمعية عمومية للمنشأة تجتمع على فترات [٣ — ٦ شهور] لدراسة خطط المنشأة ، على أن تمنح حق سحب الثقة من أعضاء مجلس الادارة سواء المنتخبين أو المعينين .

وفى مؤتمر حلوان — مثلا — درست معوقات الانتاج وطرحت للمناقشة التصورات المختلفة لدور لجان الانتاج وكيفية عملها وصلتها بلجنة الاتحاد الاشتراكى فى الوحدات . **وتشكلت لجان من المؤتمر** لاعداد دراسات على الطبيعة لمعوقات الانتاج واستخلاص المشكلات ذات الطابع العام المشترك لامكان تعميمها على كافة وحدات الانتاج والاستفادة بها .

ولما كان المناضل جمال عبد الناصر قد أوضح فى خطابه الاختتامى لدورة المؤتمر القومى الثالثة — أن اللجنة التنفيذية العليا تدرس مسألة تشكيل لجان المواطنين من أجل المعركة — وما أبرزه سيادته من أن قيام الاتحاد الاشتراكى ولجان الاتحاد الاشتراكى لتكوين لجان المواطنين من أجل المعركة والعمل من أجل المعركة وتعبئة كل القوى من أجل التحرير يمكن أن يكون عملية تحريك واسعة للاتحاد الاشتراكى فى مجال الاختبار الاساسى لكل جهد سياسى وهو خدمة المعركة ، نقول أنه وفقا لهذا كله **فقد بادرت** قيادات الاتحاد الى تحديد مفهومها حول هذا الموضوع ودعت قيادات التنظيم السياسى فى كافة المستويات لان توضح للجماهير خلال نزولها فى المؤتمرات هذا المفهوم وذلك الى أن تصدر اللجنة التنفيذية العليا الأسس التى تقوم على أساسها لجان الاتحاد الاشتراكى بتكوين لجان المواطنين من أجل المعركة .

ويقوم هذا المفهوم على أساس الايمان بأن معركتنا المصيرية مع العدو تحتاج الى كل يد والى كل جهد وتقع على عاتق كافة المواطنين . وأن لجان التنظيم السياسى على مستوى الوحدات والتى تقود حركة الجماهير تجاه متطلبات المعركة

تؤمن بأن مزيدا من الانفتاح على الجماهير هو السبيل لاستيعاب طاقاتهم وحماسهم فى خدمة المعركة . كما أن التنظيم السياسى الممثل لسلطة الشعب هو القيادة الطبيعية للجان المواطنين من أجل المعركة يقوم بتكوينها وتخطيط عملها وتوجيه حركتها فى خدمة معركة المصير .

ويحدد المفهوم تصورا مبدئيا أن تشمل الدراسة اللجان المتفرعة من « لجان المواطنين من أجل المعركة » . بحيث يتخصص كل منها فى وجه من أوجه متطلبات المعركة مثل الدفاع الشعبى والمدنى والامن والحرب النفسية ورعاية أسر المجندين والمهجرين وزيادة الكفاية الانتاجية .

وفى مجال الشباب بدأت القيادات فى دراسة الواجبات النضالية التى طرحها الرئيس عبد الناصر . فاقترحت لجان للشباب من أجل المعركة فى المؤسسات والهيئات ومواقع التجمعات الشبابية . واقترحت تكوين فرق المعركة وهى فرق تمارس نشاطا يؤهلها لخدمة المعركة بصورة مباشرة او غير مباشرة او معاونة . وأكدت على تعميم وتركيز مجالات النشاط التى تخدم المعركة وتتفق وتشكيل هذه اللجان . وفى مقدمة هذه المجالات :

- **التدريب** على الدفاع المدنى والشعبى .
- **هوايات علمية** تخدم المعركة مثل الرماية واللاسلكى وقيادة السيارات ونماذج الطائرات :
- **الجودو** والاشتباك والملاكمة والمصارعة والسباحة .
- **نشاط اجتماعى** مثل العمل مع المهاجرين أو رعاية أسر المجندين وتدعيم العلاقات مع المقاتلين .

وقد سجل المراقبون انه بالرغم من مبادرة قيادة الاتحاد الاشتراكى الى طرح تصورها عن « لجان المواطنين من أجل المعركة » فى المؤتمرات والاجتماعات السياسية الموسعة وعلى كافة المستويات التنظيمية — الا انه من الملاحظ أن هذه المسألة لم تحظ من الصحافة واجهزة الاعلام بالاهتمام الكافى حتى الان .

ويرى المراقبون أن الصورة النهائية « للجان المواطنين من أجل المعركة » سوف تتحدد عندما تشرع اللجنة التنفيذية العليا فى دراسة وتحديد طبيعة هذا الشكل التنظيمى المدعو الى أن يستوعب ويعبىء وينظم مجهودات قطاعات واسعة من المواطنين تبدى على الدوام استعدادها لتقديم كل ما يطلب منها فى سبيل دحر العدو وتصفية الاحتلال الصهيونى .

الخريطة الجديدة للارض الزراعية

فى يوم السبت ١٦ يوليو صدر القرار الجمهورى بقانون الاصلاح الزراعى الجديد الذى يحدد ملكية الفرد بـ ٥٠ فدانا والاسرة بـ ١٠٠ فدان اعتبارا من ٢٣ يوليو ١٩٦٩ .

وكان **الرئيس جمال عبد الناصر** قد طرح قضية الارض فى جلسة الافتتاح للدورة الثالثة للمؤتمر القومى العام . وكان الرئيس قد قدم هذه القضية فى اطار الارتباط الوثيق بين المعركة الوطنية وبين عملية التحول الاشتراكى .

وفى ضوء هذا الشعار درس المؤتمر الاقتراحات التى قدمها السيد الرئيس ، ووافق على الاقتراح بتحديد الملكية فى الارض للفرد بخمسين فدانا وللاسرة بمائة . وبدلا من ان يعتبر المؤتمر هذا الاقتراح نافذا اعتبارا من الدورة القادمة فقد رأى **ان ينفذ اعتبارا من ٢٥ يوليو** ، ثم رأى مجلس الوزراء ان يكون التنفيذ اعتبارا من ٢٣ يوليو وذلك **قطعا على عمليات التهرب التى يمكن ان تحدث** .

هكذا صدر قانون جديد للاصلاح الزراعى فى سلسلة قوانين تحديد الملكية الزراعية التى ابتدات بالقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ والذى نصت المادة الاولى فيه على أنه لا يجوز لاى شخص ان يمتلك من الاراضى الزراعية اكثر من مائتى فدان . وقد عدلت هذه المادة بالقانون رقم ٤ لسنة ١٩٥٨ بحيث « لا يجوز ان يزيد على ثلاثمائة فدان من تلك الاراضى جملة ما يمتلكه شخص هو وزوجته وأولاده القصر » ثم صدر القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١ ونص على أنه « لا يجوز لاى فرد ان يمتلك من الاراضى الزراعية اكثر من مائة فدان » .

وقد كان صدور القانون الجديد فى هذه الظروف بالذات دلالة هامة ، فبغض النظر عن عدد الافدنة التى يمكن الاستيلاء عليها نتيجة لهذا القانون ، فان وقف ملكية الفرد عن الصعود فوق الخمسين فدانا ، ووقف ملكية الاسرة عن الصعود فوق المائة هو من أهم انجازات الثورة فى سبيل القضاء على الملكيات الواسعة التى كانت بين كبار الملاك والاقطاعيين . وتتضح أهمية القانون الجديد اذا وضعنا فى الاعتبار ما اشارت اليه الصحف المحلية من أن هناك عشرة الاف شخص يخضعون للتحديد الجديد .

واذا كان دعم مراكز الفلاحين الصغار والمتوسطين يتحقق بسلاحى تحديد الملكية وتوزيعها فان الشق الثانى من اقتراح الرئيس ، والخاص بالارض الجديدة قد عمد الى سلاحين آخرين غير

التحديد والتوزيع وهما (١) الملكية العامة للارض و(٢) الوصول بالانتاج الى اعلى مستوياته عن طريق استخدام كل امكانيات الزراعة الكبيرة •

لقد اقترح الرئيس انشاء شركات أو مؤسسات عامة تنقل اليها ملكية الارض الكبيرة الجديدة والبالغ عددها سبعمائة الف فدان ويكون لهذه الشركات مهام ثلاث :

١ ـ الاستغلال المباشر للتصدير •

٢ ـ التأجير وفق شروط معينة •

٣ ـ البيع لصغار الملاك ، واعطاء الاولوية للمقاتلين فى الميدان ولاسرهم •

وبهذا وضع الرئيس عن طريق المهمة الاولى امكانية قيام الشركات ذات الملكية العامة للارض الجديدة باستغلالها استغلالا حديثا من أجل أهداف اقتصادية عامة •

على أن انجاز المهمتين الثانية والثالثة ستكونان أيضا عن طريق الشركات ذات الملكية العامة للارض الجديدة • **وفى هذه الحالة فان قيام الشركات بالتأجير أو البيع سيكون بالطبع فى حدود الضرورات الاقتصادية التى تمليها طبيعة المنطقة أو ظروف الانتاج فى مجال معين من مجالات الارض الجديدة** • وبهذا يدخل الى السياسة الزراعية عامل جديد وفعال •

ومن ناحية أخرى فان الاقتراح الخاص بالارض الجديدة قد حدد صور التوزيع بالتأجير أو البيع وفق شروط معينة ، على ان يكون البيع لصغار الملاك مستبعدا فكرة البيع للشركات الخاصة او للمقتدرين من اثرياء الريف • وكانت هذه الفكرة قد أثيرت بشكل كبير خلال المناقشات الواسعة التى جرت حول مصير الارض الجديدة سواء فى مجلس الامة أو فى الابحاث المتخصصة أو فى الاراء التى نشرت عن طريق الصحافة وغيرها من أجهزة الاعلام •

ولم يصدر عن المؤتمر قرار تنفيذى لاقتراح الرئيس ، وانما هو وافق على الاقتراح على أن تعد اللجنة المركزية تقريرا عن طريقة تنفيذه يعرض على المؤتمر فى دورته القادمة •

وبهذا تحددت صورة جديدة للحوار الذى يمكن أن يدور حول مصير الارض الجديدة ، والذى سينشط فى الفترة ما بين دورتى المؤتمر • وبدلا من ان يدور هذا الحوار اساسا حول طريقة التصرف فى الارض ، **فانه سيدور حول طريقة الادارة والاستغلال لها • وقد بدأ هذا الحوار بالفعل مبرزا ضرورة التخطيط العلمى الشامل واستخدام الاساليب العلمية فى الزراعة على مستوى الانتاج الكبير ، وتدريب العاملين فى مجال الزراعة ومشاكل الادارة فى هذا النوع الجديد من الملكية العامة** •

وحين يوضع هذا القرار فى التنفيذ فانه سيغير الخريطة العامة للارض الزراعية حيث سيكون هناك ثلاثة اشكال من الملكية :

١ ـ ملكية الدولة وتتمثل فى الارض الجديدة ومديرية التحرير وانشاص ومزارع وتفاتيش وزارة الزراعة وأراضى الاصلاح الزراعى التى لم يتم توزيعها بسبب أو لاخر ، وعن طريق هذا النوع من الملكية يجب أن يتم تطوير القاعدة التكنيكية للزراعة •

٢ ـ ملكية تعاونية عن طريق شروط التمليك فى الارض الجديدة التى يتحتم عدم تقسيمها لضرورات الانتاج وكذلك عن طريق التطور بالتعاون القائم بالتجميع واستخدام أساليب ادارية واعية ، وعن طريق هذا النوع يمكن تلافى أخطاء تقسيم الارض وتفتيتها ، وكذلك يمكن نقل خبرة الزراعة الكبيرة والجماعية فى مزارع النوع الاول •

٣ ـ ملكية فردية وتتمثل فى أشكال الملكية المتوسطة والكبيرة التى تصل بمقتضى القانون الجديد الى خمسين فدانا للفرد أو مائة فدان للاسرة •

ويرى المراقبون ان هذا التحول فى خريطة الارض الزراعية يهيء شروط الاتجاه بالريف فى طريق التقدم الاجتماعى ولكن لا يمكن تحقيق ذلك الا بالمعالجة السياسية الواعية عن طريق العمل السياسى ومؤسسات الانتاج الرسمية والجماهيرية ، والاعتماد على العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والملاك الصغار سياسيا وتنظيمهم وحشدهم من أجل أن تجذب الى معركة التحول الاجتماعى أوسع الجماهير فى الريف •

رومانيـــا : اللعـــب على الحبـــال

عندما يحاول المرء ان يعلق على رفـع التمثيـل الدبلوماسي بين رومانيـا وبين اسرائيل الى درجة سفارة فانه يفعل هذا بكل المرارة التي يستشعرها وبكل الدهشة التي تبلغ حد الذهول .

هنا لا يملك الانسان الا ان يسـأل نفسه : انكون هذه الخطوة من جانب رومانيا اولى ثمرات زيارة الرئيـس الامريكي نيكسون ؟ واذا صح هذا فلماذا تختص رومانيا اسرائيل بالذات باولى جوائزها ؟

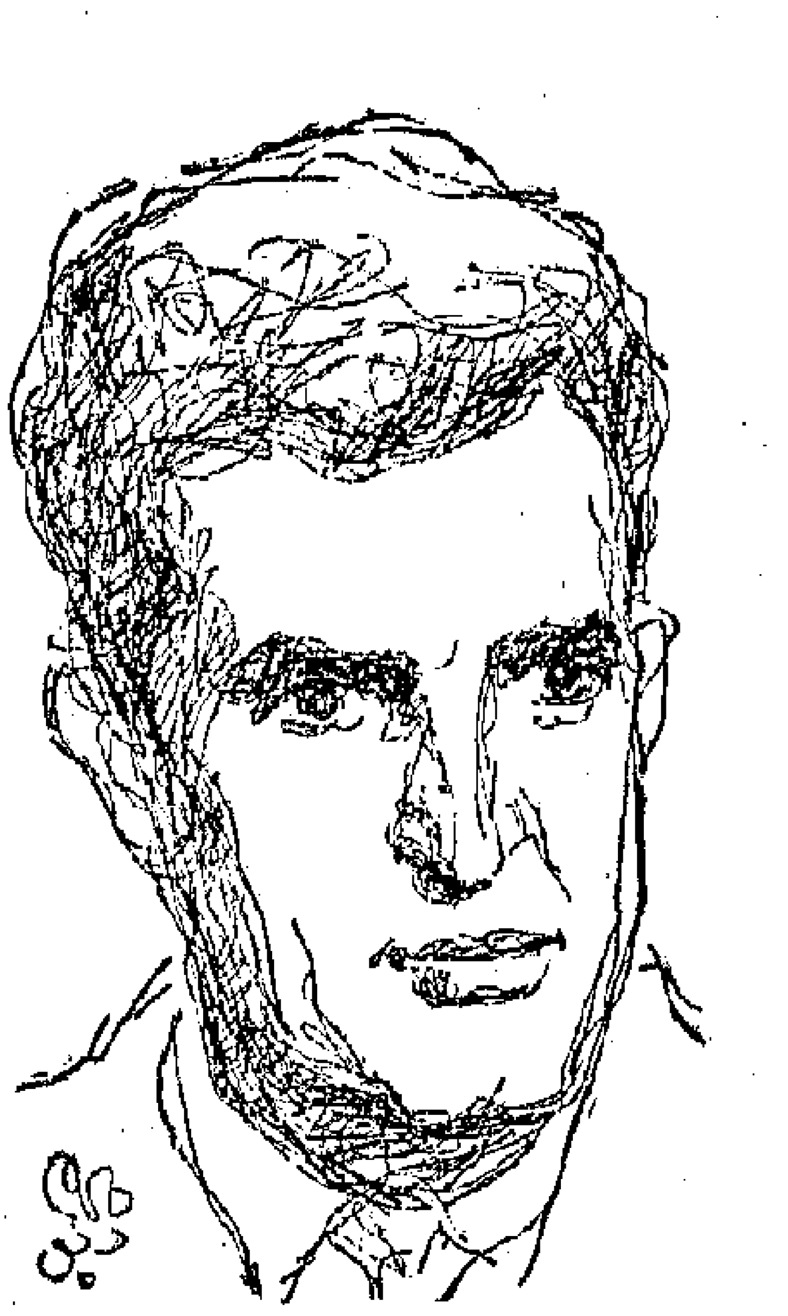
وربما اجابت بعض الاوساط الرومانية بأن زيارة نيكسون لبلد اشتراكي هي في حد ذاتها حدث فريد في بابه ، وانه من الاحداث التي قد يؤرخ بها في المستقبل . ولكن السؤال يظل ـ مع ذلك ـ حائراومطـروحا على الدوام . ذلك انه كان هناك ـ قبل زيارة نيكسون ـ حـدث هام ، تاريخي وخطير ، وهو بالقطع اهم بما لا يقاس ، ونعني به المؤتمر العـالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية الذى انعقد في موسكو في ٥ يونيو ، والذى شارك فيه قادة حزب العمال الروماني ، وتعهدوا فيه بالنضال بلا هوادة ضد الامبرياليـة العالمية وضد الاستعمار الجديد وضد كل النظم العنصرية والفاشية . وفي هـذا المؤتمر ادينت الصهيونية كحركة عنصرية رجعية . فلماذا اذن لم تزهر هذه القرارات بين يدى القادة الرومانيين فيما يتعلق بكفاح الشعوب العربية ، هذا الكفاح الوطني التحرري والعـادل ، في حين ان زيارة نيكسون قد آتت اكلها بسرعة غريبـة حملت رومانيا على ان تبادر الى تعـزيز علاقاتها باسرائيل فترفع درجة التمثيـل الدبلوماسي معها الى سفارة ؟

ونحن نعرف انه عندما تبادر حكومـة الى تعزيز التمثيل السياسي بينها وبين دولة اخرى فان هذا العمل يكون ـ في العادة ـ تتويجا لتـاريخ ولعلاقـات مزدهرة ومضطردة النمـو بين هاتين الدولتين . لكننا هنا امام بلدين مختلفين حقا ومـن المفروض ان تتعارض اهدافهما وسياستهما تعارضا حادا . البلد الاول ـ رومانيا ـ اشتراكي والثـاني ـ اسرائيل ـ قاعدة الامبريالية واداة الاستعمار الجـديد . فهل تقوم رومانيا بمكافأة اسرائيل على عدوانهـا المبيت والمستمر على الشعوب العربية ؟ لما يثير الاسى ان قادة رومانيا لم يروا حتى الآن ـ رغم الدماء التي جرت على الارض العربية ـ ان هناك عدوانا قد تم من قبل اسرائيل يوم الخامس من يونيو ٦٧ . ولكن ، حتى اذا وضعنـا جانبا هذا الموقف الذى لا يصدق ، فاننا نسأل هل تكون المكافأة على قرارات حزب العمال الاسرائيلي ، الذى كان تكريسـا للحرب ضد الشعوب العربية ، ولتكريس التوسع في الارض العربية ؟ وهل تكون المكافأة لان اسرائيل لا تزال تصعـد استفزازاتها ، ولا تزال تصر على رفض قرار استفزازاتها ، وتستخدم النـابالم وتشرد مئات الالوف من اهل فلسطين وتشترى الفانتوم من ترسانة الامبريالية الامريكية؟

في مقدور المرء ان يستمر بلا توقف في طرح المزيد من هذه الاسئلة امام ضمـير القادة الرومانيين . ولكن ربما وجدنا من يقول لنا ان هؤلاء القادة يمارسون حقوق السيادة ، وانهم « حساسون » حساسية مفرطة فيما يتعلق برغبتهم في كل لحظة ، وفي كل مناسبة ، في تأكيـد « مسلكهم المستقل عن الجميع » .

اما انهم يمارسون حقوق السيادة فهذا صحيح ، ومن حق رومانيا الا يتدخل احد في شئونها الداخلية .

واما انهم حساسون لقضية تأكيـد « مسلكهم المستقل عن الجميع » . فان المرء هنا لا يسعه الا ان يؤكد حقيقة بديهية وهي ان المواقف المستقلة لاى حكومة او حزب لا يمكن أن توجه ضد مبادىء الحـركة الاشتراكية العالمية ، وضد مبادىء حركة التحرر المعادية للامبريالية . وعلى سبيل المثال لا تستطيع مجموعة من القادة ان يقنعوا العالم بانهم يسلكون مسلكا مستقلا فيشاركون في اتخاذ القرارات المعـادية للامبرياليـة وفي الوقت نفسـه يعملـون على تبييض صـفحـة ممثلي الامبريالية فيحتفلون بهم اشـد احتفـال ويستقبلونهم استقبال الابطـال . وعلى



سبيل المثال — ايضا — لا يستطيع جماعة من الناس ان يتحدثوا عن مبادىء الاستقلال فيبدون عطفهم على الشعوب العربية ، وفى الوقت ذاته يعززون علاقاتهم السياسية والاقتصادية والثقافية مع جلادى الشعوب العربية . وعلى سبيل المثال ، لا يستطيع ان يتحدث بعض القادة عن مسلكهم المستقل فيذرفون الدموع على ما اصاب ويصيب شعب فيتنام ، ثم يمدون يد الصداقة — فى نفس اللحظة — الى هؤلاء الذين يخططون المجزرة لافناء هذا الشعب البطل . ذلك ان تاكيد المواقف المستقلة للحكومات وللاحزاب الثورية هو قبل كل شىء ثبات على مواقف عملية لا تهتز : ضد الامبريالية وضد الاستعمار الجديد وضد العنصرية ومع حركات التحرر الوطنى ومع اسرة البلدان الاشتراكية . اما المواقف التى تتناقض فيها الاقوال والافعال فلن تجلب لاصحابها اكاليل الغار . ولن يتأكد « الاستقلال » بمغازلة جميع الاطراف او باللعب على حبال كثيرة .

واذا كان لا يخامرنا ادنى شك ، فى انه سيأتى اليوم الذى يقوم فيه الشعب الرومانى وحزبه القائد ويصححون السياسة التى اتبعتها بعض الاوساط الرومانية بازاء الشعوب العربية بعد ٥ يونيو ، فان تجارب النضال ضد الامبريالية قد علمت الشعوب العربية حقائق ثمينة — يجدر بان نركز على ما يتصل منها بمعركتنا مع العدو الذى يحتل ارضنا .

اما الحقيقة الاولى فهى انه ما ان تبدأ قوى الامبريالية فى تحريك اصابعها داخل هذا البلد الاشتراكى او ذاك الا ويتم هذا فى ارتباط وثيق مع مخططات الامبريالية ضد البلاد العربية . ففى عام ١٩٥٦ كانت وقائع الثورة المضادة فى المجر ، وثبت توقيتها وارتباطها مع وقائع العدوان الثلاثى . وبعد يونيو ٦٧ وفى ١٩٦٨ كانت وقائع التحركات الصهيونية المشبوهة فى بولندا ، وتحركات عناصر الثورة المضادة فى تشيكوسلوفاكيا وارتبط هذا كله وبتوقيت دقيق ايضا — مع العدوان الاسرائيلى الامبريالى .

واما الحقيقة الثانية : فهى ان المنظمة الصهيونية العالمية لا تزال قوية ونشطة وفعالة . وانها — كفصيلة وفرقة صدام للامبريالية — لم تفقد الامل فى مواصلة نشاطها المخرب داخل هذا البلد الاشتراكى او ذاك بهدف صرف سياسته . غير ان هذه الحقيقة لم تعد خافية ، وعلى العكس اصبحت موضع انتباه البلدان الاشتراكية واحزابها القائدة حتى ليمكن القول بان الغالبية الساحقة من اسرة البلدان الاشتراكية قد دخلت منذ حرب يونيو فى معركة سافرة ضد المؤسسة الصهيونية ، معركة وصفتها قرارات المؤتمر الخامس لحزب العمال البولونى الموحد بانها « معركة طبقية ضد المؤسسة الصهيونية الامبريالية العالمية » .

امام هذه الحقائق يتحتم على الشعوب العربية ان تضع ايديها على النتائج التى تخدم كفاحها وترفع من مستوى يقظتها .

الطليعة

٩٠ مليون جنيه لدعم القاعدة الصناعية

يصل الى القاهرة خلال الاسابيع القادمة وفد من الخبراء السوفيت للبدء في الخطوات اللازمة لتنفيذ مشروعات « الصناعة الكهربائية » التي تم الاتفاق على اقامتها بالتعاون مع السوفيت عند زيارة الوفد الصناعي المصري لموسكو برئاسة **الدكتور عزيز صدقي** وزير الصناعة والبترول الثروة المعدنية خلال شهر يوليو الماضي .

وينظر المراقبون الاقتصاديون الى هذه المشروعات التي تشمل مشروع مجمع الالمونيوم بطاقة مائة الف طن سنويا ، ومشروع المجمع الفوسفوري بطاقة ١٢٠ الف طن سنويا ومشروع الفيروسيلكون بطاقة ٢٠ الف طن سنويا باعتبارها من اكبر المشروعات اهمية بعد مشروع مجمع الحديد والصلب الذي يجرى العمل في اقامته الان

واذا علمنا ان استهلاك الجمهورية العربية المتحدة من الطاقة الكهربائية كله يقل قليلا في عام ٦٨ / ٦٩ عن سبعة آلاف مليون كيلوات ساعة ، وان حصة الصناعة منها تبلغ نحو ثلثيها أي نحو اربعة آلاف و ٥٠٠ مليون كيلوات ساعة فان الطاقة الكهربائية للجمهورية في عام ٧٤ / ٧٥ أي خلال السنة النهائية من الخطة الثانية تبلغ حوالى ١٢ الف و ٥٠٠ مليون كيلوات ساعة ، وان حصة الصناعة منها تصل الى نسبة ٧٠ في المائة أي مايعادل تسعة آلاف مليون كيلوات ساعة . وذلك يعني ان حصة الصناعة لابد ان تتضاعف من أربعة آلاف و ٥٠٠ كيلوات ساعة في عام ٦٨/٦٩ الى تسعة آلاف مليون كيلوات ساعة سنة ٧٤/١٩٧٥ خلال فترة السنوات الست التي سننفذ خلالها مشروعات تحقق الاستفادة الكاملة من كهرباء السد العالي

وقد تأكدت أهمية هذه المشروعات على ضوء الدراسات المستفيضة التي قام بها الخبراء العرب والسوفيت والتي استغرقت نحو خمسة شهور . وانتهت الدراسات بتوقيع بروتوكول بين الجانبين يوم ٢٣ يوليو الماضي للمضي في تنفيذها ..... على ان يبدأ الانتاج في نهاية عام ١٩٧٤ ، وتقدر تكاليفها بحوالى ٩٠ مليون جنيه .

وتشير تقارير الخبراء الى ان الطاقة الكهربائية الكبيرة والرخيصة المولدة من السد العالي تشكل المادة الخام الاساسية لصناعة الالمونيوم . ومن المعروف ان بعض الدول الصناعية الكبيرة مثل بريطانيا لم تقم بها صناعة الالمونيوم بسبب ارتفاع سعر الكهرباء .. وليس بسبب عدم توفر كمياته . وعندما وصل سعر الكهرباء المولده من بعض محطات توليد الكهرباء والمحطات النووية الى السعر المناسب ، شرعت بريطانيا في تنفيذ مشروعات الالمونيوم . وذلك منذ ثلاث سنوات فقط نظرا لانه من المشروعات الحيوية الهامة والمغذية للعديد من الصناعات المدنية والحربية ، كما توجد امثلة في دول افريقية وعربية تقوم بها صناعة الالمونيوم على أساس استخراج خام الالمونيوم وتوفر الكهرباء الرخيصة ، كما يحدث الان في **البحرين وغانا والكميرون** .

ويجرى الان الخبراء في ج.ع.م. بالتعاون مع الخبراء السوفيت ، الدراسات لانتاج الالمونيا — وهي المادة الخام من الخامات المحلية بطريقة اقتصادية من خام النيفيلين المتوفر بكميات كبيرة بجبل « أبو خروج » بالصحراء الشرقية . وحتى يتم التوصل الى ذلك ستستورد مادة الالمونيا من الهند ويوغسلافيا مقابل تصدير حوالى ١٥ ألف طن من فائض انتاج المشروع

وقد تعهد الجانب السوفيتي بشراء حوالى ٥٥ الف طن من فائض الانتاج سدادا للقرض الطويل الاجل ومدته ١٢ سنة ... والباقي سيوجه للتصدير لمختلف دول العالم بموجب عقود طويلة الاجل .

ويدلل الخبراء الاقتصاديون على ان اهمية وفائدة المشروع بأنه سيوفر جزءا كبيرا من العملات الصعبة عند تنفيذ مشروعات كهربة الريف التي تستهدف انارة ١٢٠٠ قرية كمرحلة أولى وستتكلف نحو ٧٠ مليون جنيه منها حوالى ٢٠ مليون جنيه بالعملات الاجنبية حيث انه سيتم توفير جزء كبير منها بتوفير الكابلات الكهربائية من الانتاج المحلي للالمونيوم المستخدمة في نقل او توزيع الكهرباء وذلك بالاضافة الى احلال الالمونيوم بديلا لعدد كبير في الصناعة الخشبية والهندسية ومواد الزراعة الى جانب الاهمية الخاصة له في صناعة أجسام الطائرات .

ويأتي دور مشروع المجمع الفوسفوري وهو أساس كل المشروعات الكيماوية ويعطي هذا المشروع ١٢٠ الف طن فوسفور ، و١٦ الف طن من أملاح حامض الفوسفوريك ، و ٢٠٠ الف طن من تربل فوسفات سنويا ويسد هذا الانتاج كافة الاحتياجات المحلية للصناعات الكيماوية ، وتحقق فائضا للتصدير .

كما يدخل انتاج مشروع الفيروسيلكون في صناعة الحديد والصلب ، ويعتبر احد المشروعات الصناعية التكميلية لمشروع مجمع الحديد والصلب.

وبتنفيذ هذه المشروعات الثلاثة تنشأ صناعة رئيسية هامة هي صناعة اقطاب أفران الكهرباء التي ستصنع منتجات محلية بصفة رئيسية اعتمادا على الكوك البترولي الذي ينتج من البترول ومن

القطران الذى ينتج حاليا بمصنع الكوك بحلوان . وهى صناعة أساسية لافران الاختزال الكهربائية التى تعمل باقطاب كربونية .. وسيتم توريد معدات هذه الصناعة مع معدات المشروعات الثلاثة .

ويرى المراقبون ان اتفاقية المجمعات الثلاثة تؤكد الاتجاه الى ارساء قواعد الصناعات الثقيلة بالجمهورية العربية المتحدة . هذا الاتجاه الذى اكده البيان السياسى للمؤتمر القومى فى دورته الثالثة بقوله : « ان الدخول الى مرحلة التصنيع الثقيل تعبير عن اصرار قوى الشعب عن ان معركة التحرير ومعركة التنمية الاشتراكية ، معركة واحدة لابديل عن الانتصار فيها باليد المحاربة واليد البانية معا » .

● ● ●

■ **النزاع العربى الاسرائيلى**

من معارك القناة .. حتى حريق المسجد الاقصى

كان لحادث الحريق الذى اشعله الصهيونيون فى المسجد الاقصى ردود فعل عالمية بعيدة المدى ومتعددة المستويات . فعلى الارض المحتلة احتدمت اعمال المقاومة وتعددت مظاهر تحدى العدو الاسرائيلى . وفى العالم الاسلامى عبر اكثر من مسئول واكثر من هيئة عن استنكاره الشديد . وفى الوطن العربى عبرت كافة الاوساط الرسمية عن ضرورة اتخاذ خطوات موحدة وعملية من أجل ردع العدوان الاسرائيلى وانقاذ المقدسات الدينية . وفى كثير من البلاد الاوربية عبر المسئولون عن قلقهم من جراء هذا الاستفزاز الصارخ الذى يصب الزيت على منطقة من اكثر مناطق العالم اشتعالا .

ويرى المراقبون ان الرسالة التى وجهها الرئيس عبد الناصر الى الجنود تنطوى على اكثر من دلالة هامة قد ركزت سطورها الموقف العربى على المستويين الرسمى والشعبى ووضعت البلاد العربية أمام هذه النتيجة الحتمية فى صراع المصير :

« **ان هناك نتيجة واحدة يجب ان نستخلصها لانفسنا ويتحتم أن نفرض احترامها مهما كلفنا ذلك ، الا وهى أن العدو لا ينبغى له ولا يحق له ان يبقى حيث هو الان** » .

ويبدو ان تطور الحوادث قد بات يفرض على الشعوب العربية ان تتصرف — من الناحية العملية على ضوء هذه النتيجة . ونستطيع ان نلمس ان الجهد العربى قد احتل خلال الشهر الماضى مواقع جديدة فى اتجاه المواجهة الشاملة مع العدو ، وما تفرضه تلك المواجهة من تعبئة وتوحيد للامكانيات العربية .

فعلى طول جبهة القناة واصلت مدفعيتنا ضرب مواقع العدو بعنف . كما عبرت مجموعات من رجال الكوماندوز القناة الى الضفة الشرقية وزرعت الالغام على طول الطرق التى تستخدمها القوات الاسرائيلية ، كما هاجمت بعض مواقع مدفعيته واشتبكت مع وحداته ودمرت عددا من دباباته وعرباته المصفحة . وازاء تصاعد هجمات قواتنا فى جبهة القناة لجأ العدو الى اقامة خط دفاعى جديد شرقى خط بارليف بعد أن اضعفت فعاليته ، وخوفا من أن تحاول القوات المصرية — كما يقول العسكريون الاسرائيليون — انزال قواتها الى الضفة الشرقية فى هجوم شامل لتحرير سيناء .

وقد علق موسى ديان على معارك جبهة القناة فقال ان الاستراتيجية المصرية فى جبهة القناة تهدف الى اضعاف الدفاع الاسرائيلى تمهيدا لحرب شاملة تشنها ج .ع .م .

وفيما يتعلق بحركة المقاومة العربية فقد اتسع نشاطها وتعاظم فى جميع الجبهات . ففى وادى الاردن شنت قوات المقاومة هجوما شاملا منسقا واخترقت الحاجز المكهرب الذى اقامه العدو وهاجمت المستعمرات الاسرائيلية على امتداد ثمانية كيلومترات فى عملية سميت بعملية الحزام الاخضر ، وقد استخدم الفدائيون الصواريخ والمدافع لدك مواقع ومستعمرات العدو . ووصف بعض المعلقين هجمات الفدائيين خلال الشهر الماضى بأنها كانت أجرأ هجمات قامت بها حركة المقاومة .

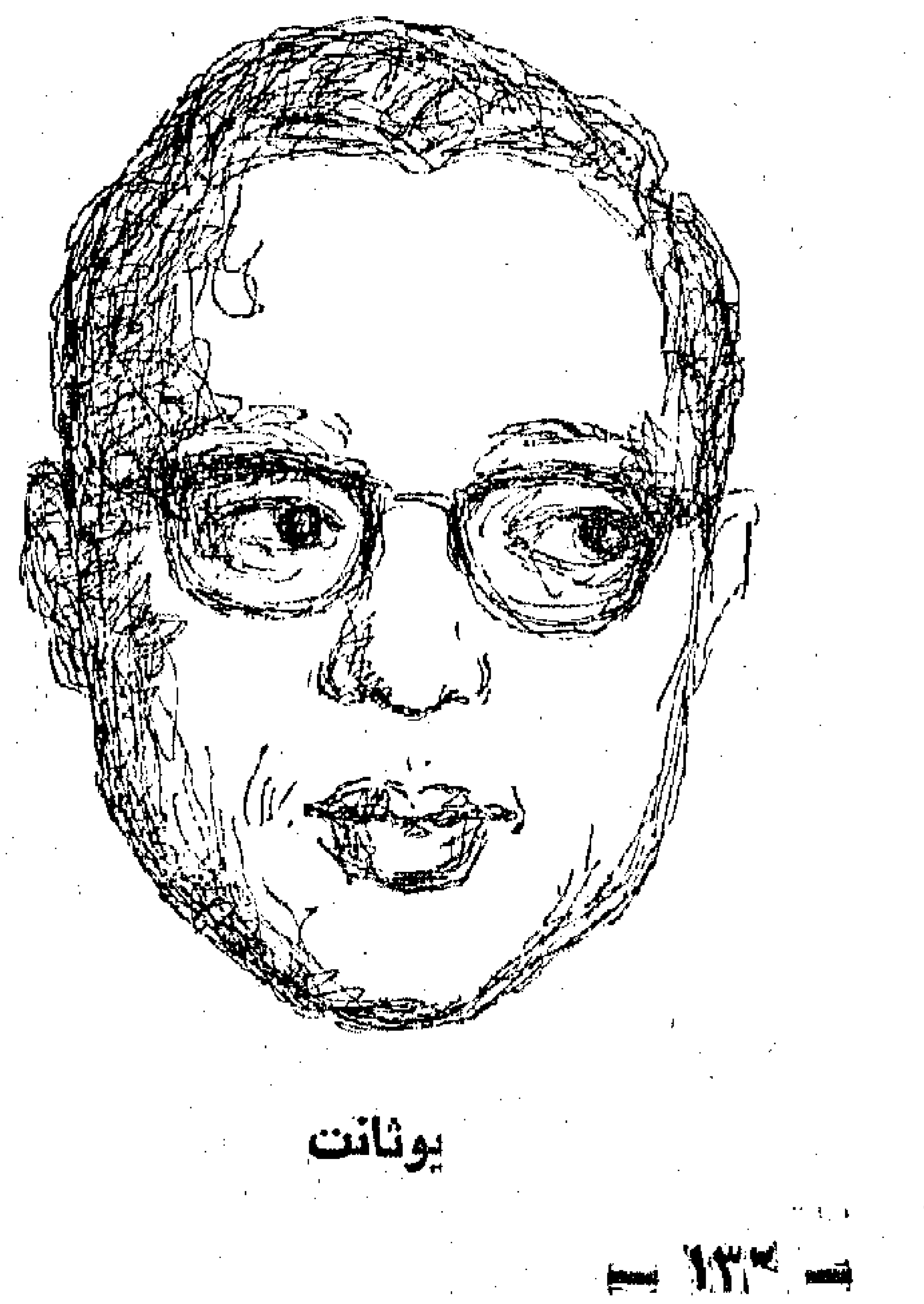
وفى غزة اتسع نشاط الفدائيين كذلك ، فقاموا بهجمات متواصلة على القوات الاسرائيلية بالصواريخ والمدافع ، مما دفع سلطات الاحتلال الى اتخاذ اجراءات أمن مشددة ، واضطرها الى فرض الحصار الشامل حول قطاع غزة فى محاولة لوقف موجة النشاط الفدائى المتعاظمة .

ونسف الفدائيون خط البترول فى حيفا والخط الحديدى قرب رفح وشنوا عددا من الهجمات على مواقع العدو فى هضبة الجولان وعلى طول الحدود الشمالية بالقرب من لبنان ، واعلن ياسر عرفات أن قوات العاصفة لديها الان وحدات من جنود المظلات الفلسطينيين الذين تم تدريبهم فى فيتنام الديمقراطية .

وعلقت اليونايتدبرس على اتساع نشاط الفدائيين فقالت أن هجمات الفدائيين المتزايدة فى الفترة الاخيرة أجبرت سكان المستعمرات الاسرائيلية الواقعة قرب خطوط وقف اطلاق النار

على قضاء معظم أيامهم داخل المخابىء تحت الارض خوفا من التعرض للهجمات المفاجئة لقوات المقاومة . واذاعت وكالة الانباء الفرنسية « أن **المقاومة الفلسطينية زادت من نشاطها بدرجة كبيرة واتسمت عملياتها بالقوة وحسن التنسيق . وبعد أن كان الفدائيون يقومون بعمليات صغيرة تعاظم نشاطهم واتسع ، وهم يسيرون فى اتجاه التحول الى حرب تحرير شعبية** » . وفى مواجهة هذا النشاط المتعاظم لقوات المقاومة أعلن بارليف « ان منظمات المقاومة ستواصل عملياتها العسكرية ضد اسرائيل وليس أمام الجيش الاسرائيلى الا أن يستمر فى القتال » . وكان التطبيق العملى لذلك أن قامت الطائرات الاسرائيلية بسلسلة من الغارات الانتقامية على المواقع والقرى فى الاردن على زعم تتبع رجال المقاومة وضرب مراكزهم . كما أرسلت اسرائيل وفى تكتم شديد عددا من خبرائها العسكريين الى المانيا الغربية لتدارس الموقف مع العسكريين الالمان . وعندما افتضح أمر تلك المشاورات علقت مجلة بونديسوير بريتش الالمانية الغربية فقالت بأن الغرض منها هو التوصل الى مراجعة استراتيجية وتكتيكات الجيش الاسرائيلى مع مراعاة تجربة الحرب الاخيرة . وأشارت نوفوستى الى أن **تلك المداولات السرية بين قيادة الجيش الاسرائيلى والجيش الالمانى الغربى انما تتناول حل المسائل العملية لمحاربة الفدائيين العرب وتدريب العملاء للقيام بأعمال التخريب فى البلدان العربية** .

وأغارت الطائرات الاسرائيلية على جنوب لبنان تحت دعوى ضرب مراكز تجمعات المقاومة . **وأحدث هذا العدوان رد فعل عنيفا فى بيروت** ورفعت الحكومة اللبنانية شكواها الى مجلس الامن تطلب ادانة الغارة الاسرائيلية . ولكن المجلس بعد مناقشات عقيمة عجز عن التوصل الى قرار بادانة اسرائيل بفضل الضغط والمناورات الامريكية التى نجحت فى منع المجلس من الوصول الى قرار على الاطلاق . وأعلنت كل من بريطانيا وأمريكا انها لن تؤيد أى مشروع لا يتضمن ادانة واضحة لنشاط الفدائيين الى جانب ادانة اسرائيل . وازاء عجز المجلس عن التوصل الى قرار تقدم يوثانت الى لبنان باقتراح بوضع مراقبين دوليين على حدوده مع اسرائيل ولكن الحكومة اللبنانية رفضت اقتراح السكرتير العام . **وأكد رشيد كرامى** أن العدوان الاسرائيلى زاد من تصميم لبنان على الدفاع عن سيادته واستقلاله ضد أى تهديدات .



يوثانت

أما فيما يتعلق بالجهود الدولية الرامية الى ايجاد حل سلمى للازمة على أساس قرار مجلس الامن فقد صرح مصدر مسئول فى الامم المتحدة بأن المحادثات الرباعية ستستأنف فى أول سبتمبر تمهيدا لعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاربع خلال انعقاد دورة الجمعية العامة .

وفى بلغراد اجتمع **جوزيف سيسكو** مساعد وزير الخارجية الامريكية مع وزير خارجية يوغوسلافيا وتشاور معه حول امكانية توسط يوغوسلافيا فى نزاع الشرق الاوسط حتى لا تؤدى التطورات الاخيرة وتصاعد المعارك الى زيادة الموقف سوءا ، وطلب سيسكو من بلغراد أن تقوم بالاتصال بالقاهرة من أجل وقف تصعيد العمليات العسكرية خاصة بعد اشتراك **أسلحة الطيران** فيها . **وقبلت يوغوسلافيا القيام بمهمة ابلاغ وجهة** النظر الامريكية الى القاهرة .

وفى نفس الوقت ارسلت الولايات المتحدة **سورنسون** مستشار الرئيس السابق كيندى الى تل أبيب للتشاور حول الدور الذى يجب أن تقوم به الولايات المتحدة حيال أزمة الشرق الاوسط فى المرحلة المقبلة .

وقامت وشنطن بتسليم أول دفعة من صفقة طائرات الفانتوم الى اسرائيل . كما تواصل تدريب الطيارين الاسرائيليين حتى يسير التدريب متوازيا مع تسليم الطائرات . واشارت وكالة الانباء الفرنسية الى أن اسرائيل تسعى للحصول على طائرات فانتوم جديدة من الولايات المتحدة لتعويض خسائرها فى المعارك التى وقعت فى الفترة الاخيرة على جبهة القناة . كما أرسل الاتحاد السوفيتى مذكرة احتجاج الى الولايات المتحدة بخصوص

تسليم صفقة الفانتوم ، وجاء فى المذكرة « **ان تنفيذ صفقة الفانتوم سيؤثر دون شك على الجهود الدولية الرامية الى التوصل الى حل سلمى لازمة الشرق الاوسط** » .

وشهدت العواصم العربية نشاطا واسع النطاق طوال الشهر الماضى من أجل توحيد وتعبئة الجهد العربى لمواجهة احتمالات الموقف بعد أن وصلت مباحثات الحل السلمى الى طريق مسدود ، وبعد تصاعد العمليات العسكرية والفدائية فى جميع الجبهات . وبرز أكثر من أى وقت مضى أهمية وضرورة انعقاد مؤتمر قمة عربى جديد فى أسرع وقت ممكن .

ففى عمان أعرب السفير المصرى عن اعتقاده بأن مؤتمر القمة سيعقد قريبا « اذ لابد من أن يجتمع الزعماء العرب جميعا فى هذا الظرف للتشاور فى الخطوات الواجب اتخاذها لما فيه خير الامة العربية » . وصرح **رئيس وزراء الاردن** « بأن عدم توصل الجهود السياسية حتى الان الى تسوية لازمة الشرق الاوسط يحتم عقد مؤتمر قمة عربى لبحث متطلبات المرحلة القادمة ومواجهة العدوان حاضرا ومستقبلا » . كما جرت فى نفس الوقت اتصالات واسعة بين القاهرة وعمان لتنسيق العمل بين البلدين . ويقوم **الملك حسين** بجولته فى عدد من العواصم العربية ليبحث مع الملوك والرؤساء العرب موضوع عقد مؤتمر القمة . وقد أعرب الملك عن اعتقاده بأن عقد مؤتمر القمة قد تأخر كثير ، وقال انه كان يجب عقده منذ بدأت الجهود السياسية تتعثر وذلك لتأمين احتياجات المرحلة المقبلة ولتكون الامة العربية يدا واحدة » . كما أكد رشيد كرامى رئيس وزراء لبنان ضرورة عقد مؤتمر قمة عربى لتدارس الموقف الراهن ويقوم بجولته فى بعض العواصم العربية للتشاور بهذا الخصوص .

وقررت حكومة السودان ارسال وفود لها الى العواصم العربية المختلفة للقيام بنفس الدور ، وبالفعل حضر الى القاهرة وزير الدولة السودانى **فاروق أبو عيسى** ، والسيد **عبد الله الحسن** وكيل الخارجية .

ووصل الى القاهرة نور الدين الاتاسى رئيس الدولة السورى وأجرى محادثات مع الرئيس عبد الناصر حول دعم الجبهة الشرقية وزيادة فعاليتها وتنسيق الجهد العسكرى ، وضرورة انعقاد مؤتمر القمة العربى فورا .

وقد عرضت حكومة المغرب انعقاد المؤتمر فى الدار البيضاء ، بينما أعربت حكومة السودان عن استعدادها لعقد المؤتمر فى الخرطوم .

وفى القاهرة قام المسئولون بمشاورات عربية واسعة النطاق وذلك تحقيقا للاتجاهات التى أعلنها **الرئيس جمال عبد الناصر** عن ضرورة وأهمية العمل العربى الموحد فى المرحلة الحالية . وسوف تستمر هذه المشاورات بكل الطرق الممكنة سواء فى طريق الاتصالات الثنائية أو العمل العربى المتعدد الاطراف ، والعمل العربى الشامل بهدف تعبئة كل الجهد العربى وتوحيده فى هذه المرحلة الدقيقة من مراحل الشرق الاوسط .

■

■ اسرائيل

اختفت الحدود الوهمية .. بين الصقور و « اليمام »

فى أوائل الشهر الماضى انعقد فى اسرائيل الاجتماع المشترك لمؤتمر حزب العمال الاسرائيلى والحزب الاشتراكى اليسارى لمناقشة ماوصف « بأمن اسرائيل » ولصياغة البرنامج الانتخابى الذى سيدخل على أساسه الحزبان الانتخابات العامة كجبهة واحدة فى اكتوبر المقبل .

وقد ثارت داخل المؤتمر خلافات حادة حول مفهوم الامن الاسرائيلى وحول صياغة البرنامج الانتخابى فيما يتعلق بسياسة اسرائيل الخارجية وتبلورت هذه الخلافات فى اتجاهين رئيسيين .

وكان الاتجاه الاول والاكثر تشددا هو اتجاه المجموعة العسكرية التى يتزعمها **ديان** ، والتى كشفت عن حقيقة نوايا العسكريين ، عندما اعلن ديان فى المؤتمر عن « أن أمن اسرائيل يفرض عليها الاحتفاظ بقطاع غزة ومرتفعات الجولان السورية وكذلك بطريق برى من ايلات جنوبا الى شرم الشيخ لتأمين الملاحة فى خليج العقبة بالاضافة الى نزع سلاح الضفة الغربية نزعا شاملا » .

كما أعلن ديان داخل المؤتمر عن ضرورة الاستعداد لتوجيه ضربات انتقامية مركزة ومدروسة ضد القوات العربية وذلك بهدف منع

امكانية تحويل المناوشات على خطوط وقف اطلاق النار الى هجوم شامل من القوات الاسرائيلية •

وتزعم الاتجاه الاخر الذى وصف بأنه اكثر دهاء ودبلوماسية جولدا مائير رئيسة الوزراء وابا ايبان وزير الخارجية .، ويرفض هذا الاتجاه تحديد حدود لاسرائيل مقدما الا على ضوء مفاوضات مع العرب . ولكنه يعلن فى نفس الوقت أنه لا يمكن الرجوع الى حدود ما قبل ٥ يونيو ، ويرى هذا الاتجاه أن حدود اسرائيل ستتقرر وفقا لمصالح امنها • لكنه يفضل الا يتم تحديد تلك الحدود فى الوقت الراهن حتى يمكن اتاحة الفرصة امام التحرك الدبلوماسى فى الميدان الدولى •

وقد اشارت جولدا مائير الى ذلك فى خطابها داخل المؤتمر حينما قالت : « أن اسرائيل لن تتخلى ولا عن شبر واحد من الاراضى الضرورية لامنها » ولكنها فى نفس الوقت أعلنت « أنه يجب على اسرائيل أن تنتظر اجراء محادثات مباشرة مع العرب قبل اتخاذ أى قرار بشأن الحدود » .

أما ابا ايبان فقد قال فى رده على دعاة اعلان ضم الاراضى العربية المحتلة الى اسرائيل « ان على اسرائيل أن تحاول الظهور امام العالم بمظهر الاعتدال • فالرأى العام العالمى يدرك أن انسحابنا من الخطوط الحالية لا يمكن أن يتم الا باتفاق سلام ، وهذا الكسب السياسى الهام الذى حصلنا عليه بعد جهود دبلوماسية كبيرة يجب الا نفرط فيه ،ولذلك ينبغى أن نتمسك بصيغة الحدود الامنة والمعترف بها وقال ايبان « اننا قد نستطيع وحدنا أن نؤمن سلامة اراضينا ولكننا لا نستطيع التوصل الى سلام دون العرب » .،

وقد علقت وكالة الانباء الفرنسية على الخلاف بين الاتجاهين داخل المؤتمر فاشارت الى « أنه ليس خلافا حول مبادىء اساسية ولكنه خلاف حول الاساليب الواجب اتباعها لتحقيق السياسة التوسعية • فبينما يرى ديان ادماج المناطق المحتلة فى اسرائيل يرى ايبان أن وجود اسرائيل قائم على الحفاظ على دولة اسرائيل دون السماح لاعداد ضخمة من العرب بالتواجد داخلها ، ولكنهم متفقون جميعا على الاطماع التوسعية لاسرائيل » .،

وقد انتهى المؤتمر الى صياغة برنامج الحزب الانتخابى الذى تجنب فيه تحديد حدود اسرائيل أو اعلان ضم المناطق المحتلة وان كان البرنامج قد نص بوضوح « على أنه لا عودة الى حدود ما قبل ٥ يونيو ، وعلى أن القدس ستظل عاصمة لاسرائيل »

وقد اكتفى البرنامج بالاشارة الى مسالة الحدود فى صيغة عامة تقول « أن اسرائيل ستحتفظ بحدود أمن استراتيجية » •

وعلق المراقبون السياسيون على هذه الصياغة بانها محاولة للتغلب على الخلافات بين الاتجاهين وذلك بأن تركت مسالة تقرير الحدود لاعتبارات أمن اسرائيل وأمانيها التاريخية ولامكانياتها قد تركت كما يقول آلون ـ لتكون موضع أى تسوية قد تتم فى المستقبل •

وصرح ابا ايبان معلقا على صياغة برنامج الحزب بان البرنامج قد استخدم الفاظا عامة دون الدخول فى تفاصيل الحدود الاستراتيجية •

وعقب متحدث بأسم وزارة الخارجية الاسرائيلية محاولا التخفيف من الاثار التى خلفتها آراء العسكريين داخل المؤتمر ، فقال ان الفقرة الخاصة بالسياسة الخارجية فى بيان الحزب لم تشر الى حدود محددة مع الدول العربية •

وأثارت مناقشات المؤتمر والبرنامج الذى اصدره الحزب ضجة كبيرة سواء داخل اسرائيل أو خارجها •

فقد لاقى البرنامج معارضة واسعة داخل الحزب الاشتراكى اليسارى المؤتلف مع حزب العمال الحاكم على أساس أن صياغته انما تكشف عن الاصرار على دمج بعض المناطق العربية • غير أن المسئولين فى الحزب حاولوا تبرير ذلك بأن تلك الصياغة كانت البديل الوحيد الممكن لوجهات نظر ديان التى لا يمكن قبولها •

وفى أمريكا صرح كارل بارتش المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية بان البرنامج الذى اقره الحزب يعبر عن موقف داخلى لحزب سياسى ولا يعكس الموقف الرسمى للحكومة »

غير أن المعلقين السياسيين فى دوائر الامم المتحدة اشاروا الى ان برنامج حزب العمال الاسرائيلى الذى سيصبح سياسة رسمية لاسرائيل بعد اكتوبر انما يعتبر تحديا صارخا للامم المتحدة ولقرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ وللجهود المبذولة من اجل الوصول الى تسوية سلمية للازمة على النطاق الدولى ، وحتى صحيفة الجارديان البريطانية لم تملك الا أن تشير الى أن التشدد الواضح فى برنامج حزب العمال الاسرائيلى يمكن أن يكون فى حد ذاته عاملا من عوامل زيادة التوتر فى منطقة الشرق الاوسط •

■ السودان :

الجبهة الوطنية الديمقراطية في مواجهة القوى المضادة

في ١٨ أغسطس الماضى ، احبطت سلطات الامن السودانية محاولة لاحداث انقلاب مضاد لثورة مايو — كان ينظمها الضابط السابق عبد الله الامير التعايشي وبعض الشخصيات المرتبطة بحزب الامة المنحل . وكانت هذه هى ثانى محاولة لاحداث انقلاب رجعى فى السودان — وكلتا المحاولتين كشفهما الجنود وضباط الصف الذين حاول مدبرو الانقلابين الاعتماد عليهم مستغلين فى ذلك الروابط القبلية والطائفية .

ويلاحظ أن نشاط القوى المضادة للثورة فى السودان لم يقتصر منذ قيام ثورة مايو على مثل هذه المحاولات الانقلابية ، فهناك محاولة التخريب حيث فجرت مجموعة من القنابل ، وكميات الاسلحة الكبيرة التى ضبطت وهى مهربة من بلاد اجنبية عبر الحدود السودانية لبعض عناصر حزبية قديمة ، والمنشورات التى وزعتها بعض الهيئات ... الخ . وفى كل هذا النشاط التقت عناصر وقوى مرتبطة بالدوائر الاستعمارية فى الولايات المتحدة وفى المانيا الغربية ، ودوائر من الاحزاب التقليدية ، وعناصر مغامرة قليلة مرتبطة بخط الحزب الشيوعى الصينى ومعادية للحزب الشيوعى السودانى .

وفى مواجهة نشاط القوى المضادة للثورة اتفقت جميع فرق الثورة السودانية على ضرورة بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية ، باعتبارها التنظيم المطلوب قيامه لاستكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية واقامة الاسس المادية لبناء الاشتراكية . وقد اعد مجلس قيادة الثورة مسودة لمشروع ميثاق طرح لاوسع نطاق ليناقشه الشعب السودانى فى النقابات والمنظمات الديمقراطية وفى الندوات والليالى السياسية .

وفى نفس الوقت الذى يواجه فيه السودان المشاكل الاقتصادية المعقدة التى خلفها النظام الرجعى السابق اتخذت مجموعة من الاجراءات الاقتصادية بهدف معالجة العجز المالى الخطير ولحل مشاكل الجماهير . ففى يوم ٧ اغسطس قرر مجلس الوزراء استبعاد الخطة الخمسية للتنمية التى اعدتها الحكومة السابقة لارتباطها بالطريق الراسمالى والعمل على وضع مشروع جديد على اساس الخط الاشتراكى . كما رفض اجتماع مشترك من المجلسين — مجلس الثورة ومجلس الوزراء — الاجراءات الخاصة برفع الاسعار وتخفيض الاجور كطريق للعلاج المالى ، وقبلت اقتراحات اتحاد نقابات العمال الخاصة بالعلاج المالى السريع للميزانية — ومن هذه الاقتراحات ، احتكار الاسمدة والمبيدات والخيش والادوية ويقدر العائد منها بحوالى ٢١٢ر٦٨٢ جنيها ، واحتكار تجارة السيارات وقطع الغيار والاطارات والانابيب الداخلية ويقدر العائد منها بـ ٨٥٨ر١٥٣ر٤ جنيها . واستيلاء الحكومة على هذه السلع والتحكم فى توزيعها ستكون له قيمة اقتصادية كبيرة فى تحديد احتياجات خطة التنمية ، والاستيلاء على تجارة الاقمشة الامر الذى سيوفر على الدولة كذلك ٦٨٥ر٤٨١ر٤ مليون جنيه ، وتكوين هيئة لتسويق البترول وهو يدر عائدا سريعا وضخما ، وتنظيم سياسة الاجور فى الهيئات المستقلة . والغاء العلاوات وامتيازات السكن الامر الذى سيوفر ٥ر٨ مليون من الجنيهات ، والتركيز على تحصيل الضرائب المتأخرة .. الخ .

ويشهد السودان نشاطا اقتصاديا جديدا لدعم العلاقات مع البلدان الاشتراكية والجمهورية العربية المتحدة . وقد قال الرائد هاشم العطا عضو مجلس الثورة عن المباحثات الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية : « **ان نتائج المباحثات التى اجراها الوفد السودانى للدول الاشتراكية اسفرت عن اضخم انجاز منذ استقلال السودان . وقد توصل الوفد الى نتائج ستحقق تحولا تاريخيا فى الاقتصاد السودانى ، وذلك لوضوح سياستنا الخارجية ووقوفنا بصلابة مع الدول التقدمية والمعسكر الاشتراكى** » .

وقد انتهت زيارة الوفد السودانى للبلدان الاشتراكية الى الاتفاق على حوالى مائة مشروع اقتصادى — منها مشروعات لصناعة النسيج ومواد البناء والمواد الغذائية والادوات الكهربائية والمعدات الزراعية وتوليد الكهرباء ومد السودان بالتراكتورات ومعدات الرى والقاطرات وعربات الاتوبيس ومشروعات لتشحين الماشية والمواد الكيماوية .

وزار الوفد الاقتصادى العربى السودان لدعم العلاقات الاقتصادية بين السودان والجمهورية العربية المتحدة ، على اسس جديدة لم تكن متوفرة من قبل ، وعلى اساس تحقيق تكامل اقتصادى فى بعض المشروعات والقيام بمشروعات مشتركة ، والاهتمام بخبرة الجمهورية العربية فى حفر الابار ومد السودان بالخبرات الفنية العالية والمنتقاة .

ويرى المراقبون السياسيون ، ان الثورة السودانية توجه اهتماما خاصا لحل المشاكل

الاقتصادية . اذ أن الخراب الاقتصادى قد دمر كل مقومات البلاد ، حتى أن مرتبات وأجور الموظفين ظلت تصرف لسنوات قبل الثورة من القروض المقدمة للسودان لمساعدتها فى تنمية اقتصادها . والتركيز على حل المشاكل الاقتصادية العاجلة يمثل نشاطا هاما فى مواجهة اى محاولات من القوى المضادة للثورة سواء الاجنبية ، أو المحلية لاستغلال الازمة الاقتصادية التى يعانى منها السودان . ويرى هؤلاء المراقبون ان السودان الجديد بدأ يخطو خطواته الاولى للخروج من الازمة التى تولدت من طبيعة نظام الحكم السابق .

■

■ زامبيا

حماية الاستقلال بحزام من النحاس

تفيد التقارير الواردة من **لوزاكا** — حتى كتابة هذا التقرير — ان شركتى **روان سياكشن ترست ، وانجلو امريكان** ، قد قبلتا مفاوضة حكومة **زامبيا** على اساس ان تبيعا ٥١ فى المائة من أسهمهما للحكومة . ومعروف ان الرئيس **كينيث كاوندا** ، كان قد أعلن فى ١١ اغسطس الماضى ان الدولة سوف تستولى على جميع حقوق التعدين فى زامبيا وستطلب من شركات النحاس ان تقدم ٥١ فى المائة من اسهمها الى الحكومة نظير التعويض باسهم تسدد على اقساط طويلة المدى ومن أرباح المناجم ذاتها ، على أن يتم تأجير المناجم للشركات لمدة ٢٥ سنة .

ولاتعنى هذه الخطوة من الشركتين الكبيرتين ، ان المشكلة قد انتهت اذ أن ردود الفعل فى دوائر الغرب السياسية ، كانت تفوق كثيرا مجرد الموافقة أو عدم الموافقة . وانما كانت تتناول مبدأ الاجراء نفسه والتهديد بسحب الفنيين والمديرين الغربيين من المناجم . ويرجح المراقبون أن يسعى الغرب — وبخاصة بريطانيا وامريكا — عن طريق الشركتين الى الوصول الى « مساومات سياسية » مع حكومة زامبيا ، ربما تدور حول وضع وحركة الوطنيين من **زيمبابوى وانجولا وجنوب افريقيا** الذين يتخذون من اراضى زامبيا منطلقا لنشاطهم الوطنى المسلح ..

وبرغم اجماع المراقبين — والافريقيين منهم بشكل خاص — على الاهمية البالغة لقرار الرئيس **كاوندا** وجراة الخطوة التى أقدم عليها ، الا انهم **يختلفون فى النظرة الى القرار** من حيث هل هو « **تأميم** » أم **تمليك الدولة** ٥١ ٪ من أسهم شركات النحاس ؟

والواقع ان شركات النحاس لم تفاجأ كثيرا بقرار الرئيس كاوندا . فمن المعروف ان استفتاءا كان قد أجرى فى ١٦ يونيو الماضى لاعطاء البرلمان حق تغيير نصوص معينة فى الدستور يمكن الدولة من الاستيلاء على بعض ممتلكات الشركات الاجنبية . كما بدأت الحكومة فى ابريل ١٩٦٨ برنامجا « **للاصلاح الاقتصادى** » تضمن حق الدولة فى الحصول على ٥١ فى المائة من اسهم الصناعات والاعمال الكبرى . وبرغم ان الرئيس كاوندا كان قد اكد وقتها نية حكومته فى عدم تأميم شركات النحاس ، الا أن الصحف الغربية كانت تتوقع ذلك . فقد كتبت **الاوبزرفر البريطانية** فى ٢٦ ديسمبر ١٩٦٨ ، تقول « من المتوقع ان تقدم حكومة زامبيا على اتخاذ بعض الاجراءات فى مجال النحاس **فى العام القادم** » . بل وتحدثت الصحيفة عن دراسات الاقتصاديين فى زامبيا حول اقتراح حصول الحكومة على ٥١ فى المائة من اسهم شركات النحاس .

ولاشك ان الظروف الاقتصادية الصعبة التى عانتها زامبيا ، منذ اعلان استقلال **روديسيا الجنوبية** من جانب واحد ، وبسبب عدم تنوع صادراتها ومشاق عمليات التصدير بسبب مواصلاتها المحدودة الى الخارج ، ذلك كله كان ينبىء بأن تقدم حكومة كاوندا على مثل هذه الاجراءات لتخطى المشاكل الاقتصادية من جهة ولممارسة حقوقها الوطنية من جهة اخرى فضلا عن سعيها لتثبيت مواقع سلطتها بين صفوف الجماهير .

وبغض النظر عن معنى ومضمون القرار وهل هو « تأميم » ام « تمليك الدولة ٥١ فى المائة من الاسهم » ، فانه يفتح — بدون شك — **طريقا جديدا** هاما أمام نضال شعب زامبيا من أجل الاستقلال الاقتصادى ، وبالتالى لدعم استقلاله السياسى . بل أن القرار يضع حكومة كاوندا نفسها أمام مفترق طريق حاسم لاستمرار الثورة الوطنية وتخليص اقتصاد زامبيا من قبضة الاحتكارات العالمية .

وتؤكد بعض الدوائر الافريقية ، ان الرئيس كاوندا قد أقدم على هذا القرار التقدمى الجرىء ، بعد أن استكمل بناء « **طريق الشمال العظيم** » — ١٠٠٠ ر ١٢ ميل — الذى يربط **زامبيا بتنزانيا** الى الساحل عند **دار السلام** لتصدير منتجاتها ، بدلا من الاعتماد على طرق المواصلات عبر روديسيا الجنوبية كما كان من قبل . وكانت **الصين الشعبية** قد انجزت فى الاونة الاخيرة بناء هذا الطريق فى

وقت أقل بكثير من الوقت الذى كان محددا لهذا الغرض ٠

ويجمع المراقبون ان الاستعمار الان فى مازق ازاء خطوة كاوندا ٠ اذ ان دول الغرب لاتستطيع ان تستغنى ـ وخاصة بريطانيا ـ عن نحاس زامبيا ٠ لانمصانعها التعدينية تعتمد الى حد كبير على نحاس زامبيا ٠ ومن ثم فان مقاطعة زامبيا تعنى اغلاق هذه الصناعات من جهة فضلا عن بطالة عمالها الذينيبلغون الالاف من جهة اخرى ٠ ومن ثم فان أية مقاطعة لنحاس زامبيا ، يمكن ان تترتب عليها مشاكل اقتصادية حادة فى قطاع هام من صناعات الغرب ٠ ولا يعنى ذلك ان الغرب سيستسلم تماما ٠ فلا شك انه سيبحث عن « طريقة ما » لمواجهة المازق ، ولا شك فى انه سيمارس ضغوطا سياسية او اقتصادية ، يمكن ان تصل الى حد التآمر ٠

ومن الجدير بالذكر ان زامبيا تعد ثالثة دول العالم فى انتاج النحاس ٠ فقد انتجت فى عام ١٩٦٨ ، ٧٥٠ الف طن تمثل ٩٥ فى المائة من صادرات البلاد ٠ ويعد خام النحاس وانتاجه ، عصب اقتصاد زامبيا ٠ فهو يشكل ٧٠ فى المائة من ايرادات الحكومة ٠ وتقدر قيمة انتاجه السنوى بـ ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى ٠ وتسيطر عليه مجموعتان : مجموعة الشركة الانجلو امريكية (وهى فرعللشركة الانجلو امريكية لجنوب افريقيا) ومجموعة روان سيلكش ترست التى تملك ٤٣ فى المائة من اسهمها شركة اميركان ميتال كليماكس فى نيويورك ٠ وتقدر استثمارات المجموعتين فى زامبيا بحوالى ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى ٠ وتقدر ارباحهما السنوية بـ ١٠٠٠ مليون دولار ٠

ويقدر المراقبون الافريقيون بشكل خاص ، دعوة الرئيس كاوندا لاعضاء **حزب الاستقلال الوطنى** [الحزب الواحد الحاكم] ، « بتعبئة الجماهير وادراك أن هناك حربا اقتصادية حقيقية قد بدأت بكل ضراوة ضد زامبيا بعد التأميم » ٠ وأضاف ان « امريكا وبريطانيا » تقودان هذه الحرب ٠

ويرى الوطنيون الافريقيون ، انه بقدر تنظيم جماهير زامبيا وتعبئتها وبقدر احساسها بمدى انعكاس هذه المكاسب على رفع مستوى معيشتها ، وبقدر تمسك كاوندا بموقفه التقدمى من وطنيى انجولا وزيمبابوى وجنوب افريقيا ، وبقدر تلاحمه مع حركة الثورة الافريقية وتضامنه معها ـ انه بقدر ذلك كله ، بقدر ما سيتمكن مع حزبه وشعب بلاده من مواجهة المعركة السياسية والاقتصادية مع الاستعمار والاحتكارات العالمية ٠

■ **آسيا ـ اوربا الشرقية ـ الولايات المتحدة**

هل ينجح « الدولار » فيما فشل فيه « المدفع » ؟

أوضح بعض المعلقين السياسيين ان الهدف الاساسى لرحلة نيكسون الاسيوية هو التمهيد للموقف الامريكى فىالقارة بعدانتهاءحرب فيتنام ٠ وبالتأكيد فهناك صلة منطقية بين ما أشارت اليه وكالة الانباء الفرنسية فى ٢٥ يوليو الماضى عن « اعتقاد نيكسون بأنه « منذ الان وحتى نهاية هذا القرن يحتمل جدا أن يكمن الخطر الاكبر الذى سوف يهدد السلام العالمى فى المحيط الهادى ، وأن الصين الشعبية تزيد من طاقتها العسكرية ومن ثم يتعين ايجاد حللهذه المشكلة» . صلة منطقية بين ذلك وبين رحلة نيكسون الاسيوية ، وقد أشارت الوكالة المذكورة الى أن هذا الامر سوف يبحثه الرئيس نيكسون فى رحلته .

واذا كان الاتحاد السوفيتى قد قدم فى ١٠ يوليو الماضى على لسان « ليونيد بريجنيف » و « **أندريه جروميكو** » ، اقتراحا بتجميع ماسمى بالدول « غير المنحازة » ابتداء من ايران حتى بورما « داخل نظام للامن الجماعى » ، مؤداه حسبما يرى بعض المعلقين السياسيين خلق منطقة حاجزة على الجانب الجنوبى للاتحاد السوفيتى تقف فى وجه الكتلة الامريكية والتهديدات الماوية ، فقد أعاد الاتحاد السوفيتى مع وصول نيكسون الى الفلبين ذكر هذا الاقتراح فى صحيفة الازفستيا السوفيتية **وحذر الدول التى سيزورها نيكسون ولا سيما الهند من الامبريالية الامريكية والمؤسسة العسكرية اليابانية الناشئة ، وكذلك من تلك الذريعة الزائفة التى يسمونها « بالتهديد الشيوعى »** ٠

استقبال ساخن فى الفلبين

وقد وصل نيكسون فى بداية رحلته الى **الفلبين** فى جو متوتر ، اذ جرت قبل وصوله بعدة أيام عملية اعتداء بالقنابل على عدد من المؤسسات الامريكية فى مانيلا ، وأعلنت قوات الامن فيها فى البداية أنها أحبطت مؤامرة لاغتيال الرئيس الامريكى نيكسون فى معركة دارت مع ستة رجال اشتبه أنهم من الشيوعيين قرب فندق « أنتر كونتنتال » وقتلت أحدهم ، ولكنها أنكرتبعدذلك صلة الحادث بمحاولة اغتيال نيكسون ٠ وكانت اللافتات التى تنتظر نيكسون فى مانيلا تكرر شعارات مثل « مرحبات » و « خذ بيدنا نحن أيضا الى القمر » الخ ٠ والحقيقة انه كان على نيكسون

قبل بدء محادثاته مع الرئيس ماركوس فى مانيلا أن يختار بين طريقين : أحدهما انسحاب أمريكا من آسيا والاكتفاء بلعب دور متواضع مثل دور فرنسا وبريطانيا وهولندا كما قال للصحفيين ، والثانى هو قيامها بمجرد انتهاء حرب فيتنام بدور كبير فى آسيا « التى تملك زمام أمورها ، والمتحررة من كل تدخل خارجى » حسب تعبيره . وقد أشارت وكالات الانباء الى أن نيكسون اختار السياسة الثانية وأن محادثاته مع الرئيس ماركوس فى الفلبين دارت حول تنظيم « آسيا الغد » هذه . وقد كلف نيكسون ، وليام روجرز وزير خارجيته بمهمة مماثلة فى اليابان وكوريا الجنوبية وفورموزا واستراليا ونيوزيلندة » . وقد أشار بعض المعلقين السياسيين الى أن نيكسون قام بمجهود خاص لاقناع الرئس الفلبينى بأهمية الانسحاب الامريكى من فيتنام ، وبخاصة ان الفلبين هى وتايلاند قدمتا تضحيات غير بسيطة من أجل الموقف الامريكى فى فيتنام بالاشتراك فى الحرب الفيتنامية نفسها .

وقد جرت اثناء محادثات نيكسون مع الرئيس الفلبينى مظاهرة معادية للولايات المتحدة تضم عدة مئات من الطلبة ، كانوا يحملون فيها لافتات كتب عليها « أرسلوه الى القمر » (يقصدون نيكسون) ، « وماذا أيضا بعد فيتنام يانيكسون ؟ » وأحرق المتظاهرون العلم الامريكى وداسوا رماده بالاقدام ، واتهموا الولايات المتحدة باستخدام الغازات السامة . ووزع الطلبة والفتيات بيانا بتوقيع مجلس طلبة جامعة الفلبين أدانوا فيه العلاقات الخاصة بين الفلبين والولايات المتحدة . وطالبوا بجلاء كتيبة الفلبين عن فيتنام واتهموا الامريكيين باستخدام قواعدهم فى الفلبين لتخزين الاسلحة الكيميائية . وقد شنت وكالة أنباء الصين الجديدة فى ذلك الوقت حملة على نيكسون الذى أطلقت عليه « زعيم عصابة الاستعماريين » ، وعلى المعاهدات غير المتكافئة والاتفاقات العسكرية التى فرضتها الولايات المتحدة على الفلبين » . ومما هو جدير بالذكر أن الشباب الفلبينى من حركتى « النضال من أجل القومية » : و « حركة الشباب الوطنى » التى تصفهما وكالات الانباء بأن لهما ميولا مناهضة للولايات المتحدة قد شاركوا فى هذه المظاهرات .

وقد أوضحت المصادر الرسمية فى مانيلا أن مشكلة تجديد اتفاقية لوريل لانجيلسن التى تنظم حتى عام ١٩٧٤ العلاقات التجارية بين الفلبين والولايات المتحدة قد تصدرت محادثات الرئيسين . كما تناول الرئيسان الوضع القانونى للقواعد الامريكية التى يطالب بعض الفيليبيين باخضاعها للرقابة المدنية الفليبينية . وقد أوضح الرئيس « ماركوس » فى حفل عشاء أقيم فى مقر « مالاكانانج » اثناء زيارة نيكسون أن الفلبين لا تطالب فى المجال الاقتصادى بالمساعدات المباشرة بقدر مطالبتها بمزيد من الاستثمارات والابقاء على التفضيلات التجارية . وأوضح أنه فى مجال الامن العسكرى « على البلاد الاسيوية أن تتحمل بنفسها مسئولية أمنها الداخلى وأن تحاول انشاء اتفاقات اقليمية من أجل تأمين دفاعها المشترك ، فى حماية المظلة النووية الامريكية » .

ماذا يراد بأندونيسيا ؟

أما زيارة نيكسون لاندونيسيا فقد كانت أول زيارة يقوم بها هناك رئيس أمريكى . وعقد أثنائها اجتماع بين وليام روجرز وآدم ماليك وزير خارجية أندونيسيا ، تناولا فيه العلاقات بين الشرق والغرب فى ضوء اقتراح بريجينيف « بالامن الجماعى » فى آسيا ، والمشكلات المتعلقة بالبلدين مثل الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية وتأجيل ميعاد سداد القرض المقدم من الولايات المتحدة لاندونيسيا . وبمناسبة الزيارة أشار عدد من المعلقين السياسيين الى أن واشنطن تنظر الى اليابان وأندونيسيا باعتبارهما دعامتى سياسة الولايات المتحدة فى مرحلة مابعد فيتنام ، وأن جهود نيكسون ربما توجه فى الحقيقة الى مساعدة اندونيسيا على ايجاد توازن فى مواجهة التهديد الذى قد ينجم عن احتكار اقتصادى وصناعى وربما عسكرى تقوم به اليابان فى آسيا . وقد أشار نيكسون فى حفل العشاء الذى أقامه الرئيس « سوهارتو » فى مقر ميرديكا مساء ٢٧ يوليو الماضى الى « رغبة الولايات المتحدة فى أن تحافظ على وجودها فى آسيا بعد حرب فيتنام عن طريق المساعدات الاقتصادية ، لا عن طريق الوسائل العسكرية » ، وهذه الاشارة تلقى الضوء على التكتيك الجديد للولايات المتحدة فى آسيا ، بخصوص استخدام مواردها المالية .

ويرى المراقبون السياسيون أن أهم الموضوعات التى ناقشها نيكسون وسوهارتو كانت الطريقة التى يمكن أن تلجأ اليها الولايات المتحدة للمساعدة على التنمية الاقتصادية فى أندونيسيا .

ومما هو جدير بالذكر أن وكالة أنباء الصين الجديدة قدمت حينذاك فى ٢٨ يوليو الماضى تعليقا على زيارة نيكسون لاسيا أوضحت فيه « أن الرحلة التى يقوم بها نيكسون فى الدول الاسيوية فى الوقت الحاضر ليست سوى محاولة لاقامة تحالف عسكرى جديد ضد الصين » . وأشارت الى أن نيكسون فى تصريحه الذى أوضح فيه « مواصلة الولايات المتحدة من جانبها القيام بالتزاماتها فى آسيا » « انما يحاول به اخفاء سعى الامبريالية الامريكية لاقامة تحالف عسكرى جديد ضد الصين

والشيوعية والشعوب التى حصلت على استقلالها وتوسيع نطاق عدوانها ضد آسيا وتطبيق الاستراتيجية المناهضة للثورة التى تقوم على اساس جعل الاسيويين يحاربون الاسيويين بصورة ملتوية » .

ملسكيون أكثر من الملك

وفى تايلاند وهى المرحلة الثالثة من رحلة نيكسون أكد البوليس أنه عثر على منشورات معادية للامريكيين فى ضواحيها . كما القى أحد المواطنين بزجاجة فى اتجاه عربة نيكسون وهو يطالب الامريكيين « بالعودة الى بلادهم » ، كذلك قام عدد من الفدائيين بالهجوم على القاعدة الجوية فى « ايبول » شمال شرقى تايلاند فجرحوا حارسا امريكيا ، واصابوا طائرتين وجهاز رادار . وقد أشار أغلب المراقبين السياسيين الى أن نيكسون بذل جهوده لطمأنة حكومة تايلاند عن نتائج انسحاب أمريكا من فيتنام ، ووعدها بزيادة جوهرية فى المعونة العسكرية لتعويض سحب جزء كبير من القوات الامريكية المرابطة فى تايلاند . والمعروف أن قادة القوات المسلحة التايلاندية يطالبون بطائرات هليكوبتر وعربات نقل وزوارق مدرعة ، كما طلبت آلاف البنادق الاوتوماتيكية من طراز م ١٦ . وقد أعلن نيكسون لتهدئة خواطر الحكم المناصر فى تايلاند « **أن القوات الامريكية ستواصل مهمتها فى تايلاند وهى احتواء الخطر الشيوعى فى هذا الجزء من العالم** » ، **وبخاصة أن عددا من الخبراء الاستراتيجيين الامريكيين قد أشاروا أخيرا الى أن خط الدفاع عن آسيا يجب أن يبدأ من تايلاند لا من فيتنام** .

أما فى فيتنام فقد استقبل الفيتناميون فى سايجون دون دهشة يوم ٣٠ يوليو الماضى نبأ قدوم نيكسون اليها . وقال رجال من سايجون حسبما أشارت وكالات الانباء « لقد جاء نيكسون ليعلن للرجل المشرف على الموت أنه يحتضر » . وقد استغرقت زيارته لسايجون ٥ ساعات . وصرح المتحدث باسم الحكومة الثورية المؤقتة فى باريس يومها « **أن الهدف من رحلة نيكسون الى سايجون هو محاولة رفع الروح المعنوية للقوات الامريكية وحكومة سايجون** » ، وانها « تظهر بوضوح لشعب فيتنام الجنوبية تصميم حكومة نيكسون على مواصلة العدوان فى فيتنام الجنوبية ، والمحافظة على حكومة ثيو — كى — هوونج العميلة الدكتاتورية العدوانية الفاسدة » ولم تقدم وكالات الانباء أية تفصيلات عن الفترة التى قضاها فى سايجون فى جو من التكتم والحذر البوليسى والعسكرى .

فى القارة الهندية

اما الهند التى وصل اليها نيكسون فى ٣١ يوليو الماضى فقد ركز فيها وكذلك فى الباكستان فيما بعد على معرفة ردود فعل الحكومتين الهندية والباكستانية بشأن مقترحات بريجينيف الخاصة بعقد ميثاق « للامن الجماعى » فى آسيا ، كما بحث مع « **أنديرا غاندى** » مشروعات التعاون الاقليمى والاحتمالات البعيدة المدى بالنسبة للاقتصاد الهندى . ومما هو جدير بالذكر أن الاوساط المسئولة فى الحكومة الهندية قد أشارت عشية زيارة نيكسون للهند الى أن الخطر على جنوب آسيا لا ينجم عن تهديدات العدوان من الخارج بقدر ماينجم عما أسموه « بالتخريب من الداخل » . وقد أكدت وكالات الانباء اشارة أنديرا غاندى لنيكسون عن « أن الاحلاف العسكرية لايمكنها أن تكون ذات أثر فعال ضد التخريب الداخلى الذى يبدو فى الهند أخطر من التعرض للتدخل المباشر » .

وقد عقد تنظيم « الجبهة المتحدة » وهو الائتلاف الوطنى الذى يسيطر عليه الشيوعيون الحاكمون فى البنغال الغربية ، اجتماعا ضم ٥٠ الفا من مؤيدى الجبهة ضد زيارة نيكسون للهند ، طالبوا فيه « برحيل نيكسون القاتل » ، و « خروج الولايات المتحدة من فيتنام » ، كما تظاهرت عدة مئات من الطلبة أمام قنصلية الولايات المتحدة ومركز استعلاماتها وهم يهتفون هتافات معادية للرئيس الامريكى والولايات المتحدة .

وقد أوضحت انديرا غاندى لنيكسون فى مباحثاتهما — حسبما اوضحت وكالات الانباء — « أن موقف الهند لن يؤثر عليه كثيرا حكم الشيوعيين لفيتنام ، فالامر يتعلق بشكل أو بآخر بنوع الشيوعية التى ستقوم فى هذا البلد ، وأبرزت أن هناك نوعا من الايديولوجية الشيوعية التى تتقدم نحو التحرر » . ملمحة بذلك الى الخلاف الصينى — السوفيتى . وكان الموضوع الثانى الذى ناقشته أنديرا غاندى مع نيكسون هو الامن فى جنوب شرقى آسيا . وقد قالت أنديرا بصدده أن الولايات المتحدة طمأنت الهند بأنها لن تتهاون فى انتهاك أية دولة كبرى للحدود الدولية المعترف بها . ومع أن الهنود يرفضون رسميا المظلة النووية الامريكية الا أنهم يدركون جيدا أنه اذا وقع تهديد بهجوم ذرى فى هذه المنطقة فان النزاع سيتخذ أبعادا دولية ، ولكن الهنود لايعتقدون على أية حال — حسبما أشارت عديد من وكالات الانباء — الى احتمال تعرضهم لخطر وقوع عدوان نووى عليهم من جانب الصين .

وقد اتفق الجانبان الهندى والامريكى على استبعاد امكانية حدوث وساطة أمريكية بين الهند وباكستان . كذلك فمن الواضح أن الولايات

المتحدة لن تتخذ فى المستقبل القريب قرارا بشأن احتمال استئناف تسليم صفقات الاسلحة للباكستان هذه الصفقات التى كانت قد توقفت منذ النزاع الذى نشب عام ١٩٦٥ ٠

أما فى باكستان فقد أشار بعض المراقبين الى ان مسألة تزويدها بالاسلحة كانت هى المحور الاساسى للمحادثات بين نيكسون والرئيس **يحيى خان ٠ اذ** ترى باكستان أن قرار حظر ارسال الاسلحة للهند وباكستان انما يفيد باكستان أكثر مما يفيد الهند بسبب اعتماد الجيش الباكستانى اساسا على التسليح الامريكى ، الامر الذى يقلل بين فرص اعتماده بشكل واسع على التسليح السوفيتى أو الصينى ٠ وترى باكستان أيضا أن الهند تتوافر لها مصادر للتسليح لا تتوافر للباكستان ، وبخاصة من صناعتها الثقيلة القادرة على الوفاء بجزء كبير من احتياجات الهند ، وعلى أية حال فلم تظهر بشكل واضح النتائج التى توصلت اليها محادثات نيكسون ـ يحيى خان وان كان المعتقد هو استبعاد استئناف الولايات المتحدة لارسال الاسلحة اليها كما ذكرنا سالفا ٠

وباختتام نيكسون لزيارته فى رومانيا ، انتهت رحلته فى آسيا ورومانيا التى قطع خلالها ٤٠ر٠٠٠ كيلومترا ، واستغرق ٥٠ ساعة طيران ٠ واذا كان نيكسون قد حاول خلال رحلته توطيد نفوذه فى أندونيسيا ، باعتبارها الدعامة الجنوبية لسياسة الولايات المتحدة الاسيوية ، بالاضافة الى اليابان كدعامة شمالية لهذه السياسة ، واذا كان خطط لاستغلال موارد الولايات المتحدة الاقتصادية لدعم نفوذها فى آسيا فى فترة « مابعد حرب فيتنام » على حد تعبيره ، واذا كان قد عمل جاهدا على عزل الصين وتأثيرها عن آسيا ، حسبما صرح هو بوضوح من « أن كل مانريده هو أن تبقى الصين معزولة » ، اذا كان قد قام بكل ذلك وغيره من الجهود السياسية فان تصريحه الذى أوضح فيه « أنه لن يحدث على الاطلاق أن تتواجه فرق مشاة أمريكية للدفاع عن دولة يتهددها التخريب الداخلى أو الخارجى فى آسيا » وأنه مستعد اساسا « لتقديم مظلة نووية لجميع الدول الصديقة لامريكا فى آسيا » ، انما يوضح أن الولايات المتحدة تلجأ على هذا النحو الى استخدام سلاح غير مرن فى الدفاع عن مصالحها الاستعمارية فى آسيا ، ذلك لان هذا السلاح النووى لايمكن استخدامه بسهولة فى اى اصطدامات تكتيكية فى القارة ٠

وعلى أية حال فان التعليق الذى قدمته صحيفة « الايمانيتيه » الفرنسية فى ٢٨ يوليو الماضى على رحلة نيكسون تحتفظ بكل مغزاها ، اذ قالت الايمانيتيه : « **ان رحلة نيكسون الحالية فى آسيا هى مثل رحلته التى قام بها الى اوربا الغربية فى الشتاء الماضى ، تتم أساسا وبلا شك بوحى من رغبته فى علاج أزمة التحالفات الامريكية والصعاب والفشل الذى تعانيه الاستراتيجية الامريكية ، وأنه مهما كانت براعة دعاية نيكسون ، فانه لن يستطيع أن يفلت طويلا من ضرورة اعادة النظر بعمق فى سياسة الولايات المتحدة فى آسيا** » ٠

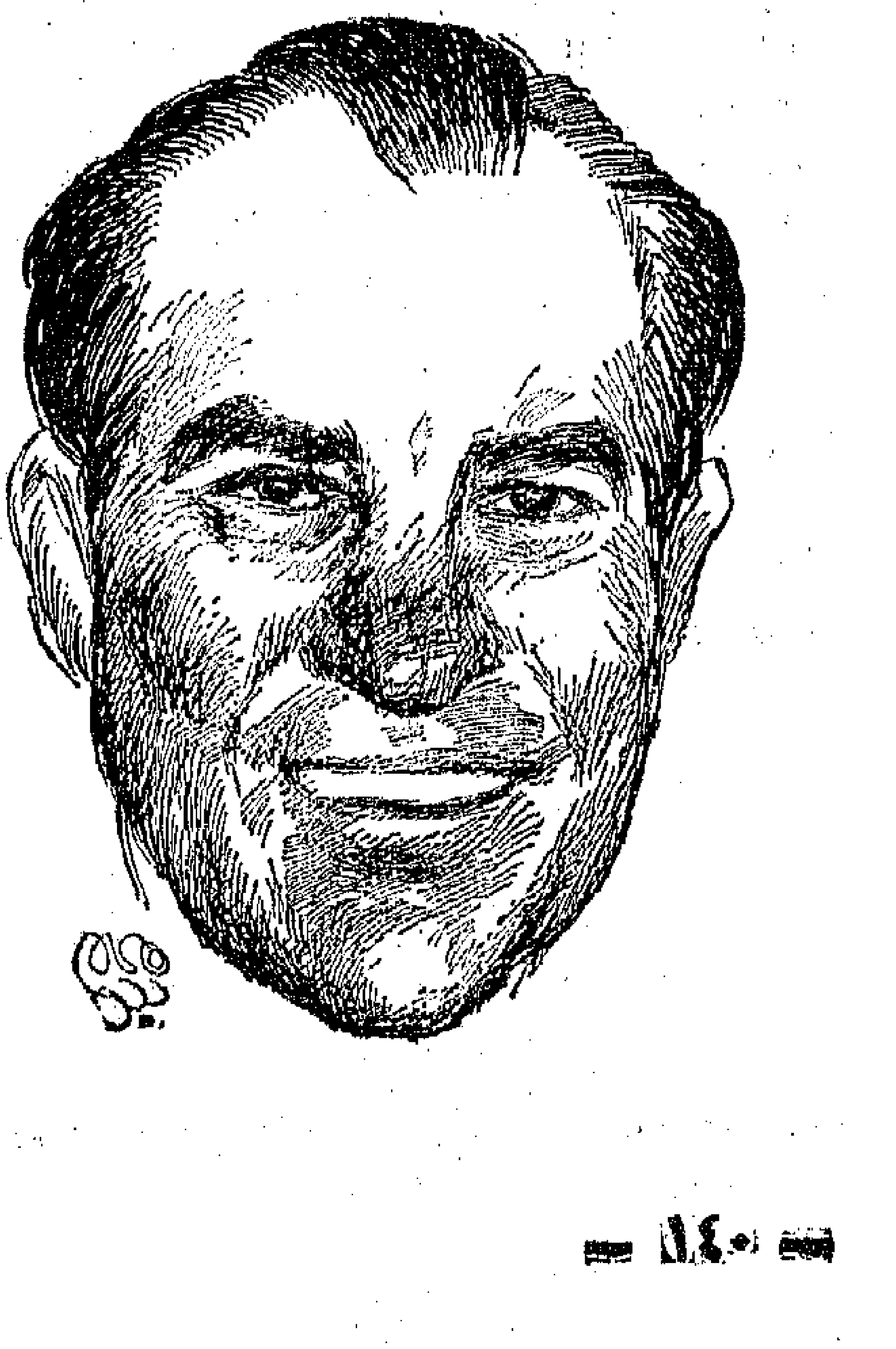
■

■ **الولايات المتحدة الامريكية**

أخطار موت مفاجىء قبل نشب الحرب

أعلن متحدث بأسم وزارة خارجية المانيا الديمقراطية « أن حكومة بون قد طالبت بصراحة بتخزين الغازات السامة الامريكية فوق اراضيها وهى تطالب بزيادة كمية الغازات المخزونة بالاضافة الى ٦٠٠٠ رأس ذرى أمريكى موجودة على أراضيها » .

ومن المعروف أن العسكريين الالمان كانوا هم أول من استخدم الغازات السامة فى الحروب وذلك فى عام ١٩١٥ ، وفى الوقت الحالى تقوم المانيا الغربية ـ كما أكد د ٠ ايرنفريد تيراس مدير المعمل بمعهد الأيروبيولوجى بجرانشافت بالمانيا الغربية



بانتاج الاسلحة الكيميائية والبكتريولوجية ، وأجراء تحضيرات للاستخدام المركب للاسلحة الذرية والكيميائية . ويذكر الدكتور تيواس أن جراما واحدا من سم البوتولنيوس يكفي لقتل مليون انسان . كما يساهم ١٢ خبيرا عسكريا من المانيا الغربية في شئون الحرب البيولوجية والكيميائية في الحرب العدوانية الامريكية ضد شعب فيتنام .

ومن ناحية أخرى أعلن ميلفين ليرد وزير الدفاع الامريكي أن **البنتاجون سوف يتمكن من مواصلة برنامجه الخاص بالاسلحة الكيميائية والبكتريولوجية** رغم « القيود » التي وضعها مجلس الشيوخ والتي تقضي بأن تخضع اعتمادات انتاج هذه الاسلحة لموافقة خاصة من الكونجرس وأن تخضع الاختبارات التي تجرى عليها في الجو لموافقة رئيس الخدمات الصحية .

ومنذ أكثر من ثماني سنوات وثوار فيتنام يقومون الدليل تلو الدليل للرأي العام العالمي — في وجه مكابرة أمريكية — على استخدام الولايات المتحدة للغازات والكيماويات السامة في حروب فيتنام ، وفجأة اذاعت **وكالة رويتر** برقيتها الشهيرة بتاريخ ١٢ يناير ١٩٦٦ ، جاء فيها :

« **روبرت بوتل** ، جندي استرالي من ابناء مدينة سيدني ، عمره ٢٤ سنة ، يحارب مع الاستراليين الذين أرسلتهم حكومتهم للقتال في صف الامريكيين ضد الثوار في فيتنام الجنوبية . مات اليوم متأثرا بالغازات السامة رغم أنه كان يضع القناع الواقي على وجهه . لقد اشترك بوتل في هجوم ضد السكان في منطقة تقع شمال غربي سايجون ، وكان القتيل يستخدم الغازات في الهجوم الذي اشترك فيه ، فأصيب بها هو نفسه ، كما أصيب جنديان آخران اقتربا منه لنجدته .. وقد أصيب ستة جنود آخرين وتم نقلهم الى المستشفى .

ومن الملاحظ أن برقية رويتر لم تضع حدا بالطبع للجريمة الامريكية في فيتنام ، بل ووجهت بتصريحات المسئولين الامريكيين بأنه لا يوجد ما يمنع أمريكا دوليا من استخدام هذه الاسلحة ما دام الكونجرس الامريكي لم يصدق على معاهدة جنيف لعام ١٩٢٥ . الا ان البرقية اثارت انتباه الشعب الامريكي الى حقيقة ان ابناءه أنفسهم ، يستخدمون هذه الاسلحة الغازية معرضون هم أنفسهم لان يقتلوا بها .

ويشير الصحفي الشهير **سيمور هيرش** الى ان عدد اصابات العمل في هذه القواعد يعتبر سريا ولكن تقريرا واحدا على الاقل أشار الى وقوع ١٢١٨ حادثا في قاعدة فورت ديتريك و ٩٠٠ حادثة في قاعدة جبال روكي وقد تكشفت حقائق خطيرة منها

١ — ان القيمة الاجمالية لما ينفق على هذه الابحاث تعد من أسرار الدولة ، ولكن ميزانيتها زادت من ١٠٠ مليون دولار سنة ١٩٦١ في عهد ايزنهاور الى ٣٠٠ مليون دولار سنة ١٩٦٤ في عهد كيندي ، ثم أسدل عليها ستار من السرية .

٢ — ان نصف ميدانية حرب الجراثيم والكيماويات على الاقل تذهب الى أصحاب الشركات الخاصة في الشبكة العسكرية — الصناعية وعلى رأسها مراكز الابحاث في شركات جنرال ميلز ، جنرال اليكتريك ، جنرال ديناميكس ، صناعات ليتون ، وبيونت ، وستنجهاوس ، وآرثر ليتل .. وغيرهم .

٣ — انه على الرغم من ادعاء البنتاجون للصحفيين أن الابحاث التي تجرى في الجامعات ليس لها صفة السرية وتختص معظمها بالبحث عن وسائل للتطعيم واكتشاف الامراض ، اثبتت مراجعة عقود البنتاجون مع هذه الجامعات أن معظمها يتعلق بابحاث سرية تدور حول اسلحة هجومية ، ومن ذلك :

● الدراسة التي قامت بها جامعة ويسترن بكليفلاند حول « الاوجه المختلفة لامتصاص الجلد البشري لبعض المواد البيولوجية النشطة » .

● والدراسة التي قام بها معهد ستانفورد للابحاث بكاليفورنيا حول الرش الكيميائي « بالايروسول » .

● دراسة جامعة رانجر — ميجيشن عن « الامزجة والمركبات الكيميائية ذات التأثير النفساني الفعال للاستخدام كعوامل للاصابة بالشلل ومنع الحركة » .

● ثم الدراسة التي قامت بها احدى الباحثات وحصلت بمقتضاها على نيشان ميدالية الخدمة الممتازة (أي نيشان يمنحه الجيش للمدنيين) لتطوير نوع من الطفيليات قادر على اتلاف محصول الارز بالكامل .

ورغم ان « لجنة النزاهة الاكاديمية » أعلنت احتجاجها على تكليف الجامعات بالقيام بهذه الابحاث « وفي سرية تجعلها غير خاضعة للنقد الاكاديمي » وأن هذا يفسد الحقل العلمي في البلاد ، بأن البنتاجون واصل بحوثه السرية الخطيرة .

وقد تقدمت جمهورية **المجر الشعبية** بتاريخ ٧ / ١٩٦٦/١١ بمشروع قرار في اللجنة السياسية الاولى للجمعية العامة التي تبحث نزع السلاح يدعو الى استنكار شن الحرب الكيماوية أو حرب الجراثيم باعتبارها جريمة دولية ، وطالبت بتطبيق بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ بشأن منع استخدام الغازات السامة والاسلحة الكيميائية والبكتريولوجية التي تضر البشر أو وسائل معيشتهم ، الا ان المندوبين الامريكي والبريطاني ناورا لركن الموضوع .

وفي الفترة الاخيرة بدأت تتجمع ظواهر متزايدة

على أن البنتاجون لا يعد للحرب الكيمائية والبيولوجية في الولايات المتحدة وحدها بل وفى كل قواعده فيما وراء البحار ، وخاصة فى اليابان والمانيا الغربية • ففى عام ١٩٦٨ ظهرت اعراض غريبة على ٢٦٧ تلميذا يابانيا ذهبوا الى الاستحمام فى مياه المحيط الهادى قرب احدى القواعد الامريكية ، وبعدها بقليل اكتشف الاهالى على شاطىء نهر الراين الذى يشق مجراه أراضى ثلاث دول أوروبية هى هولندا والمانيا وسويسرا موت ملايين الاسماك التى تعيش فى الراين جرفها التيار الى الشواطىء جثثا متعفنة واتضح بعد التحقيق والفحص ان الامر ناتج من موادسامة القيت فى النهر • ثم كان حادث تسمم ٢٤ جنديا أمريكيا فى قاعدة أوكيناوا الامريكية باليابان هو الشرارة التى اشعلت غضبة الشعب اليابانى ونبهته الى وجود مستودعات كبيرة تعد بالمئات عبئت فيها كميات هائلة من الغازات السامة وغازات الاعصاب القاتلة موجودة فوق أرضه ، وتهدده بموت مؤلم مفاجىء حتى قبل نشوب أى حرب . **واتضح أن البنتاجون يقوم بتصدير هذه الاسلحة البشعة الى الدول الخاضعة له دون ما استشارة لهذه الدول ، أو استشارة لجنة الدفاع فى الكونجرس الامريكى . كما اتضح أيضا أن كلا من بريطانيا والمانيا تقومان بانتاج هذه الاسلحة وتخزينها •**

وقد اذاع **يوثانت** السكرتير العام للامم المتحدة بيانا مطولا أعده عدد من العلماء والمستشارين عن الاثار الخطيرة بصفة خاصة التى تترتب على استخدام الاسلحة الكيميائية والبكتريولوجية • كما تقدم الاتحاد السوفيتى باقتراح الى لجنة نزع السلاح بجنيف لحظر هذه الاسلحة حظرا تاما • ومن جديد عاد المندوب البريطانى الى المناورة مقترحا أن تقتصر المناقشة على حظر الاسلحة البكتريولوجية وحدها وارجاء مناقشة وسائل الحرب الكيماوية مما يعتبر فى حد ذاته تراجعا عن بروتوكول جنيف الذى وقعته بريطانيا ، ومحاولة تشريع الوسائل الكيميائية للحرب مما ينفق تماما مع نوايا الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها فى أوروبا والشرق الاقصى والادنى

■

■ **فرنسا**

تخفيض الفرنك •• خطوة اطلانطية ؟

كان تخفيض الفرنك الفرنسى عملية ناجحة تماما من الناحية الفنية الخالصة . فقد اتخذ القرار فى ١٦ يوليو ، أى فى نهاية الشهر الاول من رياسة جورج بومبيدو ، ولكنه لم يعلن الا فى اغسطس •• وكان اختيار وقت الاعلان موفقا . فهو ذروة موسم الاجازات السنوية ، حيث يكون عدد كبير من الشركات معطلا تماما ، ويكون معظم رجال المال والمضاربون على شواطىء البحار • ونجح التكتم الشديد الذى أحاط بالقرار فى ايهام الجميع بأن موضوع التخفيض مؤجل كله الى الخريف القادم .

ولكن **هذا النجاح الفنى** لا يعنى بالضرورة نجاح العملية اقتصاديا • **فمن المعروف أن السبب الاساسى فى تخفيض قيمة الفرنك هو العجز فى ميزان المدفوعات الفرنسى** • ويرجع هذا العجز فى المقام الاول الى ارتفاع اسعار الصادرات الفرنسية مقارنة بمثيلاتها فى دول السوق الاوروبية المشتركة مما ترتب عليه زيادة واردات فرنسا ونقص صادراتها • والمفروض أن التخفيض فى قيمة الفرنك يؤدى الى تخفيض أسعار الصادرات الفرنسية بنفس النسبة وهى ١٢٫٥ فى المائة • وفى تقدير **جيسكار ديستانج** وزير المالية الفرنسية أن هذا القدر من الانخفاض يكفى لتنشيط حركة التصدير ، ولكن هذا التقدير محل شك ، فسبب ارتفاع الاسعار فى فرنسا هو أن الاحتكارات الفرنسية قد رفعت بالفعل اسعارها بنسبة ١٥ فى المائة فى خريف سنة ١٩٦٨ لتلغى مفعول الزيادة فى الاجور التى حصل عليها العمال عقب اضرابات مايو ويونية من ذلك العام • أى أن مفعول تخفيض قيمة الفرنك قد استنفد سلفا • ومن ناحية أخرى سيؤدى التخفيض الى مزيد من ارتفاع الاسعار • فتكرار عمليات التخفيض فى فرنسا فى ربع القرن الاخير جعل المنتجين واعين تماما بآثاره ، يعملون مباشرة على تلافيها • كما أن تخفيض الفرنك يعنى ارتفاع اسعار الواردات • وفى ظروف السوق الاوروبية المشتركة تدخل الواردات من دول تلك السوق فى انتاج كثير من المنتجات الفرنسية • وهذا ليس يعنى ارتفاع تكاليف الانتاج فى تلك الصناعات ، وبالتالى ارتفاع اسعارها • وقد سارعت الحكومة الفرنسية باصدار قرار بتجميد الاسعار لمدة شهر ، ولكن فعالية مثل هذا القرار مشكوك فيها تماما ، فالدولة لا تملك الجهاز الذى يمكنها من فرض رقابة فعالة على مجموع الاسعار فى فرنسا •

على أن التعقيد الاساسى فى الموقف مصدره النتائج الاجتماعية للتخفيض • ذلك أنه يعنى خفض القوة الشرائية للاجور فورا • ففى ظل التسهيلات الجمركية السائدة فى السوق المشتركة ، تدخل السلع المستوردة من دول تلك السوق بنسبة لا يستهان بها فى استهلاك فئات واسعة من العاملين • واسعار تلك السلع ترتفع فورا بنسبة تخفيض العملة • ومن ناحية أخرى رأينا أن الاسعار الفرنسية نفسها سترتفع وتضعف

بالتالى القوة الشرائية للاجور ٠ فاذا قدرنا ان الاتحادات النقابية تشكو منذ الربيع الماضى من ان ارتفاع الاسعار قد ذهب بالفعل بمعظم آثار زيادة الاجور التى حصل عليها العمال فى يونية سنة ١٩٦٨ ، وان هذه الازمة الاجتماعية كانت من العوامل الحاسمة فى انسحاب ديجول ، قدرنا مدى حدة رد الفعل المنتظر فى الخريف القادم من جانب العمال . والواقع أن المشكلة هى من يتحمل عبء اعادة التوازن لميزان المدفوعات ؟ هل يتحمله الاحتكاريون من أرباحهم الطائلة ؟ أم يتحمله العمال وأجور غالبيتهم ما زالت قريبة من الحد الادنى للاجور ؟

واذا شهدت فرنسا موجة جديدة من الاضرابات ، فان هذا يعنى تعطيل الانتاج ونقص الصادرات وتجدد المضاربة على الفرنك ، وبالتالى تطرح من جديد مشكلة تخفيضه ٠

والامر الملفت للنظر من الناحية السياسية هو ان خليفة ديجول قد اتخذ فى هذا الموضوع الهام موقفا مناقضا لموقف الجنرال ٠ فمن المعروف أنه ابان أزمة الفرنك فى نوفمبر سنة ١٩٦٨ انعقد مؤتمر لوزراء مالية الدول الرأسمالية العشر الكبرى فى بون وأصدر توصية بتخفيض قيمة الفرنك ٠ ولكن **ديجول** رفض تلك التوصية وأصر على عدم المساس بالفرنك مهما كلف ذلك فرنسا . ويرجع ذلك الى أن الجنرال فى نضاله ضد السيطرة الامريكية كان يستهدف النيل من مركز الدولار كعملة دولية تحتفظ بها دول كثيرة كغطاء لعملاتها ٠ ومن ثم عمل على توطيد مركز الفرنك وتكديس كميات كبيرة من الذهب ، بشن حملة من أجل اصلاح النظام النقدى العالمى ليقوم على الذهب ، وليس على اساس الدولار والاسترلينى ٠ وبالطبع لا يمكن أن يزعم الفرنك القدرة على أن يكون عملة دولية اذا كانت قيمته عرضة للتخفيض من وقت لآخر . **ولهذا يبدو موقف بومبيدو وكأنه تسليم بمكانة الدولار وانسحاب الفرنك من المعركة** ٠ ويؤكد هذا المعنى نسبة التخفيض وهى ١٢٫٥ فى المائة . ذلك ان فرنسا لو قدرت نسبة تخفيض كبيرة (٢٠ فى المائة مثلا) لاحرجت مركز الاسترلينى ودفعته الى تخفيض جديد بعد تخفيض ١٩٦٧ مما يضع الدولار بدوره تحت ضغط شديد ٠ ولكن حكومة فرنسا لم ترغب اطلاقا فى شىء من هذا ٠

والواقع أن أمريكا وبريطانيا اقترحتا فى مؤتمر بون سنة ١٩٦٨ أجراء مزدوجا : رفع قيمة المارك الالمانى بنسبة بسيطة ، وتخفيض قيمة الفرنك بنسبة معتدلة ٠ وقد رفضت كل من المانيا وفرنسا آنذاك هذا الاقتراح ٠ ولكن يبدو أن **نيكسون** قد نجح فى اقراره فى نهاية الامر ٠ ففرنسا خفضت عملتها بالنسبة المطلوبة فى الوقت الذى دعا فيه **نيكسون بومبيدو** لزيارة أمريكا ٠ ويرى بعض المراقبين أن **كيسنجر** مستشار المانيا الغربية قد وافق اثناء زيارته لواشنطون على رفع قيمة المارك بعد الانتخابات المقبلة فى الخريف ٠ وهكذا يكون نيكسون قد نجح فى خطوة نحو توثيق التعاون الاطلنطى الذى عانى كثيرا فى ظل ديجول ٠

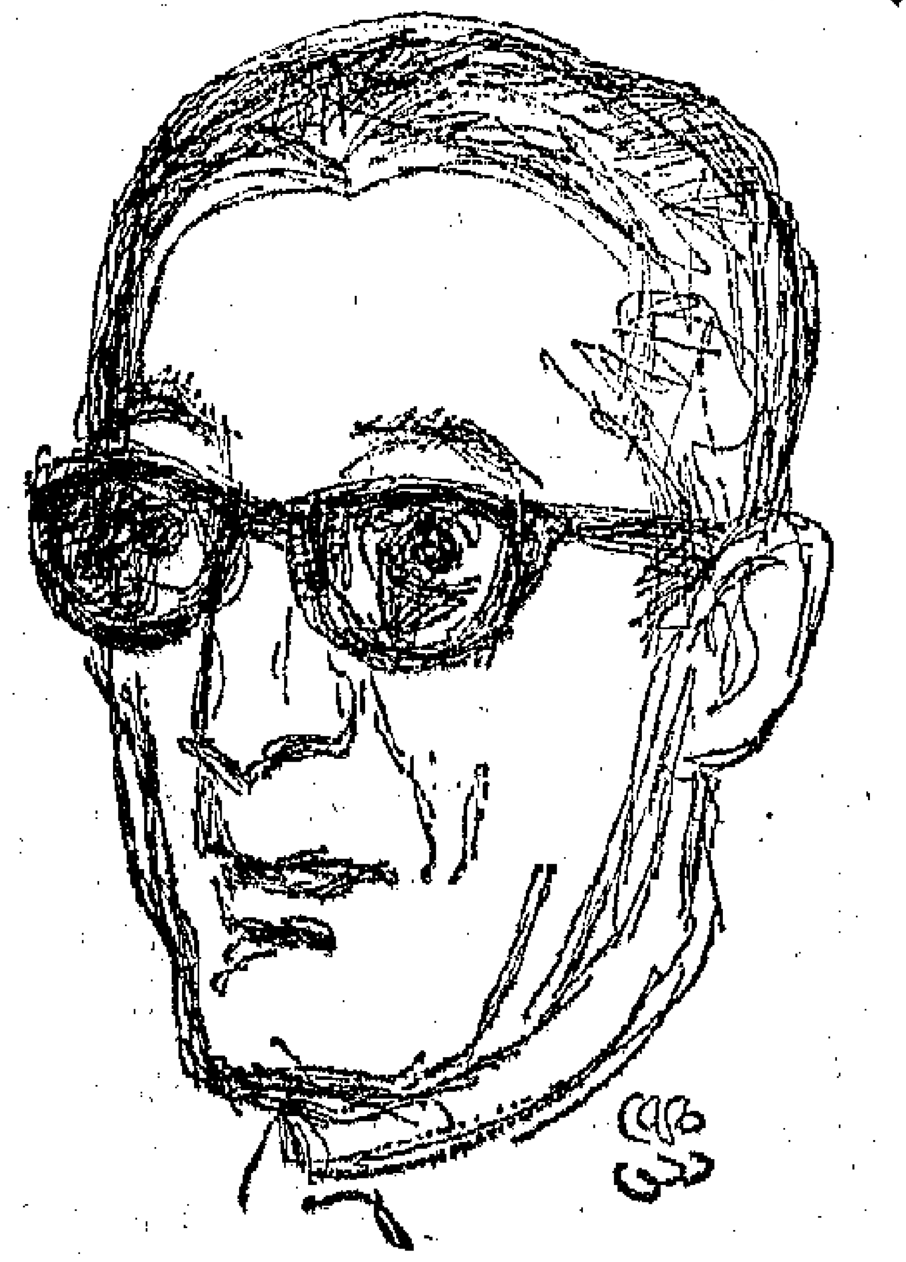
■

■ **سينما**

بدرخان .. رائد « دستورنا » السينمائى

ليس تاريخ السينما هو تاريخ الفن السينمائى فحسب ، وانما هو ايضا تاريخ الظاهرة الاجتماعية ، واذا كنا ندين فن الفيلم المصرى بالتخلف ، فهذا لا يعنى ان الفيلم المصرى لم يعد تلك الظاهرة الاجتماعية التى صنعتها البورجوازية لتعبر عن نفسها ، واذا كنا ندينه بعدم التعبير عن الواقع فهذا لا يعنى انه ليس جزءا من الواقع له مبررات وجوده . كما ان له مبررات استمراره وسيكون له مبررات نهائية .

واحمد بدرخان الذى ولد فى ١٨ اكتوبر عام ١٩٠٩ وتوفى فى ٢٣ اغسطس الماضى واحد من رواد الفيلم المصرى ، فقد كان بدرخان ضمن اول بعثة ارسلها **طلعت حرب** لدراسة السينما فى اوربا عام ١٩٣٤ ، كما كان صاحب أول كتاب عن السينما هو كتاب « السينما » الذى اصدره عام ١٩٣٦ والذى يعتبر بحق « دستور » السينما المصرية فى تاريخها كله ، ففى هذا الكتاب حدد بدرخان موضوع الفيلم المصرى ، والاسلوب الذى يجب تناول هذا الموضوع به والجمهور الذى يجب ان يتوجه اليه .



يقول بدرخان فى كتابه « **لوحظ ان القصة السينمائية (السيناريو) الذى يدور فى اوساط بسيطة كأوساط العمال والفلاحين يكون نجاحه محدودا ، لان السينما قبل كل شىء مبنية على المناظر ، وان الطبقة المتوسطة من الشعب — وهى السواد الاعظم من رواد السينما — لا تحب ان ترى العالم الذى تعيش فيه ، بل على العكس تطمح لرؤية الاوساط التى تجهلها وتقرأ عنها فى الروايات** » .

اما عن الاسلوب فيقول : « **الحركة هى السبب الاساسى لنجاح الافلام الامريكية وهى من أهم قواعد السيناريو ، ويجب ان نفهم الحركة فى ابسـط معانيها فهى الجـرى والقفز والمطاردة والقتال** » .

وبهذا المفهوم المحدد الواضح عمل بدرخان وعمل كل المخرجين المصريين ، وقد اخرج احمد بدرخان ٣٠ فيلما ، روائيا وفيلمين قصيرين ، كان اول فيلم له « **نشيد الامل** » عام ١٩٣٦ وآخر فيلم « **نادية** » انتهى منه منذ اسابيع قليلة ، والغالبية من افلام بدرخان افلام غنائية ميلودرامية ومن أهمها «**مصطفى كامل**» ١٩٥٣ و «**الله معنا**» ١٩٥٥ و « **سيد درويش** » ١٩٦٦ ، وقد تميزت افلامه عن غيرها من الغنائيات والميلودرامات بعدم الميل الى العنف كما فى افـلام يوسـف وهبى وحسـن الامام ■

■

■ ثقافة

بيان الجزائر ٦٩ : نقطة انطلاق نحو ثقافة أفريقية جديدة

خلال الفترة ما بين ٢١ و ٣١ يوليو ١٩٦٩ تم انعقاد المهرجان الثقافى الافريقى الاول بالجزائر . ويعد المهرجان أول مؤتمـر للفـكر الافـريقى على مستوى القارة ، بعد أن مهدت له وأكدت امكانية

يقظة الضمير الغربى على الشاشة المعاصرة

سمير فريد

« ان التنـاقض بين الغنى والفقر ، بين التخمة والجوع فى عالمنا المعاصر هو الذى دفعنى الى اخراج هذا الفيلم » ، بهذه العبارة أستقبل فنان السينما السـويدى الشاب بو ويدربرج فوزه بجائزة لجنة التحكيم فى مهرجان كـان هذا العام عن فيلمه «أدالين — ٣١ » .

ويدور فيلم « أدالين — ٣١ » من ثورة عمال السويد فى اول مايو عام ١٩٣١ ، تلك الثورة التى انطلقت من مدينة ادالين رافعـة الرايـات الحمراء فى ساحات المصانع الكبرى وفى شـوارع المدينة

ويمثل هذا الفيلم صورة من ظاهرة هامة فى السينما المعـاصرة يمكننا ان نطلق عليها « يقظة الضمير الغربى » ، وهى ظاهرة لا تنفصل عن الحدث الكبير الذى اعلنته المقاومة الفلسـطينية فى الشهر الماضى عندما قالت ان مايقرب من ١٥٠ شابا أمريكيا واوربيا قد انضموا الى المقاومة الفلسطينية . كما انهـا لاتنفصل عن ثورة الشـباب الاوربى فى العام الماضى ، تلك التى هزت القـارة النائمة على فراشها الوثير وكادت تحرق الفراش بمن عليه .

لقد ادرك الشباب الاوربى الثائر ان قارته قد شربت الخمر طويلا فى جماجم العالم الثالث ، وان عليهم مساندة هذا العالم الـذى بدأ ثورة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى .

ولاشك ان فيلم « معركة الجزائر » لفنان السينما الايطالى جيلو بونتيكورفو هو اول الافلام الهامة التى اعلنت عن مولد هذه الظاهرة فى السينما المعاصرة ، وقد فاز هذا الفيلم الذى يعبر ببراعة عن حرب التحرير الجزائرية بالجائزة الاولى فى مهـرجان فينيسـيا عام ١٩٦٦ ، وفى العـام التالى عـرض فى مهرجـان ليبزج للافلام التسـجيلية والقصـيرة بالمانيا الديمقراطيـة فيلم « بعيدا عن فيتنام » الذى اشترك فى اخراجه اعلام السينما الفرنسية المعاصرة الان رينيه وانييس فـاردا وجان لوك جودار وكلود ليلوش ، وعبروا فيه عن رفضهم للتدخل الامريـكى فى فيتنام ، وقد فاز الفيلم بالجائزة الثانية للافـلام التسجيلية الطويلة ■

تعليق

وقد شهدت الشهور الماضية من العام الحالى بعضا من نتائج ثورة الشباب فى العام الماضى متمثلة فى فيلم « كلكوتا » لفنان السينما الفرنسى لويس مال وفيلم « صنع فى السويد » لفنان السينمـا السويدى يوهان برجنسترال الذى ينتمى الى جيل ويدربرج صانع « أدالين — ٣١ » .

يقول لويس مال عن فيلمه « بعد رحلة قصيرة الى الهند عام ١٩٦٧ قررت العودة مع مصور ومهندس صوت فى محاولة لرؤية واقع الهند . ولما كان من الغرور الادعاء باننى استطيع شرح هذا الواقع المعقد ، فقد فضلت ان يكون الفيلم من خلال وجهة نظرى الذاتية » ، ويستطرد مال قائلا « ان ما اريده هو ان يخرج مشاهدو فيلمى هذا من الصـالة وقد تملكتهم الرغبـة فى معرفة مزيـد من الاسباب التى ادت الى الواقـع المرير الذى شاهدوه » .

اما « صنع فى السويد » الذى فاز بالجائزة الثانية فى مهرجان برلين الاتحادية هذا العام فقد تم تصويره فى آسيـا ايضا ، فى الهند وفى تايلاند ، ويعانى بطل الفيلم من الشعور بالذنب عنـدما يقارن بين حياة الرفاهية التى يعيشهـا فى السويد وبين حياة البؤس فى العالم الثالث ، وهو يكذب الادعاء القائل بحياد السويد ويصور بعض الاسلحة التى تقتل الاسيويين وقد كتب عليها « صنع فى السويد » ■

انعقاده بعض المهرجانات الجزئية ، بين دولتين أو أكثر ، وحول فن من الفنون أو أدب من الاداب ، كمهرجانات السينما والمسرح وغيرها ٠

وقد سيطرت على المهرجان طيلة أيامه العشرة الروح « **السياسية** » فى مناقشة مختلف قضايا الفكر والثقافة ، مهما تنوعت الموضوعات وتباينت المتساهل ٠ وكان واضحا امام المراقبين العربيين للوهلة الاولى أن مؤتمرا ثقافيا كبيرا ينعقد فى القارة « السوداء » لابد وان تكون «**السياسة**» هى عصبه الحى ٠٠ ذلك أن التقدم والتخلف والعبودية والتحرر والاستعمار والاستقلال والاشتراكية والاستغلال ، هى أهم المشكلات « **الثقافية** » التى يعانيها الانسان الافريقى ، ولا يمكن لادبائه وفنانيه أن يتجاهلوا هذه الحقيقة ٠ وربما كان ذلك جوهر الاختلاف بين المهرجانات الثقافية الاوروبية التى تناقش قضايا مجردة ومطلقة فى الفلسفة وعلم الجمال ، والمهرجان الافريقى الذى لايملك أن يدير ظهره لما تعانيه الشعوب الافريقية من قضايا حية ومجسدة ولصيقة الصلة بالواقع المر الذى تعيش فيه ٠

وقد اتخذ المهرجان من الخطاب الافتتاحى للرئيس **هوارى بومدين** « **قاعدة للعمل** » ٠ وكان الرئيس الجزائرى قد حدد مجموعة من النقاط التى ينبغى على كل مثقف أفريقى أن يفكر فيها طويلا ، وفى مقدمتها « **تعريف الثقافة** » بالنسبة للانسان الافريقى ، وكل انسان قاسى ويقاسى من الاضطهاد الاستعمارى وآثاره من أمية وتخلف « فالثقافة بمعناه الواسع الشامل هى تلك التى تمكن الناس من تنظيم حياتهم » ، وأيضا ان كانت الثقافة ابتكارا وابداعا متصلا فانها فى نفس الوقت « قادرة أيضا على بعث التقدم والرقى » ، ذلك ان الثقافة فى جوهرها «مرآة تعكس اقتصادا ما ونوعا ما من الحياة وعلاقات اجتماعية مضبوطة فى زمن مامن حياة البشر » وكذلك فحياة البشر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية « هى كل لا يقبل أن يجزأ » ٠

وتعرض الرئيس بومدين فى خطابه الى « **الاقنعة الجديدة** » التى يتوسل بها الاستعمار العالمى ــ عن طريق الفكر ــ لغزو الاجيال الجديدة من المثقفين الافريقيين ، ونبه الى أن هذه الظاهرة ليست بمعزل عن ظاهرة الاستعمار الجديدة من الناحية الاقتصادية حيث تكبل الدول الامبريالية الدول المتخلفة بقيود خفية ٠ ولكنه أشار فى نفس الوقت الى أن ذلك لايعنى مطلقا أن نصد أنفسنا على منجزات الثقافة العصرية ، بل أن ننهل من معين الفكر البشرى أينما وجد لان الثقافة « انسانية » لا ملك لاحد ، وقد أسهم فى تكوينها التاريخى امم وحضارات كثيرة ٠ فالوجه القومى لثقافتنا لا يتنافى مع وجهها الانسانى الماخوذ من الغرب وسواه ٠ ان تراثنا ومعاصرتنا وحدة واحدة لا تنفصم ، بل اننا يجب ان نقف فى وجه بعض الاوروبيين ــ والافريقيين التابعين لهم ــ حين يصورونا على أننا « **حفظة أمجاد قديمة فحسب** » بقصد ان يلهونا عن الاستفادة من منجزات العصر الذى نعيش فيه ٠ ان أمجادنا جزء منا ، ولكنها أيضا لا تكتمل الا بأمجاد الحضارة الحديثة ، فتقدمنا مرهون بقهر التخلف الدامى الذى يعربد فى أجزاء كبيرة من قارتنا « **لا نريد أن يقوم هذا المهرجان على أساس الانزواء والانكماش على النفس ولا على الكراهية العميقة وقد عانينا منها الكثير بحيث لا نقبلها ولا نرضى بها وسيلة من وسائل كفاحنا** » ٠

وقد استقبلت الصحافة الجزائرية جلسات المهرجان بحوار هام حول « **قضية الثقافة وقضايا التحرر** » وقد كان هذا الموضوع من أهم الموضوعات المثارة ، فكتبت مجلة «**المجاهد**» تقول : اننا نحتاج الى « **ثقافة لا تتنكر للماضى ولا تنفصل عن الشعب ولا تدير ظهرها للعصر** » ويجب فى هذا المجال ان نفرق بين الثقافة الاجنبية التى يمكن اعتمادها فى تحرير الانسانية المضطهدة وفى بناء الشخصية الانسانية ، « **وبين عناصر الثقافة الاجنبية التى ترتبط بخدمة أغراض الاستعمار والامبريالية** » ثم طبقت الجريدة الجزائرية الرسمية هذا المفهوم على موقف المثقف الافريقى من قضية فلسطين فقالت « **ان قضية فلسطين بالنسبة لافريقيا ولرجال الفكر الافارقة بالخصوص ، ليست قضية عنصرية ولا قضية عصبية دينية ، انها قضية تحرير الانسان من مضطهديه الصهاينة الذين استعملوا رقيهم الثقافى لخدمة احط الاغراض ، وهى أغراض الابتزاز والاستعباد على أسس من العنصرية الدينية التى انقرضت من العالم كله ، وبقيت تعيش فى اسرائيل وحدها** » ٠

وقد دعا أحد الكتاب الجزائريين وهو « أ ٠ م ٠ ع ٠ **السائحى** » الى أن هذه المواقف لا ينبغى أن تكون مواقف تعصب وانغلاق ، بل ان أهم مايجب أن تعبر عنه هو أن تلتزم ببناء قاعدة فكرية للثقافة فى أفريقيا ترتكز على التراث حقا ، ولكنها تهتم بغربلة العناصر التى ولدتها التجربة الافريقية فى تحرير الانسان فى أفريقيا والعالم كله ٠

وقد اختتم المهرجان أعماله ببيان قال فيه « **ان الافريقية وحدها هى التى يمكن ان تكون نواة بعث وانطلاق جديد لانسانية أفريقية تقدمية يمكنها أن تواجه الثقافات الاخرى وتجد مكانها فى اطار الانسانية الشاملة** » ٠

مكتبة الطليعة

علم النفس المعاصر

● تأليف : جورج بوليتزر
● عرض ونقد : سمير كرم

ما ان يعلم القارىء ــ لكتاب عنوانه يحمل كلمة «معاصر» أن هذا الكتاب وضع فى اواخر العشرينات من القرن الحالى ، وبالتحديد عام ١٩٢٩ ــ فأنه لا يملك الا ان يتساءل : هل لاتزال هناك « معاصرة » بعد مضى اربعين عاما كاملة ؟

هذا بالضبط السؤال الذى يفرض نفسه عندما يقرأ المرء ــ سواء كان متخصصا او غير متخصص ــ كتاب « ازمـــة علم النفس المعاصر » لجورج بولتزير الفيلسوف الماركسى الفرنسى الذى يعد من اشهر « المدرسين » الماركسيين والذى لقى مصرعه على أيدى النازى ابان الاحتلال الهتلرى لفرنسا خلال فترة من أحلك فترات الحرب العالمية الثانية (*)

ويفرض هذا السؤال نفسه طوال قراءة الكتاب ويظل يلح التساؤل : هل هذه فعلا ازمة علم النفس المعاصر ؟ .. أم انها فقط أزمة علم النفس المعاصر لبولتزير فى أواخر العشرينات ؟ ونعتقد ان أى عرض لكتاب بولتزير لايستطيع ان يفلت من الرد على هذا السؤال اذا اراد ان يلقى ضوءا كافيا على القضية او القضايا التى يطرحها .

وابادر فاقرر ان المقدمة التى وضعها الاستاذ الدكتور مصطفى زيور ــ وهو واحد من ابرز علماء

النفس الذين تفخر بهم الثقافة المصرية المعاصرة — لم تكن مقنعة فى تناولها لهذه النقطة .. نقطة « المعاصرة » . فقد اكتفى الدكتور زيور بأن وضع الامر بصفة تقريرية « استاتية » حين قال « اننا نعتقد ان النقد الذى وجهه بولتزير لعلم النفس الذى عاصره فى اواخر العشرينات لايزال معظمه يصلح لعلم النفس فى السبعينات وبخلاف هذه العبارة فان الدكتور زيور اكتفى ليدعم قضيته بالاستشهاد بأن الفيلسوف « الوجودى » موريس ميرلوبونتى قد جعل كتاب بولتزير بين مراجعه فى كتاب « ظاهريات الادراك الحسى » وان الطبيب الفرنسى مينكوفسكى قد ضمن كتابه « بحث فى علم النفس المرضى » [١٩٦٧] نقد بولتزير !

وترجع اهمية الفصل فى مدى سريان البحثين اللذين يقدمهما بولتزير فى هذا الكتاب على علم النفس المعاصر الى انها تحسم قضية خطيرة مثارة على الدوام بالنسبة لعلم النفس — والعلوم الانسانية بوجه عام — وهى مدى ما تحققه من التقدم على مر السنين ونسبة هذا التقدم الى ما تحققه العلوم الطبيعية نظريا وتطبيقيا . اذ مما لا شك فيه ان الحكم بأن انتقادات بولتزير لا تزال قائمة او واردة يشكل ادانة لعلم النفس بالجمود وعدم تجاوز الانتقادات التى وجهت اليه منذ اربعين عاما . ونحن لا نقصد من الاشارة الى أهمية هذه النقطة ان ننصب انفسنا مدافعين عن علم النفس ومنجزاته وتجاربه وتجدده .

على اننا ينبغى ان نقرر منذ البداية حقيقتين اساسيتين قبل تناول صلب البحثين اللذين يضمهما كتاب بولتزير « أزمة علم النفس المعاصر » .

اولا — انجورج بولتزير لم يكن عالما نفسيا .. بمعنى انه لم يكن من المشتغلين بالدراسات النفسية اساسا . وانما كان اشتغاله الاساسى بالفلسفة، فى وقت كانت الدراسات النفسية فيه تحاول الحصول على الحكم الذاتى والاستقلال عن الفلسفة عن طريق دخول ميدان التجريب العلمى ومحاولات الضبط على غرار العلوم الطبيعية، وبمحاولة الوصول الى مرحلة صياغة القوانين الخاصة بها .. اى باختصار فى مرحلة كان علم النفس يحاول فيها « ان يكون علما » .

ثانيا — ان كتاب بولتزير هذا هو كتاب فى المنهج ولا يتناول موضوعا سيكولوجيا بالتحديد .. بمعنى انه لا يعالج الظواهر النفسية اوالشعورية او العقلية موضوع دراسة علم النفس ،ولا يناقش مبحثا من مباحث علم النفس او فروعه ، وانما هو يتناول المنهج الذى تعالج به الدراسات السيكولوجية الظواهر والعمليات النفسية . وبايجاز فان كتاب بولتزير ليس كتابا « فى » علم النفس ؟ وانما هو كتاب « عن » علم النفس ؟ ليست مادته العمليات والظواهر النفسية وانما مادته المعالجة العلمية لهذه العمليات والظواهر .

وكما هو واضح فان هاتين الحقيقتين الاساسيتين مرتبطتان الواحدة بالاخرى . وينبغى فى ضوئهما الا نقرأ الكتاب على انه كتاب فى علم النفس ، وانما هو كتاب فلسفى لمؤلف فيلسوف .

فهل كان بولتزير يحاول ان يشد علم النفس فى غير اتجاه عصره .. اى هل كان يحاول ان يربطه اكثر بالفلسفة ؟ الواقع ان بحثى بولتزير فى هذا الكتاب يقومان على ادراك ديالكتيكى للعلاقة الديالكتيكية بين الفلسفة وعلم النفس . وهو ادراك جعل المؤلف الماركسى يقوم بمحاولة لوضع الفلسفة فى خدمة علم النفس .. فى خدمة استقلال علم النفس عن الفلسفة .

وفى سبيل هذه الغاية الاساسية وجه بولتزير اهتمامه بطبيعة الحال لمشكلة المنهج الذى تستطيع به السيكولوجية أن ترتقى الى مصاف العلوم وان تحتفظ فى الوقت نفسه بموضوع بحثها وهو « الانسان » دون تفتيت او تشريح .

وبكلمات بالغة البساطة والهدوء فى الوقت نفسه يطلق بولتزير صيحة احتجاج الفيلسوف الديالكتيكى ضد تفتيت الانسان فى السيكولوجيا الى « شخصيات مجهولة لا تشبهنا فى شىء تسمى تصورات وصور وغرائز . ومن المستحيل ان نتعرف على انفسنا فيما ترويه السيكولوجيا لانها ليست معطيات عن حوادث انسانية » . ويعطى الكاتب مثلا حيا للمعنى الفلسفى العميق الذى تعبر عنه هذه القضية . « استيقظت مبكرا فى الصباح للقيام بنزهة فى الغابة ، وقابلت هناك الحارس الريفى الذى قال لى : لقد تغيرت غابة فنسين عما كانت عليه منذ ثلاث سنوات وعما قريب سيصبح شأنها شأن قلب باريس . نستطيع جميعا ان نتخيل وان نتقمص شخصيات هذه الحكاية . ولكن ما تقدمه لنا السيكولوجيا ليس سردا عن اشخاص ولكنه سرد عن اشياء . « وجد احد التصورات نفسه بالامس ملاصقا لتصور آخر وعاد اليوم الى الشعور واصطحب الثانى معه . لا يستطيع احد ان يتمثل المنظر الذى يحدث هنا، فعبارات هذا السرد ليست لها اى دلالة انسانية » (ص ٤١) .

هنا نجد انفسنا امام سؤال اخر — هو سؤال تاريخى بطبيعته — ماذا حدث فى ذلك التاريخ .. ماذا حدث فى هذه الفترة من تاريخ علم النفس التى يحدثنا عنها وخلالها بولتزير ؟

ان الثلاثين سنة الاولى من القرن العشرين قد

اوجدت حركات جديدة فى علم النفس الى درجة كان من نتيجتها وجود تلك الظاهرة التى وصفها عـــالم الـــنفس الامـــريكى البـــــارز فى تلك الفتـــرة « روبرت ودورث » بـــانها : « الظاهرة العجيبة .. ظاهرة اختلاف المدارس الواحدة عن الاخرى اختلافا جوهريا فى فكرتها عن علـــم النفس ، ماذا يجب ان يعمل وكيف ينبغى ان يقوم بهذا العمل . ولكن هذه المدارس لم تكن قد نمت فى ذلك الوقت نموا يكفى معه تقدير اهمية كل منها » .

وبرغم هذا الاختلاف فى المدارس — الذى كان يعتبره علماء النفس غير الجدليين مظهر خصوبة — الا انه كانت هناك تأثيرات معينة وراء ظهور ما يسميه بولتزير — بمصطلح عصره — السيكولوجيـا الجديدة . وتكاد تنحصر هذه التأثيرات فـى الكيميـــاء والفزيولوجيا ونظـــرية التطـــور ، او [البيولوجيا العامة] والطب العقلى .

فالنتائج الهائلة التى توصلت اليها الكيمياء فى القرن التاسع عشر — وهو ليس بعيدا كثيرا عن الفترة التى نتحدث عنها من تاريخ علـــم النفس — قد ادت الى ظهور ما اسمى بكيمياء العقل التى تحلل مركبات العقل الى عناصرها . واستعان بعض علماء النفس من اتباع المدرســة الارتباطيـــة بهذه الفكرة . لماذا تبدو الاحساسات بـــاللون واللمس والصوت والذوق احساسات بسيطة ، بينما هى ترجع الى مؤثرات مركبة ، تماما كما ان الماء يبدو بسيطا وواحدا فى عناصره الكيميائية . وقويت فى ذلك الحين فكرة قيام علم نفس تحليلى يسترشد بالكيمياء ويستخرج العناصر والمركبات فى ميدان العقل .

اما تأثير الفسيولوجيا وكان ابعد اثرا من تأثير الكيميـــاء على علـــم النفس — فقد اعطت له اخطر افكارهـــا وهـــى التجـــربة .. وعـــن معمـــل الفسيولوجيا — كما يقول ودورث — نشا معمل علم النفس ، واتخذ علم النفس المنحنى التجريبى فى سيره . فكانت ثورة على علم النفس السابق من حيث منهجـــه ومســـــتواه ، وليس مـــن حيث نظريته — فاذا بالسيكولوجيا الجديدة تصر على ان تقوم حقائقهـــا على ملاحظـــات مسجلة ومحددة . واضيفت الى تجارب الحواس والحركة العضلية تجارب اخرى عن الذاكرة والتعلم اكثر دقة ، وقوى الامل فى ان يغزو المنهج التجريبى يوما ما كل مسائل علم النفس .

ثم اثارت نظـــرية التطور مجموعة كبيـــرة من المشاكل التى كانت غائبة عن علم النفس كما كانت غائبه عن العلوم الطبيعية . فتحت تأثير داروين بدأت تظهر فى الكتابات النفسية مـــوضوعات الارتقاء العقلى فى الفرد والجنس ، وتـــأثيرات الوراثة ، وعلم نفس الطفل ، وعلم نفس الحيوان ، والفروق الفردية ، وهى موضوعات قربت كثيرا بين علم النفس وعلم الحيوان والانتروبولوجيا .

اما المؤثر الاخير على علم النفس قبيل ظهور السيكولوجيا الجديدة فهو علم الطب العقلى الذى كان قد خطا اشواطا فى التقدم بدراسة نمـــاذج السلوك الشاذ وتاريخ حياة الشـــواذ . وحتى الانقسام بين اطبـــاء العقـــل الى نفسييـــن وجسميين — او ماتطلق عليه وظيفيين وعضويين — اثر هو الاخر على السيكولوجيا الجديدة .. فكان الجسميون يبحثون وراء كل شذوذ سلوكى عن اصابة او اضطراب فى المخ ، بينما النفسيون يبحثون عن الاسباب فى دائرة « العقل » .

وكانت محصلة هذه التأثيرات جميعا تعريف علم النفس نظريا — بأنه علم الشعور وجعل المهمــة الاساسية للمشتغلين به اقامة سيكولوجيا تحليلية على غرار الكيمياء ذات احساسات وصـــور ومشاعر اولية وذات افكار مركبة وانفعالات تتكون من هذه العناصر وترتبط فيما بينها بصلات متباينة

وفى ظل هذا الجو العام ظهرت فى العقدين الاولين من القرن العشرين المدارس السيكولوجية التى لا تزال حتى يومنا هذا « مدارس معاصرة » . السلوكية والتحليل النفسى والجشطلتيه وكل منها تعتبـــر نفســـها الممثـــل الحقيقـــى لمـــا اسمى « السيكولوجيا الجديدة » للعصر الحديث .

ومن وسط التفصيلات والفرضيات العديدة لهذه المدارس تبرز سمة الانتقال من الاهتمام بالشعور كمركز لدراسة النفس الى اللاشعور .. ذلك كان فعل المدرسة السلوكية التى رفضت الاستيطان وكان فى الوقت نفسه تعبيرا عن ســـيادة الطب العقلى . وكانت الوجودية المدرسة الوحيدة التى احتفظت بالاستيطان الخالص كمنهج للـــدراسة النفسية .

ويتضح لنا من كتاب ازمة علم النفس المعاصر ان علماء النفس الماركسيين الحاليين — فى خصومتهم للسلوكية — لم يتجاوزوا انتقادات بولتزير لها حتى الان . بل يمكن القول ان بولتزير كان صاحب نظرة شمولية — منهجية — فى نقده للسلوكية .

ان المشكلة الاساسية والاولى فى مقال بولتزير الاول — « علم النفس الاسطورى وعلـــم النفس العلمى » — هى مشكلة الاختيار فى منهج العلوم النفسية بين التحليل، او التركيب، بين التحليل او البناء ، ويعرض بولتزير من هذه الزاوية بالذات عرضا نقديا كلا من السيكولوجيا الكلاسيكيـــة والســـيكولوجيا الجديدة وهما اصـــطلاحان كانا شائعين كثيرا فى الكتابات النفسية فى اوائل هذا القرن .

ويؤكد بولتزير انه ليس هناك جديد فى السيكولوجيا الجديدة يفصلها عن السيكولوجيا الكلاسيكية ، ويلخص ازمة السيكولوجيا هذه فى عبارة هامة من مقاله : **يحس الجميع منذ حوالى خمسين عاما تقريبا انه قد آن الاوان كى ينتقل علم النفس من المرحلة قبل العلمية الى المرحلة العلمية ، وانه لا يوجد فى السيكولوجيا «شىء ما» يحول دون هذا الانتقال ويتعين ازالته • ولكن احدا لم يستطع ان يبين بدقة الطبيعة الحقيقية لما يجب ازالته** ، ويقول لنا كيف يمكن معرفة ما اذا كانت **فكرة او نتيجة ما فى السيكولوجيا علمية أم «قبل علمية»** •،

وقد كان الاعتقاد السائد فى ذلك الوقت — مع اختلاف المدارس — ان مشكلة العلم الاساسية هى مشكلة الاختيار بين التحليل والتركيب كمنهج لتناول الظواهر • وشمل هذا علم النفس ايضا وهو يحاول تأكيد ذاته كعلم مستقل • وفى هذا الاطار نفسه حاول بولتزير ان يبدأ من نقطة الصفر بالتساؤل عما اذا كانت هناك ظواهر حقيقية تبرر قيام السيكولوجيا • ويؤكد وجود هذه الظواهر او المعطيات — المباشرة وغير المباشرة — الى جانب ظواهر التنفس والهضم وافراز الغدد •• ظواهر مثل الزواج وممارسة الحرف والعمل الصناعى •• الخ ويضع هذه الامثلة فى نسيجها العلمى فيقول ان هناك «**مخطط انسانيا**» الى جانب مخطط الطبيعة •• فالى جانب الحياة البيولوجية توجد حياة انسانية بمعنى الكلمة ، وهذه الاخيرة هى ما نقصده حين نقول ان الحياة صعبة على بعض الناس سهلة على بعضهم الاخر • «ان تجربتنا اليومية المباشرة تقدم لنا الحياة فى مظهرها الانسانى •• فنحن محاطون باشخاص وليس بتراكيب فيزيقية كيميائية • ولا استطيع تصور اصدقائى مثلا لوحات تشريح الا بمجهود تجريدى كبير •

هنا نجد انفسنا امام الجانب الايجابى من احتجاج الفيلسوف الماركسى على تفتيت الانسان فى علم النفس •• انه يريد ان يكون موضوع علم النفس ظواهر حياة الانسان كانسان متكامل ، وكحياة متكاملة •• ويطرح بولتزير علينا نظريته فى ضرورة تناول علم النفس لظواهر الحياة الانسانية باعتبارها «دراما» والدراما هنا مفرغة من محتواها المأسوى ومن رنينها الرومانتيكى الذى تعنيه الكلمة فى المفهوم المسرحى . هويعنى بدراما الحياة الانسانية • ان خبراتنا اليومية تضعنا موضع الدراما . والاحداث التى تمر بنا احداث درامية ونحن نلعب فيها او ازاءها «دورا» دراميا وننظر الى انفسنا والاخرين نظرة درامية •• «اننا لا نخرج من اطار الدراما فى أى لحظة» • وهو يريد ان يلعب علم النفس دوره فى دراسة هذه الظواهر كعلم يدرس الدراما فى مواقعها وخصوصيتها المحددة ، يتميز بذلك عن علوم الطبيعة التى تدرس الاطار المادى للدراما ، والعلوم الاخلاقية التى زالت المعرفة العلمية بالانسان تعانى من كل نقائص «التجريبية البدائية» اذ تنقصها الدقة والاحكام ومليئة بالاحكام المسبقة الاخلاقية والاجتماعية •

ولهذا فان المشكلة بالنسبة لبولتزير تتلخص فى الانتقال بالمعرفة بالانسان من مرحلة التجريبية الى مرحلة العلم الوضعى •

ويسوق بولتزير اعتراضا منهجيا على تجريبية التجريبيين السيكولوجيين • انه يقر بأن المشكلة التى تواجه السيكولوجيا لتصبح علما هى «الدقة» فى موضوعها ، ولكنه يقول «ان الدقة التى أرادوا ادخالها فى السيكولوجيا ليست الدقة على وجه العموم ، وانما دقة من نوع خاص ••» فقد نسوا ان الضبط الرياضى او التجريب الرياضى ليس الا شكلا واحدا من اشكال الدقة التى تجعل من نسق ما بشكل عام علما وضعيا •• ان لكل علم وضعى ضبطه الخاص به . فالفسيولوجيا — مثلا — لها ضبط خاص لا يقتصر على استخدام الرياضيات وانما يظهر فى اختزالها المنظم للوقائع الفسيولوجية الى ظواهر فيزيائية — كيماوية •

وكما ان التمييز الاساسى بين الميثولوجيا (الاسطورة) والعلم هو ان العلم يبحث عن معرفة الوقائع فى مستوى الوقائع نفسها ، فان الضبط يتحدد بمدى مطابقة المعرفة للوقائع المدروسة • كل ما هنالك ان هذا التطابق ليس ميتافيزيقيا وانما هو تطابق تجريبى ، اى تطابق مع نوع من الدقة الملائمة للموضوع •

ومن هنا كان اتهام بولتزير للسيكولوجيين التجريبيين (فونت واتباعه) بالميتافيزيقية • وهو يرى ان الدراما هى التى تخلص السيكولوجيا من هذه الميتافيزيقية التجريبية •

ذلك ان للدراما خاصيتين :

● ان احداثها فريدة متعينة فى الزمان والمكان •

● انه لا يمكن فهمها الا بالرجوع الى الافراد المعينين كل فى وحدته الفريدة . **والظاهرة السيكولوجية بشكل عام هى دائما مقطع من حياة** الفرد المعين ، واى وسيلة أخرى للنظر اليها تدمر واقعيتها • فاذا جردنا الزواج — مثلا — كظاهرة نفسية من خصائصه فاننا نخرج من السيكولوجيا الى القانون ، او التاريخ او الاجتماع . فالملكات

الفعلية والافكار والعمليات لا تتزوج ، وما ان نستبدل الافراد بمخلوقات من هذا النـــوع حتى تختفى فورا حقيقة الظاهرة الدرامية ٠

اذن فنحن مرة اخرى نجد انفسنا امام صيحة بولتزير الاساسية ضد التفتيت الذى يلجأ اليه السيكولوجيا ، وقد اتضحت معالمها الفلسفية والمنهجية ٠

يبقى ان نقد بولتزير الماركسى فى كتابه « ازمة علم النفس المعاصر » يثير سؤالا من خارج موضوع الكتاب ، ولكنه سؤال لايمكن الافلات منه . اين موقف بولتزير مما يمكن ان نسميه « السيكولوجيا الفسيولوجية » او « علم النفس البافلوفى » الذى يعد بمثابة « المدرسة الرسمية » للماركسيين فى علم النفس ؟ وبعبارة اخرى اوضح : اين موضع الفسيولوجيا من السيكولوجيا العلمية التـى يحددها بولتزير من خلال نقده للسيكولـوجيا الكلاسيكية والسيكولوجيا قبل العلمية ومن خلال نظريته عن « سيكولوجيا الدراما » ؟

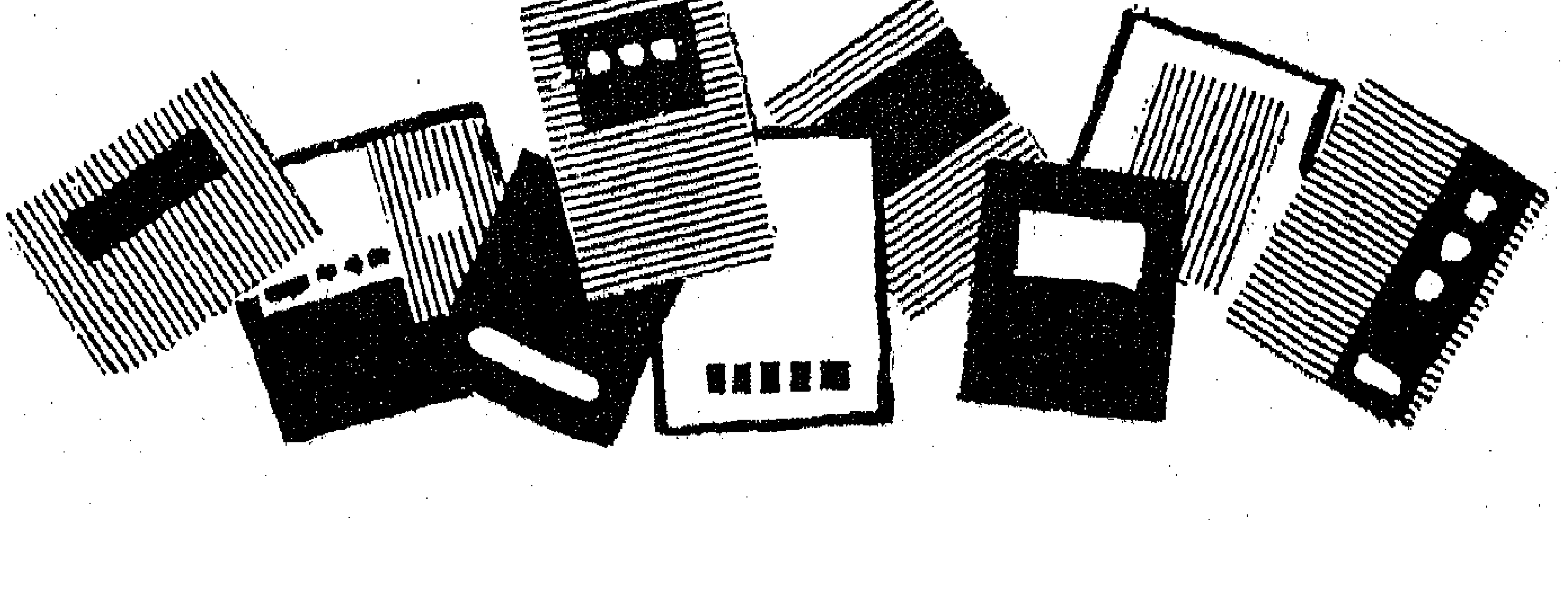
يقول بولتزير ـ فى الجزء الوحيد من بحثه الاول الذى يرد فيه ذكر الفسيـولوجيا (ص ٦٣ ـ ٦٤) « ان تحليل الاحداث الدرامية هـو وحده الذى يستطيع ان يبين لنا ما هى بالضبط المساعدة التى نطلبها من الفسيولوجيا .. فعلـم النفس الفسيولوجى يريد ـ على العكس ـ بسبب ازوراره عن البدء من الدراما ان يحســم الامر قبليا (اى اوليا) بفروض حول العلاقة بين ظواهر الشعور والجهاز العصبى ٠

ويتضح من هذا ان بولتزير يرفض البـدء بالفسيولوجيا كأساس لعلم النفس العلمى ، ويحكم بأنه « لا يوجد بين الفسيـولوجيا الخـالصة وسيكولوجيا الدراما مكان لعلم نفس فسيولوجى لا يهتم الا بالظواهر نصـف المتصورة . تماما كما لا يوجد مكان بجانب الفيزياء لفيزياء اخرى لاتدرس فى الميكانيكا سوى سقوط الاحجار ، وفى الحرارة سوى الماء الساخن » ٠٠

هكذا يرفض بولتزير بـوضوح ان تكون الفسيولوجيا هى كل شىء فى علم النفس ٠ فى نفس الوقت ـ تقريبا ـ (اى فى العشرينات من القرن الحالى) الذى اعلن فيه بافلوف « اننى اعتقد ان التفسير الفسيولوجى الخالص قد اصبح اساسا لاكثر ما كان يعد فيما مضى نشاطا نفسيا ، وانه لابد من بذل كل الجهد لتحليل سلوك الحيوانات العليا بما فيها الانسان حتى تفسر الظواهر بطـريقة فسيولوجية خالصة » .

وفى الوقت الـــذى كان فيه بولتزير يدعــو لسيكولوجيا الدراما كان بافلوف يعلن ان علــم النفس البورجوازى قد ضل لانه ترك الاساس المادى للحياة النفسية وهو الفسيولوجيا . فان السلوك الانسانى والخبرة النفسية هما مظهران لنشاط مركب ومعقد يتم داخل الجهاز العصبى ٠ وما يسمى بالنشاط النفسى ليس سوى تغير كيفى يطرأ على النشاط الفسيولوجى للجهاز العصبى ، وهو نشاط تعتريه قبل هذا التغير الكيفى تغيرات كمية تدريجية

على انه مهما كانت الاختلافات ـ او الخلافات ـ بين موقف بولتزير وموقف بافلوف من قضية منهج علم النفس ٠٠ فانهما يتفقان فى القضية الفلسفية العريضة ٠٠ قضية « علمية » علم النفس ، وكلاهما قد وجه الى علم النفس المعاصر انتقادات منهجية لم يتم تداركها حتى الان ، حتى من جانب علماء النفس البافلوفيين الماركسيين إذا وضعنا فى الاعتبار تفصيلات انتقادات بولتزير لعلم النفس ٠



مناقشات مفتوحة

حوار مع « مسألة للمناقشة »

جاءنا من الشاعر المناضل الفلسطيني ابو سلمى التعليق التالي على « افتتاحية العدد الثامن » مسألة للمناقشة :

« **قرأت بامعان** » ما كتبته في افتتاحية العدد الثامن من الطليعة تحت عنوان « مسألة للمناقشة » وهو بحث قيم وجدير بالعناية نظرا لانه يتعلق « بالدعوة الملحة والحارة من اجل اللقاء بين كل القوى والعناصر التقدمية في الوطن العربي على مواقف واساليب موحدة للنضال » **ولان كاتبه** من رجال الفكر التقدميين الذين لهم دورهم في تطوير الحركة الفكرية العربية التقدمية . وقد حملني على الكتابة اليك تعرضك في مقالك الى موقف وفد فلسطين من بعض القضايا التي قد تطرح للبحث في مؤتمر التجمع العالمي من اجل السلم الذي عقد ببرلين ٢١ـ٢٤ حزيران سنة ١٩٦٩ فاسمح لي توضيح هذا الموقف بما يلي :

يذكر الاخ الكريم ان الوفود العربية اجتمعت في بهو فندق « تحت ظلال الزيزفون » في برلين لمناقشة مشروع الرد ، الذي اعدته اللجنة العربية الفرعية ، على النقاط السياسية التي قد تثار في المؤتمر وهي :

١ ــ موقف العرب من الاعتراف باسرائيل •

٢ ــ موقف العرب من المفاوضة مع اسرائيل

٣ ــ موقف العرب من القوى التقدمية اليهودية •

وكان موقف وفد فلسطين واضحا منذ البداية وهو ان البحث فيما يتعلق بالاعتراف والمفاوضة غير وارد اصلا بالنسبة لشعب فلسطين ، لان هذا الشعب له ميثاق وطني مرتبط به ، وهذا الميثاق ينص على ان الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ، ويقرر مصيره بعد ان يتم تحرير وطنه ، وان الشعب العربي الفلسطيني ــ معبرا عن ذاته بالثورة الفلسطينية المسلحة ــ يرفض كل الحلول البديلة عن تحرير فلسطين تحريرا كاملا •

ومع ذلك فقد اشتركنا في النقاش وكان راى الوفد كما يذكر الاستاذ الخولي ، فيما يتعلق بالفقرة الاولى من الموضوع الاول • وهي التي تقول بانه لايوجد في القانون الدولي او ميثاق الامم مايلزم دولة ما بالاعتراف بدولة اخرى تحت اية ظروف ، قلنا ان هذا الامر يتعلق بالدول ونحن نمثل شعوبا لا دولا ، ولذلك يجب حذف هذه الفقرة •

ونحن الشعب الفلسطيني لايمكن ان نبحث في مسألة اعتراف غاصب لوطننا ، ويجب ان نوضح للعالم في هذا المؤتمر وفي كل مؤتمر ان السلام لن يستتب مالم يمنع المعتدي من كسب أي شيء لقاء عدوانه ، ومالم يعد الشعب الفلسطيني الى وطنه ويشكل على ارضه دولة فلسطينية ديمقراطية يتساوى فيها الفلسطينيون جميعا دون النظر الى لون او دين او جنس • وتبعا لذلك فقد طلبنا ايضا حذف الفقرة الثانية التي تقول ان

اسرائيل ليس لها حدود ، وشرط اساسى لكيان كل دولة طبيعى ان يكون لها حدود » .

اما مايتعلق بالموضوع الثالث فقد اقترحنا ايجاد جبهة عالمية تقدمية فى ارجاء العالم بدلا من ايجاد جبهة عربية يهودية .

وبعد ذلك تقدم الاخ الدكتور حبيب حداد رئيس الوفد السورى باقتراحه الذى ذكرته فى مقالك ، ثم تشكلت لجنة لصياغة التعديلات لم نشترك نحن فيها .

وفى قاعة لجنة الشرق الاوسط ، قبيل افتتاح الاجتماع الاخير ، اراني الاخ المهدى العلوى المشروع الجديد واذا بالفقرتين اللتين اعترض وفد فلسطين عليهما لاتزالان باقيتين كما هما .

عند ذلك قرر وفد فلسطين ان لايشترك بهذا البيان .

ثم يخيل الى قارىء مقالك ايها الاخ الكريم ان اغلبية الوفود كانت تخالف وفد فلسطين ووفد سوريا،مع ان الامر — كما اعرف — غير ذلك .ولابد لى ان اشير هنا الى ان وفد فلسطين الذى اشترك فى مؤتمر برلين قد الفته اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين وكان يضم القوات الفلسطينية العاملة السياسية والنضالية ، بما فيها منظمة فتح ، ومن هنا يتبين ولا اريد ان اخوض فى التفصيلات ان موقف وفد فلسطين كان موحدا وواضحا ، لا لبس فيه ولا غموض وهو منسجم تماما مع ثورة شعبه وميثاقه الوطنى .

مع خالص الود والاحترام » .

المخلص

ابو سلمى — دمشق

الطليعة : نشكر للاستاذ أبو سلمى اهتمامه بمناقشة الموضوع . ومازال رأينا الذى تضمنته الافتتاحية بتفصيلاته ووقائعه قائما من وجهة نظرنا .

●

كتب **المقاتل احمد مصطفى عبد اللطيف** ، يعلق على افتتاحية عدد اغسطس الماضى **« مسألة للمناقشة » للطفى الخولى** ، يقول :

كان موعدى هذا الشهر ككل شهر مع افتتاحية « الطليعة » [مسألة للمناقشة] وكان لى تعقيب عليها .. حال بينى وبين ارسالها لكم .. انشغالنا بواجبنا هنا — على خط المواجهة — مع العدو ..

وبعد اسبوعين من صدور العدد حصلت على اجازتى الميدانية ووجدت بها وقتا للفراغ وفرصة للكتابة لسيادتكم معقبا على تلك الافتتاحية القيمة التى اثارت موضوعا هاما لابد ان يدرس على كل المستويات العربية . فوحدة النضال العربى مطلوبة فى هذا الوقت بالذات ووحدة الهدف .. ووحدة الفكر .. ووحدة العمل السياسى والعسكرى لابد ان يتحقق على اعلى المستويات فى هذه الايام بل كل القوى التقدمية العربية حتى ندحر العدوان ونقهره .

ان عدونا رغم انقساماته الحزبية ، وتعدد آراء وافكار سياسة زعمائه — عرف كيف يوحد اطار فكره الخارجى وعرف كيف يجمع صفوفه لمواجهة ما اسموه بالخطر العربى على بقائه ، ويخاطب العالم بلهجة واحدة .. وخطة واحدة اعلامية وسياسية ، وانه يريد السلام مع العرب، ولكن العرب يرفضون الاعتراف بهم والتفاوض والصلح معهم .

ان موقفنا يجب أن يكون واضحا وضوح الشمس وهى تشق بنورها كل صباح ظلمات الليل وتشرق بالحقيقة على كل البشر . ولابد ان يكون هناك لقاء من كل القوى والعناصر التقدمية فى الامة العربية ، على مواقف موحدة واساليب واحدة للنضال . اننا نرفض الاعتراف باسرائيل، لانها ليست دولة لها حدودها السياسية المحددة وليست لها تاريخها القومى ، الذى يؤهلها لان تكون دولة ذات تاريخ وذات حضارة قومية وذات حدود سياسية محددة معترف بها .

واننا نرفض التفاوض مع اسرائيل . لان الجلوس مع العدو معناه الاستسلام للامر الواقع ومعناه املاء شروط المنتصر على المهزوم.

اننا من هنا — من على خط النار — ندعو كل القوى التقدمية العربية باسم شهدائنا ،باسم كل شبر من ارضنا الطاهرة ، بان يلتقوا على هدف واحد يجمعهم باطار فكرى واحد وخطة عمل واحدة .

ولنتذكر جميعا قول الله عز وجل فى كتابه الكريم « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

اننا نعيش لحظات من اخطر ما تمر به الامة العربية الان . ان عدونا عرف كيف ينتصر فى الخامس من يونيو . وعلينا الان ان نعرف كيف نهزم العدو ونزيل من على الارض العربية آثار عدوانه وعار الهزيمة ..

ولن يتحقق لنا هذا النصر ، الا بوحدتنــا .. بوحدة كل القوى التقدمية العربية .. بوحدة فى الفكر والعمل وبارادة الصمود التى لا تموت لهذا الشعب .

●

كتب المواطن **رجب احمد عبد الباقى** — عضو لجنة الشباب ومؤتمر الاتحاد الاشتراكى بمركز مطاى، المنيا — يعلق على افتتاحية عدد أغسطس بعنـوان « **مسالة للمنـاقشة** » **للطفى الخـولى** فيقول :

فى افتتاحية الطليعة عـدد أغسطس وتحت عنوان « **مسالة للمناقشة** » طرح الاستاذ **لطفى الخولى** مسألة من أهم المسائل التى تهم كل القوى الثورية العربية .

هى أن هناك خلافات بين القوى الثورية العربية حول المواقف والاساليب الواجب استخدامها فى ساحات النضال . ويوضح لطفى الخولى هذه المسالة بقوله « ان المسالة فى صميمها هى دعوة ملحة وحارة من أجل اللقاء دون ما حساسيات ، بين كل القوى والعناصر التقدمية فى الوطن العربى على مواقف وأساليب موحدة للنضال ، تغتنى بكل الطاقة العربية ، كى تزداد فاعليتها وتثمر فى كل ساحات المعركة القتالية منها والسياسية » . اذن هى دعوة ملحة من أجل لقاء ، أو وحدة القوى الثورية التقدمية فى وطننا العربى فى مواجهة التحدى الخطير الامبريالى الصهيونى .

ولقد أثيرت مسالة وحدة القوى الثورية التقدمية فى وطننا العربى كثيرا حتى قبل العـدوان الاسرائيلى الصهيونى الامبريالى الاخير (يونيو ١٩٦٧) وأذكر أن هذه المسالة قد طرحت للبحث والمناقشة فى « **ندوة الاشتراكيين العرب** » والتى عقدت **بالجزائر** .

وأذكر أن الاستاذ لطفى الخولى قد تقدم بدراسة فى هذه الندوة ، وقد نشرت هذه الدراسة بمجلة الطليعة عدد يونيو ١٩٦٧ تحت عنوان « افكار وملاحظات حول بناء وحدة القوى التقدمية فى الوطن العربى » والدراسة شاملة لكل مايدور من تساؤلات تجاه هذه المسالة الهامة .

والواقع ان وحدة القوى الثورية التقدمية فى وطننا العربى لم تعد مطلبا شخصيا لفئة من الفئات . بل أصبحت مطلبا جماهيريا وضرورة تاريخية تفرضها الظروف الحاسمة التى تمر بها الثورة العربية . والجماهير العربية فى وطننا العربى الكبير التى أولت ثقتها لهذه القـوى الثورية ، لم تعد بحاجة الى الكلام النظرى تجاه هذه المسألة المصيرية . فهى تحمل كل القوى والعناصر التقدمية الموجودة فى مؤسسات الحكم فى الدول العربية التقدمية المسئولية لتحقيق هذه المسألة والجماهير العربية لاتطلب وحدة بمعناها الحقيقى أى الاندماج الكامل للنظم التقدمية فى الوطن العربى لان هذا المعنى للوحدة عسيـر التحقيق . ولقد حسم المناضل الرئيس جمال عبد الناصر هذه المسالة فى اجتماعه يوم ٨ مارس ١٩٦٧ مع مكتب اتحاد المحامين العرب بالقاهرة بقوله « وحدة القوى الثورية ممكن أنها تأتى فى عدة أشكال وليس ضروريا أبدا أن نصمم على الوحدة بصفتها المطلقة ، اللى هى الوحدة ، اللى هى الدمج والتوحيد الكامل ، لانه فى رأيى ان هذا الموضوع عسير جدا الوصول اليه . قد يكون من الاسهل ان نبدأ بنوع من الجبهات او عمليات بهذا الشكل . وهذا يوصل فى المستقبل الى نوع من التفاهم لمواجهة القوى المضادة الموجودة فى العالم العربى . ومعنى هذا أن الجبهة هى التى من الممكن أن تكـون مدخـلا لكل الافكار التى تجول برؤوسنا ، لان عملية التوحيد بمعنى التوحيد قد تكون عملية عسيرة وقد تكون عملية صعبة بل قد تكون اذا قامت تلقائيا عملية مصطنعة » .

ولا بد أن نضع فى اعتبارنا عند الاقدام على الخطوات العملية لتحقيق لقاء القوى الثـورية العربية ، الخبرات المستفادة على ضوء التجربة والمحاولات السابقة . وتفيد هذه الخبرة أن قوى الاستعمار والقوى المعادية لمصالح الشعوب العربية ، تعمل دائما على عرقلة هذه المحاولات وضربها .

ان القضية بكل أبعادها وما تحمله من تحـدٍ خطير للامبريالية وقواها العدوانية ، مطروحة الان أمام قوى التحرر العربى ، وخاصة تلك التى تتحمل المسئولية الان فى الحكم .

ولاشك فى أن القوى الثورية ونظمها التقدمية قد ازدادت قوة بعد انتصار ثورة ٢٥ مـايو السودانية ، وها هو اللواء جعفر النميرى يعلن موقف الثورة تجاه حركة التحرر العربى التقدمية وذلك فى اجتماعه بمسيرة العمال فى بورت سودان بقوله « ان حركتنا جزء من الحركة العربية الثورية التى تسعى الى بناء امة عربية ثورية بعيدة عن نفوذ الاستعمار بشقيه القديم والحديث . وفى هذا الميدان سنسخر كل امكانياتنا للوقوف فى خط النار الاول دفاعا عن الحق العربى حتى نسترد أراضينا التى اغتصبتها اسرائيل قاعدة الاستعمار العالمية الاولى فى الوطن العربى » ..

ان هذا اللقاء ضرورة حتمية ثورية وتاريخية تفرضها الظروف النضالية لحركة التحرر العربى التقدمية ، واللقاء مطلب جماهيرى شعبى تضعه الجماهير أمانة فى عنق كل القوى والعنـاصر التقدمية الثورية فى وطننا العربى الكبير . واقول أن التاريخ سوف يحكم على القوى الثورية التقدمية

فى مؤسسات الحكم فى البلدان العربية التقدمية ، بالنجاح أو بالفشل بمدى نجاح أو فشل هذه القوى فى تحقيق هذه المسألة الملحة الا وهى لقاء القوى التقدمية من أجل وحدة نضالية مغتنية بكل الطاقة العربية حتى تزداد فاعلية فى ساحات النضال القتالية والسياسية •

الثقافة والعمال

تعليق من مدير مؤسسة الثقافة العمالية

جاءنا التعليق التالى نصه من السيد عبد المغنى سعيد ، مدير مؤسسة الثقافة العمالية :

تفضلت الزميلة « الطليعة » بتخصيص عدد كبير من صفحات عددها الصادر فى أغسطس ١٩٦٩، لدراسة ميدانية ونظرية للثقافة والعمال مركزة بوجه خاص على المؤسسة الثقافية العمالية باعتبارها الجهاز القائم على تثقيف الطبقة العاملة • وانى اذ أشكر الطليعةعلى هذا الاهتمام لا يسعنى فى نفس الوقت الا أن أوضح أسباب الاعتذار عن التعقيب • فقد كان الاتفاق بيننا وبين أسرة الطليعة هو أن تضع تحت نظرنا جميع موضوعات الدراسة • وبمقتضى هذا وضعنا من جانبنا كل امكانيات المؤسسة تحت تصرف محررى الطليعة وقد تم لهم كل ما طلبوا من تيسيرات حتى يكون البحث موضوعيا وموفيا بالغرض ، الا انه حدث أن طلب الى التعقيب على جزء واحد من الدراسة وهو المنشور تحت عنوان « رؤية الدارسين » • وعندما طلبت الموضوعات الاخرى اعتذرت أسرة الطليعة عن تقديمها وقالت انه فى استطاعتى ان شئت أن أعقب عليها ككل فى العدد التالى • فاذا كنت قد أجلت التعقيب على الجزء وطالبت بالتعقيب على الكل فهذا حق مشروع وهو الحق الذى تقضى به التقاليد المرعية فى العمل الصحفى فى مثل هذه الحالة • ولهذا لا أعتقد انه كان من المناسب وصف هذا الموقف بالاعتذار •

ولا اريد أن استطرد فى مناقشة الموضوعات بالكامل ، ولكن أرى من واجبى ابراز بعض الحقائق التى لا سبيل لتقويم عمل المؤسسة بدون الرجوع اليها ،، هذه الحقائق هى :

أولا : أنشئت المؤسسة الثقافية العمالية فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٦١ مع بداية مرحلة التحول الاشتراكى • وقصد بها أن تكون مجرد جهاز شعبى للتثقيف النقابى • ويبدو هذا الوضع فى ارتباط المؤسسة بالاتحاد الاشتراكى العربى ودخولها فى اطار تنظيمه العام كما يبدو ايضا فى العلاقة الوثيقة بين المؤسسة والاتحاد العام للعمال والنقابات العامة ،•

ثانيا : يمثل الاتحاد الاشتراكى العربى فى مجلس ادارة المؤسسة عضوان أحدهما من المعهد العالى للدراسات الاشتراكية والاخر تختاره الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى • الامر الذى يتيح التوثيق بين برامج المؤسسة وبرامج المعهد العالى والمعاهد الاقليمية الاشتراكية الاخرى ، فضلا عن أن جميع برامج ومطبوعات المؤسسة اعتمدت من الامانة « السابقة » للدعوة والفكر • ولا تقتصر علاقة المؤسسة بالاتحاد الاشتراكى فى المحافظات ، باعتماد قوائم المحاضرين فى دائرة كل محافظة فقط ، بل يشتركون عادة مع المحافظين فى بعض الندوات السياسية العامة التى تنظم بالاشتراك مع المؤسسة فى مناسبات مختلفة مثل توزيع الشهادات على الخريجين واحتفالات المسرح العمالى وافتتاح معارض الفنون التشكيلية والعمالية •• الخ • هذا وقد عهدت بعض لجان الاتحاد الاشتراكى فى بعض الاقسام والمراكز الى مراكز الثقافة العمالية ، بتثقيف وتوعية أعضاء اللجان وفى كل هذا دليل واضح على ان المؤسسة الثقافية العمالية جزء لا يتجزأ من الاتحاد الاشتراكى العربى ، وأنها تمارس عملها فى اطار خطه العقائدى العام •

ثالثا : للحركة النقابية فرصة واسعة لتوجيه **نشاط المؤسسة** حيث يوجد فى مجلس ادارتها سبعة من ممثلى العمال وهؤلاء السبعة يكونون الاغلبية •، كما أن بعض النقابات العمالية العامة انشأت مراكز للثقافة العمالية تابعة لها مباشرة وشجعت المؤسسة هذا الاتجاه مع تقديم معوناتها الفنية والمادية لهذه المراكز •

رابعا : تصدر **المؤسسة الثقافية العمالية نشرة نصف شهرية :** وسلسلة من الكتب لتوضيح الخط السياسى والعقائدى لرؤساء المناطق والمراكز والمثقفين والمحاضرين • كما ينظم معهد التربية برنامجا للمراسلة كأسلوب لمتابعة تثقيف العاملين فى ميدان الثقافة العمالية بعد تخرجهم من المعهد، فضلا عن عقد الندوات العامة لمناقشة بعض الموضوعات ،.

خامسا : يختار المحاضرون من الفنيين والمختصين ويرشحهم أو يعتمد ترشيحهم أمين الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة وقد أعدت قوائم بتصنيف جميع المحاضرين تبعا للموضوعات المختصين بها • وسوف تنظم لهم حلقات نقاشية فى كل موضوع على حدة يديرها أحد المسئولين الكبار • وذلك ضمانا لوحدة الفكر حيث ان النشرة والكتب وبرامج المراسلة لا تكفى لتحقيق هذه الوحدة ، ولابد لتهيئة فرصة النقاش الحر بين المحاضرين فى حضور أحد كبار المسئولين لتصحيح المفاهيم الخاطئة • هذا وقد سبق ان نظم معهد التربية العمالية دورات للمحاضرين ، الا انها

كانت عامة ولم تحقق هذا أو ذاك ؟ ولهذا نرى أن تكون مصنفة تبعا لموضوعات الاختصاص ٠

سادسا : قيل الكثير عن وجوب متابعة الدارسين بعد تخرجهم ٠ وهذه المتابعة موجودة بالفعل وغالبا ما يختار من بين خريجى البرنامج الاساسى ، الدارسون فى برامج المستويات الاعلى فى المعاهد ٠ كما يعتمد على النشرة وجرائد الحائط والندوات العامة كوسائل متابعة دورية الا انه تقرر أخيرا اتباع نظام **المندوب « الثقافى »** فى كل وحدة عمل ٠ ويتولى هذه المندوب متابعة الخريجين فى اجتذاب الدارسين الجدد والاشراف على جرائد الحائط ومكتبة الاطلاع للوحدة واقامة الندوات بالاشتراك مع لجنة الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية ولجنة الانتاج ٠ ومرفق مع هذا نشرة باختصاص المندوب الثقافى ، وسوف تنظم لهؤلاء المندوبين دورات خاصة بمعهد التربية العمالية ٠

أما ما يطلب به البعض من تنظيم الخريجين فى شعبة منظمة فهذا ما رفضته المؤسسة أكثر من مرة ٠ لانها كما سبق ان أوضحنا لا يمكن أن تكون تنظيما جماهيريا قائما بذاته وانما هى جهاز فى خدمة التنظيمين السياسى والنقابى ٠

سابعا : ان دور اجهزة الثقافة العمالية فى **جميع الدول** ، لا يمتد الى مسئوليات مكافحة الامية والتدريب المهنى ٠ وانما هى تقوم **بدور مساعد وغير مباشر** لتشجيع العمال على الاقبال على فصول مكافحة الامية ومراكز التدريب المهنى ٠ اما أن تنشىء مؤسسات الثقافة العمالية مثل هذه الفصول والمراكز فهذا أمر فوق طاقتها ٠ وفى تجربتنا فى الجمهورية العربية المتحدة نقبل الاميين فى البرنامج الاساسى العام ٠ وقد ثبت افادتهم من المناقشات حتى لقد كان الاوائل من بينهم فى بعض الدورات،ولعل هذا اقوى دليل على أن المؤسسة لا تعتمد على الاسلوب التقليدى للمحاضرة كما يقال ، وانما تعتمد اساسا على المناقشة والا لما تفوق مثل هؤلاء الاميين ٠

ونرى ان مكافحة الامية تتطلب حملة قومية تحشد كل الامكانيات لها وفى مقدمتها امكانيات الاتحاد الاشتراكى العربى ووزارة التربية والتعليم ووزارة الثقافة والحركة النقابية ٠٠٠ الخ

أما مراكز التدريب المهنى فهى تتطلب آلات وادوات ومدربين من نوع خاص ولا يمكن ان تقوم بها مؤسسات الثقافة العمالية بأية حال ٠ وكل ما تسهم به فى هذا المجال هو تنظيم برامج خاصة للكفاية الانتاجية وعلى الاخص ما يتعلق بتصوير ورسم الالات ودراسة الوقت والحركة ٠

وقد بدأت المؤسسة فى تنفيذ هذا البرنامج لاعضاء لجان الانتاج ٠ وهى تسعى للتعاون مع جميع الاجهزة المختصة مثل مصلحة الكفاية الانتاجية وهيئة التليفزيون ومؤسسة السينما بشأن الوسائل السمعية والبصرية التى لا غنى عنها فى مثل هذه البرامج ٠

ثامنا : أولت المؤسسة الثقافية العمالية ما يزيد على حدود طاقتها ، اهتماما خاصا بالعمال الزراعيين ولم يقتصر نشاطها على المناطق المعمورة بل امتد الى مناطق الاستصلاح الجديدة مثل مديرية التحرير والوادى الجديد ٠ وتقوم مراكز الثقافة العمالية فى مراكز العواصم المجاورة والمناطق الصناعية بتنظيم دورات فى القرى المجاورة طبقا لخطة عمل معدة مقدما لضمان تكافؤ فرص التثقيف بين العمال الصناعيين والزراعيين ٠ هذا فضلا عن الجمع بين الفريقين فى بعض الندوات المشتركة ، وقد أثبتت التجربة العملية ان المؤسسة الثقافية العمالية هى اقرب اجهزة التوعية والتعليم السياسى الى الفلاحين ٠

تاسعا : تحرص المؤسسة الثقافية العمالية على نشر نشاطها فى سائر أنحاء الجمهورية ولهذا تقدم برامجها بالاضافة الى عمال المدن الصناعية وعواصم المحافظات ، الى القرى ومناطق الاستصلاح ، بل ومصايد الاسماك والمناجم فى منطقة البحر الاحمر ٠ وفيما يختص بالمعاهد لا يقتصر نشاطها على القاهرة والاسكندرية ، بل هى تنظم دورات تثقيفية خاصة فى بعض عواصم المحافظات داخل الاماكن الصناعية والتى توجد بها امكانيات لا بأس بها من حيث توافر المثقفين والمحاضرين ٠

عاشرا : أثيرت قضية التفرغ ونحن نشارك الطليعة رأيها فى وجوب الاعتماد الى أقصى حد على المثقفين والمحاضرين المتفرغين ٠ ولكن الامكانيات المادية لم تسمح حتى الان بالتوسع فى عملية التفرغ ٠ وتعطى الاولوية فى هذا المجال لمديرى المناطق والمراكز ٠ كما يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن كثيرا من المنشآت لا تسمح باعارة موظفيها للمؤسسة ٠ ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أيضا ان الاخذ بنظام المحاضر المتفرغ يهبط

سقط سهوا فى العدد الماضى ان نشير الى الاتفاق الذى تم بين « الطليعة » ومجلة « الطريق » ــ اللبنانية ــ حول نشر « تحقيق من موقع الثورة ــ السودان من داخل السودان » ، فى المجلتين معا وفى وقت واحد ٠ □

بمستوى المحاضرين لانه لا يعقل أن يترك أستاذ جامعي مركزه في الجامعة ويتفرغ في المؤسسة الثقافية العمالية ، ولكنه يقدم مشكورا على اعطاء المحاضرات في معاهدها • وتعويضا لهذا النقص الذي نعترف به ، أنشأنا مجالس استشارية بالمعاهد • وتتألف من بعض الاساتذة والقادة النقابيين، وتجتمع دوريا لاعادة النظر في البرامج ولتقديم مشورتها الفنية للخريجين الذين تتاح لهم فرص - استشارة المعاهد في اية موضوعات او مشاكل يواجهونها بعد تخرجهم •

حادي عشر : تحرص المؤسسة الثقافية العمالية على المحافظة على طابعها الجماهيري وهي لا تمارس الاسلوب التقليدي للتعليم في المدارس بل تعتمد على وسائل تثقيف الكبار او التثقيف الذاتي • وبالاضافة الى برامج الدراسة تقوم بالكشف عن هوايات الدارسين الفنية والافادة منها وذلك عن طريق تشجيع تكوين فرق المسرح العمالي واقامة معارض الفنون التشكيلية وعقد الندوات السياسية والشعبية العامة بالاشتراك مع أمناء الاتحاد الاشتراكي العربي والمحافظين •

واذا كان عدم التفرغ ينظر اليه كناحية قصور الا انه من جهة أخرى يحافظ على طابع جماهيرية المؤسسة ويجنبها الطابع الديواني في حالة ما يكون محاضريها ومثقفيها من المتفرغين •

اثنى عشر : أشارت الطليعة الى عدم وجود مجلس ادارة المؤسسة والمجلس قائم بحكم المادة (٤) من لائحة نظامها الاساسي الصادر في ١٩٦٥/٦/٢٠ ، ولما انتهت مدة المجلس في يونيو ١٩٦٧ حالت ظروف العدوان وتوقف الانتخابات النقابية حتى اليوم دون اعادة تشكيل المجلس ، وجاري اعادة تكوينه في الوقت الحاضر •

وختاما نشكر للطليعة اهتمامها الواضح بقضية الثقافة العمالية ونرجو أن ترحب من جانبها بنشر هذا التعقيب بناء على اتفاقنا السابق، وأن تتيح لنا فرصة أخرى لمناقشة بعض هذه الموضوعات في ندوة خاصة كما اقترحت من قبل على أسرة التحرير •

الطليعة

بغض النظر عن التفاصيل ، فاننا نرصد الحقائق التالية :

● تشكر الطليعة للاستاذ عبد المغني سعيد اهتمامه بمتابعة دراستها من جهة ، فضلا عن التيسيرات التي قدمها لتغطية موضوع الدراسة من جهة أخرى •

● اتفاق الطليعة مع الاستاذ عبد المغني سعيد ، كان محددا بان يعلق - بوصفه مديرا لمؤسسة الثقافة العمالية - على رؤية الدارسين للنواحي الايجابية والسلبية في عمل المؤسسة من جهة ، ولفهمهم الخاص لقضايا الثقافة العمالية • وهذا منطقي للغاية ، أن تطلب الطليعة من مسئول - كما في هذا العدد مثلا من دراسة « هكذا قال الادباء الشباب » - ودون ان يطلع على سائر التعليقات الاخرى التي يكتبها أساتذة آخرون فالمقصود بتعليقه ، أن تكتمل صورة « الوجه للاخر » للحقيقة أمام القراء ، بأن يتحدث العاملون والدارسون في مجال ما ، ليعلق على حديثهم مسئول هذا المجال •

● على عكس ما يقول الاستاذ عبد المغني سعيد ، تقضي تقاليد العمل الصحفي ، بحق كل صحيفة في الاحتفاظ بما سيحتويه عددها - تحت الطبع - حتى يتم النشر ، ليصبح بعد ذلك ملكا لكل قارىء ويصبح حق التعليق او التعقيب - حينئذ - حقا لكل من يريد • والا كيف يدار الحوار الديمقراطي ؟ وكيف يتوفر المناخ الصحفي له ؟

● ان عرض سائر موضوعات الدراسة على كاتب يعرض وجهة نظره في نفس موضوع الدراسة - تحت الطبع - يمكن أن يؤدي - شاء او لم يشأ - الى احتمال تكرار نفس الافكار بشكل مباشر أو غير مباشر •

● ان اطلاع كاتب على مقالات زملاء له يكتبون في نفس الموضوع وفي نفس العدد ، يعطيه امتيازا لم يتوفر للاخرين ، امتيازا يفترض أن يكون استثناء خاصا له لا تمنحه المجلة لغيره من الكتاب • ولو افترضنا - جدلا - اطلاع كل كاتب على مقال زميله في نفس الموضوع وفي نفس العدد ، سيصبح الوقت - موعد ظهور المجلة - رهن انتهاء كل كاتب بحسب ظروفه من الانتهاء من قراءة ما يقوله زملاؤه • ومن ثم يصبح موعد الصدور أمرا مشكوكا فيه •

● اننا قدمنا للسيد عبد المغني سعيد ، كل الاوراق الخاصة « برؤية الدارسين »، كما فعلنا مع جميع السادة المعلقين، ولكنه اعتذر

عن التعليق ، مالم تقدم له كل ماكتبه زملاؤه الكتاب فى نفس الموضوع • ولما كان ذلك ـ كما اوضحنا ـ خروجا على الاتفاق ، وعلى تقاليد العمل الصحفى بشكل خاص ، فقد آثرنا التمسك بتقاليد العمل الصحفى وباتفاقنا •

● وأخيرا (**) ان الطليعة ترحب باقتراح السيد عبد المغنى سعيد يعقد ندوة لمناقشة قضايا الثقافة العمالية ، فان كانت لديه نقاط معينة لجدول أعمال مقترح فاننا نرحب بمناقشته تمهيدا لعقد الندوة •

« بيان من مجلس تحرير الطليعة »

ناقش « مجلس تحرير الطليعة » فى اجتماع خاص ، انعقد فى السادس من أغسطس الماضى ، ما أثارته مجلة المسرح فى عدد يوليو ١٩٦٩ ، وأعادت نشره جريدة الاخبار فى ملحقها الادبى الصادر بتاريخ ٢٧ ـ ٧ ـ ١٩٦٩ ، تحت عنوان « بعض الكتاب وضمائرهم » وذلك فيما يتعلق بواقعة الزميل « غالى شكرى » المحرر بالطليعة •

وكانت مجلة المسرح قد كشفت عن ان « غالى شكرى » أعاد نشر مقال له عن شبلى شميل فى العدد السابع لسنة ١٩٦٩ من الطليعة ، سبق أن نشره فى أحد أعداد مجلة المسرح بالعدد رقم ٤٦ الصادر فى اكتوبر ١٩٦٧ • وذلك ضمن مجموعة من الوقائع الاخرى التى نسبت الى كتاب آخرين قاموا بنفس العمل ، أو بنقل فقرات كاملة من كتابات غيرهم دون ما أية اشارة الى ذلك •

وبعد مناقشة الموضوع ، فى حضور الزميل غالى شكرى ، اتخذ المجلس بالاجماع القرارات التالية :

أولا : تأييد كل من الزميلتين ، مجلة المسرح ، وجريدة الاخبار (الملحق الادبى) فى موقفهما من هذه القضية التى تعنى عدم احترام الكاتب لمسئولياته ازاء المنبر الذى يتيح له النشر والتعبير من ناحية ، وازاء جمهور القراء من ناحية أخرى • ويسجل المجلس شكره للزميلتين على مبادرتهما الشجاعة للكشف عن عدد من وقائع الاخلال بالمسئولية لبعض الكتاب • آملا بأن يؤدى هذا الى تعميق الاحساس بالمسئولية لكل من يتصدى لحمل القلم •

ثانيا : تخطئة تصرف الزميل غالى شكرى فى تقديم مقال للنشر بالطليعة سبق أن نشره فى مجلة أخرى منذ عامين ، دون أن يحيط ادارة التحرير المسئولة عن النشر علما بواقعة النشر المسبق •

ثالثا : قبول النقد الذاتى الذى بادر الزميل غالى شكرى الى تقديمه امام مجلس التحرير ، والذى يعترف فيه بخطئه ويعلن فيه أسفه ومعذرته لاسرة المجلة وقرائها موضحا أن الظروف التى أقدم فيها على تصرفه كانت قد ولدت اليه اقتناعا بأن « المقال المقصود هو اكتشاف عثرت عليه فى صورة مسرحية غير معروفة لشبلى شميل ، لم يشر اليها أحد من النقاد أو مؤرخى المسرح منذ اكثر من نصف قرن • فقد كتبها صاحبها عام ١٩١٥ ، ومات فى العام الذى يليه ، ولم يشر اليها أحد ايضا شبلى شميل • ولما رأيت ان ملف الطليعة عن من الدارسين لتلك المرحلة الفكرية فى حياة شبلى شميل قد تناول بالتفصيل فكره وسيرته دون الاشارة الى هذا الجانب الهام من حياته قدرت أنه يصبح من المفيد أن يستكمل الملف بالمقال الذى سبق أن كتبته دون اية محاولة لاعادة صياغته ، اذ رأيت ان هذه الاعادة لن تكون أكثر من تلاعب بالالفاظ من قبيل الايهام بأنه مقال جديد •

ووجه الخطأ هو أنه رغم علمى بأنه ليس من تقاليد الطليعة أن تنشر ما سبق نشره ، فانى قدرت أن اكتشافا كهذا يحتمل اعادة النشر ، وذلك دون ان أحيط ادارة التحرير بالطليعة علما بهذا التقدير وبواقعة النشر السابق للمقال » •

ومجلس تحرير الطليعة اذ يقبل النقد الذاتى للزميل غالى شكرى ، يرجو ان يجد هذا النقد ايضا ، نفس القبول من أصدقاء وقراء الطليعة •

وثائق

وثائق تاريخية عن:

الحركة الدستورية في مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر

١٧

تتابع الطليعة — نشر الوثائق الخاصة بالحركة الدستورية فى بلادنا . فبعد أن نشرنا فى القسم الاول [عدد يونيو ١٩٦٩] وثائق الهبات الشعبية السابقة على الحملة الفرنسية والتالية لها ، وكذا وثائق النظام الذى وضعه الفرنسيون لحكم مصر — قدمنا فى القسم الثانى (عدد يوليو ١٩٦٩) الجزء الاول من نصوص نظام الحكم الذى وضعه محمد على . وواصلنا نشر هذه النصوص فى القسم الثانى (عدد أغسطس ١٩٦٩)

وفى هذا العدد نقدم القسم الثالث من هذه الوثائق . ويتضمن باقى النصوص الخاصة بالمجلس العالى ، وهى « التعليمات والترتيبات » الخاصة بالنظام الداخلى للمجلس وكيفية العمل فيه . ولم ندرج من هذه اللائحة بعض النصوص التفصيلية ، كما سيتضح اثناء العرض .

ومن بين وثائق هذه الفترة « لائحة ترتيب المجلس العالى » الصادرة فى أغسطس ١٨٣٤ وفيها نجد أن تشكيل المجلس أصبح يتضمن « بعض رجال الاقاليم المنتخبين » وكذا عالمين من علماء مصر ، وتاجرين . ولذلك نصت اللائحة على أن ممثلى المديرية يتم انتخابهم بواسطة الاهالى ، وينتخب التجار ممثليهم ، وكذا كبار العلماء يقومون بانتخاب من يمثلهم فى المجلس .

وتعتقد الطليعة بأهمية القاء الضوء على هذه الوثائق ومن ثم ، فقد كلفت الدكتور وليم سليمان باعداد دراسة تحليلية ، وذلك لنشرها فى العدد القادم مع القسم الاخير من وثائق « الحركة الدستورية فى مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر » والذى يضم قانون السياستنامة .

التعليمات السنية المشتملة على أصول آداب المجلس العالى الصادرة فى سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠) م

الوقائع المصرية — العدد ١٥٨ فى أول يونية ١٨٣٠
محمد خليل صبحى ، المرجع السابق ص ٢٤.

مقدمة فى ماهية المجلس

مجلس المشورة هم الذوات المشهود لهم بالفكر الثاقب، والرأى الصائب، المعدودون أهلا لتدبير المصالح بالاعتدال والاستقامة، الخالون من البغض والعداوة، العارون عن لباس الغرض النفسانى، الثابتون فى الجلوس بمحل واحد كنفس واحدة، الذين يتذاكرون فى المصالح التى ترد الى المجلس من غير اكراه ولا استثقال، ويصرفون ذهنهم ويبذلون وجودهم بثبات واستعداد للنظر فى الامور . وهؤلاء الذوات وان كانوا متعددين، ينبغى لهم أن يحسبوا أنفسهم ذاتا واحدة من شدة الاتحاد والاتفاق الحاصل بينهم . ومتى كانوا كذلك سموا مجلسا

فيما يجب عليهم من تقديم الشكر لله تعالى وفى اصول آدابهم يجب (أولا) على كل من المنتخبين الذين هم أهل المجلس ان يوفوا مايجب عليهم من الشكر لله على نعمه التى حازوها باكتسابهم الجاه والشرف، وبتميزهم عن سائر الناس، حيث انهم صاروا أهلا لذلك فى ظل سعادة افندينا (ثانيا) ينبغى لهم ان يسعوا فى تحصيل رضا أوامر ولى النعم الذى هو سبب لشرفهم، وينقادوا بكل امتثال لانفاذ ارادته السنية (ثالثا) يعتنون الاعتناء التام بضبط كل المصالح التى يلزم المذاكرة بها فى المجلس من دون عرضه

وتفصيل ذلك أنه ينبغى لكل من اهل المجلس ان يجتمعوا فى الميعاد المخصوص للمجلس، ويجلس كل منهم فى محله بالادب والاحتشام، ويجتنبوا المقالات التى لا توافق المصلحة والتى لا يليق ان تحرر، ويبادروا بالاتفاق للنظر فى المصالح التى ضبطها وربطها ضرورى، وبعد هذه المبادرة ان لم يستقر الراى على ختمها او توقف ذلك على الاستفهام، فلا ينتقل منها الى مصلحة اخرى من دون ان يروا لها نتيجة لكيلا يصير بهذا تعطيل أوقات . ومن اراد من اهل المجلس ان يقدم تقريرا بحسب المصلحة فلا يضايق المجلس ملحا بقضائه قبل ما سواه من المصالح . ولا يتعرض بعضهم لبعض من دون فائدة، بل يعرض ذلك لحضرة بيك أفندى ناظر المجلس . وماكان رؤيته من المصالح اكثر احتياجا يشرع بالمذاكرة فيه بموجب رأيهم، وان قرر أحد فى المجلس تقريرا او سأل سؤالا يشمئز منه احدهم وكان ذلك موافقا للمصلحة فليتخذ كأنه من أفواه المجلس ولا يجعل سببا لصدور البغضاء والعداوة . واذا ذكرت مصلحة واعطى احد منهم جوابا فينبغى للاخرين ان يروا هل ذلك الجواب مطابق للمصلحة ام لا، فان رأوه مطابقا اثبتوه، وان كان مخالفا او مبهما فليبين ويدفع الضرر الحاصل منه، وليكونوا دائما مستعدين بانتباه للمذاكرة التى تقع، ومصغين لها بوجه مستحسن . ولا يخرج أحد منهم خارجا عن المجلس من دون عذر، وان حدث له عذر يأخذ اجازة من ناظر المجلس، ثم يعود سريعا . وان حصل له شاغل لمصلحة ما ولم يمكنه الرجوع يقيد ذلك فى مضبطة المجلس . وان منعه عن الحضور مانع لامر اقتضى ذلك يعرض ذلك بتذكرة او بطريق غيره، وبعد أن يفهم مضمون عذره يقيد ويتخذ ذلك دستورا للعمل من الجميع . ثم انه اذا وجد احد غير سالك بهذه الاصول وبقى مصرا على هذا الحال فينبه مرة واثنتين وثلاثة . وبعد ذلك ان بدا منه حركة مخالفة لتلك الاصول يمنعه ناظر المجلس عن الدخول يوما او اثنين او ثلاثة بحسب جنحته ومقاومة تربية له . وبعد ذلك يؤتى به الى المجلس . واذا أريد الانتقال من أمر الى آخر، أو حكم بمصلحة فلا ينبغى ان يتكلم كلاما اجنبيا .

فى صرف مصالح المجلس

ان الامور التى تقع المذاكرة عليها فى المجلس اما ان تكون متعلقة بالميرى أو بالرعية .

فما كان متعلقا بالميرى اما ان يكون فتقا ورتقا بالاصول، أو ضبطا وربطا بالحسابات، من موجب الدفتر أو صرف رؤية للمشتريات المقتضية للميرى يحكم اهل المجلس .

وان اوجب الامر الى استخدام احد فى المصالح، فان كان

تخصيصه من طرف حضرة ولى النعم فلا يعارض • لان الكبراء وغيرهم تحت حكم سعادته • وهو يعلم النفع والضرر الحاصل • وصاحب البيت أدرى بالذى فيه •

وان لم يكن تخصيصه من طرف سعادته يحال على عهدة أهل المجلس وهم يميزون ويرجحون حاله برأيهم سلوك ودرايتهم • وهذا الترخيص انما هو وديعة لديهم من طرف ولى النعم ، والوديعة يحتاج حفظها بذل الجهد والصداقة والاهتمام على قدر الامكان حتى يصل الحق لصاحبه •

ولا ينبغى لهم ان يميلوا الى الوالد والاولاد ، والاخوان والاقارب والاخلاء والاصهار ، والاحباب اذا ارادوا ان ينتخبوا أحدا لمصلحة،بل يتخذوهم كسائر الناس وينظروا الى من يريدون انتخابه ليعلموا هل هو بليدام ذكي العقل ، أم هو ذو فكر ثاقب ورأى صائب ، أم غير مستقيم او متكاسل خائن فى خدمته او ذا اجتهاد وسعى،ويلاحظوا قابليته واستعداده وحركاته وسكناته ، فاذا رأوه غير متهم بشائبة الاختلاس وقادرا على القراءة والكتابة حسب الوقت ــ انتخبوه من بين امثاله ، واستخدموه فى مصلحة مناسبة لحاله • وليجتنبوا المتهمين ، ويوفوا حق المصلحة ويجروا اقتضاها بالصداقة .

• • • • • • • •

وأما أمور الرعية المقدمة بعرض حالات فمن حيث انها ليست متعلقة بالمجلس جميعها بل اكثرها متعلق بدواوين الحكام ففيها تفصل ، ولا ينبغى ان تقبل فى المجلس الا بعد ان تقدم لاعتاب ولى النعم او للديوان المرخص فى ذلك ويأمر برؤيتها فى المجلس ، والا فيطرأ تعطيل على مصالح المجلس ، واذا احيلت اليه تقرأ علنا وتقع عليها المذاكرة ، فان كانت متعلقة به يصرف الذهن لمعرفة عللها واسبابها وترى على وجه الحق وان توقفت رؤيتها على الشرع الشريف تحال اليه •

فى ربط مضبطة المجلس بالاصول والفروع

ضبط مذاكرة المجلس وربطها يتوقف على ثلاثة دفاتر : (أحدها) لمذاكرة المجلس فى التقريرات التى تقدم اليه، وفى الاسئلة والاجوبة التى تجرى بينهم حسب الاقتضاء، (والثانى) للخلاصات المشتملة على تسويدات المصالح التى حكم بها بعد المذاكرة وحررت يوما فيوما • (والثالث) للوقائع اليومية المشتملة على بيان تاريخ ماصرف النظر عنه ومآخر الحكم به لاحضار ذات أو لكشف،وعلى تاريخ مااستفهم عنه وماحكم به وماجرى فى كل يوم فى المجلس من المصالح ، وهذا الدفتر ينبغى ان يكون عند الافندى كاتب المجلس •• ودفتر تسويد الخلاصات يكون عند الافندى مقيد الخلاصات •• ودفتر المذاكرة عند الافندى مقيد المذاكرة • وكل منهم يجب عليه أن يجتهد فى ايفاء خدمته بالاعتناء والتدقيق •

ويلزم ان يخصص افندى مستعد لكى يبيض فى كل يوم تسويدات مجلس المذاكرة ويقدمها لاعتاب حضرة افندينا ، ويخصص ايضا افندى آخر ليترجم التقريرات والكشوفات العربية التى تقدم فى كل يوم فيحصل بذلك الرواج للمصلحة

فى بيان خدمة كاتب المجلس

• • • • • • • • •

فى بيان خدمة مبيض مسودات المجلس

• • • • • • • •

فى بيان خدمة مقيد مذاكرة المجلس •

• • • • • • • • • • • • •

فى بيان خدمة مقيد خلاصة المجلس •

• • • • • • • • • • •

فى بيان خدمة المترجم

خاتمة • • •

هذا المجلس شريف عال ، وأربابهم بحسب نسبتهم اليه قدرهم عال ، فينبغى حفظ شأنه وحفظ شأن من انتمى اليه من ذوى القدر المنيف فيحفظون هذا المجلس الشريف بمراعاة الاداب فى جلوسهم وتكلمهم وسكوتهم وحركاتهم وسكونهم ويجتنبون الاغراض واللغو فى الكلام والمكالمة مع الاجنبى فى المصلحة والزيادة على القدر اللائق فى الكلام ، وافشاء السر وادخال من لا مصلحة له من دون اذن ، وينبغى أن يرتب قواصان فى باب المجلس لكى يمنع الاجنبى عن الدخول الا باجازة، ومن حضر من وجوه الناس يريد الدخول يلطفان له القول ويستأذنان له ، ومن لا مصلحة له ولا اذن له بالدخول فهو ممنوع • وان اقتضى الحال احضار احد الى المجلس لاجل تحقيق بعض المواد او الاستفسار عن شىء او لدعوة يجلب بمعرفة القواص ويستأذن عليه ثم يدخله وينبه عليه الا يتكلم فى غير المصلحة • وينبغى ان يخاطب برفق وملاءة ولا يخشن له القول ويقيد ماأجاب به ثم يعطى الاذن بانصرافه بقدر حاله ، فان سلك غير مسلك الادب فى اوضاعه عنف بحسب حاله وارشد الى طريق الادب .

قانون ترتيب المجلس العالى الصادر فى ٢٣ صفر سنة ١٢٤٩ (١٢ يوليو ١٨٣٣)

« محمد خليل صبحى ، المرجع السابق ، ص٣٤ ، فتحى زغلول المحاماة ، ١٩٠٠ ، ص ١٦٤ ــ ١٦٥ ، الملحقات ص ٢ ومابعدها

بند أول

ينبغى ان يتحدد ميعاد مخصوص لارباب المجلس لايابهم وذهابهم وحسن مداومتهم مع اعطاء تقوية لمواضبتهم ، وان ميعاد حضورهم فى أيام الصيف من الساعة تسعة الى الساعة تسعة ونصف وفى ايام الشتاء من الساعة تسعة ونصف لغاية عشرة والذين ببولاق يتخصص

لهم ميعاد لغاية عشرة · والا يتجاوزوا عن المواعيد المعلومة ، وان حصل تأخير من أحدهم فيجرى درج أسباب العذر الضرورى بمضبطة المجلس

بند ثان

ان قراءة المصلحة يصير السماع بالاذن القلبية ويكونوا مبرين عن الصيانة والخمساية وايضا عن الغرض والنفسانية · ويعطى لها صورة مرضية · واذا كان أحد من ارباب المجلس يريد يستغفل المجلس لداعى غرضه ونفسانيته ، ويتهم أحد الذوات الذى يكون مستقيم الاطوار استنادا لسعيه فى خلاص المذنب من باب التصاحب فاذا تظاهر ذلك فلا يصير اغماض العين ، بل يصير اظهار الغرض ويصير انصاحه أولا بالمجلس وايقاظه · وفى ثانى دفعه اذا حصل منه ذلك يحبس خمسة عشر يوما · بمحل خدمته مع قطع ماهيته مدة حبسه ، واذا لم ينتصح فيحبس شهرا بلا ماهية ، وان لم ينتبه يصير نفيه الى ابو قير مدة سنة بلا ماهية عبرة لغيره ، وعند تمام مدة نفيه يترتب له نصف ماهية لحين يستخدم ·

بند ثالث

بحسب الضرورة اذا كان احد من ارباب المجلس لم يحضر فيلزم يحرر تذكرة ويرسلها للمجلس ويوضح فيها عذره الذى منعه عن الحضور وعند ذلك يصير ارسال معاون او حكيم لتحقيق صحة ماأوضحه بخطابه ، فاذا وجد بخلافه يصير ايقاظه فى أول مرة وفى ثانى مرة يحبس عشرة أيام ، وفى ثالث مرة عشرين يوما فى محل مصلحته ويصير قطع ماهيته مدة سجنه .

بند ثامن

ينبغى من ارباب المجلس من أى ذات كان من الكبير او الصغير مادام دخلوا من باب المجلس فجميعهم يكونون بمقام جسم واحد واذا أعطى أحد جوابا بمصلحة ، فالآخر لا يعارض له بقصد انه يصير تصديق رايه ويتفاوت الوقت بل بحسب المصلحة لا يصير مراعية الخواطر وكل من يبين رايا صائبا بما تقضى المصلحة ومن وقت المغرب يعطى الاستراحة قدر نصف ساعة

البند التاسع وهو الخاتمة

اذا كان أحد من ارباب المجلس توجه لجهة بلا عذر من دون اخبارية للمجلس فأول مرة يصير ايقاظه بمعرفة المجلس وثانى مرة يحبس خمسة أيام بمحل خدمته ، واذا لم ينتبه فيصير معاملته حسبما توضح سابقا وعلى هذا الوجه يصير دستور العمل واجراء هذا القانون ويعطي لكل واحد نسخة من القانون المحكى عنه بيده للاجراء بمقتضاها

لائحة ترتيب المجلس العالى الصادرة بتاريخ ٢٥ ربيع الاول سنة ١٢٥٠

(أول أغسطس ١٨٣٤)

ترجمت هذه الوثيقة بمعرفة قسم المحفوظات التاريخية بالسراى الملكية ، عن الاصل المحفوظ ضمن وثائقها بمحفظة المعية رقم ١ — لائحة رقم ١٢ [محمد صبحى خليل] المرجع السابق ٢ ص ٢٢٧

المادة الاولى

على ناظر المجلس فى بادىء الامر ان يتوجه فى صباح كل يوم الى المجلس العالى وعندما لا يكون ولى النعم فى مصر عليه ان يظل فى المجلس الى وقت الغروب حيث يامر فى الوقت الملائم بترجمة آمدان المصالح العربية التى ترد يوميا · ويتولى محمد أفندى ناظر الدرسخانه الاشراف على الترجمة حتى لا يقع فيها اى سهو أو خطأ ثم تقابل الترجمة على الاصل العربى فى المجلس مرة او مرتين فى الاسبوع على سبيل الاختبار لمعرفة مبلغ صحتها ، ولما كان ناظر المجلس مسئولا عما يقع فى المجلس من خطأ أو صواب فعليه أن يعنى كل العناية بأمر هذه الترجمة ·

المادة الثانية

لما كان الامر يتطلب الحضور الى المجلس العالى فى الصباح والبقاء فيه حتى المساء فانه لمن البداهة ان نظار الدواوين ومن اليهم من رؤساء المصالح المعدودين اليوم من أعضاء المجلس العالى لو راعوا هذه القاعدة لما اتسع لهم الوقت لرؤية شئون المصالح المعهود بها اليهم فعلى المجلس والحالة هذه ان يستقدم اليه النظار ورؤساء المصالح الذين لهم اعمال فى المجلس تستدعى حضورهم اليه حيث ينظر فى الموضوع بمواجهة ذلك الناظر أو الرئيس المختص ، ومتى انتهى النظر فى الموضوع يؤذن له ويعاد الى مصلحته وكذلك الحال فيما اذا كان لاحد النظار أو الرؤساء شأن من الشئون التى تستوجب عرضها على المجلس العالى فان عليه أن يحضر الى المجلس العالى بنفسه وبعد عرض الامر وانهائه يعود الى مصلحته ·

• • • • • • •

المادة الرابعة

بما أن اكثر الشئون الخارجية رؤيتها بالمجلس العالى هى شئون الاقليم فمن الالزم والحالة هذه أن يوجد بالمجلس العالى بعض رجال الاقاليم المنتخبين ، ثم ان هناك قضايا يمارسها المجلس العالى تتعلق بحقوق عباد الله ورؤيته — بعض هذه القضايا والفصل فيها ، من اختصاص الشرع الشريف حيث يجب ايضا ان يكون بين اعضاء المجلس عالمان من علماء مصر ، وبما أنه تعرض على المجلس قضايا تختص بالمشتريات والتجارة فان الامر يستدعى وجود تاجرين بالمجلس لرؤية مثل هذه القضايا ولابد

للمجلس العالى من كاتبين ملمين بالاعمال الحسابية ليعهد اليهما فى رؤية الحسابات كما يجب ان يعين للمجلس العالى بعض المعاونين لاستخدامهم فى تحقيق المواد التى تستوجب التحقيق فعلى كل مديرية ان توفد الى المجلس العالى شيخا ينتخب من قبل الاهالى على ان يستبدل هؤلاء الشيوخ بغيرهم مرة فى كل سنة بنفس الطريقة (بالانتخاب) أما العالمان فيتم انتخابهما بمعرفة كبار العلماء ويستبدلان بغيرهما مرة فى كل سنة كالشيوخ . وكذلك الحال بالنسبة الى التاجرين والكاتبين وعلى شورى المعاونة انتخاب المعاونين الذين سيعينون للمجلس هذا ويجب اتخاذ هذا النظام دستورا للعمل .

من اجراءات تشكيل المجلس العالى

● صدر امر من محمد على باشا فى ٢٥ ربيع الاول سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤/٨/١) الى حبيب أفندى أنه يكون مقتضى نصوص لائحة المجلس العالى وجود أعضاء له من العلماء والتجار قد صدرت الاوامر منه الى كل من حضرات الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر والى سر تجار بانتخاب من يلزم من العلماء والتجار حيث انه مقتضى ترتيب ماهيات لائقة لهؤلاء الاعضاء يشير بالمذاكرة مع شيخ الجامع والسرتجار بشأنها وعرض الكيفية لطرفه .

« تقويم النيل ، ٢ ، ص ٣ ، ٤ »

● صدر أمر من محمد على باشا فى ٢٥ ربيع الاول الى مديرى الاقاليم قبلى وبحرى حيث من مقتضى لائحة المجلس العالى الذى صار تشكيله ان يكون ضمن اعضائه شخصان من مشايخ قرى كل مديرية ، ويصير استبدال غيرهم بهم فى كل سنة فيشير بدعوى نظار الاقسام وعمل جمعية من عموم الاهالى والمشايخ لانتخاب إثنين من الذين يكون لهم الدراية والمعرفة التامة اللائقتين للمجلس وارسالهما الى عبدى بك رئيس المجلس المذكور كما هو مطلوب

« تقويم النيل ، ٢ ، ص ٣ ، ٤ »

● صدر امر منه الى رئيس التجارة فى ٢٥ ربيع الاول حيث من مقتضى ترتيب المجلس العالى وجود عضوين من التجار يستبدل بهما غيرهما من التجار فى كل سنة فيلزم انتخاب تاجرين من اعضاء مجلس التجارة وارسالهما الى عبدى بك المعين رئيسا للمجلس المذكور .

« المرجع السابق »

● صدر أمر من محمد على باشا الى الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر فى ٢٦ ربيع الاول انه بالنسبة لميله والتزامه بتمشية ورؤية كافة الدعاوى على وجه الحق والعدل ، وسائر أمور المصالح على طريقة الاستقامة قد أسس وشكل المجلس العالى الذى من مقتضى لائحة ترتيبه وجود عضوين له من العلماء الافاضل ورؤية المواد الشرعية فعليه ان يشير بانتخاب عالمين وبارسالهما الى رئيس المجلس المذكور كما هو مأموله من همة فضيلته .

« المرجع السابق »

● صدر أمر منه فى ٢٦ ربيع الاول الى باقى بك بما ان مقتضى ترتيب المجلس العالى المشكل حديثا وجود عضوين من الكتبة المستعدين ذوى الدراية بالحسابات لمباشرة المواد المختصة بالمحاسبة بالمجلس يستبدل بهما غيرهما سنويا فيلزم انتخاب هذين الكاتبين من الكتبة المتفوقين عن اقرانهم ، وارسالهما الى رئيس المجلس المذكور .

● امر منه الى عبدى بك رئيس المجلس فى ٢٧ ربيع الاول يشير بأنه بحسب مايعلم لك من منطوق لائحة ترتيب المجلس العالى السابق صدورها قد تحررت الاوامر لكافة المديريات بارسال شخصين عن كل مديرية ووردت منهم اشعارات بأنهم سيحضرون قريبا فيلزم تخصيص ١٥٠٠ قرش ماهية لكل شيخ وقيد اسمائهم بدفتر الخزينة وقد تحرر لعمل ترتيب لماهيات التجار والعلماء الى مأمور ديوان خديوى وماهيات للشخصين المباشرين فبادروا بالاجراء على وجه ماذكر

« المرجع السابق »

القسم الرابع والاخير فى العدد القادم مع دراسة للدكتور وليم سليمان عن وثائق الحركة الدستورية فى مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر .

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين

رمز
كيما
للجودة
والانطلاق

بإنتاجها الجديد
نتروكيما ٣١٪ آزوت

أعلى نسبة في الآزوت
تضاعف خيرات أرضنا الطيبة
وترفع مستوى الإنتاج
الزراعي ..

شركة الصناعات الكيماوية المصرية "كيما" بأسوان

إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

١٠

أكتوبر ١٩٦٩ - السنة الخامسة

الحدث الليبى .. والثورة العربية المعاصرة



المثقفون والفلاحون فى مصر

هونج كونج الشرق الأوسط

العم هو: الرجل .. الثورة .. الفكر

مسألة للمناقشة

حوار فكرى

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

...ربعة ...تجاريب

...قتال من ...سرائيل

...ملف ...قاص

حوار مع الطليعة

الطليعة

طـريق المناضلين الى

الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبد الله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

■

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ - ٥٩٠١٠ - ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ج٠٤م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد العاشر - السنة الخامسة - اكتوبر ١٩٦٩

■ الحدث الليبى .. والثورة العربية المعاصرة « الافتتاحية » — لطفى الخولى — ص ٥

● دراسة عن ليبيا : الواقع الذى انطلقت منه ثورة أول سبتمبر — د. رضا فرج — ص ١٠

■ المثقفون والفلاحون فى مصر : — ص ٢٠

● اكسر « الختم » وامسك « القلم » — د. احمد حجى — ص ٢١
● زراعة الكهرباء فى الغيط — رضا اسكندر — ص ٢٧
● تحويل « البدو » الى « فلاحين » — محمدحسنى محمدحسين — ٣٢
■ لماذا التكنولوجيا ؟ — عبد المنعم شتله — ص ٣٦
● خبرات من واقع التجارب (تعليق من الطليعة) — ص ٤٠

● مقال من اسرائيل : كيف تفكر الصهيونية؟ هونج كونج الشرق الاوسط — اميل توما — ص ٤٢

● محمد على حاكما — د. وليم سليمان — ص ٤٦

● يسار حزب المؤتمر الهندى يكسب الجولة فى مواجهة تجمع « النقابة اليمينى — كلوفيس مقصود — ص ٦٤

● حوار مع الطليعة : « مسألة للمناقشة » — د. حبيب حداد — ص ٧٤

● حوارفكرى : « هكذا يتكلم الادباءالشباب — ص ٨٤
● عبد المنعم عبد القادر ● ماهر شفيق فريد ● محمد مهران ● عبد العزيز مصطفى ● حسن توفيق ● وصفى صادق ● فرج صادق مكسيم

■ تقارير الشهر وتعليقات : — ص ٩٦

■ ملف خاص : « العم هو » الرجل.. الثورة .. الفكر — ١١٢

١ - الانسان المناضل — ١١٣
٢ - الثورة فى التطبيق — ١٢٣
٣ - فيتنام رجل واحد — ١٣٠
٤ - صوت هوشى منه « مختارات من اقواله » — ١٣٥

اشترك فى اعداد الملف : ابو سيف يوسف ● خيرى عزيز ● رفعت السعيد

■ مكتبة الطليعة : الاستراتيجية الحربيـة من وجهـة النظر السوفيتية — ١٤٩

■ مناقشات مفتوحة : — ١٥٥

■ وثائق : الحركة الدستـورية فى مصر من اواخر القرن الثامن عشر — ١٥٨

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .
من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الـــراى ولـكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » ؟

الافتتاحية

الحدث الليبي
والثورة العربية المعاصرة

الثورة الليبية ، التى انفجرت فى الاول من سبتمبر ، فاجأت العالم : العدو والصديق .

هذه حقيقة .. ولكن هل هى الحقيقة كاملة ؟

لا . فالحقيقة دائما ليست مطلقة وانما نسبية . ولانها نسبية ، فان لها اكثر من وجه . **وحقيقة الثورة الليبية — من حيث** طابع المفاجأة — لها وجهان : وجه المفاجأة ، ووجه عدم المفاجأة فى نفس الوقت . بمعنى ان الحقيقة تكتمل — الى حد كبير — بقولنا انه : **اذا كانت الثورة فى ليبيا قد فاجأت الجميع ، الا انها لم تفاجىء قوى الثورة الوطنية فى ليبيا ، طليعتها على الاقل ، بدليل انها خططت لها وفجرتها بالفعل .**

والقول بغير هذا يقودنا الى احدى نتيجتين ، لكل منها خطورتها على ذلك الانفجار الثورى على الارض العربية التى تمتد على ساحل البحر الابيض المتوسط فى مواجهة مباشرة مع الامبريالية وقوى الاستعمار القديم والجديد بقواعده العسكرية واحتكاراته الضخمة وبالذات البترولية .

النتيجة الاولى ، ان يكون هذا الانفجار مجرد صدفة عابرة ، او لعبة حظ ، او ضربة عشواء من غير رام . وبالتالى تكون مفتقدة لجذور تربطها بواقعها وشعبها ، وانها مجرد حادث طارىء لن يتسنى له الصمود والمقاومة وتجسيد متطلبات موضوعية تاريخية .

والنتيجة الثانية ، ان نترك العنان للحماس العاطفى والمشاعر الجياشة ان تبلور الوضع على انه معجزة ، أو ثورة مستحيلة ، ومع ذلك وقعت . والمعجزة تعنى

انكار دور الارادة الانسانية ، وهى كما وقعت بعيدا عن تدخل الارادة الانسانية ، يمكن ان تذهب رغم الارادة الانسانية ايضا ٠

وفى كلا الامرين نفتقد وضوح الرؤية،ليس فقط بالنسبة للثورة الليبية ومسارها ، بل للثورة العربية التحررية التقدمية ككل ٠ ولا نضع « حدث الثورة الليبية » فى موضعه التاريخى من حركة الشعوب العربية نحو تحررها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ووحدتها القومية الديمقراطية ٠ ٠ كيف ؟

ليس هناك جدال فى طابع المفاجأة النسبى إزاء الحدث الليبى ٠ وليس هناك جدال ايضا فى مدى عمق وتعدد الصعوبات التى واجهت حدث الثورة الليبية وتفجر طاقاته وانطلاق حركته . ولكن الصعوبة لا تعنى المعجزة ، والمفاجاة لا تعنى الاستحالة ٠ بدليل ان الحدث تفجر بالفعل ٠

ووقوع الانفجار – فى حد ذاته – يعنى اول ما يعنى ، اننا جميعا – واقصد القوى الثورية العربية على اختلاف اتجاهاتها – كانت تجهل واقع المجتمع الليبى وحقيقة الصراعات القائمة باعماقه والقوى الوطنية التقدمية النامية فيه ٠ وتعنى – ثانيا – اننا على اساس عدم المعرفة الموضوعى قد انتهينا الى حسابات خاطئة بالنسبة لليبيا ٠ سواء فيما يتعلق بقوة النظام الملكى المستند الى حماية الامبريالية واحتكارات البترول واجهزة الامن البوليسية والتفرقة العشائرية والقبلية ٠٠٠ وكذلك فيما يتعلق بقدرة القوى الوطنية التقدمية النامية فى التحرك ، وفى الاستجابة الشعبية العميقة والفورية لهذا التحرك ٠

والان بعد وقوع الحدث ونجاحه ، عمدنا الى تغطية جهلنا الموضوعى وحساباتنا الخاطئة ، بشعارات عاطفية عن المعجزة الليبية والثورة المستحيلة والغريبة الخ ٠٠٠

وفى هذا النطاق ، بالدقة ، يتبلور أول درس جوهرى تقدمه الثورة الليبية للقوى الثورية العربية ٠ وهو اننا مازلنا غارقين فى ظلمة الجهل بواقع الثورة وقواها فى مناطق عديدة من الوطن العربى ، وتحكم حركتنا الاستراتيجية والتكتيكية – فى احيان كثيرة – حسابات خاطئة عن مدى قدرة القوى الوطنية التقدمية العربية على التحرك وتحطيم القيود وتصفية مراكز نفوذ القوى العميلة للامبريالية واحتكاراتها ٠

والواقع ان التصدى لتصحيح هذه الحسابات موضوعيا – على ضوء الحدث الليبى – أصبح مهمة ضرورية وعاجلة امام القوى العربية التقدمية ومنهاجها فى مواجهة مختلف القضايا والمشاكل والتحديات . وذلك فى هذه المرحلة من الصدام الشامل مع الامبريالية والاستعمار القديم والجديد الذى يتجسد فى معركة المصير مع الصهيونية والاحتلال الاسرائيلى ٠

ويجب ان نعترف اننا وقعنا دائما فى شرك خطأين خطيرين : اما التهوين الى درجة غير موضوعية من قوة العدو ، يصاحبه تهويل عاطفى – نابع عن الاصابة بمرض نرجسية الذات – من قدرة قوانا ، الامر الذى يدفعنا الى سلوك طريق المغامرة . واما على العكس التهوين الى درجة غير موضوعية من قوانا الوطنية الثورية يصاحبه تهويل عاطفى – نابع عن الاصابة بمرض افتقاد الثقة – من قدرة قوى العدو ، الامر الذى يقعدنا عن الحركة والاقدام فى الزمان والمكان المناسبين ٠

ويأتى درس « الحدث الليبى » فى الاول من سبتمبر ، ليقوم بدور صدمة العلاج الكهربائية ، كى نتطهر من امراض النرجسية والافتتان العاطفى بالذات من ناحية ، وافتقاد

الثقة بقوى الشعب وقدراته من ناحية اخرى . وذلك كي نتخلص من معايير الحسابات الغيبية ، والغير علمية ، ونضع حساباتنا على اساس من المنهج العلمي الذى يشخص الواقع موضوعيا ، بايجابياته وسلبياته ، ويستخدم قوانين الحركة والتطور الاجتماعي والسياسي الجدليين فى تعبئة وتنظيم الايجابيات ضد السلبيات • ويرى الخاص والعام فى كل قطر عربى وذلك فى اطار القانون التاريخى الذى تاكد دوما وهو ان الثورة العربية التحررية التقدمية « كل لا يقبل التجزئة » •

من أين تولدت حساباتنا الخاطئة عن امكانيات الثورة فى ليبيا ؟

الاجابة على هذا السؤال تستلزم عرضا وتحليلا ضافيين للواقع الليبى عشية أول سبتمبر (**راجع مقال الدكتور رضا فرج المنشور بهذا العدد**) وهذا ما لا يتاح فى هذا الحيز ، ولكن ذلك لا يمنعنا من التركيز على بعض نقاط اساسية :

النقطة الاولى ، هى اننا لم نزن وزنا صحيحا الهبات والتحركات الشعبية المستمرة والمتوالية ، والتى نبعت دائما من رفض التبعية للقوى الاستعمارية وعزل ليبيا عن مسار الحركة العربية التقدمية • والتى شملت الطلاب والمعلمين والمثقفين الثوريين عموما ، والطبقة العاملة وجنود وضباط الجيش الوطنيين ، والتجار الصغار الذين يمثلون نواة البرجوازية الليبية الصغيرة •• وهى الحركات التى ظلت تتوالى على الرغم من الارهاب والعسف والسجن والنفى واحكام الاعدام • بمعنى اننا لم نستطع ان نلحظ فى تـوالى هـذه الحـركات والهبات ــ وخاصة خلال يونيو ١٩٦٧ ــ مدى امتداد جذورها فى الكيان الشعبى • وبالتالى ما تحدثه من تراكمات أدت فى أول سبتمبر الى التفجير الثورى •

والنقطة الثانية ، هى اننا لم نتفهم جيدا عملية الصراع الاجتماعى والسياسى الدائرين فى جسد المجتمع الليبى • واقتصرت رؤيتنا على قطب الصراع الذى كان مسيطرا ومتمثلا فى الملكية والقبلية والبرجوازية التجارية الحاكمة ، ولم تمتد رؤيتنا لتشمل القطب الاخر النامى والذى كان يتمثل فى الطبقة العاملة التى كانت تتولد من حول حقول البترول ، وفى الفئات الجديدة من المثقفين الوطنيين التى تخطت اسوار التعصب القبلى وراحت تبذر بذور وحدة الكيان الليبى ومصيره العربى وتبشر داخله بقيم الحياة الجديدة للانسان الليبى ، ومن الضباط والجنود الوطنيين فى الجيش الليبى •• هـذه القـوى والفئـات الـوطنية التى نضج وعيها فى مواجهتها الحادة لقوات الاستعماريين الامريكى والبريطانى فى قواعدهما العسكرية والاقتصادية على الارض الليبيـة •

ولعله قد خدعتنا صورة الثراء الذى واكب البترول فى ليبيا ، ولم نقف على حقيقة ان هذا الثراء كان مغنما محتكرا لفئة قليلة من الطبقة والفئات الحاكمة ، فى حين ظل الشعب باغلبيته الساحقة مطعونا مستغلا يعانى الفقر والتخلف وابسط متطلبات الحياة العصرية فى مدن وقرى مازالت محرومة من مرافق التعليم والصحة والمواصلات بل والمياه الصالحة للشرب •

والنقطة الثالثة ، هى اننا غالينا فى تقدير قاعدة هويلس الامريكية والقواعد الجوية البريطانية وجهاز الامن البوليسى ، واهملنا فى الوقت نفسه تقدير الطاقات الشابة فى الجيش الليبى وتكوينها الوطنى التقدمى فى اعوام الستينات •• اعوام التحول التاريخى للثورة العربية ، ومدى الجرح القومى العميق الذى اصابها نتيجة عزل ليبيا عن المساهمة فى حرب يونيو ١٩٦٧ ضد العدوان الاسرائيلى ، او فى مقاومة الهزيمة •

ومن هنا فالثورة الليبية ، انفجرت ، كحدث ليبي - قومي - عالمي في نفس الوقت .

فهي كحدث ليبي ، تحسم الصراع الضاري المكتوم الذي ظل يدور في اعماق المجتمع الليبي بعد استقلاله الشكلي في ديسمبر ١٩٥١ ، لتستكمل مهمات الاستقلال السياسي والاقتصادي والتطور الاجتماعي نحو آفاق اشتراكية . وهي بذلك تمضي في طريقها التاريخي امينة على تراث النضال الشعبي الليبي ضد المحتلين منذ ثورة عمر المختار حتى محاصرة قاعدة هويلس الإمريكية في يونيو ١٩٦٧ .

وهي كحدث قومي ، تزيد من ثقل المغرب العربي في حركة الثورة العربية ، وتعمل - كما عملت ثورة الجزائر من قبل - على تحطيم اسوار العزلة بين المشرق والمغرب في الوطن العربي .

وهي كحدث عالمي ، تبني في حوض البحر الابيض المتوسط دولة تقدمية جديدة ذات قيادة شابة جسورة ، معادية للاستعمار ، وتحد من السيطرة الشبه كاملة للاحتكارية العالمية ، لمنبع بترولي خصب وهام يمثل انتاجه حوالي ٥ في المائة من الانتاج العالمي ، ويحتل المركز الخامس في ميدان البترول .

والواقع ان الحدث الليبي ، فوق هذا وذاك ، يؤكد مرة اخرى صحة القانون الموضوعي الذي يحكم الصدام العربي الاسرائيلي ، الذي يدور في اطار الصراع الاكبر بين الشعوب العربية والامبريالية العالمية . وهذا القانون يوضح انه في اعقاب كل جولة من جولات الصدام الحتمية مع العدو الصهيوني الاسرائيلي ، وعلى الرغم من الهزائم العسكرية ، فان الشعوب العربية تستكشف السلبيات المعوقة في كياناتها وتثور عليها ، وتدفع بمجمل الحركة الثورية العربية خطوات جذرية الى الامام . ففي اعقاب حرب ١٩٤٨ ، تفجرت الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ، ثم الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ ، وفي اعقاب حرب السويس عام ١٩٥٦ ، تفجرت ثورات العراق وسوريا واليمن وشقت الثورة العربية طريقها نحو آفاق اشتراكية ، وفي اعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ ، تفجرت على التوالي ثورات اليمن الجنوبية والسودان وليبيا .

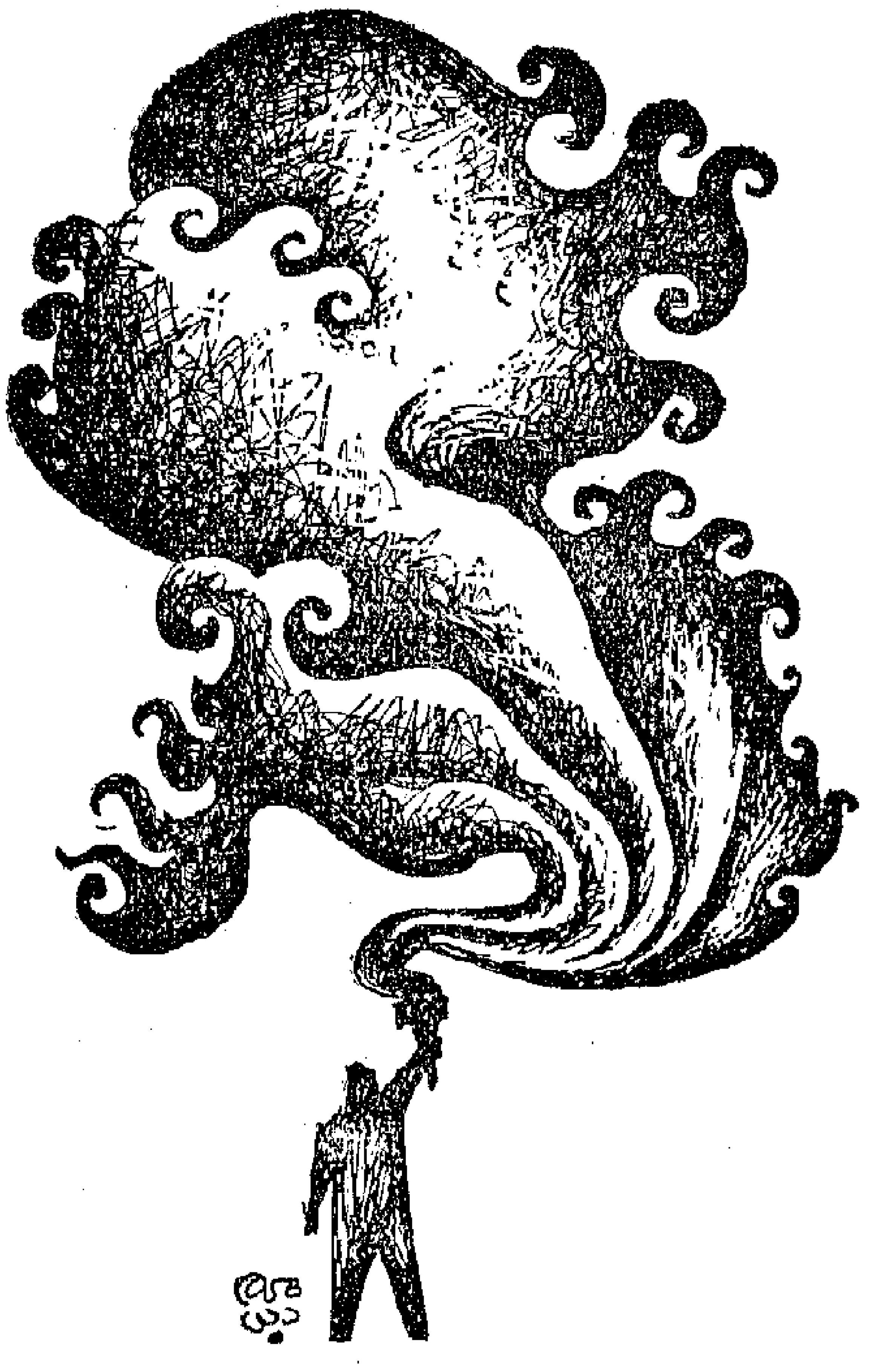
وهكذا يمكن القول ان ثمة اربعة احداث جوهرية وقعت حتى الان وتقوى من جبهة حركة الشعوب العربية ، قد نبعت من واقع الاصرار على الصمود لهزيمة ١٩٦٧ وتخطيها . ونعني بها احداث ، المقاومة الفلسطينية ، ثورة اليمن الجنوبية ، ثورة السودان ، واخيرا وليس آخرا ثورة ليبيا .

والثورة الليبية ، وقعت كما وقعت جميع الثورات العربية الوطنية التقدمية بعد الحرب العالمية الثانية ، في شكل انقلاب عسكري . ولعل ذلك راجع الى ان القوى الرجعية الحاكمة والمسيطرة بالاضافة الى ظروف التخلف والتسطح الجغرافي وعدم تبلور الطبقات - كميا ونوعيا - تبلورا سياسيا ، فضلا عن النفوذ الاستعماري قواعده وشبكات مخابراته - حالت دون بناء حزب ثوري . واصبح الجيش - بالضرورة - الذي يتكون من عناصر وطنية ذات تكوين تقدمي عام هو البديل للحزب واداة تفجير الثورة التي سرعان ما احتضنها الشعب . وبقدر عمق هذا الاحتضان وبناء وحدة الجيش والشعب على اسس ديمقراطية بقدر ما تتمكن الثورة

من تعبئة الطاقات الشعبية وتفجير مبادراتها وتحصين النظام الجديد ومده بالقدرة التى تعينه على حل المشاكل المتراكمة فى اتجاه المصلحة الشعبية .

غير ان الثورة الليبية تتميز عن غيرها من الثورات العربية، بغلبة العنصر الشبابى الواعى على قيادتها (معظمهم دون الثلاثين) . وهذا يسلحهم بجرأة غير عادية على مواجهة التحديات ، ونفس طويل وغير هياب على مواصلة الطريق . فاذا ما صاحب هذه الجرأة الشابه ، وعى باستراتيجية الثورة ومنهج علمى فى الرؤية والتحليل ، وذكاء فى رسم التكتيكات (كما ظهر ذلك جليا فى عملية تفجير الثورة نفسها واستيلائها على السلطة) فان الثورة الليبية وما تملكه من امكانيات مادية ضخمة بالاضافة الى الحجم المحدود نسبيا من المشاكل نتيجة الحجم المحدود للسكان — رغم ما قد يثيره هذا فى الوقت نفســـه من بعض المصاعب — فانها قادرة فعليا على ان تبنى نموذجا ايجابيا مشرقا للثورة العربيـــة ، وذلـــك فى فترة قصيرة نسبيا .

والثورة الليبية ، بعد ذلك ، مطالبة بأن تدرس موضوعيا تجارب الثورة العربيـــة المعاصرة ، لا بهدف تقليدها ، وانما بهدف الاستفادة ، ولعل محور الاستفادة هنا ، هو — بالدقة — تجنب الاخطاء التى تكون هذه التجـــارب قـــد وقعت فيهـــا خـــلال مســـيرتها الشـــائكة المعقدة . ولعل فى مقدمة هذه الاخطاء عدم التساهل فى قيام ظروف واوضاع مرضية — تحت ضـــغط الحاح المشاكل او استسهال الاجـــراءات الادارية وضيق الصدر بالعمل السيـــاسى لتعبئة الجماهير وتنظيم سيـــادتها — تتيح لفئات طفيلية متسترة بشعارات الثورة ، ان تنفذ الى اجهزة السلطة . وتكون ما اصبح يسمى — سياسيا — « بالطبقة الجديدة » . وهى الطبقة التى تعمد الى وراثة نفوذ ومصالح الطبقات الرجعيـــة القـــديمة ، وتستلب عرق الشعب . محاولة باستمرار عزل القيادة الثورية عن الجماهير ، وتجميد حركة التطور ، وقطع الطريق على السيادة الشعبية الديمقراطية .



دراسة عن ليبيا

الواقع الذى انطلقت منه ثورة أول سبتمبر

كاتب هذا المقال هو الدكتور رضا فرج ، وهو احد المثقفين المصريين التقدميين الذين أتيح لهم العمل بالجامعة الليبية ، كمدرس للقانون ، خلال سنوات ٦٤ ، ٦٥ ، ١٩٦٦ .

وقد استطاع رضا فرج من خلال اتصاله بالواقع الليبى وعلاقاته المثمرة مع القوى الوطنية الليبية . فى داخل وخارج الجامعة ، ان يتعرف بعمق على نضال الشعب الليبى وما يواجهه من مشاكل وتحديات .

وفى هذه الدراسة ، يعرض الدكتور رضا فرج الابعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للواقع الذى انطلقت من خلاله الثورة الليبية الوطنية فى الاول من سبتمبر ١٩٦٩ .

رضا فرج

أثارت الثورة الليبية الكثير من التساؤلات حول الوضع فى ليبيا بصفة عامة. ومن الغريب ان تاريخ ليبيا ، وماضيها وأوضاعها وتركيب مجتمعها يشوبه الكثير من الغموض بالنسبة للرأى العام العربى .

فماذا يدور فى هذه الدولة التى تحتل مساحة شاسعة فى شمال القارة الافريقية ؟ كيف نشأت وما هو تركيبها الاجتماعى ، وما هى الطبقات المسيطرة ووسائل سيطرتها وما هو شكل الانتاج فيها ؟ وما هى التيارات السياسية التى ظهرت فى ليبيا المعاصرة وموقف الشعب الليبى من القواعد العسكرية ومن الوجود الاستعمارى فى ليبيا ؟

كلّ هذه الاسئلة يطرحها المواطن على نفسه . ونحاول فى هذه السطور الاجابة عليها وذلك حتى نستطيع أن نحدد من خلال هذه الدراسة مسار الثورة الليبية ، والمشاكل المطروحة عليها ، وقوى الثورة المضادة ، وامكانيات نجاح الثورة فى تثبيت قواعد النظام الجديد .

تحتل ليبيا المنطقة الوسطى من الساحل الشمالى لافريقيا المطل على البحر المتوسط . وتحدها من الشرق الجمهورية العربية المتحدة بخط يبدأ من **خليج السلوم** ويتجه جنوبا الى **واحة جغبوب** التى تقع على الناحية الغربية من هذا الخط (أى داخل الحدود الليبية) . ويمتد هذا الخط جنوبا ليمر غرب سيوة التى تقع الى الناحية الشرقية لهذا الخط (أى داخل الجمهورية العربية) ، ثم يختفى هذا الخط بين أمواج رمال الصحراء الغربية حيث لا توجد حدود لعدم وجود تجمعات بشرية فيقوم خط الطول ٢٥ بمهمة التحديد الجغرافى للحدود الشرقية لليبيا .

وتتاخم الحدود الغربية لليبيا دول تونس والجزائر ، ومن الجنوب السودان وتشاد والنيجر . ويمتد الشاطىء الليبى من الحدود المصرية شرقا حتى الحدود التونسية غربا ، حوالى ٢٠٠٠ كيلو متر على البحر المتوسط . وتبلغ مساحة ليبيا حوالى ٠٠٠ر٨٠٠ر١ كيلو متر مربع أى ما يعادل تقريبا ضعف مساحة الجمهورية العربية المتحدة .

على أن هذه المساحة الشاسعة تغطيها الصحراء الكبرى وتمثل الاراضى الصالحة للزراعة حوالى ١٪ من هذه المساحة ، على أن الاراضى المزروعة فعلا تمثل حوالى ٤٪ من الاراضى الصالحة للزراعة ، أى أن الاراضى المزروعة فعلا تمثل تقريبا ٤ر٪ من مساحة ليبيا .

تتكون ليبيا حاليا من ثلاث محافظات رئيسية ، وكانت هذه المحافظات تمثل قبل دستور عام ٦٣ ، ثلاث ولايات ذات حكم ذاتى ، تحكمها ثلاث حكومات وثلاث مجالس تشريعية للولايات الثلاث : **طرابلس الغرب وبرقة وفزان** ، بالاضافة الى مجلس النواب ومجلس الشيوخ والحكومة الاتحادية كأجهزة مركزية .

وقد الغى دستور ٦٣ ، نظام الحكومات الاقليمية ، وأطلق على ليبيا اسم المملكة الليبية المتحدة .

لمحة عن تاريخ ليبيا

الواقع ان الدولة الليبية بهذا التكوين الاقليمى دولة حديثة نسبيا . فقد نشأت الحضارة فى هذه المنطقة من شمال أفريقيا فى مدن مستقلة ، على غرار المدن الاغريقية التى عرفتها بلاد اليونان فى العصر القديم . وذلك بسبب اتساع رقعة الصحراء وسقوط الامطار على مرتفعات منطقتى طرابلس الغرب وبرقة ، مما سمح بالزراعة فى مناطق متباعدة .

ففى منطقة طرابلس الغرب استوطن الفينيقيون فى حوالى القرن العاشر قبل الميلاد ، وازدهرت موانىء هذه المنطقة بسبب التجارة ، وبصفة خاصة « ليتسى » المعروفة حاليا باسم **الخمس وأويا** ، وهى مدينة طرابلس حاليا ، **وصبراته** وهى احدى المدن الهامة فى منطقة طرابلس الغرب حاليا .

وقد توحدت برقة وطرابلس أثناء الحكم الرومانى حوالى عام ٢٠ ق . م . فبعد سقوط قرطاجة فى يد الرومان وازدياد هجمات القبائل الجنوبية على منطقة طرابلس طلبت مدن هذه المنطقة حماية روما لها فانضمت الى الامبراطورية الرومانية ، وكانت برقة فى ذلك الوقت قد خضعت هى الاخرى مع مصر للحكم الرومانى منذ عام ٣٠ ق . م .

وظلت طرابلس تحت سيطرة الامبراطورية الرومانية حتى فتحها العرب عام ٦٤٣ م . واستمر حكمهم حتى عام ١١٤٦ م . ومنذ ذلك التاريخ تعاقب المحتلون على مدينة طرابلس ، فقد فتحها الصقليون ثم الاسبان الذى استمر حكمهم حتى ١٥٣٠ ثم فرسان مالطة ثم الاتراك ثم اسرة « القره مانللى » التى استمر حكمها من ١٧١١ حتى ١٨٣٤ . وخلال حكم هذه الاسرة أصبحت طرابلس معقلا للقراصنة فى حوض البحر الابيض المتوسط .

أما تاريخ منطقة برقة ، وهى الجزء الشرقى لليبيا فقد ارتبط منذ عهد الفراعنة بمصر . وهناك العديد من النقوش الاثرية التى تدل على العلاقات القوية بين أهل برقة وقدماء المصريين ، وارتبط أهل برقة بمصر اداريا وتجاريا ، كما ارتبطوا بصلات الزواج . وانخرط شباب برقة فى جيوش الفراعنة .

وخضعت برقة للحكم اليونانى مع مصر ، ثم الحكم الرومانى ، حتى فتحها العرب مع مصر عام ٦٤٣ م . ثم خضعت للحكم التركى عندما استولى سليم الاول على مصر

وخلال قرون الوجود التركى فى برقة وطرابلس ، لم تقم السلطة العثمانية بأية محاولة

جدية من أجل توحيد مناطق ليبيا تحت ادارة واحدة الا فى أواسط القرن التاسع عشر .

وفى عام ١٩١١ تمكن الايطاليون من احتلال طرابلس وبرقة معا بعد مقاومة عنيفة من سكان مدن هاتين المنطقتين . واستمرت الاضطرابات بعد الغزو الايطالى لمدة عشرين سنة أخرى مما ترتب عليه عدم تمكن الايطاليين من توطين أسرهم فى هذه المناطق الا فى أوائل عام ١٩٣٤ .

ولم تتوحد مدن برقة وطرابلس وفزان من الناحية القانونية لتتخذ شكل دولة الا بعد الاحتلال الايطالى ، وصدور قانون من مجلس الشيوخ الايطالى عام ١٩١١ باطلاق اسم «**دولة ليبيا**» على المناطق التى احتلتها الجيوش الايطالية فى منطقة شمال افريقيا الواقعة بين الحدود المصرية والحدود التونسية ، وبالرغم من صدور هذا القانون فقد كانت كل من مناطق طرابلس الغرب وبرقة وفزان تحكم حكما منفصلا حتى توحد الحكم فيها فى أوائل ١٩٣٤ ، عندما اعترف بنشأة الدولة الليبية واعتبارها مستعمرة ايطالية .

ولكن هذه الوحدة سرعان ما تمزقت مرة أخرى عندما احتلت الجيوش الانجليزية منطقة طرابلس وبرقة فى نهاية عام ١٩٤٢ ، وتسلم الفرنسيون مقاليد الحكم فى فزان عام ١٩٤٣ ، وقد استمرت كل من الادارتين البريطانية والفرنسية فى ممارستهما لسلطات الحكم فى ليبيا حتى يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ــ تاريخ صدور قرار هيئة الامم المتحدة باستقلال ليبيا ــ وذلك تطبيقا للقرار الذى سبق أن اتخذته المنظمة الدولية فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ ، والذى نص على أن يتكون من مناطق ليبيا الثلاث : طرابلس الغرب وبرقة وفزان ، دولة مستقلة ذات سيادة .

المجتمع القبلى الزراعى فى ليبيا

بلغ عدد سكان ليبيا عام ١٩٥٤ حوالى مليون ومائة ألف نسمة . وارتفع هذا الرقم فى احصاء ١٩٦٤ الى مليون وخمسمائة الف نسمة . وتقدر نسبة الزيادة السكانية بحوالى ١ر٨ ٪ سنويا ، كما تبلغ كثافة السكان فى كل ١٠٠ كيلو متر مربع حوالى ٤١٢ شخصا فى منطقة طرابلس ، ٦٣ شخصا فى منطقة برقة ، ١٢ شخصا فى منطقة فزان .

وقبل اكتشاف البترول ــ أى قبل عام ١٩٥٥ ــ كان يقطن المدن الليبية حوالى ٢٠ فى المائة من عدد السكان . وكانت الغالبية العظمى من السكان تتكون من البدو الرحل وأشباه الرحل الذين يعيشون على تربية المواشى وبعض الزراعة البسيطة المتنقلة . وبالتدريج بدأت عملية استقرار البدو فى الاراضى الصالحة للزراعة ، وهى تبلغ كما ذكرنا حوالى ١ فى المائة من مساحة ليبيا . ونشطت بعض أنواع الزراعة التى تعتمد أساسا على مياه الامطار والمياه الجوفية . على أن هذه النسبة من سكان المدن أخذت فى الازدياد حتى وصلت فى أعوام ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ الى حوالى ٦٥ فى المائة من مجموع السكان . وذلك بسبب ازدياد النشاط التجارى فى المدن ، وهجرة اليد العاملة للعمل بالمدن وبصفة خاصة بحقول البترول .

وقد اهتمت الحكومة الليبية بالزراعة قبل ظهور عمليات التنقيب عن البترول للعمل على توطين البدو الرحل فى الاراضى الصالحة للزراعة وزيادة المحاصيل الزراعية . وأنشأت لهذا الغرض بنك الاقراض الزراعى عام ١٩٥٧ . وبلغ ما منحه هذا البنك من قروض للمزارعين حوالى ٣ ملايين من الجنيهات .

على أنه قد ترتب على ظهور البترول وتطور انتاجه السريع فى ليبيا منذ عام ١٩٥٥ آثار هامة ، نستطيع ان نوجزها فيما يلى :

● كانت هناك حاجة الى يد عاملة للعمل بحقول البترول . وكان من الايسر بطبيعة الحال هجرة البدو الذين استوطنوا فعلا الاراضى القابلة للزراعة ، واعتادوا على حياة الاستقرار للعمل بحقول البترول .

● ترتب على ذلك توقف النمو الزراعى الذى ساعدت الحكومة على نموه عقب الاستقلال . وبعد أن كانت ليبيا تصدر بعض المنتجات الزراعية ، مثل الشعير وزيت الزيتون والفول السودانى واللوز وصوف الاغنام واللحوم ، أصبحت تستورد القمح واللحوم من دول اوربا بعد عام ١٩٦٣ ، فبينما كانت صادرات ليبيا ، وكانت فى أغلبها من المنتجات الزراعية تبلغ ٤ ملايين جنيه ليبى عام ١٩٥٠ انخفضت الى ١ر٧٠٠ر٠٠٠ جنيه ليبى عام ١٩٦٣ . وبينما كانت الحاصلات الزراعية تمثل حوالى ٨٠ فى المائة من صادرات ليبيا أصبح البترول يمثل ٩٨ر٧ فى المائة من صادرات ليبيا عام ١٩٦٧ .

ويعزى هذا الهبوط الى الاهمال الذى طرأ على الانتاج الزراعى وهجرة المزارعين للعمل بحقول البترول وبشركاته بالمدن .

وقد اضطرت الحكومة الليبية ازاء الهبوط المستمر للانتاج الزراعى الى انشاء «**مؤسسة الاستيطان الزراعى**» عام ١٩٦٣ وذلك لتدعيم القاعدة الزراعية فى البلاد ، ونشر الوعى

الزراعى ، ومد البدو المستوطنين بالقروض والالات والمساعدة على تسويق المحاصيل •

على أن محاولات الحكومة لتنمية الزراعة قد باءت بالفشل • ذلك لان الاعتمادات المخصصة لتوسيع قاعدة الزراعة لم تستخدم فعلا فى هذا الغرض • وانما استنفدت بواسطة كبار الموظفين ورجال الحكم المقربين للدوائر الاستعمارية ، لخلق طبقة رأسمالية موالية للاستعمار • ولم تستطع هذه المساعدات التى قدمها البنك الزراعى ومؤسسة الاستيطان لصغار المزارعين توفير دخول تقترب من دخول عمال البترول أو موظفى الشركات بالمدينة •

وبالرغم من التطور الكبير الذى أصاب المجتمع الليبى خلال السنوات العشر الاخيرة ، الا أن طابع المجتمع القبلى ما زال يسيطر عليه • ذلك لان الاستعمار والراسمالية التجارية تستفيد من هذا الوضع لاضعاف الروح الوطنية ووحدة الشعب الليبى •

ان المؤسسات الليبية الحكومية وغيرها تتميز بهذا الطابع القبلى • فتشكيل الحكومة كان يخضع دائما لاعتبارات قبلية • وانتخابات مجلس الامة يسيطر عليه النفوذ القبلى وأجهزة الامن تقودها العصبية القبلية ، واختيار العاصمة أو العواصم الثلاث أملتها اعتبارات قبلية • ويساعد الاستعمار على التمسك بالتنظيم القبلى كما يساعد على تفشى روح النفور بين سكان بنغازى عاصمة برقة وسكان **طرابلس عاصمة طرابلس الغرب •**

ان المواطن الليبى ما زال يحمل فى بطاقته الشخصيةما يفيد انتماءه الى قبيلة معينة • ولا يمكن تصور وجود مواطن لا ينتمى الى قبيلة • حتى اليهود المقيمين بليبيا فهم ينتمون الى قبائل • ويشترون هذا الانتماء بالمال وذلك حتى ينطبق عليهم وصف المواطن وتضفى عليهم القبيلة الحماية المطلوبة ، والنفوذ فى دوائر الحكومة • وينتمى « **بدوسا** » الراسمالى اليهودى الايطالى الاصل الى قبيلة « **البراعصة** » اشد القبائل نفوذا فى منطقة برقة ، والذى كان يقوم الى عهد قريب بجمع تبرعات من يهود ليبيا لاسرائيل • كما ينتمى «**ليفى**» الى القبيلة « **السنوسية** » الخ •• على ان العصبية القبلية قد ضعفت وكادت تختفى فى مدينة طرابلس لقدم الحياة المدنية فيها واختفاء آثار التنظيم القبلى فيها من زمن بعيد •

اكتشاف البترول

بدأت عمليات التنقيب عن البترول واستغلاله على نطاق واسع فى عام ١٩٥٥ • وفى عام ١٩٥٩ **اكتشف البترول بكميات تجارية هائلة • وقد بلغ** عدد الشركات البترولية ١٦ شركة عام ١٩٦٠ ، وارتفع الى ٢٥ شركة عام ١٩٦٣ ، والى أكثر من ٦٤ شركة فى نهاية عام ١٩٦٥ •

كما توسعت عمليات الحفر فى السنوات الاخيرة حيث وصل عدد الابار البترولية عام ١٩٦٥ الى ١٤٧٨ بئرا : منها ٦٨٥ بئرا منتجةللبترول ، وخمسة آبار منتجة للغاز ، وبقية الابار الاخرى غير مستغلة •

وارتفع معدل الانتاج اليومى من ٠٠٠ر٦٦٧ برميل عام ١٩٦٤ ، الى ٠٠٠ر٩٦٦ برميل يوميا فى نهاية مارس ١٩٦٥

وبلغ عدد الحقول التى تحتوى على آبار يستخرج منها البترول ١٥ حقلا فى شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ •

وخلال شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ تم تصدير ٠٠٠ر٦٧٠ر٣٥ برميل أى بمتوسط تصدير يومى يزيد عن ٠٠٠ر١٥٠ر١ برميل •

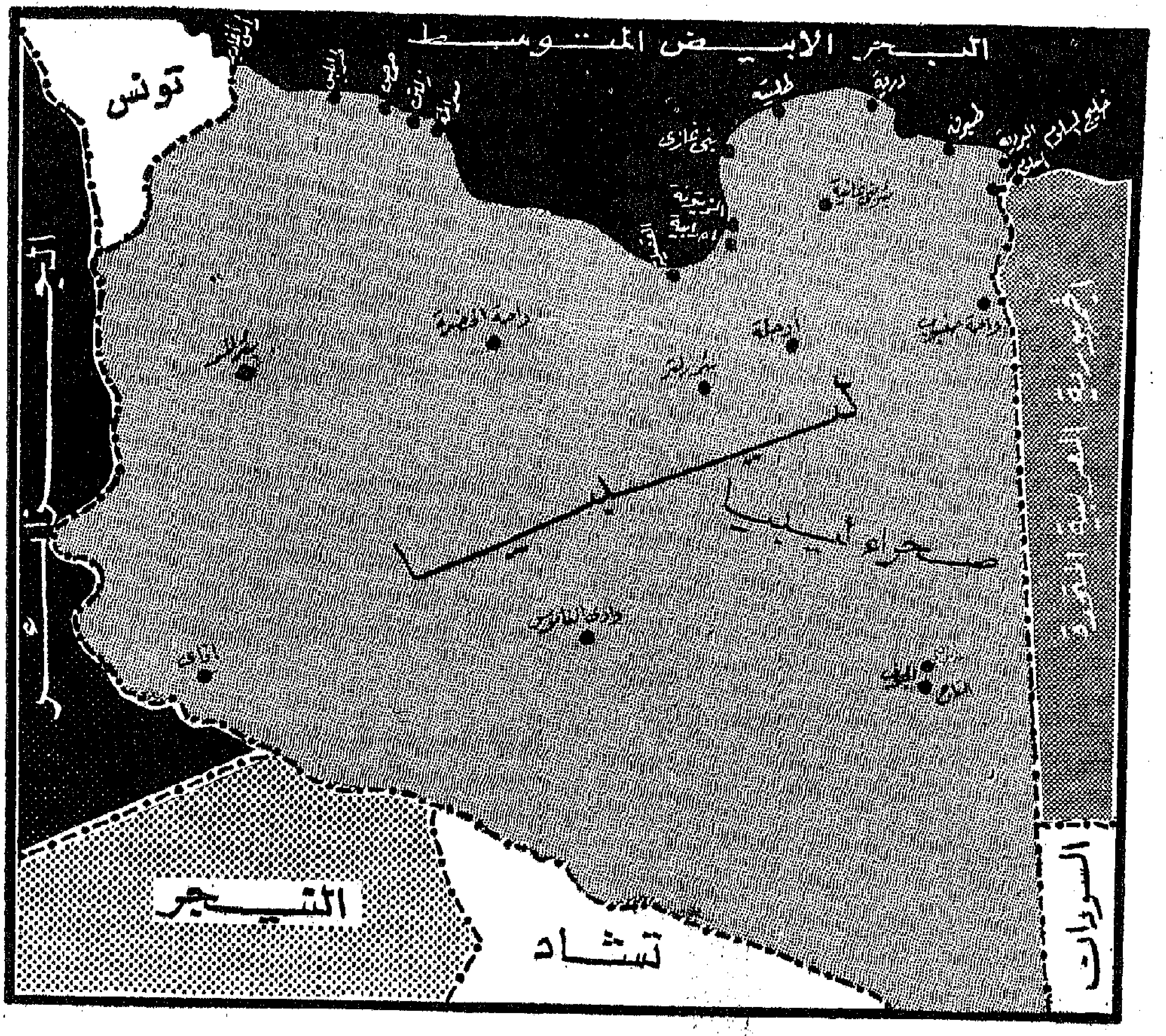
وبلغ متوسط التصدير اليومى عام ١٩٦٧ حوالى ٠٠٠ر٧٤٠ر١ برميل ، وهو انتاج يمثلتقريبا حوالى ٥ فى المائة من الانتاج العالمى •

ونتيجة لهذا التوسع الكبير فى نشاط التنقيب ازدادت نفقات الشركات البترولية فى الداخل والخارج ، فبلغت عام ١٩٦٤ حوالى ١٦٠ مليون جنيه • اما دخل الشركات من التصدير واعادة التصدير فقد بلغ حوالى ٢٣٦ مليون جنيه فى نفس العام • وتضاعف هذا الرقم فى نهاية ١٩٦٧ •

بينما بلغ دخل ليبيا ــ نفسها ــ من البترول عام ١٩٦٧ حوالى ١٥٧ مليون جنيه اى اقل من ربع دخل شركات البترول •

هذا ويتجه معظم البترول الليبى الى مجموعة دول السوق الاوروبية المشتركة ، علاوة على بريطانيا • كما يتضح ذلك من جدول البلاد التى استوردت البترول الخام الليبى خلال عام ١٩٦٤ ، والذى اصدرته وزارة شئون البترول •

● بلدان السوق الاوربية المشتركة	٧ر٦٢٪
● بريطانيا	٨ر٢٢٪
● الولايات المتحدة الامريكية	٦ر٤ ٪
● اسبانيا	٦ر٤ ٪
● البلاد الافريقية	٣ ٪
● النرويج	٦ر١ ٪
● الدانمارك	٤ر ٪
● سويسرا	٢ر ٪
● السويد	١ر ٪
المجموع	١٠٠٪



ظهور الرأسمالية التجـــارية الليبية

لقد ظهرت الرأسمالية التجارية الليبية ونمت فى اطار النظام الاستعمارى ، فلم يكن لها وجود مستقل أو نشأة مستقلة أو نمو مستقل ، فارتبطت هذه الطبقة بالنظام الاستعمارى واحتلت مناصب الحكم وتعاقب افرادها على الوزارات المتعاقبة لخدمة مصالح المستعمر .

والواقع ان التغيير المستمر فى الحكومات الليبية لم يكن له مايبرره من الناحية السياسية . وانما كان تعاقب الوزارات يهدف الى :

● اتاحة الفرصة امام الرأسماليين لاحتلال مراكز الوزارة بالتنـــاوب لتحقيق مصــــالحهم الشخصية ومصالح المجموعات الاحتكارية الغربية التى يمثلونها .

فمن المعلوم ان مشروع توسيع واعادة تغطية الطريق الساحلى بين بنغازى وطرابلس (١٠ ملايين جنيه) قد أدى الى تغيير وزارتين فى المرحلة التمهيدية لدراسة العطاء المقدم من شركات انجليزية وامريكية .

كما ان حل مجلس النواب فى السنوات الاخيرة كان بسبب التنافس بين شركات اجنبية لتنفيــذ **مشروع ادريس للاسكان (٤٠ مليون جنيه)** .

● كان تغيير الوزارات المستمر يرجع ايضا الى اعتبارات الاقليمية المتمثلة فى وجود ثلاثة اقاليم كبيرة بذرت فيها دائما عن عمد بذور التنافس على مركز الصدارة داخل البلاد وضرورة تمثيلها فى الوزارة ، وذلك بعد دستور ١٩٦٣ الذى الغى الحكومات الاقليمية . وقد عمل الاستعمار من ناحيته على تغذية هذه الروح لاضعاف الوحدة الوطنية ، واشاعة روح النفور واثارة الصراعات الداخلية بين هذه الاقاليم .

لقد نشأت الراسمالية الليبية على اثر التطورات الاقتصادية التى ترتبت على اكتشاف البترول . فقد ازدادت فرص العمل امام المتعلمين ، وارتفع مستوى الدخل الفردى فازداد الطلب على السلع

الاستهلاكية ، وعلى الخدمات ، ولذلك ازدادت الواردات من هذه السلع . وتمثل امريكا ودول اوروبا الغربية اهم الدول المصدرة كما تستأثر هذه الدول بالاستغلال البترولي وبالنشاط المصرفي الليبي .

ففي عام ١٩٥٩ بلغ قيمة ما استوردته ليبيا من سلع استهلاكية حوالي ٤٠ مليون جنيه (عـدا الواردات المباشرة لشركات البترول) . وارتفع هذا الرقم الى ٨٥ مليون جنيه عام ١٩٦٣ ، وفي عام ١٩٦٤ بلغت قيمة الواردات ١٠٤ ملايين من الجنيهات ، وبلغت قيمة السلع المستوردة من دول السوق الاوروبية المشتركة حوالي ٦٥ في المائة من هذه الواردات ، و٢٥ في المائة من الولايات المتحدة الامريكية .

ومن جهة اخرى ، فقد ادى تخفيض الرسوم الجمركية الذي اجرته الحكومة عام ١٩٦٥ الى تحقيق ارتفاع كبير في الواردات ، وخاصة السلع الاستهلاكية الكمالية (السيارات) ، والتي تعتبر الرسوم الجمركية المفروضة عليها منخفضة جدا اذا ما قورنت بالبلاد النامية .

لقد كان لهذه الزيادة الهائلة في الواردات اثر كبير على النشاط المصرفي الذي تركز أساسا في تمويل عمليات التوريد وخدمة القطاع التجاري ، وذلك لما فيه من ارباح مؤكدة وسريعة ، وعلى دورة سريعة لرأس المال .

لقد حققت الرأسمالية التجارية الليبية ارباحا طائلة خلال العشرة اعوام الاخيرة ، نتيجة لتدفق واردات السلع الاستهلاكية التي يقبل عليها سكان المدن من موظفي وعمال شركات البترول والخبراء الاجانب في جميع الميادين ، وللدورات السريعة لرءوس الامـوال ، ذلك لان معظم القروض التي تمول القطاع التجاري هي قروض قصيرة الاجل . وترتب على ذلك اسراع العديد من البنوك ورجـال الاعمال في أمريكا واوربا الى التقدم بطلبات للترخيص لهم بمزاولة الاعمـال المصرفية في ليبيا ، كما تدفقت رؤوس الامـوال الاجنبية لتمويل العمليات التجارية .

وقد تخوفت الرأسمالية التجارية الليبية على مصالحها من التدفق المستمر لرءوس الاموال الاجنبية وخشيت على مركزها . فقد جاء بمقدمة التقرير السنوي **لبنـك ليبيا** في ٣١-٣-٦٣ مايلي : « **تقدم عدد كبير من البنوك الاجنبية بطلبات الترخيص لهم بمزاولة النشاط المصرفي في ليبيا . وكان رأى مجلس ادارة البنك هو ان الاقتصاد الليبي في مجموعـه من جهة وحجم العمليات التجارية وعدد السكان من جهة اخرى ، لايسمحان بزيادة حجم النشاط المصرفي القائم . يضاف الى ذلك ان نحو ١٠٠ في المائة من الجهاز المصرفي التجاري في البلاد يدار من قبل بنوك اجنبية صرفة ، وان مجلس ادارة البنك يسعى دائما الى تشجيع تأسيس بنوك تجارية ليبية . وهو على استعداد لتشجيع الليبيين على الدخول الى هذا الميدان الحيوي . أما البنوك الليبية بالاسم فقط فلا يمكن أن تكون بديلا لذلك** » .

وقد عبر هذا التقرير عن موقف الرأسمالية التجارية الحاكمة التي كانت تسعى ليكون لها نصيبها في عملية النهب والسلب للثروات الوطنية الليبية ، تحت ستار تشبع الاقتصاد الليبي بالنشاط المصرفي .

لذلك أصدرت الحكومة الليبية في ١٥ آبريل سنة ١٩٦٣ قانون بنك ليبيا ، ليحقق أطماع الرأسمالية التجارية الليبية في مشاركة الاحتكار الغربي في الارباح الطائلة التي يحققها في ليبيا واستنزاف موارد الشعب الليبي . ونصت المادة ٥٤ من هذا القانون على أنه يجب ألا يقل رأس مال البنوك التي يكون مركزها الرئيسي في ليبيا عن ٢٥٠٫٠٠٠ جنيه . ومليون جنيه اذا كان المركز الرئيسي للبنك خارج ليبيا ، على أن ينقل الى ليبيـا مبلغ ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه على الاقل يخصص لفرعه أو فروعه فيها . كما الزم القانون البنوك التي يكون مركزها الرئيسي في ليبيا أن تتخذ شكل الشركات المساهمة ، وأن يكون ٥١ في المائة من رأسمالها مملوكا لليبيين .

على أن الشكوى من تشبع الاقتصاد الليبي بالنشاط المصرفي لم يمنع من ازدياد تدفق رؤوس الاموال الاجنبية بعد صدور هذا القانون . فقد أنشئت بنوك أخرى برؤوس أموال مشتركة مع كبار الرأسماليين الليبيين ، أهمها **بنك تونس** الذي أنشيء في نهاية عام ١٩٦٣ برؤوس أموال فرنسية ، **والبنك التجاري الليبي** (رؤوس اموال أمريكية) **وبنك أمريكا** عام ١٩٦٤ . وتم دمج **بنك سشليا** الامريكي مع **بنك أمريكا** في شركة مساهمة ليبية اتخذت اسم « **بنك الصحاري** » ، وباشر هذا البنك نشاطه اعتبارا من يونيو سنة ١٩٦٤ .

على ان سياسة تلييب البنوك ، باشراك رجال الاعمال الليبيين مع رؤوس الاموال الاجنبية ، كان في الواقع يخدم مصلحة البنوك الاجنبية لما يحققه ذلك من وضع السلطة السياسية في ليبيا في خدمة الاحتكار الغربي ، وربط عجلة السياسة الليبية بالسياسة الاستعمارية الغربية .

وأهم البنوك التي تعمل حاليا بليبيا هي **بنك**

باركليز - بنك روما - بنك نابولي - البنك البريطاني للشرق الاوسط - بنك الصحارى - الشركة الافريقية للمصارف - بنك تونس • ويبلغ عدد مكاتب هذه البنوك حوالى ٣٠ مكتبا •

وللتدليل على مدى ما حققته البنوك الاجنبية من أرباح ، نسوق هذا البيان : كانت مجموعة القروض الممنوحة من البنوك التجارية فى ليبيا فى بداية عام ١٩٥٩ مبلغ ٠٠٠ر٧٠٠ر٧ جنيه • وبلغت القروض فى نهاية ١٩٦٥ حوالى ٣٠ مليون جنيه !! • واحتلت تجارة الجملة والتجزئة الجزء الاكبر من هذا النشاط ، اذ بلغت فى نهاية ١٩٦٥ حوالى ٣٥ فى المائة من مجموع القروض ، أى ما قيمته ١٠ ملايين من الجنيهات ، بينما كان نصيب القروض الصناعية ٣١٩ الف جنيه !!

لقد خلق التطور الهائل فى انتاج البترول طبقة من الراسمالية التجارية الليبية ، حققت أرباحا طائلة فى ظل نظام السيطرة الاستعمارية • وتولت هذه الطبقة مقاليد الحكم فى البلاد وربطت ليبيا بسياسة الدول الاستعمارية •

ميزانية الدولة فى خدمة الرأسمالية الليبية والامبريالية

كانت ليبيا تعتمد فى تمويل ميزانياتها ، منذ استقلالها وحتى بداية اكتشاف البترول ، على الايرادات المحلية المحدودة التى تجنى من الرسوم الجمركية وعلى الصادرات الليبية • وبصفة أساسية كانت تعتمد على المساعدات الاجنبية •

فطبقا لنصوص معاهدة الصداقة والتحالف التى عقدت بين ليبيا وانجلترا عام ١٩٥٣ ، خولت ليبيا لبريطانيا حق استعمال المرافق العسكرية الهامة وبعض المناطق والمبانى داخل المدن بصفة مستمرة ودائمة للاغراض العسكرية • كما يحق للطيران البريطانى التحليق فى كل أجواء ليبيا والهبوط فى أية بقعة من أراضيها والاقلاع منها فى حالات الاضطرار بما فى ذلك المياه الاقليمية •

كل هذه الحقوق مقابل مبلغ ٠٠٠ر٢٥٠ر٣ جنيه تدفعها بريطانيا سنويا ، لدعم ميزانية ليبيا •

وسارعت أمريكا بدورها عام ١٩٥٤ لعقد معاهدة صداقة وتحالف مع ليبيا • وقد منحت هذه المعاهدة لأمريكا حق استعمال بعض المناطق فى ليبيا للاغراض العسكرية ، بما فى ذلك القاعدة الجوية فى هويلس (على بعد ٧ كيلو مترات من طرابلس) • وتتعهد أمريكا مقابل ذلك بدفع مساعدات مالية وفنية الى « اللجنة الليبية الامريكية » للانشاء • ولم تتجاوز قيمة المساعدات الامريكية ماتدفعه بريطانيا سنويا •

على أن تدفق البترول الليبى قد وفر للدولة الاموال اللازمة لمشروعات التنمية . فبينما كانت ميزانية أعوام ما قبل البترول لا تزيد عن عشرة ملايين من الجنيهات، بلغت فى ميزانية ٦٥ - ٦٦ ، ١٧٠ مليون جنيه • وقدرت بعثة البنك الدولى للانشاء والتعمير قيمة اجمالى الدخل القومى بنحو ٥٢ مليون جنيه عام ١٩٥٨ ، ٦٠ مليونا عام ١٩٦١ وارتفع الدخل القومى الى ٨٥ مليونا عام ١٩٦٣ ، ثم ارتفع الى ١١٨ مليونا عام ١٩٦٤ •

وترجع هذه الزيادة الى النمو السريع لانتاج البترول والى ارتفاع حصة الحكومة من العوائد البترولية • وتمثل العوائد البترولية حوالى ٨٠ فى المائة من اجمالى الدخل القومى •

على أنه برغم هذه الموارد الطبيعية الهائلة والنمو السريع للدخل القومى ، فلم تحقق الحكومة الليبية أية تنمية اقتصادية ترفع من مستوى معيشة الطبقات الكادحة بالمدن أو تؤدى الى توطين البدو الرحل لاستغلال الاراضى الصالحة للزراعة • وما زالت معظم المدن الليبية محرومة من المياه الصالحة للشرب (فمياه بنغازى تحتاج الى تكرير وتنقية) • وما زالت المرافق الاساسية من نقل وصحة وتعليم تعانى أسوأ درجات التخلف ، وما زالت الاغلبية العظمى من سكان القرى والمدن تعيش فى مستويات معيشية منخفضة للغاية •

ورؤوس الاموال المخصصة لمشروعات التنمية تستنفد وتسرق قبل تحقيق المشروعات ، بالاضافة الى أنها تدور فى معظمها حول مشروعات غير انتاجية • كما أن تخطيطها يقوم به خبراء أجانب ، يفضلون شركات بلادهم فى مجالات العطاءات والمشتريات بدلا من طرح هذه العمليات فى عطاءات عالمية •

ومن المعلوم أن اعتلاء احد التجار لمنصب وزير ، كان يتيح له تحقيق مئات الالاف من الجنيهات خلال عام واحد من خلال عمليات السمسرة التى يتقاضاها من الشركات الاجنبية المصدرة ، أو فى عمليات المناقصات العالمية التى تطرحها الحكومة الليبية فى الانشاءات أو التوريدات •

لقد استنزف الخبراء الاجانب وشركاتهم وكبار رجال الحكم فى ليبيا ميزانية الدولة ، ولم يشعر الشعب الليبى بأى تقدم حقيقى فى اسلوب حياته • بل يواجه الشعب يوميا ارتفاع فى الاسعار وفى تكاليف المعيشة • وقد أصبحت « بنغازى » ثانى

دول العالم فى غلاء المعيشة بها وارتفاع الاسعار.

السياسة العربية لليبيا الملكية

وحتى تحتفظ الطبقة الحاكمة الليبية بامتيازاتها فى مشاركة الاستعمار لنهب خيرات الشعب ، كان من الضرورى عزل هذا الشعب عن التيارات السياسية الوطنية العربية ونشر الاكاذيب عن مصر وغيرها من الدول العربية المتحررة .

ان أبواق الاستعمار وعملائه فى ليبيا كانوا يشنون حربا من الاكاذيب ، ويعملون على تزييف الحقائق حول الاوضاع السياسية والاجتماعية فى مصر . وفى الوقت الذى تستقدم فيه الحكومة الليبية المصريين للعمل بليبيا تحت ضغط الحاجة ، ولسد احتياجات التعليم والادارة والخدمات العامة فانها كانت تسلط عليهم أبواقها المأجورة للتقليل من شأنهم امام الشعب الليبى ومن شأن الخدمات التى يؤدونها . وتصيد الاخطاء التى تقع وتجسيمها والمبالغة فيها .

ولكن هذه الاكاذيب لم تفت على الشعب الليبى ، الذى برغم المعوقات الطبيعية والمصطنعة قد استطاع تنظيم صفوف شبابه فى المدارس والجامعات ، وفى النوادى وبين المثقفين وداخل نقابات العمال وبصفة خاصة عمال الشحن وعمال المحلات التجارية ، وبصفة عامة داخل صفوف الكادحين المنهوبة خيرات بلادهم .

ويمكن ايجاز المعوقات فيما يلى :

● الوضع الجغرافى للمدن الليبية التى تفصل بينها مساحات شاسعة من الصحارى . فتبعد بنغازى عن طرابلس ١٠٥٠ كيلو مترا ، وتبعد بنغازى عن طبرق بحوالى ٧٥٠ كيلو مترا ، وتبعد طرابلس عن البيضا وهى العاصمة الادارية بحوالى ١٢٥٠ كيلو مترا .

● قوات الامن وسطوتها (قوة دفاع برقة) . وتتالف قوة الامن الداخلية من المنتمين « لقبيلة البراعصة » أشد القبائل ولاء للملك السابق ، وأكثرها نفوذا فى برقة ، وأشدها وحشية فى قمع مظاهرات الطلبة والعمال . وهى مسلحة بأحدث الاسلحة والمعدات ، فسياراتها مجهزة بأجهزة الارسال والاستقبال ، وافرادها يحملون هذه الاجهزة الدقيقة أينما يذهبون . كما أنها كانت تمتلك من الاسلحة الثقيلة ما لا يمتلكه الجيش الليبى نفسه . وعندما اهدت الجمهورية العربية المتحده الجيش الليبى بعض القطع الحربيه : دبابات وطائرات تسلمتها قوات الامن وحجبتها عن الجيش .

وقد عملت قوات الامن على بث الذعر والخوف فى نفوس الشعب الليبى من أى تحرك سياسى وكان العنف الوحشى هو اسلوبها التقليدى فى مواجهة مظاهرات الشعب ، وملاحقة الوطنيين وتلفيق الاتهامات لهم .

● **نشاط مراكز المخابرات الغربية :** وتباشر المخابرات الانجليزية والامريكية نشاطا ملحوظا فى ليبيا .

وفى بنغازى تحتل المخابرات الامريكية الادوار العليا من سفارتهم فى غرف فولاذية تحتوى على احدث اجهزة الارسال ، وتعتبر من أكبر مراكز المخابرات الامريكية فى منطقتى الشرقين العربى والاوسط .

وتمارس المخابرات الغربية نشاطا كبيرا فى أجهزة الدولة الليبية وتقوم بشراء الموظفين والمسئولين ورجال الصحف . وتعمل على نشر الاكاذيب حول الجمهورية العربية المتحدة وتشويه الاخبار وتزييفها واثارة الرأى العام ضد المصريين العاملين فى ليبيا .

كما تقوم بدورها فى التجسس وتلفيق الاتهامات للعناصر الوطنية كما حدث عام ١٩٦٥ ، عندما اشتعلت النيران فى بئرين للبترول فى ليبيا . ويبدو ان الحادث دبرته شركات منافسة . ولكن قبض على بعض العناصر الوطنية من العمال ، وقامت المخابرات البريطانية والامريكية بدورها فى تلفيق الاتهامات للعمال وتدبير أدلة اشتراكهم فى الحريق . وانتهت المحاكمة باصدار عقوبة الاعدام على بعض العمال .

● **الحكومات الليبية فى خدمة الاستعمار :** ان الحكومات الليبية المتعاقبة كانت تمثل كبار الرأسماليين والتجار والمستوردين وعملاء ووكلاء الشركات الاجنبية .

وهى طبقة نمت رءوس أموالها بسرعة لم يسبق لها مثيل عن طريق نهب خيرات الشعب وسرقة ميزانية الدولة . وكانت هذه الحكومات تقوم

بتضليل الشعب بصفة مستمرة عن طريق صحفها واذاعتها ، من أجل خدمة هدف الاستعمار فى عزل ليبيا عن الدول العربيــة ، واثارة روح الفرقة والخلاف بينها وبين السياسة العربية التقدمية .

● **تحريم قيام أى تنظيم سياسى :** ان حرمان الشعب الليبى من مزاولة أى نشاط سياسى وحقه فى انشاء تنظيمات كان عائقا لتوعية الجماهير وتنظيمها ، ودفع العمل الســياسى الى مراحــل متقدمة .

وبرغم هذه المعوقات ، فان الشعب الليبى ممثلا فى شبابه وعماله وجنوده لم يترك فرصة الا واستغلها فى سبيل تنظيم صفوفه .

فقد بلغت التناقضات بين قوى الانتاج وبين شكل تنظيم العلاقات القائمة فى المجتمع درجة لم يسبق لها مثيل . فكانت القوى الشعبية والعاملة تعمل فى صمت من أجل تغيير شكل مجتمعها .

ويمكن فى هذا المجال رصد أهم الحــركات الشعبية :

١ ــ اتحادات الطلبة والمعلمين :

تكونت اتحادات الطلبة بعد كفاح شاق وطويل . فكانت هذه الاتحادات هى التنظيم الاول الذى عبر عن آمال الشعب وطموحه وعن مواقفه السياسية . ولقد استشهد الكثير من الطلبة فى سبيل انشاء اتحاداتهم ، ومجازر يناير ١٩٦٣ ليست بالبعيدة عن الاذهان .

واستمر نضال الطلبة والمعلمين خلال السنوات الست الاخيرة من أجل الاعتراف بالاتحاد العــام لطلبة ليبيا ، مما اضطر الحكومة الليبية الى اغلاق الجامعة فى كثير من المناسبات .

٢ ــ النوادى ومراكز الشباب والحركة الكشفية :

لقد انخرط الشباب الليبى المتعطش للعمــل السياسى فى النوادى ومراكز الشباب التى كونها لاغراض اجتماعية ورياضية . كما احتل مراكز القيادة فى الحركة الكشفية . وبدأت التجمعــات السياسية للشباب الليبى من خلال هذه المراكز .

ولقد أظهر المؤتمر الكشفى العربى الذى عقد فى ليبيا فى صيف عام ١٩٦٦ الموقف السياسى لكشافة ليبيا ووعيهم السياسى .

٣ ــ النقابات والطبقة العاملة :

ان الموقف البطولى الذى وقفته الطبقة العاملة فى كل المعارك التى خاضها الطلبة هو موقف جدير بالتسجيل ، وبصفة خاصة الاضراب الذى قام به عمال الشحن فى ليبيا فى ربيع عام ١٩٦٦ ، وذلك على أثر اعلان مقاطعة البضائع الالمانية وقطع العلاقات الدبلوماسية معها . فقد أعلن العمال اضرابهم وامتنعوا عن تفريغ السفن الالمانية التى بقيت طويلا فى الموانى الليبية . وبرغم الضغوط التى مارسها اصحــاب الاعمال وتجــار ليبيــا بالاضافة الى سلطات الحكومة ، الا ان عمال الشحن قاوموا هذه الضغوط واستمر اضرابهم . ووقف الشعب خلف طبقته العاملة وقامت حركة لجمع تبرعات لاعانة أسر العمال الذين حرموا من تقاضى أجورهم خلال هذه الفترة . كل ذلك يظهر بوضوح مدى وعى الطبقة العاملة الليبية ، ومدى حرصها على الوقوف الى جانب الجمهورية العــربية وتاييدها لقضايا العرب .

وكان اضراب عمال المحال التجارية والاسواق ، خلال هذه الفترة إضرابا جماعيا . ففى دقائق كانت الاسواق مقفلة ومهجورة ، ولم تستطع قوات الامن ارغام العمال على العودة الى العمل .

٤ ــ الجيش الليبى :

لقد حرصت الحكومة منذ الايام الاولــى لاستقلالها وبعد اقامة القواعد العسكرية الانجليزية والامريكية على عدم تسليح الجيش .

وقد امتاز الجيش الليبى بأن تكوينه لم يخضع للتنظيم القبلى ، فى تجنيد افراده وضباطه ، كما امتاز بأن تدريب ضباطه وتعليمهم تم ــ غالبا ــ فى الجمهورية العربية ثم فى العراق بعد ذلك . وعلى أية حال فان الجيش الليبى لم يشترك مرة واحدة فى عمليات القمع الداخلية . كل ذلك اعطى للجيش صورة الجيش الوطنى الخارج عن دوائر النفوذ الاستعمارى .

ولعل أبلغ دليل على موقف الجيش الليبى من قضايا العرب ، هو ما حدث يومى ٦ ، ٧ يونيو عام ١٩٦٧ فى طرابلس .

لقد خرجت جماهير الشعب فى جميع المدن الليبية فى مظاهرات دامية فهاجمت متاجر التجار اليهود الموالين لاسرائيل والصهيونية وقوات الامن ومراكز الاستعلامات الانجليزية والامريكية . وفى طرابلس خرجت الجماهير وعلى رأســها ضباط

وجنــود من القــوات المســلحة ، وحــاصرت قاعدة « هويلس » التى قيل بــأن الطــائرات الاسرائيلية التى أغارت على القاهرة قد خرجت منها •

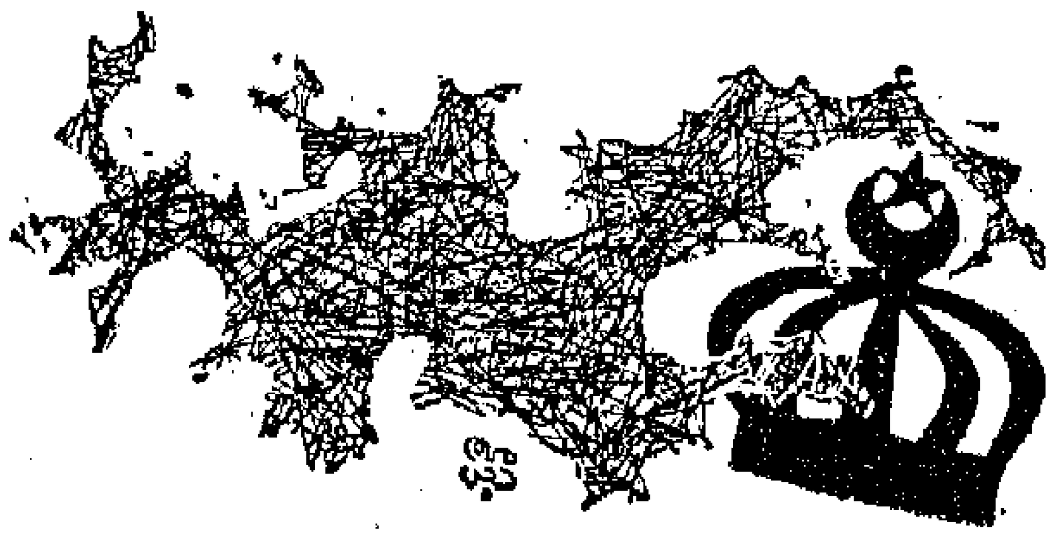
لقد اضطرت الحكومة الى تحريك قوات الامن ضد الجيش وضد الشعب • واعتقل الكثير من الطلبة ومن ضباط الجيش ، وقدم الكثير منهم الى المحاكمة وصدرت بعض احكام الاعدام ، وسرح الاخرون من الجيش •

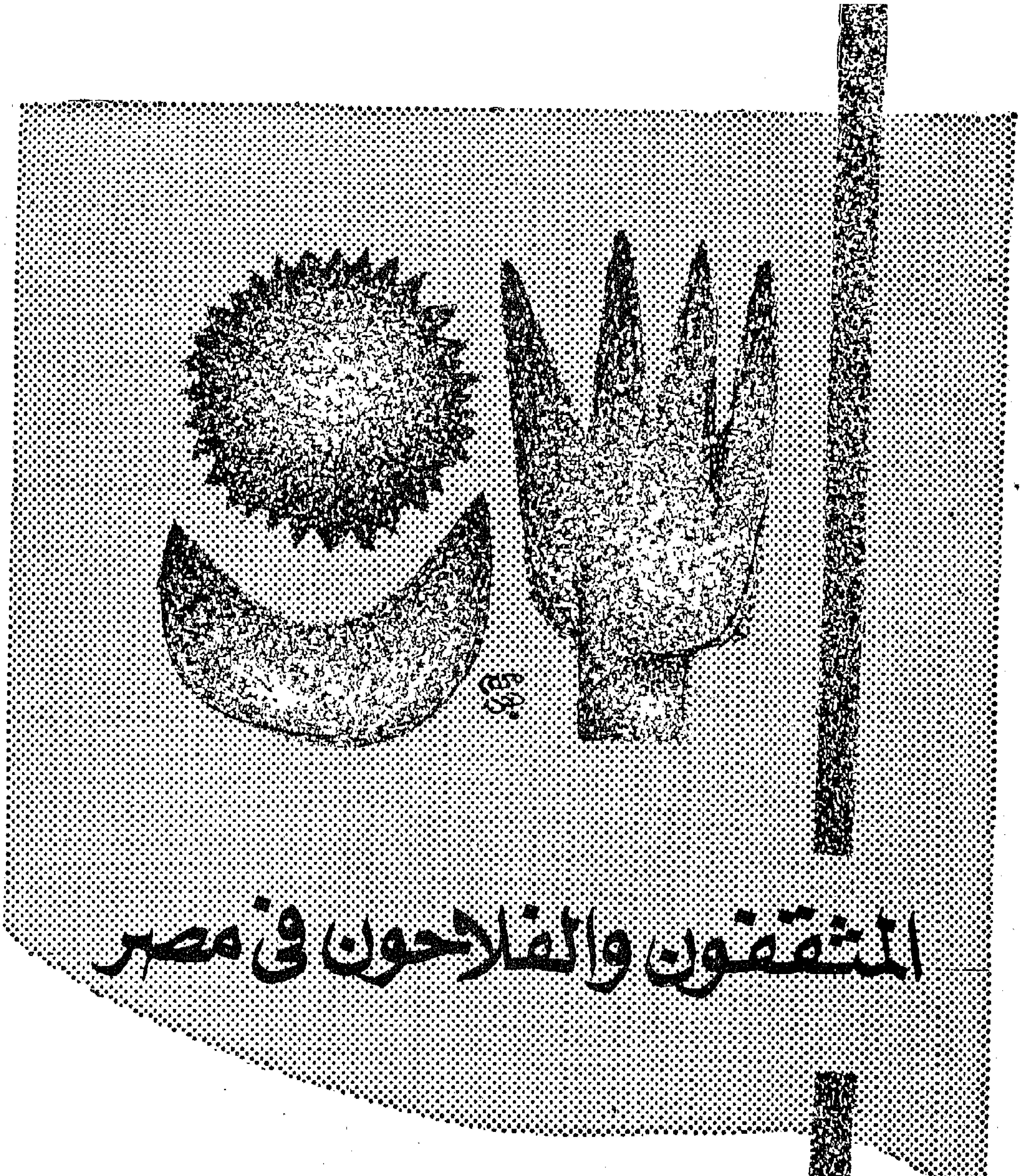
لقد اقتحمت الثورة الليبية جميع هذه العقبات ونجحت فى توجيه أكبر ضربة اصابت الاستعمار خلال السنوات الاخيرة •

وهناك مهام عديدة القيت على عاتق الثورة لانجازها : فعليها انتخطط تخطيطا شاملا لاقتصاد ليبى وطنى من أجل اجراء التنمية المطلوبة فى الزراعة والصناعة ، كما أن عليها واجبا أساسيا وهو حماية نجاحها بتنظيم الشعب وتسليح قواته وعزل الفئات الحاكمة التى باعت نفسها للاستعمار •

وعليها قبل كل شيء اللحاق بالركب العربى المتقدم والمساهمة ايجابيا فى القضايا العربية •

ان الطريق طويل وشاق أمام الثورة الليبية • ولكن التأييد الجارف الذى لاقته من جماهير الشعب الليبى كفيل بحمايتها وبتمكينها من السير دائما الى الامام •





المثقفون والفلاحون فى مصر

المثقفون الثوريون ، هم حليف لا غنى عنه للجماهير الشعبية فى كفاحها ضد التخلف . وفى مجتمعنا ، حيث الهوة واســعة ، عميقة ، بين الريف والمدينة ، بين الملايين من الاميين وأقلية تخطتها الى أرفع مستويات التعليم ، تبدو الاهمية الخاصة لاعمق وأوثق ارتباط بين المدرسة والحقل .. المثقف والفلاح .

وهناك جيل جديد من المثقفين الثوريين ، رفض ان يغــادر الارض الطيبة الوعرة ، وظل يعمل بدأب ودون ضجيج ، فى أعماق الريف . راح البعض منه يستكتشف طريقه .. يقرأ ويثقف ، يتعلم ويعلم . ومن خلال الفكر والممارسة ، يشق طريقه ملتحما بالجماهير ، متصــديا لتحديات الارض البور العنيدة .. بيروقراطية وعفن بعض الاجهزة البيروقراطية ، مؤامرات القوى الرجعية ،

عراقيل من جانب القيادات المحافظة ، والتقاليد البالية . لكن التصاقهم بالفلاحين الفقراء ، واستنارتهم بالفكر الثورى الاشتراكى ، يمدهم بذخيرة لا تنضب من الطاقات . والرمال الصفراء العقيمة تتحول الى سمرة الاخصاب ، والجماهير تتجاوب معهم ، مما يهبهم قوى متجددة لمواصلة الطريق .

وتقدم « الطليعة » ، فى دراستها هذه ، أربعة نماذج لنشاط المثقفين فى الريف .. الجهد السياسى ، من أجل التعبئة ، والتوعية والتنظيم .. الاسهام فى استصلاح الارض واستزراعها ، واستخدام أحدث الاساليب العلمية فى الانتاج الزراعى .. حصيلة التجربة ، الجوانب الايجابية والسلبية ، الاخطاء والانجازات .. والاهم من ذلك ، الخبرة الثمينة المكتسبة من واقع الممارسة ، ومحاولة ربط النظرية بالتطبيق .

المثقفون والفلاحون

تجربة سندوب

اكسر "الختم" وامسك "القلم"

د . أحمد حجى

قبل ثورة ١٩٥٢ ، كانت حيازة الارض الزراعية لقرية سندوب التابعة لمدينة المنصورة موزعة بين اربع عائلات اقطاعية . أما فلاحو سندوب الحقيقيون فكانوا يستأجرون الارض لزراعتها والبعض الاخر كانوا [تمليه] اى عمالا زراعيين ثم تناثرت الارض بعد ذلك قطعا لورثة تلك العائلات الاربعة . وبذلك لم يعرف قانون الاصلاح الزراعى طريقه الى قرية سندوب حيث كانت أكبر ملكية زراعية للفرد لاتزيد عن عشرة افدنة ومنذ زمن طويل وفلاحو سندوب يعانون من ضيق المساحة الزراعية

ولنأخذ مثلا : أسرة مكونة من عشرة أفراد تستأجر نصف فدان تقضى منه حاجياتها ومعيشتها .

وزاد الطين بلة عندما بدأت مشاريع مدينة المنصورة الصناعية والعمرانية تزحف على قريتنا تلتهم الارض وتدفع الثمن للملاك الاصليين ، أما فلاحو سندوب الفقراء فليس لمشكلتهم اى اعتبار . وظهرت نتيجة لذلك ملامح البطالة الشرسة . وفلاحو سندوب الفقراء يعرفون البطالة والشاهد على ذلك عدد المقاهى بالقرية والتى يبلغ عددها ٣٥ مقهى تستقبل العاطلين من بين ٠٠٠ر١٢ نسمة هم مجموع السكان ، ومنذ الصباح تكتظ المقاهى بالفلاحين يجلسون بلا عمل ، يتحسرون على الارض وينظرون فى أسى للمصانع التى اقيمت عليها والتى رفضت تشغيل فلاحى سندوب فيها . وفى أحيان أخرى يعودون بذاكرتهم الى الماضى ، ويلعنون ذلك الاقطاعى الذى رفض ان تقام على أرضه الزراعية بزمام سندوب مصانع الغزل والنسيج والتى أقيمت بالمحلة الكبرى ، فقد كان ذلك سببا فى أن مشكلة فلاحى سندوب معقدة وضعية الحل الان .

● **قيادات بالية :** ويزيد المأساة فى قريتنا أيضا ، أنها مثقلة بعدد من القيادات القديمة والتى لها صلة بحزب الاخوان المسلمين المنحل ، وحزب مصر

الفتاه ، ومدرسة الابتدائى القدامى .. والتىكانت هواياتهم المحببة تقسيم القرية الى قوى متنافرة دائما ، وذلك لارضاء الاجهزة الادارية بالمدينة والتى تدخل طرفا فى مشكلة القرية هى الاخرى .

● **جماعة المثقفين الجدد :** وأمام عيوننا نحن الشباب كنا نرى المأساة . ولكننا لم نكن نرى الصورة واضحة ومحددة المعالم . لم نكن نرى صورة محددة للطبقات . لم نكن نسمع عن قوى مناضلة للدفاع عن مصالح الفلاحين . لم نكن نرى الا ان الارض تنتزع والعاطلين يزدادون والمقاهى تنتشر بجنون ، وقيادات القرية تعمل بلا توقف، على تمزيق حركة الفلاحين وتخريبها ارضاء للجهات الادارية حتى يكفوا عن المطالبة بحل لمشكلتهم .

وفى سنة ١٩٥٧ جلسنا مجموعة من الشباب أنبتتنا ظروف اجتماعية واحدة واتخذنا فى نفس الوقت طريقا ثقافيا واحدا وهو دراسة الاشتراكية العلمية وتطبيقها على الواقع المصرى أولا وأخيرا .. كنا نسأل أنفسنا بين حين وآخر :

ما العمل ؟ من هو عدونا ومن هو صديقنا ؟ ما السبب فى مشكلة قريتنا ؟ ماهى نهاية ذلك الصراع الغير متكافىء ، والذى تلتهم فيه السمكات الكبيرة السمكات الصغيرة ؟

وأخذنا ندرس ونبحث ونتناقش . ثم اتخذت حركتنا طابعا فكريا فقط .. نشرح للناس ما نحب أن يفعلوه دون أن نضع أيدينا معهم فى عمل واحد ، ظانين أن القضية .. قضية فكر . كنا نقول أن أزمة الفلاحين فى قريتنا أزمة من نوع جديد وهى تزداد يوما بعد يوم .. لان الفلاحين لا يدركون مصالحهم جيدا ولانهم بالدرجة الاولى أميون أيضا .. وعلى المقاهى المنتشرة بانحاء القرية .

والتقينا بالفلاحين لنشرح لهم القضية وجوانبها المختلفة . وفى ذلك الوقت كانت القيادات القديمة وبالتحالف مع تجار المخدرات والمرابين ورجال الادارة بالمدينة يستعدون لترشيحات الاتحاد القومى . ولذلك اضفنا بجانب قضية البطالة فى القرية .. ضرورة اختيار عناصر فلاحية واعية .

لكن كيف كان أثر ذلك .. هجوم عنيف انطلق كالشرارة محاولا الصاق تهمة الالحاد والشيوعية حول كل شاب ثورى يعمل لمصلحة الفلاحين .. حتى الفلاحين أنفسهم كانوا يرددون تلك التهم . وساعد على استمرار تلك الشرارة الحديثة فى ذلك الوقت .. انحسار الحياة الديمقراطية وحرية الفكر . وكان من السهل للشائعات أن يكون لها الاثر القاطع كحد السيف .. وكانت النتيجة .. كما أحبها المرابون ، وكما تمنت القيادات القديمة ، فقد تبوأت هى العمل السياسى بالقرية ، وفشلنا نحن. وزادت من حولنا الشكوك والريبة . وساءت علاقاتنا مع الفلاحين . وكانت تلك فرصة طيبة للعناصر الانتهازية لتنهب حقوق الفلاحين الفقراء فى الذرة الصفراء ، وليستحوذ البعض الاخر على خدمات القرية له ، كان يبنى أحدهم سورا حول حنفية المياه العامة ويستخدمها لنفسه .

منذ ذلك الوقت جلسنا لنفكر من جديد وباصرار .. كيف نكشف للناس ذلك الجو المظلم التى تنمو فيه قوى الثورة المضادة والتى تجد تاييدا من أجهزة السلطة بالمحافظة ؟

وفى سنة ١٩٦١ أطلقنا على حركتنا الجديدة « **أضواء القرية** » . وعن طريق الندوات واللقاءات المباشرة مع الفلاحين، كذلك بواسطة العمل المسرحى كنا نلقى اضواء كاشفة لحقيقة ما يحدث ، مما دفع القوى الانتهازية والتى تسيطر على كل أجهزة القرية لتعلن لاجهزة المباحث العامة : هنا شيوعيون .. أمسكوهم ..

وفى ذلك الوقت كنا نخبىء كتب « **سلامه موسى** » و « **نجيب محفوظ** » تحت الارض خوفا من ان تقع تحت ايديهم وتثبت التهمة الباطلة زورا .

ومع الايام كنا نكبر ويكبر معنا وعينا السياسى ، وتكبر معناازمة القرية .. العاطلون فى زيادة لا تتوقف .. غرباء يسكنون القرية ويعملون فى المصانع المحيطة بها والتى حرم منها فلاحو سندوب الفقراء . والسبب كما يقول المسئولون .. أن الفلاحين لا يعرفون الوقوف أمام الالة .

كنا نتعلم عن انفسنا ومن تجارب عملنا .. فلم تعرف قريتنا عناصر ذات نشاط ثورى جماهيرى من قبل . وكانت حركتنا جديدة من نوعها ، وكانت طبيعة القرية شاذة أيضا . فهى بلا طبقات محددة . وفى نفس الوقت هى مزيج من الحياة الريفية والحياة المدنية . وبجانب ذلك كله فقد كانت قريتنا جيبا من جيوب تجار الانتخابات بمدينة المنصورة ، ومن السهل شراء أصوات القرية كلها بمائة وخمسين جنيها فقط .

○ **مشروع عمل :** قلنا .. لنستفيد من عدد المقاهى التى تتزايد كل يوم مع كبر المشكلة .. ومع الناس ، بدلا من أن نتكلم ونعلم ، جلسنا لنسمع ، وفتحت القرية قلبها ليتسع الحوار ولتبرز مشاكل فى الامية ونفوذ الفكر الرجعى بجانب المشكلة الام وهى البطالة .. ومن هنا خرجنا بمشروع عمل :

● أن يرشح اثنان من الشباب الثورى لعضوية لجنة العشرين بالاتحاد الاشتراكى .

● أن نعمل على كشف حقيقة البطالة وانتزاع المنصورة لراضى سندوب الزراعيه خاصه للفلاحين اننا لسنا ضد العمران الصناعى .لكن ذلك العمران لايجب أن يكون هو سبب مشكلتنا (حيازة سندوب الزراعية ١٨٠٠ فدان .. انتزعت المنصورة ٥٥٠ فدانا لمشروعاتها العمرانية) .

● أن تكون للقرية مجلة حائط كمنبر للرأى العام ولتوحيد حركة الفكر وخلق صراع فى مناخ صحى

● ولم يعد خافيا بعد ذلك أن القوى المعادية لعملنا الثورى قاصرة على بقايا الحزبية البرجوازية والانتهازيين فى القرية .بل أصبح مؤكدا أن تلك القوى تجد تأييدا حاسما من أجهزة السلطة فى المدينة . وفى كل يوم كنا نسمع عن التهديد والارهاب وصوره المختلفة حتى تتوقف الحركة الثورية .. وحتى تظل سندوب ذلك الجيب الملىء بالاصوات الانتخابية لانتخابات مجلس الامة .

وتكاتفت القوتين ـ داخل القرية وخارجها ـ حتى اسقطوا الشبان الثوريين من عضوية لجنة العشرين بطرق متعددة منها التهديد .. وبلبلة الافكار واثارة الشائعات ... وتشكلت اللجنة بعد ذلك من الانتهازيين وذيول الرجعية بالمدينة .. ومر الزمن .. ولجنة العشرين لا تحرك ساكنا أمام أزمة القرية .

لكننا رغم فشلنا .. جلسنا لنضع برنامجا جديدا من خلال ثلاث قنوات رئيسية :

١ ـ **محو الامية** : كنا جميعا نتفق على أن الامية سلاح قوى أورثه الاستعمار للقوى الانتهازية والمتسلقة لتوقف حركة الفلاحين ولتوقف حركة الفكر المصرية . ومن هذا المنطلق بدأنا نفهم الامية على أنها قضية سياسية هامة .. ثم هى قضية ثقافية ايضا . فمن أجل ازدهار حركة الفكر فى مصر فلنبدأ أولا بمحو الامية .. أى اعداد القراء الجدد .. وتساءلنا .. لماذا تفشل مجهودات وزارة التربية والتعليم فى القضاء على الامية ؟ وكانت الاجابة .. ان الوزارة لا تعتبر قضية الامية قضيه قومية .. ولان مقاومة الامية لا تقوم على أساس سياسى ودراسة دقيقة للشعب المصرى . وعلى جدران القرية وفى كل زقاق وحارة ارتفعت الشعارات تقول : (**على كل متعلم أن يعلم أميا**) .. (**لتسقط الامية**) .. (كسر عندك وامسك القلم) .. (**اقضوا على الامية .. لنبدأ مشروعا آخر**) .. ثم وضعنا مادة دراسية جديدة لمحو الامية بدلا من كتب وزارة التربية والتعليم والتى كانت تنفر الاميين من دراستها .. فكيف يتعلم الفلاح بـ (ذهبت ماما لتشترى البسكويت لعادل) . ان الامى يريد أن يتعلم الحرية وأن يحطم قيد الجهل المكبل به سواعده وأن تكون الكلمات التى يتعلمها مفاتيح الحرية فى حياته . وذلك بأن تكون مشاكل حياته اليومية ، ومشاكل الوطن ، وتاريخ الشعب الكفاحى هى مادة دراسته . وحتى مادة الحساب كنا ندخل فيها المشاكل الحياتية للامى وكأنها مشكلة يتباحث فيها الجميع بروح العلم .

وفى سنة ١٩٦٣ تخرج من الدفعة الاولى للمشروع ٧٥ فلاحا و١٥٠ سيدة وفتاة ، وفى الدفعة الثانية ٣٧ فلاحا و١١٥ سيدة وفتاة .

٢ ـ **البطالة** : وهى الغول الذى كان يهدد عملنا بين حين وآخر والذى كان يشدنا دائما لارض الواقع بدلا من التحليق فى مشاكل الثقافة والفكر . ولحل المشكلة كان لابد من تجميع الفلاحين العاطلين ومقاومة القيادات القديمة التى كانت تزرع الحقد والفرقة بين صفوف الفلاحين . وبدأنا ندعوا الى تكوين نقابة للعمال الزراعيين سنة ١٩٦٤ حتى نستطيع معا أن نجد حلا للمشكلة ، وتم اللقاء .. ودار النقاش والجدل والحوار .. وتكونت النقابة الزراعية . ولكن نشاطها تجمد وتوقف عن الحركة . ونحن نرى أن ذلك يرجع الى عرقلة الحركة النقابية العمالية على وجه العموم .

٣ ـ **اللجنة النسائية** : المعروف أن الرجل وزوجته وأولاده يعملون سويا فى الحقل ، و بعد انتزاع الارض فقد عمت البطالة الاسرة كلها ، وبرزت قضية المرأة بجانب بطالة الرجل . يجب أن تتعلم المرأة وأن تتأهل مهنيا استعدادا للعمل من أجل الرزق . وكانت تواجه حركة المرأة مشكلتين : **أولاهما** : تقاليد الريف . **وثانيهما** : هل الافضل أن يعمل الرجل أولا .. أم **أن تعمل المرأة والرجل معا ؟**

فى الحقيقة كانت اللجنة النسائية من أعنف القضايا التى بدأنا فيها . فالمتعلمات رفضن العمل نتيجة تطلعاتهن الطبقية . ولم تتقدم لقيادة الحركة النسائية فى القرية الا سيدة واحدة مثقفة . ووقفنا بجوارها نساندها ونؤيدها ونسهر الليل سويا نفكر فى كيف نواجه القرية معا ، ونجعل العلم هو غذاؤنا من أجل الحرية ومن أجل القضاء على مشكلة البطالة المتضخمة . بدأنا بالذهاب الى البيوت واقناع الازواج والاباء ودعوتهم لتدعيم حركة المرأة ، وكتبت مجلة الحائط تدعو الفلاحين لمساندة الحركة النسائية تقول : (ايها الفلاحون أيدوا النشاط النسائى) . وفى البداية تخوف البعض ولم يقبل على المشروع الا

١٢ فتاة وسيدة ، ولكن بعد أسابيع قليلة أصبح عدد المشتركات ١٥٠ سيدة وفتاة . ويرجع ذلك الى برنامج العمل داخل اللجنة النسائية .. وأهدافه التطورية التى تتلخص فيما يلى :

١ ـ محو الامية : هى نفس الطريقة المتبعة مع الرجال لكننا كنا نزيد عليها دراسة تاريخ الحركة النسائية .

٢ ـ التطريز والاشغال اليدوية : ويقصد بها تعليم السيدة والفتاة عملا يدويا مثل التطريز والحياكة والاعمال التى تدر دخلا .

٣ ـ القيد فى جداول الانتخابات (٦٠٠ ناخبة) والانضمام الى عضوية الاتحاد الاشتراكى (٢٨٠ عضوة) وذلك لكى يصبح للمرأة يد فى الحركة السياسية فى القرية .

٤ ـ أصدار مجلة حائط باسم « المرأة الجديدة » من ثلاث نسخ لتعلق كل نسخة فى مقهى . ولتفتح المرأة حوارا شجاعا مع الرجال .

٥ ـ تكوين كتيبة من السيدات والفتيات لتنقية دودة القطن مع الفلاحين أيام المقاومة .

٦ ـ اقامة المعارض والحفلات المسرحية للتوعية والقيام برحلات للقاهرة والمحلة الكبرى وسرس الليان وبحيرة المنزلة وكذلك القرى المجاورة لتبادل الخبرات .

● **نجح العمل .. فدبرت له المؤامرات :** عندما نجحت اللجنة النسائية فى تنفيذ هذا البرنامج ، بدأت ملامح القرية الجديدة فى الظهور . فخرجت القوى المعادية لتقول نحن هنا ، لكنها كانت هزيلة هذه المرة . فلقد كان للعمل الذى قامت به اللجنة النسائية جماهيرية واسعة . اقترح البعض حلا للمشكلة وللعداء القائم بين القوتين الثورية والانهزامية أن تدخل القرية حكما فى الوسط . وكان الاقتراح أن نفتتح نحن فصلين لاستقبال عضوات اللجنة وأن تفتح القوة المعادية لعملنا (المدرسين القدامى .. بقايا الحزبية البرجوازية .. وذيول الرجعية أصدقاء السلطة التقليدية بالمدينة) فصلين .. ولتذهب العضوات الى من يرغبن . وكانت مفاجأة فقد حضرت كل العضوات الى مدرستنا وتركوا السادة الانهزاميين يأكلهم الحقد والغيظ . كانت انتصارا طيبا زاد حماسنا واخلاصنا للعمل ، لكن القوى المعادية لم تنم الليل .. سهرت تحيك المؤامرات .. وتحركت الاجهزة الادارية بالمنصورة لمساندة أصدقائها الاوفياء فأغلقت المدرسة فى وجه سيدات وبنات « سندوب » بتهمة الاخلال بالشرف . والدليل كما فعل الحاقدون .. قطع من القماش مغموسة بالحبر الاحمر (!) .. وكان الرد .. أن تجمعت العضوات وباصرار جلسن فى عرض الشارع يفترشن الحصر وتحت ضوء مصابيح الغاز ليثبتن تمسكهن بالعمل ويكذبن الادعاءات الباطلة . كنا نكتب لهن على الجدران لنعلمهن ولنضع أيديهن على القضية . ولما لم تفلح القوى المعادية فى تحطيم اللجنة .. أرسلوا مناديا يجوب طرقات القرية منذرا ومهددا العضوات اللائى سيذهبن ليتعلمن بأنهن سيحاسبن حسابا قاسيا أمام لجنة العشرين . كما ذهب بعض الموتورين الى البيوت ليمنعن السيدات والفتيات من الحضور الى اللجنة النسائية . فى الحقيقة كان لتلك الحركة المضادة اثرها فى تزايد اقبال العضوات واصرارهن على الاستمرار ، كما كانت هناك مظاهرة تأييد من أولياء الامور ونقابة العمال الزراعيين تدعوا لاستمرار العمل . لكننا ، وأمام عنف هذا الصراع وضراوته ، قررنا أن تتوقف اللجنة النسائية فترة من الوقت حتى ندرس الظروف ثانية . وحيث أن هناك قوى اخرى خارج القرية بدأت تستعد للانقضاض على عملنا لتسقطه بقسوة قوى تتمثل فى بعض اجهزة المحافظة .. .. التربية والتعليم مثلا .. كما كان يحمسهم لذلك ان للحركة الثورية فى سندوب اشعاعا له صدى طيب فى القرى المجاورة مثل قرية « **ميت الصارم** » .. **كفر المناصرة** » .. « **نشا** » .. « **مدينة المنزلة** » .. « **السنبلاوين** » .. ، « **كوم الدربى** » وقرى أخرى .. وكان ذلك الاشعاع يدعو الاجهزة الادارية التقليدية ان تشدد قبضتها فوق سندوب .

● **مجلة الحائط .. تواصل النضال :** لكن مجلة الحائط استمرت فى صدورها ، وكنا نطلق عليها فى بادىء الامر « **صوت سندوب** » كتعبير عن الحركة داخل القرية ، ثم (**اضواء القرية**) كتعبير عن اشعاع الحركة الثورية .. ثم (**المسلة**) كتعبير عن روح النقد التى تلتزمها المجلة . وبعد النكسة تحولت الى مجلة ضخمة طولها (١٥ مترا فى عرض ٣ أمتار) يطلق عليها (**الغد**) كتعبير عن الطريق الاشتراكى . وكم اثارت من قضايا وكم كانت القرية تنتظر صدورها على احر من الجمر . وقد تمكنا بعد صدور ٥٨ عددا من المجلة أن نكون صوت الرأى الحر للفلاحين .

● فلندرس موقفنا من جديد : **سنة ١٩٦٦ توقفنا تماما** ، وجلسنا بمجموعتنا التى تزايدت من خلال معارك العمل لنتناقش من جديد ، ذات ليلة لن ننساها جميعا . جلسنا وطعنات غادرة ينزف لها قلب كل منا . كنا نفكر فى أزمة الثقافة والامية فى مصر ونستكشف اخطاءنا ونعلن عن وعى كامل انه يجب على كل المثقفين الثوريين فى كل المناطق

الريفية ، وحتى تنجح حركة الريف ، أن لايتركوا قراهم فارين الى المدينة • وعلى اساس هذا المبدأ يجب أن نجد لاخطائنا اجابات حاسمة •

● كانت قريتنا تتغير بسرعة ، وكانت مشكلة البطالة تتضخم بلا توقف • وكنا بحكم الاجهزة المسئولة والتى نفذ اليها كثير من الانتهازيين معلقين فى الهواء ، لا نعمل تبعا لجهة رسمية • مثلا بالنسبة للجنة النسائية •• كنا نعمل تحت اشراف لجنة العشرين •• عندما نختلف مع اعضائها نتجه الى نادى الشباب ، وعندما نختلف مع النادى نجلس فى الشارع •• مما سهل للقوى المعادية مطاردة عملنا ووصمه بالتهم الباطلة •

كما كان يلزم سرعة التغيير فى قريتنا •• حركة سريعة من الشباب لمواجهة هذا التحول الغير مخطط علميا • وكانت تلك السرعة سببا فى أن دراساتنا للواقع لم تكن دقيقة ومحددة •

● لان القضية ليست قضية الاقطاع والارض ، أو العمال وصاحب المصنع ، أو ان الصراع مع قوى واضحة فى عدائها ،فقد أخذ عملنا صورة العمل الثقافى والفكرى •• فلم نهتم مثلا بدراسة تاريخ القرية ومعرفة تعداد السكان ومساحة الارض الزراعية ، ولم نتابع مشاكل الفلاحين مع الجمعية الزراعية •• بل كانت المعركة فى نظرنا معركة كتاب وعلم وثقافة فقط •

● كانت علاقاتنا بالعمال والفلاحين من أصدقائنا علاقة ثقافية • وكان من نتيجتها أن يتحول الاصدقاء الى مثقفين مبتعدين عن زملائهم العمال والفلاحين • وبالتالى عن قضاياهم الجوهرية ليكون شغلهم الشاغل أيضا مشاكل الثقافة والفكر •

● كان لمعركتنا مع القوى المعادية أثر كبير فى أننا تخلفنا عن الدراسة والغذاء الفكرى أولا بأول • فقد استنفذ ذلك الصراع جهدنا • وفى نفس الوقت كان ذلك الصراع ـ فى أغلب الاوقات ـ بعيدا عن عيون الناس ، مما كان يؤثر فى حركتنا • فجماهيرنا لا تعرف عن كفاحنا من أجلهم شيئا بالمرة •

● **القرية أرض النضال •• فمزيدا من العمل :** وخرجنا من مناقشاتنا بشىء هام نتفق عليه ، وهو أن موقع نضالنا الحقيقى هو القرية • وأننا لا يجب أن نفر منها هاربين الى المدينة • وأن قضيتنا الثورية تتجسد فى خلق ثورة ثقافية انطلاقا من ريفنا المصرى ،ورفعنا شعارا للعمل من جديد ، وهو : مزيدا من الانفتاح •• مزيدا من الحركة بين الفلاحين •• مزيدا من العمل بين عمال المصانع الثلاث التى انشئت فى زمام القرية •• مزيدا من تقريب الفكر لارض الواقع المصرى •

وكانت البداية سنة ١٩٦٧ ، ولاول مرة حملنا المقطف والفأس وغرسنا ارجلنا فى الطين لنشيد كوبرى رياح سندوب [٦ امتار طول فى ٤ امتار عرض من الخرسانة] •• وهذا الرياح عبارة عن ترعة تقسم القرية نصفين • وقد كان للكوبرى حكايات عديدة مع القيادات القديمة كل يوحد ببنائه ، ثم يجمع المال وينفقه فى المتعة ويظل الكوبرى محطما •• فى كل يوم تحدث من فوقه كارثة لاحد الفلاحين • واندفعنا نجمع مصاريف البناء من تبرعات الفلاحين • وندعو هذا بعربته الكارو ، وهذا بالفئوس والمقاطف ، وحملنا الطوب والرمل والحصى ، واشتركت عضوات اللجنة النسائية فى البناء • ولاول مرة يضع الفلاحون أيديهم معنا متناسين الشائعات التى كان يروجها الانهزاميون لابعادنا عن جموع الفلاحين •• تكلف بناء الكوبرى **١٢٠ جنيها فقط** ، والذى قدرته له مديرية الرى ١٥٠٠ جنيه • وكان ذلك أعظم درس لاهل القرية عن مدى اخلاصنا للعمل وقدرتنا على انجازه وتحولت القرية كلها لتلتف حولنا ، ولتلقى علينا فى ثقة كل مشاكلها المعقدة •

فى ذلك الحين انطلقت رصاصات العدو الغادرة على أرض الوطن فحملنا مكبرات الصوت لنتجول بها فى انحاء القرية طيلة الايام الستة ، لنوقف زحف الشائعات المغرضة ، ولنحافظ على تماسك الجبهة الداخلية • وامتلأت جدران البيوت والازقة بالشعارات المعادية للاستعمار الامريكى والامبريالية العالمية والصهيونية • كما كانت هناك شعارات أخرى تدعو الى الوحدة والنضال ومعايشة المعركة • كما قام فنانو الكاريكاتير بعمل رسوم كاريكاتيرية لتعلق فى المقاهى والمحلات العامة ولتتغير استجابة للاحداث يوما بيوم •

● **مشروع عمل جديد :** كان لابد لمجموعة الشباب الثورى بأن تعيش مشكلات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية فى القرية ، ما دامت قد اتفقت على انها أرض النضال الحقيقية • وبذلك قسمت الى مجموعات : مجموعة تتخصص فى دراسة مشاكل العمال ، وأخرى لدراسة مشاكل الفلاحين ، ومجموعة لقيادة الحركة النسائية ، ومجموعة لدراسة الثورة الثقافية ، وصور حدوثها فى تراثنا المصرية •

ومن جديد بدأنا •• وبدلا من أن نكون عشرة أفراد أصبحنا مئات •• وبدلا من أن نكون عددا صغيرا يواجه الازمات وحده أصبحنا قوة كبيرة تواجه التحدى بالعمل الجماهيرى وحده •

ولذلك فلم تتمكن القيادات التقليدية أن تصيبنا بأذى بل العكس · فان أى قرار تتخذه تلك القيادات يكشفه الفلاحون بانه بدافع من المصالح الشخصية والحقد ·· ويبدأ صوت العمل يرتفع فى كل مكان من القرية :

● عمل دراسة احصائية وتاريخية حول سندوب وحول التحول السريع فى القرية نحو التصنيع والمشكلات الجديدة نتيجة ذلك ·

● الاستمرار فى القضاء على الامية بين الرجال والنساء ·

● افتتاح مدرسة للعمال تضم ٨٠ عاملا من عمال المصانع للتثقيف النقابى والسياسى ولدراسة تاريخ الحركة النقابية ·

● اكتشاف مشاكل جديدة للفلاحين ، والدخول عن طريقها الى تعليم الفلاحين وتثقيفهم وتأكيد دورهم الفعال فى بناء الاشتراكية · وقد علمتنا التجربة القديمة أن لا نكرر خطأ بداية عملنا كعمل ثقافى ، بعيدا عن القضايا الواقعية العملية التى يعيشها الفلاحون . وقد اتضح لنا أخيرا أن المشاكل الصغيرة فى حياة الفلاحين التى تملأ عليهم كل حياتهم ، هى التى تعوق الحركة السياسية الجماهيرية · وأنه لا يمكن للعمل السياسى أن ينجح بين الفلاحين الا بحل تلك المشاكل وبتحرير الفلاح منها أولا بأول ، ثم بعد ذلك يمكن تعليم الفلاح أصعب القضايا السياسية ·

● يتبلور فى اذهاننا الان صورة واضحة للحركة الثقافية فى الريف ، حتى اننا نؤمن تماما بأن بناء الاشتراكية وتصحيح الثورة لن تبدأ الا بحركة جماهيرية مصدرها الريف اساسا . ولذلك فقد قمنا بدعوة مجموعة من الكتاب لدراسة مشاكل الثورة الثقافية وصورها (قضية الامية · · مجلات الحائط · · كتاتيب المثقفين ·· تقاليد المجتمع الاشتراكى) ·

هذه صورة شاملة لما يحدث فى قريتنا · ونحن نعتقد ان نجاح ذلك العمل لن يتم الا بوجود حركة ثورية فى القرى الاخرى · وهذه الحركة الثورية فى مجموعها سوف يكون لها الاثر الكبير فى حل مشكلات الثقافة ومشكلات عديدة فى العمل السياسى · بل والاهم من ذلك كله فان هذه الحركة الثورية فى قرى مصر سوف تغرس للاشتراكية جذورا قوية لا يمكن للعواصف مهما اشتدت أن تقتلعها ·

● **ملحوظة ختامية :** من جديد واجهتنا مشكلات عديدة وجادة · لقد كان للاشعاع السياسى والثقافى لقريتنا انعكاسات قوية ومؤثرة على القرى المجاورة · كذلك كان للدراسات والكتابات الصحفية والندوات التى عقدها بعض الكتاب والصحفيين أثرا كبيرا فى أن تتجمع قوى معادية فى المحافظة لترسم خططا دقيقة لتدمير عملنا . كانت الحملة عنيفة من بدايتها فقد اطلقت الالسنة السامة الشائعات من جديد مدعمة نفسها بالكتابة على الجدران شعارات معادية لحرية الفكر ووصمنا بالالحاد حتى لقد بلغت حركة التدمير أن فكرت الجهات المسئولة فى انهاء حياة مجلة الحائط الجماهيرية ، والتى تتصدر مدخل القرية فى شموخ . فأقامت مجلة مشابهة لها ، كل عملها صب الشتائم مما اثار غيظ الفلاحين فقاموا بتلطيخها بالطين وروث البهائم وحطموها لكى لا تشوه رسالة مجلتنا الشابة الواعية · وذات يوم فوجئنا بأكثر من عشرة خفراء وعربة حكومية يتجمعون حول المجلة لتحطيمها بأمر من أجهزة الامن التقليدية · وسكتنا لنتفرغ للحملة الانتخابية لكن الجو المحيط كان يعلن أن هناك خططا اخرى تحاك لاسقاطنا مهما حاولنا النجاح ·

والان لقد فشلنا فى الانتخابات ليس بيد الفلاحين ولكن بيد أجهزة الادارة · وتحطمت مجلة الحائط وأوقفت مدرسة العمال ومدرسة محو الامية وتوقفت اللجنة النسائية وتحولت مشاكل الفلاحين النضالية الى طريق الرشوة ·

لكننا نحس هذه المرة براحة كبيرة لان الفلاحين وأهل القرية الشرفاء يعيشون معنا تلك المعركة ويعرفون جذورها ويعرفون كيف دبرت كل تلك المؤامرات، ويعرفون الطريق جيدا الى قياداتهم الثورية · وهم أيضا يعيشون معنا مرارة الخداع والنفاق الاجتماعى ويعيشون معنا المأساة ·

واذا كنا هزمنا اليوم وتوقفنا ، فاننا لا نندحر ، ولكننا نفكر فى كيف سنظل متماسكين ·· كيف تتوسع قاعدتنا ·· كيف يزداد عدد الاصدقاء ·· كيف نوفق لانفسنا برنامجا ثقافيا حتى تواتى الفرصة للممارسة العملية .

ان الحقيقة الواضحة الان هى انه نتيجة لنضالنا الجماهيرى وخطنا النضالى التقدمى فان القيادات الرجعية والتى يهمها اخماد انفاسنا ،وعزلنا عن القيادة الثورية لبلادنا ، تتهاوى واحدة اثر الاخرى ، بينما نخرج نحن من كل هزيمة الى عمل جديد ·· أكثر قوة ·· وأكثر فكرا ·· وأكثر عمقا من قبل ·

زراعة الكهرباء فى الغيط

رضا اسكندر

ليس هنـــاك وقت انسب من الوقت الحـــالى لالقاء نظرة على تجربة تمت فى يوليـــو سنة ١٩٦٥ لاســـتخدام الكهرباء ى ريف قرية درنكة ، وتقييمها ن حيث النجـــاح أو الفشل .
اليوم يكاد يتم مشروع الســـد لعالى بما يوفره لنا من طـــاقة بيرة نبحث عن وسائل الاستفادة نها وطرق استخدامها ، واليوم رتفع كثير من الاصوات مطالبة كهربة القرية المصرية ، ويتردد على السنة المسئولين بأى الطرق تتم كهربة القرية ؟ أبطريق الكهرباء التقليدية لانارة شـــارع داير النـــاحية ، أم بطـــريق مشروع « درنكة » بـــأن تصـــل الكهرباء الى الارض الزراعيـــة نفسها وتدخل فى اســـتخدامات متعددة فيها ، بمعنى زراعـــة الكهرباء فى الغيط ، كما تتم خلال هذه الايام مشروعات ربط كل بلاد الجمهورية بشبكة موحدة تسمح بأن تصل كهربة السد العـــالى وكهربة جميع المحطات أيا كان مكان عملها الى كل جزء من بلاد الجمهورية .

ليس هناك شك فى أن الوقت الحالى وقت مناسب لكى نلقى نظرة متأنية على هذه التجربة ليس فقط للدوافع المنوه عنها من الناحية الكهـــربائية ولكن لان مشروع السد العالى أيضا يعطينا ارضا بكرا جـــديدة تـــدخلها الكهرباء كما تدخلها المياه فى نفس الوقت ولان مشروع السد العالى أيضا يحول مئات الالاف من الافدنة فى الصعيد من الرى الحوضى الى الرى المستديم بما يحتاج اليه ذلك من قوى لرفع المياه ومن تغييرات فى نظـــام الزراعة فيه .

ولكن لايمكن أن يكون البحث حول استخدام الطاقة الكهربائية فى الرى ، فهى مستخدمة عشرات السنين قبل الثورة فى مشروعات الرى بالصعيد والوجه البحرى معا ، كما تستخدم حاليا فـــى الاراضى المستصلحة بطريقة أو بأخرى لاغراض الرى بالرفع أو بالرش ، ولالانه لم يسبق ان تطرق البحث الى استخدامات أخـــرى للكهرباء فى الزراعة الا فـــى المشروع النموذجى لاســـتخدام الكهرباء فى الزراعة بدرنكة الذى نفـــذ ســـنة ١٩٦٥ بمحـــافظة أسيوط ، اذ أنه رغم تجـــربة استخدامات جديدة للكهرباء فيه تمثلت فى تشغيل ماكينة دراس بالكهرباء وفى تشغيل وحدة رش مبيدات حشرية بالكهرباء الا أن هاتين التجربتين اقتصرتا على يوم الافتتاح ، ولم توضـــا موضـــع التجربة العملية بعد ذلك خلال السنوات التالية ، وبالتالى لـــم تتطور ظروف استخدامها لتلقى ضوءا على ظروف العمل بها فى الحقل من خـــلال العـــلاقات الاجتماعية السائدة فيه .

لذلك فانه يبدو غـــريبا أن نتحدث عن نجاح أو فشـــل المشروع مادام قد اقتصر على كونه مشروعا للرى بالكهرباء فى درنكة ، بينما تنجح استخدامات الكهرباء فى الرى فى طول البلاد وعرضها منذ عشرات السنين سواء فى شمال الدلتا أو فى أقاصى الصعيد .

اذن ماهى حقيقة التجربة ؟

ان التجربة المطلوب منـــا تقييمها ليست تجربة كهـــربائية فقط ، بل تجـــربة فى ظـــروف اجتماعية معينة لمعرفة تأثير تلك الظروف على أسلوب التشغيل فى اراضى تحويل الحياض الى رى دائم .

فالارض التى كان يخـــدمها المشروع أرض رى حوضى ، كان يعمل بعض متوسطى الملاك فيها على استخدام مـــاكينات رى ارتوازى تعمل على المياه الجوفية لرى اجزاء كبيرة منها لزراعات صيفية مثل زراعة الذرة الصيفى المنتشرة هناك .

ووصول مياه السد العالى لهذه الاراضى مفروض أن يلغى مهمة هذه الماكينات الاهلية وتنوب عنها الدولة ـ ممثلة فى وزارة الرى ـ فى توصيل المياه الى كل شبر من هذه الارض .

ولقد كان المشروع الاصلى لتحويل الحياض فى هذه المنطقة يعمل فعلا على أن يكون الرى بالراحة ، وأن ترتفع مناسيب المياه فى المساقى لاعلى من منسوب الارض الزراعية ولكن مساوىء الرى بالراحة على الارض الزراعية ومحاصيلها والعدول عنه فى كل بقاع الجمهورية للرى بالرفع أدى لتعديل المشروع بعد البدء فيه بتخفيض منسوب المياه فى الترع الرئيسية لاقل من منسوب الارض بمقدار ٥٠ سم وترك لوحدات رى نقالى أو طنابير أو سواها أن تقوم بمهمة رفع المياه الى منسوب الارض المزروعة .

ولقد جرى بحث طويل حول كيفية تدبير وحدات الرى هذه ، وهل تترك للمزارعين . ولكن ظروف تفتت الملكية بعد قوانين الاصلاح الزراعى لم يجعل فى مقدور أحد من ملاك الارض الكثيرين أن يشترى لحسابه وحدة رى تفيض قطعا عن حاجة ملكيته الصغيرة ، فان وحدة صغيرة تصرفها ١٥٠ م ٣ السرعة اذا عملت ١٦ ساعة يوميا فانها تروى ٦ أفدنة فى اليوم وتروى خلال المناوبة التى هى حاليا ٧ أيام اكثر من ٤٠ فدانا . وعدد الملاك الذين يملكون هذا القدر نسبة ضئيلة لمجموع الملاك خاصة فى الاحواض التى كانت تزرع برى الحياض . لذلك استقر الرأى على أن يكون تدبير هذه الوحدات وتشغيل عملية رفع المياه بها عن الطريق العام طريق التدخل الحكومى .

واستلزم الامر شراء أكثر من ٢٠٠٠ وحدة رى نقالى بكل من محافظات تحويل الحياض أسيوط وسوهاج وقنا تركت ادارتها للجمعيات التعاونية الزراعية المنتشرة فى الريف ، وقد حول للادارة الكهربائية من الوحدات الخاصة بمحافظة أسيوط سبعة عشر وحدة هى وحدات المشروع النموذجى بدرنكة .

وبدأ المشروع فى ظروف تنذر بصراع بين ماهو قائم ومعترف به فعلا من ملكية الدولة لقطاع الرى وبين رغبة عارمة لدى ملاك وحدات الرى الارتوازى القديمة للوثوب الى ملكية خاصة لقطاع الرى ، ونوع جديد من الاستغلال الريفى يستفيد فيه قطاع خاص من الملاك من ظرف جديد هو عدم وصول مياه الحياض للارض فى فرض السعر الذى يريدون لاجر الرية الواحدة ويتحكمون فيه فى فقراء الفلاحين ملاكا صغارا ومستأجرين .

صراع بين القطاع العام والخاص

كان هناك صراع اذن ظاهر حينا ومستبد حينا آخر ، محتدم حينا وخافت حينا آخر بين أسلوبين لتوصيل المياه للفلاح أسلوب الملكية العامة والتعاونية من جهة وأسلوب الملكية الخاصة من جهة أخرى ، ولكن لم تكن ظروف الصراع متكافئة .

● فقد كانت ماكينات وحدات الرى النقالى المستوردة أداة القطاع العام فى المعركة قد استوردت من أنواع لا تتحمل العمل فى الظروف الجوية السائدة فى المنطقة من حرارة عالية وأتربة كثيفة وخبرة محدودة فى الادارة والتشغيل

● ترك للجمعيات التعاونية الزراعية مسئولية ادارة هذه الوحدات النقالى بكل مافى هذه الجمعيات من تعقيدات ومشاكل ظهرت واضحة فيما بعد .

● كانت تشرف على أعمال التشغيل والصيانة من قبل الدولة مديرية الزراعة بتفكير معاد لتدخل القطاع العام فى الزراعة بشكل عام ، وفى الرى بشكل خاص .

كان هناك من يرغب فى أن يظهر المشروع الكهربائى بمظهر المشروع غير الاقتصادى ، وكانت قد شكلت لجنة لتحدد تكاليف رى الفدان كهربائيا والمعروف أن تكلفة الرى لا تتحدد بما يستهلك فى الرى من الطاقة الكهربائية فقط ولكن بتكاليف العمالة وبتكاليف الصيانة وبمعدل استهلاك رأس المال وبربح رأس المال وذلك لكى يكون التقدير سليما من النواحى الاقتصادية الرأسمالية .

● ولقد هلل البعض حين تبين ان الرية الواحدة تستهلك ٥ر١٢ ك وات ساعة ، وان تكاليف هذه الطاقة بالسعر الذى تبيع به مجالس المدن الطاقة لاغراض القوى المحركة هو ٢٢٠ر٠ مليما بينما تكاليف السولار وزيت التزييت اللازم لتشغيل الوحدة ميكانيكيا للرية الواحدة هو ١٧٠ر٠ مليما ولكن تبين بدراسة عميقة أن الطاقة المحسوبة وهى ٥ر١٢ ك . وات قابلة للخفض باستمرار ، وأن مقدارها الحالى مرتبط بالقطاعات الكبيرة للمساقى ، والتى كانت مصممة للرى بالراحة ومرتبط أيضا بمواعيد ملء الترع الرئيسية تتحكم فيه رغبات خاصة من البحارة المكلفين بفتح البوابات واغلاقها وباستمرار الطمى الذى يعدل قطاعات المساقى وينقصها تدريجيا للقطاعات المطلوبة للرى بالرفع وباستمرار الرقابة على البحارة بما يحول دون التلاعب كان هذا الفرق سيقل وقد يتلاشى ، فضلا عن أن سعر بيع الطاقة الحالى الجارى التعامل به فى مجالس المدن والقرى ليس هو السعر المفروض التعامل به بالنسبة لمشروعات كهذا وهو سعر عال نسبيا ، كما ان سعر السولار الذى حسبت عليه

تكاليف الادارة الميكانيكية قد ارتفع فيما بعد تاريخ هذه التجارب الى ٢٥ مليما للتر بدلا من ١٥ مليما مما يرفع القيمة للرية فى الادارة الميكانيكية الى ٢١٠ر٠ مليما تقريبا ٠

من كل ذلك يتضح أنه حتى فى بند تكاليف الطاقة المستهلكة فان الرى كهربائيا لاشك أرخص ٠

● كما تبين أن هناك وفرا غير محدود فى تكاليف الصيانة فلم تتكلف قطع الغيار وأدوات الصيانة خلال العام للوحدة الكهربائية الا اقل من ٢٠ فى المائة من تكاليف قطع الغيار وأدوات الصيانة الميكانيكية ٠

● ولاشك ان الاتفاق الذى كان قائما مع الجمعية التعاونية الصناعية على أجر الصيانة للوحدة كان مقدرا على اساس الوحدات الميكانيكية وطبق بالتالى على الوحدات الكهربائية ولو ان المشروع كان وحدات كهربائية كاملا لقلت تكاليف أجور الصيانة المتفق عليها للوحدة بمقدار الفرق فى حاجة كل من النوعين للصيانة ومرات العطل ٠

● كما تبين أن هناك وفرا فى العمالة بواقع ٣٤ فى المائة ٠

وأقرت لجان المتابعة بأن المشروع من الناحية الكهربائية ناجح تماما وحسب مقدار الخفض الفعلى فى تكاليف رى الفدان بالرفع فى مشروعات مماثلة لمشروع درنكة بعد تعميمه وبعد انشاء الشبكة الموحدة للجمهورية فقدر انه حوالى ٤٠ فى المائة من تكاليف الرى بالوحدات الميكانيكية ٠

ولكن رغم ذلك لم يسلم المشروع من بعض المناوشات ٠

● فقد حدثت أكثر من محاولة لايقاف الوحدات الميكانيكية وكانت محاولات متعمدة من بعض أصحاب وحدات الرى الارتوازى المجاورة ، ولكنها كانت فى بداية المشروع تتسم بطابع السرية ٠

● واستغلت بعض أعطال خطوط الكهرباء المغذية للمشروع نتيجة لبعض القصور فى النواحى الفنية بالمشروع لاثارة جو من الشك من جدوى استخدام الكهرباء بدعوى عدم امكان تحمل أى انقطاعات فى التيار لما قد يؤثر به على رى الارض ، وعلى المحصول فيما بعد ٠ ولو أنه من المعروف أنه بازدياد التقدم الفنى وامكانيات الصيانة والتحول من استخدام الكابلات المسلحة الى الخطوط الهوائية فان احتمالات العطل تتضاءل كثيرا وكثيرا جدا ٠

● ورفضت الجمعية التعاونية الزراعية أى خفض فى العمالة مما أوضحت التجربة العملية امكانية اجرائه ، بدعوى عدم امكان تشغيل هؤلاء العاملين فى أعمال أخرى والحاجة اليهم بجانب الادارة فى عملية التحصيل وقياس الارض المروية وغير ذلك ٠

وبعد ثبوت عدم جدوى مهاجمة فكرة تدخل القطاع العام فى رى الاراضى المحولة الى الرى المستديم عن طريق مهاجمة المشروع الكهربائى وجدت القوى المعادية ثغرة أخرى نفذت منها بنجاح كبير ٠

فبعد شهور قليلة من التحول من الرى الحوضى الى الرى الدائم بمحافظة اسيوط عام ١٩٦٥ لوحظت كثرة اعطال وحدات الرى النقالى الميكانيكية وعدم مقدرة الجمعية التعاونية الصناعية المكفلة بأعمال الصيانة على مداركة هذه الاعطال بالسرعة الواجبة وكثرة قطع الغيار المطلوبة وصعوبة الحصول عليها ٠ وعقدت الاجتماعات تلو الاجتماعات واستقر الرأى تحت ضغط من الظروف المختلفة على الاستعانة بالوحدات الارتوازية الاهلية الخاصة كوحدات احتياطية للمشروع فتحول الى وحدات بحارى أى تعمل لرفع المياه من الترع المجاورة بعد توصيل مياهها اليها وبعد تغيير طلمباتها بأخرى تناسب صغر مدى رفع المياه ، وصدر قرار من محافظة أسيوط ليس فقط بتكليف الملاك بهذا التحويل بل بمعونات من بنك التسليف ومن وزارة الرى تساعد عليه وبوعد بتمكين كل صاحب ماكينة رى تحول بهذه الطريقة من التصرف فى رى زمام ماكينته (أى الاراضى التى تستطيع ريها) مقابل أجر يحصله من الفلاحين وقد حددت المحافظة فى بداية الامر سعر الرية الواحدة ٥٩٠ر٠ مليما ثم رفعتها بعد ذلك الى ٦٥٠ر٠ مليما وقررت أن ترفع من زمام هذه الماكينة المحولة اى وحدات نقالى ملك الجمعية التعاونية تكون به حتى لا تنافس مالك الماكينة فى بيع المياه للاهالى وحتى يستفاد بها كاحتياطى فى أماكن أخرى لا توجد بها ماكينات أهلية ٠

وكان المفروض أن يكون كل هذا الاجراء موقوتا لتوفير الظروف الملائمة للزراعة فى هذا العام ، ولكن تطور الامر الى حملة ضارية ضد الوحدات النقالى بشكل عام وضد ملكية الجمعية التعاونية للوحدات على الاخص ٠

وكسب القطاع الخاص جولة فى المعركة ٠

ولكن كان المشروع الكهربائى لازال مستمرا فى العمل بلا عقبات تذكر وبلا مشاكل للمستفيدين وترددت مديرية الزراعة كثيرا فى أن تطبق القرار على المنطقة التى يعمل بها المشروع الكهربائى للرى بالرفع ، وأن تسحب بعض الوحدات منها كطلب ملاك « الوابورات » الاهلية الذى أصبح مطلبا يذكر بصوت عال وليس همسا كما كان من قبل ، خاصة وقد كان المحافظ

السيد / احمد كامل محافظ أسيوط السابق قد تنبه لما فى المشروع من عناصر ايجابية وكان قد انتهز فرصة احتفالات أسيوط بعيدها القومى فى أبريل سنة ١٩٦٦ لقضاء يوم فى درنكة زار فيه مع ممثلى الاتحاد الاشتراكى ومديرى المصالح ورؤساء مجالس المدن وأعضاء مجلس الامة مشروع استخدام الكهرباء فى الزراعة وعقد ندوة نقدية للمشروع ، وأوصى بأن يكون المشروع نواة لوعى زراعى عن امكانيات الاستفادة بالكهرباء فى الريف . وطلب ترتيب زيارات مع فلاحى الجمعيات التعاونية الزراعية فى انحاء المحافظة لشاهدته على الطبيعة ، واقترح اضافات لتحسين ظروف عمل المشروع ، الان جميع هذه التوصيات سواء ما أسند تنفيذه منها للقطاعات الحكومية المتخصصة أو ما أوكل القيام به للاجهزة الشعبيةورؤساءمجالس المدن كان حظه النسيان تماما .

وبدأ المحافظ السيد / احمد كامل فى ضوء المشروع نفسه بمحاولة للقيام بدراسات لمشروعات مماثلة فىمراكز وقرى المحافظة الاخرى لتنفذ مستقبلا بعدان تكونبنوك القريةومدخرات الجمعيات التعاونية قادرة على تمويلها . وعقد لذلك اجتماع ضم مفتشى الزراعة وبعض أعضاء مجلس الامة ومندوبين من مديرية الزراعة والاتحادالاشتراكى ولكن الاجتماع تحول الى ندوة لمعارضة الاتجاه كله بدعوى أن تدخل القطاع العام فى الزراعة خطر كبير ، وانه لايمكنللقطاع العام أن يتولى مسائلالرى فى الارض الجديدة المحولة للرى الدائم حيث أن معنى ذلك ـ فى نظرهم ـ الفشل الكامل وتعثر الرى وتعرض الزراعة للتلف فضلا عن معارضة اخرى قامت بدعوى عدم التبذير فى مشروعات خيالية [!] لامعنى لها . ورفض باجماع اعضاء مجلس الامة ومندوبى الزراعة فى الاجتماع البحث اطلاقا فى المشروع أو دراسة اى فكرة عنه .

ولكن السيد المحافظ احمد كامل وقد كان واعيا برجعية ذلك الاتجاه كان ينوى أن تتولى لجنة أخرى بعيدة عن مفتشى الزراعة ومندوبى مديرية الزراعة القيام بدراسة هذه المشروعات حتى يحين الوقت لتنفيذها ، وبدأ بدراسة مشروع لحوض عاصى بمنفلوط تبين منه امكانية توفير عن مشروع درنكة بنسبة ٥٠ فى المائة ووصلت فيه تكلفة المشروع للفدان عشرة جنيهات بدلا من ٢٧ جنيها فى مشروع درنكة ولكن ظروف نقل سيادته وظروف أخرى تالية قد عاقت تنفيذ هذا الاتجاه وتوقف تماما .

خطوات أخرى

ضد المشروع

وقد كان فشل تلك المحاولات عاملا لمساعدة القوى المعادية لتدخل القطاع العام فى الزراعة لان تمتد للمشروع فنزعت بعض الوحدات فى مناطق تحويل الوحدات الاهلية الارتوازية بوحدات بحارى وامتد انتزاع هذه الوحدات تدريجيا حتى لم يبق حاليا غير نصفها .

والمشروع يعامل الان هو ومشروع الوحدات النقالى عموما باعتباره مشروعا منتهيا وفى طريقه للزوال . ولعل الكثيرين يذكرون ما أثير حول وحدات الرى النقالى من أحاديث فى مجلس الامة السابق .

ولقد بلغ من غرابة الموقف أن الوحدات التى سحبت وهى جميعها فى أفضل حال ، يرفض المسئولون بالزراعة باصرار استخدامها كوحدات احتياطية للوحدات الشغالة . فاذا تعطلت أى وحدة لاى سبب كان ، تترك الزراعة التى كانت ترويها هذه الوحدة بلا ماء حتى تصلح الوحدة حتى لو استمر الاصلاح كل فترة مناوبة الرى والوحدات الاخرى سليمة ، ويمكن ان تحمى الزراعة من التلف ولكنها لا تخرج من مخازنها مهما تكن الظروف [! !] .

انه موقف مبدئى .

ان القوى المعادية لتدخل القطاع العام فى الزراعة بحكم فهمها لكبر التكاليف الابتدائية للمشروعات التى تلزم لمد شبكات الكهرباء فى الاراضى الزراعية وادراكها بعمق عدم امكان القيام بها عن طريق ملكيتها لقطاع خاص تربط عضويا بين استخدامات الكهرباء المختلفةفى الارض الزراعية ، وتدخلالقطاع العام فى الزراعة سواء فى الرى أو فى الدراس أو فى رش المبيدات الحشرية او غيرها من اعمال ميكنة الزراعة، ولذلكفهى ترفض اساسا حتى استخدام الكهرباء فى طلمبات الرى فى الارض المحولة للرى المستديم فى محافظات الصعيد .

كيف تحل المشكلة ؟

١ ـ هناك محاولات للحل على اساس عدم الربط بين عمليات الزراعة وعمليات الرى كالحل الذى تم بالغاءملكية القطاعالعام لوحدات الرى النقالى وترك مسئولية تزويد الارض بالمياه لملاك القطاع الخاص ، كما يجرى حاليا بيع الوحدات النقالى لمن يطلب من الملاك لادارتها لحسابه .

ولكن اذا كانت الملكية الزراعية المفتتة تعالج زراعيا بالتجميع الزراعى وبرغبات لم تتحقق فى الزراعة التعاونية وليس فى التعاون الزراعى الحالى فان مشكلة الرى فى الاراضى المفتتة يجب أن تدرس كجزء من عمليات الزراعة بشكل عام . واذا كان الملاك الصغار او

المستأجرون الصغار لا نستطيع أن نكلفهم بشراء وحدات رى سواء كهربائية أو ميكانيكية لكبر الحجم الملائم من وحدات الرى عن مساحات الارض المملوكة لاى منهم ، حيث يصل حجم وحدات الرى الى مايكفى لرى مابين ٤٠ ، ١٠٠ فدان وحيث يصل ثمن الرية – رغم كل التسعيرات التى تحددها بمقدار ٦٥٠ر٠ مليما – الى ٠٠٠ر٢ جنيه للرية الاولى (طفى الشراقى) ، ٠٠٠ر١ جنيه لما بعد ذلك أى بزيادة أكثر من ٥٠ فى المائة من القيمة المحددة ويفرق فى الرى للفدان على مدار العام يصل الى ٢٠٠ر٥ جنيه [الفدان يحتاج لمتوسط ١٢ رية فى العام) نقول اذا لم يكن مناسبا أن نكلفهم بشراء وحدات ميكانيكية أو كهربائية فليس الحل أن نتركهم لاستغلال من نوع جديد •

٢ – هناك أيضا محاولات لمنع امتداد الكهرباء الى استخدامات أخرى فى الريف رغم وجود امكانيات حقيقية لذلك سواء من ناحية استخدامها فى التفريخ وفى تسمين الطيور والماشية وفى انشاء الصناعات الريفية الزراعية الكثيرة كصناعات الالبان والطحن والعصر والتعبئة والكبس ، وانوال النسيج الصغيرة .. الخ مما يمكن أن يفرد له حديث خاص وبالارقام لا يتسع له المجال فى هذه المقالة •

٣ – وأخيرا هناك محاولات لان تكون الحلول بعيدا عن احتياجات الجماهير وبعيدا عن الفلاحين المستفيدين الحقيقيين •

ولقد جرت محاولات منذ شهور قلائل للتعرف على الظروف التى وصلت بالمشروع النموذجى الذى أنشىء عام ١٩٦٥ الى ماهو عليه الان ، كلف بها مسئول موضع ثقة كبيرة • ووضح خلال هذه الدراسة التناقض بين رغبات هذا القطاع الجديد من المستغلين ملاك الماكينات الاهلية للرى بما يسيطرون عليه من اجهزة ، فمنهم رئيس الجمعية التعاونية الزراعية بدرنكة ومنهم من له بعض المسئوليات فى التفتيش الزراعى ، وبين الفلاحين الحقيقيين المستفيدين من وجود قطاع عام فى الرى والذين يحسون بالفرق بين سعرى بيع المياه لهم وكان موقف هؤلاء المطالبة باستمرار المشروع الكهربائى ممثلا فى عقلهم الباطن ملكية الدولة والشعب لقطاع الرى ، كماطالبوابامتداده لاجزاء أخرى محرومة منه وتكملته ليشمل الحوض كله (٤٠٠٠ فدان بدلا من حوالى ١٠٠٠ فدان حاليا) وقد ساعد على ذلك تغير فى شخصية المسئول عن مديرية الزراعة حاليا والتغيرات التى جرت فى الاتحاد الاشتراكى ولكن توقفت هذه الدراسة عند حد عرض المقترحات •

أصحاب المصلحة
وسلطة اصدار القرار

من كل ذلك نجد أن الحل الحقيقى يكمن فى وصول المستفيدين الحقيقيين الى قمة الجهاز الذى يدير عملية الزراعة بجوانبها المختلفة من رى ومن تشغيل الاليات المختلفة ومن تسويق الحاصلات ومن معاملتها وانشاء الصناعات الريفية التى يساعد وجود الطاقة الكهربائية على نشأتها وازدهارها • انه بمعنى آخر بحث انشاء مزرعة تعاونية تراعى فيها ظروف الملكية ويتولاها العاملون بأنفسهم •

ان أفكارا كثيرة قد ترددت فى التقارير الرسمية كفكرة تكوين هيئة مستقلة لادارة المشروع الكهربائى وكفكرةتأمين الوحدات الاهلية للرى نظير تعويض عادل • ولكن جميع هذه الافكار وان كان لها تقديرها الا انها لم تضع حلا ثوريا كاملا لكل التناقضات الموجودة وكل المشاكل المثارة •

وليس صعبا أن تطرح ثوريا فكرة الزراعة التعاونية بادارة منتخبة من العاملين ومسئولة امامهم مسئولية مباشرة من خلال جمعية عمومية قادرة على المناقشة والدراسة والتغيير وأن يكون لهذه الجمعية العمومية الصلاحيات الكاملة لامتلاك الشبكة الكهربائية الخاصة بالمزرعة والوحدات المستعملة للرى كما لها السلطة للتطوير فى استخدامات الكهرباء بما يطور اقتصاديات الزراعة وبما يسمح بانشاء الصناعات الزراعية من فائض الطاقة الكهربائية الكبيرة المتوفرة حاليا فى كل محافظات الصعيد والتى لا نجد الوسيلة المناسبة لاستخدامها •

ولا يمكن ان نقارن بين انشاء المزرعة التعاونيةالمذكورة بانشاء الشركات الحكومية لادارة الاراضى المستصلحة الجديدة على مياه السد العالى فان هذه الشركات ستنشأ فى ارض بكر ولن تواجه بمشاكل قائمة كتلك المشاكل التى تواجه العاملين فى حوض درنكةمثلا بعد تضارب مصالح المنتفعين بمصالح ملاك الوابورات بقصور الجمعية التعاونية باتجاهات مديرية الزراعة التى كانتمعادية لتنظيم قطاع عام فى الزراعة •

ولو بذل جهد ضئيل فى اتجاه هذا الحل بدعوة يتبناها بعض شباب الاتحاد الاشتراكى بدرنكة والذين ظهر فيهم قدر من الوعى والثورية يسمح بتوقع امكانيات ضخمة على يديهم فى مثل هذا الاتجاه .. أقول لو بذل هذا الجهد لوجد لدى جماهير الفلاحين استجابة غير قليلة ولطورت الفكرة بما يسمح بالتنفيذ بأقل قدر من الصعوبات •

ولعلى أسوق مثالا على مدى ثورية جماهير فلاحينا ومبتكراتهم مما يمكن ان يرجع اليه فى ملفات الاتحاد التعاونى بسوهاج عام ١٩٥٨ حيث كانت مطالبة الفلاحين بادفا بالتسويق التعاونى للمحصول وبالتسليف بضمان المحصول سابقا لاى تفكير حكومى فى تنفيذ هذا المشروع هناك وحيث كانت مطالبة فلاحى شطورة بتحديد الحيازة وليس الاكتفاء بتحديد الملكية سابقا لصدور قوانين الاصلاح الزراعى الجديدة عام ١٩٦١ وكرد على استحواذ عائلة واحدة على جزيرة مملوكة للاوقاف تبلغ مساحتها الف فدان بجانب ملكية العائلة التى كانت تترك أهالى القرية للعمل فى حقول تلك العائلة فى حالة فقر مدقع •

المثقفون والفلاحون — **تجربة مريوط**

تحويل "البدو" إلى "فلاحين"

بقلم محمد حسنى محمد حسين

مشروع ناصر بمريوط واحد من مشروعات استصلاح الاراضى التى تتم داخل الارض الصحراوية معتمدة على مياه السد العالى ويأخذ هذا المشروع من مياه السد العالى عن طريق ترعة النوبارية بعد خلطها بجزء من مياه مصرف العموم ومساحة المشروع ٨٠ الف فدان ، نفذ منها ٦٨ ألف فدان • وتقع ٥٠ ألف فدان من هذه المساحة غرب الطريق الصحراوى اسكندرية ــ القاهرة ، وتمتد من كيلو ٣٢ جنوب الاسكندرية مسافة ٢٣ كيلو مترا . اما الـ ٣٠ الف فدان الاخرى فتمتد بموازاة خط سكة حديد اسكندرية ــ مطروح مبتدئة من ايكنجى مريوط حتى بلدة العميد ، وهى مسافة تزيد عن ٥٠ كيلومترا •

وتعتبر اراضى هذا المشروع من اجود اراضى الجمهورية فهى اراضى طفلية جيرية ممتازة ، تكونت من رواسب السيول • وقد انتهت عمليات الاستصلاح فى مساحة الـ ٥٠ الف فدان وقامت مؤسسة استغلال وتنمية الاراضى باستلامها ، ودخلت الارض الدورة الزراعية منذ عام ١٩٦٧ • اما مساحة الـ ١٨ الف فدان فمازالت عمليات استكمال الاستصلاح والغمر جارية حتى الان وستقوم تعمير الصحارى بزراعتها عندما تتهيأ للزراعة •

وقد قامت هيئة تعمير الصحارى بدراسة هذا المشروع والتحضير له واعداد جميع رسوماته التنفيذية ، ثم قامت بعد ذلك بالاشراف على تنفيذه حتى دخل الجزء الاكبر منه دور الاستزراع والباقى فى طريقه الى ذلك • ونظرا لان مساحة الـ ١٨ الف فدان لم يستكمل العمل بها بعد ، لذلك فسوف اركز ملاحظاتى هنا حول تجربة الـ ٥٠ ألف فدان باعتبارها قد تم استصلاحها ودخلت الدورة الزراعية •

وتتلخص ملاحظاتى فى النقاط التالية :

التكامل فى التخطيط

من مميزات تنفيذ هذا المشروع ان سارت جميع عملياته فى خطوط متوازية •• التسوية شق الترع والمصارف ، بناء الاعمال الصناعية على المجارى المائية ، اقامة محطات الرفع ، بناء المدن والقرى ، وعمل شبكات الطرق والمياه والمجارى والكهرباء •• الخ ، كل هذه الاعمال سارت فى التنفيذ جنبا الى جنب ، بحيث عندما انتهت اعمال التسوية كانت محطات الرفع قد تم بناؤها ، وفرغ من تركيب معداتها ، وكانت الترع والمصارف قد انتهى العمل فيها ، وكذلك الاعمال الصناعية ، فبدأ الغمر فورا • وبذا لم تترك الارض دون غمر اية فترة مما منع حدوث اى سفى للتربة • ولما انتهى الغمر ــ وفى خلاله ــ كانت المبانى والمرافق فى وضع يسمح لها باستقبال العاملين الذين سيقع على عاتقهم استغلال المشروع ، وبذلك تهيأت الفرصة لسرعة زراعة الارض واستغلال المشروع مع وجود الظروف

الملائمة بدرجة كبيرة لسكنى العاملين واقامة العمال الزراعيين ، وكذلك لايواء المعدات وقطع الغيار والتقاوى .. الخ ، اى ان المشروع كان فى وضع يسمح باستغلاله فورا مع توفر جوانب اساسية من التعمير والخدمات .

ويعتبر تنفيذ المشروع فى المدة التى تم فيها ، وفى حدود الظروف التى انجز خلالها يعتبر عملا ناجحا ، فقد تم الانتهاء من العمل الاساسى كله خلال ثلاث سنوات حيث بدأ العمل الجاد فى المشروع عام ١٩٦٤ ، وبدأ فى استغلال الارض عام ١٩٦٧ . وهذه فترة زمنية معقولة جدا لاستصلاح ٥٢ ألف فدان ، وتشير الى مدى الجهود الضخمة التى بذلت فى هذا المشروع .

نفقات التعمير

كانت الدراسة الاولية للمشروع تشير الى ان تكلفة الفدان سوف تصل فى المتوسط الى حوالى ٣٠٠ جنيه (١٥٠ جنيه استصلاح ، ٨٥ جنيها تعمير ، ٦٠ جنيها خدمات (وذلك على اساس مسكن منتفع لكل خمسة افدنة ، هذا بخلاف مصاريف الاستزراع خلال السنتين الاولتين .

غير ان التكاليف الفعلية للمشروع قد وصلت الى ٤١٤ جنيها للفدان (٢٤٤ استصلاح ١٠٠ تعمير ، ٧٠ خدمات وذلك على اساس مسكن منتفع لكل خمسة افدنة ايضا وبخلاف مصاريف الاستزراع .

ويرجع هذا الفارق فى الرقمين الى سببين . **الاول** : ما يوجد دائما من فروق بين التقدير الاولى لحجم الاعمال والواقع الفعلى لها ، **والثانى** : هو الاختلاف فى الاسعار بين سنة العقود والسنوات التى تلتها .

ومن الملاحظ اننا اذا اضفنا الى نفقات التعمير نصيب الفدان من مساكن المشرفين والجمعيات التعاونية والمخازن وهو ما يوازى ٢٠ جنيها للفدان لاصبح مبلغ التعمير الكلى ١٢٠ جنيها للفدان ، وذلك باعتبار مسكن منتفع لكل خمسة أفدنة ، أى ان يصل المبلغ الكلى للتكلفة ٤٣٤ جنيها للفدان .

ولكننا لو اخذنا بفكرة الميكنة الكاملة فى الزراعة ، والملكية العامة للارض ، فلن نكون فى حاجة الى مسكن منتفع لكل خمسة افدنة ، بل يمكن اختصاره الى مسكن لكل عشرين او خمسة وعشرين فدانا . وبذلك ينخفض مبلغ التعمير الى ٤٥ جنيها للفدان بدلا من ١٢٠ جنيها ، وتنخفض التكاليف الكلية للفدان الى حوالى ٣٦٠ جنيها .

ولو طبقت فكرة الميكنة الزراعية والملكية العامة مع اختصار مساكن المنتفعين الى مسكن لكل عشرين او خمسة وعشرين فدانا لامكن توفير مبالغ طائلة — على سبيل المثال يمكن التوفير فى مشروع الـ ٢٠٠ الف فدان بغرب النوبارية مبلغ ١٥ مليون جنيه [٧٥ ×٠٠٠ ر ٢٠٠] وهو مبلغ يمكن الاستفادة به فى استصلاح الاف اخرى من الافدنة .

تخطيط اساليب الاستثمار مرتبط بطريقة الاستصلاح

من الملاحظات الاساسية الاخرى ان عمليات الاستصلاح بدأت وانتهت فى الـ ٥٠ ألف فدان وقاربت الانتهاء فى الـ ١٨ ألف قبل تحديد كيفية التصرف فى الارض ؟ هل ستملك لصغار الفلاحين فى حدود خمسة افدنة ، ام ستملك لاغنيائهم ، ام ستدار ملكية عامة ومزارع كبيرة ؟ وهل ستستخدم الالات الزراعية والميكنة ، ام ستزرع بالاسلوب البدائى الذى عرفه اجدادنا منذ آلاف السنين ؟

ولقد ترتب على عدم تحديد كيفية التصرف ان قسمت الارض الى وحدات صغيرة (الذراع خمسة افدنة) او هى قسمت كذلك تحت فكرة التوزيع على المنتفعين فى حدود خمسة افدنة ، وكان يمكن لو انه كان مقررا استخدام الميكنة الزراعية ان تزيد من مساحة الوحدات حتى يصل الذراع الى عشرين أو خمسة وعشرين فدانا مع تعديل ما يترتب على ذلك بالنسبة للقنوات المائية والمصارف .

والهدف من اتساع رقعة الذراع هو سهولة حركة الالات الزراعية وزيادة انتاجيتها ، فمما لا شك فيه ان حركة الجرارات والكمبينات .. الخ ، فى نطاق وحدة الخمسة افدنة اصعب نسبيا ، واقل انتاجية منها فى نطاق وحدة العشرين او الخمسة وعشرين فدانا ، هذا من جانب ومن جانب آخر فان تقسيم الارض الى وحدات كبيرة (اكثر من خمسة افدنة) كان سيوفر للزراعة مساحات من الارض اقتطعتها القنوات والمصارف الداخلية .

المتابعة والمرونة فى التطبيق

رغم الدراسة المسبقة للمشروع ، ورغم الفترة الملائمة التى انجز فيها العمل ، الا ان تخطيط تنفيذ المشروع حسب مواعيد محددة بحيث ينتهى كل جزء فى موعد محدد وينتهى المشروع جميعه وفق خطة زمنية محددة ، ثم متابعة هذا التخطيط فى التنفيذ بحيث يتم التحقق من سير العمل حسب الخطة الموضوعة ، وان معدلات الانتاج تتحقق وفق مايرسمه التخطيط ، ثم دراسة اية مشاكل او اختناقات تعترض التنفيذ ومحاولة تذليلها ثم العودة بعد ذلك وبعد كل فترة الى التخطيط الاولى واعادة النظر

فيه على ضوء مشكلات التنفيذ، وتعديل برنامج العمل اذا تطلب الامر ذلك ، هذه العملية المتكاملة للتخطيط والمتابعة لم تكن متوفرة في المشروع ، وربما ليست متوفرة في اى مشروع آخر .

غير ان ما قلل من التأثير السلبى لعدم وجود تخطيط ومتابعة بالمعنى السابق هو المجهود الذاتى فى متابعة التنفيذ والاشراف عليه من قبل مسئولى الهيئة ، ولكن من المفيد ان يتحول هذا الاسلوب الذاتى الى اسلوب موضوعى يستخدمه كل مسئول ويطبق على اى مشروع وتحت كل الظروف ، لان وجود تخطيط ومتابعة علمية هى احد الضمانات الاساسية لتحقيق الاهداف المطلوبة ، وتحقيق الارتباط بينها وبين الخطة العامة للدولة .

الاستغلال الامثل وطبيعة التربة

ومن الضرورى فى زراعة الارض الجديدة مراعاة عوامل عديدة ، كنوع التربة وطبيعتها وطريقة الرى واقتصادياته والظروف الجوية ، وقرب المشروع او بعده عن مراكز التجمع السكانى ومراكز الاستهلاك . ومن خلال كل هذه العوامل تتم زراعة الارض بأكثر المحاصيل انتاجية بحيث يتحقق من ورائها اكبر عائد ممكن . ولقد قامت تعمير الصحارى بدراسة خطة استغلال هذا المشروع ضمن دراستها لاقتصاديات المشروع جميعه واضعة فى اعتبارها - دون شك - العوامل السابق الاشارة اليها ، ووصلت الى نتائج ملخصها ان تتم زراعة الـ ٥٠ ألف فدان على النحو التالى :

- **خضر : ٢٥٠٠ فدان**
- مراعى مستديمة ٥٠٠٠ فدان
- مراعى موسمية ١٠٠٠ فدان .
- محاصيل شتوية وصيفية ٩٧٠٠ فدان

- عنب ١٦٠٠٠ فدان
- زيتون ٧٧٠٠ فدان
- لوز ٤٠٠٠ فدان
- تين ٢٠٠٠ فدان

وكان منطقيا وطبيعيا انه عندما تقوم هيئة اخرى غير الدارسة للمشروع باستغلاله ، ان تبدأ من حيث انتهت سابقتها فتقوم بدراسة وتقييم النتائج التى توصلت اليها تعمير الصحارى ولها ان تاخذ بها او تطورها . وبهذه الطريقة وحدها يتم التكامل فى العمل والتوفير فى الجهد والوقت .

ولقد ترتب على عدم الاخذ بهذا الاسلوب بعض الاخطاء ، مثل زراعة القطن - وهو لم يكن ضمن المحاصيل المفروض زراعتها حسب دراسة تعمير الصحارى - فقدزرعت بالمشروع مساحات من القطن بلغت ٢٠٠٠ فدان سنتين متتاليتين ، الحالية والماضية ، ولكى ندرك مدى الخطأ فى ذلك ومنافاته لطبيعة الارض وامكانياتها الحالية ، يكفى ان نعرف ان غلة الفدان من القطن كانت نصف قنطار ، بينما مصروفات الفدان بلغت حوالى ٤٥ جنيها

وقد يقال هنا ان الدولة تطلب مساحات من الارض تزرع قطنا ، وان اى مساحات مهما كانت فهى تضاف فى النهاية لتساعد فى الوصول الى المساحة المطلوبة . وذلك اخذا بالمثل القائل النواية تسند الزير » .

لكن الدولة حين تحدد مقدار مساحة المطلوب زراعتها قطنا مثلما تطلب الان ان تصل المساحة المنزرعة فى العام القادم ١٫٧٠٠٫٠٠٠ فدان ، فهى تحدد هذه المساحة بناء على قدر من الانتاج تحتاجه الدولة ، حتى تستوفى اغراض التصدير والاستهلاك المحلى . وذلك باعتبار ان القطن هو المصدر الاساسى للعملة الصعبة ، وهو العمود الفقرى لصادراتنا . اى ان الدولة لا تريد مساحة محددة لذاتها مزروعة قطنا ، وانما هى تطلب كميات معينة من القطن . والارض الجديدة لن تعطى معدلات الانتاج المطلوبة مهما بذل فيها ، وبذلك تصبح زراعة القطن فى الارض الجديدة مثل مريوط خسارة مادية وانهاك للارض يجب الامتناع عنه .

وعند هذه النقطة احب ان اشير الى ان بعض المحاصيل تجود فى الارض المستصلحة ، ويمكن الاستفادة من ذلك بعمل استبدال مع الارض القديمة فى مساحات المحاصيل المختلفة . وعلى سبيل المثال لقد ثبت خلال زراعة الذرة ثلاث سنوات متتالية (٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩) جودة اراضى مريوط لانتاج هذا النوع من المحاصيل ، فلماذا لا يتم التركيز على زراعة الذرة فى مريوط على أن يتم مقابل ذلك التوسع فى زراعة القطن فى الارض القديمة . أى انه يجب ان يتم التنسيق بين الارض القديمة والجديدة فى خطة واحدة شاملة وقد يترتب على ذلك اعادة النظر فى الدورة الزراعية ذاتها .

● **مشكلة العمال الزراعيين :** هذا المشروع جزء من الارض الصحراوية كما قلت سابقا وسكان هذه المناطق هم من البدو الذين يعيشون على رعى الاغنام وزراعة الشعير عندما يسقط المطر ، أى انهم ليسوا فلاحين وليست لديهم بالزراعة خبرة سابقة . هذا من جانب ومن جانب آخر ، فان كثافة السكان الاصليين فى هذه المناطق منخفضة جدا . وعلى ذلك فلا يوجد مصدر قريب للايدى العاملة الزراعية ذات الخبرة ، ولا سبيل للحصول على العمال الزراعيين الا من مراكز تجمع الايدى

العاملة الزراعية مثل الدقهلية والفيوم •

وقد أدى استيراد الايدى العاملة من خارج المنطقة الى ارتفاع تكلفة العمل وارتفاع الاجور المدفوعة للعمل اليدوى ، وان كانت هذه الزيادة فى الاجور لا تدخل جيوب العمال الزراعيين أنفسهم ، وانما تدخل جيوب مقاولى الانفار ، كل هذا مع افتراض امكانية الحصول على العدد المطلوب وهو مالا يحدث غالبا •

ولذا فان توفير الايدى العاملة خاصة فى مواسم العمل الزراعى يعتبر من مشكلات استغلال المشروع ولا سبيل لحله الايميكنة جميع العمليات الزراعية أو أغلبها •

● ارتباط مشروع مريوط بالساحل الشمالى الغربى

ان الناظر الى خريطة الساحل الشمالى الغربى للجمهورية ، يجد مشروع مريوط هو مدخل هذا الساحل كله من جهة الشرق • ولذا فان المشروع من هذه الزاوية اكتسب وضعا مميزا ، اذ أصبحت له أهداف أكثر مما هو متعلق بحدود المشروع ذاته ، لقد ارتبط هذا المشروع – أو يجب أن يرتبط – بتطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية للساحل الشمالى الغربى كله • فاستخلاص ٥٠ ألف فدان لحساب الارض الزراعية فى مدخل الساحل ، ثم الدخول بالزراعة مساحة أكثر من ٤٠ كيلو مترا بمحاذاة سكة حديد مطروح – هى مساحة الـ ١٨ ألف فدان – كل هذا خلق امكانية واقعية لتطوير حياة البدو ، ليس فقط فى حدود المشروع ولكن على نطاق كل الساحل • فحياة الاستقرار والارتباط بمهن متعددة غير الرعى من شأنه أن يلعب الدور الحاسم فى تطوير هذا المجتمع •

كما أن وجود المشروع أتاح الفرصة لتنمية الثروة الحيوانية • فالاغنام وهى عماد الثروة الحيوانية تعيش هناك على العشب الاخضر الذى ينمو على مياه الامطار خلال شهور الشتاء ، وعندما تأتى شهور الصيف ويختفى العشب الاخضر يمر الساحل بفترة قحط لعدم وفرة العلف اليابس ، مما يسبب نفوق أعداد كبيرة من الاغنام ويدفع البدو الى التخلص من كثير مما لديهم بأسعار بخسة هربا من اطعامها • وهذا يهدد الثروة الحيوانية بالساحل كله ، ولا يسمح بتنميتها وليس هناك من وسيلة للمحافظة على هذه الثروة وتنميتها سوى توفير العلف اليابس ومد الساحل به طول فترة الجفاف • وهنا يأتى دور مشروع مريوط فى توفير هذه الاعلاف •

ولقد بذلت محاولات – وما زالت – لتطوير حياة البدو وذلك بتوطينهم ، وعمل آبار مروحية لهم وبناء جمعيات تعاونية على طول الساحل لمد البدو بالعلف • غير أن هذه المحاولات وحدها لن تحقق سوى نتائج جزئية ، لان الاستيطان لكى يتحقق لابد وان يرتبط بحياة اقتصادية دائمة ، أى أن البدو لابد وأن يرتبطوا بوسائل وأدوات انتاج مختلفة عن وسيلة الرعى التى ألفوها •

ومن هذه الزاوية يعتبر مشروع مريوط حجر الزاوية الاساسى فى هذا السبيل ، وما لم يساعد المشروع فى تحقيق هذا الهدف – تطوير الساحل كله ، فانه لايكون قد أدى احد مهامه الاساسية ، وهذا يتطلب أن تضع الجهة أو الجهات التى ستقوم باستغلال المشروع هذا الهدف الاجتماعى والاقتصادى ضمن أهدافها •

ولعل ارتباط هذا المشروع بمحافظة الاسكندرية لوجوده بالقرب منها ، وبمحافظة مطروح حيث هو المدخل الطبيعى لها من جهة الشرق ، لعل هذا الارتباط يجعل من الضرورى أن يكون هذا المشروع ضمن المشروعات التى يديرها القطاع العام ويستغلها بنفسه مباشرة ، حتى يمكن تنفيذ أى تخطيط بسهولة •

غير أن مشروع مريوط وحده قد لا يحل مشكلة تطوير الساحل كله • وربما لو استكمل هذا المشروع باستصلاح منطقة الضبعة (حوالى ٥٠ ألف فدان) لامكن بهذين المشروعين معا الانتقال بالحياة على الساحل الشمالى الغربى الى طور المدنية •

حد أدنى من الخدمات

ويجب قبل أن ننتهى من هذه الملاحظات أن أشير الى طبيعة العمل فى مشاريع الاستصلاح ومشاكل العاملين بها ، فطبيعة العمل فى الاستصلاح تختلف جذريا عن طبيعة العمل المكتبى الروتينى ، وبالقدر الذى يتحرر المسئولون عن العمل من الروتين المكتبى بالقدر الذى سيتقدم به العمل • هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، فان وضع العاملين فى مشاريع الاستصلاح يجب أن يدرس ضمن دراسة المشروع نفسه •

فاذا كنا نعمل جاهدين على أن نهيء للذين سيزرعون الارض مساكن ومرافق وخدمات ، واضعين فى اعتبارنا أنهم بشر • وأنه بدون توفير حد أدنى من المعيشة والخدمات للعاملين فسوف يتأثر الانتاج حتما ، اذا كان هذا المنطق سليما – وهو لاشك سليم جدا – فيجب أن يطبق على الذين يعملون ليوجدوا هذه المرافق وهذه الخدمات ، والذين سيوجدون الارض ذاتها خاصة

وان مناطق الاستصلاح بطبيعتها بعيدة عن العمران ، وهى قفراء جرداء الى أن تستكمل عمليات الاستصلاح ، أى الى أن يصبح على العاملين فى الاستصلاح مغادرتها الى مكان قفر جديد ، لذلك لايمكن ترك مشاكل المعيشة والخدمات المختلفة لقدرة كل فرد واجتهاده ، لان كل شخص مهما بذل فلن يستطيع أن يتغلب عليها بمفرده • وعلى جميع الهيئات المتواجدة فى المشروع توفير الخدمات الاساسية للعاملين بها والا فسوف يتم العمل على حساب الطاقة البشرية وهى أثمن الطاقات جميعا •

ان اغفال الجانب البشرى — الانسانى — أثناء دراسة أى مشروع استصلاح يعتبر نقصا يعيب هذه الدراسة ويجب تصحيحه •

المستقلون والفلاحون

تجربة شمال التحرير

لماذا التكنولوجيا ؟

عبد المنعم شحاته

تمثل تجربة شمال التحرير نموذجا صالحا للدراسة والتقييم لعدة اسباب منها :

● جاوز العمل فى هذا القطاع عشر سنوات كاملة مما يجعل الاستفادة من التجربة ممكنا وواقعيا •

● يتوسط هذا القطاع مساحات شاسعة من الاراضى المستصلحة أو التى دخلت برنامج الاستصلاح حتى عام ١٩٧٥

● يتماثل هذا القطاع لحد كبير مع باقى القطاعات المجاورة مما يجعل المقارنة بينه وبينها أمرا ممكنا •

ويقع قطاع شمال التحرير جنوب غرب الاسكندرية حيث تقع مساحات شاسعة من الاراضى المستصلحة مثل قطاع مريوط (٦٨ الف فدان) وقطاع شمال غرب الدلتا (٨٠ر٤ الف فدان) وكذا الاراضى التى يساهم الاتحاد السوفييتى باستصلاحها (٢١٠ الف فدان) هذا بالاضافة الى قطاع شمال التحرير .

وهكذا تبلغ مساحة الاراضى المستصلحة حتى عام ١٩٧٥ فى هذه المنطقة ما يزيد عن ٤٠٠ الف فدان ، اى بما يوازى ثلث المساحة المقدر اضافتها عن طريق مياه السد العالى •

ولهذا فان الحديث عن قطاع شمال التحرير يمكن ان يحدد بصورة واضحة واقع الارض الجديدة ، وما يدور فيها هذه الايام — كما يلقى الضوء على مستقبلها وما يجب ان يكون عليه •

لقد بدأت عمليات الاستزراع فى قطاع شمال التحرير فى الموسم الزراعى ٥٦ — ١٩٥٧ وكانت البداية متواضعة اذ لم تتجاوز المساحة المستزرعة ماقبل الخطة الخمسية الاولى (١٩٦٠) ٦٦٨١ فدانا اخذت فى الزيادة حتى وصلت لاكثر من ٤٠ الف فدان فى أوائل ١٩٦٧ وتستمر الزيادة بعد ذلك باضافة مساحات جديدة من الاراضى المستصلحة عاما بعد عام •

ويشمل هذا القطاع سبعه مزارع ، سوف يزداد عددها مع المساحات الجديدة التى ستضاف لهذا القطاع من الاراضى المستصلحة •

وتتميز تربة القطاع الشمالى بانها تحتوى على نسبة كبيرة من الكالسيوم (الجير) ولذا يطلق عليها التربة الجيرية •

ومع هذا تتفاوت نسبة الكالسيوم فى هذه التربة من مكان لاخر ومن مزرعة لاخرى — فهى تقل عادة كلما اتجهنا شرقا حيث تزداد نسبة الرمال الصفراء •

ولهذا فلا تجود بهذه التربة كل المحاصيل بنسب متساوية ولكن تؤكد التجارب نجاح زراعة العنب فى الاراضى ذات النسبة العالية من الجير — كما تجود الموالح فى الاراضى ذات النسبة العالية من الرمال الصفراء •

ويكفى ان نلقى نظرة على التركيب المحصولى بهذا القطاع حتى يمكن معرفة المحاصيل الناجحة ، ففى الدورة الصيفية لموسم ١٩٦٩ تقرر زراعة المحاصيل الاتية بقطاع شمال التحرير :

المحاصيل الزراعية الصيفية لموسم ١٩٦٩ بالقطاع الشمالي لمديرية التحرير

المحصـــول	المســـاحة بالفـــدان
برسيم حجازى قديم وحديث	٩٢٣٣
بســـاتين ومشاتل	١٢٥٢٦
قطـــن	٢٤١٧
اذرة شامية	٥٧٦١
اذرة شكرية	٧١٨
لوبيا علف	١٣٩٤
فول سودانى	٨٨٨
بطيخ لانتاج التقاوى	٦٧٠

هـــــذا بالاضـــــافة لبعض المساحات البسيطة المخصصة للخضر واجـــراء التجـــارب الزراعيـــة المختلفة ، امـــا باقى المساحة فيتـم بهـا عمليـات التحسين والعلاج عن طـريق غرزها وغســـلها لتقليل نسـبة الملوحة بها او لاستكمال عمليات التسوية النهائية وتوفير ميـاه الرى اللازمة لها •

ويتضح من هـذه الدورة الصيفية أن هناك اتجاها واضحا لمضاعفة المحاصيل البسـتانية حيث تجاوزت مساحتها اكثر من اثنى عشر ألف فدان ، وســوف تزداد خلال المواسم القـادمة زيادة ملحوظة •

ولا تقتصر المحاصيل البستانية على العنب وحده ولكن تتعدد هذه المحاصيل حسب مـلائمة التربة . ولكن يعتبـر العنب المحصول الاساسى فـى هـذا القطاع ، يليه الموالح • ويمكن ملاحظة ذلك من الجدول التالى :

وهكذا يلاحظ اتجام واضح للتوسع فى زراعة العنب يليـه الموالح حيث تصل مساحتهما معا لاكثر من احدى عشر ألف فدان •

كما زادت مساحة البـرسيم الحجازى لاكثر من تسعة آلاف فدان وذلـك لاهميـة تـربية الحيوانات فى هذه المناطق حيث تحتاج لكميات هائلة من المواد العضوية حتى تكتسب التـربة خصوبة عالية ـ هذا بالاضافة الى أن البرسيم الحجازى كغيره من المحاصيل البقـولية تثبت الازوت فى التربة مما يضيـف خصوبة جديدة للتربة ـ ولهـذا فان الاتساع فى زراعة البرسيم الحجازى يعتبر ضروريا فى مثل هذه الاراضى الجديدة •

ولقد زادت أعداد المـاشية والاغنام فى قطاع شمال التحرير حتى بلغت هذا العام حوالى ١٦ ألف رأس ـ ويتم تزويد السوق شهريا بما يعادل ٢٠٠ رأس من الماشية والاغنام وكذا ١٨٠ طن لبن شهريا •

وهكذا يتضح اهمية تـربية الماشية فى مثل هذه الاراضى حيث تمثل ركنا أساسيا فى سياسة استزراع الارض الجديدة •

المحاصيل البستانية

المحصـــول	المســـاحة بالفـــدان
عنب	٦٠٨٥ر٥
موالح	٥٠١٢
لوز	٥٠
برقوق	١٤ر٥
خوخ وبيكان	٥٠
سفرجل	١ر٥
كمثرى	٣٩
تفـاح	٣٠
زيتون	٤١٠
نخيل ومشتل نخيل	٢٢

التكنولوجيا وزراعة الارض الجـديدة

ان التقدم التكنولوجى فـى الزراعة وربط الزراعة بالعلوم العصرية الحـديثة لمهمة ثورية للغاية لانها تستهدف تطور قوى الانتاج الزراعى لمستوى ارقى ، وذلك بتزويد الزراعة بـالالات الحديثة وبتقديم الانجازات فى العلوم الزراعية ـ كما تهـدف ايضا الى جعل حياة الفـلاح اكثر رغدا وتحريرهم من العمل المضنى الشاق ـ كما أن ضيق الرقعة الزراعية فى بلادنا تجعل من استخدام العلوم الحـديثة والتكنيك المتقـدم لاسـتصلاح واســتزراع اراض جديدة لهـا أهمية خاصة •

ان التنمية الراسية مثلها مثل التنمية الافقية تعتمد اعتمـادا أساسيا على المنجزات العلميـة التكنيكيـة الحـديثة ـ وهمـا الشكلان الذى يجب الاعتمـاد عليهما معا فى مواجهة المشكلة الزراعية فى بلادنا ـ ولا يجوز ان يعتمد على احداها فقط او التـركيز على احـــداها دون الاخرى ـ وذلك نظرا لظـروف بلدنا الذى يتميز بضغط سكانى تـزايد مـع مستوى معيشى منخفض •

ويمكن تقسيـــم التقـدم التكنولوجى فى الزراعة بشكل عام الى المكونات الرئيسيـة التالية :

- الرى
- الميكنة أو استخدام الالات الزراعية
- الكهرباء
- الكيماويات

الرى :

ومن الطبيعى ان يكون الرى فى مقدمة الاهتمامات بـالنسبة لبلد كبلدنا التى تعتمد علـى وسائل الرى بشكل أساسى يكاد يكون كاملا •

ان القيام بمشروعات كمشروع

السد العالى والابحاث الخاصة بتحويل المياه المالحة فى البحر الى مياه عذبة تصلح للرى – تعتبر من المشروعات الحيوية – ليس فقط بالنسبة للصناعة ولكن ايضا بالنسبة للزراعة – حيث يفتح المجال أمام التوسع الافقى أو التنمية الافقية لافاق بعيدة المدى ·

ولقد اثبتت التجارب العملية فى استزراع الاراضى الجديدة مدى الاهمية القصوى لمشروعات الرى – وان أى تقصير فى هذا الموضوع قد يتسبب عنه ضياع الجهد الكثير دون طائل ، كما أن الجهد فى تطوير عمليات الرى واستخدام التكنولوجيا الحديثة لتحسينها وتطويرها يساعد كثيرا فى الحصول على أقصى مايمكن من الفائدة ·

أن ادراك هذه الحقيقة دفع المسئولين عن الاراضى الجديدة ان يبذلوا أقصى طاقة فى تحسين وسائل الرى بها وذلك بكهربة محطات الرى والتى تقوم برفع المياه الى المنسوب المطلوب وذلك لزيادة كفاءة تشغيلها والتقليل الى اقصى حد ممكن من فترات العطل بها .

وقد بدىء فعلا بكهربة محطات الرى بالمزرعة الالية النموذجية فى العام الماضى وسوف يتم كهربة باقى محطات القطاع الشمالى لمديرية التحرير هذا العام مما يضاعف كفاءة تشغيل هذه المحطات ويوفر كميات المياه اللازمة لرى مساحات جديدة من الاراضى المستصلحة ·

كما أن الاهتمام بتطوير وسائل الرى يجعلنا نهتم كذلك بوسائل الصرف ، وابتكار الوسائل المختلفة لتحسينها وتطويرها .

ولقد اثبتت التجارب فى الارض الجديدة انه لا يكفى تطوير وسائل الرى وحدها دون الاهتمام بالجانب الاخر وهو الصرف ·

ان المصارف المكشوفة التقليدية قد تؤثر على استخدام وتشغيل الالات الزراعية المختلفة والتى يتطلب العمل بها اتساع الرقعة التى تعمل بها الالة – ولهذا نلجأ لانشاء المصارف المغطاة والتى لا تعوق سير الالات الزراعية او تقلل من نسبة المساحة المنزرعة – الامر الذى يتبع ايضا بالنسبة للمزرعة الالية النموذجية ·

الميكنة

واجهت العاملين فى الارض الجديدة مشاكل عديدة كان من أبرزها عدم توفر الايدى العاملة اللازمة لاستغلال المساحات المتزايدة سنويا من الاراضى الجديدة – مما دفعهم للبحث عن الحلول المناسبة لهذه المشكلة – ومن الطبيعى ان يتجه التفكير نحو التوسع فى استخدام الالات الزراعية ، ولم يكن هذا التوسع سهلا وميسرا نتيجة عدم توفر العمال المدربين الفنيين اللازمين لتشغيل هذه الالات وصيانتها – مما كان له أثره الضار على استخدام هذه الالات ·

كما كانت هناك العقبة الناجمة من التفكير التقليدى السائد بالنسبة للعمل الزراعى – والتى تنحصر فى عدم الثقة بالالة وان بلدنا لا تنفع فيه وسائل التكنيك الحديث ، ولا شك ان استخدام الالات الزراعية الحديثة قد واجهته فى البداية ولازال مشاكل وعقبات عديدة ، امكن ازالة بعضها ، ولكن مازال بعضها الاخر ينتظر الحل ·

ان رفع الكفاءة الانتاجية للعمل الزراعى يعتبر المسألة الاساسية التى تواجه العاملين فى الاراضى الجديدة – كما يعتبر استخدام الالات الحديثة او ما يسمى بالميكنة الزراعية ، حجر الزاوية فى رفع هذه الكفاءة الانتاجية ، ولهذا سوف نركز الاهتمام هنا حول التطبيق العملى للميكنة الزراعية متخذين اكثر من نموذج يتباين منها استخدام اسلوب الميكنة الزراعية .

فمنذ عام مضى بدا العمل الزراعى بالمزرعة الالية النموذجية ، مزرعة الصداقة وهى الهدية المقدمة من الاتحاد السوفيتى للجمهورية العربية المتحدة ، وكان الهدف من انشائها كما يتضح من التسمية التى اطلقت عليها هو استخدام الالات الزراعية لكافة العمليات الزراعية لمختلف المحاصيل من بداية خدمة وتجهيز التربة حتى الانتهاء من جمع هذا المحصول والتصرف فيه ·

وعلى هذا الاساس يمكن أخذ المزرعة الالية النموذجية كمقياس عملى وتطبيقى لتكاليف المحاصيل الزراعية المختلفة ومقارنتها بالمزارع الاخرى المجاورة لها فى نفس القطاع .

ومع هذا يجب ان نشير لبعض الحقائق ، والتى يجب وضعها فى الاعتبار :

– تعتبر المزرعة الالية النموذجية من أحدث المزارع التى جرت المقارنات عليها .

– أن المزارع الاخرى تستخدم بعض الالات الزراعية ، ولكن فى حدود معينة ، وليست كافة العمليات كما هو متبع بالمزرعة الالية ·

– قصرنا المقارنات هنا على الاراضى الجديدة ، حيث تتشابه الظروف وتسهل المقارنة ، ولتوفر البيانات الخاصة بالتكاليف .

– لم نربط بين التكاليف والانتاج حيث ان المزرعة الالية لم يمض على استزراعها سوى عام واحد ، بينما المزارع الاخرى قد تعدت العشرة أعوام بالنسبة لبعضها ، وحيث يعلم كافة المشتغلين فى هذه الاراضى ان خصوبة التربة تزداد عاما بعد عام فى الاراضى الجديدة حتى تصل للمرحلة الحدية ·

فاذا تناولنا تكاليف زراعة محصول شتوى كمحصول القمح مثلا بالمزرعة الالية النموذجية نجد أن اجور العمليات الزراعية قد وصلت لما

قيمته ١٣٤ قرشا ، بينما تصل بمزرعة الناصر مثلا الى ٤٠٠ قرش أى ان اجور العمليات الزراعية تصل الى حوالى الثلث بالنسبة للمزارع الاخرى .

كما يلاحظ ان انخفاض التكاليف لا يقتصر فقط على العمليات الزراعية بل يمتد أيضا الى كمية التقاوى المستخدمة فى الزراعة حيث يتبين ان فدان القمح المنزرع بواسطة السطاره بالمزرعة الالية يتكلف ماقيمته ١٢٠ قرشا ، بينما يتكلف بمزرعة الناصر ما قيمته ١٨٠ قرشا ، اى بما يزيد بمقدار ٥٠ فى المائة من قيمة التقاوى المستعملة بالمزرعة الالية النموذجية .

أما اذا نظرنا لاجمالى تكاليف زراعة فدان القمح بكلا المزرعتين نجد ان فدان القمح بالمزرعة الالية لا تتجاوز تكاليفه ستة جنيهات ، بينما تصل بالمزارع الاخرى ، ومنها مزرعة الناصر سالفة الذكر لاكثر من اثنى عشر جنيها ، أى أن جملة التكاليف بالمزرعة الالية تصل الى نصف تكاليف المزارع الاخرى .

وبالطبع لا تقتصر فوائد استخدام الميكنة على مجرد خفض التكاليف بنسبة كبيرة انما أيضا الى امكانية تنفيذ زراعة وحصاد المساحات الشاسعة فى وقت قصير نسبيا ـ وخاصة فى الوقت الذى يتعذر فيه الحصول على الايدى العاملة الكافية للعمليات الزراعية ـ ولاشك ان سرعة تنفيذ العمليات الزراعية فى الوقت المناسب وبالدقة المطلوبة يساعد كثيرا على حسن استغلال الارض الزراعية ، والاستفادة من المواعيد المناسبة للزراعة ، مما يساهم مساهمة فعالة فى وفرة المحصول .

ومع هذا يجب ان ننوه هنا عن بعض الاعتبارات الواجب اتباعها للحصول على أكبر عائد ممكن مع اقل تكلفة وهى :

ـ الاهتمام بتدريب الفنيين اللازمين لتشغيل وصيانة الالات الزراعية المختلفة حتى يمكن الحصول على أكبر كفاءة انتاجية من تشغيل هذه الالات .

ـ توحيد النماذج المستعملة بقدر الامكان للمساعدة على رفع كفاءة التشغيل وتسهيل عملية الصيانة .

توفير قطع الغيار لهذه الالات بالشكل الذى لا يسمح بوجود نسبة كبيرة من الالات المعطلة .

واخيرا يجب ان ننبه لاهمية العنصر البشرى سواء بالنسبة للفنيين المدربين او بالنسبة لعملية الادارة والتنظيم ، حيث يتوقف الكثير على وجود الانسان الذى يؤمن بالتقدم العلمى وتطوير الزراعة المصرية .

الكهرباء

ان كهربة الريف شرط لا غنى عنه من أجل تحسين وسائل الرى واستخدام الالات ورفع الكفاءة الانتاجية والتخفيف من مشقة العمل الزراعى ، كما يساهم كذلك فى بناء ريف متقدم وخلق حياة ثقافية متنورة ، كما يساعد كذلك فى عملية التقارب بين المدينة والقرية والتصفية التدريجية للتمايز بينها .

ويكفى ان نلقى نظرة على القرية فى الارض الجديدة والتى ادخلت بها الكهرباء وتعمل محطات الرفع بها بكهرباء السد العالى ، وبين القرية فى الارض القديمة والتى لم يطرا عليها تطور ملحوظ منذ مئات السنين ـ اننا سوف نجد تمايزا ملحوظا فى كافة المستويات الاجتماعية والثقافية بين سكان القريتين حيث يتميز سكان القرية الاولى بالتقدم الفنى والثقافى والاجتماعى .

ولاشك ان الطاقة الكهربية الضخمة والمستمدة من السد العالى سوف تساعد على تطوير ريفنا المصرى ونقله من المجتمعات البدائيه الغير متطورة الى مجتمع عصرى متقدم .

ولن يقف استخدام الكهرباء على أنارة القرية وتشغيل محطات الرى ، بل يمكن الاستفادة منها فى تشغيل بعض الالات الزراعية ، وانشاء بعض الصناعات الزراعية مستخدمة الطاقة الكهربية بأقل تكاليف ممكنة .

الكيماويات والمخصبات

تحتاج الارض الجديدة لكميات كافية من الاسمدة العضوية والكيماوية لرفع كفاءتها الانتاجية والوصول بهما الى المرحلة الحدية فى اقصر وقت ممكن .

وقد أثبتت سنوات العمل فى هذه الارض الجديدة ـ أنه كلما اضيفت الكميات الكافية والمناسبة من الاسمدة العضوية والكيماوية ، كلما امكن الحصول على اكبر انتاج ممكن من المحاصيل الزراعية المختلفة .

كما أن التوسع فى زراعة البساتين فى الارض الجديدة يتطلب كميات وفيرة من الاسمدة العضوية والكيماوية ، مما دعانا الى التوسع فى انشاء المراعى الخضراء لتربية الحيوانات وحتى يمكن توفير الحاجة المتزايدة من الاسمدة العضوية .

ولاشك أن التوسع فى التصنيع ووفرة الطاقة الكهربية سوف يساعدان على تطوير الصناعة الكيماوية وخاصه المتعلقة بانتاج الانواع المختلفة من الاسمدة الكيماوية ، مما يساعد على تطوير وتقدم الزراعة .

وهكذا يتضح أن استخدام التكنولوجيا الحديثة بمكوناتها الاربعة :

الرى ـ الميكنة ـ الكهرباء ـ الكيماويات ـ لضرورة حيوية تحتمها طبيعة التطور الاجتماعى لبلادنا وظروف البناء الاشتراكى ـ فالاشتراكية تهدف دائما الى خلق المجتمع المتقدم

صناعيا لتوفر له مستوى معيشى مرتفع ومتطور دائما للامـام ، وان اسـتخدام التكنولوجيا فى الزراعة ليعتبر مسألة حيـوية للوصول بها الى المستوى المناسب لتحقيق الهدف المنشـود .

● ان تطوير التنمية الراسية فى الزراعـة على اسس العـلم الحديث والتكنيك المتقدم وربط ذلك بنجاح بالتوسع فى المساحات المستزرعة يعتبر الدعـامة الرئيسية للسياسة الزراعيـة الناجحة .

عامل الترحيلة

لازالت عملية تشغيل عـامل الترحيـلة بالشكل التقليـدى المتوارث منذ أجيـال عـديدة قائمة ، كمـا لازالت عمليـة الاستغلال التى تقع على عـامل الترحيلـة من فئـة المقاولين موجودة ، رغم تسـترها تحت اسماء وعناوين مختلفة .

ان الظروف التى يعيشها عامل الترحيلة - لازالت بعيدة عـن المستوى الانسانى المطلوب ، رغم كل الاجراءات التى تمت لمحاولة تحسينها وتغييرها . فقد بنيت بعض المعسكرات الخاصة بعمال الزراعة وجهزت ببعض المعدات وقدمت بعض الخدمات الثقافية أو الاجتمـاعية .. ولكن هـذه الخدمات لا تشمل كافة العمـال الزراعيين بل نسبة قليلة منهم لا تتعدى الثلث من مجموع عـدد العاملين والذى يصل فى مواسم معينة لما يقرب من عشرة آلاف عامل زراعى .

ان الاهتمام الجاد بمشكلـة عامل الترحيلة فى الارض الجديدة تعتبر من أولى اهتمامات المجتمع الاشتراكى ، الذى يجب الا يدخر جهدا فى حلها .

ولهذا يجب تقديم حلـول حاسمة لعلاج هذه الحالة الشاذة أقدم منها أحـدها كأسـاس للمناقشة ، وحتى يتم التحـويل الكامل للميكنة الزراعية .

- انشاء مؤسـسة خاصـة لتشغيل عمال التراحيل يشترك فى ادارتها النقابة العامة لعمال الزراعة والاتحاد العام للعمال تحت أشراف وزارة العمـل وبتوجيه مبـاشر من عنـاصر سياسـية واعية ، مـع حسن اختيار المشرفين علـى هـذه المؤسسة اختيارا خاصا حتى لا تخضـع مرة اخـرى لـروح الاستغلال وسيطرة المقاولين تحت مسميات مختلفة .

ان الارض الجديدة تمثل رصيدا كبيرا دفعه شعبنا عن طيب خاطر لوثوقه بأن هذا هو الطـريق الصحيح للخروج من حـالة البؤس والفاقة التى عاشها قرونا طويلة ، آمـلا ان يتمكن من استغلال هذه الارض اسـتغلالا طيبا مجزيا يمكنه من رفع مستواه المعيشى وتحقيق برنامجه الطموح لمجابهة التحديات التى تعترض طريقه فى بناء حياة سـعيدة لشعبنا العامل .

ولاشك ان العاملين فى قطاع الزراعة يعملون بدأب لتحقيـق ذلك مستفيدين من خبرات الماضى وتجارب الحاضر متخذين مـن الصعاب والمشاكل هاديا لهـم لتخطيها فى المستقبل والوصول بالارض الجديدة لمسـتوى من الكفاءة الانتاجية يحقق حيـاة كريمة لشعبنا .

ان هذا يدعونا للتفكير فـى ايجاد جهاز تخطيطى وتنفيـذى متكامل للارض الجـديدة من بـداية اسـتصلاحها حتـى استزراعها وتحويلها لـوحدات اقتصادية ذات كفاءة عالية ، لكى نتفادى العقبات والمشاكل التـى تعترض العـاملين بهذه الارض الجديدة .

خـبرات من واقـع التجـارب

تعليـق للطليعة

يربط ما بين هـذه التجـارب - فى التطبيق - واقع تصـدى بعض الاجهزة لمواجهتها مباشرة اوبشكل غير مباشر لعرقلة تنفيذها . وشكل المواجهة يتحدد وفقا للظروف السياسيـة العامة المحيطـة . وهى جميعها تثـير بالتالى ، قضية مدى سيطرة بعض الاجهزة القديمة ونفوذها وتشعبها ومدى الصلاحيات التى تتمتـع بهـا فى التصـدى لاعمال قيادية فى مجال بناء المجتمع الجديد .

وتؤكد تجربتان محددتان - فى سندوب وررنكة - مدى الارتباط الوثيق بين هذه الاجهزة وبين فئات اجتماعية لها مصالحها المادية فى تقويض هذه التجارب والعمل على افشالها .

● وتؤكد التجـربة - وبخاصة فـى سندوب - كيف أن الارتباط بالمشاكل اليومية للجماهير ووضـع حلول حقيقيـة لهـا ، ومـواجهة تحـديات الاجهـزة القديمة - بمشاركة حقيقية مع الجمـاهير نفسها - هو اسلوب فعال فى شل قدرة ونفوذ هذه العناصر على الحركة بهدف عـرقلة عملية البناء ، او على الاقل الحد من هـذه القدرة .

ولكن هذه المسألة نفسها تثير قضية اخرى هامة : هل يتفق مع المتطلبات الملحة لضرورة بناء مجتمعنا التقدمى ، أن نعتمد فقط على مجرد حماس بعض الشباب وقدرتهم الذاتية

على مواجهة أعمال العرقلة المتعددة الاشكال دون دعم هذا الحماس يكل ثقل القيادة الثورية ؟ واذا جاز ذلك فى مجتمع ما زال يتحسس الطريق الذى يختاره ، فهل يجوز فى مجتمع حسمت فيه الجماهير الشعبية وقيادتها الثورية طريق اعادة بنائه ؟ ومن الممكن أن تثابر بعض عناصر الشباب هنا أو هناك ـ مرة أو مرات ـ ولكن هل يمكن ضمان استمرار العمل دائما دون موقف حاسم الى جانبها يدعمها . انه صحيح أن العمل النضالى لا يحتاج الى « دكريتو » أو شهادة ضمان » ، أو « تأمين » ـ ولكنه صحيح ايضا ، انه لا حياد من الصراع بين قوى تبنى وقوى تعرقل .

● ان العنصر البشرى فى كل الاحوال ، هو العامل الحاسم فى عملية البناء من كافة المجالات . واذا كانت مسألة عامة ، فان قضية « الكادر » تحتل فى اطارها مكانة خاصة . و « الكادر » هنا يتصل بمفهومه « الفنى » و « السياسى » معا وفى نفس الوقت . وهذا « الكادر » بدون صلاحيات تمكنه من مواجهة أساليب العرقلة لا يحقق شيئا : أو على الاقل لا يحقق ما هو مطلوب وبالكيفية المطلوبة . وتلك كلها قضية واحدة متكاملة لابد وان تنال ما تستحقه من أهمية عند وضع أى خطة تتصل بقضايا التنمية والتطور الاجتماعى .

● ان تقدم الريف رهن شرطين أساسيين تؤكدهما هذه التجارب :

أولا : كهربة الريف وميكنته . وتلك قضية لا تتعلق فقط باعتبارات التنمية أو التقدم الاقتصادى ، وانما ترتبط بشكل عضوى بالتطور الاجتماعى للريف والغاء الفوارق بين الريف والمدينة . وتلك بدورها لا يمكن فصلها عن قضية القطاع العام فى الزراعة بحيث يحدد الموقف منه ـ معه لتدعيمه ونجاحه أو ضده لعرقلته وافشاله ـ موقف كل فرد من قضية التنمية وبالتالى من قضية شعبنا وتطلعه لبناء الاشتراكية . كما انها تثير ـ كما توضح هذه التجارب ـ فكرة تكوين هيئة مستقلة لادارة المشاريع الكهربائية وفكرة الزراعة التعاونية ، بل وفكرة تأميم بعض الوحدات الاهلية ـ كما فى الرى .

ثانيا : تولى الفلاحين أصحاب المصلحة الحقيقية سلطة الاجهزة العاملة فى مجال الزراعة كالجمعيات التعاونية . . الخ ، بادارة منتخبة من العاملين ومسئولة أمامهم مسئولية مباشرة من خلال جمعية عمومية قادرة على المناقشة والدراسة والتغيير ولها الصلاحيات الكاملة فى تطوير العمل .

● وتطرح هذه التجارب ضرورة ايجاد جهاز تخطيطى وتنفيذى واحد متكامل للارض الجديدة مسئول عن التخطيط والتطبيق والمتابعة معا منذ بداية استصلاح الارض وحتى استزراعها . ولاشك ان وضوح البعد الاجتماعى لقضية الارض الجديدة أمام هذا الجهاز ، ضمان أساسى لتحقيق الاهداف المطلوبة على أن يتم التنسيق بين هذا الجهاز والجهاز الذى يتولى مسئولية الارض القديمة .

كما تؤكد تجربة مريوط ، ضرورة تكامل التخطيط والتنفيذ لتجنب المشاكل التى كثيرا ما تنجم من التطبيق .

● تطرح احدى هذه التجارب ـ تجربة شمال التحرير : لماذا التكنولوجيا ؟ ـ اقتراحا هاما لعلاج واحدة من أهم مشاكل الريف المصرى : عمال التراحيل . فهى ترى ضرورة انشاء مؤسسة خاصة لتشغيلهم يشترك فى ادارتها النقابة العامة لعمال الزراعة والاتحاد العام للعمال تحت اشراف وزارة العمل .

● تؤكد تجربة سندوب أنه فى ظل مناخ العداء والاتهامات التى توجه لكل من يعمل فى اطار لا يرضى بعض الاجهزة القديمة المعرقلة : لا تستفيد الا القوى الرجعية التى تسارع بشن هجومها على الشباب الذى يفيض حماسا لوطنه وشعبه . والوجه الاخر لهذا المناخ ، هو تسلل الانتهازية الى كثير من المواقع ، لتفسد بذلك المدلولات العميقة والحقيقية لبعض الاجراءات والتغييرات الهامة . فتنسلق الانتهازية من طرف الى طرف آخر مغاير تماما ، يفسد معنى الجديد أمام الجماهير لانها بحكم تجربتها العملية ، خبرت هذه العناصر وعرفت حقيقتها المنافقة والمخادعة والتى غالبا ما تغير ولاءاتها بنفس السرعة التى تغير بها ملابسها .

« الطليعة »

مقال من إسرائيل: كيف تفكر الصهيونية ؟

هونج كونج الشرق الأوسط

إميل توما

كاتب هذا المقال هو المناضل الفلسطيني « **اميل توما** » احد قادة الحزب الشيوعي العربي ـ اليهودي في اسرائيل والمعروف باسم راكاح . وفي هذا المقال الذي نشر بجريدة « الاتحاد » التي تصدر بالعربية في تل ابيب (عدد اول اغسطس ١٩٦٩) يكشف فيه عن حقيقة المخطط الاسرائيلي الذي تقوم الصهيونية باعداده ضد الشعب الفلسطيني خاصة والشعوب العربية عامة من ناحية ، وموقف القوى التقدمية منه من ناحية أخرى .

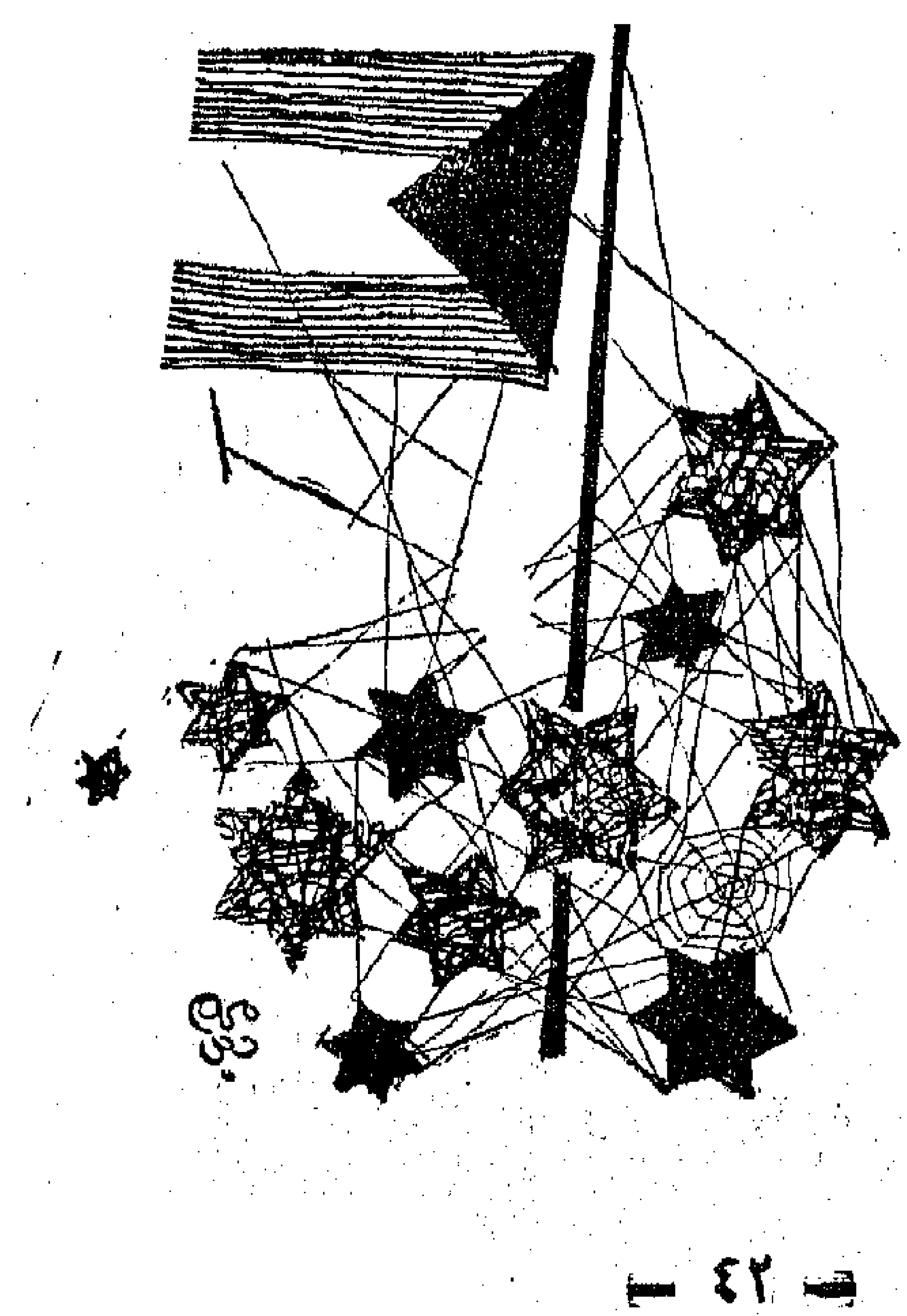
وقد رأت « **الطليعة** » أن تعيد نشر هذا المقال الهام على صفحاتها ، ليتسنى ـ على أوسع نطاق ممكن ـ معرفة كيف تفكر .. وكيف تخطط الصهيونية المعاصرة .

أعرب وزير الخارجية « **ابا ايبان** » والسكرتير العام لحزب العمل « **بنحاس سابير** »، في الاجتماع الذي عقده مكتب قيادة الحزب في القدس في ٢٨ ـ ٧ ـ ٦٩ عن معارضتهما ضم المناطق المحتلة الى اسرائيل اقتصاديا وسياسيا

وقال « **ابا ايبان** » انه لا يرى أمرا مخجلا في اعتبار نابلس وجنين عبئا على اسرائيل .. فليس مخجلا بالمرة ان يشعر المرء بخطر فقدان الدولة لطابعها اليهودي بعد ثمانين سنة من العمل الصهيوني ..

واعلن « **سابير** » بصراحة شديدة معارضته :

- لدمج المناطق المحتلة اقتصاديا باسرائيل .
- ولتوظيف الاموال فيها .
- ولاستخدام عمالها في اسرائيل .
- ولتطبيق القانون الاسرائيلي عليها .



■ ولبناء مستوطنات يهودية بالقرب من نابلس وجنين (« جروزلم بوست » ٢٩ ـ ٧ ـ ٦٩) •

ومن الواضح أن الاثنين اتفقا فى معارضتهما ضم المناطق المحتلة على ضرورة الحيلولة دون ضم مئات آلاف السكان العرب فى تلك المناطق الى اسرائيل خوفا على طابعها اليهودى من التلاشى مع الزمن وتكاثر العرب الطبيعى •

ولم يخف سابير انه فى معارضته دمج الاقاليم المحتلة باسرائيل كان يتصدى لاقتراح وزير الحربية موشى ديان ويرفضه جملة وتفصيلا •

وهكذا نرى أن قضية مستقبل المناطق العربية المحتلة وسكانها احتلت مركز الصدارة فى ابحاث حزب العمل التى جرت بغية تلافى خطر الانقسام ••

وعلى هذا الضوء كان أمرا بديهيا أن يعود الاهتمام بالكيان الفلسطينى فى اسرائيل باعتباره أمرا مرتبطا بمستقبل المناطق المحتلة •• فلم يعد خافيا أن اقامة الكيان الفلسطينى يؤلف حجر الزاوية فى برنامج قوى سياسية نافذة لالحاق تلك المناطق باسرائيل ••

مفهـــومــان • ومخطط اسرائيلى

ولابد من الملاحظة فى البداية ان مسألة الكيان الفلسطينى تعقدت حتى أصبح من الضرورى تحديد مفهومها ••

فمن الواضح ان الذين يتحدثون عن الكيان الفلسطينى فى اسرائيل أو فى المناطق العربية المحتلة يقصدون على وجه العموم مفهوما عينيا لهذا الكيان غير ما يقصد به فى خارج اسرائيل •

فهم يرفضون الكيان الفلسطينى الاخر الذى اقامته قوى قومية معينة من الشعب العـربى الفلسطينى فى « منظمة التحرير الفلسطينية » قبل بضع سنوات ويريدون كيانا بديلا له ... يقوم فى المناطق المحتلة ويعترف بالاطر التى خلقهـا الاحتلال ••

ولكن حتى هذا المفهوم الشائع يحتـاج الى تحديد •• وأهم من هذا يحتاج الى تقويم ••

فى حديث مع مكاتب « جروزلم بوست » صرح « **موشى ساسون** » مستشار رئيس الوزراء فى شئون المناطق المحتلة .

« ان الاسرائيليين الذين ينادون باقامة دولة عربية فلسطينية أو كيان (فلسطينى) فى الضفة الغربية انما يطاردون الظلال ويتكلمون فـى فراغ » •

واضاف انه لم يجد خلال صلاته مع العرب فى الضفة الغربية شخصية عربية أو منظمة فلسطينية تؤيد الفكرة ... (**الملحق ٢٥ــ٧ــ٦٩**) .

اذن لماذا يكثر الحديث عن الكيان الفلسطينى ويدعو افراد من الضفة الغربية لـه فـى جريدة « القدس » و « الانباء » ؟

وهنا لابد من معرفة المخطط الاسرائيلى قبل محاولة الاجابة على هذا السؤال ؟

وفى رأينا ان « **دان بافلى** » الذى شغل منصب مستشار الحكم العسكرى فى الضفة الغربية المحتلة فى دعوته الى « مبادرة اسرائيلية جديدة » اقترب من حقيقة المخطط الذى تتدارسه المحافل الاسرائيلية الحاكمة لاقامة الكيان الفلسطينى (**نشر كاملا فى ملحق « جروزلم بوست » الاسبوعى ٢٥/٧/١٩٦٩**) .

وفى رأى « **دان بافلى** » ــ وهذا مهم فى فهم موجبات توقيت العودة الى الكيان الفلسطينى فى اسرائيل والمناطق المحتلة ــ ان هناك خطرا من ان تضطر اسرائيل الى القيام بتنازلات من طرف واحد بسبب الضغوط الدولية ، ولذلك فمن الضرورى ، تفاديا لذلك ، ان تأخذ هى بنفسها المبادرة فتخطط اجراءات تعمق « التعايش » القائم الان فى المناطق المحتلة بين اسرائيل والعرب (بغض النظر عن ان هذا ليس تعايشا بل قمعا وكبتا) •

ويقترح دان بافلى ان تقدم **جولدا مائير** المخطط الى الرئيس الامريكى **نيكسون** عند زيـارتها الولايات المتحدة فى ايلول القادم ، ويلخصـه بنقطتين :

- اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين •
- اقامة الكيان الفلسطينى تدريجيا بشـكل يضمن أمن الفلسطينيين والاسرائيليين ومصالحهم الاقتصادية .

ويبـدون الدخـول فى حسـاباتهم حول عدد اللاجئين الفلسطينيين القدامى والجدد •• فمشروع « بافلى » يقوم على توطينهم فى الضفة الغربية وقطاع غزة فى فترة تتراوح بين ١٠ و١٥ سنة بنفقات تتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ مليون دولار سنويا •• ومجموعها قد يصل الى ٣٠٠٠ مليون دولار •

وهذا يعنى تشجيع الاستثمار وتصنيع الضفة الغـربية وتحـويلها الى « هـونكونغ الشرق الاوسط » ، أى مركز نشاط الاحتكارات الكبرى ونقطة الانطلاق للتسرب الاقتصادى الى العالم العربى ••

لن يغيب عن الكثيرين ان بين هذا المخطط واحلام روتشـــيلد فى المـؤتمر الاقتصـــادى قربى

واضحة .. (١) فكبار الاحتكاريين اصبحوا يرنون الى الضفة الغربية بوصفها مركز أيد عاملة رخيصة .. وموقع الانطلاق الى السيطرة على العالم العربى اقتصاديا .. و « يافلى » يوحى بذلك حين يكتب ان التطور وتحسين مستوى المعيشة فى الضفة الغربية سيخلق الظروف فى المدى البعيد الى اقامة سوق مشتركة بين الاردن والضفة الغربية واسرائيل ومن الممكن ان يشترك لبنان .

أما بشأن قضية اقامة الكيان الفلسطينى فيستوحى يافلى ـ على الرغم من اعترافه بالوضع الفريد من نوعه القائم فى المناطق المحتلة ـ افكاره من العلاقة بين الولايات المتحدة (وهنا فى المنطقة اسرائيل تقوم مقامها) واليابان (وهنا المقصود الضفة الغربية) بعد الحرب العالمية الثانية ..

آنذاك احتلت الولايات المتحدة اليابان و « ساعدت » اليابانيين على اعادة تنظيم حياتهم فقضوا على النظام الاقطاعى وأقاموا نظاما ديمقراطيا !!

ويكتب يافلى : وحتى اليوم بعد ٢٤ سنة من الاحتلال يحافظ الامريكيون على وجودهم العسكرى فى اليابان (طبعا لا يهمه أبدا ان هذا الوجود يستنفر نضالا جماهيريا عنيفا فى بعض الاحيان ومثيرا دائما) .

ويتدرج يافلى فى تحديد الخطوات نحو اقامة نظام ديمقراطى فى الضفة الغربية سيكون الخطوة الاول فى الكيان الفلسطينى . فيذكر اولا ضرورة اقامة حكومة مدنية (تحل مكان الحكومة العسكرية) ثم يجرى انتخابات رؤساء البلديات ومجالسها وبعد ذلك يختار العرب من يشرف على دائرتى التعليم والصحة ... وشيئا فشيئا يتمتع جميع العرب نساء ورجالا فى الضفة الغربية وقطاع غزة بحق الانتخاب وينتخبون هيئاتهم .. وبازدياد تحملهم مسئوليتهم تتقلص الحكومة المدنية الاسرائيلية .

ايجاد لون جديد من ألوان الانتداب تمارسه اسرائيل بدل بريطانيا ... وتكون هى المقررفيه حتى بدون اشراف عصبة الامم التى كانت تشرف على نظام الانتداب بعد الحرب العالمية الاولى ..

أما أمن الكيان الفلسطينى فيحرسه جيش الدفاع الاسرائيلى . ولا يعارض يافلى فى انتساب الكيان الفلسطينى المنفصل (ويافلى يبتعد عن استخدام كلمة مستقل) ، الى الامم المتحدة بشرط أن يبرهن الكيان على استعداده للتعايش مع اسرائيل ..

شروط الكيان الفلسطينى وظروفه

ولكن من المهم جدا معرفة ظروف قيام الكيان وشروطه .. وهذا ما يوضحه دان يافلى بالتفصيل فهو يكتب : « يجب أن نبين أن هناك دلائل فى الوقت الحاضرتشير الىانمقاومة الزعماء العرب للحل السلمى (كذا) فى ازدياد ولذلك فبعض هذه الاجراءات المقترحة سينفذ بعد مجابهة أخرى من مثل الثورة وتغير حكومة (المقصود فى العالم العربى) أو اشتعال حرب فى الشرق الاوسط » ..

وهذا يعنى ان دانى يافلى يعتقد ـ وهو فى هذا لا يخالف حكام اسرائيل ـ بان حرب حزيران العدوانية عام ١٩٦٧ لم تحقق اهدافها فى ضرب الانظمة العربية المعاديةللامبريالية ، وانزال الصدمة القاصمة بحركة التحرر القومى .. ولذلك فلابد من انزال هذه الضربة بالانظمة وبحركة تحرر القومية العربية ليصبح املاء الشروط الاسرائيلية ممكنا .. أو ليدق جرس التليفون فى مكتب وزير الحربية موشى ديان صادرا عن القاهرة ودمشق وبغداد وعمان طلبا للاستسلام ..

هذا من حيث الظروف العامة ..

أما من حيث الشروط المحلية فهى فى رأى دان يافلى على نوعين : ذاتية وموضوعية . .

فالذاتية تتلخص فى ان يكون رجالات العرب الذين يريدون الوقوف على رأس الكيان الفلسطينى المخطط من الجرأة بحيث لا يأبهون حتى من خطر تلقيبهم بالكويسلنجيين (أى الخونة) .

وعليهم أن يدركوا أن من واجبهم منع النشاط الارهابى وقيام حركة مقاومة سرية .. بل ان انتخابات المناطق وقيام حكومة الكيان سيجريان بعد ان يقرر الفلسطينيون انفسهم المساعدة على منع الارهاب (ويدخل فيه كل مظهر من مظاهر مقاومة الاحتلال فى المناطق المحتلة) .

امـا الموضوعية فتتلخص فى قبول هؤلاء الرجالات الفلسطينيين » القدس الموحدة فيتنازلوا بذلك عن أن يقيم الفلسطينيون عاصمتهم فى أى جزء من القدس الشرقية .. ثم عليهم ان يدركوا ان الحدود تقرر فيما بعد ، بشرط حرية الانتقال عبر هذه الحدود حتى بعد أن تحدد الحدود النهائية ..

عند هذا الحد ، نستطيع ان نفهم ماقصد اليه **موشى ساسون** ، مستشار رئيس الوزراء فى شئون المناطق المحتلة حين قال ان الاسرائيليين الذين

---

(١) فى المؤتمر الاقتصادى الذى عقدفى حزيران ١٩٦٩ فى القدس ،باشتراك الماليين والصناعيين من الطوائف اليهودية الاجنبية ،اعرب المالى ادموند دى روتشيلد عن تطلعه الى الشرق الاوسط قائلا « ان هـذا هو ميدان اسرائيل ، لا أن تكون ملحقـا بالاوروبا » .

ينادون باقامة دولة عربية فلسطينية أو كيان فى الضفة الغربية انما يطاردون الظلال ويتكلمون فى فراغ •• فلا توجد شخصية عربية أو منظمة فلسطينية تؤيد الفكرة ••

فمخطط بافلى وهو فى خطوطه العريضة ما كان موضع مباحثات مع الشخصيات العربية ليس حلا يؤدى الى التعايش السلمى بين اسرائيل والشعب العربى الفلسطينى بل استسلاما كاملا بدون تحفظ يقوم به دعاة الكيان اذا وجدوا - ويقدمون عن طريقه بلادهم الى حكام اسرائيل التوسعيين •• فالكيان على هذا الوجه هو شكل آخر لضم المناطق العربية المحتلة لاسرائيل ليساعد على تخفيض الضغوط الدولية عليها الى ادنى حد •

ومع هذا فعلى ضوء تصريح موشى ساسون - واعتمادا على تصريحات موشى ديان التى توحى - كما تستنتج جريدة « عل همشمار » ١٥ - ٧ - ٦٩ ، بأنه يريد ضم المناطق المحتلة بدون مناورات الكيان - فمن الممكن القول ان المحافل الاسرائيلية الحاكمة لا تتحمس الان لفكرة الكيان الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين •• ولعلها فى هذا تتفق مع بافلى ان من الضرورى وقوع المجابهة من مثل ثورة وتغيير فى الحكم واشتعال حرب فى الشرق الاوسط •

اذن فعلى من يدور الحوار ؟

وبعد هذا كله من الممكن محاولة التصدى لهذا الحوار الذى يجرى فى « الانباء » و « القدس » حول « الكيان الفلسطينى » •• و « الشخصية الفلسطينية » •

وهنا لابد من التفريق بين « مدرستين » !!

فالمدرسة الاولى تقبل باطار الاحتلال وتريد الكيان فى حدوده بدون سلطة مع الفلسطينيين فى الخارج ••

والمدرسة الثانية تريد الكيان فلسطينيا حقا ! بمعنى ان يشمل كافة الفلسطينيين وتريد ان تتعايش اسرائيل ودولة فلسطينية ناشئة ••

ومن الممكن اعتبار محسن الخليلى ، ممثلا للمدرسة الاولى •• والدكتور حمدى التاجى الفاروقى ممثلا للمدرسة الثانية •

فقد كتب الاول فى « الانباء » - ٢٢ - ٧ - ٦٩ يؤيد محمد شلباية (كاتب « الانباء » و « القدس ») فى تقويمه مولد الفلسطينيين الجديد « الذى يستطيع أن يزن الامور بميزانها الصحيح ، يطالب بحقوقه المشروعة بالطرق المشروعة ويمكنه أن يميز الغث والسمين •• فيكون المحطة النهائية للسلام » •• واردف أن الفلسطينى الاخر « ما يزال يعيش حياته التى رسمها لنفسه أو رسمت له •• مشبعا بالكراهية والبغضاء ليس فقط لاسرائيل بل كذلك للدول العربية » ! !

وكتب الثانى فى « القدس » ٢٤-٧ يعلن « آن الاوان لان يأخذ الشعب الفلسطينى زمام اموره بيده » ، ويدعو الى قيام دولة فلسطينية تحظى بموافقة أغلبية الشعب الفلسطينى فى كل مكان حيث توجد تجمعات فلسطينية كبيرة •• وهى : المناطق المحتلة •• والاردن ولبنان وسوريا والكويت • واضاف : « ان رأيى ان نعيش على ارضنا على أساس قرارات الامم المتحدة ، فان قامت الدولة على هذا الاساس يجب أن تكون صلتها باسرائيل صلة سلام وأمان وحسن جوار والقدس العربية فى المقدمة لا نتنازل عنها هى الروح •• » •

وليس من الصعب الاستنتاج على ضوء المخطط الذى رسمه دان بافلى ان المدرسة الاولى تتوافق تمام التوافق مع تصورات حكام اسرائيل الذين لا يعارضون قيام نوع من الحكم الذاتى فى المناطق العربية المحتلة لتكريس الاحتلال وتوطيد التوسع •

أما المدرسة الثانية فهى مجرد « بالونات » هوائية قد تستخدمها السلطات لتأكيد « ديمقراطيتها » ولكنها لن تجد أى تجاوب مع جماهير المناطق المحتلة الذين يرفضون الاحتلال « أصلا وفصلا » ••

وأمام دعاة هذه المدرسة اذا ارادوا مواصلة العمل الجدى الاقتراب شيئا فشيئا الى الشروط التى وضعها دان بافلى لاولئك الذين يريدون كيانا فلسطينيا •• وأهمها أن تكون لديهم « الجرأة » فلا يخافون « تهمة » الخيانة ••

ولكن فى نهاية المطاف لابد من موافقة موشى ساسون : ليس فى الافق كيان فلسطينى فى المناطق المحتلة ، لان الشخصيات العربية ترفضه ايمانا منها بان الجماهير ترفضه أشد الرفض وترفض الاحتلال المرافق له هذا أولا ••

أما التلويح به بين وقت وآخر فيعود الى اغراض دولية ••

لقد لاحظ كثيرون ان لا أمل فى مفاوضات بين اسرائيل والاقطار العربية فى الوقت الحاضر وبذلك عمقوا حرج حكام اسرائيل على الصعيد الدولى ••

ولتخفيف هذا الحرج ينشر انصار حكام اسرائيل دوليا فكرة العنصر الفلسطينى القائم فى مناطق الاحتلال كطريق لتسوية الازمة ••

وهذا ما قاله على سبيل المثال احدهم ، بول جونسون ، فى « نيو ستيتسمان » البريطانية (فى ١٨ - ٧) فى مقاله « اسرائيل صانعة السلام النضالية » •• فكتب : ان افضل آمال المستقبل هو نمو الشخصية الفلسطينية •• واتفاق بين الفلسطينيين والاسرائيليين باعتبار وجود حقوق متساوية لهما ••

ولكن لافائدة من هذه الممارسة الذهنية حتى على الصعيد الدولى •• فطريق التسوية يظل طريق الانسحاب والتخلى عن التوسع وتنفيذ قرار مجلس الامن •

دراسة فى وثائق الحركة الدستورية

فى مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر



محمد على حاكما

د . وليم سليمان

لابد ان يكون واضحا ان العملية المقبلة لوضع الدستور لا تبدأ من فراغ — فالحقيقة انها مرحلة من حركة منذ زمن موغل فى القدم ، حركة شعب بدأت منذ ان وعى بذاته ، بوحدته وبتميزه عن الحاكم — أجنبيا كان او محليا . ثم احقيته فى ان يكون هو نفسه الحاكم .

الطبيعة المزدوجة للدستور

والدستور فى أى مرحلة هو تسجيل لنتيجة هذا الصراع الوطنى والقومى والسياسى والاجتماعى ، واقرار ملزم لهذه النتيجة فى تلك المرحلة · فهو يوضع حين يصل مسار الصراع الى مرحلة توازن تكون فيها العلاقات التى تكونت حديثا قد فرضت نفسها ·

ولكن هناك جانبا اخر للدستور ، فهو ليس فقط تسجيلا لمحصلة الصراع بين القوى وقت صدوره — ولكنه ايضا يفتح الطريق امام الحركة الشعبية ،

انه يمثل نقطة الانطلاق ويتضمن برنامج التطـور والتغيير

ونحن لانستطيع ان نفهم هذه الطبيعة المزدوجة للدستور الا اذا أخذنا كأساس للدراسة الخبرة التاريخية لكفاح الشعب عبر العصور • ان مبدأ سيادة الامة ، أو الشعب ليس مجرد ثمرة تفكير مجرد او استدلال منطقى . بلهو حصيلة التطور الواقعى للاحداث ، لابد اذن من الالتصاق الشديد بالارض الصلبة التى للخبرة التاريخية • وبدون ذلك يظل الدستور قشرة فوقية موضوعة على سطح المجتمع وليس ثمرة نابعة من أرضه متغلغلـة جذورها فى اعماقه . على الـدارس أن يمتحن الخبرة الحالية للحركة الجماهيرية واصـولها ومراحل تطورها ــ ومن ذلك كله يستخلص اسس التنظيم الدستورى •

وللشعب فى مصر تاريخ قديم ، واجه خلال مراحله المتعاقبة السيطرة الاجنبية والمحليـة ، وكافح لاستخلاص حرية وطنه ، وحقه فى حكم نفسه ، وفى التخلص من الاستغلال • وسـجل مكاسب كل مرحلة فى وثيقة تعبر عن طبيعة المرحلة ومدى ما وصلت اليه الحركة الشعبية من قدرة ، ونواحى الضعف والقصور التى ادت الى اهدار تلك الوثيقة ومعاودة الكفاح من جـديد • ان الدراسة العلمية لهذا التطور المترابط الحلقات هى خير مدخل لعملية وضع الدستور المقبلة .

ونحن فى هذه الدراسة نسير فى اثر رحلة المحكومين فى مصر من أجل الحصول علـى السلطة ، كى يصبحوا هم انفسهم الحاكمين • ونحاول أن نسجل فى كل مرحلة مدى ما حققوه فى هذا المسار •

نقطة البدء

ونحن نبدأ باحدى اللحظات التى فيها يظهر الوعى الشعبى بأن فـى المجتمـع حكامـا ومحكومين ، ذلك انه طالما ظـل ما يربط الشعب بحاكمه ــ او يفصله عنه ــ شعورا غير سياسى فليس ثمة حركة دستورية • ان كلا من الاسرة ، والقبيلة جماعة لا يحس فيها الاعضاء بالحاجة الى مناقشة طبيعة وسند شرعية وحدود العلاقة التى تربط الاب أو الزعيم بباقى الاعضاء •

ان سلطة رأس هذا الجسم الاجتماعى سابقة على وجود الاعضاء ، تستمد شرعيتهـا من مبدأ يعلو الجماعة ومفارق لها ويخضع له الجميع • ومن هنا عدم الحاجة الى مناقشة شرعية السلطة وحدودها • فالجميع راض وواثق ومسلم مقدما بأن كل ما يصدر عن رأس الجماعة صـحيح ولتحقيق صالح الجماعة ولا يقبل المناقشة السابقة على اتخاذ القرار أو الرقابة التالية لصدوره • كل فرد تربطه برأس الجماعة علاقة انتماء شخصى تسبق وتعلو وتختلف عن سلطة الامر والنهى •

متى تبلور الشـــعور السـياسى فى مصر فى تاريخها الحديث ؟

هذا الشعور السياسى الذى يربط ويفصل بين الحاكمين والمحكومين،متى تبلور ـــهل اثناءالحملة الفرنسية •• ؟

ان منطق السؤال الذى نطرحه يستبعد أن نتخذ الفترة التى بقى فيها بونابرت فى مصر منطلقا للحركة الدستورية فى بلادنا ، لان شعور التميز بين الحاكمين والمحكومين فى هذه الفترة لم تكن طبيعته سياسية خالصة • واهمية هذا المنهج تظهر حين نراجع الدراسات الصهيونية لتاريخ التطور السياسى فى مصر ،، فطبقـــا لما يقــوله ناداف صفران (١) لم ينهض الفلاحون المصريون خلال قرون عديدة بالثورة الا مرتين قبل ١٩١٩ ـــ وفى كلا المرتين كان هناك احتلال اجنبى أو تهديد حال بحدوثه • الثورة الاولى قامت فى ١٨٠٠ وكانت موجهة ضد المحتل الفرنسى ، كما أن هبات محلية حدثت أثناء الثورة العرابية حين كان التهديد حالا بالتدخل الاجنبى •

وهنا نجد الكاتب يتناسى عامدا ثورات المصريين ايام المماليك والاتراك وفى حكم اسرة محمد على،، بل أن الثورة أثناء حكم الخديو توفيق بدأت ضده وقبل أن يظهر التهديد بالاحتلال البـريطانى • والقصــد واضح من هــذا التصوير ــ فهــو محاولة للاقناع بأن اسرائيل باسسها الحالية التى تستند الى استغلال للمفاهيم الدينية ، ليسـت مجتمعا شاذا فى المنطقة ، ان مصر نفسها بكل تاريخها الحضارى وثوراتها الرائدة تقوم الحياة السياسية فيها على اسس مشابهة وتحرك شعبها نفس الدوافع (٢)

---

(1) NADAV SAFRAN, Egypt in Search of Political Community, London, 1961, p. 105.

(٢) وليم سليمان المواجهة الحضـارية بين مصرواسرائيل ، الطليعة ، سبتمبر ١٩٦٨ ، ص ١١٢ .

لهذا فنحن نبدأ الدراسة بحركتين شعبيتين احداهما سابقة على الحملة الفرنسية وانتهت بوثيقة وضعت قيودا على سلطة الحكام ، والحركة الثانية لاحقة لخروج الفرنسيين من مصر كانت أبعد مدى فى تأكيد حق المحكومين فى السيادة وفى عزل الحاكم وتولية غيره ٠

الصراع بين الحاكمين والمحكومين

كان التناقض الرئيسى فى المجتمع المصرى ايام المماليك والعثمانيين — أى التناقض الذى يلعب الدور الحاسم القيادى فى مسار التطور ، ويرتب الاثار الهامة فى مجالات الصراع الاخرى داخل المجتمع — هذا التناقض الرئيسى كان بين الحاكمين والمحكومين ٠

ونحن نستطيع أن نتعرف على طبيعة هـذا الصراع من :

أولا : نوع الحكم فى مصر

ثانيا : طبيعة عناصر الثورة فى المجتمع

ثالثا : قيادة الانتفاضات الشعبية

أولا : أما عن نوع الحكم فى مصر ، فمن المسلم به أن مصر عاشت تاريخها كله دولة مركزية — ففيما عدا فترات قليلة تعتبر استثناء ، كانت السلطة المركزية تتحكم فى الاقليم كله ، حتى فى عصور الاقطاع — وهى العصور التى تفترض التجزئة واستقلال كل اقطاع عن الاخر وعـن الحكم المركزى — فى هذه العصور نفسها كانت الطبيعة المركزية تفرض نفسها ، مرتبة آثارها ٠

والعامل الرئيسى فى هذا الوضع هو النيل ٠ يقول **رفاعة الطهطاوى** « ان خصب مصر ويمنها متسبب عن النيل ، ويمن غيرها الزراعى متسبب عن اختلاف الفصول والامطار ٠ فبهذا كانت مصر مستعدة لكسب السعادة أكثر من غيرها بشرط انتظام حكومتها واجتهـاد اهاليها ، لان اختلال حكومتها يخل بمزارعها بخلاف اختلال غيرها من الحكومات فلا يؤثر شيئا فى جريان الفصـول والامطار » (٣)

ثم يبرز رفاعة الاثر المترتب على ذلك :

« فلا بد من صورة تنظيمية واصول اجتماعية مستوفية للمذاهب المائية وقوة اجرائية ومثل هذا لا يكون من وظيفة الاحاد والافراد ، ولا من محض وظيفة القرى والبنادر والبلاد سواء كان بالاجتماع والانفراد بل هذه وظيفة **القـوة الحـاكمة العمومية** ٠٠ فنفوذ الحكومة هو الذى يتعهـد اصلاح هذه الدرة اليتيمة ٠ وليس فى ممالك الدنيا مملكة لصاحبها النفوذ الحقيقى على الزراعـة والفلاحة الا صاحب مصر فانه لا يجد فى اهمالها فلاحه ، وبقدر نفوذه على ادارة الزراعة يكون له النفوذ على الاهالى ٠ وأما فى غير مصر من البلاد التى ريها بالمطر فليس للحكومة عليها ولا على قلوب أهلها كبير تسلط ٠ ولما كان رى مصر دائما صناعيا مدبرا كان لابد فيه من حسن الادارة المائية والضبط والربط فى تطهير الترع وبناء الجسور والقناطر ٠ فاذا كانت الحكومة المتولية على مصر سيئـة التدبير ٠٠ تجحف بالمصلحة العمومية ٠ **وهـذا الخلل انما يترتب على عدم الحكومة المركزية** »

ثم يقدم رفاعة دليلا تاريخيا علـى ضرورة الحكومة المركزية بما حدث فى احدى الفترات الاستثنائية التى اختل فيها الحكم فى مصر « **فان حكومة المماليك الاختلالية لما تجردت عن القوة المركزية ووحدة الحكومة** تجردت بالضرورة عن صورة الرى العمومية المصرية ٠٠٠ فلذلك فى مدة أحكامهم صارت مصر تفقد كل يوم عناصر حياتها على التدريج بانحلال الانتظـام ٠ فكانت مصر محتاجة الى نظمها **فى وحدة حكومة مركزية** ٠

---

[٣] لم يفت المصريين القدماء ملاحظة هذا الفرق بين نوعى الرى ، وسجلها اخناتون فى انشودته الكبرى لمعبوده الجديد ، يقول :

« لقد خلقت النيل فى العالم السفلى
لتحيى به البشر يا سيد الجميع
يا من خلقت البلاد البعيدة
وجعلتها تحيا هى الاخرى
لقد جعلت نيلا يهبط اليهم من السماء
وجعلت له أمواجا تتدافع على الجبال كالبحر
فتجد حقولهم ما تحتاج اليه من الماء
ما أعظم تدبيرك يا سيد الابدية
وهبت نيل السماء لشعوب الجبال
اما النيل فهو يخرج لمصر وحدها من العالم السفلى
عبد المنعم أبو بكر ، اساطير مصرية ، ص ١٣١ ٠

فادركت مرامهـا بنادرة العصور وهى الـذات المحمدية العلوية ... » (٤)

وحتى فى أزمنة المماليك والعثمانيين ، ورغم التفتت الذى أشار اليه رفاعة ، فان الطابع المركزى كان يفرض نفسه « لان البلاد بلاد الله » والعبيد عباد الله ، وأن السلطان العادل هو ولى الامر ولازم الاتباع له فى سائر الامور الا فى مخالفة اوامر الله تعالى .. ان هذه المملكة جميعـا ملك (السلطان) (٥) وملكية ولى الامر لاراضى مصر وضع قديم منذ الفراعنة الاقدمين (٦)

وكان معظم الملتزمين يقيمون بالقاهرة ــ مقر الحاكم المركزى (٧) ويورد الجبرتى وقائع عديدة تؤكد ارتباط هؤلاء الاقطاعيين بالعاصمة وعزوفهم عن الاقامة فى محال اقطاعاتهم ــ حتى أن الامر الصادر بعودة الاقطاعيين الى اقطاعاتهم كان يعتبر « نفيا » يقاومه المنفيون بقوة السلاح وتحدث بشأنه المصادمات والفتن ويحتاج الى استصدار الفتاوى . (٨)

هذا بالنسبة للارض الزراعية . ولا يختلف الامر بالنسبة للصناعة والتجارة ــ فان السلاطين كانوا يحتكرونهما حتى لجأ بعض السلاطين الـى اغلاق المصانع المنافسة بالقوة تـأمينا لاحتكار الدولة لوسائل الانتاج . ويذكر ابن اياس أن التجار تحولوا الى وكلاء للسلطان (٩)

ثانيا : وعن طبيعة عناصر الثورة ــ فان المجتمع أيام المماليك والعثمانيين كان ينقسم الى قسمين متميزين ــ الحكام والمحكومين . وكان القسمان منفصلين تمامـا ــ طبقيـا ، واجتماعيـا وسياسيا (١٠) وفى كل من هذين القسمين كانت تقوم الصراعات ــ فبين الحكام كان الصراع يدور بين اجنحة السلطة ، ومحوره الاستيلاء على السلطة المركزية ، واحلال فرد وأتباعه ، محل السلطان القائم وفرقته او الباشا العثمانى ، والوسيلة هنا هى القوة المادية ، فقاتل السلطان هو صاحب الحق فى الجلوس مكانه . ومن هنا كانت حاجة المماليك والعثمانيين الى سند شرعى لتبرير هذه الانقلابات الدموية ، ولهذا كان التجاؤهم الى الدين ورجاله ، فهؤلاء كانوا المصدر الذى يستند اليه السلطان لاضفاء الصفة الشرعية عليه (١١)

وثمة صراع آخر كان يقوم بين الحـاكمين والمحكومين . واذا كان الحاكمون يشكلون طبقة اقتصادية متسلطة واضـحة المعـالم مـاديا وأيديولوجيا ــ فان شمولية الحكم المـركزى السياسية والعسكرية والاقتصادية ، كانت تمنع نشوء طبقات أخرى على نفس المستوى من الاتحاد فى المصلحة والتنظيم ، ولها فكر مناهض لفكـر السلطة . ولذلك فلم يكن هناك من تهديد سياسى أو اقتصادى يمكن أن يتأثر به الحكام بسـبب الانتفاضات الشعبية .

---

[٤] مناهج الالباب المصرية فى مباهج الاداب العصرية ص ١٥٤ ــ ١٥٧
وقارن كتاب كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، الجزء الثانى ، ص ٦٩٥ وما بعدها . وفى هذه الصفحات نجد الاصل الذى اخذ عنه رفاعة . وتقدم المقارنة بين الاصل وبين عرض رفاعة له وبين ترجمة محمد مسعود ــ مجالا لدراسة تطور الفكر والاسلوب الحديثين فى مصر .

[٥] شفيق غربال ، مصر عند مفرق الطرق ، ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية ، كما شرحه حسين افندى أحد أفندية الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية ، مجلة كلية الادب ، مايو ١٩٣٦ ، الطبعة الثانية ، ص ٥٠ و ٦٤ .

[٦] كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ترجمة محمد مسعود ، ٢ ص ٢٨٤

[٧] هيلين آن ريفلين ، الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسينى ، ص ٤٧ و ٤٨

[٨] عجائب الاثار ١ ص ٣٥ و ٣٦

[٩] لويس عوض ، تاريخ الفكر المصرى الحديث . الخلفية التاريخية ، كتاب الهلال ، ١ ، ص ١٢

[١٠] وليم سليمان ، القاهرة فى مصر المملوكية ، الطليعة ، فبراير ١٩٦٩ ، ص ٥٠

[١١] يورد الرحالة فانسليب ــ قصة شعبية كانت تتردد فى القاهرة . تقول القصة ان السلطان سليم حين وصل الى هذه المدينة لم يستطع أن يدخلها . وفى الليل رأى فى المنام الامام الشافعى يطمئنه . وحين جاء الصباح بدأ السلطان يتحرك ليدخل القاهرة ــ وكان ثمة رجل مجهول يقود زمام حصانه الى أن دخل به المدينة ثم اختفى .
ويذكر هذا الرحالة أيضا أن هناك تقليدين يجب أن يراعيهما كل باشا ــ عندما يحضر لتسلم زمام الحكم أو عند مغادرة البلاد ، فقبل أن يدخل الباشا القاهرة عليه أن يزور ضريح الشيخ الصيفى فى القرافة « الذى هو حامى العثمانيين » . أما حين يغادر منصبه فعليه أن يقوم بزيارة ضريح السلطان قايتباى ــ الذى رغم انه كان عدوا للعثمانيين الا انه كان من أواخر السلاطين الشرعيين لمصر قبل الغزو العثمانى .
Etienne Colombe, Précis de l'Histoire d'Egypte L'Egypte Ottomane de la Conquête par Sélim (1517) à l'arrivée de Bonaparte (1798), Le Caire, 1933, p. 57.

ولقد كانت الهبات تحدث اما فى الريف أو فى المدن . وكانت اغراض هذه الثورات عمـوما هى الحصول على مطالب عاجلة – تتعلق دائما برد غائلة الجوع . (١٢)

على ان الشىء الهام الذى كان يحدث اثناء هذه الثورات ، وعلى الخصوص أثناء المنازعات بين اجنحة السلطة – أن كل فرقة كانت تحـاول ان تحرك لصالحها جماهير العوام، لم يكن القصـد منح الشعب اى حق، ولكن استجدائه للوصول الى مطامعهم الشخصية . ولقد أدرك المماليك اهمية الرأى العام الشعبى ، وحرصوا على كسبه اشد الحرص ولا سيما فى أوقات الازمات الحادة – عند قيام فتنة داخلية بين المماليك نزاعا على الحكم ، وعند تعرض البلاد لخطر خارجى جاء عن التهديد أو الهجوم (١٣)

ثالثا : اما التهديد الجدى الوحيد فكان يأتى من **مصدر الشرعية** ، ولهذا كانت جميع الهبات الثورية فى مصر أثناء الحكم المملوكى والعثمانى بقيادة رجال الدين ، ومن هنا مصدر قوة الانتفاضة وسبب ضعفها فى آن واحد ، ذلك ان الكلمة الوحيدة التى كان الحكام يضطرون لسماعها كانت لابد أن تصدر ممن يسندون حكمهم شرعيا .

ولما كان الامر كذلك – فان هذه الانتفاضات لم تكن تستهدف قط تغييرا فى البناء الاقتصادى للمجتمع أو فى نظمه السياسية ، لم تكن هذه الهبات نتيجة تغير فى قوى الانتاج وما يترتب عليها من نشوء طبقة جديدة لها قيادة وفكر جديدان — ولم تكن تهدف الى الاطاحة بالنظام القائم وبناء نظام جديد على أساس شرعية مغايرة تنشأ من أجل حمايتها مؤسسات جديدة تفرض من خلالها الطبقة الصاعدة حكمها .

على العكس من ذلك تماما – فانه حتى بعد ان تحرز الانتفاضة النصر ، وتفرض رأيها – فان هذا كله لم يكن يؤدى الى تغيير القوى والعلاقات القديمة . بل تستمر هذه دون تغيير ، اذ تظل قوى الانتاج راكدة ، والعلاقات القائمة عليها كما هى . فحصيلة الصراع لابد ان تكون فى اطار النظـام القائم ، وكـل المطلوب هو مصالحة الطرفين – الحـاكمين والمحكومين – مقابل تعهد هؤلاء بأن يراعوا أصول الحكم الحالى .

اما قادة الثورة فلم يكن لديهم أى تصور لبنـاء المجتمع وحكمه غير الوضع الراهن . ولهذا يمكن القول بأن الصراع لم يكن عدائيا – اذ أن قيادة الانتفاضات نفسها كانت هى التى تقدم الاساس الشرعى للنظام القائم – انها أيضا مـرتبطة اقتصاديا بالحكام ، وهى تستمد حقـوقها فـى الاقطاعات – اذ كان الكثير من المشايخ ملتزمين – أو فى الاوقاف من النظام القائم نفسه . ولهذا فان جميع الانتفاضات كان محكوما عليهـا بأن تنتهى دون تغيير حقيقى فى المجتمع – لان هذا التغيير نفسه كان يعنى تجريد قادة الثورة من أوضاعهم الطبقية الممتازة التى كفلها لهم الحكام ضمانا للحصول على سند الشرعية لحكمهم .

على ان هذا لا ينفى قط الاهمية العظيمـة للمواقف التى كان يتخذها رجال الدين فى مقاومة الظلم . فهذه المقاومة مهما يكن ضعفها كانت تشحن الرأى العام ، وتسحب سند الشرعية من تحت أقدام الحكام (١٤) .

حجة الحقوق عام ١٧٩٥

ويقدم لنا المؤرخون طوال **هذا العهد** صورا متتابعة لهذه الانتفاضات الثورية من جـانب المحكومين ضد الحاكمين . ولقد قدمنا فى الحلقة الاولى من « وثائق الحركة الدستورية فى مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر »(١٥) ، ما رواه **الجبرتى** عن واحدة من أقوى هذه الانتفاضات . ومنها نعلم أن أهالى قرية بمديرية الشرقية تعرضوا لظلم أتباع محمد بك الالفى « واستغاثوا بالشيخ **الشرقاوى** . ثم بدأ العمل التنظيمى لهذه الهبة من الازهر ، اذان الشيخ « اغتاظ وحضر الى الازهر وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع » وخرجت هذه القيادة الى الشارع لتحرك الجماهير « فأمروا الناس بغلق الاسواق والحوانيت . ثم ركبوا فى ثانى يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم » .

عناصر الثورة هنا كما هو واضح هـى الفلاحون ، وصغار التجار والعامة . والقيادة فى يد رجال الدين .

ثم وصلت انباء الانتفاضة الى السـلطة السياسية . وعلى الرغم من الحكم المتسـلط

---

[١٢] لويس عوض ، المرجع السابق ، ص ١٧ وما بعدها
[١٣] ابراهيم على طرخان ، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٩ و ٢٥١
[١٤] M. Duverger, Instititions Politiques, Paris, 1958, p. 220.
[١٥] الطليعة ، يوليو ١٩٦٩ ، ص ١٥٦ الجبرتى ، عجائب الاثار ، ٢ ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩.

بلا ضابط الذى كان يمارسه المماليك بزعامة ابراهيم بك ومراد بك ، فانهم ماكانوا يستطيعون تجاهل تحرك يقوده من يمنح للحكم كله سند الشرعية . لقد بلغ ابراهيم بك اجتماع المشايخ والعامة « فبعث من قبله **أيوب الدفتردار** فحضر اليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم » .

ويقدم الجواب طبيعة هذه الانتفاضات وكيف انها لا تهدف الى أى تغيير فى النظام القائم :

« فقالوا نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعتموها واحدثتموها »

ومع ذلك ــ فانه لايمكن الاغضاء من فاعلية هذه المطالب، وكيف انها لو نفذت لادت بالفعل الى تغيير فى المجتمع . ويتضح هذا من اجابة الدفتردار .

« فقال لا يمكن الاجابة الى هذا كله فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات .

« فقيل له هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس . وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء المماليك ، والامير يكون اميرا بالاعطاء لا بالاخذ »

واستمرت الانتفاضة الشعبية ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين ــ مراد بك يريد الابقاء على المصادر التى منها يجمع المال ، ويحاول ان يجذب اليه بعضا من القادة ، و « دار الكلام بينهم وطال الحديث »

وماذا كانت النتيجة :

« انحط الامر على انهم (أى المماليك) تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء عليهم . وانعقد الصلح .... وكان القاضى حاضرا بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك ، وفرمن (اصدر فرمانا) عليها الباشا وختم عليها ابراهيم بك وارسلها الى مراد بك ، فختم عليها ايضا » .

ولم يتصور احد ممن اشترك فى هذه الانتفاضة ــ سواء من عناصر الثورة او قيادتها ــ ان النظام السياسى او الاقتصادى يجب ان يتغير . فلم يطالب احد بأن يشارك ممثلو الثائرين فى السلطة ، وان تنشأ مؤسسة تضم هؤلاء الممثلين لضمان تنفيذ شروط الصلح . مثل هذا التصور كان يتعرض للاساس الشرعى الذى يحكم بناء عليه المماليك الذين بأيديهم السلطة وقتئذ . على العكس من ذلك تماما ــ لقد رضى الجميع بالنتيجة التى انتهوا اليها .

« وانجلت الفتنة وحول كل واحد منهم جملة عظيمة من العامة وهم ينادون : حسب ما رسم سادتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية .

« وفرح الناس وظنوا صحته »

ثم يروى الجبرتى مصير الانتفاضة والصلح . وهو مصير طبيعى تماما فى اطار توازن القوى الموجود وقتئذ .

« فتحت الاسواق . وسكن الحال على ذلك نحو شهر .

« ثم عاد كل ماكان مما ذكر وزيادة »

ويقدم المؤرخ مثلا لما حدث بعد ذلك .

« ونزل عقيب ذلك مراد بيك الى دمياط وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك »

مؤسسات فى خدمة « حق الفتح »

قلنا ان التناقض الرئيسى فى المجتمع المصرى ايام المماليك والعثمانيين ، كان بين الحاكمين والمحكومين . وهو صراع داخلى لابد ان تمضى حركته فى مراحلها المتعاقبة ، وكل مرحلة فى هذه الحركة تحكمها علاقات القوى القائمة .

ومن الطبيعى ان يؤدى الفشل والنجاح عقب كل مرحلة الى مزيد من الخبرة لدى طرفى الصراع ، هذه الخبرة لابد انها كانت تؤدى الى مزيد من التنظيم لدى كل طرف لمواجهة الطرف الاخر فى الجولة القادمة .

ولابد من الاعتراف بأن الضعف العضوى فى البنية الاقتصادية لطبقات الشعب ، بسبب الحكم الشمولى الذى كانت تخضع له مصر كان من نتيجته ان مجال التحرك والاستفادة من الخبرة لدى الجماهير كان محدودا تماما . ولهذا كان التقدم فى حركتهم يمضى بطيئا غاية البطء ، سواء فى مجال الوعى ، او على ارض الواقع .

ولكن الحركة الداخلية للمجتمع يعترضها عنصر اجنبى . اذ تهبط ارض مصر جنود الحملة الفرنسية بقيادة **بونابرت** . هنا لا يصبح التناقض الرئيسى بين الحكام والمحكومين ، بل بين المجتمع كله ، وبين الدخيل الاجنبى .

ولقد حاول بونابرت ان يجعل وجوده فى مصر جزءا من النسيج الداخلى للمجتمع . ولهذا فانه كان قد أعد منشورا طبعه فى عرض البحر ، عدد فيه

أسباب الحملة ــ فقال أن المماليك يسيئون معاملة الفرنسيين ويظلمون تجارهم • ثم يتحدث عن صداقته للاسلام،بل يقول ان « الفرنساوية هم ايضا مسلمون مخلصون » • ويقدم للشعب مبادىء الثورة الفرنسية ، ويقدم الوعود : «من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية »

ثم وضع بونابرت هذه المبادىء موضع التنفيذ ، فأقام المؤسسات التى من خلالها تطبق • وهكذا أسس ديوان القاهرة ، ودواوين الاقاليم والديوان العام •(١٦)

ولكن الشعب ثار ضد الوجود الفرنسى ، ولفظه • والواقع ان دخول هذا العنصر الخارجى فى مسار حركة المجتمع المصرى ، حول الصراع الداخلى الى صراع خارجى ـ ولهذا فاننا نجد أن قادة الشعب يتشككون فى كل اجراءات بونابرت • بل ويتحالفون مع المماليك والعثمانيين رغم كل مظالمهم . فحين اعترض بونابرت على تعيين الديوان لبعض المماليك فى وظائف الامن والشرطة ، أصر أعضاء الديوان على تعيينهم وعرفوا الفرنسيين « أن سوقة مصر لا يخافون الا من الاتراك ولا يحكمهم سواهم » (١٧) . وحين اراد بونابرت ان يعين قاضيا مصريا مكان القاضى العثمانى الذى ترك البلاد رفض المشايخ وأصروا على تعيين ملا زاده ابن القاضى السابق • واحرج الشيخ السادات بونابرت قائلا « انكم تقولون دائما ان الفرنساوية احباب العثمانية وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى ، فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم » (١٨)

بل ان خروج الفرنسيين من مصر أعطى العثمانيين حججا شرعية جديدة لمواصلة قهرهم للشعب المصرى • فالباشا العثمانى ارتأى أن مصر « صارت كلها ملكا للسلطان ، لان مصر قد ملكها الحربيون (الفرنسيون)وبفتحها صارت ملكا للسلطان فيحتاج ان اربابها يشترونها من الميرى ثانية » (١٩) وفى هذا يقول صاحب الخطط التوفيقية « تضاعف الكرب ، وعم الهرج ، اكثر مما كان حين قال قاضى العسكر : بأن الاملاك كافة صارت ملكا للدولة ، لان انتصارها على الفرنساوية يعد فتحا جديدا ، وعارضه فى ذلك العلماء ، وضج أصحاب الاملاك ، واكثروا الشكاوى ، حتى لم ينفذ ماقاله » (٢٠) .

وفيما يتعلق بنظام الحكم فان الهدف من اقامة المؤسسات المحلية هو حكم مصر لصالح الاستعمار الفرنسى بأكثر فاعلية • ولم يتمكن بونابرت من اخفاء هذا الهدف بل اعلنه صراحة فى تعليماته التى ارسلها الى مونج وبرتوليه القوميسيرين بالديوان العام ، اذ يقول : « ان الغرض من عقد « الديوان العام » هو تعويد الاعيان المصريين نظم المجالس الشورية والحكم • فقولوا لهم انى دعوتهم لاستشارتهم وتلقى آرائهم فيما يعود على الشعب بالسعادة والرفاهية ،وما يفكرون فى عمله ، اذا كان لهم حق الفتح الذى حزناه فى ميدان القتال » (٢١) ، أى أن بونابرت يريد ان اعضاء الديوان يحكمون مصر لا باعتبارهم ممثلين لشعبها ، ولكن كممثلين للفاتح • يريدهم أن يعملوا كما لو كانوا قد حازوا حق فتح مصر(!)

ولهذا قلنا ان اعتراض العنصر الاجنبى لمسيرة الحركة الاجتماعية الداخلية يشيع فيها الاضطراب ، فحتى قادة الثورة التقليديون ضد الظلم الداخلى يريدهم عملاء له • وتكون النتيجة هى توقف الصراع الداخلى ليبدأ الصراع الخارجى مع المستعمر ـ ويكون الانتصار لحساب القوى المتخلفة السابقة على الغزو كما رأينا •

ولكن هذا الانعطاف لايكون الا مؤقتا ، وتعود الحركة الاجتماعية الداخلية الى مسارها الطبيعى • وتبعث كل تراثها الثورى ، وتتمثل أيضا كل المبادىء والنظم التى جاء بها الوافد • وتنطلق من جديد بوعى مضاعف • ونحن نجد هذه الحصيلة فيما كتبه الامام الشرقاوى عن آثر الحملة الفرنسية ، فى الحياة المصرية • فهو اذ يلقى تبعة الهزيمة على المماليك بسبب هروبهم وهم الذين معهم وحدهم آلات القتال يقول عن « الفرنساوية » انهم « يحكمون العقل ، ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام بعقولهم ويسمونها شرائع •• ويزعمون ان الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن

---

[١٦] نشرنا وثائق هذه المؤسسات ، الطليعة ،يوليو ١٩٦٩ ، ص ١٥٨
[١٧] الجبرتى ، ٣ ص ١١ [١٨] المرجع السابق ، ص ٧٢
[١٩] الجبرتى ٣ ، ص ١٩٢
[٢٠] على مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٦٣
[٢١] الطليعة ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ ،

قوانين وضعوها بعقولهم تناسب اهل زمانهم • ولذا جعلوا فى مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب اهل البلاد بحسب عقولهم ، وكان فى ذلك رحمة بأهل مصر » (٢١ مكرر)

ولعل الاسس النظرية لتجربة نظام الحكم «غير الاسلامى » التى نهضت بها الحملة الفرنسية فى مصر كانت أمام الشيخ **عبد الرحمن الجبرتى** حين تحدث عن « الملوك وولاة الامور » فى مقدمة تاريخه ، يقول أنهم [أى الملوك وولاة الامور] « يراعون العدل والانصاف بين الناس والرعايا توصلا الى نظام المملكة ، وتوسلا الى قوام السلطنة لسلامة الناس فى أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم » ثم يضيف ان « رأس المملكة وأركانها وثبات أحوال الامة وبنيانها العدل والانصاف • سواء كانت الامة اسلامية أو غير اسلامية • فهما (أى العدل والانصاف) أس كل مملكة وبنيان كل سعادة ومكرمة » (الجزء الاول ، ص ٨ ، ٩) •

وفى بداية عرض الجبرتى لمحاكمة **سليمان الحلبى** ، يقول أنه كان قد أعرض عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم (أى الفرنسيين) فى اللغة . ولكنه اذ رأى كثيرا من الناس تتشوق الى الاطلاع عليها ، اوردها ، لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الاحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسو بهم رجل آفاقى أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأميرهم • بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول ومرة بالمعقوبة ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم وأطلقوا **مصطفى أفندى البرصلى** الخطاط حيث لم يلزمه حكم ولم يتوجه عليه قصاص كما يفهم ذلك من فحوى المسطور » ويقارن الجبرتى بين هذا النظام وما جرى عليه العمل فى دولة العثمانيين فيقول ان هذه الاجراءات هى « بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الاسلام ويزعمون أنهم مجاهدون ، وقتلهم الانفس وتجاريهم على هدم البنية الانسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضه بعد » (الجزء الثالث ص ١١٦ ، ١١٧) •

هكذا نجد من المثقفين المصريين فكرا مفتوحا وأفقا متسعا يتقبل الايجابى ، ويعقد المقارنات ، ويستخلص المبادىء العامة ، ويصل فى هذا الامر الى نقد الاوضاع الجارية ، ومواجهة من يدعون الاسلام •

طفرة فى مسار التراكم

الثورى : هبة ١٨٠٥

وهكذا فان التفتت فى جهاز السلطة والصراعات بين مختلف أجزائها ، والتجاء كل فريق للشعب لاستجدائه التأييد ، وكذا الهبات الشعبية التى كانت تحدث ضد الحاكمين ، وأيضا الاحتجاج الايديولوجى الصادر عن قيادة هذه الهبات ضد الظلم ــ يضاف الى ذلك كله الضربات التى كانت تأتى من الخارج ضد مصر ويكون من بين آثار نشاطها الاستعمارى هزيمة القوى المحتكرة للسلاح فى المجتمع •

هذا كله كان نتيجته الحتمية حدوث الثغرات فى حائط السلطة السميك ، استطاع الشعب ان ينفذ منها . فكانت وقائع سنة ١٨٠٥ التى تمثل طفرة فى مسار التراكم الثورى المصرى •

والواقع أنه اذا كان التراكم الكمى للتمردات المملوكية على السلطة العثمانية وهى التى كانت تظهر فى قيام المماليك بعزل الباشا ليعين السلطان خلفه قد أدى الى ظهور على بك الكبير فى الستينات من القرن الثامن عشر ومحاولته الاستقلال بمصر واطراح سلطة الباب العالى ــ فان التراكم الكمى لاستجداء الشعب ادى الى استطاعة الشعب مواجهة الباشا وحصاره ومحاربته وعزله • واذا كانت قيادة الثورة لم تستطع أن تصل فى حركتها الى ان تقوم بتعيين الحاكم الجديد مكان المعزول فان ذلك يعبر عن علاقات القوى وتتئذ ــ ولان هذه الهبة بدورها حدثت فى الاطار النظرى للنظام القائم ــ سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية •

لقد كانت الارضية التى قام عليها النزاع بين الطرفين طبقا لرواية الجبرتى [٢٢] هى «مجلس الشرع » اذ « ركب المشايخ الى بيت القاضى واجتمع به الكثير من المتعممين والعامة • وطلبوا من القاضى أن يرسل باحضار المتكلمين فى الدولة لمجلس الشرع » •

(٢١ مكرر) المرجع السابق

[٢٢] الطليعة ، يوليو ١٩٦٩ ، ص ١٦٠

وكان من الطبيعي اذن وهذه هي أرضية الصراع أن يرفض الباشا أن يترك مكانه بل واجه الثائرين :

« انى مولى من طرف السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ولا أنزل من القلعة الا بأمر السلطنة » •

ولكن قادة الثورة كانوا فعلا قد نصبوا محمد على واليا . « واحضروا له كركا وعليه قفطان وقام اليه السيد عمر (مكرم) والشيخ الشرقاوى فالبساه له ••• ونادوا بذلك فى المدينة » وأصبح الموقف الان صراعا بين السلطة الشرعية ويمثلها الباشا ، والسلطة الفعلية التى اقتحمت جهاز السلطة القائم وفرضت ارادتها •

كيف يمكن تبرير هذا الموقف نظريا وكيف يمكن فرضـــه عمليـــا

هنا يظهر الانجاز الحقيقى لهذه الانتفـاضة التاريخية • فمن ناحية ــ نجد المناقشة التى جرت بين مندوبى الباشا وبين قادة الثورة • فالاولون يتحدون الشعب :

« كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم ـــ وقد قال الله تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » •

فيجيبه قادة الثورة بأن أولى الامر لا يمكن أن يكون من بينهم من يسير بالجور • بل انه فى هذه الحالة يصبح الظالم من العصاة ، ويتعين عزله بل قتاله ومحاربته •

أما عمليا ــ فقد بدأ الشعب لاول مرة يحمل السلاح لفرض ارادته . « حتى ان الفقير من العامة كان يبيع ملبوسه أو يستدين ويشترى به سلاحا » وبدأ حصار القلعة بواسطة الشعب ــ حتى أنه حين تخلى بعض أجناد محمد على عن الحصار بسبب مطالبتهم بأجورهم أولا « ذهب جماعة من الرعية وتترسوا فى مواضعهم » •

وكيف انتهت هذه الجولة من الصراع الثورى ـــ هنا تكون الانتفاضة قد أفرزت كل امكانياتها . فليس ثمة « مشروع » معد مقدما لاعادة تنظيم المجتمع سياسيا واقتصاديا ، وليس ثمـــة تطلع لخلق مؤسسة يواصل من خلالها ممثلو الشعب تنفيذ ارادته •

لقد حضر مندوب السلطـــان العثمانى ، ومعه خطاب الى محمد على ليكون واليا عثمانيا على مصر •

هذا من ناحية الشرعية •

ومن حيث ان الصراع قد بدأ فـى « مجلس الشرع » •

ومن حيث ان صاحب السلطة الشرعية قد قال كلمته •

فان أولئك الذين اقتحمـوا « مجلس الشرع » وحملوا السلاح لفرض ارادتهم لم يعد لهم مكان فى اللعبة • ولهذا فان القائمين على حماية الشرعية ــ قادة الثورة ــ قد حكموا باستبعاد السلطة الفعلية الوليدة • « وركبوا الى محمد على وقالوا له : أنت صرت حاكم البلدة والرعية ليس لها مقارشة فى عزل الباشا ونزوله من القلعة ، وقد اتاك الامر فنفذه كيف شئت » •••

« فأجابهم الى ذلك •• »

وهكذا بدأ أعوان الوالى الشرعى تجريد الشعب من سلاحه • ويقدم الجبرتى رواية حزينة لمـا حدث ، وكيف ثارت نفوس الناس ورفضوا تنفيذ ما يطلب منهم ، وكيف تم التنفيذ بالقوة فـازداد الناس « قهرا » • ثم كيف انتهى الامر « ففترت همم الناس ورموا الاسلحة » وبدأوا يثورون علـى قادتهم •

وليس من شك فى أن الظروف المـوضوعية للمجتمع المصرى وقتئذ لم تكن تسمح بما هو أكثر من ذلك . على ان ثورة ١٨٠٥ تمثل تقدما حقيقيا على انتفاضة ١٧٩٥ • ففى مواجهة ابراهيم بك ومراد لم يستطع المحكومون الا الحصـــول على « حجة » ــ دون أن يتعرضوا لشـخص الحاكم • أما فى ثورة ١٨٠٥ ــ فان الشـعب استطاع مواجهة الباشا العثمانى وعزله •

وهكذا تمضى حركة الشعب مهما يكن بطئها وتعثرها •

حاكم لمصر : الموقع والطبيعة

ظهر مما سبق أن محمد على قد تولى الحكم كوال عثمانى • فهل مضى فى حكمه كما كان يسير كل وال عثمانى سابق عليه •• وفيم كان اساس الخلاف بينه وبينهم ••

منذ أن تولى الوالى الجديد الحكم ، كان على وعى بأنه « لم يتول أمر بـاشوية عثمـانية عادية » [٢٣] قال فى احد منشوراته :

(٢٣) شـفيق غربال ، محمد على الكبير ، ص ٣٤ .

« ان نيلنا لوطن عديم النظير كهذا هو من النعم الجسيمة • وعدم القيام بالسعى والاجتهاد فى عمارتها يكون عين الكفران بالنعمة وتأبى نفسى أن أكون شريكا لكم فى ذلك » [٢٤] •

ونحن نقرأ فى احدى الوثائق الدستورية التى صدرت فى عهده . ان « الاقاليم المصرية كافة معتبرة ومشمولة بعواطف نظره الشريف كدائرته الخاصة ، وان يتربى فى فضله كأولاد لهقاطنوها كبيرا كان ، او صغيرا ، رفيعا او وضيعا ... » (٢٥) •

تحدث الى بوركهارت فقال : « انى أحب مصر بكل حرارة العاشق • ولو أعطيت عشرة آلاف حياة ، لضحيت بها جميعا راضيا من اجل امتلاكها » (٢٦) •

وقد رفض بتاتا أن يحصل على ولاية أخرى غير مصر • (٢٧) •

وحين صنع خاتمه ، أحاط اسمه ببيت شعر من قصيدة البردة للبوصيرى — هو :

ومن تكن برسول الله نصرته
أن تلقه الاسد فى أجامها تجمى

ويقول دنى (٢٨) ان هذه الصيغة كانت مستخدمة بواسطة السلاطين المسلمين فى افريقيا الشمالية فى القرن الثامن عشر • وتوجد أختام بنفس الصيغة باسماء بعض بايات تونس وأشراف مراكش . وكانت هذه ولايات مستقلة . وكان محمد على يطمح فى مثل مركزها •

الجديد فى حكم محمد على أنه لم يقتصر على أن يكون حاكما للمصريين — كل همه ان يحصل منهم على الضرائب • لقد تجاوز محمد على ذلك ، واضاف اليه أن أصبح حاكما لمصر — فهو وان كانت ولايته جاءت بناء على فرمان عثمانى اثر انتفاضة تزعمها قادة الشعب التقليديون — الا انه تجاوز ذلك وجعل حكمه مستندا لا على العقيدة وحدها بل على أساس الطبيعة أيضا • لا على الايديولوجيا فقط بل على أساس الجغرافيا أيضا • لقد اتجه الى النيل ، والى الارض •

وهكذا أصبح الصراع الرئيسى أثناء حكم محمد على بين الانسان والطبيعة •

ولقد أحدث محمد على تغييرا جذريا فى الطبيعة ، واستطاع بهذا أن يخرج بشرعية جديدة مستمدة من ارتباطه بهذه الطبيعة — مصر — ، فأصبح أساس تولى السلطة بعده ليس فرمان السلطان العثمانى ، بل وراثة الحكم فى وحدة جغرافية متميزة — القطر المصرى •

ونستطيع أن نحدد المراحل التى مر بها الحكم أيام محمد على على النحو الاتى :

١ — بدأ بوسائل الحكم العثمانى التقليدية — فرض الضرائب واستخلاص أقصى ما يستطيعه من المحكومين بمختلف وسائل القهر •

٢ — ثم اتجه الى تغيير علاقات الانتاج سواء فى الارض أو الصناعة أو التجارة • ألغى الالتزام ، وأنشأ الاحتكارات • وفى هذه المرحلة صفى محمد على مصدر الشرعية التقليدية — رجال الدين •

٣ — على أن العمل الكبير الذى انجزه محمد على كان التغيير الجذرى لقوى الانتاج فى مصر • سواء بالمشروعات المائية التى قام بها ، أو بالمحاصيل الجديدة التى ادخل زراعتها فى مصر ، أو فى المصانع العديدة التى أنشأها • وأيضا بالاعتماد على قوى الانتاج البشرية المحلية — المصريين أنفسهم •

وهنا لابد من ملاحظتين :

الاولى — أن محمد على لم يتمكن من القيام بعمله الا بعد أن صفى جميع عناصر المقاومة لحكمه ، التى كانت فى نفس الوقت هى العقبات فى طريق الحكم المركزى • وانفراده بحكم البلاد كلها — سواء كانت مقاومة مادية مصدرها المماليك ، أو شرعية مصدرها القيادات الدينية • وهنا ترد ملاحظة رفاعة التى اشرنا اليها فيما سبق •

الثانية — كان مما يهم محمد عليا بعد اذ تسلم أزمة الحكم الاحتفاظ بها حتى النهاية •• وكان يرى انه لابد من أجل الاحتفاظ بسلطانه من جيش قوى منظم لاعلى الاساليب التركية .. بل جيشا خاضعا للقوانين والنظام .. فالغرض الاول الذى قرطس محمد على سهمه فيه ، انما هو احتياز زمام

---

(٢٤) المرجع السابق ص ٦٦
(٢٥) الطليعة ، أغسطس ١٩٦٩ ، ص ١٦١
(٢٦) اوردها Valentine Chirol, The Egyptian Problem, London, 1920, p. 19.
(٢٧) محمد فؤاد شكرى ، مصر من مطلع القرن التاسع عشر الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٨٥٤
[٢٨] J. Denv. Sommaire des Archives Turques au Caire, Le Caire, 1930, p. 89.

السلطة والحكم • فلما تم له ذلك رمق غرضا ثانيا وهو ضمان بقاء ذلك الزمام بيده • ولقد ظهرت كفاءته واضحة فى أجلى مظاهرها باختياره انجع الوسائل لاصابة الغرض الانف الذكر الا وهو تنظيم جيوشه طبقا للاساليب الحديثة » (٢٩) •

ومن أجل الجيش كرس محمد على كل جهوده « ومن ثم يرى آن الجيش وما يرتبط به من الفروع العديدة هما اللذان دفعا بمصر فى تيار حركة المدنية التى ما برحت تسوقها الى الامام حتى اليوم •• ومن المستطاع القول بأنه هو الذى كان الباعث على ما شاهدته مصر من اطوار التقدم خلال السنوات الاخيرة » (٣٠) •

كيف عبرت الوثائق الدستورية التى أصدرها محمد على عن هذا كله ؟

أول كل شيء ــ نحن لا نكاد نجد وثيقة دستورية مكتوبة وواضحة المعالم قبل الامر الكريم الصادر من الجناب الخديوى فى ٥ ربيع الثانى سنة ١٢٤٠ هجرية (٢٧ نوفمبر ١٨٢٤) الى البيك الكتخدا فى شأن تأسيس المجلس العالى وطريقة منـاقشاته وحسن معاملة أعضائه • (٣١)

ونحن نعلم أن محمد على تولى الحكم عام ١٨٠٥ ، أى أنه قد أمضى مايزيد عن ١٩ عاما قبل اصدار هذه الوثيقة • فى هذه الفترة كما رأينا تمت تصفية القوى التقليدية المناوئة له وضمن لنفسه سلطة مركزية لا منافس له فيها • وفى نفس الوقت بدأت قوى الانتاج الجديدة فى الظهور ، وأصبح من الضرورى أن تجد لها مكانا فى جهاز الحكم ــ مهما يكن هذا المكان ضئيلا ، لانه يتناسب مع حجمها الناشيء • ولقد أخذ محمد على يستكمل هـذا الوضع خلال الوثائق التى صدرت بعد ١٨٢٤ وحتى صدور قانون السياستنامة عام ١٨٣٧ •

فى هذه الوثائق نجد الطبيعة المزدوجة للوثيقة الدستورية :

أولا : كتسجيل لنتيجة الصراع حول السلطة وتعبير عن القوة السائدة بعد أن وصل مسار الصراع الى مرحلة توازن فرضت خلاله العلاقات التى تكونت حديثا نفسها • أى أننا نجد فى هذه الوثائق السلطة المطلقة لمحمد على فى حكم مصر حكما مركزيا • فهذه هى نتيجة الصراع وبها تحقق « السكون » والتوازن فى المجتمع • وواضح أن السكون والتوازن تحققا لا بسبب صعود طبقة اقتصادية مكان اخرى ، بل لان فردا صفى جميع المناوئين له • ولذا جاءت الوثائق تعبر عن سلطة هذا الفرد •

ثانيا : كبرنامج للتطور المقبـل ، بـه ينفتـح الطريق أمام قوى اجتماعية جديدة لتظهر على مسرح السلطة . هذه القوى الجـديدة هـى المصريون . ونحن نجد فى مختلف اوامره ولوائحه ومنشوراته الخاصة بالمجالس التى انشـأها ما يكشف عن رغبته فى تكوين العمال الصالحين للعمل فى شتى دوائر الحكومة ينفذون خططه • ولذلك كانت اوامره تحمل طابع النصح أو الزجر أو التهديد ، وقصد بها الى التعليم والتهذيب . وتكوين الموظف الكفء • ان المجالس التى أنشأها « لم تكن مجرد هيئات ادارية للمعاونة فى تسيير دفة الحكم وانما كانت مدارس لاعداد المعلمين والمـوظفين والمواطنين المستنيرين بتعويدهم على منـاقشة المسائل والاضطلاع بالمسئوليات • » (٣٢)

طبقا للائحة المجلس العالى الصادرة فى ١٨٢٤ كان المجلس يتكون من ٢٤ مأمورا ويرأسه **محمد بك لاظ أوغلى** صاحب التمثال المعروف باسمه • وفى ١٨٢٦ أضيف الى أعضاء المجلس شيخان عن كل اقليم « من ذوى الحمية ممن يفهمـون الكـلام ويتقنون العمل ••• للتذاكر معهم فى مصـالح الاقاليم » وبذلك ارتفع اعضاء المجلس الى ٧٢ عضوا • وعهد الى حكام الاقاليم باختيار هؤلاء المشايخ •

وفى سنة ١٨٢٩ أعيد تشكيل المجلس مرة أخرى فصار يضم أعضاء معينين بحكم وظائفهم وهم مأمور الاقاليم وعددهم ٢٤ وأعضاء يعينهم محمد على وعددهم ٣٣ وكذلك ٩٩ شيخا يمثلون قرى القطر ومدنه المختلفة [٣٢ مكرر] ».

---

[٢٩] كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ٢ ، ص ٢٦٤

[٣٠] المرجع السابق ، ص ٢٦٥ و ٣١٢

[٣١] الطليعة ، اغسطس ١٩٦٩ ، ص ١٥٨

[٣٢] احمد عزت عبد الكريم عصر محمد على ، فى المجمل فى التاريخ المصرى نشره د. حسن ابراهيم حسن القاهرة ١٩٤٢ ص ٣١٠

[٣٢ مكرر] عبد الفتاح حسن ، ترتيب الادارة العامة والرقابة على اعمالها فى مصر خـلال الفترة مـابين ١٧٩٨ و ١٨٧٥ ، مذكرات غير مطبوعة ١٩٦٦/١٩٦٧ ، ص ١١٧ وما بعدها وهذه المذكرات دراسة جادة لهذا الموضـوع جـديرة بالاهتمام والنشر ».

وفى أول أغسطس ١٨٣٤ صدرت لائحة ترتيب المجلس العالى • وطبقا لها أصبح المجلس يضم « بعض رجال الاقاليم المنتخبين » وبناء على ذلك صار « على كل مديرية أن توفد الى المجلس العالى شيخا ينتخب من قبل الاهالى على أن يستبدل هؤلاء الشيوخ بغيرهم مرة فى كل سنة بنفس الطريقة (بالانتخاب) » •

وكذلك صار المجلس يضم عالمين من علماء مصر ، لان هنالك قضايا يمارسها المجلس العالى تتعلق بحقوق عباد الله ، وبعض هذه القضايا من اختصاص الشرع الشريف • ويتم انتخاب العالمين بمعرفة كبار العلماء • ويستبدلان بغيرهما مرة فى كل سنة •

ولما كانت بعض القضايا التى تعرض على المجلس تختص بالمشتريات والتجارة فان الامر يستدعى وجود تاجرين بالمجلس لرؤية مثل هذه القضايا • ويتم انتخابهما مثل العالمين •

ولابد للمجلس من كاتبين ملمين بالاعمال الحسابية ليعهد اليهما فى رؤية الحسابات • كما يجب أن يعين للمجلس العالى بعض المعاونين لاستخدامهم فى تحقيق المواد التى تستوجب التحقيق •

وهكذا صدرت الاوامر الى مديرى الاقاليم قبلى وبحرى ، والى الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر ، والى سرتجار ، والى باقى بك — وذلك لانتخاب الاعضاء الذين يمثلون الاقاليم ، والعلماء ، والتجار والكتبة — على التوالى •

وواضح من هذه التعديلات المتتابعة أن الصفة التمثيلية لاعضاء المجلس كانت تتأكد أكثر فأكثر ، بحيث أن المصريين أصبح لهم رأى فى شئون بلادهم •

كيف يمكن تفسير هذا التطور فى ظل حاكم مركزى له سلطات مطلقة ؟

الواقع ان صراع الانسان والطبيعة تغيرت أشكاله عبر العصور • ففى العصور الاولى ، كان فرعون وهو يعبىء المصريين على مستوى الوطن كله من اجل تحويل مجرى النيل أو القيام بمختلف الاعمال المائية أو أعمال العمارة الضخمة — لا يتطلب من كل منهم — بعد أن قام الكهنة والفنيون بجميع الاعمال الحسابية وأعدوا التصميمات — الا الخضوع المطلق والقيام بأبسط الاعمال من حفر للارض الى حمل للاحجار الى فتح المجارى للمياه • ومع تعقد أساليب التحكم فى الطبيعة ، صار من المتعين أن يكون للعامل حتى فى الدرجات الدنيا من العمل ، مقدرة على الفهم والنشاط العقلى والمبادرة • خصوصا اذا كان يتعامل مع الالة ، أو مع أشياء جديدة ليست له بها سابق خبرة — كالمحاصيل الجديدة مثلا • والامر لا يختلف بالنسبة للجنود فى الجيش ، فالاسلحة لم تعد فى البساطة الاولى ، وأساليب القتال تعقدت •

واذن فلم يعد من الممكن تجاهل موقف المحكومين ، لم يعد يكفى للوصول الى النتيجة المطلوبة صدور أمر من الحاكم واثقا من أن رأى من يوجه اليهم ، ومبادراتهم الذاتية تأتى فى المحل الثانى • بل صار من المتعين ضمان رضا هؤلاء بما يطلب اليهم عمله ، وتجاوبهم مع الالات والمحاصيل والاسلحة التى توضع بين أيديهم • ومن هنا ضرورة دعوة ممثلى المحكومين الى مجالس الحكم ومناقشة الامور معهم • وهؤلاء الممثلون سينقلون ما يتعلمونه الى القاعدة العريضة ، كما انهم بالضرورة لابد وأنهم سيتعرضون لاراء هذه القاعدة أثناء مداولاتهم — بشكل أو آخر وبحسب ماتسمح به الظروف • هذا كله لابد وأن يساعد فى تخفيف حدة التوتر الناشىء من ادخال أساليب الحياة الجديدة فى البلاد ، واستحداث علاقات للانتاج لم يألفوها ، ومع نشر التعليم وسياسة الاستعانة بالمصريين فى مختلف الوظائف والاعتماد عليهم فى كل نواحى النشاط فى الدولة ، وتطبيق أحكام التجنيد الاجبارى — يضاف الى ذلك كله الاخطار الخارجية التى كان يتعرض لها محمد على سواء أثناء حملاته العسكرية فى مختلف البلاد ، أو من جانب الباب العالى أو الدول الاجنبية • ولقد حدثت فى مختلف بلاد القطر اضطرابات عديدة وقامت فى وجه نظمه الجديدة هبات شعبية فى مختلف بلاد القطر • الامر الذى أكد عدم امكان تجاهل رأى الشعب مهما تكن سلطة الحاكم مطلقة ، ومهما كانت طبيعة هذه السلطة فى مجتمع يعتمد على نهر كبير • وغنى عن البيان أن محمد على هو خير من يعرف دور الشعب وامكانيات قوته فى مجرى الحياة القاسية للبلاد — فلقد شاهد وشارك فى الهبة الشعبية التى اجلسته فى مركز الحاكم • ولهذا فمن غير المتصور أن يتجاهل — مع التقدم المادى — القوة البشرية •

هكذا يمضى الجدل بين الانسان والطبيعة فى أحشاء نظام الانتاج المائى • ومن خلال ذلك تمضى حركة المجتمع وتتغير قوى وعلاقات الانتاج والبناء الفوقى فيه •

توجيهات للتشجيع على ابداء الرأى

وفى الوثائق المنشورة يفصح محمد على عن رغبته الشديدة فى تشجيع أعضاء المجلس على ابداء آرائهم والمشاركة فى تفهم متطلبات الجديد الذى يقتحم الحياة المصرية ــ ففى جمادى الاخرة سنة ١٢٤٤ [١٨٢٩] تنشر الوقائع المصرية مايلى :

« ان سعادة أفندينا ولى النعم صاحب العظمة والهمم ، من غزل رأيه وروتبه منصرف فى حبك كل أجزا مصالح البلاد والعباد ومراحمه وعدله عم كل قطر وناد بحيث أن جواهر أفكاره مصروفة من كل جهة الى تحصيل عمار البلاد وتسهيل أمور الناس ومقصودة بالاجتهاد أن يقف على حالة سكان القرى والبلدان الداخلة فى حوزة الحكم والتصرف **ويبين لهم شغل اصناف المزروعات كالقطن والنيله وباقى أجناس الحبوب التى يصدر من زراعتها الخير والبركة** ويحث ويرغب من يسعى بحسب قوانينه المرغوبة ويعلن طريق الصواب بالنصايح المناسبة لمن هو متغافل عن ذلك ويجعل العاجزين آمنين من تسلط الاقويا عليهم • النتيجة أن تكون الاقاليم المصرية كافة معتبرة ومشمولة بعواطف نظره الشريف كدائرته الخاصة وأن يتربى فى فضله كأولاد له قاطنوها كبيرا كان أو صغيرا رفيعا أو وضيعا تربية بها يصيرون بصيرين بأمــورهم ومطلعين على حال حظائهم واستقامتهم • » (٣٣)

وتتضمن الوثائق الخاصة بالمجلس ايضا تنبيهات مشددة الى رئيسه بضرورة افساح المجال لكل عضو كى يبدى رأيه •

« كن فى كل خطيرة وحقيرة من المسائل التى تقضى الاصول ببحثها فى المجلس حريصا على أن تحيلها برمتها على أعضاء المجلس ، مفوضا اليهم وحدهم أن يتصرفوا فيها حلا وعقدا ، وفتقا ورتقا ، ومتوقيا أن تسوق فيها حرفا واحدا من الكلام قبل أن يبلغ المجلس من بحثها الختام ومتوخيا الدقة فى التزام الانصات لهم اذكاء لشوق المتكلمين منهم • حتى اذا فرغ المجلس من تمحيصهـــا ، ورئيت الحاجة ماسة الى التكلم فيها فاياك أن تنسب الكلام الى نفسك ، بل انظر ، فأى الاعضـــاء كان فى ملاحظته مصيبا فاليه وجه خطابك قائلا : ان رأيى أنا الاخر موافق لرأيك • وانى لاراك قد أحسنت التدبير وأجدت التقرير • ثم تناول من قوله ماكان مبهما فاخلع عليه بالنيابة عنه حلة من البيان وما كان مجملا فأوضحه على لسانه حتى تجلوه للعيان لئلا يطرأ على همته فتور ولا يتطرق الى نشاطه وهن أو قصور • ولتوفى كل امر حقه من تداول الرأى والملاحظة وتبلغ به غاية المقدور من البحث والمناقشة ، وليحط اعضاء المجلس فى اثنـــاء المناقشة وينعموا بمرتبة من الحرية والترخيص تضـــطرهم الى ابداء آرائهــم فى غير مبـــالاة والادلاء بثمرة تدبيراتهم بدون ممالاة ولا محاباة ذلك لان اضطرارهم هذا يستوجب منهم الاهتمام بالمناقشة المحولة على عهدتهم ، فيعيرون هــذه المناقشة صميم عنايتهم ، كما يستنجز تسويتهم لكل أمر من الامور الموكول اليهم تسويتها فيقدمون هذه التسوية بموجب ماتفضى اليه المناقشة »

هذا نموذج لما تضمنته الوثائق الدستورية • وتعطى دراسة الوثائق فى كل ماتضمنته مــن تفاصيل لنظام الجلسات صورة واضحة عــن الخطوات الاولى فى تاريخ مشاركة المصريين بواسطة ممثليهم فى مؤسسات الادارة والحكم •

الايديولوجية الليبرالية :

رفاعة الطهطاوى

وقد صاحب هـــذه الانظمـــة شــبه الديمقراطية ــ انفتاح على الفكر الليبرالى ، عن طريق البعثات التى كان يرسلها محمد على الى فرنسا ، وفيها يقتربون من انجازات الثورة الفرنســـية فى مختلف المجـــالات الفكريـــة والسياسية ــ حتى اذا عاد اعضاء هذه البعثات نشروا أفكارهم وعلموها لتلاميذهم • والمثل البارز فى هذا الصدد هو **رفاعة رافع الطهطاوى** • الذى كانت فلسفته تقوم على ثلاثة اركان : الحرية والقومية والزمنية أو ما يسمونه تقليديا بالعلمانية ، وهو يقدم خلاصة مخالطته للفرنسيين فى « **تخليص الابريز** » حوالى سنة ١٨٣٠ ، ويترجم الدستور الفرنسى ليقرأه المصريون • ويقدم لهم الدروس فى النظم والمذاهب السياسية ، وفى تاريخ الثورات الكبرى وأسبابها ، ودعا دعوة واضحة منظمة للفلســـفة الليبرالية ، او مـــا كان يســـميه

(٣٣) الطليعة ، اغسطس ١٩٦٩ ، ص١٦١ . وانظر ايضا الوثيقة المؤرخــة ٧ ربيع الاخــر ١٢٤٦ ــ انعقاد المجلس العمومى]

[٣٤] لويس عوض ، المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث ، الفكر السياسى والاجتماعى ــ معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣ ص ١٢٢ وما بعدهــا .

مذهب « الحريين » ويشرح أركانها نظريا وعمليا (٣٤) .

قرارات استشارية

وكانت قرارات المجلس العالى استشارية بحيث ان الرأى الاخير هو « لصاحب الدولة ولى النعم » فنتيجة المناقشة فى المجلس « تعرض على العتبات الخديوية فما تتعلق الارادة السامية به فهو الذى يجب التزامه والعمل بموجبه ... مهما تكن النتيجة التى يؤول اليها بحثها والقرار الذى يتخذ بشأنها ، فان الواجب يقضى بأن تناط بصدور ارادة ولى النعم ، فلا تعلن ولا تذاع قبل رفعها الى عتبات عنايته والاستئذان فيها من على سدته » وطبقا لما جاء فى التعليمات السنية المشتملة على أصول آداب المجلس العالى اذا صدر قرار من « ولى النعم » باستخدام احد فى المصالح « فلا يعارض ، لان الكبراء وغيرهم تحت حكم سعادته وهو يعلم النفع والضرر الحاصل ، وصاحب البيت أدرى بالذى فيه » .

وهكذا فان المبدأين اللذين كان يسير عليهما فى عمله حاكما هو (أولا) أن كل مسألة لابد أن تبحث فى مجلس ويؤخذ بشأنها الرأى فيه ، و (ثانيا) ان المرجع الاخير يكون له ، فهو يجمع السلطة المطلقة لامضاء أى رأى (٣٥) .

والحقيقة أنه ما كان من الممكن أن تظهر فى مصر دفعة واحدة مؤسسات نيابية تلزم الحاكم برأيها . فهذا مما يتعارض مع طبيعة المجتمع النهرى ذى السلطة المركزية ـ حيث لا توجد طبقات تمثل محاور أخرى للسلطة السياسية أو الاقتصادية كما كان الشأن فى المدن الاوربية ازاء الاقطاع فى العصور الوسطى . ولهذا ظلت سلطة الحاكم هى العليا ، وتميزه عن المحكومين واضحا . بل انه هو مصدر تميز هؤلاء الاعضاء الذين يضمهم المجلس شبه النيابى . فالتعليمات السنية توجب (أولا) على كل المنتخبين الذين هم أهل للمجلس أن يوفوا ما يجب عليهم من الشكر لله على نعمه التى حازوها باكتسابهم الجاه والشرف وبتميزهم عن سائر الناس ، حيث انهم صاروا أهلا لذلك فى ظل أيام سعادة أفندينا . (ثانيا) ينبغى لهم أن يسعوا فى تحصيل رضا أوامر ولى النعم الذى هو سبب لشرفهم وينقادوا بكل امتثال لانفاذ ارادته السنية » .

تغير الظروف

ولهذا فليس غريبا بعد أن تغيرت الظروف المحلية والدولية ـ سواء من ناحية الباب العالى أو الدول الاجنبية ـ أن يعدل محمد على فى نظام الحكم .

ففى مصر لم تكن سياسته الزراعية قد حققت نجاحا كبيرا ، اذ هجر الفلاحون قدرا كبيرا من الارض بسبب ضرائبه الباهظة ، وادى ارتفاع الضرائب الى اعسار عدد كبير من القرى التى لم تستطع ملاحقة الضرائب الجارية والمتأخرات المتراكمة . ومن ناحية أخرى فان محمد على قد عانى الكثير من الازمة الاقتصادية العالمية التى نشبت عام ١٨٣٦ واتجه الى خفض نفقات الحكومة . ومن ناحية ثالثة فان ضغوط الدول الاجنبية على الباب العالى لكى يسمح بالتجارة الحرة قد ادت الى عقد معاهدة ١٨٣٨ التجارية التى كانت تهدف الى الغاء الاحتكار فى كل ولايات الامبراطورية العثمانية .

لهذه الاسباب جميعا اتجه محمد على الى منح الارض لاتباعه ، وعلى هؤلاء أن يتحملوا مسئوليات نفقات ادارة القرى ، يضاف الى ذلك انه لما كان كثير منهم ضباطا فى الجيش وموظفين كبارا فى الحكومة فقد استطاع محمد على أن يوفر تكاليف رواتبهم ومعاشاتهم بمنحهم ضياعا . كما انه واجه الغاء الاحتكار وتحايل عليه بمنح الارض لاتباعه الذين سعوا لارضائه فلم يمنعوا عنه محصول ضياعهم الذى كان يأخذه بالثمن الذى يراه . (٣٦)

وهكذا نجد اوضاعا تخالف تماما الاوضاع السابقة على ١٨٢٤ ، والسنوات التالية لها وهى التى شهدت تطور النظام شبه التمثيلى الذى سنه محمد على للمجلس العالى . ففى مقابل « فترة التفاؤل التى امتدت طيلة العشرينات » (٣٧) ومرحلة الانتصارات التالية لها ـ خصوصا اتفاق كوتاهية سنة ١٨٣٣ الذى قضى بأن يتخلى السلطان لمحمد على عن سورية واقليم ادنة مع تثبيته على مصر وجزيرة كريت والحجاز ـ فى مقابل هذا التنازل ، وتلك الانتصارات التى فى ظلها صدر

---

[٣٥] دنى ، المرجع السابق ، ص ٣٣
[٣٦] ريفلين ، المرجع السابق ، ص ٩١ وما بعدها
[٣٧] المرجع السابق ، ص ١٢٤.

تعديل ١٨٣٤ سالفة الذكر ، نجد أن هذه الموجة بدأت تنحسر • وأخذت الدول تضيق الخناق على محمد على وتجهد لحصر نفوذه وتحطيم عمله • فاذا اضفنا الى ذلك أن الثورات بدأت في سوريا ضد الحكم المصرى وخلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر تتابعت الاضطرابات هناك سنة بعد اخرى حتى بلغت ذروتها عام ١٨٣٧ وتكبد الجيش المصرى في اخمادها خسائر فادحة •

في هذا المناخ الذى تتراكم فيه المشاكل وتتعقد ، لم يستطع محمد على أن يواصل السير بنظامه الدستورى والادارى ، ولم يكن من الممكن ان تستمر المجالس مدارس لاعداد الموظفين بتعويدهم على مناقشة المسائل والاضطلاع بالمسئوليات •

قانون السياستنامة

وهكذا صدر قانون السياستنامة في يوليو ١٨٣٧ ، وفيه نجد تراجعا صريحا عن النظام شبه الديموقراطى ، وشبه التمثيلى الذى تضمنته اللوائح التى صدرت بتنظيم المجلس العالى منذ عام ١٨٢٤ ، وفي مقدمة هذا القانون اشارة الى ضرورة أن تكون قوانين كل دولة موافقة لطبيعة اهلها وأخلاقهم ودرجة تربيتهم • ويوجه القانون بعد ذلك النقد لطريقة تصريف الشئون المصلحية « على يد الهيئات والجماعات » وكيف أن هذه المجالس امتد عملها فشمل « ما لا تجب فيه مباحثة ولا مشاورة من معتاد الشئون •• وهو ما عرقل الاعمال النافعة بقيود التأخير وأغلال التعويق » • ثم يوضح القانون كيف ان العمل عن طريق المجالس ادى أيضا الى عدم امكان حصر المسئولية لان كل واحد من عبيد « الجناب الخديوى الموظفين » كان يتراخى باتكائه على المجالس في انجاز عمله ، وينسل من تحت عبء التبعية بدعوى أنه عرض كل شيء على المجلس وانه ما كان يتلقى القرار الصادر حتى صدع به وعمل بمقتضاه » •

هذا فضلا عن أن المجالس كانت تستهلك جزءا كبيرا من الايرادات لان « ما تقدم شرحه من الشئون المعتادة والمقننة قد أدى الى امتلاء المجالس المذكورة بطائفة من الكتبة والمقيدين والمبيضين والمترجمين ، وملخصى القرارات والكشاف والمعاونين والى اعطاء كل أولئك مرتبات شهرية ضخمة » •

لهذه الاسباب جميعا عدل محمد على عن النظام شبه التمثيلى • واقام بدلا منه نظاما اداريا بحتا ، يركز العمل في الدواوين • وصدر بذلك قانون السياستنامة الذى نظم الدواوين واوضح اختصاصاتها وفروعها ومصروفاتها • والعلاقة بينها وبين الباشا • والغى نظام المجالس وظل قانون السياستنامة معمولا به طوال المدة التالية من عهد محمد على •

الافكار السان سيمونيه

واذا كنا قد رأينا أن الايديولوجية الليبرالية التى نشر مفاهيمها رفاعة الطهطاوى هى التى صاحبت التجربة شبه الديمقراطية ـ فان العدول عن هذه التجربة الى الدواوين الادارية صاحبته ايديولوجية اتباع سان سيمون في مصر • فهؤلاء وفدوا الى مصر خلال ثلاثينات القرن التاسع عشر • وكان زعيمهم انفانتان اثناء وجوده في السجن بباريس عام ١٨٣٢ قد استلهم الوحى في أرض جديدة ـ وتمثلت له مصر تحت حكم فردى يمارس فيها محمد على دور الديكتاتور المستنير الذى يحلمون به . وهكذا يحضر انفانتان الى مصر ومعه خمسة وخمسون من اتباع سان سيمون بينهم مهندسون واطباء وكتاب وفنانون وزراع وصناع واخذوا ينفذون كثيرا من المشاريع ويقيمون عددا من المدارس العليا (٣٨) • ولم تكن افكار هذا المذهب غريبة عن بعض المصريين الذين أوفدهم محمد على الى فرنسا وعادوا ليتولوا المناصب في مختلف المجالات (٣٩) •

وتنادى هذه المدرسة بأن المجتمع يجب أن ينظم بواسطة الصناعيين ، دون أن يكون في كل ذلك أى عنصر ديمقراطى • وكان رأى سان سيمون أن الزعماء الطبيعيين للفقراء العاملين هم كبار رجال الصناعة • ولم يكن يؤمن بالافكار التى تمجد حقوق الفرد أو حرياته • وظهر السان سيمونيون دعاة لنظام تكنوقراطى شامل واظهروا ازدراء بالغا بجهاز الديمقراطية البرلمانية وقالوا ان الزعيم الكفء حقيقة وهو الرجل الذى يفهم عملية الانتاج ولديه القدرة على ادارتها لا ينتظر حتى تنتخبه جمهرة من الجهلاء • انه يختار نفسه • وازدروا بصيحات الحرية وارتأوا فيها مجرد الفوضى تحمل اسما خداعا • وكانوا يهدفون الى أن تحل الادارة الاقتصادية محل الحكم السياسى (٤٠) •

---

[٣٨] محمد طلعت عيسى ، اتباع سان سيمون : فلسفتهم الاجتماعية وتطبيقها في مصر
محمد طلعت عيسى ، الاشتراكية العربية والاشتراكيات العالمية ، ص ١٠٧
[٣٩] كامل زهيرى ، السان سيمونية في مصر . هل كان محمد مظهر سان سيمونيا ؟ ، الهلال ، مارس ١٩٦٩
[٤٠] ج.هـ. كول ، تاريخ الفكر الاشتراكى ، الرواد الاول [١٧٨٠ ـ ١٨٥٠] ترجمة عبدالكريم احمد : ص ٦٠ وما بعدها

ونحن نجد هذه الفلسفة تقف وراء التعديل الذى اجراه محمد على سنة ١٨٣٧ ، وتفسير الاحكام التى جاء بها فى قانون السياستنامة ٠

لصالح من كان يحكم ؟

يقول رفاعة الطهطاوى وهو يكتب عن «مناقب جنتمكان محمد الاسم على الشان وأنه نادرة عصره ومحيى مآثر مصره والمقابلة بينه وبين عدة من مشاهير ملوك الاعصر القريبة » انه كان « قوى الفطنة سريع الادراك ٠٠٠ تعلم القراءة والكتابة فى أقرب وقت وعمره خمس واربعون سنة اذ ذاك جبرا لما فاته فى زمن الصغر وتداركا لما يزيد فى مجده فى زمن الكبر ، فرغب فى مطالعة التواريخ ولاسيما تواريخ الفاتحين كتاريخ اسكندر الاكبر المقدونى ، وتاريخ بطرس الاكبر امبراطور الروس اى الموسكو ، وتاريخ نابليون الاكبر ٠٠ » (٤١)

واذا كانت صورة **الاسكندر** دائما هى الرؤيا التقليدية التى تبهر أحلام الراغبين فى بناء الامبراطوريات ــ فان المقارنة بين عمل محمد على **وبطرس الاكبر** من ناحية وبينه وبين **نابليون** من ناحية أخرى تكشف الخصائص التى تميز عمله فى مصر ٠

لقد كان كل ما أتمته الحملة الفرنسية فى مصر ، ومشروعاتها التى لم تتحقق أمام محمد على عن طريق الفرنسيين الذين شاركوا فى الحملة وجاءوا بعد ذلك يضعون خبرتهم فى خدمته ٠

ولكن محمد على كان يعمل فى اطار مجتمع يخالف تماما المجتمع الذى قامت فيه الثورة الفرنسية ومنه خرج بونابرت ٠ فهنا كانت طبقة اقتصادية قد فرضت وجودها وواجهت الاقطاع وحازت السيطرة الاقتصادية ، ثم قامت الثورة لتحصل على السلطة السياسية . أما فى مصر فقد رأينا ان تطور المجتمع لم يسمح بنشوء مثل هذه الطبقة ٠ ولذلك فان محمد على كان يرى ــ وهو فى هذا يتفق مع رأى بونابرت نفسه كما عرضه كلوت بك (٤٢) ، ان البناء الاقتصادى الحكومى يمكن ان يحقق فى مصر ما كانت تحققه الرأسمالية الفردية فى أوربا (٤٢ مكرر) ٠ وهكذا يتضح الفارق الكبير بين محمد على ونابليون بونابرت ٠

أما بالنسبة **لبطرس الاكبر** فان اصلاحاته الاجتماعية أدت الى تقوية الاوضاع الاقتصادية والسياسية للارستقراطية الاقطاعية الروسية ولطبقة التجار ٠ واثناء حكمه منح الملاك القرديون ٠٠٠ر١٨٠ قنا ليستخدموهم فى مزارعهم ٠ وكان الكثيرون من هؤلاء الاقنان يخدمون الدولة أو الملك من قبل ٠ وانتشرت الملكية الاقطاعية فى مختلف انحاء روسيا ، وفى سنة ١٧١٤ اصبحت املاك النبلاء وراثية ٠ ولقد عمم نظام الاقنان من الزراعة الى الصناعة ، واصبح العمال ملحقين بالمصانع بنفس الاوضاع التى كانوا يلحقون فيها بالاقطاعيين ، فلا يستطيعون منها فكاكا ٠ وهكذا لم تغير اصلاحات بطرس الاكبر العلاقات الاجتماعية فى روسيا ، بل ظلت بلادا اقطاعية ــ الا أن انشاء الصناعة الكبيرة ، وتدعيم السوق الوطنى وازدهار التجارة الخارجية ذلك كله ساهم فى تحقيق الشروط اللازمة للنمو المقبل فى العلاقات الرأسمالية (٤٣) ٠

وتختلف دولة محمد على عن دولة بطرس الاكبر فى ان الاول صفى الاقطاع ، وانهى الالتزام ، ولم يعد الفلاحون اقنانا بل زالت عنهم سلطة الملتزمين ، حتى ان الواحد من هؤلاء حين كان يطلب من أحد اتباعه ان يقوم بالاعمال الزراعية كان يجيبه : « روح انظر غيرى أنا مشغول فى شغلى ٠ انتم ايش بقالكم فى البلاد ، قد انقضت ايامكم ٠ احنا صرنا فلاحين الباشا » (٤٤) ٠

من هذه المقارنة بين محمد على وكلا من نابليون بونابرت وبطرس الاكبر تتضح ضخامة الجهاز الحكومى الذى انشأه ٠

هذا الجهاز لم يكن يعبر عن مصالح طبقة ما ــ سواء كانت اقطاعية أو بورجوازية ٠

ولكنه ايضا لم يكن يعبر عن مصالح جماهير الشعب ٠ لقد رأينا ان الجيش كان نقطة البداية فى كل جهوده ، والهدف الاخير من جميع اصلاحاته ٠ واهمية الجيش تأتى من انه كان الوسيلة التى بها يستطيع ان يحتفظ بالولاية التى آلت اليه ، ولتدوم له « كدائرته الخاصة » ٠ ولقد كرس من أجل هذا الهدف كل امكانياته ، وحفز اصدقاءه الاوروبيين على أن يتبنوا وجهة نظره هذه . **والمطالع لكتاب كلوت بك ، يجد أن الفكرة الرئيسية التى تتردد فى نهاية كل فصل ــ هى ان حل جميع مشاكل مصر والمصريين هى فى ضمان حق محمد على واسرته فى حكم مصر** ٠

---

[٤١] مناهج الالباب ، ص ١٢٧

[٤٢] لمحة عامة الى مصر ، ص ٢٧٥ و ٦٩٧

[٤٢ مكرر] Jean Durcruet, Les Capitaux Européens au ProcheOrient, Paris, 1964, plears.

[٤٣] A Short History of the U.S.S.R. p.157 - 163.

[٤٤] الجبرتى ٤ ، ص ٢٠٧

فبالنسبة للفلاح : سيظل الحيف ملازما اياه اذا لم يصادق في القريب العاجل على المركز السياسي الذى آل الى محمد علي واسرته ويزول بلا شك اذا سويت هذه المسالة التى يرتبط بها اما البقاء واما الموت (٤٥) .

وفيما يتعلق بالضرائب ، لابد ان محمد علي سيقضي على كل اثر للحيف والظلم في الانظمة الحالية اذا ما انتهى من ارساء قواعد اسرته واعطاء مصر كيانها السياسى الذى لا قوام لها الا به (٤٦) .

وبخصوص تجنيد الشبان ، فان محمد علي بمجرد أن تزول الدواعى لوجود جيش كبير وقلت حاجته الى الجنود فلا جدال فى أنه سيخضع للتجنيد اسلوبا يجعل قوامه النظام والانصاف (٤٧) .

أما التجديد فى أساليب الزراعة فممكن تماما متى اتيح لسمو الوالى التفرغ التام لتوسيع نطاق الموارد السلمية فى مصر التى مازال مضطرا الى تعزيز قوتها الحربية . بحكم الظروف والمؤثرات السياسية (٤٨) .

ومن وجهة النظر التجارية ـ فانه ليس كمصر قطر جدير بأن تكون له حكومة ذات ادارة مستقلة (٤٩)

ولقد كان عدم تسوية المسائل السياسية هو السبب فى عدم اتمام محمد علي لمشروع القناطر الخيرية . وبمجرد ان تتحقق رايات السلام فانه يستأنف العمل وينجزه على خير ماتستلزمه مصالح البلاد (٥٠) .

وخصص كلوب بك الباب الرابع عشر لشرح « مركز مصر حيال اوروبا » . وفيه اوضح كيف ان قيام دولة تشمل مصر وسوريا وبلاد العرب وسنار وهي الدولة الغربية هو مما يتفق والاوضاع الجغرافية . وايجاد هذه الدولة يتحقق ليس فقط لمصلحة الباب العالى بل لمصلحة اوروبا ايضا . كما أن مماكسة محمد علي على ما يطالب به من الامتيازات لنفسه ذهاب الى تدمير قوته ورضى بخضد شوكته بل انحياز ظاهر الى جانب الهمجية ضد المدنية (٥١) .

انهيار بناء محمد علي

ولكن هذا المشروع لم يتحقق . بل انهار نظام محمد علي انهيارا مفاجئا ـ ففي سنة ١٨٣٨ الغيت الاحتكارات من الامبراطورية العثمانية بما فيها مصر وفى سنة ١٨٤٠ وقعت معاهدة لندن التى اجبرت مصر على الانسحاب من سوريا وضمنت لمدة محمد علي وخلفائه حكم مصر الوراثى . واضطر محمد علي الى التنازل عن الاحتكارات التى بنى عليها الاقتصاد المصرى خصوصا وان كل البناء الاقتصادى كان هدفه خدمة الجيش ـ ولقد انتهت مهمة الجيش ـ وصدر فرمان ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ محددا عدد الجيش المصرى بما لا يزيد عن ١٨٫٠٠٠ جندى . وليس لمصر ان تبنى سفنا حربية الا باذن صريح من الباب العالى .

هكذا انتهت الملحمة المصرية الاولى فى صراع الانسان مع الطبيعة . ونهايتها لاتعنى قط فشل الانسان المصرى ، او جدب الطبيعة فى مصر . على العكس من ذلك تماما ـ لقد كانت فصول هذه الملحمة سجلا مشرفا بطوليا . وفى جميع الميادين اثبت المصرى قدرته الفعالة وقدم الجهد والعرق والعبقرية والدم لبناء بلده . وظهر ان الحضارة العريقة فى هذه الارض مازالت تنبض بالحياة ، وانها قادرة على ان تحقق البعث والازدهار .

واذا كانت ظروف خارجة عن ارادة الانسان قد اجهضت هذه المرحلة من الكفاح المصرى ـ اطماع فرد وبالذات تدخل القوى الامبريالية الاجنبية ـ فان الملحمة لم تتم فصولا .

طبقة الملاك الزراعيين

لقد راينا ان طبقة جديدة من ملاك الارض بدأت تتكون أيام محمد علي . وتدعمت هذه الطبقة أيام سعيد ، وبدأت تظهر على مسرح الحياة السياسية ايام اسماعيل (٥٢) . ووقفت فى مواجهة التدخل الاجنبى لصالح الدائنين وعبرت عن نفسها من خلال مؤسسات نيابية . ووقف الجيش يطالب بحقوق المصريين .

وهكذا اكتملت معالم طبقة بورجوازية قوامها الملاك الزراعيون المصريون ارادت ان تفرض وجودها(٥٣) . وكان من الممكن لهذه التجربة ان تثمر مرحلة جديدة فى تطور المجتمع المصرى .

ومرة اخرى يقتحم التدخل الاجنبى حياة مصر ، ويجهض التجربة البرجوازية الوليدة . ويبدأ الاحتلال البريطانى . ويظل فيها عاملا مثبطا للتطور ، وحاكما شرسا هدفه الاول استغلال الماء والارض ومتحالفا مع الرجعية المحلية ، معتبرا المصنع مكانا مقلقا للراحة ، مخلا بالامن ، ضارا

---

[٤٥] لمحة عامة الى مصر ، ٢ ، ص ٢٩٣
[٤٦] ص ٣٠٧
[٤٧] ص ٤٠١
[٤٨] ص ٤٢٢
[٤٩] ص ٤٩٢
[٥٠] ص ٧٢٤
[٥١] ص ٧٥٨ وما بعدها
[٥٢] وليم سليمان ، الفلاح المصرى وملكية الارض ، الطليعة ، العدد الاول السنة الاولى ، ص ٢٤ ومابعدها
[٥٣] M. Sabry, La Genése de l'Esprit National Egyptien, Paris, 1924.
عبد العزيز رفاعى ، فجر الحملة النيابية فى مصر الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

بالصحة — هكذا كان تعريف المصنع فى اللوائح الادارية •

رأس حربة دائم

وفى اعقاب الحرب العالمية الثانية بدا الكفاح الوطنى ضد الاحتلال مرتبطا بالصراع الطبقى ضد الاستغلال • وبدا ان الشعب قد اكتسب خبرة، ونضج وعيا • وشهدت سنة ١٩٤٨ صورة جديدة للتدخل الاجنبى فى المنطقة ، تتفق والاوضاع الجديدة التى بدأ النصف الثانى من القرن العشرين يكشف عنها • فالتدخل العسكرى السافر الذى حدث ايام الحملة الفرنسية ، وحطم تجربة محمد على ، وانزل الهزيمة بعرابى — هذا التدخل لم يعد مقبولا •

وكان ان زرعت اسرائيل لتستقطب الصراع ، وتجعله على الدوام خارجيا — بكل ما يترتب على ذلك من قصور فى الحركة وبطء فى التقدم •

بل اصبح التدخل الاجنبى منظما ودوريا • وبقدر زيادة سرعة التقدم فى الداخل ، تقاربت مواعيد العدوان ، فبعد ان كان هذا الاقتحام يحدث كل اربعين سنة تقريبا

١٧٩٨ — الحملة الفرنسية •
١٨٤٠ — معاهدة لندن ايام محمد على
١٨٨٢ — الاحتلال البريطانى •
اصبح يحدث كل عشر سنوات تقريبا •
١٩٤٨ — انشاء اسرائيل •
١٩٥٦ — العدوان الثلاثى •
١٩٦٧ — عدوان يونيو •

حتمية التقدم

ولكن الحركة لايمكن ان تتوقف — هذا ناموس الوجود الاجتماعى نفسه • ولقد اثبتت الخبرة التاريخية صدق القانون العلمى الذى يقرر بحتمية التقدم وتاريخ الصراع فى مصر كما اوضحنا يكشف عن ذلك •

فبعد الصراع بين الحاكمين والمحكومين ايام المماليك والعثمانيين انجز المجتمع المصرى صراع الانسان مع الطبيعة ايام محمد على • ورغم انهيار هذه التجربة انجزت البورجوازية بلورة الشعور القومى وخاض المجتمع ثورة ١٩١٩ ، وحقق اروع مثل للوحدة الوطنية اصبح نموذجا تقليديا وظل يستجمع قواه ويدخل المعارك الوطنية ، والاجتماعية • وظهر الصراع الطبقى على مسرح الحياة فى مصر •

وكانت حصيلة عدوان ١٩٤٨ ، قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بآفاقها الوطنية والاجتماعية •

وبينما كان الهدف من عدوان ١٩٥٦ تصفية هذه الثورة ، اذا بها تخرج من الصراع لتبدا مرحلة القضاء على الاستغلال فى الداخل ، وواصلت مسيرتها الى ان صدرت قوانين يوليو ١٩٦١ •

وهانحن نعيش اليوم عدوانا جديدا ، موجها فى المحل الاول للانجازات التى حققتها التجربة الاشتراكية المصرية • ونحن على ثقة من ان قانون التطور الاجتماعى سينتج آثاره هذه المرة ايضا • وان نتيجة هذا الصراع لابد وانها ستكون فى جانب التقدم •

ان التقدم فى حياة الشعوب لايسير فى خط مستقيم بل هو اكثر تعقيدا من ذلك • ان الشعب وهو يتقدم لايتخلى قط عن تراثه — بل يتمثله بوعى ونقد • ان « نفى » الماضى هو لحظة من لحظات الارتباط ، والاحتفاظ بكل ماهو ايجابى فى تاريخ الشعب ، بخير ما انجزه • ليس مجرد الاحتفاظ به — بل تعمقه ، وتجاوزه فى نفس الوقت الى مستوى اعلى •

وقد تبدو انواع من الشبه بين المرحلة الحالية ومراحل سابقة • ولكنها مشابهة شكلية ، ظاهرية • اما الحقيقة فخلاف عميق جذرى بين الماضى والحاضر — يأخذ فى الاعتبار تغير الظروف ، ومهام المرحلة ، وصالح الجماهير • ومن هنا استمرار التقدم • فما يعتبر اليوم خطوة الى الامام سيصبح بعد فترة وضعا متخلفا ينبغى تجاوزه — نفيه • وهكذا يتواصل « نفى النفى » •

لقد عبأ الشعب المصرى قواه المادية والبشرية ايام محمد على — على مستوى الوطن كله • وكانت التجربة « نفيا » للاوضاع الاقطاعية الالتزامية المتخلفة السابقة عليها • ثم جاءت المرحلة البورجوازية — فكانت « نفيا للنفى » — اى تجاوزا لمرحلة التعبئة الشاملة السابقة • ومع قيام ثورة ١٩٥٢ ، ومواصلة الطريق الاشتراكى انجز الشعب المصرى « نفى » التجربة البورجوازية •

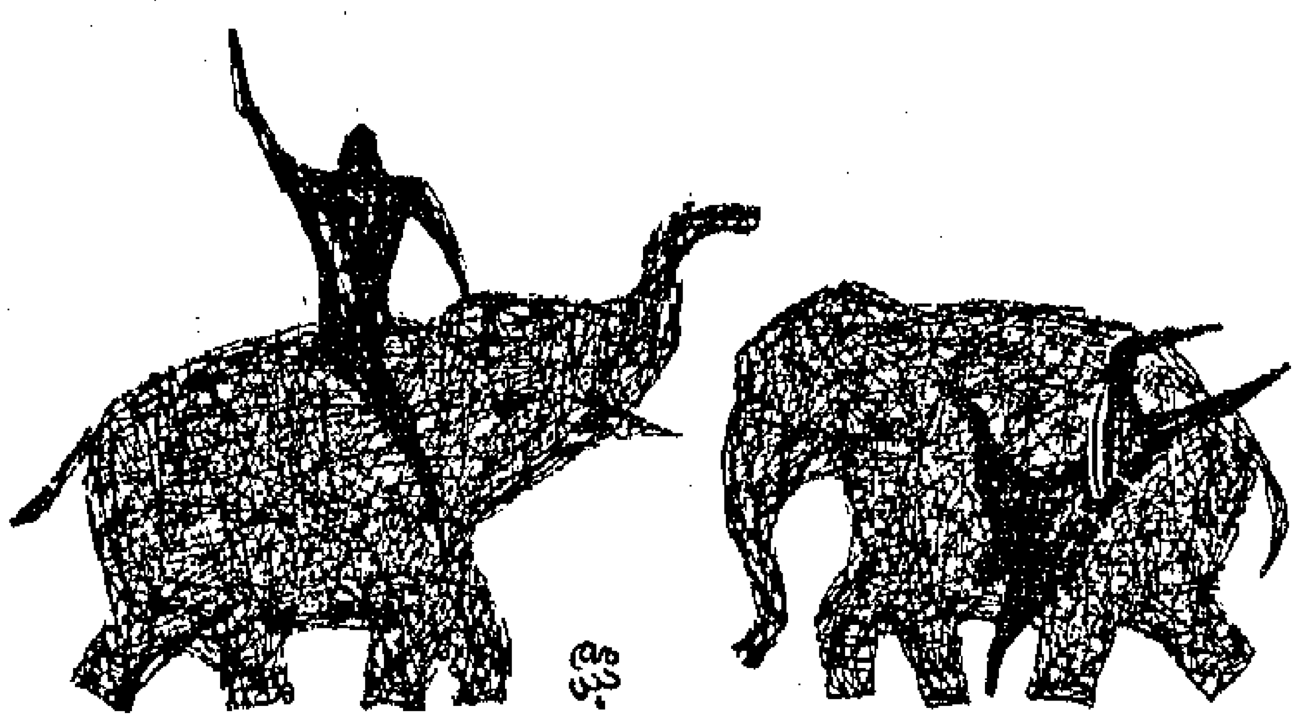
ونشأ القطاع العام ، وبدا التخطيط المركزى على مستوى الوطن • ومضى صراع الانسان المصرى مع الطبيعة ومع الاستغلال محققا فى كل يوم « نفيا » جديدا للتخلف وانجازا لخطوة تقدمية فى طريق الكفاية والعدل •

فى سنة ١٨٣٨ و ١٨٤٠ وجهت الامبريالية الضربات ضد العمل المصرى ، وانهار كل شىء • ولم تتحرك فى مصر قوة لتواجه التدخل الاجنبى ، لان كل التعبئة تمت لصالح فرد يعمل من اجل اسرة •

وفى سنة ١٩٦٧ وجهت الامبريالية ضربة للعمل الوطنى المصرى الشامل • ولكن شيئا جديدا حدث هو الدليل الاكيد على التقدم ، وعلى ان الماضى قد « نفى » فعلا •

لقد وقفت الجماهير يوم ٩ يونيو تدافع عن جهدها وعرقها ودمائها وارضها ، لان كل ماوجهت اليه الضربة كان ملكا لها وفى خدمتها •

يسار حزب المؤتمر الهندى يكسب الجولة فى مواجهة تجمع "النقابة" اليمينى



كلوفيس مقصود

جاءت نتيجة انتخاب رئيس الجمهورية فى ١٦ اغسطس الماضى نهاية المطاف لمرحلة حاسمة من تاريخ حزب المؤتمر الهندى .وكان انتخاب ف.ف جيرى للرئاسة تتويجا للصراع بين **انديرا غاندى** وقوى اليمين داخل حزب المؤتمر . أما الان فقد بدأ حزب المؤتمر — الكونجرس — مرحلة جديدة حيث يواجه بواقعه الجديد قوى اليمين ككل بشكل مباشر ، وبدون التردد الذى لازمه طوال السنين الاخيرة وخاصة بعد الصراع الصينى الهندى عام ١٩٦٢ والذى ادى الى تهادن قوى اليسار مع الوسط والقطاعات اليمينية المعتدلة .

وقصة انتخاب ف . ف جيرى لم تكن سوى ظاهرة للصراع الذى اخذ يتزايد بين انديرا غاندى والقيادات اليمينية والتى سميت « بالنقابة » Syr DIC ATE وهى عبارة عن تجمع زعماء المقاطعات والمدن الكبيرة التقليديين امثال س.ك. **باتيل واتوليا جوش وس . ب جوبتا . وسنجيفا ردى** والاخير كان المرشح الرسمى لقيادة الحزب وهزم فى انتخابات الرئاسة . واعضاء « النقابة » فى المؤتمر كانوا عناصر تمكنت من الابقاء على مواقع قيادية من جراء سيطرتها على مالية الحزب ومن خلال اتصالها بالبيوتات المالية الكبرى فى الهند أمثال **جوانكا وبرلا وتاتا** وغيرهم . ومن الملاحظ أيضا ان س . ك . باتيل — الوثيق الصلة برأسمالية بومباى وذات الاتصال مع المخابرات الامريكية — واتوليا جوش المرتبط بمصالح كبار تجار الجوت فى كلكتا — كانا باستمرار امناء صندوق حزب المؤتمر . ومن هذا الموقع الحزبى جعلا من حاجات الحزب الى المال تبريرا لارتباط الحزب السياسى مع الرأسمالية الكبرى فى الهند .

أكثر من هذا فان هذه البيوتات المالية التى تسيطر على قطاعات هامة من الصناعات الخفيفة ومن التجارة والبنوك تملك الجرائد والمجلات الكبيرة . فمثلا تملك عائلة جوانكا فى مدراس **الانديان أكسبريس** وجاين **التايمس أوف انديا**

وبرلا الهندوستان تايمس ، ومؤخرا تاتا ساهمت فى امتلاك الستايسمان •

وتصدر هذه المؤسسات الصحفية عددا من المجلات والجرائد بعديد من اللغات المحلية . وهذه الصحف واسعة الانتشار على نطاق الهند كلها ، هذا بالاضافة الى ان البيوتات المالية الكبرى المشار اليها وغيرها من العائلات الرأسمالية الاصغر حجما تساهم فى امتلاك الصحف المحلية والتى تتمتع بنفوذ فى الولايات مثل الناشيون فى ولاية بيهار دكاه هيرالد فى حيدر اباد والمايل فى مدراس وغيرها • ورغم ان البيوتات المالية لا تفرض مراقبة مباشرة على حرية رؤساء التحرير والمعلقين الا ان باستطاعتها أن تضع « فرامل » على مدى المخالفة التى قد يرغب ان يمارسها أو يعلنها المحررون •

ان صحف التوجيه والتعبئة للرأى العام فى الهند هى باكثريتها تحت تصرف اليمين اجمالا ويمين حزب المؤتمر الحاكم بشكل خاص • ومن ثم فقد عمل جواهر لال نهرو على ان يحول دون سيطرة هذه البيوتات الراسمالية على اجهزة الاذاعة حتى يبقى لسياسات الحكم الاستقلالى منبرا للتعبير عن اتجاهات الرأى العام والجماهير •• والجدير بالذكر انه فى اثناء الاصطدام بين رئيسة الوزراء انديرا غاندى وقادة « النقابة » اليمينيين استخدمت الاذاعة فى مواجهة الصحف التى وقفت أكثريتها مع اليمين المتداعى أمام وعى الجماهير وتصميم انديرا غاندى على متابعة المعركة حتى النصر •

التوقيت المناسب •• لمعركة حتمية

ازاء هذه الصعوبات والمناخ الصحفى المناوىء قامت انديرا غاندى بالتخطيط لحملة التصفية للعناصر اليمينية فى حزبها • وادركت رئيسة الوزراء منذ تبوئها الحكم بعد وفاة لال بهادور شاستري انه لا سبيل الى مزيد من التهادن وأن المعركة مع اليمين لا مفر منها ، وبقى التوقيت بالنسبة لها باعتباره المشكلة الاساسية .

جاءت انديرا غاندى الى رئاسة الوزراء بعد توقيع اتفاقية طشقند اثر الصراع الهندى ــ الباكستانى • وكان لال بهادور شاسترى الذى خلف جواهر لال نهرو فى الحكم وسطى فى تفكيره مرن فى تعامله مع خصومه السياسيين ولكنه متمرس على ممارسة السلطة من خلال المساومة والمناورة واللجوء الى الحيلة • كانت الفترة القصيرة التى جاء فيها شاسترى الى الحكم وكأنها فترة نقاهة بين عهدين • حتى انه عندما انتخبت انديرا غاندى ــ ابنة نهرو ــ زعيمة للحزب وبالتالى رئيسة للوزراء قال عدد كبير من الفلاحين فى ولاية راجستان « ان الملك عاد الى اصحابه » .

ورغم ان شاسترى الرجل المتواضع البسيط كان بمثابة تعبير صادق عن الهندى العادى ، وبالتالى اكتسب شعبية على هذا الاساس ، الا ان شعبية نهرو الجماهيرية انتقلت الى ابنته وبالتالى كانت هى الشخصية الوحيدة بعد شاسترى القادرة على استقطاب الجماهير على المستوى القومى • ولذلك فانه عندما اراد الحزب ــ ورئيسه كاماراج بالذات ــ ان يستقصى محصلة الرأى العام وجد انه لا مناص من دعم انديرا غاندى وتأييدها ضد مورارجى ديساى الزعيم المحافظ فى الحزب ، والذى يتمتع بولاء فئة حزبية تزيد على ربع اعضاء الحزب فى البرلمان •

ولكن انديرا غاندى كانت تعتبر المرفأ الامين السياسى والفكرى لكافة الاقليات الهندية ــ الدينية واللغوية وبالتالى فلم تكن كغيرها من كبار المرشحين لهذا المنصب زعيمة فى ولاية ــ كما كان شافان وزير الداخلية فى ولاية مهراشترا ــ أو مورارجى ديساى فى ولاية جوجران ــ لكنها كانت تتمتع بثقة شاملة وتأييد ايجابى مرموق على المستوى الهندى ككل .

وكان لهذا الوضع السياسى العام أهميته الخاصة بالنسبة لترجيح فرص نجاحها رغم رغبة الزعماء التقليديين فى ان يتولى واحد منهم (مثلما كان شاسترى) ــ رئاسة الحكومة . لكن الظرف الذى جاء فيه شاسترى الى الحكم كان غير الذى جاء بانديرا غاندى • ولعل هذه المفارقة تلقى اضواء على واقع الحزب الحاكم وازماته •

تكتيك نهرو لاقصاء اليمين

جاء لال بهادور شاسترى الى سدة الحكم بعد وفاة نهرو فى ٢٧ مايو ١٩٦٤ ، كان نهرو فى العام الاخير من حياته متعبا واراد أن يطرح خليفته دون أن يعينه . وكان مورارجى ديساى يعتبر نفسه هو الوريث الشرعى لزعامة الحزب • لكن نهرو ادرك ان الرأى العام الهندى لا يمكن أن يتقبل أو يستسيغ زعامة تتبنى خطا محافظا واضح المعالم . وكان ديساى اثناء توليه وزارة المالية ومن موقعه الحزبى قد ساهم فى احتواء اليسار فى الحزب وعزله • ولعب دورا رئيسيا فى تعبئة الحملة على كريشنا مينون التى ادت الى استقالته ــ أو اقالته ــ بعد الصراع الهندى الصينى فى أكتوبر ١٩٦٢ حينما كان وزيرا للدفاع •

وحتى يتمكن نهرو من اضفاء مشروعية على ابعاد مورارجى ديساى من الحكم عمد الى ان

يطلب من وزرائه ورؤساء الوزراء فى الولايات بان يضعوا استقالاتهم تحت تصرفه وتصرف رئيس الحزب آنذاك كاماراج . وبعد مضى ثلاثة اسابيع على تقديم الاستقالات قبلت بعضها بحجة ضرورة تفرغهم للعمل الحزبى . وسمى هذا بمشروع كاماراج . حتى وصل الامر بان صار كل من تقبل استقالته يقال عنه بأنه تكمرج KAMA RAJED وكان من بين الذين قبل نهرو استقالتهم من مراكزهم الحكومية « للتفرغ للعمل الحزبى » موراجي ديساى وعدد من اليمينيين المناوئين لسياسة نهرو . كما انه قبل ايضا استقالة بعض انصاره مثل لال بهادور شاسترى . حتى يضفى على العملية الكامارجية سمة الموضوعية وكونها لا تستهدف فئة معينة .

ولا يجب أن ننسى أن هذه العملية السياسية جاءت باعقاب الهزائم السياسية التى منى بها الجناح اليسارى داخل حزب المؤتمر ، خاصة بعد ان ابعد مينون وملافيا ـ الذى كان وزيرا للنفط ـ من الحكم .

ادرك نهرو بعد النزاع الصينى ـ الهندى (ولم يكن الصراع السوفياتى ـ الصينى قد احتدم الى الحد الذى بلغه عام ١٩٦٥) ان اليمين فى الحزب متحالف مع اليمين خارج الحزب المتمثل بحزب الجان سانج (الهندوكى الفاشى) وحزب السواتنترا ـ (الحرية) الممثل للمصالح الرأسمالية والاقطاعية التقليدية ـ يعمل على الانقضاض على السلطة . وادرك نهرو ايضا أن المخطط الامريكى ـ اليمينى كان يستهدفه هو بالذات ، ولكن عندما تبين لليمين استحالة تحقيق الانقلاب على هذا المستوى اكتفى بجعل مينون كبش « المحرقة » وبالتالى ضرب اليسار فى الحزب ، تمهيدا لتبوء اليمين كل المواقع القيادية فى الحزب والحكم . وبالتالى كان مرشحهم الاوفر حظا هو مورارجى ديساى . وكانت هذه الفترة عصيبة بالنسبة لمصير الحزب ومستقبله .

أثر النزاع الصينى ـ الهندى

جاء النزاع الصينى ـ الهندى وكأنه تحد لكل السياسات الخارجية والداخلية التى وضعها نهرو وعمل على تنفيذها . قام اليمين داخل وخارج حزب المؤتمر يعطى حجما للنزاع أكبر مما هو عليه فى الواقع وأراد ـ ونجح الى حد ما ـ فى تصوير سياسة عدم الانحياز بانها عديمة الجدوى وضارة بالمصالح القومية الرئيسية . ووسط المناخ القومى واثارة النعرات الشوفينية من جانب اليمين الذى غذته الصحافة ـ خاصة الناطقة باللغة الانجليزية ـ المرتبطة كما اشرنا بالبيوتات المالية الكبرى ـ عمل اليمين على تحقيق الاهداف الثلاثة التالية :

أولا : عزل زعامة نهرو عن مواقع السلطة .

ثانيا : تحريف السياسة الدولية عن عدم الانحياز ، والتمهيد لادخال الهند ضمن الاستراتيجية ـ أو المظلة كما سميت آنذاك ـ الامريكية .

ثالثا : تحقيق المصالح الاقتصادية للرأسمالية الهندية ، بواسطة استرجاع الصناعات التى كان القطاع العام قد استولى عليها خاصة فى الصناعات المتصلة باجهزة الدفاع فى عهد كريشنا مينون . وهذا الهدف الاخير فى حال تحقيقه كان سيؤدى الى وقف السير بالهند نحو المجتمع الاشتراكى الذى كان نهرو يقود مسيرته ببطء متزايد فى سنوات حكمه الاخيرة . وكان يقود هذه الحملة س . ك . باتيل حتى بلغ به الامر الى حد العمل على اقناع رئيس الجمهورية آنذاك الدكتور رادا كريشنا ان يتسلم السلطات التى يخولها اياه كونه قائدا عاما للقوات المسلحة رغم انه مجرد منصب شرفى اكثر مما هو مركز سلطة فعلى .

ورغم ان اليمين المتصلب لم يتمكن من تحقيق كل اهدافه فى الاستفادة من المناخ الشوفينى الذى افتعلته المخططات الامريكية والرأسمالية فى الهند الا أن اليمين نجح فى احتواء اليسار داخل الحزب وخارجه . ورغم ان نهرو صار بعد هذا النزاع فى موقع سياسى اضعف مما كان عليه ، الا ان تأييد الاتحاد السوفيتى أو بالاحرى استمرار السوفيت بموقفهم المؤيد من جهة ، وتضافر مجهودات دول عدم الانحياز ـ وللشهادة التاريخية مبادرة الجمهورية العربية المتحدة بالذات ـ كل هذه العوامل ساهمت الى حد كبير فى تمكين نهرو من تأكيد الالتزام لسياسة عدم الانحياز على المستوى العالمى ، والوقوف أمام الضغوط الامريكية العسكرية والدبلوماسية رغم الانتكاسة التى منى بها الجناح التقدمى واليسارى فى الحزب نفسه .

كان لابد لنهرو ازاء هذا الواقع الجديد الذى فرضه النزاع الصينى الهندى وازاء تزايد نفوذ اليمين ، أن يتحرك سياسيا بسرعة حتى لا يجد نفسه فى اخر حياته وهو سجين ان لم يكن ضحية السياسات والتيارات التى قاومها طوال حياته . ادرك نهرو أنه لم يعد بامكانه ان يدفع اليسار فى حزبه نحو تبوء مراكز قيادية . ولكن كان لابد له أن يحول دون ان يملأ اليمين فى الحزب الفراغ الذى ظهر عام ١٩٦٣ . ومن هنا صمم نهرو على ان يعيد

الى الحكومة المركزية لال بهادور شاستري ، وزير بدون وزارة ، موحيا بذلك الى ان انتقاءه من بين الذين « تكمرجوا » (أو استقالوا للعمل في الحزب) دليل على رغبته في ان يكون هو بالذات خليفته . وكانت هذه الاشارة دليلا على ان نهرو رغب في أن يجذب الى اطاره عناصر الوسط — ويسار الوسط — في الحزب لكي يضمن عزل اليمين الرجعي داخل الحزب . اضف الى ذلك ان شاستري عندما قبلت استقالته من الحكم عمل جادا في أوساط الحزب وكادراته بينما لم يبذل زملاؤه — خاصة مورارجي ديساي وباتيل — جهدا يذكر في العمل الحزبي اعتقادا منهم ان مثل هذا الموقف يعتبر تمردا ضامنا على نهرو . وأخذ شاستري بتكليف واضح من نهرو مهام واعمال تتعلق بصميم صلاحيات رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية وكان كل هذا تأكيدا لرغبة نهرو في أن يعمل انصاره على انجاح مرشح الوسط بعد وفاته .

وقد يتساءل البعض — عن حق — عن الاسباب التي جعلت نهرو يتردد في دعم ترشيح ابنته انديرا غاندي أو على الاقل توجيهها لخلافته وقد تبوأت عام ١٩٥٩ بنجاح رئاسة حزب المؤتمر ، واعتقد ان احجام نهرو عن هذا السبيل كان مرده الاسباب التالية :

أولا : ان نهرو لم يكن في موقع عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤ يتيح له أن يعرض خليفة له ، بل كان لابد أن يكسب عناصر الوسط بداءة .

ثانيا : كان نهرو مقتنعا تماما ان انديرا لم تكن مهيأة لتحمل مثل هذه المسئولية من حيث عدم ممارستها أية سلطة وعدم تمرسها في المسئوليات الادارية وبالتالي فهي كانت من وجة نظره بحاجة الى فترة ممارسة عملية قبل استلام الحكم .

ثالثا : ادرك نهرو أن أي تلميح برغبته ان تخلفه ابنته ، كان سيؤدي — حتى ولو نجحت — الى ان تفقد قواعد وركائز سياسية وشعبية وان توجد لنفسها بشكل سابق لاوانه عداءات وحساسيات من خلال حصر موقع الرئاسة في عائلة معينة رغم الكفاءات القيادية الذاتية التي تتمتع بها .

ولهذه الاسباب وغيرها عمد نهرو على الدفع بشاستري الى المقدمة ، وعندما توفي نهرو اتجهت الانظار اليه لانه كان اسهل المرشحين على تحقيق الاجماع حوله . لكن ديساي أصر على خوض المعركة ضد شاستري — مرشح الوسط — الا ان كاماراج وضع كل ثقله في تحقيق التلاحم بين الوسط العريض واليسار حتى تمكن من عزل ديساي وانجاح شاستري .

المبادرات السوفيتية واتفاقية طشقند تحول دون الردة اليمينية

ارتاح الشعب لشاستري واقدامه على ضم انديرا غاندي الى وزارته تدليلا منه على الارتباط العضوي بين العهدين . ورغم التوتر الذي لازم علاقاتهما فيما بعد لم يقم شاستري باية مبادرة للحيلولة دون ان تمارس نفوذها السياسي وتتوسع في سلطاتها الوزارية ، ولم يستمر عهد شاستري طويلا ولكنه فاجأ الجميع بحكمته وحنكته وانفتاحه نحو اليسار المعتدل ، وبالتالي صموده امام محاولات اليمين التسرب الى مراكز قيادية في الحكم والحزب . ثم جاء النزاع الهندي - الباكستاني ليؤكد الالتفاف الجماهيري حول قيادته ، وكان ان حقق الجيش الهندي بعض الانتصارات النسبية التي ارجعت للقوات المسلحة الثقة التي فقدت بعد النزاع مع الصين . وكان لابد ايضا للسياسة الدولية التي انتهجتها الهند ان تسترجع موقعها غير المنحاز نحو اتجاه مضاد للاستراتيجية الامريكية نظرا لموقف الاتحاد السوفيتي المؤيد نسبيا للهند في قضية كشمير . ونظرا للمساعدات العسكرية والاقتصادية التي قدمها للهند في هذه المرحلة . وازاء هذا الوضع تجمد اليمين عند مواقع معينة وبالتالي قوي الوسط في حزب المؤتمر .

لكن في هذه الاثناء كان التناقض الصيني — السوفيتي قد اخذ — عام ١٩٦٥ — يتسع ، واخذت الاستراتيجية السوفيتية في آسيا تعمل على احتواء النفوذ الصيني ، بالاضافة الى التصدي للنفوذ الامريكي في المنطقة . وحيث ان الباكستان كانت في نزاعها المزمن مع الهند في شبه حلف مع الصين قام الاتحاد السوفيتي بمبادرته للتوفيق بين الدولتين الكبيرتين المتنازعتين — الهند وباكستان — مما ادى الى اتفاقية طشقند التي تعد من أهم الانتصارات الدبلوماسية السوفيتية في آسيا . كان لهذه المبادرة الناجحة اربع نتائج ايجابية هامة :

أولا : وقف اطلاق النار بين هذين البلدين الاسيويين وترشيد العلاقات بتجميد الخلافات بما يكفل عدم تعريض السلام في المنطقة للخطر .

ثانيا : نجاح السوفيت في احتواء النفوذ الامريكي في المنطقة وخاصة في الباكستان بما دفعها نحو المزيد من السياسة الاستقلالية .

ثالثا : جعل الحكم في الهند أقل اعتمادا على الولايات المتحدة ، وبالتالي اكثر انفتاحا على التيارات اليسارية من حيث ان الرأي العام ادرك ان ليس التهديد لارضه موجه باستمرار من

مواقع يســارية دولية كالصين ، بل من مواقع استراتيجية للغرب كالباكستان .

رابعا : الحيلولة دون استغلال حزب الجــان سانج — الهندوكى للموقف وهو الحزب اليمينى الذى حاول ان ينتهز ظروف المعركة مع الباكستان للترويج لافكاره الطائفية فى الجسم السيــاسى الهندى وتســميم المناخ العلمانى الــذى نجحت الحركة الوطنية وحكم نهرو فى خلقه وارساء دعائمه .

وبعد توقيع اتفاقية طشقند بســاعات توفى شاسترى ، وكانما اراد ان ينهى حياته بهذه الوثيقة السلمية ، فدخل التاريخ رجلا بسيطا نشيطا ، ومات رجــلا عظيمــا وحكيمــا ، اعطت فترة حكــم شاسترى حزب المؤتمر الوقت الكافى للتحرر من الردة اليمينية التى استحوذت على الحزب بعــد ١٩٦٢ ، وان يتسلم الوســط زمام الامور لمرحلة انتقالية يقرر فيها الحزب مصيره العقــائدى والسياسى .

أنديرا بين الجماهير

فى مواجهة المشــاكل

وفى عهد شاسترى كانت انديرا غاندى تسعى بواسطة العناصر الشابة فى الحزب الى تاكيد رجحان كفة الافكار العصرية والعلمانية . واثناء احتدام النزاع الهندى — الباكســتانى حــاولت المنظمات شبه العسكرية التابعة لحزب الجان سانج ان تنتهز هذا النزاع ، فتعلن عن تطــوع افراد هذه المنظمات فى السلك البوليسى « حتى نتيح للبوليس النظامى الالتحاق بالعمليات الحربية » . وكان من جراء ذلك ان اجازت الحكومة لافراد هذه المنظمات الطائفية ان تقوم ببعض اعمال بوليس السير والحراسة الليلية ، ولكن حدث ان قام بعض افراد هذه المنظمة باعمال استفزازية بالاعتداء على بعض البيوت والاحياء التى يقطنها مسلمون هنود . وما ان عرفت انديرا غاندى — وزيرة الاعلام انذاك — بهذا التصرف حتى اخذت سيارتها مع بعض المرافقين وذهبت الى مواقع الحراســة ومراقبة السير وامرت افراد الجان سانج بالرحيل من مواقعهم وذهبت الى منطقة جامع المسجد وقررت ان تبقى هناك . وقالت فى خطاب لها فى باحة الجامع « ان اى تخاذل أو تخوف من اعضاء هذه المنظمات الفاشية سيلغى المعنى الاعمــق للعلمانية والقيم الديمقراطيــة التى ندعى اننــا نلتزمها » وهكذا حثت انديرا غاندى على الغاء هذه المنظمات وقامت بهذا العمل انسجاما مع معتقداتها والتى ما فتئت تؤكــدها واثبتت التزامهــا عمليا للعلمانية التى تدعو لها .

كما قامت مظاهرات عنيفة فى مدراس — من الولايات الجنوبية — فى الهند ضد فرض اللغة الهندية ، باعتبارهــا اللغة الرســمية لعمــوم الهند . (ومن المعروف ان اللغة الهندية يتكلم بها حوالى ١٢٥ مليونا اكثرهم فى الولايات الشمالية) ورغم انها اللغة الاكثر انتشارا ، الا انها منتشرة فى الــولايات الجنــوبية حيث يســتخدمون لغات محلية كالتاميل فى مدراس والتليجو فى اندرا براديش والكانجرا فى مايسوبر ، والملايلام فى ولاية كيرالا . ورغم ان اللغة الانجليزية هى لغــة مشتركة بين المثقفين الهنود والطبقــات الادارية والتجارية والعسكرية فان سياسة الحكم بعــد الاستقلال كانت تقوم على تشجيع اللغة الهندية لتصبح اللغة القومية بعد خمسة عشر سنة . ولكن الولايات الجنوبية رفضت هذا القرار باعتباره نوع من « الاستعمار الشمالى » وفى عهد شاسترى قامت مظاهرات فى مدراس وامية . وماكان من انديرا غاندى الا ان اخذت الطائرة ونزلت الى الشارع فى مواجهة الجماهير وتكلمت بلغتهــم المحلية التامل — TAMIL — موضحة سياسة الحكومة فيما يتعلق باللغة مشــيرة الى انها تتهم اوضاعهم فتفرقت المظاهرة بشكل دل على الثقة التى تتمتع بها لدى الجماهير والتى لا يتمتع بها غيرها من القادة فى حزب المؤتمر .

وهكذا عندما توفى شاسترى اتجهت الانظار نحو وزيرة الاعلام انديرا غاندى ينافسها مورارجى ديساى . وقد جاءت وفاة شاسترى مفاجأة ، ولذلك فان التجمعات السياسية داخل الحزب لم تكن قد تبلورت . ورغم ان جوجرال لالناندا وزير الداخلية تسلم رئاسة الحكومة بالوكالة للمرة الثانية الا ان ترشيحه لم يلاق الاستجابة المطلوبة .

بادر مورارجى ديساى بالاعلان عن ترشيحه بطريقة جعل من الصعوبة لليمين ان يعبىء قواه بالطريقة التى يمكن له ان يؤمن النجاح لمرشحه . ورفضت انديرا غاندى ان تعلن ترشيحها بشكل واضح ، ادركت بان ديساى لن يتمكن فى احسن الاحوال من ان يستقطب الى جانبه اكثر من ثلث اعضاء البرلمان . كما ادركت ايضا انه بعد سنة — اى فى فبراير ١٩٦٧ سيخوض حزب المــؤتمر الانتخابات البرلمانية العامة لاول مرة بعد وفاة جواهر لال نهرو . وادركت ايضا انه ليس من مرشح من زعماء الحزب قادر ان يؤمن لذاته اجماع الثلثين الباقيين من اعضــاء حزب المؤتمر البرلمانى . فوزير الداخلية و.ب. شافان رجــل قوى اثبت انه ادارى ناجح ولكن الولايات الجنوبية لا تطمئن له ، كما ان الاقليات الدينية تعتقد انه

متطرف فى ولائه لعصبية المهراتا • (وهم من ولاية مهراشترا المعروفة بالمعارك التى خاضوها ضد الاباطرة المسلمين) ثم هناك رئيس الحزب كاماراج الذى يطمع فى رئاسة الحكومة ولكن من الصعوبة ان يرضى الشماليون بتولى احد ابناء الجنوب لاهم منصب فى الدولة ، ثم هناك **جاكجيفان رام** زعيم المنبوذين واحد كبار زعماء حزب المؤتمر التقدميين لكنه هو ايضا يمثل فئة كما يمثل شافان وكاماراج مناطق معينة • وحتى ولو كان لكل من هذه الاسماء المطروحة آنذاك — اى اواخر يناير ١٩٦٦ — قوة برلمانية اكبر من قوة انديرا غاندى ، الا انها ادركت ان ليس هناك احد يستطيع مثلها ان تتجمع حوله قوى اليسار والوسط وفئات الاقليات والجنوب مثلما تستطيع ان تتجمع حولها • وبالتالى كان لابد ان تستقطب انديرا غاندى كل خصوم ديساى العقائديين والسياسيين بالاضافة الى قوتها الذاتية • وهكذا وبدون ان تعلن عن ترشيحها استقطبت انديرا غاندى كل القوى المناوئة لديساى دون ان يعنى ذلك بالضرورة تأييدهم الايجابى لها •

التصدى للمشكلات القومية

يدعم اليسار داخل الحزب

لم تتمكن الرئيسة الجديدة ان تقوم بأية مبادرات عقائدية أو سياسية أو تنظيمية جديدة اذ لم يتبق امام الحملة الانتخابية الكبرى سوى اشهر معدودة لابد ان تعيد وحدة الحزب بعد مرارة الهزيمة التى منى بها ديساى وانصاره اليمينيين فى المؤتمر ، وكان هذا يعنى تجميد الخلافات المذهبية والتأكيد على وحدة الحزب وابداء الرغبة والاستعداد للتعاون • وقادت انديرا غاندى الحملة الانتخابية التى لولاها لاصبح الحزب اقلية برلمانية لاول مرة فى تاريخ الهند • جاءت النتائج الانتخابية فى فبراير ١٩٦٧ تضمن للحزب الاكثرية البرلمانية بنسبة ضئيلة ، كما ان حزب المؤتمر خسر للمرة الاولى الحكم فى ثمانى ولايات لصلحة الاحزاب المعارضة • وفى هذه الاثناء واجهت انديرا غاندى اعباء اقتصادية كثيرة ادت بحكومتها ان ترضخ لضغوط البنك الدولى من حيث خفضت قيمة الروبية بالنسبة للعملات الاجنبية بمعدل ٥٦ فى المائة ، مما ادى الى صعوبات جمة بالنسبة للمساعدات الاجنبية وبرامج التنمية • وكان من المستحيل للنتائج الايجابية للتخفيض — اذا كانت منتظرة — ان تظهر وتترجم سياسيا فكان ان دخل حزب المؤتمر الانتخابات وهو يحمل معه وزر هذا القرار الاقتصادى •

وجاءت النتائج البرلمانية ، وفى الولايات عام ١٩٦٧ تؤكد تضاؤل شعبية حزب المؤتمر ، ولكن تبعثرا فى واقع المعارضة من حيث انقسامها يمينا ويسارا • ان الذى اكدته نتائج الانتخابات ان الجماهير اخذت فى الابتعاد عن حزب المؤتمر ، وانها ارادت ان تعبر عن تمردها دون ان يؤدى هذا التمرد الى هزيمة الحزب • ورغم الهزيمة النسبية التى منى بها حزب المؤتمر فى الانتخابات العامة ١٩٦٧ (والتى تجرى كل خمس سنوات) لكنها لم تشكل هزيمة لقيادة انديرا غاندى ، بل بالعكس: فان عددا كبيرا من خصومها فى الحزب لحقتهم الهزيمة • بينما عدد من انصارها من الجيل الجديد فى المؤتمر احرز نجاحا شكل نواة قوتها البرلمانية الحالية • وهكذا فان الخريطة السياسية لحزب المؤتمر منذ ١٩٦٧ اكدت ضعف الحزب ، ولكن زيادة قوة زعيمة الحزب ، اكثر من ذلك ، فقد تمكنت انديرا غاندى ان تخوض اول معركة لرئاسة الجمهورية عندما اصرت على ان ترشح الدكتور **زاكر حسين** — والذى كان نائبا للرئيس — لرئاسة الجمهورية ، رغم معارضة « ونصائح » العناصر التقليدية فى الحزب الذى رأوا بان ترشيح مسلم للرئاسة قد يفقد الحزب بعض قواعده فى الولايات •

ولكن رئيسة الوزراء اصرت على موقفها وهددت بفصل كل من يخالف هذا الموقف وما كان من القيادات الحزبية الا ان انصاعوا وامنوا الاكثرية المطلوبة • اكثر من ذلك فقد دل موقفها على قدرة استقطاب قطاعات من المعارضات الاقليمية لجانبها ، وهكذا نجد ان الحزب الاقليمى فى الجنوب DMK وقف بجانب مرشحها — كما ايد العديد من مواقف رئيسة الوزراء فيما بعد •

وظلت انديرا غاندى تثبت بما تتمتع به من شعبية واسعة خارج اطارات الحزب بانها اقوى من الحزب اذا ما تصدت للقضايا التى تهم الجماهير •

انتصر زاكير حسين على منافسه الذى رشحته احزاب المعارضة اليمينية واليسارية — الحزبان الشيوعيان والحزبان الاشتراكيان — الدكتور سوبها راو ، والذى كان رئيسا للمحكمة العليا •

وظلت انديرا غاندى تسعى بان تضفى على حكومتها صورة الوحدة وضمت الى الوزارة عناصر فتية وتقدمية امثال **دينيش سنج وكاران**

سنج وبهاجات واندن كوجرال تميزت بـالحكم النشيط دون المبادرات المطلوبة ، اما من حيث التنظيم او الفكر السياسي او البرمجة اسمية . ورغم انه حدث بعض التغييرات في منهج الحكم وامنت الاتجاهات العامة الا ان عدم وضـــوح الالتزام ادى الى كثير من الميوعة وعودة اليمين الى العمل على استرجاع مواقعه .

وتميزت هذه الفترة ايضا بالصاعب التى واجهتها الحكومة المركزية فى علاقاتها مع الحكومات المحلية ، خاصة وان عددا منها كانت تحكمها تحالفات لا يوحدها سوى عدائها لحزب المؤتمر ، وكانت الثقة التى تتمتع بها انديرا غاندى من حكومات الاقلية والمرونة التى تمكنت بواسطتها ان تتفهم معاناتهم جعلت هذه الحكومات تلجأ الى حكمها فى خلافاتها مع الاجهزة الفيدرالية المركزية، كما عمدت انديرا غاندى فى تحسين علاقات الهند مع جيرانها وتقوية التجارة وتسويق المنتجات الهندية مما دل على ذرائعية PRAGMTIO — مع الاستمرار فى عدم الانحراف عن المواقف المبدئية فى الشئون العالمية .

الانفتاح اليسارى طريق النصر

استمر الحال على تسيير الامور حتى جاءت الانتخابات الفرعية فى اربع ولايات فى فبراير عام ١٩٦٩ بنتائج فتحت المجال امامها أن تباشر فيما تحفظت به اعطاء التوجيه اليسارى التقدمى لحزب المؤتمر . وقد تبين للرئيسة انها لا تزال تتمتع بشـــعبية كبيرة وانهـــا اكثر زعيمة قادرة على استقطاب الجماهير وتبين لها ايضا انه حينما خاض الحزب المعركة ضد اليسار (كما حصل فى ولاية غربى بنجال — حيث العاصمة هى مدينة كلكتا) منى « المؤتمر » بفشل ذريع ، ولكن حيث جابه حزب المؤتمر أحزاب اليمين (كما حصل فى ولايتى بيهار واوتار براديش اكبر ولاية فى الهند) حقق حزب المؤتمر انتصارات نسبية . لذلك وجدت انديرا غاندى ان الانفتاح اليسارى الذى تدعو له فى الحزب هو واقع الحالة السياسية والرغبة عند الجماهير .

وادركت انديرا غاندى ايضا ، انه رغم تمتعها بشعبية كبيرة فان عددا من المناطق التى تحدثت فيها مؤيدة لمرشحى الحزب قد اسقطت مرشحى حزبها، وعزت هذا فى حديثها معى فى مارس الماضى ، الى ان الشعب لم يعد يهتم او يتأثر بما أنجزه الحزب فى الماضى ، بل بما ينوى ان يحققه فى المستقبل ، هذا الادراك بكل ابعاده ادى بها ان تخطط للمراحل المقبلة من حياة الحزب . بعد ان اصبح الحزب على مفترق الطريق . وكان السؤال الذى يطرح نفسه بالحاح . . الى اين ؟ .

واجتمعت اللجنـــة المركزية « لجنـــة المؤتمر لعموم الهند » فى فريد آباد قرب نيودلهى .

اليمين يفجر الموقف

وارادت انديرا غاندى ان تؤكد التزام الحزب للمبادىء العشر التى تضمنها برنامج الحزب من حيث الاصلاح المالى وزيادة امكانيات القطـــاع العام . ولم تكن انديرا غاندى تخطط لمعركة الا انه كان هناك لغط كثير من بعض الزعماء اليمينيين عن ضرورة تجمع الاحزاب الديمقراطية اى المناهضة للشيوعية ، امثال س.ك. باتيل واتوليا جوش الذى منى حزبه بهزيمة كبرى فى البنجال — وكانت المفاجاة فى الجلسة الافتتاحية لهذه اللجنة ان ناجيلنجبا — رئيس الحزب قرر الانضـمام الى صفوف اليمين المناوىء لانديرا غاندى فالقى خطابا يفتتح به الجلسة ندد فيه بالقطاع العام ، ودعا فيها الى تقوية القطاع الخاص وهاجم التشريعات الاشتراكية ، منددا بالداعين لها — كجماعـــة اليساريين بقيادة موهان داريا وسندراجيت جوبتا وشاندرا شايكر وارجون ارورا — ومفتعلا جوا من الهستيريا على اليسار .

كان لخطاب رئيس حزب المؤتمر صدى فى كل اوساط الحزب ،ودل على ان اليمين فى الحزب بدا يستعيد نشاطه ويكسب انصارا جددا تمهيدا لتغيير القيادة من انديرا غاندى وتسليمها لديساى ولمن هو اكثر طواعية لرغبات ومشيئـة الراسـمالية والاقطاعية الهندية . وكان اليمين ضمن الحزب يعتقد ان التهويل بوجود حكومتين شيوعيتين (اميل للصين) فى كيرالا وبنجال سيكون حافزا لدفع اليمين داخل الحزب وخارجه الى الالتحام ،ثم ان كل تردد داخل الحزب لابد يحسم بشكل يؤدى الى عزل القيادات اليسارية وحتى الوسطية ،وكانت حملة التعبئة التى قام بها شباب اليسـار الملقبين بالاتراك الشباب YOUNG TURKS ناجحة للغاية وكانت رد فعل طبيعى للقيادات اليمينية التى تدعو الى التحالف مع اليمين الهندى .

وبعد هذا الهجوم الذى شنه رئيس الحزب نيجالنجبا فى دورة اللجنة المركزية للمؤتمر فى حيدر اباد التهمت النيران الخيمة الكبـرى — الباندال — وعلق الكثير من المندوبين عما اذا كان هذا رمزا لاحتراق وحدة الحزب . لقد كان اليمين بعد الكسب الذى اعتقد أنه حققه من جراء انضمام رئيس الحزب — واحد الشخصيات الجنـوبية الهامة — يسعى لافتعال ازمة يجعل رئيسة الوزراء

امام طريقين للاختيار لا ثالث لهما — اما ان ترضخ لليمين الذى استجمع قواه بتحريك رئيس الحزب او ان تجابه اليمين وتغامر برصيدها فى انقاذ حزب المؤتمر من قبضة اليمينيين ٠

دامت دورة اللجنة المركزية فى فريد اباد (وقد حضرتها شخصيا) لمدة اربعة ايام دافعت فيها الرئيسة انديرا غاندى عن القطاع العام دون ان تعطى اى انطباع بانها كانت تخطط لمجابهة اليمين بالشكل المباشر الذى جرى فيما بعد وحاول مورارجى ديساى نائب رئيسة الوزراء وانصاره عدة مرات احراجها باثارة قضية الانضباط الحزبى ضد شاندرا شايكار ، احد زعماء اليسار فى المؤتمر بالنسبة لانتقاداته العلنية ضد سياسة ديساى ٠ ورغم الضغوط الكثيرة عليها لادانة تصرفات شاندرا شايكار المذكور ، تمكنت من امتصاص الازمة والحيلولة دون تصاعدها ، وتأجيل البت فيها حتى اتهم اليمين زعيمة الحزب بانها هى التى تحرض على الهجوم على نائبها من قبل اليسار ٠

وازاء هذا الواقع الذى استجد من جراء الهجوم اليمينى على القطاع العام من قبل رئيس الحزب والحملة التى شنها شباب اليسار ضد مورارجى ديساى بدأت بوادر الانقسام تظهر فى صفوف الحزب ، اصرت رئيسة الوزراء ان تبقى بعيدة عن الصدام رغم انها ابدت امتعاضها الشديد من انضمام رئيس الحزب الى صفوف « النقابة المؤلفة من الزعماء التقليديين للمؤتمر ، وعلى اثر بروز التوتر جاءت لجنة الصياغة لبرامج الحزب بقيادة شافان وكاران سنغ — وزير الطيران الشاب — تؤكد الالتزام الاشتراكى والعلمانى للحزب لكن بلغة عامة لا تنطوى على التحول الجذرى المطلوب ، كى يحقق الحزب نهضته وتجديده ٠

وما كادت هذه الدورة تنتهى حتى توفى رئيس الجمهورية زاكر حسين ٠ وتبوأ ف.ف جيرى نائب الرئيس المركز الذى شغر بالوكالة حتى يتم انتخاب الرئيس الجديد ، الذى يجب ان يتم بموجب الدستور فى فترة لا تتجاوز ستة اشهر ٠ وطرحت اسماء عديدة لهذا المركز المعنوى ولكنه اصبح بعد احتمالات عدم وجود اكثرية برلمانية بعد الانتخابات القادمة عام ١٩٧٢ اصبح لرئاسة الجمهورية مكانة سياسية تستلزم اختيار شخص يتمتع بمزايا سياسية اضافية ، نظرا لتقلص نفوذ حزب المؤتمر وفقدانه عددا من الولايات تصور اليمين ان رئاسة الجمهورية يمكن لها ان تصبح موقعا مواجها للسلطة المطلقة التى تتمتع بها رئاسة الحكومة فى النظام البرلمانى ٠ كان هناك من نصح بان يرشح للرئاسة زعيم المنبوذين ٠ جاكجيفان رام وزير التموين كتعبير حى للذكرى المئوية لمولد المهاتما غاندى الذى ناضل فى سبيل مساواتهم مثلما ناضل فى سبيل استقلال الهند ٠ لكن انديرا غاندى عارضت الفكرة ، لانها كما قالت لى فى اول يونيو : « انى بحاجة اليه لاسباب سياسية » وقد وجدنا انه فى الاسابيع الاخيرة عند احتدام الازمة كان جاكجيفان رام هو العون الاول للرئيسة انديرا فى حملتها ضد اليمين فى الحزب ٠ وكان هناك من اقترح ان يكون مورارجى ديساى مرشحها لرئاسة الجمهورية على اعتبار ان هذا المنصب يزيح عن طريق المسيرة الاشتراكية للمؤتمر عائقا اساسيا والشخص القادر على استقطاب اليمين ٠ لكن انديرا غاندى عارضت ترشيحه لرئاسة الجمهورية ، لانه لن يتقيد فى مركزه الجديد بالسياسات العامة ، بل بالعكس سيحاول ان يجعل منه مركزا للتوجيه المناقض لسياسة اليسار فى حزب المؤتمر ٠

ولذلك لم تعلن انديرا غاندى فى شهرى يونيو ويوليو عن تأييدها لاى من المرشحين وكان جيرى فى هذا الاثناء يشاهد هذا التسابق نحو الرئاسة والصراع حولها والتكهن بنتائجها وليس من احد يذكر اسمه رغم انه يتبوأ هذا المركز ٠ ولعلى لا اذيع سرا الان اذا قلت ان رئيسة الوزراء صرحت لى فى مقابلة معها فى ٢ يونيو بأنها تفضل بقاء جيرى فى الرئاسة لتجنب معركة رئاسية ٠ اذكر هذا لاؤكد شيئان :

اولا : ان دعم انديرا غاندى لجيرى لم يكن مفاجاة ٠

ثانيا : انها لم تكن تسعى لتجعل من معركة الرئاسة امتحانا للقوى المتصارعة فى الحزب بينها وبين اليمينيين ٠

وجاء اجتماع اللجنة المركزية لحزب المؤتمر — والذى ينعقد مرة كل ثلاثة اشهر — فى مدينة **بنجالور** فى اواخر يوليو الماضى ٠ كانت انديرا غاندى بين دورتى انعقاد اللجنة المركزية قد وجدت ان اليمين اخذ يتكتل خاصة بعد انتخاب س . ك . باتيل فى الانتخابات الفرعية لاحد المقاعد فى ولاية جوجرات ٠

وكان فى اليوم نفسه قد اعيد انتخاب كريشنا مينون من منطقة مانيبور فى ولاية بنجال التى يحكمها تحالف من الاحزاب اليسارية ٠ وصرح باتيل — أمين صندوق الحزب ، ونصير الامريكان فور انتخابه ان « عددا من المناصد ستقلب » لانه فى اليوم التالى (أى ٢٩ مايو) كان موعد انتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية لفئة حزب المؤتمر فى البرلمان ٠ وكانت هذه الانتخابات « بروفة » للمسرح الاكبر فى المعركة ٠

وجاءت نتيجة الانتخابات كما كان متوقعا ، أى فى مصلحة انديرا غاندى ، وعمل الشباب على انجاح شانكار اناند المعروف باتجاهاته التقدمية .

الوثيقة التى فجرت الازمة

وجدت انديرا غاندى نفسها امام تكتل يمينى يحاول ان يجرها الى معركة فى الوقت المناسب ، تدور حول القضايا التى يختارها . لقد انضم كاماراج الى « النقابة » واصبح موضوعيا فى موقع اليمين . أما وزير التموين السابق سوبرا مانيان ورئيس حزب المؤتمر فى ولاية مدراس فهو من كبار رجال الاقتصاد التقدميين الهنود ، فقد اصبح من انصار انديرا .

وكسب اليمين المتجسد فى « النقابة » سنجيفا ردى رئيس مجلس النواب الى صفه . وهكذا اعتقد اليمين داخل الحزب انه اصبح بامكانه ان يحقق الانقلاب وينتقم من انديرا غاندى التى استمرت فى استقلاليتها وتاييدها للسياسات اليسارية الاشتراكية .

وهكذا عندما اجتمعت اللجنة المركزية لحزب المؤتمر الهندى فى يوليو الماضى كانت كل الحسابات تشير بشكل ظاهرى الى ان اليمين سيتمكن من اخضاع رئيسة الوزراء ان لم يتمكن من عزلها تماما .

وارسلت انديرا غاندى الى الجلسة الافتتاحية لاجتماع بانجلور — عاصمة مايسور — برسالة تضمنت بعض « آرائها حول المسائل الاقتصادية » وكانت هذه الرسالة هى الوثيقة التى فجرت الازمة . اذ نادت بضرورة تاميم البنوك والمبادرة بمشروع قانون للاصلاح الزراعى اكثر جذرية بالاضافة الى ما ورد فى رسالتها من ضرورة تأميم الاستيراد . واشارت فى رسالتها هذه الى ان مثل هذه الاجراءات اصبحت ضرورية حتى يتمكن حزب المؤتمر ان يواجه الجماهير ويعبر عن آمالها ويقضى على الازدواجية القاتلة فى صفوفه .

وزع انصار انديرا غاندى هذه الرسالة التى كانت بمثابة الاداة السياسية التى حولت اليمين من موقف المهاجم الى موقف الدفاع وعدلت موازين القوى ، ودب الحماس فى اوساط الشعب وجماعات اليسار ويسار الوسط وادركت هذه القوى ان هذه الرسالة هى نذير المعركة المنتظرة وبالتالى قاموا بالتصدى لمحاولات اليمين للهيمنة على جهاز المؤتمر وعلى الحكم . لقد وجهت انديرا غاندى المعركة لتدور حول النقابة السياسية والاجتماعية باعتبارها محور الخلاف والصدام بعد ان حاول اليمين تركيزها على الشخصيات ، وهذه الخطة البارعة هى التى اضفت على اجتماع اللجنة المركزية فى بانجلور ابعادا جديدة وحاسمة .

واجتمعت « النقابة » اليمينية تخطط للمعركة وقررت الاستناد الى الاكثرية العددية التى تتمتع بها فى اللجنة القيادية لاحتواء الجو الذى اوجدته الوثيقة الاشتراكية التى تقدمت بها انديرا غاندى . فاجتمعت قيادة الحزب بدون انديرا غاندى وقررت اللجنة بالاغلبية ترشيح سانجيفاردى — رئيس مجلس النواب — ومن المقربين للنقابة اليمينية فى الحزب لمنصب رئاسة الجمهورية . وما كادت تصل رئيسة الوزراء الى بانجلور حتى ووجهت بهذا القرار . فطالبت باعادة النظر لان قرارا بمثل هذه الاهمية لايجوز ان يتخذ فى غيبة زعيمة الحزب فى البرلمان وبدون استشارة رئيسة الوزراء التى ستتعامل معه مستقبلا بما يستهدف الحد من سلطات هذه الرئاسة بما ينطوى عليه من معان وآثار دستورية وسياسية رجعية بالنسبة للاوضاع السياسية فى الهند . ولكنها لم تعلن عن رأيها هذا ، بل قررت الا تثير قضية الترشيح للرئاسة حتى تؤمن قيادتها من خلال تنفيذ مشروعاتها الاقتصادية فتضمن القوة السياسية التى تهىء لها الرد الحاسم على اليمين فى الحزب . فاعلنت الرئيسة انديرا غاندى عن عزمها على تولى سلطات وزارة المالية نظرا لتضارب آرائها مع آراء الوزير مورارجى ديساى — وانه لا مانع لديها ان يبقى ديساى نائبا لرئيسة الوزراء . وقد حاول وزير الداخلية شافان ان يدخل طرفا مهدئا فى النزاع لعله يستفيد من هذا التناقض العقائدى — السياسى الاخذ فى الاحتدام . ولكن تأييده لقرار القيادة بترشيح سنجيفا ردى بدون الاخذ برأى رئيسة الوزراء اوجد ازمة ثقة بينه وبين عدد كبير من انصارها . واستقال ديساى من كل مناصبه بعد اعفائه من وزارة المالية .

وعلى اثر اقرار اللجنة المركزية لبرنامجها الاقتصادى قامت بترجمة هذا البرنامج عمليا . وكان ان اعلنت القرار التاريخى بتأميم ١٤ من المصارف الكبرى فى الهند ، ولقى القرار موجة من الحماس الشعبى خارج وداخل الحزب لم تشهدها البلاد منذ الاستقلال . وقامت مظاهرات التأييد ووعدت انديرا غاندى بتدابير اخرى لتؤمن سير الهند نحو الاشتراكية .

وتسابق كاماراج وشافان لتأييد هذه التدابير ، الا انهما حاولا ان يضغطا على الرئيسة بأن تعيد مورارجى ديساى ، لكنها رفضت ، وقالت فى خطاب لها ان النقابة اليمينية قالت لها ان اعضاءها مستعدون لتأمين منصبها اذا ما اعطت تأكيدات بانها لن تلجأ الى سياسة التأميم . وقالت بنبرتها

الحادة التى ذكرت الكثيرين بوالدها « انا لا يهمنى فى شىء ان اكون رئيسة وزراء اذا كان هذا يعنى التضحية بمبادئى » (•)

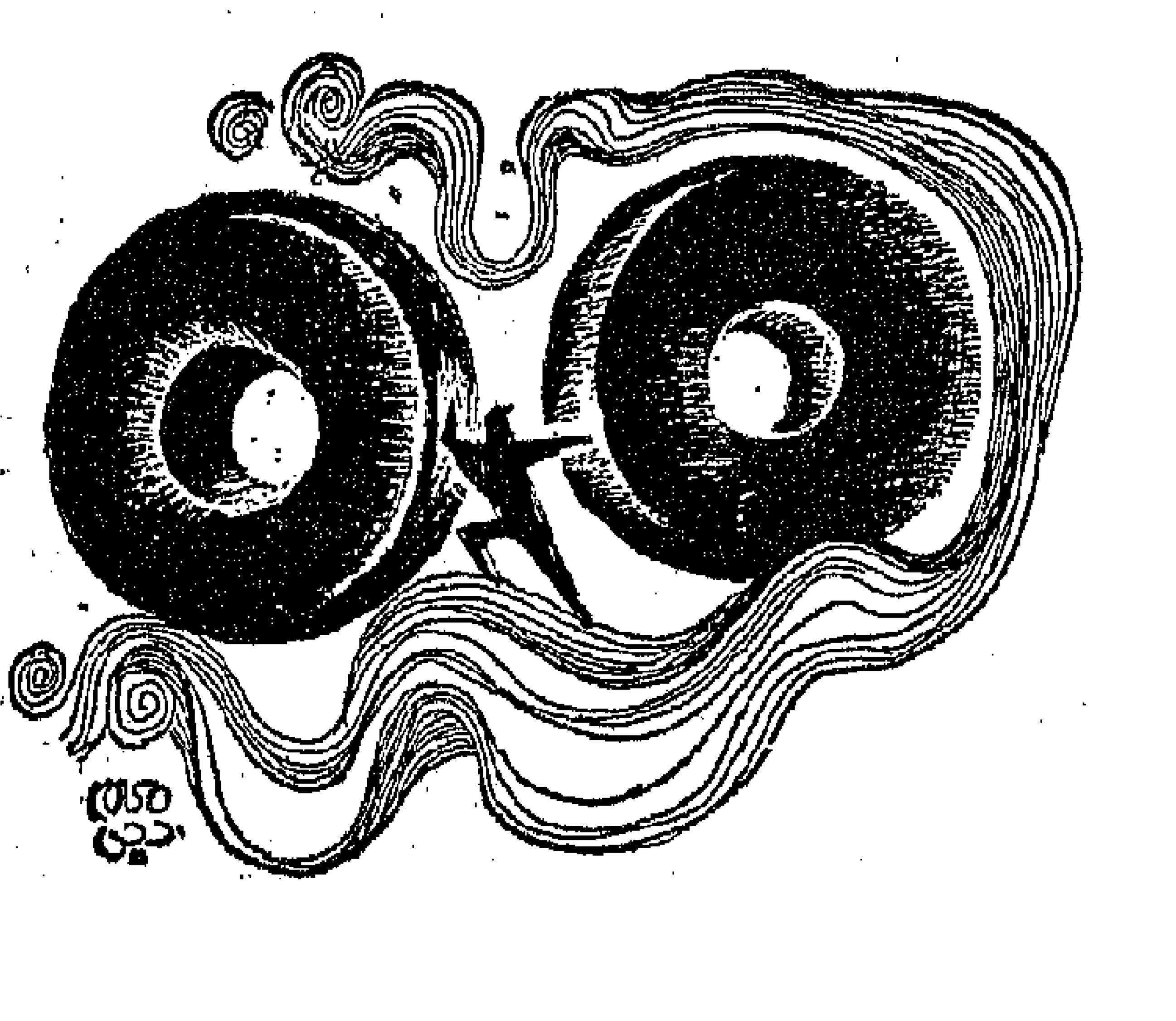
ودخلت البرلمان فى افتتاح دورته الصيفية فى ٢٦ يوليو ــ اى بعد يومين من قرار التأميم ــ لتجد التأييد العارم لقرار التأميم حتى من قبل اليمين فى حزب المؤتمر الذى ادرك ان أية معارضة من قبلهم سيؤدى الى عزلهم تماما عن قواعدهم وركائزهم الحزبية •

ولكن اليمين الذى وجد نفسه معزولا عن الموجة الشعبية استمر فى مناوراته لاحراج رئيسة الوزراء وكان لابد ان يسجل انتصارا على رئيسة الوزراء بعد ان « اقالت » زعيم اليمين من الحكم (ديساى) وبعد ان أممت المصارف ، واتجهت بالحزب نحو التطبيق الاشتراكى بعد ان كان حزب المؤتمر مكتفيا بترديد شعاراتها • وقامت بقايا اليمين فى الحزب بتجميع قواهم بعد سلسلة الضربات التى تلقوها الواحدة تلو الاخرى من اليسار بزعامة انديرا غاندى • وكان اخر مناورة من جانبهم هى تأمين انتخاب سنجيفا ردى وجعله مركز تجمع مقابل للرئيسة انديرا غاندى •

وقد اصر ف•ف• جيرى على ترشيح نفسه مستقلا ، بعد ان قرر المؤتمر تبنى ترشيح ردى للرئاسة • وقام كريشنا مينون بتعبئة الاحزاب اليسارية لتبنى ترشيحه • • وكان جيرى عضوا بارزا فى حزب المؤتمر ومن قدامى زعماء الحركة النقابية • واشارت انديرا غاندى عدة مرات ــ وبعد الشعبية الكاسحة التى حققتها ــ بضرورة اعطاء الحرية لاعضاء المؤتمر ان يصوتوا بحرية حسب ضمائرهم • وادرك اليمينيون بان مثل هذا التوجيه لزعيمة الحزب هو بمثابة توجيه لانصارها ان يصوتوا لجيرى • فقام اليمين يؤكد على ضرورة « الانضباط الحزبى » و« وحدة الحزب » لتأمين اجماع اعضاء المؤتمر على تأييد مرشح « النقابة » اليمينى • لكن انديرا غاندى كانت تعتبر ــ كما ظهر فيما بعد ــ ان السياسات الاشتراكية الواضحة لها اولوية مطلقة على وحدة مزيفة مائعة يدعوا لها اليمين ، كما ان رئيسة الوزراء اكدت على ضرورة قيام تناسق بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء يؤمن التفاهم والتعاون ، اذ ليس من المتصور ان يصبح رئيس الجمهورية منافسا ، او مناوئا سياسيا لموقع السلطة الحقيقية •

وقام انصار انديرا غاندى بتأمين الاغلبية لجيرى لان انتصار ردى اصبح تحديا سافرا لرئيسة الوزراء وسياساتها المعلنة • وجاءت نتيجة انتخابات رئاسة الجمهورية بانتصار زعيمة الحزب على النقابة مرة اخرى مما ادى الى تفكك اليمين وبعثرته داخل حزب المؤتمر •

يبقى الان ان يقود حزب المؤتمر ــ بعد ان تغلب اليسار سياسيا وتنظيميا ــ المعركة ضد اليمين خارج حزب المؤتمر وذلك بان يقود تحالف اليسار. ان انتصار انديرا غاندى يكفل للهند السير قدما فى سياسة عدم الانحياز والاتجاه بخطوات اكثر ثباتا فى طريق الاشتراكية (•)



حوار
مع الطليعة

مسألة المناقشة

مسئوليتنا: تجاوز كل الصعوبات والحساسيات والخلافات الجزئية

يبدى هنا الدكتور حبيب حداد عضو القيادة القطرية لحزب البعث فى سوريا، ورئيس الوفد السورى الى التجمع العالمى ببرلين، فى رسالة الى لطفى الخولى، وجهة نظره فيما جاء بافتتاحية العدد الثامن (١٩٦٩) من الطليعة بعنوان « مسألة المناقشة »

وننشر فيما يلى رسالة الدكتور حداد وتعليق لطفى الخولى عليها.

كتب الدكتور حبيب حداد :

أطلعت على مقالكم المنشور فى عدد اغسطس لمجلة الطليعة بعنوان « **مسألة المناقشة** »، والذى تعرضتم فيه لمواقف الوفود العربية خلال الاجتماع العالمى للسلام الذى انعقد فى برلين الشرقية فى أواخر شهر يونيو [حزيران] الماضى، وانتهيتم بعد ايراد بعض الوقائع التى دارت فى المؤتمر المذكور والمتعلقة بمواقف الوفود العربية، أو بوجهات النظر التى ابديت الى طرح موضوع الخلافات التى ما تزال قائمة بين القوى التقدمية والتى تتناول العمل ونوعية الاساليب الواجب استخدامها تجاه القضية الفلسطينية التى هى رأس القضايا المصيرية بالنسبة للامة العربية — والتى هى مفتاح وجوهر حركة التحرر العربى التقدمية حسبما ورد فى مقالكم.

وفى البداية فاننى أتفق معكم على أهمية طرح أى موضوع للمناقشة على صفحات مجلة الطليعة التى اتخذت رسالة لها أن تكون طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر. وبصورة أساسية تلك الموضوعات التى تغنى حركة الثورة العربية وتوضح جوانبها، وتساهم فى توفير الظروف الملائمة من أجل لقاء القوى التقدمية العربية وتوحيد نضالها، ولست أهدف من وراء هذه الرسالة أن أعرض لمسألة مطروحة للمناقشة وانما الهدف من هذه الرسالة التى أرجو أن تجد طريقها الى صفحات مجلة الطليعة هو أن اسجل بعض الملاحظات التى تتناول بالتصحيح ما ورد فى مقالكم من وقائع معينة — لانه ينبغى فى رأيى أن نضع الامور فى مكانها الصحيح كى نستطيع أن نرسم اطارا موضوعيا وامينا لاية مسألة مطروحة للبحث والمعالجة. ولابد ان تجرى هذه المناقشة على أرض واضحة تنيرها شمس الحقيقة الساطعة لنتبين فيها مواقع أقدامنا. وليتم الحوار وتبادل الاراء بشكل علمى من اجل تحقيق الهدف المطلوب

ولا ريب في أن الحقيقة تظل الهدف الاول الذي يكرس التقدميون وجودهم من اجل انتصاره ، وتكريس أسسه في شتى المجالات .

وفي رأيي أن أول انطباع يحمله القارىء الذي يتابع اهتمام تسلسل فقرات هذا المقال وهو ينتظر تحديد اطار المسألة التي ترمون الى طرحها على بساط المناقشة — لا يجد القارىء من خلال عرض الوقائع تسلسلا منطقيا مقنعا يقود الى النتيجة التي انتهى اليها المقال ، وهي تصوير الواقع الذي كان قائما بين الوفود العربية خلال مناقشة القضايا الثلاث من قبل هذه الوفود بأنه يمثل ظاهرة الخلاف القائم بين القوى الثورية العربية فيما يتعلق بالعمل ونوعية الاساليب التي يجب استخدامها في كل ساحة من ساحات النضال من أجل القضية الفلسطينية .

في رأيي أن القارىء الموضوعي لايمكن ان يستخلص من الوقائع ووجهات النظر الواردة في مقالكم أمورا تشير بأي حال من الاحوال الى وجود خلافات في وجهات النظر وأساليب متباينة للعمل بين القوى التقدمية،ولااريدهنا ان انفي وجودمثل هذه الخلافات بين القوى التقدمية العربية مطلقا ، فان ذلك أمر يناقض الواقع المتمثل في كل ساحةمن ساحات النضال على الارض العربية والذي يحملنا جميعا مسئولية العمل المشتركفيسبيل الوصول الى وحدة في وجهات النظر وفي أساليب العمل في هذه المرحلة المصيرية التي تمر بها الامة العربية .

ولكنني بكل وضوح اريد ان اسجلرأيي هنا في أن ماورد في هذا المقال بالذات ، وحول مادار بين الوفود العربية في المجتمع العالمي للسلام ، لا يمكن أن يكون أساسا لطرح المشكلة القائمة بين القوى التقدمية العربية والتي تتمثل في الخلافات الجزئية التي تتعلق بمواقفها وأساليب عملها تجاه جملة من قضايا النضال العربي .

ان ما دار بين الوفود العربية في التجمع العالمي للسلام بشأن تحديد موقف موحد من القضايا الثلاث المطروحة والنتائج التي توصلنا اليها — لو أتيح لها ان تجد طريقها الى المؤتمر — لايمكن ان توصف او تكون اساسالطرحالمشكلة التيتهدفالى طرحها على المناقشة ، فان مناقشة المشروع الذي قدمته اللجنة الرباعية التي كلفت من قبل الوفود (وكنتانت احداعضائها) وادخالتعديلات أساسية على هذا المشروع سواء من قبل وفد القطر العربي السوري أم من قبل الوفود العربية الاخرى ، ومناقشة التعديلات المقترحة من قبل أعضاء الوفود العربية بروح رفاقية مسئولة ،

وانطلاقا من نظرة موضوعية واعية تقدر نوعية المنطق والاسلوب اللذين ينبغي أن نخاطب بهما الرأي العام العالمي واللذين أسهمت في الحديث عنهما وعن ضرورتهما في مقدمة مقالك .

لم يكن هناك ما يقود الى اعتباره أساسا للمشكلة المطروحة اللهم الا اذا اقتنعنا جميعا بأن بعضا من الوفود العربية والتي تحددها في مقالك « بالاقلية » عندما تذكر أنها تمثلت في موقفي وموقف الاخوين المناضلين — **يحيى حمودة — وعبد الكريم الكرمي** — واسمح لنفسي هنا اذا استخدمت بعض التصرف وتجاوزت نطاق الاسماء والمنظمات ضمن الوفد الواحد لاقول أن ما تسميه من مواقف معارضة وممثلة للاقلية كانت كما تذكر تنحصر فقط في موقف وفد فلسطين ، ووفد القطر العربي السوري — ان القارىء المتفحص لايمكن ان يعثر في المقال على سبب مبرر للمسألة وتسميتها بهذا الشكل الا اذا قبلنا ان هذا السبب هو الموقف المعارض ، والمتعمد من قبل الوفدين الفلسطيني ، والعربي السوري — تجاه الموقف الموحد للوفود العربية الاخرى والعمل على تعطيل هذا الموقف الموحد عن طريق التذرع بمختلف الحجج والمبررات وكانت الحجة المواتية ، والتي سنحتفيما ورد في مقالك ، تذرعنا بأن بعض التعديلات المقرة لم تترجم ترجمةحرفية كاملةالىاللغة الفرنسية**برغممحاولة اقناعنا بأن اللغة الفرنسية غير اللغة العربية في تركيباتها ومترادفاتها** — هكذا بلغ تصوير الامور وعرض الوقائع في مقالكم .

واجدني هنا في سبيل الموضوعية والدقة الكاملة في ابرازوجهة نظركم حولالوقائعوالظواهرالتي تكشف أصول الخلاف أن أورد هذه الفقرة من مقالكم بحرفيتها :

« وعهد الى اثنين من الاخوة الليبيين بترجمة المشروعات الثلاث المعدلة الى اللغة الفرنسية لتقديمها الى التجمع في جلسته الختامية كبيان عربي موحد ، وقاما فعلا بالترجمة يعاونهما الاخ المهيدي العلوي ، وقبيل افتتاح الجلسة الختامية جاءني الاخ المهيدي العلوي ليخطرني بضرورة العدول عن البيان ، لماذا لان الاخ « **حبيب حداد** » اكتشف أن جزءا من تعديلاته لم تترجم وبالتالي فهو يعتبر انه أخل بالاتفاق ، وراجعنا الترجمة الفرنسية على الاصل العربي وبالفعل كانت هناك بعض العبارات في الفقرة الاولية التي اقترحها الاخ حداد كي تتصدر الرد على الاعتراف لم تترجم ترجمة حرفية كاملة — وسألنا الاخوان الليبيان عن سبب ذلك فقالا ان اللغة الفرنسية غير اللغة العربية في تركيباتها ومترادفاتها .. وان المعنى الذي قصده الاخ حداد قائم وواضح في الترجمة

الفرنسية ، ولكنه لم يقتنع بذلك ، فتدخلت قائلا : « المسألة بسيطة ومازالت في أيدينا ، تعاد الترجمة حرفيا » ووافق الجميع ، الا ان الاخ حبيب حداد رفض وطلب العدول نهائيا عن القاء البيان وأيده في ذلك كل من الاخوين المناضلين يحيى حمودة — وأبو سلمى من منظمة تحرير فلسطين ، ولم تجد محاولات بقية الاخوة أعضاء غالبية الوفود العربية بما فيهم ممثل فتح اقناعهم بالعدول عن موقفهم ذلك ، لان مبدأ الرد على اسئلة الرأى العام العالمي قد أقر بالاجماع ووافقوا هم على ذلك بعد عرض وجهة نظرهم الخاصة بعدم الرد ، وهكذا ووجهنا بموقف صعب : عودة الخلاف على أساليب العمل في الساحة الدولية بين اقلية وأغلبية داخل اطار القوى التقدمية العربية • وكان من رأى البعض عدم القاء البيان خشية أن يقوم واحد من الاخوة امام التجمع ويدلي برأى معارض فتتداعى « صورة الوحدة » التي نبدو بها أمام التجمع • ولكن البعض الاخر — كنت منه — كانت ترى ضرورة القاء البيان رغم كل شيء • وذلك على اساس الاحساس بالحاجة الموضوعية اليه من ناحية ، وبان الوحدة من ناحية اخرى ، اذا كانت شكلية فأن بقاء صورتها متكاملة او متداعية لاضرر حقيقي منه ، وانما الضرر هو في أن نظن اننا — رغم انتمائنا جميعا لحركة التحرر العربي التقدمية — موحدو الموقف والرأى والاسلوب ، في حين اننا في واقع الامر وحقيقته ، لسنا كذلك ، ومع ذلك وافقنا على ايقاف القاء البيان اذا وافق الاخوة الثلاث المعارضين على عقد اجتماع عام تحضره جميع الوفود العربية لاعادة مناقشة الامر • بيد أن الاخوة الثلاث لم يستجيبوا لعقد أي اجتماع • وعلى هذا الاساس لم يكن هناك بد من القاء البيان بنصوصه الثلاثة على التجمع ، على اساس أنه موقف عربي من الاسئلة الثلاثة وليس بيانا عربيا موحدا ، وكان رد فعله — مع ذلك — ايجابيا الى حد كبير » (•)

وبعد ذلك فان واجب الالتزام بالحقيقة يدفعني الى تسجيل الملاحظات التالية :

● كان موقف أعضاء الوفود العربية في مناقشاتهم منطلقا من التقدير الكامل لاهمية الاسلوب الصحيح في مخاطبة الرأى العام العالمي ، وشرح قضايانا له ، الاسلوب العلمي الذي يتسع لاقصى درجات المرونة ويعتمد المنطق والعلم مادة للاقناع ، ولكن الحرص ايضا في نفس المستوى على أن يكون هذا الاسلوب الذي نعتمده متفقا مع الموقف المبدئي ومحققا بالنتيجة للهدف الاساسي الذي نرمي اليه •

وهدفنا ولا شك هو اطلاع الرأى العام العالمي وقواه التقدمية بصورة خاصة على حقيقة الصراع العربي — الصهيوني ، وجوهر المشكلة التي يتمثل حلها في حق الشعب العربي الفلسطيني في تحرير أرضه والعودة الى وطنه المغتصب •

ولقد تجلى هذا الوعي والى حد كبير في مناقشات أعضاء الوفود العربية في مختلف اللجان وفي الاجتماع الموسع الذي عقدته الوفود لمناقشة مشروع الرد العربي الموحد على المسائل الثلاث المطروحة ، وبالرغم مما يمكن ان يذكر من خلافات ثانوية بين القوى التقدمية العربية والتي تمثلت في الوفود التي شاركت في التجمع العالمي للسلام • الا أن وجودنا في الساحة الدولية التي تطرح فيها قضايا أساسية تتعلق بنضالنا ومصير شعبنا ، قد حقق لنا أرضا مشتركة ومارسنا من خلال ذلك دورا ايجابيا فعالا يشهد على ذلك المقررات التي صدرت عن المؤتمر بالنسبة لقضايا فلسطين ولمسألة العدوان الاستعماري الصهيوني وكفاح الشعب العربي بصورة عامة •

تلك المقررات التي يعلم مدى ايجابيتها ومدى التطور الذي جسدته في مواقف الرأى العام العالمي ، كل الذين حضروا وشاركوا في أعمال مؤتمرات مجلس السلام العالمي السابقة • صحيح أن هذه القرارات تعود بدرجة كبيرة الى التطورات الهامة التي حصلت في ساحة الصراع العربي الصهيوني وفي مقدمتها بروز دور المقاومة العربية وافتضاح حقيقة اسرائيل كأداة لتنفيذ السياسة الامبريالية وتحديها السافر لارادة شعوب العالم وقواه التقدمية ، الا أن ما يجب الاعتراف به هنا هو الدور الملحوظ الذي تحقق بمشاركة ونشاط الوفود العربية في هذا المؤتمر العالمي ، وفي رأيي انه كان يمكن التوصل الى نتائج افضل ، والى مقررات أكثر تفهما ودعما لنضالنا لو أتيح للوفود العربية أن تضع خطة موحدة قبل فترة كافية من انعقاد المؤتمر المذكور ، ولو اتيح لها ان تسهم بشكل اكثر فعالية في الاجتماعين التمهيديين اللذين انعقدا للتحضير لهذا المؤتمر •

● لقد كان اهتمام وفد القطر العربي السوري في هذا المؤتمر منصبا على تحقيق موقف موحد وفعال للوفود العربية يسهم في توضيح وشرح مختلف جوانب قضيتنا العادلة لقوى الرأى العام العالمي — ونحن ننطلق في ذلك من تطبيق السياسة المبدئية الواضحة لحزبنا في العمل المستمر والنضال الدائب في سبيل ازالة كل الحساسيات والخلافات الجزئية والهامشية القائمة في العلاقات بين القوى التقدمية العربية ، وضرورة تحمل هذه القوى لمسئولياتها التاريخية ، والتحام نضالها في ساحاته القتالية والسياسية •

ولقد قام وفد القطر العربي السوري ـ كما تعلم الوفود العربية الشقيقة ، وضمن ما سمحت به الظروف ـ بجهد متواضع في هذا المجال لا لزوم للحديث عنه هنا .

● أما بشأن مناقشة الفقرات الثلاث المتعلقة بالرد على المسائل المطروحة فاني ما زلت أذكر وأعتقد أيضا أن كل الاخوة أعضاء الوفود العربية الذين حضروا ذلك الاجتماع الموسع ما زالوا يذكرون ذلك جيدا ، ان ما دار من نقاش في تلك الجلسة يتلخص في الامور التالية :

اولا : فبالنسبة للمشروع الذي حضرته اللجنة الرباعية المكلفة بالرد على موضوع الاعتراف باسرائيل ، وحيث تولى الاخ لطفي الخولي توضيح وجهة نظر اللجنة بصفته أحد اعضائها والدفاع عن مشروعها المقترح بالنسبة للمسائل الثلاثة المطروحة . كانت هناك بالنسبة للمسألة الاولى أي الاعتراف باسرائيل اعتراضات اجماعية ،عبر عنها عدد غير قليل من اعضاء الوفود العربية . ولقد تحدثت أنا بعد ذلك بشكل مفصل وأبديت اتفاقي مع وجهات النظر التي طرحها الاخوة أعضاء الوفود الذين تكلموا قبلي ، كما طرحت ملاحظات أخرى . وقد تركزت هذه الاعتراضات على ما يلي :

١ ـ ان مشروع الرد الاساسي وهو يختلف الى حد ما عن النص الوارد في ما قلتم في مجلة الطليعة ، برغم صياغته المتسلسلة والمحكمة . الا انه جاء بلغة قانونية تصلح ان تكون منطقا معتمدا في المؤتمرات الدولية القانونية ـ وفي منظمة الامم المتحدة وهيئاتها المنبثقة عنها ـ ومثل هذا المنطق لا يمكن أن يدخل في نطاق التكتيك والمرونة المطلوبة في المؤتمرات التي تمثل فيها الشعوب والقوى التقدمية والتي تواجه بأعلى مستوى نضالي ومبدئي والتي نفترض فيها أن تكون أكثر التزاما بأسس الحق والعدالة وكل القيم الانسانية وأكثر تدعيما لنضال الشعوب وحقها في الحرية والتقدم .

٢ ـ ولم يكن الاعتراض السابق مقتصرا على الناحية الشكلية كما قد يفهم للوهلة الاولى ،بل ان الاعتراض الاساسي على هذا المشروع هو أن الرد المقترح من حيث انه أراد ان يثبت ان مطالبة الشعب العربي بالاعتراف باسرائيل أمر غير مقبول وغير متفق مع حق الشعوب في الحرية وفي تقرير المصير ـ فانه أي مشروع الرد قد انطلق من أساسه من اقرار مبدأ القبول بالاعتراف ، ولكنه علق هذا الاعتراف على ضرورة توفر بعض الشروط التي لا تتوفر لاسرائيل حاليا لتجعلها جديرة بالاعتراف ، وذلك يعني بشكل غير مباشر كما عبر عن ذلك جميع الاخوة الذين شاركوا في المناقشة ـ وهو أمر غير مقصود بالطبع ـ من الاخوة الذين ساهموا في وضع مشروع الرد والذين لا يمكن أن يتطرق لاحد الشك بوطنيتهم واخلاصهم . لقد كان ذلك يعني الدعوة لتوفير تلك الشروط المطلوبة بالنسبة لاسرائيل ليمكن بعد ذلك اعتبار طرح مسألة الاعتراف بها أمرا منطقيا ووارداً ، فمشروع الرد الذي قدمته اللجنة يسلسل الامور كما يلي :

لا يوجد في القانون الدولي او ميثاق الامم المتحدة ما يلزم دولة ما بالاعتراف بدولة أخرى تحت أي ظروف ـ ذلك ان الاعتراف عمل من اعمال السيادة القومية لايمكن ان تجبر عليه دولة ما ، والا فقدت استقلالها وسيادتها .

ويستشهد مشروع الرد ، وهذه فقرة مغفلة في المقال ، يستشهد لتوضيح الفكرة السابقة بأننا نجد حتى الان في المجتمع الدولي أن كثيرا من الدول لم تعترف حتى الان بالصين الشعبية ، اذ انه ليس هناك ما يلزم هذه الدول بالاعتراف بها .

ويتابع مشروع الرد : وبالتالي فليس في القانون الدولي بداءة ما يلزم اية دولة عربية بالاعتراف باسرائيل .

ويتابع مشروع الرد بعد ذلك تحديد الشروط التي يجب أن تتوفر في وجود أية دولة وفي اسرائيل بالذات لتكون جديرة بالاعتراف .

وفي مقدمتها « تعيين حدود واضحة لتلك الدولة واحترام ميثاق الامم المتحدة ومقرراتها » .

ويتابع المشروع الرد فيجيب على الامور التي يجب توافرها لكي يمكن رؤية الاعتراف باسرائيل رؤية موضوعية ويذكر منها : تعيين حدود واضحة لاسرائيل ، احترام وتنفيذ قرارات الامم المتحدة ، والاعتراف بحقوق شعب فلسطين ،وينتهي المشروع الى القول بأن هذه الشروط قد توفرت في موقف منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات العمل الفدائي التي طرحت قيام دولة عربية يهودية في فلسطين ..

ولقد ابديت وجهة نظري بشأن مشروع الرد هذا المتعلق بالاعتراف باسرائيل ،وبعد ان تحدث عدد من الاخوة اعضاء الوفود العربية ومن مختلف الاتجاهات السياسية الذين اجمعوا على ان هذا المشروع لا يحقق الغرض المطلوب ، ولا يمكن ان يكون مقنعا لممثلي الرأي العام العالمي المتواجدين في هذا المؤتمر ، ولقد تحدثت موضحا الامور التالية :

١ – ان المنطق الذى اعتمده مشروع الرد وهو المنطق القانونى الذى استند الى ميثاق الامم المتحدة وقراراتها ليس هو المنطق المفيد بالنسبة لقضيتنا فى هذا المؤتمر، ولا يمكن ان يكون الاسلوب العلمى والموضوعى لمخاطبة ممثلى الاحزاب والحركات التقدمية فى العالم ، والذى يضم هذا المؤتمر العالمى عددا كبيرا منهم .

٢ – أوضحت ايضا ان النتيجة التى خلص اليها المشروع هى عكس ماينبغى اليه جميعا ، لان مشروع الرد قد انطلق اساسا من اقرار مبدأ الاعتراف الذى لايجدى بعده ما اتبع من اسلوب وتكتيك منطقى وقانونى لانه يمكن الرد على الشروط المطروحة من أجل رؤية الاعتراف رؤية موضوعية وفى شروط تعين حدود اسرائيل واحترامها لميثاق الامم المتحدة ومقرراتها ، يمكن ان يرد على هذه الامور من قبل اى من اعضاء المؤتمر ، بان ذلك يمكن الوصول اليه وتحقيقه عن طريق موقف دولى أو قرار تتخذه المنظمة الدولية اذا ماطبق ، وعلى سبيل المثال قرار مجلس الامن الدولى الذى صدر فى ٢٢ نوفمبر [تشرين الثانى] ١٩٦٧ .

واعترضت بشدة ايضا على ايراد موضوع الصين الشعبية ومدى ما يحمله ذلك من اضعاف لموقفنا حينما يعرض مشروع الرد ، ومقارنة لعدم وجود مايلزم اية دولة بالاعتراف بالصين الشعبية وبالتالى فليس فى القانون الدولى بداءة – مايلزم اى دولة بالاعتراف باسرائيل ، لانه لا يمكن لاى تقدمى او لاية منظمة شعبية او حركة تقدمية ان تجيز لنفسها استخدام مثل هذا المنطق الذى قد يجد له تفسيرا فى الوضع الدولى القائم ، ولكن شتان بين الوضع الدولى القائم ومنظماته المختلفة وبين ما يجب أن يكون متفقا مع المصلحة الحقيقية للشعوب ولقضية التحرر العالمى والسلام القائم على العدل .

واعترضت على الشكل الذى ورد فيه موقف منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات العمل الفدائى من مسألة الكيان الصهيونى فى الارض المحتلة ، وذلك كما اورده المشروع بقيام دولة عربية يهودية فى فلسطين ، واوضحت انه اذا كان المقصود ان تسجل فى ردنا موقف منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو الموقف الذى تطرحه ايضا عدد من منظمات العمل الفدائى فهو : قيام دولة فلسطينية ديمقراطية كجزء من الوطن العربى يعيش فيها كل المواطنين من مسيحيين ومسلمين ويهود دون اى تمييز او تفريق عنصرى ، وقلت ان ذلك يختلف بالطبع اختلافا كبيرا عما هو وارد فى مشروع الرد الذى قدمته اللجنة لان اقامة دولة عربية يهودية فى فلسطين ، هى فكرة يطرحها ويدعو لها عدد من مفكرى اليسار الاوروبى الذين برغم مواقفهم المؤيدة نسبيا لنضال الشعب العربى والشعب العربى الفلسطينى بصورة خاصة ، لا يفترض فيهم ان يتبنوا قضيتنا على حقيقتها ، كما نتبناها نحن اصحاب المشكلة . وبعد ان ابديت هذه الملاحظات تقدمت بمشروع تعديل يتضمن هذه الملاحظات والملاحظات الاخرى التى ابداها الاخوة اعضاء الوفود العربية الذين تحدثوا قبلى ، واستهدف اقتراح التعديل الذى تقدمت به تغيير المنطلقات الاساسية لمشروع الرد وتجاوز الشكل القانونى وحذف كل الافكار والفقرات السلبية التى جئنا على ذكرها ، واقترحت فى مجال منطلقات هذا الرد ان نؤكد على دور التجمع العالمى للسلام ودور القوى التقدمية فى العالم ازاء مشكلة تهدد السلام العالمى وتوجه طعنة لكفاح كل الشعوب المناضلة ولقضية الحرية فى العالم اجمع وهى مسألة الاحتلال الاستعمارى الصهيونى للارض العربية وتشريد الشعب العربى الفلسطينى من وطنه ، واقترحت أن تكون مقدمة الرد ، وليس تبديل فقرة بفقرة اخرى كما يلى :

ان هذا التجمع العالمى للسلام تتركز اهدافه الاساسية فى تدعيم قضية السلام العالمى وتعزيز نضال الشعوب ، ولقد جئنا جميعا الى هذا المؤتمر للدفاع عن السلام واتخاذ المواقف التى من شأنها تحقيق التقدم الانسانى عن هذا الطريق .

ان جهودنا ومناقشاتنا يجب ان تنصب على الموضوع الاساسى الذى ينسف اساس السلام والعدالة فى الشرق الاوسط وهو موضوع الاحتلال الاسرائيلى لاراضى الاقطار العربية واستمرار هذا الاحتلال ، ومن واجبنا جميعا ان نعزز قضية السلام ، ونتخذ من المواقف مايخدم ذلك ، أما طرح اعتراف الدول العربية باسرائيل ، وهى ضحية العدوان والمحتلة اراضيها امر لا يتفق والاهداف التى اجتمعنا من أجلها لانه يعزز نوازع اسرائيل العدوانية واستهتارها بالرأى العام العالمى ، بدل ان تنصب جهود القوى المحبة للسلام وكل الاحرار فى العالم الى المطالبة بالقضية الاساسية والملحة وهى الانسحاب الكامل وغير المشروط من الاراضى المحتلة . فالتصور بان الاعتراف يحل المشكلة لصالح السلام هو تصور غير واقعى ، لان القضية فى جوهرها ليست فى الاعتراف او عدم الاعتراف وانما هى فى وجود عدوان واحتلال يجب ان يصفى ، فلا يمكن ان نتصور مثلا ان الاعتراف بروديسيا أو بجنوب أفريقيا يحل مشكلة النظام العنصرى القائم فيهما ، فالاعتراف لا يزيل العدوانية ولا يحل مشكلة الاحتلال . ان شأن بعض الاراء والاصوات التى تطرح فى هذا المؤتمر او فى مناسبات ومجالات اخرى حول ضرورة

اعتراف الشعب العربي بالكيان الاسرائيلي كشأن بعض الاصوات ، والاراء التي يمكن ان نتصور انها قد طرحت ابان الغزو النازي الفاشي في الحرب العالمية الثانية واحتلاله لبلدان اوروبا وانتهاكه حريات شعوبها وارتكابه ابشع الجرائم . انه نفس المنطق الذي يمكن ان يطلق آنذاك ، ويقول ان من اسباب ذلك العدوان النازي ان بعضا من شعوب اوروبا او بلدانها لم تكن تعترف بالحكم النازي وان ذلك قد يكون مبررا لما قامت به النازية من جرائم في حق البشرية في تلك الفترة الزمنية متجاهلا في ذلك الطبيعة العدوانية العنصرية التوسعية لذلك النظام الذي لا يمكن ان يستمر الا على اساس الاستمرار في العدوان وانتهاك حريات الشعوب .

وبعد ذلك كان الاقتراح ان ننتقل الى توضيح حقيقة قضية الشعب العربي الفلسطيني وحقوقه القومية المشروعة في العودة الى ارضه ومواقف اسرائيل من الامم المتحدة والرأي العام الدولي واعتداءاتها المستمرة على الشعب العربي، وعلى حركات التحرر العالمية والافادة مما هو وارد بالنسبة لهذه القضايا من الفقرات الواردة في مشروع اللجنة .

ولقد وافق الاخوة اعضاء الوفود على الاقتراح الذي تقدمت به ليكون اساسا واطارا للموضوع الاول المتعلق بمسألة الاعتراف باسرائيل . وكان مصدر هذه الموافقة الاجماعية ان هذا الاقتراح جاء متفقا ووجهات النظر التي ابديت ، ولم يكن مصدر ذلك الاجماع على ما اعتقد مجرد الرغبة والحرص على ان يكون الرد العربي المشترك ممثلا لاجماع الوفود ، وكيفما كان مضمون وشكل هذا الرد كما يفهم مما ورد في مقالكم .

واما بصدد مسألة المفاوضات فعلى ما اذكر ان الاجتماع الموسع للوفود العربية قد وافق على مشروع اللجنة بعد ان ادخل تعديلات طفيفة عليه .

واما بشأن المسألة الثالثة وهي الموقف من القوى التقدمية داخل اسرائيل ، والتعاون بين القوى التقدمية العربية والاسرائيلية ، فلقد نوقش هذا الموضوع مناقشة مطولة ايضا ، ولست اذكر تفاصيل هذه المناقشة ووجهات النظر التي ابديت خلالها والتي لا لزوم لايرادها اساسا ، واتفقنا نتيجة ذلك على موقف موحد وواضح يستند الى تحليل علمي ونظرة موضوعية ، وهو دعوتنا الى لقاء للقوى التقدمية في مختلف انحاء العالم من اجل تكوين جبهة تناضل ضد الامبريالية والعنصرية ، وان هذه الجبهة لابد ان تضم كل تقدمي يناضل ضد الامبريالية والعنصرية اينما كان المجتمع الذي يعيش فيه ، او الذي يؤمن به . واعتقد ايضا ان ماورد في مقالكم بشأن هذه الفقرة ، وهو الدعوة الى قيام جبهة عالمية عربية يهودية ، قد استبعد تماما بعد مناقشة ذلك .

وبعد ذلك ، وبعد ان انتهت مناقشة مشروع اللجنة ، وبعد اقرار التعديلات المذكورة ، وبعد ان قدمت ايضا اقتراحا بشكل خطي طلب الى اللجنة ان تكمل عملها وان تجرى ترجمة هذا المشروع بصيغته النهائية المقرة — كي يتولى القائها احد اعضاء الوفود العربية — وانفض الاجتماع الموسع للوفود العربية على اساس اننا وصلنا الى ماهو مطلوب ، الى وجهة نظر موحدة ازاء هذه القضايا المطروحة علينا في المؤتمر .

وعند افتتاح الجلسة العامة للجنة الشرق الاوسط ، وهي الجلسة النهائية والتي عملنا على اعداد الرد العربي لكي يلقى فيها ، ولا يفوتنا الوقت — جاء عدد كبير من اعضاء الوفود الى الاخوة المكلفين بانجاز مشروع الرد وترجمته في صيغته النهائية — وكان هؤلاء بالطبع من مختلف الوفود ومن وفد الجمهورية العربية المتحدة، ووفد فلسطين والاردن ، والعراق وسوريا ، ولبنان ، ووفد المحامين العرب وغيرها وبعضهم او معظمهم يعرف اللغة الفرنسية معرفة جيدة ، فوجدوا ان المشروع المترجم من قبل اللجنة المكلفة هو المشروع الاول نفسه الذي قدم من قبل اللجنة، وقبل مناقشته وادخال التعديلات الجذرية عليه وخاصة فيما يتعلق بمسألة الاعتراف باسرائيل ، كان ذلك نوعا من المفاجآت بالنسبة للوفود العربية . وتساءل الكثيرون عن مصير التعديلات الخطية التي قدمت ولماذا لم تدخل في صلب الرد المترجم ، ووجدنا ان التعديل الذي قدمته ووافقت عليه الوفود العربية وهو يشغل حوالي صفحة كاملة مايزال على حاله وبين اوراق اللجنة ، وكان اعتذار هؤلاء الاخوة بأن عدم اخذهم بهذه التعديلات وادخالها في الترجمة كان من قبيل النسيان والخطأ غير المقصود . وكان لابد من قبول هذا الاعتذار ، فالجلسة تدنو وشك ان تبدأ بين دقيقة واخرى ، وقلنا يجب تجاوز هذه المشكلة البسيطة فنحن امام امر واقع ، وكان رأي الاخوة اعضاء الوفود انه مادام ان الرد العربي الموحد الذي اقرته الوفود العربية في اجتماعها لم يكن هو الرد المحضر ، فيمكن ان يقرأ هذا الرد المترجم باسم احد الاشخاص الذين حضروا ، ويمكن لاي عضو من الوفود العربية ان يتكلم في الموضوع ويصدر المسائل الثلاثة المطروحة في اطار الرد العربي الذي اجمعنا عليه ، والذي لا شك ان منطلقاته اصبحت واضحة بالنسبة لنا جميعا . كان ذلك رأي الوفود

العربية ووفد فلسطين بصورة خاصة الذى لااعتقد انه من المصلحة ان تضيفه الى ممثلى وفئـات ، وتجاوزنا المشكلة كما يذكر اعضاء الوفـود العربية ـ فقد تحدث عدد من اعضاء الوفـود العربية وطرح رأيه فى اطار الموقف العربى الموحد الذى اتفقنا عليه . بينما القى احد الاخوة الليبيين الذىشارك فى ترجمة مشروع الرد الى اللغـة الفرنسية البيان المكتوب .

وختاما فاننى اذا كنت قد ساهمت بواسطة هذه الملاحظات فى تصحيح بعض الوقائع التى وردت فى مقالكم ، فان هدفى فى ذلك هو جعـل الاراء والمناقشات التى يمكن ان تتوجه لمعالجة هذه الموضوعات المطروحة مستندة الى واقع حقيقى بالنسبة لاراء ومواقف القوى التقدمية العربية . ولعلى بذلك ايضا اكون قد اسهمت بعض الشىء فى توفير جو الثقة والموضوعية من اجل تعاون افضل ولقاء نضالى مستمر بين القوى التقدمية العربية التى تمثل معظمها فى الوفود التى حضرت التجمع العالمى للسلام الذى انعقد فى برلين فى أواخر شهر يونيو [حزيران] الماضى .

واننى اذ اتفق معكم على أهمية ذلك الهـدف الكبير الذىتذكرونه فى نهاية مقالكم ، وهو توحيد وجهات نظر القوى التقدمية العربية ازاء أهم قضايا الامة العربية كخطوة فى طريق توحيد نضالها وعملها فى ساحات المعركة السـياسية والقتالية ، فاننى اعتقد جازما ان هذا الهدف هو مسئوليتنا جميعا التى تحتم علينا استمرار بذل الجهود وتجاوز كل الصعوبات والحسـاسيات والخلافات الجزئية والتفاعل الديموقراطى الحر على اساس من الصراحة والثقة المطلقة واحترام الحقيقة . انكلمايقوم الانبينقوى الثورةالعربية من تباين واختلافات لاينبغى ان يكون باى حالمن الاحوال عائقا فى طريق لقاء هذه القوىوالتحامها فى ارض المعركةلانالثورةالعربية اصبحتتمتلك من الناحيةالنظرية والى حدبعيد افقا واضحا من أجل المستقبل . والمشكلة الاساسيةهىفىالالتزام العملى للقوى التقدمية كى تتحمل مسئولياتها فى المعركة الراهنة التى تمر بها الامة العربية والتى هى فى حقيقتها معركة الدفاع عن المصير .

مسئوليتنا : بنـاء "وحدة عمـل" القـوى العربيـة التقـدمية

وكتب لطفى الخولى تعليقا يقـول فيـه :

اود ـ فى البـداية ـ ان اسـجل شكرى للاخ « **الدكتـور حبيب حداد** » عـلى اهتمامه بمناقشة افتتاحية عدد اغسطس ١٩٦٩ م الطليعة . كما احب ان اسجل روح الرغبة فى بناء وتعميـق وحـدة القـوى العربية التقدمية التى املت عليه رسالته للطليعة ، وهى نفس الروح التى كتبت فى ضوئها الافتتاحية ، واكتب اليوم هذا التعليـق السريع .

ويمكن ان اوجز تعليقى على رسـالة الدكتور حداد فى النقاط الست التالية :

١ ـ تتردد فى رسالة الدكتور حداد فى اكثر من مكان نغمة تعطى القارىء انطباعا بأنه مادامت الافتتاحية لم تسجل كل تفاصيل وقائع المناقشات التى دارت بين الوفـود العربية خلال التجمع العالمى ببرلين ، فانها لا تتيح « لشمس الحقيقة السـاطعة » ان تنير .

اما ان الافتتاحية لم تسجل كل تفاصيل وقائع المناقشات فهذا صحيح موضوعيا . اما أن ذلك لا يتيح لشمس الحقيقة ان تنير فهذا رأى ذاتى للدكتور حداد اختلف فيه معه .

والحق ان « الافتتاحية » حرصت على ان توضح بجلاء انها لا تعرض لجميع تفاصيل المناقشات وانها انما تركز على الاساسي والجوهري منها · ولو تفضل الدكتور حداد ، وعاد مرة اخرى لقراءة الافتتاحية لتأكد من ذلك بوضوح · ففي ص ٩ مثلا قلت « **ولا اريد ان ادخل في تفاصيل المناقشات الطويلة التي دارت في هذا الاجتماع · واقفز رأسا الى نتيجته ··** » ومرة اخرى قلت في ص ١٢ « **وايضا لا اريد ان ادع التفصيلات تجرني الى استطرادات لا داعي لها ··** » ·

ما السبب في ذلك ؟

اولا ، ان الافتتاحية — من ناحية الحيز — لا يمكن ان تتسع لعرض كل الوقائع بتفاصيلها . والكاتب مضطر دائما ان يركز على اهم الوقائع والتفاصيل التي تكون الجوهر ·

ثانيا ، ان ثمة مناقشات صريحة جدا وداخلية جدا قد جرت بيننا ، كعرب في معركة · قد يكون من المفيد حقا ان نتناولها في اجتماعات مغلقة ومسئولة كما حدث في اجتماع الوفود العربية الى مؤتمر برلين ، ولكن ليس من حق طرف واحد ان يتحمل — وحده — مسئولية طرحها للنشر العام امام العالم : الصديق منه والعدو ·

والدكتور حداد نفسه نحا نفس المنحى ، عندما كتب يقول في رسالته بالحرف الواحد : « ولست اذكر تفاصيل هذه المناقشة ووجهات النظر التي ابديت خلالها والتي لا لزوم لايرادها اساسا ، واتفقنا بنتيجة ذلك على موقف موحد وواضح » ·

واذن فالنتائج هي مجمل الحقيقة · و « النتائج » هنا تعني اتجاهات المناقشة الرئيسية ومشروعات الرد والتعديلات التي اقترحت · وهذا ما سجلته الافتتاحية بالفعل ، وبذات المنهج نفسه الذي اتبعه الدكتور حداد في كتابة رسالته ·

من اين ياتي الخلاف اذن ؟ يأتي من اختلاف الزاوية او الارضية التي ينظر منها كل من الدكتور حداد وانا الى ذات الحقيقة · ومن هنا فان الفكر العلمي يتبنى القانون الذي يقول بأن الحقيقة دائما نسبية وليست مطلقة · وبدون هذا لا تكون هناك مسائل موضع خلاف يستلزم الامر مناقشتها ، بين الرفاق ، لبلورة موقف موحد منها في ظروف تاريخية معينة .

٢ — من الطبيعي ان كلا منا (الاخ حداد وانا) قد كتب عن موضوع مؤتمر برلين ، وليست تحت يده محاضر جلسات المناقشات التي دارت في اجتماعات الوفود العربية · ذلك انه لم تكتب محاضر ، ومن هنا تختلف بالضرورة درجة ومدى ذاكرة كل منا · ولكني احب ان اعذر الدكتور حداد اذا لم يتذكر بالدقة نصوص مشروعات الرد العربي وتعديلاته المقترحة · ذلك ان هذه النصوص الخطية للجنة الرباعية التي شاركت فيها ظلت — وما تزال — تحت يدي ، وهي ما نقلت عنها حرفا بحرف في الافتتاحية · وعلى استعداد ان امد بها الاخ حداد اذا شاء . وارجو ان يسمح لي مثلا بانعاش ذاكرته اذا قلت له ان مسالة المقارنة بالاعتراف بالصين الشعبية لم يرد قط في مشروع اللجنة الرباعية ، وانما جاء على لسان احد الزملاء خلال المناقشة داخل اجتماع الوفود العربية ، وذلك كتعديل لم يؤخذ به ·

٣ — لا اريد ان ادخل في مناقشات جديدة حول الموضوعات الثلاث للرد العربي في مؤتمر برلين ، الخاصة بالاعتراف والمفاوضة والموقف من القوى التقدمية اليهودية ، والا كررت ما سبق ان سجلته في افتتاحية « مسالة للمناقشة » . وما تفضل الدكتور حداد بايراده في هذا المجال برسالته ، هو بالدقة ما اختلف بشأنه واياه ازاء مخاطبة الرأي العام العالمي اليوم ، واوضحته من قبل في الافتتاحية .

٤ ـ يقول الدكتور حداد في رسالته « في رأيي ان اول انطباع يحمله القارىء الذي يتابع باهتمام تسلسل فقرات هذا المقال ،وهو ينتظر تحديد اطار المسألة التى ترمون الى طرحها على بساط المناقشة ـ لا يجد القارىء من خلال عرض الوقائع تسلسلا منطقيا مقنعا يقود الى النتيجة التي انتهى اليها المقال ، وهي تصوير الواقع الذي كان قائما بين الوفود العربية خلال مناقشة القضايا الثلاث من قبل هذه الوفود ، بأنه يمثل ظاهرة الخلاف القائم بين القوى الثورية العربية فيما يتعلق بالعمل ونوعية الاساليب التى يجب استخدامها في كل ساحة من ساحات النضال من اجل القضية الفلسطينية .

في رايي ان القارىء الموضوعي لا يمكن ان يستخلص من الوقائع ووجهات النظر الواردة في مقالكم امورا تشير بأي حال من الاحوال الى وجود خلافات في وجهات النظر ، واساليب متباينة للعمل بين القوى التقدمية .

ولا اريد هنا ان انفي وجود مثل هذه الخلافات بين القوى التقدمية العربية مطلقا ، فان ذلك امر يناقض الواقع المتمثل في كل ساحة من ساحات النضال علــى الارض العربية » ..

والسؤال الذي يقفز الى الرأس ، بعد قراءة هذه الفقرة من الرسالة ، هو : هل هناك خلاف ام لا .. بين القوى العربية الثورية المعاصرة في هذا المجال ؟ ففي نفس الفقرة ينفي الدكتور حداد ـ في مجـال مناقشتنا ـ وجود خلاف ، ولكنه يعود في ختام الفقرة فيسلم بوجود خلاف .

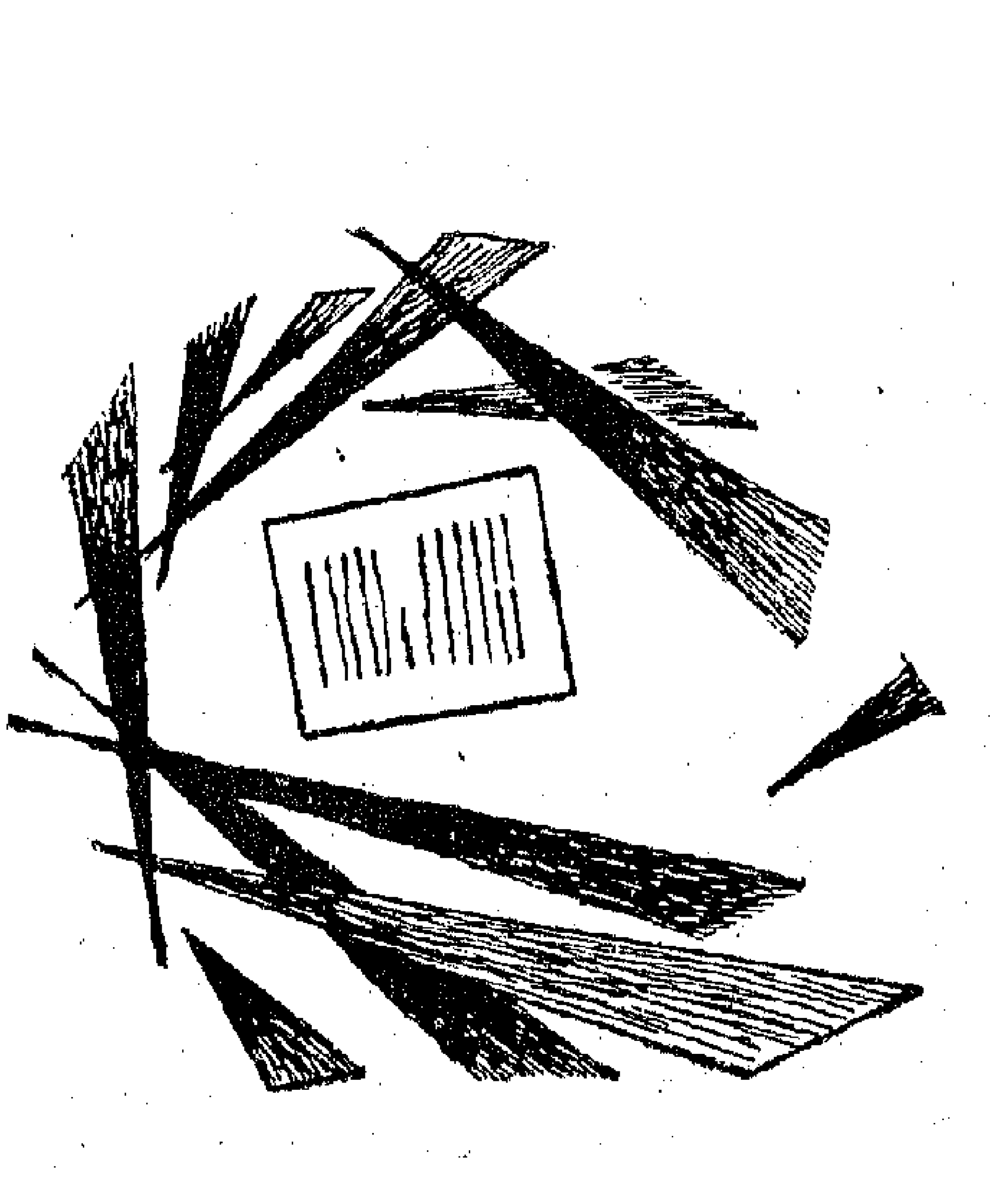
والحق ، ان الخلاف ـ من وجهة نظري ـ قائم ولا سبيل الى نكرانه ولا مصلحة لنا في اغفاله وعدم التصدي له بموضوعية وصبر ثوري دؤوب ، ومنهج علمي ونظرة واقعية . وطبعا ما اوردته في «مسألة للمناقشة » ليس هو كل الخلاف ، أو بتعبير آخر ليس رصدا كاملا لاوجه الخلاف بين القوى العــربية الثورية ، وانما هو جزئية من جزئيــات الخلاف . وما قصدته بالافتتاحية هو ان اجسد هذه الجزئية بهدف ان انطلــق من « الجزء » الى طرح « الكل » للمناقشة . وفي رأيي ان هذا اسلوب منطقي للعرض والتحليل . واذا كان الدكتور حداد ـ وهذا حقــه ـ يــرى ان هــذا الاســلوب يفتقــد « التسلســـل المنطقي المقنــع والموضوعية » ، فهذه ايضا نقطة خــلاف للمناقشة من حول المنهج والاسلوب .

٥ ـ وحول قضية النظرة الواقعية والعلمية للخلاف ، تستلفت النظر ـ على سبيل المثال ـ عبارة جاءت في رسالة الاخ الدكتور حداد يقول فيها « كان ذلك راى الوفود العربية ووفد فلسطين بصورة خاصة الذي لا اعتقد ان من المصلحة تصنيفه الى ممثلي فئات » .

مصلحة من ؟ ومن الذي يصنفه ؟.

الواقع الحي ، الكيان الموضوعي لمنظمة تحرير فلسطين ووفدها ، الرؤية الواقعية للحركة .. كل هذا هو الذي يصنف .. ان المنظمة هي بحكم تكوينها الحالي تستهدف ان تبني جبهة لكل الفصائل النضالية للشعب الفلسطيني . وبالتالي فطبيعيا هي جمــاع لفئات قائمة . هل نستطيع ان ننكر ذلك ؟ ثم هل يجدي هذا الانكار والعالم كله يعرف هذا . ثم هل المصلحة حقا في ان نقـول شكليا بأن هناك وحدة أم نعترف بوجود فئات في حالة جنينية من الجبهة، ونسعى بكل جهد لوحدتها . ووفد فلسطين الى المؤتمر ساده على الاقل اتجاهين في المناقشة ، كما لا شك ويذكر الدكتور حداد ، حيث شارك ممثل فتح في اللجنة الرباعية التي اعدت مشروع الرد العربي . واختلف معه فــي الرأي الاخوين حمودة وابو سلمى حول بعض النقاط .

٦ ـ واخيرا فان ما اود ان اؤكد عليه هنا مرة اخرى هو ان هذه المرحلة لم يعد يكفى بشأنها ان نقول ان القوى الثورية العربية متفقة على « الافق النظرى الواضح » .. على الهدف البعيد المدى فى حركتها الوطنية التحررية ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد وفى التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية عامة ، وفى تصفية الكيان الصهيونى وعدوانه واحتلاله واستعماره الاستيطانى لفلسطين بصفة خاصة . لا . هذا اضعف الايمان ، وفى اعتقادى انه لم يعد يفيد كثيرا . المرحلة المعاصرة تتطلب اكثر . اننا نخوض فى عصر معين وفى ظروف محددة وتجاه تحديات هائلة قائمة ، معركة مصيرية مشتركة لا تتصل ببلد عربى دون أخر ، وانما بكل الوطن العربى . ومسئولية القوى العربية الثورية ـ حاكمة كانت ام غير حاكمة ـ هى ان تقود هذا النضال نظريا وعمليا ـ من خلال « وحدة عمل » تشمل بأقصى درجة من الوضوح استراتيجية وتكتيكات المرحلة ، وهذا مـــا يجب ان نعترف اننا لم نصل اليه بعد . واذا كان ذلك امرا طبيعيا بسبب اننا ننتمى الى مواقف اجتماعية وفكرية متعددة ، ولكنه لا يمنع قط من امكانية الوصول الى وحدة عمل محددة ومشتركة بشأن المعركة المعاصرة ، يتحدد فيها ما هو خاص بالنسبة لكل بلد اوقوة ثورية وما هو عام بالنسبة لكل الوطن ولكل القوى الثورية العربية ، وهذا ما نلح بشدة على ضرورته . ثمة خطوة هامة قد تمت فى هذا السبيل خلال ندوة الجزائر فى مايو ١٩٦٧ ، وعلينا اليوم ان نمضى على الطريق بخطوات اخرى ، واعتقد ان من مسئوليتنا جميعا ان « نعد » بأسرع ما يمكن لعقد مؤتمر جديد يطور ما انتهت اليه ندوة الجزائر من نتائج ايجابية ـــ ولست اشك فى ان الاخ الدكتور حداد يمكن ان يقوم بدور بناء فى هذا المجال .



تفتح الطليعة باب المناقشة حول قضايا ومشكلات الجيل الادبى الجديد التى اثيرت فى الدراسة الرئيسية بالعدد الماضى . وكانت الطليعة قد تلقت بعض « الشهادات » التى تجيب على الاسئلة الموجهة للادباء الشباب ، وسنوالى نشرها بجانب الردود والتعليقات التى وصلتنا ، حتى تتكامل خطوط الصورة من خلال الحوار الموضوعى .

حوار فكرى

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

يحلل عبد المنعم عبد القادر — المدرس بالحلمية الاعدادية بالهرم — تحليلا مفصلا العلاقة بين قضية الاجيال ومشكلة « الرؤيا » الفكرية والفنية التى تصوغ العمل الادبى . فهذه الرؤيا وحدها — فى رأيه — هى التى تفصل فى هذه القضية المعقدة ، والمتعددة الجوانب .

لقاء يذيب المرارة والتكلسات الشكلية

ان عمل الاديب والفنان مواجهة متواصلة لعصره ، ليس بالتكريس انما بالكشف والنقد فى سبيل استشراف آفاق أكثر رحابة وأرض أكثر خصوبة للانسان . وتكون مهمة الاديب والفنان أكثر صعوبة كلما أغرق العصر فى التعقيد لان سديمية العصر تفرض على الاديب ابتداء مهمة مزدوجة فهو يتجه الى استكناه عصره حتى يصل بالفهم الى خطوطه الاساسية على حين يتجه الى التعبير عن موقفه منه بالجزئى والخاص صاعدا بدلالاته الى العام والجوهرى .

وهذا يفرض على الاديب شابا كان أم غير شاب أن يصدر فيما يقول عن رؤية شاملة وعميقة وخصبة للفرد والمجتمع والكون . وأن يكون متصلا اتصالا دائما وحميما بالتقاليد الادبية والفنية لمجتمعه ولعصره . والامر المنطقى أن يكون امتدادا لها وتعبيرا عن نموها فى اتجاهات ما تفرضه التناقضات الموضوعية لعصره من خلال الرؤية المتفردة له كأديب . ولذا فان الوحدة الجدلية لعمله لا تكتمل الا بالوصول بكلمته الى جمهوره .

ومهمة الاديب فى عصرنا ثقيلة يشترط للوفاء بها شروطا اهمها : النزاهة العقلية ، الجهد الدءوب للمعرفة بالانسان : انجازاته . اشواقه . آماله . والسبل الماضية والممكنة للوصول الى هذه الامال ، الدراسة الجادة للتراث الفنى والادبى المحلى والعالمى بنظرة نقدية تنفذ الى اجتلاء الحقيقة من أجل المجتمع ، الحوار المتواصل الذى يتناول أعمال الاديب بالنقد سعيا الى المستوى الاحسن من نضج الرؤية وشمولها ، وكل هذا لا تحقيق له دون الديموقراطية .

ونحن أبناء الدول النامية تبدو مهمة الاديب بيننا أكثر عسرا فقد تصاعد التعقيد فى وعينا لهذا العصر منذ فترة مابعد الحرب الثانية تصاعدا

متواصلا ، وساهم فى هذا التعقيد عوامل متشابكة تتبادل التأثير والتأثر ولا يمكن ايراد الواحد منها بمعزل عن الاخر ، انما هي ترد في وحدتها الجدلية وبكل ماتعبر عنه من أوجه تناقض تشكل فى مجموعها ايقاع العصر ونبضه •

لقد تتابعت الانهيارات والقيامات فى عالمنا ولم تخل عناصر الصورة من طعوم رومانسية • ولكنها دائما تهاجر أو تهجر الينا ، وتصل كل الخلاصات النهائية والمشاهدات والاختيارات حتى نضاع الكل • ونكد الذهن فى الفرز والفحص ونعلو من أجل الاجتياز واعتناق آمال اوطاننا ولكن دائما يترك العصر بصماته •

لقد انتهت الحضارة الغربية المسيحية الى الاغراق فى الرومانسية والذهنية ثم كرست ضياع الانسان الذى احسه مفكروها من خلال انهيار قيم هذه الحضارة فى مرحلة انهيار الرأسمالية العالمية . وتمخض البحث عن طرح حلول تصوفية جذابة لازمتها لا تفعل شيئا أكثر من اغراقنا فى عالم من الفوضى المتألقة بمنجزات التكنولوجيا • وكان الاختيار الثورى لسارتر ثم لجيفارا أحد أوجه الرد على ما يدعيه فلاسفة الضياع من عبث العالم ولا جدواه • وأضاءت بطولة الانسان الفيتنامى والصمود الكوبى آمال كل من اختار الثورة على الاوضاع المتخلفة التى سببها الاستغلال والقهر للامبريالية وحلفائها • ولكن أشواق البشر فى كل أنحاء الارض اتجهت الى المطالبة بالحرية ، بمزيد من الحريات الديمقراطية فى مواجهة صعوبة اختيار الافراد لمصائرهم فى مجتمعات عصرنا الغنى بتعقيده •

وفى حمى هذا التعقيد ، اصبح على الكاتب فى بلد يسعى للتطور كبلدنا أن يكون معاصرا • ومعاصرته تفرض عليه اختيار بناء الانسان الحديث فى بلده •• ان هذا يعنى الفرز الموضوعى الواعى لكل امكانيات الاختيار •• فهو لا يسعى لتكريس تقليديته ولا يرفض منجزات الحضارة الاوربية فى المجالين المادى والفكرى انما يسعى الى الاستفادة منها جميعا ملتزما فى ذلك بحمل مسئوليته فى تطوير مجتمعه ، وليس من سبيل لذلك الا بالثورة ، والثورة عمل علمى مادته فى التطبيق حياة الناس •

الجيل •• والوعى

وشهادات الادباء الشباب تحمل هذا الوعى — فى أغلبها — بدقة متفاوتة :

يقول عبد الحكيم قاسم : « اننا لازلنا نعيش مجتمعا هو فى الاساس مجتمع زراعى فقير ، الى جوار مجتمعات صناعية هائلة تمد أذرعا فولاذية تطول بها القمر ، وتمد ذراعا استعمارية تغرس كفها على أرضنا وتدفع أصابعها لتدخل من أعتابنا وتأخذ برقابنا .. ان التخلف بالنسبة لنا يعنى الموت ، الموت بكل معنى الكلمة خلوا من المبالغة او التهويش . ليس عيبا اننا متخلفون ، الجريمة هى ان ننكر تخلفنا ونجعجع بالترهات ، تلك جريمة يمكن أن يكون عقابنا عليها الموت » •

ويقول **شمس الدين موسى** : « فى اعتقادى أن لدينا العديد من المشاكل هنا • مشاكل التطور ومشاكل توعية الطبقات التى حرمت من أهم ما لها فى الحياة مدة طويلة حتى تستطيع أن تكون فى مستوى الصراع الدائر بين التقدم والرجعية • »

ويقول **محمد ابراهيم أبو سنة** : « وان الغضب ليجتاحنى حين أبصر هذه الفروق الهائلة بين دول العالم الثالث ودول العالم المتقدم • ان هذه الهوة تعكس وضعا خلقيا محزنا بالنسبة للجنس البشرى • وأرى أننى مع العالم الثالث فى تقدمه البطىء والانسانى معا • هذا العالم الذى يضم أغلبية البشر • »

ويقول **جمال الغيطانى** : « طبعا العالم اليوم ملىء بالصراعات والمنازعات التى تدور حول الصراع الرئيسى بين الشعوب وبين القوى الرأسمالية التى تريد الابقاء على العالم فى حالة من التخلف لتربح أكثر وأكثر • وحيث أن معركتنا هى جزء من هذه المعركة فاننى شديد الاحساس بما يجرى فى فيتنام ، والصراع بين زنوج أمريكا ورأسمالييها •• »

ان هذا الوعى بتخلف بلدنا ، والجدية التى تظهر فيه أحد ملامح هذا الجيل من الادباء • وهو يفرض عليهم المسئولية عن كل شىء • لقد انتهت بعض الاراء فى التعليقات على أن هذا الجيل لا تجمعه رؤية واحدة • وهو أمر يظهر أنه حقيقى للوهلة الاولى لكننا لاينبغى أن نقف عنده كثيرا لان الغالبية الساحقة منهم ينطلقون من أرض الفكر التقدمى ويعتنقون هموم الانسان ويشغلهم مصيره وتحقيقه لحريته . . كما ان هذا الجيل مازال فى نقاط البدء • وعمل روائى مثل « أيام الانسان السبعة » يمكن أن يلقى ضوءا على جانب من هموم هذا الجيل • انه جيل يبحث بدأب عن الطرق الجديدة لتطوير مجتمعه بشروط نابعة من الظروف الخاصة لهذا المجتمع • وتغربه وما يرين على اعماله من غموض وعصبية وتوتر وخوف وضبابية الرؤية أمامه ليست مسئوليته وحده • انها أيضا مسئولية يتحمل عبئها المجتمع بمؤسساته ، بالاجيال السابقة على هذا الجيل • وعلى الكل أن يسعى بحثا عن الحلول •

ومصادر لغضب الادباء الشباب كما حددها الاستاذ لطفى الخولى مستخلصة من شهاداتهم توحى بملامح مفارقة حادة يعيشها هؤلاء الادباء الشباب . وهى ليست ظواهر منفصلة عن حركة المجتمع انما هى فى صميم نسيجه المتغير . ان الادباء الشباب مطالبون بتحسس واقعهم . بادراكه ادراكا تفصيليا شاملا فى وحدته الجدلية مع ظروف العالم المتغير . مطالبون بأن يكون لهم رؤية موحدة ، محتم عليهم المشاركة فى التقدم بهذا المجتمع التزاما منهم واصرارا ، مفروض فيهم انهم الاستمرار الحى للتقاليد الادبية لمجتمعهم وعصرهم . فكيف ومن أين يتأتى لهم ذلك فى الظروف التى القى كل منهم ضوءا عليها واستخلصتها تعليقات الاساتذة سامى خشبة ولطفى الخولى وغالى شكرى .

العجز عن المشاركة

يمكن لقائل ان يقول وما هزيمة يونيو ١٩٦٧ ؟ ان الشعب المصرى كله يعانيها ويجاهد للخروج منها . نعم . ولكنا ندعى بتميز أحزان هؤلاء الادباء ايضا . ويمكن لهذا القائل أن يهون من اصطدام الادباء الشباب بنماذج المنتفعين وبالبلادة العقلية وبالاستهانة بهم . وقد لا يعلق اهمية كبيرة على خوف هؤلاء الادباء من التخلف عن نبض عصرنا وايقاعاته ، وقد نوافقه صابرين ، أو لا نوافقه على كل هذا ، الا اننا لن نستطيع تجاوز مسألتين أساسيتين متداخلتين فى بعض جوانبهما تداخلا كبيرا وهما :

١ ـ افتقاد الحياة الادبية والفنية فى المجتمع المصرى .

٢ ـ علاقة هذا الجيل بالاجيال السابقة .

فهاتين المسألتين مكمن خطر كبير أفرز وما زال يفرز صديده فى حياتنا الادبية . فتلقيان معا ضوءا قويا على ظواهر مثل الشللية وأزمة النشر المدعاة ـ حقا أو باطلا ـ والعلاقات غير المثمرة والتحاسد والاغتراب . والاستخفاف بالاجيال السابقة . والصراخ بتميز هذا الجيل وانقطاعه عن أصوله . هذه كلها بالاضافة الى مطالبة الدكتور لويس عوض لهؤلاء الشباب بمانيفستو . لا يستطيعون تقديمه فى ظروفهم الحالية هى ثمرات الحنظل لهذا الوضع الغريب فى بلدنا الذى هو بحكم وضعه فى طليعة التغيير فى المنطقة العربية وفى أفريقيا .

ولعل من أكثر نتائج هذا الوضع حساسية وألما « احساس هذا الجيل بالعجز عن المشاركة الفعلية فى حركة بناء الحياة الجديدة فى مجتمعهم » . انه احساس يكتسب حدته من المقارنة بالروح النضالية للعصر فى أمكنة أخرى من العالم . فى كوبا شعب خاض تجربته الخاصة لمحو الامية ونجح . فى فيتنام يشترك شعب متماسك كشبكة الفولاذ فى هزيمة الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية . وفى بوليفيا يموت جيفارا متخليا عن الوزارة معتنقا الثورة . والشباب العربى يثور على تراث آبائه وزيفه التاريخى باحثا عن طرق جديدة . كل هذا ينعكس فى أعمال فنية وأدبية صادقة تكتسب سخونتها من المشاركة الجادة فى مواجهة العصر .

ان عملية المقارنة مع الوعى بالعجز تزيد من حدة احساس هؤلاء الادباء الشباب بالازمة . وقد تدفع بعضهم الى الاغراق فى ذاتية واغتراب وتسقطهم فى الحصر والمواقف العصابية . بل انها تبرز موضوعيا للصرخة التى أطلقها الاستاذ غالى شكرى « نحن جيل ضائع » .

فى هذا الاطار يبدو ما لكلمات هؤلاء الادباء من دلالة على المعاناة .

يقول عبد الحكيم قاسم : « انهم عصبيون ومتحاسدون ويغربون فى كل اتجاه ، وفى الاتجاه الخطأ فى أحيان كثيرة . ولكنهم نبلاء يعيشون مأساتهم بصدق وجرأة » .

ويقول حسن محسب : « كتبت لاحقق التوازن الذى أفتقده فى حياتى ، بين ماأريده وما أعيشه بالفعل » .

ويقول زهير الشايب : « أما بالنسبة لجيلنا حسبما خبرته عن قرب وما قرأت من أعماله أستطيع أن أقول ان السمة الواضحة التى تدعو الى الاسف هى الانانية والتغرب والشللية » .

ويكثف ابراهيم أبو سنة رؤيته لجيله فى قوله : « الاجيال الفنية السابقة على جيلى كانت أسعد حظا لوضوح الرؤية وانسجامها مع التيار الثورى العام ، أما جيلى فقد حاصرته الامال الضائعة والرغبات المحيطة . وان كان التفتح الثورى قد أضاء بعض الطريق الا أن العواصف لم تكف لحظة واحدة عن اثارة المتاعب أمام جيلنا حتى اضطربت الاشياء » .

ان حدة الاحساس فى هذه الكلمات وفى التنظير لضياع الجيل تفوح برائحة الميلودراما ، يضاف اليها مايستشعره هؤلاء الادباء بحكم انتمائهم الطبقى من قلق فى ظروف معيشتهم . تجسد لنا خطرا يتهدد نموهم وصفاء رؤيتهم وعمقها . قال الدكتور يوسف ادريس عن كتاب القصة الجدد فى

أحد أعداد روز اليوسف ان أغلبهم لايكتبون قصة وانما انطباعات • وهو قول صحيح الى حد كبير بصرف النظر عن التجريب للاســـاليب الفنيـــة الجديدة • لان الكاتب من هؤلاء يكتب والغضب يجتاحه • والفن لا يصدر عن غضب أهوج انما يصدر عن تحكم وتنظيم للذات الخالقة له • ان الفنان يضع رؤيته للاشياء ولكنها بقدر تفردها تكون موضوعية أيضا •

ويزداد هذا الخطر فى وقت لم تتحدد بعد رؤية بعضهم وفى وقت يجتاح الفكر العالمى خـلاله محاولات ذكية لاستقطاب شتى التيارات الفكرية وما تمثلها من أيديولوجيات تحت مسميات فكرية جديدة • محاولات تغذيها الدوائر الثقافية فى الغرب وتحتضنها وتنتشر بها بمختلف الاساليب ابتداء من الموسيقى الى السينما •

وازاحة هذا الخطر لن تكون بمزيد من التنظير للضياع • ولن تكون أيضا بقرارات ادارية ، ولن تكون بمطالبتهم بمانيفستو أو بالانتظار لاستخلاص هويتهم من خلال تجاربهم فى الادب والفن •

بعيدا عن سياسة الاحتواء

انما ينبغى أن تكون البداية لقاء وحوار وتدارس بين الادباء الجدد والاجيال السابقة تحت أية أشكال • وأن يكون هذا اللقاء فى اطار حرية كاملة دون محاولة للاحتواء حتى يتحقق فيه بداية مناسبة لاعادة الدماء الى شرايين الحياة الادبية المصرية • بداية تذوب فيها التكلسات الشللية وتخف المرارة ويلمس الجميع طرقا محددة للاتصال بالتقاليد الادبية والفنية لمجتمعنا وبالتالى الطرق المتلائمة مع نوعية هؤلاء الشباب كأدباء للمشاركة فى بناء مجتمعنا فى وقت نحن أحوج فيه الى حيوية الفكر الشاب وحرارته • وفى هذه البداية ينبغى أن يضع المنظمون فى حسابهم أدباء الاقاليم الذين لا يجدون سبيلا الى الاتصال بالحياة الادبية الا بالسفر الى العاصمة أو الهجرة اليها • وفى هذه البداية ستتحدد المطالب وتقوم • تمهيدا لطرح الالتزام الذى يحقق رسالة الادب على ادبائنا فى مجتمـع متخلف اختار الثورة الاشتراكية طريقا للتغيير فى عصر أنجز الانسان فيه انتصارات هائلة رغم دموية الامبريالية وفتكها الرهيب بآماله •

دفـــاع عـــن مذهـب "الفـــن للفـــن"

يختلف الناقد ماهر شفيق فريد — المدرس بكلية الاداب مع الدكتورة لطيفة الزيات حول قضية الالتزام فى الادب والفن ، وهـو هنـا يطـرح للمناقشـة الاسـس الجوهـرية للخلاف الفكرى بين موقفين من فلسفة الجمال •

فى اســتفتاء « **الطليعة** » المنشـــور بالعـــدد المـــاضى ، قلت : « أومن بمذهب الفن للفن ، ولكنى أومن ايضا بأنه لكى يكتب النصر لقيم الحق والخير والجمال ، فينبغى محاربة العدوان والظلم بكل صورهما » ان تحرر الانسان من الاستعباد والخـوف شرط ضرورى لنموه الروحى والعقلى » • وقد علقت الدكتورة **لطيفة الزيات** على هذه الكلمات بقولها : « لعل فى قول كاتب من الكتاب انه من انصار الفن للفن ولكنه فى نفس الوقت يناصر قضايا الشعوب ويعادى الاستعمار ، مع مافى هذا القول من تناقض ، لابلغ دليل على ان احدا منا لم يعد يملك فى مثل العالم الذى نعيش فيه ، ان يهرب من الوفاء بالتزاماته تجاه البشرية » » . ولى على هذا التعليق — ان اذنت المجلة — الملاحظات الاتية :

● كنت اوثر ان تورد الكاتبة كلماتى بنصها ، والا تترجمها الى مصطلحات اخرى ، لا ازعم انها شوهت معناى ولكنها — على الاقل — اضفت عليه الوانا فاقعة لا اريدها • فهى تورد على لسانى كلمـات « يناصر قضـايا الشـعوب ويعـادى الاستعمار » مع انى لم استخدمها لانى — على

الرغم من ايماني بقضايا الشعوب ومعاداتي للاستعمار – لا احب استخدام الكلمات الكبيرة ، والتي يتهددها خطر فقدان دلالتها ، بعد ان اكثر البعض من استخدامها الى حد ممجوج ، اني اميل الى خفوت النغمة ، والتزام القصد في التعبير ، وتجنب الكلمات الكبيرة .

● اعتقد ان ايمان المرء بالفن للفن او الفن للمجتمع انما هو جزء من قالب اكبر حجما : هو نظرته الى مكان الانسان في الكون ، وفي الحياة ، وفي المجتمع . ثمة موقفان لا ثالث لهما : الموقف الديني الذي يرى ان الانسان ليس مقياس كل القيم وانه يدين بالولاء لشيء اكبر منه ، وان الغايات التي تتحقق على هذه الارض ليست هي الاولى بالتقديم . والموقف الهيوماني الذي يرى ان الانسان هو الغاية ، وان كل شيء ينبغي ان يوضع في سبيل سعادته . ومن الواضح ان الكاتبة تنتمي الى هذا الموقف الاخير ، على حين انتمي الى الموقف الاول . فالخلاف بيننا – في نهاية الامر – خلاف لاهوتي ، تنبع منه اختلافات فرعية لا حصر لها ، ولئن لاح جهري بالموقف الديني شيئا عفا عليه الزمن ، او مضحكا في هذا العصر ، فاني التمس من معارضيه (وهم الاغلبية) ان يغفروا لي تخلفي واعتقادي بان فكر العصور الوسطى كان ، من عدة نواح اساسية ، اقرب الى الحقيقة (وهي كلمة اخرى صارت موضعا للسخرية) من اي ايديولوجيات يعتنقونها .

● ترى الكاتبة – وهذه اهم نقطة اود ان اناقشها – ان الايمان بالفن للفن لم يعد ممكنا في مثل العالم الذي نعيش فيه وانه تهرب من الوفاء بالتزامات المرء تجاه البشرية . وفي هذا الصدد اتقدم بالملاحظات الاتية :

١ – مذهب « الفن للفن » ، بمعناه الامثل ، وبعيدا عن الاوضاع اللافتة للنظر ، التي انتشرت في اوربا عند «نهاية القرن» الماضي ، لايعني اكثر من هذا : ان الفن نشاط ابداعي يستحق ان يمارس في حد ذاته ، ودون التماس غاية خارجية ، لانه يحمل في طياته مايكفي من المكافأة للفنان على الجهد الذي يبذله في انجازه . انه يرمي الى انتاج اعمال فنية كاملة ، وتوخيه للكمال الفني انما هو محاولة من جانب الانسان لفرض نوع من النظام على عماء الحياة وفوضاها .

٢ – في الفن ، كما في الحياة عموما ، لا تستطيع ان تحصل على كل شيء ، وانما ينبغي عليك ان تضحي ببعض اشياء ، في سبيل اشياء اخرى ، ترى انها اجدر بأن يحافظ عليها . ولئن كان لي – تمشيا مع موقفي الديني – ان اقيم مراتبية (هيراركية) فنية لقلت ان الفنان يكتب للجهات التالية على الترتيب : أ – لربة الفن ، لان ضميره الفني يحدو به الى خطب ودها . ب – ثم لنفسه ، لان الكتابة – في نهاية المطاف – هي وسيلته الى تحقيق التوازن داخل روحه ، وبلوغ قدر من الانسجام مع معطيات وضعه الانساني . جـ – ثم لمجموعة صغيرة من القراء ذوي الذكاء والحساسية ، ممن يمكنهم فهمه ، ولايهم كثيرا ان يكونوا متعاطفين مع موقفه ، او رافضين له . د – ثم لكل قارئ يأبه بأن يفتح كتابه ، او للجماهير العريضة كما يحب الانسانيو النزعة ان يسموها . ودلالة هذه المراتبية هي ما يلي : ان الفن نشاط موضوعي اساسا ، يرمي الى خلق اعمال كاملة في حد ذاتها ، ولا تتبع الا قوانينها الخاصة . وانه ، في المحل الثاني ، نشاط ذاتي لابد من ان يعكس – على نحو غير مباشر – لذات صاحبه وآلامه . وانه ، في المحل الثالث ، نشاط اجتماعي ، وحوار بين كاتب وقارئ . وهكذا تكون الاهمية الاولى للكمال الفني ، والاخيرة للتوصيل . وعلى قدر اقترابك من هذا المثل الاعلى تكون فنانا ، وعلى قدر ابتعادك عنه تكون شيئا آخر : مصلحا ، او سياسيا ، او عالم اجتماع ، او مؤرخا » او فيلسوفا ، الخ ..

٣ – دعوة الكاتبة الى الالتزام تتضمن – وهذا امر متضمن في كل هيومانية – ان الكاتب كائن محب لاخوانه في البشرية ، راغب في اسعادهم . ومع تسليمي بأن هذا ، من حيث الاساس ، صحيح ارى ما يلي : أ – ان الكاتب قد يكون كارها للبشرية يائسا منها ، وهذا لا ينتقص مثقال ذرة من قيمة عمله ، بل انه قد يكون – ان تلقى الارشاد الصحيح – اول خطوة تضع قدمه على الطريق الى حياة التوحد والتأمل والعزلة ، وهي حياة لا ارى ان هناك من الاسباب مايدعو الى اعتبارها اقل قيمة من الحياة النشطة المشاركة في تغيير الاوضاع . ان رواية « رحلات جلفر » انما هي ثمرة فكر رأى بوضوح صغار البشر وحماقاتهم ، ولكن الكتاب – وهذه هي المفارقة في هذا النوع من الادب – يظل ، في نهاية المطاف ، من اجل الانسان ، على قدر مايكون الوعي بوضع من الاوضاع ، دون اوهام او تزييف ، هو الخطوة الاولى نحو تغييره . ب – الدعوة الى الالتزام تؤكد الجانب الاجتماعي من الانسان ، ولا تبرز – على النحو الكافي – ذلك الوجه الاخر الاشد قتامة : ان الانسان ، بدون الله ، كائن منبوذ ، مهجور في الكون » ثمة عوائق لا سبيل لتحطيمها بينه وبين رفاقه في البشرية ، وهو في اعماقه متوحد ، لايمكن لاحد ان يشاركه آلامه او افراحه ، وانما لابد له ان يحمل صليبه الى نهاية الطريق ، وان يعاني من كل الاوجاع التي ورثها الطبيعي – كما يقول هملت في مونولوجه المشهور – ان تعرض لهذا الجسد . ان الانسان يعاني كثيرا

بابتعاده عن زملائه في البشرية، ولكنه يعاني اكثر بابتعاده عن الله. وحين نترجم هذا الى مصطلح النقد نقول: ان العمل الفني يعاني كثيرا بابتعاده عن القراء، ولكنه يعاني اكثر بابتعاده عن ربة الفن.. وما اعمال كبار الفنانين الا محاولات دائبة لرأب هذا الصدع، وتحقيق التناغم — قدر المستطاع — بين هموم الانسان في وحدته، وهمومه بين رفاقه في البشرية.

القديم والجديد بين الشباب والشيوخ

لا يوافق الشاعر محمد مهران السيد على تصنيف الادباء حسب اعمارهم، ويرى ان الجدة والقدم مسألة ابعد من مجرد الشباب او الشيخوخة.

مثل موضوع الطليعة هذا « عن الادباء الشبان » تناولت «روز اليوسف» على امتداد بعض اعدادها، الفائتة، هذه الظاهرة، باسلوب الريبورتاج الصحفي، فلم نجن سوى الثمار التي لم يكتمل نضجها، وتلخص الجهد كله، على انه من باب التغطية الصحفية، لموضوع ما من الموضوعات الكثيرة، ابتداء من ظاهرة عودة الكرة المصرية المجيدة، وحتى سفر بعثةاذاعة الشرق الاوسط في سعيها المحموم خلف (عمر الشريف) ومطلقته، التي طلقت بلادنا ارضاء لكرامتها المزعومة، وفي محاولة لانستخلص منها سوى العبث والاستخفاف بكرامة شعبنا، وعقول ابنائه مثقفين ومتعلمين واميين

مثل هذه المحاولة، قامت بها الطليعة، ولا يميزها عن سابقتها (الا كثرة العدد) فقط. وكان الاكثر اقناعا وافادة، بل وانطلاقا من موضوعية البحث العلمي الجاد.. ان تتخذ قضية مشاكل الادباء الشبان، طبيعة ادب الشبان منطلقا لها.

لقد كان من الضروري طرح ادب الشبان (وانا لا اقر التسمية او التقسيم استنادا الى الاعمار) ومحاولة تقييمه، والكشف عن ايجابياته ونواقصه، ومدى صلته بواقعنا، والى اي مدى هو غريب عنا في بعض جوانبه.

● كما ان الاسئلة التي طرحها الاستفتاء، صيغت بطريقة، جعلت كل مجيب، يتناولها تناولا ذاتيا، مستبعدا الجانب الجماعي للمشاكل القائمة.

● ليس هناك ادب شبان وادب غير شبان، هناك الجديد والقديم فقط، التقدمي — بمعناه الواسع والمتخلف وهكذا، فقد يوجد الشاب الذي يكتب القديم، وقد يكون هناك شيخ يحمل راية الجديد وهكذا، وبالتالي فان التقسيم استنادا الى السن يفضي الى الخلط الشديد في المشاكل رغم تنوعها وتباينها، وقد ادى هذا فيما ادى، الى حجب اسماء، تشارك مشاركة فعالة في حركة التجديد الادبية ولها وزنها، والى ظهور اسماء لم تسهم بشيء مطلقا، حتى في حركة الشبان ذاتها لذا لم يكن بدعا ولا مستغربا، ان تكال التهم الى (آبائنا الروحيين، وهؤلاء الرواد الذين مهدوا للشبان، بل وجيل المجددين الطريق، ابداعا وترجمة الخ) وامتدادا لهذا الجحود الادبي، رأينا من يهاجم مؤسسات النشر — الكاتب العربي بالذات — وهو الذي لم ينشر سوى عملين او ثلاثة من انتاجه، او الذي صدرت له مجموعتين كاملتين عنها مثلا، وهكذا.. وانني كما سبق ان اوضحت اجمل الاسئلة المطروحة جانبا هاما من ظاهرة تضخم الذات في الاجابات، والموجودة اصلا لدى كل كاتب او شاعر بدرجات متفاوتة، هذا باستثناء من حاولوا ان يضمنوا اجاباتهم، ما يجعلها تحتوي الظاهرة ككل، ويخرجها من نطاق الفرد الى الجماعة، كما فعل «زهير الشايب» و «جمال الغيطاني» مثلا.

● من الطبيعي تماما، ان يعلق على الموضوع جيل الاساتذة الرواد، ولكن ليس مفهوما مطلقا، ان ينسلخ « سامي خشبه » من جيل الشبان، ويقحم على قائمة المعقبين، مادامت المسألة تتحدد

بالسن ، هل هو التحيز مثلا ، لناقد شاب ، بصرف النظر عن عطائه ، فالمجلة مسئولة مرة اخرى عن مسألة العمر هذه ، فهو الوحيد فى المعلقين — باستثناء **غالى شكرى** وهو جزء من المجلة والمشروع — لا نجد ناقدا شابا آخر شاركه مهمة التعليق التى مارسها بغرور شديد ، واستاذية وقانا الله شرها ، فاذا لم يكن الامر تحيزا — وهذه فرضية — فما المبرر لذلك ؟

يعالج الناقد عبد العزيز مصطفى قضية « الثقافة » بالنسبة للادباء الشباب ، ويرى أن « التجربة الثقافية » من أهم الاولويات التى ينبغى على الاديب الجديد أن « يرثها » من اساتذة الاجيال السابقة .

نعم .. جيل ضائع

اول ما يلفت النظر فى هذا التحقيق هو صراحة التعليقات على اعترافات الادباء الشبان ، وهى صراحة الحرص على توفير أدق قدر ممكن لرعاية مواهبهم وحراستها من السطحية والغرور . فضلا عن أن آراء الشبان والتعليق عليها دراسة هامة للتعرف على دور الادب المعاصر فى علاقته بالمجتمع والظروف الوطنية والفترات السابقة بما تتضمن من تخلف أو عبقريات .

والغريب أن كثيرا من اجابات الشبان — مع صدقها — « وهو الصدق النفسى » تكشف عن تجاهل عجيب لاوليات فى مسائل الثقافة والحركات الادبية ، فالذين يرفضون القديم على الاطلاق يبدو انهم لم يفكروا قط فى ان حضارة القرن العشرين بأسرها تلميذة ذكية لعشرات من العصور والحضارات ، وان القديم والجديد لابد ان يشتملا على عظمة يجاورها اسفاف واقتدار خلاق بأصالة فى محيط العلم والفن يقابله مزيفون ومرضى . والذين يرفضون القديم بتحرج ولباقة أو باعتدال يظنون أنه عار أو خصم ضار ، وهى حالة نفسية مرضية ولا تفسير لها فى تواريخ الحركات الادبية الا هذا التفسير .

والامثلة من هذا النوع كثيرة ، قد لا يتسع لها المجال ، ولكن لننظر فى بعض الامثلة :

الشاعر « **محمد ابراهيم ابو سنه** » وهو ينتزع احترامك عندما يقول انه عرف عناصر شريفة فى بعض أجهزة النشر وتتمتع بالاخلاق الطيبة والنزاهة والرغبة فى التعاون ولكنها قلة بالقياس الى الساخرين من كل ما هو جاد . ولعل العاطلين من الاخلاق يشبهون بعض الشبه طائفة من المثقفين وصفهم الدكتور لويس عوض بالانحراف الخلقى والنفسى وبفقدان الاصالة حيث فن هذه الفئة وفكرها مهما بدا طريفا ينبع من مهارات الحواة نتيجة العقوق والجحود . وانه لشىء يدعو الى الاحترام حقا ان نجد فى حياتنا الادبية من يتنبه الى أن الاخلاق ضرورية ومطلوبة . ويرى الشاعر ان الاجيال السابقة كانت تملك بحسب ظروفها الرؤية الواضحة بينما اضطربت الحياة فى وجه الجيل الجديد ، فشق عليه ان يتذوق ، وان يعبر بسهولة — ونفس الرأى قاله القصاص **حسن محسب** — وبعض هذا صحيح . ولكن البعض الاخر غير منطقى وغير معقول . فالمفروض ان الاديب الجاد « مناضل » فى زمن يدعوه الى النضال ، وليس أكثر من التغيرات الثورية فى مجتمعنا دفعا الى النضال ، فكان لابد من ظهور هذه النزعة النضالية فى أفئدة الجيل الجديد ، مع ما تشتمل عليه من صلابة ومقاومة لعوامل الحزن والغموض والتعقيد ، فضلا عن أن النضج عند الناضجين يقتضى الارتفاع عن حجج الظروف القاسية فقد تكون قسوة الظروف نفسها مثيرة للرؤية العميقة

والتفاؤل الذى هو أشق من التشاؤم عند من لم ينضجوا بعد •

وليس من الانصـــاف أيضا ان نصف أدب الجيل الجـــديد بمثل مايكتبه ــ مثلا « **محـــمد ابراهيم مبروك** » حيث قصصه غامضة الى درجة أنك لا تستطيع أن توافق القصاص على أن مشاكل الحياة هى التى جعلت قصصه تتسم بالغرابة والخوف والذعر والاحباط والرعب واليأس ·· لان مشاكل الحياة مصادر خصبة للكتابة الفنيـة الجيدة ، واما الغربة والخوف .. الخ ، فهى أيضا مصادر نفسية واجتماعية تثرى الابداع الفنى عند الكتاب الاصلاء وخاصة اذا كانوا من طراز ديستيوفسكى وادجار الان بو وتشيكوف وشلوخوف وايفتشنكو ومحمود درويش ..... ان الصـــورة المشرقة مفقودة فى معظم كتابات الشبان لعلة مرضية لا يقاس عليها ، وليس كما يحلو للكثيرين ان يعللوا التخلف بجو القرن التاسع عشر الذى يمثله الجيل السابق ــ فى تصورهم ــ او بدعوى التجديد وهو يتطلب فى تصورهم الاغراب والالفاظ الحادة والتشبيهات الجنسية والتعبيرات الجديدة الطارئة على الكتابة الفنية الحديثة مثل : « رؤية حياتية» ،رحم الفن وشخصيات مسطحة ،.. الخ

لم يسأل واحد منهم نفسه : لماذا يقرأ شكسبير وديستيوفسكى حتى الان وبعد الان ؟ ·· على أن المسألة ليست كما يبدو محاولة اقامة نزاع لا جدوى منه بين القـــديم والجديد ، او محاولة التوفيـــق الثقافى بينهما ، فالاهم والانفع أن يدرك الاديب الشاب حاجته الطبيعية الى شمول الرؤية وتوسيع افق المعرفة دون أن تعرقل قراءته للادب القديم وفلسفاته علة نفسية تؤدى به الى الرفض ، والعداء احيانا بلا مبررات حقيقية .. لا جديد بلا قديم ولا قديم بلا جديد ·· كلنا نعرف هذا ، ومع ذلك نجد كاتبا شابا كصبرى حافظ يقول : « اين هو الناقد الذى يمكنني أن أقول ــ بفم ممتلىء ــ هذا هو استاذى » .. ولكن لا احد ولا سبب ولا مبرر يطالبه بالانطواء تحت لواء أستاذية ما ·· ولا فائدة للتطور الادبى فى الدعوة الى قيام جيل من التلاميذ يتلقى ثقافته من أستاذية معينة ، انما الفائدة حقا فى اعتبار اننا جميعا شبابا وشيوخا مستفيدون من التراث القديم والنتاج الجـــديد العربى والاجنبى ·· وبلا حاجة الى اختلاق رفض للتلمذة والاستاذية لا قيمة له ·· نحن تلاميذ الكتب المختلفة • أما افتقاد العلاقة الجدلية بين الاجيال المختلفة ــ كما يرى صبرى حافظ ــ فان دور الجيل الجديد يقتضى اذا أراد البقاء والاستمرار أن يقيم منهجا ايجابيا يستوعب سائر الثقافات بإرادة واصرار ونزاهة ».

والاديب « **الداخلى طه** » يعتقد أن معـــايشته لزملائه الادباء الشبان تعطيه القدرة علـــى الابتكار ·· ولعله يقصد تشجيعهم له ·· بينما عمله أو وظيفته تكاد تفسد رؤيته الفنية ، ومع رفضه لاصرار الاجيال السابقة على التمســك بالاتجاه القديم الا أنه يشعر بهم يتخللون انتاجه الفنى ·· ألا نرى فى هذه الاجابة مدى انخداع بعض الادبـــاء الشـــبان باســـلوب فـــى الحياة والتحصيـــل العلمى ..... أليس الاجدى ان يســـتوعب الاديب الجـــديد الجـــذور والتطور فلا يجيب بمثل هذه الاجابة ؟ • وهل من قضية التجديد العداء للقديم ·· انه بالبداهة غير تصفية الحساب مع القديم بدراسات جادة نقدية تحلل وتعلل سير التطور والفوارق الطبيعية بين رؤية الفنان القديم ومجتمعه ورؤية أبناء اليوم وحضارتهم ، وهو ما فعله العقاد بالنسبة الى واحد مثل البارودى ·· وان كان الاستاذ سامى خشبة يرى أن العقاد لم يصف حسابه مع جيل البارودى والطهطاوى وعلى مبارك •

ولقد جاء الاستاذ **سامى خشبه** بالحل الاصدق والادق حين قال اننا يجب ألا نقنع بما تعلمناه من القدماء وأن ننظر اليه نظرة نقدية ، وأن علاقتنا بالسابقين علاقة وحدة وصراع •

والدكتورة **سهير القلماوى** تعيب على الادباء الشبان أنهم لم يطلعوا على التراث العربى القديم ، ولم يقرأ واحد منهم قراءة واعية أثرا كاملا لمفكر اوروبى مثل « هيجل » او كيركجارد .. والحق ان الدكتورة على صواب فى رأيها فمعظم الادباء الشبان لا يسيغون قراءة أبى الفرج الاصفهانى وسارتر وشو فى آن واحد ، وفى سن مبكرة • ولكن القلة منهم قرأت وحققت ما تأمله الدكتور من تكامل وعمق فى التحصيل الثقافى كالحسانى حسن عبد الله وصبرى حافظ وسامى خشبه وجلال العشرى ·· مع اختلاف الرؤية ودرجـــة التحصيـــل • وتحـــل الدكتـــورة **لطيفـــة الزيات** « المعادلة الصعبة السهلة » عندما ترى ان الاعتراف بأن الجيل الجديد ليس نبتا بلا جذور أول خطوة فى سبيل استقلاله عن الاجيال السابقة ومن ثم نضجه وتميزه بسمات خاصة وقدرات أصيلة •

وأخيرا هو جيل ضائع كما وصفه الاستاذ **غالى شكرى** ، ليس لنا أن نطالبه ــ على حد تعبير

تالى — ببيان يشرح فيه معتقداته .. ولعله يحتاج الى الرعاية والعناية حينا ، والى القسوة الابوية حينا آخر ... وفى كل الاحوال يحتاج منا نحن أبناء الجيل الجديد .. وكذلك الجيل السابق .. الى صبر وأناة وتفاؤل والى دراسة وحسن استماع على حد تعبير الدكتور لويس عوض .

المزيد من التواضع يا أصدقاء

يبرز الشاعر حسن توفيق «الموظف بدار الكاتب العربى» مشكلة ((الازدواجية)) فى حياة زملائه من الادباء الشباب ، فيرى ان الوجه الذى بدوا به فى الشهادات «الواقعية » يختلف عن وجههم الحقيقى .

وسط طوفان الاغانى الذى لا ينقطع ، ووسط سيل الافلام الامريكية الذى يسمم البسطاء من شبابنا ، ولا تكف دور العرض عن غمر هذا الشباب بأمواجه الماكرة ... امواج تمجيد المرتزقة والابتذال الجنسى والجريمة .. ووسط التقديم المستمر الملح لمباريات كرة القدم ... ووسط هذا الهدير كله يحس المرء أن « الطليعة » قد أحسنت صنيعا باهتمامها بامر أدباء الشباب فى مصر ، ووعدها بأن تقدم أدباء الشباب فى الوطن العربى فى عدد قادم .

● ولكن على أى أساس تم اختيار أدباء الشباب فى مصر ، لكى يتحدثوا عن قضاياهم ومشاكلهم المختلفة ؟ ان هناك أدباء من الشباب لم يؤثروا فى الحياة الادبية أى تأثير لانهم مازالوا فى مرحلة التكوين الفنى المبكرة ، أذكر منهم **رضوى عاشور ، وأسامة محمد الغزولى ، وشمس الدين موسى** . كما أن هناك أدباء من الاقاليم لم يمثلوا ضمن أدباء الشباب فى مصر ، ولست أدرى لماذا لم تهتم « **الطليعة** » بهم باستثناء « **الداخلى طه** » نظرا لانه كان موجودا فى القاهرة أثناء فترة جمع «الشهادات الواقعية» من الادباء . وأحب أيضا أن أسأل عن الطريقة التى رتبت بها هذه الشهادات من حيث الاولوية ، فهى لا تعتمد على الترتيب الهجائى للاسماء ، كما انها لم تصنف الادباء الشباب وفقا لفنونهم القولية المختلفة .. الشعراء ... كتاب القصة .. النقاد ... وهكذا .. ولم تصنفهم وفقا لمعتقداتهم الفكرية التى يتبنونها عندما يعبرون فى نطاق فنونهم .. وفى تصورى ان أيا من التصنيفين الاخيرين كان من الممكن اعتباره منطلقا لهذا الاختيار .

● انتقل الان الى تعقيبى على أحاديث ابناء جيلى من الادباء الشباب .. كنت اتمنى أن تتسم احاديث معظمهم بالبساطة والتلقائية بدلا من اصطناع لغة كبار المفكرين والادباء الذين دخلوا التاريخ والذين سيدخلونه . ان الصديق **محمد مبروك** يجيب على موقفه من الاجيال الفنية السابقة « على أساس الاجيال الفنية العالمية وليست فى مصر فقط » !!!! كما أن الصديق الشاعر الممتاز **أمل دنقل** يزعم «أن هواية النشر تأتى فى المرتبة الثانية بعد هواية الشعر بالنسبة له » مع أنه من البديهى ان الفنان يبدع فنه لكى يبرز موقفه من قضايا مجتمعه وقضايا الانسانية ، محاولا ان يقوم المعوج وان يعضد الصائب من القضايا ، وهذا لا يتأتى له الا حينما ينشر فنه هذا على الملا . **وبدر توفيق** يؤكد — بصورة مضحكة — ان علاقته بالشعر بدأت منذ ميلاده ، ولست أعتقد ان هذا الشاعر حينما ولد ، أطلق صرخة موزونة مقفاة تحمل من الايحاءات والظلال الشعرية مايحمله الشعر ، كما أنه يحاول ان يبرز وظيفته السابقة على وظيفته الحالية وهى أنه كان نقيبا بالجيش ثم أحيل الى التقاعد بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وللقارىء — بعد هذا — ان يستنتج ما يشاء من الاستنتاجات ، ولكن ماذنب القارىء فى ان يجيب بدر توفيق على ثلاثة أسئلة طويلة وعريضة فى سطور قلائل يتناقض بعضها مع بعض مثل دعوته للحرب ودعوته فى الوقت ذاته للسلام العالمى .. كنت أتمنى ان يجيب الشاعر اجابة شافية وافية لكى نفهم مايريد ان يقول .

● أما عندما يتحدث الاصدقاء عن علاقاتهم بالمؤسسات التى يتعاملون معها ، فاننى أرى ان الكثيرين منهم يضخمون ذواتهم ، بل ان بعض هؤلاء يتبجحون ويتسمون بالغرور سواء أكان هذا الغرور مقنعا بقناع من التواضع الزائف أو مكشوفا مجردا . ولست أدرى اى سبب للتهجم

على دار الكاتب العربى من قبل الذين نشرت لهم دار الكاتب اعمالهم • السبب الوحيد ــ فيما أرى ــ هو محاولة اظهار البطولة الزائفة واثارة الضجيج مادامت الفرصة متاحة لذلك على صفحات «الطليعة» . من هؤلاء ــ على سبيل المثال ــ القاص أحمد هاشم الشريف الذى نشرت له الدار مجموعة قصصية كما أنها ستنشر له هذا العام مجموعته «العربة ذات الاجراس» وهذا ما أعرفه بحكم عملى مديرا لمكتب أستاذى الشاعر **صلاح عبد الصبور** مدير النشر بالدار • ومن هؤلاء أيضا محمد مبروك الذى ذكر انه يحس بالغربة ازاء المؤسسات الثقافية ، وانى أسأله عن نوع هذه الغربة ، فهو لم يكتب فى حياته غير ثمانى قصص قصيرة ، نشر منها ثلاثا والرابعة نشرت بمجلة المجلة فى عددها الخاص عن القصة ، وتبقى بعد ذلك اربع قصص وبهذا يكون الكاتب قد نشر نصف نتاجه •• فأية غربة يحسها اذن ؟ لا أعلم !! **وعبد الحكيم قاسم** صور زملاءه فى الجهة التى يعمل بها تصويرا مهينا مزريا ، وفى تصورى ان الاديب الحق ينبغى ألا يكون متعاليا على الناس ، متصورا انه اله وهم حشرات ضارة ينبغى القضاء عليها بالمبيدات !! ومن المؤسف ان يصدر هذا التصور عن كاتب كان يعتنق مذهبا تقدميا عظيما ، وهذا مايدفعنى الى القول بأن كثيرين من التقدميين يرفعون اللافتات ويطلقون الشعارات ، دون ان يتوجهوا بها لانفسهم أولا وقبل كل شىء بحيث يطمسون الازدواجية القائمة بين معتقداتهم وسلوكهم الشخصى •

● تبقى بعد ذلك ظاهرة طربت لها ، تتمثل فى أن أدباء الشباب قد اتفقوا على أن نتاجهم ينبغى له ان يخدم قضايا الناس ، وان تفاوتت المفاهيم فيما بينهم ، وذلك باستثناء الناقد ماهر شفيق فريد الذى يتصور ان هناك شيئا اسمه الفن للفن ، وأعتقد ان هذا راجع الى طبيعة تكوينه الثقافى ، وطبيعة شخصيته فى آن واحد •

● أما ظاهرة «الشللية» التى تحدث عنها الكثيرون على صفحات «الطليعة» رغم انتمائهم الفعلى والحقيقى الى الشلل ، فهى ــ فى نظرى ــ تنقسم الى قسمين :

١ ــ شلل يجمعها اتجاه أدبى معين ، فتتكاتف لكى تبرز هذا الاتجاه ، وهى شلل مشروعة فى رأيى • ومثال ذلك «شلة» الجمعية الادبية المصرية •

٢ ــ شلل يربط أفرادها تبادل المصالح والمنافع المادية مع حجبها عن الشلل «المعادية» ، وهذه شلل من المؤسف وجودها فى مجتمع يتطلع الى الغد الاسعد فى ظل تطبيق صحى ومخلص للاشتراكية •

● أحسست من خلال ترتيب التعقيبات ان شباب النقاد قد حاصروا أساتذتنا الكبار . فالتعقيب الاول لسامى خشبة ، والاخير لغالى شكرى ، وقد حاصر الاثنان د • سهير القلماوى ود • لويس عوض ود • على الراعى ود • لطيفة الزيات ولطفى الخولى ، وبالمناسبة أحب ان أؤكد ان استاذتى الدكتورة سهير القلماوى تعلم تماما ان الصديق **جمال الغيطانى** كاتب قاص وليس شاعرا ، اما ما ذكرته فى تعقيبها من أنه «شاعر واعد» فهو زلة قلم حدثت فى زحمة مشاغلها واعبائها الضخمة ، ومنها عبء رعاية الادباء الشباب واهتمامها بنشر الجيد من نتاجهم •

حتى لانموت من الجفاف

يتناول الدكتور وصفى صادق الشاعر و «الصيدلى بالاسكندرية» مشكلة «الافلاس والجفاف» التى اصابت حياتنا الادبية من وجهة نظره •• ويربط بينها وبين مشكلة «الاجيال» •

بدأت علاقتى بالشعر لاول مرة عام ١٩٦٠ . ظللت فى اقفاص الرومانسية محنطا كأزهار الزينة حتى عام (١٩٦٥) . وبعد نكسة يونيو (١٩٦٧) وجدت نفسى ، ووجدت قلمى •

لاتوجد اية علاقة بينى وبين المؤسسات الثقافية فى القاهرة والاسكندرية ، او معرفة شخصية تربطنى بهيئات ودور النشر .. علاقتى تقتصر فقط على ارسال انتاجى عن طريق البريد • اما عن علاقتى بأدباء الاسكندرية •• فهى مبتورة فكريا ذلك أن الشعراء الشيوخ او «الغرانيق» •• لا يعترفون اساسا بالشعر الحديث ، يكتبون الشعر الكلاسيكى شكلا ومضمونا •• مقياس نجاح العمل الفنى عندهم يتناسب تناسبا طرديا مع لباقة الحديث والوجاهة الاجتماعية والصياح خلف ميكرفونات المهرجانات ، واصطياد كوكبة من الشبان على

المقاهي كبطانة او دعامة • الشعراء الشبان يتشدقون كثيرا ولا يفعلون ١/١٠ مما يقولون • • تحولوا للاسف الى ببغاوات ، وشلل يتصارعون على اقامة الشعر •• كأن الاسكندرية هي محيط العالم وآخره • • وهم معذورون لاشك في ذلك . أما الادباء الشباب في القاهرة • • فتربطني بهم علاقات الود والتقدير عند زياراتي المتكررة ، اقرأ لهم انتاجي دوما •• واستفيد جدا من المناقشات الادبية معهم •

ــ الاجهزة الثقافية في الاسكندرية : قصر الثقافة ، والمجلس الثقافي التابع للمحافظة •• في اغماءة فكرية طويلة وشعارات هوائية في الميكرفونات وعلى الورق والسبب ان المسئولين يتبادلون مع الادباء الشيوخ وبعض اساتذة الجامعات المجاملات الجوفاء على حساب الحركة الفكرية التقدمية في مصر ، وعلى حساب الشبان يرفضون كل جديد واصيل للمحافظة على مقاعدهم •

من حيث علاقتي بالمجال الذي اعمل فيه •• فطبيعة عملي تمتص كل وقتي بالاضافة الى العزلة النفسية التامة عن زملائي ، وفي اكثر من مرة اكتب استقالتي ليلا ثم امزقها صباحا .

ــ الاجيال الادبية السابقة . . ساهمت بعضها في اثراء حياتنا الثقافية . . بالرغم ان العامل الزمني قد اعطى الفرصة للذين لا يستحقونها في وقت كانت حياتنا الادبية تعاني من الافلاس والجفاف ، والمأساة ان العكس حدث ايضا . . والان نحن في انتظار عطائهم الموعود الذي اشار اليه **د • لويس عوض** •• سوف ندعهم يثبتون لنا عكس رأينا فيهم ان استطاعوا ــ والعالم يغير جلده كل يوم وكل ساعة •

أؤمن ان الادب لا بد وان يخدم قضايا الانسان المعاصر • ولابد ان يبحث عن صلبان الخلاص للطبقات المنسحقة على مدى التاريخ . • وان يشهر الكلمة سيفا في وجه البورجوازية المسمومة •• وان يبحث عن حل للتخلف والتناقض في مجتمعات العالم الثالث . . وان كان الادب يستطيع ان يغير ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للانسان ، فهل هو قادر على حل مشاكل الانسان الميتافيزيقية ، أو النفسية ، أو الوجودية . . . حتى الان لا اجد جوابا لهذا السؤال .

مواقف لا أجيال

يناقش الشاعر فرج صادق مكسيم « الموظف بدار الكاتب العربي » ما طرحته اجابات زملائه حول التجديد في الادب والفن : ما هو المعيار في تقييم الجديد والقديم ؟ هل هو « موقف » الكاتب من الحياة ، ام هو « الجيل » الذي ينتسب اليه ؟

عرفت الفن بالممارسة . . واختلاط اللحم والدم . . وتجربتي عبر عشر سنوات تقودني . . الى أن المعيار الحقيقي للجدة والقدم . . ليس هو زمن الكتابة . . وانما المعيار . . هو هذا الشيء السري المختبىء خلف العمل الفني •• المتربص هناك كاشارة المرور ليعلن الاسم الحقيقي لمنشيء العمل . المعيار هو النظرة الى العالم •• الى الانسان •• والاشياء . . فالفن لا يستحدث التجارب . . . فتجارب الانسان واحدة . . منذ كانت التجارب ومنذ كان الانسان .

لقد كان امرؤ القيس مثلا يعاني الحب •• وأنا اعانيه •• ولكن تعاملي مع هذه التجربة يختلف بالضرورة •• ان الفن الجديد •• هو التناول الجديد للانسان بوصفه علاقات •

وتأسيسا على ذلك •• فالمسالة ليست خلافا بين جيلين . . بقدر ما هي خلاف بين موقفين . . موقف الذين ينزعجون •• ويتطايرون فزعا من كل تقدم للانسان على هذا الكوكب ذلك لانهم فقدوا مرونة الحركة •• وأصبحت كل خطوة للامام تعني لهم . . خطوة للخلف ، وموقف الذين يربطون مصيرهم كله بمسيرة الانسان •• لانهم بحساب الطاقة والضرورة •• لا يمكنهم الوقوف •

وليس الجديد في الفن هو الوحيد الذي يحارب •• بل الجديد في كل مجالات حياتنا •• الجديد في التكنولوجيا •• في الفكر •• في المنهج •• في العلاقات الخاصة •• في العادات والسلوك •• وهكذا بتبادل التأثير •• يظل الناس تحت غطاء واق من شمس العصر •

ان الكاتب الجديد في مجتمعنا مطالب بقوة الضرورة •• من منطق تحقيق الذات أن يخوض حربا هائلة ومستمرة ضد كل أنواع التخلف في مجتمعنا . . وبكل الاسلحة الممكنة . . من هنا نبدأ •• من البناء التحتي للمجتمع •• من صانع

الاحذية الذى فقد ضميره .. من المدرس الذى يتاجر بعقول الصبية .. من بائع الخبز .. لبائع البضائع المهربة .. من الذين يشبعون بلا عمل . والذين يعملون ولا يجازون .

ان هذا التركيب هو بيت الداء .. هو الحميرة التى تحدد من يكون المنتصر .. التقدم .. ام التخلف .. الجديد . أم القديم ؟ . ولنضرب مثالا صغيرا لا ينصرف الى أكثر من نفسه ، ان جهازا رهيبا من البشر والتكنولوجيا قد حمل قدم ارمسترونج وخرج بها من بطش الارض وارساها على القمر .. فلو كان هناك ولو خلل تافه .. فى أى جزء تافه من هذا الجهاز .. فهل كانت تصل الى هناك قدم تحمل رجلا ..

ان الذيوع الفنى عندنا .. مرهون فى اغلب الحالات بالاستلطاف الشخصى .. وكثيرون هم الذين تصدروا وانتشروا المجرد أنهم يملكون مواهب اجتماعية فذة تتصيد الصداقات النافعة والعلاقات الحميمة .. أما المخلصون من أبناء هذا الجيل ـ ربما من شملهم تصنيف الدكتور **لويس عوض** فى البند الثالث ، وانصرف اليهم اكثر كلام **الاستاذ غالى شكرى** عن الجيل الضائع ـ هؤلاء .. وأنا منهم .. قد جرفهم ادمان القراءة الجادة واختبار الواقع فأصابهم بشلل اجتماعى ... وقد جنى عليهم هذا وحملهم عبئا باهظا فالى جوار نضالهم فى سبيل تأصيل ذواتهم وأدواتهم هم يخوضون حربا بلا عدالة بين اجهزة متخمة بالتخلف والنقص فى سبيل توصيل منجزاتهم .. ذلك لان التركيب المتشابك الذى حكينا عنه .. يؤدى فيما يؤدى الى تقييم العمل من خلال المهارات الاجتماعية التى يملكها صاحبه .

ولان القضايا فى ذاتها لا تحمل حقا ولا باطلا .. فالقضية تكون حقا وعدلا اذا كانت تخدم قطاعا كبيرا من البشر وهى نفسها تكون باطلا اذا كانت ضد الاغلبية ... لهذا فنحن مطالبون أن نجعل الاغلبية تتبنى الجديد وتجعل الجديد قضية الاغلبية . هذا هو الباب الضيق . ان الفن هو النار العظيمة ـ ليس ذلك غرقا فى بحر الرومانسية ـ الفن هو الثورة .. الفن مثل الدم .. لكى يكون حيا يجب ان يكون ساخنا .. الفن طائر جارح .. ينقر عين الشمس ويرتفع فوق جثث المبادىء والقيم المهترئة ..

انه الدليل الوحيد .. على انسانية هذا الكائن المسمى بالانسان ، لهذا فهو من أجل الانسان دائما وهو صديق كل ما يخدم الانسان ، وعدو كل ما يقف فى طريقه الى التكامل والوفاق مع الكون ولان الانسان جنس لا ينتهى .. فالجديد قوة لا تنهزم انها ربما نفاق أحيانا بسبب فساد المكان .. ولكنها معقمة ضد الموت والهزيمة .

لهذا .. فنحن لن نبكى على أسوار بابل .. فالبذور الجيدة لا تثمر الا حين تذوب فى التربة .. ونحن نذوب فى التربة اننا بذور جيدة .. نكافح الغيظ والثلج والتحاريق والطفيليات ولكن يجب أن نعيشها حتى يصبح لكفاحنا معنى .. وحتى يكون لنا ثمر غدا .. أما الباحثون عن الخلفاء .. عن المنشورات البللورية التى تعكس الضوء عليهم قوس قزح .. فليشبعوا مجدا .. الباحثون والخلفاء معا .

هل يزن الشىء .. أكثر من حقيقته ؟؟؟

وهل تستطيع اللوحة ان تخرج عن اطارها ؟ ؟

أم الانسان يكون أطول من قامته ؟؟؟

كلمة من الطليعة

تثير هذه المجموعة من التعليقات التى تنشرها « الطليعة » ابتداء من هذا العدد ، بعض النقاط التى تحتاج من جانبنا الى الايضاحات التالية :

● **بالرغم من أن مدلول عبارة « الجيل الجديد » لا يتضمن بالضرورة حدود سن معينة ، الا أنه لا يمكن انكار أن القاعدة العريضة لهذا الجيل تنتمى الى الشباب ، ولذلك حصرنا الاختيار فى الاعمار الواقعة بين ١٨ و٣٥ عاما**

● **وقد طرحنا ١٥٠ شهادة للاستيفاء ، توجهنا بنصفها تماما لادباء الاقاليم ، والنصف الاخر لادباء العاصمة .**

كما أننا استهدفنا « التنوع » سواء فى فروع الفن الادبى التى ينتمى اليها الكاتب أو « المهنة » التى يمارسها فى حياته العملية .

● **وكان عدد الشهادات التى وصلتنا والمجلة ماثلة للطبع ٣٨ شهادة لم نتمكن ـ الا من نشر ٣١ منها ، على ان الحوار حول القضية لا يزال مفتوحا ، ولم تكن دراسة العدد الماضى سوى المقدمة الضرورية لذلك .**

● **يتبقى بعدئذ ما اثير حول اختيار الاستاذ سامى خشبة ضمن المعلقين على الشهادات .. فلقد إعتمد هذا الاختيار على انتمائه الى نفس الجيل ومزاولته للنقد الادبى متخصصا فيه منذ عدة سنوات . ولا شك أن التزام ناقد ما باتجاه معين لن يرضى زملاءه من أصحاب اتجاهات مغايرة . كما ان اختيار اى من النقاد لنفس المهمة من الطبيعى الا يلقى ترحيب الجميع . أما الاعتراضات التى اثيرت على الاستاذ سامى خشبة ، هى نفسها التى كانت ستثار على غيره .**

تقارير الشهر

- **استراتيجية جديدة للعمل العربى**
- **مؤتمر أديس أبابا .. واتجاه الوسط**
- **ماذا وراء خطف السفير الامريكى ؟**
- **سينما الشباب ومهرجانها**

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

حرب المذكرات فى المجلس الوطنى الفلسطينى

انهمرت المذكرات على الدورة السادسة للمجلس الوطنى . فمن خارج المجلس تقدمت كل من **الجبهة الشعبية ، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين ، ولجنة المتابعة الجماهيرية لتوحيد العمل الفلسطينى** بثلاث مذكرات الى المجلس الوطنى اوضحت فيها المنظمتان الاولى والثانية اسباب مقاطعتهما للمجلس (*)

وجاء فى مذكرة الجبهة الشعبية :

● ان المنظمة بغموض مواقفها لا تحتوى الحد الادنى من الشروط المطلوبة بصفة وحدة وطنية سليمة ، وأن المنظمة تعيش واقعا مكتبيا وبيروقراطيا لا يصلح ولا يمكنها من قيادة القتال والمقاتلين وقيادة الجماهير .

● ان المنظمة بغموض مواقفها لا تحتوى الحد الادنى من الشروط اللازمة لقيام وحدة وطنية فاعلة ، وكذلك الغموض الذى يلف المنظمة فى مواقفها وعلاقاتها مع الدول العربية .

● لابد من تحديد واضح للعدو ، وان معسكر العدو بالاضافة لاسرائيل يشمل الحركة الصهيونية فى أنحاء العالم ، والامبريالية العالمية وعلى رأسها أمريكا ، وكذلك القوى الرجعية المرتبطة بالاستعمار والتى تتحرك بارادته لضرب حركة الجماهير .

● ان واقع التنظيمات فى هذه المرحلة ، تفرض صيغة معينة من العلاقات ، وأن صيغة العلاقة الجبهوية هى الصيغة الممكنة فى هذه المرحلة ، فهى التى توفر العمل المشترك بين التنظيمات حول القضايا المتفق عليها ، كما توفر لكل تنظيم حقه فى ممارسة نشاطاته العسكرية والسياسية فى الموضوعات التى لا يكون حولها اتفاق .

كما أن الثورة الفلسطينية فى هذه المرحلة ليس من مصلحتها طمس اتجاهات سياسية أو عسكرية قد تدل التجربة أنها الاتجاهات الوحيدة التى تمكن الثورة من الصمود والنمو والانتصار .

● توفير الضمانات عن طريق تشكيل الهيئات القيادية للمنظمة (المجلس الوطنى ، اللجنة التنفيذية ، قيادة الكفاح المسلح) بشكل يجعلها

قادرة على ممارسة هذه المواقف في حيز التطبيق، وكذلك استقلال العمل الفلسطيني عن الدول العربية، وان يكون العمل في مقوماته المادية معتمدا على الجماهير وليس على الانظمة، وان أية مساعدة من الانظمة لا يجوز أن تحمل قيودا على استراتيجية العمل وحرية حركته».

أما الهيئة العاملة فقد أشارت في مذكرتها الى « ازدياد حدة التناقضات بين المنظمات الفدائية » والى أن « قيادة الكفاح المسلح » صيغة غير علمية لحل التناقضات، (أو بالاحرى لاحتوائها)، وأنها (صورة مصغرة عن جامعة الدول العربية) ! وطالبت الهيئة باستبدال قيادة الكفاح المسلح (بجبهة وطنية متكافئة)».

أما التجمع المعروف باسم لجنة المتابعة الجماهيرية فقد طالب في مذكرته بأن يكون المجلس الوطني اطارا لوحدة كل شعبنا وليس لبعض المنظمات الفدائية، وان تشكيل المجلس الحالي أتى « تكريسا وتشجيعا للتعدد » . واشارت مذكرة لجنة المتابعة الى بعض المخالفات المالية التي وقعت فيها بعض مكاتب منظمة التحرير • وطالبت بتنمية الموارد الحالية للمنظمة وضغط النفقات ». واقترحت مذكرة اللجنة ـ لتوحيد العمل الفلسطيني ـ صيغة تقضي بالاتفاق على منهج عمل موحد، تتبعه وحدة سياسية، وقيام قيادة عسكرية، وجهاز اعلامي واحد، وجباية مالية موحدة •

ومن داخل المجلس تقدمت الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة بمذكرة اكدت فيها ان اشتراكها بالمجلس انما أتى استجابة للرغبة الجماهيرية، و (لطرح تصوراتنا بكل ما يخص العمل الفلسطيني) واطلاع الجماهير على كل العقبات ! وأشارت المذكرة الى محاولات الاحتواء المتعددة سواء من جانب بعض الدول العربية وبعض المنظمات الفدائية ! وبصدد (قيادة الكفاح المسلح) ترى المذكرة أنه لكي تصبح تلك القيادة حقيقية وفعالة، لابد أن يكون لها حق التخطيط المشترك •• مراقبة التنفيذ •• المحاسبة والتصعيد، مع توحيد الجباية المالية والاعلام • وتطالب المذكرة (بمجلس وطني يضم كل التنظيمات العاملة) يصل الى (إتفاق على خطوط عريضة) . وترى مذكرة الجبهة في منظمة التحرير (الارضية التي يمكن أن يتحقق عليها هذا اللقاء التحالفي) .

أما الجبهة الشعبية الديموقراطية فقد تقدمت بأربع مذكرات ودراسات ضمنتها فكرها ونظرتها الى مسائل العمل الفلسطيني، الاولى عن المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية، والثانية اقتراح بقيام جبهة تحرير وطنية موحدة، والثالثة مشروع قرار نحو حل ديموقراطي للمسألة الفلسطينية، أما الرابعة فدراسة ضافية عن حركة المقاومة الفلسطينية في واقعها الراهن، ولعلها أهم الدراسات والمذكرات التي قدمت للمجلس •• وتشير الدراسة الى « العفوية، والمفاهيم السياسية المغلوطة، والمقارنات التاريخية الخاطئة » والتي تفصل بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية، وتنفر من (النظرية) • ثم تطرح الدراسة وتحلل (دروس تجربة شعب فلسطين) • وأكدت الدراسة أن « التناقضات الطبقية في صفوف الشعب الفلسطيني، وفي المنطقة العربية، قد سحبت نفسها بوضوح على حركة المقاومة » • وأن هناك منظمات المقاومة « لا مبرر فكري وسياسي وقتالي لها » • وأن هناك محاولات تطويق واحتواء، واشارت دراسة « الشعبية الديموقراطية » الى أن حركة الجدل لم تأخذ طريقها الديمقراطي والموضوعي، وانها غالبا ماقمعت (بالعنف والقوة) • وطالبت بالتدخل بكل ما يمس القضية الفلسطينية من طرف الانظمة العربية •

وتؤكد الدراسة « أن امكانية بناء التنظيم الواحد لفصائل المقاومة ليست ممكنة » وانتهت الدراسة الى المطالبة بتكوين « جبهة وطنية عريضة تضم كافة الفصائل الوطنية والشريفة والتقدمية والقوى الوطنية المناضلة وتقوم العلاقات بين هذه الفصائل على أسس متكافئة، وترتبط ببرنامج سياسي وعسكري » ورأت الجبهة الشعبية الديموقراطية أن غياب هذا البرنامج قد عطل تجربة قيادة الكفاح المسلح و « حصرها ضمن حدود معنوية وادارية بسيطة » • وطالبت « بتشكيل اللجنة التنفيذية من القوى المقاتلة بالدرجة الاولى » و « الغاء الاجهزة الادارية البيروقراطية » « وتحويل جيش التحرير الى جيش عصابات » و « تنظيم الجماهير » و « توحيد التسليح، والاعلام، والتوعية السياسية » ، واقامة ميليشيا شعبية في الضفة الشرقية للاردن وبقية البلدان العربية •

واغتنت الايام الستة التي استغرقتها جلسات المجلس ولجانه (١ ـ ٦ سبتمبر) بالمناقشات والحوار أكثر من أي اجتماع سابق •

وقد ادى استمرار الحوار الى انشطار المجلس الى تيارين أساسيين، أحدهما محافظ، والاخر تقدمي، الاول يشكك في مواقف بعض الدول الاشتراكية ويدافع عن اليمين العربي • وقد تمكن التيار الثاني من كسب بعض « الوسطيين » وشل ذبذبتهم الى حين، كما نجح في تقديم توصيات ـ من خلال اللجنة السياسية المتفرعة من

المجلس ـ تقضي بشكر الاتحاد السوفييتي والتنديد بالامبريالية الامريكية والرجعية العميلة • الا أن التيار المحافظ ـ وباستخدامه لورقة انذار الحكومة اللبنانية ـ استطاع حصر تلك التوصيات وخنقها، وخرج البيان السياسي للمجلس خلوا من تلك التوصيات ، وان كان قد اورد شعار « **التحرير الشامل ، واقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية** » كهدف للثورة ، وأكد أن «أسلوب الثورة هو **الكفاح المسلح** معززا بصور الكفاح الاخرى » ، وركز على **استقلال** العمل الفلسطيني ، وطالب بعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية ، على ان تلتزم هذه الدول بعدم التعرض لمسيرة الثورة • وأكد البيان حرص المجلس على متابعة الجهود لتحقيق الوحدة الوطنية ، وتوحيد الجباية المالية ، ودعم وتطوير جيش التحرير الفلسطيني ، وأشار الى أن « التخطيط والتنهيج الاحصاء اساس للعمل الثوري » وابرز البيان قرار المجلس بتشكيل « محكمة الثورة لتأمين العدل وضمان أمن الثورة » • ووجه البيان الشكر لكافة الشعوب والدول الصديقة المؤيدة لنضال شعب فلسطين ، كما حيا جماهير الارض المحتلة •

ومهما يكن من أمر فان المجلس السادس كان خطوة الى الامام ، فهو قد أنجز :

● مشاركة ثلاث منظمات ،كانت تقاطع المجلس السابق (الديموقراطية ، الشعبية ، القيادة العامة ، فلسطين العربية) •

● استقطاب اعضاء المجلس الى اتجاهين ، يمين ويسار ، وان أبقى على مجموعة غير قليلة من الوسطيين •

● **خروج ابراهيم بكر وعبد الحميد شومان** (مستقلين) من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، ودخول **بلال الحسن** (ديمقراطية) **وخالد يشرطي وحسام الخطيب** (مستقلين) الى اللجنة المذكورة •

■ **النزاع العربي الاسرائيلي**

فشل الجهود الدبلوماسيه في حل الازمة

في نيويورك ومع دورة الجمعية العامه بدأت الاتصالات على اعلى مستوى بين وزراء خارجية الدول الكبرى ووزراء خارجية الدول العربية واسرائيل وبمساعدة جونار يارنج ـ وذلك كما يقول المراقبون ـ بهدف التوصل الى مخرج من الركود الذي أصاب المحادثات الثنائية والرباعية منذ شهور ، ومحاولة ايجاد حل للازمة والخروج من الموقف الحالي العصيب الذي يصفه اوثانت « بانه قد تدهور اكثر مما كان عليه منذ عام مضى • وأن التوتر في المنطقة وخيبة الامل التي يشعر بها من يحاولون التوصل الى حل سلمي قد تزايدت » .

وفي جبهة القناة جرت معارك عنيفة طوال الشهر الماضي ،وتميزت تلك المعارك بازدياد اشتراك السرح الجوي على نطاق واسع الى جانب المدفعية في العمليات الحربية والاشتباكات مع العدو • وقامت طائراتنا في هذه المعارك بضرب اهداف العدو ومواقعه على الضفة الشرقية وسيناء كما أحبطت عدة محاولات قام بها السلاح الجوي للعدو للاغارة على مواقعنا •

واشتد نشاط رجال المقاومة على جميع الجبهات داخل الارض المحتلة وقاموا بهجمات جريئة ومنسقة على جبهات العدو • وقد وصفت **رويتر** الفترة الاخيرة بانها تميزت بكثرة الدماء الاسرائيلية التي سالت في جبهات القتال وفي غارات الفدائيين •

ويعتبر اتساع عمليات رجال المقاومة جزءا لا يتجزأ من استراتيجية حرب الانهاك العربية ، تلك الحرب التي يصفها **اندريه بوفر مدير معهد الدراسات الاستراتيجية في باريس** « **بانها ستكون** بالغة الخطورة على اسرائيل التي لا تملك سوى **رأسمال بشري محدود والتي ستضطر الى الاحتفاظ بجزء هام من سكانها تحت السلاح لفترة طويلة** » •

وقد انزلت قوات المقاومة خسائر بالعدو في المعدات والرجال خلال هجماتها طوال الشهر الماضي • واضطرت القوات الاسرائيلية اكثر من مرة الى الاستنجاد بالسلاح الجوي الاسرائيلي لقصف مواقع الفدائيين ومواقع المدفعية الاردنية •

وقد فرضت قوات الاحتلال الاسرائيلي حالة الحصار في غزة والضفة الغربية ،واشارت احدى الصحف الاسرائيلية الى ان الحاكم العسكري السابق لقطاع غزة عزل من منصبه لفشله في قمع النشاط الفدائي في المنطقة • وتردد في اسرائيل أن هناك اتجاها لفرض مزيد من القيود العسكرية المشددة على العرب في الارض المحتلة لمواجهة التوتر المتزايد ، ومن هذه القيود تحديد الاقامة والسجن دون محاكمة •

وقد اعلن متحدث عسكري اسرائيلي ان حوالي ١٠٠٠ من الفدائيين العرب يعيشون الان في سجون اسرائيل ومعتقلاتها •

وتستمر امريكا فى تسليم طائرات الفانتوم لاسرائيل • وقد صرح متحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية أن الولايات المتحدة قد سلمت لاسرائيل بالفعل عددا من طائرات الفانتوم • وحذرت **تاس** من تسليم تلك الطائرات فقالت ان تسليمها يؤدى الى زيادة حدة التوتر فى الشرق الاوسط • واعلنت وزارة الخارجية المصرية أن تسليم الفانتوم لاسرائيل تصرف أمريكى بالغ الخطورة ضد أمن وسلامة الشعوب العربية وأكدت الوزارة أن أمريكا تدعم العدوان الاسرائيلى وتشجيع اسرائيل على مواصلة تحديها لقرارات الامم المتحدة •

وقد أعلن **اسحق رابين** السفير الاسرائيلى فى وشنطن أن سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط لم تتغير فى جوهرها منذ حرب يونيو ، **كما اعلنت جولدا مائير انها ستطلب من الرئيس الامريكى نيكسون مزيدا من المساعدات المالية والعسكرية لتخفيف العبء الذى يثقل كاهل اسرائيل فى الظروف الحاضرة نتيجة لاعباء الحرب •**

وعلى الصعيد الدولى أتخذ مجلس الامن قرارا بادانة اسرائيل لمسئوليتها فى حريق المسجد الاقصى • غير ان الولايات المتحدة امتنعت عن التصويت بدعوى ان القرار يدين اسرائيل وعلى الصعيد الدولى أيضا تجرى الاتصالات والمشاورات لعقد المؤتمر الاسلامى فى مدينة الرباط • وقد كان انعقاد هذا المؤتمر موضع اهتمام المعلقين فى الصحافة المحلية • فأكدت على أهميته ، وعلى أن الدول الاسلامية تستطيع بانعقاده أن تتخذ مواقف رادعة ضد العدوان الصهيونى على المقدسات • وحذر المعلقون من أن يتحول المؤتمر الى مجرد مسعى لجمع التبرعات •

وفى دوائر الامم المتحدة تدور مشاورات نشطة بين رؤساء وفود الدول التى لها علاقة بازمة الشرق الاوسط فى محاولة للتوصل الى مخرج ، وهناك اجماع بين كافة الاطراف على أن الموقف متدهور ولكن ليس هناك اتفاق بعد على وسيلة لمواجهة هذا الموقف الخطير •

فبينما ترى بريطانيا اعفاء جونار يارنج من مهمته وتعيين آخر مكانه على اساس أن اختياره كان اختيارا فرضته قوى معينة على السكرتير العام ، تحاول الولايات المتحدة احياء محادثاتها مع الاتحاد السوفيتى بهدف التوصل الى اتفاق • وقد أعربت بريطانيا عن استعدادها للقيام بمبادرة جديدة لوضع قرارها موضع التنفيذ خاصة بعد فشل الجهود الثنائية والرباعية فى تحقيق تقدم واضح نحو حل الازمة •

وصرحت الدوائر المطلعة فى الامم المتحدة بأن هذه هى آخر فرصة أمام الدول الكبرى لمواجهة الازمة والموقف الخطير الذى ترتب على العدوان الاسرائيلى واستمراره حتى اليوم •

والقى **الرئيس نيكسون** خطابه فى الجمعية العامة • وقد رحب **ابا ايبان** بما جاء فى خطاب نيكسون بخصوص ازمة الشرق الاوسط ووصفه « بالموقف الهادىء والمتزن الذى ابداه نيكسون ازاء مشاكل الشرق الاوسط » • بينما جاء الخطاب مخيبا لامال العرب • **وعلق السيد محمود رياض عليه قائلا « ان ما جاء فى خطاب الرئيس الامريكى ليس مرضيا على الاطلاق »** واضاف : أما عن موقفنا واضح وهو أنه يجب على اسرائيل أن تنسحب من الاراضى التى احتلتها منذ حرب يونيو وبالتالى لا يمكننا أن نقبل أى شىء أقل من هذا » •

كما قال :

« ان الامل ضعيف فى التوصل الى تسوية للازمة قريبا لاننا فى حاجة الى المزيد من الوقت لبذل الجهود لاقناع اسرائيل بالتخلى عن سياستها التوسعية » •

ومن اجل ذلك تستمر المشاورات بين المسئولين فى الدول العربية للاتفاق على تنظيم لقاءات قريبة على أعلى المستويات لوضع مخطط شامل للعمل العربى يحدد نصيب كل دولة وما يمكن أن تساهم به ويتفق فيه حدود التحرك العربى مع واقع ما وصلت اليه الازمة سواء فى المجال الدبلوماسى او العسكرى

ويجمع المراقبون على ان زيارة رئيسة وزراء اسرائيل الى الولايات المتحدة قد حققت الغرض منها ، وان **جولدا مائير** قد حصلت على تأكيد من الرئيس نيكسون بالحصول على المزيد من طائرات الفانتيوم والصواريخ والمساعدات المالية، كما تشير من جهة أخرى الى تمادى الولايات المتحدة فى المساندة الصريحة ولابعد الحدود لاسرائيل فامدادها بكل ماتحتاجه من الاسلحة والمعونات. وان كان لم يعلق رسميا عن القرارات التى توصل اليها الطرفان فى محادثاتهما ، غير انه أعلن امام الصحفيين قائلا « اننا نعلم اين نقف الان ، وكيف سنتحرك »وانهما بحثا معا كل الموضوعات التى اشارت اليها الصحف ، وانه ليس هناك اى بادرة جديدة لحل سلمى لازمة الشرق الاوسط ولكنه يعرف الان هو وجولدا مائير مايجب عمله لتحقيق السلام » !

ومن ناحية أخرى اعلنت حكومة المانيا الغربية رسميا انها ستمنح اسرائيل هذا العام معونة اقتصادية قدرها ١٤٠ مليون مارك .

■ ليبيا

استراتيجية جديدة للعمل العربي

فى الأول من سبتمبر تفجرت الثورة فى « **مملكة الصحراء** » التى تزيد مساحتها على مساحة بريطانيا وفرنسا واسبانيا وايطاليا مجتمعين واعلن قيام الجمهورية العربية الليبية. ولقد تمكنت طاقات الثورة العربية فى ليبيا والبلاد العربية – رغم صعوبة الظروف – من مساندة الثورة والجمهورية الوليدة، ولم يمض اسبوعان حتى كانت اركان النظام الجمهورى الجديد قد استقرت وبدأت ليبيا تشق طريقها الجديد. فأعلن عن مضاعفة الحد الادنى لاجور العمال والمستخدمين. وصرح د. **محمود المغربي** رئيس الوزراء الليبى « **أن القواعد العسكرية الامريكية والبريطانية لن تبق بعد سنتى ١٩٧٠ – ١٩٧١ وسوف تتحمل ليبيا خلال هاتين السنتين هذا العبء الثقيل** ». ولقد كان وجود السلطة الجديدة كافيا لفضح المدى الذى استخدمت فيه الارض الليبية فى خدمة المخططات الامبريالية الصهيونية.

وتقرر وضع قاعدة هويلس الامريكية تحت اشراف السلطات الليبية لاول مرة فى تاريخ البلاد بعد اكتشاف حادث تهريب احد اليهود الليبيين الى مالطه من داخل القاعدة الامريكية. واعلن العقيد **معمر القذافى** رئيس مجلس قيادة الثورة الليبية ان الطريق الى فلسطين هو أن تتحد الامة العربية وتضرب ضربه واحدة وتصفى الوجود الدخيل. وأن « الوحدة العربية قائمة فى نفوس الشعوب العربية ولا يحول دون تحقيقها سوى عوامل مصطنعة فرضها الاستعمار ». وأضاف « ان الامة العربية تهتز فى كل فترة يتعرض فيها جزء من الوطن العربى لاى كارثة. » بينما انعقد فى **بنغازى** وفى ميدان الشهداء المؤتمر الشعبى الكبير الذى انبثقت عنه اللجنة التحضيرية لاعداد مطالب الشعب التى تضم ممثلين لاتحادات العمال والمعلمين والمرأة والطلبة. وأذاعت هذه اللجنة برنامجا من تسع نقاط، يهدف الى تدعيم النضال العربى وتصفية الوجود الاستعمارى والرجعى واطلاق الحريات السياسية للشعب.

واذا كان المراقبون قد رأوا فى الثورة الليبية حلقة جديدة بالغة الاهمية والدلالة فى النضال العربى تحديا لمنطلقات عدوان ١٩٦٧، ومن اجل اعادة بناء القوة العربية على اسس جديدة فى مواجهة الاستعمار والصهيونية، فانهم قد اجمعوا على القول بأن ما حدث فى ليبيا كان « مفاجأة »



العقيد معمر القذافى

للجميع، فكتبت جريدة نيوزويك الامريكية فى ١٥–٩–١٩٦٩ تقول « ان معظم السياسيين الغربيين – يشاركهم الملك **ادريس** نفسه – كانوا مقتنعين تماما ان ليبيا ستكون البلد الذى سيقاوم التيارات الثورية التى اجتاحت معظم بلدان الشرق الاوسط على الاقل الى ما بعد وفاة الملك ادريس السنوسى. وقالت **وكالة نوفستى** فى تعليقها على ظهور الجمهورية العربية الليبية « أنه حدث ذو أهمية رئيسية.. فبعد ثورة السودان الناجحة امتدت التغيرات السياسية الديناميكية الى بلد كان يعتبر من وجهة النظر التقليدية من اكثر دول الشرق الاوسط بطئا فى التطور. »

والواقع، أن « مفاجأة أول سبتمبر » لم تكن المفاجأة الاولى « للصحراء » الليبية، ان ليبيا التى لم يكتشف البترول فيها الا عام ١٩٥٨ (اكتشف البترول فى العراق عام ١٨٨٩) قد حققت فى مايو ١٩٦٩ ونتيجة للتطورات التكنولوجية الحديثة، أعلى معدل للانتاج اليومى فى كل المنطقة العربية، وتشهد قفزات الانتاج فى السنوات منذ ١٩٦٢ حتى ١٩٦٩، من ٩ ملايين طن الى ٢٢ الى ٤١ الى ٥٩ الى ٧٢ الى ٨٢ الى ١٢٥ الى ١٤٠ مليون طن، على تعدى متوالية الانتاج الليبى كل متواليات التطور الاقتصادى المعروفة، وعلى ديناميكية اقتصادية لم يسبق لها مثيل فى أى بلد عربى منتج للبترول. واذا كانت هذه الثروة الضخمة قد جعلت ليبيا مسرحا لصراعات احتكارات البترول العالمية حيث تعددت مجموعة شركات « **أوازيس** » (الصحارى) التى بدأت متأخرة انتاج مجموعة « **اسو** » التى افتتحت الاكتشاف والانتاج، وحيث تسيطر الولايات

المتحدة على القسم الاكبر من الانتاج بينما تستهلك أوروبا الجزء الاعظم منه (٨ر١١٥ مليون طن من ١٢٥ مليونا فى عام ١٩٦٨) ، فان الديناميكية الاقتصادية وما صاحبها من تدفق تكنولوجى عال قد حركت من جانب آخر الرمال الساكنة بعنف وخلقت ردود فعل ديناميكية أخرى أنضجت الارض للثورة المنتصرة • ولقد علق بعض المراقبين مشيرين الى **أنه التناقض القديم الذى حملتـه الرأسمالية الغربية فى اندفاعها الى الشرق ولكن فى صورة جديدة ومتفجرة فى عصر الصراع العالمى بين الاشتراكية والرأسمالية ولهذا فان الثورة الليبية تقدم نموذجا جديرا بـالاهتمام والدراسة وذلك من زاوية العلاقة بين الثـورة التكنولوجية المعاصرة ونمو حركة الثورة العالمية •**

ولم تكن ليبيا بترولا وتكنولوجيا حديثة فحسب ، بل هى أيضا قيم عربية أصيلة لم تفسدها سنوات طويلة من تطور رأسمالى ، وهو ما عبرت عنه مجلة **النيوزويك** الامريكية بطريقتها فى حديثها عـن اعتماد الغرب على الوفاء العربى للشعب الليبى تجاه ادريس السنوسى ! ولقد كان مفجعا للشعب العربى الليبى الذى تعيش فى أعماقه ذكريات تضامن الشعوب العربية معه فى كل تـاريخه النضالى ، **ان يجد بلاده مرتعا لقواعد عسكرية** أجنبية استخدمت أكثر من مرة لضرب أشقائه فى مصر والشرق العربى ، ولقد لاحظت الصحف الايطالية أن شعب العراق قد أطاح بقاعدة الحبانية بعد استخدامها فى حرب السويس ، ويطيح شعب ليبيا اليوم بأسس بقاء قاعدة هويلس حيث يعتقد اعتقادا جازما بأنها قد استخدمت بشكل أو بآخر فى عدوان ١٩٦٧ •

وقد كان الاستقبال الشعبى والرسمى الحافل الذى استقبل به وفد ج٠ع٠م٠ برياسة السيد انور السادات تعبير صـادق عن وفاء وتضـامن الشعب الليبى الاصيل لاشقائه العرب •

تقول وكالة **نوفستى** فى تعليقها : « لقد اتخذت ليبيا الثورة الان الطريق الى التنمية الوطنية الحقيقية ، وهى تواجه صعوبات عظيمة ، لكن نظام الحكم الجديد يملؤه التصميم على التغلب على هذه الصعوبات معتمدا على الشعب • »

والواقع •• أن مؤامرات القوى الاستعمارية ضد الثورة الليبية لن تهدأ ، وستتخذ كل أشكال وأبعاد التآمر الاستعمارى ، فليبيا المتحررة لا تمثل خطرا على منجم البترول فحسب ، ولا انكشافا للجبهة الجنوبية لحلف شمال الاطلنطى فحسب ، بل هى بحدودها التى تربط بين مصر والسودان والجزائر لتجسم استراتيجية جديدة للعمل العربى التوحيدى وهو مايحاربه الاستعمار بكل قواه •

■ **تونس**

ردة هـادئة

فى مساء العاشر من سبتمبر الحالى اوردت وكالات الانباء خبرا مقتضبا عن تنحية **احمد بن صالح** عن كل مناصبه الوزارية ، وتسليمها الى **الباهى الادغم** ، وزير الدولة التونسى ، والذى كان **الرئيس بورقيبة** قد عينه سكرتيرا عاما للحزب رغم معارضة الاجيال الشابة من قيادة الدولة والحزب ومطالبتهم بأن يتم اختيار سكرتير الحـزب بالانتخاب لا التعيين وبذلك يكون الباهى الادغم قد جمع بين يديه السلطة السياسية والاقتصادية •

على ان المراقبين يرون ان هذا لايعنى انتهاء الصراع حول خلافة الرئيس بورقيبة ، تلك المشكلة التى تشغل بالفعل بال كل الاطراف •

وفى ٢٦ أبريل ١٩٦٦ كان الرئيس بورقيبة قد اعلن فى اجتماع اللجنة المركزية **للحزب الاشتراكى الدستورى** إن اكبر محنة ستواجهها تونس فى المستقبل هى اليوم الذى سيصبح فيه منصب رئيس الجمهورية شاغرا • والواقع أن الرئيس التونسى قد أقام جهاز الدولة وسلطة الحزب على أساس شخصى يضع كل الصلاحيات بين يديه ، فلم يتح لاى من معاونيه أن يصل الى المكانة التى تؤهله لتسلم منصب الرئيس • **فالمنجى سليم** ــ مثلا ــ والذى شغل منصب وزير الخارجية ، ورأس الجمعية العامة للامم المتحدة ، ورشحه البعض سكرتيرا عاما للامم المتحدة ، ومن ثم أصبح شخصية لها شهرة عالمية الى حد ما ، نحاه الرئيس بورقيبة من وزارة الخارجية ، فابتعد عن المجالات الدولية وانتهى به المطاف الى وزارة العدل ، ويقـول المراقبون فى تبرير ذلك أن الرئيس بورقيبة لم يرد ان يصبح المنجى سليم « بديلا » لدى اى قوة من القوى قد تفكر فى تغيير الاوضاع فى تونس •

وماحدث للمنجى سليم تكرر مع الباهى الادغم سكرتير عام الحزب ووزير الدولة ، فقـد كان الادغم يشغل منصب وزير الدفاع وبدأ فى تكوين ارتباطات شخصية تمهيدا لاستخدامها عنـد الحاجة ، وسعى لاستمالة الرأسماليين الجدد وبدأ الامريكيون فى وضعه فى اعتبارهم ، الامر الذى ادى الى الاطاحة به من وزارة الدفاع • وتكررت القصة بحذافيرها مع **المستيرى** الذى بدأ ينفذ فى الجيش تغييرات اوصى بها الامريكيون ، وبدأ يتطلع الى السلطة فى الدولة والحزب غير أن هذا حمل الرئيس بورقيبة على عزله من وزارة الدفاع • ونفس الامر حدث **للصادق المقدم** •

وأخيرا جاء الدور على أحمد بن صالح ، الذى بدا فى نظرنفسه ونظركثيرمن المراقبين وقددانت له الامور فقد جعلت منه الظروف الداخلية فى تونس والظروف العربية العامة رجل الساعة هناك . فبعد احداث بنزرت واشتداد الازمة الاقتصادية فى تونس نتيجة لسياسة الحرية الاقتصادية التى اتبعتها البلاد بعد استقلالها والتى ادت الى حلول كبار الملاك فى تونس محل المعمرين الفرنسيين ، وانصراف اقسام متزايدة من الجماهير عن الحزب الدستورى ،وتحت ضغط المد الثورى القادم من الجزائر والجمهورية العربية المتحدة ، تقدم احمد بن صالح لانقاذ النظام متمتعا

بتأييد الاجيال الشابة من التكنوقراطيين وتأييد الاتجاهات الاصلاحية . وفى الواقع فقد ابقى على جوهر النظام ،وان كان قد ادخل سياسة التخطيط ووضع خطة مدتها عشرسنوات تبدأ من ١٩٦٢. والمعروف ان احمد بن صالح كان هو المنظر « **للاشتراكية الدستورية** » التى يشوبها قدر كبير من الغموض ، وعدم التحديد .

على ان انتهاج هذه السياسة الاقتصادية الجديدة لم تؤدالى التغيير الجذرى لاصلاح الواقع التونسى . فالاجراءات التعاونية فى مجال الزراعة كانت محدودة الاثر لقلة مساحة الاراضى التى أقيمت عليها التعاونيات وتعدد مراكز السيطرة السياسية والادارية فيها ، وارتفاع نفقات الانتاج والادارة والتسويق .

أما الصناعة التى بقيت فى يد الشركات الاجنبية هى والتعدين ، فلم يكن الحال فيها خير من الزراعة ، اذ لم يتجاوز معدل النمو ٣ فى المائة فى حين ان المستهدف كان ٦ فى المائة ونقصت الصادرات ، وزاد الاعتماد على الخارج استيرادا وتمويلا وكانت انتاجية الاستثمارات اكثر من متواضعة ،فى حين ظل تزايدالسكان على معدله المرتفع . كما يلاحظ ان فشل التخطيط يرجع الى احجام البرجوازية التونسية الكبيرة عن الاسهام فى تنفيذ مشروعات الخطة .

وبالطبع لم تعجب سياسة بن صالح الاقتصادية البرجوازية التونسية الكبيرة وممثليها فى

تعليق

مؤتمر أديس أبابا .. واتجاه الوسط

لاشك ان المناخ العام لحركة الثورة فى افريقيا ، يختلف الى حد كبير عن ذلك المناخ الذى ساد فى السنوات الاخيرة السابقة . وليس من المبالغة أن نقول ، أن الثورة الافريقية بدأت تستعيد اليوم — وان كان ببطء — من جديد زمام المبادرة الذى افتقدته أمام سلسلة الانقلابات العسكرية المضادة

التى كسر حدة هجماتها تطورات الاوضاع فى الكونجو [برازفيل] ، ثم ثورة ٢٥ مايو فى السودان ، ثم ثورة اول سبتمبر فى ليبيا ، فضلا عن صمود الثورة المصرية واعادة بناءقواتها المسلحة . . والاجراءات التى اقدمت عليها حكومة زامبيا مؤخرا.

فى ظل هذا المناخ الجديد ، انعقد مؤتمر القمة الافريقى فى اديس ابابا . وكان من المنتظر أن تنعكس آثار هذا المناخ على اعمال المؤتمر ، والواقع أن مجرد اختيار اديس ابابا موقعا لانعقاد المؤتمر ، يكفى لان يوضح الاتجاه العام الذى ساده بعد ذلك والذى يمكن ان نسميه : اتجاه تجنب تفجير المشاكل ، او فى كلمات أخرى ، اتجاه «الوسطية» او « التوفيقية » .

فعند مناقشة «ازمة الشرق الاوسط» — التى سعى البعض الى تجنب مناقشتها لولا جهود الوفد العربى — اتجه المؤتمر الى « عموميات الازمة » بالتأكيد من جديد على اهمية تنفيذ قرارات الامم المتحدة الصادرة فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧.

وامام مشكلات الحركات الوطنية المسلحة ، لم يتمكن المؤتمر من الوصول الى حل يرتقى الى الطبيعة الملحة لهذه المشكلات . والكسب الاساسى الذى حققه المؤتمر انه أبقى على استمرار « لجنة التحرير » التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية والتى تتولى عمليات تنظيم وتنسيق عمليات المساعدة والمساندة الافريقية للحركات الوطنية المسلحة . وكانت هذه اللجنة ، قد تعرضت للهجوم الشديد من بعض الدول بهدف تصفيتها غير أن اسئلة حركات التحرير المسلحة ظلت كما هى بلا جواب . واهم هذه الاسئلة — مثلا : كيف لا تصلهم المساعدات العسكرية التى تمدهم بها الدول المتحررة ؟ وماهى الحلقة المفقودة والغير واضحة حتى الآن .. التى تؤدى الى وصول هذه المساعدات — خطأ — الى بيافرا ؟! وكيف نضمن وصول هذه المعدات الى مستحقيها الحقيقيين ؟

ولعل الكسب الاكثر اهمية فى اعمال المؤتمر ، وصوله الى اتفاق يتم بمقتضاه اجراء مفاوضات مباشرة بين حكومة نيجيريا المركزية وبين حكام بيافرا ، بعد أن وافق الطرفان على ذلك . ففضلا عن نجاح هذا القرار — الذى يحتاج الى متابعة ملحة ودقيقة — فى وضع اسس اولى للقاء يمكن ان يضع حدا « لمجازر » نيجيريا والحرب الاهلية التى تبدد طاقة شعبها ، فانه قد حقق — ايضا — نجاحا بارزا فى الابقاء على المشكلة وحلها فى « اطار افريقى » .

تلك حقائق لا تقلل من اهمية الحرص على استمرار عمل منظمة الوحدة ولكنها — ايضا — حقائق لابد من وضعها موضع الاعتبار ، لنعرف مدى ما حققته حركة الثورة الافريقية من ايجابيات ، وطبيعة الجهد الذى مازال علينا أن نبذله .

حسين شعلان

الحكم من « رجال الحرس القديم » ولهم الاغلبية فيه ، لان هذه السياسة بدرجة او بأخرى تمثل قيدا على حريتهم فى اغتراف الثروات . وساعد على زيادة التناقض أن أحمد بن صالح جمع بين يديه عديدا من المناصب والتفت حوله اجيال التكنوقراطيين والمتمردين والشباب فى الحزب فى مواجهة مراكز السيطرة التقليدية فى جهاز الدولة والحزب بحيث بات فعلا خطرا يهدد هذه المراكز . وقد تواردت انباء اخيرة تفيد أن بن صالح بدأ اخيرا فى الاتصال سرا بكل المعارضين للحكم فى الخارج وأشارت هذه الانباء الى بن صالح ربما يمهد الطريق لازاحة أقطاب ماقبل الاستقلال .

ومع ذلك ، يرى المراقبون ان بن صالح لم ينجح فى احتواء حركة المعارضة للمراكز القديمة . بل أن الذين آمنوا فى وقت من الاوقات بشعارات بن صالح التقدمية ـ سواء فى داخل الحزب او فى البلاد ـ مالبثوا أن انفضوا عنه بعد أن تبينوا أن الصراع فى جوهره ليس صراعا « حول الاشتراكية » بقدر ماهوصراع بين اشخاص .

وعلى الرغم من أن مجلس الجمهورية التونسية الذى تكون من ٢٢ عضوا (لتصريف شئون البلاد اذا ماخلا مكان الرئيس بورقيبة) كان قد اصدر بيانا عقب ثورة ليبيا اعلن فيه ان الثورة الليبية تعد مسألة داخلية لا تؤثر على العلاقات بين البلدين ـ نقول على الرغم من هذا الا أن المراقبين يرون أن احداث الثورة الليبية كانت حافزا ومحركا للاحداث الاخيرة فى تونس (الاطاحة بين صالح ، هذه الاحداث التى يعتبرونها « ردة هادئة » المعركة لصالح مراكز القوى التقليدية فى الحزب والدولة . فهذه القوى لم تكن راضية عن السياسة الاقتصادية وعن « التخطيط » و « الاشتراكية الدستورية » كما أنها تميل الى مزيد من التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية التى اصبح لها نفوذ قوى على كل اقطاب الصراع حول الرئاسة .

وعلى أية حال يميل المراقبون الى اعتبار ان ماتم فى تونس كان بالفعل كسبا للجناح اليمينى التقليدى من الحكم ، لكن منطق التطور يبين أن مثل هذا التغيير سيضع التونسى وجها لوجه امام ممثلى الاوضاع التقليدية دون أن يتوسط بين الطرفين احمد بن صالح واشتراكيته الدستورية .

■ المغرب

اعتراضات على تمثيل فلسطين وتمسك بالعلاقات مع اسرائيل

عقد فى الرباط مؤتمر القمة الاسلامى وسط جو من التكهنات العديدة والترقب لما سيكشف عنه من مفاجآت ، نظرا لاختلاف طبيعة الدول المشتركة فى المؤتمر من حيث علاقاتها المختلفة باسرائيل والدول الإستعمارية .

وقد اشترك فى المؤتمر ٢٦ دولة من بين ٣٥ دولة فى آسيا وافريقيا وجهت اليها الدعوة للاشتراك فى المؤتمر ، كما حضره عشرة من ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، وامتنعت كل من العراق وسوريا عن الاشتراك فى المؤتمر .

وقد صح ما توقعه المراقبون منذ البداية اذ ظهر هناك اتجاهان رئيسيان يسيطران على المؤتمر . الاتجاه الاول يرى حصر المسألة فى النطاق الدينى وتجنب الدخول فى الصراع بين العرب واسرائيل ويمثله ايران وتركيا ـ بينما الاتجاه الثانى يرى ان حريق المسجد الاقصى ليس سوى مسألة واحدة ، تتفرع عن المشكلة الاساسية وهى احتلال اسرائيل للاراضى العربية . وفى طليعة هذا الاتجاه الجمهورية العربية المتحدة ، التى حرصت منذ البداية على توضيح وجهة نظرها من المؤتمر وهى : « انها اذ تعتبر اجتماع المؤتمر حدثا بالغ الاهمية ، وانها كانت بين أول المطالبين بانعقاد هذا المؤتمر ، فانها لا تعتبر ان الصراع فى الشرق الاوسط هو صراع بين المسلمين واليهود ، وهو المعنى الذى تحاول اسرائيل أن تبرزه كصراع عنصرى دينى ، بينما فى الحقيقة ان الصراع هو ضد الاستعمار الذى يستعمل الصهيونية العنصرية فى اسرائيل كأداة من أدواته ، وان الجمهورية العربية المتحدة لا تريد فى هذا المؤتمر توريط أى دولة من الدول الاسلامية خطوة واحدة أبعد من المدى الذى تقدر أو تريد الوصول اليه ، وان كان مما يلفت النظر ان الاتحاد السوفيتى وكل دول اوربا الشرقية ـ باستثناء رومانيا ـ قطعت علاقاتها السياسية مع اسرائيل بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، فى حين ان هناك دولا اسلامية مازالت حتى الان تحتفظ بعلاقاتها مع اسرائيل . وان الجمهورية العربية المتحدة يهمها توثيق العلاقات مع كل الدول الاسلامية وتنقيتها ، وعلى سبيل المثال بين العراق وايران بحيث يتمكن العراق من حشد كل قواته على الجبهة الشرقية ، وان الجمهورية العربية المتحدة ترى أن الصراع فى الشرق الاوسط هو بالدرجة الاولى صراع بين القومية العربية بوجهها التحررى والتقدمى ضد الصهيونية بوجهها العنصرى الاستعمارى » .

وقد آثار موضوع تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية ، الذى دعت اليه الجمهورية العربية المتحدة بتأييد من الجزائر والسودان مناقشات حادة ومعارضة شديدة من الدول التى تربطها علاقات باسرائيل مثل ايران وتركيا ، وان كان تدخل الوفود قد ادى فى النهاية الى التوصل الى حل وسط والموافقة على

اشراك المنظمة فى أعمال المؤتمر بدون أن يكون لها حق التصويت . كما أعترضت ايضا تركيا وايران على اقتراح ليبيا والسودان والجزائر بدعوة الدول الاسلامية التى تربطها علاقات باسرائيل الى قطع علاقاتها معها لادراجه فى جدول أعمال المؤتمر .

وقد أصدر الوفد السودانى بعد ذلك بيانا أعرب فيه عن رأيه بضرورة قطع الدول الاسلامية علاقاتها مع اسرائيل وأمريكا ، وحق التمثيل الكامل لفلسطين فى المؤتمر ، كما يرفض السودان أن يقصر المؤتمر أعماله على موضوع القدس وحرق المسجد الاقصى ، فمن جانب آخر يرى عدم أحقية الدول الاسلامية فى فرض وصايتها على قضية فلسطين ، وأعلن فى ختام بيانه بأن السودان يشم رائحة الحلف الاسلامى الذى سبق أن رفضه العرب وأسقطوه سنة ١٩٥٦ .

ولقد جاءت القرارات معبرة عن تكوين المؤتمر ، ولذلك اقتصرت على استنكار حريق المسجد الاقصى ، وتأييد حقوق شعب فلسطين ، ودعوة الدول المسئولة عن حماية السلام فى العالم بان تضاعف جهودها لانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة» ورفض المؤتمر للقرارات المتعلقة بتأييد المقاومة العربية ضد اسرائيل ، او الالتزام بموقف محدد من القوى الصهيونية والاستعمارية .

وكانت الجمهورية العربية المتحدة وبعض الوفود العربية قد اعترضت على احد الفقرات التى تضمنها البيان الختامى للمؤتمر والتى يفهم منها « ما يشير الى بعض اهداف المؤتمر الخاصة باحياء الحلف الاسلامى » اذ اضطر المؤتمر ازاء اصرار مصر وبعض الوفود العربية الى حذف هذه الفقرة

■ **اليونان**

اللعبة الامريكية المزدوجة

نشرت جريدة **لوموند** الفرنسية ان رئيس « الحركة الوطنية للمقاومة اليونانية » — **الجنرال اركيتاس** — وهى ليست حركة يسارية — قد وزع بيانا أخيرا فى أثينا يطالب فيه بالتحقيق فى عدد من الحوادث التى تمت ضد الامريكيين وفى نفس الوقت يحذر واشنطن من استمرار تأييدها للحكم الحالى فى اليونان مما يحملها مسئولية الحرب الاهلية التى توشك على الانفجار .

ومن ناحية أخرى فقد اتهمت منظمات المنفيين اليونانيين الحكومة اليونانية بقتل ثلاثة من ضباط الجيش وثمانية جنود اعتقلوا فى الاشهر الاربعة الماضية . وصدر الحكم على السيدة **آكى مانفاكيس** ابنة احد رؤساء الوزراء السابقين وزوجة استاذ قانون العقوبات بجامعة اثينا المعتقل ، بالسجن اربعة سنوات بتهمة اعطاء « أنباء كاذبة » للصحفيين الاجانب ، بينما طالبت اللجنة السوفياتية للتضامن مع الديمقراطيين اليونانيين من جديد باطلاق سراح **الياس ايليو** النائب السابق والمحامى المعروف والمصاب بمرض عضال .

وكانت اليونان قد شهدت فى الفترة الاخيرة ازمة عنيفة بين الحكومة والسلطات القضائية بعد اقالة الحكومة لرئيس مجلس الدولة فى اليونان ، وشملت الازمة المحامين ايضا بعد أن تم اعتقال اربعة من المحامين البارزين فى اثينا وابعادهم الى قرى نائية فى المناطق الجبلية ، ثم امتدت لتشمل الدبلوماسيين بعد أن أعرب سفيرا اليونان فى لندن وباريس عن معارضتهما لتدخل الحكومة فى شئون مجلس الدولة فقامت الحكومة باستدعائهما . وقد دفعت هذه التطورات عددا من المراقبين الى الحديث عن ثورة للمثقفين فى اليونان ، لا بسبب الصدام مع مجلس الدولة فحسب بل بسبب الاوضاع التى تعيشها البلاد منذ انقلاب ابريل ١٩٦٧ ،حتى ان الصحف الغربية لاتكف عن الاشارة الى أن عمليات الاعتقالات والطرد من الوظائف والمحاكمات طيلة السبعة وعشرين شهرا الماضية قد اصبحت اجراءات روتينية عادية فى حياة البلاد .

وتبدى الصحف الامريكية اهتماما بالغا بحقيقة أن حملات الاعتقال قد اتسعت لتشمل الى جانب اليساريين عددا واسعا من اليمينيين والليبراليين ، والى ازدياد مشاعر العداء للولايات المتحدة داخل اليونان خاصة بين اوساط الشباب والطلبة .

واهتمام الولايات المتحدة باليونان اهتمام قديم يرجع الى عام ١٩٤٧ عندما اعلن **ترومان** مبدأه الشهير للتدخل لقمع الثورة اليونانية التى انفجرت بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم ازدادت الاهمية الاستراتيجية لليونان بعد أن أصبحت القاعدة الرئيسية ومركز الاتصالات والتوجيه الاول للاسطول السادس الامريكى والغواصات الذرية . ومن هنا ما تبديه واشنطن من اهتمام شديد لضمان « الاستقرار » فى اليونان . ولذا يلاحظ المراقبون أن اخطر مايواجه حكومة **بابا دوبليوس** فى اللحظة الحالية هى اللعبة الامريكية المزدوجة : فبينما يعتبر المستشارون العسكريون الامريكيون وعلى رأسهم ميجور جنرال **صموئيل اقيون** وكبار الضباط الامريكيين فى قيادة حلف الاطلنطى فى اليونان اصدقاء حميمين لاعضاء الحكومة الحالية يناقشون ويخططون معهم كل شىء » وبينما يعد الرئيس الامريكى **نيكسون** نائب رئيس الوزراء

اليوناني باباكوس بزيادة المعونة العسكرية الامريكية لليونان والتى تصل حاليا الى ١٠٠ مليون دولار سنويا ، تقوم الصحافة الامريكية بالتنديد بنظام الحكم في اليونان الى حد المطالبة بقطع المعونات الامريكية عنه ،في محاولة لاستمرار علاقات واشنطن بالقوى اليمينية الاخرى المعارضة للحكم الحالى داخل اليونان احتياطا للمستقبل ، مما يؤكد قلق واشنطن على مستقبل الحكم الحالى.

■ ■

■ البرازيل

ماذا وراء خطف السفير الامريكي

خطف اربعة من الثوار البرازيليين السفير الامريكي من احد الشوارع المزدحمة ، وبالقرب من مبنى السفارة ، ترك الثوار فى عربته مذكرتين : اعلنوا فى الاولى انهم سيعدمون السفير خلال ٤٨ ساعة اذا لم تستجب الحكومة لشرطيهما:

الاول : ان تطلق الحكومة سراح خمسة عشر من المسجونين السياسيين

الثاني : اذاعة البيان السياسى للثوار فى الاذاعة والتليفزيون وجميع الصحف .

وقد اثار هذا الحادث الفزع والذهول فى **واشنطون وريودى جانيرو** . واستدعى **نيكسون وليام روجرز** وزير خارجيته للتباحث معه فى هذا الشأن ،واعرب الرئيس الامريكى عن شعوره بالقلق البالغ تجاه الحادث ، ومتابعته للموقف باهتمام شديد . وفى ريودى جانيرو اعرب القائم بالاعمال الامريكى بعد اجتماعه بالمسئولين البرازيليين « بانه سوف تتخذ جميع الاجراءات الكفيلة بانقاذ حياة السفير » . واجتمع المجلس العسكرى الحاكم الذى يضم وزراء الجيش والطيران والبحرية مع « **جوزيه بنيتو** » وزير الخارجية .. واعلن الوزير « ان حكومة البرازيل قررت قبول مطالب الثوار وستفرج عن الخمسة عشر معتقلا ، وان الحكومة تنتظر اعلان الثوار لاسماء المعتقلين حتى تفرج عنهم » .

وقطع الراديو والتليفزيون برامجهما العادية بعد منتصف الليل لاذاعة بيان الثوار كما نشرته جميع الصحف فى صفحاتها الاولى بناء على تعليمات الحكومة ، وهو عبارة عن قرار اتهام للحكومة يصفها بانها « مجموعة » عسكرية ديكتاتورية عميلة للولايات المتحدة . وجاء فى البيان « ان اختطاف السفير الامريكي ما هو الا جزء من الحرب الثورية التى تنمو وتزدهر والتى ستتحول هذا العام الى حرب اهلية .. ان السفير الامريكى « **البريك** » اختطف لانه رمز للاستغلال، وهو ممثل مصالح الامبريالية المتحالفة مع اصحاب الاعمال ومع ملاك الاراضى والبنوك الكبرى ومع الحكم المستغل ، وهذه الفئات هى المسئولة عن بؤس الشعب وعمليات القمع المنظمة ، واشار البيان الى العمليات السابقة التى قام بها الثوار ومنها « مهاجمة البنوك للحصول على الاموال اللازمة للثورة ، والاستيلاء على الثكنات للحصول على اسلحة ، وغزو السجون لاطلاق سراح المعتقلين السياسيين ليشتركوا فى النضال » .

وطالب البيان بالافراج عن المسجونين وان يتم نقلهم الى الجزائر او شيلى او المكسيك حيث يحصلون على حق اللجوء السياسى . واختتم الثوار بيانهم بدعوة « الشعب الى الثورة للاطاحة بالحكم العسكرى الديكتاتورى العميل » ووقع البيان حركتين ثوريتين برازيليتين هما :

« **حركة العمل التحررى الوطنى** » و « **حركة ٨ اكتوبر الثورية** » وهى الحركة التى تسمى نفسها باسم اليوم الذى لقى فيه الزعيم الكوبى البطل « **ارنستو تشى جيفارا** » مصرعه على يد المخابرات الامريكية . ومعظم اعضاء هاتين الحركتين كانوا اعضاء فى الحزب الشيوعى البرازيلى ، وخرجوا عليه لرفضه الكفاح المسلح كاسلوب اساسى للاطاحة بالدكتاتورية .

وفى احدى المحادثات التليفونية التى تمت بين الثوار ــ اثناء اختطاف السفير ــ واحدى الجرائد البرازيلية المحافظة قالوا «ان هدفنا وطنى صرف» وليس لنا اى اتصال بدول اجنبية » .

وقد اثار رضوخ الحكومة العسكرية لمطالب الثوار ، وضغط حكومة واشنطن استياء شديدا فى الاوساط الرجعية البرازيلية التى اعتبرت قرار الحكومة اهانة للنظام القائم وتعزيزا لمكانة الثوار بين جماهير الشعب . وقد تحركت وحدة من المظلات لتعبر عن معارضتها لقرار الحكومة بالاستجابة لمطالب الثوار ، واستولت على محطة اذاعة حكومية بالقرب من العاصمة ، واذاعت بيانا ضد الحكومة وصفتها بانها « حكومة غير وطنية »

وانسحبت بعد اذاعة البيان ، كما حاول بعض ضباط الجيش عرقلة سفر الطائرة المقلة للثوار المفرج عنهم الى المكسيك .

واستقبل هؤلاء المسجونين السياسيين فى المكسيك استقبالا بالغ الحماس من البرازيليين الموجودين هناك ، وكذلك من العناصر الوطنية المكسيكية ، وكان يتقدمهم المناضل القديم والنائب الشيوعى السابق « جيورجيو بيريزا » الذى يبلغ من العمر سبعين سنة .

واصدر المسجونون السياسيون المفرج عنهم بيانا جاء فيه « اننا لن نعتبر انفسنا احرارا فعلا الا عندما يصبح شعب البرازيل كله حرا » كما ادانوا بشدة النظام البوليسى السائد فى البرازيل .

وعقد السفير الامريكى مؤتمرا صحفيا بعد الافراج عنه قال فيه انه قد عومل من قبل الثوار معاملة حسنة ، ووصفهم « بانهم مجموعة من الشباب اذكياء بدرجة كبيرة ، ومقتنعون تماما بان الامبريالية الامريكية هى السبب فى كل المتاعب والالام التى يقاسيها الشعب البرازيلى واضاف انهم لا يبدو عليهم بالمرة انهم مثل رجال العصابات » .

وقد اكد الثوار فى آخر رسالة لهم — قبل الافراج عن السفير — « انهم سيواصلون نضالهم من اجل الحرية الكاملة للشعب البرازيلى بكل الوسائل المتاحة لهم » واكدوا « ان حرب العصابات ستتضاعف فى داخل المدن ، وان جيشا حقيقيا من الفلاحين ينضم الان الى كتائب الثوار للنضال من اجل التحرير الكامل » ، واضاف البيان « ان الثوار لا يحملون ضغينة شخصية للسفير « البريك » اللهم الا بصفته الممثل الرسمى للسادة الامريكيين » . ودعا البيان « الشعب البرازيلى الى احياء عيد الاستقلال بالانضمام الى كفاحهم الثورى » .

وعلى اثر الافراج عن السفير الامريكى بدأت السلطات البرازيلية حملة اعتقالات واسعة . واصدرت الحكومة مرسوما بنفى الخمسة عشر مسجونا سياسيا الذين افرجت عنهم قهرا . كما اصدرت مرسوما آخر يخولها سلطات نفى العناصر غير المرغوب فيها . واكدت الحكومة انها ستتخذ اجراءات صارمة ضد ما اسمته « باعمال التخريب » .

وقد فسرت التايمز اللندنية ما حدث فاشارت الى ان العنف قد استشرى نتيجة لكسب الاصوات المعارضة فى السنتين الماضيتين فى البرازيل . وان المشكلة اجتماعية فى اساسها ، وانها تزداد عنفا مع مشكلة النظام العسكرى نفسه » ، وطالبت الصحيفة بأن يعمل اى شىء للمحافظة على الحد الادنى من النظام ، وقالت ان « المحافظه على امريكا اللاتينية » يتلب الالتزام بواجبين حيويين اولهما : العمل الجاد على حماية الدبلوماسيين ، والثانى هو استمرار القانون والنظام !!

على ان بعض المراقبين يرون ان ما حدث فى البرازيل هو احدى الثمار المرة لسياسة الولايات المتحدة . ففى امريكا اللاتينية درجت المخابرات الامريكية على تنظيم الانقلابات العسكرية واقامة الدكتاتوريات وحل البرلمانات واعتقال القوى الوطنية بالجملة والقضاء على شكل من اشكال الديموقراطية . وحتى عندما تمكنت بعض القوى الوطنية فى البرازيل — مستفيدة من بعض الثغرات فى القانون — من النجاح فى انتخابات حكام الولايات (اكتوبر ١٩٦٥) بادرت الحكومة البرازيلية الى الغاء الانتخابات وحلت الاحزاب لمدة سنتين ، والغت المكاسب الديموقراطية التى ينص عليها دستور ١٩٤٦ ، وتدخلت بعنف ضد النشاط النقابى . الا ان النتيجة المحتومة هى ان الاحتكارات الامريكية دعمت مواقفها فى الاقتصاد البرازيلى وذلك بالكيفية التى راحت تهدد بالقضاء على الوجود الصناعى الوطنى .

ويرى المراقبون ان تجارب التاريخ قد اظهرت ان كل اجراء شاذ ضد حركة الجماهير لن يكتب له اى نجاح ، فالمجلس الحاكم فى البرازيل وهو المجلس المكون من وزراء الجيش والطيران والبحرية اضطر الى ان يسلم بمطالب الثوار عندما قاموا بخطف السفير الامريكى . ولكن هذه العملية لم تكن الاولى من نوعها كما تشير الى ذلك وكالة الانباء الفرنسية ، بل كانت — على الاصح — العملية رقم ٢٥ . وقد سبقتها عملية جريئة استولى فيها الثوار على محطة اذاعة ساو باولو لمدة ٢٥ دقيقة اذاعوا خلالها بيانا الى الشعب اعلنوا فيه « ان هدفهم الاكبر هو طرد

اللصوص الامريكيين الشماليين من البرازيل ووضع اسس الاستقلال السياسى والاقتصادى للبلاد .

ومع ذلك ، يبدى عدد من المراقبين دهشتهم عندما يرون ان الصحف الغربية لاتزال تدعوالى المزيد من القمع والارهاب تحت شعار مكافحة « **خطر الشيوعية** » ، وقد علق **ريتشارد ويج** خبير شئون امريكا اللاتينية على ذلك بقوله :

« يدور كلام فى البرازيل حول مواجهة اخطار الشيوعية مرة اخرى كما حدث من قبل عام ١٩٦٤ ، وحتى يتم استئصال حرب العصابات فى المدن ، ولكن نظام الرئيس جولارت كان فى قمة القوة ، وكانت حرب العصابات (فى عهده) فى دور النمو اذا قورنت بقوة خصومها ، فهل من الممكن ان تتكرر نفس الصورة ام ان الوقت قد تغير والقوى الثورية قد زادت خبرة » .

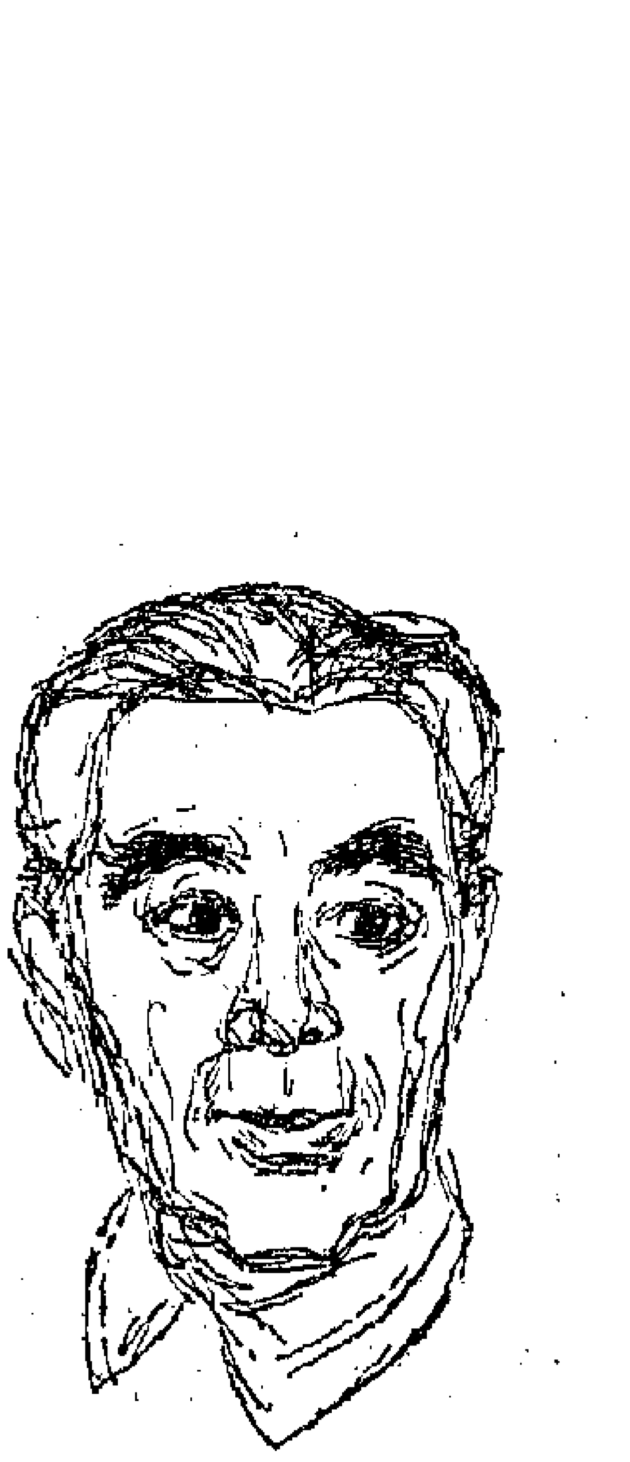
■ ■

■ **العلاقات السوفيتية الصينية**

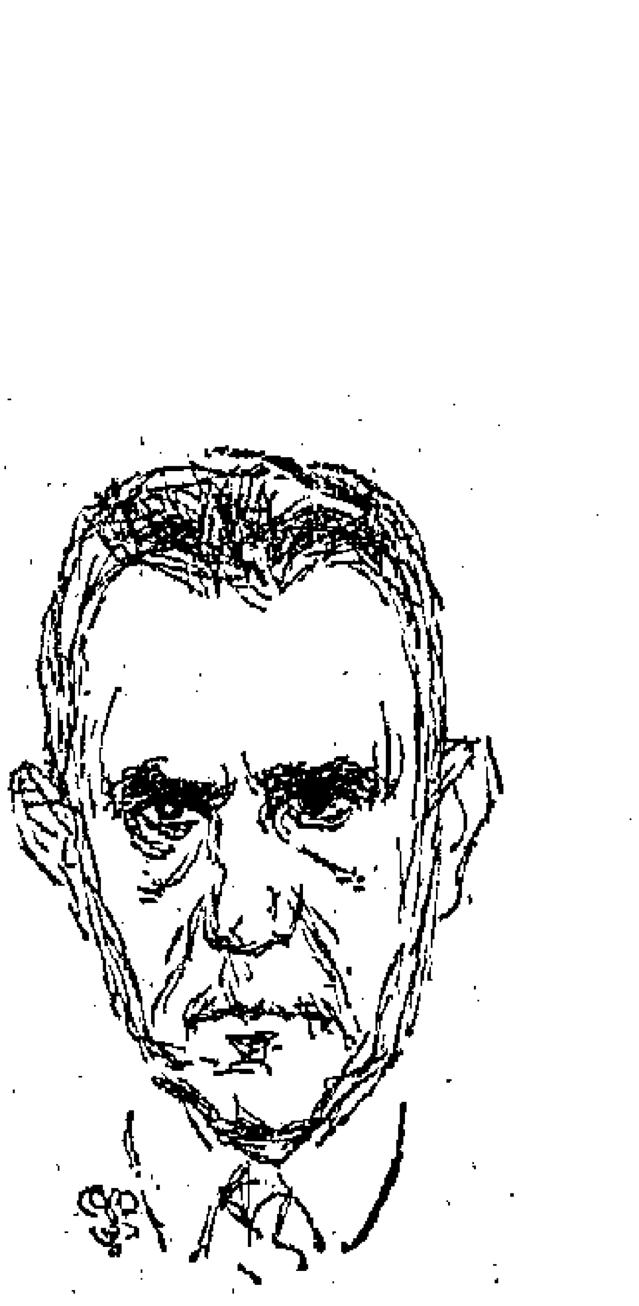
كوسيجين .. يخترق حاجز الكبرياء القومى

فى مساء ١١ سبتمبر ١٩٦٩ انصتت الدوائر السياسية فى العالم الى لحن مثير من وكالة تاس يقول انه: « بناء على اتفاق متبادل ، عقد فى بكين اجتماع بين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتى **الكسى كوسيجين** ، ورئيس مجلس الدولة لجمهورية الصين الشعبية **شواين لاى** . وكان كوسيجين قد زار بكين فى طريقه من جمهورية فيتنام الديمقراطية الى موسكو . ولقد عرض الجانبان موقفهما بشكل صريح واجريا حوارا مفيدا لكلا الجانبين . . . . »

لقد أثار النبأ اهتماما عالميا واسعا حتى أن المراقبين السياسيين فى الشرق الاقصى قد اجمعوا على أنه « رغم عدم نشر اى تفصيلات عما دار فى هذا الاجتماع فان الايام قد تثبت انه اكثر الاجتماعات اهمية خلال السنوات العشر الماضية»



شواين لاى



كوسيجين

ولقد أجهد المراقبون الغربيون انفسهم فى البحث حول من هو الجانب صاحب الاقتراح ومن كان له فضل تحقيقه؟ وهل هو الجانب السوفيتى، ام الجانب الصينى ، أم يرجع الفضل كله الى **هوشى منه** الذى كتب فى وصيته « لقد كرست حياتى لقضية الثورة العالمية واشعر بألم عميق لما انتاب المعسكر الاشتراكى من خلافات وانقسام ، وانى واثق من ان الدول والاحزاب الشيوعية ستحقق وحدتها من جديد » .

الا أن الامر الذى اصبح مؤكدا هو ان الجانب السوفيتى كان هو الذى اخترق « حاجز الكبرياء القومى » مستشعرا الاهمية التى لا تعدلها أهمية لوحدة المعسكر الاشتراكى فى الظروف العالمية الراهنة .

لقد كانت فكرة الاجتماع سابقة على سفر كوسيجين الى هانوى ، ويشير المراقبون الى ان الفكرة الاصلية كانت أن يتم الاجتماع فى العاصمة الفيتنامية ، الا ان وكالة انباء الصين الجديدة اذاعت فجأة يوم وصول كوسيجين الى هانوى أن وفد الصين الشعبية برئاسة شواين لاى غادر هانوى قبيل وصول كوسيجين الى هناك بعد ان امضى أقل من ٢٤ ساعة ، لترسل الصين بعد ذلك وفدا برئاسة **لى هسين سين** نائب رئيس وزراء الصين لحضور تشييع جناز هوشى منه ، ولكن كوسيجين — على ماجاء فى تصريحات رئيس الحزب الشيوعى اليابانى « ابلغ وفد الصين — عن

طريق المسئولين الفيتناميين » ــ انه يرغب فى التوقف فى بكين فى طريق عودته الى موسكو ، ولم يصل رد الصين الى كوسيجين بالموافقة الا فى كلكتا بعد أن كان قد غادر هانوى الى موسكو عن طريق الهند ، فطار من كلكتا الى بكين وتم الاجتماع » .

لقد أعلن راديو بكين ان الجانبين قد اجريا « حوارا صريحا » ، وعلقت **البرافدا** فى ١٤ / ٩ على الاجتماع بأنه « قد احدث ردود فعل واسعة النطاق فى جميع مناطق العالم وانه كان مفيدا لكلا الجانبين » .

وفى الهند اعلنت الحكومة الهندية عن اغتباطها بلقاء بكين واعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية الهندية ان حكومة الهند قد دعت لمثل هذا الاجتماع منذ وقت طويل « لمصلحة الجميع » ، وان حكومة السيدة **انديرا غاندى** مستعدة للدخول فى محادثات للوصول الى ترتيبات سلمية للمشاكل الموجودة بين الهند والصين الشعبية .

وفى ايطاليا نشرت جريدة « **الاونيتا** » انباء اجتماع بكين بمانشتات ضخمة تصدرت صفحتها الاولى ، وقالت جريدة « **التمبو** » انه حدث سياسى يستحق الاهتمام الشديد ، وقالت جريدة **كروبير ديلاسيرا** « ان أمل السلام بين القوتين الشيوعيتين الكبيرتين يكمن فى هذا الاجتماع » .

أما فى أمريكا فلقد « قوبل الاجتماع بذهول من الجانب الاعظم من الصحف الامريكية » ــ وذلك على حد تعبير وكالة الانباء الايطالية . واذا كانت الدوائر الامريكية قد عبرت عن قلقها بطريق غير

تعليق

من الذى انتصر .. الفاشية .. أم عمر المختار ؟

أغلب الظن أن الطغاة والمستبدين لا يحسنون قراءة التاريخ ، ويقينا فهم اذا قرأوه لا يحسنون الاستفادة من عبره ودروسه ، المستخلصة من سيرة أسلافهم الذين سلطوا على الشعوب أدوات البطش وجرعوها مرارة الاستعمار ، والا لما حاولوا تكرار هذه الصفحات السوداء فى حاضرنا الانسانى ، على الرغم من حكم التاريخ على هؤلاء السلف وهذه الصفحات .

فعندما خيل لايطاليا الفاشية أنها قد بسطت سلطانها على البلاد الليبية ، لم ترض بان تجعل لهذه البلاد مكان « المستعمرة » وأبت الا أن تعتبرها قطعة من ايطاليا ، وقالت أن « ليبيا هى الشاطىء الرابع لايطاليا » ؟ ! ، وعندما زار « موسيلينى » ــ طرابلس ــ جىء له بمدفع ، صعد اليه ، وجىء له بالليبيين كى يسمعوه ، وخطب فيهم فقال : « انطرابلس ملكنا الى الابد ؟ ! »

ولكن الشعب الليبى الصغير ، بتقاليده النضالية العربية الاصيلة ، كان قد صمم على أن يتحدى هذه القوة الفاشمة الرهيبة ، فافرز من بين أحشائه بطله « عمر المختار » ليقود نضالا أسطوريا ، يحطم به كبرياء الفاشية ، ويثبت للانسان فى كل زمان ومكان أن تحدى الجبروت



الاستعمارى أمر ممكن ، بل وضرورى ، وان النصر لابد وان يكون من نصيب الانسان المدافع عن الحق والعدل ، مهما تكن التضحيات ..

ففى الوقت الذى كانت السلطات الايطالية فى ليبيا تخرج فيه بمصفحاتها الى البادية ، فتجمع المواطنين ، وتدوسهم بالمصفحات جيئة وذهابا حتى تخلط جثثهم بالرمال ، وفى الوقت الذى كانت تربط فيه العشرات من المناضلين والمشتبه فى انحيازهم للمقاومة فى سلسلة واحدة ثم ترمى بهم الى البحر فيدفعهم موتى الى الشط حينا ، ويبتلعهم جوفه فى أغلب الاحيان ، وفى الوقت الذى غصت فيه الاماكن العامة بالضحايا بعد أن تحولت هذه الاماكن الى سجون ومعتقلات .

فى ذلك الوقت قاد « عمر المختار » ثورة مسلحة أستمرت قرابة العشر سنوات ، صحيح أنه قد أستشهد قبل أن يرفرف على ليبيا علم الحرية والاستقلال وانه لم يعش حتى يرى ليبيا الثورة المنتصرة ، ولكن نضاله الاسطورى قد مثل ، ولا يزال يمثل بالنسبة للانسان العربى العديد من الدروس .

■ فهو يثبت أن بامكان شعب صغير أعزل ، تعداده المليون نسمة ، أن يتحدى أيطاليا الفاشسية بقيادة « موسيلينى » : وان تظل مقاومته حية ومشتعلة ومؤثرة عدة سنوات وبالرغم من القوات الايطالية الكثيرة والباطشة ، والجيدة الاستعداد والتدريب ، فلقد أستعصى « الجبل الاخضر » الذى شهد نضال عمر المختار على القوة الايطالية طوال سنوات

مباشر بذهابها الى ترجيح عوامل الخلاف على عوامل الاتفاق بين الجانبين ، فان جريدة **نيويورك تايمز** خصصت أفتتاحيتها للتعليق على الحدث معلنة ان الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية ليسوا أعداء بقدر ماهم متشابهان ، « وان كوسيجين وشواين لاى قد اثبتا فى الماضى انهما رجلا دولة يتميزان بالمرونة وبالروح العالية فى مجال السياسة الدولية » . واشارت الى انه « على المراقبين الذين كانوا ينتظرون اندلاع الحرب بين الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية ان يغيروا رأيهم ، فالتوتر بين الدولتين يأخذ فى الاضمحلال منذ الان » وان « الخلاف بين موسكو وبكين لم يصل الى نقطة اللاعودة » .

ورغم انه لم تنشر اية تفصيلات عن الاجتماع فان انعقاده فى هذه الظروف التى كان التوتر فيها بين الاتحاد السوفيتي والصين قد بلغ حدا خطيرا اتاح للمخابرات الامريكية ان تشيع ان الاتحاد السوفيتي قد اخذ رأى حلفائه فى اوروبا الشرقية عن موقفهم اذا ما شن الاتحاد السوفيتى هجوما على المنشآت الصينية الذرية !! قد جاء ليمثل انقلابا فى المنحنى المتصاعد لهذا التوتر ، وليثبت اكثر من ذلك ان « الحوار » بين الجانبين ليس ضروريا فحسب ، بل وممكن ايضا ، وسيكون صريحا ومفيدا .

ومع ان الاجتماع بالطبع لم ينه الخلافات بين الحزبين والدولتين ، وما كان من الممكن ان يفعل ذلك او يدل عليه ، الا أنه سوف يستحق بالفعل تقدير المراقبين لاهميته البالغة لو أنه اثبت مجرد انه كان ولو « الخطوة الاولى فى رحلة الالف ميل » .

الثورة ، فلم يدفع الناس فيه الضرائب لايطاليا ، بل دفعوها وأدوا الزكاة لقوات عمر المختار ، وكانوا فى النهار يسالمون الطليان : وبالليل ينخرطون فى قوات المقاومة ، حتى لقد أطلق على قوات المجاهدين أسم « الحكومة الليلية » ؟ ! لانها قد مثلت بالنسبة لهم السلطة الشرعية المعترف بها .

■ وهو قد أثبت أن العربى يستطيع أن يجيد أساليب النضال بواسطة « حرب العصابات » ، وذلك دون أن تكون لديه حصيلة « نظرية » فى هذا الفن من فنون القتال ، ففى سنوات ثورته لم يواجه الايطاليين مواجهةالحرب النظامية ، وسلك سبيل الهجوم الخاطف والانسحاب السريع ، ولم يدع المناطق التى يحميها العدو تشعر بالامن والهدوء : وأثبت دائما أن القوة الاستعمارية عاجزة عن أن تقيم « دولة » أو تضمن الامن والحماية للناس .

وعلى الرغم من الطبيعة الصحراوية للارض الليبية ، ومن الاسلاك الشائكة التى حاصر بها الايطاليون حدود ليبيا مع مصر والسودان ، كى يمنعوا المدد والمساعدات عن المجاهدين ، حتى لقد أقاموا على حدود مصر — ليبيا سورا من هذه الاسلاك طوله ثلثمائة كيلو متر؟! .. على الرغم من كل ذلك فان نتائج نضال عمر المختار ، والعمر الذى امتد بثورته ، قد أثبتا جدوى هذا الاسلوب من أساليب النضال .

■ وهو قد أثبت — عندما قدم للمحاكمة الصورية التى قدمها لها — أن باستطاعة المناضل العربى الكهل ، أبن الواحد والسبعين عاما أن يضرب امثلة من الشجاعة تجتذب أحترام الاعداء قبل الاصدقاء ، فلقد تعاطف معه المترجم الايطالى الذى جاءت به الفاشية ليترجم اثناء المحاكمة ، وعندما هدد تعاطفه هذا بافساد حبكة « المسرحية » استبدلوه بصهيونى ايطالى يدعى « لمبروزو » ؟ ! .. ثم جعلوا محاميه الذى جاءوا به ليمثل دور الدفاع ضابطا صهيونيا ايطاليا ، قال فى دفاعه عن عمر المختار . « أننى كجندى لا أتردد البتة أذا وقعت عيناى على عمر المختار فى ميدان القتال فى اطلاق الرصاص عليه ، وقتله ، وافعل ذلك ايضا كأيطالى أمقته وأكرهه »؟ !

وعندما طلب « الدفاع » السجن مدى الحياة ، بدلا من الاعدام ، لكبر سن « المتهم » أحتج المدعى العام « الكولونيل بوندو » ، وقال أن الدفاع قد خرج عن الموضوع ، بل وطلب من المحكمة تنحية الدفاع ، فاستجاب لطلبه دون أن تعين محاميا آخر .. بسبب بسيط هو أن اجراءات المحاكمة لم تستغرق سوى خمسة وسبعين دقيقة فقط لا غير ؟ ! وانتهت — كما أراد المدعى العام — بحكم الاعدام .

ورغم كل ذلك ، فان ثبات الشيخ المناضل ، الذى وقف امام المحكمة جريحا مكبلا بالحديد ، كان نموذجا مشرفا لكل المناضلين ، حتى لقد وصفه الذين شهدوه يسمع حكم الاعدام ، بانه كان « كولى من أولياء الله » ثقة واطمئنانا ، وكان « كأحد أصحاب الرسالات » فى الشجاعة والاقدام .

■ واخيرا فقد أثبت عمر المختار ونضاله أن ضمير الشعب يختزن دائما وابدا كل التجارب النضالية التى يشهدها درب كفاحه الطويل ، حتى يأتى اليوم الذى تخفق فيه على هذا الشعب رايات الحرية والتقدم مرتوية بكل قطرة دم سالت على هذا الدرب الشاق ، ففى الوقت الذى حكم فيه التاريخ والانسان على الفاشية واقطابها ومؤسساتها حكما يليق بما اقترفت من جرائم فى حق البشر ، ظل عمر المختار حيا فى الضمير الثورى للشعب العربى كله ، وشعب ليبيا على وجه الخصوص ، كما الهم شباب ليبيا العمل الوطنى والقومى والثورى ، فتكونت بعد الحرب العالمية الثانية « جمعية عمر المختار السياسية » ، وتحولت اسطورة نضاله الى طاقة ثورية متقدمة تدفع هذا الشباب الى الامام .. حتى كان يوم ١٦ سبتمبر الماضى ، فاذا الشعب الليبى يحتفل بالذكرى الثامنة والثلاثين لاستشهاد هذا البطل ، للمرة الاولى تحت أعلام الثورة الليبية الظافرة ، ثورة الاول من سبتمبر سنة ١٩٦٩ م التى قادها وحمل عبئها ذلك الجيل الشاب الذى تربى فى أحضان الاسطورة النضالية للبطل الشهيد عمر المختار

محمد عمارة

■ سينما

سينما الشباب ومهرجانها

أقامت منظمة الشباب الاشتراكي بالتعاون مع محافظة الاسكندرية المهرجان الاول لسينما الشباب، وقد عرضت في هذا المهرجان مجموعة الافلام التسجيلية والقصيرة التي اخرجها شباب السينما من خريجي معهد السينما وغيرهم في الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٦٩ ، ويبلغ عددها ٥٠ فيلما لـ ٣٩ مخرجا .

وهناك اجماع بين النقاد ان اقامة هذا المهرجان وغيره خطوة هامة بالنسبة لمنظمة الشباب نحو مزيد من التفاعل الخلاق مع الجيل الجديد . ولكن القائمين على شئون المهرجان لم يوفقوا في تنظيمه ، كما لم يوفقوا في اختيار بعض اعضاء لجنة التحكيم . وهناك ايضا اتجاه في محيط النقاد السينمائيين [سمير فريد] انتقد قيام رجاء النقاش بمهمة رئاسة لجنة التحكيم ، وذلك على اساس انه « لا يملك ادنى مقومات الثقافة السينمائية ، والذى لا يعرف عنه حتى الادعاء بهذه الثقافة ، وان كان من الغريب ـ والامر كذلك ـ ان يقبل رئاسة هذه اللجنة ، فقد كان من الاغرب ان يختار لهذه المهمة » .

ويقول هذا الاتجاه ان رئيس اللجنة سمح لنفسه بفرض عضو جديد على لجنة التحكيم ليصبح عددها زوجيا وتصبح الكفة الراجحة الى جانبه كما يقضى القانون فى هذه الحالة ، ومن ناحية اخرى لم يجتمع باللجنة الا بعد انتهاء المهرجان . وبالتالى لم تتفق على اسلوب للتحكيم الا فى هذا الاجتماع . ونتيجة لعدم وجود الوقت الكافى للمناقشة ، وافق اعضاء اللجنة على اسلوب غريب فى التحكيم خلاصته ان يقوم كل عضو بكتابة النتيجة التى يراها ـ أى يكون لجنة وحده ـ وبعد ظهور النتائج عرف السبب من وراء كل هذا ، فقد تبين لمنظمة الشباب بعد ان تسلمت الاوراق العشرة التى كتب فيها كل عضو من اعضاء اللجنة النتيجة التى يراها ان هناك ستة اعضاء من بينهم رئيس اللجنة كتبوا نسخة واحدة اتفقوا عليها فيما بينهم .

وبالطبع اثار المهرجان مرة اخرى قضية الجيل الجديد من السينمائيين ، وقضية السينما المصرية الجديدة التى يعول على هذا الجيل صنعها ، واختلفت الاراء . فهناك من يرى ان هذه الافلام تعبر عن مولد سينما مصرية جديدة ، وهناك من يرى انها تعبر عن مولد جيل جديد من السينمائيين فحسب .

اما كونها تعبر عن جيل جديد من السينمائيين فهذه حقيقة لاشك فيها ، الا اذ كان هناك ثمة شكا فى وجود جيل جديد ، وتلك حقيقة مادية لاتقبل الجدل ، واما كون هذه الافلام لا تعبر عن سينما جديدة ، فهذه حقيقة اخرى لا شك فيها .ولكنها لا تعنى الحكم على امكانيات هذا الجيل بانه غير قادر على صنع سينما جديدة ، فنحن لا نستطيع اطلاق هذا الحكم الا اذا اتيحت الفرصة كاملة لهذا الجيل ليعبر عن نفسه ، وليست هذه الفرصة هى الافلام التسجيلية والقصيرة فقط ، وانما ايضا الافلام الروائية الطويلة ، فالسينما القديمة التى يواجهها هذا الجيل ليست سينما افلام تسجيلية وقصيرة ، وانما ايضا سينما روائية . ولعل من المدهش حقا رغم تخرج اول دفعة من معهد السينما عام ١٩٦٤ ، ورغم وجود مؤسسة للسينما تتبع وزارة الثقافة ان يخلو المهرجان الاول لسينما الشباب عام ١٩٦٩ من الافلام الروائية لعدم وجود افلام روائية للشباب .

والجيل الجديد لابد وان يقدم جديدا بالطبع ، تماما كما قدم جيل صلاح ابوسيف جديدا بالنسبة لجيل محمد كريم وبدرخان . ولكن السينما الجديدة كمفهوم شىء آخر غير ذلك الجديد الذى سيوجد بالضرورة .

السينما الجديدة هى السينما التى يصبح فيها الهدف من وراء الانتاج التعبير عن وجهة نظر فنان السينما وليس مجرد العمل السينمائى ، والسينما الجديدة هى السينما التى تتناول القضايا الكبرى فى حياة الانسان ، تلك التى تصنع كل فن عظيم ، والطريق الى السينما الجديدة لا يزال الطريق الذى حددته الواقعية الايطالية الجديدة بعد الحرب الثانية ، واعنى الفيلم قليل التكاليف الذى لا يعتمد على النجوم ولا على الديكورات ، وبدون هذا الطريق لن تزول العقبات التى تعوق صنع السينما الجديدة والتى تفرضها طبيعة الفن السينمائى .

وعندما نتحدث عن سينما مصرية جديدة نتحدث عن العناصر الثلاث التى تشكل الظاهرة السينمائية ، الفيلم سواء كان محليا ام اجنبيا ودار العرض والجمهور ،ومسئولية فنان السينما من الجيل الجديد هى صناعة الفيلم المصرى الجديد ، اما تغيير نظام التوزيع وتوسيع رقعة دور العرض وهو الامر الذى يؤدى الى تغيير جمهور السينما فهذه مسئولية الدولة وليست مسئولية الفنان .

وبدون التعاون بين الدولة والفنان سيوجد الفيلم المصرى الجديد دون أن يؤثر فى المجتمع وبالتالى دون ان يؤثر فى وجود السينما القديمة، وبدون هذا التعاون ربما لا يوجد الفيلم المصرى الجديد الى امد طويل .

تعليق

المثالين الانجليز .. ولغة التشكيل

انه حدث فنى ولا شك ، فقد اقيم معرض خاص بفن النحت الانجليزى المعاصر فى مصر . ثمانية من المثالين الانجليز من بينهم ((هنرى مور)) و ((باربارا هيبورث)) يعرضون فى بلادنا . كان هذا وحده كافيا لاثارة شهية المهتمين بالفن التشكيلى وحفزهم الى ارتياد حديقة الاندلس حيث نسق واقيم هذا المعرض (!!) وقد حظى جمهور المشاهدين بالتعرف على بعض أعمال ((هنرى مور)) عن قرب وشهرة ((مور)) غنية عن التناول ، فهو من أعظم المثالين المعاصرين . ومن العسير أن ننظر الى فن ((مور)) باعتباره فنا انجليزيا فحسب فهو فى الحقيقة قد تخطى بفنه حدود بلده ، وانطلق الى رحاب اوسع فاثر فى تطور فن النحت فى العالم واكسب هذا الفن صفات جديدة لعل ابرزها أنه أعطى لفن النحت الحديث ثقل الكتلة واستقرارها — وهى صفة لازمت الفن المصرى القديم وافتقدها فن النحت مع تطوره فى اوروبا — وكذا حرر فن النحت من فكرة المشابهة واعطى للفورمات وعلاقاتها المؤثرة اهمية جديدة .

ان الاعمال التى كانت تحمل اسم ((مور)) قد شدت اعجاب الناس أكثر من غيرها ((المرأة)) — ((شكل متكىء)) — لقد لمس الناس من الفنان انكبابه على المعالجة التشكيلية الحديثة مع مزج ذلك بجوهر انسانى باهر وصبغه بفكر معاصر شامل . الام عند ((مور)) ثدى وعين وتمثاله المعروف ((المحارب)) شخص جالس ذو ساق واحدة . ان ((مور)) الذى عاش مأساة الحرب العالمية الثانية بفنه ورسومه المعروفة عن المخابىء والتى جسد فيها لحظة الخطر والخوف حيث تحتشد الجماعات البشرية ((الراقية)) فى انبوبة مظلمة ممتدة فى باطن الارض لازال كما هو على اهتمامه بالانسان . انه يتحسس فى عمق جانبا دراميا خطيرا وهو يعالج بالكتل فى علاقاتها الدائرية مأساة الوجود عند الانسان .

وتخرج ((باربارا هيبورث)) بفنها هى الاخرى عن دائرة المحلية فى الفن وترتاد آفاقا جديدة . ان الاعمال التى قدمتها اها اصول من الطبيعة . ((فورم من البحر)) ((جذع امرأة)) انها تعمل فى حساسية بالغة على اكتشاف النظام الموجود فى عناصر من الطبيعة مألوفة وبسيطة . ولكنها تستخلص منها قيما وعلاقات تنتهى بها الى المجرد . وهى تصل بكل ذلك الى درجة من الليونة والرقة البالغتين لا تترك معهما اثرا للمادة الصلبة التى صنع منها التمثال .. ان شاعرية ((باربارا هيبورث)) تنبع من قدرتها المفرطة على تحقيق وحدة شاملة تجمع بين النظرة الكلية والتفصيلات الدقيقة .

وعلى العكس من ((هيبورث)) فان ((روبرت ادامز)) و ((دالوود)) و ((ادوارد باولوزى)) يقدمون فنهم على أسس مغايرة فهم فى معظم اعمالهم مشغولين بحسابات العلاقات بين الاشكال والمسطحات ويعملون على تحقيق جمالية هندسية مجردة . وهم فى ذلك يركزون اهتمامهم على نوع المعدن ونقط الالتقاء بين السطوح والمساحات وعلاقتها بالفراغات دون نظر الى الطبيعة او الانسان . ان الطابع الميكانيكى الصناعى للحياة المعاصرة قد شغلهم ولم يترك لهم سوى الرؤيا المعمارية فى أحسن الاحوال ، والرؤيا الزخرفية فى أحوال اخرى كثيرة ، ويبقى بعد ذلك ثلاثة من الفنانين لعل أهمهم واقواهم هو ((كينيث ارميتاج)) ثم يليه ((شادويك)) و ((ميدوز)) ان ارميتاج مشغول بعملية خطيرة فهو يحاول الكشف عن الزيف الذى يحدق بحياة الانسان المعاصر وهو لذلك يعرى عمليات التجميل الظاهرية للاشياء والحياة . ولذلك فهو فى تمثال ((امرأة بلا وجه)) يوجه طعنة الى الزيف المطلق وهو لذلك يلغى وجه المرأة تماما وتصبح أقرب الى متوازى المستطيلات وبلا تعميق . وبدرجة أقل قوة يحاول ((ميدوز)) التعبير عن الانسان المفعم بالغطرسة فى تمثاله ((شخص واقف مسلح)) . أما شادويك فهو يجسد مهارته فى تكوينات محكمة مثل تمثاله ((طائر)) .

ان المثالين الستة عدا ((مور وهيبورث)) يفترقان على نوعين بعضهم تأخذه الحياة الغربية المعاصرة فى جانبها الانشائى فحسب ،والبعض الاخر يقف ليصرخ بقوة ويلجأ الى تعبير جديد عن واقع مؤلم للانسان ويعمل على اظهار قبح يجسده الواقع المتفسخ . ومن هنا تأتى القيمة الخاصة للفنان ((ارميتاج)) . ولكن دنيا هؤلاء الفنانين فى أحسن احوالها لا تهتم بابعد من واقع محدود لا ينتمى الا فى جزء قليل لواقعنا .

اما وسيلة هؤلاء الفنانين فى الصياغة فانها تعنى بالتلخيص والايجاز وخلط الرمز بالمجرد حتى تغدو الاشياء مجرد اشارات ان لغة التشكيل لغة عالمية وهى لغة تتطور لا لتصبح قادرة على التعبير عن مشاكل محدودة فحسب كأن ترتبط المشكلة بالتكنيك فحسب أو باسلوب الصياغة أو حتى للتعبير عن جوانب مريضة فى مجتمعات بعينها انما لتصبح وسيلة للتخاطب الانسانى ومواجهة اعماق المشكلات الحية المعاصرة .

داود عزيز

ملف
خاص



"العم هو": الرجل.. الثورة.. الفكر

في الرابع من سبتمبر الماضى ، طيرت وكالات الانباء العالمية نبأ وفاة واحد من أكبر زعماء حركات التحرير في القرن العشرين .. الرئيس الفيتنامى « هوشى منه » . وكان ذلك النبأ مصدر أسف وحزن عميقين لا للشعب الفيتنامى ، الذى ينتمى اليه الرئيس الراحل فحسب ، وانما لكافة شعوب العالم التى قدرت الميزات الانسانية العظيمة التى وهبها هذا الرجل . لان قيادته المظفرة للشعب الفيتنامى ضد الامبرياليين اليابانيين والفرنسيين ثم الامريكيين ، لم تكن اعلاء للقيم النضالية التى تكافح من اجلها حركات التحرير الوطنى فحسب ، وانما كانت أعلاء للانسان نفسه في مواجهة القوى الطاغية التى تود هدم روح الشعب وقواه المعنوية .

أن الاسى والحزن اللذين تلقى بهما انصار الحرية والاشتراكية والسلام فى العالم أجمع ، شرقا وغربا . بنبأ وفاة « هوشى منه » بالرغم من دواعى الفرقة والخلاف التى تسود صفوفهم ، انما ترجع لا الى نواحى العظمة الانسانية والنضالية التى تجسدت في هذا الرجل فحسب ، وانما الى التقدير العميق الذى يحظى به الموقف الموضوعى الذى اتخذه من الصراعات القائمة ايضا .

وان أعظم قيمة جسدها وتجسدها ذكرى هوشى منه هى العمل مع الشعوب ، بالشعوب ، من أجل الشعوب .. وربط التحرر الوطنى بالاشتراكية ، واعلاء قيمة « الحرب الشعبية » و« الجيوش الشعبية » الثورية الى غير ذلك من قيم رائعة تتعلق في نهاية الامر بآفاق النضال الانسانى .

وتحاول « الطليعة » فى هذا الملف ان تقدم هذه الشخصية الفذه فى أطار ... الانسانيه والشخصية العامة ، وفكرها الثورى ، وعملها من أجل الثورة الفيتنامية الوطنية ، وقضية الاشتراكية والوحدة فى فيتنام ، والنضال من أجل تحرير الانسان .

اشترك فى إعداد الملف

- أبو سيف يوسف
- خيرى عزيز
- رفعت السعيد

الإنسان المناضل

القسم الأول

لا يمكن الفصل بين حياة هوشى منه الشخصيه ونضاله فهما مرتبطان ارتباطا عضويا وثيقا . ونحاول فى هذا الجزء تقديم هوشى منه انسانا كرس حياته كلها للنضال ، كل لحظة من حياته ، وحيثما وجد ، سواء فى بلاده أو فى القارة الاوربية .. فى فرنسا او فى الصين والاتحاد السوفيتى وسائر المناطق التى زارها وعاش وسجن فيها ، حتى انتصار الثورة الفيتنامية سنة ١٩٤٥ .

ربما

كانت شخصية **«هوشى منه »** احدى الشخصيات النادرة فى التاريخ المعاصر التى استطاعت ان تحقق ذلك التوازن الشديد الصعوبة بين الرغبة العميقة فى السلام ، والحب الجارف للانسان عامة ، وبين الاصرار العنيد على المقاومة القتالية للقوى الامبريالية . والتى تنطوى فى نهاية المطاف ، على القتل وسيول الدم . بيد أنها قضية ليس فيها خيار . يقول « هوشى منه » لبعض الصحفيين الغربيين فى أوائل ١٩٦٨ « لقد جاءت القوات الامريكية الى الجنوب لكى تقتلنا ولكى نقتلها ... وهو أمر يبعث على الخجل » . وهذا

مفتاح اول من مفاتيح شخصية هوشى منه ؟ لان الرجل في الحقيقة هو من أولئك الزعماء القلائل في العالم الذين كان لديهم دائما الكثير الذى يقولونه للانسانية ، متجاوزا حدود المعسكرات القائمة التى تفصل العالم الى معسكرين، ولقى نجاوبا من الناس جميعا فى الشرق والغرب رغم كونه شيوعيا رائدا ، شديد الايمان بالشيوعية شديد الانحياز لها .

وقد انعكست الحياة الروحية الداخلية « لهوشى منه » على طابع شخصيته العام . يقول أحد الذين التقوا به لمدة خاطفة وهو الصحفى الفرنسى « **جان لاكوتير** » فى كتابه « هوشى منه » : « لقد تصورت هوشى منه ممرورا فوارا بالحقد ، لما عاناه من مطاردة طوال حياته ، ومن جراء قسوة المعاملة التى لقيها فى السجون . غير أن ما يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، أولا وقبل كل شىء ، هى امارات الوداعة العجيبة المرتسمة دائما على قسمات وجهه ، بيد أن هذه الوداعة تقترن بنظرة شديدة النفاذ ، تنطلق من عينين أيقنت أنهما تريان كل شىء وان كان يلوح أنهما لا تدققان فى شىء على الاطلاق » .

« لقد بدا لى — لاول وهلة — بجبينه الضخم ، وشعره الخفيف الثائر الذى وخطه الشيب تماما ، كأنه لم يعرف فى حياته الا الشدة والعنف والامر والنهى ، ولكنى سرعان ما وجدت على وجهه دلائل الاتزان والوقار والكياسة والمرونة واللباقة . ولكن هل يمكن أن يقال ان له نظرة ساذجة ؟ . لا يسعنى أن أجيب على هذا السؤال بالايجاب لانى أعرف عنه أشياء تجعلنى أجزم بأنه لم يعرف معنى السذاجة طول حياته » .

« هذا الرجل ذو الجسم الضئيل والوجه الذى يشبه الشاى فى لونه ، والذقن التى يقترب لونها من لون الارز ، والنظرة الفاحصة المدققة ، والعينين اللامعتين اللتين يعلوهما جبين يتوجه شعر أبيض ، خفيف ثائر ابدا ... هذا الرجل الذى يبدو هشا وكأنه لا يعيش الا بقوة الخيال والتصور وفى نيران الكفاح والنضال » . يقول عنه « **لاكوتير** » [1] عندما التقى به فى فيتنام الديموقراطية « لم اره يدخل قاعة الاستقبال التى كنت انتظره فيها ، ولم أسمع وقع خطواته على الارض ، فأن خفيه اللذين يشبهان اخفاف الرهبان كانا يتزحلقان على الارضية الباركيه اللامعة فى القصر الذى كان يقيم فيه قبله المقيم الفرنسى العام فى تونكين ... لقد بهرتنى هذه الشخصية الاسطورية التى دخلت قاعة الاستقبال وكأنها أبت الا أن تتحرك بطريقة هى أقرب الى التسلل منها الى أى شىء آخر » .

ويمضى جان لاكوتير » فى رسم الطابع العام لهذه الشخصية بقوله « ومن عجب ان فى حركات المجاملة التى يقوم بها شيئا ينم عن الاضطراب ، فاذا قدم الى ضيفه فنجان شاى ، أو قرب منه مقعدا ليجلس عليه ، أو مد اليه يده بعلبة سجائر بدا عليه الاضطراب ، وخيل الى زائره أنه يريد أن يعتذر دائما عن اضطراره الى الاقامة فى هذا القصر الضخم الذى كان يقيم فيه الحاكم الاستعمارى فيما مضى » .

« ومن الثابت المحقق أنه يعرف قيمة الاتصالات الشخصية حق المعرفة ، وهو بارع كل البراعة فيما يبديه من لطف ولين جانب ، حيال ضيوفه ، بل أن له قدرة عجيبة حقا على تحويل النقاش العادى الهادىء الذى يدور بينه وبين زواره الى حوار كله صدق وحرارة واخلاص ومن ثم يصبح للكلمات العادية جرس قوى مذهل » .

ويجيد هوشى منه الى حد مذهل حقا التحدث بلهجة بارعة الى الاطفال والمناضلين و « الكادرات » والشيوخ .

وتتجلى بساطته فى الطريقة البالغة التبسيط التى يتكلم بها الى اطفال فيتنام وصغارها . وهذا الرجل الاستاذ فى وضع الاستراتيجيات والتكتيكات السياسية والعسكرية ، وفى درء مناورات العدو وخبثه ، وفى كشف كمائنه السياسية والعسكرية ودحرها ، وفى فضح وهزيمة الدعايات الامبريالية التى يسخر لخدمتها كل ذكاء ومواهب العقل الغربى الاوربى والامريكى بكل ما ينطوى عليه من تركيب وتعقيد ، هذا الرجل يحتفظ فى داخله بروح الطفل ، وبراءته ، ونقائه . . يقول فى مخاطبته للاطفال فى عيد منتصف الخريف بعد الاستقلال مباشرة كنموذج على مثل هذه الروح البسيطة : أبنائى الاعزاء ... اليوم نحتفل بعيد منتصف الخريف ، لقد ابتاع لكم ذووكم انواعا عديدة من الهدايا واللعب ، ومن ثم فأنتم سعداء ، ان الفرحة تغمر قلوبكم وعمكم « هو » يشارككم فرحتكم . هل تعرفون لماذا ؟ أولا لاننى احبكم حبا جما ، ثم لان بلادنا كانت فى مثل هذا الوقت من العام الماضى تعيش تحت نير العسف والظلم ، ولقد كنتم أنتم يا أبنائى عبيدا صغارا . أما فى هذا العام فقد استردت فيتنام حريتها وأصبحتم أنتم السادة الصغار لامة مستقلة . عليكم اليوم أن تلعبوا ما حلا لكم اللعب ، وأرجو أن تهتموا غدا بالدرس والتحصيل .. هل تعرفون كل الحروف الابجدية الفيتنامية ؟ على كل من يجهلها منكم أن يحفظها عن ظهر قلب . وفى عيد منتصف الخريف القادم ، سننظم حفلات ترفيهية للاطفال والشيوخ على السواء فما رأيكم فى هذه الفكرة ؟ !!

« أما فى هذا العام فليس لدى شىء أستطيع أن أهديكم اياه ، وكل ما يسعنى أن أفعله هو أن أبعث اليكم بقبلاتى الحارة » .

---

(1) قام بتلخيص كتاب «جان لاكوتير» عن « هوشى منه » والتعليق عليه فى الاهرام فى ١٩٦٨/٧/١٢ الاستاذ جورج عزيز .

ولذا فان لاسم « العم هو » وقع السحر فى قلوب الاطفال الفيتناميين ، وان ذكر اسم « العم هو » فى النصائح الموجهة الى الاطفال لهو أحد العوامل المؤثرة على نحو كبير فى تحسين سلوكهم ، وهناك قصص كثيرة عنه ترويها الاغانى ، اكثرها شيوعا وقربا الى الافئدة اغنية « يعيش هوشى منه » واغنيته : « من الذى يحب العم هو ، كما نحبه نحن الاطفال » . كذلك فان حب هوشى منه لم يقتصر على فيتنام وحدها ، لان الشباب والاطفال فى الصين يكتبون ليسألوا عن صحة العم هو ، كما أطلق اسمه على مرحلة من مراحل التعليم فى المدارس الصينية .

ويقول جان لاكوتير انه حين عاد السلام لم يغير العم « هو » لهجته ، فلقد استمر فى اشاعة روح التعاطف واستخدام اسلوبه الذى يفيض رقة وعذوبة ، ولم يقتصر اسلوبه هذا على الاطفال ، بل شمل به الشيوخ أيضا .

كذلك فبالرغم من المعاناة الشديدة التى عاناها هوشى منه فى حياته النضالية ، الا انه يعمل دوما على بث روح البهجة والمرح فى جو العمل السياسى وهذه الروح تعد احدى العوامل التى تستند اليها صلاته الودية الوثيقة التى تربطه بشعبه .

أرض الابطال والشعراء

وقد ولد هوشى منه واسمه فى طفولته « نجوين تات ثانه » ، والاسم الذى اشتهر به لسنوات طويلة فى الحركة الثورية هو « نجوين أى كوك » ولد فى ١٩ مايو سنة ١٨٩٠ فى قرية كيم لين فى قطاع « ثان دان » بمقاطعة « نجهى أن » ، لعائلة وطنية ، وكان والده من رجال العلم الذين ينحدرون من اصول فلاحية ، وقد اشتهرت المنطقة التى نشأ فيها هوشى منه بانها أرض أشهر المناضلين الثوريين فى فيتنام ، وارض الشعراء الذين يجيدون لغة السياسة والوطنية مثلما يجيدون لغة الحب النقى الخالص . كما تميز سكانها بتراث من المقاومة البطولية ضد الغزو الاجنبى ، والحقيقة أن اقليم « نجهى أن » كان فى كثير من المناسبات المعقل الاخير الذى تحطمت أمامه جيوش الغزاة ، أو الميدان الذى اشتعلت فيه الثورات ضد المستعمرين .

كما أن أهالى هذا الاقليم الذى نشأ فيه هوشى منه ونما قد تعلموا الكثير فى صراعهم لا ضد الغزو الاجنبى فحسب ، وانما ضد الطبيعة القاسية المتمردة ، فى هذا الاقليم الكثير الجبال والغابات ، القليل الاراضى الزراعية ، الذى يكثر تعرضه للاعاصير المدمرة ، والامطار الشديدة ، والفيضانات الكاسحة ، تعلموا الصبر ، والمثابرة ، والنظام ، والاقتصاد ، والقدرة الخارقة على مواجهة الشدائد والاخطار والتعاون الصادق الوثيق فى ساحة القتال ، كذلك فقد كان من اثر المعارك الطاحنة التى خاضها أهالى هذا الاقليم ضد الطبيعة والغزاة أن كثرت الشخصيات البطولية الاسطورية فى تاريخهم وأصبحت لهم تقاليد فريدة أساسها قوة الاحتمال والتضامن الى أقصى حد ، والجرأة التى قل أن يكون لها مثيل ، والتفانى فى العمل والاستبسال فى الذود عن الوطن . فى هذا الجو وهذه البيئة ، بيئة الابطال والشعراء وبين احضان الطبيعة المتمردة نشأ « هوشى منه » . وان الصفات النضالية الاستثنائية التى اتصف بها لا يمكن قط ان تكون معزولة عن طبيعة الشعب والبيئة والتراث الذى نشأ عليه ونما .

فوالد هوشى منه وهو أحد رجال العلم الوطنيين تعرض للطرد من عمله على ايدى الفرنسيين بسبب مقاومته لهم واتهامه بالقيام بنشاط ثورى ، واخته الصغرى حكم عليها الفرنسيون بالسجن ٩ سنوات مع الاشغال الشاقة بتهمة سرقة السلاح وتهريب الوطنيين ، وأخاه الاكبر سجن بتهمة ايواء زعيم ثورى . ولذا فالمناخ الذى نشأ فيه هوشى منه لم يكن وطنيا ثوريا على المستوى الاقليمى وانما على المستوى العائلى كذلك . وقد كان هوشى منه خلال تلقيه للتعليم الاولى ، يحمل من حين لاخر رسائل للثائرين من اتباع الاقطاع المستنيرين الذين كانوا على صلة بأبيه .

السفر الى أوربا والخروج الى العالم

وكان مولعا بالادب الوطنى ، وابدى مهارة فى معرفة *اللغة الصينية* ، ثم تعلم بعد ذلك اللغة الوطنية ودخل كلية « كيوك هوك » فى هوى . وترك الدراسة سنة ١٩١٠ بعد حصوله على درجة علمية أهلته للتدريس فى مدرسة « **دوك ثانا** » . وهى مدرسة خاصة أنشأها بعض الوطنيين ، كان التلاميذ يتعلمون فيها كتابة الحروف الصينية واللغة الفرنسية وكتابة اللغة الفيتنامية بالحروف اللاتينية . وكان هوشى منه حينذاك يدرس اللغة الفرنسية وكتابة الفيتنامية بالحروف اللاتينية . وترك التدريس فى اكتوبر سنة ١٩١١ ، ورحل الى سايجون حيث التحق بالمدرسة الصناعية التى كانت تعد طلبتها للعمل فى الملاحة البحرية وفى الترسانة . ويرجع التحاقه بهذه المدرسة الى رغبته فى السفر الى الخارج ، وتعطشه الى التعرف على النظريات الثورية وتجارب مختلف البلاد لتحرير وطنه هو . وبعد أن مضى ثلاثة أشهر فقط فى المدرسة لم يتعلم خلالها شيئا يذكر عن الات السفن ومحركاتها استطاع أن ينضم كمساعد طاه الى طاقم باخرة « لاتوش

تزيفي » التي كانت تقوم برحلات بين مينائي هايفونغ ومرسيليا .

ويحكي لنا احد البحارة العاملين في شركة الملاحة الفرنسية « **شارجير ريوني** » ويدعى « **ماي** » وهو الذي ساعد هوشي منه على الالتحاق بالعمل في الباخرة الفرنسية طرفا من حياة هوشي منه في تلك الفترة المبكرة عن حياته ونعتقد انه من الاهمية بمكان التعرف على مثل تلك الجوانب في حياة الزعامات الاسيوية اذا كان اهتمامنا كبيرا الى هذا الحد بنواحي العظمة الانسانية في مثل هذه الزعامات . لاننا نعتقد اعتقادا جازما بصحة الرأي القائل بان الالام الكبيرة تخلق المثل العليا العظيمة ، وان الالم العظيم يتمخض عنه تدفق عظيم في الطاقة . .

يقول البحار « ماي » عن حياة هوشي منه في تلك الفترة انه « كان عليه في الرابعة من صباح كل يوم أن ينظف المطبخ الكبير ثم يشعل الغلايات في اسفل السفينة ويحضر الفحم والخضر واللحم والسمك والثلج وغيرها من مخزن الباخرة ، وكان العمل الذي يقوم به عملا شاقا لانه كان دائم التنقل بين المطبخ بجوه الحار الذي ترتفع فيه الحرارة جدا ، والمخزن بجوه البارد جدا ، ولم تكن أعماله تنتهي عند ذلك الحد بل كان عليه بعد ذلك أن يعد المائدة للطباخين الفرنسيين ثم يقشر الخضر ويغسل آنية المطبخ ويشعل النار في الغلايات مرة أخرى وكانت اعماله تستغرق اليوم كله »

« وكان ينتهي من عمله كل يوم في التاسعة مساء وقد بلغ به الاعياء منتهاه ، الا أنه كان يعكف على القراءة أو الكتابة حتى تبلغ الساعة الحادية عشرة أو منتصف الليل . كان أقلنا جميعا في الرتبة ومع ذلك فقد كان مثقفا وكان يساعد زملائي الذين يجهلون القراءة والكتابة على تحرير الخطابات الى ذويهم . ولم يكن يتفوه بكلمة نابية قط . وكنا جميعا نحبه لهذه الاسباب » (٢)

وقد انفق هوشي منه عامين على ظهر تلك الباخرة التي حملته الى موانئ البحر الابيض المتوسط والموانئ الافريقية الرئيسية وهران ، وداكار ، وبورسعيد والاسكندرية حيث وقف على أوضاع سياسية واقتصادية شديدة الشبه بالاوضاع في بلاده ، وجمع المواد التي مكنته فيما بعد من وضع كتابه الاول « **قضية الاستعمار الفرنسي** »

الفرنسيون في بلادهم أفضل

وعندما وصل الى **مرسيليا** هاله منظر الفقراء والمضطهدين والعاطلين والبغايا ، وكثافة صنوف البؤساء في هذا المجتمع الغربي « المتحضر » . « اوه ، أن في فرنسا فقراء كالذين نراهم في بلادنا » ، ذلك هو الانطباع الاولي الذي أسر به الى صديقه . وان كبرياءه واعتزازه القوميين كانا واضحين حتى في تلك المرحلة المبكرة من حياته ، اذ لم يكن من طراز المثقفين الشرقيين الذين تحتويهم الحضارة الغربية فيتنكرون لتراث اوطانهم القومي ، وينظرون اليه بالازدراء والاحتقار ، وانما كان أحد أولئك الذين تشربوا من الحضارة الغربية أفضل مميزاتها الفكرية والانسانية . وعندما رأى ذات يوم عددا من البغايا يصعدون الى ظهر الباخرة التي يعمل عليها تساءل قائلا « لماذا لا يهتم الفرنسيون بتمدين مواطنيهم هم بدلا من الاهتمام بتمديننا نحن ؟ » وعلى أية حال فقد لخص بعد بضعة أيام قضاها في مرسيليا انطباعاته في كلمات قليلة وهي « أن الفرنسيين في فرنسا افضل وأكثر أدبا من الفرنسيين الذين يعيشون في الهند الصينية » .

وسافر « هوشي منه » من مرسيليا الى « الهافر » حيث عمل خادما عند عائلة فرنسية ، وعمل بعدئذ مضيفا على باخرة دارت على موانئ افريقيا ، فمر باسبانيا والبرتغال والجزائر وتونس وبلدان افريقيا الشرقية والكونغو .. الخ وفي كل مكان شاهد شعوب المستعمرات مذلة ومهانة محتقرة ومقهورة .

وليس ادل على حيوية هوشي منه الثقافية ، وسعة افقه الفكرية من تلك الحقائق التي ادلى بها — وهو الرائد الشيوعي الكبير — للصحفي الفرنسي « **جان لاكوتير** » عندما كان في زيارة فيتنام : « يطيب لي أن اذكرلك ياسيدي انني اعاود كل عام ، قراءة المؤلفات التي فاضت بها عبقريتا ، **فيكتور هيجو : وميشيليه** ، هذه القراءات تشعرني بأن ثمة اخوة بين الشعبين الفرنسي ، والفيتنامي » ويستطرد قائلا « غير ان هؤلاء الفرنسيين الذين التقى بهم في كتب ، هيجو ، وميشيليه يختلفون كل الاختلاف عن اولئك الذين اساءوا تمثيل بلادكم .. أم ياسيدي .. هل يتحتم ان يكون الاستعمار شيئا سيئا لكي يغير نفوس الناس الى هذا الحد ؟ »

وقد أحب هوشي منه وهو في باريس قراءة « **شكسبير** » و « **ديكنز** » بالانجليزية ، و « **لوسين** » بالصينية ، و « **هيجو** » و « **زولا** » بالفرنسية ، ولكن « اناتول فرانس » ، و « ليون تولستوي » كان لهما أثر حاسم على حياته الادبية [٣] . وقد كان يستمتع بقراءة ادب « اناتول فرانس » و « ليون تولستوي » السهل البسيط ومما لاشك فيه ان الروح التولستوية الصوفية بدت واضحة في شخصية هوشي منه وسلوكه .

ومما هو جدير حقا بالذكر انه اثناء اقامة هوشي منه في باريس ، قامت صحيفة « **الايمانيتيه** » بطبع أول رواية قصيرة له في جزءين ، وصف فيها حياة العمال في باريس وكانت هي حياته نفسه في الوقت ذاته ، وكتب هوشي منه كثيرا ، عن المستعمرات

(٢) لمحات من حياة هوشي منه .. بقلم تران دان تيان ص ٢٤ .

[٣] TR' O' NG CHINH : Le Président H o Chi Minh p. 18 - 19 Editions en langues étrangères Hanoi, 1960.

وعن فيتنام بصفة خاصة ، وكتب مسرحية كاملة اسمها «**تنين اشجار الخيزران**» فكرتها الاساسية انه كان هناك فصيلة من شجر الخيزران ملتوية . وكان محبو الاشياء الاثرية يصورونها على هيئة تنين ويتخذونها العوبة . ومع انها قلبت الى تنين ، الا انها فى الحقيقة شجرة خيزران يجب ان تستخدم فى اغراض نافعة أخرى ، أما بقاؤها على هيئة تنين فأمر عجيب لا فائدة منه • وكتب هذه المسرحية أثناء زيارة الامبراطـور « **كاى دينه** » لفرنسا بمناسبة المعرض الاستعمارى • ومنعت الحكومة عرض المسرحية ، ولكن الاندية فـى ضواحى باريس كانت تقوم بتمثيلها ، وقدرها نقاد الادب حق قدرها حينذاك •

واشترك هوشى منه وهو فى باريس فـى جمعيتى « **الفنون والعلوم** » و « **اصدقاء الفنون** » اللتين كانتا تنظمان كل اسبوع الزيارات للمتاحف والمصانع والمعامل ، وجماعات الفنون والمسارح الخ ، وكان هناك خبراء يشرحون هذه الموضوعات للمشتركين •

كذلك مما يجدر ذكره ، انه الف خلال فترة اقامته القصيـرة فى الاتحـاد السـوفيتى كتابين : أولهمـا « الصيـن والشـباب الصينى » ، والاخر « **الجنس الاسود** » ، كذلك كتب سنة ١٩٣٠ كتابه « **يوميات ناج من دمار سفينة** » محاولا ان يطلع شعبه فيه على احداث ثورة اكتوبر من خلال رواية ماسمع وما قرأ عنها باسلوب المذكرات اليومية .

فى انجلترا

وفى عام ١٩١٧ رحل هوشى منه الى انجلترا ويقول عن تلك الفترة : « كان أول عمل لى هنا هو كنس الثلج من فناء احدى المدارس ويالة من عمل شاق ، كان جسمى كله يتصبب عرقا بينما تكـاد يداى وقدماى تتجمدان من البرد • ولم يكن من السهـل تحطيم الثلج المتجمد لان قدماى كانتا تنزلقان على صفحته . وكنت اشعر بالجـوع والارهاق بعد ثمانى ساعات من العمل المتواصل • ولذا اضطررت الى التخلى عن هذا العمل • وبعد يومين عثرت على عمل آخر وكان ذلك العمل هو القيام باشعال النار اللازمة للغلايات • وكان يتعين على وعلى زميل لى ان نبدأ فى الساعة الخامسة صباحا فنذهب الى الطابق السفلى لاشعال النار ونستمر بعد ذلك طوال اليوم فى القاء الفحم الى الفرن •• كنت كمن يعيش فى عالم آخر ، اذ لم اكن ادرى بما يدور فوق سطح الارض ولا بما يفعله الناس هناك » •

ومع ذلك كان هوشى منه فى الصباح الباكر وفى ساعات الفراغ يجلس فى حـديقة « **هايد بارك** » للقراءة والاطلاع ، وكان يحصل فى ايام اجازته على دروس فى الانجليزية من مدرس أيطالى •

وانتقل بعد ذلك الى عمل آخر هو مساعد طباخ فى فندق « **كارلتون** » من الثامنة صـباحا الى الظهر ، ومن الخامسة مساء الى العاشرة مساء حيث يقوم بغسل الاطباق • ومما يروى عنه حينذاك انه كان يرفض القاء فضلات الطعام الى القمامة وكانت تتكون من قطع كبيرة من اللحـم أو من ارباع كامله من الدجاج بل كان يحتفظ بها نظيفة ويرسلها الى المطبخ ثانية وعندما سأله كبير الطهاة عن ذلك اجابه بانه « لا ينبغى القاء هذه الاشياء • اذ يمكن اعطاؤها للفقراء » • فرد عليه الاخر وهو يبتسم « استمع الى ياصديقى العزيز • دع افكارك الثورية جانبا لحظة واحدة وسألقنك فن الطهى ولاشك ان ذلك سيعود عليك بمبلغ كبير من المال • هل توافق ؟ وبالفعل نقله الى قسم الحلوى حيث تقاضى هناك آجرا أعلى • ومع العمل تابع هوشى منه الدراسة والتهام كل مايصادفه من كتب وقراءة الصحف بدقة وعناية رغبة منه فى الوقوف على اخر الانباء عن تطـور الموقف فى بلاده ، والتردد على الدوائر « **الفابية** » الاشتراكية .

بدء الحـرب العـالميـة
وقيام الثورة الروسية

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى عاد هوشى منه الى باريس وزار عدة مدن أخرى فى فرنسا حيث وقف على معلومات مفصلة دقيقة عـن الاساليب التـى كان يتبعهـا الاسـتعماريون الفرنسيون فى الهند الصينية • واتخذ حينذاك اسم « **نجوين اى كوك** » الذى اشتهر به لفترة كبيرة ابان نشاطه الثورى وانضم الى الحركة القائمة ضد الاضطهاد الاستعمارى • واطلع هناك على الحيـاة القاسـية التى كـان يحياها العمـال الفرنسيون فى ذلك الوقت وعن حياة الجنـود الفيتناميين فى فرنسا •

وفى سنة ١٩١٧ قامت ثورة اكتوبر الروسية • وكان للانتصار المدوى الذى حققته هذه الثورة تاثير حاسم على نشاط هوشى منه السياسى ، وبدأ يجد فى دراسة الماركسية اللينينية ، وتمثل تجربة ثورة اكتوبر ، وحاول اتباع المثل الذى ضربه الروس، واخذ يخالط الماركسيين فى باريس • ثم غادر هوشى منه فرنسا الى الولايات المتحدة ليدرس مقـومات المجتمع واساليب الحياة والمنظمات السياسية فى تلك البلاد ، وهنـاك عرف امراض الرأسمـالية الامريكية ووقف بنفسه على وحشية رجال المنظمة اليمينية العنصرية المعروفة باسم « **كوكلـوكس** »

كلان » ، وشاهد أعمال شنق الزنوج واضرابات العمال ضد الحرب ومن أجل رفع الأجور ، وعاد بعد نهاية الحرب الى باريس •

مطالب فيتنام

في مؤتمر فرساي

وبعد ان ألقت المانيا السلاح ، ووضعت الحرب اوزارها ، التقى مندوبو الدول المنتصرة والدول المنهزمة في مؤتمر السلام بفرساي • وكان بالمؤتمر وفود عديدة - بالاضافة الى الوفود الرسمية - تمثل الامم المضطهدة ، وقد توجهت تلك الوفود الى فرساي بسبب النقاط الاربع عشرة التي اعلنهـا الرئيس الامريكي ويلسون • وكانت تتكون من الايرلنديين والهنود والكوريين والعرب وغيرهم • ممن جاءوا جميعاللمطالبة بالحرية والاستقلال. وكان نجوين اى كوك من بين اعضاء تلك الوفود وكان كما ذكرنا قد نظم رابطة من الوطنيين الفيتناميين الذين يعيشون في باريس والمدن الفرنسية الاخرى ، وتقدم الى مؤتمر فرساي باسم هذه الرابطة بقائمة من المطالب ، وكان على اتصال بالوفدين الكورى والايرلندى وغيرهما من الوفود • وكان أهم تلك المطالب حصول فيتنام على الاستقلال الذاتي ، حرية الاتصـال والعقيدة والصحـافة والتحرك والعفو عن المسجونين السيـاسيين والمساواة في الحقوق بين الفرنسيين والفيتناميين والغاء الاستهلاك الاجباري للكحول والافيون والغاء العمل الاجباري والضرائب المفروضة على الملح • وارسلت هذه القائمة الى وفود الحلفاء والى جميع اعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية •

ولم تلق مطالب نجوين آى كوك (هوشى منه فيما بعد) وغيره من مندوبي الدول الصغيرة شيئا من النجاح ، علما بانه ، وهو الذى لم يكن يملك سوى القليل من وسائل العيش كان يقاسي اشد انواع الحاجة حتى يتمكن من طبع تلك المطالب فـى منشـــورات توزع على منـدوبي الـدول في الاجتماعات ، وكانت النتيجة ان فهم كثير من الفرنسيين حقيقة فيتنام فهما أفضل •

وقام بتوزيع المنشورات على جميع الفيتناميين الوطنيين وعلى ابناء فيتنام المجندين في الجيش الفرنسي ، ومن ثم قام البوليس باجراء تحقيقات في معسكرات الجيش ، وساعد ذلك بطريق غير مباشر على ادراك العمال والجنود الفيتناميين للحقائق السياسية الرئيسيـة بعـد أن كانوا لا يبالـون بالسياسة •

بل لقد عمد نجوين آى كوك (هوشى منه) الى ارسال المنشورات الى الهند الصينية ولكن لم يصل منها سوى المنشورات الموجهة الى الفـرنسيين المقيمين في فيتنام• ونشر المستعمرون مطالبه في صحفهم من قبيل السخرية ، الا انهم اسدوا بذلك خدمة جليلة ، اذ اطلع الشعب الفيتنامي على النص الكامل لمنشور هوشى منه واخذت الحركة الفيتنامية الثورية تكتسب مزيدا من الانصار والمؤيدين منذ ذلك التاريخ •

ملاحقة المستعمرين

لـه في بـــاريس

ووجد هوشى منه في تلك الفترة تعضيدا مـن « شـــارل لونجيـــه » رئيس تحـرير صحيفة « الشعب » الاشتراكية ، وهو حد ابناء عمومة « كارل ماركس » وعضو في البرلمان الفرنسي ، كما عضده أيضا رئيس تحرير صحيفة « حياة العامل » وقاسى نجوين اثناء اقامته في باريس شظف العيش ، واحترف التصوير الفوتوغرافي ليكسب قوته واشتغل كذلك برسم مناظر الاثار الشرقية • وجلب اليه نشاطه السياسي عطف مواطنيه الشديد • وكان ذلك امرا طبيعيا لانها كانت المرة الاولى في تاريخ فيتنام التي يعلن فيهـا مواطن فيتنامي امام العالم اجمع موقفه بالمطالبة باستقلال بلاده ، ويكشف فيها جرائم المستعمرين الفرنسيين ، وكان ذلك هو السبب الصحيح لكراهية المستعمرين له •

وقد تجسسوا وافتروا عليه وقاطعوه وهددوه وطلبوا من أصحاب المتاجر عدم استخدامه وحاولوا رشوته ، ولما فشلوا هددوه مرة أخرى • واستدعاه « البير سارو » وزير المستعمرات ، « وبيير باســكيه » الحـاكم العـام للهنـد الصينية لاجراء محادثات خاصة معه وسحب مدير البوليس جواز سفره •

وكان هوشى منه يعمل نصف يوم عادة فيحصل على بعض المال في الصباح ثم يذهب بعد الظهر الى المكتبة ويحضر الاجتماعات السياسية التي كانت تكثر عادة في باريس • وتعرف في هـذه الاجتماعات على « ليون بلوم » والبروفيسور مارسيل كاشان والنائب « مال سونييه » والكاتب القصصى « كوليت » وغيرهم •

وكان يطلب الكلام في كل اجتماع تقريبا ، وكان الحاضرون يحبون الاصغاء اليه لانه كان الاجنبي الوحيد في هذه الاجتماعات من جهة ، ولشخصيته الجذابة بصفة خاصة من جهة أخرى • واشترك نجوين كذلك في جمعية « الاسفار » التي كانت تنظم رحلات بأجور مخفضة الى انحاء فرنسا او الى

الدول المجاورة ، وتمكن بفضل ذلك من زيارة أماكن عديدة في فرنسا وايطاليا وسويسرا وألمانيا كما زار الفاتيكان •

الانضمام الى الحزب الشيوعي الفرنسي

وفي ١٩١٩ كان **لينين** والماركسيين الذين يؤيدونه قد اجتمعوا في مؤتمر موسكو لتأسيس « **الدولية الثالثة** » أو « **الدولية الشيوعية** » وفي مؤتمر « **تور** » سنة ١٩٢٠ صوت هوشي منه مع أغلبية مندوبي الحزب الاشتراكي الفرنسي الى جانب انضمام الحزب الى الدولية الثالثة . وبعد ذلك التصويت انشق الحزب الاشتراكي على نفسه ، وكونت الغالبية التي صوتت الى جانب الدولية الثالثة ، الحزب الشيوعي الفرنسي ، واحتفظت الاقلية باسم الحزب الاشتراكي مع انضمامها الى الدولية الثانية • وقد انضم هوشي منه بالطبع الى الحزب الشيوعي الفرنسي وبذا كان هو نفسه أول شيوعي فيتنامي • وأعلن في تلك الفترة أنه « لانقاذ الوطن وتحرير الامة ليس هناك من سبيل آخر سوى الثورة البروليتارية » •

وبمساعدة الحزب الشيوعي الفرنسي أسس هوشي منه « **الرابطة الدولية لشعوب المستعمرات** » للكفاح ضد الاستعمار ، وظهر في تلك الفترة كتابه « **قضية الاستعمار الفرنسي** » ، وأنشأ صحيفة « **لوباريا** » لادانة جرائم الاستعمار الفرنسي ، وفضحه • وكان هوشي منه يقوم بالنسبة لصحيفة « لوباريا » بعمل المدير والكاتب والمحرر وسكرتير التحرير ، وأمين الصندوق والناشر وموظف الاتصال في وقت واحد • وكان نشرها صفعة للمستعمرين ومنع دخولها فورا الى المستعمرات ولكن البحارة العاطفين على حركته أرسلوها سرا الى هناك •

تمثيل الفلاحين في موسكو

وترك فرنسا سنة ١٩٢٤ واشترك في المؤتمر الخامس للدولية الشيوعية في موسكو وكان ممثلا للحزب الشيوعي الفرنسي والبلاد المستعمرة واشترك أيضا في مؤتمرات الفلاحين والشباب والنساء الدولية ، وانتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لمؤتمر الفلاحين ، ممثلا لفلاحي البلاد المستعمرة • وخلال اقامته القصيرة في الاتحاد السوفيتي ، كتب في عدة صحف وألف كتابين أولهما : « الصين والشباب الصيني » ، وثانيهما « الجنس الاسود » •

دخول الصين وتدريب الكوادر هناك

وفي عام ١٩٢٤ ألقى « **فام هونج تاي** » قنبلة على الحاكم العام للهند الصينية مرلين في كانتون ، في نفس هذا العام الذي ذهب فيه هوشي منه الى كانتون ، وعمل ببيع السجائر والصحف ليكسب رزقه في الصين ، واتصل بمجموعة (**تاه تام كسا**) « اتحاد القلوب » ، وهي تنظيم ثوري للمواطنين الفيتناميين المهاجرين في الصين • واستخلص هوشي منه النتائج من المحاولة الفاشلة لاغتيال الحاكم العام للهند الصينية ، وهي أنه ليس باغتيال الحكام العموميين ، أو المقيمين العامين تمكن الاطاحة بالنظام الاستعماري ، وقيادة الثورة الى النصر • وانما لتحقيق انتصار الثورة ، ينبغي خلق حزب سياسي قوي لتنظيم الجماهير وقيادتها في الكفاح من أجل الثورة والاستيلاء على السلطة .

واقترح هوشي منه على الثوار الفيتناميين المشتركين في مجموعة « تام تام كسا » تأسيس « رابطة الشباب الثوري في فيتنام » ، ونظم في نفس الوقت « رابطة الشعوب المقهورة في آسيا الشرقية » التي اشترك فيها ممثلون عن كوريا وأندونيسيا والملايو والهند والصين وفيتنام •

وفي سنة ١٩٢٦ قامت في فيتنام كثير من الاضرابات الطلابية والمظاهرات عند تشييع جنازة القائد الوطني « **فان شو ترينه** » بعد السنوات التي قضاها في المنفى في فرنسا • وقد وصل عدد من الشبان الثوريين الذين نظموا هذه الاضرابات وطردوا من مدارسهم الى **كانتون** ليتعرفوا هناك على النظريات الثورية • ونظم هوشي منه مناهج دراسية سياسية لهم ، وأعادهم الى فيتنام ليؤسسوا هناك « رابطة الشباب الثوري في فيتنام » • كذلك عمل هوشي منه على ارسال دفعات من الكوادر للتدرب في الاتحاد السوفييتي ، وارسل اخرين للتدرب في الكلية العسكرية في الصين ، واستطاع من سنة ١٩٢٥ الى ١٩٢٧ أن يدرب ويرسل الى فيتنام أكثر من ٢٠٠ من الكوادر الذين أخذوا بدورهم ينشئون دورات تدريبية •

الثورة المضادة في الصين والتسلل الى سيام

وفي عام ١٩٢٧ ، انقلب حزب الكومنتانج الصيني على الحزب الشيوعي الصيني وبدأ حملته الدموية المضادة للثورة ، وسعى الكومنتانج الى القبض

على هوشى منه ، ولكنه رحل الى سيام • وكان أهل سيام قوم يؤمنون بالبوذية ، ايمانا عميقا ويتسمون بالتدين العميق.وكان يتعين على الصبية — لدى بلوغهم سنا معينة — ان يذهبوا الى احد المعابد ليتعبدوا ويتأملوا لمدة بضعة أشهر ، ومن ثم فقد كان بسيام الالاف من النساك يحترمهم الشعب ويطعمهم • وكان هؤلاء النساك يتناولون وجبة واحدة فى اليوم فى الساعة الحادية عشرة صباحا فتهرع اليهم النساء حاملات الارز • وكان الذين يحملون الطعام ويقدمونه للنساك سعداء اذ أنهم كانوا يعتقدون أنه كلما سخى الانسان فى العطاء أكسبه ذلك مزيدا من الفضائل •

وبفضل هذا التقليد استطاع هوشى منه كما استطاع زملاؤه وتلاميذه من المجاهدين أن يصيروا نساكا وان يرحلوا من مكان الى آخر فى سيام دون ان يدفعوا ثمنا لطعامهم ، وكان على هوشى منه بالاضافة الى حرث الارض والاشتغال بالتجارة البسيطة أن يقوم بنشر الدعوة السياسية وتنظيم مواطنيه وسرعان ما أنشأ منظمة تسمى « الرابطة الفيتنامية للمعونة المتبادلة » كما أصدر صحيفة بعنوان «**الانسانية**» • لقد كان هوشى منه وهو فى الصين ينشر دعوته من الشمال أما الان فينشرها من الشرق • ولم يكن بامكانه القيام بكل ذلك النشاط سرا لذا كان يؤسس مدرسة للاطفال يجتمع فيها الاباء والامهات للمناقشة حيثما وجد عدد من الفيتناميين فى سيام • وقد شك الفرنسيون فى وجوده هناك ثم تيقنوا منذلك ، ولكن كان هناك دائما من يحذرون هوشى منه فى الوقت المناسب من رجالهم • ولكى يضلل رجال البوليس كان يعمد الى الاختفاء فى أحد المعابد البوذية ويحلق شعره حتى يتغير مظهره ويتاح له مواصلة نشاطه السياسى •

وكتب هوشى منه فى سنة ١٩٢٧ كتاب « طريق الثورة » للتعليم السياسى لشباب فيتنام الثورى ، وأنشأ صحيفة « الشباب الناطقة بلسان اللجنة القيادية لرابطة الشباب • وبواسطة « **طريق الثورة** » وصحيفة « **الشباب** » اللتين كانت الجماهير تتداولهما سرا ، استطاع هوشى منه أن ينشر الافكار الاولية عن الماركسية اللينينية بين الجماهير •

ولم تك رابطة الشباب الثورى فى فيتنام فى الحقيقة الا تنظيما انتقاليا ، فى انتظار تأسيس الحزب الشيوعى ، وقد تكونت بداخله « نواة شيوعية » للاستعداد للقيام بهذه المهمة ، وقد نمت الرابطة فى سنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ بسرعة كبيرة جدا • وتحت قيادتها قام العمال بعديد من الاضرابات للمطالبة بزيادة الاجور • وفى سنة ١٩٢٩ وصلت الحركة الى الريف • وتظاهر العمال فى مناطق عديدة لتخفيض الضرائب عنهم • وبدأت الماركسية اللينينية تتجسد مع الكفاح العمالى والحركة الوطنية للشعب الفيتنامى ونضجت الظروف الملائمة لتأسيس حزب ثورى بروليتارى بسرعة فى فيتنام •

تأسيس الحزب الشيوعى

فى الهند الصينية

وفى مايو سنة ١٩٢٩ فى المؤتمر الوطنى للرابطة فى هونج كونج اقترح وفد الشمال تأسيس الحزب الشيوعى للهند الصينية ، ورفض هذا الاقتراح وغادر وفد الشمال المؤتمر • وتأسس الحزب الشيوعى للهند الصينية ، فى نفس هذا العام فى شمال فيتنام وانضم اليه أفضل المناضلين من رابطة الشباب ، وتكون ايضا فى تلك الفترة « **الحزب الشيوعى فى أنام** » ومعظم أعضائه كانوا من منطقة نامبو • وضم « **الحزب الثورى لفيتنام الجديدة** » وهو تنظيم ثالث أعضاء منظمات الرابطة فى ترونجبو وقسما من أعضائها فى نامبو وسمى هذا الحزب « **بالعصبة الشيوعية لفيتنام الجديدة** » •

وهكذا كانت توجد سنة ١٩٢٩ فى فيتنام ثلاث تنظيمات شيوعية تؤكد كل منها ثوريتها ، وتتنازع التأثير على الجماهير ، وترتبط بالدولية الشيوعية • ولوقف هذا الوضع الانقسامى دعا « **هوشى منه** » فى ٣ فبراير سنة ١٩٣٠ الى وحدة هذه التنظيمات فى « **الحزب الشيوعى الفيتنامى** » ، الذى سمى فيما بعد « **الحزب الشيوعى للهند الصينية** » ، والذى يسمى حاليا « **حزب العمال الفيتنامى** » •

وأقر المؤتمر بعد المناقشة برنامج الحزب وكان يتضمن احدى عشرة نقطة هى :

- **الاطاحة بالامبريالية الفرنسية والاقطاعيين ، وكسب الاستقلال التام لفيتنام** •
- **تكوين حكومة للعمال والفلاحين والجنود** •
- **تشكيل جيش من العمال والفلاحين** •
- **تأميم المؤسسات الكبرى التى يمتلكها الامبرياليون (فى الصناعة والنقل والبنوك الخ)** •
- **مصادرة اراضى الامبرياليين ، وتأميم بعضها ، وتوزيع بعضها على الفلاحين الفقراء** •
- **تحديد يوم العمل بـ ٨ ساعات • (كان مثل ذلك التحديد مكسبا حينذاك)** •

● الغاء القروض القومية ، والضريبة على الاشخاص ، واعفاء الفقراء من أى مكوس أو ضرائب •

● تنمية الصناعة والزراعة •

● منح الحريات الديمقراطية للجماهير •
● تحقيق المساواة بين الرجال والنساء •

● كفالة التعليم للشعب وأساسا العمال والفلاحين •

وقد دخلت الحركة الثورية الفيتنامية بذلك مرحلة جديدة ، واصبح للثورة الفيتنامية منذ ذلك التاريخ قيادة موحدة واهداف محددة • ونما الحزب بسرعة وانتشر بين الجماهير انتشارا كبيرا ، الامر الذى اتاح له بعد عدة اشهر من تكوينه أن يقود الهبة الثورية فى سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ التى كان سوفيت « نجهى — تيته » قمتها •

ويرى **ترونج شينه** ،احد الاربعة الكبار فى فيتنام حاليا فى كتابه عن هوشى منه ، انه أسفر عن مواهب كبيرة جدا فى جهوده لتوحيد القوى الشيوعية فى فيتنام وتأسيسه للحزب الشيوعى هناك •

الاعتقال فى الصين

وفى يونيو ١٩٣١ قبضت سلطات هونج كونج على هوشى منه — وحرم على الصحف الصينية نشر هذا الخبر • وحبس فى زنزانة خاصة يقوم على حراستها بوليس خاص • وكانوا يقدمون له أرزا من نوع ردىء وسمكا عفنا مرتين فى اليوم • وكان يأكل وينام ويغتسل ويقضى حاجته فى الزنزانة التى لم يكن يسمح له بالخروج منها الا لمدة ١٥ دقيقة كل يوم • وبفضل الجهود التى بذلتها « **المساعدة الدولية الحمراء** » التى ارسلت محاميا للدفاع عنه ، تقرر الافراج عن « هوشى منه » اذ لم تكن هناك ثمة ادلة على انه « عميل » من « عملاء السوفيت » كما لم تثبت عليه تهمة التآمر لقلب الاوضاع فى هونج كونج ، اما كونه شيوعيا ، او مجاهدا وطنيا فلا يعتبر ذلك خرقا للقانون الانجليزى •

وطلب هوشى منه تصريحا بالدخول الى بريطانيا وقام محاميه « **لوزبى** » بارسال الطلب الى لندن • ولم ينتظر هوشى منه رد لندن بل استقل باخرة متجهة الى انجلترا • وفى سنغافورة القى القبض عليه من جديد وأعيد الى هونج كونج ، وما كاد يصل اليها حتى اعتقله البوليس السرى فى المدينة بحجة انه دخل احدى المستعمرات دون تصريح بالدخول •

وتولى المحامى لوزبى الدفاع عنه مرة أخرى ، وانقذه من السجن ثم اعانه على الفرار بمساعدة زوجته واصدقائه • وهرب هوشى منه من هونج كونج متنكرا فى هيئة تاجر صينى ثرى ، وذهب الى شنغهاى ليعيش فى منزل أحد اصدقاء محاميه الحميمين ، وهناك كان يحيا حياة رجل غنى يقضى عطلته ، فكان يستمتع بالنزهة فى الغابة ويقوم بزيارة المعابد ، ويتعرف على الكتاب والفنانين ويكتب مقالات للصحف المحلية باللغة الانجليزية والصينية ويوقعها باسماء مستعارة • ولقد تعددت اسماء هوشى منه المستعارة والحركية الى حد جعله يقول ان هناك شيئين لا أذكرهما جيدا اسمائى المستعارة ،والاماكن التى سجنت فيها » . وقد عاود هوشى منه فى شنغهاى الاتصال بالحزب الشيوعى الصينى •

وفى عام ١٩٣٣ سافر هوشى منه الى الاتحاد السوفيتى للدراسة فى معهد «**لينين**» الذى كان يعد فيه قادة الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى •.
وفى سنة ١٩٣٥ اجتمع المؤتمر الاول للحزب الشيوعى للهند الصينية فى ماكاو (بالصين) ولم يستطع هوشى منه الحضور فيه بسبب المهمة التى كان يقوم بها فى الاتحاد السوفيتى •.

وفى سنة ١٩٣٦ عاد الى الصين • وكان التفاهم حينذاك قد تم بين الحزب الشيوعى الصينى وحزب الكومنتانج (حزب شيانج كاى شيك) على محاربة الاستعمار اليابانى ، وقد ارسل الحزب الشيوعى الصينى بعثة لتدريب قوات « **شيانج كاى شيك** » على حرب العصابات ، وكان « **هوشى منه** » سكرتيرها الحزبى ، على ان هوشى منه الذى كانت تشغله احداث بلاده لم يبرح ان انتقل الى منطقة الحدود الصينية الفيتنامية وأخذ يرقب الوضع فى بلاده ويرسل توجيهاته لقيادة الحزب ويساهم فى تحرير صحفه •

وفى مايو ١٩٣٦ تكونت حكومة « الجبهة الشعبية » فى فرنسا وبفضل كفاح الشعب الفيتنامى فى ذلك الظرف الملائم ، حصل كثير من المسجونين السياسيين فى الهند الصينية على عفو عام عنهم • وطالب الحزب الحكومة الفرنسية بتحقيق الاصلاحات الديمقراطية ، وتحسين ظروف معيشة الشعب ،ولكن الرجعية الاستعمارية وقفت بالمرصاد لتلك المطالب •

ومع اشتعال الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ ، زادت السلطات الفرنسية من كبت الحقوق

تزايد قووة الحزب رغم الارهاب

الديمقراطية والتنكيل بالحركة الديمقراطية فسحبت الرخص من جميع الصحف وشنت شمل جميع المنظمات ، وامتلأت السجون ومعسكرات

الاعتقال . الا انه برغم ذلك قامت فى تلك الفترة فى البلاد حركة ديمقراطية كبيرة ، وازداد نشاط الحزب قوة فى عديد من المناطق بل وتمكن من الكثير منها من العمل العلنى وتضاعف عدد اللجان الحزبية ولجان الشباب الديمقراطى ، وقاد الحزب الجماهير العمالية فى نضالها من أجل الحقوق النقابية .

وفى سنة ١٩٤٠ ذهب «هوشى منه» الى كوانجسى محاولا الاتصال بالحزب . وما ان حلت نهاية هذا العام حتى كانت قد شبت ٣ هبات ثورية فى منطقة « بالاسون » فى فيتنام الشمالية ، وفى منطقة «دولودنج» فى فيتنام الوسطى ،وفى فيتنام الجنوبية . واتسمت حركة الكبت التى شنها الفرنسيون بالقسوة البالغة ، اذ أحرقوا عددا كبيرا من القرى حتى أتت النيران على كل ما فيها وقتلوا الالاف من الناس ،وكان الفرنسيون يشدون وثاق مئات من العجائز والنساء والاطفال ويربطون الواحد منهم بالاخر بواسطة سلك يخترق ايديهم او ارجلهم ، ثم يلقون بهم الى البحر ، بينما كانوا فى اماكن أخرى يعمدون الى جعل المحكوم عليهم بالاعدام يخلعون كل ثيابهم ويحفرون بأيديهم القبور التى كانوا يدفنون فيها أحياء .

دخول فيتنام والاعداد للثورة

وفى فبراير سنة ١٩٤١ وصل هوشى منه الى **كاو بانج** بالقرب من الحدود الصينية الفيتنامية ، وبعد سنوات طويلة قضاها فى المنفى ، تمكن من دخول فيتنام .

وفى مايو سنة ١٩٤١ عقد الاجتماع الكامل الثامن للجنة المركزية للحزب فى **باك بو** برئاسة هوشى منه مندوب الدولية الشيوعية . ولهذا الاجتماع أهمية كبيرة اذ قدم تحليلا ثاقبا للوضع المحلى والدولى ، وكان الفرنسيون حينذاك قد استسلموا أمام هتلر ، واستسلموا فى الهند الصينية أمام اليابانيين الذين غزوا البلاد . وكان الشعب فى الهند الصينية يعانى من اضطهاد مزدوج . وتوصل الاجتماع الكامل الثامن فى ذلك الوقت ، وبناء على تحليله الى تلك الحقيقة السياسية وهى أن الاتحاد السوفيتى والبلاد المتحالفة سينتصرون بالتأكيد على المعتدين الفاشيست . ومما يذكر أيضا بهذا الشأن أن الحزب وعلى رأسه هوشى منه كان قد توقع أن هتلر سيهاجم الاتحاد السوفيتى .

وازدادت حدة العداء والصدام بين المستعمرين الفرنسيين والفاشيين اليابانيين فى الهند الصينية وكان ذلك ظرفا ملائما ، فتشكلت فى ذلك الوقت « عصبة استقلال فيتنام » وهى التى سميت بـ « **جبهة فيت مينه** » وانشأت هذه الجبهة قواعد لحرب العصابات وأخذت تعد للهبة المسلحة وطرد الفاشيين اليابانيين والفرنسيين والاستيلاء على السلطة ، وتأسيس جمهورية فيتنام الديموقراطية ، ثم تكونت فيما بعد جبهة « **ليين فييت** » .

وكانت القرارات الصائبة للاجتماع الكامل الثامن للحزب ، ونداء الرفيق هوشى منه الى الامة الذى وزع عقب هذا الاجتماع ، حافزين قويين لكفاح الحزب والشعب . وقد طبقت الخطوط والسياسات التى اقرتها اللجنة المركزية فى هذا الاجتماع بشكل سليم من جانب الحزب وقادت فى النهاية الى انتصار ثورة اغسطس ١٩٤٥ .

وكان اهتمام هوشى منه الرئيسى فى كاوبانج ، هو بالقيادة السياسية العامة وتكوين الكوادر . ولذا أعد ترجمة مختصرة « لتاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى » ،وقام بترجمة كتاب «قيادة الجيوش» الذى وضعه «سون شو»، وتأليف عدة كتيبات حول « **مناهج حرب العصابات** » و « **تجربة حرب العصابات الصينية** » و «**تجربة حرب العصابات الفرنسية**» ، وكان يقوم أيضا بالاشتراك فى تحرير صحيفة « **فيتنام المستقلة** » السرية .

الاعتقال فى الصين ثانية

وفى أغسطس ١٩٤٢ دخل هوشى منه الصين سيرا على الاقدام لمدة عشر ليال وخمسة أيام ، ساعيا لنيل مساعدة حكومة شيانج كاى شيك ،لان الصينيين كانوا أقرب الناس الى الحلفاء وأشدهم اتصالا بحركة مقاومة اليابانيين فى الهند الصينية . الا أنه ما كاد يصل الى بلدة صينية ويأخذ قسطا من الراحة حتى ألقى القبض عليه فى نفس المساء .

وألقت به سلطات الكومنتانج فى السجن تحيط بعنقه حلقة حديدية بالنهار وتحيط بيديه وقدميه الاغلال اثناء الليل ، وبعد شهر ونصف شهر أخرج «هوشى منه» من السجن وأرسل الى جهة مجهولة . قيدوا يديه بالسلاسل وأحاط به ستة جنود مدججين بالسلاح وأخذ يسير ويسير يوما بعد يوم دون أن يعرف الى أين ... وكان يسير تحت الامطار المنهمرة وحرارة الشمس المحرقة ويعبر جبالا ومستنقعات . ما تكاد الديكة تصيح معلنة مجيء الفجر ، حتى يأمرونه بالنهوض والسير ، فاذا ما عادت الطيور الى أوكارها فى المساء يأمره الجند بالتوقف فى مكان ما ويحبسونه فى زنزانة بها كومة من التبن القذر ينام فيها ليلته

(٤) لمحات من حياة هوشى منه ..بقلم تران دان تيان .

والاغلال تحيط بيديه (٤) ولكنه كان يحتفظ دائما بابتسامته وروحه المرحة وكان يسعده أن يرى المناظر الطبيعية المتغيرة حوله . وكان ينشد القصائد وهو يسير بل كان فى بعض الاحيان يؤلف أبياتا من الشعر ، وعندما كان ينتهى بهم المسير الى احدى عواصم الاقليم كان يزجون به فى أحد السجون لمدة أسبوع أو أسبوعين . وبعد أن سار هوشى منه ما يزيد على ثمانين يوما وهو مقيد بالسلاسل وبعد أن ألقوا به فى حوالى ٣٠ سجنا من سجون القرى والمدن أطلق سراحه بعد ١٤ شهرا من الاعتقال دون أن ترفع عنه المراقبة ، وبعد بضعة أشهر طلب السماح له بالعودة الى وطنه ، ووافق الجنرال « شاينج - فا - كواى » على ذلك .

العودة الى فيتنام وبدء الثورة

واتصل « هوشى منه » بعد عودته الى فيتنام بالحزب ، وعاد الى كاو بانج لمواصلة نشاطه .

وفى سنة ١٩٤٤ رحل فى مهمة الى اليونان ، وحوالى نهاية نفس العام عاد الى كاو بانج ، وفى ديسمبر منه قرر انشاء « فرقة الدعاية المسلحة لتحرير فيتنام » فى كاو - باك - لانج بهدف التحضير لهبة مسلحة تطيح بحكم فيشى - اليابان . وبالفعل اندلعت الثورة بعد فترة فى كل مكان ، وفى ٤ يونيو ١٩٤٥ أعلنت المقاطعات الست المحررة فى شمال فيتنام عن تأسيس « منطقة محررة » ، وفى ١٩ أغسطس ١٩٤٥ استولى الثوار على هانوى وهزموا السلطة العميلة لليابانيين هناك ، ثم استولوا على هوى فى ٢٣ أغسطس وسايجون فى ٢٥ أغسطس .

وتكونت أول حكومة لجمهورية فيتنام الديموقراطية وانتخب هوشى منه بأجماع الاراء رئيسا لجمهورية فيتنام الديموقراطية وعهدت اليه مهمة تحرير وتلاوة أعلان استقلال فيتنام « على الشعب » على ان يتم ذلك فى ٢ سبتمبر ١٩٤٥ .

وجاء يوم ٢ سبتمبر ١٩٤٥ ، وعندما وصل هوشى منه فى ذلك اليوم الى العاصمة قادما من الغابات الشمالية قابل فى الطريق ضابطا أجنبيا يرتدى سروالا أصفر اللون وسترة مصنوعة من قماش المظلات . واعترف الضابط أنه لم يكن يملك ملابس أخرى ، وعندئذ خلع الرئيس « هو » سترته وأعطاها له . وعندما رأى الرجل متأثرا ومضطربا وهو يرفض القبول ، ابتسم الرئيس وقال له : « أننا أصدقاء قدماء ، وينبغى لنا أن نرفع الكلفة فيما بيننا .. خذها ... عندى غيرها » ، وانصرف الضابط مرتديا بذلة كاملة بينما الرئيس دون سترة بقية اليوم . .. ولذا توجه عدد من المناضلين الى المحلات فى المدينة يبحثون عن بذلة كاملة « لهوشى منه » فى هانوى وأخيرا اشتروا له بذلة كاكية اللون و« صندلا » من المطاط . وبهذه الهيئة ظهر هوشى منه فى ميدان « بادين » بهانوى فى ٢ سبتمبر ١٩٤٥ والاعلام الحمراء ذات النجمة الذهبية تحف به من كل جانب ليعلن استقلال فيتنام وقيام جمهورية فيتنام الديموقراطية التى ما زالت حتى الان تقاوم ببسالة منقطعة النظير وبنجاح فائق الى جانب أشقائها فى الجنوب ، المعتدين الامريكيين الجدد ، وسوف تهزمهم حتما .

الثورة فى التطبيق

القسم الثانى

هناك سمات عامة يتفق فيها هوشى منه كمفكر ثورى مع غيره من قادة الحركات الماركسية اللينية فى آسيا وفى العالم . وهناك ايضا الاضافات الخاصة التى اضافها هذا الزعيم ، والسمات الشخصية التى تميزه كزعيم ثورى ماركسى لينينى وضع فكره فى اطاره التاريخى وعلى ارض الواقع الفيتنامى .

اذا كان للافراد العظام تأثيرهم الكبير على حركات الشعوب ومسيراتها فمما لاشك فيه ان ماتوفر للزعيم الفيتنامى الثورى « هوشى منه » من دراية ومعرفة ، منذ صباه وشبابه الباكر ، كان له أكبر الاثر فى عمق ونضوج الادراك الفكرى والحضارى لهذا الزعيم الاسيوى ، وفى النجاح القيادى الذى أحرزه على رأس الشعب الفيتنامى ، لا فى مواجهة المستعمرين الفرنسيين والامريكيين فحسب ، وانما فى اقامة الاشتراكية فى فيتنام

الشمالية كذلك ، لان هوشى منه الذى نشأ فى ربوع الهند الصينية ، وتعلم الكثير من التجارب الثورية النظرية والعملية الثمينة فى كهوف الثورة الصينية وميادينها ، قد تسنى له فى نفس الوقت المبكر التعرف على نضال وفكر الحركات الثورية والشيوعية فى أوربا الغربية وبخاصة فرنسا وفى الولايات المتحدة ،كما تسنىله الاطلاع علىأحوال المستعمرات واشباه المستعمرات فى طوافه بشواطىء القارة الافريقية الشمالية والغربية والشرقية ، ومروره أيضا بالشرق الاوسط • وقد استطاع فىطوافه ذلك ان يلمس سوءات الحضارة الغربية وجرائمها وحقيقة محتواها الاستعمارى التسلطى • من خلال الاحتكاك المباشر والممارسة العملية ، لامجرد المعتمدعلى القراءات النظريةأو المعرفة الكتبية •

هذا السفر العالمى الواسع فى وقت مبكر والاحتكاك الفكرى والسياسى والنضالى بالحركات الثورية فى القارة الاوربية بخاصة ، كان له اثره الكبير فى تكوين الطابع الخاص لشخصية هوشى منه وفكره • لان هوشىمنه لم ينشأ فى الحقيقة على مجرد ثقافة محلية فى بلاده قد تكون وطنية ولكن فقيرة فى محتواها لا ترقى الى مستوى آخر انجازات الفكر الحديث فى حقل الثورة والتغيير والتقدم ، وانما نشأ وشاهد ودرس آخر منجزات الفكر الاشتراكى والثورى فى حقل الثورة والتغيير لا نظريا فحسب ، وانما تطبيقيا ايضا لان هوشى منه سافر فى وقت مبكر نسبيا أيضا الى الاتحاد السوفيتى ، الى حقل التطبيق العملى لاول تجربة شيوعية فى العالم •

وعلى هذا النحو ، فان هوشى منه الذى احتفظ دوما باحترام واعجاب وتقدير حتى الكثيرين من معسكر خصومه ، ليسمننوع تلكالزعامات التى انجبت المستعمرات واشباه المستعمرات الكثير من امثالها ، والتى وقعت أسيرة الثقافة المحلية ، وادراكها الاقليمى ، الذى قد ينطبع بطابع قومى ، ولكنه فقير فى محتواه الفكرى ، وفى ابعاده النظرية والتطبيقية العلمية ، سواء على المستوى المحلى أو الدولى ، ليس من نوع تلك الزعامات التى لم يتسن لها كنتيجة لذلك ان تقود ثورات وانتفاضات شعوبها الوطنية ، الا عبر نجاحات تكتيكية قصيرة الامد سرعان ما تبددت ، واسفرت عن فشل ثورى كامل وخيبة أمل قومية عامة •

ذلك ان هوشى منه قد نجح فى استيعاب النظرية الماركسية اللينينية وفى تطبيقها بشكل خلاق على الواقع الفيتنامىوفى قيادة الثورة الفيتنامية حتى النصر • وان فكره فى الحقيقة لهو فكر ماركسى لينينى أولا وأخيرا •

على انه ينبغى القول انصافا للحقيقة والتاريخ ان هوشى منه قد تعلم الكثير لا من تراث ماركس وانجلز ولينين فحسب ، وانما تعلم أيضا من تلك الاضافات العبقرية للماركسية اللينينية التى أضافها « **ماوتسى تونج** » والخاصة بنظرية الثورة فى المستعمرات وأشباه المستعمرات التى تقوم بخلاف ثورة أكتوبر الروسية على التحرك بالثورة من الريف ثم حصار المدن واسقاطها •• الخ تلك الاضافات الهامة التى أضافها ماو بخصوص « الجبهة الوطنية » و « الديمقراطية الجديدة » و « الحرب الشعبية » ، و « الاعتماد على النفس » • الى آخر ذلك من نظريات •

الا أن هناك خلافا بين ظروف الثورتين الصينية والفيتنامية ، استطاع هوشى منه أن يضيف من خلاله اضافاته السياسية التكتيكية المرنة الخلاقة وان كان ينبغىالقول أيضا أن التكتيكالثورى المرن اتبع بنجاح منذ أيام لينين وثورة أكتوبر • فمع ان الثورة الفيتنامية تابعتمثلالثورةالصينية تحقيق اهداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، الا ان الثورة الصينية ثورة قامت فى بلد **شبه مستعمر** ويتسم بسمات خاصة تعطيه امكانيات عسكرية وسياسية استراتيجية كبيرة للمناورة ، منها سمة الاتساع الكبير التى قدرها الجنرال « **جياب** » تقديرا خاصا فى كتابه عن « حرب الشعب ، وجيش الشعب » ، كما انه بلد كانت تسكنه حينذاك أكثر من ٦٠٠ مليون نسمة وهى امكانيةاخرىايضا . اما الثورة الفيتنامية فقد اختلفت عن الثورة الصينية من ناحية انها وقعت فى **بلد مستعمر** وفى بلد أصغر كثيرا من الصين ، سواء من ناحية المساحة أو عدد السكان ، مما استلزم مبادرات وحلول خاصة نسبيا لمشاكل الثورة هناك •

كذلك من الامور المميزة لفكر هوشى منه ، هو الاستقلالية فى الصراع العقائدى الدائر بين العملاقين الكبيرين فى المعسكر الشيوعى • وليس من شك ان فيتنام الديمقراطية استطاعت بنجاح المحافظة على علاقات ودية مع كلا القطبين الرئيسين فى الحركةالشيوعية العالمية، حتى وان كانت مناهج الثورة الفيتنامية فى البناء الداخلى والتجربة العامة أقرب الى مناهج الثورة الصينية وتجاربها • والموقف الفكرى المستقل الذى حدده هوشى منه ، غير منعزل عن تاريخ شعب فيتنام كشعب ذى شخصية متميزة ، نجح منذ أكثر من ٨٠٠ سنة فى خلق لغةمكتوبةخاصة به مستوحاة من الحروف الصينية • كذلك فان الموقف الفيتنامى المستقل فى مواجهة جارتها الكبرى ، انما يمتد فى التراث الفيتنامى السابق ، لان الامة الفيتنامية قد قاومت طوال تاريخها الذى يمتد لعدة آلاف من السنين ، قاومت مرارا عديدة ، غزوات الاقطاعيين الصينيين •

تأصل مفهوم الوحدة

وثمة حقيقة هامة نود هنا أن نؤكدها بخصوص فكر هوشى منه أن فكرة الوحدة الوطنية الفيتنامية أو كما يسميها الفيتناميون أحيانا « الوحــدة العظمى » للبلاد ، كانت تسيطر تماما على ذهن ذلك الرجل ، بل هى سيطرت ـ فوق ذلك ـ على كل عمل قامت به الحكومة التى قادها .

فدعوة الامبراطور « باوداى » للاشتراك فى الحكومة سنة ١٩٤٥ وتمثيل اعضاء حــزب البورجوازية ، و « دونج منه هواى » فى الحكومة والجمعية الوطنية سنة ١٩٤٦ ، واستبدال جبهة « فيت منه » بجبهة اكثر اتساعا هى جبهة « لين فيت » (الجبهة الوطنية الفيتنامية المتحدة) فى مايو سنة ١٩٤٦ والموقف المرن الذى اتخــذته الحكومة من الاقطاعيين والبرجوازيين ابان حرب المقاومة ، والموقف الحازم الذى لا زالت تتمسك به الحكومة الديمقراطية ، موقف اعادة توحيد الوطن سلميا ، كل هذه المواقف انما توضح تمسك هوشى منه والحكومة التى يقودها بفكرة « الوحــدة الوطنية » .

ويرى الصحفى الاسترالى « مالكولم سالمون » فى كتابه « اضواء على الهند الصينية » : « انه ليس هناك أدنى شك فى أنه بدون ذلك الاحساس العميق بالحاجة الى توحيد كل الشعب ، وبدون ذلك التنقيب المستمر عن طرق توحيد العناصر المختلفة وربطها بقضية عامة واحدة ، بدون ذلك الموقف القائم على الحنكة السياسية وعلــى الاعتبارات الانسانية لمحاولة كسب المختلفين معه فى الرأى ، بدون كل ذلك ، لما استطاعت الجمهورية الديمقراطية ان تحافظ على بقائها فى الاشهر الاولى من حياتها » .

كذلك يتسم هوشى منه بالواقعية فى التفكير والتواضع والصراحة المطلقة ، وان الكلمات التى وجهها الى اعضاء حكومته فى أول اجتماع لهم فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ تعكس هذه المميزات بشكل جلى وبسيط . قال لهم « ايها الاخوة والاصدقاء الاعزاء . لا أنا ولا أى واحد منكم يجيد فن الادارة . لقد حرمنا من تعلم ذلك ، ثمانين عاما من القهر والظلام ، ولكن ذلك لا يزعجنا فلسوف نتعلم ونحن نعمل ولسوف نعمل ، ونحن نتعلم ، ان المران يمنحنا الصواب ، ولسوف نرتكب اخطاء ، لا شك فى ذلك ، ولكننا سوف نصححها وستكون لدينــا الشجاعة الكافية لذلك » .

المرونة السياسية والوضوح

وتتميز احاديث هوشى منه كذلك بالوضوح فى مخاطبة الشعب ، فيقول على سبيل المثال فى النداء الذى دعا فيه الى المقاومة المسلحة الشاملة فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ : « ايها المواطنون الاعزاء فى كل انحاء الوطن : **حرصا منا على السلام فقد قدمنا بعض التنازلات** ... ولكن المستعمرين الفرنسيين يتمادون فى مطالبهم عقب كل تنازل ، انهم مصممون على أن يحتلوا بلادنا من جديد ، ولكننا مصممون على الا نستعبد من جديد . ايهــا المواطنون ، هبوا للنضال » .

كذلك تتضح المرونة العظيمة فى تفكير هوشى منه السياسى ، فى براعته فى تنظيم التــراجعات والتقهقر ، مثلما برع فى تنظيم الهجمات وتقدم القوات . اذ قرر فى لحظة حاسمة من تاريخ الثورة الفيتنامية وعندما اشتدت هجمات القوات الفرنسية وبلغت مستوى خطيرا ، قرر اخلاء هانوى كى يتمكن من أن يشن من جديد حرب مقاومة ضد الاحتلال الفرنسى من قاعدة بعيدة اقامها فى مكان ما وسط المناطق الجبلية بفيتنام . وربما كان أى موقف مغاير لهذا الانسحاب الذكى ، قد أدى الى تحطيم الثورة الفيتنامية وهزيمة حرب المقاومة عامة

وقد انعكس موقف هوشى منه المرن فى الاتفاقية المؤقتة التى ابرمتها حكومة فيتنام مع فرنسا فى ٦ مارس سنة ١٩٤٦ والتى تعترف فيها فرنسا بفيتنام « كدولة حرة » لها حكومتها المستقلة وبرلمانها وميزانيتها المنفصلة على ان تظل جزءا من الاتحاد الفيدرالى للهند الصينية ومن الاتحاد الفرنسى ، وكانت هذه الاتفاقية تتضمن الموافقة على عودة ١٥ر٠٠٠ جندى فرنسى الى فيتنام على أن يتم انسحابهم نهائيا بعد ذلك فى سنة ١٩٥٢ مقابل انسحاب ٢٠٠ر٠٠٠ جندى صينى من جنود حزب الكومنتانج الصينى الرجعى . وقد هوجمت هذه الاتفاقية بشدة سواء من اليمين أو من اليسار باعتبارها بيعا للبلاد . ولكن هوشى منه رد على خصومه بانه « لم يكن ولن يكون أبدا الرجل الذى يبيع وطنه » ، وفى ٧ مارس ١٩٤٦ وقف الجنرال جياب ليدافع عن الاتفاقية فى اجتماع شعبى عقد خارج مسرح بلدية هانوى قائلا « لقد وافقنا على عودة القوات الفرنسية ، لانهم كان بامكانهم ان يعودوا دون حاجة الى موافقتنا » .

كذلك تتضح مرونة هوشى منه المناورة ، فى القرار الذى أصدره « بحل » الحزب الشيوعى فى

الهند الصينية فى نوفمبر ١٩٤٥ لتفادى ضربات إعضاء الحزب البرجوازى الفيتنامى ، و « دونج منه هواى » ومن يشد أزرهم من الرجعيين الصينيين الذين كانوا يخلقون المتاعب للجمهورية الديمقراطية فى شمال البلاد • على أن الحقيقة هى ان الحزب الشيوعى فى الهند الصينية **لم يحل على الاطلاق** من الناحية العلمية ، ولكنه فقط مارس نشاطه بصورة سرية •

وأحد مكونات شخصية هوشى منه الثقافية انه يجيد التحدث بالفرنسية والروسية والعديد من اللهجات الصينية ، كما يتكلم اليابانية والالمانية والبرتغالية والانجليزية ، وهوليس مقاتلافيتناميا فحسب ، وانما مقاتل عالمى ايضا ضد الاستعمار اينما كان • واذا كان فكره الواضح الجلى لا يدع مجالا للشك فى هذه الحقيقة ، فان سلوكه ونضاله ، ومحاولاته المستمرة لانشاء جبهات لفلاحى البلدان المستعمرة ، او الاشتراك فى مؤتمرات الفلاحين العالمية الخ تزيد هذه الافكار وضوحا • انه رجل عمل وكفاح وقائد جماهيرى ، وفكره دائما منصب على ما يخدم العمل •

وقد عبر « هوشى منه » فى كتاباته المبكرة عن ضرورة ارتباط الاحزاب الشيوعية الاوربية ارتباطا وثيقا بقضية الكفاح من أجل تحرير المستعمرات التابعة لبلادهم ، واعتبر أى تباطؤ فى انجاز هذه المهمة بمثابة تنكر للخط الماركسى ــ اللينينى فى الثورة • واستنكر هوشى منه منذ مطلع شبابه اضطهاد الزنوج فى الولايات المتحدة الامريكية • وكتب يقول فى صحيفة لاكور سبوندانس **انترناسيونال** « ان السود هم **اكثر شعوب العالم** تعرضا للاضطهاد والاستغلال » •

ومما هو جدير بالذكر ان هوشى منه قد حدد فى كتابه « الطريق الثورى » الذى كتبه سنة ١٩٢٦ ، حدد للثورة الفيتنامية طريقا امتزجت فيه الماركسية بالواقع الفيتنامى • وابرز فى هذا الكتاب ثلاث حقائق بالغة الاهمية :

● **ان الثورة من صنع جماهير العمال والفلاحين وليست من صنع قلة ، ومن هنا تنبع ضرورة تنظيم الجماهير •**

● **يجب أن يقود الثورة حزب ماركسى لينينى •**

● **يجب أن تتحد الثورة فى فيتنام مع البروليتاريا العالمية •**

وهناك سؤال يطرح فى الحقيقة هو : ما الذى دفع بهوشى منه الى الذهاب الى الغرب الاوربى ، ولم يدفعه بدلا من ذلك الى مسايرة الفيتناميين الاخرين من انصار « الاتجاه الى الشرق » والذهاب الى اليابان أو الصين ؟ الحقيقة ان ما كان يشده الى أوربا هو « ايديولوجية الحرية ، وسيادة الشعب ، والديمقراطية ، والعلم والتكنيك » • وكانت وجهة نظر هوشى منه أن قتال المستعمرين الفرنسيين بمساعدة العسكريين اليابانيين ، معناه « طرد النمر ، للوقوع فى مخالب الذئب » وان مشايعة « **ليانج كاى تسياو** » ، نصير مثل هذه الاتجاهات معناه اتباع الطريق الاصلاحى لا الثورى » (٥) •

والحقيقة ان الاسفار التى قام بها هوشى منه فى وقت مبكر فى كثير من بلاد العالم قد اتاحت له مزيدا من الوضوح الفكرى ، وبخاصة بالنسبة لقضية المستغلين والطبقات المقهورة ففى جولته حول العالم ، فى فرنسا وانجلترا والمانيا ، وامريكا وايطاليا ، وفى العديد من المستعمرات الفرنسية فى افريقيا وفى كل البلدان الرأسمالية شاهد دوما منظرا واحدا : حفنة من البورجوازيين تعيش فى ترف فاخر ودعة ، باستغلال العمال والجماهير الكادحة بينما تعانى الاغلبية الكبرى من العمال من البؤس والعمل الشاق • أما الشعوب المقهورة فى المستعمرات فكان أهلها يعتبرون كحيوانات من الامبرياليين القساة المتوحشين الوقحين » (٦) •

موقع فكر هوشى منه

بالنسبة للزعامات الفيتنامية

والحقيقة أن « **هوشى منه** » كان أول من وضع فى فيتنام خطا ثوريا سليما وأسس فيها حزبا سياسيا قويا لتطبيقه • فأحدا ممن سبقوه مثل « **ترونج كونج دينه** » ، « **وتونج دى تان** » ، و « **فان بوا شو** » و « **فان شو ترينه** » لم يبدأ بتحليل الوضع القومى والدولى لتحديد الاهداف والمهام الخاصة بالثورة الفيتنامية ، ولم ير بوضوح من هم أعدائه ، وأين تكمن قواته الحقيقية ، وأى الطبقات ينبغى أن تقود الثورة • وفيما يتعلق بالعدو كان هؤلاء الزعماء السابقين يحللون الوضع على النحو التالى : لقد غزا الفرنسيون بلادنا ، ولهذا فضد « الفرنسيين » ينبغى ان نقاتل • ولم يميزوا بين المستعمرين الفرنسيين من جانب ، والطبقة العاملة الفرنسية والشعب العامل فى فرنسا من

---

(٥) من كتاب ترونج شينه الصادر فى هانوى ١٩٦٦ •

(٦) نفس المصدر •

(٧) ترونج شينه فى كتابه « الرئيس هوشى منه القائد المبجل للشعب الفيتنامى الصادر بالفرنسية » بالفرنسية بعنوان « الرئيس هوشى منه » •

جانب آخر « الذين هم » تبعا لفكر هوشي منه وخطه « رفاقنا في الكفاح وأن عدوهم الاستعمار هو نفسه عدونا » . أما فيما يتعلق بالعدو الداخلي ، فكانوا يدعون الى الاطاحة بالخونة وجلادي الشعب وهو أمر عادل ـ لكنهم لم يدركوا بالضبط الى أي طبقات ينتمي هؤلاء الخونة والجلادين ، ولم يفسروا أيضا موقفهم الرجعي .

فأنصار حركة مناصرة الملكية **(كان فوونج)** صمموا على طرد المستعمرين الفرنسيين دون أن يمسوا في نفس الوقت النظام الاقطاعي . واذا كانوا قد دفعوا بالفلاحين الى حرب العصابات ضد المستعمرين الفرنسيين ، الا انهم لم يتبعوا اي سياسة تهدف الى الغاء الملكية الاقطاعية للاراضي ، وتوزيعها على الفلاحين الذين يعملون بها .

وبعض الزعماء الاخرين الذين سبقوا هوشي منه مثل « **هوانج هوا ثام** » و « **نجوين ثيين ثوات** » ، و « **فان بوا تشو** » ، كانوا مؤيدين هم أيضا لطرد المستعمرين الفرنسيين لكنهم لم يضعوا في حسابهم بوضوح أن أعداء الثورة الفيتنامية هم الاستعماريون والامبرياليون الفرنسيون ؛ وفي داخل البلاد طبقة الملاك العقاريين الاقطاعيين التي هي أداتهم في القمع والاستغلال . ولم يفهموا مثلما أدرك هوشي منه أن أهداف الثورة ينبغي أن تكون كسب الاستقلال القومي ، وانشاء جمهورية ديمقراطية ، تكون السيادة فيها للشعب الذي يتمتع بأوسع الحريات الديموقراطية . وكانوا يعلنون بشكل غامض ان الثورة تستهدف تحرير مواطنينا من العذاب والبؤس واشاعة الرفاهية في الامة ، ولكنهم كانوا يجهلون ، انه لتحقيق هذا الهدف ، ينبغي أولا توزيع الارض على الفلاحين وتصنيع البلاد .

أما الحزب القومي الفيتنامي وعلى رأسه « **نجوين ثاي هوك** » ، والذي تبنى تراث « **صن يات صن** » الزعيم الوطني الصيني ، فكان يفتقر الى برنامج محدد لتحقيق الاستقلال القومي والحريات الديموقراطية وسعادة الشعب في ظروف فيتنام المحددة .

ان الخطأ المشترك في فكر كافة الزعماء الفيتناميين الذين سبقوا هوشي منه ، هو أنهم **قللوا من تقدير دور الفلاحين في الثورة** ، حتى حين كانوا يعتمدون عليهم ، ولم يستطيعوا أن يضعوا في حسابهم أن المسألة القومية في فيتنام هي أساسا مسألة فلاحية ، وأن المشكلة الزراعية هي المحتوى الرئيسي لمشكلة الديموقراطية . وبعضهم مثل « **فان دينه فونج** » اتخذ موقفا يعبر عن مصالح صغار الاقطاعيين ، والاخرين مثل « **هوانج هوا ثام** » اتخذ موقفا فلاحيا ، أو بورجوازيا صغيرا ، أما أمثال « **نجوين ثاي هوك** » فعبروا عن موقف البورجوازية الوطنية . ولم يتوصل هؤلاء الزعماء الى حقيقة أن **الدور القيادي في الثورة ينبغي أن تلعبه الطبقة العاملة** ، ولم يروا أهمية التحالف العمالي ـ الفلاحي .

والحقيقة أن هؤلاء عاشوا في فترة لم تكن الصناعة قد وجدت بعد فيها ، في فيتنام ، ولم تكن الطبقة العاملة بالتالي قد نشأت ، والنشاط الثوري **لنجوين ثاي هوك** وحده هو الذي قام في فترة بدأت فيها الصناعة تنهض في فيتنام ، وأصبحت الطبقة العاملة الفتية فيها قوة ثورية هامة .

أما « **هوشي منه** » فكان على العكس من هؤلاء ، لانه تبنى موقف الطبقة العاملة في دراسته لمسألة الثورة في فيتنام . وباستخدام بوصلة الماركسية اللينينية ، حدد الاهداف والمحتوى والطابع الطبقي للثورة الفيتنامية . وكانت ثورة أكتوبر الروسية ، وأبحاث لينين حول « المسألة القومية ومسألة المستعمرات » مشعلا ينير له الطريق . وبتطبيقه الماركسية اللينينية على الوضع المحدد لفيتنام ، أدرك في وقت مبكر جدا « أن الثورة الفيتنامية هي ثورة ديموقراطية بورجوائية من نوع جديد تهدف الى طرد الامبرياليين ، والاطاحة بالاقطاعيين ، وتاسيس جمهورية ديموقراطية وتحقيق الاستقلال القومي ، وتوزيع الارض على الفلاحين » ، « وأن هذه الثورة الديموقراطية البورجوازية ينبغي أن تؤدي في تطورها الى ثورة اشتراكية ، لاقامة الاشتراكية في فيتنام » .

لقد أدرك هوشي منه وهذه احدى النقاط الاساسية في تفكيره ، ان الثورة الفيتنامية لايمكن أن تنتصر الا بالاتحاد الجماهيري الوثيق ، وبخاصة الجماهير الفلاحية والعمالية ، تحت قيادة الطبقة العاملة ، وعلى أساس تحالف العمال والفلاحين . وأدرك كذلك أن الثورة الفيتنامية جزء لا يتجزأ من الثورة العالمية ضد الامبريالية وأنه من أول الالتزامات الواجبة عليها ، مساندة الاتحاد السوفيتي أول دولة بروليتارية في العالم . ودعا هوشي منه الى الوحدة الوثيقة بين الطبقة العاملة وشعب فيتنام ، وبين البروليتاريا الفرنسية والشعب الفرنسي ، وشعوب المستعمرات الفرنسية بهدف الكفاح ضد العدو المشترك وهو الامبريالية الفرنسية .

وفي الحقيقة فان مفهومه عن الثورة في فيتنام وفي المستعمرات لم يتشكل دفعة واحدة . وانما اكتمل هذا المفهوم تدريجيا في غمار الكفاح الثوري ، ونظرة الى الوراء توضح لنا أن فكره قد عرف بخصوص هذه المسألة تطورا مستمرا اكتسب فيه على الدوام غنى أكثر وعمقا ووضوحا أشد .

ان كل الزعماء الذين سبقوا هوشي منه ، اعتقدوا أن الدور القيادي في الثورة يمكن أن يضطلع به الابطال ، والرجال الذين يتسمون

بالمواهب الكبرى والمعرفة العظيمة ، وأن على هؤلاء الابطال والزعماء أن يعطوا الاشارة ، فتقوم جماهير الشعب وتنفذ ارادتهم • أما هوشى منه فكان على عكسهم ، اذ كان مقتنعا أن الثورة من عمل الجماهير الواسعة ، وفي المحل الاول من عمل الطبقات الفقيرة ، التى تتعرض لاقسى أنواع الاستغلال والقمع ، من عمل العمال والفلاحين • وأن الدور القيادى في الثورة لا يضطلع به مجرد الرجال الموهوبين الذين يرتفعون فوق صراع الطبقات ، وانما تضطلع به الطبقة العاملة الاكثر تعرضا للاستغلال ، التى لا تملك سوى قوة عملها الذى تبيعه ، والتى وان كانت ضعيفة عدديا الا أن روحا ثورية عظيمة تحركها ، وتكمن فيها وهى تمثل القوى المنتجة الطليعية للمجتمع الفيتنامى • لقد وضع التاريخ على عاتق الطبقة العاملة الفيتنامية، تلك المهمة المقدسة ، مهمة تحرير الامة بأسرها من نير الامبريالية والاقطاعية ، ومن كل قمع واستغلال ، فى الوقت الذى تحرر فيه نفسها كذلك • على أن هذا المفهوم لدى هوشى منه لا ينطوى قط على التقليل من دور الرجال العظام فى دفع حركة التاريخ ، وهذا ينبغى أن يذكر فى الحقيقة تدليلا على حيوية تفكير هذا الزعيم الاسيوى الكبير •

وخط الثورة الاشتراكية فى فيتنام الذى وضعه الحزب وهوشى منه ، هو خط التحول الاشتراكى فى بلد زراعى متخلف يتجه مباشرة الى الاشتراكية دون المرور بمرحلة التطور الرأسمالى • وفى اطار معين ، نفذ هذا الخط مع وضع التقسيم المؤقت لفيتنام الى قسمين فى الاعتبار •

اخطاء المناهج الفردية المغامرة

وباختصار فان الخط الثورى للحزب والرئيس « هو » خط جذرى يستند الى النظرية الماركسية اللينينية عن « الثورة التى لا تتوقف » • فالثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية ينبغى أن تحقق الاستقلال التام للامة) الاستقلال السياسى والاقتصادى والثقافى) ، وينبغى فى نفس الوقت أن توزع الارض على الفلاحين بواسطة اصلاح زراعى أصيل ، وأن تمنح الشعب حريات ديموقراطية حقيقية ، وينبغى أن تنمو وتتحول الى ثورة اشتراكية ، وان تلغى بواسطة التحول الاشتراكى وبناء الاشتراكية ، استغلال الانسان للانسان ، وأن تمنح الشعب الحرية والسعادة ، وللامة الرخاء •

ان كثيرين من بين الزعماء الذين سبقوا هوشى منه اعتقدوا انه للاطاحة بالاستعمار والاقطاع ، تكفى ابادة بعض الاداريين الاستعماريين والقادة العسكريين وبعض الموظفين المجرمين بالسلاح أو بالسم أو باثارة التمرد بين العسكريين الفيتناميين [الجيش العميل] ، وجعله يوجه السلاح ضد العدو ، وأنه يمكن على هذا النحو تحقيق انتصار الثورة وكسب الاستقلال القومى • هذه الطريقة فى التفكير كانت شائعة فى الاوساط الثورية الفيتنامية ، منذ حركة هوانج هوا ثام ، وحركة « الذهاب الى الشرق » ، وحركة التعليم الوطنى فى تونكين حتى فترة الحزب القومى الفيتنامى • ولكن محاولة تسميم حامية هانوى [سنة ١٩٠٨] ، والقنابل التى القيت فى فندق متروبول بالعاصمة (سنة ١٩١٣) ، واغتيال « نجوين دوى هان » حاكم مقاطعة تاى بينه (سنة ١٩١٣) ، والقنبلة التى ألقيت على الحاكم العام للهند الصينية فى كانتون (سنة ١٩٢٤) ، واغتيال «بازان» بسبب قوانين الكحول (سنة ١٩٢٩) ، وعصيان ثين جوين (سنة ١٩١٧) وييتبى (١٩٣٠) ودولونج (سنة ١٩٤٠) جميعها لم تحقق النتائج المرجوة •

وكان هوشى منه أول قائد للثورة الفيتنامية يدرك أخطاء هذه المناهج ، الاغتيالات المعزولة ، وأعمال العصيان • وكان مقتنعا أنه لتحقيق انتصار الثورة ، ينبغى القيام بعمل مثابر دائب ، والدعاية بين الجماهير لرفع وعيها السياسى ، وتنظيمها ، وجذبها الى الكفاح من أجل المطالب اليومية • وأنه من خلال الكفاح سوف تدرك الجماهير سر بؤسها ، ومن هم أصدقائها ومن هم أعدائها ، وسوف يجعلها ذلك تضع فى اعتبارها أن الوسيلة لانهاء بؤسها ، تبدأ من الكفاح اليومى حتى العصيان المسلح بهدف الاطاحة بالنظام الاستعمارى وشبه الاقطاعى ، والاستيلاء على السلطة • والكفاح اليومى فى رأى هوشى منه يؤجج كراهية الجماهير للعدو ، ويكسبها الخبرة الثورية ، ويخلصها من كافة الاوهام ، ويدعم ثقتها فى قواها الخاصة وفى خط وسياسة حزب الطليعة •

وبالنسبة للثورة الفيتنامية ، كانت مناهج الدعاية والتنظيم والكفاح التى دعا اليها هوشى منه هى الوحيدة السليمة ، لانها مناهج الماركسية اللينينية والطبقة العاملة الثورية ، فى حين أن أغلب الزعماء الذين سبقوه قد طبقوا مناهج مغامرة تقوم على البطولة الفردية ، التى تلائم الطبقات غير البروليتارية •

والفكرة الاساسية التى لم يكف هوشى منه عن تذكير الثوار الفيتناميين بها هى أن فى الاتحاد قوة • وأنه لقيادة الثورة حتى النصر فى بلد كفيتنام ، الطبقة العاملة ضعيفة فيه عدديا ، فان حزبها ينبغى عليه أن يؤسس « أوسع جبهة قومية متحدة » وأن يحقق « الوحدة الكبرى » ، وأن يتحد مع كل الذين يمكنهم الاتحاد مع الثورة ، وأنه كلما

قلّ عدد الاعداء كلما كان ذلك أفضل . وأن مهمة هذه « الوحدة الكبرى » هى « زيادة عدد الاصدقاء وتقليل عدد الاعداء » ، وعزل الامبرياليين وعملائهم الى أقصى درجة ليتيسر دحرهم .

وقد اتسمت سياسة هوشى منه فيما يتعلق بتشكيل الجبهة القومية المتحدة ، بمرونة كبيرة كما سبق واشرنا عامة . فقبل ثورة اغسطس كون « هو » جبهة « الفيت مينه » . وبعدها ونظرا لضرورة مد اليد لكافة الاحزاب والمجموعات السياسية مثل « الفيت كوك » (وهى الحزب القومى الفيتنامى) ، و« الفيت كاش » (وهى رابطة الثوريين الفيتناميين) ، وكافة الشخصيات الديموقراطية والوطنية البارزة التى انضمت الى الجبهة الوطنية ، اقام هوشى منه الـ « لبين فييت » التى احتوت جبهة « فيت مينه » بداخلها ، وتبنت برنامجا أكثر اتساعا . وأثناء المقاومة عندما أصبح الحزب رسميا ، وحد هوشى منه «الفيت مينه » والـ « لبين فيت » فى جبهة واحدة هى « جبهة لبين فييت » . وبعد عودة السلام ، ولبروز موقف ومهام جديدة تستلزم حلفاء جددا ، قررت لجنة الحزب المركزية والرئيس هوشى منه اصلاح جبهة لبين فيت ، فأصبحت « جبهة الوطن الفيتنامى » واقترح على هذه الجبهة اعداد برنامج جديد .

ماذا عن السلطة الشعبية والحزب ؟

وفيما يتعلق بتوطيد « السلطة الشعبية » أوضح هوشى منه أن السلطة ينبغى أن تكون حقيقة فى يد الشعب ،وأن ينتخبها الشعب ومن أجل الشعب. وأن توضع السلطة الشعبية تحت قيادة الطبقة العاملة ، ولكن ينبغى على أجهزة السلطة فى تشكيلها أن تتسم بطابع جبهوى واسع ، وأن تمثل كافة فئات السكان . كذلك فبما أن العمال والفلاحين يشكلون الاغلبية الساحقة من الشعب ، فانهم ينبغى أن يمثلوا بنسب تتناسب مع حجمهم فى أجهزة السلطة ، وبخاصة فى الجمعية الوطنية والمجالس الشعبية (٧) وعلى مختلف المستويات. وأن يكون التحالف بين العمال والفلاحين قاعدة الجبهة الوطنية المتحدة وأساس السلطة الديموقراطية الشعبية ، كذلك فالوصول الى السلطة متاح أيضا لممثلى الطبقات الاخرى (البورجوازية الصغيرة ، والبورجوازية الوطنية) وعدد معين من الشخصيات الديموقراطية والوطنيين البارزين . ولكن السلطة فى الكوميونات ينبغى أن تكون قاصرة على الفلاحين (وأثناء الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية ، يمكن للفلاحين الاغنياء أن يكون لهم ممثليهم فى المجلس الشعبى ولكن ليس فى اللجنة الادارية للكوميونة) . ويرى هوشى منه أنه حتى قبل تطبيق الاصلاح الزراعى ،لاينبغى قبول الملاك العقاريين (ملاك الاراضى) فى أجهزة السلطة على مستوى الكوميونة ، فهو يرى بالتجربة أن وجود ملاك الاراضى يعرقل بشكل حتمى السياسة الزراعية ، وأى سياسة أخرى للحزب والدولة . وأثناء المقاومة تدعمت كافة الاجهزة القابضة على السلطة فى الكوميونات فى مجموعها ، بفضل تعبئة الجماهير للاصلاح الزراعى ، وأبعد الملاك من اللجان الادارية ولجان الكوميونات الشعبية ، وكان ثلثا أعضاء اللجان الادارية من الفلاحين الفقراء والذين لا يملكون أرضا ، والباقين من الفلاحين المتوسطين (٨) .

وفيما يتعلق بالحزب ، يقوم رأى هوشى منه على أساس أن حزب الطبقة العاملة ، الحزب الماركسى اللينينى هو صانع كافة انتصارات الثورة . وأن الحزب بخطه وسياسته الصائبة وعناصره النقية وتنظيمه الصلب ، وكوادره وأعضائه ذوى الوعى السياسى العميق ، والايديولوجية السليمة ، هو منشأ كافة انجازات الطبقة العاملة والشعب الفيتنامى . وأن الحزب هو العامل الاساسى فى انتصار الثورة . وقد أوضح ترونج شينه فى كتابه « أن التجربة قد علمتنا أنه بدون الحزب ماكان يمكن خلق الجبهة الوطنية المتحدة ، والجيش الثورى ، وسلطة الديموقراطية الشعبية » (٩) .

وفى مجال السياسة الخارجية يقر هوشى منه بالمبادىء الخمسة التى يقوم عليها التعايش السلمى ويعتبرها أساسا لقيام علاقات ودية مع البلاد المجاورة ، والبلاد الاخرى ، بهدف المساهمة فى الحفاظ على السلام فى الهند الصينية ، وجنوب شرق آسيا والعالم .

وبالنسبة لفكر هوشى منه عامة أوضح ترونج شينه أحد القادة الكبار فى فيتنام حاليا فى كتابه عن هوشى منه (١٠) : « ان المساهمة التى قدمها الرفيق « ماوتسى تونج » فيما يتعلق بنظرية الثورة فى المستعمرات وأشباه المستعمرات قد ساعدت حزبنا كثيرا ، والرئيس « هوشى منه » على وضع الخط والسياسة الثورية لبلادنا » .

---

(٨) نفس المرجع السابق ص ٥٤ .
(٩) نفس المرجع السابق ص ٥٨ .
(١٠) ص ٦٢ .

فيتنام ..
رجل واحد

القسم الثالث

قصة الف عام من الصراع ضد الاحتلال . كيف تشكلت الجبهة الوطنية ونجحت في تجميع اوسع قطاعات من الشعب الفيتنامي في الكفاح المسلح من كتائب الدعاية المسلحة ، الى جيش التحرير الشعبي

هذا هو الرجل ، وهذه هي افكاره ، فماذا عن الوطن ، الارض التى نبت فيها هوشى منه واستلهم منها هذا التراث الثورى المجيد ؟ .

لقد ظلت فيتنام على الدوام محطا لاطماع الغزاة ، فالموقع الاستراتيجى الهام ، والموارد والسوق والقوى البشرية كلها جعلت من فيتنام محطا لمطامع المستعمرين . الف عام كاملة عاشتها فيتنام تحت نير الاقطاع الصينى ، ورغم ذلك استطاعت الروح الوطنية والتراث الفكرى الفيتنامى ، الصمود والاستمرار . ومن خلال المقاومة المستمرة للاقطاع الصينى انصهرت الروح الوطنية الفيتنامية فى بوتقة الصمود الصلب ، وتكون الفلاح الفيتنامى الذى ظل يحارب ويحارب من اجل استقلال وطنه طوال الفى عام . وذهب الصينيون ، وبعد فترة من الازدهار المستقل جاء الفرنسيون ، ثم اليابانيون . ثم الفرنسيون مرة أخرى .. وأخيرا تأتى أمريكا .

وهكذا فعندما وجه « **هوشى منه** » صيحة النضال القومى المسلح ضد الغزو الفرنسى فى ١٩٤٦ كان نداؤه : « **أيها المواطنون هبوا للنضال هبوا لمقاومة المستعمرين ، حاربوهم بالبنادق بالسيوف بالفئوس بالعصى . ليتقدم كل فرد منكم لينقذ الوطن ، لنضحى بآخر قطرة من دمائنا فداء للوطن** » .

وعندما وجه «هوشى منه» هذا النداء كان يردد أصداء نداء قديم خطته يد الثوار القدامى الذين قاوموا الاحتلال الفرنسى فى بدايته عام ١٨٦٢ :

« **اننا وقد فقدنا استقلالنا نشبه طفلا فقد أباه وامه ، ان بلادكم أيها الفرنسيون تطل على البحار الغربية أما بلادنا فتطل على البحار الشرقية . اننا نختلف عنكم فى كل شىء كما يختلف الحصان عن البقرة لسوف نحاربكم واذا لم نجد سلاحا سنحاربكم بفروع الاشجار ..** » .

ان هذين الصوتين : صوت الثائر الفيتنامى القديم الذى قاوم المحتلين الفرنسيين عند قدومهم ، وصوت هوشى منه الذى طرد الفرنسيين من أرض الوطن ، ليسا فى الحقيقة سوى صوت الفلاح الفيتنامى الذى ظل شاهرا سلاحه على الدوام من أجل الوطن .

الاسم الذى حاولو طمسه يدوى فى كل أنحاء العالم

والحقيقة ان الاستعمار الفرنسى لفيتنام قد استهدف تدمير الشخصية الفيتنامية وطمس معالمها لقد اختفى اسم « فيتنام » تماما ولم يعد يسمح باستعماله . وقسمت أراضى المنطقة الى ثلاثة أقسام « شوشين الصينية » و «آنام» و «تونكين» . وكل من تضبط معه اوراق أو خرائط مكتوب عليها كلمة «فيتنام» يحكم عليه بالسجن . وفى المدارس كانت الفرنسية هى اللغة الرسمية والانجليزية هى اللغة الاجنبية الاولى ، أما الفيتنامية فهى مجرد لغة أجنبية ثانية . وكانت

مناهج التعليم تتضمن تأكيدات بأن سكان هذه المنطقة هم أحفاد « الغال » أى أنهم ينحدرون من سلالة فرنسية ٠

وفى ١٩٤٥ وعندما بدأت تتردد فى الصحف الفرنسية اخبار الثورة فى بلد اسمه « فيتنام » لم يكن الناس يعلمون انها هى تلك المناطق التى تستعمرها فرنسا منذ ٨٠ عاما فى الهند الصينية. كان الاستعمار الفرنسى قد رسم خطة لانهاء الكيان القومى الفيتنامى ، وحاول ان يطبق هناك خطة تشبه خطته فى الجزائر ٠ لكن الصورة فى فيتنام كانت اكثر بشاعة ٠ ذلك ان خطة تدمير الشخصية الفيتنامية قد سارت هناك الى أشواط غاية فى الهمجية ، فقد رسم الفرنسيون خطة لحث الفلاح الفيتنامى على أدمان الافيون لعلها تكون وسيلة لتدمير كفاحه ، وعندما وصل المستعمرون الفرنسيون ، كانت فيتنام لا تعرف الافيون فنشروا زراعته واحتكرت سلطات الاحتلال تجارته ٠

وفى ١٩٤٢ اصدر مكتب الحاكم الفرنسى فى « تونكين » تعليمات رسمية ، ان واجب موظفى المقاطعات يمكن تلخيصه فيما يلى :

- تشجيع زراعة الافيون
- مراقبة المحصول وحصر المساحات المنزرعة بالدقة
- محاربة أية تجارة غير قانونية ٠

فالتجارة القانونية كانت قاصرة على احتكار حكومى ٠ وهكذا ، وحتى طرد الفرنسيون من فيتنام ، كانت فيتنام هى البلد الوحيد فى العالم الذى يباع فيه الافيون فى أكشاك حكومية منتشرة فى كل مكان مثل اكشاك بيع السجائر ٠ وتسهيلا للمدمنين وتشجيعا لهم ، أقامت الحكومة صالات خاصة لتدخينه ، سميت رسميا باسم « صالات المزاج » وفوق صالات المزاج ، كان العلم الفرنسى يرفرف مضفيا صبغة رسمية على المكان ، وهكذا زاد استهلاك الافيون فى فيتنام حتى بلغ فى عام ١٩٤٠ حوالى ٨٢ طنا ٠

ولم يكن الافيون وحده ٠ فالخمور كانت هى ايضا احتكارا حكوميا ، لكن الغريب فى الامر ان سلطات الاحتلال أصدرت قرارا بأنه يتعين على كل فرد ان يشترى ٧ لترات من الخمر شهريا ٠

وفى ٨ / ٩ / ١٩٣٤ ، نشرت صحيفة « اورواند وتنشساينا » القرار الرسمى التالى : « ابتداء من اليوم تقرر مايلى : يتعين على كل فرد من السكان ان يشترى سبعة لترات من الخمر شهريا وكل قرية لن تستهلك الكمية المحددة لها سوف تعتبر مشتركة فى عمليات التهريب ، وسوف يعاقب أعيانها ٠

وتورد الكمية المخصصة لكل قرية بواقع سبعة لترات لكل فرد شهريا ، ويسدد الثمن سواء بيعت هذه الكمية أم لا ٠ »

رأسمالية سرية

ولقد قاوم الفرنسيون أية محاولة للتصنيع او أية بادرة للنشاط من جانب البرجوازية الفيتنامية اذ أراد المحتلون الفرنسيون ان يكفوا أنفسهم مؤنة التمرد المحتمل للبرجوازية المحلية ، عندما تنشط ٠ فقرروا كبتها منذ البداية راغبين فى أن تبقى فيتنام دوما مجرد سوق للصناعة الفرنسية ، وهكذا شهدت فيتنام نوعا غريبا من النشاط الرأسمالى السّرى.

ففى سرية تامة بدأت عملية تجميع بعض رؤوس الاموال الفيتنامية تحت شعار « اعادة المدنية للبلاد ٠ ٠ انهاض الروح الوطنية ٠ وضمان ربح وفير ٠ »

واكتشف البوليس الفرنسى « المؤامرة » واحيل منظموها الى المحاكمة ٠

ومن هنا ظلت البرجوازية الفيتنامية ضعيفة ، بل وغاية فى الضعف ، وعندما حققت فيتنام الشمالية استقلالها ، اعلن فى احصاء رسمى « ان كل رأس المال الصناعى الذى يمتلكه الرأسماليون الفيتناميون الشماليون ، لا يكفى الا لبناء ثلاثة مصانع نسيج متوسطة الحجم » ٠

والحقيقة أنه لا يمكن فهم حقيقة اوضاع الثورة الفيتنامية بغير استعراض مسبق لهذه الخطة الاستعمارية الفرنسية ٠ فقد حاول الفرنسيون بخطتهم هذه طمس معالم القومية الفيتنامية لكن النتيجة كانت عكسية :

- انهم يطمسون اسم فيتنام ، فعلى كل فيتنامى ان يقاومهم

● هم ينشرون الافيون والخمور وينتهكون كل القيم ، فاحتشد لمقاومتهم كل الوطنيين ورجال الدين والمصلحين الاجتماعيين ٠

● لقد اضعفوا البرجوازية وحرموها من أية امكانيةللتطور الاقتصادى فحرموها من أية امكانية للنهوض اجتماعيا او سياسيا . وهكذا اخلى المسرح للبروليتاريا وحزبهـا كى يتقدم لقيـادة الحركة الوطنية ٠

وارتفع شعار « **فيتنام ٠٠ رجل واحد** » ٠

وكان حتما ان يرتفع هذا الشعار ، فما من أحد يستطيع ان يقف مع الفرنسيين . وكان حتما أن تتولى البروليتاريا قيادة الثورة الوطنية وان تتولى توحيد الامة من أجل الاستقلال والاشتراكيه معا ٠

والحقيقة ان « **حزب العمل الفيتنامى** » قد تمكن تحت قيادة « **هوشى منه** » من ارساء سياسة بناء أوسع جبهة وطنية ممكنة ٠ وهى جبهة تضم العمال والفلاحين والموظفين (وحتى كبار الموظفين الذين خدموا الاحتلال) والبرجوازية وفئة من كبار الملاك الذين يقاومون الاحتلال ٠

ولم تكن سياسة الجبهة الواسعة سياسة تكتيكية ، بل لقد ظلت على الدوام هدفا استراتيجيا للثورة الفيتنامية ٠ فحتى عندما حققت الثورة انتصارها الباهر على اليابانيين فى ١٩٤٥ وتأسست أول حكومة لجمهورية فيتنام الديمقراطية ، برئاسة هوشى منه استمر تطبيق هذه السياسة على أوسع نطاق ٠

والامبراطور .. أيضـا

وفى احتفال ضخم وقف الامبراطور «**باوداى**» الذى باع نفسه لاكثر من سيد ، للفرنسيين ثم لليابانيين ثم للفرنسيين مرة أخرى وقف ليسلم مندوب الجمهورية الديمقراطية « الخاتم الذهبى والسيف الذهبى المرصع بالياقوت شعارى الحكم الامبراطورى » وخطب « **باوداى** » فى الجموع قائلا « ان على كل الاحزاب والجماعات والطبقات فى مجتمعنا بما فيهم الاسرة المالكة أن توحد جهودها وأن تؤيد بلا تحفظ الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية » ٠ وصدر قرار بتعيين الامبراطور السابق« **باوداى** » مستشارا سياسيا للرئيس هوشى منه ٠

كان الفرنسيون يستعدون للهجوم لاعادة احتلال فيتنام ٠ وكان باوداى يستعد للخيانة من جديد ، وما أسهل أن يتم التخلص منه ، لكن سياسة الوحدة الشاملة كانت تفرض نفسها .

واذا كان اسلوب الاحتلال الفرنسى لفيتنام قد أسهم موضوعيا فى تحديد الملامح الاساسية للثورة الفيتنامية : « الوحدة الوطنية الشاملة تحت قيادة البروليتاريا » ، فان التراث التاريخى لفيتنام قد حدد الاسلوب الاساسى للنضال وهو « الثورة الشعبية المسلحة ». فالفلاح الفيتنامى يتمرد دائما حاملا سلاحه والعنف الرجعى والاستعمارى يقابله دوما العنف الثورى ، والثورات والهبات المسلحة فى فيتنام اكثر من ان تحصى ٠ ان الثورة المسلحة تقليد فيتنامى ، لكن الثوار الجدد اضافوا اليه جهدا عبقريا سيبقى على الدوام مدرسة كاملة فى فن الحرب الشعبية المسلحة ٠

لقد عانت فيتنام طويلا من سياسة الاستعمار فى استمالة الاقليات القومية ، وفى بث روح التفرقة بين القوميات المختلفة . وفى المجتمع الفيتنامى مجموعات كبيرة من الاقليات ظلت الخلافات بينها مقبرة لاية حركة ثورية ٠ ولهذا بدأت حركة « **فييتمنه** » (منظمة استقلال فيتنام) وهى جبهة وطنية عامة نشاطها ضد الاحتلال اليابانى ببرنامج يعلن المساواة التامة بين القوميات .

لكن الشعارات بحاجة الى شرح والى تطبيق يومى والى ممارسة ثورية ٠ ومن هنا تطورت فكرة الهبة الثورية المسلحة الى فكرة جديدة .

فرق الدعاية المسـلحة

فالمشتركون فى الهبة الثورية ليسوا مجرد ثائرين يحملون السلاح ، لكنهم كوادر يبشرون بالوحدة الوطنية وبالمساواة بين القوميات ، يحتلون القرى ويقيمون أنظمة شعبية ويضعون على الفور شعار المساواة بين القوميات موضع التطبيق ٠ وهكذا امتزج النشاط السياسى الدعائى بالنضال المسلح ٠ انها احدى اللمحات العبقرية « **لهوشى منه** » الذى أصدر بنفسه قرار تأسيس « فرق الدعاية المسلحة » فى اكتوبر ١٩٤٤ .

وفى ٢٢ ديسمبر ١٩٤٤ ، وفى ادغال « فييت باك » ، اصطف ٣٤ رجلا ليؤدوا يمين الولاء للثورة ، ولينقسموا على العمل للاطاحة بحكم فيشى ـ اليابان .

وتقدم قائد الطابور ٠٠ شاب نحيل ، حافى القدمين ، ليقدم تقريرا عن معدات فرقته ٣٤ بندقية ـ ٦ قنابل حارقة ـ لغم واحد ـ و ٥٠٠٠ فرنك فرنسى ٠

أما الرجال فهم « الفرقة الاولى للدعاية المسلحة » ، وأما الرجل فهو « جياب » .

لقد استسلم المستعمرون الفرنسيون لليابانيين مرتين ، وكان على « فرق الدعاية المسلحة » التي اصبحت «فيما بعد الجيش الشعبى الفيتنامى » ان تنفذ شعار « لنطرد الفاشيين اليابانيين والفرنسيين .. ليسقط تحالف فيشى — اليابان » .

وعود . . . ولكن

واذا كانت حكومة فيشى قد سلمت الهند الصينية لليابانيين ، فان الحكومة الفرنسية فى المنفى ، قد بذلت وعودا عديدةبتحرير المستعمرات وركزت وعودها بالذات للفيتناميين الذين استطاعت قواتهم الشعبية المسلحة ان تسحق التجمعات اليابانية . ولقد كان الوضع معقدا غاية فى التعقيد . فقد اتفق الحلفاء فى بوتسدام على انه — لكى يمكنقهر اليابانيين — تقسم الهند الصينية الى قسمين يفصلهما خط العرض ١٦ على ان تحتل القوات الصينية المنطقة الشمالية ، وبريطانيا المنطقة الجنوبية . واستند « شان كاى شيك » الى عدد من بقايا الحزب البرجوازى الذين فروا الى الصين فى الثلاثينات وارتبطوا بالكومنتانج ، وحاول أن يستخدم هؤلاء لاقامة حكومة فيتنامية موالية للصين . وكان فى هانوى ٢٠٫٠٠٠ من الفرنسيين يتآمرون هم أيضا للعودة .

والامريكيون لهم مصالحهم وممثليهم ومؤامراتهم ..

وخلال هذه الشبكة المعقدة من المصالح الامبرياليةالمتضاربة بدأت سلسلة من المؤامرات .

الامريكيون والصينيون ضد عودة الفرنسيين ، فهم يريدون الغنيمة لانفسهم ، والبريطانيون أمام ذلك لا يجدون الا فرصة التحالف مع الفرنسيين . واليابانيون كانت لاتزال لديهم بعض الفرق المسلحة فى المنطقة فحاولوا هم أيضا أن يشتركوا فى اللعبة .

لكن القوة الوحيدة التى استطاعت ان تفعل شيئا ، كانت هى الشعب الفيتنامى « والجيش الشعبى » ورجال حزب العمل بزعامة هوشى منه . فقد أسسوا حكومتهم دون أن ينتظروا اذنا من أحد ، وبدأت القوى الامبريالية المختلفة فى التصالح أمام هذا الخطر .

وانسحب الصينيون ليحل محلهم الفرنسيون .

وبرغم اعتراضات الكثيرين ، فقد قبل « هوشى منه » الدخول فى مفاوضات مع الفرنسيين . وفى ٦ مارس ١٩٤٦ عقد مع الفرنسيين اتفاقية مؤقتة ، اعترفت فيها فرنسا بالفيتنام دولة حرة ذات حكومة مستقلة وبرلمان . وكانت المساومة التى قبلها « هوشى منه » فى مقابل ذلك هي النص فى الاتفاقية على ان تعتبر فيتنام جزء من الاتحاد الفرنسى . واتفق أيضا على أن تنسحب القوات الفرنسية بالتدريج فى موعد غايته ١٩٥٢ .

وقد تعرض « هوشى منه » لكثير من الانتقادات ، لانه وافق على هذه الاتفاقية . لكنه رد على المعترضين « لماذا نضحى بـ ١٥٠٫٠٠٠ قتيل اذا كنا نستطيع الحصول على الاستقلال بالتفاوض ، حتى ولو استمرت المفاوضة خمس سنوات » .

كان « هوشى منه » يريد أن يكسب بعض الوقت ، يدعم فيه حكومته الوليدة . واستمرت المفاوضات ومحاولات الاتفاق ١٤ شهرا ، عمد الفرنسيون بعدها الى احتلال البلاد بالقوة ، ولجأ « هوشى منه » ورفاقه الى الادغال يمارسون منجديد الحرب الشعبية .

ولم تضع هذه الاشهر الاربعة عشر سدى ، فقد دعمت فيها الحكومة الديمقراطية علاقاتها بالجماهير واتخذت سلسلة من الاجراءات التى عبأت كل جماهير الشعب حولها . فقد ألغت ضريبة الرأس ، والغت احتكارات الافيون والخمور ، وخفضت ايجار الاراضى الزراعية بنسبة ٢٥ فى المائة ، ووزعت اراضى الحكومة وكبار الملاك الذين تعاونوا مع اليابانيين والفرنسيين على فقراء الفلاحين ، ونظمت حملة لمحو الامية تم خلالها تعليم مليونى مواطن ، وانخفضت ساعات العمل الى ثمانى ساعات فى اليوم .

وبدأت فيتنام تتنفس مناخا ديمقراطيا . وبدأت الجماهير تدرك معنى وجود حكومة ديمقراطية ، وخلال هذه الفترة الصغيرة ، ومن خلال التجربة العملية ادركت الجماهير ان واجبها هو الاستبسال دفاعا عن الحكومة الديمقراطية .

وخلال هذه الفترة تصاعدت اصوات عديدة تنتقد سياسة «هوشى منه» ، وتطالب بسياسة اشتراكية مباشرة وباصلاح زراعى جذرى . لكن « هوشى منه » كان يدافع عن شعار جبهة وطنية ديمقراطية واسعة ، وقال عبارته الشهيرة « ان الاصلاح الزراعى مثل الحساء الساخن يجب أن نتناوله ببطء » .

وعندما بدأت الحرب من جديد ، كان الشعب كله مع الثوار ، يعمل ، كي تعود الحكومة الديمقراطية ، واستمرت الحرب تسع سنوات ، انتهت بهزيمة ساحقة للفرنسيين في معركة « **دين بيان فو** » هزيمة ادت بهم الى الاستسلام والانسحاب ، وفي سنة ١٩٤٦ قال **ديجول** ، « سوف نعود الى فيتنام لاننا اقوى » . وقد عاد الفرنسيون بالفعل لكنهم منوا بعد تسع سنوات فقط بهزيمة لم يسبق لها مثيل .

وكما أيقظت طلقات مدافع **ستالينجراد** كثيرا من شعوب العالم والهمتها طريق الصمود ضد الفاشية ، فان طلقات ثوار « **دين بيان فو** » قد ايقظت عديدا من الشعوب المستعمرة . والهمتها درس الثورة المسلحة ومنحتها القدرة والشجاعة والامل في النصر على المستعمرين ، والحقيقة ان الفرنسيين كانوا يحاربون معركة يائسة ، فهم يدركون انهم مجرد قبضة باطشة تحمى المصالح الامريكية التى تزايدت بسرعة غريبة فى فيتنام لتفوق المصالح الفرنسية .

وخلال احتدام المعركة ، قال الرئيس الفرنسى السابق رينو « انكم ايها الامريكيون تحصلون من الهند الصينية على ٨٩ فى المائة من مطاطها الطبيعى ، ٥٢ فى المائة من احتياجاتكم من الصفيح ، وهكذا ، فمن الناحية المادية ، فاننا نحارب فى الهند الصينية من أجل مصالحكم أنتم لا من أجل مصالحنا » . وتضاعفت المصالح الامريكية ، ومن ثم أصبح على الفرنسيين أن يخرجوا ، وهكذا تركت فرنسا تجتر مرارة الهزيمة وحدها . ولقد طالب الفرنسيون حلفاءهم الامبرياليين الامريكيين بالعون ، فأرسلوا لهم ١٠٠٠ مليون دولار . لكن هذا المبلغ الضخم لم ينجح فى حماية فرنسا من الهزيمة .

وبينما كان الفرنسيون يعانون من مرارة الهزيمة ، كان الامريكيون يستعدون للدخول ليجربوا حظهم هم أيضا مع هذا الشعب الصغير العنيد .

اتفاقية جنيف

وفى ١٩٥٤ عقدت اتفاقيات جنيف ، وتنص هذه الاتفاقيات على انه بهدف الاسراع لاعادة تجميع كل طرف لقواته ، تقسم فيتنام الى قسمين يفصلهما تقريبا خط العرض ١٧.

والاراضى التى تقع شمالى هذا الخط تخضع لسلطة الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية ، والاراضى التى تقع جنوبية تخضع لسلطة « **دولة فيتنام** » .

ونص أيضا على انه يجب الا تزاد القوات المسلحة لاى من القسمين ولا يدخل أى منهما فى تحالفات عسكرية ، ولا تؤسس فى أراضيه أية قواعد عسكرية . وأن تجرى فى ٢٠ يوليو ١٩٥٦ انتخابات عامة فى كلا الجزأين بهدف اعادة تأسيس حكومة موحدة للفيتنام كلها .

ولان امريكا كانت تستعد للتدخل ، فقد رفضت التوقيع على الاتفاق ، وان كانت قد تعهدت فى اعلان منفصل بالا تستخدم القوة ، ولا تهدد باستخدامها لافشال اتفاقيات جنيف ، لكن أمريكا « تدخلت » . كانت تتصور أن الفرنسيين قد اخطأوا فى هذا الموقف أو ذاك ، وانهم لو كانوا قد اتبعوا هذا التكتيك أو ذاك لما خسروا الحرب أمام شعب صغير . واستخدم الامريكيون كل براعتهم ، وحشدوا قوات ضخمة ضد الشعب فى جنوب فيتنام . وأرسلوا ملايين الاطنان من المتفجرات ضد الشعب فى الشمال . والنتيجة التى يقتربون منها رويدا رويدا لا تختلف كثيرا عن « دين بيان فو » أخرى .

لقد كان حتما أن يلاقى الامريكيون نفس المصير ، فقد توحد الشعب الفيتنامى تحت الشعار الخالد « **فيتنام ... رجل واحد** » .

وذات يوم تساءل الكاتب الفرنسى **فيليب ديفللو** « ماذا بقى لنا فى فيتنام ؟ » واجاب : « لم يبق لنا سوى كل من لفظته جبهة فييتمنة ، وليس هناك ادنى شك فى ان هوشى منه قد استحوذ على ثقة الفيتناميين ، وان كل من له قيمة تذكر فى فيتنام قد ارتبط بهوشى منه ، يجب أن نتأكد انه بهوشى منه ورجاله ، وبهم فقط ، سوف يبنى مستقبل فيتنام . وان أى شىء خالد ، أو عظيم لن يبنى فى هذا البلد دون مشاركتهم او ضد ارادتهم » .

لقد وعى الفرنسيون الدرس ، ولكن بعد فوات الاوان .

اما الامريكيون فيبدوا انهم ايضا لن يعوه الا بعد فوات الاوان .

مختارات من أقواله

صوت هوشي منـــه

عنـدما فكرت « الطليعة » فى تقديم مختـارات من كتابات « هو شى منه » ، وجدت نفسها فى الواقع ، أمام أكثر من صعوبة . أولها أن الاختيار فى حد ذاتههو « حكم » ، يتم من خلال عمليتى الانتقاء والاستبعاد .. لكن أصعب ما يواجه قارىء هو شى منه ، هو انيقوم بعملية استبعاد لهذا النص او ذاك .. حينئذ يشعر هذا القارىء انه يظلم هذا الثورى ، والمناضل ،والمفكر ، وانه يستبعد مصابيح متوهجة ، ونجوما لامعة فى سماء الفكر الثورى ..

من هنـا حكم اختيـارنا للنصوص المقدمة ــ علىقلتها ــ الاعتبارات التالية :

ــ ان هـذه النصوص يجب أن تمثل جوهر العملالثـورى لهو شى منه ، وهو محـاكمة الاستعمار والامبريالية . وكان هو شى منه مؤهلا ، بحكم نشأته ،وتجاربه ، ومهامه ، أن يقوم بهذا العمـل ، لا على أرض بلاده فحسب ، بل فى جميع أنحاء العالم . وقدفعل هذا بعناء وثبات ، هما مضرب الامثال .

ــ ان هذه النصـوص ، يجب ان تمثل الاضـافةالاصيلة التى طبعت عمل هو شى منه ، ونضاله ، من حيث أنه طرح قصة المستعمرات بكل ثقلها وحدتهاوأبعادها على الاحزاب العمالية والشيوعية الاوروبية . ودق أجراس الخطر محذرا هذه الاحزاب من اهمالها ،وقد فعل هذا منذ وقت مبكر ، يرجع إلى العشرينات من هـذا القرن .

ــ ان هذه النصوص ، يجب ان تمثل بعض المواقفالاساسية ، ولمحات من الخصـائص الشخصية .. ففى جميع الاحوال لم ينس هو شى منه ، انه يناضلمن أجل القضاء على استغلال الانسان للانسان ، من أجل الاشتراكية .. وفى كل كتاباته قدم النموذج للحياةالبسيطة والنقية ، وللفكر الواضح والمستقيم .

العـــــداء للاســــتعمار : مفهـــوم شـــامـــل

قضية المستعمرات فى مؤتمر تور (١)

(مقتطفات)

بعد ان شرح « نيجوين آى كيوك » مندوب الهند الصـينية ، النظائع التى اقترفها الرأسـماليون الفرنسيون فى الهند الصينية ، قال :

« أيها الرفاق :

تلكم هى المعاملة المطبقة على عشرين مليون فيتنامى ، الذين يبلغون أكثر من نصف سكان فرنسا . ويقال انهم تحت الحماية الفرنسـية [هتاف] ! لذلك فعلى الحزب الاشتراكى ان يسـاعد ــ عمليا ــ الوطنيين المضطهدين [هتاف حماسى] .

جين لونجويت [٢] : لقد سبق ان تحدثت لصالح الوطنيين [يقصد سكان المستعمرات] .

مندوب الهند الصينية : لقد طلبت منذ اول لحظـة ، فى خطـابى ، ان يلتزم الجميع الصمت التام [ضحك] . أقول على الحزب ان ينشر الدعاية الاشتراكية فى كل المستعمرات » .

لقـد ادركنا ان انضـمام الحزب الاشـتراكى الى الاممية الثالثة ، يعنى انه ، عمليا ، قطع على نفسه عهدا ، من الان فصاعدا ، بأن يقيم ، بصورة صحيحة مسألة المستعمرات . لقد سررنا جدا عندما سمعنا انه مين وفد دائم لدراسة مسألة شمالى افريقيا . ولسوف نكون مسرورين جدا ، اذا ما أرسل الحزب ، فى وقت قريب ، احد أعضائه الى الهند الصينية ليدرس عن كثب هناك المسائل المتعلقة بذلك البلد ، ودراسة النشاطات التى يجب ان تنفذ هناك .

[قدم أحد مندوبى الجناح اليمينى رأيا مخالفا] »

ممثل الهند الصينية : صمتا ! ثانت للبرلمان [هتاف] » .

الرئيس : يجب على كل المندوبين ان يلتزموا الصمت ! بما فى ذلك أيضا غير جماعة البرلمان !

ممثل الهند الصـينية : اننا باسـم الانسانية بأسرها ، باسم أعضاء الحزب الاشتراكى بجناحيه اليمينى واليسارى ، نهيب بكم قائلين : أيها الرفاق ، انقذونا ! [هتاف] .

الرئيس : يستطيع ممثل الهند الصينية ان يدرك من خلال هتافات التأييد له ، أن الحزب الاشـتراكى بأسره يقف إلى جانبه فى مقـاومة الجرائم التى ترتكبها الطبقة البرجوازية » .

تقرير عن المسألة الوطنيــة (٣) ومسألة المستعمرات

(مقتطفات)

بعد ان قدم هوشى منه احصاءات من عدد سكان البلدان الاسـتعمارية ومسـاحتها ، مقـارنا بعدد سكان

---

(١) عقد الحزب الاشتراكى الفرنسىمؤتمره الثامن عشر فى مدينة تور عام١٩٢٠ . وفى هذا المؤتمر وقفة هوشى منه وكان اسمه اذ ذاك « نجوين آى كيوك »الى جانب الجناح اليسارى الذى انفصلعن الحـزب مكونا الحـزب الشيوعىالفرنسى

(٢) قائد الجناح اليمينى فى الحزبالاشتراكى الفرنسى .

(٣) مقدم الى المؤتمر الخامس للامميةالشيوعية (١٧ يونيو ــ ٧ يوليو ١٩٢٤)

المستعمرات ومساحتها ، اهتم — كعضو فى الحزب الشيوعى الفرنسى — بأن ينتقد موقف الحزب لعدم اهتمامه الاهتمام الايجابى بمسألة المستعمرات :

« وبناء على ما تقدم ، لن نبالغ اذا قلنا انه ما دام الحزبان الشيوعيان الفرنسى والبريطانى ، لا ينتهجان سياسة تقدمية حقيقية ، بالنسبة للمستعمرات ، ولا يوثقان صلاتهما بشعوب المستعمرات ، فان برنامجهما فى مجموعه ، سيكون ، فى الوقت الحاضر ، وفى المستقبل ، غير ذى تأثير ، لانه سيكون مناقضا للينينية .

وتبعا لراى لينين ، فان انتصار الثورة فى أوروبا الغربية ، يعتمد على اتصالها الوثيق بحركة التحرر الوطنى ، الموجهة ضد الامبريالية فى المستعمرات المستعبدة ، كما ويعتمد على اتصالها الوثيق بالمسألة الوطنية لان حركة التحرر الوطنى وقضية المستعمرات تشكلان جزءا من قضية الثورة البروليتارية العالمية وديكتاتورية البروليتاريا .

تحدث الرفيق ستالين ، فيما بعد ، عن وجهة النظر التى تقول انه من الممكن للبروليتاريا الاوروبية ، احراز النصر دون ان تتحالف مباشرة مع حركة التحرر الوطنى فى المستعمرات ، واعتبرها وجهة نظر الثورة المضادة . ولكن اذا حكمنا على الامور ، من خلال ما يجرى فى الواقع عمليا ، فنحن مجبرون على القول ان أحزابنا الشيوعية الكبيرة ، باستثناء الحزب الشيوعى السوفيتى ، مازالت تتبنى وجهة النظر آنفة الذكر ، لانها [أى الاحزاب] ، غير فعالة فى اقامة هذا التحالف بين البروليتاريا الاوروبية وحركة التحرر الوطنى فى المستعمرات .

والسؤال الان ، ما الذى فعلته الاحزاب الشيوعية فى بريطانيا العظمى وهولندا وبلجيكا ، وفى البلدان الاستعمارية الاخرى لمكافحة الهجوم الاستعمارى الذى شنته البرجوازية على الطبقة العاملة فى بلادها ؟

ما الذى عملته تلك الاحزاب ، منذ اليوم الذى تبنت فيه البرنامج السياسى الذى وضعه لينين ، من أجل تثقيف الطبقة العاملة فى بلادها ، بروح الاممية الصحيحة ، وبضرورة اقامة العلاقات الوشيجة مع جماهير الشغيلة فى المستعمرات ؟

ان الذى انجزته احزابنا فى هذا المجال ليست له قيمة تستحق الذكر . بالنسبة لى أنا ، فقد ولدت فى مستعمرة فرنسية ، وانني عضو فى الحزب الشيوعى الفرنسى ، يؤسفنى جدا أن اقول ان حزبنا الشيوعى لم يفعل شيئا للمستعمرات .

أيها الرفاق :

لقد ادركت صحف البرجوازية الفرنسية ، انه لا يمكن فصل المسألة الوطنية عن مسألة المستعمرات . ورايى ان حزبنا لم يفهم هذه الحقيقة بعمق ، فمثلا :

لنعتبر بدروس « الرور » ، اذ عندما أرسلت الفرق الوطنية « لتسلية » العمال الالمان الذين يتضورون جوعا ، طوقت الجنود الفرنسيين المشكوك فيهم بدلا من ذلك .

ولنأخذ أيضا مثل الفرق الشرقية ، حيث دججت « القوات الاهلية » بالاسلحة الاوتوماتيكية ، من أجل « رفع الروح المعنوية » للفرق الفرنسية التى انهكتها الحرب الشاقة الطويلة الامد (٤) .

ألم تجعل كل هذه الوقائع حزبنا يفكر ، او لم تجعله يرى ضرورة لطرح سياسة حازمة وواضحة فيما يتعلق بمسألة المستعمرات . ولهذا اضاع الحزب فرصا عديدة لم يفد منها فى دعايته .

ان العناصر القائدة الجديدة فى الحزب ، قد اعترفت ان الحزب فى سبيله الى مواجهة هذه المسألة . وهذه بادرة حسنة ، لانه ما ان يلاحظ قادة الحزب ويدركون هذا الجانب الضعيف فى سياسة الحزب ، فسيكون هناك أمل فى ان الحزب سوف يبذل قصاراه لاصلاح اخطائه . اننى لاعتقد جازما ، بأن هذا المؤتمر سيكون نقطة تحول ، ولسوف يحث الحزب على اصلاح اخطائه السابقة ... » .

....

أيها الرفاق :

علينا ان نركز ، بوصفنا تلاميذ لينين ، كل طاقاتنا وقوانا ، على مسألة المستعمرات ، تماما كما نركز على سائر المسائل الاخرى . يجب علينا ان نفعل هذا حتى نستطيع تحقيق تعاليم لينين .

ثم اخذ هوشى منه يعرض تقريره عن الوضع فى عدد من المستعمرات الفرنسية ، وركز فى حديثه عن اوضاع الفلاحين بالذات ، وبعد ان قيم وضع الفلاحين فى بلاده ، انتقل الى الحديث عن الوضع فى الجزائر وتونس ومراكش .. قال :

« لقد طبق المستعمرون الفرنسيون فى الجزائر وتونس ومراكش ، نفس الاستغلال ، ونفس السياسة ، او قل النهب . ان كل الاراضى الصالحة المروية احتفظ بها للفرنسيين ، بينما طرد الوطنيون الى سفوح الجبال ، او الى المناطق الجرداء . واقتسم اراضى المستعمرات ، كل من كبار الموظفين والشركات المالية واثرياء الحرب ، ومن على شاكلتهم .

ان البنوك فى الجزائر وتونس ، عام ١٩١٤ ، حصلت بواسطة عمليات مباشرة أو غير مباشرة ، على فوائد تبلغ قيمتها ١٢٫٢٥٨٫٠٠٠ فرنك ، من أصل رأسمال يبلغ ٢٥ مليون فرنك .

ان بنك مراكش ، الذى رأسماله ١٥٫٤٠٠٫٠٠٠ فرنك جنى عام ١٩٢١ ، فائدة قدرها ١٫٧٥٣٫٠٠٠ فرنك .

احتلت الشركة الفرنسية الجزائرية ٣٢٤٫٠٠٠ هكتار من أجود الاراضى .

واحتلت الشركة الجزائرية العامة ١٠٠٫٠٠٠ هكتار .

واحتلت شركة خاصة ٥٠٫٠٠٠ هكتار من الاحراش ، دون اى مقابل .

بينما استولت شركة السكك الحديدية والفوسفات على ٥٠٫٠٠٠ هكتار من الاراضى الغنية بالمعادن ، بالاضافة الى تأمينها لحقوق مسبقة فى تملك أكثر من ٢٠٫٠٠٠ هكتار من الارض المجاورة لها .

واستولى نائب فرنسى سابق على مزرعة تبلغ مساحتها ١١٢٥ هكتارا من الارض ، فيها مناجم قيمتها عشرة ملايين فرنك ، وتنتج دخلا سنويا تبلغ قيمته أربعة ملايين فرنك . اما الوطنيون ، أصحاب هذه المناجم الشرعيون فينالون سنويا ١/١٠ فرنك فقط عن كل هكتار .

لقد الغت السياسة الفرنسية الاستعمارية حق الملكية الجماعية ، وأحلت محله الملكية الخاصة . كما الغت الملكية الصغيرة فى المزارع لمصلحة الملكيات الكبيرة . فكان من نتيجة هذه السياسة ، ان فقد الفلاحون الوطنيون خمسة ملايين هكتار من أجود اراضيهم .

وخلال ١٥ عاما ، سلب من فلاحى القبائل ١٩٢٫٠٩٠ هكتارا .

ومنذ عام ١٩١٣ ، فصاعدا ، كان يسلب من الفلاحين المغاربة ، كل عام ، ١٢٫٠٠٠ هكتار من الارض المزروعة . ولكن بعد انتصار فرنسا فى حربها ، من أجل « العدالة » ارتفع هذا الرقم الى ١٤٫٥٤٠ هكتارا .

ويوجد فى المغرب الان ١٠٧٠ فرنسيا فقط ، ولكنهم يملكون ٥٠٠٫٠٠٠ هكتار من الارض المزروعة » .

ثم انتقل بعد ذلك الى الحديث عن أوضاع الفلاحين فى أفريقيا الاستوائية الفرنسية .

(ص ١١ — ٢٦)

---

(٤) الفرق الشرقية : كتائب مسلحة جندها الامبرياليون من شعوب المستعمرات لضرب الحركات الثورية فيها وفى البلدان الاستعمارية نفسها .

بعض الملحوظات حول مسألة المستعمرات

(مقتطفات)

منذ ان وافق الحزب الشيوعي الفرنسي على « الشروط الاحدى والعشرين » [٥]، الصادرة عن موسكو ، وانضم الى الاممية الثالثة ، كان من جملة المسائل التي فرضت نفسها ، مسألة ذات حساسية خاصة ، اعني السياسة تجاه المستعمرات . اذ لم يعد مقبولا ان تواجه هذه المسألة بالعبارات العاطفية الخالصة ، التي لا تؤدي الى نتيجة عملية ، كما كانت الحال مع الامميتين الاولى والثانية ، بل اصبح من الضروري وجود برنامج عملي وسياسة عملية فعالة .

ان الحزب يواجه ، بالنسبة لهذه النقطة ، صعوبات جمة كثيرة ، اكثر مما يواجه بالنسبة لاي من النقاط الاخرى . وان أشد هذه الصعوبات هي التالية :

١ — لا مبالاة البروليتاريا في البلدان الاستعمارية بالمستعمرات :

قال لينين بوضوح ، في دراسته حول مسألة المستعمرات :

« يتحتم على عمال البلدان الاستعمارية ان يقدموا أقصى مساعدة فعلية لحركات التحرير في البلدان المستعبدة » .

ولتحقيق هذه الغاية ، يجب على شغيلة البلدان الاستعمارية ، ان يعرفوا جقا وصدقا ، ما معنى ان يكون البلد مستعمرا . وينبغي لهم ان يكونوا على صلة بكل ما يجري هناك . ان يكونوا على صلة بالالام التي يرزح تحتها اخوانهم بروليتاريو المستعمرات ... تلك الالام التي تفوق آلامهم الف مرة . وبكلمة اخرى ، عليهم ان يهتموا بمسألة المستعمرات .

هنالك ، لسوء الحظ ، عديد من المناضلين الذين ما زالوا يعتقدون بأن المستعمرة ما هي الا رمال منبسطة على الارض ، وشمس تجوب السماء ، وبعض أشجار جوز الهند ، وبضعة قطعان مرقطة . هذا كل ما يعرفون ، ولهذا لا يعيرون هذه المسألة أدنى اهتمام .

٢ — الجهل المتفشي بين سكان المستعمرات :

ان الصراع الطبقي ، وقوة البروليتارية غير معروفين في البلدان المستعمرة ، سواء في الهند الصينية ، تلك المستعمرة القديمة ، ام في داهومي ، هذه المستعمرة الجديدة . ومرجع هذا سبب بسيط جدا ، هو عدم وجود منشآت صناعية وتجارية ضخمة ، او تنظيمات عمالية في تلك البلدان .

....

ان الجماهير بصورة عامة ، ثورية الى أقصى الحدود ، ولكنها في جهل مطبق ، انها تتحرق لتحرير نفسها ، ولكنها لا تعرف كيف السبيل الى ذلك .

٣ — التحامل :

ينجم التحامل عن الجهل المشترك الفارقة فيه كلا البروليتاريتين . [بروليتاريا البلاد الاستعمارية وبروليتاريا المستعمرات] . ان الطبقة العاملة الفرنسية ، تنظر الى سكان المستعمرات كمخلوقات انسانية أدنى ، غير قادرة على الفهم ، او على المساهمة في النشاط العملي . وفي المقابل ، يعتبر الوطنيون كل الفرنسيين استغلاليين اشرارا . بينما لا تضيع الرأسمالية والامبريالية الفرصة في الاستفادة من هذه الريبة المشتركة ، ومن هذه العنصرية المصطنعة ، لتنشران دعاية مسممة وتفرقان صفوف القوى التي يجب أن تكون موحدة .

٤ — القهر والوحشية :

اذا كان المستعمرون الفرنسيون غير ماهرين في تطوير اقتصاد المستعمرات ، فانهم اساتذة في فنون القهر الوحشي ، وفي خلق الولاء لسلطانهم . ان غاندي وديفساليرا ، كانا منذ زمن بعيد ، قد انتقلا الى السماء ، لو انهما ولدا في احدى المستعمرات الفرنسية .

فان المناضل الوطني المحاط بكل تزويقات المحاكم العسكرية ، والمحاكم الخاصة ، لا يستطيع ان يدافع عن اخوانه الجاهلين والمضطهدين ، دون ان يكون عرضة للوقوع بين مخالب الذين جاءوا ليمدنوه .

فماذا يجب على الحزب ان يفعل وهو يواجه كل هذه الصعوبات ؟

توسيع دعايته ليتغلب على هذه الصعوبات .

الاومانيتيه ٢٥ مايو عام ١٩٢٢

الاضطهاد ينال كل الاجناس

اغتال الفاشيون ، في تسويتزرا ، فرنسكي مندوب روسية العمال والفلاحين . ولم يتلطف مندوب واحد من ممثلي القوى المتمدنة جدا ، والمسيحية جدا ، في لوزان ، بحضور جنازته ، عدا الوفد التركي ، برئاسة عصمت باشا ، الذي شيع جثمان القتيل الى مثواه الاخير .

واغتال البوليس الفرنسي في اول أيار ، العامل التونسي بن راضي . فأعدت المنظمات العمالية الباريسية جنازة ضخمة له . وتوقف آلاف العمال عن العمل ، يوم جنازته ، ليشيعوا مواطنهم الى مثواه الاخير .

ان كل شهداء الطبقة العاملة ، سواء اولئك الذين استشهدوا في لوزان كما في باريس ، او الذين استشهدوا في مدينة الهافر كما في المارتينيك ، هم جميعهم ضحايا قاتل واحد ، هو الرأسمالية العالمية . ان ارواح هؤلاء الشهداء تلقى اسمى درجات العزاء ، لانها قضت بسبب ايمانها بتحرير المضطهدين دون تمييز بين الاجناس والاوطان .

يجب على الشعوب المضطهدة ، بعد كل هذه التجارب الاممية ، في كل البلدان ، ان تستخلص من هذه الدروس الاليمة درسا يدلها أين يقف اخوانها الحقيقيون ، وأين يقف اعداؤها .

ليباريه ، ١٧ أغسطس عام ١٩٢٣

---

(٥) هي التي وضعها الكومنترن عام ١٩٢٠ كشروط لقبول الاحزاب الماركسية اعضاء في الاممية الثالثة .

يقظة العبيد

(مقتطفات)

تقول الجرائد الرسمية ان سكان سوريا مسرورون جدا من ادارة الجنرال جورو (٦) . ولكن الحقائق التالية تثبت العكس :

ذهب مصطفى كمال في ٢٢ مارس عام ١٩٢٢ ، الى ... ، ... مسلمو سوريا قوس نصر مزينا بالاعلام السوداء ويحمل العبارات التالية : « الاخوة العربية التركية » ، « لا تنسوا اخوانكم السوريين » ، « انقذونا ! » ... الخ .

ولقد اثارت زيارة مصطفى كمال لاضنة مظاهرات صاخبة . ورفع في انطاكية والاسكندرونة ، الاعلام السوداء في الشوارع لمدة يومين ودوت بالهتافات المعادية للادارة الفرنسية .

ان الاستعمار الفرنسي لم يغير شعاره القائل « فرق تسد » .

هذا ، ويمكن ان نرى التكتيك ذاته مطبقا على المستعمرات الجديدة ، فبعد ان قسمت سوريا الى عدة « دول » ، عاد المفوض السامي الفرنسي في بيروت واعلن تأسيس « اتحاد فيدرالي » سوري ، مؤلفا من « دولة » حلب ، « دولة » دمشق ، و « دولة » العلويين . وصمم علما لهذا الغرض ، فلم ينس ان تضاف الى هذا العلم الفيدرالي الوان علم فرنسا .

وبعد ان اثبت نجوين آي كيوك نص رسالة الاحتجاج التي بعثها الامير شكيب أرسلان ، رئيس الوفد السوري — الفلسطيني ، الى مؤتمر لوزان ، أورد فقرات من الرسالة التي بعث بها سكان حماة الى مجلس الوزراء الفرنسي .

وحدد سكان حماة مطالبهم بما يلي :

« — ١ — الاعتراف بوحدة سوريا واستقلالها الحقيقي .

٢ — يجرى حال ما ينتهي الاحصاء الدائر الان ، انتخابات ، بواسطة الاستفتاء العام ، لجمعية وطنية تشرع الدستور ، وتقرر شكل الحكومة التي ستتولى أمر البلاد . ويمكن ان تدعى هذه الجمعية خلال سنة ١٩٢٢ ، اي تاريخ دعوة المجلس الفيدرالي الى الاجتماع .

٣ — تشكيل حكومة مسئولة امام الجمعية التي بها سلطات تشريعية كاملة ضمن أجهزتها .

هذه هي الاماني الحقيقية لسكان حماة ، وكذلك هي أماني اغلبية الشعب السوري » .

مرحلة جديدة : حرب المقاومة لتصفية الاستعمار الفرنسي

نداء بمناسبة تأسيس الحزب الشيوعي في الهند الصينية (٧)

(مقتطفات)

أيها العمال والفلاحون والجنود والشبيبة والطلبة !

أيها المواطنون المضطهدون والمستغلون !

أيها الاخوة ! وايتها الاخوات !!

أيها الرفاق :

كانت التناقضات بين الدول الامبريالية هي سبب الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٨ . ولقد انقسم العالم الى معسكرين ، بعد هذه المذبحة الرهيبة : المعسكر الثوري الذي يضم المستعمرات المضطهدة والطبقة العاملة المستغلة في العالم بأسره . وان الاتحاد السوفيتي يشكل القوة الطليعية في هذا المعسكر .

أما المعسكر الثاني ، فهو معسكر الثورة المضادة ، المشكل من الراسمالية العالمية ، والامبريالية التي تمثل عصبة الامم هيأتها العامة .

ولسوف تنفجر الحرب العالمية الثانية .. وعندما يأتي زمل اليوم [لاحظ ان هذا النداء كتب عام ١٩٣٠) ، سيزج الامبرياليون الفرنسيون على التأكيد ، شعبنا في مذبحة أشد رعبا ...

ولكن ، على كل حال ، فان الاستغلال الفرنسي القاسي ، واضطهاد الامبرياليين الفرنسيين البربري ، قد ايقظا مواطنينا الذين ادركوا جميعهم ان الثورة هي الطريق الوحيد الى الحياة ، وبدونها سوف يموتون واحدا وراء واحد . وهذا السبب هو الذي جعل الحركة الثورية الفيتنامية تقوى ابدا مع مطلع كل صباح . فالعمال يرفضون ان يعملوا ، ويطالب الفلاحون بالارض ، ويضرب الطلبة ،

---

(٦) المندوب السامي الفرنسي فيسوريا من ١٩٢١ — ١٩٢٢ .

(٧) تأسس الحزب الشيوعي في الهند الصينية في ١٩٣٠ من المنظمات الثلاثة التي كانت تعمل في وسط وشمال وجنوب فيتنام . وقد حضر نيجوين آي كيوك المؤتمر موفدا من قبل الدولية الثالثة .

ويعلن التجــار المقــاطعة ؟ لقد هبت الجماهير فى كل مكان تقاوم الامبرياليين الفرنسيين .

ان الثورة الفيتنامية تركت الامبرياليين يرتعـــدون خــوفا . فهم من ناحيــة ، يســتخدمون الاقطــاعيين والبرجوازيين الــكومبرادور ، فى بلادنا لاســـتغلال شعبنا واضطهاده ، ومن ناحية ثانية ، فهم يرهبون اعدادا كبيرة من الفيتناميين الثوريين ، ويعتقلونهم ، ويسجنونهم ، ويبعــدونهم ، ويقتلونهم . اذا اعتقــد الامبرياليون الفرنسيون ، ان فى مقدورهم ان يخنقوا الثورة الفيتنامية بالاســاليب الارهابية ، فهم مخطئون جدا . اولا ، لان الثورة الفيتنــامية ليست معزولة ، فهى تتمتع بمساندة الطبقة البروليتارية ، فى العالم ، بصورة عامة ، وبمساندة الطبقات العاملة الفرنسية بصورة خاصة. ثانيا ، بينما يقترف الامبرياليون الفرنسيون اعمــالا ارهابيــة مســعورة ، يتحد الشيوعيون الانامبون الذين كانوا يعملون فى السابق ، كل على حدة ، يتحدون ، الان ، فى حزب واحد ، هو الحــزب الشيوعى لكل الهند الصــينية ، ليقود شعبنا بأسره فى ثورته .

ايهــا العمــال والفلاحون والجنود والشبيبة والطلبة ! ...

ان الحــزب الشــيوعى لكل الهند الصــينية قد تأسس . انه حزب الطبقة العاملة ، سوف يساعد طبقة البروليتاريا على قيادة الثورة ، من أجل النضــال لمصــلحة كل النــاس المســـتغلين والمضطهدين . من الان فصاعدا ، علينا ان ننضم للحزب نؤازره ونتبعه ، من أجل تطبيق الشعارات التالية :

١ ــ اســقاط الامبريالية الفرنســية والاقطــاع والطبقة البرجوازية الرجعية الفيتنامية .

٢ ــ تحقيق الاســتقلال الكامل للهند الصينية .

٣ ــ تشكيل حكومة عمال ــ فلاحين وجنود .

٤ ــ مصــادرة البنوك التى يمتلكها الامبرياليون ووضعها تحت ادارة حكومة العمال ــ الفلاحين والجنود .

٥ ــ مصــادرة كل المزارع والاملاك التى فى حــوزة الامبرياليين ، وطبقــة الراســماليين الرجعيين الفيتنــاميين ، وتوزيعها على الفلاحين الفقراء .

٦ ــ تطبيق يــوم الثمانى ســاعات عمل .

٧ ــ الغاء القروض العــامة وضريبة الراس ، وازالة الضرائب الظــالمة الواقعة على الناس الفقراء .

٨ ــ استعادة الحريات للجماهير .

٩ ــ تطبيق التعليم العام .

١٠ ــ تحقيق المســاواة بين الرجل والمراة .

« نيجوين اى كوك »

استشهاد عمدونى وبن بلخير

لقد جند ...ر...١ تونسى فى الحرب التى اشعل اوارها من اجل المحافظة على سيادة القانون وحماية العدالة ، وفى سبيل المدنية ... الخ ولم يعد من هؤلاء التونسيين سوى ٤٠ ٪ فقط . وكان من الطبيعى فى ذلك الوقت ان يغمــر التونسيون بالعواطف والازهار . وارتفعت اغانى الاخــوة الفرنسية التونسية بكثير من الحب والمودة . وكما كانوا يقولون انها « اخوة ابدية توثقت اواصرها بالمجد والدماء » . وقد فرضت رقابة على الصحف لمنعها من ان تنشر شيئا يسىء الى الرأى العام التونسى .

اما اليوم . فان هذه الاخوة قد تغيرت . فلم يعد يعبر عنها بالدلال والازهار . لقد اضحى المسدس والكرباج هما ابلغ من يعبر عنها .

ان الحقائق التالية تؤكد ما ذهبنا اليه :

راى احد المعمرين الفرنسيين ثلاثة من السكان التونسيين يسوقون خرافهم فى ارض له مزروعة زيتونا . فطلب من زوجه ان تأتيه بالبندقية والذخيرة ، ولما جاءته بما طلب ، هرع « ممددا » الى اريكة اشجار متراصة وكمن فيها . وما هى الا لحظات حتى تعالت اصوات ثلاث طلقات ، وخر الوطنيون الثلاثة على الارض مضرجين بدمائهم .

وهاكم حادثة اخرى :

كان يشتغل عند معمر فرنسى اخر اثنان من التونسيين اسم الاول عمدونى واسم الثانى بلخير . ويبدو انهما اخذا ذات يوم بعضا من عناقيد العنب . فبعث المعمر فى اثرهما . ولما مثلا بين يديه انهال عليهما ضربا مبرحا ، ثم انثنى يضربهما بقضيب حديدى حتى اغمى عليهما . وعندما استفاقا من اغماءتهما ربط ذراعيهما خلف ظهريهما وعلقهما من ايديهما . وعلى الرغم من ان هذين التاعسين غابا عن الوعى مرة اخرى ، فقد استمر قصاصهما الوحشى هذا مدة اربعة ساعات ولم يتوقف الا بعد الحاح الجيران .

وحين اخذ هذان التاعسان الى المستشفى بترت احدى يدى كل منهما ، ومن غير المعروف ان كانت اليد الاخرى ستنجو من البتر .

تلكم ... هى الا ــ خو ــ ة !

ان النبيل م . لوسنين سبنت مشغول جدا فى ابعاد الشيوعيين والصحفيين ، لذلك ليس لديه الوقت للتفكير فى حياة الوطنيين الذين تحت حمايته .

لبياريه : اول نوفمبر ١٩٢٢ .

(هوشى منه : مختارات حرب التحرير الفيتنامية ــ دار الطليعة ــ بيروت ١٩٦٨) .

خط الحزب فى فترة الجبهة الديمقراطية (٨)

١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

(مقتطفات)

١ ـ لا يستطيع الحزب فى الوقت الحاضر ، ان يتبنى المطالب الكبير [الاستقلال الوطنى ، وبرلمان .. الخ] . ان يفعل ذلك معناه الدخول فى النظام الفاشستى اليابانى .

على الحزب ان يطالب ، فقط ، بالحقوق الديمقراطية ، وحرية التنظيم ، وحرية الاجتماع ، وحرية الصحافة ، وحرية الكلام ، واستصدار عفو عام من كل المساجين السياسيين ، والنضال من أجل كسب شرعية الحزب .

٢ ـ على الحزب ان يناضل لتنظيم جبهة وطنية ديمقراطية واسعة ، لكى تحقق هذا الهدف .

ولا تضم هذه الجبهة شعب الهند الصينية فقط ، وانما تشمل أيضا الفرنسيين التقدميين القاطنين فى الهند الصينية . ولا تشمل الناس الكادحين فقط ، وانما أيضا البرجوازية الوطنية .

٣ ـ على الحزب ان يتبنى سياسة حكيمة مرنة مع البرجوازية . فيناضل لجرها الى الجبهة . وكسب العناصر التى يمكن كسبها ، وتحييد تلك التى يمكن تحييدها . علينا ان نتجنب ، بكل وسيلة ، ابقاء تلك العناصر خارج الجبهة لئلا تقع بيد اعداء الثورة وتصبح قوة للرجعيين .

٤ ـ لا يمكن ان يتم اى تحالف مع جماعة التروتسكيين ، او اى شكل من اشكال التنازل لهم . وعلينا ان نبذل كل ما فى وسعنا لتعرية وجوههم ، بوصفهم خدما للفاشست ، وان نسحقهم سياسيا .

٥ ـ على الحزب ان يزيد ويدعم قواه ، وان يوسع نفوذه ، ويعمل بصورة فعالة . ويجب على الجبهة الديمقراطية فى الهند الصينية ، ان تبقى على صلات وثيقة مع الجبهة الشعبية فى فرنسا ، لان الاخيرة تناضل ، أيضا ، من أجل الحرية والديمقراطية ، ويمكنها ان تقدم لنا مساعدة كبيرة .

٦ ـ لا يستطيع الحزب ان يطالب الجبهة بالاعتراف بقيادته لها . عليه بدلا من ذلك ان يكون العضو الذى يقدم أعظم التضحيات ، ويثبت انه اكثر الاعضاء نشاطا واخلاصا . ان الجماهير تكتشف أثناء الصراع اليومى ، فقط ، سياسات الحزب الصحيحة وكفاءته القيادية . وبهذا يستطيع ان يفوز بمركز القيادة

٧ ـ ولكي ينجز الحزب هذا الهدف ، عليه : ان يحارب بصرامة النظرة الحزبية الضيقة ، والعقلية الضيقة . وينظم دراسة منهاجية للماركسية اللينينية ، من اجل رفع مستوى اعضائه الثقافى والسياسي ، ويساعد كوادر اللاحزبيين ، للارتفاع بمستواهم . علينا المحافظة على صلات وثيقة مع الحزب الشيوعى الفرنسي .

نواة الكفاح المسلح

ان وحدة الدعاية الفيتنامية ، من اجل التحرير الوطنى (٩) ، تظهر ، من اسمها ، انه من الضرورى اعطاء أهمية اكبر للجانب السياسى تفوق الاهمية التى تعطي للجانب العسكرى . انها وحدة دعاية . فالمبدأ الرئيسى فى الميدان العسكرى ، هو تركيز القوات ليتم العمل بنجاح ، لذلك ، وبناء على تعليمات « المنظمة » ، سوف يتم انتقاء اكثر الرجال والضباط حزما ونشاطا ، من صفوف وحدات الانصار فى مقاطعات توو بانج ، وباك كان ، ولانج سون .

كما ويجب ان تمركز مقادير كبيرة من الاسلحة لتأسيس قوتنا الرئيسية .

ولما كان كفاحنا هو المقاومة الوطنية ؛ يشنها كل الشعب ، لذا يجب علينا ان نعبىء كل الشعب ونسلحه ، ولذلك ينبغي لنا ، ونحن نمركز قواتنا لتأسيس الوحدة الاولى ، ان نحتفظ بالقوات المسلحة المحلية ؛ وننسق بين عملياتها ، ونتعاضد فى كل مجال . ومن جهة الوحدة الرئيسية ، فعليها واجب قيادة كوادر الوحدات المسلحة المحلية ، ومساعدتهم على التدريب ، وامدادهم بالسلاح ان امكن ، وبهذا تساعد الوحدة الرئيسية هذه الوحدات على النمو باستمرار .

٢ ـ اما بالنسبة للوحدات المسلحة المحلية ، فسوف نجمع كوادرها وندربهم ، وسوف نرسل كوادر مدربة الى مختلف المقاطعات ، من أجل تبادل التجارب ، وتأمين الاتصال ، واجراء عمليات عسكرية مشتركة .

٣ ـ أما فيما يتعلق بالتكتيك ، فسوف نلجأ الى حرب العصابات التي يجب ان تكون سرية ، وسريعة ونشيطة . مرة تكون في الشرق ، ومرة فى الغرب ، تظهر بصورة غير متوقعة ، وتستخفى دون ان تلاحظ .

ان وحدة الدعاية الفيتنامية ، من أجل التحرر الوطنى ، هى الوحدة الاولى ، ومن المأمول ان تؤسس فى القريب وحدات أخرى .

ان حجمها ، فىبادىء الامر ، صغير ، ولكن أملها مشرق ، على كل حال . انها الجنين الذى سيصبح جيش التحرير ، وباستطاعتها ان تتحرك من الشمال الى الجنوب فى فيتنام كلها .

نداء من اجل ثورة عامة

(مقتطفات)

... سحق الجيش اليابانى ، وانتشرت حركة الخلاص الوطني فى طول البلاد وعرضها . فالجبهة الثورية من أجل استقلال فيتنام [فيت منه] ، تضم ملايين الاعضاء ، من مختلف الطبقات الاجتماعية : مثقفون وفلاحون وعمال ورجال اعمال وجنود ، ومن كل القوميات فى الوطن ....

لقد عقدت ، مؤخرا ، جبهة الفيتمنه ، مؤتمر الشعب الفيتنامى (١٠) ، وعينت لجنة التحرير الوطني لقيادة الشعب بأسره فى النضال الحازم ، الى ان يحرز الاستقلال الوطنى .

وهذه خطوة عظيمة الى الامام فى تاريخ النضال الذى شنه شعبنا منذ قرن ، فى سبيل حريته ....

ولكننا ، على كل حال ، لا نستطيع ان نعتبر هذا كافيا . فسيكون كفاحنا طويلا وشاقا . فنحن لا نستطيع ان نتحرر فى ليلة واحدة ، لان اليابانيين قد

---

(٨) من تقرير نيجوين آى كيوك المقدم للكومنترن عام ١٩٣٩ .

(٩) تأسست هذه الوحدة فى اواخر عام ١٩٤٤ من وحدات صغيرة من الانصار بدأت بـ ٣٤ رجلا وضابطا . وسرعان ما نمت رغم اسلحتها البدائية وكونت فيما بعد الاساس الصلب لجيش الشعب الحالي فى فيتنام .

(١٠) عقد المؤتمر الوطني فى اغسطس ١٩٤٥ بعد هزيمة الامبريالية اليابانية . وحضر المؤتمر مندوبون عن مختلف الاحزاب والمنظمات الجماهيرية والقوميات . وعن لجنة التحرر الوطنى لفيتنام التى هى الحكومة المؤقتة لجمهورية فيتنام الديموقراطية برئاسة هوشى منه .

هزموا . فما زال علينا مواصلة الجهود ومواصلة النضال . ان الكفاح الموحد فقط ، يمكنه ان يجلب لنا الاستقلال .

ان جبهة فيت مينه ، فى الوقت الحاضر ، هى اساس تضامن شعبنا ونضاله . انضموا الى جبهة فيت منه ودعموها ، واجعلوها أقوى ، واجعلوها أكبر !

ان لجنة التحرير الوطنى ، فى الوقت الحاضر ، تعتبر نفسها الحكومة المؤقتة . اتحدوا حولها ، وراقبوا تنفيذ قراراتها وسياستها فى الوطن كله !

فلنهزم المجاعة

[بعد اعلان استقلال جمهورية فيتنام الديمقراطية ، اهتم هوشى منه ، بقضية انهاض مختلف طبقات الشعب وطوائفه ، من أجل حل القضايا الملحة والصعبة ، التى يطرحها عهد الاستقلال . فوجه نداءات خاصة الى كل من طلاب المدارس الاطفال — بمناسبة عيد منتصف الخريف — الى المسنين — الى المواطنين فى جنوب فيتنام — الى الفلاحين . ونكتفى هنا باختيار رسالته « النداء الخاص بمكافحة المجاعة »] .

« أيها المواطنون الاعزاء :

لقد جاع ، فى الشمال ، مليون انسان حتى الموت ، ما بين شهر يناير وشهر يوليو من هذا العام [١٩٤٥] .

وجاءت الفيضانات ، فزادت المجاعة تهوى الشعب الى وهدة الشقاء المطبق .

لشد ما نتألم ، ونحن نتناول طعامنا ، عندما نفكر فى أولئك الذين يموتون جوعا . لذلك فانى اقترح عليكم ، ولسوف أكون اول من يطبق هذا الاقتراح : ان لا نأكل وجبة طعام كل عشرة أيام . وهذا يعنى ثلاث وجبات طعام كل شهر ، ونقدم هذا الارز [١/١٠ وجبة طعام] للفقراء .

وبهذا يتاح لاولئك الجائعين ان يجدوا شيئا يأكلونه حتى يأتى موسم الحصاد القادم . ويتيح لهم النجاة من الموت .

اننى واثق من ان جميع المواطنين ، من باب البر ، تواقون الى الاستجابة لندائى هذا .

شكرا لكم بالنيابة عن الفقراء .

ولنحارب الامية

أيها الشعب الفيتنامى :

طبق الاستعماريون الفرنسيون ، فى السابق ، اثناء سيطرتهم على بلادنا ، سياسة تجهيلية ظلامية . اذ حدوا من فتح المدارس ، ولم يريدوا لنا ان نتعلم القراءة والكتابة ، من أجل تسهيل خداعنا واستغلالنا .

ان الاميين بالنسبة لعدد السكان ، يبلغون ٩٥ ٪ ، أى ان كل الفيتناميين تقريبا أميون . فكيف نستطيع ان نتطور فى مثل هذه الظروف ؟

والآن ، وبعد ان استعدنا استقلالنا ، اننا نواجه واحدا من أكثر المهام الحاحا ، فى الوقت الحاضر ، وهو رفع المستوى الثقافى للشعب .

لقد اصدرت الحكومة تعليمات ، تقضى بأن يتعلم كل فيتنامى الاحرف القومية ، خلال عام واحد . فأسست دائرة التعليم الجماهيرى ، لتأخذ على عاتقها مهمة تعليم الشعب .

أيها الشعب الفيتنامى :

اذا كنت تريد المحافظة على الاستقلال ..

اذا كنت تريد ان يصبح الشعب قويا وتغدو الامة غنية . فيجب على كل واحد ان يعرف حقوقه وواجباته . ينبغى له ان يحصل على المعرفة لكى يصبح فى وضع يؤهله للمساهمة فى بناء الوطن . وقبل كل شىء ، عليه ان يتعلم كيف يقرأ ويكتب الاحرف القومية .

يجب على المتعلمين ان يعلموا الاميين . وعليهم ان يشاركوا فى التعليم الجماهيرى .

ويجب على الاميين ان يجهدوا أنفسهم لكى يتعلموا . فاذا كانت المرأة أمية ، فسوف يعلمها زوجها . واذا كان الاخ الصغير أميا ، فتسوف يعلمه أخوه الكبير . واذا كان الاباء والامهات أميين فسوف يعلمهم أولادهم . واذا كان الخدم أميين ، فسوف يعلمهم أسيادهم . ويجب على الاغنياء ان ينتحوا صفوفا فى بيوتهم الخاصة ليعلموا الاميين .

انه اشد ضرورة للنساء ان يتعلمن . فقد بقين متخلفات قرونا طويلة . واليوم حان لهن ان يبذلن الجهود ليلحقن بالرجال ، وليصبحن جديرات بأن يكن مواطنات ، لهن الحق فى ان يقترعن ويرشحن أنفسهن للانتخابات .

آمل من الشبيبة ، ذكورا وأناثا ، على حد سواء ، ان يشاركوا بحماس فى هذا العمل .

اكتوبر عام ١٩٤٥

الانضباط الذاتى للشعب

(مقتطفات)

أيها المواطنون فى البلاد بأسرها :

أحب أن أذكركم بأن شئون الدولة هى من مسئولية الجميع . اذ يتوجب على كل واحد منا ، نحن المنحدرون من سلالة التنين والجنية ، سواء كنا رجالا او نساء ، شيوخا أو فتيانا ، أغنياء او فقراء ، نبلاء او متواضعين ، يتوجب على كل منا ان يحمل قسطا من المسئولية ، ويتوجب عليه ان يبذل غاية جهده ، كى ندعم المفاوضات لتتكلل بالنجاح .

فكيف تستطيعون ان تساعدوا فى ذلك ؟

[١ — ان تتحدوا بقوة وتتجنبوا اى تصرف يؤدى الى الانقسام .

٢ — ان تحاولوا ممارسة الصناعة والاقتصاد ، من اجل تجنب المجاعة .

٣ — ان تحافظوا على النظام وتطيعوا بدقة أوامر الحكومة .

٤ — ان تكونوا معتدلين ، لطفاء مع المقيمين الاجانب .

ان تطبيقكم ، بصورة صحيحة ، لهذه النقاط الاربع ، هو السبيل لان تعودوا بالنفع على مفاوضاتنا السياسية . ولما كنتم تحبوننى ، فاننى واثق من انكم ستعملون حسب رغباتى .

مايو عام ١٩٤٦

فلنضرب الانحرافات بشدة

(مقتطفات)

اننى لاعلم ان العديدين منكم قد نفذوا خطط الحكومة بصورة صحيحة ، واكتسبوا ثقة الشعب . ولكن هنالك العديدون منكم ارتكبوا اخطاء خطيرة جدا .

ان اهم تلك الاخطاء هى :

١ ــ خرق القانون :

حقا يجب معاقبة الخونة الذين يثبت عليهم الجرم بشكل قاطع ، وليس لهم الحق فى الاعتراض . ولكن حدث فى بعض الاحيان ، انكم اعتقلتم بعض الناس الشرفاء ، وصادرتم ممتلكاتهم ، وسببتم لهم الويلات ، كل ذلك بسبب عداوات واحقاد شخصية .

٢ ــ العجرفة :

لقد حترتم مركزكم كأعضاء فى هذه اللجنة او تلك ، فأصبحتم أفظاظ القلوب ، ورحتم تتصرفون على طريقتكم الخاصة ، وازدريتم الراى العام ، ولم تقيموا اعتبارا لمصالح الناس . لقد نسيتم انكم انتخبتم من قبل الشعب لتخدموه ، ونسيتم انه لا يحق لكم معاملته بكبرياء وعجرفة .

٣ ــ الفسق :

اذا ظهرتم منشرحى الاسارير ، ترتدون الثياب الفخمة ، وأصبحتم أكثر وأكثر تبذيرا ، وأكثر وأكثر رومانسية ، فعندئذ عليكم ان تسألوا انفسكم من أين يأتى المال ؟

لقد وصل بكم الحد الى تملك الثروة العامة لمصلحتكم ، ناسين الاستقامة والفضيلة . انتم يا أعضاء اللجان استعملوا السيارات الرسمية ، واتركوا زوجاتكم يستعملنها ، واتركوا حتى صغاركم يستعملونها . واسألوا انفسكم من الذى يدفع هذه المصروفات .

٤ ــ المكتبية والمحاباة :

تجمعون حولكم اصدقاءكم واقاربكم ، وتمنحونهم المراكز التي لا يستحقونها . أما أولئك الاكفاء والمناسبون ، الذين لا يعجبونكم ، فيطردون من وظائفهم . لقد نسيتم انها مصلحة عامة وليست مصلحة خاصة لاى انسان .

• • • • • • • • • •

يجب الا نخاف من الاخطاء ، ولكن يجب أن تصلح الاخطاء حال اكتشافها

لذلك فعلى كل واحد لم يسبق له ان وقع بمثل هذه الاخطاء ، ان يسعى لتجنبها ، لكى يحرز تقدما افضل . أما الذى سبق له وارتكب مثل هذه الاخطاء فعليه ان يناضل للتخلص منها . فاذا لم يصلح نفسه ، فان الحكومة لن تتسامح معه .

لقد جئت على ذكر الاخطاء المذكورة أعلاه ، خدمة للمصلحة الوطنية ، ومن أجل الشعب ، ومن أجل سعادته . يجب علينا ان نتذكر دائما حكمتى « الاستقامة » و « العدالة » .

اكتوبر عام ١٩٤٥

لماذا ننتصر على العدو

(مقتطفات من خطاب بمناسبة مرور ستة أشهر على الحرب المقاومة)

جند الاستعماريون الرجعيون الفرنسيون ، عشرات الالوف من الرجال فى قواتهم البرية والبحرية والجوية . وخصصوا الملايين من الفرنكات للمصاريف العسكرية يوميا ... لكن مؤامراتهم السياسية واجراءاتهم العسكرية منيت بالفشل الذريع ... وأصبح انتصارنا واضحا أكثر من ذى قبل ، لماذا ؟

أ ــ لاننا نحارب حربا عادلة :

اننا نقاتل فقط دفاعا عن بلادنا ، ونقاتل فقط ، فى سبيل استقلال وطننا ووحدته .

ب ــ لان مواطنينا موحدون تماما :

هنالك فكرة وحيدة تشغل بال شعبنا : الا وهى الرغبة فى الا يستعبد مطلقا .

وهنالك تصميم واحد يحرك شعبنا : وهو ألا يفقد وطنه .

وله هدف واحد فقط : وهو شن حرب المقاومة ، فى سبيل تحقيق وحدة الوطن واستقلاله .

ج ــ لان ضباطنا وجنودنا شجعان :

ان سلاحنا قليل ، وخبرتنا قليلة . لكن بتصميم ضباطنا ورجالنا ، وبروح التضحية التى يبدونها سجلنا انتصارات عسكرية .

د ــ لان استراتيجيتنا صحيحة :

تنحصر رغبة العدو فى انه يريد الضرب بسرعة ، والانتصار بسرعة . واذا طالت الحرب ، فسوف يمنى جيشه بخسائر فادحة ، وسوف ينهزم . وهذا هو السبب الذى يفسر لماذا خططنا استراتيجية حرب المقاومة الطويلة المدى من أجل تطوير قواتنا وزيادتها ، ومن أجل جمع المزيد من الخبرة . اننا نلجأ الى تكتيك حرب العصابات لانهاك قوات العدو ، الى ان يأتى اليوم الذى نشن فيه هجوما عاما كاسحا يكنسهم من بلادنا . وأكثر من ذلك ، فان كل مواطن فى حرب المقاومة الطويلة المدى هو مقاتل . وكل قرية هى موقع محصن ..

هـ ــ لان لنا اصدقاء عديدين :

ان الحرب العدوانية التى يشنها الرجعيون الاستعماريون هى حرب غير عادلة ومكروهة من كل انسان ... لذلك فنحن نحظى بتأييد العديد من الناس ، اذ تريد اغلبية الشعب الفرنسى العيش معنا بصداقة وسلام .

وتعطف علينا شعوب المستعمرات . وتدعمنا شعوب آسيا . ويؤيدنا الرأى العام فى كل العالم .

لقد فشل العدو تماما ، وانتصرنا نحن تماما من وجهة النظر المعنوية .

١٩ يونيو عام ١٩٤٧

اهمية التسلح بالنظرية

ملحوظة : يذكر هوشى منه فى التقرير السياسى الذى قدمه لحزب العمال الفيتنامى [فبراير عام ١٩٥١] ، ان حرب المقاومة الفيتنامية مرت بثلاث مراحل :

ــ من ٢٣ سبتمبر عام ١٩٤٥ ، الى شتاء عام ١٩٤٧ ، وهى مرحلة المحافظة على القوات الاساسية وزيادتها .

ــ المرحلة الثانية من عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٥١ ، وهى مرحلة الصراع الايجابى مع العدو ، والتحضير للهجوم المضاد .

ــ اما المرحلة الثالثة ، فهى الهجوم المضاد والعام ، الذى رفع شعاره فى أوائل عام ١٩٥٠ .

وفى هذا التقرير السياسى الشامل ، قدم هوشى منه تحليلا للوضع الدولى ، ونقدا للاخطاء التى وقع فيها الحزب ، وثمن الانجازات التى قام بها . واهتم اهتماما خاصا بقضية الدراسة الايديولوجية ، ورفع المستوى الفطرى وتحسين التنظيم ، وأكد على هذه مهمات عاجلة تواجه الحزب . وفى مايو عام ١٩٥٢ ، خطب هوشى منه ، فى الدورة الاولى للدراسة الايديولوجية ، التى افتتحتها اللجنة المركزية للحزب . وجاء فى هذا الخطاب عن أهمية العمل الايديولوجى :

لماذا يجب علينا ان نقوم بعملية الصياغة الايديولوجية للحزب ؟

لقد قاد حزبنا الطبقة العاملة والشعب بنجاح فى ثورة اغسطس ، وحرر شعبنا من الحكم الاستعمارى والنظام الملكى ، وأسس سلطة الشعب .

أمريكا العدو الرئيسي

تقرير الى الاجتماع السادس للجنة المركزية لحزب العمال في فيتنام .

(مقتطفات)

بعد أن عالج هوشي منه معطيات الوضع الدولي الرئيسية مركزا على تحليل التناقضات الرئيسية في صفوف العدو ، خصوصا بين الولايات المتحدة الامريكية من ناحية وبين فرنسا وبريطانيا من ناحية انتهى الى أن الخط العام للسياسة الامبريالية مقضي عليه بالفشل ، ثم انتقل بعد ذلك الى الوضع الداخلي .

الوضع الداخلي : لقد واصلت شعوب فيتنام وكمبوديا ولاوس تدعيم مقاومتهم وذلك بفضل تضامنهم . وان تواتنا من الانتصار [حرب العصابات] تبدى صمودا ، وتزداد نماء في جنوب فيتنام وفي شمالها ووسطها . وسجلت تواتنا نجاحات متكررة ابتداء من حملة الحدود (١١) الى حملات هوى بنه ، وتان باك ، وغيرها من الحملات . وان الانتصارات التي أحرزناها من قبل وانتصاراتنا في « دين بيان فو » وضعت اقدامنا على نقطة تحول . وان الفشل الذي منيت به خطة « نافار » قد أدى الى اسقاط حكومة لانيل — بيدو والى تقلص منطقة الاحتلال الفرنسية .

ونحن نعزو نجاحاتنا الى السياسة الصحيحة التي يسير عليها حزبنا وحكومتنا ، والى بطولة مقاتلينا وشعبنا ، والى التأييد الاخوي الذي تمنحه لنا البلدان الشقيقة وشعوب العالم . وان نجاحاتنا هي أيضا نجاحات الحركة العالمية من أجل السلام والديموقراطية .

وبالاضافة الى نجاحنا على الجبهة العسكرية ، فقد أحرزنا نجاحات رئيسية أيضا على الجبهة المعادية للاقطاع . ان النجاحات السابقة [العسكرية] قد أثرت في تعبئة الجماهير الشعبية وحشدها لتنفيذ سياستنا الزراعية ، اما النجاحات اللاحقة [ضد الاقطاع] فكان لها اثرها في نضالنا ضد الامبريالية . ان نجاحاتنا تلهم شعبنا كما تلهم شعوب العالم ، وتدعم مواقفنا في جنيف . لقد أرغمت عدونا على أن يستأنف المفاوضات معنا .

رسالة مفتوحة الى السيد ألبير سارو

(وزير المستعمرات)

يا صاحب السعادة :

نحن نعلم ان عواطفك جياشة نحو سكان المستعمرات عامة ، ونحو الانامين خاصة .

لقد عرف الشعب الانامي في عهد ولايتك سعادة حقيقية ورفاهية اكيدة . ان سعادتك قد تجلت في رؤيته لبلاده مرصعة ارجاؤها بمغالق الافيون والخمور . وقد امتزجت هذه المغالق مع فرق اطلاق النار والسجون و « الديموقراطية » ، وكل الاجهزة المتطورة للمدنية الحديثة لتجعل الانامين اكثر الاسيويين تطورا ، واسعد الاحياء قاطبة .

ان كل مظاهر الاحسان هذه تعفينا من مشقة الاتيان على ذكر مظاهر اخرى ...! مثل التجنيد الاجباري والديون والاضطهاد الدموي وخلع الملوك ونفيهم وتدنيس الاماكن المقدسة ... الخ .

وكما يقول الشاعر الصيني :

« تأتي نسمات الحنان مع مروحتك
وتقفو الامطار آثار عربتك »

ولما كنت الآن صاحب الكلمة الاولى في المستعمرات ، فان عنايتك الخاصة بشعب الهند الصينية زادت مع ارتفاع مرتبتك .

لقد اسست في باريس ذاتها دائرة لها مهمة خاصة ، هي مراقبة ابناء المستعمرات ، الذين يعيشون في فرنسا وبخاصة الانامين منهم . وكما ورد في احدى البلاغات عن المستعمرات ، فان على هذه الدائرة الاهتمام بصورة خاصة بالهند الصينية .

ولكن ان يقتصر الامر عند حد « المراقبة » وحدها ، فهذا مالا يرضاه عطفك الابوي يا صاحب السعادة ...؟ فانت تريد ان تفعل ما هو افضل . لذلك فقد عينت منذ مدة ياورا خاصا لكل انامي . [او كما تقول سعادتك — عزيزي الانامي] ان هؤلاء الرجال طيبون ، ومخلصون جدا ، وبصورة خاصة ودودون ، رغم كونهم مازالوا تلامذة في فن شرلوك هولمز . فنحن لا نملك سوى المديح نخلعه عليهم ، وليس لدينا غير عبارات الثناء ، ننثرها على رئيسهم ... على سعادتك .

لقد تأثرنا جدا بالشرف الذي خصنا به لطفك الزائد يا صاحب السعادة ، وتأكد اننا كنا سنقبله بالشكر الجزيل ، لولا انه بدا زائدا بعض الشيء . ولولا انه سيجلب علينا حسد الاخرين وغيرتهم .

ثم ... في الوقت الذي يحاول فيه البرلمان ادخار بعض الاموال والتقليل من عدد الموظفين ... في الوقت الذي تعاني فيه الميزانية من عجز كبير . في الوقت الذي تحتاج فيه الصناعة والزراعة الى الايدي العاملة .. في الوقت الذي تبذل فيه المساعي لزيادة الضرائب على اجور العمال ... في الوقت الذي تتطلب فيه زيادة السكان استخدام كل القوى المنتجة . اقول في مثل هذا الوقت لن يكون من الوطنية في شيء ان نقبل مثل هذه الامتيازات الشخصية التي تبعثر سدى جهد المواطنين ، حين ينزل هذا الجهد الى مستوى الياور الخصوصي ، اي الى الكسل وتبذير الاموال التي شقيت البروليتاريا في كسبها .

وبالتالي ، ومع بقائنا ممتنين جدا لكم .. فنحن نتنازل مع الاحترام الشديد ، عن هذا الشرف رغم كونه ثناء علينا الا انه يكلف البلاد غاليا .

اما اذا كنتم سعادتكم تصرون على معرفة الذي نفعله كل يوم ، فلا يوجد هنالك ما هو اسهل من تحقيق هذه الرغبة يكون على سعادتكم سوى مشقة قراءتها .

ان جدول حياتنا اليومي بسيط في منتهى البساطة ، وهو ثابت لا يتغير في اغلب الايام :

صباحا : من الساعة ٨ حتى ١٢ في المصنع

بعد الظهر : في مكاتب الصحف (الصحف اليسارية طبعا) او في المكتبة .

في المساء : في البيت او في حضور محاضرات ثقافية

الاحاد والاعياد : زيارة المتاحف او اماكن التسلية الاخرى

نأمل ان يكون نمط الحياة هذا معقولا وملائما ، يرضي سعادتكم نرجو ان نبقى ..

نيجوين آي كيوك

ليباريه اول اغسطس ١٩٢٢ .

(هوشي منه : مختارات : حرب التحرير الفيتنامية . دار الطليعة — بيروت ١٩٦٨) .

---

(١١) الحدود الفيتنامية الصينية

وان مهمة حزبنا اليوم ، هي توحيد طبقتنا مع الشعب ، وقيادتها في حرب المقاومة ، وبناء الوطن ، وانها لمهمة ضخمة ، لا يمكن ان تنجز الا عن طريق حزبنا ، حزب الطبقة العاملة والناس الكادحين .

يتسلح حزبنا بالنظرية الماركسية اللينينية ، التي هي اكثر نظرية ثورية ، وأكثر ايديولوجية علمية . وان خطته وسياسته صحيحتان ، وتمتد قواعده في طول البلاد وعرضها . وقد كرس أعضاؤه وكوادره أنفسهم للنضال دون شروط ، وتمرسوا في النضالات البطولية .

ولكن العديد من كوادرنا وأعضاء حزبنا ، لم ينالوا تدريبا كافيا ، بسبب الاوضاع الصعبة . وهذا يفسر لنا سبب المستوى الايديولوجي والسياسي المتدني ، والانحرافات العديدة . هذا واضح في أخطاء ، مثل عدم الوضوح بالنسبة لسياسة حرب المقاومة الطويلة الاجل ، وفي سياسة الاكتفاء الذاتي . كما لا يوجد خط فاصل واضح للتمييز بين الاعداء والاصدقاء ، ووجود المجزفة والبيروقراطية والفساد الكثير والخلاعة المنتشرة ... الخ .

وان حزبنا ، بوصفه حزبا قائدا ، يجب أن يكون قويا ونموذجيا .

ويجب أن يكون الحزب بأسره موحدا فكرا وعملا ، حتى يكون بمقدوره تنفيذ المهام التي أوكلت له .

وان هدف اعادة الصياغة الايديولوجية للحزب ، هو رفع المستوى الايديولوجي والسياسي لكوادر الحزب وأعضائه ، لتسليحهم بالمقدرة على العمل بانسجام مع الموقف البروليتاري ، ووجهة النظر البروليتارية .

اذا تم تنفيذ حملة اعادة الصياغة الايديولوجية في الحزب بنجاح ، فسوف تطور نجاحاتنا في الميادين العسكرية والسياسية والاقتصادية ... الخ .

وسوف يستطيع الحزب خلال تلك الحملة ، ان يقوي صفوفه وينظمها ، ويصحح اخطاءها ، كي تتناسب وحرب المقاومة حتى النصر . ذلكم هو مغزى اعادة الصياغة الايديولوجية للحزب .

يجب ان يكون للحملة محورا : بحيث يكون اعادة الاصلاح الايديولوجي أسبق من اعادة الاصلاح التنظيمي . ويجب ان تنظم دورة اعادة الصياغة الايديولوجية لاعضاء الكادر أولا .

ملحوظة : اعتمدنا في انتقاء النصوص السابقة من اقوال « هوشي منه » على كتاب « هوشي منه » مختارات حرب التحرير — منشورات دار الطليعة — بيروت عام ١٩٦٨ » .

وسنهزم الامبريالية الأمريكية

التدخل الامريكي في فيتنام

(مقتطفات)

حتى عام ١٩٥٠ كان الامريكيون يساعدون الفرنسيين على استرجاع الهند الصينية . ولكن عندما تصاعدت مقاومة فيتنام ولاوس وكمبوديا بدأ الامريكيون — منذ ذلك العام — يتدخلون تدخلا مباشرا في شئون الهند الصينية .

أسئلة وأجوبة في مؤتمر صحفي

س : سيادة الرئيس ، ماهي السياسة الحالية التي يسير عليها الامبرياليون في الهند الصينية ؟

ج : منذ أمد يتدخل الامبرياليون الامريكيون بكيفية سافرة في شئون الهند الصينية . وانه بنقودهم واسلحتهم ووفقا لتعليماتهم يشن المستعمرون التوسعيون الفرنسيون الحرب على فيتنام وكمبوديا ولاوس . ومن ناحية أخرى ، يشددون مؤامراتهم اكثر فأكثر لازاحة الاخيرين لكي يفوزوا بالسيطرة الكاملة على الهند الصينية . وهذا يفسر لماذا يتنامى تدخلهم في كل مجال من المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية وهذا أيضا يفسر بدوره التناقضات المتزايدة بين الامريكيين وبين الفرنسيين .

س : ماهو تأثير هذا التدخل في حياة شعب الهند الصينية ؟

ج : ان الامريكان يمدون خدمهم بالسلاح ليذبحوا شعب الهند الصينية .

وهم يغرقون الهند الصينية بسلعهم ليمنعوا تطور الصناعات الحرفية .

وفي المناطق التي يسيطرون عليها فان ثقافتهم الداعرة تفسد الشباب .

وهم يسيرون على سياسة شراء شعبنا واغوائه وتقسيم صفوفه . وهم يبذلون مافي وسعهم ليحولوا بعض العناصر السيئة الى عملاء يستعملونهم لغزو بلادنا .

س : ماهي الاجراءات التي نستطيع أن نتخذها ضدهم ؟

ج : لكي نكسب الاستقلال يتحتم علينا ، نحن شعب الهند الصينية ان نقاتل لنهزم المستعمرين الفرنسيين ، وهم عدونا رقم (١) وفي الوقت نفسه ، علينا أن نقاتل ضد المتدخلين الامريكان .

ولسوف يصبح تضامننا ، وقتالنا ضدهم أقوى بقدر مايزداد تدخلهم .

ولسوف نفضح مناوراتهم امام شعبنا ، خصوصا أمام هؤلاء الذين يعيشون في المناطق التي تخضع لسيطرتهم .

ولسوف نعري جميع هؤلاء الذين يعملون — كعملاء للولايات المتحدة — ليخدعوا شعبنا ويقسموا صفوفه .

وان التضامن الوثيق بين شعوب فيتنام وكمبوديا ولاوس يشكل قوة قادرة على هزيمة الفرنسيين المستعمرين والمتدخلين الامريكان . ولقد منى الاخيرون بالفشل في الصين ، ولسوف يفشلون في الهند الصينية أيضا .

٢٥ يوليو ١٩٥٠ .

ومنذ اللحظة الاولى فى حرب المقاومة بدا واضحا أن مواقعنا تزداد قوة ، وان مواقع العدو تزداد ضعفا . غير ان قوتنا وضعفهم أمور نسبية ، وليست مطلقة . وعلينا أن نحذر من النظرة الذاتية ومن التهوين من شأن العدو . ذلك ان نجاحاتنا قد استثارت الامبرياليين الامريكيين . فبعد حملة دين بيان فو طرأت أيضا تغيرات على مقاصد الولايات المتحدة الامريكية وعلى خطتها فى التدخل وذلك فى اتجاه اطالة امد حرب الهند الصينية وتدويلها ، وفى اتجاه تخريب مؤتمر جنيف ، وازاحة الفرنسيين بكل وسيلة ، ومايتبع ذلك من احتلال فيتنام وكمبوديا ولاوس ، واستعباد شعوب هذه البلدان ، وتأزيم الوضع الدولى .

لهذا لم تعد الولايات المتحدة ، عدوا لشعوب العالم فحسب ، بل انها تصبح بالتدريج العدو الرئيسى والمباشر لشعوب فيتنام وكمبوديا ولاوس .

وان التغييرات التى ذكرتها فيما سبق والتى طرأت على الوضع الدولى والداخلى قد أدت الى مؤتمر جنيف . الا أن هذا المؤتمر قد فاقم التناقضات فى صفوف البلدان الامبريالية ، ففرنسا راغبة فى المفاوضة ، وبريطانيا تتذبذب ، والولايات المتحدة قد خرجت لتحسرب المحادثات ولتنزلق بالتدريج نحو عزلة أشد خطرا .

وفى الوقت الحاضر يجب أن يستهدف عملنا منازلة الامبرياليين الامريكان — العدو الرئيسى لشعوب العالم والعدو المباشر والرئيسى لشعب الهند الصينية . وكل من ينفر من الولايات المتحدة سواء كان شخصا أو بلدا ، يستطيع — وان كان ذلك مؤقتا — أن ينضم الينا فى جبهة متحدة ضد الامبريالية . وهدفنا الذى لايتغير هو السلم والاستقلال والديموقراطية .

وعلينا أن نتمسك بالمبادىء بدون أدنى اهتزاز ولكن علينا أن نظهر المرونة فى التاكتيك .

— يوليو ١٩٥٤ —

المغزى الدولى لنضال شعب فيتنام

تقرير الى الاجتماع السياسى الخاص
(مقتطفات)

كانت السنوات العشرة السابقة سنوات نضال باسل وانتصارات مجيدة فى الجنوب . فلقد ظل اخوتنا فى الوطن هناك عشرين عاما يقاتلون بلا توقف دفاعا عن أرض الاباء . وفى نضالها ضد المستعمرين الفرنسيين ، ثم ضد الامبرياليين الامريكيين ، تغلبت القوى الوطنية فى جنوب فيتنام على كافة الصعوبات والمحن ، وازدادت قوتها كلما قاتلت ، وكسبت نتيجة لذلك وباستمرار ، انتصارات أعظم . ان فيتنام الجنوب لتستأهل بحق أن تدعى « الجدار النحاسى لارض الاباء » .

وفى الوقت الراهن ، تحققت شعوب العالم ، بما فيها الشعب الامريكى ، ان حرب المعدوان الامبريالية الامريكية مقضى عليها بالاخفاق . بل حتى فى داخل الدوائر الحاكمة الامريكية هناك اناس بدأو يرون أن الولايات المتحدة واتباعها الاذلاء قد دفع بهم الى طريق مسدود . ان آلاف الملايين من الدولارات ، وعشرات الالاف من أطنان الاسلحة تتدفق على جنوب فيتنام . وأرسل هناك أكثر من عشرين ألف مستشار عسكرى أمريكى ليتولوا قيادة نصف مليون من قوات فيتنام الجنوبية فى حرب لاترحم ضد اخوتنا فى الوطن . ومع ذلك ، فان النتيجة هى انه كلما طال أمد القتال ، كلما تفاقمت هزائمهم وغاصوا فى الوحل أكثر من ذى قبل .

ولكن لماذا يمنى امبرياليو الولايات المتحدة بالهزائم ؟ انهم يظنون أن هذا مرجعه الى عجز اتباعهم ، كما يظنون ان تغييرا فى الدمى [التى يحركونها] سيحدث انعطافة نحو موقف افضل . الا ان حالهم تتدهور كلما لجأوا الى تغيير اتباعهم وهم يلقون اللوم على افتقار جيش جنوب فيتنام الى روح القتال . حقا ، لماذا يتوجب على هذا الجيش الذى هو فيتنامى بحكم مولد جنوده أن يلهث وراء الغزاة الامريكيين ليقتل أبناء بلده ؟ ان وعيهم ليزداد اكثر فأكثر ، وهم يفتشون عن كل فرصة ليوجهوا بنادقهم ضدهم وضد الخونة .

وفوق ذلك ، يزعم المعتدون الامريكان واتباعهم أن فيتنام الشمالية تمد القوى الوطنية فى جنوب فيتنام بالسلاح . ولكن من المعروف جيدا أن هذه الاسلحة قد صنعت فى الولايات المتحدة ، وان الذى أمدهم بهذه الاسلحة هو جيش فيتنام الجنوبية . وان الصحافة الامريكية نفسها قد اعترفت بأن المقاتلين الانصار قد استولوا — خلال العام الماضى — على أكثر من ٨٠٠٠ قطعة سلاح امريكى ليسلحوا أنفسهم بها . والان ، فان دعاة الحرب الامريكيين وكلابهم الجديدة الراكضة ينفخون النفير « للزحف على الشمال » .

لكن عليهم أن يعرفوا أنهم اذا ماجترأوا بطيش ليضعوا ايديهم على الشمال ، فلسوف يمنون — بكل تأكيد — بهزيمة مخزية ، لان شعبنا بأسره سيقاتل بعزم ، ولان البلدان الاشتراكية والشعوب التقدمية فى جميع انحاء العالم ستساندنا بدون تحفظ ، ولان شعبنا سيدافع الولايات المتحدة وحلفاءه ، سيطردونهم أيضا .

وان الوضع الراهن فى جنوب فيتنام ليظهر بجلاء ان امبرياليى الولايات المتحدة ليس فى مقدورهم أن يتجنبوا الهزيمة فى « حربهم الخاصة » . واذا ماحدث انهم اخفقوا فى هـذه « الحرب الخاصة » التى يجربونها فى فيتنام ، فانهم سيفشلون فى كل مكان آخر . وهذا هو المغزى الدولى للنضال الوطنى لاخوتنا فى الوطن فى الجنوب منظورا اليه فى إطار النضال الوطنى التحررى فى العالم .

— مارس ١٩٦٤ —

سنقاتل ونبنى فيتنام

كلمة هوشى منه فى البرلمان

(مقتطفات)

ان جونسون رئيس الولايات المتحدة يهددنا أيضا بصوت مرتفع باستخدام العنف لاخضاع شعبنا . لكن هذا ليس سوى وهم أحمق . ان شعبنا لن يستسلم .

ان خطة تيلور قد احبطت . والمسبت بالمثل كخطة مكنمارا . اما خطة «التصعيد» التى يسعى الأمريكيون الآن لتنفيذها فى شمال فيتنام فسوف تفشل أيضا على وجه اليقين . وربما أتوا بمئات الالاف من ضباط وجنود الولايات المتحدة الامريكية ، وربما جروا مزيدا من قوات البلدان الدائرة فى فلكهم الى هذه الحرب الاجرامية ، غير أن جيشنا وشعبنا قد عقدوا العزم على أن يقاتلوهم ويهزموهم .

ونحن نحب السلم ولكننا لانخشى الحرب . ولقد صممنا على طرد المعتدين الامريكيين لندافع عن حرية وطن الاباء واستقلاله وسلامة اراضيه .

وان شعبنا فى جميع انحاء البلاد لعلى ثقة تامة بانه بتضامنه الايجابى ، وبروحه الشجاعة ، وبدهائه الخلاق ، وبعطف وبتأييد شعوب العالم ، بهذا كله سيقود بالتأكيد حرب المقاومة العظمى هذه نحو النصر النهائى .

وان شعبنا ليعبر عن امتنانه العظيم ، ويثمن تثمينا عاليا التضامن الاخوى والمساعدة المنزهة من قبل جميع البلدان

الاشتراكية خاصة من الاتحاد السوفيتي والصين — ونحمل الجميل ونقدر تضامن الشعوب في جميع القارات ، هـذه الشعوب التي ساندت نضالنا ضدالمعتدين الامبرياليين الامريكان — اشـد أعـداء الجنس البشري قساوة .

ونحن نرحب ترحيبا حارا بالشبان من مختلف البلدان ، الذين تطوعوا للذهاب الى فيتنام ، ولينضموا الينا في قتال المعتدين الامريكان .

ان الشعب الامريكي قد غررت به دعاية حكومته التي اغتصبت منه بلايين الدولارات لاغراض الحرب . ولقد لقى الالاف من الشبان الامريكيين — وهم أبناء الشعب الامريكي واخوته — موتا فاجعا أو أصيبوا بجروح تثير الشفقة على أرض المعارك الفيتنامية التي تبعد آلاف الاميال عن الولايات المتحـدة . وفي الوقت الحاضر ، تطالب المنظمات الجماهيرية ، والشخصيات في الولايات المتحدة حكومتهم بأن توقف حالا هذه الحرب الظالمة ، وان تسحب فورا قوات الولايات المتحدة من جنوب فيتنام . وان شعبنا قد صمم على ان يطرد الامبرياليين الامريكان — اعداءه الالداء . ونحن ، مع ذلك ، نعبر على الدوام عن صداقتنا مع الناس التقدميين في أمريكا .

ان حكومة جمهورية فيتنام الديموقراطية لتعلن بمهابة — مرة أخرى — عن موقفها الذي لايتزعزع ، وهو أنها عازمة على الدفاع عن استقلال فيتنام ، وسيادتها ، ووحدتها ، وسلامة أراضيها . ان فيتنام بلد واحد ، وشعب فيتنام أمة واحدة ، ولانسمح لكائن من كان أن يعتدي على هذا الحق المقـدس . ويجـب على الامبرياليـين الامريـكان ان يحترمـوا « اتفاقيات جنيف » ، وان ينسـحبوا من جنوب فيتنام ، وان يوقفوا على الفور هجماتهم على شمال فيتنام . فهذا هو الاجراء الوحيد لتسوية الحرب في فيتنـــام ، ولتنفيذ اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ ، وللدفاع عن السلم في الهند الصينية وفي جنوب شرقي آسيا . وليس ثمة من حل آخر . وهذا هو جواب شعبنا وحكومتنا على الامبرياليين الامريكان .

وان شعبنا ليعيش أمجد فترات تاريخه ولبلادنا الشرف العظيم لكونها مخفرا أماميا للمعسكر الاشتراكي ، ولجبهـة الشعوب العالمية ضـد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد .

وان شعبنا يقاتل ويضحي لا من أجل حريته واستقلاله فحسب ، بل من اجل حرية الشعوب الاخرى واستقلالها ومن اجل سلام العالم .

وان قواتنا المسلحة والشعب في الشمال ينخـرطون بحمـاس في بنـاء الاشتراكية بينما يقاتلون ببسالة للدفاع عن الشـمال ويسـاندون الجنوب قلبا وقالبا .

وانني لادعو جميع المواطنين والمقاتلين ليرفعوا على الدوام بطولتهم الثورية ، ويثقلتهم (؟) وقدرتهم القتالية وان يعملوا على نجاح حركة المباراة التي ترفع شعار « الواحد منا يعمل عمل اثنين » وان يتغلبوا بحزم على الصعوبات ، ويكملوا السعي لبناء شمال فيتنام والدفاع عنها ، وان يؤيدوا كل التأييد نضال اخوتنا في الوطن في جنوب فيتنام .

— ابريل عام ١٩٦٥ —

الشيء الذي أهلت له الامبريالية الفرنسية

(مقتطفـات)

... في زمن الحرب عندما كان سود افريقيا يذبحون على الارض الفرنسية دفاعا عن « المدنية » و « الانسانية » الخ . كانت فرنسا على اتفاق مع ايطاليا لمنع الليبيين من اللجوء الى الاراضي التونسية هربا من ملاحقة العصابات الايطالية .

واليكم ما حـدث :

ذات نهار بديع ، اثناء الحرب ، توجه الف من الليبيين من بينهم الشيوخ والشباب والنساء والاطفال ، يسوقون أمامهم مواشيهم الهزيلة ، نحو الحدود التونسية ، معتمدين على حقهم في اللجوء . فاعترضت طريقهم على الحدود فرق فرنسية تسندها المدافع الرشاشة ، ومنعتهم من التقدم فكان امام اولئك المطاردين احد خيارين :

اما ان يذبحهم الفرنسيون ، واما ان يرتدوا الى الصحراء ايموتوا عطشا وجوعا . ولكنهم اختاروا حلا ثالثا : فافترشوا الرمال وماتوا ببطء حيثما هم ، امام اعين حرسنا الفرنسي على الحدود .

وهاكم ماكتبته كلير جينيوكس عن هذه المأساة في جريدة ليونيفرسال : « كان ضباطنا يراقبون من خـلال مناظيرهم هذه الميتة البطيئة التي ماتها اولئك الناس البسطاء الذين جاءت الامم اللاتينية لتجلب لهم بركات المدنية .

كان الاطفال هم اول من ماتوا وهم ملتصقون بصدور امهاتهم المنهكـة . ولم تتأخـر النسـوة كثيرا في اللحاق بهم . أما الشيوخ فقد تضاءلوا الى كتل محزنة من الهزال مطمورة في الرمال . وبعدهم خمدت انفاس الشباب . وعندما اعتقد ان كل هؤلاء « الثوار » قد ماتوا لاحظ الطبيبان ناتال وكونسيل بضعة فتيات يتحركن قرب جثث ذويهن . فذهبا الليل ، ولاحظا ان قلوب هاته المخلوقات الصغيرات الجميلة السعيدة التي كانت تمرح كالجدبان مازالت تخفق بضعف شـديد .

وعندما وضعن في سيارات الاسعاف بدا على الطبيبين انهما سعيدان لانه سيكون بمقدورهما احياءهن . وحين دبت فيهن الحياة من جديد ابقاهن الطبيبان خادمات ذاويات بعد ان ذهب عنهن جمالهن ورونقهن مما كابدن من عذاب . وبهذا كانت اولئك الفتيات الاحياء الوحيدات من قبيلة ليبية مؤلفة من الف انسان » .

ان هذه الشهادة التي تمزق نياط القلوب لم تدل بها امرأة ثورية .

ان الاستعمار الفرنسي لا يحجم عن ارتكاب ابشع الجرائم .
لاكروسـبوندانس انترناسـيونال — رقـم ٢٠ — ١٩٢٤
(هوشي منه : مختارات حرب التحرير الفيتنامية — دار الطليعة بيروت ١٩٦٨) .

لنتبارى فى القتال وفى الانتاج

نداء فى ذكرى توقيع اتفاقيات جنيف

(مقتطفات)

بعد ان اشار هوشى منه الى ان الولايات المتحدة قد داست باقدامها اتفاقيات جنيف ، وبعد ان اشار الى مسلكها الهمجى والمنحط فى ذبح السكان وتدمير البلاد جاء فى ندائه :

من اجل ان ننجز واجبنا المقدس ، واجب مقاومة المعتدين الامريكان ولننقذ البلاد ، فاننى ادعو شعبنا وجنودنا فى الشمال ليزحفوا الى الامام ببطولة وبحماس ، وليتبارى كل منهم مع الاخر فى القتال وفى الانتاج .

فلتقاتل قوات الشعب المسلحة بشجاعة لتحرز انتصارات اكثر على الطريق ، ولتحطم كل هجمة جوية امريكية .

وليتبارى عمالنا وفلاحونا بعضهم مع بعض فى زيادة الانتاج ، وفى الاقتصاد فى النفقات ، وفى تطبيق شعار « الواحد يعمل عمل اثنين » ، وان يكونوا متأهبين للدفاع عن الشمال ولتأييد الجنوب .

وانتم ايها الضباط والجنود والموظفون فى ادارة حكومة سايجون! انتم ايضا ، تنحدرون من جدود اللاك والهونج ، وليس هناك من سبب يدعوكم لان تروضوا انفسكم على خدمة المعتدين الامريكان وعلى معارضة مواطنيكم ، الامر الذى يكسبكم سوء السمعة لاجيال واجيال . استيقظوا ، وانتقلوا الى جانب الشعب وساعدوا مسقط رأسكم على ان يتحرر وخصوه بخدماتكم .

وفيما يتعلق بالشعب الامريكى الذى يناضل بشجاعة ضد الحرب العدوانية التى تقودها الحكومة الامريكية ، فانى ارحب به باسم شعب فيتنام .

الا فلتدفعوا الى الامام الحركة ضد الحرب العدوانية التى تخوضها حكومة الولايات المتحدة فى فيتنام ، من اجل ان تنقذوا اولادكم واخوتكم من موت يورث الحسرات يخدم المصالح الخاصة لهؤلاء الذين يظلمونكم ويستغلونكم .

— يوليو ١٩٦٥ —

ستفشل خطة تقسيم الصفوف

حديث مع الصحفى البريطانى جراهام جرين

(مقتطفات)

ج . جرين : بدأت الولايات المتحدة تقصف بلادكم بالقنابل فى ٥ اغسطس ١٩٦٤ . ووفقا لما ذكرته وكالة الانباء الفرنسية شن السلاح الجوى الامريكى من ٧ فبراير ١٩٦٥ الى النصف الاول من نوفمبر ١٩٦٥ ، ١٧٫٤٠٠ غارة على اهداف فى فيتنام الشمالية . ولقد قيل لنا ان خطوط مواصلاتكم وقدرتكم الانتاجية قد اصيبت باضرار فادحة . ومهما يكن من امر الحماس الذى يقاوم به شعبكم فالى متى تستطيع بلادكم ان تحتمل هذا القصف المكثف بدون ان ترغم على البحث عن وسيلة او اخرى لحل النزاع ؟

هوشى منه : يقول المثل « ليس من رأى كمن سمع » . لقد زرت انت عددا من مناطق الشمال التى هاجمها السلاح الجوى الامريكى بوحشية ، ورأيت الوقائع بنفسك . ومن ثم تستطيع ان تستخلص لنفسك النتائج اللازمة .

وبالطبع ، لابد ان تكون فى اية حرب خسائر وتضحيات . ولقد صمم شعبنا على ان يصمد فى القتال ، وان يتحمل التضحيات لعشرة او لعشرين سنة : ذلك انه لا يوجد اثمن من الاستقلال والحرية . ولقد صممنا على الا ننثنى امام الصعوبات والخسائر المؤقتة ، وصممنا على الا نذعن امام عدوان الولايات المتحدة . لقد صممنا على ان ندافع عن حرية واستقلال أرض آبائنا . وصممنا فى الوقت نفسه على الا تبتلى امريكا الامم الاخرى بمصيبة العدوان .

ج . جرين : ان شعب الولايات المتحدة ، كما تعلمون ايها الرئيس هو ، يرى فى الشيوعية قوة شريرة يجب ان تقاوم حيثما كانت . وان احد الاسباب الذى دعا الولايات المتحدة الى ان تتورط فى فيتنام هو الاعتقاد بأنه لو سحبت قواتها من جنوب فيتنام فستتوحد البلاد — حتما — تحت حكومة شيوعية .

بل هناك اكثر من هذا ، وهو انهم يشعرون بأن فيتنام ستقع — برمتها — تحت نفوذ الصين ، ومن يكون فى مقدورها ان تنحو ، كما تريد هى بل ستنحو فقط بالكيفية التى تعمل بتحقيق اهداف الصين التوسعية .

ومن ثم فان سؤالى هو : الا تتلقون من الصين — فعلا — مقادير كبيرة من المساعدات العسكرية ؟

وهل فى وسعكم ان تقفوا بدون مبالاة عندما ترون ان هناك امكانية لان يسيطر على بلادكم بلد اقوى ولا حدود لقوته ؟

هوشى منه : يكره الرأسماليون الشيوعية ، وهذا جزء من طبيعتهم الطبقية ، اما فيما يتعلق بشعبنا الكادح فانه يحب الشيوعية ، وهذا يتفق مع مصالحه الطبقية . ولعلك تعلم تماما — بدون شك — ان تشويه الشيوعية لخداع الناس انما هو منهج مألوف من مناهج سياسة العدوان الامبريالية الامريكية .

وفيما يتعلق بالعلاقات بين شعب فيتنام وبين شعب الصين ، فانها علاقات اخوية وهى وثيقة بقدر ماهى وثيقة العلاقة بين الشفاه والاسنان . ان عطف الصين على فيتنام وتأييدها ومساعدتها لها ثمينة جدا وفعالة جدا .

والصين ، مثلها فى ذلك مثل الاتحاد السوفييتى وسائر البلدان الاشتراكية الاخرى ، توافق كليا على خط النضال الذى تسير عليه كل من جمهورية فيتنام الديموقراطية ، وجبهة التحرر الوطنى فى جنوب فيتنام ، وهى تؤيد من كل قلبها حرب الشعب الفيتنامى ضد المعتدين الامبرياليين الامريكان . اما محاولات الولايات المتحدة لبذر بذور الفرقة بين فيتنام وبين الصين ، وكل محاولة لتقسيم صفوف البلدان الاشتراكية سيكون مآلها — كلها — الفشل المزرى .

ان سؤالك السابق انما يبين انه لايزال فى الغرب اناس كثيرون لا يفهمون ان العلاقات الوشيجة بين البلدان الاشتراكية اساسها مبادىء الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية .

— ١٨ نوفمبر ١٩٦٥ —

رسالة الى الرئيس جونسون

[النص الكامل]

سعادة المستر ليندون ب . جونسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية .

سعادة الرئيس :

تلقيت رسالتكم في ١٠ شباط ١٩٦٧ وهذا هو ردي :

تبعد فيتنام عن الولايات المتحدة آلاف الاميال . وشعب فيتنام لم يلحق اى اذى بالولايات المتحدة . ولكن الولايات المتحدة قد تدخلت في فيتنام بدون توقف وذلك بكيفية مناقضة للتعهدات التي التزم بها ممثلها في مؤتمر جنيف عام ١٩٥٤ ، ولقد شنت حرب عدوان ، وكثفت هذا العدوان ، على جنوب فيتنام ، بهدف تعميق تجزئة فيتنام ، وتحويل جنوب فيتنام الى مستعمرة جديدة ، والى قاعدة عسكرية للولايات المتحدة . ومنذ اكثر من عامين نقلت حكومة الولايات المتحدة ، – مستخدمة قواها الجوية والبحرية – الحرب الى جمهورية فيتنام الديموقراطية ، وهو بلد مستقل وذو سيادة .

وارتكبت حكومة الولايات المتحدة جرائم الحرب ، وهي جرائم ضد السلم وضد الجنس البشري . ففي جنوب فيتنام ، التجأ نصف مليون من جنود الولايات المتحدة والدول الدائرة في فلكها الى اشد الاسلحة مجافاة للانسانية والى اكثر الوسائل همجية في شن الحروب ، مثل النابالم ، والمواد الكيماوية والغازات السامة ، ليذبحوا مواطنينا ، وليهلكوا المحصولات ، ويمحوا القرى من سطح الارض . وفي فيتنام الشمالية القت طائرات الولايات المتحدة مئات الالاف من اطنان القنابل ، فدمرت المدن ، والقرى ، والمصانع ، والطرق ، والجسور ، والسدود ، بل لقد دمرت حتى الكنائس والمعابد ، والمستشفيات والمدارس . ولقد رثيتم في رسالتكم للالام والدمار الذي تحملته فيتنام . قبل لي ان اسألكم : من الذي يرتكب هذه الجرائم البشعة ؟ انها قوات الولايات المتحدة وقوات الدول الدائرة في فلكها . وتتحمل حكومة الولايات المتحدة المسئولية الكاملة عن هذا الوضع الذى وصل في فيتنام الى حد بالغ الخطورة .

ان عدوان الولايات المتحدة على فيتنام انما يشكل تحديا لبلدان المعسكر الاشتراكي ، وتهديدا للحركة الوطنية من اجل الاستقلال وخطرا جديا على السلم في آسيا وفي العالم .

ان شعب فيتنام يكن حبا عميقا للاستقلال ، والحرية والسلام . ولكن في مواجهة عدوان الولايات المتحدة نهض الشعب متحدا كرجل واحد ، غير خائف من التضحيات والصعوبات ، لقد صمم على ان يواصل المقاومة حتى يكسب الاستقلال الحقيقي ، والحرية والسلم . وان قضيتنا العادلة تتمتع بعطف قوي من جانب شعوب العالم كله بما في ذلك قطاعات واسعة من الشعب الامريكي .

ان حكومة الولايات المتحدة قد اطلقت حرب العدوان من عقالها في فيتنام . ويجب عليها ان توقف هذا العدوان . فهذا هو الطريق الوحيد لاعادة السلم . ويجب على حكومة الولايات المتحدة ان توقف – نهائيا وبدون شروط – غاراتها الجوية وكل الاعمال العسكرية الموجهة الى جمهورية فيتنام الديموقراطية ، وان تسحب من جنوب فيتنام كل القوات التابعة للولايات المتحدة وللدول الدائرة في فلكها : وان تعترف بجبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام ، وان تترك شعب فيتنام ليتولى بنفسه شئونه الخاصة . فهذا هو المضمون الرئيسي للنقاط الاربعة التي تتمسك بها حكومة فيتنام الديموقراطية هذه النقاط التي تتجسد فيها المبادىء الاساسية ومواد اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ عن فيتنام . انها الاساس لحل صحيح لمشكلة فيتنام .

ولقد اقترحتم في رسالتكم ، ان تجرى محادثات مباشرة بين جمهورية فيتنام الديموقراطية وبين الولايات المتحدة . فاذا صح ان الولايات المتحدة ترغب حقا في هذه المحادثات ، فيجب عليها اولا وقبل كل شيء ان توقف غاراتها الجوية وكل العمليات العسكرية الموجهة ضد جمهورية فيتنام الديموقراطية . وانه فقط بعد ان تتوقف الغارات الجوية وكل العمليات الحربية ضد جمهورية فيتنام الديموقراطية – بدون قيد او شرط – يمكن ان تدخل جمهورية فيتنام الديموقراطية وحكومة الولايات المتحدة في محادثات ، ويمكن ان تناقش المسائل التي تخص الجانبين .

ان شعب فيتنام لن يذعن ابدا للقوة ، ولن يقبل قط محادثات تحت تهديد القنابل .

ان قضيتنا قضية عادلة على الاطلاق . ورجاؤنا ان تتصرف حكومة الولايات المتحدة وفق مايقتضيه العقل .

وتفضلوا ...

ملحوظة : الاعمال المختارة من هوشي منه في الجزء الثالث والاخير مترجمة عن الانجليزية من كتاب « هوشي منه » ضد عدوان الولايات المتحدة ومن اجل الخلاص الوطني – دار النشر باللغات الاجنبية – هانوى ١٩٦٧ » .



مكتبة الطليعة

الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفييتية

■ تأليف

مجموعة من القادة السوفيت

■ ترجمة

محمد عبد الحليم ابو غزالة

■ عرض وتعليق

محمود عزمى

■ الناشر

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

أربعة عشر ضابطا من كبار الضباط السوفييت من بينهم خمسة جنرالات وتسعة عقداء ، بعضهم حاصل على درجة الدكتوراه أو الماجستير فى العلوم العسكرية ، اشتركوا فى وضع هذا الكتاب تحت اشراف الماريشال «**سوكولوفسكى**» أحد القادة السوفييت المشهورين خلال الحرب العالمية الثانية . وقد استعان المؤلفون أيضا بآراء وارشادات أربعة جنرالات آخرين .

ويقدم المؤلفون كتابهم الهام هذا بعبارة كتبها الماريشال « مالينوفسكى » — وزير الدفاع السوفيتى السابق — تقول « لسنا من أنصار القول المأثور [خير وسيلة للدفاع هى الاعتداء] لان هذه الفكرة لا تناسب اطلاقا الحكومات الاشتراكية التى تحب السلام بطبيعتها . وعليه فنحن نسوق قولا آخر : خير وسيلة للدفاع هى اعلام العدو بقوتك واستعدادك لتدميره عند أول محاولة للعدوان » . ويردفون هذه العبارة

بقولهم « وهذا هو السبب الذي من أجله لم نخف أفكارنا عن الحـرب المقبلة وطرق ادارتهـا ، وشرحنا هذه النظريات في كتاب « الاستراتيجية الحربية » ».

ومن هذا المنطلق الفكرى يمضى المؤلفون فى عرضهم المفصل لنظرية الاستراتيجية الحربيـة السوفيتية خلال مراحل تطورها المختلفة منـذ الحرب الاهلية عام ١٩١٧ حتى تاريخ صـدور الطبعة الثالثة المنقحة من ذلك الكتاب فى عام ١٩٦٨ ، بطريقة تجعل الكتاب يناسب عـدداً كبيراً من القراء .

مضمون الاستراتيجية الحربية

كلمة « استراتيجية » ـ تعنى « قيادة القوات » وقد تطور مفهوم هذه الكلمة عبر العصور منـذ اليونان القديمة حتى عصرنا الحالى تطوراً كبيراً مشابهاً الى حد ما تطور مفهوم كلمة « فلسفة » « فاذا كانت الفلسفة فى أول ظهورها تعتبر العلم الذى يتضمن كل المعلومات عن الطبيعة والمجتمع فان الاستراتيجية فى بداية تطورها ، كانت تحتل مركز علم العلوم فى ميدان المعلومات الحربية ، وكانت تعرف حتى نهاية القرن التاسع عشر تقريباً بأنها : أسلوب تكامل العمل الحربى كله ، ونتيجته وفلسفته » . ثم بدأت العلوم العسكرية المختلفة تتشكل تدريجياً بصورة مستقلة عن الاستراتيجية منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً ، التى انحصر مفهومها فى مجال استخدام كل القوى الحربية للدولة ووسائلها فى الحرب ومعالجة الاسس العامة لاستخدام الافرع المختلفة للقوات المسلحة وتنسيق جهودها لتحقيق هدف عسكرى سياسى موحد . هذا وتحتل الاستراتيجية مركز الصدارة فى فن الحرب الذى ينقسم عنـد السوفييت الى ثلاثة علوم عسكرية أساسـية هى : **الاستراتيجية ، والفن التعبوى ، والتكتيك** بينما ينقسم عند الكتاب العسكريين الغربيين الى قسمين رئيسيين هما : **الاستراتيجية والتكتيك** .

ولا يظل مضمون الاستراتيجية الحربية ثابتاً وانما يتطور تبعاً لتطور العـلوم الاخرى التى ترتبط بها ارتبـاطاً وثيقاً وتبعـاً لتغير تعريف موضـوع الاسـتراتيجية والمهام التى تحـددها سياسة الدولة لها .

وتعتمد الاستراتيجية باعتبارها علماً حديثـاً على معرفة القوانين التاريخية للحرب كصراع مسلح التى تمكننا من التنبؤ بطبيعة الاعمـال الحربية فى أى حرب مقبلة .

وبناء على ماتقدم يعرف المؤلفون الاستراتيجية الحربية بأنها عبارة عن « نظام المعلومات العلمية عن القواعد القياسية للحرب كصراع مسـلح يخدم مصالح طبقية معينة . وعلى أساس دراسة خبرة الحروب ، والموقف العسكرى والسياسى ، والامكانيات الاقتصـادية والمعنوية للـدولة ، والوسائل الجديدة للصراع المسلح ، ونظرات العدو المحتمل ، تقوم الاستراتيجية بدراسـة احوال وطبيعة الحرب المقبلة ، وطرق تجهيزها وادارتها ، وأفرع القوات المسلحة ، وقواعـد استخدامها الاستراتيجى ، وكذا أسس التأمين المادى والفنى ، وقيادة الحرب والقوات المسلحة وفى الوقت نفسه هى ميدان النشـاط العملى للقيادة السياسية العسكرية العليا ، والقيادة العسكرية العليا ، والرياسات العليا المختلفة ، الذى يهدف الى فن تجهيز الدولة والقـوات المسلحة للحرب وادارة الصراع المسلح فى ظروف تاريخية معينة » .

الاستراتيجية والسياسة

على أساس أقوال « **لينين** » المتعلقة بطبيعة الحرب والتى جاء فيها مثلاً أن « **السياسة هى الفـكر أما الحرب فهى الوسـيلة فقط وليس العكس** » و « أن الحرب جزء من كل ، وهذا الكل هو السياسة » و « أن الحرب ـ ببساطة ـ هى امتداد للسياسة بوسائل عنيفة أخرى » يوضح المؤلفون العلاقة الوثيقـة القائمة بين الاستراتيجية الحربية والسياسة التى تتبعهـا الدولة وكيف أن الهدف السياسى يحدث تأثيراً حاسماً على طريقة الحرب ويضربون لذلك عدة أمثلة بارزة من تاريخ الحروب المختلفة ، كما انه يحدد السمة العامة للاستراتيجية الحربيـة المتبعة خلال فترة تاريخيـة معينة ويؤثر على نتائجها العملية من حيث النجاح أو الفشل ، تبعاً لصحة هذا التحديد وسلامة التقدير السياسى الشامل للموقف .

الاستراتيجية والاقتصاد

يقول **فردريك انجلز** « ان السلاح ، التنظيم ، والتكتيك والاستراتيجية ، تتوقف كلها ـ قبـل كل شىء ـ على مستوى الانتاج الذى تم الوصول اليـه .. » ويقـول لينين « ان العـلاقة بين الاسـتراتيجية الحربية للـدولة وكل نظمهـا الاقتصادية والثقافية لم تكن فى وقت من الاوقات بمثل هذه القوة كما هى فى الوقت الحاضر » . وعلى اساس هذه المفاهيم الماركسية للعلاقة بين الاستراتيجية والاقتصاد يوضح المؤلفون أنه كانت هناك دائماً علاقة تبادلية التأثير بين كل تطوير فى صنع الاسلحة نوعياً وكمياً وبين الاستراتيجية الحربية المتبعة .وكذلك الامر بالنسبة لتطور طرق النقل والمواصلات والاتصالات . ولذلك كـان

لظهور الاسلحة النووية أثر كبير على تطور الاستراتيجية الحربية تطورا جذريا .

وأنه وبغض النظر عن أن الاقتصاد يتطور تبعا لقوانينه الخاصة، فان تطوره يتأثر بواجباته الضرورية تجاه الاستراتيجية ، ولذلك يجب أن تراعى مطالب الاستراتيجية الحربية عند وضع خطط التطور الاقتصادى وأن تكون الدولة مستعدة دائما لاعادة بناء اقتصادها على أساس برنامج عسكرى فى حالة قيام الحرب ، الامر الذى يسهل تدبيره بصورة أكفأ فى الدول الاشتراكية عنها فى الدول الرأسمالية التى كثيرا ما يتحكم فى اتجاهات الانتاج الحربى فيها قانون أقصى ربح وما يسببه من فوضى فى الانتاج ».

الاستراتيجية والعنصر المعنوى السياسى

يحتل العامل المعنوى مكانا بارزا فى الخطط الاستراتيجية،وذلك بحكم انالخطط الاستراتيجية تعتبر انعكاسا للسياسة ، وانه اذا كانت السياسة تمثل مصالح الشعب فان الاستراتيجية ستتمتع بتأييد الشعب ، وفى الحالة المضادة « تكون هذه الخطط كأنها مبنية على الرمال » ويكتسب هذا العنصر قيمة خاصة فى ظروف الحرب الصاروخية النووية التى تتعرض خلالها جميع الاسس السياسية والمادية والمعنوية للدولة لنير تجربة قاسية قد تقضى عليها تماما اذا لم تعرف كيف تواجهها . والمصدر الرئيسى للروح المعنوية المرتفعة للقوات المسلحة فى رأى المؤلفين ينبع من « التناسق السياسى والاجتماعى لمؤخرة الدولة واجماع كل طبقات السكان » . ولذلك تسعى الدول الاستعمارية دائما وقدر ما يمكنها فى رسم استراتيجيتها العدوانية « على نظرية [الحرب الخاطفة] معتمدين فى ذلك على أنه فى الحرب الخاطفة لا يتمكن التفوق المعنوى والسياسى ، الذى يتميز به المعسكر الاشتراكى ، من أحداث الاثر نفسه فيما لو أن الحرب طال أمدها » .

المفهوم الطبقى للاستراتيجية السوفيتية

على اساس السياسة العامة للحكومة السوفيتية من أجل تدعيم السلام فى العالم الذى تراه ظرفا ملائما لبناء الاشتراكية ونجاح الثورات الوطنية، تلك السياسة التى ترى أنه من الواجب أن يتم الصراع بين المعسكرين الاشتراكى والراسمالى بالطرق السلمية ، أى فى اطار سياسة التعايش السلمي التى تفرضها المخاطر المهلكة للحرب النووية الحديثة ، يتلخص المفهوم الطبقى للاستراتيجية الحربية السوفيتية فىزيادة القدرة الدفاعية للقوات السوفييتية المسلحة من حيث التسليح والتنظيم والتدريب والاعداد الاقتصادى والسياسى ، بشكل مستمر حتى تنجح فى صد العدوان الاستعمارى المحتمل حدوثه فى أى وقت ضد دول المعسكر الاشتراكى ».

« وذلك لانه بغض النظر عن وجود ونمو العوامل التى تساعد على تأمين السلام ، فان خطر نشوب حروب عدوانية جديدة يشعلها الاستعماريون ما زال باقيا ... » .

طبيعة الحرب الحديثة

ان ما وصل اليه العلم الحديث والمعرفة الفنية والصناعية فى مجال اختراع وانتاج الاسلحة النووية والصواريخ المختلفة الاشكال والاغراض واستخدام الاجهزة الالكترونية فى الاغراض الحربية ، وامكان استخدام الاقمار الصناعية وسفن الفضاء فى قصف الاهداف الارضية بالقنابل النووية ، قد حدد طبيعة الحرب العالمية المقبلة وطرق ادارتها واسس بناء القوات المسلحة التى ستشترك فيها .

وقد ظهرت الاسلحة النووية فى الاتحاد السوفيتى فى نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات فى صورة قنابل ذرية ، ثم بعد ذلك فى صورة قنابل هيدروجينية ، وكانت الوسائل المتاحة لالقائها وقتئذ هى الطائرات ، وبعد ذلك بقليل ظهرت الرؤوس النووية التى تحملها الصواريخ المختلفة الانواع والطوربيدات . وقد تم تزويد جميع أفرع القوات المسلحة السوفيتية بأسلحة نووية خلال الستينات على المستويات الاستراتيجية والتكتيكية المختلفة ، بما فى ذلك القوات البرية والجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوى ، بالاضافة الى القوات الصاروخية الاستراتيجية . ولادراك خطورة النتائج المترتبة على هذا التطور السريع فى التسليح ووسائل ايصال الاسلحة الى أهدافها على طبيعة الحرب المقبلة حال اشتعالها غير المرغوب فيه ، فيكفى أن نعرف مثلا أنه « تبعا لحسابات الخبراء السوفييت والاجانب وجد انه لو فجرت حوالى ١٠٠ قنبلة نووية قوة كل منها ٢ ميجاطن [والميجاطن يساوى مليون طن من مادة ت.ن.ت شديدة الانفجار] بفواصل زمنية صغيرة فوق دولة متقدمة صناعية مساحتها حوالى ٣٠٠ — ٥٠٠ الف كيلو متر مربع فانها تعتبر كافية لتحويل جميع مراكزها الصناعية والسياسية والادارية الى كومة من

الانفاض ؟ في حين تصبح كل أراضيها عبارة عن صحراء جرداء ملوثة بالمواد المشعة القاتلة »

وقد كتب العالم الامريكي « **آونس بولنج** » الحائز على جائزة نوبل للسلام في نهاية ١٩٦٣، موضحا انه طبقا لحساباته يمكن القول بأن لدى الاتحاد السوفييتي نحو عشرة آلاف ميجاطن من القنابل النووية ، وأن هذه القوة النووية اذا ما ضربت بها الولايات المتحدة الامريكية « فسان جميع سكانها تقريبا يقتلون وتدمر الدولة كلها »

وقد قال « **ماكنمارا** » — وزير الدفاع الامريكي السابق — في عام ١٩٦٥ بأن ضربة سوفيتية نووية الى ٢٠٠ مدينة فقط قد تؤدى خلال ساعات قليلة من نشوب الحرب الى قتل ١٥٠ مليون نسمة وتدمير ثلثا الصناعة الامريكية .

وبالاضافة الى الاسلحة النووية والصاروخية دخل عنصر جديد خطير الاثار في تسليح الجيوش الحديثة ألا وهو المعدات الالكترونية الحديثة وخاصة الحواسب الالكترونية التي تعتبر جزءا جوهريا من نظام التوجيه للاسلحة الصاروخية، بدونه لا يمكن استخدام هذه الاسلحة بنجاح . وهذه الاجهزة والمعدات لازمة أيضا لتوفير سيطرة فعالة على القوات المسلحة ككل تكفل حسن استخدامها السريع وبكفاءة عالية .

وكل هذا يؤكد حدوث تغير ضخم في طبيعة الحرب الحديثة عما كان عليه الحال في الحرب العالمية الثانية التي لم تزد مثلا خلالها حمولة القنابل التي ألقتها طائرات السلاحين الجويين الامريكي والبريطاني معا على المانيا والدول التي احتلتها خلال الفترة ما بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ عن مليوني طن من القنابل ، بينما يستطيع اليوم أي صاروخ استراتيجي واحد لدى الاتحاد السوفييتي أو الولايات المتحدة أن يحمل عبوة نووية الى أي هدف فوق الكرة الارضية تفوق قوتها عشرات المرات قوة كل المادة الشديدة الانفجار التي كان يحتويها هذان المليونان من الاطنان من القنابل العادية التي ألقيت على المانيا ! .

ونتيجة لكل هذا أيضا تغيرت كثير من مبادىء وقواعد الاستراتيجية التي كانت تحتل مكان الصدارة من قبل خلال الحرب العالمية الثانية ، كما تغير بشكل خطير الوزن النوعي والمهمة الاستراتيجية لافرع القوات المسلحة وطرق استخدامها في القتال، فأصبحت قوات الصواريخ الاستراتيجية في الاتحاد السوفييتي تحتل المكان الاول من حيث الاهمية الاستراتيجية بين الافرع الاخرى من القوات المسلحة ويجرى بالنسبة لها التركيز الاساسي من أعمال التطوير والتحسين المستمرة هناك ، والى جانب القوات الصاروخية الاستراتيجية ،هذه التي تعتبر الوسيلة الحاسمة للقوات المسلحة ككل ، فان قوات الصواريخ للافرع الاخرى من القوات المسلحة تعتبر الوسيلة الرئيسية لادارة الاعمال القتالية التي يقوم بها كل فرع .

ولذلك فان هذه القوات تعتبر الان مصدر النيران الرئيسي للقوات البرية السوفييتية بعد أن كانت المدفعية التقليدية هي المصدر الرئيسي للنيران في هذه القوات حتى وقت قريب . ولكن ذلك لا يعني فقدان الاسلحة التقليدية لاهميتها « وترى نظرية الاستراتيجية الحربية السوفييتية انه حتى في ظروف الحرب النووية الصاروخية ، ستستخدم الاسلحة التقليدية على نطاق واسع ، وأن هذه الاسلحة يجب أن تستخدم بمهارة وفي تناسق تام مع الاسلحة النووية بحيث تكمل عملها . ويمكننا أن نذكر الحقيقة التالية : أن فرقة المشاة الميكانيكية السوفييتية أقل عددا من حيث الافراد عما كانت عليه في نهاية الحرب الماضية ، ولكن من ناحية أخرى فان وزن القصفة الواحدة يفوق أربعة أضعاف القصفة الواحدة من أسلحة فرقة الحرب الماضية ، وذلك دون حساب الاسلحة الصاروخية » واذا أخذنا الدبابات كمثال آخر نجد أن عدد دبابات الفرقة المدرعة أو الميكانيكية اكبر مما كان عليه الحال خلال الحرب العالمية الثانية وأكبر من عدد الدبابات في الفرق المماثلة في جيوش دول حلف شمال الاطلنطي .

ونتيجة لتوفر الاسلحة النووية لدى الدول الاستعمارية خاصة الولايات المتحدة وتوفر الصواريخ المختلفة القادرة على حمل هذه العبوات النووية بسرعة كبيرة الى قلب الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي فان احتمال الهجوم المفاجىء المتمشي مع نظرية « الحرب الخاطفة » التي عادة ما تلجأ اليها الدول الاستعمارية احتمال قائم وشديد الخطورة على أمن ووجود المعسكر الاشتراكي بدوله المختلفة، الامر الذي يزيد بشكل كبير من ضرورة الاستعداد الدائم للقوات المسلحة السوفييتية خاصة القوات الصاروخية الاستراتيجية سواء الموجودة منها في ملاجىء تحت الارض أو الموجودة في الغواصات الذرية المتجولة في المحيطات ،وكذلك أيضا قوات الدفاع الجوى المجهزة بالصواريخ المضادة للصواريخ وللطائرات وبالمقاتلات المسلحة بصواريخ جو — جو الخ . ونتيجة للقوة التدميرية الشديدة والمركزة التي يمكن أن تحملها الضربة النووية الاولى فان الفترة الابتدائية الاولى من الحرب أصبحت تحتل مكان الصدارة في مراحل الحرب الحديثة بصورة تختلف جذريا عما كان عليه الحال في الحروب الماضية ، حيث كان البطء النسبي في سرعة وفاعلية الوسائل المستخدمة في الهجوم يتيح الوقت اللازم لحشد

القوات الرئيسية الموجودة في المؤخرة وتعبئة قوات الاحتياطي ، وحيث كانت القوات العاملة الموجودة على استعداد للقتال في المناطق المعرضة للهجوم تلعب دور « الدرع » الذي يستر مؤقتا اتمام العمليات سالفة الذكر . أما الان فأصبح من الضروري أن تحتفظ الدولة بقوات مسلحة بحجم يسمح بتحقيق الاهداف الرئيسية للفترة الاولى من الحرب دون تعبئة اضافية .

المعالم الاساسية

للاستراتيجية السوفيتية الحديثة

تستند الاستراتيجية الحربية السوفييتية الحديثة في الاساس الى ان الحرب العالمية الثانية ستكون حربا صاروخية نووية ، ولذلك سينتقل مركز الثقل لكل الصراع المسلح في هذه الظروف من منطقة الالتحام العسكري للاطراف المتحاربة ـ كما كان الحال في الحروب الماضية ـ الى عمق أراضي العدو بما في ذلك المناطق البعيدة جدا ، وبذلك سيتسع النطاق الجغرافي للقتال بصورة لم يسبق لها مثيل ، كما أنه نتيجة لان وسائل القتال الحديثة تسمح بتحقيق نتائج استراتيجية ضخمة في وقت قصير للغاية ، فسوف تحتل الفترة الابتدائية للحرب مرتبة حاسمة على نتيجة الحرب كلها ، وفي هذه الحالة تصبح المشكلة الرئيسية للحرب هي معالجة طرق ووسائل صد الهجوم النووي المفاجيء .

ولذلك ستتخذ العمليات الاستراتيجية للقوات السوفييتية الرئيسية شكل الهجوم الاستراتيجي حال اشتعال الحرب مباشرة عن طريق توجيه ضربات نووية مركزة الى الاهداف الاستراتيجية للعدو الموجودة في أراضي الولايات المتحدة اساسا ، والمتمثلة في وسائل الهجوم الاستراتيجي النووي لديها والمراكز الاقتصادية الجوهرية ووسائل السيطرة العسكرية ، وذلك بواسطة القوات الصاروخية الاستراتيجية والقوات الجوية بعيدة المدى القادرة على قصف الاهداف بصواريخ ذات رؤوس ذرية من خارج نطاق الدفاع الجوي وبواسطة أسراب الغواصات الذرية المسلحة بالصواريخ التي تطلق من مسافات بعيدة ومن تحت سطح الماء . وستشمل الضربة الصاروخية النووية اطلاق جميع الصواريخ الجاهزة للاطلاق في وقت واحد ، وفي الوقت نفسه مع هذه الضربات النووية الاستراتيجية أو بعدها مباشرة ستجري عمليات هجومية بالجبهات البرية والبحرية بغرض اتمام القضاء على تجمعات قوات العدو المسلحة الموجودة بالمسارح البرية وقطع خطوط مواصلاتها البحرية وتدمير الاساطيل المعادية لها خاصة وحدات حاملات الطائرات والغواصات الذرية « بولاريس » ، ولن تتوقف خلال هذه المرحلة من الحرب الضربات النووية الاستراتيجية التالية للضربة الاولى لحين أن يتم النصر النهائي الذي سيكون نتيجة الاستخدام السليم للوسائل النووية الاستراتيجية والتكتيكية والاسلحة التقليدية بتكامل وتناسق توفره القيادة المركزية الساهرة للقوات المسلحة ككل « فلهزيمة خصم قوى ومخادع ، مثل الكتلة الاستعمارية ، يتطلب الامر ادارة أعمال حربية نشيطة وحاسمة ، حيث يمكن نتيجة لمثل هذه الاعمال فقط الوصول الى الهزيمة الكاملة للعدو » .

تلك هي باختصار شديد أبرز معالم الاستراتيجية السوفييتية التي تناولتها بالتفصيل أبواب الكتاب الثمانية ، التي استغرقت في الترجمة العربية نحو ٥٦٠ صفحة من الحجم الكبير، تلك الأبواب التي تناولت ضمن ماتناولت أيضا تفاصيل استعدادات الدول الاستعمارية للحرب والنظريات الاستراتيجية المختلفة التي حكمت وتحكم خططها وتجهيزاتها العسكرية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى الان ، وتناولت أيضا التطور التاريخي للفكر العسكري الاستراتيجي السوفييتي خاصة خلال الحرب العالمية الثانية ، بالاضافة الى تفاصيل الاستخدامات الحديثة للاسلحة وأفرع القوات المسلحة المختلفة المحتملة في الحرب القادمة ، كل ذلك في ارتباط وثيق اشير اليه مرات عديدة بالعمل السياسي الذي يمارسه الحزب في القوات المسلحة والاهمية العظمى لتنسيق العمل الاقتصادي وتخطيطه مع متطلبات الاستراتيجية الحربية الحديثة .

التعايش السلمي مع اليقظة الطبقية

ابرز ما في هذا الكتاب أنه يلفت النظر الى خطورة نشوب حرب عالمية جديدة ستستخدم فيها على نحو مؤكد ومنذ الساعات الاولى منها الاسلحة النووية الضخمة المختزنة حاليا بكميات هائلة والتي لديها القدرة على احداث تدمير وخراب ضخم يفوق كل وصف أو خيال . وأنه يوضح بصورة منفصلة ان الاستعدادات المتبادلة لمثل هذه الحرب المحتملة تضيع على البشرية امكانيات مالية واقتصادية هائلة كان يمكن أن تعود عليها بخيرات كبيرة فيما لو سخرت في خدمة السلام وتطوير مستوى المعيشة لمختلف شعوب العالم .

كما أن الكتاب يركز دائما على فكرة أساسية اخرى وهي ان سياسة التعايش السلمي رغم

أهميتها وضرورتها القصوى لحفظ السلام وتجنيب البشرية كوارث حرب نووية بشعة النتائج ، الا أنها لم تفقد الاتحاد السوفييتي يقظته الطبقية حيال الاستعمار الذى يهدف الى القضاء على النظام الاشتراكى العالمى والدول المستقلة الوطنية التى تناضل ضد سيطرته واستغلاله .

لكن الكتاب فى غمرة اهتمامه وتركيزه على الاسلحة النووية وطبيعة الحرب النووية الصاروخية الحديثة ، أهمل الحديث المفصل عن الحروب المحلية الصغيرة التى يشعلها الاستعماريون فى العالم واكتفى بأن قال « ويجب أن تكون القوات المسلحة للدول الاشتراكية مستعدة للصراع الحاسم ضد المعتدى خلال الحرب العالمية ، وأن تكون مستعدة أيضا وفى الوقت نفسه للحروب المحلية الصغيرة التى قد يشعلها الاستعماريون . وخبرة تلك الحروب ، التى تكرر نشوبها فى الفترة الاخيرة بعد الحرب تثبت أنها تدار بطرق ووسائل تختلف عن تلك التى تدار بها الحروب العالمية . ولذلك يجب على الاستراتيجية الحربية السوفييتية ان تدرس طرق ادارة الحروب المحلية بحيث لا تسمح بانقلابها الى حرب عالمية مع الوصول الى نصر سريع على العدو » . ثم لم يعالج المؤلفون بعد ذلك وطوال الثلاثمائة صفحة التى تلت ذلك القول أى تفاصيل تتعلق بهذا النوع من الحروب

ولعل ذلك النقص يرجع الى ان الكتاب صدر أصلا فى عام ١٩٦١ حين لم تكن الاستراتيجية الاستعمارية المتعلقة بالحروب الصغيرة المباشرة وغير المباشرة قد اتضحت على النحو الذى أصبحت عليه خلال السنوات الاخيرة خاصة فى فيتنام والشرق الاوسط ، ولكن كان يجب فى رأينا معالجة هذه المسألة بشىء من التفصيل فى طبعة الكتاب الثالثة التى صدرت فى عام ١٩٦٨ ، بعد أن تبلورت تماما معالم استراتيجية الولايات المتحدة الامريكية المتعلقة بالحروب الصغيرة خاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، التى بدأ الاتحاد السوفييتى نتيجة لها يوجد لنفسه وجودا عسكريا قويا فى البحر الابيض المتوسط متمثل فى الاسطول السوفييتى الدائم التجول حاليا فى ذلك البحر ليوفر مرونة وسرعة للاستراتيجية السياسية والحربية السوفيتية قبل هذا النوع من الحروب التى يتوسع فيها الامبرياليون الامريكيون كبديل مؤقت لفشلهم فى اشعال حرب عالمية ثالثة تحسم الصراع العالمى لصالحهم تماما كما يريدون ، مرونة تلائم هذا النوع الخطير والخبيث من الحروب لا يوفرها للاتحاد السوفييتى مجرد الاعتماد على الصواريخ الاستراتيجية النووية بشكل اساسى كأداة تحمى استراتيجيته الهادفة الى حماية الثورات الاشتراكية والوطنية فى صراعها المستمر مع الامبريالية .

تعقيب من قارىء مهتم بالدراسات النفسية

اطلعت فى باب « كتاب الطليعة » سبتمبر ١٩٦٩ على عرض لكتاب « ازمة علم النفس المعاصر » الذى ترجمه عن الفرنسية كاتب هذه السطور وراجعه وقدم له الاستاذ الدكتور مصطفى زيور واصدرته دار الكاتب العربى .

ولقد اتاح لى هذا العرض فرصة ان اكتب اليكم لافتا النظر الى اهمية تناول الدراسات الانسانية وواجب الطليعة فى تبنى قضية العلوم الانسانية فى مصر ودفعها الى الامام وتطويرها . وليكن مدخلى الى هذا الموضوع تناول العرض المذكور بالملاحظات التالية :

● اغفل المعلق ذكر اسم مترجم الكتاب — الذى لولاه ما تمكن من تقديم هذا العرض — كما اغفل ذكر اسم دار النشر ، التى دون معرفتها لا يتسنى للقارىء المهتم ان يحصل على الكتاب . مع ان التقاليد جرت بان يذكر اسم الكتاب والمؤلف ، او المترجم ودار النشر وسنة النشر والسعر فى مكان بارز من العرض . وهو تقليد يجب المحافظة عليه .

● يؤكد العرض ان « جورج بولتيزير » لم يكن من المشتغلين بالدراسات النفسية اساسا . والحقيقة انه رغم ان بولتيزير تخرج فى السوربون من قسم الفلسفة وحصل على الاجريجاسيون فى الفلسفة ، الا ان اهتمامه الاساسى كان بعلم النفس . وكان اكبر كتبه هو « نقد اسس علم النفس » مقدمة لمشروع كبير يرمى فيه الى نقد كل مدارس علم النفس الكبرى [التحليل النفسى ، الجشطالت ، السلوكية] . كما ان المجلة الوحيدة التى اصدرها والتى حاول ان يجمع من حولها المثقفين الثوريين فى وقته كانت « مجلة علم النفس العيانى » . الا ان بولتيزير اشتهر بمجموعة المحاضرات الفلسفية المعروفة باسم « المبادىء الاساسية للفلسفة » والتى سبق ترجمتها الى العربية ، وهى عدة محاضرات فى النظرية الماركسية اشترك فيها مع عدد من زملائه جمعت وصدرت باسمه بعد استشهاده .

● يؤكد العرض ان كتاب بولتيزير هو كتاب فى المنهج وهذه نصيحة صحيحة جزئيا فقط اذ انه يقدم فى نهاية الكتاب ملحقا خاصا يقترح فيه ان يكون علم النفس الصناعى والتطبيقى بداية لعلم نفس علمى بعيد عن متاهات المثالية . كما انه يقدم فى صلب الكتاب تحديدا جديدا لموضوع علم النفس وهو الدراما .

وهذه الملاحظات لا تنتقص — حقيقة — من العرض الممتاز الذى قدمه الاستاذ سمير كرم لموضوع لا يزال مثار جدل بين علماء النفس . ونرجو ان يكون بداية لتناول اشمل لقضايا الدراسات الانسانية عامة .

لطفى فطيم

● ● ●

نعتذر « الطليعة » عن سقوط اسم المترجم الاستاذ لطفى فطيم .

انتصارات .. على « النكسة »

كتب سراج احمد سراج - من السودان - رسالة طويلة له الى الطليعة يرصد فيها تطور اهم احداث الوطن العربى بعد هزيمة ٥ يونيو ، فيقول :

مازالت امتنا العربية ترزح تحت نير الاحتلال البغيض لاجزاء عزيزة من الاراضى العربية .. وكل فلسطين ..

ولقد اشعل عدوان يونيو (حزيران) المشاعر الوطنية العربية وأجج مرجل الغضب ، فجاءت ثورة ٢٥ مايو فى السودان ، ردا عنيفا على النكسة ولتعلن للعالم ، انه اذا قامت الامبريالية لتصفية الثورة العربية ، وذلك بتحريك ربيبتها : اسرائيل ، فان ذلك لا يؤدى الا الى المزيد من تحرير الشعوب العربية من قبضة الحكومات الرجعية ، ليقوم بدلا منها حكومات وطنية معادية للامبريالية ، ولتدعيم الثورة العربية .

.. ثم كان حريق المسجد الاقصى ، المتعمد ، والذى قامت به اسرائيل لتزيله من الوجود ولتقيم بدلا منه هيكل سليمان ولتهويد القدس . وتأججت المشاعر العربية وغير العربية . ومالبثت ان قامت ثورة أول سبتمبر فى ليبيا . ومن قبل كانت القاذفات تنطلق من قواعد داخل الاراضى الليبية لتمزق صدور أبناء الامة العربية . وكان لزاما ان يحدث تغيير جذرى لتأخذ ليبيا وضعها الصحيح على أرض الثورة العربية . فقامت الثورة لتزيل عن كاهل الشعب الليبى ، الكابوس المظلم والتخلف ، ليسير فى موكب الثورة العربية .

وراحت الدوائر الاستعمارية تعمل بكل ما أوتيت من قوة وجهد ، لخنق ثورة مايو السودانية . فدبرت مؤامرة ١٨ يوليو لسحق الثورة . واكتشفت المؤامرة التى اعدتها المخابرات المركزية الامريكية لاراقة دماء الشعب السودانى ولاثارة الفتنة والبلبلة ولاسقاط الثورة . محاولة فى ذلك ان تكرر ماحدث من قبل فى غانا حين اطاحت بحكم نكروما الاشتراكى ، ولتغتال بايدى عملائها - الوطنيين مثلما اغتالت من قبل باتريس لومومبا فى الكونغو .. ولكنها فشلت فى السودان ، لان الثورة تلقى التأييد الشعبى .

ولكن محاولات الاستعمار لن تقف عند هذا الحد . بل سيعمل بكل ما اوتى من قوة ومن خداع ، لحبك المؤامرات ضد الشعوب العربية الساعية الى التحرر والتقدم .

ومن جهة اخرى ، استعاد جيش الجمهورية العربية المتحدة ، قدراته الحربية . وكان بداية اختبار قدراته الجديدة ، عندما اغرقت زوارق الطوربيد ، المدمرة ايلات الاسرائيلية . وبذلك تأكد ان اعتقاد الامبرياليين بنهاية المقاومة العربية ، وهم لا نصيب له من الواقع .

وسرعان ما اشتد ساعد المقاومة الفلسطينية ، وتحركت اسرائيل بكل ثقلها لتقضى على المقاومة . وكانت معركة الكرامة نقطة تحول هامة فى حياة المقاومة الفلسطينية بل والعربية .. واستمرارها . وما لبثت خطوط المواجهة ان التهبت من جديد ، وبدأت القوات المصرية الخاصة ، تعبر القناة لتبرهن ان للجندى العربى قدراته على تحمل المخاطر وعلى انزال الهزيمة بالجندى الاسرائيلى الذى تعود على المعارك الخاطفة من خلف دباباته وطائراته .

ان عشرين عاما ، لم تقض على الشـــعب الفلسطيني (*) وهزيمة ٥ يونيو ، لم تقض على الانظمة التقدمية العربية وعلى العكس من ذلك كله ـ وكما سوف تثبت الفترة القادمة اكثر فأكثر ـ ان الشعب العربي لن يستسلم للهزيمة . وعلى العكس ، لقد فجرت فيه كل طاقات التمرد على النفوذ الاستعماري ليتخلص منه هذه المرة .. والى النهاية (*)

الدين وتنظيم النسل

وكتب المواطن احمد الخطيب ـ مدرس اللغة العربية والتربية الدينية بدار المعلمين بالمنيا ـ يناقش قضية تنظيم النسل من وجهة نظر الدين ، فيقول :

هناك اسباب كثيرة وقيم توارثناها ، تقف مانعا بيننا وبين العمل الجدى نحو تنظيم النســل . وأهمها واخطرها فى نظرى القيم والاسباب الدينية والفهم الخاطىء لطبيعة الدين التى تجعل الكثيرين وخاصة فى المجتمع الريفى يترددون كثيرا فى الاخذ بتنظيم النسل (*)

ولابد لنا ان نواجه ذلك مواجهة شــجاعة وصريحة . ومن وجهة نظرى ، فالاديان كلها ثورات تقدمية ، جاءت لتحرير الانسان من القهر والتسلط والاستغلال ، ولتنظيم حياته ومجتمعه بما يكفل له السعادة والاستقرار . ولم تكن الاديان ابدا ولن تكون عائقا يمنع الانسان والمجتمع من الانطلاق نحو التقدم . والا كانت مدعاة الى اهمـالها والاستهانة بها وعدم الاسترشاد بمبادئها ، وكل من يلوح بالاديان فى مواجهة التقدم يسهم بمعوله فى هدم قداسة الاديان .

من هذا المنطلق يمكننا ان نناقش مشكلة تزايد السكان فى المجتمع المصرى ونضعها فى موضعها الصحيح حين نخاطب الجماهير المتدينة والتى يجب أن نجعلها تتمسك بالدين وتحافظ عليه وتجعل منه منارة هادية . فالمتدينون الحقيقيون هم الذين يضعون الدين فى خدمة الحياة ، ورقى الفرد ونهضة المجتمع . والاسلام بنظرته المتطورة ورحابة آفاقه وقدرته على تلبية مطالب الحياة الاجتماعية والاقتصادية يمدنا بالكثير من الاسانيد التى نستلهم منها حرصه على قـوة الجماعـة وتقدمها .

ويمكننا أن نورد الكثير من الاصول العامة التى تضعها امامنا عندما نعالج مشاكلنا الاجتماعية بروح جديدة . واهم هذه الاصول هى القرآن الكريم والسـنة النبوية والاجمـاع والقيـاس والمصالح المرسلة والاستحسان ودفع الضرر وغير ذلك من الاصول المتفق عليها بين العلماء القدامى والمحدثين .

وهذه الاصول تخدم الباحث الدينى اذا تعرض لمشكلة تنظيم النسل من الناحية الدينية . وتمده بالكثير من الادلة التى يستطيع ان يقنع بها السائل او المتشكك او المتردد . وكثير من الجماهير تورد دائما حديث «تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة» . وقول الله تعالى «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» . ونستطيع ان نواجههم بقوله تعالى: فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم . وبقوله تعالى : واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة . وبقوله :ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة . ويقول الرسول عليه السلام : المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف . وبقوله تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .

وكثير من علمائنا الاجلاء المعاصرين والذين احترمهم واقدرهم حق قدرهم ، يلجأون عنــدما تناقش مشكلة من مشاكلنا الحاضرة ـ الى علمائنا الاجلاء القدامى يسألونهم ويستفتوهم فيجدون فيما كتبوا ما يجيب على اســـئلتهم ، ولكن ائمتنا السابقون كانوا يعالجون بفكرهم الدينى المستنير مشاكل عصرهم فقط . والمطلوب منا ان نعالج مشاكل عصرنا بمقاييس عصرنا وفكره كما كانوا هم كذلك . ولنا فى نبى الاسلام قدوة حيث قال لبعض اصحابه انتم اعلم بأمور دنياكم ، ولقد كان عمر بن الخطاب يعارض الكثير من الصحابة ويخالفهم فى الرأى ، بل احيانا ما خالف الرسول ، وكان يجتهد برأيه فى ظل ثورية دينية تضع الدين ورسالته السامية فى خدمة الدولة ونهضـة المجتمع .

ويمكننا ان نقول ان تنظيم النسل ليس جائزا فقط من الوجهة الدينية ـ كما وقفت الفتـاوى والتفسيرات عنده حتى الان ـ بل ان تنظيم النسل واجب دينى كغيره من الواجبات . أليس الاسراف فى الانسال تبديد لجهد الفرد وجهد الدولة ؟ والله تعالى يقول : ان المسرفين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا .

واذا كان الانسال مباحا فى الظروف العـادية ككل مباح ، فان هذا المباح قد يكون واجبا ، وقد يكون مكروهـا وقـد يكون حـراما تبعـا للظروف . وأوضاعنا الاجتماعية والاقتصـادية تحرم التزايد فى النسل وتوجب تنظيمه . أليست الضرورات توجب على الانسان ان يفعل ما لا يفعله فى الظروف العادية ؟ واذا خالف ارتكب جريمة يعاقب عليها .

ومن هنا اتوجه الى الذين يتصدون لمناقشة مشكلاتنا الاجتماعية من الوجهة الدينية ان يكونوا فى تفكيرهم على مستوى تحرر الاديان وسموها • وان يضعوا امامهم رسالة الاديان واهدافها ثم يوردون من الاصول العامة ، أو النصوص الفرعية مايخدم قضية المجتمع وقضية التنمية فى بلادنا •

وعلى الدولة ان تصدر القوانين الملزمة بالتنظيم والتى تعاقب من يكثر من النسل • وقبل أن تصدر القوانين ارى الا يستفيد من المزايا التى اتاحها مجتمعنا من لا يلتزم بتنظيم النسل ، مثل التعليم المجانى والعلاج المجانى وتذاكر السفر المجانية والوظائف القيادية بحيث تكون تلك المزايا فقط عند حد معين •

وتستطيع الدولة ان تأخذ الناس بسلطان القانون اذا لم يستجيبوا للاختيار المعروض.وذلك قبل ان تقع الكارثة ونجد انفسنا جميعا مهددين بالمجاعات محاطين بالمشكلات من كل جانب • ولنا فى سبيل ذلك من الاديان خير سند ومن نظامنا الاجتماعى خير حجة •

●

رأى فى نظام المزارعة ••
من قرية لاصيفر البلد

وفى رسالة من قرية لاصيفر البلد ــ مركز دسوق ــ محافظة كفر الشيخ ، دراسة جماعية حول نظام المزارعة فى القرية ، قام بها عدد من الفلاحين هم : **محمد سليمان يسن ، محمد مهنى سالم ، محمد ابراهيم مطاوع ، عبده حسن جاويش ، محمد السيد حسن ، محمد أبو النصر ، محمد ابراهيم عرفه** ، يقولون فيها :

يمكن تحديد مساوىء نظام المزارعة فى قريتنا، فى عدد من النقاط التالية :

اولا : انخفاض الانتاج الذى يؤدى اليه انفصال الادارة عن الحيازة . فالحائز هو مالك الارض ، والمزارع **هو المنتج** • والمالك هو الذى يتعامل مع الجمعية التعاونية الزراعية ،ويتقاضى السلف ويتسلم الكيماويات . الخ ومعظم الملاك يتصرفون فيما يحصلون عليه من الجمعية ، بينما لا يحصل المزارع الا على جزء بسيط منها ، ويؤدى الى نزاعات تنتهى بانخفاض الانتاج •

ثانيا : حرمان المنتجين الحقيقيين ، من عضوية مجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية فالمفروض ان تكون الجمعية ، **جمعية منتجين** ، وان يكون مجلس ادارتها ممثلا صادقا لجمهور الزراع المنتجين • ولكن الوضع الحالى للجمعيات ــ حتى بعد صدور قانون التعاون الاخير والذى ينص على أن تكون ٨٠ فى المائة من عضوية مجلس الادارة للفلاحين الذين لاتزيد حيازتهم عن ١٠ افدنة ــ لاتضمن للمنتجين الحقيقيين حق الترشيح لعضوية مجلس الادارة • وبهذا ، اتسع المجال امام الراسمالية الزراعية والفلاحين غير الفقراء ، لدخول مجلس الادارة •.

ثالثا : سيطرة كبار الزراع على لجان فض المنازعات • ففى غياب تمثيل الزراع من مجالس الادارة ــ تمثيلا صادقا ــ بسبب عدم وجود حيازات لديهم ، ونتيجة لغياب تمثيلهم فى لجان فض المنازعات ، استطاع كبار الزراع السيطرة على هذه اللجان وتوقيع عقوبات الطرد على كثير من الفلاحين وتحويلهم الى عمال زراعة • والواقع ، انه كان من المفروض ان توقع عقوبات الاهمال على «الملاك» . فلو ان الفلاح ، كان يتسلم بنفسه مستلزمات الانتاج ، لما كان هناك اهمال .•

رابعا : ادى ذلك كله ، الى حدوث انحرافات ومخالفات خطيرة فى نظام الدورات ونظام التسويق التعاونى وخاصة تسويق الارز • وانقلب موظفو الجمعيات والتسويق وبعض كبار الزراع ، الى تجار • وقد ساعدتهم بيروقراطية الجهاز الوظيفى وتقصير المسئولين ، على ذلك . أما الفلاح ، فلميجن ــ حتى الان ــ الفائدة المرجوة من وراء قيام هذه التنظيمات الزراعية •

خامسا : يتسلم المالك الحائز اثمان المحصولات التى لم يبذل جهدا فى زراعتها • ولايدفع الى الزراع نصيبهم العادل • بل يساومهم ويضع أسعارا اقل كثيرا من أسعار الجمعية • فان اشتكى المزارع الى الجمعية ، يسلم المالك المبلغ « أمانات » ، فيضطر المزارع ــ خوفا من ذلك ــ الى الرضوخ لشروط المالك •

سادسا : يتسلم المالك الحائز بنفسه ، عائد معاملاته من الجمعية « من مبيعات ومشتريات » بينما لا يعرف المزارع شيئا عن ذلك •

سابعا : لا تستطيع الغالبية فى القرية ،التامين على ماشيتهم ، بسبب شروط الجمعية بخصوص التامين • بينما يؤمن كبار الزراع بمساعدة وتواطؤ موظفى الجمعية ، على اعداد وهمية من الماشية • وبعد تسلم الكسب والعلف ، يبيعونه فى السوق السوداء ، مما يؤدى ــ فى النهاية ــ الى ضعف مستوى الانتاج الحيوانى •

ولهذا كله ، نرى أهمية استبدال نظام المزارعة، فى قرية لاصيفر البلد ــ بنظام الايجار النقدى • ونعتقد أن ذلك سوف يؤدى لا الى زيادة الانتاج وتحسين مستواه فحسب ، بل والى رفع مستوى معيشة الفلاحين •

وثائق :

في هذا العدد ، تقدم الطليعة الجزء الاخير من وثائق الحركة الدستورية في بلادنا . ويتضمن هذا القسم ، النصوص الخاصة بقانون « السياستنامة » . وكانت الطليعة ــ اعتقادا منها بأهمية القاء الضوء على هذه الوثائق ــ قد كلفت الدكتور وليم سليمان ، باعداد دراسة تحليلية للوثائق ، تنشرها الطليعة في هذا العدد .

وثائق تاريخية عن :

الحركة الدستورية في مصر من أواخر القرن الثامن عشر

١٧

قانون السياستنامة
الصادر في ربيع ثاني سنة ١٢٥٣
(يولية سنة ١٨٣٧)

« محمد خليل صبحي ، المرجع السابق ، ص ٤٠ » « فتحي زغلول المرجع السابق ، ص ١٧ وما بعدها بالملحقان ص ٤ وما بعدها »

يقول محمد خليل صبحي انه عثر على اصل هذا القانون ضمن وثائق السراى الملكية مطبوعا باللغة التركية بمطبعة بولاق وقد ترجمه الى العربية قسم المحفوظات التاريخية بناء على طلبه .

من البداهة بمكان ان يكون اضطلاع كل كبير وصغير من عبيد الجناب الخديوى المستخدمين في المصالح الاميرية بمسئولية الاعمال العامة التى يتولاها موجبا للكثير من الفوائد ، وان يكون الزامه تبعة الخير والشر في هذه الاعمال ، داعيا الى انقاذها من التعطيل والاهمال ، وانما يستقيم هذا بأن يعمد الى كل شأن من الشئون فتوضع له لائحة خاصة به ثم ينظر الى ولاة المصالح فتعالج امورهم على مقتضى هذه اللوائح ، فمن سلك منهم ــ بسوق الطبيعة البشرية ــ مسلكا مخالفا لضمون هذه اللوائح أوخذ مؤاخذة تكون له تربية ولغيره عظة وعبرة . وبذلك يتضح ان ليس ثمة سبيل الى قضاء المصالح وترويجها ما لم تعزز اللوائح المذكورة بنظام للعقوبات يسن هو الاخر فيتألف منه ومن اللوائح باجمعها قانون عام ، ومتى ظهر هذا القانون العام كان من الواجب احداث هيئة شورى خاصة مهمتها القيام بتنفيذ حكمه . وعلى هذا الاساس حررت المواد المسطورة فيما يلي :

تختص كل مملكة من ممالك أوربا المختلفة بقوانين تلائم طبيعة أهلها واخلاقهم ودرجة تربيتهم ، وتدار بموجبها امورهم الحكومية في المحور اللائق بها ، الا أنه لما كان معلوما

ان قانون المملكة الواحـدة لا يوافق المملكة الاخرى كان بالطبع من المستحيل ان يؤخذ قانون من قوانين تلك الممالك فيوضع بنصه وقصه موضع الاجراء فى هذه البلاد . على ان الحكومات وان انقسمت من حيث انواعها الى جمهورية ومشروطة ومسـتبدة فانها غير منقسمة ولا مختلفة من حيث اصولها الاساسية التى هى هى واحدة بعينها فيها جميعا فهذه الاصول المتحدة هى التى تكون مراعاتها فى هذه البلاد موجبة لحسن سير الاعمـال ميسرة لقضاء المصالح واجتناء الكثير من الفوائد .

غير أنه عندما يراد تبـديل أصول الحكم فى مملكة مـن الممالك ، ينبغى أول الامـر ان تفحص محاذير الاصول الجارية ثم ينظر فى استنباط الوسائل التى من شأنها ازالة هذه المحاذير مع اظهار مافى هذه الوسائل من ضرر ونفع والموازنة بينهما ، حتى اذا استقر الرأى على رجحان منافعها لم يكن بد من اختيارها واتخاذ التدابير التى تقتضيها .

والان ها هى المحاذير البادية للعيان :

(أولا) معلوم ان حسـن تصريف الشئون المصـلحية لا يكون ظاهرا رائعا على يـد الهيئات والجماعات ، وان الامور المهمة فى الممالك التى رسخت أقدامها فى النظام هى دون غيرها التى يتطلب البت فيها اجتماع ذوى المعرفة والوقوف . وهذا وان يكن هو الذى اوجب على الحكومة المصرية ان تؤلف هى الاخرى مجالسها المختلفة فـان هذه المجالس لم تقصر مسعاها على الامور المهمة تبحثها وتتداول الاراء فيها ، وانما تعدت ذلك فتباحث ايضا فيما لا تجب فيه مباحثة ولا مشاورة من معتـاد الشئون ومقنن المطلوبات ، وهو ماعرقل الاعمال النافعة بقيـود التأخير واغلال التعويق ، فبينما يكون كل كبير وصغير من عبيد الجناب الخديوى الموظفين هو المسئول عن الخير والشر فـى الموكول اليه من الشئون ، اذا به يتراخى باتكائه على المجالس فى انجاز عمله وينسل من تحت عبء التبعة بدعوى انه عرض كل شىء فى حينه على المجلس ، وأنـه ماكاد يتلقى القرار حتى صدع به وعمل بمقتضاه ، هذا فضـلا عماهو واقع من ان كثرة الشئون التافهة التى ترد الى المجالس على الوجه السابق شرحه ـ لا تدع للاعضاء وقتا كافيا لامعان النظر فى الامور الخطيرة بالقدر الذى هى جديرة به ، فتـراهم خشية تراكم الاعمال يبرمون الامر على اول وجه يتراءى لهم منه ، فان اسفر قرارهم عن ضرر فليس بعيدا ان يظهروا الامر على غير صورته تفاديا للمؤاخذة ماداموا هم الذين ترجع اليهم الدعوى لنظرها فى المرة الثانية ، ولا ان يستر كـل واحد منهم اخطـاء صاحبه لان فى بعض المجالس يكون ولاة المصالح داخلين فى المجلس .. هذا ومما لا يحتاج الى برهان ان ماتقدم شرحه من الشئون المعتادة والمقننة قد أدى الى امتلاء المجالس المـذكورة بطائفة من الكتبة والمقيـدين والمبيضين والمترجمين ، وملخصى القرارات والكشاف والمعـاونين والى اعطاء كل أولئك مرتبات شهرية ضخمة بلا لزوم .

(ثانيا) جرى العمل فى سائر الممالك على ان تأتى كل ايرادات المملكة الى ديوان واحد ، هـو الذى يتولى اعطاء الدواويـن الاخرى المبالغ اللازمة لها والمقنن صرفها ، وأثبتت التجربة أن هذا الاسلوب موجب للضبط .. واذا كانت أمور الخزينة هنـا « فى مصر » ايضا قد فصلت بحكم الضرورة عن غيرها ، فـانها ما زالت من عدم وحدة المركز بحيث يتعذر معـرفة مقـدار الايرادات المرتب تحصيلها سنويا التى على أساسها تمكن المناظرة مع نظار الدواوين العامة فـى زيادة المصارف او نقصها وبذلك يتعذر عرض الامر على الجناب العـالى ، ومادام الايـــراد والمنصرف بغير موازنة فلابد من اتخاذ القرارات بصرف مـا لا ضرورة لصرفه فى الدواويـن المذكورة ، وهـذا يجعل صرف المرتبات اللازمة شاقا عسيرا ، بحيث لو دامت هذه الحال زمنا طويلا لمـا وافت الايـرادات بالمصارف وهو مالا يخفى منطو على ضرر كبير وشر مستطير .

(ثالثا) لئن كان من الاصول المرعية أن تكون جميع المصالح المتعلقة بالامور الداخلية راجعا أمرها الى ديوان واحد ، وان يصدر الامر والنهى فيها عـن مركز واحد ، وان يفصل فى كل الامور على اسلوب واحد ، فان الامور الداخلية فى هذه البلاد ليست بذات مركز واحد وانما يتلقى الحكام وغيرهم من ولاة المصالح فى الاقاليم الاوامـر والقرارات كما يتلقاها نظـار المصالح الداخلية المقيمون فـى المحروسة مبعوثا بها اليهم تارة مـن الديـوان الخـديوى بالمحروسة ، وتارة أخرى مـن مأمـور الـديوان الـداورى بالاسكندرية ، وحينا يتلقونها من الدواوين العامة ولا سيما من المجالس المختلفة وما اكثر مـا يكون قرار احد الدواوين فى امر من الامور مخالفا لقرار الديوان الاخر فى هذا الامر بعينـه ،

وهكذا يتعذر تصريف الامور على سياق واحد وولاتها بمنجاة من ان يمسوا بأية معاملة ، وفى هذا بلا شك تعطيل للمصلحة .

(رابعا) ان مما يقضى بـه الواجب ان تكون مصلحة ابنية المحروسة تابعة لديوان بعينه من الدواوين العامة لا تمت لديوان بغيره صلة ، بمعنى أنه مهما تكن قرارات الدواوين العامة الاخرى بشأن البناء ، لا يجوز ورودها الا الى الديوان التابعة له مصلحة الابنية ، وهناك يكون تـدبير المهمات والايدى العاملة وسائر

اللوازم واحضار ذلك كله فى الوقت المناسب من حيثما يوجد ، ولكن مأمور هذه المصلحة ان كان فى هذا لا يتبع ديوانا فانه فى نفس الامر تابع للدواوين جميعا • ذلك ان الاوامر ترسل اليه من كل ديوان ، كما يطلب هو من مختلف الدواوين كل ما يرى بنفسه حاجة اليه من المهمات وسائر اللوازمات ، ومن جراء هذا كثرت الابنية ولم يمكن امدادها باللوازم والمهمات فأصبح العمل فى معظمها معطلا وفى هذا خسارة كبرى وضرر بالغ

(خامسا) من الاصول الجارية فى الممالك كافة ان تقدم الدواوين العامة آخر كل سنة حساباتها مع جميع مالديها من الاوامر والسندات والايصالات الى ديوان تفتيش الحسابات حيث تناظر دفاتر اليومية والشطب بكامل الدقة وتراجع الاوامر مع السندات والايصالات حتى اذا انتهى النظر فى الحسابات وتحقق ان كانت مضبوطة او غير مضبوطة لم تلبث الدفاتر ان تسلم بسنداتها جميعا الى دار المحفوظات « الدفترخانة » اما المتبع هنا فهو الاكتفاء بتقديم الجامعة فى آخر كل سنة الى ديوان تفتيش الحسابات ، وبارسال الاجمالى والكشوف والدفاتر فى كل شهر الى ديوان المعاونة على حين يبعث بالدفاتر المشتملة على أصول المفردات الى دار المحفوظات من غير تحقيق ، وهكذا تتعذر معرفة حقيقة هذه الحسابات اهى مضبوطة مبراة من شوائب الزلل ، أم غير ذلك ، كما يتعذر بالطبع على الذين ينتقلون احيانا من ديوان تفتيش الحسابات الى الدواوين الاخرى لاجل التفقد ان يفهموا فهما صحيحا ان كانت الحسابات قد روعى فى قيدها منتهى الضبط وان كانت السندات موجودة وموافقة للاصول •

فهذه المحاذير بعالبه انما تمكن ازالتها بمراعاة الاصول التى اختارتها الحكومات كلها اساسا للادارة واجرت احكامها ، **وهذا يقتضى رفع المجالس الموجودة والغائها** مع اتباع الاصول المسطورة فيما يلى واتخاذها دستورا للعمل •

الفصل الاول
فى بيان الترتيبات الاساسية

البند الاول

تنحصر امور الحكومة المصرية بأجمعها فى ستة دواوين عامة ، بل تعتبر هذه الدواوين سبعة بانقسام ديوان الايراد الى قسمين : أى أن **الديوان الخديوى** يظل مختصا بالنظر فى الامور القضائية بمصر المحروسة ، واحيانا فى المسائل التى ترفعها الاقاليم بعرائض متعلقة بالدعاوى ، ومختصا باصدار الاوامر عند الايجاب بتشهيل بعض المرتبات ، ويتولى مدير الديوان المذكور الاشراف على مصلحة الابنية بفروعها وعلى المخابز الملكية والكيلار « الخزين » العامر وتوابعه وعلى المجزر مع ديوان القوافل والمواشى وتوابعه وعلى ترسانة « دار صناعة » بولاق وفروعها وعلى المستشفيات الملكية والروزمانة والاوقاف المصرية ، وبيت المال ودار صنع الحديد الملكية وجبل الرخام ومقالع الاحجار فى جبلى طرة واثر النبى وعلى مهمات ترعة المحمودية واشغالها وخزينة الامتعة وادارة دار السك العامرة وتلغى وظيفة أمين الاحتساب فتحال امور الحسبة على عهدة المدير السالف الذكر ، كما تحال عليه خطوط البريد ومجلس التجار ومجلس تجار اوربا • وبما ان هذه المصالح سيكون من الواجب تقديم حساباتها الى خزينة الديوان الخديوى • فينبغى ان تكون الحسابات المذكورة تابعة لمخازن هذا الديوان •

ثانيا : فيما عدا الايرادات التى تودع خزينة ديوان التجارة ثمنا للحاصلات الزراعية المباعة على يد هذا الديوان ، تكون جميع ايرادات ديوان التجارة وفروعه تابعة لديوانى العموم اللذين يطلق عليهما اسم **ديوان الايرادات** » ويتفرع الديوانان المذكوران الى : أ — حسابات جميع المديريات فى الاقاليم مع حسابات كل من كريد والحجاز وبلاد السودان . ب — جميع المقاطعات والاقلام والجمارك الموجودة الان بالخزينة هى والمصالح الموجودة اليوم بايرادات المحروسة وعموم ايرادات الاسكندرية مع اقتصار مهمة مفتشى الاقاليم على انتدابهم للامور المتعلقة بتفتيش الاعمال والمصالح • هذا ولما كانت ادارة الديوان الموجودة الان بمجلس الشورى الملكية هى كذلك بمثابة مصلحة للايراد فينبغى نقلها هى الاخرى الى احد الديوانين المذكورين •

(ثالثا) ادارة العساكر البرية ونظامهم وقانونهم وتدريبهم وتدريسهم وتدابير ضبطهم وربطهم وحركاتهم وتنقلاتهم والاشخاص المنسوبين للجيش ومهماته وثكناته ومخيماته والقلاع والمستشفيات العسكرية ووسائل الخدمة الصحية ومصانع المهمات الحربية ومخازنها ومعامل البارود ومتعلقاتها وشئون التعيينات العسكرية والمخابز وبالجملة جميع المصالح العسكرية تبقى على حالتها الحاضرة •

(رابعا) الشئون المتعلقة بادارة الاسطول ونظامه وقوانينه وتدريساته والتدابير الخاصة بضبطه وربطه وحركاته وتنقلاته كل أولئك مادام معدودا من الامور العسكرية فهو من اختصاص حضرة مصطفى باشا

وفى امرته ، اما دار الصناعة ومخازن البحرية وخزانة البحرية وتجهيز الاسطول ومهماته وماكولاته وسائر لوازمه فتكون هى ووسائل خدمتها الصحية تابعة لديوان عام ، يطلق عليه اسم **ديوان البحر** ، واما شئون الاسكندرية القضائية والنظر فى الدعاوى والعرائض وامر الاحتساب ومجلس التجار ، فهذه كلها تكون من اختصاص مدير الديوان الخديوى .

(خامسا) المدارس الابتدائية والتجهيزية والخصوصية ودور الكتب والالات والادوات المتعلقة بالمؤسسات العلمية والصناعية ومخازن النماذج والقناطر الخيرية ومطبعة بولاق والوقائع المصرية ، كل أولئك يتبع ديوانا عاما يدعى **ديوان المدارس**، ولما كان الموظفون المستخدمون بفروع الديوان المذكور قادرين بمقتضى تخصصهم فى هذه الفروع على ان يحسنوا ادارة دولاب الاشغال والمصالح المحتاجة الى معارف اوروبا وصنايعها فينبغى ان تبقى حساباتهم فى المديريات كما هى الحال اليوم الا شئونهم المتعلقة بالهندسة فانها هى وادارة الاسطبل الاكبر وزرايب غنم المرينوس تكون محولة على عهدة مدير الديوان المذكور ، واما دار الدرابسة « الدرسخانة » الملكية، فقد كان من مقتضى المصلحة ان تتبع ديوان المدارس ، ولكن نظرا الى ان المدارس القائمة فى الوقت الحاضر لم تدع الى بقائها لزوما ، فينبغى الغاؤها وتوزع تلاميذها بحيث يلحق صغارهم بالمدارس ويعطى كبارهم لمختلف المصالح .

(سادسا) التجارة المصرية وادارة الامور الافرنجية وشئون بيع الحاصلات المصرية تظل على حالتها الحاضرة فى عهدة مدير ديوان الامور الافرنجية والتجارة المصرية، ونظرا الى ماستقتضيه الحال من وضع مصالح الايرادات الموجودة فى القاهرة تحت ادارة مدير من مديرى الديوانين العامين للايرادات ، فان حسابات هذه المصالح تقدم أولا الامر الى ديوان الامور الافرنجية والتجارة المصرية لقرب هذا الديوان اليها ثم تأتى حسابات الايرادات كلها من هذا الديوان الى أحد ديوانى الايرادات العامين .

(سابعا) جميع الفابريكات القائمة فى المحروسة والاقاليم ومصنع الطرابيش تكون تابعة لديوان ، يدعى **ديوان الفابريكات** ولما كانت المصلحة تقضى فى حد ذاتها بانحصار حسابات الايرادات كلها فى ديوانى الايرادات وكانت الفابريكات نفسها تعد ايرادا فينبغى لهذا الديوان ايضا ان يعطى حساباته لاحد ديوانى الايرادات .

البند الثانى

كل مدير من مديرى الدواوين العامة مسئول عمايأتيه جميع المصالح التابعة لديوانه من خير وشر . فاذا سلك مسلكا مخالفا للقانون والرضا حققت دعواه وطبق عليه الجزاء المناسب وفقا لما هو مذكور فى قانون العقوبات

البند الثالث

جميع نظار المصالح وسائر المستخدمين كبارهم وصغارهم مسئولون عن الخير والشر فى الاعمال التى يتولونها فايما ديوان عام كانوا تابعين له فعلى هذا الديوان ان يداوم على تفتيش أعمالهم وتفقدها حتى اذا ظهر على أحدهم جناح حوكم وفقا لنص قانون العقوبات فتحقق دعواه أمام هيئة استشارية معينة من قبل الديوان الذى هو تابع له ثم تطبق عليه العقوبة الملائمة بمقتضى القانون المذكور .

البند الرابع

تقسم الاعمال المتنوعة فى كل ديوان عام الى العدد الذى تقتضيه من أقلام متناسبة مع عظم فروع هذا الديوان وينصب لكل قلم ناظر، ويكون نظار الاقلام فى كل ديوان هم الهيئة الاستشارية لديوانهم ، ويشاور مديرو الدواوين العامة نظار اقسام دواوينهم فى المسائل والمصالح التى يرون من الحكمة مناقشتها وتداول الرأى فيها

البند الخامس

تقدر المصارف السنوية للدواوين العامة وتعرض مقايستها على المقام السامى ثم تقرر المبالغ المقابلة لمصارفها حتى اذا صدر الامر باعطائها من ديوان الايرادات شرع كل مدير من مديرى الدواوين العامة فى مطالبة ديوان الايرادات بالمبالغ المقررة لديوانه كل مبلغ عند حلول وقته ، فان لم يوجد المقدار الكافى من النقود بديوان الايرادات عرض الامر على المقام السامى

البند السادس

يجب ان يحرر تقرير مشتمل على زبدة الاعمال التى يباشرها كل ديوان من الدواوين العامة . وان يعرض هذا التقرير على المقام السامى فى يوم الخميس من كل اسبوع

البند السابع

مديرو الدواوين العامة والكبراء الذين يتفضل الجناب الاشرف الخديوى بتعيينهم **يؤلفون لجنة مشورة تعقد فى موعد يضرب مرة فى كل سنة . فيتباحثون فيما تحتاج الحكومة الى النهوض به من المشروعات الكبرى . ثم يقدمون قراراتهم بصدد هذه المشروعات الى المقام السامى .**

البند الثامن

تحافظ الدواوين العامة على القاعدة الجارية فى الوقت الحاضر فتقدم الى المقام السامى حسابها الاجمالى عن كل شهر وتقدم فى آخر كل سنة حساباتها مشفوعة بجميع الاوامر والسندات الى ديوان تفتيش الحسابات الذى عليه تحقيق حسابات كل ديوان . مناظرا اياها على الدفاتر المقدمة اليه ،

ومراجعا الاوامر والسندات المتعلقة بهــا حتى اذا ثبت انها صحيحة مضبوطة ختم الدفاتر المذكورة بخاتم ديـوان تفتيش الحسابات ثم تسلم هي والاوامر والســندات جميعهــا الى دار المحفوظات .

البند التاسع

لا يتسنى لولاية ما ان تحافظ على جريان امورها فى المحور اللائق بهـا ما لم يكن دولاب مصالحها الحكومية مركبا على اسلوب معلوم ميسرة له اسباب الدوران على وجه الاعتدال واذا كان تيسير هذا الاعتدال على مقتضى الاصول المعتبرة المجربة وتسيير دولاب الحكومة على سياق معين وتنظيم حركة الاعمال على أساس التمييز بين خيرها وشرها ، اذا كان ذلك كل ذلك منوطا بتدبيره بأولى الامر وحدهم، اتضح أن الواجبات العالقة بذمة الحاكم هي من العظم والتشعب . بحيث لا يتسع وقته للوقوف على كنه جميع مصالحه وحقيقتها مهما كان حسن التدبير مجتهدا . **ولذلك فلابد لولى الامر من ان يشكل مجلس شورى خاصا يقوم بالقرب منه ، ويكون مؤلفا من عدد كاف من الكبراء والمنتخبين من بين عبيده المخلصين ذوى الكفاية والكياسة المجربة حصافتهم كما هي الحال في الممالك الاوروبية وهذا المجلس :**

ا ـ يبحث الشؤون المقدمة اليه سواء كانت صادرة من المقام السامي او واردة من الجهات فهو يعمل الفكر فى تمحيص وقائعها والموازنة بين منافعها ومضارها ثم يعرض خلاصة ذلك على المقام السامي .

ب ـ ويطالع التقارير التى سترفعها الدواوين الى المقام السامي بزبدة أعمالها ، وتقارير المجلس العام السنوية التى مر ذكرها ثم يعرض ماتحتويه كل هذه التقارير من الامور على المقام السامي .

ج ـ وينتدب للفصل فى الدعاوى على الوجه المسطور فى البندين الثاني والثالث .

د ـ ويؤذن لاعضائه فى أن يقدموا ويرفعوا مسايجيش بخاطرهم من التدابير والمشاريع المنطوية على منافع البلاد .

هـ ـ ويؤلف من ناظر وأعضاء بقدر عدد دواوينهم .

والفصـل الثـاني من السياستنامة موضوعة « **فى بيان الاجراءات العملية** » وهو يفصل وظائف المديرين ، ومشايخ القرى ، وصيارفها ، والكتبة اللازمين للشئون التابعة للمديريات ، والاقلام والمقاطعات التي يقتضي الحـال بيعها للملتزمين ، وما يحدث عند بيع الدواوين لاشياء مرغوب فيها واشياء أخرى غير مرغوب فيها . وكذلك مايتعلق بالمشتريات اللازمة للمصالح الاميرية . والاشياء والاصناف المقتضى تشغيلها فى جميع محلات التشغيل . وضرورة الاجتهاد في تحصيل الديون القديمة . وطريقة مسك الدفاتر المسلسلة ومراجعة الايصالات . وتقديم الحسابات ، وحقوق المستخدمين وواجباتهم . وعلى العموم فان هذا الفصل يتضمن بداية تنظيم الجهاز الادارى للدولة المصرية .

والفصـل الثـالث من السياستنامة مضمونه « **في بيان العقوبات** » اى النظام التأديبى للمستخدمين فى المصالح الاميرية . تقول مقدمة هذا الفصل :

« لما كان حسن تصريف الامور الملكية منوطا بانفاذ القوانين واللوائح والعمل بموجبها ، لم يكن بد من اخذ المستخدمين في المصالح الاميرية كبارا كانوا أم صغارا بالعقاب الذى يستحقونه اذا هم لم يؤدوا احكام القوانين واللوائح باعتبارها واجب ذمتهم ومفروض عبوديتهم . أو اقترفوا امرا مخلا بشرف الانسانية او مخالفا لشروط الانتماء الى الحضرة العلية ، ليكون من ذلك تأديب لانفسهم وعبرة وموعظة لسائر العبيد المنتمين ، هذا الى انه لما كانت عدالة الحكومة من مقتضاها أن تنفذ أحكام القوانين تنفيذا شاملا ، بحيث يكون الجميع سواسية لا يماز فيهم بين كبير وصغير فان الامر قد اقتضى وضع قانون العقوبات المسطور ادناه ليتخذ دستورا يعمل بموجبه ومن الله التوفيق » .

ويعالج كل بند من بنود هذا الفصل مخالفة ادارية ، او مالية ويحدد عقابها .

والعقوبات يختلط فيها الجزاء الادارى ، بالعقوبة الجنائية . فالى جوار العزل ـ أى الوقف ، والفصل ـ نجد الحبس ، والاعتقال فى احدى القلاع ، والسخرة فى الاغلال بالليمان .

وفى نهاية السياستنامة يجيء **البند الواحد والعشرون من الفصل الثالث على النحو الاتى :**

« معلوم ان عمران البلاد ورفاهية الرعية والعباد وتنظيم شئون الحكومة ومصالحها كل ذلك لا يعدو ان يكون منوطا بثلاثة امور ، اولها الانصاف والعدالة وثانيها الصدق والاستقامة وثالثها الاجتهاد والغيرة . وهذا القانون الحافل بآيات العدل انما كان وضعه تحقيقا لامنية هى ابراز هذه الفضائل العظمى » .

« فالان حق على الذين يسلكون من السبل مايخالف الانسانية ، ويعارض واجب العبودية ، ان تطبق عليهم العقوبات المدرجة فيه . أما الذين يكون سلوكهم موافقا للانسانية ، والولاء للحضرة الخديوية ، فمن الوضوح بمكان انهم سيكونون موضع رعاية المقام السامي ومكافأته لهم ، برفع درجاتهم واعلاء مكانتهم . فعلى كل امرىء ان يبدى من خالص السعي والغيرة ويبذل من صادق الجد والهمة مايجعله بهذه النعمة الجليلة جديرا ولها نائلا » .



مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين
رمز
كيما
للجودة
والانطلاق
بانتاجها الجديد
نتروكيما ٣١٪ آزوت
أعلى نسبة في الآزوت
تضاعف خيرات أرضنا الطيبة
وترفع مستوى الإنتاج
الزراعي ..
شركة الصناعات الكيماوية المصرية "كيما" بأسوان
إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

الثمن ١٠ قروش

مطابع الاهرام التجارية

الطليعة

١١

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

نوفمبر ١٩٦٩ - السنة الخامسة

تزايد "أمركة" العدوان الاسرائيلى .. ومسئولية القوى الثورية

- حوار بين "الجبهة الديمقراطية" و"الطليعة"
- ليبيا: المخطط الاستعمارى .. الصراع الداخلى .. الثورة
- الرقابة على القطاع العام
  "مشاكل الفكر والتطبيق"
- وثائق: مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية

الطليعة

طـريق المناضـلين الى الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شــهرية
تصدر أول كل شهر

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

السنة بالبريد العادى ج.ع.م. ودول اتحـاد البريد العـربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهـرس

العدد الحادى عشر — السنة الخامسة — نوفمبر ١٩٦٩

ص

■ تزايد «أمركة» العدوان الاسرائيلى. ومســئولية القــوى الثورية . « الافتتاحية » . ٥

● ليبيا : المخطط الاستعمارى .. الصراع الداخلى .. الثورة . — احمد صدقى الدجانى ١١

■ الرقابة على القطاع العام (مشاكل الفكر والتطبيق) . ١٩

— الاطار الفكرى وأسس التطبيق . — د. ابراهيم سعد الدين ٢٠
— الصراع بين النظرة الفردية .. والفلسفة الجماعية . — د. عبد الرازق حسن ٣٤
— نحو تدعيم الرقابة الشعبية — محمد صبحى الاتربى ٣٨
— نظرتان الى الرقابة . — كمال السـيد ٤٢
— وحدة التخطيط والرقابة فى التجربة السوفيتية . — ابراهيم خليل برعى ٤٧

● معركة كسب الرأى العام العالمى .. واجبات ومهام جديدة . — خالد محيى الدين ٥٤

● تصريح بلفور .. والتناقض بين موقف الشعب وموقف الزعامة . — د. محمودحسن صالح منسى ٥٩

● الجذور التاريخية لنضال المرأة فى مصر . — وديع أمين ٦٦

● القسام يشعل شرارة الكفاح المسلح . — عبد القادر ياسين ٧٤

● ثغرة فى جدار الخوف .. بالمانيا الغربية — وديع وهيب ٧٩

● المقاومة الفلسطينية : كيف تفكر ؟ كيف تعمل ؟ كيف تواجه الحاضر ؟ كيف تواجه المستقبل ؟ (حوار بين « الجبهة الديمقراطية » و « الطليعة ») . ٨٥

● حوار فكرى : « هكذا يتكلم الادباء الشباب » . ١٠٧

■ تقارير الشهر وتعليقات : ١١٧

■ مكتبة الطليعـــة : ١٣٩

■ مناقشـــات مفتوحـــة : ١٤٨

■ وثائق : مرحلة الانتقـال فى التجربة السوفيتية ١٥٢

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك)) .

الافتتاحية

تزايد "أمركة" العدوان الإسرائيلى ومسئولية القوى الثورية

أعلن روبرت ماكلوسكى المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية فى واشنطن ، أن الجنسية الامريكية لن تسقط عن العسكريين الامريكيين المجندين فى القوات المسلحة الاسرائيلية . واكد البيان الامريكى انها قاعدة عامة تسرى « **على كل امريكى يعمل ضمن قوات اجنبية لا تتعارض مصالحها مع مصالح الولايات المتحدة ، ولا تعرض أمن الولايات المتحدة للخطر** » .

وأثناء الزيارة الرسمية التى قامت بها جولدا مائير للولايات المتحدة أعلن نيكسون ترحيبه « **برئيسة حكومة شعب شجاع ، مصمم على المحافظة على السلام (!) فى المنطقة التى يعيش فيها** » ، ثم صرحت جولدا مائير فى خطاب القته فى حفل اقامه اليهود فى لوس انجلوس أن الرئيس نيكسون أكدلها «أن الولايات المتحدة لن تحاول الضغط على اسرائيل للانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ، قبل الوصول الى سلام دائم فى الشرق الاوسط » ، فى نفس الوقت يردد فيه الرسميون الامريكيون تعبير « الحدود الآمنة » ، ويؤيدون ادخال تعديلات على حدود دول المنطقة المحيطة باسرائيل » .

وهناك اجماع فى الصحافة الغربية على نجاح مباحثات رئيسة وزراء اسرائيل ، التى أعلنت « لقد شعرت لدى خروجى من البيت الابيض بغبطة اكثر من التى كنت اشعر بها لدى دخولى » . كما تؤكد مصادر الانباء أن اسرائيل حصلت على القروض والاسلحة المطلوبة . ويفسر المراقبون عدم صدور بيان مشترك بأنه يعنى أن هناك اتفاقيات لا يمكن

اذاعتها فى الوقت الحالى . وكانت قائمة المطالب تتضمن تغطية العجز فى ميزان المدفوعات المقدر أن يبلغ فى السنوات الخمس القادمة ألف مليون دولار و ١٥٠ طائرة هليكوبتر ـ ثمنها ٣٥٠ مليون دولار ـ ، ٢٥ طائرة فانتوم و ٥٠ من طراز سكاى هوك .

ومنذ سنوات تتردد التصريحات عن الاسطول السادس باعتباره الاحتياطى الاستراتيجى لاسرائيل ، وتدور التساؤلات فى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى حول الزام الولايات المتحدة بالدفاع عن اسرائيل . وتتم زيارات مشبوهة مثل تلك التى قام بها **تيودور كونرى** ـ قائد القوات الضاربة فى الجيش الامريكى ـ لاسرائيل ، واجتمع اثناءها **بموشى ديان** وزير الدفاع و **حاييم بارليف** رئيس أركان الحرب فى مارس الماضى .

وتمتد أصابع التآمر على الجانب الاخر من خط الصراع فى حلقات مترابطة منسقة ، فيصدر البيان الامريكى معربا عن القلق العميق ازاء أمن لبنان وسلامته ، ويتعهد بتأمينه من الاخطار . ويبادر المسئولون اللبنانيون الى الترحيب بالحماية ، وتكون بمثابة اشارة التحرك والهجوم على المقاومة الفلسطينية والحركة الشعبية اللبنانية . وتحتدم المعركة التى افتعلتها الرجعية ، فيتزايد « القلق » الامريكى ويصرح نيكسون بأن الوضع فى الشرق الادنى معرض للانفجار فى اى لحظة ، وقد صحب تصريح وزارة الخارجية عن الخطر « القادم من الحدود الشرقية » حملة من الشائعات عن « حشود سورية على حدود لبنان » . وهكذا يكتسب مخطط التحالف الامريكى الصهيونى مع الرجعية اللبنانية ابعادا خطيرة ، تمهيدا للامتداد الى بلدان أخرى بالمنطقة بهدف تصفية المقاومة الفلسطينية وطعن الحركة الثورية العربية وهدم الجبهة الشرقية ، والتدخل المباشر فى الشرق الاوسط على نمط ما قامت به عام ١٩٥٨ .

لكن ، ما الهدف من ايراد كل هذه الوقائع ؟ هل نحن فى حاجة الى اثبات التواطؤ الامريكى الاسرائيلى ، وتسليط مزيد من الاضواء على الارتباط العضوى والتنسيق الكامل بين أمريكا واسرائيل ؟ أيقتضى الامر التأكيد المرة تلو المرة على حقيقة مفضوحة ، لم تعد فى حاجة الى مزيد من التأكيد ؟

الواقع ان هناك نقاطا ثلاثا تثيرها هذه الوقائع ، وتؤكدها التطورات الاخيرة فى حركة الصراع بالمنطقة :

● بين أنصار التسوية السلمية على النطاق العربى يسود اتجاهان .. الاول وهو الاعم والاقوى ، يستهدف التوصل الى حل سلمى على أساس ثورى ، دون تنازل أو تراجع فيما يتعلق بقضية تصفية آثار العدوان عن كل شبر من الارض المغتصبة وبلا مساس بحق الشعب الفلسطينى فى مواصلة نضاله العادل من اجل استعادة حقوقه . ومن ثم فان هذا الحل يدور فى اطار الحفاظ على المكاسب والانجازات فى مجال الثورة الاجتماعية ، وهو الاتجاه الذى ينحو الى الاعتماد على القوى الشعبية والاستناد الى حركة الجماهير العربية والتضامن الوثيق مع جميع الشعوب المحبة للسلام ، وفى مقدمتها الشعوب والقوى الاشتراكية .

وهناك بعض الشرائح التى مازالت تعول على الولايات المتحدة الامريكية فى أن تلعب دورا ايجابيا من أجل تسوية سلمية ، وتتصور امكانية حماية أجزاء من الارض

العربية بمقتضى التصريحات الامريكية،وصكوك « الوصاية » • ورغم أن هذا الاتجاه لا يلقى أى استجابة من جانب الجماهير ، ويمثل بأقلية محدودة العدد ، الا أنه يزاول نشاطا واسعا على النطاق العربى كله فى مناخ موات يتسم بتصعيد الحملة الامبريالية المنظمة بقيادة الولايات المتحدة،وتزايد الهجوم الدعائى والسياسى فى الاونة الاخيرة • وقوى الشعوب العربية بما تملك من وعى ويقظة كفيلة بالرد على هؤلاء ودحر مساعيهم وبخس بضاعتهم التى يروجون لها . هؤلاء يعملون جهارا فى وضح النهار فى تحالف وثيق مع القوى الاستعمارية ، لكن بعض انصار هذا الاتجاه لا يجاهرون برأيهم ، بل يعملون فى الخفاء بأساليب ملتوية ، يركزون بالدرجة الاولى على التحرك بحذر لاحتواء السلطة والانفراد باتخاذ القرارات ، يلوحون لامريكا بنبذ الثورة الاجتماعية ، واستعدادهم للانفصال عن تيار القومية العربية ، وقبول الحلول الوسط •• يتجهون الى دعم العلاقات الاقتصادية والسياسية مع الغرب الرأسمالى على حساب صداقة الشعوب وبلدان العالم الاشتراكى • وهم يتوخون – من خلال مواقفهم – اقناع الولايات المتحدة بأنهم صمام أمن يمنع تسرب الفكر اليسارى « المتطرف » وخير حاجز ضد انتشار الشيوعية •

ومن هنا تبدو الاهمية الخاصة ، لا لمجرد تحديد العدو الرئيسى تحديدا نظريا ، بل وأيضا معاملته والتصدى له فى اطار هذه النظرة • والولايات المتحدة الامريكية هى العدو الرئيسى ، ومن ثم فان المباحثات الدائرة بينها وبين الاتحاد السوفيتى ، تدور بين العدو الاساسى والصديق والحليف الرئيسى • وأمريكا لا تقبل الحل الوسط ، ولا ترضى بديلا عن اخضاع المنطقة كلها وثرواتها للاستراتيجية الامبريالية ومصالح احتكاراتها • كما أن الظروف الموضوعية لحركة الاستقطاب التاريخية ، تجعل اى موقف « بينى » مستحيلا ، يتناقض مع معطيات العصر . والاستعمار لن يرضى بديلا عن الاستسلام ، وفرض التبعية على الوطن العربى •

ان التسوية السلمية على أسس مبدئية ثورية لا يمكن أن تتم الا من موقع قوة •• ولا نعنى بذلك القوة العسكرية وحدها ، بل اساسا تلك الناجمة عن التعبئة السياسية الكفيلة بايجاد مواجهة حازمة بين حركة الثورة العربية بمضمونها الاجتماعى والوطنى وبين العدو الرئيسى الامبريالية الامريكية •• القوة المتمثلة فى عزل العناصر والاتجاهات المتخاذلة المترددة التى تشيع جوا من التراخى والبلبلة • ان تعبئة الجماهير رهن باقتناعها باستمرار الثورة الاجتماعية ، لا بوقفها وتجميدها • ان الصراع الرئيسى فى الوطن العربى يدور بين القوى التحررية الاشتراكية الوحدوية ،وبين القوى الامبريالية العالمية ، ومازالت طبيعة الصراع لم تتغير ، فالمعركة مزدوجة ترتبط فيها الاهداف الوطنية بالقضايا الاجتماعية فى نسيج واحد ، فالارض التى نناضل من أجل تحريرها من العدو الاستعمارى الصهيونى ، لا ترويها الجماهير الكادحة بدمائها لتخلصها من براثن الاستعمار القديم والاحتلال المباشر ، لتقدمها لقمة سائغة للاستعمار الجديد أو العدو الطبقى •

ان أنصار اتجاه التوصل الى حل سلمى « من خلال » الولايات المتحدة الامريكية هم دعاة المفهوم الرأسمالى للتحالف الوطنى وتدعيم الروابط بالسوق الرأسمالى العالمى وفتح الابواب على مصاريعها لرؤوس الاموال الغربية – بما فى ذلك الامريكية – وانعاش الاقتصاد « الحر »واطلاق عنان المبادرات الفردية لرأس المال الخاص ، وحصر نشاط القطاع العام « مجال الملكية العامة ، حيث تكون القوى الانتاجية من الضخامة بحيث يصعب على الملكية الخاصة ان تستوعبها » . وانصار هذا الاتجاه هم الذين يعملون على الانفراد بالسلطة وعزل قوى الشعب العاملة عنها ، ويخشون استمرار المعركة التى تهدد امتيازاتهم ومصالحهم ، وهذا الترابط بين موقفهم من القضايا الداخلية والسياسية الخارجية نابع عن أصولهم الاجتماعية •

والمواجهة الحازمة الفعالة للعدو الرئيسى ، تقتضى اتخاذ موقف حاسم ضد هذه الاتجاهات ، بعزلها عن مواقع السلطة والتأثير ، ولن يتأتى ذلك الا بنقل السلطة الى قوى الشعب العاملة واعلاء كلمة الجماهير الكادحة ، فهى مصدر الحصانة ضد التيارات المتخاذلة ٠

ان التساهل فى عزل وبتر التيارات المتخاذلة المترددة يخلق المناخ الملائم لانتعاش قوى الرجعية والتآمر . وليس اكثر دلالة على ذلك من ان موقف التردد ازاء الرجعية اللبنانية التى بدأت تسفر عن وجهها بضرب حركة المقاومة الفلسطينية منذ ابريل الماضى ، قد شجعها على التمادى فى غيها.

● تحت ستار دخان التعمية الذى تنفثه الدوائر الامريكية بمباحثاتها حول التسوية السلمية ، تقوم بأعنف هجوم سياسى ودعائى مركز ضد العالم العربى ٠ وتؤازر دون تحفظ السياسة العدوانية التوسعية لاسرائيل عن طريق الدعم العسكرى والمالى والادبى المكثف . وتتآمر لاحياء الحلف الاسلامى ، وتحريك القوى الرجعية ٠ فالبيان الاخير الذى أصدرته بشأن « قلق امريكا على استقلال لبنان » وتعهدها بحمايته ، الذى لقى ترحيب دوائر معينة فى القطر الشقيق ، هو عودة الى « مشروع ايزنهاور » وتأليب للسلطات اللبنانية ضد نضال الشعب الفلسطينى ، ترتب عليه كأثر مباشر تجدد الاشتباكات بين الجيش اللبنانى والمقاومة الفلسطينية ٠ وهناك المحاولات التى تبذل لجر الاردن الى اتباع سياسة مماثلة ٠ والقرار الاخير الذى يقضى بالسماح للامريكيين بالعمل فى الجيش الاسرائيلى يؤكد أن مخطط السياسة الامريكية هو تعويض ما يترتب على حرب الانهاك من خسائر تلحق باسرائيل ، ليس فقط بتسليحها بالعتاد الحربى والدعم المادى والادبى ، بل والقوى البشرية أيضا ، وهى من مراكز الضعف الاساسية التى تزعج اسرائيل وتثير قلقها ٠

ودلالة هذه المواقف ومغزى تلك الاجراءات واضحة لا تخفى على أحد ٠٠ فأمريكا لا تسعى للسلام ، بل تعد للحرب ، لا تستهدف التسوية انما تخطط لتصعيد العدوان ورفع مستوى العنف ٠

تصور الاستعمار ان هزيمة يونيو ١٩٦٧ العسكرية ستؤدى الى انهيار الانظمة الوطنية والتقدمية فى الشرق العربى ، فاذا بالنكسة تخلق نقيضها ، صحوة ويقظة عربية شاملة ، صمود يرتفع الى مستوى الردع ، الكيان الفلسطينى وحركة المقاومة المسلحة تبلغ آفاقا كيفية جديدة ، ثورات فى السودان وليبيا تكتسح النفوذ والمصالح الاستعمارية وتحولات جذرية فى جمهورية اليمن الجنوبية ٠

ومن الطبيعى أن يكون رد الفعل من جانب التحالف الاستعمارى الصهيونى هو الانقضاض من جديد ، قبل ان تلتقط الثورات الفتية أنفاسها وتدعم مواقعها ، وتنتشر « عدواها » وتمتد آثارها فى اتجاه قلب موازين القوى وعلاقاتها ضد المصالح الامبريالية ٠

فى ضوء هذه المواقف الحاسمة من جانب الولايات المتحدة الامريكية ، تذوى احتمالات التسوية السلمية وتذبل ، وتبرز الى المقدمة توقعات العنف والتآمر ، مما يقتضى مزيدا من اليقظة والحرص الثورى ، وقدرا اعظم من التعبئة ، وحسما فى مواجهة كل التيارات المترددة المتخاذلة ، التى تثير البلبلة والتراخى وتبث عوامل التفكك والروح الانهزامية والسلبية ٠

● ومن السمات التى تنبىء بقـرب احتدام المعركة ان القوى الرجعية بدأت تنشط بلا تحفظ ، كاشفة النقاب عن وجهها ، وتزداد جرأة فى تحدى شعوبها · وهـى احدى الظواهر التى تصاحب الاعـداد للانقضاض تمهيدا للارض وتيسيرا لمهمة العدو الخارجي ·

لكن ، أهم ما يسعى الاسـتعمار الى تحقيقه ، والحلقة الرئيسية فى نشـاطه ، تتركز فى العمل على فتح أخطر ثغرة فى خط الصمود العربى ، وذلك بتقويض الوحدة على النطاق القومى ، وهدم وتخريب الجبهات الوطنية فى كل بلد عربى على حـــدة ·

والاستعمار يملك عديدا من الاسلحة ، وامكانيات ضخمة ، سواء منها العتـاد الحربى أو الموارد المالية والتقدم الفنى . أما الشعوب فمن أمضى الاسلحة التى تمتلكها وأشدها فاعلية ، وحدة صـفوفها وارادة التحرير ·· تلك الصخرة التى تحطمت عليها أعظم أجهزة الحرب الحديثة وأعتـاها · وهذا السلاح ملك ايدينا ، يتوقف علـى حمايته والذود عنه مصيرنا ·

وقد شهدنا كيف تلتحم القوى المضادة للثورة العربية فى كيان عضوى متكامـل موحد ، مما يؤكد الاهمية الخاصة لالتحام قوى الثورة فى جيش موحد · كمـا ان المستوى الجـديد للعـدوانية الامـريكية الصهيونية يقتضى دعم هذه الوحدة الى أقصى حد ممكن ·

ـ لاشك أن أقوى دوافع الالتحام ، وأكثر عناصرها الحاحا ، هى أخوة السـلاح والفداء ورابطة الدم والاستشهاد التى تمليها على المنظمات الفلسطينية فى معترك كفاحها المسلح · وقد تحقق فى هذا المجال بعض التقدم وقدر من النجاح لا يمكن التهوين من أمره ، الا أن الابعاد الجديدة للمخطـط الاستعمارى الصهيونى ، وتآمر الرجعيـة العربية ، تجعل المهمة العاجلة الملحة هى انجاز هذه المسئولية التاريخية دون ابطاء · واذا كان من المتعذر تحقيق الاندماج الكامل فى تنظيم واحد ، تجدر المبادرة بـاقامة **علاقات جبهوية حول برنامج الحد الادنى** المتفق عليه ، وعلى أساس نقاط اللقـاء العديدة التى لا خلاف حولها ·

ـ أما فى النظم الوطنية التقدمية ، حيث تتولى احدى القوى التقدمية مقاليد السلطة أو تشارك مجموعة من القوى الثورية فى الحكم ، تسود بعض مظاهر السلبية فى طبيعة التحالف · فاحتلال مواقع السلطة يغرى احدى فرق التحالف الثورى ، او فئة معينة منها باتباع منهج ذاتى فى علاقتها بالقوى الحليفة ، وتسعى الى الانفراد باتخاذ القرارات ، فتسود روح الشقاق ويحتـدم الصراع فيما بينها · وكثيرا ما يحدث أن تبلغ التناقضات بين القوى الحليفة مستوى أعنف من التناقضات العدائية مع التحالف الرجعى ، اذ تنشغل هذه القوى بالصراعات فيما بينها ، فتضعف اليقظة ويسود التفكك ، مما يتيح للثورة المضادة استغلال هـذا التمزق للتحرك فى حرية وتعبئة قـواها للانقضاض على القوى الحليفة المتصارعة ·

وقد برع الاستعماريون فى اللعب على هذه التناقضات ، وحذقوا أساليب تأجيجها من وراء السـتار ، بالدفع باحدى القوى المحافظة أو الرجعية الى مساندة فريق ضد آخر ، وعندما يسقط هذا الفريق أو ذاك ، يبدأ الهجوم الشامل لاسقاط النظام برمته · ومن العوامل المساعدة على نجاح سياسة التفرقة هذه ، الطبيعة الاجتماعية والاصول

الطبقية للقيادات الثورية الجديدة ، التى تنتمى الى البورجوازية الوطنية والرأسمالية الصغيرة والمثقفين .

وقد ثبت من واقع تجربتنا الخاصة فى العالم العربى خطأ السياسة التى تتجه الى فرض نموذج معين ، أو صيغة ما للتحالف الثورى ، أو شكل تنظيمى لا يناسب الاوضاع الاجتماعية أو يتمشى مع مجرى التاريخ . فاذا كانت مصر قد انتهجت طريق تحالف قوى الشعب العاملة ، فهذا لا يعنى أن ينطبق هذا الوضع على كل الظروف . ففى اجتماعات مباحثات الوحدة الثلاثية فى القاهرة فى ١٩ مارس ١٩٦٣ ، قدم الرئيس عبد الناصر تقييما لتجربة الوحدة مع سوريا قائلا « ان عملية حل كل الاحزاب فى ١٩٥٨ ما كانتش صح . كان لازم اتبعنا أسلوبا آخر وهو حل الاحزاب التى لا تتفق فى الهدف ثم تجميع الاحزاب التى تجمعهـــا وحـــدة الهدف .. الاحزاب القومية وتكون هـى الطلائع الثورية فى جبهة قوية » .. اذن فان جبهة الاحزاب ليست مشكلا مدانا ، وحل الاحزاب الرجعية لايبرر بحال من الاحوال أن يطبق نفس الاجراء بالنسبة للاحزاب الثورية المناضلة التى ساهمت فى الكفاح البطولى ضد المنظمات المعادية ، بل هى على نقيضها ، ولها حق التواجد والعمل ، من أجل تدعيم الوحدة الوطنية .

والســـبيل الى دعـــم الوحـــدة لن يتوفر بانفراد احدى القوى الثورية بالسلطة وعزل القوى الاخرى ، بل يتأتى عن طريق المشاركة فى السلطة والممارسة المشتركة لمهام العمل الوطنى سواء على النطـاق الشعبى فى المؤسسات الجماهيرية أم داخل وفى قمة الاجهزة التنفيذية ، الاسهام فى تحمل مسئوليات النشاط الثورى من كل المواقع . وهو السبيل الى حصر التناقضات السلمية فى حقل التجربة العملية ومن موقع المسئولية ، حتى لا تنقسم القوى الثورية بين أجهزة التنفيذ فى قمة السلطة ، والمبعدين المتخصصين فى ممارسة النقد .

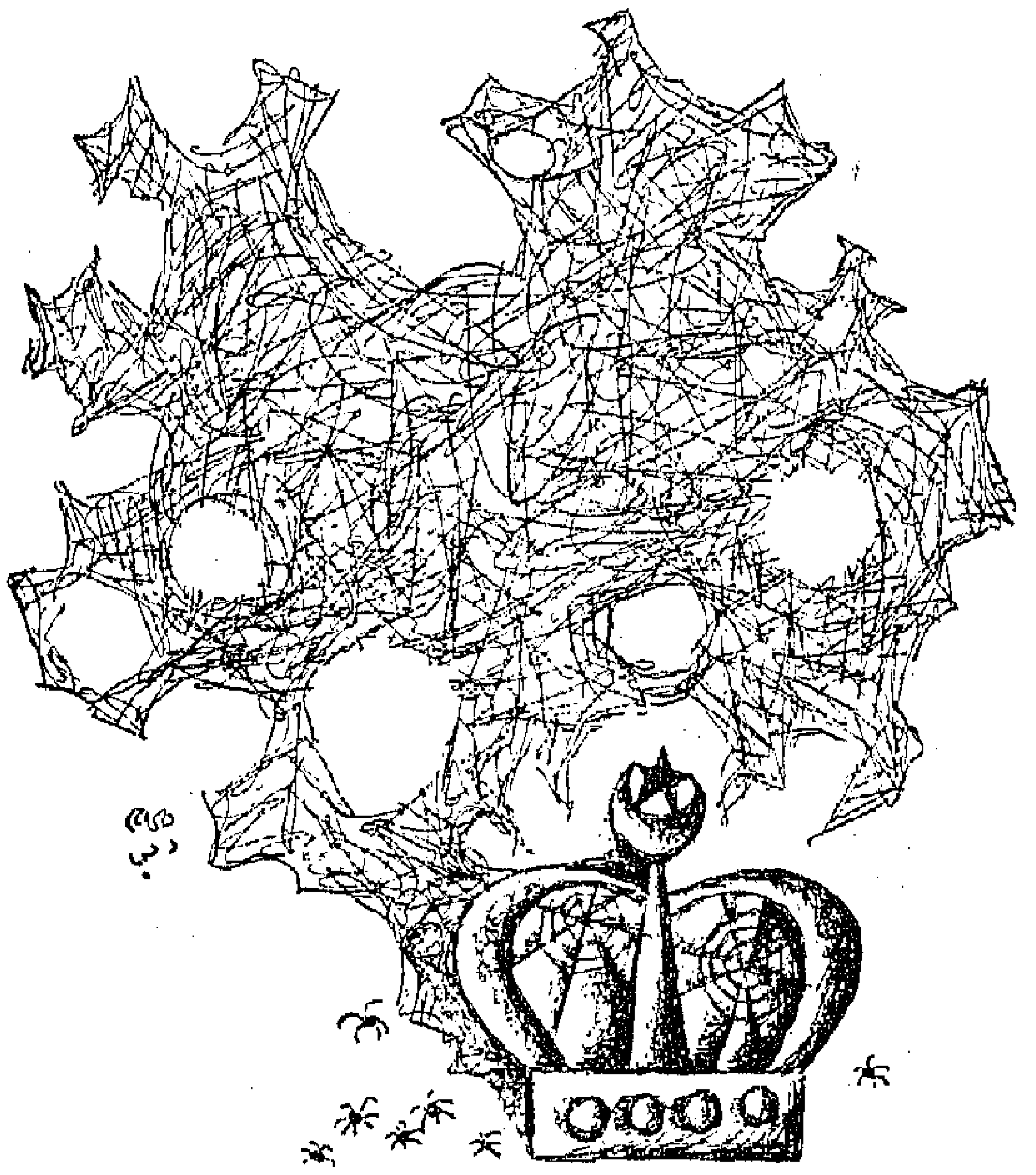
ـ وهناك تحالف القوى الثورية خارج السلطة . وقد حققت هذه الجبهات نجاحا أكبر نسبيا من النموذج السابق . ولكنها فى حاجة الى المزيد من الدعم ، اذ أنها تواجه قوى رجعية متحكمة أو قوى رجعية مهتزة متأرجحة لا تجرؤ على المجاهرة بـاعلان عدائها للشعب أو اتخاذ اجراءات حاسمة فى ضرب قواه ، الا أنها تتربص بـالحركة الشعبية للانقضاض عليها اذا لاحت لها اى بادرة من التفكك والضعف .

ـ وقاعدة اللقاء والالتزام ببرنامج الحد الادنى يجب أن تسرى فيما بين الانظمة التقدمية على الصعيد العربى . ورغم أنها وحـــدة تاكتيكية حول الحد الادنى مـــن الاهداف الا أنها أساسية فى معركة تصفية آثار العدوان ، ومواجهة التصعيد الجديد للعنف الاستعمارى . كما أن هذه الوحدة التاكتيكية لابد وأن تستند الى نـــواة استراتيجية صلبة تضم كل القوى التى تتبنى الاشتراكية العلمية .

الطليعة

ليبيا

المخطط الاستعماري.. الصراع الداخلي.. الثورة



أحمد صدقي الدجاني

لعل من أبرز وأبسط الحقائق التي يؤكدها تفجر ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا العربية ، حقيقة ان نضال الشعوب قادر دوما على احباط مخططات الاستعمار وضربها ، مهما أحكمت قوى الاستعمار رسم هذه المخططات وبذلت الجهد في تنفيذها . ولقد جاء تفجر الثورة العربية في ليبيا ضربة قاصمة مفاجئة لمخططات احكم الاستعمار الغربي رسمها ، وفشلا كبيرا للجهود الجبارة التي بذلها في تنفيذ تلك المخططات .

ولكي نقيم هذه الضربة القاصمة المفاجئة ونستكشف أبعادها لابد ان نلاحظ اشتداد التكالب الاستعماري على ليبيا في العامين الاخيرين ، بعد نكسة ٦٧ · فقد استغل الاستعمار الغربي الجو النفسي الذي خيم اثر النكسة ليشن بضراوة حربا نفسية محمومة على الامة العربية عموما تخدم أهدافه وتحكم سيطرته · واختص شعب ليبيا العربي بنصيب كبير منها ، آخذا بعين الاعتبار نضاله الشعبي الرائع ابان معركة يونيو وتهديده المصالح الاستعمارية الحيوية في ليبيا ·

ولابد أن نلاحظ أيضا أن الاستعمار الغربي كان يتوقع خلال شهر تفجر الثورة احداثا اخرى في ليبيا من نوع مغاير رتب حدوثها وأراد أن يستبق بها الثورة · فقد لاحظت قوى الاستعمار المقدمات والارهاصات التي أنذرت بتفجر ثورة شعبية في ليبيا فعمدت الى محاولة اجهاض الحمل الثوري بتدبير انقلاب يمتص النقمة الشعبية على الاوضاع ولو لفترة ويركز السلطة في أيدي مجموعة من الموالين للغرب بعد أن يحسم الصراع المحتوم على السلطة بين « الشلل » الطامعة · وكانت اشاعات عدة قد ترددت في **طرابلس وبني غازي** حول هذا الانقلاب المحتمل ، بل ان بعض الصحف البريطانية والاميركية سارعت بعد حدوث الثورة الى نسبتها لهذه « الشلة » أو تلك قبل أن تتحقق من هويتها **(١)** · وحين وضحت الملامح الاولى للثورة كانت المفاجأة التي اعترفت بها غالبية الصحف الغربية ،

---

[1] مثال ذلك مقال لصنداي تايمز البريطانية في ٩/٧ بعنوان « هل كان الملك ادريس طرفا في الثورة الليبية ؟ توقع بروز عبد الحميد البكوش لاستلام السلطة .»

ويبدأ التساؤل عن المستقبل ، وكما قالت جريدة دافار الاسرائيلية يوم ١١ ـ ٩ : « وفى الغرب يتابعون بقلق علامات التحول فى السياسة الخارجية لليبيا ، ومن المؤكد لزاما توقع تغييرات معينة • ولو أنه حتى الان ليس هناك أساس قوى نبنى عليه قياساتنا • »

كما لابد أن نلاحظ أخيرا أن تلاحم الشعب بالثورة خلال الايام القليلة الماضية ـ وهو التلاحم الذى يعطى الحدث الكبير مضمونه ويحوله من مجرد انقلاب عسكرى الى ثورة شعبية ـ أكد رفض الشعب للاوضاع التى جهد الاستعمار فى تركيزها فكان مفاجأة أخرى للقوى الاستعمارية فضلا عن كونه عقبة كأداء أمام أى تحرك جديد لها فى ليبيا •

ومن المؤكد أن قوى الاستعمار تشرع فى التحرك بهدف الحفاظ على مصالحها الاستعمارية واستعادة مواقعها فى ليبيا • ولابد لافشال هذا التحرك الذى يتحمل الثوار العرب مسؤولية التصدى له ، أن نكون على وعى كامل بمخططات الاستعمار ومصالحه هناك •

الموقع الاستراتيجى والثروات البترولية

يقع اهتمام الاستعمار الغربى بليبيا ضمن اهتمامه بالوطن العربى عموما أو منطقة الشرق الاوسط ـ على حد تعبيره ـ ويعود اهتمامه بليبيا الى السببين الرئيسيين اللذين يشدانه للمنطقة •

وأول هذين السببين قديم ويتمثل فى الموقع الاستراتيجى الهام للوطن العربى باعتباره صلة الوصل بين قارات العالم القديم الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا • فاذا ركزنا النظر على ليبيا تبرز أهمية الموقع الاستراتيجى الذى تحتله ضمن الوطن العربى وأفريقيا • فهى صلة الوصل بين المشرق العربى والمغرب العربى ، وهى بالنسبة للاوربيين منذ القديم « **بوابة أفريقيا** » • وقد هيأها موقعها الجغرافى لتكون حلقة الوصل بين غيرها ممن يحدها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا • وهى تحتل شاطئا طويلا فى جنوب البحر المتوسط يمثل حوالى ثلث سواحله الجنوبية ، وتقترب بعض شطآنها من شواطىء المتوسط الاوربية قربا وثيقا • كما أنها تمتد عمقا فى الصحراء حتى تصل الى قلب أفريقيا ووسطها • ويتصف مناخها الساحلى بالاعتدال وبالصفاء الامر الذى زاد من أهمية الموقع الاستراتيجى فى عصر الطيران والتدريب عليه •

هذا الموقع الاستراتيجى الهام هو الذى جذب اهتمام الاوربيين لليبيا عبر العصور ، وهو الذى دفعهم الى التركيز عليها فى القرن الماضى حين عمت أوروبا موجة الاستعمار ، على الرغم من سوء الاوضاع الاقتصادية التى سادت ليبيا وقتذاك • وهو الذى دفع بريطانيا وأميركا ـ على الخصوص بعد الحرب العالمية الثانية ـ للتشبث بها ، وابرام معاهدتى عام ٥٣ وعام ٥٤ المعروفتين مع ليبيا المستقلة حديثا • ويجدر بالملاحظة أن المعاهدتين اهتمتا فى الدرجة الاولى بتحويل أراضى ليبيا الى قواعد عسكرية للدولتين الكبيرتين الاستعماريتين • وكان من المزايا الهامة لقاعدة « **ويلس** » قرب طرابلس فى نظر الاميركيين امكانية التدريب فيها على مدى العام ، وقربها من دول المعسكر الشرقى الاوربية ، فضلا عن توسطها بالنسبة لافريقيا العربية وأفريقيا الوسطى • كما تميزت قاعدة « **العدم** » البريطانية شرقى برقة على مقربة من حدود مصر الغربية بمزايا مشابهة ، وتحدد لها دور كبير فى الاستراتيجية العسكرية البريطانية فى مواجهة مصر وشرق أفريقيا عموما • ومن الواضح أن هذا السبب القديم سيبقى قائما ومحافظا على جدته • ولو أننا أجرينا مقارنة بين ما كتبه الرحالة الاوربيون عن أهمية موقع ليبيا فى القرن الماضى ، وما تكتبه الصحف والكتب الغربية اليوم لوجدنا تماثلا ليس بالقليل (٢) •

وثانى هذين السببين ، اللذين يشدان الاستعمار الغربى الى الاهتمام بالوطن العربى وبليبيا كجزء منه ، سبب حديث يتمثل بالبترول الذى بدأت أهميته فى عالم اليوم منذ حوالى قرن ، تزايدت فى عصر التقدم الصناعى المذهل ، والذى بدأ يتفجر فى الوطن العربى فى الربع الثانى من هذا القرن • وقد كانت ليبيا من أحدث أجزاء الوطن العربى دخولا فى زمرة الاجزاء البترولية ، حيث تفجر النفط فيها مع أوائل الستينيات • ولكن موقع ليبيا من جهة وغزارة بترولها من جهة أخرى ضاعفا من أهمية ليبيا كمنتجة للبترول ، وبالتالى من اهتمام الاستعمار الغربى والاحتكارات البترولية بها •

ان موقع ليبيا القريب من أوروبا يجعل لبترولها أفضلية عند الدول الاوربية الصناعية ، ويقلل من سعر تكلفته • كما أن اغلاق قناة السويس بسبب

---

(٢) من هؤلاء الرحالة Couper كتب "The Hill of Graces" وكتب Country of the Moors وغيرهما

معركة يونيو ضاعف من هذه الافضلية حيث لم يتأثر البترول الليبى بهذا الاغلاق وبقى سعر تكلفته كما هو بينما زادت أجرة نقل البترول من ايران ودول المشرق العربى بسبب تحويل خط سير الناقلات الى طريق رأس الرجاء الصالح • وقد زادت ارباح الشركات المصدرة للبترول الليبى لهذا السبب ، وقدرت هذه الزيادة فى تلك الفترة بحوالى ١٢٧٠ مليون دولار يمكن ان ترتفع الى الفى مليون دولار سنويا (٣) •

كذلك فان انتاج ليبيا من البترول يحقق تصاعدا مستمرا ، وقد أوشكت ليبيا أن تحتل المرتبة الرابعة فى الانتاج البترولى بين دول البترول فى العالم ، وان تصبح الاولى بين الدول العربية المنتجة للبترول • وكان انتاجها قبل وقف الضخ عام ١٩٦٧ مليون وثلاثة ارباع المليون برميل يوميا،ثم تزايد فى العامين التاليين حتى وصل ثلاثة ملايين برميل يوميا • فضلا عن الغاز الطبيعى الذى بلغ انتاجه حوالى ستين مليون مترا مكعبا فى شهر مايو ١٩٦٨ •

ليس عجيبا اذن على ضوء هذه الحقائق البسيطة أن تتهافت الاحتكارات البترولية وكل ما يتصل بها فى الغرب على ليبيا لتنزح ما أمكن من بترولها ، وتحافظ على مصالحها فيها •

« الجسر » العازل

كان أحد الاهداف الرئيسية للسياسة الاستعمارية فى ليبيا هو عزلها عن بقية اجزاء الوطن العربى لتقوم بدور العازل بين المشرق العربى والمغرب العربى فتناقض دورها الطبيعى كجزء لا يتجزأ من الوطن العربى يصل بين مشرقه ومغربه • وقد استعملت السياسة الاستعمارية الغربية منذ القرن الماضى تعبير « **الدولة العازلة** » Buffer State لتحدد دور ليبيا بين مصر وتونس ، وبقى هذا المفهوم قائما الى اليوم • فحين تدرس ليبيا فى الدراسات الاميركية يجرى الحديث عنها كفاصل بين وحدة المغرب العربى ووحدة وادى النيل •

هذا الهدف الرئيسى ــ كما هو واضح ــ يخدم هدف الاستعمار فى تجزئة الوطن العربى من أجل احكام السيطرة عليه ، وبالتالى فهو يخدم هدف السيطرة على ليبيا • وقد حددت السياسة الاستعمارية فى مخططاتها الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف وفرض العزلة على ليبيا •

وحتم تفجر البترول منذ بداية الستينيات فى ليبيا على السياسة الاستعمارية الغربية أن تزيد من اهتمامها بتحقيق هدف عزلة ليبيا ، وتعدل فى مخططاتها بما يتناسب وطبيعة مرحلة التحول البترولى التى دخلتها البلاد • الامر الذى نتج عنه تطوير الوسائل التى تستخدمها هذه السياسة • وقد لمس هذا التطوير منذ عام ١٩٦٣ وبدا واضحا صارخا فى العامين الاخيرين بعد النكسة • ويهمنا أن نسلط الضوء عليه لنتعرف على مخططات الاستعمار كما بدت قبل يوم الفاتح من سبتمبر •

ولكى نلاحظ ما طرأ من تعديل فى المخططات وتطوير فى الوسائل الاستعمارية نذكر بداية ــ وبايجاز ــ أن السياسة الاستعمارية فى ليبيا خلال السنوات العشر التى تلت الاستقلال ، عملت على تفتيت وحدة البلاد من خلال اقامة الاتحاد الفدرالى بين ولاياتها الثلاث فى محاولة لاصطناع عدة كيانات فيها • وشجعت فى هذا المجال النعرات الاقليمية بين برقه وطرابلس على الخصوص • وعملت على ايجاد حكم محافظ « ساكن » يدير البلاد باسلوب قديم ويمنع قيام التنظيمات السياسية والعمل السياسى ، كما عملت على ايجاد طبقة من الموظفين ترتبط بها ولا تخرج عن صورة التركيب الاجتماعى القديم بما يسيطر عليه من قبلية وعشائرية وعائلية • وحكمت البلاد من خلال الزعماء التقليديين الذين افرزتهم الفئات الاجتماعية المختلفة • كما عملت على الوقوف فى وجه أى تحرك شعبى ومجابهته بوسائل القمع التقليدية •

ومع بداية « التحول البترولى » كان لابد أن تقوم القوى الاستعمارية باجراء التعديل والتطوير فى المخططات والوسائل التى لا تلائم المرحلة الجديدة والتى ثبت عدم جدواها • فالمرحلة الجديدة تطلبت من وجهة نظر الشركات البترولية وحدة ليبيا ، حتى تستطيع هذه الشركات التعامل مع حكومة واحدة بدلا من أربع حكومات « حكومات الولايات الثلاث والحكومة الاتحادية »

ولم يكن ممكنا للسياسة الاستعمارية فى المرحلة الجديدة ان تغفل بروز فئة الشباب المثقف الجامعى الذى أنهى دراسته فى الخارج وخاصة فى مصر ، وبدأ يتوافد على البلاد منذ عام ١٩٥٨ . وكان هذا الشباب قد تفاعل مع افكار الثورة العربية التى سيطرت على المنطقة فى مرحلة المد الثورى العربى منذ عام ١٩٥٤ . وعاد ليلتحم بالجماهير الشعبية المؤمنة بتلك الافكار والمتطلعة الى الثورة العربية • فحرصت السياسة الاستعمارية ان تضع هذه الفئة الشابة فى حسبانها وتعمل لتحويلها عن دورها الطبيعى المتوقع لتقوم بدور مناقض له • وذلك من

---

[٣] كما جاء فى دراسة اعدتها نقابة عمال البترول فى ليبيا شرحت فيها وجهة نظرها فى وقف ضخ البترول ابان المعركة وبعدها •

أجل تحقيق نوع من الاستقرار فى ليبيا يحفظ على شركات البترول مصالحها ويجنبها المتاعب .

وكان على السياسة الاستعمارية أن تأخذ بعين الاعتبار فى المرحلة الجديدة ما طرأ من تحول فى المنطقة العربية وخاصة الاجزاء المجاورة لليبيا . فقد بدا واضحا وقتذاك تطلع الثورة العربية فى مصر لاقامة حركة عربية ثورية واحدة كرد على نكسة الانفصال عام ١٩٦١ واستجابة لمتطلبات النضال العربى . كما برزت الجزائر المستقلة منذ عام ١٩٦٢ قوة ثورية جديدة فى المغرب العربى . وكان طبيعيا أن تحسب السياسة الاستعمارية حساب هذا الواقع المحيط بليبيا .

مخططات تبوء بالفشل

ركزت السياسة الاستعمارية جهدها فى المرحلة الجديدة لتثبيت الاقليمية فى ليبيا وتغذيتها فى صورة « الاقليمية البترولية » لتكون فى مواجهة هدف الوحدة العربية . واتجه هذا الجهد لاصطناع طبقة متوسطة جديدة ترتبط مصالحها بالاحتكارات البترولية . وذلك انطلاقا من وجهة النظر الاميركية التى تقول بالاعتماد على الطبقة المتوسطة المصطنعة لتغلغل النفوذ الاميركى فى الدول النامية ولمواجهة المد الاشتراكى فيها ولتثبيت الاقليمية .

وبدأت ملامح الطبقة المتوسطة المصطنعة تظهر بشكل واضح منذ عام ١٩٦٥ ، ولم يلبث أن اعتلى قمتها مجموعة من الرأسماليين المحدثين تضخمت ثرواتهم حتى بلغت الملايين . وشرعت هذه الطبقة فى طرح مثل جديدة دنيا فى المجتمع ، وغرقت تدريجيا فى الترف الذى بلغ حد السفه (٤) .

ولم تغفل السياسة الاستعمارية عن طبقة العمال فحرصت على استيعاب بعض قياداتهم وعلى اصطناع قيادات جديدة وابرازها لربط الحركة العمالية من خلالها وضبطها للسير ضمن حدود مرسومة . وحرصت فى الوقت نفسه على تسليط السلطة لضرب القيادات الوطنية التى استعصت عليها . وقد شهدت البلاد وجود اتحادين عماليين يمثلان الوجهتين ، ثم محاكمة القيادات العمالية الوطنية بعد أحداث يونيو ٦٧ .

ووجهت السياسة الاستعمارية اهتماما خاصا الى فئة الشباب المثقف فى المجتمع باعتبارهم الدماء الجديدة وقوى الثورة المحتملة . فركزت عليهم فى مخططاتها من أجل تثبيت الاقليمية واصطناع الطبقة المتوسطة وعملت على استيعابهم .

وهكذا فتح المجال واسعا أمام هؤلاء الشباب المثقف ليحتلوا المراكز الهامة فى الحكومة . وجرت عملية توسيع أجهزة الحكومة واستحداث المؤسسات المختلفة ، وساعد عليها احتياجات مرحلة التحول البترولى . فسرعان ما قفز الكثيرون منهم الى مناصب المدراء والوكلاء والوزراء . وكانت هذه السياسة تعى جيدا حقيقة أن الاقليمية تعشش أكثر ما تعشش فى فئة موظفى الحكومة ، وان هذه الفئة ستكون فى غالبها فى الصف المعادى للوحدة (٥) . كما فتح المجال واسعا أمام هؤلاء الشباب للاثراء المشروع وغير المشروع فسرعان ما انضم كثيرون منهم الى الطبقة المتوسطة المصطنعة .

وجرت فى الوقت نفسه عملية بث اليأس فى نفوس هؤلاء الشباب المثقف ، والشباب عموما من جدوى العمل الثورى والثورة ، ومن امكانية العمل التنظيمى السرى . وذلك بشن حرب فكرية ونفسية ضد الثورة ، وبكشف المحاولات التنظيمية السرية قبل ان تنضج ، واستتباع الكشف بالتحقيق والمحاكمة وما يرافقهما من محاولة هز نفسية الشباب وغسل عقولهم . واستعانت السياسة الاستعمارية لتحقيق ذلك بجهاز مخابرات قوى ، وكانت تحرص فى الاونة الاخيرة على الايهام بأنه لا تخفى عليه خافية . وهكذا تكررت الاعتقالات فى الستينيات وجرى كشف أكثر من محاولة تنظيمية سرية .

ورافق ذلك محاولة صرف الشباب عن العمل السياسى بتحويل انتباهه الى اهتمامات أخرى . فتم تشجيع الرياضة بصورة مبالغ فيها ، ويسرت سبل السياحة والسفر الى أوروبا ، واللهو بصورة عامة فى محاولة لجذب اهتمام الشباب .

وأحيط هذا النشاط كله بجو فكرى تطرح فيه المفاهيم الغربية المصدرة للدول النامية .

وعلى الرغم من احكام هذه المخططات فقد تعذر تنفيذها ووقفت فى وجهها عقبات . ذلك أن النضال الشعبى كان لها بالمرصاد فاحتدم الصراع بينه

---

(٤) من امثلة ما يردده الكثيرون فى ليبيا من ان زفاف واحد من هذه الطبقة جاوزت تكاليفها مليونا من الجنيهات فى هذا العام .

(٥) انظر الاقليمية لساطع الحصرى

وبينها • وكانت التجربة الاولى لاشراك العناصر الشابة على مستوى واسع فى الحكم عام ١٩٦٣ فى غير صالح السياسة الاستعمارية حيث حققت انفتاحا صحيا على المستويين الداخلى والعربى • ولذا فقد عمدت السياسة الاستعمارية الى ضرب هذا الانفتاح ، وأنهت التجربة وفرضت على البلاد جوا من العسف تم فيه تزييف الانتخابات مرتين واغلاق الصحف الحرة التى صدرت فى فترة الانفتاح ، والتضييق على العناصر المناضلة . وسلطت فى الوقت نفسه الاضواء علـى بعض الشباب الذى قبل التعاون فى ظل هذه الظروف وعملت على ابرازهم •

ووجه النضال الشعبى ضربة أخرى لهـذه المخططات ابان معركة يونيو ٦٧ أذهلت بقوتها وصدقها السياسة الاستعمارية وفاجأتها ، وكانت هذه الضربة حافزا قويا للسياسة الاستعمارية لترمى بكل ثقلها فى الصراع ، وهكذا تبلور المخطط الاستعمارى لعزل ليبيا « وتغريبها » وهو المخطط الذى تم طرحه عام ١٩٦٨ •

شخصية ليبيا فى اطار الاقليمية البترولية

تميز هذا المخطط بحدته وهجوميته ، فقد استغلت السياسة الاستعمارية الجو النفسى الكئيب الذى خيم على منطقة الوطن العربى بعديونيو٦٧ لتجابه الشعب العربى بمخططها • وتميز بانه اصطنع أساسا فكريا له ينطلق منه ، وبانه اعتمد بعض الحقائق ليبدو موضوعيا ، كما تميز بالتكامل والشمول • وتولى طرحه وشرحه والدعوة اليه رئيس حكومة شاب من فئة الشباب المثقف يجاهر برفض المنطق الثورى وبالهجوم على الثورة العربية وبضرورة التحالف مع الغرب . وقد شرح سياسته لاول مرة فى ابريل ٦٨ ودعا فيها الى « الشخصية الليبية » وتغيير مناهج التعليم والتحالف مع الغرب وقيام ليبيا بدور لها محدد فى المنطقة •

● تضمن الاساس الفكرى المصطنع لهـذه السياسة الدعوة الى « الشخصية الليبيـة » • وبدأت هذه الدعوة « بالنعى » على جماهير الشعب العربى فى ليبيا تطلعه الى « الخارج » • والخارج هنا هو الوطن العربى – واهتمامه بقضـايا « الغير » اكثر من قضاياه – والغير هنا هو الامة العربية – بينما واجبه الاهتمام ببلاده والاعتزاز بشخصيته الليبية » • واتجه الحديث عن الشخصيه الليبيه الى تميزها واستقلالها عن غيرها وكونها وحدة قائمة بذاتها • وجرت محاوله احياء التاريخ البعيد للتركيز على وجود تاريخ ليبى وحضارة ليبية ، وتفسير احداث مختاره من التاريخ بما يناسب هذه الدعوة • كما جرت محاوله الاقناع بهذه الدعوه بالتركيز على مفاهيم « الاقليميه البتروليه » • فالبترول الليبى لليبيين ويجب حمايته من « الجيران الطامعين » • بل بلغ الامر ببعض المطبلين لهذه الدعوة ان صاحوا جهرا من هذه الزاوية بالا تساهم ليبيا بنصيبها فى واجب دعم الصمود العربى الذى كان شعب ليبيا العربى يطالب بزيادة نصيب ليبيا فيه •

وقد ركز رئيس الحكومة آنذاك **السيد البكوش** على الدعوة للشخصية الليبية ، فكان لها فى خطاباته نصيب واضح (٦) . واهتمت وسائل الاعلام المختلفة بطرح هذه الدعوة وشرحهـا ، فاثارت على المستوى الشعبى ضجة كبيـرة ، وجابهها النضال الشعبى بعنف • وعاون بعض الخبراء الغربيون فى طرح الدعوة وتـأييدها باساليب مباشرة وغير مباشرة ، وقد دعت الحكومة عددا منهم • وكان من القضايا التى الح عليها البروفيسور « **جورج لنزوفسكى** » استاذ العلوم السياسية فى جامعة كاليفورنيا فى محاضرته فى حلقة رعاية الشباب التى عقدت فى طرابلس ودعى اليها ، قضية « الوطنية والقومية » . وقد شرحها منطلقا من أن هناك أمما عربية واوطانا عربية وأن اللقاء بينها يمكن ان يكون مثل الكومنـولث البريطانى ، وأن الشباب العربى فى تطلعه الى العرب الاخرين يجب أن يتعاون فى حدود واقع التعدد القائم ومن خلال التركيز على شخصيته • والا فسيصاب بخيبة الامل وبالنكسات اذا حاول تجاوز هذا الواقع • كما اثار لنزوفسكى – وهو خبير فى شئون الشرق الاوسط – قضايا « **الاهداف والانظمة** » و « **فكرة التقدم** » و « **الحرية والنظام** » و « **الاستقلال الوطنى والعلاقات الدولية** » وطرح مفاهيم محددة لها تناقض مفاهيم الثورة العربية ، واهداف النضال العربى وتحل محلها (٧) . كما ختم الدكتور **جورج** محـاضرته عـن التعليم والعالم المتغير بقوله « دعونى ابين لكم ان تعليم الطفل الليبى القراءة والحساب والمواد الاخرى لا يعد كافيا ، بل يجب مساعدته فى تنمية وتعميـق

---

(٦) مثل خطابات ابريل ١٩٦٨ وافتتاح الحلقـة الدراسية لرعاية الشباب وعيد الجيش فى اغسطس ١٩٦٨

(٧) عنوان المحاضرة .
National Tasks and Responsibilities of the Arab Youth towards their Nations

أحساسه بالنسبة للاعتزاز بوطنه وشخصيته ايضا وسيتحقق جانب من ذلك عن طريق تنمية كفاءتهم في الدراسة كما سيتحقق الكثير اثناء دراسته للثقافة الواسعة والفنية التي ورثها كمواطن ليبي. فهو من مواطني هذا البلد الذي كان مطمع الاغريق والرومان والاتراك والطليان والالمان ، وهو اما برقاوي أو طرابلسي أو فزاني الا انه فوق كل هذا ليبي » . (٨) .

وجدير بالملاحظة ان الدعوة « للشخصية الاقليمية » ظهرت بعد النكسة في وقت واحد في أكثر من جزء عربي . وظهرت قبل ذلك وفي اوقات متقاربة في عدة اجزاء عربية وتبنتها بعض الاحزاب أو الجماعات المعروفة بارتباطها بالغرب .

كما يجدر بالملاحظة ايضا ان الدعوة لها بعد النكسة حرصت على اقترانها بالدعوة الى التقدم والحضارة بالمفهوم الغربي الاستعماري . وقد وضح هذا الطرح في ليبيا . وكان لنزوفسكي في دراسته حريصا على رفض التغيير كشرط للتقدم والتشكيك بالتقدم عن طريق الحل الاشتراكي والتركيز على سلامة المثل الامريكي في التقدم .

● وكان الجانب المكمل للدعوة الى « الشخصية الليبية » الدعوة الى « تغريب » ليبيا وتغيير مناهج التعليم فيها لتخدم هذا الهدف . وقد انطلقت هذه الدعوة من القول بان ليبيا تعاني كغيرها من دول المنطقة من التخلف ورواسبه . ولابد لها ان تلحق بركب الحضارة وهذه حقيقة . ولكن لا يلبث ان يحدث التحول حين تمضي الدعوة بالقول أنه لايمكن لها ان تبنىّ هذه الحضارة من خلال التفاعل والتعاون مع الدول المجاورة لها لانها تعاني من الداء نفسه . فليس أمامها الا التوجه نحو الغرب وبذل الجهد لاكتساب العقلية الغربية . ويكون هذا بعد توطيد النفس على مصادقة الغرب الذي تتفق مصالحه مع مصالح ليبيا — على حد قولهم — .

ولما كان التغيير لابد أن يعم جميع القطاعات فقد حدث التوجه الى تغيير مناهج التعليم ، بحيث تتم دراسة أكثر المواد باللغة الانجليزية التي يبدأ بتدريسها في المرحلة الابتدائية . وكانت وجهة النظر ان اللغة العربية ، تخلفت عن متطلبات الحضارة ، والترجمة عاجزة عن نقل التعبيرات الحديثة ، وان انتشار اللسان الانجليزي سيمكن من اكتساب الثقافة الغربية . وتضمنت الخطة التنفيذية ان يتولى التدريس مدرسون انجليز أو أمريكيون وجرى التعاقد مع مئات المدرسين من فرق السلام الامريكية المعروفة ، وكانت وجهة النظر انه لا يكفي تعلم الانجليزية بل يجب دراستها على ايدي ابنائها لاكتساب الحضارة منهم .

وتدرجت هذه الدعوة في اعلان الارتباط بالغرب حتى بلغت درجة المصارحة الواضحة . وصارت تناقش خلاف المعسكرين وخطر المعسكر الشرقي على الدين والتراث وغير ذلك من دعايات غربية، لتصل الى ضرورة التحالف مع الغرب . وهي دعوة سبق ان تكررت في بعض اجزاء الوطن العربي بصور مشابهة ، ولكنها في هذا النموذج تميزت كما قلنا بالوضوح والحدة والهجومية . وقد تضمنت بالطبع الرد على ما تثيره الجماهير من عداء الاستعمار الغربي لها المتجسد في مواقف كثيرة أهمها موقفه من قضية فلسطين .. فكانت تنادي بقبول الامر الواقع في فلسطين لينتهي سبب التوتر بيننا وبين الغرب .

● وربطت هذه السياسة بين الدعوة الى «تغريب» ليبيا والتحالف الكامل مع الغرب الاستعماري ممثلا في امريكا وبريطانيا . وكان الحديث في اوساط القائلين بهذه السياسة ينطلق من القول ان هناك اخطارا عدة تحيط بليبيا ، وقد تزايدت مع ازدياد الثروة البترولية . وكان هؤلاء يشيرون الى هذه الاخطار فيذكرون الخطر الايطالي الذي له سند من تاريخ والخطر السوفيتي الذي يتردد الحديث عنه في الاوساط الغربية ، ويصلون الى خطر الجيران! ويشرحون هذا الخطر الاخير بان كلا من الجمهورية العربية المتحدة والجزائر تعاني من ظروف اقتصادية صعبة فليس بعيدا ان تتطلعا الى ثروة ليبيا . وبالنسبة لمصر على الخصوص فانها تشكو من ازدياد عدد سكانها وهذا يزيد تطلعها

---

(٨) نص المحاضرتين في مجموعة ابحاث رعاية الشباب — اغسطس ١٩٦٨.

الى أرض ليبيا • وتنتهي مزاعم هذه السياسة بالقول انه ما دامت ليبيا الفتية لا تستطيع حماية نفسها من هذه الاخطار فلابد لها من التحالف الكامل مع الغرب الذى لابد من الاعتراف بمصالحه فى ليبيا •

وناقشت هذه السياسة صورة التحالف ، فكان القائلون بها يرددون أن صورة التحالف السابقة المتمثلة فى وجود قواعد امريكية وبريطانية لم تعد ملائمة ابدا ، فهى تنتسب لصيغ الاستعمار القديم وتثير نقمة الشعب عليها وتشعره بنوع من المهانة • ولذا فلابد من تغييرها • وكانت الصيغة المقترحة ان تعدل المعاهدتين بحيث تصبح القواعد العسكرية تابعة للجيش الليبى على أن تستعين بمستشارين من الدولتين • وقد تولت امريكا السلاح الجوى وبريطانيا السلاح البرى • وتمضى هذه السياسة فترى ضرورة تسليح الجيش الليبى بأحدث الاسلحة ليكون قادرا على دفع الاخطار الذى ذكرناها •• وبالفعل قامت الحكومة بابرام صفقة اسلحة مع بريطانيا بحوالى ٥٠٠ مليون جنيه استرلينى •

وقد تصدى النضال الشعبى لهذه السياسة فعراها وكشف ابعادها • فتغيير صيغ التحالف لا يغير من حقيقة التبعية للغرب شيئا ، بل انه يتم بناء على مخطط السياسة الاستعمارية • وعن طريقه تصبح ليبيا هى التى تدفع لمستعمريها مقابل تواجدهم البغيض على أرضها • والصورة الجديدة تعفى الدولتين من ايجار القواعد ، وتقدم لجيش المستشارين رواتب كبيرة فلا تخفف من اعباء ميزانية الدفاع للدولتين فحسب بل تساهم فى انعاشها • وأوضحت المعارضة الشعبية أن صفقة الاسلحة التى ابرمت انما ابرمت للمساهمة فى سد العجز فى ميزان المدفوعات البريطانى الذى بلغ قرابة ٢٠٠٠ مليون جنيه استرلينى ، والذى فرضت السياسة الاستعمارية على ثلاثة دول عربية بترولية القيام بتسديد هذا العجز • كما ناقشت جدوى الاسلحة التى تقرر شراؤها وهى من نوع الصواريخ من الارض الى الارض أو الى الجو ومن الدبابات ، فى معركتنا مع العدو الاسرائيلى ، وكشفت الغرض الحقيقى من اقامة شبكة الصواريخ على الحدود الشرقية والغربية لليبيا • وظهرت عدة مناشير تتضمن دراسات تناقش هذه السياسة وتنقدها •

● واتجهت هذه السياسة التى جاءت تجسيدا للمخطط الاستعمارى فى ليبيا ـ الى مناقشة دور ليبيا فى المنطقة على ضوء المنطلقات السابقة • فكان القائلون بها يرددون انهم قادرون على ان يلعبوا دورا كبيرا فى المنطقة لو أحسنوا فهم التحالف مع الغرب • فاذا كان عدد السكان فى ليبيا قليل فانه من الممكن الاهتمام بالنوع أكثر من الكيف ، وكانوا يضربون المثل باسرائيل ليشرحوا معنى الاهتمام بالكيف • وقد وجهوا النقد لسياسة ليبيا الخارجية بعد الاستقلال حيث كانت تمثل حيادا سلبيا ، بينما تستطيع ـ فى رأيهم ـ القيام بدور ايجابى كبير فى المنطقة ، وخاصة بعد الاهتمام بالكيف لان المنطقة تعانى من التخلف •

وكانت السياسة الاستعمارية قد رأت ان تكون ليبيا نقطة ارتكاز لها للانطلاق فى أربع اتجاهات • فمن الممكن لليبيا ان تقوم بدور فى افريقيا الوسطى وبالذات المجموعة الفرنسية من دولها ، فبعد ان وقفت سياسة ديجول حجر عثرة أمام النفوذ الامريكى فى هذه الدول فكرت الشركات الامريكية بالنفاذ اليها من ليبيا عن طريق التخفى وراء شركات ليبية آخذة بعين الاعتبار الصلات الوثيقة عبر التاريخ بين ليبيا وافريقيا الوسطى •

ورأت السياسة الاستعمارية انه من الممكن لليبيا بثروتها أن تلعب دورا فى تحقيق فكرة المغرب العربى المتميز المستقل عن المشرق العربى ، فحثته على السير فى هذا الاتجاه • كما رأت انه يمكن ان تكون ليبيا مركزا رئيسيا من مراكز الدعاية ضد الثورة العربية ومساحتها الرئيسية فى الجمهورية العربية المتحدة • وأخيرا رأت امكانية الاستفادة من ليبيا فى سياستها التجارية مع بعض دول اوروبا الشرقية •

وتبنت السياسة الليبية الجديدة هذه الاتجاهات • فباشرت الاهتمام بافريقيا الوسطى وفتحت المجال امام الرأسمال الامريكى ليدخل ويجد له واجهات من الرأسماليين المحدثين فى ليبيا • وقامت بخطوات للتقارب مع المغرب العربى من خلال زيارات ومؤتمرات ووفود خاصة بالمغرب • وانطلقت اصوات فى بعض الصحف الليبية جعلت همها الهجوم على الثورة العربية والتشكيك بها • وباشرت دراسة العلاقات التجارية

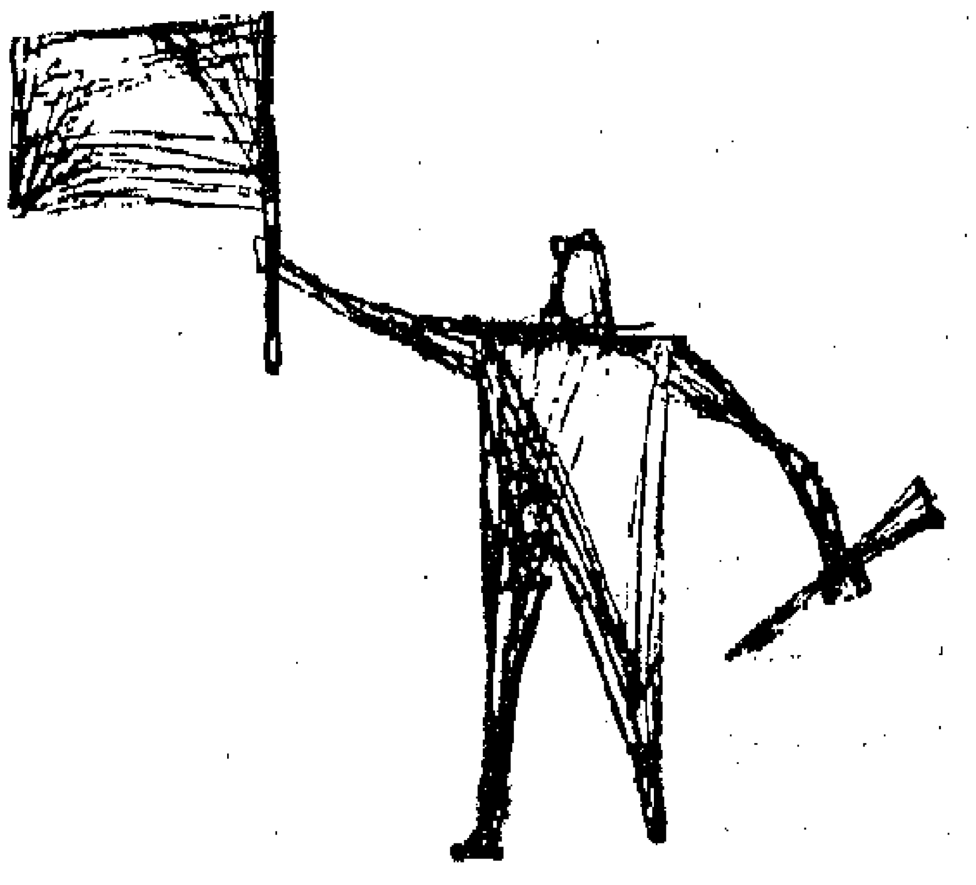
مع تشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوغوسلافيا ضمن نطاق السياسة الغربية .

تلك هي السياسة التي جسدت مخططات الاستعمار في ليبيا قبيل الثورة . وواضح انها كانت تستهدف ربط ليبيا ربطا وثيقا بالغرب والعمل على « تغريبها » . وواضح من منطلقاتها وخطواتها انها كانت مخالفة لارادة الشعب . وقد غالى القائلون بها في تقديراتهم وقللوا من أثر الشعب . وجدير بالذكر ان نظرتهم الى الشعب كانت مفعمة بالازدراء والمهانة .

ولقد اصطدمت هذه السياسة ومخطط الاستعمار عموما بالنضال الشعبي الذي وقف بالمرصاد لمحاولات فصل الشعب عن أمته العربية وربطه بعجلة التبعية لاعدائه من الاستعماريين . ولم يلبث أن استطاع النضال الشعبي هز مركز زعيم هذا الاتجاه فادى ذلك الى تنحيته . وعادت السياسة الرسمية في ليبيا الى هدوئها السلبي بعض الشيء ، بينما تابعت القوى الاستعمارية تنفيذ مخططاتها تحت ستار هذا الهدوء .

ولكن على الرغم من كل تلك الجهود الاستعمارية الدائبة فقد جاء يوم الفاتح من سبتمبر ومعه حدث الثورة الكبير . وسرعان ما حدث تلاحم الشعب بالثورة ليضرب تلك المخططات الاستعمارية مؤكدا أن نضال الشعوب قادر دوما على احباط مخططات الاستعمار وضربها مهما احكمت قوى الاستعمار رسم هذه المخططات وبذلت الجهد في تنفيذها .

ومن الطبيعي ان نتوقع بعد هذه الضربة ان تضاعف السياسة الاستعمارية من جهدها للحفاظ على مصالحها في ليبيا واستعادة مواقعها ، وهذا يعني استمرار الصراع واحتدامه بين الاستعمار الغربي وبين النضال العربي . وهذا الصراع يطرح على الثوار العرب في ليبيا وفي الوطن العربي عامة مسئولية النهوض بمهامه والاستجابة للتحدي الاستعماري في ليبيا بخطوات واعية تعزز قوة الجبهة العربية وصمودها وتحقق اهداف النضال العربي .





الرقابة على القطاع العام

« مشاكل الفكر والتطبيق »

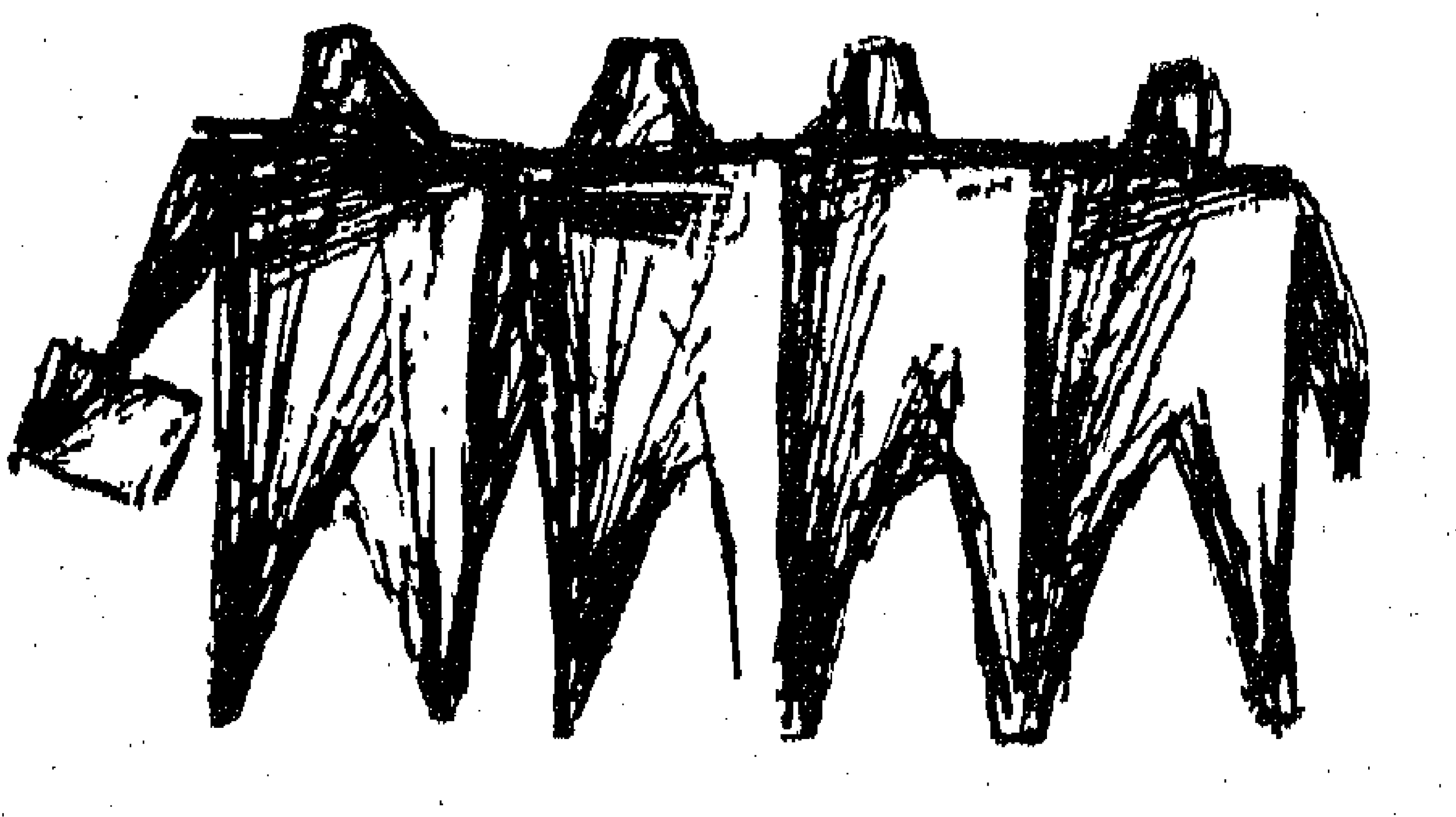
لم يحظ موضوع « الادارة العلمية » ومشاكلها ، بما يستحقه من البحث والدراسة والمراجعة أسوة بما تم في ميادين أخرى، بحثا عن طرق وأساليب زيادة فعالية تصرفاتنا ونشاطاتنا ، الامر الذى يكفل احسن استخدام واكثر كفاءة لكل مواردنا المادية والبشرية في صدام المصير الذى نخوضه ، والذى يستدعى الصمود الاقتصادى ، بل ومواصلة التقدم في هذا الصدد بمعدلات اكبر واندفاع اكبر .

وترشيد عملية الادارة ـ يتطلب بحث المشاكل والعقبات التى تعترضها ، والسعى لايجاد الوسائل التى تكفل اوسع مشاركة لجماهير العاملين في عملية الادارة هذه ـ بصورة او بأخرى ـ بحيث تكف هذه عن ان تكون كهنوتا يحتكر أسراره قطاع محدود من الناس ، الامر الذى يتناقض مع جوهر الديمقراطية التى تستدعى مشاركة واسعة لجماهير العاملين في عمليات الحكم والادارة .

ولا شك ان الرقابة ، اجراءاتها واجهزتها ، تعد من ناحية مشكلة من اضخم المشاكل التى تواجه الادارة في القطاع العام ، وهى من ناحية اخرى اداة صالحة لتدريب اعداد متزايدة من العاملين على عمليات المشاركة والادارة ـ خلال المشاركة في الرقابة على الاقل ـ ، اذا ما توافرت فيها صفتان : الديمقراطية والجماهيرية .

والطليعة ايمانا منها بالدور السياسى والاجتماعى للرقابة ، ورغبة في طرح مشاكل الادارة على بساط المناقشة ، تقدم دراستها التالية :

الإطار الفكرى وأسس التطبيق



د. ابراهيم سعد الدين

يمر مجتمعنا بمرحلة هامة من مراحل التطور ، تتميز بصراع حاد بين القوى الاشتراكية التى تناضل من أجل اتمام التحول الاشتراكى وبين العناصر الرأسمالية والقوى المتخلفة التى تعمل على ايقاف التطور الاجتماعى او ارجاعه الى الخلف . ويدور جزء هام من هذا الصراع حول القطاع العام ، دوره ، وامكانياته ، وانجازاته والصعوبات التى يواجهها الى آخر ذلك من الامور التى هى محل النقاش اليومى بين المهتمين بشئون القطاع العام ، والاقتصاد بصفة خاصة وبين جماهير شعبنا العريضة بشكل عام .

وتحاول العناصر المعارضة للتحول الاشتراكى أن تبرز أن القطاع العام بحكم طبيعته وبحكم وجود الملكية العامة يفتقد الى الحوافز الضرورية لتحقيق انتاجية مرتفعة ، وحد من التكاليف ، وتحسين فى المنتجات ، وان القطاع العام يتضمن — بحكم غياب الملكية الخاصة والدافع الشخصى — نواح من الاسراف ومن عدم الاهتمام بتحقيق أقصى استفادة من عناصر الانتاج التى تتوفر تحت يده . كما يؤدى فى النهاية الى قصور هذا القطاع عن تحقيق الاهداف المرجوة ، مع ارتفاع فى التكاليف وعدم قدرة على منافسة الصناعات المماثلة فى الخارج وارتفاع فى الاسعار فى الداخل بل ونقص فى الانتاج فى كثير من الاحيان .

وعلى العكس من ذلك فان القوى الاشتراكية وان اعترفت بوجود بعض هذه المظاهر تنتشر فى القطاع العام فى مصر ، وان اكدوا ان مجرد انشاء القطاع العام لا يؤدى بالضرورة الى امكان تحقيق الاهداف الاساسية التى من أجلها يتم التحول الى الملكية العامة لادوات الانتاج ، وهى امكانية تعبئة موارد المجتمع الى أقصى مدى ممكن ، وحسن استغلال هذه الموارد بما يحقق تنمية سريعة وارتفاع مستمر فى الانتاجية وزيادة سريعة فى الدخل القومى تحقق ارتفاعا فى الرفاهية وتدفع بالمجتمع الى مراحل جديدة من مراحل التطور ، فان هذه القوى ترى فى نفس الوقت ان المسألة الاساسية التى تعوق تحقيق

القطاع العام لاهداف انشائه لا تكمن فى طبيعة القطاع العام ذاته وانما فى الانظمة التى تحكم العمل فى القطاع العامفى مصر والمناخ العـــام الذى يعمل فى أطاره . ومن هنا فانهم يولون هذه المسألة أقصى درجات الاهتمام باعتبار ان نجاح القطاع العام فى التغلب على هـــذه الصعوبات هو المحك النهائى لدى الشعب للحكم على مدى صلاحية النظام الاشتراكى وقدرته على تحقيق أهــداف مجتمعنـــا .

وتعتبر مسألة الرقابة على القطاع العام من أهم المسائل فى هذا الشأن ، فالرقابة على القطاع العام هى الوسيلة الاساسية للتأكد من قيام هذا القطاع بتحقيق اهدافه . وتشمل الرقابةمجموع الوسائل والعمليات التى تقوم بها أجهزة معينة تنوب عن المجتمع للتأكد من أن وحدات القطاع العام تحقق الاهدافالتى توكل اليها بدرجة عالية من الكفاية • والرقابة بهذا المعنى هى الاساس الذى يمكن أن ينبنى عليه نظام فعال للحوافز السلبية والايجابية ليؤكد قيام القيادات الادارية فى وحدات القطاع العام ببذل أقصى ما تستطيع من جهد لتحقيق هذه الاهداف المرجوة • كما أنها الاساس الذى تبنى عليه التوصيات اللازمة لاجراء التغييرات المطلوبة فى نظام عمل هذه الوحدات أو فى تنظيم القطاع العام ، او غير ذلك مما يضمن استمرار التقدموتحقيق ادارة اقتصاديةكفؤةلهذا القطاع •

وتتطور أساليب الرقابة على وحدات القطاع العام مع تغير أساليب التخطيط والادارة فيه • وقد شاهدت الدول الاشتراكية فى خلال السنوات الاخيرة عديد من التطورات الهامة فى أسلوب التخطيط وفى أسلوب الرقابة على القطاع العام • اتصف أساسا بالانتقال من أسلوب التسيير الادارى الى الاعتماد على التسيير الاقتصادى • والحد من عدد المؤشرات التى تعتمد عليها الاجهزة المركزية فى رقابة تنفيذ الخطة • واعطاء الوحدات المنتجة قدرا اكبر من الاستقلال الذاتى . والاعتماد على الربح باعتباره أحد المؤشرات الاساسية فى الحكم على مدى كفاءة المشروع العام وبالتالى فى الرقابة على نشاطه •

وكثيرا ما يتخذ هذا التطور فى البـــلاد الاشتراكية أساسا للادعاء بأن نظام التخطيط الاشتراكى لم يؤد الى النتيجة المرجوة ،وانذلك أدى الى العودة الى الاسلوب الرأسمالى فى الادارة والرقابة • وأن فشل التجربة فى البلاد الاشتراكية لابد وان يؤخذ فى الحسبان بواسطة الدول التى تمر بمرحلة التحول ، والتى عليهاان تأخذ بأسلوب الادارة الرأسمالى فى إطار من وجود قطاع عام يسعى الى الربح ولكنه يحفظ هذا الربح للامة فى مجموعها بدلا من توزيعه على مجموعة ضئيلة من الاشخاص •

ولكن الى أى حد يعتبر التطور فى البلاد الاشتراكية المختلفة هو نتيجة لتطورات موضوعية فى النظام الاقتصادى وفى طبيعة النشاط الجارى والى أى حد يعتبر التغيير نتيجة لخطأ سابق فى الاختيار ناتج كما يقال دائما عن نظرة مذهبية ضيقة ،وهل هناك وسائلمختلفةللادارة والتخطيط والرقابة تتمشى مع الاختلاف فى الظروف التى يعمل فيها المشروع سواء فى الاطار الرأسمالى أو الاشتراكى ، وماهىالاثارالتىتترتب علىاختلاف طبيعة النظام الاجتماعىومرحلة النموالاقتصادى على أساليب الادارة والرقابة • هذا هو مـــا سنحاول أن نتناوله بالبحث فيما يلى :

الرقابة كعمل أساسى من أعمـــال الادارة

الرقابة عمل أساسى من أعمال الادارة تستهدف التأكد من أن الموارد المتاحة تستخدم أفضـــل استخدام ممكن لتحقيق الاهداف التى تســـعى الادارة الى تحقيقها • والرقابة بهذا المعنى هى من أعمال كل مدير وكل مشرف فى أى مستوى من مستويات الادارة او الاشراف ، وبغض النظر عن نوع الوحدات المدارة أو طبيعة عملها أو اختلاف الهدف الذى تسعى اليه •

على أن اتساع الوحدات موضع الادارة أو الاشراف ،وتعقد العمليات التىتقوم بها وتداخلها، وزيادة درجة تقسيم العمل والتخصص ، وتعدد المستويات الادارية والاشرافية فى مثل هـــذه الوحدات ، تحد من امكانية الرقابة المباشرة بواسطة الاجهزة الادارية العليا فى الوحدة • وتتطلب وجود أجهزة متخصصة تساعد الادارة العليا فى القيام بمسئوليتها الرقابية وتمكنها من اتخاذ ما يلزم من قرارات فى الوقت المناسب لتصحيح أى أخطاء أو انحرافات ولتدفع بالوحدة أو المشروع للقيام بجهد موحد ومنسق من أجل الوصول الى الهدف العام للوحدة موضع الادارة أو الاشراف •

ان العمل الاساسى لهذه الاجهزة هو تصعيد صورة واضحة ودقيقة عن العمل داخل الوحدة أو المشروع الى الادارات المسئولة كل فى حدود اختصاصها وفى وقت مناسب يمكن هذه الادارات من التأكد أولا من أن الوحدة بصورة عامة ، وأن كل قسم من أقسامها يقوم بالاعمال المحددة له بدرجة من الكفاية والتنسيق تؤكد تحقيق المشروع أو الوحدة للاهداف التى تسعى لبلوغها ، وثانيا من التعرف على أسباب القصور فى عمل الوحدة

أو جزء من أجزائها بحيث يمكن للادارة المختصة اتخاذ ما ترى من قرارات أو اجراءات كفيلة بعلاج أسبابه ، **وثالثا** من التعرف على امكانيات التقدم والتحسين في عمل الوحدة او المشروع ، وبمعنى آخر على امكانيات تحقيق أهداف أكثر طموحا أو امكانيات تحقيق نفس الاهداف بدرجة أكبر من الاستخدام الاقتصادي للموارد عن تلك الذي حددته الادارة العليا للمشروع ٠

ويتطلب ذلك القيام بمجموعة من العمليات التى تتضمن جمع البيانات وتحليلها واستخلاص النتائج التى تبين مدى التزام الوحدات موضع الاشراف بالاهداف المحددة لها ٠ ومدى الانحراف عن هذه الاهداف وأسباب ذلك الانحراف واقتراح الخطوات اللازمة لعلاج أسباب الانحراف أو القصور واقتراح الاجراءات الكفيلة بالوصول الى درجة أعلى من الاداء ٠

وتتزايد الحاجة الى وجود مثل هذه الاجهزة الرقابية المتخصصة ،وتتسع نطاق الاعمال الرقابية أضعافا مضاعفة مع اتساع حجم الوحدة الادارية ومع زيادة تعقد العمليات فيها ومع مدى تأثر الوحدة بالظروف المتغيرة التى تعمل فى اطارها ومدى أهمية الحصول على بيانات سريعة تمكن الادارة من اتخاذ القرارات فى الوقت المناسب ٠ كما تتزايد نطاق الاعمال الرقابية مع كل زيادة فى البعد بين الادارة العليا فى المشروع أو الوحدة الادارية وبين المستويات الدنيا للعمل فيها ، أو بمعنى آخر مع كل زيادة فى تدرج السلم الادارى داخل المشروع أو الوحدة الادارية ٠

وأخيرا تتسع أعمال هذه الاجهزة الرقابية مع غياب ، او الحد من امكانية المراجعة الذاتية والاوتوماتيكية على مستوى العمليات داخل الوحدة أو المشروع ٠ وبمعنى آخر تزداد الحاجة الى الرقابة الادارية العليا كلما قلت امكانيات القياس المباشر بواسطة المنفذين انفسهم لمدى تحقيقهم للاهداف المحددة ٠

نمو الاجهزة الرقابية في المشروعات الرأسمالية

الانتاج الرأسمالى هو انتاج سلعى ٠ فالمشروع الرأسمالى يستخدم الموارد المتاحة له من اجل انتاج السلع بهدف الحصول على أقصى حد من الربح يمكن تحقيقه بواسطة الموارد التى يمتلكها المشروع ٠ ويتميز الاسلوب الرأسمالى للانتاج بأنه هو وحده الذى يعمم العلاقات السلعية والنقدية، بحيث تصبح قوة العمل سلعة ويصبح تحقيق أقصى الارباح بواسطة كل مشروع ضرورة اقتصادية شاملة ٠

ان عمومية العلاقات السلعية والنقدية يعنى امكانية المقارنة الكمية بين الموارد المستخدمة بواسطة المشروع وبين الناتج النهائى لنشاطه ٠ ومن ثم فقد نشأت المحاسبة المالية ومسك الدفاتر كأداة للتقدير الكمى للغايات والوسائل المستخدمة فى المشروعات الاقتصادية بوحدات قياس متماثلة تربط بين جميع الحسابات المتعلقة بالعمليات المختلفة فى المشروع وبين النتيجة النهائية لهذه العمليات ، وتمكن ادارة المشروع كل فترة دورية معينة من التعرف على مدى نجاحها فى تحقيق أهدافها عن طريق استخدام الموارد المتاحة لها ٠

على أن تحقيق الحد الاقصى من الربح فى المشروع الرأسمالى يتطلب أكثر من مجرد التعرف على مدى نجاح المشروع فى تحقيق أهدافه كل فترة دورية معينة ٠ ان تحقيق أقصى الارباح يتطلب التصرف بشكل يتيح أقصى درجة من تحقيق الهدف باستخدام قدر معلوم من الوسائل أو الموارد ، أو العمل على الوصول الى الهدف المحدد بأقل استخدام ممكن للموارد أو الوسائل ، أو بمعنى آخر بأقل تكلفة ممكنة ٠

وقد ترتب على هذا ضرورة معرفة الادارة بتكلفة العمليات وبتطور هذه التكلفة من الناحية التاريخية ثم محاولة التعرف على التكاليف النمطية للعمليات المختلفة ٠ ونشأت نظم حسابات التكاليف وعملت المشروعات المنظمة على تحديد تكاليف نمطية لكل عملية أو قسم كأساس للرقابة ٠

وقد أدى التطور التكنولوجى الى نمو حجم الوحدات الاقتصادية ٠ كما أدت المنافسة الى القضاء على الوحدات الاضعف ونمو الوحدات الاقتصادية الناجحة فقلت عدد الوحدات المتنافسة ونشأت ظاهرة المنافسة الاحتكارية ٠ وبدلا من أن تكون الاسعار هى أحد المعطيات التى لا يستطيع المشروع الاقتصادى تحديدها أو التحكم فيها ٠ أصبحت الاثمان تحدد بواسطة الوحدات الاقتصادية ذاتها ٠ ومن ناحية أخرى فان المنافسة الاحتكارية قد أدت الى اختلاف طبيعة المنافسة السعرية الى المنافسة عن طريق وسائل البيع والاعلان والتمييز السلعى وغير ذلك من الوسائل مما أدى الى ارتفاع كبير فى تكلفة التوزيع الذى أصبحت نفقاته تكون جزءا هاما من التكاليف النهائية للسلع المباعة ٠ ومن ثم فقد نشأت الحاجة الى التقدير المسبق للتكاليف وتوزيع التكاليف بين العمليات والوحدات المختلفة بصورة تسمح

بتحديد الاسعار التى تؤدى الى تحقيق أقصى الارباح للمشروعات • وهكذا نشأت الحاجة للتخطيط المقدم للارباح،ومن ثم للرقابة على مدى تحقيق المشروع او الوحدة الاقتصادية لهذا التخطيط •

ان تخطيط الارباح قد استوجبه أيضا اتساع حجم الوحدات الاقتصادية وتقسيم العمل الداخلى وتسلسل المسئولية الادارية داخل الوحدة . فاذا كان الربح هو الهدف النهائى للمشروع وبالتالى هو الهدف المباشر الذى تسعى الادارة العليا فى المشروع لتحقيقه ، فانه بالضرورة ليس الهدف المباشر الذى يسعى اليه كل قسم من الاقسام وكل ادارى مسئول فى مستوى معين من مستويات الادارة المختلفة • ان تقسيم العمل وتسلسل المسئولية الادارية يستوجب ترجمة الهدف النهائى للمشروع الى أهداف جزئية يسعى كل مسئول ادارى فى حدود اختصاصه الى تحقيقها • وتختلف هذه الاهداف الجزئية باختلاف الادارات واختلاف المستويات الادارية • فقد يصبح الهدف الجزئى لادارة المبيعات مثلا هو زيادة الحجم الكلى للمبيعات فى حدود أثمان معينة، وتكاليف بيع محددة • كما قد يحدد هدف ادارة المخازن والمشتريات بحيث يصبح هو تأكيد وجود تيار مستمر من المواد الاولية ومستلزمات الانتاج وقطع الغيار وغيرها فى الوقت المناسب وبالاسعار المناسبة وذلك فى حدود أستثمار معين فى المخزون . وهكذا بالنسبة للادارات الاخرى للمشروع فقد يكون لكل منها هدف جزئى محدد • ان حسن الادارة والسعى لتحقيق الهدف الاساسى للمشروع يستوجب وجود خطة للعمل فى المشروع تربط بين الهدف النهائى وبين الاهداف الجزئية لاداراته وأقسامه المختلفة، وتعمل على التنسيق بينها وتؤكد أن السعى لتحقيق هذه الاهداف الجزئية سيؤدى فى النهاية الى تحقيق الهدف العام للمشروع . وكما نشأت الحاجة للتخطيط المسبق فقد برزت أيضا ضرورة وجود الاجهزة الكفيلة بالتعرف على مدى تنفيذ هذه الادارات لاهدافها الجزئية ومدى انحرافها عن هذه الاهداف وأسباب ذلك وكيفية تحسين الاداء فى كل ادارة أو قسم وفى المشروع بشكل عام •

ومن ثم فقد أنشأت المشروعات الرأسمالية المتقدمة أقساما خاصة بالرقابة لها استقلالها عن الادارات التنفيذية المختلفة وطورت مجموعة من الوسائل والطرق التى يتمكن بها هذا الجهاز الرقابى من مباشرة مسئوليته الرقابية التى تطورت فأصبحت تتضمن لا مجرد اعطاء صورة للادارة فى مستوياتها المختلفة عن النشاط الجارى فى المشروع ومدى تحقيقه للاهداف المرجوة بل والتى شملت أيضا اقتراح ما تراه ضروريا لتحسين الاداء وتخفيض التكاليف الى اقصى حد ، ومن ثم رفع الارباح الى أقصى حد ممكن • واعتمدت الاجهزة الرقابية على أنظمة متطورة للميزانيات التقديرية والمحاسبة الادارية ووسائل التحليل المالى وتحليل التكاليف والوسائل الحديثة للاحصاء وتجميع البيانات وتبويبها وتحليلها • وطورت طرق عرض البيانات والتقارير التى ترفعها للمستويات الادارية المختلفة لتمكنها من اتخاذ القرارات اللازمة لتحسين الاداء أو للقضاء على أية صعوبات فى الوقت المناسب •

وتؤدى الثورة التكنولوجية التى يجتازها عالمنا المعاصر وما يصاحبها من تغير مستمر ومتسارع فى الظروف التى تعمل فى اطارها الوحدات الاقتصادية الى ضرورة اتساع العمليات الرقابية لتتضمن توفير سلسلة من البيانات السريعة لا عن النشاط داخل الوحدة الاقتصادية أو المشروع فحسب بل عن النشاط الاقتصادى فى المجتمع فى مجموعه وخاصة عن التطور والتغير فى فروع النشاط الاقتصادى الذى ترتبط به الوحدة الاقتصادية اما كمشترية أو كبائعة أو منافسة وعن احتمالات التطور فى المستقبل القريب والبعيد • ومن ثم فقد زادت الحاجة فى المشروعات الرأسمالية الى التخطيط الطويل الاجل والى توفير سلسلة من البيانات التى تمكنها من دراسة الوسائل البديلة لتحقيق الغايات التى تسعى من أجل بلوغها والوسائل المثلى لتحقيق مثل هذه الغايات • وقد وفر التطور التكنولوجى الحديث فى نفس الوقت وسائل تحقيق هذا النوع من الدراسات بتطوير الآلات الحاسبة والعقول الاليكترونية وبتطوير علوم بحوث العمليات والبرمجة الخطية، وتطوير نظم حفظ البيانات وخزنها والاستفادة منها . وأصبحت هذه الدراسات تكون جزءا هاما من نشاط الاجهزة التخطيطية والرقابية فى المشروع الرأسمالى •

شمول التخطيط وشمول الرقابة فى المجتمع الاشتراكى

على الرغم من اتساع نطاق التخطيط داخل المشروع الرأسمالى ، وبالتالى اتساع النشاط الرقابى المستقل داخل المشروع ، فان كلا من التخطيط والرقابة تبقى فى الأسلوب الرأسمالى محدودة بحدود الملكية الخاصة لادوات الانتاج • فحتى حيث يتسع نطاق التخطيط والرقابة فى الترستات والكارتلات ليشمل مجموعة من المشروعات والوحدات الاقتصادية فان أعمال التخطيط والرقابة تبقى عمل كل مشروع على حدة

أو على الاكثر عمل كلّ مجموعة احتكارية . ولا تحيط بالنشاط الاقتصادى للمجتمع فى مجموعه، وحتى حيث يعمل المشروع على الالمام باتجاهات التطور فى النشاط الاقتصادى العام فهو يقوم بذلك بغرض اتخاذ هذه المعلومات كأساس لتخطيطه المستقل ولبرامجه الخاصة الهادفة دائما لتحقيق الحد الاقصى من الربح .

وحتى فى هذه الحالات التى ينشأ فيها قطاع عام فى المجتمع الرأسمالى فان هذا القطاع يظل محدودا ويظل يعمل فى اطار من العلاقات الاجتماعية الرأسمالية ، فيبقى المشروع العام وحدة مستقلة تسعى اما لتحقيق أقصى الارباح أو لتحقيق أهداف معينة يحددها المشرع . على أن المشروع يبقى ليدار بنفس وسائل ادارة المشروعات الخاصة ولا يكون جزءا من كل موحد بل انه كغيره من المشروعات الرأسمالية يعمل كوحدات منفصلة يسعى كل منها لتحقيق هدف خاص به .

وعلى العكس من الاسلوب الرأسمالى فى الانتاج فان الاسلوب الاشتراكى يقوم على أساس من الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج . ورغم أن النظام الاشتراكى قد يتضمن قطاعا تعاونيا، او قطاعا خاصا فان شكل الملكية الاساسى ليبقى دائما هو الملكية العامة لوسائل الانتاج . ان الانتقال من الملكية الخاصة، او الرأسمالية الى الملكية العامة ، أو الاجتماعية لوسائل الانتاج يتضمن انتقالا أساسيا من محاولة الترشيد الاقتصادى على مستوى المشروع او المجموعة الاحتكارية الى محاولة الترشيد الاقتصادى على مستوى الاقتصاد القومى فى مجموعه . واذا كان ترشيد النشاط الاقتصادى داخل الوحدة الاقتصادية الواحدة فى النظام الرأسمالى يعنى ضرورة الربط بين الهدف العام للوحدة وهو تحقيق أقصى الارباح وبين النشاط المتعدد الجوانب لاقسام وادارات الوحدة المختلفة لضمان تحقيق هذا النشاط المتعدد الجوانب للهدف العام للمشروع ، فان الترشيد الاقتصادى على نطاق الاقتصاد فى مجموعه يعنى تحديد أهداف واضحة للاقتصاد القومى فى مجموعه والربط بين هذه الغاية الاجتماعية العامة وبين نشاط المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تكون فى مجموعها الاقتصاد القومى ، وبعبارة أخرى يتطلب الترشيد الاقتصادى تنسيق نشاطات المشروعات المختلفة لتتكامل أهدافها بحيث تحقق الغاية المشتركة للنشاط الاقتصادى للمجتمع . ان تحقيق أقصى قدر من الربح لا يصبح هو الهدف النهائى لكل مشروع على حدة . اذ يخضع نشاط المشروع الاشتراكى للهدف او الاهداف الاجتماعية العامة كما تعبر عنها الخطة ، وتحدد الخطة هذه الاهداف فى العادة فى صورة يمكن قياسها كميا تأخذ فى العادة شكل الدخل القومى او العمالة أو غيرها وتحدد الخطة فى العادة كذلك أهم الوسائل التى تستخدم لتحقيق هذه الاهداف أى حجم وتكوين الاستثمار والانتاج فى مختلف فروع النشاط الاقتصادى والعمالة والاجور .. الخ وترسم أهدافا للمشروعات الاقتصادية .

ورغم بقاء الربح كوسيلة من وسائل الربط بين المشروع الاقتصادى وبين الهدف العام للنشاط الاقتصادى ورغم استخدامه كحافز لتحقيق الخطة وكأداة لاختبار مدى مراعاة الادارة الاقتصادية الرشيدة فان الربح يكف عن أن يصبح هو الهدف النهائى الذى تتوخاه المشروعات المختلفة .

واذا كان الترشيد الاقتصادى على نطاق المجتمع يتطلب الربط بين الهدف الاجتماعى العام ونشاط المشروعات المختلفة فان الادارة الاقتصادية الرشيدة على مستوى كل مشروع تتطلب التنسيق بين أجزاء واقسام المشروع المختلفة بهدف تحقيق الاهداف المحددة للمشروع . وبمعنى آخر فانه الى جانب التخطيط القومى العام على مستوى الدولة يتطلب تحقيق الخطة تخطيطا خاصا على مستوى كل قطاع وعلى مستوى كل مشروع ليترجم الاهداف العامة الى أهداف جزئية للقطاعات والمشروعات واقسامها وادارتها المختلفة، وبمعنى آخر فان الاهداف أو الغايات تكون فى المجتمع الاشتراكى بناء هرميا يقع فى قمته الهدف الرئيسى للخطة الاقتصادية والاجتماعية التى تتلوها الوسائل اللازمة لتحقيقها والتى تعتبر فى نفس الوقت أهدافا للنشاط الاقتصادى فى المستوى الادنى ، وهكذا تتسلسل الاهداف والوسائل من الهدف العام حتى النشاطات الجزئية فى المشروعات والوحدات الاقتصادية .

ان شمول التخطيط وتسلسله هو صفة أساسية من صفات المجتمع الاشتراكى ، ورغم اختلاف الوسائل التى قد تستخدم فى الربط بين المستويات المختلفة للاهداف ورغم اختلاف مدى الحريات التى تتاح للمستويات الادنى من أجل تحقيق الاهداف المحددة لها . ورغم اختلاف مدى مشاركة المستويات الادنى فى تحديد أهدافها ذاتها فان شمول التخطيط وتسلسله يبقى دائما من مميزات المجتمع الاشتراكى ووسيلته الاساسية لتطبيق مبدأ الترشيد الاقتصادى على نطاق المجتمع فى مجموعه .

ان شمول التخطيط وتسلسله يتطلب بالضرورة شمول الرقابة وتسلسلها . ان الهدف النهائى للرقابة هو التأكد من تحقيق الوحدات موضع الرقابة للاهداف المحددة لها، والتعرف على أسباب الانحراف عن هذه الاهداف، والتعرف على وسائل تحسين الاداء واقتراح الخطوات الضرورية لذلك .

وإذا كان المجتمع الاشتراكى يرث من الرأسمالية التخطيط على مستوى المشروع ويطوره ليصبح تخطيطا على مستوى المجتمع فانه يرث فى نفس الوقت أدوات الرقابة على مستوى المشروع ولكنه يحتاج لتطويرها كذلك • بحيث تتم الرقابة الذاتية فى المشروعات الى جانب الرقابة الخارجية على مستوى المجتمع فى مجموعه • وبحيث تترابط وسائل الرقابة الداخلية والخارجية كما تترابط الخطة العامة والخطط الخاصة بكل مشروع •

وإذا كان تطور المشروع الرأسمالى قد أدى الى نمو جهاز خاص بالرقابة داخل هذه المشروعات فان أسلوب الانتاج الاشتراكى يتطلب بقاء هذه الاجهزة واستمرارها ، ولكنه يتطلب الى جانب ذلك وجود أجهزة خاصة للرقابة ووسائل خاصة للرقابة تبين مدى تحقيق المشروعات للاهداف المحددة لها • وبالتالى تنشأ الحاجة الى أجهزة وأدوات الرقابة الخارجية الى جانب أجهزة وأدوات الرقابة الداخلية فى المشروعات والوحدات الاقتصادية المختلفة •

وقد فطن الاشتراكيون العلميون منذ البداية الى الاهمية الكبيرة للرقابة ولادواتها فى المجتمع الاشتراكى • والى حيويتها وضرورتها لامكان تحقيق هذا النظام لاهدافه • فيشير ماركس فى المجلد الثانى لرأس المال الى أن « مسك الدفاتر باعتباره طريقة للرقابة على هذه العملية، وفهمها يصبح ضرورة بصورة متزايدة ، كلما ازداد وصول العملية الى نطاق اجتماعى وفقدانها فرديتها ــ وبهذا فهى أكثر ضرورة فى الانتاج الرأسمالى منه فى انتاج العمال اليدويين والفلاحين ، وأكثر ضرورة فى الانتاج الجماعى منه فى الانتاج الرأسمالى » •

أما لينين فهو يؤكد منذ نشأة الدولة السوفيتية بشكل خاص على أهمية الرقابة على النشاط الانتاجى • ويعتبر أن نجاح الدولة السوفيتية فى تحقيق مثل هذه الرقابة هو وحده الذى يمكن البلاشفة من الاحتفاظ بالسلطة • وهو يؤكد بشكل خاص على دور المحاسبة ومحاسبة التكاليف والاحصاءات الاقتصادية ويبرز الحاجة الى وجود محاسبة قومية عامة تشمل عملية الانتاج والتوزيع والنشاط الاقتصادى برمته ، ويشبه المحاسبة بالهيكل العظمى للنظام الاشتراكى قائلا فى مقالته الشهيرة « هل يحتفظ البلاشفة بسلطة الدولة » : « ان مسك الدفاتر على مستوى الدولة أى تسجيل الانتاج وتوزيع المنتجات على مستوى الدولة شىء أشبه بالهيكل العظمى للمجتمع الاشتراكى أن صح القول » •

تطـور التخطيط وتطـور الرقابة

يرث المجتمع الاشتراكى من المجتمع الرأسمالى أدوات للتخطيط والرقابة على مستوى المشروع أو الوحدة الانتاجية، ولكنه لايرث من هذا المجتمع أداة أو وسائل تمكنه من التخطيط والرقابة على مستوى الاقتصاد الاجتماعى فى مجموعه • ويقوم المجتمع الاشتراكى ذاته بتطوير هذه الادوات • ومن الطبيعى أن يتم مثل هذا التطور ببطء فى بدء تطور الاسلوب الاشتراكى للانتاج ، وأن تكتسب الخبرة خلال التجربة والخطأ وفى وجه عديد من الصعوبات والمشاكل •

فالمجتمع الاشتراكى يواجه بعض الصعوبات فى الفترة المبدئية من تطوره فى تنفيذ التنسيق بين مختلف أهداف النشاط الاقتصادى وترتيبها فى بنيان هرمى من الاهداف والوسائل التى تحقق مبدأ الترشيد الاقتصادى على نطاق المجتمع فى مجموعه • ولعل أهم الصعوبات التى يواجهها المجتمع الاشتراكى فى هذا الشأن هو أن المجتمع فى فترة الانتقال الى الاشتراكية يتضمن قطاعات متخلفة تخضع للاسلوب الرأسمالى للانتاج، بل والى بعض الاساليب السابقة على الرأسمالية ويكون من الصعوبة اخضاعها للتخطيط الشامل للنشاط الانتاجى • وفضلا عن ذلك فقد يصعب التنسيق بين أهداف الخطة الاقتصادية والاجتماعية خاصة حيث تتواجد عدة أهداف رئيسية لا يتم بسهولة تحديد أولوياتها • وعلى الاخص مع النقص فى الخبرة التخطيطية، وبدائية أساليب التخطيط الشامل •

وقد كان الاتحاد السوفيتى هو أول الدول التى انتقلت الى الاسلوب الاشتراكى للانتاج، وقد وقع على عاتقه تطوير أسلوب التخطيط الشامل فى مرحلته الاولى •

ويتكون الاقتصاد الاشتراكى من عدد من الوحدات الاقتصادية المستقلة ذاتيا، والتى تكون فى مجموعها وترابطها الاقتصاد القومى فى مجموعه ، ويتطلب تحقيق أقصى كفاية للاقتصاد الاشتراكى أمرين فى نفس الوقت :

أولا : ان موارد المجتمع توزع بين الاستخدامات الاقتصادية المختلفة بشكل يضمن أفضل استخدام ممكن لها • ومعنى ذلك ضمان أمرين فى نفس الوقت :

● أن يتم حصر الوسائل المتاحة واستخداماتها الممكنة والتحقق من أن البرامج المقترحة لاستخدام هذه الوسائل برامج متماسكة

داخليا بمعنى انتفاء التناقض بين الاستخدامات المختلفة للبرامج التى يقررها البرنامج أو الخطة ٠

● أن يختار البرنامج الامثل من بين البرامج المحتملة لاستخدام هذه الوسائل بمعنى أن يكون البرنامج المختار هو وحده من بين مجموع البرامج المتماسكة داخليا الذى يحقق هدفا معينا بأقل استخدام للوسائل او الذى يحقق أقصى ما يمكن من الهدف من استخدام معين للوسائل ٠

ثانيا : التأكد من أن الموارد التى اتيحت للوحدات الاقتصادية المختلفة والتى ستوضع تحت تصرفها سوف تستخدم اقتصاديا لتحقيق الاهداف المحددة لهذه الوحدات أى أن الوحدات المذكورة سوف تسعى لتحقيق الاهداف المحددة لها بأقل ما يمكن من الانفاق من الوسائل المتاحة أو انها ستعمل على استخدام الوسائل المتاحة لها بشكل يحقق الهدف الى أقصى حد ممكن ٠

وقد طور الاقتصاديون السوفيت محاسبة الموازنات على المستوى القومى باعتبارها أداة للتأكد من التماسك الداخلى للخطة القومية ٠ وقد بدأ بوضع أول موازنة لكل عمليات الانتاج والتوزيع الاجتماعية فى مجموعها فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٢٦ وطورت هذه الموازنات فيما بعد بحيث أصبحت ترسم سنويا موازنات للناتج والمستخدم من الموارد وللمتطلبات والموارد المتاحة لمختلف فروع الانتاج والتوزيع والاستثمارات والتجارة الخارجية ودخول السكان ومصروفاتهم ٠٠ الخ ٠ وتربط هذه الموازنات المختلفة فى موازنة عامة تشمل الاقتصاد القومى وتعطى صورة تجميعية لعملية الانتاج والتوزيع وتبين الدخل القومى وتقسيمه بين الاستخدامات المختلفة ٠ وقد طورت وسائل تحليل الموازين ونشأت علوم تحليل المدخلات والمخرجات التى تمكن من التأكد من تحقيق درجة عالية من التوازن والتنسيق فى الخطة ٠

ولم يكن من السهل حل مشكلة اختيار البرنامج الامثل قبل أن تطور وسائل تجميع البيانات وحفظها وتحليلها وبمعنى آخر قبل تطور الالات الحاسبة والعقول الاليكترونية ٠ ولكن تطور هذه الوسائل أتاح تقدما كبيرا فى عدد من العلوم التى تساعد على اختيار البرنامج الامثل كعلوم السبرناطيقا والبرمجة وبحوث العمليات وغيرها

أما بالنسبة للتأكد من أن الوحدات الانتاجية تقوم باستخدام الموارد المتاحة لها خير استخدام ممكن ، فان ذلك يتم خلال ترجمة الاهداف العامة للخطة الى أهداف جزئية للوحدات تلتزم بتحقيقها مع الربط بين نجاح هذه الوحدات وفشلها وبين العائد الذى تحصل عليه الادارة والعاملون فى الوحدة خلال نظام فعال للدوافع ٠

وقد مرت التجربة السوفيتية والتجربة فى البلاد الاشتراكية عموما بفترتين متميزتين بالنسبة لهذه الناحية ٠ فترة الزام الوحدات الانتاجية بمعايير عينية للاداء يرتبط بتحقيقها العائد الذى تحصل عليه الادارة والعاملون وفترة أخرى تلتزم الوحدات فيها بتخطيط معين للارباح ويتم الربط بين العائد الذى تحصل عليه الادارة والعاملون وبين الربح باعتباره المؤشر الاساسى لكفاية الوحدة الانتاجية فى استخدام الموارد المتاحة لها ٠ وتعرف الفترة الاولى بفترة التسيير الادارى للمشروعات بينما تعرف الفترة الثانية بفترة التسيير الاقتصادى لها ٠

التسيير الادارى ومؤشرات الخطة

يتكون الاقتصاد الاشتراكى من عدد من الوحدات الاقتصادية التى يتمتع كل منها باستقلال مالى وادارى ولكنها تعمل جميعا فى اطار من خطة عامة تحدد الاهداف الرئيسية للتطور الاقتصادى والاجتماعى فى فترة مقبلة وتحدد كذلك الوسائل الرئيسية التى يتعين اتباعها للوصول الى هذه الاهداف (*)

ان تحديد هدف عام للنشاط الاقتصادى والاجتماعى تسعى كافة الوحدات الاقتصادية لتحقيقه يتطلب درجة من المركزية ٠ فالسلطة المركزية وحدها هى التى توجد فى مركز يمكنها من تحديد أهداف النشاط الاقتصادى والاجتماعى وتوجيه كافة الوحدات من أجل تحقيقه ٠

ومن ناحية أخرى فان كل وحدة انتاجية تعمل فى ظروف تختلف من وحدة لاخرى ٠ فالى جانب الاختلاف فى هدف النشاط ، قد تختلف الوحدات من ناحية الحجم وتوفر أدوات الانتاج الحديثة المتطورة ، ووجود أو ندرة العناصر الفنية والادارية القادرة على قيادة النشاط الانتاجى ، وطبيعة المنتجات وقابليتها للتطور والتغير السريع أو ثباتها واستقرارها ونموذجيتها ، أو من ناحية مدى تعدد أنواع النشاط الانتاجى الذى تقوم به الوحدة ، ومدى التكامل الرأسى أو الافقى أو غير ذلك من الظروف الكثيرة التى تختلف بسببها ظروف العمل المحلية فى كل وحدة من الوحدات ٠ ويتطلب حسن استخدام الوحدات الاقتصادية للموارد التى تملكها القدرة على اصدار القرارات السريعة لمواجهة التغيرات المحتملة فى الظروف التى تواجهها الوحدة ٠ ويعنى ذلك أهمية وضرورة اتخاذ العديد من القرارات على مستوى

الوحدة ذاتها بشرط التزامها بالهدف العام الذى تحدده الخطة القومية ومن أجل تحقيق هـذا الهدف •

والاصل فى المجتمع الاشتراكى هو أن تتمتع الوحدات الانتاجية بأقصى درجة من الاستقلال فى اتخاذ القرارات اللازمة لسير النشاط الانتاجى دون عرقلة تنجم عن الرجوع الى السلطة المركزية فيما لا يتعلق بالدور التنسيقى لها • وبمعنى آخر فان الاصل أن يكون تدخل المركز محدودا فى الحد الادنى الذى يتطلبه التنسيق بين نشاط الوحدات المختلفة وتوجيه النشاط الاقتصادى بصورة عامة تضمن تحقيق الاهداف الاقتصادية •

على أن ذلك الحد الادنى يتغير باختلاف مراحل التطور كما تتغير وسائل المركز فى توجيه الوحدات الانتاجية والرقابة على مدى التزامها بالخطة القومية • ويمكن القول بشكل عام من واقع تجربة البلاد الاشتراكية أن مدى الحاجة الى تدخل المركز فى التخطيط التفصيلى لعمل الوحدات الانتاجية يتناسب عكسيا مع مدى توفر الظروف التى يمكن فيها لنظام موجه للاثمان والتدفقات النقدية أن تلعب دورا حاسما فى توجيه النشاط الاقتصادى للوحدات من أجل تحقيق الاهداف العامة للخطة •

ان المرحلة الاولى من مراحل البناء الاشتراكى وخاصة فى البلاد المتخلفة صناعيا التى يتم فيها التخطيط من أجل بقاء الاساس الصناعى للمجتمع تتضمن تغييرا اساسيا فى هيكل النشـاط الاقتصادى وتعبئة عامة للموارد بواسطة المركز واعادة توجيهه لها ، ويتم ذلك فى ظروف لا يمكن فيها لجهاز الثمن حتى وان خضع للتوجيه المركزى أن يكون عاملا حاسما وأساسيا فى توجيه النشاط الاقتصادى •

ان المهام الاقتصادية الرئيسية للخطة فى هذه المراحل تتضمن فى العادة استكمال انتقـال القطاعات الانتاجية المختلفة للاسلوب الاشتراكى للانتاج ، وزيادة نسبة التراكم الاقتصادى زيادة كبيرة تسمح بالنمو الاقتصادى بوتائر أكثـر سرعة ، وتغيير الهيكل الاساسى للاقتصاد القومى من هيكل يغلب عليه الطابع الزراعى الى هيكل يغلب عليه الطابع الصناعى • ويتم ذلك خلال الاعتماد على الفائض الذى يتحقق فى الزراعة من أجل احداث الاستثمار اللازم فى الصناعة • كما أن التطور الصناعى فى هذه الفترة يعتمد أساسا على تطوير مصادر الطاقة والمواد الاولية اللازمة للصناعات الانتاجية ، وللصناعات الاستهلاكية التى يبقى تطورهـا محـدودا لامكان تحقيق الزيادة المطلوبة فى التراكم • وفى هذه الظروف كذلك تصبح مهمة اعداد كادر فنى وادارى كفء وقادر هى احدى المهام الرئيسية للمجتمع •

ان جزءا كبيرا من هذه المهام لا يمكن تحقيقه بمجرد توفير علاقات سعرية تشجع الوحـدات الاقتصادية القائمة بالفعل على زيادة انتاجها من تلك السلع التى تدر عليها أكثر الارباح • بل ان مثل هذه التغييرات الاساسية لا تتم حتى فى البلاد الراسمالية الا بتوفير درجة من التحكم فى الموارد وفى توزيعها بين الاستخدامات المختلفة ليس على اساس السعر والربحية فقط ، بل على اساس ما تعتقد هيئات التخطيط المركزية ــ بناء على دراسة موضوعية ــ أنه محقق لاهداف المجتمع • ومن هنا فان السلطة المركزية تعتمد الى جانب الوسائل غير المباشرة لتوزيع الموارد على مجموعة من الوسائل المباشرة التى تتضمن تحديد الحصص ونظـم البطاقات وتحديد أهداف مادية محددة للانتاج وغير ذلك من الوسائل الضرورية فى مثل هذه المرحلة من مراحل التطور •

واذا كانت الظروف تحتم فى المرحلة الاولى من التخطيط الاعتماد بدرجة أكبر على الوسـائل المباشرة فى تعبئة وتوزيع الموارد فانها ايضا تتيح للمركز كذلك امكانية الاعتماد على مثل هـذا التوزيع المباشر دون صعوبة كبيرة • فعـدد الوحدات الانتاجية التى يتم التعامل معها والتى يشارك المركز فى تحديد اهدافها وتوزيع الموارد فيما بينها محدود ، وبالتالى يصبح من الممكـن للسلطة المركزية أن تتعرف بدرجة أكبر على ظروف الوحدات وان تتخذ القرارات السليمة فى الوقت المناسب • على العكس من الظروف التى توجد فيها عدد كبير من الوحدات الانتاجية • ومن ناحية ثانية فان الجزء الاكبر من الموارد الانتاجية يركز استخدامه لبناء عدد معين من الصناعات التى تعطى لها الاولوية • ويكون تحديد الاولوية فى مثل هذه الظروف أكثر يسرا • وعلى العكس عندما يزداد الاقتصاد القومى تعقيدا فان تحـديد الاولويات فى الاستخدام تصبح عملية معقـدة وتتطلب توفر تيار مستمر من البيانات عن الظروف الراهنة وقت اتخاذ القرار يصعب تـوفيرها بواسطة السلطة المركزية على الرغم من التقدم السريع فى وسائل جمع وتبويب وتحليل البيانات • ومن ناحية ثالثة فان التوسع الافقى يلعب دورا أهم فى هذه المرحلة من التوسع الرأسى ، أو زيادة الكفاية الانتاجية فى الصناعات القائمة • فتوسيع قاعدة الصناعة يعنى فى هذه الظروف انشاء وحدات صناعية جديدة بل انشاء صناعات جديدة كاملة • ولا توجد من الهيئات أو الوحدات ما يتولى انشاء هذه الصناعات عدا المركز ذاته •

وبالعكس فان وجود قاعدة صناعية متطورة يعني ان الجزء الاهم من الاستثمارات الجديدة يأخذ شكل التوسع فى الوحدات الانتاجية القائمة او تجديد معداتها لتحقيق درجة أعلى من الانتاجية . وهذه الوحدات الانتاجية أقدر من غيرها فى هذه الحالة على معرفة كيفية الاستفادة من احتياطياتها القائمة وكيف يمكن تحقيق التقدم عن طريق اعادة التنظيم وتخطيط توسعاتها وتجديد معداتها .. الخ

وأخيرا فان نمط الاستهلاك فى المجتمع المتخلف يتصف بالبساطة ، فالمواد الغذائية والسلع النمطية التى لاتتعرض لتغيير كبيــر او تنويع تشكل الجزء الاكبر من استهلاك مجموع الشعب . ومن ثم يمكن بيسر تحديد السلع الواجب توفيرها فى حدود الدخل المتاح للاستهلاك . ومن هنا يكون من الممكن للسلطة المركزية ان تحدد مباشرة السلع المطلوب انتاجها للوفاء بحاجة الاستهلاك .

نخلص مما سبق الى أن الفترة الاولى للتخطيط تحتم الالتجــاء الى وســائل مباشرة فى توزيع الموارد ، وتحديد استخداماتها ، كما ان الظروف السائدة فيها تمكن السلطة المركزية من اتمام هذا التوزيع بدرجة اكثر من اليسر مما تتطلبه نفس العملية فى اقتصاد نام وأكثر تعقيدا .

فى مثل هذه الظروف تحدد أهداف الوحدات الانتاجية بشىء من التفصيــل ، ويتضمــن ذلك التحديد اهدافا عينية للانتاج وللعمالة وللمخزون ولمستلزمات الانتاج وللالات المستخدمة ، وقد تحدد الى جانب ذلك الوحدات الاخرى التى تحصل منها الوحدة على مستلزماتها والجهات التى تقــوم بتسليمها لمنتجاتها النهائية وهكذا . والى جانب تحديد هذه الاهداف العينية ، تحدد ايضا اهداف خاصة بالتكاليف وبالفائض الواجب تحقيقــه وباستخدامات هذا الفائض وغير ذلك مــن الاهداف .

ويتم تحديد مثل هذه الاهداف باتفاق مشــترك بين الوحدة الاقتصادية وبين المركز . فالخطة لا يتم تحديدها من اعلى فقط بل تتم بالمشاركة بين المركز وبين الوحدة الانتاجية . فالمركز يحــدد الاهداف العامة ويبين وسائل تحقيقها والوحدة الانتاجية تقترح خطة عملها التفصيلى ويتــم مراجعة هذه الخطط بواسطة المركز على ضوء البيانات التى تتوفر لديه عن الوحدة وعــن امكانياتها وعن الصناعة عموما وعن الاقتصاد فى جملته . ويتســق المركز بين الوحدات المختلفة ويراعى امكانيات مختلف الوحدات ويحدد اهدافا نهائية لنشاط كل وحدة تدرج فى اطار الخطة العامة

ان اهمية هذه الاهداف او ما يعرف بمؤشــرات الخطة من الناحية الرقابية تتأتى من انها تصبح الاساس لمتابعة الوحدات الانتاجية وهى تعتبر التزاما يجب تنفيذه وتحاسب ادارات الوحدات على مدى تنفيذها لهذا الالتزام . وتتعرض للجزاء كما يرتبط ما تحصل عليه من عائد بمقدار تنفيذها لاهداف هذه الخطة او تجاوزها لها . والعادة هى ان يزداد ما تحصل عليه الادارة والعاملون فى المشروع من مكافأة زيادة كبيرة اذا تمكن المشروع من تعدى الاهداف التى التزم بتحقيقها والزيادة عليها . ودون الربط بين مكافأة الادارة وبين الاهداف المحددة لا يصبح لهذه الاهداف فائدة موضوعية كبيرة .

على ان هذا الربط نفسه يؤدى من ناحية اخرى الى ميل الادارة لتحقيق الاهداف التى التزمت بتحقيقهــا بوســائل قد لا تتمشى مع الصــالح الاقتصادى للمجتمع ما لم يكن هناك من القيود على عمل الادارة ما يمنعها من القيام بذلك سواء كانت هذه القيود ذاتية تتعلق بوعى الادارة ذاتها او قيود يفرضها المجتمع فى شكل التزامات اخرى اضافية تلتزم الادارة بتحقيقها وتعتبر نوع من الحد لامكانية الادارة لتحقيق بعض الاهــداف بوسائل قد تضــر بالصالح الاقتصادى العام . وقد يكون من المفيد هنا أن نضــرب مثلا عما نعنيه .

فاذا كان احد الاهداف التى يطلب الى الادارة تحقيقها هو زيادة الانتاج ـ واذا كان ذلك الهدف هو الاساس لمحاسبة الادارة على مدى تحقيقها لهدف المشروع فان الادارة قد تستطيع ان تحقق هذا الهدف باسراف فى استخدام الالات او القوى العاملة . ومن ناحية اخرى فان الحساب العينى للانتاج قد يتم اما خلال قياس المنتجات بعدد وحداتها او بالوزن او بغير ذلك من الوسائل . وقد تستطيع الادارة فى الحالة الاولى زيادة عدد المنتجات مع تخفيض فى نوعيتها ، وفى الحالة الثانية قد تزيد الادارة رقم الانتاج الكلى بالاسراف فى استخدام المواد الخام وهكذا . ومن هنا فان استخدام الانتاج الكلى كأساس صالح لقياس الكفاية يتطلب ان يصحب هذا الرقم فى نفس الوقت بعدد من المقاييس الاخرى التى تحد من قدرة الادارة فى تحقيق هذا الهدف بوســـائل تتضمن اسرافا فى موارد المجتمع ومن ذلك مثلا الالتزام بمعايير خاصة بانتاجية العمل والالات ومعايير تختص بالمستلزمات التى تستخدم فى انتاج كل وحدة من وحدات الانتاج وتشمل معايير خاصة بالمواد الخام والسلع الوسيطة والوقود وغيرها .

ويتضح من هذا المثل ان احكام الرقابة على الوحدات الانتاجية يتطلب استخدام عدد كبير من المعايير ويؤدى ذلك الى الميل المستمر الى زيادة المعايير المستخدمة بواسطة السلطة المــركزية

للرقابة على تنفيذ الخطة • حيث يؤدى كل اتجاه من الادارة فى الوحدات الانتاجية للالتفاف حول احد المعايير القائمة بوسائل تتضمن نوعا من الاسراف فى موارد المجتمع باستخدام معايير اضافية بواسطة السلطة المركزية • وهكذا تتزايد المعايير المستخدمة للقياس كما تتزايد معها البيانات المطلوبة من الوحدات الانتاجية للتأكد من التزامها بالخطة •

ورغم تزايد هذه المعايير المستخدمة فان ذلك لايؤدى دائما الى احكام الرقابة او الى تحقيق اقصى عائد ممكن من استخدام الموارد القائمة او من ناحية اخرى تحقيق الانتاج المطلوب بأقل استخدام ممكن للوسائل • فمن ناحية فان تعدد المعايير يؤدى فى كثير من الاحيان الى احتمالات التناقض فيما بينها • فتحقيق فائض معين او تعدى رقم الفائض المحدد بواسطة الخطة قد يتم بدرجة ايسر اذا ما خولفت تعليمات الخطة بالنسبة لتشكيلة المنتجات النهائية • فالمنتجات المختلفة للوحدة الانتاجية الواحدة قد تعطى نسبا ربحية متفاوتة •

ومن ثم فان زيادة الانتاج من بعض الانواع، حتى وان كان من صنف اقل جودة ، اولا يتوفر عليه طلب كبير بواسطة المشترين قد يحقق للمشروع فائضا اكبر مادام يستطيع ان يجبر المتعاملين معه على تسلم الصنف المذكور • وفى مثل هذه الحالات فان تصرف الادارة سيتوقف على مدى الارتباط بين المعايير المختلفة المستخدمة ، وبين الحوافز الاقتصادية المستخدمة وخاصة بالنسبة للادارة العليا • فاذا كان لمدى الفائض الاقتصادى المحقق وزن اكبر فى تحديد العائد الذى تحصل عليه الادارة فهى تميل الى العمل للتأكد من تحقيق ذلك الهدف وان خالفت من اجل ذلك بعض المعايير الاخرى الاقل اثرا فى تحديد العائد الذى تحصل عليه الادارة •

ولتوضيح هذه الظاهرة نورد بعض امثلة من البحث القيم الذى قام بها الاقتصادى المجرى كورانى عن « التركز الزائد فى الادارة الاقتصادية » فى الصناعة الخفيفة فى المجر فى الفترة ١٩٥٥ - ١٩٥٦ (١) فمن الارقام التى يوردها كورانى فى بحثه عن درجة الالتزام بالمعايير المختلفة التى كانت تفرض على الصناعات الخفيفة فى المجر كانت تتفاوت تفاوتا كبيرا • فقد اوضحت هذه الارقام ان درجة الالتزام بتحقيق الربح المخطط كانت تتراوح بين ٨٧ فى المائة ، ٤٠٠ فى المائة. اما بالنسبة للمعايير التكنيكية المستخدمة فى الصناعات الخفيفة والتى تعد بالمئات فان درجة تحقيقها كانت تتراوح بين ٤ فى المائة ، ٣٢١ فى المائة ، وقد تراوحت درجة الالتزام بالوقت الاضافى المخطط بين ٩٢ فى المائة ، ٣٣٨ فى المائة ، اما بالنسبة لقيمة المنتجات فكانت درجة الالتزام بالهدف المخطط تتراوح بين ٩٨ر٤ فى المائة ، ١٠٦ر٣ فى المائة ، اما بالنسبة لخطة تجديدات الالات فقد تراوحت درجة الالتزام بين ٨١ر٥ فى المائة ، ٩٧ر٢ فى المائة (٢) •

ويبدو من هذه الارقام ان بعض المؤشرات لا تؤخذ مأخذ الجد بواسطة ادارة المشروع رغم اهميتها لتحقيق الكفاية • فالتفاوت الكبير فى مدى الالتزام بالمعايير التكنيكية يبرز عدم الجدية اولا فى تخطيط هذه المعايير وثانيا فى الالتزام بها. واذا كان ذلك قد يعود احيانا الى صعوبة تحديد هذه المعايير فان مثل التفاوت الظاهر فى الارقام السابقة لا يمكن ان يعود فقط الى مثل هذه الصعوبات بل يعبر اساسا عن عدم الاهتمام بتنفيذ التعليمات التى تتعلق بهذه المؤشرات •

ويوضح كورانى فى بحثه ان هناك ارتباطا ظاهرا بين مدى الاهتمام بالمؤشرات المحددة من قبل الادارة ومدى تأثير تنفيذ هذه المؤشرات على العائد الاضافى الذى تحصل عليه الادارة العليا كنتيجة لتطبيق نظام الحوافز القائم • ويلاحظ مثلا ان درجة الالتزام بتحقيق قيمة الانتاج اكبر بكثير من درجة الالتزام بتحقيق الخطة الخاصة بتجديد الالات ذلك، لان الاول ذو تأثير فى العائد الاضافى الذى تحصل عليه الادارة بينما لا يؤثر الثانى اى تأثير فيما تحصل عليه الادارة من عائد •

وقد يقترح لذلك ان يربط نظام الحوافز باكبر عدد ممكن من المعايير المستخدمة • ولكن ذلك كثيرا ما يعقد نظام الحوافز ويضعف من اثرها فى زيادة الانتاج • وهكذا يبرز تناقض هام وهو ان الاعتماد على عدد قليل من المؤشرات كأساس لنظام الحوافز قد يؤدى الى اهمال بعض المهام بواسطة الادارة وان اخذ هذه المهام فى الحسبان قد يعقد نظام الحوافز فيفقده اثره الى حد كبير •

على ان اهم العيوب التى تشوب نظام التخطيط القائم على التحديد التفصيلى لمؤشرات الخطة فى كل وحدة من وحدات الانتاج والذى يعتمد على تحقيق اهداف عينية معينة ، هو سيادة روح المساومة فى العلاقة بين الوحدات الانتاجية وبين المركز • فأنظمة الحوافز المستخدمة فى هذا النظام تميل الى تحقيق زيادة كبيرة فى العائد الذى

---

(1) Janos Korani : Overcentralisation in Economic Adminstration, Oxford University Press, 1959.

(٢) يراجع الفصل الثالث من الكتاب السابق الذكر ص ١١٦ — ص ١٤٦ •

تحصل عليه الادارة العليا مع تعدى المشروع للاهداف الرئيسية المحددة فى الخطة . فمكافأة الادارة تزيد زيادة كبيرة اذا تجاوزت الاهداف المحققة ١٠٠ فى المائة من الهدف المحدد . ومن هنا فان الادارة تعمد دائما الى اخفاء جزء من احتياطياتها عن المركز ، وتعمل باستمرار على تقليل حجم التزاماتها عما يمكنها بالفعل تحقيقه ، حتى يمكن ان تضمن بلوغ الهدف وتجاوزه .

ومن ناحية اخرى فان الادارة تحرص على الا تتجاوز الهدف المحدد بدرجة كبيرة لكى لا يكون ذلك مبررا للمركز لتحديد اهداف اعلى . وهكذا تنشأ حالة يضغط فيها المركز دائما من اجل رفع الاهداف وتسعى فيها الادارة دائما الى تحديد اهداف اقل من تلك التى يمكنها فعلا بلوغها بواسطة الموارد المتوفرة لها .

وعلى الرغم من هذه العيوب فى نظام التسيير الادارى ، فان هذا النظام يصبح ضرورة كما سبق القول فى الحالات التى لا يمكن فيها للربح ان يكون مقياسا صحيحا للكفاية . اى فى تلك الاحوال التى تستطيع فيها بعض الوحدات تحقيق الارباح لا عن طريق رفع الكفاية الانتاجية ، بل عن غير ذلك من الطرق كتغيير المواصفات ، او رفع الاسعار ، او غير ذلك . وبمعنى اصح فى الحالة التى يمكن وصف السوق فيها بأنها سوق للبائعين يسيطر فيها البائع كنتيجة للندرة النسبية للمنتجات بالنسبة للطلب عليها وهى حالة تنتشر بوضوح فى الفترة الاولى للتخطيط وللتنمية الاقتصادية ، كما ان مثل ذلك النظام يصبح ضروريا ايضا فى الظروف التى لا تستطيع فيها جهاز موجه للاثمان ان يكون عاملا حاسما فى توجيه النشاط الاقتصادى لتحقيق الاهداف المرجوة ، وهو ما يسود ايضا فى فترة التغييرات الهيكلية فى الاقتصاد القومى .

على ان هذه الفجوات فى نظام التيسير الادارى تبين اهمية امرين : الاول ، هو ان الوعى السياسى والوطنى للادارة العليا هو عامل حاسم فى تحقيق الكفاية فى المشروعات ، فان وجود امكانيات الالتفاف حول المقاييس المحددة لا يعنى بالضرورة ان الادارة فى كل المشروعات تتجه الى الالتفاف حول هذه المقاييس ، او تهملها رغم اهميتها . فالادارة التى تتمتع بدرجة من الوعى السياسى والوطنى ستكون حريصة على تحقيق الاهداف الموكلة اليها بأقل درجة من الاسراف والضياع . والامر الثانى هو ان زوال الاسباب المؤدية الى حتمية استخدام هذا الاسلوب فى التخطيط والادارة تؤدى الى ضرورة استبداله بنظام اكثر فعالية يتاح فيه للمشروعات او الوحدات الاقتصادية درجة اعلى من الحرية ، ويعتمد المركز فيها على الوسائل الاقتصادية فى التأثير على نشاط الوحدات الانتاجية وضمان بلوغ الاقتصاد القومى للاهداف المحددة له .

التسيير الاقتصادى وتعديل أسلوب الرقابة

المجتمع الاشتراكى مجتمع عقلانى يحاول التعرف على القوانين الموضوعية المحددة للعلاقات بين الظواهر المختلفة ـ سواء الطبيعية او الاجتماعية ـ ويعمل على استخدام هذه القوانين لصالح الانسان .

وقد كان الاشتراكيون العلميون هم الذين اكتشفوا وصاغوا القانون الاساسى للتطور الاجتماعى والذى يبين ان التطور فى قوى الانتاج ـ اى فى وسائل الانتاج والبشر الذين يعملون فى الانتاج وما يملكون من خبرة ـ قد يؤدى الى نشوء تناقض بين علاقات الانتاج السائدة ـ اى العلاقات التى تنشأ بين افراد المجتمع فى اثناء عملية الانتاج ـ وبين طبيعة قوى الانتاج الجديدة . وان تحقيق التوافق الضرورى بين طبيعة قوى الانتاج وبين علاقات الانتاج سوف يؤدى بالضرورة الى احداث تغييرات فى العلاقات الانتاجية القائمة ليحل التوافق الاساسى والضرورى بينهما محل التناقض السائد .

وعلى الرغم من معرفة الاشتراكيين العلميين بهذا القانون ، وعلى الرغم من التطور الكبير فى قوى الانتاج فى البلاد الاشتراكية فى خلال فترة التخطيط والتنمية الاولى ، وعلى الرغم من اختلاف درجة التطور فى قوى الانتاج بين البلاد الاشتراكية المختلفة ، فقد خيل للبعض ، لبعض الوقت ، أن وسائل تسيير النشاط الاقتصادى التى استخدمت فى التجربة السوفيتية فى مرحلتها الاولى هى وسائل صحيحة فى كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع الاشتراكى وأنها جزء لا يتجزأ من أسلوب الانتاج الاشتراكى . وقد أدى هذا الفهم الخاطىء الى استمرار استخدام هذا الاسلوب من أساليب تسيير النشاط الاقتصادى فى الاتحاد السوفييتى وفى عدد من البلاد الاخرى رغم أن الظروف التى كانت قد استوجبت الاخذ به قد تغيرت بالفعل بفضل التطور الكبير فى قوى الانتاج فى هذه البلاد . وارتبط احداث التغيير بصراع حاد بين القديم والجديد ، دافعت فيه العديد من الادارات المركزية والقيادات البيروقراطية عن استمرار أسلوب التسيير الادارى ، بينما ناضلت قيادات الوحدات الاقتصادية وعدد كبير من الاقتصاديين والباحثين من أجل تطبيق نظام أكثر فعالية وتوافقا مع طبيعة قوى الانتاج . واستطاعت القوى الجديدة أن تحدث التغييرات الضرورية بالفعل بعد أن أوضحت التجربة أن الاستمرار بالاسلوب السابق لتسيير النشاط الاقتصادى ـ والذى كان قد حقق

نجاحات باهرة فى المرحلة الاولى ـ قد أصبح عائقا فى سبيل استمرار النمو الاقتصادى بنفس المعدلات التى كانت سائدة فيما سبق • وبعدما تبين من اسراف فى استخدام الموارد وانخفاض فى معدل انتاجية رأس المال ، ومعدلات الاداء بشكل عام ، وبعد مابرز على الاخص من عـدم قدرة الاسلوب الذى يعتمد على التعليمات التفصيلية على تحقيق الثورة التكنولوجية وتطبيق آخر مستحدثات العلم فى الانتاج الاشتراكى فى أسرع وقت ممكن ، فيبين تقرير كوسيجين أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى سبتمبر ١٩٦٥ مثلا : كيف أن النظام القديم للتسيير قد أدى الى انخفاض معدل الانتاج بالنسبة للروبل الواحد من الاصول الانتاجية الثابتة ،والى اى حد يعود ذلك الى التأخير فى استخدام الاصـول الجديدة ، كما بين أن الاسراع بـاستخدام المستحدثات العلمية وتطبيقها فى الانتاج قـد أصبحت المشكلة الاساسية التى يواجهها الاقتصاد السوفييتى •

ويلخص كوسيجين اسباب هذا الوضـع فـى التالى :

« ان المبادأة الاقتصادية وحقوق المشروعـات تعاق ، وان نطاق مسئولياتها غير كاف • وان نظم محاسبة التكاليف هى فى كثير من الاحيـان شكلية . وان النظم القائمة للتشجيع المادى للعمال الصناعيين لتحقيق نتائج انتاجية أعلى ، هـى حوافز ضئيلة لا تدعوهم للاهتمام بالنتائج الكلية لعمل مشروعاتهم ، وغالبا ما تعمل فى اتجاه مضاد للصالح الاقتصـادى القومى بصـورة عامة (٣) .

ان تطور قوى الانتاج قد أوجد ظروفا جديدة وادى الى تحديد اهـداف جـديدة للنشـاط الاقتصادى •

ان المشكلة الاساسية التى أصبحت تواجهها المجتمعات الاشتراكية لم تعد هى مشكلة تعبئة الموارد غير المستغلة وتوجيهها للاستثمار وزيادة القدرة الانتاجية ، وانما اصبحت المشكلة الرئيسية هى كيفية استخدام الموارد القائمة باقصى درجة من الكفاية وزيادة انتاجية العمل الى أقصى حد ممكن واستخدام الاصول الثابتة أحسن استخدام وأكثره رشادا ، ليمكن تحقيق زيادة كبيرة فى مسـتوى المعيشة •

ومن ناحية أخرى فان سرعـة التطـور التكنولوجى تتطلب من المنتجين أن يطـوروا برامجهم الانتاجية بشكل دائم لتتمشى مع التقدم العلمى • وبمعنى آخر لابد أن تتوفر للمنتجين القدرة على تطوير وسائل الانتاج المستخدمة والمواد الخام الضرورية والمنتجات النهائية ، وأن تعكس اثمان هذه المنتجات التغير فى التكاليف وان تشمل حافزا كافيا للوحدة الاقتصادية لاجراء التغييرات اللازمة •

ومن ناحية ثالثة فان ميل العرض والطلب الى التوازن قد اوجد ظروفا جديدة ، يمكن فيهـا للعلاقات السعرية وللسوق أن يكونا عاملا من عوامل الضغوط على الوحدات الاقتصادية يدفعها الى تحقيق استخدام أحسن لمواردها ، ففـى الظروف السابقة حيث كانت الوحدات المنتجة تستطيع بيع ما تنتجه كنتيجة للزيادة الكبيرة فى الطلب عن العرض ، فان حرية التعاقد بين البائع والمشترى ووجود المنافسة أو بمعنى آخر وجود اكثر من وحدة تبيع نفس المنتجات لم يكن ليوفر الضغط الضرورى على الادارة من أجل رفع الكفـاية الانتاجية ، بل قد يسمح بالعكس بتحقيق مزيد من الارباح عن طريق نقل العبء الى المشترى ، ومن ثم الى المستهلك النهائى .

وأخيرا فان زيادة عدد الوحدات المنتجة وزيادة تقسيم العمل الاجتمـاعى ، وتعقـد الحيـاة الاقتصادية قد ضاعف بدرجة العبء الذى لابد وان يقـع على السـلطة المركزية اذا ارادت الاستمرار فى التحديد المباشر لاهداف الوحدات الاقتصادية والبيان التفصيلى للوسائل التى يجب أن تتبع لبلوغ هذه الاهداف، بل ان ذلك قد أصبح مستحيلا فى كثير من الاحوال دون تعطيل كبير بالرغم من التطور الهائل فى طرق تجميع وتحليل البيانات •

وبمعنى آخر فان ظروفا قد نشأت أصبح فيها نظام التسيير الادارى للنشاط الاقتصادى غير صالح وغير ممكن أيضا • ومن هنا فقد نمت فى الدول الاشتراكية سلسلة مـن الاصـلاحات الاقتصادية ، اختلفت فى تفصيلاتها ولكنهـا تضمنت جميعا قسمات عامة رئيسية يمكن اجمالها فيما يلى :

١ ـ المزج بين التخطيط المركزى وبين استخدام السوق والعلاقات السلعية فى التخطيط وادارة وتسيير الاقتصاد القومى • وذلك مع الميل للحد من القرارات التى يتخذها المركز وزيادة نطـاق القرارات التى تتخذها الوحدات الاقتصادية فتركز اجهزة التخطيط المركزى على التخطيط الطويل الامد وتحديد النسب الاساسية فـى تخصيص الموارد بين مختلف انواع النشاط الاقتصـادى والاجتماعى ، واصـدار القـرارات الخـاصة

---

(٣) أ . كوسيجين : تقرير الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ـ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٥ ، وكالة انباء نوفوستى

بأنشاء المشروعات أو الصناعات الجديدة ، وتقرير السياسات السعرية ، وسياسات الائتمان والاجور والضرائب وغيرها من السياسات ذات الاثر فى توجيه نشاط الوحدات الاقتصادية ، وتحديد الانتاج من عدد محدود من السلع الرئيسية ويتم ذلك على اساس من دراسات تنبؤية مستمرة للتطور التكنولوجي فى مختلف الصناعات ومعرفة باحتمالات تطور العلوم الحديثة واثر هذا التطور على الانتاج والاستهلاك وعلى الاحتياجات من الافراد ذوى المهارات المختلفة ودراسة مستمرة لتطور السكان والعرض المحتمل لقوة العمل وغير ذلك من أنواع الدراسات التنبؤية الهامة •

أما الوحدات الاقتصادية فيكون لها حرية اتخاذ القرارات التى تحقق زيادة أرباحها فى ضوء أوضاع السوق الاشتراكية التى يساعد التخطيط المركزى واجراءات الخطة فى تحديد طبيعتها وعلاقاتها •

٢ — ولتحقيق هذه المبادىء فان الوحدات الاقتصادية لا تتلقى من الاجهزة المركزية للخطة أهدافا محددة واجبة التطبيق فى شكل مؤشرات للخطة باستثناء عدد محدود من المؤشرات التى تقوم الوحدات الاقتصادية نفسها بتحديدها أو التى تتخذ المبادرة فى تحديدها وتقرها الاجهزة المركزية • وتشمل هذه المؤشرات المحدودة فى أغلب البلاد معدل الربح المخطط بواسطة الوحدة ورقم المبيعات الكلى التى تسعى الوحدة للوصول اليه ، مع تحديد المبيعات من بعض السلع الرئيسية ، ومخصص الاجور • وما تدفعه الوحدة فى شكل ضرائب أو غير ذلك من الرسوم لميزانية الدولة ، وما تدفعه الدولة من ميزانيتها من مخصصات وخاصة لتحقيق التوسعات أو لانشاء مشروعات جديدة •

وتميل كافة البلاد الاشتراكية الى الحد من عدد السلع التى يتم تحديد حجم انتاجها كلما أصبح من الممكن تحقيق التوازن بين العرض والطلب على السلع المذكورة دون زيادة كبيرة فى الاسعار •

بل ان بعض الدول تميل الى عدم تحديد أية مؤشرات بواسطة الاجهزة المركزية (المجر مثلا) اعتمادا على أن سعى الوحدات الاقتصادية لتحقيق زيادة ربحيتها فى ضوء القرارات المركزية الخاصة بالتمويل والائتمان والاسعار والاجور كفيلة بتحقيق التوازن بين العرض والطلب وتحقيق أقصى تخفيض للتكاليف وزيادة للكفاية فى نفس الوقت •

٣ — وحتى يمكن للوحدات الاقتصادية أن تحقق درجة أكبر من الفعالية وليكون لاستقلالها ومسئوليتها عن تحقيق الربح معناها ، فان التوزيع المباشر للموارد بواسطة الاجهزة المركزية قد استبدل فى أغلب الدول بالعلاقات التعاقدية بين المشترين والبائعين التى تتم على اساس من المساواة والتى يكون فيها لكل وحدة حرية التعاقد والشراء والبيع ، وتحديد شروط التسليم والمواصفات وغيرها فى ضوء الاسعار المحددة بواسطة الاجهزة المركزية او بناء على القواعد التى تحددها هذه الاجهزة •

٤ — ومن ناحية أخرى فقد تم الربط بين معدل الربح الذى يحصل عليه المشروع ورقم أرباحه الكلية وبين ما يمكن للمشروع الاحتفاظ به من أرباحه ، وذلك لتحقيق ثلاثة اهداف رئيسية هى : تطوير المشروع عن طريق ما يعرف باسم مخصص التطوير ، ولدفع الاجور التشجيعية للعمال عن طريق مخصص تشجيع العمال ، ولتمويل الخدمات التى تقدم للعمال عن طريق مخصص للخدمات • وبهذا أمكن الربط بين نشاط الوحدة الاقتصادية ومدى تحقيقها لاهدافها وبين ما يحصل عليه العاملون فى المشروع من تشجيع مادى سواء فى شكل نقدى أو فى شكل خدمات جديدة •

٥ — وقد سمح كذلك للوحدات الاقتصادية بالاحتفاظ ببعض الاحتياطيات لديها كاحتياطيات استهلاك الاصول الذى يبلغ نسبة محددة من الاصول •ويمكن للوحدة الاقتصادية أن تستخدم مخصص الاستهلاك ومخصص التطوير الذى يتوافر لديها لتمويل التجديدات فى آلاتها ومعداتها وبعض التوسعات البسيطة • دون الرجوع الى أجهزة التخطيط المركزى او استئذانها • أما التوسعات الرئيسية فتتم بالاتفاق مع أجهزة التخطيط المركزية •

٦ — وتحقيقا لنظام سليم للتكاليف ولدفع الوحدات الانتاجية الى استخدام أصولها الثابتة بأقصى حد من الكفاية فقد تم وضع الانظمة الكفيلة باسترجاع الميزانية العامة للدولة لرءوس الاموال التى تقدمها للمشروعات المختلفة فى خلال مدة معينة ، كما تدفع المشروعات فائدة محددة على الرأسمال المركزى الذى تستخدمه وذلك بعد فترة محددة مقدرة لانشاء المشروع وامكان وضع القدرات الانتاجية الجديدة موضع الاستغلال • كما ينظم الائتمان القصير الاجل بحيث تدفع الوحدات الاقتصادية فائدة عن المبالغ التى تقترضها لتمويل نشاطها الجارى •

٧ — وحتى يمكن للعلاقات السعرية والسلعية أن تلعب دورها فى تحقيق أحسن استخدام للموارد المتاحة كان من الضرورى اعادة النظر فى الاسعار القائمة لتصبح الاسعار التى تبيع بها الوحدات الاقتصادية معبرة عن القيمة الحقيقية للسلع • ومن ناحية أخرى فان تحقيق التوازن بين العرض والطلب فى الاسواق يتطلب ضرورة تحقيق

نظام مرن للاثمان يؤدى الى تأثر الوحدات المنتجة بالتغيرات فى الطلب والاسواق ·

ولذلك فانه الى جانب اصلاح نظام اسعار الجملة والذى قامت أو تقوم بـه كل الدول الاشـتراكيـة ، فـان عـددا مـن هـذه الدول (تشيكوسلوفاكيا والمجر) قد اقتـرحت نظاما مرنا للاسعار يقوم على أساس أخذ ثلاث عوامل فى الحسبان : تكاليف الانتاج ، وظروف السوق ، وتوصيات الدولة · واقترحت لذلك وجود ثلاثة انواع رئيسية للاثمان :

أ ـ أسعار مثبتة مركزيا للسلع الرئيسية ·

ب ـ أسعار مرنة يمكن تغييرها فى حدود محددة مركزيا ·

جـ ـ أسعار حرة وخاصة للسلع الجديدة والكماليات ·

٨ ـ ورغم استمرار الميل الى تحقيق درجة اكبر من التركيز فى الانتاج الصناعى ـ كنتيجة طبيعية لتطور أدوات الانتاج والوفورات التى يحققها الانتاج الكبير والتخصص ـ يميل عدد من البلاد الاشتراكية الى السماح بدرجة معقولة من المنافسة بين الوحدات المنتجة فى اطار من الحدود العامة التى تضعها الدولة ، وكما يحدد برنامج الاصلاح الاقتصادى المجرى بأن مثل هذه المنافسة يجب أن تتم فى الحدود التى تتعدى فيها مـزاياها الاجتماعية والاقتصادية الخسائر المحتملة مـن الازدواج فى الانتاج أو فى الاسواق ·

ولتحقيق الضغط الاقتصادى على الوحـدات المنتجة كذلك يسعى عدد من الدول الاشتراكية الى الربط بين أسواقها الداخلية وبين السوق العالمى · واستخدام أجهزة التجارة الخارجية للتأثير فى الاسواق الداخلية ·

٩ ـ وعلى أساس من هذه القواعد فان الربح يصبح هو الهدف الذى يجب أن تسعى كل وحدة من الوحدات الاقتصادية لتحقيقه ويصبح فى نفس الوقت هو المقياس الاساسى لمدى قدرة هـذه الوحدات على استخدام الموارد المتاحة لها خير استخدام ممكن · فالربح فى مثل هذه الظروف يعكس بشكل عام العلاقة الديناميكية بين المدخلات والمخرجات وذلك على اساس من ظروف السوق التى تتأثر بالقرارات التخطيطية المركزية، والتى تكون هى نفسها خاضعة لتوجيه وتخطيط المركز. ويكون بذلك مقياسا تجميعيا صالحا لمدى كفاية الوحدة الاقتصادية ·

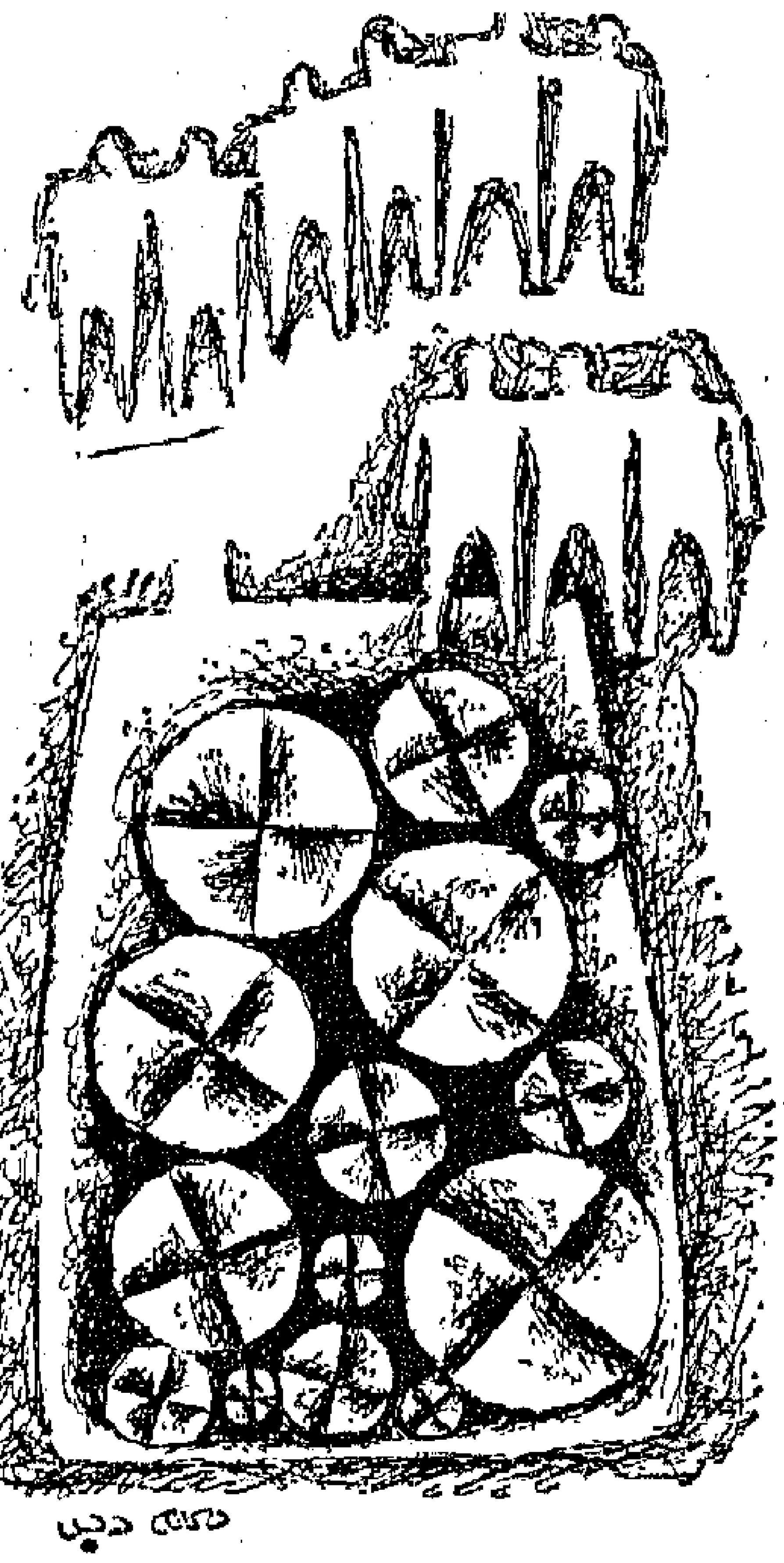
ولكن ماذا تعنى هذه التغيرات فـى تخطيط وتسيير النشاط الاقتصادى بالنسبة للـرقابة الاجتماعية على الوحدات الاقتصادية ؟

لاشك أن النظام الجديد للتسيير الاقتصادى يسمح بمسئوليات اوسـع كثيـرا للوحـدات الاقتصادية ، وينقل اليها مسئولية وعبء تخطيط نشاطها اليومى واتخاذ القرارات اللازمة لتحقيق أهدافها · ولكن الوحدات الاقتصادية تسـتمر مسئولة امام السلطة المركزية عن تحقيق عدد من الالتزامات ، وهى استخدام امكانياتها الانتاجية بأقصى درجة من الكفاية ، واشباع حاجات عملائها الى أقصى حد ممكن ، ودفع الضرائب والحصص الواجب دفعها لميزانية الدولة فى الوقت المناسب ، ودفع نصيب الدولة من الارباح · ويقاس مدى قدرة المشروع على تحقيق هذه الاهداف عن طريق الرقابة على رقم أعماله الكلى أو رقم المبيعات ، وبقياس الربحية ، اى ربح المشروع الى مجموع أصوله . ومدى وفائه بالتزاماته المالية . وتصبح هذه الارقام دون غيرها بذلك هى أساس الرقابة الاجتماعية ·

ان ذلك لا يعنى عدم أهمية التخطيط التفصيلى للوسائل التى يمكن للوحدة الاقتصادية أن تحقق بها هذه الاهداف ، ولكن هذه تصبح المسئولية الخاصة بادارة الوحدة وتتم الرقابة على تحقيقها بواسطة أجهزة الرقابة الداخلية للوحدة ذاتها · ويعنى ذلك ضرورة وأهمية تطوير أجهزة التخطيط والرقابة فى الوحدات الاقتصادية لتتمكن من أداء هذه المهام بدرجة عالية من الكفاية ·

لقد عالجنا التطور فى وسائل تسيير النشاط الاقتصادى والرقابة عليه فى البلاد الاشتراكية بصورة مختصرة ودون الدخول فى تفصيـلات الاجهزة الرقابية ودور كل منها . وغير ذلك من الموضوعات لنبرز فقط المعالم الرئيسـيـة لهذه الوسائل ، ونبين كيف يرتبط النظام الرقابى القائم بالنظام التخطيطى المستخدم ، ويرتبط كل منهما بطبيعة المرحلة التى يمر بها الاقتصاد الوطنى . ويمكن القول بصورة عامة أنه بينما تتطلب المرحلة الاولى من التخطيط درجـة اعلى من المركزية وتخطيطـا تفصـيليـا اكثر لنشـاط الوحدات بواسطة المركز ، فان توفر الظروف التى يمكن فيها للسوق الخاضع للتوجيه المركزى أن يلعب دورا حاسما فى توجيه نشاط الوحدات الاقتصادية الى تحقيق الاهداف العامة التـى تحددها الخطة القومية تؤدى الى مزيد مـن الاستقلال للمشروعات ، وذلك دون الاخلال بمبدأ التخطيط المركزى ومحاولة ترشيد النشـاط الاقتصادى فى مجموعه عن طريق الخطـة المركزية · ان ما يتغير هو وسائل التـوجيه والترشيد . فحيث تتوفر ظروف الرقابة الذاتية والتوجيـه الذاتى تقل الحاجـة الى الرقـابة الخارجية والتوجيه المركزى · وعلى العكس من ذلك فان غياب مثل هذه الظروف يتطلب دوراً اكبر فى التخطيط والتوجيه بواسطة المركز ·

الصراع بين النظرة الفردية والفلسفة الجماعية



د . عبد الرازق حسن

ثار الجدل منذ قيام الثورة حول ادارة اجهزة الدولة ، وما تتسم به من تعقد ، وما يصيبها من تراخ ، وما تؤدى اليه طريقتها فى الاداء من تبديد للطاقات والموارد العامة . واختلفت الاقتراحات حول القضاء على هذه العيوب بالتخلص من العناصر غير المنتجة والمعوقة ، وتطهير جهاز الدولة من العناصر المفسدة ، والعمل فى نفس الوقت على رفع الكفاية الانتاجية للعاملين ، والاخذ بأسلوب تنظيم الحوافز المادية والادبية .

وقد اتجهت بعض الدراسات الى تفسير المشكلة بالبحث عن جذورها ، وخرجت هذه الدراسات بنتائج متباينة منها المركزية الشديدة ، وما يرتبط بها من بيروقراطية متزمتة ، وضعف مفهوم الوظيفة العامة ، وتصور البعض انها مجرد ممارسة للسلطة ، وليس تقديم خدمة ، وتسلط الفردية فى العمل وفقدان روح الجماعية ، والتباين الكبير فى مستويات العاملين الثقافية والمادية ، وعدم وجود نظام واضح لشغل المناصب العليا أو ضمان وجود الشخص المناسب فى المكان المناسب ، وعدم وجود قاعدة تربط الاجر بالانتاج .. الخ .

تعديل جهاز الدولة من خلال حركة المجتمع

قد يكون للجهاز الحكومى ظروفه وأوضاعه وتاريخه العتيق ، وصعوبة تكييفه بالشكل الذى يتناسب مع المطالب العامة ، ويمكن تحمل ضعفه ونقص الكفاية فيه طالما كانت المهام الملقاة عليه

محدودة ، وليس له الفاعلية الكبرى فى أمور المجتمع ، بلقد يكون هذا الضعف والنقص مطلوبا فى مجتمع يقوم نظامه الاقتصادى على الفردية ، وتتمتع فيه وحدات الانتاج بحرية « شبه مطلقةفى العمل » غير ان الامر يختلف عن ذلكاذا كانجهاز الدولة هو المؤثر والموجه للمشروعات والافراد لتحقيق الاهدافالعامة او المفروضانيقوم بذلك.

وقد أقيم القطاع العام ليكون مركزا للانطلاق نحو تغيير فلسفة الدولة والمجتمع ، واتسع مجال نشاطه بالتحول نحو الاشتراكية · ولم يكن هناك مفر من الاعتماد على جهاز الدولة الفنى لتغذية حاجات القطاع العام ،مع ادراك نقص هذا الجهاز وتخلفه ، مما أدى الى تضخم المشاكل القديمة ، وظهور مشاكلجديدة كان علينا أن نعمل على حلها من خلال حركة المجتمع وهنا مكمن الصعوبة · ولم يكن من المتصور عدم اتخاذ أى خطوة نحو التغيير الاجتماعىوالاقتصادى قبلتعديل جهاز الدولة لان ذلك كانيعنى تأجيل خطوةالتحول لمدة طويلة ان لم يكن الوقوف دونها ، كما لم يكن من السهل اعداد جهاز مستقللتولى مهمة لم تكنمعروفة،او محددة بعد ، ولعلها لو كانت قد عرفت قبل آوانها لاثارت من المشاكل وردود الفعل مايجعل التغيير أكثر كلفة أو أمرا غير يسير ·

ومع نمو القطاع العام ، جدت مشكلة تجنب الكثيرون التعرض لها ، بل عالجها البعض بطريقة عكسية ، وهى تضخم حجم وحدات القطاع العام كنتيجة لاندماج المشروعات المؤممة من ناحية ، او اقامةمشروعات كبيرة منناحية اخرى ،أخذا بفكرة انخفاض تكاليف الوحدة المنتجة مع زيادة حجم الانتاج ، وتجاهل احتياج الوحدات الكبيرة الى اجهزة ادارية من نوع معين ، ذات مستوى عال لتتمكن من التصدى لمشاكلها وتعقداتها ·

انتعــــاش التيـــارات المعادية للقطاع العـــام

لقد عقدت الندوات والمؤتمرات العــامة والمتخصصة لبحث مشاكل القطاع العام وادارته ، وأعدت الدراساتالفنية والسياسية لفئات المديرين ومندوبى العاملين حتى يكونوا على بينة بأوضاع وادارة المشروعات التى يعملون فيها ، ودبجت المقالات فى الصحف ، وأجريت الاحاديث فــى الراديو والتلفزيون لمناقشة مختلف جوانب مشاكل التحول الاشتراكى ،وطالب المسئولون بضرورة هز اجهزة الدولة والقطاع العام ، وناشدوا العاملين فيها أن يدركوا معنى التغيير الاقتصـادى والاجتماعى الذى يتم فى المجتمع وما يقتضيه من تغيير فى العلاقات العامة ، وفى أساليب العمل · غير أن هذه الجهود لم تأت بالثمرة المرجوة ، وحينما دهمنا العدوان الخارجى ، ادركنا جميعا تقصيرنا ، وعدم تحركنا بالسرعة التى يفرضها علينا التغير المادى فى اوضاعنا · ويبــدو أن الصدمة قد افزعت البعض ، أو لعلها حـركت نزواتهم التى حـــاولوا كبتها لســنوات ، فبدأوا يستغلون هذه المشاكل فى المطالبة بحل القطاع العام ، أو اضعاف نشاطه ، أو المناداة بربطنا بالدول الكبرى المستغلة فى العالم تحت ستار تقدمها التكنولوجى ، وما لديها من وفرة مـن الاموال التى تطلب الاستثمار ، وما تتمتع به من اتســاع فى السوق لضخامة قوتها الشرائية ، وما يمكن بالتالى ان تفيده لو التصقنا بها ، واعتمدنا فى تعاملنا عليها ·

ومهما يكن من شىء فلا يجب ان تذهلنا الهزيمة عن متطلبات التطور ، لان سرعة الحركة ، وحسن استغلال الموارد ، ومعرفة الهدف عناصر أساسية فى تأكيد الذات، ورد العدوان، والنصر فىالنهاية ولنعد الى استجلاء بعض المسائل التى تمخضت عنها المؤتمرات أو التجمعات المختلفة لـرجال الادارة ، فى السنوات الاخيرة نستكشف منها طبيعة المشكلة ، وان كنا نلمس من مراجعة ما رددته التوصياتالتشابه الكبير فيها ، مما يشعرنا كما لو أننا كنا نعمل فى حلقة مفرغة ، أو أننا كنا نحرث فىالماء، وان كانت المشكلة تكمن فى اننا لم نكن نعمل بمفهوم واحد .

صراع بين الفردية والجماعية

تدور مؤتمرات الادارة فى القطاع العــام ، والتوصـــيات التى خرجت بها ، حول محورين اساسيين هما الفردية والجمــاعية وليس ذلك بالامر الغريب ، لانه وان كانت فلسفة الدولة قد أخذت بالاشتراكية فان ذلك لا يعنى التخلص من مفاهيم الفلسفة التى كانت سائدة من قبل ، وتحول المواطنين عن الاعتبارات التى كانت تحركهم فى اعمالهم ، كما لم يكن يعنى ان من اوكل اليهم تطبيقها كانوا مدركين لما تعنيه ، اومتحمسين لها.

ويرتبط بالفردية رفض فكرة العمل من خلال المجالس ، لاعتبارها معوقة للانتاج ، او للنظر لعملية الانتاج باعتبارها مسألة فنية ولا تحتاج الى جدل ، وانما تتطلبوجود فئة على مستوى عال من

الخبرة، لها السلطة والحرية فى العمل ، وبالتالى فالتدخل الخارجى يحد من القدرة على العمل والاداء ، فلا يكون هناك داع للتدخل فى الادارة الا فى أضيق نطاق تبرره المصلحة العامة ، واذا كان لا مفر من اشتراك العمال فى الادارة فليكن ذلك فى نطاق محدود ، وفى مسائل واضحة يمكن ان يفيد منها هذا الاشتراك • ويتبع ذلك عدم جواز وضع خطة انتاج لمشروع ما دون أن يكون لادارة هذا المشروع الرأى الاول فيها • واذا كان المطلوب هو الانتاج ، وخفض التكاليف ، فيجب ان ينحصر دور الرقابة فى حدودها ولا يتعداها للتدخل فى طريقة الادارة فى التنفيذ • واذا كان مدير المشروع هو المسئول قانونا عن نتائج عمله ، فيجب أن يتمتع بحرية كبيرة فى العمل ، كما يجب ان يؤمن فى عمله حتى لا يعيش فى قلق •

أما محور الجماعية فيدور حول مفهوم المسئولية العامة لكل المشتركين فى عملية الانتاج ، اذ ان عملية الانتاج وان كانت عملية فنية ، الا ان لها صفة اجتماعية أيضا ، والعمال يشتركون بدور أساسى فى العملية الانتاجية ، وهم فى نفس الوقت مواطنون يعود عليهم الناتج النهائى ، وتتأثر حياتهم به ، وبالتالى لا يمكن أن ينفرد بالاشراف على المشروعات ، او فرض اسلوب الانتاج منهم فى المراكز العليا فقط ، وانما لا مفر من اشتراك العاملين ليس فى الادارة فحسب ، وانما فى رسم خطط الانتاج والرقابة على الاداء أيضا •

وفى ظروف بناء الاشتراكية ، والعمل على وضع أسس لتطبيقها تناسب ظروفنا العامة ، اختلطت المعايير وتباينت المفاهيم ، وشطت بعض الاتجاهات تحت ستار الاشتراكية لخدمة مصالح ذاتية محدودة • فعند فرض التشريعات الاشتراكية ساد شعار رفع الضيم عن الطبقة العاملة التى طال حرمانها واستغلالها ، واكدت الاجراءات التى اتخذتها الدولة اهمية المساواة فى معاملة العاملين ، وضرورة اشراكهم فى الادارة والرقابة على الانتاج ، وفتح مجالات العمل ما أمكن لكل راغب فى العمل ، وتيسير الوصول للمراكز القيادية فى مشروعات الانتاج لذوى الكفايات • غير ان التطرف فى المطالب عند التطبيق أدى الى ارتفاع مخصصات الاجور بشكل لا يتناسب مع حجم الانتاج ، وتضخم عدد العاملين فى بعض القطاعات دون ما حاجة ملحة ، كما أدى عدم الوضوح الى تضارب الاختصاصات وتشتت أجهزة الرقابة ، وقد أثر ذلك كله على الانتاج ، فحدثت بعض الاختناقات فى الخطة الخمسية الاولى للتنمية ، وعدم وفائها بكل ما كان مقدرا لها ، تحدث عنها المسئولون بقدر كبير من الصراحة •

سلطات متزايدة للمديرين واختفاء الرقابة الشعبية

وقد عقد العديد من مؤتمرات الادارة والانتاج لدراسة الامر ، وكان من الملاحظ أن أغلبها انتهى الى توصيات تميل الى الاعتدال وتدور فى اطار يتضمن الكثير من المسائل الفنية مثل : قصر دور الاجهزة الاشرافية والمركزية من وزارات ومؤسسات على التخطيط والتوجيه والمتابعة ، وتحديد دور قطاعات الانتاج بشكل أدق ، والاهتمام باجهزة تطوير الانتاج ، والتدريب المهنى ، ورفع كفاية العاملين ، واتخاذ الكفاية كأساس فى الحكم على صلاحية العاملين لشغل مناصب معينة ، وضرورة الاخذ بنظام المكافأة والعقاب ، ومنح مديرى المشروعات حريات أكبر فى العمل ، وتأكيد حقهم فيما يتخذ من قرارات بشأن المشروعات التى يديرونها وتسلسل القيادة ، وتوزيع المسئوليات وتحميل الرؤساء التنفيذيين مسئولية الاداء ، وتجديد الاجهزة الرقابية ، ومدها بالمتخصصين من ذوى الكفايات ، وتوحيد البيانات التى تطلبها ، والموافقة على رقابة الاجهزة السياسية دون تدخلها فى مشاكل الانتاج الفنية ، والاهتمام بتنظيم اجهزة الارشاد والرقابة والتفتيش الداخلية فى المشروعات •

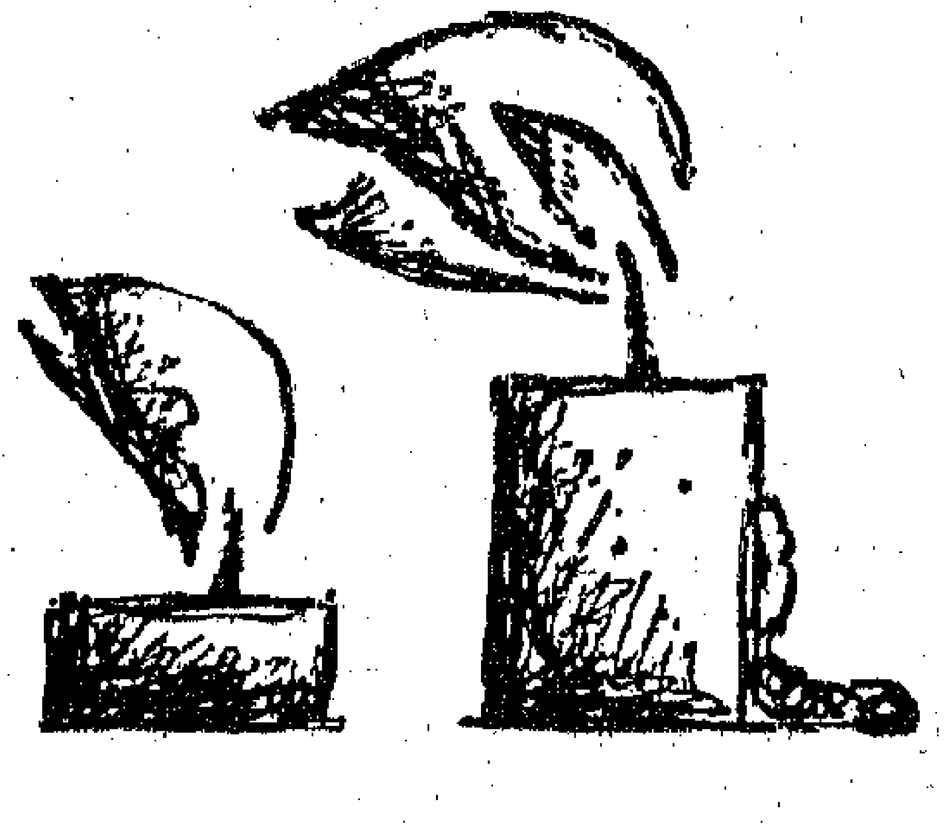
وبالرغم من أن توصيات المؤتمرات الادارية لم تخرج عن ابداء الرغبات فى تنظيم اجهزة الانتاج لتحقق الهدف منها ، الا انه قام تصور من البعض انها وضعت العلامة الخضراء لحرية مديرى المشروعات فى العمل والتصرف ، وقد ساعد على ذلك التصور الظروف العامة التى فرضت على الجميع تركيز الاهتمام بزيادة الانتاج • فوجدنا البعض يتصرف بفردية عجيبة ، ويتخذ من القرارات ما هو أصلا من حق المجالس المشكلة لذلك ، ولا يلقى بالا بتقارير الادارات الرقابية داخلية كانت أم خارجية ، وحتى يضمن هؤلاء الهدوء نجده يعتمد فى ترقيات العاملين أساسا على الاقدمية المطلقة بينهم ، ولوحظ ايضا أن القليل من الشركات تقدم لمجالس اداراتها الدراسات اللازمة لتطور نشاط المشروع فى فترات مختلفة تمكن من متابعته • ولمسنا فى نفس الوقت اختفاء اسلوب الرقابة الشعبية عن طريق ايقاف نشر تقارير الشركات والمؤسسات • واستغلت ظروف الامن القومى فى الحد من نشر الكثير من البيانات التى تهم الدارسين والمواطنين معرفتها للاطمئنان على سير الانتاج من ناحية ، ولابداء الرأى فى اتجاهاته من ناحية أخرى •

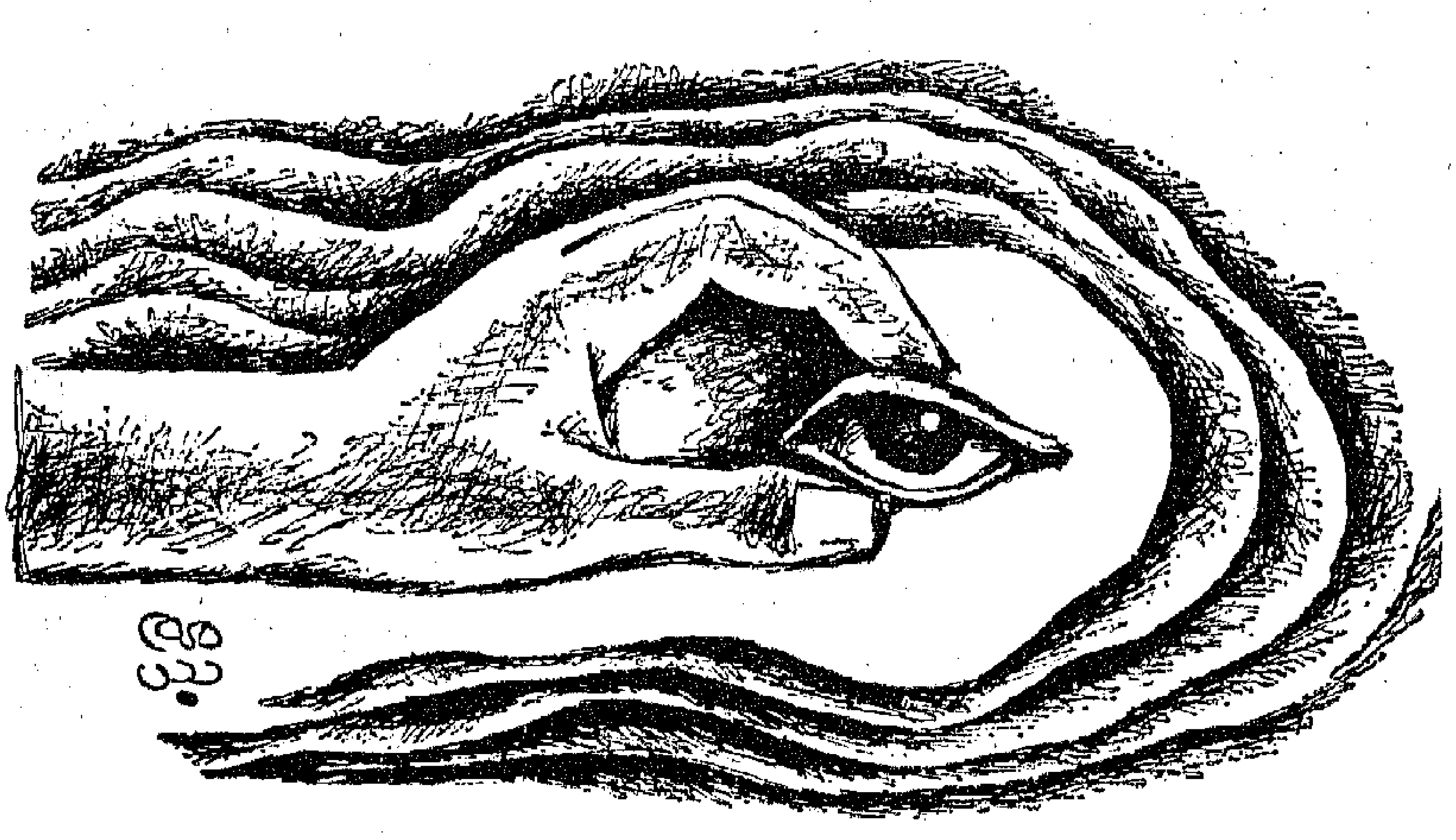
ان هناك الكثير من الاسئلة التى تتردد ، وكلها تعنى الحرص على القطاع العام باعتباره محصلة عمل طويل مضن ، ومن هذه الاسئلة :

هل تستغل المشروعات طاقاتها بكفاية ؟ وهل تحسن مستوى الاداء فى المشروعات ؟ وهل يدرك القائمون بادارة المشروعات مطالب الجماهير ؟ وهل يعملون فى نفس الوقت على التحقيق فى شكاواهم ؟ وهل يمكن أن تسير المشروعات فى الطريق السليم دون رقابة شعبية ؟ وهل يراعى مبدأ الشخص المناسب فى المكان المناسب ؟ وهل تعطى الفرصة الكافية للكفايات من الصفوف الخلفية لتظهر فى المقدمة ؟ وهل هناك اهتمام بربط الاجر بالانتاج ؟ وهل يؤخذ باسلوب التصعيد والتنزيل ؟ وهل درس مبدأ الحقوق المكتسبة ومدى اتفاقه مع المضمون الاشتراكى ؟ وهل ما زالت العواطف الشخصية تلعب دورا فى ادارة المشروعات العامة وفى معاملة العاملين بها ؟ وهل يراجع المسئولون تقارير الاجهزة الرقابية ويعملون على منع تكرار الاخطاء والانحرافات التى تهدد فى كيان القطاع العام ؟ وهل وضع حد لمشاكل العاملين حتى يتفرغوا للانتاج ؟

أسئلة كثيرة تتردد ، ليس لها الا هدف واحد هو الاطمئنان الى أن القطاع العام يدار بكفاية ، أو أن يتجه للوصول الى ذلك ، وأن الاخطاء تعالج أولا بأول ، وأن حل مشاكل ادارة هذا القطاع لا تكون بتصفيته والعودة الى اسلوب المشروعات الفردية بما فيه من استغلال وما يؤدى اليه من نزاع طبقى •

ان الاهتمام بادارة المشروعات العامة ، ودعوة مديريها لابداء رأيهم فى اوضاعها ، ومشاكلها لا يعنى أن المسألة تهمهم وحدهم • وان الامر ليدعونا **الى عقد مؤتمرات اخرى تمثل جانب العمال من ناحية وجماهير الشعب من ناحية أخرى لمعرفة رأيهم فى ادارة القطاع العام وما يقدمه من انتاج أو خدمات** ، وليس هناك شك فى أن كثيرا من الاراء التى تبدى سيكون لها وزنها ، لان كلا من عمال المشروعات بصفتهم مشتركين فى عملية الانتاج ، وكذلك جماهير الشعب التى تستهلك السلع والخدمات التى يقدمها القطاع العام ، هم اصحاب مصلحة حقيقية فى أن يدار هذا القطاع بأعلى مستوى وأرفع كفاية ، ليحقق الاهداف العامة المرجوة ، ويبرر التضحيات الضخمة التى تكبدها المجتمع لاقامته •





نحو تدعيم الرقابة الشعبية وتعديل الهيكل التنظيمى

محمد صبحى الاتربى

تتميز المرحلة الحالية من تطورنا الاقتصادى بأنها مرحلة انتقالية من اقتصاد رأسمالى الى اقتصاد اشتراكى . ولقد قال الرئيس جمال عبدالناصر ان « احنا لازلنا فى مجتمع رأسمالى بيتحول الى مجتمع اشتراكى ، لا زلنا فى مرحلة التحول » . وبذلك تشتمل هذه المرحلة على العديد من الصراعات والتناقضات التى تحفل بها عادة المراحل الانتقالية ، ومن ثم فهى تضفى طابعها الانتقالى على مختلف التنظيمات والاجهزة بما فيها أجهزة الرقابة .

فاذا ما تتبعنا تطور اجهزة الرقابة من الوجهة التاريخية ، لوجدنا أن تدخل الدولة لتوجيه النشاط الاقتصادى ـ فى المرحلة السابقة لصدور القوانين الاشتراكية ـ كان يتم عن طريق القوانين التى تعطى لاجهزة الدولة المختلفة سلطات رقابية ازاء الشركات الرأسمالية . ولم تتم بعد اجراءات التأميم الواسعة ، عملية مراجعة شاملة لاشكال وأجهزة الرقابة التى كانت قائمة على افتراض وجود القطاع الخاص وسيطرة الشركات الرأسمالية على الاقتصاد القومى . وبذلك نجد أن غالبية أجهزة الرقابة ونظمها الموجودة حاليا ، انما هى امتداد للاجهزة والنظم التى كانت قائمة فى المرحلة السابقة ، والتغييرات التى تمت كانت مجرد تعديل أو اضافة فى اختصاصات بعض الاجهزة الموجودة أصلا ، مع اضفاء مسميات جديدة عليها ، أى أن التغيير انصب بصفة أساسية على الشكل وليس الجوهر .

واذا ما أخذنا بمفهوم الرقابة على أنها مجموعة من العمليات التى تتضمن جمع البيانات وتحليلها للوصول الى نتائج تقوم بها أجهزة متخصصة ، للتأكد من تحقيق الاهداف بكفاية مع اعطائها سلطة اتخاذ القرارات المناسبة (١) لتبين ان الرقابة اما

(١) د. عبد السلام بدوى ـ الرقابة على المؤسسات العامة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦١ .

تكون رقابة أجراءات تقوم بها الجهات الرقابية للتاكد من اتباع القوانين واللوائح وتطبيق القواعد الموضوعة مقدما ، واما رقابة على الاداء وتقييم النتائج . ولما كانت الخطة هى القانون الاساسى للنشاط الاقتصادى فى المجتمعات الاشتراكية ، فان رقابة الاداء ومتابعة تنفيذ الخطة تعتبر أهم أنواع الرقابة فى تلك المجتمعات .

وتمارس عمليات الرقابةالمذكورة على وحدات القطاع العام ، بواسطة مختلف الاجهزة الرقابية . ويسعنا فى هذا المجال أن نفرق بين الاجهزة الرقابية على النحو التالى :

● اجهزة أنشئت أصلا بهدف الرقابة على القطاع العام ، وسوف نطلق عليها الاجهزة الاساسية للرقابة لان الغرض الاساسى من قيامها هو ممارسة عملية الرقابة .

● أجهزة تشارك فى الرقابة على القطاع العام وذلك فى نطاق ممارستها لبعض عمليات الرقابة على أنواع معينة من النشاط الاقتصادى ، ويلاحظ أن العمل الاساسى للاجهزة المذكورة يشمل مجالات التنفيذ والتخطيط .

وفى ضوء هذا التقسيم نعرض بشكل مختصر لاهم أجهزة الرقابة على القطاع العام واختصاصاتها فيما يلى :

أولا — الاجهزة الاساسية للرقابة

الجهاز المركزى للمحاسبات — صدر فى عام ١٩٦٠ القانون رقم ٢٣٠ لسنة ١٩٦٠ باعادة تنظيم ديوان المحاسبات والحاقه برئاسة الجمهورية ليتولى اختصاصات الرقابة المحاسبية والمستندية على أجهزة الدولة، بالاضافة الى رقابة حسابات شركات المساهمة التى تشترك فيها الدولة بما لا يقل عن ٢٥ فى المائة من رأسمالها، او تضمن لها حدا أدنى من الربح ، او تؤدى لها اعانات مباشرة .

وبعد التغيرات الجذرية فى هيكل الاقتصاد القومى واتساع نطاق القطاع العام ، كان من الضرورى أن تمتد الرقابة الى وحدات وشركات القطاع العام . وبذلك صدر القانون رقم ١٢٩ لسنة ١٩٦٤ بانشاء الجهاز المركزى للمحاسبات كهيئة مستقلة تتبع رئيس الجمهورية ، ويهدف الى تحقيق رقابة فعالة على أموال الدولة ومتابعة أداء الاجهزة التنفيذية لمسئولياتها الانتاجية ، وذلك بالنسبة للوحدات التى يتألف منها الجهاز الادارى للدولة ووحدات القطاع العام . كما أعطيت للجهاز المهمة الاساسية للرقابة فى ظل التخطيط القومى ألا وهى الرقابة على تنفيذ الخطة وتقييم الاداء ، وان كان ذلك قد تم خلال السنة الاخيرة من الخطة الخمسية الاولى ٦٠ — ١٩٦١ — ٦٤ — ١٩٦٥ .

الجهاز المركزى للتنظيم والادارة — صدر فى مارس ١٩٦٤ القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٦٤ بانشاء الجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، كهيئة مستقلة تلحق بالمجلس التنفيذى ، ويحل محل ديوان الموظفين ، ويهدف الى تطوير مستوى الخدمة المدنية ورفع الكفاية الانتاجية ، والتاكد من مدى تحقيق الاجهزة التنفيذية لمسئولياتها فى ميدان الانتاج والخدمات ، وذلك عن طريق اجراء الرقابة والتحريات اللازمة للكشف عن المخالفات المالية والادارية ، ووضع النظم الخاصة بالتفتيش والمتابعة للتأكد من سلامة وكفاءة أداء العاملين ... الخ ، ويمارس الجهاز اختصاصاته بالنسبة للوحدات التى يتألف منها الجهاز الادارى للدولة ووحدات القطاع العام .

الهيئات التى كانت ملحقة بالجهاز المركزى للتنظيم والادارة — ألحقت بالجهاز المركزى وحتى فترة قريبة بعض الهيئات التى تمارس نوعا خاصا من الرقابة يمكن أن نطلق عليه « رقابة الامن » ومهمتها تقصى المخالفات التى تقع تحت طائلة القانون ، وتستتبع جزءا تأديبيا او عقوبة جنائية .

أ — الرقابة الادارية — أعيد تنظيمها بموجب القانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٦٤ لتكون هيئة مستقلة تتبع رئاسة الجمهورية بعد أن كانت أحد اقسام النيابة الادارية . وتمارس اختصاصاتها عن طريق بحث وتحرى أسباب القصور فى العمل والانتاج بما فى ذلك الكشف عن عيوب النظم الادارية والفنية والمالية ، ومتابعة تنفيذ القوانين والتأكد من أن القرارات واللوائح والانظمة السارية وافية لتحقيق الغرض منها .

ب — النيابة الادارية — أنشئت بمقتضى القانون رقم ٤٨٠ لسنة ١٩٥٤ ، وأعيد تنظيمها بموجب القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٥٨ لتكون هيئة مستقلة تلحق برئاسة الجمهورية ، وتتكون من قسمين : الاول للرقابة والثانى للتحقيق . وقد فصلت الرقابة الادارية عن النيابة الادارية بالقانون رقم ٥٤ لسنة ١٩٦٤ الذى أعاد تنظيم الرقابة وجعلها مستقلة . وتختص النيابة الادارية باجراء الرقابة والتحريات اللازمة للكشف عن المخالفات المالية والادارية والتحقيق فيما يتكشف منها .

ثانيا ـ الاجهزة التنفيذية والتخطيطية التى تشارك فى الرقابة

بالاضافة الى الاجهزة المتخصصة السابقة ، نجد أن هناك العديد من الاجهزة التى تشارك فى الرقابة على نشاط وحدات القطاع العام ، بينما أن عملها الاصلى ينصب على مجالات التنفيذ ، او التخطيط أو كليهما معا ، وليس المجال هنا لحصر هذه الاجهزة ، بل نعرض لاهم هذه الاجهزة ودورها فى عمليات الرقابة طبقا لما يلى :

● **المؤسسات العامة النوعية** ـ نص القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٦ الخاص بالمؤسسات العامة ، أن المؤسسة العامة تباشر اختصاصاتها كجهاز للتنفيذ والتخطيط والرقابة ، وأن لها سلطة الاشراف والرقابة وتقييم الاداء بالنسبة للوحدات الاقتصادية التابعة لها دون تدخل فى شئونها التنفيذية .

● **وزارة الخزانة** ـ تقوم بالاشراف والرقابة على الاعمال المتعلقة بحسابات ومشتريات ومخازن الوزارات والمحافظات والمؤسسات العامة ، وباحكام الرقابة على المصروفات التى يعود خصمها على بنود الميزانية ، كما تراقب الانفاق والايراد والمحصل بالنسبة لميزانية الدولة من ناحية والحسابات بالبنك المركزى من ناحية أخرى .

كما أن لمصلحة الضرائب سلطات واسعة فى فحص حسابات الشركات ومراجعة مستنداتها وميزانياتها الخ .

● **وزارة الاقتصاد** ـ تقوم اساسا بالرقابة على الجهاز المصرفى ، وعمليات التجارة الخارجية والرقابة على النقد (اما بطريقة مباشرة أو عن طريق الوحدات المتخصصة التابعة لها) . كما نجد أن الجهاز المصرفى يمارس فى واقع الامر نوعا من الرقابة المالية على المؤسسات العامة والشركات التابعة لها ، حيث قام البنك المركزى فى عام ١٩٦٤ بتوزيع الاعمال المصرفية لوحدات القطاع العام على البنوك التجارية بحيث يختص كل بنك بخدمة قطاع اقتصادى محدد ، أو مجموعة من القطاعات ، كما وضع نظام يهدف الى توفير بيانات سريعة ودقيقة عن التدفقات المالية والنقدية لوحدات القطاع العام تساعد فى متابعة مراكزها المالية .

● **وزارة التخطيط القومى** ـ نصت القرارات الجمهورية المختلفة بشأن التخطيط القومى ، على قيام الوزارة بمتابعة سير العمل فى الخطة العامة ومراجعتها وتقييمها دوريا ، واعداد تقارير دورية عن متابعة تنفيذ الخطة ، كما الزمت الوزارات والمؤسسات العامة ـ كلا فى حدود اختصاصاته ـ تحقيق اهداف الخطة وتنفيذ مشروعاتها .

هذا بالاضافة الى الرقابة التى يمارسها مجلس الامة ، فهو الذى يصادق على الميزانية العامة ، وله أن يتخذ من الوسائل ما يتأكد به من مدى تحقيق المشروعات الاقتصادية لاهداف الخطة ، وأن ينشىء لجانا تكون مهمتها التحقق من كفاية وحدات القطاع العام ومدى تنفيذها للخطة .

تعدد أجهزة الرقابة والتداخل فى الاختصاصات

يتبين من العرض السابق مدى التعدد فى الاجهزة التى تمارس عمليات الرقابة على القطاع العام ، بما يؤدى الى تشعب أعمال الرقابة وتداخلها ، والازدواج والتشابك فى بعض الاختصاصات ، ويكفى الرجوع الى نصوص القوانين المختلفة المتعلقة بأجهزة الرقابة واستقراء ومراجعة موادها ، لتبين مدى الازدواج والتداخل فى الاختصاصات .

فمن جهة هناك تداخل فى الاختصاصات بين الاجهزة الاساسية للرقابة ، ومن جهة اخرى هناك ازدواج فيما بين اختصاصات هذه الاجهزة والاختصاصات التى تمارسها الاجهزة التى تشترك فى الرقابة على القطاع العام ، والامثلة على ذلك عديدة ، نكتفى بابراز بعضها فى الاتى :

الازدواج فى الاختصاصات بين الاجهزة الاساسية للرقابة .

ـ الكشف عن المخالفات المالية وأسباب حدوثها ووسائل علاجها ـ الجهاز المركزى للمحاسبات والرقابة الادارية .

ـ مراجعة القرارات الخاصة بشئون العاملين ـ الجهاز المركزى للمحاسبات والجهاز المركزى للتنظيم والادارة .

ـ تحديد معدلات الاداء ومراقبتها ـ الجهاز المركزى للمحاسبات والجهاز المركزى للتنظيم والادارة .

التداخل فى الاختصاصات ما بين الاجهزة الاساسية ، والاجهزة الاخرى .

- تدخل الرقابة على تنفيذ الخطة وتقييم الاداء في اختصاص كل من المؤسسات العامة النوعية ووزارة التخطيط والجهاز المركزى للمحاسبات •

- تتداخل اختصاصات الجهاز المركزى للمحاسبات والجهاز المركزى للتنظيم والادارة ووزارة العمل فيما يتعلق بشئون العاملين •

- تخضع التصرفات المالية لشركات القطاع العام لرقابة وزارة الخزانة والجهاز المركزى للمحاسبات فى نفس الوقت ، ومع أن رقابة وزارة الخزانة فى الغالب رقابة سابقة للصرف ، بينما رقابة الجهاز رقابة لاحقة الا أن وزارة الخزانة تتدخل أيضا فى أعمال الرقابة اللاحقة •

- يقوم الجهاز المركزى للمحاسبات بمراجعة السلف والقروض والتسهيلات الائتمانية التى تعقدها الدولة ويقوم البنك المركزى المصرى بنفس العملية •

لقد أدت هذه الاوضاع الى تزايد عبء العمليات الرقابية المتعددة، حيث لا تتمثل تكلفة عملية الرقابة فى مجرد الاعتمادات المالية اللازمة لانشاء او توسيع الجهاز الرقابى ، او مواجهة نفقاته الجارية ، بل يجب أن نأخذ فى الاعتبار التكلفة الاجتماعية الحقيقية التى تظهر بجانب الاعتمادات المالية من عدة مواقف ، منها على سبيل المثال ذلك الجزء المقتطع من وقت الوحدات الانتاجية لاستيفاء البيانات المطلوبة للاجهزة الرقابية، والفرص الضائعة أمام المسئولين بتلك الوحدات نتيجة الحد من حريتهم فى التصرف السريع . . . الخ [٢] •

ولعل اخطر ما يترتب على تلك الاوضاع هو ان الرقابه رغم تعددها تفقد فعاليتها ، فاعطاء البيانات المطلوبة ينتهى فى كثير من الاحوال الى مجرد اجراء شكلى ، بعد ان تراكم لدى المسئولين عن ادارة القطاع العام شعور بعدم جدية وجدوى مايطلب منهم من بيانات [٣] •

ويستتبع ذلك بالضرورة ، اعادة النظر فى الهيكل التنظيمى لاجهزة الرقابة ، على أساس أن عملية الرقابة ترتبط ارتباطا وثيقا بعملية التخطيط والتنفيذ ، وأن التعديل المرغوب فيه يجب أن يتم فى اطار الهيكل التنظيمى لادارة الاقتصاد القومى فى مجموعه •

كما يجب أن يهدف تنظيم أجهزة الرقابة ، فى المقام الاول نحو تمكينها من اداء مهمتها بفاعلية اكبر لتحقيق اهداف الخطة ، والقضاء على البيروقراطية التى تعتبر من اكبر المشاكل التى يواجهها الاقتصاد القومى فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية • ومن هنا تبرز أهمية الرقابة الشعبية كضرورة اقتصادية واجتماعية لمواجهة تسلط الفئة البيروقراطية والتكنوقراطية للتحكم فى اقدار الجماهير وتسييرها بما يخدم تطلعاتهم الطبقية •

الرقابة الشعبية وأهميتها

أكد الميثاق بأن وسيلة الديموقراطية أن تتحقق سلطة المجالس الشعبية على جميع مراكز الانتاج ، وفوق كل اجهزة الادارة المركزية او المحلية ، ان ذلك يضمن للشعب باستمرار أن يكون سلطة تحديد أهداف الانتاج وأن يكون فى الوقت ذاته سلطة الرقابة على تنفيذها •

ولما كان النظام الاشتراكى يقوم على أساس سيطرة الشعب وتملكه لوسائل الانتاج ، فانه من الطبيعى والمنطقى ان تمارس جماهير الشعب الرقابة على استخدام الموارد والتأكد من ادارة المشروعات بكفاية وفعالية ، وتعتبر عملية الرقابة الشعبية عملية أساسية وجوهرية فى مرحلة التحول الى الاشتراكية حتى تتحقق أهداف الشعب وخطته الاقتصادية والاجتماعية •

كما ان اجهزة الرقابة المختلفة التى اشرنا اليها جميعا ، انما تمارس فى المقام الاول الجوانب الفنية والتكنيكية البحتة ، وتفترض من القائمين بها خبرة ودراية ، أما الجماهير العاملة فى مجالات الانتاج المختلفة فيمكنها أن ترى وتلمس من النواقص والانحرافات مالا ينعكس فورا بصورة واضحة فى الوثائق والبيانات [٤] •

---

(٢) انظر : المركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية «مشكلات الرقابة على القطاع العام » دراسات تمهيدية — العدد الثالث — مؤسسة الاهرام ١٩٦٨

(٣) انظر : د. اسماعيل صبرى عبدالله — تنظيم القطاع العام « الاسس النظرية واهم القضايا التطبيقية » — دار المعارف — ١٩٦٩ .

(٤) د. عبد السلام بدوى — المرجع السابق •

وتمارس الجماهير الرقابة الشعبية ـ نظريا على الاقل ـ على مستويين : مستوى العاملين فى الوحدة الانتاجية ، وعلى مستوى التنظيم السياسى الشعبى . ففى مستوى الوحدة الانتاجية يمارس العاملون الرقابة أساسا من خلال مشاركتهم فى الادارة ، وبالتالى فى الرقابة على نشاطها . كما ان لجنة الاتحاد الاشتراكى الجماهيرية تضم الكثير من العاملين فى الوحدة من مختلف المستويات الادارية والفنية ، وهذه المجموعة تتميز بصفتين : الاولى الصفة الشعبية التى تجعل منها رقيبا شعبيا ، والثانية أنهم يعلمون تفاصيل المشروع ، بما يمكنهم من مناقشة العديد من الارقام والبيانات التى ترد فى تقارير الادارة عن نشاط الوحدة [٥] ، وبذلك تتم الرقابة من قبل جميع الفئات المشتركة فى العملية الانتاجية .

أما رقابة التنظيم السياسى فيجب الاتأخذشكل التدخل فى ادارة الوحدة الانتاجية ، وانما هى رقابة على نشاط مجموع العاملين ادارة وأفرادا وهى فى المقام الاول عمل سياسى قوامه التوعية والتوجيه بالاهمية السياسية لتنفيذ الخطة ومتابعتها [٦] .

لقد اتخذت خطوة جديدة فى أوائل هذا العام ، نحو تدعيم الرقابة الشعبية داخل وحدات القطاع العام ، حيث انشئت لجان الانتاج (قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٨٠ لسنة ١٩٦٩ فى ٣ مارس ١٩٦٩) فى كل وحدة من الوحدات الاقتصادية التابعة للمؤسسات العامة يزيدعدد العاملين فيها على مائة عامل . وتختص أساسا بمناقشة خطط الانتاج ومتابعة تنفيذها واقتراح الحلول لجميع المشاكل التى تعترض التنفيذ مع اقتراح معايير ومعدلات الاداءوتقييمهاواحكام الرقابة على الانتاج وجودته ،وحسن استخدام الموارد المتاحة استخداما اقتصاديا سليما . وتشكل من رئيس مجلس ادارة الوحدة الاقتصادية رئيسا وعضوية خمسة عشر عضوا يمثلون لجنة الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية ومجلس الادارة والعاملين بالاقسام الانتاجية .

وأخيرا يجب أن نشير الى أن المجالس الشعبية المنتخبة ، التى كان يتعين انشاؤها وفقا لاحكام الميثاق ، لتتحقق بواسطتها مساهمة فعلية للسلطة الشعبية فى الرقابة على أعمال الاجهزة التنفيذية ، لم يتم تكوينها بعد .

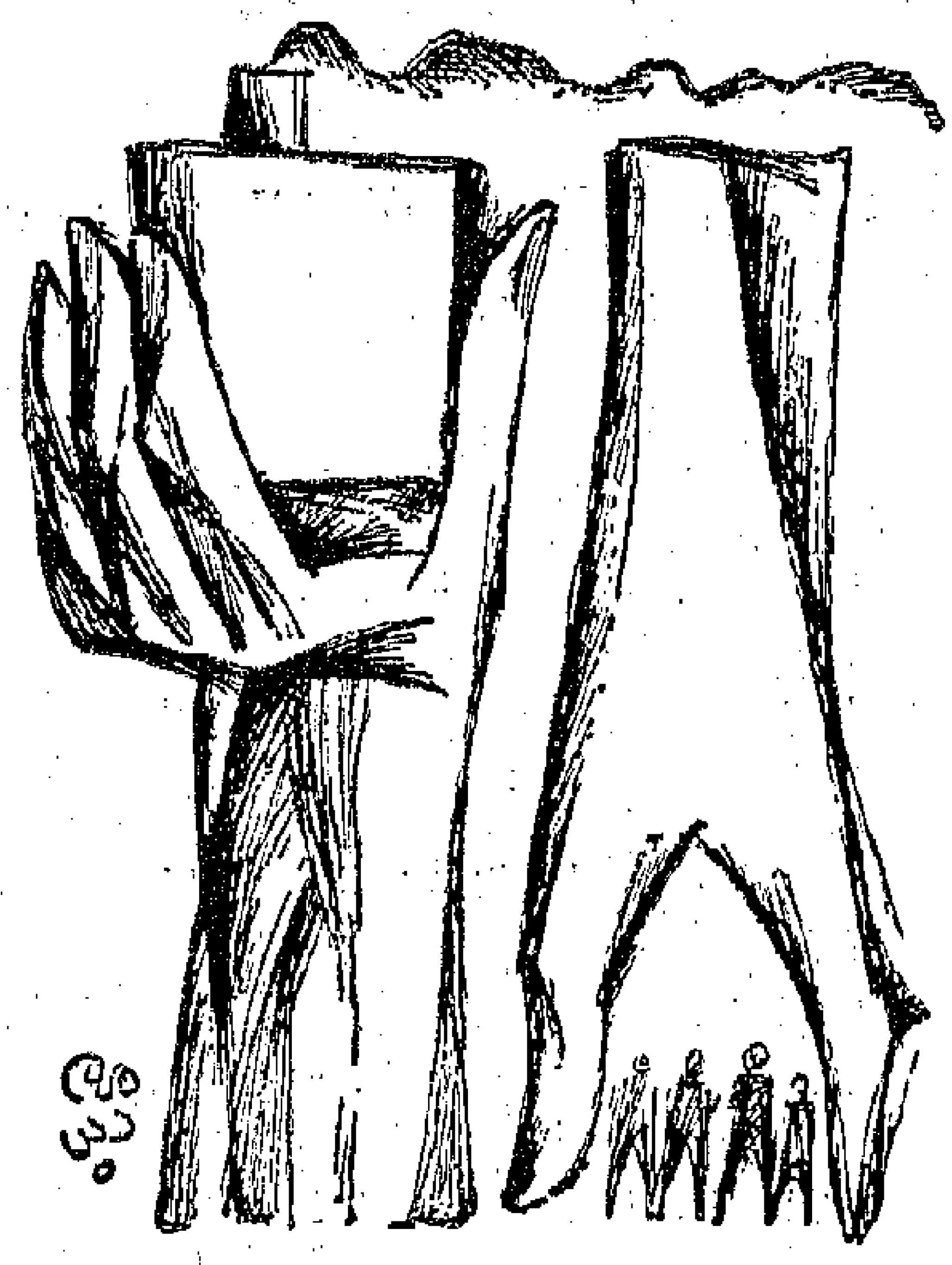
كما يقترح فيما يختص باعادة النظر فى الهيكل التنظيمى لاجهزة الرقابة ، وعلى ضوء أن الرقابة على الخطة وتقييم الاداء هى أساس العملية الرقابية فى المجتمع الاشتراكى ، انشاء « الجهاز المركزى للرقابة » ويحل محل الجهاز المركزى للمحاسبات وتسند اليه اختصاصات بعض الاجهزة الاخرى ، على أن يعتبر هو الجهاز الرقابى الرئيسى بمعنى أن الاجهزة الاخرى التى تشارك فى الرقابة تقوم فى ممارستها لاختصاصاتها بالاستناد الى البيانات والتقارير التى يقوم باعدادها . كما أنه يهدف فى المقام الاول الى الرقابة على الاتجاهات الاقتصادية العامة أى رقابة الكليات الاقتصادية Maroeconomics بالاضافة الى الرقابة على الجزئيات الاقتصادية Micvoeconomics التى تعاونها فيها اجهزة رقابية متخصصة تنحصر أساسا فى الرقابة التى يقوم بها الجهاز المصرفى بعد تطويرها بما يتمشى واحتياجات خطة التنمية .



(٥) د. اسماعيل صبرى عبد الله ـ المرجع السابق .

نظرتان الى الرقابة

كمال السيد



في ندوة عقدت فى الاهرام ، اعلن الدكتور حسن توفيق استاذادارة الاعمال ، أن جميع أجهزة الدولة الرقابية والبوليسية تتحرك للقبض على موظف صغير سرق ثلاثة أو عشرة جنيهات · أما عندما ينشأ مصنع يتكلف ملايين الجنيهات ويتوقف لسبب أو لاخر فلا حساب ولا جزاء · والواقع ان هذا القول يلخص بصدق النظرتين القائمتين الى الرقابة .

النظرة الرأسمالية

ترى فى الرقابة اداة زجر وملاحقة للصوص والكسالى من «صغار القوم» والعاملين» وتهدف هذه النظرة التى طورتها وفندتها الرأسمالية الغربية والرأسمالية الامريكية بصفة خاصة الى ضرب عصفورين بحجر واحد ، فقد جعلت منها اداة لحماية « الملكية الخاصة » لصاحب المشروع من « شره وجشع » العمال ، واتخذتها وسيلة لاعتصار اكبر جهد ممكن من عمل العاملين وضمان عدم اضاعة دقيقة واحدة من وقتهم دون عمل ، وبذا كانت الرقابة سوطا يلهب ظهور العمال طوال اقامتهم فى المصنع · ولهذا يحدد كتاب الادارة ، مجال الرقابة بأنه « مراقبة تصرفات الافراد اثناء التنفيذ ، ونتائج هذه التصرفات واتفاقها مع الهدف ، ومراقبة استعمال المواد والمعدات وتنفيذ القرارات وتحقيق النتائج المتوقعة » ·

ولايمكن لاى منصف ان ينكر دور الرأسمالية الغربية ، وايضا الامريكية بصفة خاصة ، فى ارساء مبادىء الادارة العلمية ، والتى يصر الاقتصاديون الراسماليون على انها من عوامل الدفع بعجلة الانتاج ، ولكن الامر المؤكد أن الهدف من تطوير الادوات الادارية ، ومن اهمها الرقابة ، كان الحصول على أقصى ربح ، ووسيلته استخلاص اكبر جهد من العمال · وكان هذا لابد وان يؤدى الى « رقابة سلبية » هدفها الغالب « تصيد الاخطاء » والعقاب بل التنكيل .

هل هناك رقابة اشتراكية ؟

اما النظرة الاخرى فترى فى الرقابة الى جانب انها « الوظيفة الخاصة بملاحظة التنفيذ وقياس النتائج ، ومقارنتها بالخطط ، او المعايير أو السياسات أو اللوائح ، أو الاوامر الادارية الموضوعة ، وتحديد الانحراف ، درجته واسبابه لاتخاذ اللازم لعلاج القصور » (١) فانها ايضا تحقق :

● رقابة المجتمع على الاستخدام الامثل لموارده وامكانياته وفق الاولويات التى تكفل اشباعا متناميا للحاجات المادية والروحية المتزايدة — لجميع اعضائه — وضمان عدالة توزيع العائد وهذا هو الجانب السياسى والاجتماعى للرقابة الى جوار جانبها الفنى .

● ضمان اكمل تعبئة لقوى المجتمع وحفز وأطلاق مبادرات العاملين، فالرقابة ليست مجرد اداة لكشف الانحراف ، بل هى ايضا وسيلة لتحسين الاداء واكتشاف طرق اكثر فاعلية وكفاءة ، والوصول الى استعمالات جديدة . فالعامل فى المجتمع الجديد عندما يحس بأن الانتاج له ولاسرته ، ومع التقدم التكنولوجى الذى يغير من الطابع العضلى للعمل ويزيد من جانب التفكير والابداع ، وينمى اليقظة ، هذا العامل تنمو لديه قدرة رقابية ، أو حاسة سادسة لتحسين الانتاج وترقيته والتوفير فى الخامات . وهنا يبدو الطابع « الايجابى » لعملية الرقابة . وعندهــا تصبح الرقابة اداة لترشيد الانتاج على نطاق المجتمع ، لا مجرد ترشيده على نطاق المشروع ، وتكف عن ان تكون أداة عقابية فحسب .

لذلك اهتمت التجارب الاشتراكية منذ ايامها الاولى بمسألة الرقابة على الانتاج ،ناهيك عن الرقابة السياسية العامة، فقد قدم لينين« مشروع نظام للرقابة العمالية » فى ٢٧ أكتوبر ١٩١٧ أهم ماجاء فيه :

● تطبق الرقابة العمالية فى المشروعات التى لا يقل عدد العاملين بها عن ٥ أشخاص ، أورقم اعمالها عن ١٠٫٠٠٠ روبل فى السنة .

● يقوم بها جميع عمال المؤسسة مباشرة او بواسطة مندوبين يختارون فورا ، وفى اجتماعات عامة .

● ممنوع توقيف الانتاج دون اذن مندوبى العمال المنتجين .

● توضع امام مندوبى العمال جميع السجلات والوثائق ، والمستودعات واحتياطيات المواد والمنتوجات والادوات .

● قرارات المندوبين الزامية ، ولا يلغيها غير النقابات ، والمؤتمرات النقابية .

● فى جميع المؤسسات التى تتسم بأهمية تشمل الدولة كلها ، يعلن جميع المالكين وجميع الممثلين المنتخبين عن العمال والمستخدمين ، من اجل تطبيق الرقابة العمالية مسئولين امام الدولة عن النظام الصارم غاية فى الصرامة وعن الانضباط وعن صيانة الاموال . المذنبون عن الاهمال ، وعن اخفاء الاحتياطيات والحسابات وخلافها ، يعاقبون بمصادرة جميع اموالهم وبالسجن حتى خمس سنوات .

● السوفيتات المحلية لنواب العمال والمجالس العامة للجان المصانع ،وكذلك لجان المستخدمين فى اجتماعات عامة ، تضع قواعد اكثر تفصيلا للرقابة العمالية .

الرقابة والتخطيط والمركزية

طورت الرأسمالية ، خاصة فى مرحلتها الاحتكارية ، وسائل للقياس والمقارنة والرقابة على مستوى عال من الدقة والكفاية . الا ان ذلك لم يكن على نطاق المجتمع كله ، بل اقتصر على ترشيد الانتاج « وحمايته » **على نطاق المشروع**، كما انه لم يكن يهدف مصلحة كل اعضاء المجتمع، بل حماية مصلحة« المالكين » فحسب .

أما الاشتراكية فلها فضل اضفاء دور اجتماعى وسياسى على الرقابة ، وجعلها اداة للوصول

---

(١) د. على عبده عبدالمجيد ، محاضرات فى المراقبة الادارية .

الى افضل البدائل لاستخدام موارد المجتمع، ولتحسين عملية التخطيط ذاتها ، بتبيان مدى تجاوبها مع الظروف الواقعية للتنفيذ ، وما اذا كان الانحراف يرجع لعيب فى التخطيط نفسه ، أم لقصور فى التنفيذ •

وحيث ان الرقابة لاتنفصل عن التخطيط ـ فهو الذى يوفر لها معايير القياس والمقارنة ـ فقد اختلف مداها ضيقا واتساعا ، حسب درجة المركزية فى التخطيط . واساسها درجة المركزية فى سلطات جهاز الدولة ، او الحزب الحاكم . والتجارب تؤكد ذلك سواء فى الاتحاد السوفيتى ، او يوغسلافيا ، او حتى فى دول العالم الثالث . ففى البدء تكون الرقابة تفصيلية الى اقصى حد ، ويرجع ذلك الى عنف مقاومة الطبقات القديمة فى بداية التحول الاجتماعى ، فضلا عن بساطة وسهولة تحديد الاولويات والموارد فى تلك المرحلة، والميل الى تركيز السلطات فى يد اجهزة الدولة وقيادات العمل السياسى ، واشتداد رغبتها فى الاطمئنان الى كل صغيرة وكبيرة • خاصة وان الوعى العام بالملكية العامة لايكون قد نضج واكتمل بعد، كما ان الموقف من العمل لايكون قد خرج بعد عن نطاق «الافق الضيق للحق البرجوازى الذى يرغم المرء على الحساب بحرص شيلوك فلا يعمل نصف ساعة زيادة على مايعمل أخر ولايقبض اخر مما يقبضه اخر ••

وفى هذه المرحلة الاولى من التحول الاجتماعى المخطط والتى تتميز بنوع من الافراط فى المركزية السياسية التى تنتقل عدواها الى المجال الادارى ، تنتشر عيوب العملية الرقابية ونواقصها واهمها : سوء فكرة المنفذين عن القائمين بالرقابة ، وتشكك هؤلاء فيمن يقودون بالتنفيذ ، تفاقم البيروقراطية كالاعتماد قبل الصرف ، وكثرة التوقيعات ، وتعدد اللوائح والاوامر والقرارات وتناقضها واهتمام عملية الرقابة بعدم مخالفة هذه القواعد حتى لو كان معنى ذلك السلبية والقاء المسئولية على الغير، وعدم تحقيق الاهداف او تحديد معايير جدية تتم الرقابة على اساسها وتعدد وتضخم اجهزة الرقابة التى تراقب الشركات والتى تراقب بعضها بعضا والتى تكثر طلباتها من الوحدات الانتاجية بحيث يذهب ٤٠ فى المائة من وقت العاملين فى الرد على هذه الطلبات ، وفى تزوير البيانات المطلوبة ومعظمها بلا هدف أو معنى ، وارتفاع صراخ القائمين على الانتاج من هذا التدخل والتعطيل . وبالطبع فان كثيرا من صراخ هؤلاء هو «صراخ »مغرض ، اذ ان جزءا كبيرا منهم فى المراحل الاولى من التغيير الاجتماعى يكون من اصحاب المشروعات المؤممة ، او من موظفيهم السابقين ،او ممن لازالت الافكار الرأسمالية عالقة بأذهانهم مما يقتضى فرض رقابة صارمة جدا من جانب المجتمع ومن جانب الدولة على مقياس العمل ، ومقياس الاستهلاك . خاصة وان الرأسمالية كما يقول لينين « قد جعلت من هذا الحساب وهذه المراقبة أمرا بسيطا غاية فى البساطة . عمليات من المراقبة والحسابات يسير لحد خارق هى فى طاقة كل انسان غير أمى لا تعدو العمليات الحسابية الاربع واعطاء الايصالات اللازمة » كذلك فانه من حق المسئولين سياسيا كما يقول عبد الغفور يونس استاذ ادارة الاعمال فى كتابه « دراسات فى الادارة العامة » الاطمئنان على تطبيق المشروعات للتوجيهات السياسية ، وعلى أن عمليات وسياسة المؤسسة تتماثل مع اهداف الحكومة ، وتناسق المشاريع العامة ، وكفاية الاداء وتحقيق الوفر • ومع كل ذلك فان عملية الرقابة لايجب ان تتحول بحال من الاحوال الى عائق يمنع انطلاق الانتاج ويشل المبادرات • بحجة ضمان« اموال الشعب » فأسهل طريق الى ضياع هذه الاموال هو تعدد القرارات واللوائح والتوجيهات وتضارب جهات الاختصاص ، مما يسهل التنصل من المسئولية . فالمتلاعب لايعدم ان يجد فى تلك الوفرة الهائلة من القرارات نصا يبرر اعماله ، كما لا يعدم الشيطان ، كما يقول شكسبير نصا فى الانجيل يبرر به تصرفاته ، فضلا عن ان تضخم اجهزة الرقابة يمتص جزءا كبيرا من عائد العملية الانتاجية دون أن يقدم لها خدمة حقيقية •

الرقابة الفعالة

لكى تؤتى الرقابة النتائج المرجوة منها لابد لها أن تكون :

● **الرقابة جماهيرية :** وهى تكفل الديمقراطية للعاملين فى ابداء ما يعن لهم من ملاحظات وتؤدى الى اطلاق مبادراتهم واقتراحاتهم دونما عوائق او قيود، فليس صحيحا مايقوله بعض اساتذة الادارة من « الرقابة من وظائف المدير وحده • » بالطبع لابد من وضع الاطار التنظيمى الملائم لذلك ، والذى يوفر أوسع مشاركة ، وفى نفس الوقت يكفل

الجدية ، وهذا المنهج بجانب انه يحقق اشرافا شبه كامل ، ويكفل رؤيا اوسع متعددة الجوانب والخبرات ، فانه يدرب جموع العاملين على عملية الادارة والمشاركة ، ومن ثم لا تظل هذه الاساليب حكرا على اقلية معينة ووسيلة للحصول على مزايا ، اننا بذلك نعلم الجماهير درجة من « البيروقراطية » حتى لا يحتكرها البعض من دون الناس جميعا . وفي هذا المجال يقول لينين : «يتعلم الجميع الادارة ، ويديرون في الواقع بصورة مستقلة الانتاج الاجتماعي ، ويحققون بصورة مستقلة الحساب ، ورقابة الطفيليين ، والافندية والمحتالين ومن على شاكلتهم من « حفظة تقاليد الرأسمالية » عندئذ يصبح المتهرب من حساب الشعب ورقابته امرا عسير المنال ، وأمرا نادرا جدا (لان العمال المسلحين اناس عمليون وليسوا من نوع المثقفين العاطفيين ولا نحسب انهم يطيقون المزاح مع أحد) بحيث أن ضرورة مراعاة القواعد الاساسية البسيطة للحياة في كل مجتمع بشرى ، ستتحول بسرعة كبيرة الى عادة » .

وفي هذا الصدد تقدم ألمانيا الديمقراطية تجربة طيبة ، ففي ١٩٤٦ تكونت فيها « لجان الرقابة » بهدف مقاومة التخريب في المجال الاقتصادي واكتشاف نواحي الانحراف والقصور وضمان تعبئة كل موارد المجتمع ومقاومة السوق السوداء والمضاربة وانحراف الادارة، وفي ١٩٤٧ اتخذت الكتلة المعادية للفاشية والاحزاب الديمقراطية قرارا بانشاء «لجان الرقابة الشعبية» في المدن والريف يختار اعضاؤها بالانتخاب من العمال وفئات السكان الاخرى الذين يمتازون بوعى سياسي مرتفع، وفيها تلعب النقابات دورا هاما ، وهدفها الحفاظ على النظام وتطهير الاقتصاد والادارة ، ولها حق تلقى الشكاوى والمعلومات وبحثها والتفتيش على المصانع ومراقبة أى تلاعب وبحث ظروف العمل والانتاج واقتراحات التحسين والتطوير . وهذه اللجان تعمل في انسجام مع ادارة المشروعات ومع الهيئات الحكومية المشرفة .

● **رقابة اقتصادية** : فضلا عن ان الرقابة الشاملة التي تكفل منع وقوع أى خطأ، وتغطى كل النتائج والتفصيلات أمر مستحيل فانها أمر مكلف ومعرقل لانها تستدعى اسرافا في وضع المعايير واللوائح وتضخم اجهزة الرقابة وذلك هو اقصر طريق للتلاعب وانفاق مصروفات لا عائد من ورائها ، ولذلك فان الطريق السليم هو اختيار المجالات الاستراتيجية في العملية الانتاجية ، (أولويات لمراكز أو تصرفات معينة) وفق معايير معينة تتوقف عليها نتائج العملية ووضع نظام داخلى للرقابة يضع في اعتباره طبيعة النشاط محل الرقابة ، وحجم المشروع ، ودرجة تفويض السلطة ومركزية الاداء ، ودور الدولة وأجهزة الرقابة الخارجية، ودور العاملين ومدى وعيهم ومشاركتهم ، والمرونة ويعكس شكل التنظيم الادارى ، وان يكون مبسطا ومفهوما من الجميع ، ويقوم على أسس موضوعية للقياس والمقارنة . فمثلا لا يجوز استخدام الاساليب المتبعة للرقابة في المصالح الحكومية لرقابة القطاع العام .

ويحدد أساتذة ادارة الاعمال اجراءات وضع نظام رقابى سليم في الآتى :

● **وضع الاسس** : وذلك فيما يتعلق باسس التخطيط والتى تقتضى وضع خطة متكاملة مترجمة في برامج عمل تفصيلية ونتائج كمية ونقدية، وان تكون نابعة من أجهزة التنفيذ ، وان يتوفر مفهوم موحد للخطة ، اما فيما يتعلق بأسس التنفيذ فهى تتطلب فهما موحدا لمنطق وفلسفة التنفيذ ، وان يكون تفويض السلطة معادلا للمسئوليات لتوفير الامكانيات اللازمة للتنفيذ وتحديد المجالات الاستراتيجية للرقابة .

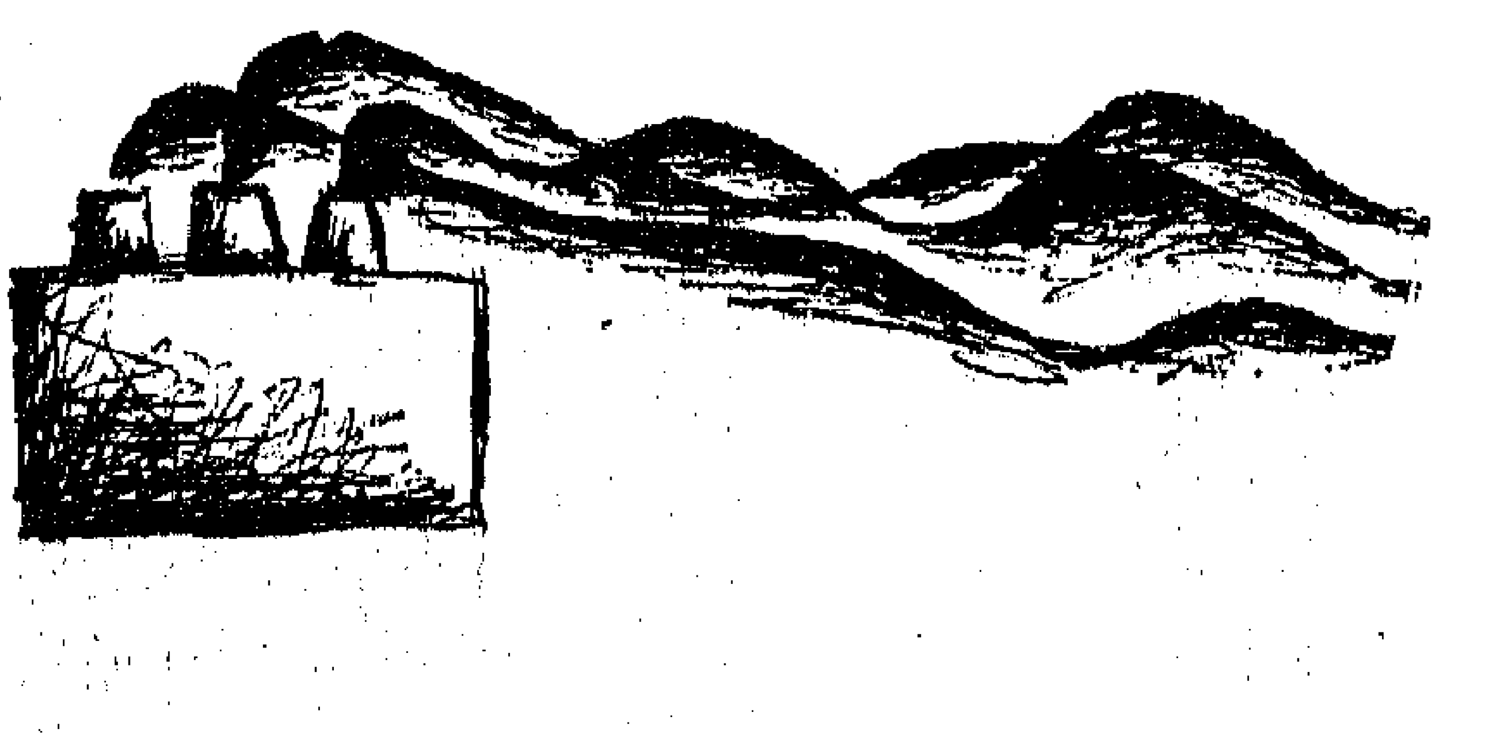
● **تحديد معايير القياس** : بطرق علمية تتجنب المقاييس الشخصية ، وتمنع التلاعب بها، ومن ثم نشوء الحاجة الى مزيد من هذه المقاييس ، والمقاييس نوعان : ملموس وهذا أمر يسهل تحديده ، ومقاييس غير ملموسة وتلك تقتضى دقة وخبرة في اختيارها، وفي بيان مدى توافرها في كل مشروع على حدة

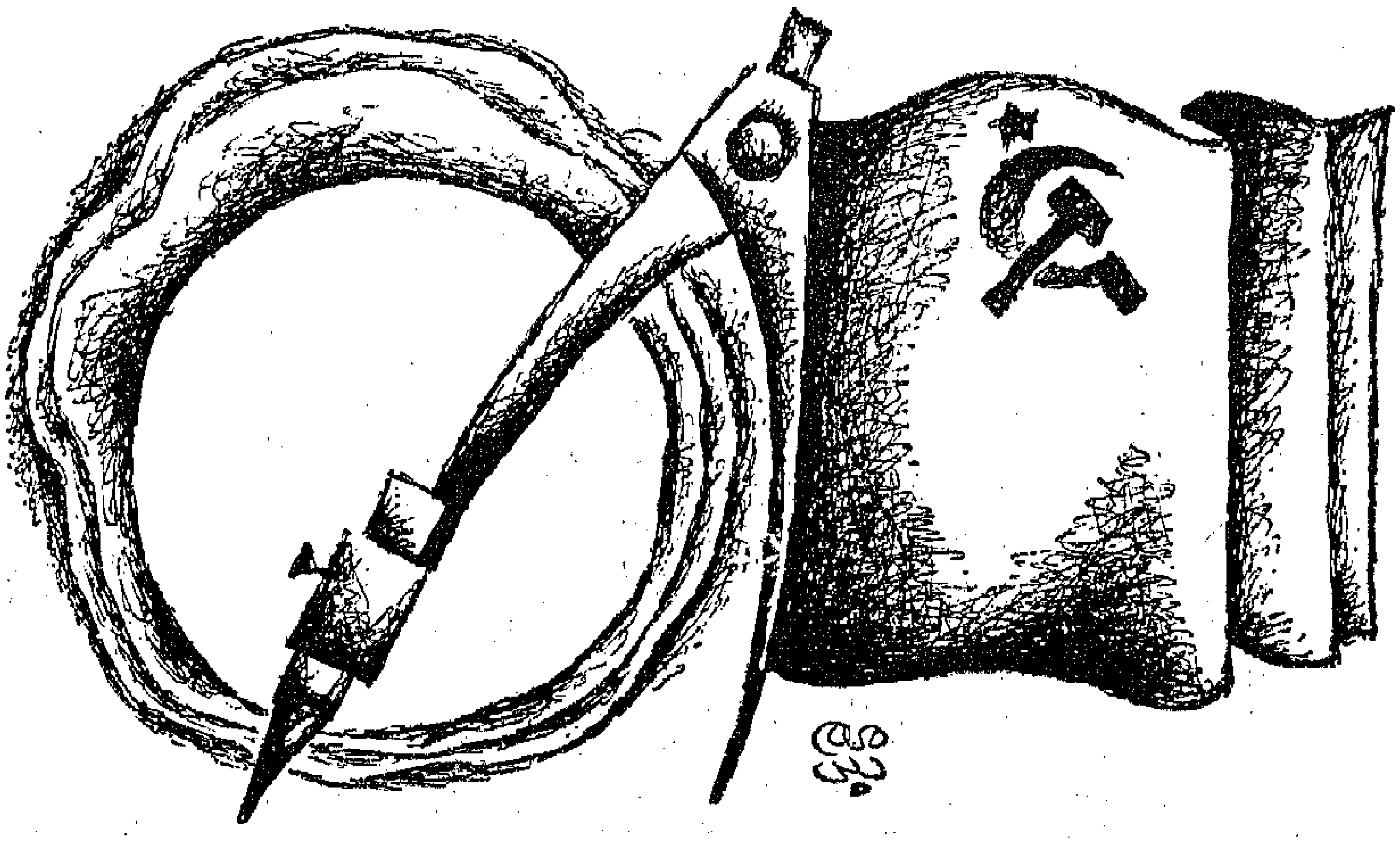
● **قياس ومقارنة النتائج** : ويراعى في القياس ظروف التنفيذ من حيث توافر التسهيلات المادية والبشرية ، ووضع ظروف المشروع الداخلية والخارجية في الاعتبار ، اما المقارنة فتحدد نواحي القصور والزيادة واسبابها وطريقة علاجها.

● **تصحيح الانحراف** : وهو عمل اداري وسياسي ، قد يقتضي تعديلا في الخطة نفسها او في معدلات ومعايير القياس أو في ظروف العمل أو تعديل اللوائح والاختصاصات .. الخ ويراعى الا يصحب ذلك باجراءات عقابية ، الا في حالة الاهمال الجسيم والتلاعب ، كما تراعى السرعة ايضا فيتصحيح الانحراف حتى لا تفقد الرقابة جديتها في نظر العاملين .

والواقع ان التغييرات الاجتماعية والتحولات التي تطرأ على الاقتصاد وعلى جهاز الدولة تعتبر هي المقدمات الضرورية لقيام رقابة شعبية عريضة . فالرقابة تتوقف دائما على مستوى التطور الاجتماعي ، وعلى طبيعة العلاقات الاجتماعية ، وذلك من حيث مداها ومهامها وأهدافها وصعوبتها « فالسبب الجذري للمخالفات (عند لينين) والتي تتجلى في الاخلال بقواعد الحياة في المجتمع هو استثمار الجماهير وعوزها وبؤسها وعند مايزول هذا السبب الرئيسي تأخذ المخالفات في الاضمحلال لا محالة » وتكمن اهمية الرقابة فيان لهاتأثيرا ايجابيا ملحوظا على التطورات اللاحقة للمجتمع من حيث انها تؤدي الى اكتمال وارتقاء عملية التخطيط ذاتها وتحسين ادواتها ، وتكفل كشف أحسن سبل الاداء واطلاق المبادرات ، فضلا عن انها تعود قطاعات متزايدة من السكان ، خلال المشاركة ، على عملية الادارة والاشراف والتوجيه وتوفر لها خبرة ثمينة ، كما انها أداة فعالة لتلافي العجز والقصور وانتهاك أولويات المجتمع وقوانينه ، واذا ما أحسن استخدامها ساهمت في القضاءعلى البيروقراطية واللامبالاة . والرقابة الذاتية والتي تتوقف على مستوى وعي العاملين ونضجهم هي اكثر انواع الرقابة فعالية وكفاءة . فالرقابة التي تأتي من أعلى كما يقول **فريتزمور شتين ماركس** في كتابه « **دولة الادارة** » هي عامل خارجي بالنسبة للذين تفرض عليهم واذا لم تحظ بقبول منهم فانها تصبح اقحاما وتدخلا خارجيا في الدائرة الشخصية . فينظر اليها على انها قوة خارجية تقابل بالاعراض ومحاولة هزيمتها » .

ومن ثم فلابد لنظام المراقبة من أن يحقق الموازنة بين حرية ومبادرة المشروع وبين اعتبارات التخطيط المركزي — وتلك مشكلة عجزت دولكثيرة عن حلها — ولن يتأتى ذلك الا بايجاد اشكال ذاتية للرقابة ، جماهيرية وديمقراطية ، يلعب فيها العمل السياسي الجاد المتطوع والتوعية الاشتراكية الحقيقية الدور الاساسي ، بحيث لا يصبح فيها كما يقول الرئيس عبد الناصر ، مكانا « للتجار او للدلاديل » ولاشك أن المضي الى الامام في التحويل الاجتماعي يسهل بنفس القدر عملية الرقابة « فالناس عندما يتخلصون من العبودية الرأسمالية ومما لا يحصى من أهوال الاستثمار الرأسمالي ، وفظاعاته وحماقاته ، يعتادون شيئا فشيئا مراعاة القواعد الاولية للحياة في المجتمع » لان العمل حينذاك لا يصبح وسيلة للحياة فحسب بل الحاجة الاولى لها .





وحدة التخطيط والرقابة فى التجربة السوفيتية

ابراهيم خليل بيوعى

تتميز ادارة النشاط الاقتصادى فى الاتحاد السوفيتى — وفى كثير من الدول الاشتراكية — بأن اجهزة التخطيط هى نفسها اجهزة الرقابة على القطاع العام . وهى اجهزة متكاملة مترابطة ، على رأسها جهاز التخطيط المركزى (الجوسبلان) ، والمجلس الاقتصادى والجهاز المصرفى . هذا بجانب رقابة الاجهزة الادارية الاخرى كالوزارات والادارات العامة والمؤسسات العامة بالاضافة الى الرقابة الشعبية التى تمارسها المنظمات السياسية والاجتماعية كالحزب الشيوعى والنقابات العمالية .

وتتم تعبئة مواردالمجتمع السوفيتى وفقالخطة اقتصادية شاملة يضعها جهاز التخطيط المركزى وفروعه الاخرى المعاونة ، ويقوم بتنفيذها المؤسسات العامة ويتابع تنفيذها اجهزة التخطيط والجهاز المصرفى والاجهزة التنفيذية والتى ترتبط ارتباطا وثيقا بجهاز التخطيط على كافة المستويات القطاعية والاقليمية .

« والجوسبلان » هو جهاز التخطيط المركزى ، مهمته وضع خطة موحدة وشاملة للاقتصاد القومى ، ويكون مداها من خمس الى سبع سنوات تنقسم الى خطط سنوية ، وعليه متابعة سنوية ـ والجوسبلان لا يتبع مجلس الوزراء ، ولكنه على صلة وثيقة بكافة الاجهزة التخطيطية والتنفيذية على كافة المستويات ، وله فروع على مستوى القطاعات النوعية او على المستويات الاقليمية حتى مستوى القرية .

وينقسم الجوسبلان الى ثلاثة اقسام رئيسية وهى :

١ — قسم قطاعى مهمته وضع خطة على مستوى

القطاعات الاقتصادية كالصناعة والزراعة والتجارة .. الخ .

٢ ـ قسم وظيفى مهمته التوفيق بين خطط هذه القطاعات .

٣ ـ قسم للتنسيق ويقوم بوضع الخطة الموحدة فى اطارها الفنى

كما ينقسم الجوسبلان على مستوى الجمهوريات حيث يوجد « جوسبلان » فى كل جمهورية، ينقسم بدوره الى عدد من الادارات الاقتصادية والاقليمية ، ويقوم بنفس الدور الذى يقوم به الجهاز المركزى ولكنه على مستوى الجمهورية .

ويعهد الى مجلس البحوث الاقتصادية بوضع خطة طويلة الاجل ، وبحث المقترحات الخاصة بتطوير القوى الانتاجية والمشكلات الاقتصادية والصناعة منها بوجه خاص .

أما مجلس الاحصاء فهو جهاز مركزى على مستوى مجلس الوزراء ، وله فروع فى جميع الجمهوريات والاقاليم والمدن . ويتولى مد الجوسبلان بالبيانات الاحصائية المستخدمة فى وضع الخطة .

ويتولى المجلس الاعلى للاقتصاد القومى مهمة التنسيق بين مجلس البحوث الاقتصادية والجوسبلان ، وكذلك وضع السياسات الاقتصادية العامة . وهو يتبع مجلس الوزراء مباشرة .

اجـراءات التخطيط وكيف تتم فى كل الاجهزة المختلفة

يبدأ الجوسبلان بوضع مشروع الخطة حسب توجيهات الحزب ، وعلى ضوء بيانات الجهاز المركزى للاحصاء ولجان الجوسبلان المختلفة . فتقوم الاقسام الفرعية للجوسبلان بوضع تقديرات أولية عن الخطة ومقارنتها بالارقام الواردة اليها من اقسام التخطيط التابعة للوزارات ، ثم تعرض هذه الارقام والتقديرات على الاقسام الوظيفية فى الجوسبلان وتكون عرضة للتعديل الاولى . ثم تعرض على قسم التنسيق لدمج هذه الخطط فى خطة شاملة تمهيدا لعرض مشروع الخطة على جهاز الجوسبلان على مستوى الجمهوريات ثم على المستوى المركزى ، وتعرض بعد ذلك على مجلس الوزراء الذى له حق مراجعة مشروع الخطة بالتعديل . وفى نفس الوقت تبدأ عملية التخطيط فى القاعدة على مستوى المشروع طبقا لمبدأ الديمقراطية المركزية . وتتكون من عدة أقسام تشمل برامج الانتاج وتطويره من الناحية الفنية ، وجداول العمالة والاجور ، والتكاليف ومستلزمات الانتاج ، والانشاءات الرأسمالية والجداول المالية ، وهذه الاخيرة تترجم الجداول العينية الى أرقام مالية تبين حجم المدفوعات والايرادات المنتظرة والفائض المستهدف .

ويشترك العمال واللجنة النقابية ووحدة الحزب داخل المشروع فى وضع الخطة . وتضع خطة المشروع عددا من الاهداف التفصيلية بينما لا تحدد الخطة القومية سوى أهداف ومؤشرات عامة . ويرسل كل مشروع خطته المبدئية الى المجلس الاقتصادى الاقليمى الذى يتولى التنسيق بين خطط المشروعات المختلفة فى الاقليم الواحد ، ويرفعها الى الجوسبلان على مستوى الجمهورية الذى يقوم بدراسة خطة كل اقليم ، على حدة ثم دراستها مجتمعة ورفعها الى جهاز التخطيط المركزى ، الذى يتولى مقابلتها بالاطار المبدئى للخطة ، التى قام بوضعها من قبل ، ثم وضع الاطار العام للخطة تمهيدا لارسالها الى مجلس السوفيت الاعلى حيث تصبح قانونا ملزما للوحدات تتولى تنفيذها وتوقع على المخالفين والمهملين اقصى العقوبات .

الرقابة على تنفيذ الخطـة

تراقب الاجهزة التخطيطية بصفة منتظمة ومستمرة مدى تنفيذ الوحدات للاهداف ، ومدى التزامها بالجداول التى تبين طريقة التنفيذ ، وتحدد عدة معايير ومقاييس للانتاجية والتكاليف والفائض الواجب تحقيقه . وهذه المعايير تعتبر المؤشرات التى تعتمد عليها الاجهزة فى مباشرة مهمتها الرقابية . فالخطة عبارة عن ميزانية تقديرية فى شكل جداول متناسقة تختص بالانتاج والانفاق المالى والقوى العاملة والاجور والمواد المستخدمة . وهى مصحوبة بتوقيت زمنى لمراحل التنفيذ .

واذا كان هناك عديد من الاجهزة تشارك فى عملية الرقابة الا اننا سوف نتعرض للأجهزة الرقابية الاساسية ، وهى ممثلة فى الجوسبلان

والمجلس الاقتصادى والجهاز المصرفى بجانب الرقابة الشعبية التى يمارسها الحزب الشيوعى والنقابات العمالية ٠

رقابة الجوسبلان

تقتصر مهمة الجوسبلان فى مجال الرقابة على الحصول على البيانات والمعلومات عن طريق فروعه ومن الجهاز المركزى للاحصاء ومن بنك الدولة والوزارات المختلفة حيث يتيسر له المقارنة والمقابلة ليتأكد من صحة البيانات ، ثم يتولى مطابقة البيانات الواردة بالمعايير الموضوعة مقدما ٠ وهو يتبع طرقا محاسبية موحدة تسهل عليه عملية المقارنة بين المشروعات ٠ وتتمثل المعايير الفنية فى معايير عن الانتاجية لكل من الآلات ومعدلات أدائها ، ولكل مرحلة من مراحل الانتاج ، ومعايير للمدخلات الخاصة بكل منتج نهائى وتشمل استهلاك الالات والقوى المحركة والمواد الخام والعمل ، ومعدلات عن الانتاج وفترة الدورة الانتاجية ، ومعايير عن المخزون من المواد الخام والسلع الوسيطة والسلع تامة الصنع ، وكذلك معايير عن التكاليف النمطية ٠ وبجانب تلك المعايير الفنية توجد معايير زمنية هدفها التأكد من انسياب المواد الخام والسلع الوسيطة الى الوحدات الانتاجية لضمان عدم حدوث اختناقات فى العمليات الانتاجية ٠ وكذلك انسياب السلع النهائية الى منظمات الاتجار بالجملة وبالتجزئة والى المستهلكين للتأكد من عدم حدوث اختلال فى التوازن بين المطلوب والمعروض من السلع فى الاسواق ٠

ويصبح الالتزام بهذه المعايير وتنفيذها بمثابة رقابة على الاداء وتحديدا لكفاءة المشروع ومقياسا لواقعية الخطة ، ولدرجة تحقيقها للاهداف الموضوعة ٠ وعلى ضوء التحليل الذى يقوم به الجوسبلان تستطيع الاجهزة المختلفة ان تتخذ من الاجراءات الاقتصادية أو الادارية المناسبة ، كما أنه من حق الجوسبلان أن يقوم بتعديلات فى الخطة بما يتفق والظروف الواقعية ، مثال ذلك حذف بعض المشروعات ، أو تعديلها ، أو القيام باستثمارات جديدة ٠

رقابة المجلس الاقتصادى

ويقوم المجلس الاقتصادى بدور مماثل للدور الذى يقوم به الجوسبلان فى مجال متابعة تنفيذ الخطة ٠ فله حق مراقبة نشاط المشروعات فيما يختص بمراجعة معدلات استخدام المواد الخام والالات ومعايير الاداء للافراد وقياس انتاجية الوحدات ومدى تحقيقها للفائض المستخدم وكذلك مراجعة حساباتها ومقابلة جداول الانتاج بالنتائج التى تحققت ، غير ان المجلس الاقتصادى يمتاز عن الجوسبلان بأنه يجمع بين عمليتى التخطيط والادارة معا ٠ فبجانب دوره فى التخطيط ، يدير المشروعات فيعين مديريها ، ويشرف على المواد الخام التى تحصل عليها والسلع النهائية التى يتم تسليمها لمنظمات الاتجار ٠ ٠ وله حق التدخل عند حدوث أى اختلال او انحرافات ، وله سلطة اتخاذ أى اجراءات اقتصادية أو ادارية تضمن تنفيذ أهداف الخطة وفقا للمعايير المحددة ٠ كما له حق اقتراح تعديل الخطة او القيام باستثمارات جديدة ٠

رقابة الجهاز المصرفى

يعتبر الجهاز المصرفى فى الاتحاد السوفيتى ــ وفى الدول الاشتراكية عموما ــ من أهم الاجهزة التى تساهم فى وضع الخطة وفى متابعة تنفيذها ٠ وذلك بحكم تعامله مع كافة المشروعات فى القطاعات الاقتصادية المختلفة ومنظمات الدولة وتركز جميع الوسائل النقدية للاقتصاد القومى فيه ٠ ومما يسهل له القيام بهذه المهمة انتشار فروعه فى كافة الاقاليم والمدن والقرى ٠

وينقسم الجهاز المصرفى فى الاتحاد السوفيتى الى اربعة بنوك وهى :

- بنك الدولة
- بنك الاستثمار
- بنك التجارة الخارجية
- بنك الادخار

وهذه البنوك متخصصة تعمل كجهاز واحد ، وبدون منافسة فيما بينها ، ولا تهدف الى تحقيق ربح ٠

ويتولى بنك الاستثمار التمويل طويل الاجل للاستثمار فى الاصول الثابتة فى كافة القطاعات الاقتصادية فيما عدا الزراعة والاسكان الريفى • وتغطى ميزانية الدولة حوالى ٧٠ فى المائة من موارد البنك ، ويمول الباقى عن طريق مخصصات الاستهلاك والفوائض التى تحققها المشروعات • وتخصص هذه الاموال لتمويل المشروعات الجديدة لتكوين أصولها الثابتة ، وقدر مناسب من الاصول المتداولة حتى تسير عجلة الانتاج • وفى سبيل ذلك يحتفظ بخطة كل مشروع استثمارى ، ويفتح له حساب للمبالغ المتدفقة وأوجه الانفاق ، ويراقب من خلاله معدلات الانفاق ومضاهاتها بالتكوين الرأسمالى طبقا للمعايير الفنية والزمنية المحددة فى الخطة — وبانتهاء فترة التشييد ومع بداية المشروع الجديد فى مباشرة عملياته الانتاجية ، يحول حسابه الى بنك الدولة لمباشرة مهامه فيما يختص بالعمليات الانتاجية •

ويقوم بنك التجارة الخارجية بدور رئيسى فى تنظيم التجارة الخارجية ، فيتولى اعداد الاتفاقات التجارية واتفاقات الدفع • ويراقب البنك العملات الاجنبية عن طريق تحصيل المطلوبات الخارجية واصدار خطابات الاعتماد ، ويعد حسابات المقاصة ، ويقوم بعمليات التحويلات النقدية للسائحين ، ولا تتم المعاملات الخارجية اويسمح بطلب تسهيلات ائتمانية من الخارج الا عن طريقه • كما يشترك فى وضع خطة النقد الاجنبى ومتابعة تنفيذها •

اما عن بنك الادخار ، فالوظيفة الاساسية له هى تجميع مدخرات السكان كوسيلة من وسائل تركيز موارد الشعب ، وتوجيهها توجيها منظما للاستثمارات •

الرقابة المالية على المشروعات أو رقابة بنك الدولة

يعتبر بنك الدولة المسئول الاول عن الرقابة المالية على تنفيذ الخطة عن طريق الرقابة على العمليات النقدية ، حيث يحتفظ بحساب واحد لكل مشروع توضع فيه كل نتائج عملياته من ايرادات ومدفوعات • وكل روبل يتم صرفه لابد ان يكون قد سبق اقراره فى أحد بنود جداول الخطة .ولذلك يعتبر البنك مسئولا عن احكام الرقابة على تحقيق اهداف الخطة •

فالبنك يحتفظ بنسخة من الخطة الانتاجية والمالية لكل مشروع فى شكل جداول مادية واخرى مالية • فالجداول المادية يحدد فيها حجم الانتاج ونوعه ، وكميات المواد الخام المستخدمة، وحجم العمالة والمخزون من المواد الخام والوقود ومصادر الطاقة وخلافه والبرامج الزمنية لتنفيذ الخطة • وتعتبر الجداول المالية بمثابة ميزانية تقديرية ، وهى ترجمة لكل الجداول المادية لخطة المشروع • والرقابة التى يمارسها البنك تأخذ شكل الرقابة المستندية او المحاسبية بجانب الرقابة على الاداء •

وللبنك سلطات واسعة لضمان تنفيذ اهداف الخطة ـ فله حق الاشراف على نشاط المشروعات فى نطاق العمل وارسال الخبراء لفحص العمليات واسداء النصح للمشروعات واعادة النظر فى تعديل الاعتمادات المالية المخصصة على ضوء الظروف الفعلية • كما ان من سلطته توقيع الجزاءات الائتمانية ضد المشروعات التى لا تسدد قروضها فى المواعيد المحددة • وهو لذلك يطلب تدخل المجلس الاقتصادى ــ بصفته سلطة ادارية ــ لتقديم الضمانات لسداد القروض . وقد يتخذ المجلس بعض الاجراءات الادارية لتنظيم سير العمل فى المشروع • كما ان البنك قد يلجأ الى معاملة المشروع معاملة خاصة بتجديد الائتمان لمواصلة نشاطه أو زيادة أو انقاص حجم الائتمان ، او قد يضطر فى النهاية الى التوصية بتصفية المشروع •

وحتى يتمكن البنك من احكام الرقابة على المشروعات فان هناك قواعد عامة تحكم المعاملات المالية للمشروعات وعليها ان تلتزم بها وهى :

اولا : ان كل مشروع لابد ان يحتفظ بحسابه فى البنك •

ثانيا : ان جميع الحسابات بين المشروعات لا تسوى نقدا ولكنها تسوى عن طريق البنك الذى يقوم بعمل مقاصة بين المشروعات • وان كل ايرادات المشروعات لابد ان تصب فى البنك وكذلك كل مدفوعاته لا تتم الا بموجب شيكات تدفع عن طريق البنك ، ولا يسمح للمشروع بالاحتفاظ بالنقود الا فى حدود ضيقة لمواجهة بعض المصروفات الجارية فى حدود مبالغ صغيرة محددة •

ثالثا : يحظر على المشروعات ان تمنح اى ائتمان تجارى فيما بينها ، فلا يستطيع مشروع مثلا ان يؤجل الدفع لمشروع آخر •

ويترتب على ذلك ان كل التدفقات النقدية بين المشروعات تتم بواسطة البنك •

سعر الفائدة ••

أحد الاسلحة الرقابية

يتخذ البنك سعر الفائدة كأحد الاسلحة الرئيسية فى الرقابة على وحدات القطاع العام • فهو يفرض سعر فائدة مرتفع على المشروعات التى لا تسدد قروضها فى المواعيد المحددة • كما يقرض بسعر فائدة منخفض على القروض الممنوحة للمشروعات التى تتجاوز اهداف الخطة • وطالما ان الفائدة تستقطع من الفائض الذى تحققه المشروعات ، والذى يحتجز جزء منه لمكافأة العاملين ، فان سعر الفائدة المرتفع يؤدى الى خفض ذلك الجزء المقتطع من الارباح والمخصص لمكافأة العاملين ، وبالعكس يعنى سعر الفائدة المنخفض حافزا للادارة على زيادة كفاءتها •

ويلعب سعر الفائدة دورا كبيرا فى ادارة النشاط الاقتصادى الاشتراكى • فالقرض النهائى الذى يرمى اليه استخدامه على المستوى القومى يتمثل فى ان الدولة تضع تحت تصرف المشروع الحد الادنى من احتياجاته من الاصول الدائرة لمباشرة عملياته الانتاجية • وتسمح له بالاقتراض من بنك الدولة لتمويل عمليات الشراء مثلا او لمواجهة اى احتمالات مقابل الفائدة المحددة . وفرض سعرفائدةمنخفض علىالاموال المقرضة للمشروعات التى تسدد قروضها فى المواعيد المحددة انما يعنى حفزها على زيادة معدل دوران رأسمالها الدائر بتقليل وقت الانتاج وتقليل المخزون من السلع والخامات الى الحدود المعقولة بما ينعكس على التكاليف بالانخفاض من ناحية ، وفى نفس الوقت تؤدى سرعة دوران رأس المال الدائر الى تحرير جزء من الاصول الدائرة يمكن استخدامه للتوسع فى الانتاج او منحه لمشروع آخر [1] • لهذه الاسباب يبرز سعر الفائدة كأحد الاسلحة الرقابية الاساسية التى يباشر بها بنك الدولة اعماله الرقابية على وحدات القطاع العام •

الرقابة على الكليات الاقتصادية

وبجانب الرقابة التى يمارسها البنك على وحدات القطاع العام فان وضعه الوظيفى يمكنه من القيام بالرقابة على النشاط الاقتصادى على المستوى القومى • فبنك الدولة على علم تام بظروف الاقتصاد القومى كله عن طريق حصوله على بيانات من المشروعات بصفة دورية وعن طريق سيطرته على جميع وسائل الدفع وعلى العلاقات التى تثيرها المدفوعات بين المشروعات • ومن هذا الموقع يستطيع البنك ان يراقب معظم حسابات الاقتصاد القومى •

فالمواد الخام والسلع الوسيطة وتامة الصنع من حيث كمياتها ونوعها واسعارها تخضع لرقابة البنك ــ وهو على علم تام بكل التدفقات السلعية وكذلك التدفقات المالية بين القطاعات المختلفة •

وعن طريق كميات السلع تامة الصنع المسلمة لمنظمات الاتجار بالجملة والتجزئة ، يستطيع ان يتعرف على حجم المعروض من السلع فى الاسواق ، وعن طريق الاجور التى يتمدفعها يستطيع التعرف على حجم القوة الشرائية المخصصة لشراء السلع الاستهلاكية . واذا حدث اختلال فى التوازن بين العرض والطلب بنقص المعروض من السلع مثلا يتم امتصاص القوة الشرئية اما برفع اسعار السلع ، او العمل على تشجيع الادخار باصدار سندات الدولة ، او رفع سعر الفائدة للودائع الاجلة،او بانقاص حجم الاجور المدفوعة • ومن هنا كانت اهمية ربط مخصصات الاجور المدفوعة للمشروعات بالاهداف الكمية للانتاج المحددة فى الخطة ، حيث لا يسمح البنك للمشروعات بزيادة مخصصات الاجور عما هو مقرر فى الخطة الااذا قابل هذه الزيادة زيادة مماثلة على الاقل فى حجم الانتاج • وبذلك يكون بنك الدولة بمثابة عين السلطات الاقتصادية لمراقبة توازن النشاط الاقتصادى ككل •

---

[1] راجع دراسات تمهيدية [مشكلات الرقابة على القطاع العام] ــ المركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية ــ مؤسسة الاهرام .

رقابة التنظيمات الشعبية

تتمثل الرقابة الشعبية فى الاتحاد السوفيتى فى الدور الذى يقوم به الحزب الشيوعى والنقابات العمالية ، بالاضافة الى الدور الذى يقومان به فى المساهمة فى وضع الخطة •

نقابات العمال ودورها فى وضع الخطة ومتابعة تنفيذها

تشترك نقابات العمال مع الاجهزة التنفيذية فى عملية تخطيط الاقتصاد القومى ، فتسهم فى وضع خطة الاجور ، وتقديم المقترحات فيما يتعلق بمعايير الانتاج ، وتقرير التشريعات العمالية واقتراح القوانين المتصلة بشئون العمال •

كذلك تتدخل النقابات العمالية فى اختصاص بعض الاجهزة التنفيذية مثل التأمين الاجتماعى والتفتيش ، مع متابعة تنفيذ التشريعات والقوانين العمالية ومناقشة كل ما يتصل بالجوانب الاجتماعية للعمال كبناء مساكن العمال وانشاء النوادى ودور الثقافة والاندية الرياضية •• الخ •

وتشترك النقابات فى وضع خطة الاجور ومراجعة قوائمها السنوية وربطها بالدخل القومى وبكفاءة العمل على اساس ان يكون معدل انتاجية العمل اكبر من معدل زيادة الاجور لضمان تحقيق زيادة فى الفائض يخصص للتنمية • والاشراف على تحقيق المعدلات التى اقرتها النقابات العمالية من شأنه ان ييسر المهمة التى يقوم بها بنك الدولة فى متابعة تنفيذ الخطة والرقابة على حجم الانتاج والاجور حيث لا يسمح بنك الدولة – كما سبق ان ذكرنا – بأى زيادة فى الاجور الا اذا قابلتها زيادة فى الانتاج •

وتتولى نقابات العمال مراجعة معدلات الاداء سنويا على ضوء ظروف التشغيل ، واثر استخدام الالات الحديثة ، او تطوير اساليب الانتاج ، وقد تؤدى هذه المراجعة الى زيادة الاجور اذا ثبت زيادة انتاجية العمل بدرجة تبرر الزيادة فى الاجور •

وبالاضافة الى ذلك تقوم نقابات العمال بدور قيادى فى تحقيق نوع من المنافسة الاشتراكية بين العمال بهدف زيادة الانتاج ، وخفض عناصر التكلفة ، وتحقيق معدلات عالية للانتاج مع تبادل الخبرات مع المصانع المختلفة واقامة مراكز وبرامج تدريبية للعمال •

دور الحزب فى الرقابة

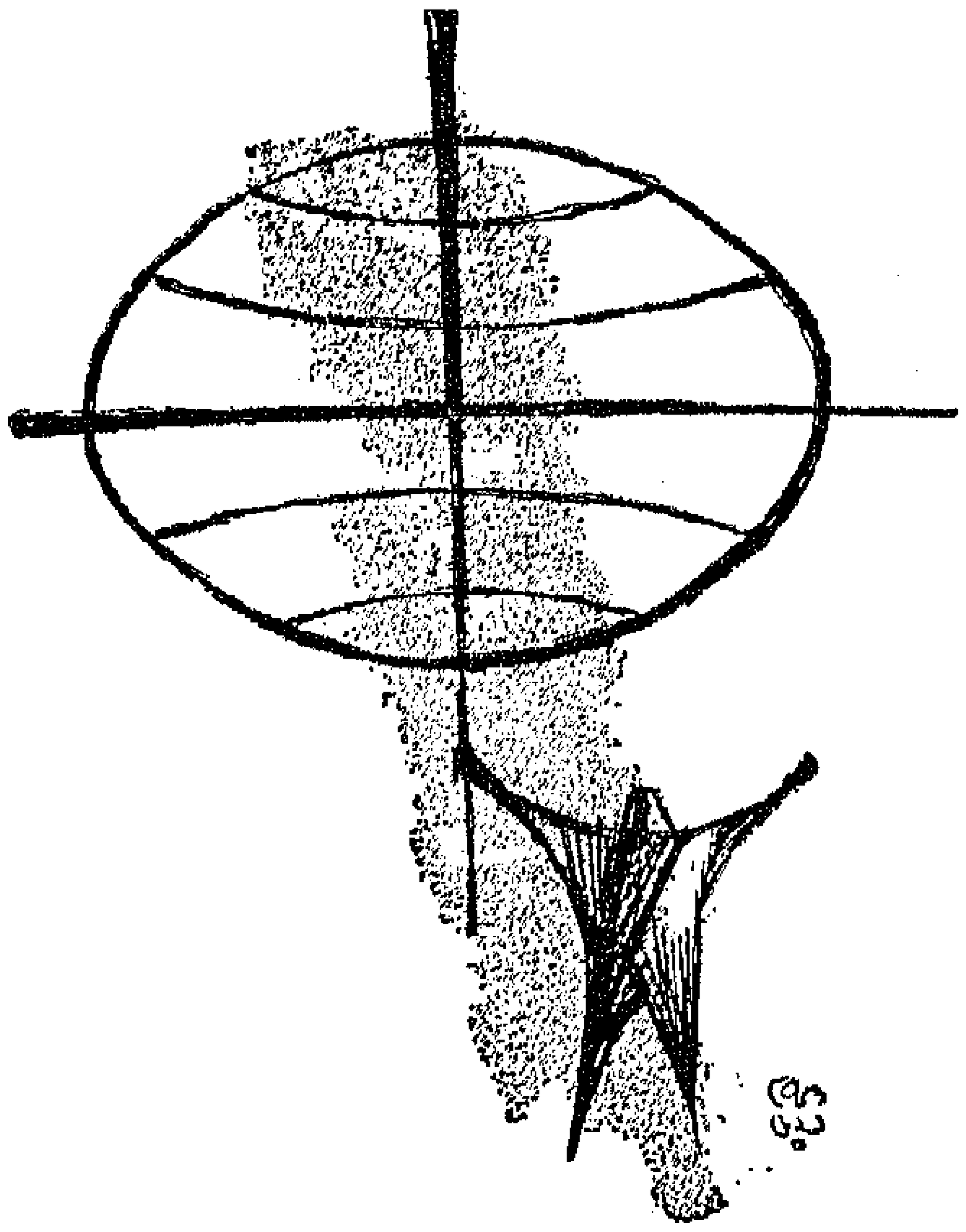
يتولى الحزب اصدار التوصيات العامة فيما يختص بالخطة القومية ، ويقوم بدور كبير فى متابعة تنفيذها •

ويضم الحزب كبار المسئولين فى الدولة ، ويؤخذ رأيه فى شغل الوظائف القيادية ويعد مسئولا عن شغل الوظائف الرئيسية •

ويهتم الحزب اساسا بالمجتمع ، بينما تعتبر النقابة تنظيما عماليا بحتا ، حيث لا يشترط تماما فى اعضاء النقابة ان يكونوا ايديولوجيين ، بينما يضم الحزب اعضاء ثوريين • وعلى ذلك فان الحزب يعتبر المحرك الاساسى للنقابات العمالية من حيث تحقيق اهداف الخطة • اما دور النقابات ، فهو نقل هذه الحركة من الحزب الى جموع العمال عن طريق لجنة المصنع • وبذلك تعمل النقابات كحلقة اتصال بين الحزب والجماهير ، وهى بذلك تعمل تحت اشراف الحزب الذى يعمل بمثابة مدرسة ايديولوجية لاعضاء النقابات على جميع المستويات التنظيمية لكل من الحزب والنقابات من الاتحاد العام للنقابات ، واللجنة المركزية للحزب ، حتى المستويات القاعدية لنقابة المصنع ووحدة الحزب داخله •

ويمكن القول بصفة عامة ان كلا من الحزب ونقابات العمال داخل الوحدات الاقتصادية يعملان بالتعاون مع ادارة المشروع ، حيث لكل منهما دور خاص يقوم به متعاونين تعاونا تاما لتنفيذ اهداف الخطة القومية •

معركة كسب الرأى العام العالمى واجبات ومهام جديدة



في الفترة مابين ١٨ ـ ٢١ اكتوبر عقد في الخرطوم اجتماع ممثلى حركات السلام العربية . وقدم خالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس القومى للسلام تقريرا يتضمن تقييما للرأى العام العالمى والتغييرات التى طرأت عليه ، ويقترح خطة متكاملة للعمل على كسبه . ولاهمية هذا التقرير رأت « الطليعة » نشر نصه الكامل .

خالد محيى الدين

منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ ، ومع استمرار العدوان وافتضاح نوايا مدبريه نشطت الحملة العالمية المعادية للعدوان والمطالبة بتصفيته نشاطا ملحوظا ..

ولقد كانت الصيحات القوية التى ارتفعت فى مؤتمر نيودلهى وفى مؤتمر القاهرة ثم فى التجمع العالمى للسلام دليلا على نضج المعركة وعلى اتخاذها ابعادا جديدة .

فقد نجحت هذه الجهود فى تحقيق خطوات اساسية من بينها :

● جذب انتباه اوساط واسعة من الرأى العام العالمى الى خطورة الوضع فى الشرق الاوسط والى كونه خطرا يهدد مناطق اخرى ، بل ويهدد سلام

العالم اجمع •وبدأت بعض القوى التي كانت تظن نفسها بعيدة عن ميدان الصراع المباشر تدرك أن هذا الصراع يهدد مصالحها بالخطر مثل دول البحر الابيض التي شعرت بالتوتر يزداد في المنطقة كلها ، ومثل الدول التي تأثرت باغلاق قناة السويس والدول التي انعكست عليها حملات الصهيونية العالمية المحمومة التي اسكرتها نشوة النصر السريع فبادرت تحيك مؤامراتها في اكثر من مكان •• وهناك ايضا المجموعات الدينية الواسعة التي يهمها صيانة الاماكن المقدسة •والحقيقة ان حادث احراق المسجد الاقصى قد حطم سمعة اسرائيل واثبت عدم قدرتها على حماية الاماكن المقدسة •

● اقتناع متزايد في اوساط واسعة من الرأي العام العالمي بعدوانية اسرائيل ، فبعد ان ظلت اسرائيل تخدع الرأي العام العالمي لسنوات عديدة متظاهرة بكونها دويلة صغيرة محاصرة بالذئاب ، كشف عدوان يونيو ١٩٦٧ النقاب عن طبيعتها العدوانيه والاستعمارية وعن علاقاتها الامبريالية العالمية وخاصة امبرياليي الولايات المتحدة والمانيا الغربية وجنوب افريقيا •

● اهتمام متزايد في اوساط عديدة من الرأي العام العالمي وحتى الرأي العام اليهودي بالكفاح الفلسطيني والشخصية الفلسطينية كعنصر جديد وفعال في ميدان المعركة . والحقيقة ان هذه الخطوة الهامة لم تكن مجرد وضع للامور في نصابها الصحيح ، ولا مجرد نهوض الاصحاب الحقيقيين للقضية للمطالبة بحقوقهم ، وانما ايضا ايقظت ضمائر وعقول الكثيرين في اوساط الرأي العام العالمي ونبهتهم الى حقيقة حاولت الصهيونية طمسها ، وهي وجود الشعب الفلسطيني وحقه في الحفاظ على كيانه القومي وحقه في تقرير المصير •

وهكذا اكتشف الكثيرون ، احزابا وحكومات وهيئات وشخصيات ان ثمة مشكلة حقيقية ، وان هذه المشكلة ليست مقصورة على عدوان يونيو وحده ، وانما هي قضية اكثر عمقا ، وانها بحاجة الى مزيد من الدراسة المتأنية لابعادها التاريخية والاجتماعية والسياسية وللافاق المحتملة التي يمكن اللجوء اليها • وقد ساعدت امور عدة على تحقيق هذه التطورات في مواقف الاتجاهات المختلفة من الرأي العام العالمي •

اولا : صمود البلدان العربية التي تعرضت للعدوان الاسرائيلي وسرعة اعادة بناء قواتها العسكرية ورفضها الاستسلام امام الضغط العسكري الاسرائيلي ، بل ان هذه الدول تقاوم وتصمد صمودا اقنع الرأي العام ان البلدان العربية وشعوبها لن تستسلم امام الغزو ولن تخضع لاسلوب استخدام القوة ، بل انها ستقاوم وتحرر ارضها مهما كلفها ذلك من تضحيات . وقد ادى ذلك الى دفع عديد من الاوساط الى اعادة النظر في كثير من ابعاد الموقف واضعة في اعتبارها الموارد البشرية والاقتصادية للبلدان العربية •

ثانيا : اتباع عديد من البلدان العربية مثل الجمهورية العربية المتحدة والاردن ثم السودان وليبيا مؤخرا سياسة خارجية كسبت احترام اوساط واسعة من الرأي العام العالمي ، وذلك بأعلان قبولها لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، بينما ظهرت اسرائيل امام العالم متخذة موقف الرفض لهذا القرار الصادر بالاجماع ، ولغيره من القرارات الصادرة من الامم المتحدة والخاصة بالقدس ومشكلة اللاجئين وغيرها. وهو امر يفضح امام الرأي العام النوايا الحقيقية لاسرائيل وطبيعة موقفها .

ثالثا : نمو الكفاح الفلسطيني في مواجهة الاحتلال والعدوان الاسرائيلي وتصاعده داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة • الامر الذي يضع امام القوى الشريفة في العالم ضرورة اتخاذ موقف محدد من هذا الكفاح •

رابعا : حدوث تطورات سياسية هامة في العالم العربي بعد يونيو ١٩٦٧ ، اهمها ثورة السودان ثم ثورة ليبيا اللتان اضافتا للقوى الوطنية والتقدمية في العالم العربي ابعادا جديدة واثرتا تأثيرا عميقا على طبيعة الموقف في المنطقة وعلى علاقات القوى في داخلها •

ان ثورتي السودان وليبيا قد اكدتا للعالم اجمع ان النصر العسكري الاسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ لم يستطع ولن يستطيع ان يوقف النمو الديمقراطي التقدمي في الوطن العربي ، بل انه فجر الطاقات الثورية الكامنة فيه دافعا الى المعركة بقوات جديدة •

وكان من نتائج هذه التطورات ان بدأت تظهر في اوساط يهود اوربا وامريكا ، بل وفي داخل اسرائيل ذاتها آراء معارضة لسياسة الحكومة الاسرائيلية العدوانية والتوسعية . البعض يعارض الفكرة الصهيونية من اساسها والبعض يعارض الاساس العنصري للدولة الاسرائيلية وعناصر اخرى تؤيد حقوق الشعب الفلسطيني بدرجات متفاوتة •

ان هذه القوى ـ وان كانت ضئيلة العدد قليلة النفوذ ـ الا انها تمثل انعكاسات جديدة لتطورات ازمة الشرق الاوسط وتضع امامنا واجب الاستفادة

منها والعمل الدؤوب على توسيع نطاقها • بل ان القضية الفلسطينية قد طرحت نفسها على الموقف العالمى دافعة بقوى عديدة الى محاولة تصفية آثار عدوان يونيو ١٩٦٧ كسبيل لتجنب تفجر الموقف تفجرا يهدد بأزمة عالمية ، ومن هنا تنبع رغبتهم فى تأييد حقوق اللاجئين الفلسطينيين واهتمامهم بايجاد تسوية للازمة •

والحقيقة ان تقديم اقتراح باقامة دولة فلسطينية ديمقراطية يعيش فيها المسلم والمسيحى واليهودى ، قد اثبت للضمير العالمى ان الشعب الفلسطينى يرغب فى العيش مع اليهود على اساس المساواة ، وقضى على الدعايات التى طالما ترددت عن ان العرب الفلسطينيين يريدون ان يلقوا باليهود فى البحر •

رصيد •• وجهد مضاعف

واذا كانت الخطوات السابقة تمثل تقدما ايجابيا وسط مراكز هامة فى الرأى العام ، ووسط مراكز ظلت لفترة طويلة نسبيا فريسة للدعاية الصهيونية المضللة . الا انه يجب ان نضع فى اعتبارنا النقاط التالية :

ان القوى المختلفة فى الرأى العام العالمى تقترب من موقع التفهم الصحيح للازمة فى الشرق الاوسط نتيجة لدوافع مختلفة ومن منطلقات متباينة •

فهناك قوى تدرك تماما الطبيعة العدوانية والاستعمارية لاسرائيل وارتباطها بقوى الاستعمار العالمى ، وتدرك البعد الحقيقى للكفاح التحررى الذى تخوضه الشعوب العربية وتفهم الابعاد الحقيقية للقضية كقضية للشعب العربى الفلسطينى الذى يطالب بحقه المشروع فى تقرير مصيره ، بينما هناك قوى اخرى تعارض العدوان عامة ولا يهمها من المشكلة سوى عدم الرغبة فى اندلاع حرب جديدة تؤدى الى تدخل الدول الكبرى بما يهدد سلام العالم ، ولهذا فهم يريدون التوصل الى حل يكفل هدوء الموقف وضمان السلم •

وثمة قوى دينية تهمها سلامة الاماكن المقدسة وحمايتها ومن هنا ينبع اهتمامهم بالبحث عن حل يكفل استقرار الموقف فى الشرق الاوسط •

بينما تدخل الميدان قوى اخرى يجذبها العدوان للاتجاهات العنصرية ومعارضتها لفكرة قيام دولة على اساس عنصرى ، ورفضها لفكرة القومية اليهودية العالمية ، ونظرية الولاء المزدوج واعتبار اسرائيل دولة يهود العالم اجمع •

وثمة قوى اخرى محافظة تحاول تهدئة الموقف حتى لا تتعرض خطوط المواصلات والتجارة لمزيد من الخطر وحتى يهدأ الموقف المتفجر على ضفاف البحر الابيض المتوسط والذى ادى الى حشد الاساطيل السوفيتية فى مياهه فى مواجهة الاساطيل الامريكية •

بل ان البعض يرغب فى البحث عن مخرج من الازمة حرصا على الانظمة الرجعية فى العالم العربى من السقوط الذى يتهددها نتيجة لتصاعد المعركة المسلحة ضد اسرائيل واحتدام الصراع ضد مؤيديها من الامبريالية •

هذه محاولة للتعرف على المواقف المختلفة حيال القضية الفلسطينية وهى محاولة ضرورية ويتحتم متابعتها بحرص حتى يمكننا ملاحقة التغيرات التى تطرأ على مواقف القوى المختلفة وتفهمها والاستفادة منها قدر الطاقة •

ان الرأى العام العالمى تختلف درجات قناعته بحقائق الموقف وتختلف منطلقات اهتمامه بالقضية والنجاح الاساسى يكمن فى قدرتنا على الاقتراب من اصحاب كل موقف مقدرين الدوافع التى املت موقفهم محاولين توضيح كافة جوانب القضية لهم • مقدرين ان الاقتراب بخطوة واحدة هو مقدمة لخطوات أخرى فى الطريق الصحيح اذا ما امكننا أن نعمل بصبر وتعقل على كسب أصحاب هذه الخطوة •

شعارات محددة

لتعبئة الرأى العام

كذلك يتعين علينا ان نستفيد من الخبرات السابقة فى تعبئة الرأى العام العالمى لنصرة قضية محددة ، ولنتخذ من القضية الفيتنامية نموذجا للنجاح الباهر فى حشد اوسع القوى لتأييد هذه القضية • ومن بين الجوانب التى امكنها الاسهام فى تحقيق هذا النجاح هو اختيار شعارات محددة ومدروسة بوعى ومختصرة يمكن حشد اوسع القوى العالمية لنصرتها ، مثل وقف الغارات على فيتنام الديمقراطية فورا وبلا شروط ، والانسحاب الكامل من جنوب فيتنام •

وفيما يتعلق بقضيتنا فان شعارات مثل « **سحب القوات الاسرائيلية المعتدية من الاراضى العربية** » يمكنه ان يجمع حوله اكثر الاوساط اتساعا فى الرأى العام العالمى

انها خبرة تؤكدها تجربتنا العملية فى المؤتمر الاول والثانى لنصرة الشعوب العربية وكذلك تجربة التجمع العالمى للسلام فى برلين • فشعار « انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة » وشعار « الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى وحقه فى تقرير المصير » هما شعارات يمكن الحصول على تأييد واسع جدا لهما •

والذى لا شك فيه ان طرح الشعارات وحده ليس كافيا بل يتعين بذل المزيد من الجهود فى مختلف المجالات حتى يمكن تحقيق التعبئة المطلوبة لوضع هذا الشعار موضع التنفيذ • واذا كان من المفيد ان نقدم بعض المقترحات للعمل فى المستقبل، فاننى اتقدم بالمقترحات التالية :

اولا : سد النقص الواضح فى الدراسات الفكرية حول ابعاد الخطر الصهيونى وحقيقة العلاقة بين اسرائيل والقوى الامبريالية • ان توضيح هذه العلاقة على اسس فكرية واضحة – وليس بمجرد العواطف والانفعال – كفيل بأن يغير مواقف كثير من القوى التى لا زالت تتعاطف مع اسرائيل .

ثانيا : بالرغم من اننا قد حققنا نجاحا ملحوظا فى كسب قوى هامة فى اوربا الغربية لكنه لا يزال امامنا الكثير من العمل لكسب مزيد من الاصدقاء فى اوربا الغربية والولايات المتحدة وكندا وامريكا اللاتينية وافريقيا اذا عرضنا القضية بطريقة تتقبلها شعوب هذه البلدان كل وفق ظروفه الخاصة .

ثالثا : اننا فى بعض الاحيان نكتفى بالموقف الصديق الذى تتخذه عديد من الحكومات مؤيدة للحق العربى دون ان تسهم فى توضيح الحقائق لشعوب هذه الحكومات التى قد تخدعها دعايات الصهيونية متسللة •

رابعا : الاهتمام الكافى بكسب الاوساط المتقدمة وسط يهود العالم بتبصيرهم بخطر ربط مستقبلهم بأداة للعدوان الامبريالية وبتوضيح مخاطر فكرة الولاء المزدوج •• الخ ، ومقاومة فكرة القومية اليهودية العالمية ورفض اعتبار اسرائيل دولة لكل يهود العالم ، وأن يتبع ذلك تأييد العناصر اليهودية – فى كل مكان – التى تؤيد هذه المواقف وتعارض سياسة اسرائيل العدوانية •

خامسا : القيام بدراسة متانية وعلى اسس علمية حول مستقبل وحقوق الشعب الفلسطينى ومشروعية كفاحه ، مع التفرقة بوضوح بين اليهودية والصهيونية •

ان هذه الجهود سوف تساعد على كسب قوى جديدة وسد النقص فى كثير من أوجه العمل السياسى الحالى فى مجال كسب الرأى العام العالمى •

وبالنسبة لبعض الخطوات العملية، فاننا نقترح الخطوات التالية :

● دعم مركز الاعلام الدولى المنبثق عن مؤتمر القاهرة ، ولقد لعب هذا المركز دورا لا بأس به فاصدر سلسلة من المطبوعات باللغتين الانجليزية والفرنسية تضمنت دراسات مفيدة القت الضوء على جوانب هامة من القضية الفلسطينية • ولكن هذا المركز لا يزال بحاجة الى تعزيز اتصالاته وتوسيع نطاقها بحيث تشمل على الاقل نفس المجال الذى طرحت أمامه القضية العربية فى التجمع العالمى للسلام ببرلين •

وينبغى لهذا المركز ان يكون أداة ربط مستمرة بكل هذه القوى وحافزا لها على متابعة تأييد القضية • كذلك فان هذا المركز بحاجة الى تعزيز مشروعيته كمركز دولى بحيث تشترك شخصيات عالمية أوسع فى التخطيط لمهمته وفى تبنى مشروعاته • كما أن على المركز أن يعزز علاقاته بمركز الابحاث الفلسطينى ببيروت وبعديد من مراكز البحث المتخصصة فى دراسة الموقف فى الشرق الاوسط ودراسة القضية الفلسطينية •

● لقد أثبتت تجربة تكوين لجان قومية لنصرة الشعوب العربية وفلسطين فى عدد من البلدان فعاليتها وقدرتها على ان مركزا تتجمع حوله كل القوى الراغبة فى ان تبذل جهدا ايجابيا من اجل سلام عادل فى الشرق الاوسط . ومن ثم فاننى اعتقد ان احدى المهام الاساسية التى يتعين علينا جميعا ان نبذل أقصى جهدنا فى اتمامها هى الدعوة الى تأسيس لجان لنصرة الشعوب العربية وفلسطين فى مختلف انحاء العالم مراعين بطبيعة الحال أن تضم ممثلى اوسع القوى واكثرها قدرة على الحركة والتأثير •

وفى اعتقادى أنه من المهم العمل على تأسيس مثل هذه اللجان فى مختلف البلدان وحتى فى تلك التى تتخذ حكوماتها موقفا صحيحا من القضية العربية وذلك حتى تلعب دورها فى دعم هذه السياسة ودعمها بالتأييد الشعبى • انتأسيس مثل هذه اللجان على نطاق العالم هو السبيل لتنشيط العمل السياسى والاعلامى للقضية العربية ولاستقطاب كافة القوى الشريفة من مختلف الاتجاهات وحشدها فى المعركة .

● متابعة وموالاة دعم العلاقات الشخصية

والجماعية بالهيئات والاحزاب والمنظمات والشخصيات التى امكن كسبها الى صف القضية ومحاولة تطوير موقفها والعمل المستمر على تزويدها بالمعلومات ٠

ان اهمية الحشود الدولية تكمن فى الاساس فى خلق ارضية للعمل فى المستقبل ، وليس فى مجرد التجمع فى مظاهرة كبيرة لا تلبث أن تنفض ٠ ومن هنا فانه يتعين متابعة الاتصال المستمر بكل الهيئات والمنظمات والشخصيات التى حضرت مؤتمرات نيودلهى والقاهرة وبرلين ٠

● الاستمرار فى التمسك بروح مؤتمر القاهرة والتى تكمن فى التحرك من خلال اطار عالمى ٠ وذلك بمداومة العمل من خلال الاشكال العالمية التى تقرر تشكيلها فى مؤتمرى نيودلهى والقاهرة وبرلين ٠ فالتحرك من خلال اطار عالمى وبشخصيات تمثل مجاميع كبيرة فى مختلف انحاء العالم هو كسب كبير لا يجب أن نتنازل عنه بل علينا ان نسعى دوما لتطويره ٠ ومن هنا تنبع الضرورة الملحة الى عقد اجتماع عاجل للجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية المنبثقة عن مؤتمرى نيودلهى والقاهرة والتى يرأس السيد كريشناميننون والتى اتشرف بالاضطلاع بمهمة سكرتيريتها العامة ٠

ان اجتماع هذه اللجنة بحضور عدد كبير من أعضائها سوف يمثل خطوة كبيرة فى الطريق الصحيح وسوف يتيح لنا تحقيق انطلاقة كبيرة فى عملنا ويمنحه ثقلا دوليا هاما ٠ كذلك فان اجتماع هذه اللجنة سوف يبحث امكانيات تطوير مركز الاعلام الدولى ويرسم له خطة عمله ويمنحه امكانية التحدث باسم هذه اللجنة الدولية ذات الاحترام العالمى ٠

ولسوف تناقش اللجنة ايضا امكانيات تأسيس لجان قومية لنصرة الشعوب العربية فى مختلف انحاء العالم ومسألة عقد المؤتمر العالمى الثالث لنصرة الشعوب العربية ٠

● اعتقد انه قد حان الوقت للدعوة لعقد المؤتمر الثالث لنصرة الشعوب العربية فى احد بلدان اوروبا الغربية ٠ مستفيدين من رصيدنا الهام فى هذه البلدان ومحاولين دعمه وتوسيعه بعقد مثل هذا المؤتمر ٠

ان عقد المؤتمر العالمى الثالث لنصرة الشعوب العربية فى أحد بلدان اوروبا الغربية هو واحد من المهام الاساسية التى يتعين علينا جميعا أن نبذل اقصى جهد ممكن لتحقيقها فى المستقبل القريب محاولين ان تحتشد فيه ممثلى أوسع القوى المؤثرة فى الرأى العام العالمى ٠

● تنظيم حملات عالمية للتضامن مع أسرى الفدائيين ومع سكان المناطق المحتلة ومع اللاجئين العرب ، وتنظيم حملات للتبرع للكفاح الفلسطينى على نطاق العالم أجمع بكل وسائل المساعدة .

● توسيع نطاق الحملة ضد انتهاك حقوق الانسان فى الاراضى العربية المحتلة وحشد اوسع جبهة ممكنة من رجال الدين والقانون والعلم ومن الشخصيات العالمية فى هذه الحملات ٠

● لا يزال امامنا الكثير من الجهد الاعلامى والثقافى فى محاولة توضيح الأبعاد الحقيقية للقضية واطرافها المتشابكة ومحاولة توضيح الحق العربى على أسس كثيرة اكثر رسوخا ٠ وتقديم الصهيونية فى صورتها الحقيقية أمام الرأى العام العالمى ٠

● تأييد الجهود المبذولة لعقد المؤتمر العالمى للبرلمانيين فى فبراير القادم بالقاهرة والمؤتمر العالمى للقانونيين من أجل نصرة الشعوب العربية والذى وافق الاتحاد العالمى للقانونيين الديمقراطيين على عقده وان كان لم يتحدد موعد انعقاده بعد ٠

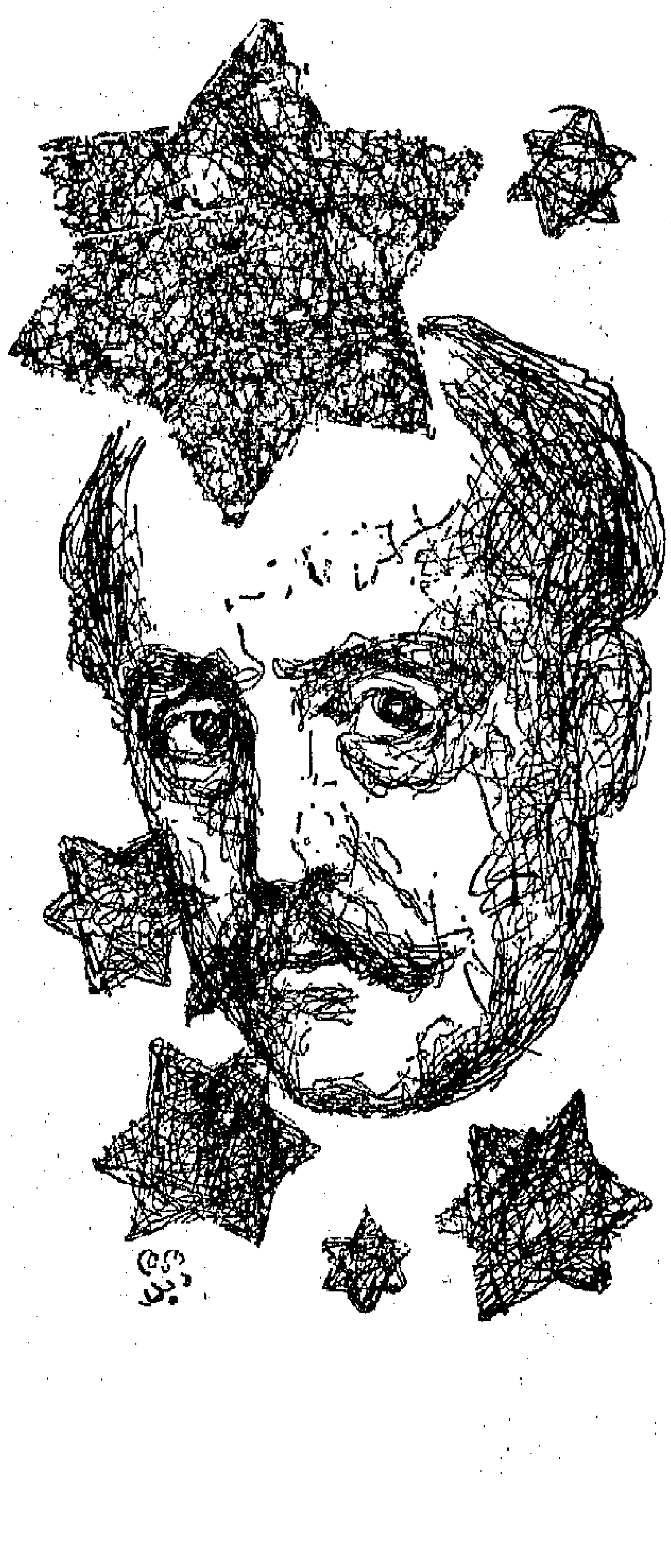
لست أشك فى انها واجبات صعبة التحقيق ، وانها تتطلب جهدا دؤوبا ومتفانيا ومستمرا لتحقيقها ، ولكننى واثق من اننا قادرون على الاضطلاع بها ، فاننا طلاب حق ، مدافعون عن الحقيقة وعن الانسان ، اننا نملك الحق والقانون والعدالة الى جانبنا ، كذلك نملك الرغبة والقدرة على التصميم ، ونملك صداقات واسعة ومؤثرة . وبهذا كله نستطيع ان نحقق اهدافنا ، نستطيع أن نحشد ملايين البشر فى كل انحاء العالم معنا فى المعركة ضد العدوان والصهيونية ومن الانسحاب الكامل والفورى من جميع الاراضى العربية المحتلة ، ومن أجل الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى فى العودة وتقرير مصيره على أرضه ٠

ونحن نشيد بالجهود الايجابية والبناءة التى يقوم بها اصدقاؤنا المخلصون فى مختلف انحاء العالم دفاعا عن الحق العربى ٠٠ وان اشكر على وجه الخصوص اخوتنا فى حركة السلم العالمى ، أنصار السلم فى مختلف انحاء العالم الذين رفعوا صوتهم الى جانبنا ودعموا حقنا المشروع وكفاحنا العادل بتأييدهم المثابر والشجاع ٠

تصريح بلفور والتناقض بين موقف الشعب وموقف الزعامة

تناولت الكتابات العربية فيما قبل ،كثيرا من القضايا المتعلقة بوعد بلفور . وفى هذا المقال ، يلقى الدكتور محمود حسن صالح منسى ، الضوء على جانب هام من الصورة ، موقف بعض الشخصيات والقوى العربية التى تصدرت زعامة الحركة السياسية اثناء الحرب العالمية الاولى ، من التصريح ونتائجه السياسية . ويحرص الكاتب – هنا – على القاء الضوء على جانبى الصورة :الجانب الرسمى او الحكومى ، والجانب الشعبى او الجماهيرى (*)

د. محمود حسن صالح منسى



فى الثانى من نوفمبر (تشرين ثان) عام ١٩١٧ أصدرت الحكومة البريطانية مايعرف باسم تصريح بلفور الذى تعهدت فيه – على لسان وزير خارجيتها آنئذ أرثر جيمس بلفور – بأن تستخدم افضل امكانياتها من أجل تسهيل أنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . ولقد كان لصدور هذا التصريح وماتبعه من وقوع فلسطين ضمن منطقة الانتداب البريطانى اعمق الاثار على فلسطين وعلى الاقطار العربية المحيطة بها ، بل وعلى العلاقات الدولية عامة .

وليس القصد من هذه الدراسة تناول تصريح بلفور فى ذاته والظروف التى أحاطت باصداره ، وانما القصد القاء مزيد من الضوء على ذلك الموقف الشاذ الذى وقفه لفيف ممن تصدوا لزعامة الحركة العربية أثناء الحرب العالمية الاولى عقب صدور التصريح ،ذلك الموقف الذى ينطوى على

الاستكانة والرضا بما قسم الاستعمار لوطنهم ، وهو موقف يتناقض تماما مع موقف الشعب العربى فى فلسطين الذى فطن الى ما يدبر له لتقويض كيانه وتشريده .

والى جانب المصادر المعروفة اعتمدت هذه الدراسة فى استجلاء هذه المسألة الى ما أمكن التوصل اليه من بعض الوثائق الامريكية ، وهى تلك المعروفة باسم اوراق ييل Yeal Papers والتى أمكن الحصول عليها من دار الوثائق القومية بواشنطن ومن جامعة ييل بالولايات المتحدة الامريكية ، وهى وثائق تستخدم لاول مرة استخداما علميا فى تفسير أحداث الشرق العربى أبان الحرب العالمية الاولى .

ومما يجعل لهذه الوثائق أهمية فريدة ، ان الولايات المتحدة لم تكن فى ذلك الوقت قد صارت ضالعة فى الاطماع الاستعمارية الاوروبية فى منطقة الشرق العربى ، تلك الاطماع التى صارت توجه سياستها منذ الحرب العالمية الثانية . اما وليام ييل صاحب هذه الاوراق فقد كان مندوبا عن حكومة الولايات المتحدة لمراقبة أحداث الشرق العربى اثناء الحرب ، فتنقل بين مدن المنطقة والتقى بكثير من الشخصيات التى اسهمت فى أحداثها أثناء الحرب ورأى وسمع بما يجرى على مسرح المنطقة ، واخذ يوافى حكومته بتقارير اسبوعية عن هذه الاحداث مشفوعة برأيه لتسترشد بهذا جميعا فى رسم سياستها ازاء اقطار المنطقة ، وقد كانت تقارير ييل هذه موضع تقدير حكومته .

موقف عرب فلسطين من التصريح

لقد كان الصهيونيون يعترفون بأنه لا يمكن تجاهل أهل فلسطين العرب والذين كانوا وقتئذ يبلغون نحو ٩١ فى المائة من جملة السكان ، وكان هؤلاء يمثلون — فى نظر الصهيونية — العقبة الكأداء التى تقف فى وجه تنفيذ مخططاتهم . ولقد كانت هذه العقبة قائمة قبل التفكير فى أصدار التصريح بمدة غير قصيرة ، الا ان عدد المتسللين اليهود الى فلسطين بين عامى ١٨٨٢ - ١٩١٣ لم يزد عن خمسة وثلاثين الفا ، ولذلك فان هذا العدد لم يثر مخاوف أهل فلسطين العرب لقلته ، ولعدم وجود هدف سياسى لدى المهاجرين الاول ، كما ان الحركة القومية العربية كانت لا تزال فى مهدها ، ومع ذلك فان الصهيونى اشير جنزبرج Asher Ginzberg الذى عرف بالاسم الذى يكتب به ، وهو أحد هعام Ahad Ha'am (اى أحد القوم) حذر فى عام ١٨٩١ من معارضة العرب عندما كتب فى أحدى الصحف العبرية « ان العرب اذا كانوا يتظاهرون بأنهم لا يرون شيئا ولم يحدث لديهم رد فعل للهجرة فان ذلك يرجع الى أنهم لا يرون فيما نفعل خطرا على مستقبلهم ، ولكن اذا تطور أمرنا فى فلسطين بحيث نصبح خطرا عليهم فان الاهالى لن يفرطوا فى وطنهم بسهولة » . وكان هعام يحاول بذلك ان يقضى على ماتصوره الصهيونيون من امكان الاستفادة من سلبية العرب ، خصوصا انه لم تلبث ان ظهرت حساسية العرب ازاء الهجرة اليهودية واخذوا يتنبهون الى الخطر الشديد الذى يحدق بهم ، وكان هذا الشعور واضحا فى مدن فلسطين وريفها على السواء : فى المدن بسبب منافسة اليهود للعرب فى مجال الصناعة والتجارة ، وفى الريف انتشر الاستياء من تملك الاجانب للارض وتفضيل الملاك اليهود للعمال اليهود على العمال العرب فى العمل فى المستعمرات والمؤسسات اليهودية ، وبروز الصهيونية كحركة سياسية منذ قيام المنظمة الصهيونية ببرنامج محدد يهدف الى انشاء وطن لليهود فى فلسطين عن طريق هجرة يهودية واسعة النطاق يساندها ضمان دولى ، وقد شهد العرب بأعينهم المستعمرين اليهود يطلقون اسماء عبرية على المواقع العربية التى يستوطنونها وبذلك انتابت العرب مخاوف من ان تختفى قراهم العربية من خريطة فلسطين ومن السجلات الرسمية . والى جانب ذلك فقد اشتد ساعد الحركة القومية العربية وأخذ الوعى القومى يقوى بين العرب بعد عام ١٩٠٨ ولذلك فقد احتج عرب فلسطين لدى الحكومة العثمانية على شراء اليهود للاراضى ، وقامت المظاهرات ، وظهرت مقالات فى بعض الصحف مثل جريدة الكرمل التى ظهرت فى حيفا فى أواخر عام ١٩٠٨ لفضح المؤامرة الصهيونية ، وبيان خطر بيع الاراضى لليهود ، وتوالت هجمات العرب على مستعمرات اليهود لاتلاف محتوياتها ، كما نادى الوطنيون العرب بمكافحة الصهيونية عن طريق خلق وعى ثقافى قومى ، فأسسوا معهدين علميين وطنيين هما الدستورية والروضة . وأخذ النواب العرب فى البرلمان التركى يتبنون قضية فلسطين منذ عام ١٩٠٩ حتى اجبروا رئيس الحكومة على أصدار أعلان بأنه لن يسمح لليهود باستيطان فلسطين ، وأجبروا وزير الداخلية فى عام ١٩١١ على أعلان معارضته للاهداف الصهيونية ، وعاد احد هعام فكتب عقب زيارته لفلسطين عام ١٩١٢ أن أهالى فلسطين ينظرون بعين السخط الى بيع الاراضى للاجانب ويبذلون جهدهم من أجل وقف هذه الكارثة ، وأوضح صعوبة المضى فى المشروعات الصهيونية بسبب هذه العقبة .

ومن اجل مواجهة هذه الصعوبة دعا الصهيونى روبان Ruppin فى المؤتمر الصهيونى الحادى عشر عام ١٩١٣ الى محاولة كسب ود عرب فلسطين والاتصال بمراكز القومية العربية ، فزار سوكولوف مصر والشام فى ربيع عام ١٩١٤ داعيا الى بذل جهد عربى يهودى مشترك لتنمية موارد الثروة فى فلسطين لمصلحة الطرفين ، ومناديا بتعليم اللغة العربية والادب العربى فى المدارس اليهودية ، كماحاول فكتورجاكبسون مدير الوكالة اليهودية فى الاستانة الاتصال ببعض الساسة والصحفيين العرب فى العاصمة التركية لاقناعهم بأنه اذاقلل العرب من معارضتهم لنشاط اليهود فى فلسطين فان اليهود يستطيعون مساعدتهم على تحقيق أمانيهم القومية ، الا أن هذه المحاولات جميعا باءت بالفشل •

غير أنه بعد ان نشبت الحرب العالمية الاولى وجدت الصهيونية العالمية انه لا سبيل لتحقيق اهدافها الا بربط مصالحها بمصالح بريطانيا الاستعمارية ، وعلى ذلك كسبت الصهيونية تأييد الحكومة البريطانية التى احتضنت المخططات الصهيونية وقد كان لذلك اثره على شعور الصهيونيين ازاء معارضة أهل فلسطين العرب ، فقد صار الصهيونيون يعتقدون ان المدافع البريطانية سوف تغنيهم عن السعى لكسب ود العرب بعد ان تأكدوا أنهم سيتلقون فلسطين هدية من السلطات البريطانية •

ولم يكن المسئولون البريطانيون فى لندن يقدرون هذه العقبة حق قدرها ولم تهتم الحكومة البريطانية خلال الاجتماعات التى بحثت فيها التصريح بمعارضة عرب فلسطين قدر أهتمامها بمعارضة اليهود المعادين للصهيونية بأستثناء عضو واحد فى الوزارة هو لورد كيرزون ، الا ان احدا لم يهتم برأيه ولم يجد بلفور وزير الخارجية مبررا للقلق ، وكان لويد جورج رئيس الوزارة يعتقد أن العرب ليسوا سوى جماعات من البدو يمكن ارضاؤهم ببعض التصريحات الرسمية وحتى اذا ظهرت منهم بعض المتاعب فى البداية فلاشك ـ فى رأيه ـ أنهم سيخلدون الى الهدوء والسكينة بعد استعراض بسيط للقوة البريطانية أمامهم •

ولذلك نجد أن نص تصريح بلفور تجاهل حقيقة هامة وهى ان العرب هم سكان البلاد الاصليون ، وان نسبتهم تبلغ ٩١ فى المائة من جملة السكان ، فتجنب واضعو التصريح حتى ذكر كلمة عرب ، فأشار اليهم التصريح باعتبارهم « الجماعات غير اليهودية المقيمة فى فلسطين » كما لو كان اليهود هم الاصل وهم الاكثرية ، وكما لو كان العرب هم الاقلية الغريبة ».

الا أنه اذا كان المسئولون فى لندن لم يضعوا فى أعتبارهم معارضة أهل فلسطين العرب فان المسئولين البريطانيين فى القاهرة ـ بحكم قربهم من فلسطين وأتصالهم بالمراكز العربية ـ كانوا ينظرون الى الامور نظرة مختلفة تماما ، فمنذ بدا أن الحكومة البريطانية على وشك أصدار تصريح لمصلحة المخططات الصهيونية فى فلسطين انتاب القسم السياسى فى القيادة العامة البريطانية بالقاهرة قلق بالغ ، وقبل أصدار التصريح بشهرين اقترح كلايتون رئيس القسم السياسى ان تمتنع الحكومة البريطانية ـ فى ذلك الوقت على الاقل ـ عن تأييد الصهيونية فى تصريح عام طالما انه ليست هناك أية فائدة تعود من وراء اغضاب العرب مرة أخرى بعد أن أثارتهم من قبل الاتفاقية السرية مع فرنسا لاقتسام الشرق العرب « سايكس ـ بيكو » • وبعد صدور التصريح مباشرة أبرق كلايتون الى حكومته بأن التصريح كان له أسوأ الاثر على العرب المسلمين والمسيحيين على السواء • ولو انه من المعروف ان خوف المسئولين البريطانيين فى القاهرة من اغضاب العرب كان مرجعه أن القوات البريطانية التى كانت تعمل فى ذلك الوقت فى فلسطين ، وتنوى بعد احتلالها ان تتقدم شمالا لكى تستحوذ على بقية الشام ستكون فى حاجة ماسة الى معونة القوات العربية التى تكون ميمنة الجيش البريطانى بقيادة اللنبى ، والحاجة الى الشعب العربى نفسه فى الشام لتسهيل عملية التقدم وعدم مؤازرة الترك •

الا أن الزعماء الذين تصدوا لقيادة العرب فى ذلك الوقت كانوا من السذاجة والغفلة بحيث لم يفطنوا الى حقيقة اهداف الصهيونية ، وانطلت عليهم الاكاذيب التى اطلقتها السلطات البريطانية لاخفاء نواياها الحقيقية ازاء فلسطين ، الامر الذى جعل الملك حسين ملك الحجاز يبعث الى القوات العربية المشتركة فى القتال الى جانب البريطانيين انه تلقى تأكيدات من الحكومة البريطانية بأن وجود اليهود فى فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب ، وحث العرب على الاستمرار فى الثقة بوعود بريطانيا ، كما أوصى بنشر مقال فى صحيفة القبلة الناطقة باسمه (العدد ١٨٣ الصادر فى ٢٣ مارس ـ آذار ـ ١٩١٨) ينبه فيه الشعب العربى فى فلسطين الى ان الكتب المقدسة وتقاليد العرب تحثهم على التسامح ، وطالبهم بالترحيب ، باليهود كأخوة والتعاون معهم من أجل الصالح العام ، ولم يقدر الملك حسين العواقب الوخيمة التى سوف تترتب على مثل هذه التصريحات وهو أمر ماكان يجب أن يغيب عن نظر أى سياسى حصيف •

وتتجلى السلبية التى خيمت على العرب فى مواجهة تصريح بلفوراثناء الاحتفالات التى أقامها اليهود فى الاسكندرية على وجه الخصوص احتفالا بصدور التصريح • ويترك لنا المندوب الامريكى **وليام بيل** فى تقريره رقم ٥ بتاريخ السادس والعشرين من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٧ صورة لما جرى فى مصر عقب اصدار التصريح تحت سمع وبصر المصريين وعرب الشام المقيمين فى مصر • فقد ذكر بيل أن الاسكندرية شهدت مظاهرتين كبيرتين من أجل قضية الصهيونية ، كانت الاولى فى عيد « شكل » احد أعياد اليهود ، وقد اقيم احتفال فى مسرح الهمبرا الذى ازدحم بالناس ، (من الارض الى السقف) ، وحضره زيور باشا محافظ الاسكندرية ومعظم زعماء الجالية اليهودية وعدد غير قليل من الجنود البريطانيين اليهود ، وفى هذا الاحتفال قدم عرض تمثيلى باللغة الفرنسية أظهر الالام التى كان يعانيها اليهود فى روسيا ، وانتهى الحفل بخطاب حماسى بليغ القاه مسيو **جاك موصيرى** رئيس المنظمة الصهيونية فى مصر ، قال فيه : ان الصهيونية — تلك الفكرة الخيالية — قد صارت حقيقة واقعة ، واهاب باليهود المصريين الى التنبه والاهتمام بالمسألة اليهودية والانضمام الى الصهيونية •

أما المظاهرة الثانية فقد قامت فى يوم السبت الحادى عشر من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٧ عندما عقد اجتماع حاشد فى حديقة رشيد بالاسكندرية تحت رعاية اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية فى مصر ، وحضره مابين سبعة آلاف وثمانية آلاف من بينهم محافظ الاسكندرية مرة أخرى ، ومندوبون عن مختلف المؤسسات والمنظمات والمدارس اليهودية فى مصر ، وكبير حاخامات الاسكندرية ، وقد ساد الاجتماع حماس منقطع النظير بسبب نشر تصريح بلفور فى اليوم السابق (١٠ نوفمبر) وقد وقف مسيو فيلكس طوبى ، ليفتتح الاجتماع ويرحب بالحاضرين فأمسك بنسخة من صحيفة « **لاريفورم** » الصادرة فى نفس اليوم متضمنة تصريح بلفور ، وأخذ يلوح بها أمام الحاضرين فاشتعل حماسهم وقابلوه بعاصفة من التصفيق ، وعلى الفور تقرر فى الاجتماع أرسال برقيتين بأسم مسيو جاك موصيرى الاولى الى مستر **لويد جورج** رئيس الوزارة البريطانية تعبيرا عن امتنانهم العميق للحكومة البريطانية ، والبرقية الاخرى الى الدكتور **حاييم وايزمان** الذى كللت مساعيه بالحصول على التصريح بنجاح ، على ان تتضمن البرقية المرسلة اليه (تهانينا القلبية على تصريح بلفور وامتناننا لجهودكم) وتأييد المجتمعين (لاعادة جعل فلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودى) وثقتهم فى أن الحكومة البريطانية ستبذل أفضل جهودها لتسهيل تحقيق هذا الهدف •

وقد ادلى جاك موصيرى بعد ذلك ببعض التصريحات الهامة عن فلسطين والصهيونية ذكر فيها انه لا يتوقع أية متاعب من جانب عرب فلسطين ، ويعتقد انه عندما يتحقق العرب من القوة التى تساند الصهيونية فانه لن يصير أمامهم الا المهادنة والرضوخ ، واعرب موصيرى عن اعتقاده فى ان فلسطين ستصير دولة يهودية صرفة ، وأمله فى ان ينخفض عدد العرب فيها ، وان ينجح اليهود فى امتصاصهم •

موقف الزعماء العرب المقيمين فى القاهرة

بعد أن نشرت وكالة رويتر تصريح بلفور فى صحف القاهرة فى العاشر من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩١٧ ، عقد الزعماء السوريون المقيمون فى القاهرة عدة اجتماعات فيما بينهم واستقر رأيهم على أرسال برقية احتجاج الى وزير الخارجية البريطانية ذكروا فيها « ان فلسطين تكون جزءا حيويا من الشام بمثابة القلب من الجسم ولا نقبل فصلها سياسيا أو اجتماعيا ، كما تعتبر فلسطين قبلة الاسلام والمسيحية ومهد الديانتين مثلما يعتبرها اليهود » •

وقد عمد المسئولون البريطانيون فى القاهرة الى التسويف وحاولوا افهام الزعماء السوريين بان ليس من مصلحتهم معارضة رغبة الصهيونيين فى انشاء وطن لهم فى فلسطين ، كما استدعى احد مقدمى المذكرة ويدعى **جبرائيل حداد** ونصح باسقاط مشروع برقية الاحتجاج ، وافهم ان استمراره فى معارضته الصهيونية سيكون له اسوأ الاثر على مصالحه الخاصة ، وكان الرجل من رجال الاعمال الذين يتعاملون مع السلطات البريطانية فى مصر • الا انه ازاء الحاح الزعماء السوريين قامت السلطات البريطانية بارسال البرقية الى لندن فى الرابع عشر من نوفمبر (تشرين ثان) مشفوعة بمذكرة خاصة تعبر عن وجهة نظر المسئولين البريطانيين فى القاهرة •

وقد بعث سير **مارك سايكس** فى ١٦ نوفمبر (تشرين ثان) الى المسئولين البريطانيين فى القاهرة برد الحكومة البريطانية على احتجاج الزعماء السوريين ، ومن ابرز ماجاء فى هذا الرد

ان « الهدف الذى ترمى اليه الحكومة البريطانية ليس فقط المحافظة على القضية العربية، بل العمل ايضا **على وضع الحركة العربية فى مكانها الملائم بين دواعى السياسة الدولية وحركات الحصر ، وان عدم التوفيق بين الحركة العربية وبين وجهات نظر مختلف الحكومات والعناصر يحرمها من العون السياسى الضرورى لبقائها بعد الحرب »** .

ثم ذكر سايكس ان الحكومة البريطانية « قد اعترفت بالصهيونية وهى اعظم حركة بين اليهود **وانا على يقين من ان تكاتف الصهيونية والقومية العربية سيجعل تحرير العرب امرا مؤكدا** . اما اذا تنافرتا فان الامر لن يصبح معقدا فحسب بل وسيصير من الصعب السيطرة على ناصية الحال » .

وبالاضافة الى تبليغ رد سايكس الى الزعماء السوريين نصحهم كلايتون بان من **مصلحتهم التفاهم مع اليهود والارمن لتحرير البلاد من نير الترك، وان معارضتهم للصهيونية ستضر القضية العربية**، مبينا لهم نفوذ الصهيونية فى كل انحاء العالم ، وان تصريح بلفور لا يعنى انشاء دولة او حكومة يهودية فى فلسطين ، وانما يعنى منح اليهود حق الهجرة الى فلسطين والاقامة فيها بحيث تصبح لهم نفس الحقوق التى يتمتع بها سكان البلاد الاصليين .

ويقول المندوب الامريكى وليام ييل فى أحد تقاريره ان الزعماء السوريين فى مصر شعروا بالارتياح ازاء تاكيد كلايتون ، بأنه لن تقام فى فلسطين دولة يهودية ولن تفرض على السكان العرب حكومة يهودية ، ولو ان ييل — فى احاديثه مع اعضاء المكتب العربى مثل كلايتون وفيلدنج — استنتج ان المسئولين البريطانيين لم يفهموا حقيقة ما كانت تعنيه الحكومة البريطانية بعبارة انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وان هذا الغموض حول عبارة الوطن القومى تكرر فى رد سايكس على الزعماء السوريين مما حمل ييل على الاعتقاد بأن كل ما كانت تهدف اليه الحكومة البريطانية من هذه التصريحات الغامضة انما هو تهدئة العرب وازالة مخاوفهم ، ومنع نشـــوب قلاقل ضـــد الصهيونيين وسياسة بريطانيا .

وازاء الارتياح الكاذب الذى شعر به لفيف من السوريين فى مصر بعد تصريحات المسئولين البريطانيين اعتقد الزعماء السوريون ان العرب بحكم اقامتهم السابقة الطويلة فى فلسطيــن سيكونون العنصر الاقوى فى الادارة وبذلك يمكنهم اصدار التشريعات التى تحميهم ، وفات الزعماء السوريين ان الادارة فى فلسطين ستؤول الى بريطانيا صانعة تصريح بلفور وذلك طبقا لاتفاقية سايكس بيكو التى ابرمتها بريطانيا مع فرنسا عام ١٩١٦ والتى بدات اخبارها تتسرب الى مختلف الاوساط بما فيهم العرب انفسهم وقد بلغ من اقتناع الزعماء العرب فى مصر بتصريحات المسئولين البريطانيين ان راوا من الصواب التخلى فى ذلك الوقت عن معارضة الصهيونية، بل وبدا البعض يتحدث عن التعاون معها ، فاجتمعوا اكثر من مرة ببعض الشخصيات اليهودية فى مصر مثل جاك موصيرى رئيس المنظمة الصهيونية فــى مصر وتبودلت فى هذه الاجتماعات وجهات النظر واعلن الصهيونيون خلالها انهم لا يذهبون الى فلسطين كمغتصبين وانما كاخوة للمساعدة فى بناء وتطوير البلاد . واعربوا عن رغبتهم فى ان يعقد الزعماء العرب اجتماعات لاثارة الحماس بين جموع العرب من اجل تفاهم عربى يهودى ، ولكن الزعمـــاء السوريين وجدوا انه ليس من الحكمة الاقدام فى ذلك الوقت على مثل هذه الخطوة ، وذلك الى ان « ينمو وعى الجموع العربية فتقبل الترحيب بهجرة اليهود الى فلسطين » !

موقف الزعماء السوريين فى مصر من البعثـــة الصـــــــهيونيـــة

وعقب صدور تصريح بلفور رأى الصهيونيون ان ينقلوا نشاطهم الى داخل فلسطين التى كانت القوات البريطانية قد احتلت جزءا منها ، ووجد هذا الاتجاه تشجيعا من الحكومة البريطانية ، فتقرر تشكيل بعثة صهيونية تسافر الى فلسطين وتمثل صهيونيى بريطانيا والدول المتحالفة معها ، وعلى الرغم من ان الهدف الظاهرى لهذه البعثة — كما صرح بلفور فى البرلمان — هو بحث حالة المستعمرات اليهودية التى قاست من ويلات الحرب، فقد كانت للبعثة أهداف اخرى منها دراســة امكانيات فلسطين الاقتصادية وتمهيد السبيل امام الهجرة اليهودية المنتظرة والعمل على ازالة العداء مع العرب ومحاولة اقامة علاقات ودية معهم ، كما كان فى النية زيادة اختصاصات البعثة تدريجيا حتى تتمكن من التدخل فى النظام الادارى فى فلسطين ، وبذلك تصبح نواة للوجود الصهيونى فى فلسطين باختصاصات ادارية حكومية .

وفى مارس (اذار) ١٩١٨ وصلت البعثة

الصهيونية الى القاهرة فى طريقها الى فلسطين ، وقد لقيت ترحيبا من المنظمات والجمعيات اليهودية فى مصر واستقبلتها السلطات البريطانية استقبالا رسميا • وقد عقدت البعثة بعض الاجتماعات مع لفيف من الزعماء السوريين فى مصر بناء على طلب السلطات البريطانية بحثت خلالها العلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين وطبقا لما يذكره المندوب الامريكى فى مصر وليام بيل اكد وايزمان رئيس البعثة الصهيونية للزعماء السوريين ان الصهيونيين لا يرغبون فى اقامة حكومة يهودية فى ذلك الوقت لانها ستكون بالغة الضرر على مصالحهم وان كل ما يبتغيه اليهود هو ان يجدوا فى فلسطين ملجأ من الاضطهاد •.

ولا شك ان وايزمان كان يعنى انه ليس فى النية اقامة حكومة يهوديةفى ذلك الوقتبسبب قلة عدد اليهود ، لان سياسته كانت تقوم على اساس الانتظار الى ان يصبح اليهود - عن طريق الهجرة - اغلبية فى فلسطين ، وتؤكد ذلك التصريحات السابقة التى اصدرها وايزمان ومنها تصريحه فى ١٧ ابريل (نيسان) ١٩١٧ الذى اعلن فيه ان اقامة دولة يهودية فى الحال امر متعذر « ان **هدفنا لا يزال الدولة اليهودية ولكن بلوغ هذا الهدف يجب ان ياتى على مراحل اولاها ان توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا لتسهيل الهجرة والاستيطان وتمكيننا من تحضير الجهاز الادارى اللازم لبلوغ هدفنا** » وهكذا فات على السوريين فى مصر الذين سروا لتأكيد وايزمان ان فتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيه سيقلب ميزان النسبة العددية بين العرب واليهود فى فلسطين، من هذا نرى ان الزعماء السوريين فى مصر لم يفطنوا الى خطورة الصهيونية وكان منهم انصار لبريطانيا وسياستها مثل فارس نمر صاحب المقطم الذى بلغ من مشايعته لبريطانيا ان بعث الى مستر جارى ممثل الولايات المتحدة الدبلوماسى فى القاهرة يطلب اليه ان تتوسط الولايات المتحدة لدى فرنسا لكى تتنازل عن حقوقها فى الشام لبريطانيا التى تسيطر على كل من العراق ومصر بدعوى ان هذا سيكون فى مصلحة الاقطار العربية الثلاثة ، وادعى فارس نمر ان حكم بريطانيا فى الشام سيكون عادلا ، لا محاباة فيه لطائفة على حساب الاخرى وخاصة فى فلسطين • وفى الوقت نفسه طفقت المقطم تنصح اهل فلسطين بعدم المبالغة فى تقدير اخطار الهجرة اليهودية الى بلادهم حيث « لا يسع المرء ان يعارض نواميس الطبيعة والعمران فلا يحسن بالفلسطينيين ان يتمادوا فى المبالغة فى وصف خطر يظهر أن اسمه اكبر من فعله » •

وفى خطاب بعث به سليمان بك نصيف احد السوريين المقيمين فى مصر الى محرر صحيفة الكوكب التى كانت تصدرها سلطات الاحتلال فى مصر بتاريخ ١٤ يونيو (حزيران) ١٩١٨ نادى بضرورة شعور العرب بالثقة فى بريطانيا لانها كانت صديقة للعالم الاسلامى وللعرب لسنوات عديدة مضت وان فى سياستها التقليدية ضمانا كافيا للعرب ، على ان مصالحهم ستكون موضع الاعتبار ، وعلاوة على ذلك فان عكسها الذى جربه العرب يتسم فى رأى الزعيم السورى ، بالعدل وعدم التحيز ، ولذلك نادى بابعاد كل المخاوف وتكريس كل جهود العرب للعمل فى معاونة بريطانيا •

الا اننا لا نستطيع ان نأخذ رأى الزعماء السوريين فى مصر على علاته لهم كانوا يعيشون فى كنف بريطانيا لا يستطيعون ان يعصوا لها امرا ، وبريطانيا حريصة على تنفيذ وعودها للصهيونية ويهمها الا تتفاقم معارضة العرب حتى لا يثير لها ذلك المتاعب فى فلسطين التى ستؤول ادارتها اليها • وبالاضافة الى ذلك فان الزعماء السوريين المقيمين فى مصر ما كانوا ليعبرون عن رأى جموع الشعب العربى فى فلسطين ، وهو رأى يعلمه حق العلم رجال المخابرات البريطانيه وعلى رأسهم كلايتون ، فانه بعد ان اتضحت سياسة الحكومة البريطانية ازاء الصهيونية ووصلت البعثة الصهيونية الى فلسطين توالت على الزعماء السوريين فى مصر خطابات الاحتجاج من اهل فلسطين وكلها مليئة بالعداء للصهيونية والخوف منها ، حافلة بالسخط معبرة عن القلق ، وقد اعترفت بذلك النشرة العربية Arab Bulletin التى كانت تصدرها المخابرات البريطانية فى القاهرة ، وقد جاء فيها انه « لاشىء يضر بعلاقتنا مع السكان غير اليهود اكثر من غموض تصريحاتنا ازاء الصهيونية » و « ان **التصريح البريطانى اثار مخاوف العناصر العربية فى فلسطين بدرجه ضاع معها الامل فى تحقيق الهدوء والسكينة فى ارض الميعاد** » •

كما اعتبر هوجارث ان زيارة البعثة الصهيونية لفلسطين كانت سابقة لاوانها •

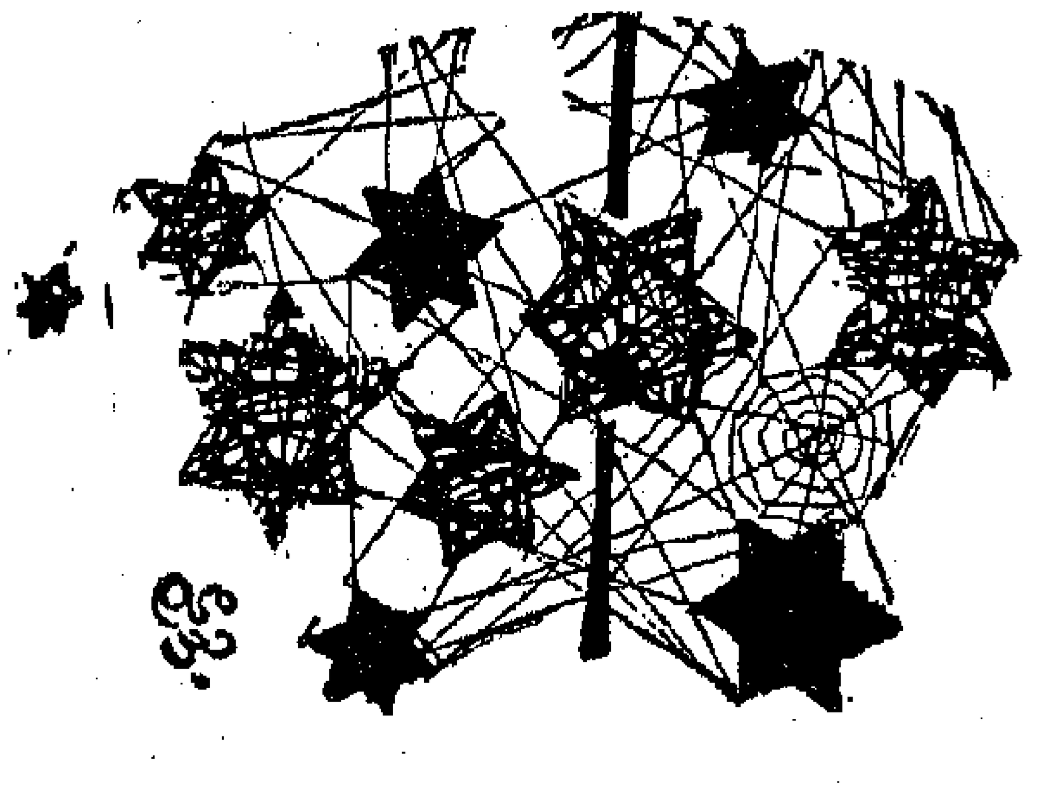
وعندما اذاع الترك نبا تصريح بلفور كانت القوات العربية بقيادة الامير فيصل تغلى من السخط والغضب واوشك السخط ان يتحول الى عصيان فيمتنع الجنود العرب عن الاستمرار فى مساعدة القوات المتحالفة على التقدم الى الامام،

البعثة السورية الى فلسطين

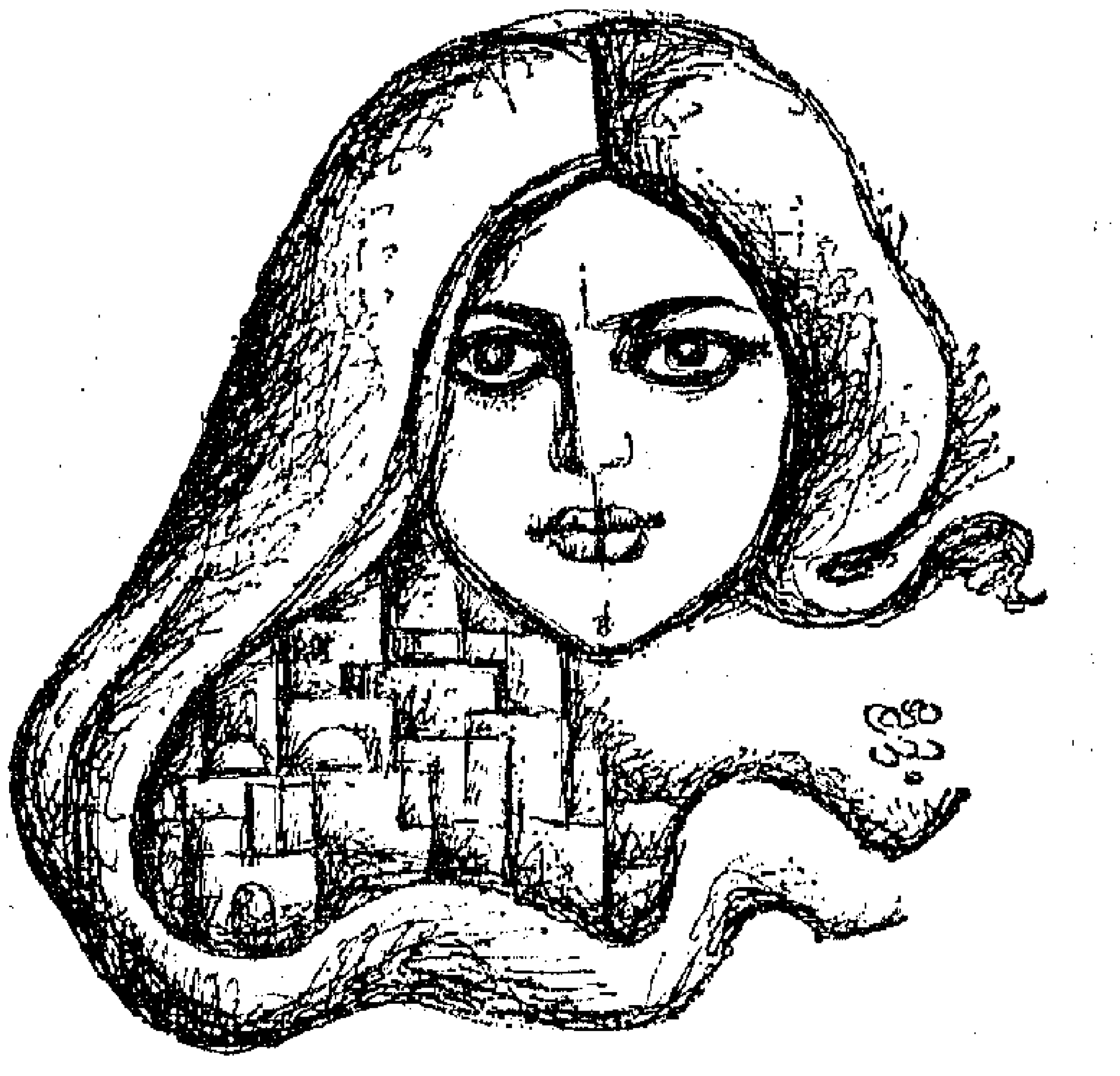
ولم يقتصر موقف الزعماء السوريين المقيمين فى القاهرة على ذلك بل ان بعضهم طلب من السلطات البريطانية فى مصر ان تسمح لهم بزيارة فلسطين لكى يشرحوا لاهلها العرب وجهة نظرهم ويبرروا موقفهم من الصهيونية ، ويحاولوا اقناع عرب فلسطين بأن من مصلحتهم عدم معارضة الصهيونية • الا انه يبدو ان السلطات البريطانية كانت لاتزال فى شك من نوايا هؤلاء الزعماء ،او لعلها لم تكن قد قدرت بعد خطورة معارضة الفلسطينيين للصهيونية ، غير ان السلطات البريطانية لم تلبث ان وافقت على سفر البعثة السورية الى فلسطين وذلك بعد ان اتضح لها ازدياد حدة التوتر والسخط بين الاهالى العرب ، وخاصة عندما وصلت البعثة الصهيونية الى البلاد • وقد لمست البعثة السورية اثناء زيارتها لكل من **القدس ويافا** فى مايو (ايار) ١٩١٨ عمق الشعور المعادى للصهيونية والقلق الذى ينتاب العرب فى فلسطين ، وقد استمعت البعثة الى الشكاوى المريرة التى تقدم بها العرب عن سوء معاملة اليهود فى فلسطين لهم منذ صدور تصريح بلفور ، ومحاباة السلطات البريطانية لليهود بتركيز التجارة مع مصر فى ايديهم دون العرب ، الامر الذى جعل الامريكى وليام ييل يطالب فى احد تقاريره بضرورة تدخل دول العالم وخاصة بريطانيا حتى لا يتمادى الصهيونيون – الذين اسكرهم النصر الاول – فى اساءة معاملة العرب فى فلسطين فيثيرون بذلك العالمين الاسلامى والمسيحى •

وعلى الرغم من هذه المظاهر جميعا فان البعثة السورية بذلت جهودها من اجل تهدئة العرب وازالة مخاوفهم من الصهيونية والهجرة اليهودية الا ان البعثة لم تستطع ان تقف فى وجه التيار الجارف ولذلك تحاشت مواجهة الجماهير العربية فى اجتماعات عامة واقتصر نشاطها على عقد لقاءات فردية مع بعض اعيان البلاد •

ومن هذا يتضح لنا ان اعضاء البعثة السورية كانوا فى خدمة السياسة البريطانية اكثر منهم فى خدمة الاهداف العربية ، كما يتضح لنا مدى اتساع الهوة بين الجماهير العربية التى ترى مستقبلها وقد تهدده خطر داهم وبين من تصدوا لزعامتها وقيادتها ممن لم يفهموا المشكلة على حقيقتها رغم وضوحها ، وارادوا مجاملة السياسة البريطانية، غير مقدرين للعواقب الوخيمة التى سوف تنجم عن التحالف بين الصهيونية العالمية، والاستعمار البريطانى على حساب مصالح العرب •



الجذور التاريخية لنضال المرأة في مصر



وديع أمين

فى الوقت الذى يجرى فيه العمل على بناء التنظيم النسائى ، تبدو اهمية التعرف على تاريخ الحركة النسائية من اجل التحرر الاجتماعى ، وعلى مدى اسهامها فى الحركة الوطنية لربط الحاضر والمستقبل بنضالات الماضى .

ليس صدفة أن ترتبط الدعوة الى تحرير المرأة بالدعوة الى تحرير الوطن ، وذلك من خلال جهاد المثقفين والمفكرين الديمقراطيين الاحرار منذ اواخر القرن الماضى وبداية القرن الحالى ، عندما اخذ المجتمع يفيق من جراحه اثر انتكاسة الثورة العرابية ويستجمع قواه ويتهيأ لخوض المعركة الوطنية من جديد ضد الاحتلال البريطانى وكافة مظاهر التخلف الاجتماعى .

ولعل من المفارقات ان الرواد الاول الذين تصدوا للدفاع عن المرأة ، كانوا معظمهم من الرجال الذين أدركوا بثاقب فكرهم مدى الحاجة الى تحرير المرأة كضرورة اجتماعية وحضارية ، من أجل اللحاق بالمجتمعات الانسانية المتقدمة ، أمثال **رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده ورشيد رضا** وغيرهم من العلماء وقادة الفكر ، كل على اختلاف وتنوع أسلوبه فى الدعوة وبقدر اجتهاده وبالقدر الذى كان يسمح به زمانه ، وان كانت لاتتعدى فى جملتها الدعوة الى طلب الرحمة والاخذ بيد كائن ضعيف مقهور مغلوب على أمره ، لا على أساس كون المرأة انسان له كامل الحرية والاستقلال . وقد أصبحت تلك الدعوة أكثر نضجا وتطورا عند **قاسم أمين** الذى كان يرى « ان النساء فى كل بلد يقدر بنصف سكانه على الاقل ، فبقاؤهن فى الجهل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف الامة ، وفيه من الضرر الجسيم ما لا يخفى ، ولا شىء يمنع المرأة المصرية من أن تشتغل مثل الغربية بالعلوم والفنون والاداب والتجارة والصناعية ، سوى جهلها واهمال تربيتها ، ولو أخذ بيدها الى مجتمع الاحياء ووجهت عزيمتها الى محاولتهم فى الاعمال الحيوية واستعملت مداركها وقواها العقلية والجسمية لصارت نفسا حية فعالة تنتج بقدر ما تستهلك ، **لا كما هى اليوم عالة لا تعيش الا بعمل**

غيرها » (١) ونحن نستطيع أن نميز بوضوح فى فكر قاسم أمين اثار تراث الفكر البورجوازى الليبرالى فى أوربا فى النصف الثانى من القرن الماضى ، الذى كان يتجه اليه اهتمام المثقفين المصريين ابنـاء الطبقة الوسطى البورجوازية الصاعدة فى ذلك الوقت .

ولا شك أن قاسم أمين كان يدرك أن تحرير المرأة اقتصاديا ، واعتمادها على نفسها ، الاســاس لتحررها الاجتماعى ، والسبيل الوحيد لخلق علاقات اجتماعية جديدة اكثر انسانية تتحقق فى ظلها المساواة بين الرجل وزميلته المرأة العاملة فى الحياة ، والتى تقوم على التكافؤ والاحترام المتبادل والحب ، لا على أساس القهر الاجتماعى والخضوع لضغط الحاجة المادية ، وذلك عندما يقرر « لقد مضت الاجيال عندنا والمرأة خاضعة لحكم القوة مغلوبة لسلطان الاستبداد من الرجل ، وهو لم يشأ أن يتخذها الا أمرا صالحا لخدمته ، مسيرا بارادته وأغلق فى وجهها أبواب المعيشة والكسب بحيث اضطرها الى العجز عن تنـاول وسيلة مـن وسـائل العيش بنفسـها » (٢) وانه « لارجاء فى أن تصير البيوت والعائلات الى ذلك الوسط الصالح الا اذا تربت النساء وشاركن الرجال فى أفكارهم وآمالهم وآلامهم ان لـم يشاركنهم فى جميع الاعمال » (٣) .

وان كان قد غاب عن فكر قاسم امين — لاسباب عديدة ترجع الى ظروف المجتمع المصرى فى ذلك الحين — ان تحطيم العلاقات الاجتماعية الاقطاعية فى المجتمع المصرى ، واقامة علاقات اجتماعية بورجوازية أخرى تسمح للمرأة بالعمل واستغلال جهدها البدنى والعقلى ، لا يلغى بأى حال الضغط والقهر والاستغلال الواقع عليها . وان كان يغير من أشكاله ومظاهره فقط ، وهو مالا يمكن الغاؤه والقضاء على أسبابه ومظاهره وأشكاله الا فى مجتمع اشتراكى ، وفى ظل علاقات اجتمـاعية اشتراكية سليمة يختفى منها استغلال الانسان للانسان وتتحقق فى ظلها المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة ، ولكنها كما قلنا ، اى دعوة قاسم أمين ، كانت تعد خطوة كبيرة وتقدمية على طريق التطور الاجتماعى والوطنى فى ذلك الوقت المبكر . ومع ذلك لم يسلم قاسم أمين من هجوم واضطهاد الرجعية التى اتهمته بالكفر والالحاد وهدم أركان الدين ، وظل الاضطهاد يلاحقه حتى يوم وفاته ، ولكن دعوته كأى دعوة صادقة ونبت اصيل طيب قد صادفت أرضا صالحة ، ووجدت لها صدى وتعبيرا عن الحاجة والمتطلبات الحيوية الملحة للمجتمع الناهض وخاصة فى أوساط المثقفين من أبناء الطبقة الوسطى الصاعدة فى ذلك الحين .

كما ينبغى ان نشير فى هذا الصدد الى عنصر هام وأساسى ، ألا وهو دور المرأة وجهودها ذاتها ومحاولتها اثبات وجودها عن طريق المشاركة فى الاهداف العامة والمعركة الوطنية ، وتحملها كل عنت ومشقة ومغالبة التقاليد العتيقة ، وكانت ان عرفت طريقها فى ذلك الوقت المبكر الى الاجتماعات السياسية التى كان يعقدها الحزب الوطنى فى تلك الفترة التاريخية الهامة .

وكان ذلك فى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ عندما حضرت بعض السيدات باليشامك والحبر الى دار جريدة اللواء لسان الحزب الوطنى ، وجلسن مع الحاضرين ، ولكن فى ركن قصى ، وكانت هذه أول مرة فى تاريخ البلاد ، يبدأ الزعيم مصطفى كامل خطبته ، سيداتى وسـادتى . (٤) . وان كان الحزب الوطنى قد رحب بالمرأة ودعا الى تعليمها وتحريرها والترحيب بها فى الاجتماعات السياسية للحزب . غير أنه امتنع عن قبولها وتنظيمها فى عضوية الحزب ، بسبب عنف وحدة التقـاليد السائدة وقتئذ ، فكانت ان ظلت تخطب وتشارك فى اجتماعات الحزب (٥) .

ولقد ساهم فى نمو النهضة النسائية فى تلك الفترة ظهور نخبة من الشاعرات والكاتبات ، أمثال عائشة التيمورية وزينب فواز والكاتبة الشهيرة مى زيادة وملك حفنى ناصف وهدى شعراوى ونبويه موسى .

كما بدأت الجامعة المصرية فى تنظيم محاضرات فى أيام خاصة للنساء اللاتى كان يقيدهن الحجاب من سن الثانية عشرة ، وكانت تتولى القاءها ملك حفنى ناصف ونبويه موسى ولبيبه هاشم ومى زيادة وغيرهن من السيدات . وظهر فى تلك الفترة عديد من المجلات النسائية ، يتولى الاشراف عليها عدد من النساء ، مثل مجلة « مرآة الحسناء » التى صدرت فى عام ١٨٩٦ ، و « فتاة الشرق » فى عام ١٩٠٦ ، و « الريحانة » فى عام ١٩٠٧ ، و « الجنس اللطيف » فى عـــام ١٩٠٨ ، و « العفاف » فى عام ١٩١٠ ، « وفتاة النيل » فى عام ١٩١٣ ، والتى كانت تعنى بالمسائل الخاصة للمرأة والموضة والزينة داخل المنزل ، والعناية

---

[١] تحرير المرأة . قاسم امين — الناشر : مكتبة الترقى ومطبعتها ١٨٩٩ ص ١٩ ، ٢٠ .
[٢] المصدر السابق — ص ٢٤ .
[٣] المرأة الجديدة . قاسم أمين — الناشر : مطبعة الشعب ١٩١١ ص ٢١٥
[٤ ، ٥] المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم . درية شفيق ص ١١٢

بشئون الاسرة والمنزل وأخبار التقدم النسائي في العالم .

وهذه المجلات لم يقدر لها أن تعيش طويلا ، فهي كما توحي بذلك اسماؤها كانت أبعد ماتكون عن الاهتمام بالمشاكل الاساسية للمرأة ، وتحقيق المساواة في الحقوق السياسية والاجتماعية بين الجنسين . وقد وجدت النهضة النسائية ترحيبا وتشجيعا من جانب الصحافة وعلى الاخص صحافة الحزب الوطني وحزب الامة والمثقفين الديمقراطيين امثال عبد العزيز جاويش واحمد لطفي السيد . ولكنها كانت تتقدم بخطى وئيدة وتستند الى جهود فردية ، بعيدة عن الحركة بمفهومها العام ، التي تقودها جماعة كبيرة وتستند الى قاعدة اجتماعية عريضة .

ثورة ١٩١٩ والحركة النسائية

وظلت الحال هكذا ، حتى اندلعت الثورة الوطنية الديمقراطية في سنة ١٩١٩ ، التي كانت بمثابة الصدمة التي ايقظت الامة ونبهت الجميع الى مدى التخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي في ظل الاحتلال والاقطاع ، وفجرت كافة التناقضات الاجتماعية ، ودفعت بجميع الطبقات الوطنية والشعبية الى الشارع حيث تدور المعركة ضد قوات الاحتلال والرجعية ، وكانت ان خرجت المرأة الى الشارع لتشارك بنصيبها في المعركة الوطنية الى جانب الرجل . وليسجل تاريخ النضال المصري الحديث لاول مرة يوم ١٦ مارس سنة ١٩١٩ ، ذكرى يوم خروج مايربو على ثلاثمائة امرأة للتظاهر ضد الاحتلال الاجنبي . وكانت على رأس هذه المظاهرة النسائية هدى شعراوي داعية ومنظمة لها ، وطفن جميعا على دور القنصليات ومعتمدي الدول الاجنبية ليقدمن احتجاجا مكتوبا باسم امهات وأخوات وزوجات ضحايا الاعتداءات البريطانية الوحشية في الثورة .

ويصف المؤرخ عبد الرحمن الرافعي مشهد تلك المظاهرة الفريدة فيقول : « سارت السيدات في صفين منتظمين ،وجميعهن يحملن أعلاما صغيرة ، وطفن الشوارع الرئيسية في موكب كبير ، هاتفات بحياة الحرية والاستقلال وسقوط الحماية ، فلفت موكبهن أنظار الجماهير ، وأذكى في النفوس روح الحماسة والاعجاب ، وقوبلن في كل مكان بتصفيق الناس وهتافهن ، وأخذ النساء من نوافذ المنازل وشرفاتها ، يقابلنهن بالهتاف والزغاريد ، وخرج أكثر أهل القاهرة رجالا ونساء لمشاهدة هذا الموكب البهيج ، الذي لم يسبق له نظير ، وأخذوا يرددون هتافاتهن » (٦) .

وكان اول من اصابهم الفزع السلطات البريطانية ، التي أدركت مدى خطورة وتأثير خروج المرأة المصرية لاول مرة من عزلتها ونزولها الى الشارع للانضمام الى الرجل في المعركة ، وفي اذكاء مشاعر وحماس الجماهير ودفعها الى مزيد من الصمود والعنف ، اذ سرعان ما بعثت بجنودها ومصفحاتها لتطويق المتظاهرات في عرض الطريق بالقرب من بيت سعد زغلول ومحاصرتهن لمدة ثلاث ساعات كاملة ، سقطت خلالها كثيرات بتأثير ضربة الشمس ، ولما لم يجدوا سبيلا الى ارهابهن ، عمدوا الى اطلاق سراح معظم المتظاهرات وقبضوا على القائدات اللاتي تزعمن المظاهرة وأودعوهن السجن جميعا ، ولم يفرج عنهن الا بعد أن تقدم قادة الثورة بضماناتهم الشخصية .

ولكن الارهاب والقسوة لم يكن يثني المرأة عن مواصلة النضال ، فقد تكرر نفس المشهد في المظاهرة الثانية التي قمن بها في يوم ٢٠ مارس بعد ذلك .

وفي نفس الوقت خرجت المرأة في أحياء القاهرة الشعبية وسائر المدن والقرى المصرية ، لتشترك في المظاهرات وتخوض المعركة الى جانب الرجل ، وسقطت منهن كثيرات برصاص الانجليز ، حيث اختلطت دماءهن بدماء الرجال ـ أمثال حميدة خليل من حي الجمالية ، وسيدة حسن من حي عابدين ، وشفيقة محمد من حي الخليفة ، وصديقة عروس عبد المجيد ابراهيم قتلت في مذبحة ميت القرشي مركز ميت غمر في ٢٣ مارس ١٩١٩ ، ورقية بنت احمد متولي من تفهنا الاشراف ، وأم محمد بنت جاد ، ويمنه بنت صبيح من القليوبية والشرقية ، ونعمات محمد وحميدة سليمان وفاطمة محمود من الفيوم .. نساء عاديات مغمورات تربطهن صلات من قريب أو بعيد بمئات الالوف من العمال الحرفيين والفلاحين البسطاء ، الذين ماتوا أو عادوا مشوهين من الخدمة الاجبارية في ميادين القتال في أوربا والشرق الاوسط ، والذين استولت السلطة العسكرية البريطانية على دوابهم ومواشيهم لصالح الحرب الامبريالية .

لجنة الوفد المركزية للسيدات

ولقد كان اشتراك المرأة على هذا النطاق في الثورة ، باعثا لدى قيادة الوفد في أواخر سنة ١٩١٩ ، على تكوين « لجنة الوفد المركزية

[٦] ثورة ١٩١٩ . عبدالرحمن الرافعي كتاب الشعب جـ ١ ص ١٢٧ .

للسيدات » ، من أجل تعبئة وتنظيم كفاح المرأة المصرية تحت اشراف تنظيم الوفد السياسي ، بعد أن تم تكوين اللجنة المركزية للوفد في أبريل من نفس العام . ويقال أن أول من فكر في انشاء لجنة الوفد المركزية للسيدات ، كان هو الزعيم سعد زغلول بنفسه .

ففي يوم ٨ يناير سنة ١٩٢٠ اجتمع بالكنيسة المرقسية عدد عظيم من السيدات المصريات يزيد عن ٥٠٠ سيدة في شكل مؤتمر وطني عام ، حيث تم انتخاب لجنة الوفد المركزية للسيدات من ١٥ سيدة ليمثلن نساء مصر . وهن في نفس الوقت زوجات لاعضاء في قيادة تنظيم الوفد السياسي : وقد قمن بعد ذلك بانتخاب كل من حرم شعراوي باشا (هدى شعراوي) رئيسة — وحرم فهمي بك ويصا (استر فهمي ويصا) وكيلة — والانسة فكرية حسني (سكرتيرة) — وحرم الدكتور حبيب بك خياط (روجينا خياط) امينة للصندوق .

وكان قد سبق التمهيد لهذه الخطوة الدعوة الى اجتماع حاشد للنساء المسلمات والقبطيات في الكنيسة المرقسية في ١٢ ديسمبر ١٩١٩ ، لمناقشة الوضع العام في البلاد ، والاحتجاج على تأليف يوسف وهبه باشا (وهو قبطي جاء به الانجليز والسراى لتمهيد البلاد لاستقبال لجنة ملنر . « واصدرن بيانا ضمنه رأيهن في الموقف السياسي واختلاف الانجليز وعودهم في المسألة المصرية ، وختمنه بتأييد مقاطعة لجنة ملنر والاحتجاج على قدومها والاصرار على التمسك بالاستقلال التام » (٧) ، وبمجرد تأليف هذه اللجنة تألفت لجان أخرى كثيرة في جميع انحاء البلاد تنظم كفاح المرأة المصرية ، وكانت السيدة **صفية زغلول** « أم المصريين » رئيسة شرف لجنة السيدات الوفديات وجميع لجان الوفد للسيدات في أنحاء البلاد [٨] .

ويعتبر اجتماع المؤتمر النسائي في الكنيسة المرقسية ، وما اتخذ فيه من قرارات واذاعتها في بيان على الامة ، أمر له مغزاه السياسي الوطني في ذلك الوقت ، وردا على محاولات الاستعمار والرجعية لاحداث شقاق بين عنصري الامة لتفتيت الوحدة الوطنية التي بدت أروع ما تكون خلال الثورة .

وقد قامت اللجنة بدور بارز وهام خلال الاعوام التالية ، وفضلا عن جهودها في تنظيم المظاهرات النسائية والقاء الخطب الحماسية والعناية بالجرحى والمصابين برصاص الانجليز ، فقد لعبت المرأة من خلال لجنة السيدات دورا خطيرا وذلك عندما اشتدت موجات الارهاب والقمع الذي تعرضت له القوى الوطنية وملاحقة العناصر الثورية من جانب السلطات العسكرية البريطانية والحكومات العميلة وقتئذ ، مما حدا بها الى الالتجاء لاساليب الكفاح السرية المختلفة لمواصلة العمل الثوري ، واخذت على عاتقها مهمة توزيع المنشورات في أنحاء البلاد وتوفير الاماكن السرية لاجتماع زعماء الثورة بعيدا عن اعين الجواسيس ورجال البوليس ، ونقل تعليمات قيادة التنظيم السري للوفد الذي يشرف عليه عبد الرحمن فهمي الى قادة الثورة في أنحاء البلاد .

وربما ليس هناك ابلغ من شهادة الاعداء انفسهم بدور كفاح المرأة المصرية أثناء الثورة الوطنية ، وهو ما يعترف به السير **فالنتين شيرول** مراسل جريدة التيمس البريطانية « ان النساء في الريف اللاتي تأثرن أيضا باجراءات السلطة قد اشتركن مع الرجال في نزع خطوط السكك الحديدية وتحطيم أعمدة التلغراف وكافة الحوادث التي حدثت في داخل البلاد ، كما اشتركن في المظاهرات الصاخبة ضد لجنة ملنر ، حيث كن يركبن عربات الترام بلا أجر ، وهن يصحن «يسقط ملنر» ملوحات بأعلامهن في وجوه الاجانب » (٩) .

كما يعترف كاتب انجليزي آخر هو جورج يونج بقوله « أن الدور الذي لعبته المرأة المصرية منذ اليقظة الاولى للوعي القومي حتى المظاهرات في العصيان الاخير كان أكثر بروزا عن مساهمة النساء في الحركات الوطنية في البلدان المجاورة (١٠) .

ولقد استطاعت المرأة بجهودها واشتراكها في الثورة الى جانب الرجل واستشهادها دفاعا عن حرية واستقلال الوطن ، أن تسهم الى حد كبير في تغيير النظرة الاجتماعية والحالة النفسية لدى أقسام واسعة من الرأي العام في البلاد ، كما ينبغي أن نشير الى حقيقة أخرى ، وهي دخول المرأة المصرية مجال العمل الصناعي ومعاناة الاستغلال الرأسمالي ، واشتداد الحاجة اليها كأيد عاملة رخيصة زهيدة التكلفة ، مما استدعى بالتالي تأكيد دورها البناء في المجتمع ، والوقوف الى جانبها والدفاع عنها ، نجد **الحزب الاشتراكي المصري** في

[٧] المصدر السابق ج ٢ : ص ٧٥
[٨] المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم . ص ١٢٩
[٩] احمد طه أحمد — المرأة كفاحها وعملها . ص ٧٠ — نقلا عن كتاب « مسألة مصر » .
[١٠] المصدر السابق . ص ٧١ — نقلا عن كتاب « مصر » .

ذلك الوقت يطالب فى برنامجه « للنساء التمتع بالحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وجعل التعليم اجباريا للجميع بنين وبنات » .

وكان من الطبيعى أن يثير كفاح المرأة المصرية اهتمام الرأى العام العالمى عن طريق أخبارها التى كانت تتناقلها الصحافة الاوربية ، مما دعا بالاتحاد النسائى الدولى للدفاع عن حقوق المرأة السياسية والاجتماعية ، الذى تكون فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، الى توجيه الدعوة الى هدى شعراوى والسيدات المصريات للاشتراك فى مؤتمره السنوى فى سويسرا عام ١٩٢٠ ، غير أن ظروف الكفاح قد حالت دون اجابة الدعوة فى ذلك الوقت .

وفى شهر يناير سنة ١٩٢٢ عقب القبض على سعد زغلول وصحبه ونفيهم الى مالطة ، قامت لجنة الوفد المركزية للسيدات بتنظيم حملة المقاومة السلبية ، تلبية للنداء الذى أعلنته القيادة الوفدية فى ٢٣ يناير ، بصفتها المعبرة عن مصالح البورجوازية الوطنية أمام طغيان المصالح الاستعمارية فى البلاد ، بعدم التعاون مع الانجليز ومقاطعة كافة البنوك وشركات التأمين ووسائل النقل والبضائع الانجليزية والدعوة الى تشجيع المصنوعات المحلية ، ونجحت المقاطعة بدرجة كبيرة أثارت حنق الانجليز ، وذلك بفضل الحملة التى نظمتها هدى شعراوى والسيدات المصريات وتعبئة الطالبات والطلبة للدعوة لقرار المقاطعة بين المواطنين ومنع الجماهير من التعامل مع الشركات والمحال التجارية الانجليزية .

على ان جهود المرأة لم تقف عند حد ، ففى ١٧ يوليو سنة ١٩٢٢ ، وعلى اثر الانباء التى تواترت عن تدهور صحة سعد زغلول فى منفاه ، توجه وفد من السيدات المصريات على رأسه حرم المرحوم رياض باشا ، وحرم ويصا واصف بك لمقابلة اللورد اللنبى وسلمته احتجاجا مكتوبا على أبعاد الزعيم سعد زغلول الذى اعتلت صحته ، وقام الوفد أيضا بمقابلة توفيق نسيم رئيس الديوان الملكى وسفراء الدول الاجنبية وسلمهم احتجاجات مماثلة ، كما بعث الوفد النسائى باحتجاجات اخرى الى مجلس العموم البريطانى ورئيس وزراء بريطانيا والصحف الانجليزية [١١] .

الاتحاد النسائى المصرى وحركة تحرير المرأة

ولعل من أبرز الاحداث التى شهدتها البلاد فى هذه الايام ، وتعد من أهم نتائج ثورة ١٩١٩ الاجتماعية وحركة تحرير المرأة هما : عملية نزع الحجاب التى كانت أول من أقدمت عليها هدى شعراوى وزميلتها سيزا نبراوى أثناء عودتهن من المؤتمر النسائى الدولى فى روما فى مستهل عام ١٩٢٣ ، اذ سرعان ما اقتفت أثرهن الكثيرات . وخرجت المرأة الى الشارع لتواجه المجتمع والحياة سافرة الوجه ، بعد أن كانت تسير فى الشارع كالخيمة السوداء المتحركة ، كما وصفها أحد الاجانب الذين زاروا مصر من قبل .

وكان الحدث الثانى هو الاعلان عن تأسيس الاتحاد النسائى المصرى فى ١٦ مارس من نفس العام ، كفرع من الاتحاد النسائى الدولى للدفاع عن حقوق المرأة السياسية والاجتماعية .

وجاء هذان الحدثان فى وقت ازداد فيه دور المرأة فى الانشطة الاجتماعية المختلفة ، واشتدت حاجة المجتمع اليها . وقد قوبل ميلاد الاتحاد النسائى بالترحيب والتأييد الشديدين من جانب الاوساط الشعبية والطبقة الوسطى وأصحاب الاقلام الحرة ، كما قوبل فى نفس الوقت بحملة عنيفة من جانب الدوائر الاستعمارية والرجعية والعناصر المتخلفة والمتزمتة من هواة اقتناء النساء واستعبادهن ، الذين اعلنوا معارضتهم لنيل المرأة حقوقها ، بزعم الخروج على الدين والتقاليد ومنافسة الرجل فى مجالات العمل والكسب ، او لاسباب بيولوجية او لنقص فى تكوينها وعقلها ، الى آخر هذه الادعاءات المهينة للنيل من كرامة المرأة والتصغير من شأنها .

ولكن العجب سوف يزول عند البحث عن الاسباب الموضوعية وراء تلك الحملة المغرضة ضد المرأة ، فقد انتهت فى ذلك الوقت لجنة الثلاثين المكلفة بوضع الدستور ، بعد استبعاد أنصار سعد زغلول منها ، وظهر بجلاء موقف الرجعية من المرأة المصرية ، وهى التى لم تنس بعد دورها أثناء الثورة . فقد حرمها الدستور من جميع حقوقها السياسية مثل حق الترشيح ، والانتخاب ، فى الوقت الذى منح فيه حق الانتخاب للاميين من الرجال . كما ازدحم بالمواد التى تنظم وتحافظ على العلاقات الاقطاعية والراسمالية فى المجتمع ، والابقاء على استغلال الرجل للمرأة أو بمعنى أدق استغلال نصف المجتمع لنصفه الاخر .

غير ان هذه المحاولات الرجعية لم تنل من عزيمة المرأة ومواصلة السعى من أجل اثبات وجودها واستخلاص حقوقها . فنجد انه عقب تولية سعد للوزارة فى مستهل عام ١٩٢٤ وافتتاح البرلمان يتقدم الاتحاد النسائى بالاشتراك مع لجنة الوفد للسيدات الى الوزارة بعدة مطالب سياسية

---

[١١] حوليات مصر السياسية ، احمد شفيق باشا

ونسوية ، مثل اقرار حق الانتخاب ، ومساواة الجنسين فى التعليم ، وتعديل بعض قوانين الاحوال الشخصية ، وتقرير سن السادسة عشرة حدا أدنى لزواج الفتاة ، ومنع تعدد الزوجات الا فى الحالات الخاصة ، ووضع حد لفوضى الطلاق الخ وتمكنت عن طريق ضغط أقسام واسعة من الرأى العام والصحف الوطنية والاقلام الحرة من توصيل هذه المطالب الى داخل البرلمان . ولكنها تجد اعراضا من البرلمان بخصوص هذه المطالب فى ذلك الوقت .

وينتهز الاتحاد النسائى فرصة اذاعة خطاب العرش فى افتتاح الدورة البرلمانية الثانية فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وخلوه من أى اشارة تتعلق بمطالب وحقوق المرأة ، فتبعث هدى شعراوى بمذكرة احتجاج باسم الاتحاد النسائى المصرى ، الى كل من رئيس مجلس الشيوخ والنواب وتجدد فيها مطالب المرأة ، وتنتقد خطبة العرش « ومن انها عنيت بالتنصيص فيها على موضوعات شتى منها ما هو أقل أهمية من مسألتنا كتنصيصها على اصلاح نتاج المواشى وتحسين الاسمدة » . كما تنعى على وزارة سعد زغلول لموقفها من مطالب المرأة بقولها : « ومما يزيد فى أسفنا ان الحكومة لم تقف عند حد هذا الاغفال بل تعدته الى حد تعطيل روح بعض القوانين التى صدرت فى صالح المرأة قبل توليتها الحكم ، فقد أصدرت منشورات للمحاكم الشرعية تجيز اثبات سن الفتاة عند زواجها بشهادة أقاربها ، مع ان القانون يقتضى لاثبات السن تقديم وثيقة رسمية .. وان الحكومة استبقت العمل بتلك القوانين الرجعية القديمة التى تمنع قبول الفتاة فى المدارس العالية وتمنع قبولها فى الامتحانات الثانوية والنهائية » (١٢)

الخلاف بين هدى شعراوى وسعد زغلول

ولقد أكدت تطورات الاحداث السياسية منذ اندلاع الثورة فى مارس سنة ١٩١٩ ، عدم تخلف المرأة المصرية عن الاهتمام بقضية الحرية والاستقلال ، والمشاركة فى الحركة الوطنية كجزء حى متفاعل من جسد الامة . غير ان التطورات الخطيرة التى شهدتها البلاد فى هذه الفترة من أواخر عام ١٩٢٤ ، كانت لها آثارها التى انعكست على كيان ومستقبل الحركة النسائية فى مصر لسنين طويلة فيما بعد . ففى ذلك الوقت كانت سحب الازمة السياسية مع بريطانيا تتجمع فى سماء البلاد وتأخذ بخناق وزارة سعد زغلول الوفدية ، وهى أزمات ساهمت فى خلقها الوزارة الوفدية وسياسة البورجوازية الوطنية ، بانتهاجها سياسة معادية لمصالح العمال والفلاحين ، وضرب القوى الاشتراكية وحل اتحاد العمال بالاسكندرية والقبض على القادة النقابيين ، وتحريم الاجتماعات العامة ، مما أفقدها الكثير من ثقة وتأييد الطبقات الشعبية ، الامر الذى أضعف من موقفها تجاه الانجليز والسراى وبقية القوى المضادة فى الداخل ، وجعل سياسة الوفد البورجوازية غير محددة تماما بالنسبة لقضية الحرية والاستقلال ، وتتذبذب بين أسلوب المهادنة والمفاوضات السلمية داخل الحكم وبين الموقف العنيد المتصلب خارج الحكم . حتى وصلت تلك الازمة مع بريطانيا الى ذروتها اثر حادث اغتيال السردار فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ . وتحرك القائد اللنبى فى مظاهرة عسكرية الى مجلس الوزراء ليسلم الانذار والمطالب البريطانية الشهيرة الى سعد زغلول .

وأمام هذه المحنة الشديدة التى تتعرض لها الوزارة والبلاد ، تحركت لجنة المقاطعة برياسة هدى شعراوى ضمن سائر القوى الوطنية والشعبية لمساندة سعد زغلول فى مواجهة الطغيان البريطانى . وبعثت هدى شعراوى الى سعد زغلول بتلغراف فى صباح يوم ٢٣ نوفمبر تقول فيه « مهما كان أسف البلاد عظيما من الجناية التى اغتالت حياة قائد عظيم فلن ينبغى للتكفير عنها التضحية بشرف الامة وكرامتها » ، لذلك تطلب « لجنة المقاطعة » من دولتكم الاحتفاظ بهذه الكرامة برفض طلبات انجلترا . ومع علمنا بأن تلك الدولة بيدها أن تنفذ بالقوة ما طلبته نرى من العار أن يذبح أبناء البلاد كرامة أمتهم بأيديهم خصوصا وان حكومتنا قامت والشعب باعلان استنكار الجريمة والحكومة مجدة فى البحث عن الجناة ، وقد وفقت للقبض على فريق منهم قياما بواجبها لا خنوعا لسطوة انجلترا » (١٣)

ولكن سعد زغلول انطلاقا من سياسة الوفد المتذبذبة واستطرادا لمواقفه السابقة منذ توليه الحكم ، وافق على معظم المطالب التى وردت فى الانذار البريطانى ، وذلك قبل أن ينتهى يوم ٢٣ نوفمبر .

وخرجت الصحف فى اليوم التالى تحمل صفحاتها عنوان كبير « كتاب مفتوح لصاحب الدولة سعد زغلول » بتوقيع هدى شعراوى ، وبعدان تسرد هدى شعراوى الاخطاء التى تردى فيها سعد زغلول وتنتقدها بعنف ، تقول فى نهاية الكتاب :

---

[١٢] جريدة الاخبار : ١٦/١١/١٩٢٤
[١٣] جريدة الاخبار : ٢٤/١١/١٩٢٤

يا دولة الرئيس :

تمسكت بك البلاد وعهدت اليك الحكم رجاءأن تفى بما وعدتها منتحقيقاستقلالها التام فى مصر والسودان • وها أنتترى أنه كلما طال العهد على ولايتك الحكم كلما بعدت الامة عن نيل هــــذه المطالب . وها أنت ترى ان السياسة التىاتبعتها كان ختامها اليوم ما وقع من فصل السودان وطرد المصريين منه وتدخل الانجليز فى شئون مصر الداخلية نفسها . كذلك التمس منك ما دمت لم توفق وانت فى الحكم لتحقيق عهدكبعملايجابىألا تكون على الاقل حجر عثرة فى سبيل جهاد امتك للتخلص من الحالة الحرجة التى وصلت اليها « لااقول بسبب سياستك ، بل يكفى ان اقول اثناء حكمك » وذلك بعمل سلبى ، هو التخلى عن الحكم فلم يبق سبيل لاظهار استيائك واحتجاجكعلىهذه التعديات ومشاركتك لامتك فى آلامها الا الرجوع الى صفوفها فى هذا الوقت العجيب [١٤] .

وبدلا من أن يعمل سعد زغلول على تدارك الموقف ، يتقدم الى الملك باستقالة وزارته فىاليوم التالى ٢٤ نوفمبر .

وتنتهز القوى المضادة فرصة استقالة ســـعد زغلول بصفته القيادة السياسية للحركة الوطنية وتخليه عن الحكم ، لتقوم بتنفيذ مخططها الرجعى الاستعمارى ، وجاءت بوزارة أحمد زيور فى نفس اليوم ليقوم بدور الجلاد للحركة الوطنية ، وتحت شعار انقاذ ما يمكن انقاذه ، شنت الحرب على الحركات الوطنية والشعبية بشتى الوســائل لاخمادها والقضاء عليها .

وكان رد لجنة المقاطعة برياسة هدى شعراوى ، بأن دعت الى عقد مؤتمر نسائى كبير فى (٢٨ نوفمبر عام ١٩٢٤) لاعلان موقف المرأة تجاه السياسة الرجعية الاستعمارية والاحتجاج على أعمال القمع والاجراءات التصفوية للحــركة الوطنية ، واتخذ المؤتمر جملة قرارات سياسية هامةمن بينها : ان اللجنة تعلن احتجاجها على الوزارة بوقف البرلمان وابعاد نواب الامة ، وعدم اعلانها برنامجا بما ستعمله حلا للازمة الحاضرة والاحتجاج على قبول الوزارة وحبس عدد من النواب دون اعلانهم التهم التى وجهت اليهموقبل الرجوع الى البرلمان فى أخذ تصريحه بجواز القبض عليهم ، واستنكار اعمال الوزارة بعدم احترام الدستور بتعطيل البرلمان والقبض على بعض أعضائه ، واستنكار سكوت الحكومة ازاء تصرف الانجليز باخــراج الجنــود المصريين من السودان ، والاحتجاج على موقف الوزارة من خروج الجيش البريطانى وطوافه بالشوارع بشكل استفزازى واستثارةعواطفالشعب » • وفى ختام هذه القرارات تعلن اللجنة : تنبيه جميع طبقات الشعب من أفراد وجماعات وهيئات نيابية ونقابات مختلفة بان ساعة الخطر قد دقت وان الوطن فى حاجة الى التضافر من جميع أبنائه وتناسى الاحقاد والاضغان لدرء ذلك الخطر بالطرق الســلمية المشروعة » (١٥)

ولقى قرار لجنة المقاطعة استجابة وتأييدا فوريا من جانب القاعدة النسائية فى أنحاء البلاد ومن الهيئات الوطنية فى مصر والخارج ، حتى اننانجد هدى شعراوى تبعث فى يوم ٣٠ نوفمبر الى حرم عبد الله الطرزى بمدينه مدفلوط ردا على رسالتها قائلة : أشكركن والسيدات اللاتــى تفضــلن بالاشتراك معكن فى تعضيدى وأرجو بمعونتكن انتشار هذه الروح المباركة بين جميع الطبقاتآملة أن تكلل مجهوداتنا جميعا برد اعتداء الخصم ونيل البلاد حقها » [١٦] . وتبعث الجمعية المصرية بباريس الى هدى شعراوى تقول « نحيى وطنيتك ونؤيد مطالبك الخاصة بالسيدات ونناشدك بث الدعوة للاتحاد المقدس بين الاحزاب ونرجو ان تستمرى فى تنفيذ فكرة المقاطعة » [١٧] .

ولقد كانمن المنتظر بعد ذلك ان يتجه تطور الحركة النسائيةفىالاتجاه الثورى الصحيح كقوة اجتماعية وطنية لها وزنها وتأثيرها السياسى ، وذلك كامتداد طبيعى لتاريخها ونضالها السابق منذ اندلاع الثورةتحت قيادة هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى أكبرتجمع نسائى وطنى فى البلاد ورئيسة للجنة الوفد للسيدات ولجنة المقاطعة •

غير ان عنف الضربات التى أصيبت بها الحركة الوطنية والتصدع الذى أصاب قيادة الوفــد السياسية ، نتيجة الانقسامات داخل الحــزب وتحول البعض الى الجناح المضاد ، والاشتراك فى « حزب الاتحاد » او حزب السراىالذى اسسه اسماعيل صدقى ، قد انعكس بدوره داخلالحركة النسائية وأثر فى اتجاهها بعد ذلك ودخولها مرحلة التفكك والانقسامات ، خاصة وان القيادة كانت بأيدى زعيماتينتسبن الى العائلات الكبرى ولطبقة كبار الملاك • ومن جهة أخرى فقد ساعد على ذلك الخلاف الذى نشب بين هدى شعراوى وسعد زغلول بسبب رأيها فى سياسة الوفد التى زعزعت

---

[١٤] جريدةالاخبار : ١٩٢٤/١١/٢٤
[١٥] جريدة الاخبار : ١٩٢٤/١١/٣٠
[١٦] جريدة الاخبار : ١٩٢٤/١٢/١
[١٧] جريدة الاخبار : ١٩٢٤/١١/٣٠

كيان الحركة الوطنية ، وغضب سعد من لهجة الكتاب المفتوح الشديدة حتى بلغ حد القطيعة النهائية بينهما . وتبع ذلك خروج هدى شعراوى من لجنة الوفد المركزية للسيدات والتخلى عن الحركة السياسية .

ورأى فريق من السيدات الاستمرار فى الحركة السياسية فألفن اللجنة السعدية للسيدات برياسة شريفة رياض . ورأى الفريق الاخر وهو جمعية الاتحاد النسوى برياسة هدى شعراوى أن يعمل لمصر فى الناحية الاجتماعية » (١٨)

كل هذه العوامل قد أثرت الى حد كبير فى مسار الحركة النسائية المصرية ، وتحديد سياسة واتجاه الاتحاد النسائى وقيادة هدى شعراوى وتحولها الى الطريق الدستورى الاصلاحى والعمل فى حدود النظام القائم . ونجدها فى ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٦ عشية سفرها الى باريس للاشتراك فى المؤتمر العاشر للاتحاد النسائى الدولى للدفاع عن حقوق المرأة السياسية والاجتماعية ، تخطب فى اجتماع جمعية الاتحاد النسائى المصرى تقول : «انها ترى أن اشتغال المرأة بالشئون السياسية يجب ان يكون بعد ان تنتظم من شأنها فى العائلة ومركزها فى المجتمع » وانها ترى ان « الحالة قد استقرت على نوع ما ، ونالت البلاد الحكم الدستورى » [١٩]

كما نجد رئيسة الاتحاد النسائى بعد عدة سنوات تقول فى بيان نشاط وأهداف الاتحاد «بأن الاتحاد قام بتأسيس دار لتثقيف البنات اليتيمات والفقيرات به مستوصف لمعالجة الاطفال والنساء الفقيرات مجانا ، وقد تفضلت حكومتنا الموقرة لما تحققت من فوائد أعمالنا فأعطت الجمعية قطعة أرض فسيحة بشارع قصر العينى وسنشرع ان شاء الله قريبا فى بناء دار عليها » (٢٠) .

وان كان لايفوتنا ونحن بصدد هذا الحديث عن دور المرأة فى هذه الفترة التاريخية الهامة ، ان نشير الى ظهور محاولة أخرى فى أواخر سنة ١٩٢٥ لقيادة الحركة النسائية ، كانت تعد اكثر تقدما وتعبيرا عن الطبقة الوسطى ، والتى تمثلت فى البرنامج الذى دعت اليه الكاتبة والصحفية منيرة ثابت ، صاحبة مجلة الامل ، وذلك من أجل « السعى للحصول على حق التصويت للمرأة . ثم حق تمتعها بالعضوية فى المجالس النيابية على اختلافها» و « السعى للاتصال بالجماعات النسائية الاجتماعية فى بلاد الشرق أولا ، ثم فى بلاد الغرب وللدفاع المستمر عن مصالح المرأة سياسيا » . كما جاء فى البندين الخامس والتاسع من البرنامج (٢١)

ولكن نظرا لضعف الطبقة الوسطى، ولافتقار تلك الدعوة الى التنظيم ، اذ سرعان ما اندثرت ، أمام طغيان المد الرجعى الاستعمارى فى ذلك الوقت . وهكذا نرى ما انتهت اليه حال الحركة النسائية ، وان هذا الانحراف فى تقديرنا يرجع بالدرجة الاولى الى الطبيعة الطبقية للعناصر القيادية التى سيطرت على الحركة النسائية من العائلات الكبيرة ، وبالتالى تفتيت الحركة النسائية وبروز الاتجاهات الاصلاحية ، حتى وصل عدد الجمعيات والهيئات النسائية فى مصر حوالى ١٥٠ جمعية خيرية للبر والاحسان ، فى ظل التطور الصناعى ونمو دور المرأة فى المجالات الاجتماعية والسياسية ، وذلك فى الفترة قبل ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ .

ويذكر الدكتور **محمد أنيس** فى مجال تقييمه لثورة ١٩١٩ « .. كذلك عجزت الحركة النسائية المصرية بسبب طبيعة العناصر المسيطرة عليها من أن تتطور تطورا ثوريا نضاليا فظلت تتسم بطابع الانحلال الى حد كبير ، والابتعاد عن مجال العمل الوطنى السياسى وحصر نشاطها فى مجال الخدمة الاجتماعية ذات الطابع الاحسانى فتتميع حقيقة التناقضات الرئيسية بين الطبقات الشعبية والارستقراطية المستغلة » (٢٢)

وأخيرا ان هذه الدراسة ليست سوى محاولة لتقصى دور المرأة فى ثورة ١٩١٩ الوطنية ، بالرغم من نقص المصادر لتأريخ دور المرأة ، الذى يجب ان يحظى بالمزيد من اهتمام الباحثين والدارسين فى الجمهورية العربية المتحدة .. ومن الملاحظ ان هناك عاملين يقللان من امكانيات البحث فى هذا المجال وهما : الاتجاه العام للدولة من المرأة ، والاتجاه الفكرى المسيطر على المؤرخين، واهتمام الصحافة بتقصى أخبار وتحركات النساء من الطبقة الارستقراطية والبورجوازية الحاكمة ، واغفال أخبار وتحركات المرأة العاملة فى بلادنا .

---

[١٨] الشهداء عبد الحكم الجراحى. المؤلف . على الغزالى الجبيلى . ص٢٩ ، ٣٠
[١٩] مجلة الامل : ١٩٢٦/٥/٨ .
[٢٠] المجلة الجديدة : مارس ١٩٣٠ ص ٥٢٢
[٢١] مجلة الامل العدد الاول . السنة الاولى . ٧ نوفمبر ١٩٢٥
[٢٢] مجلة الكاتب . اغسطس ١٩٦٥ .. ثورة ١٩١٩ — تحالف الطبقات بقيادة الرأسمالية المصرية ، ص ٤١



القسام ليشعل شرارة الكفاح المسلح

في نوفمبر منذ اربعة وثلاثين عاما ، قاد عز الدين القسام حركة للكفاح المسلح ضد الانتداب البريطاني . ورغم الاعداد الطويل ، فقد تم القضاء على هذه الحركة في مهدها ، الا انها كانت مقدمة لثورة ١٩٣٦ ، كما ان اهميتها تكمن في رفع شعار الكفاح المسلح ، والاساس الفكري الذي بلور مفاهيم جديدة في العمل السياسي والتنظيم .

واليوم وفي عنفوان حركة الكفاح المسلح الفلسطيني ، يجدر بنا ان نتدارس تاريخ النضال الفلسطيني والدروس التي يمكن استخلاصها منه ، ويعرض عبد القادر ياسين في هذا المقال لحركة « القسام » والتجارب المستفادة منها .

عبد القادر ياسين

لجأ الشيخ **عز الدين القسام** الى فلسطين ، في منتصف عام ١٩٢١ ، مخلفا في سوريا ثورة **منتكسة وحكما ضده بالاعدام لمشاركته في قيادة ثورة عشائر صهيون** ، واختار القسام ورفيقاه ، الشيخان محمد الحنفي ، وعلي الحاج عبيد مدينة حيفا لمقامهم .

وبدأ القسام في رصد الواقع ، ودراسة اوضاع الجماهير العربية في فلسطين ، مستفيدا من العلم الذي حصله في الازهر ، في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحالي ، على ايدي العلماء المصريين وعلى رأسهم الشيخ **محمد عبده**. كما انه استوعب خبرات ودروس ثورة عشائر صهيون **والتي** اوضحت له :

● ان **تعدد مجموعات الثوار** كان السبب الرئيسي في انتكاسة الثورة ، حيث اقامت معظم العشائر والطوائف السورية عصابات مسلحة

خاصة بها لمقاومة الاستعمار الفرنسى . وقام بين تلك العصابات تنسيق ، الا انه لم يغن عن الوحدة .

● الفراغ الذى احدثه غياب التنظيم الثورى ، الذى يخطط ، ويقود ، ويبلور جهود وطاقات الجماهير .

● سياسة الارتجال والحماس السطحى ، بدلا من التخطيط العلمى .

● اهمال تعبئة وتنظيم الجماهير ، مما سهل على الفرنسيين القضاء على الثورة .

وهكذا استخلص القسام من انتكاسة ثورة صهيون عدة شروط ضرورية لنجاح العمل الثورى :

● **وحدة اداة الثورة** .

● **اقامة تنظيم ثورى حديدى** .

● **قيام قيادة ثورية صلبة** .

● **تعبئة وتنظيم الجماهير** .

● **التخطيط العلمى في العمل الثورى** ، سياسيا كان ام عسكريا

● **الوضوح الفكرى** ، متمثلا فى **خط سياسى** واضح وسليم ، يحدد العدو ، والحليف ، وطبيعة المعركة ، والهدف الاستراتيجى ، والاهداف المرحلية ، واشكال النضال .

● **نضوج الظروف** ، والعمل على تهيئتها لتفجير الثورة .

بدء النشاط

بدأ القسام بالحلقة الرئيسية : **التنظيم** ، فشرع فى بناء الخلايا السرية ، بعد ثلاث سنوات من الدراسة ، وجعل من شمال فلسطين مسرحا لنشاطه السياسى والتنظيمى ، وهى المنطقة التى تموج بالسخط والنقمة ، حيث طردت السلطات الاستعمارية ، والشركات الصهيونية ثلاثة آلاف اسرة هم سكان ٢٢ قرية من **مرج بنى عامر** ، و ١٥ الف شخص آخرين من اراضى **وادى الحوارث** ، ومثلهم من اراضى **الحولة** وغيرها (١) . مما اجج الروح الثورية بين فلاحى تلك المنطقة والذين تحول معظمهم الى عمال صناعيين او عمال زراعيين ، فى حين عانى من لم تنتزع منه ارضه من الارتفاع الفاحش للضريبة ، والانخفاض الشديد والمتعمد فى اسعار المواد التى ينتجها الفلاح العربى .

وبالاضافة الى الفلاحين المقيمين والمطرودين من اراضيهم ، اعتمد القسام على العمال ، وقد انحدر معظمهم - كما رأينا - من اصول ريفية ، واحتشد اغلبهم فى مدينة حيفا . ولم يكن العمال بأحسن حالا من الفلاحين ، فهم يعانون من التخلف ، والبطالة ، وانخفاض الاجور ، وغياب التأمينات ، والحرمان من التنظيم النقابى ، فى حين كان العامل الصهيونى يتمتع بالثقافة ، والاجور العالية ، وحرية التنظيم النقابى ، والضمانات التى تحميه من البطالة . وباختصار كان العمال والفلاحون يعانون من قهر وطنى وطبقى .

وكانت **المجالات الجماهيرية** التى افاد منها ، وتحرك من خلالها القسام ، ليبث فيها دعايته وتحريضه ، وينتقى العناصر الصالحة منها لتجنيدها فى تنظيمه السرى ، هى :

● **المدرسة الاسلامية بحيفا** ، حيث عمل **مدرسا** بها .

● **جمعية الشبان المسلمين** بحيفا ، والتى انضم اليها عام ١٩٢٦ ، وانتخب - فيما بعد - رئيسا لها .

● **مسجد الاستقلال** فى حيفا ، حيث كان يفيد من خلال خطبه فيه .

● **قرى شمال فلسطين** ، وكان تعيينه **مأذونا** لها ، فرصة طالما استفاد منها القسام فى نشاطه السياسى .

● **التجمعات العمالية** ، واكواخ العمال المبنية من الصفيح الصدىء ، والمنتشرة فى اطراف مدينة حيفا .

ويذكر **محمد عزه دروزة** ان القسام كان منتسبا لفرع **حزب الاستقلال فى حيفا** (٢) . ولم يعرف بعد مدى صحة هذا القول خاصة وان احدا من الذين ارخوا للقسام لم يورد هذه الواقعة ، عدا دروزة ، والذى هو فى نفس الوقت احد اركان الحزب المذكور . هذا بالاضافة الى ان ايا من قادة حزب الاستقلال لم يشترك فى تشييع جنازة القسام فيما عدا اكرم زعيتر ، الذى دعا قادة البلاد الى المشاركة فى الجنازة ، ولكن دعوته ذهبت ادراج الرياح .

التنظيم

ومع ارتفاع معدلات الهجرة اليهودية الى فلسطين (وصل معدلها فى الفترة من

(١) دكتور محمد انيس - ((تاريخ القضية الفلسطينية)) ص ٣
(٢) محمد عزه دروزة ((حول الحركة العربية الحديثة)) ج ٣ ص ١٢٠

١٩٣٠ ـ ١٩٣٦ اكثر من ٤١٫٠٠٠ نسمة سنويا (٣)) ، وابتلاع الصهيونيين لالاف الدونمات من الاراضي ، وطردهم لعشرات الالاف من الفلاحين العرب من اراضيهم ، ومع تصعيد الاستعمار لاساليبه الارهابية والاستغلالية تضاعف السخط الشعبي ، وعبر عن نفسه في العديد من المؤتمرات والمظاهرات والاضطرابات الدموية في النصف الاول من الثلاثينات .

واتسع تنظيم القسام تبعا لذلك ، وبعد تدفق العشرات من جماهير الشعب عليه . وانبثقت عن قيادة التنظيم خمس لجان قيادية : الاولى للدعاية والتعبئة .. والثانية للتدريب العسكري .. والثالثة لتأمين الاسلحة وتخزينها .. والرابعة للمخابرات .. والاخيرة للاتصالات الخارجية .

اما **تجنيد الاعضاء** فكان يتم عن طريق وضع المرشح فترة من الزمن تحت التدريب والمراقبة . وقد نجح التنظيم في تجنيد معظم عناصره من الافراد الذين كانوا يقومون باعمال ثورية ، اثناء المظاهرات والاضرابات والهبات الثورية ، اى ان التنظيم كان يضم الى صفوفه العناصر الطليعية من الشعب .

وقسم التنظيم الى خلايا سرية ، تضم كل منها خمسة اعضاء كحد اعلى ، ويقودها نقيب ويدفع الاعضاء اشتراكاتهم المالية المقررة ، والتي كانت تصل الى عشر الدخل الشهري للعضو ، لتغطية عملية التسليح .

واعتمد القسام خطا تنظيميا ، قوامه (التنظيم السري) ، وبناء الكوادر السياسية والعسكرية ، وخطا سياسيا يضع الاستعمار البريطاني باعتباره العدو الرئيسي والصهيونية عميلة وتابعة له . اما اسلوب النضال الذي رأى القسام انه كفيل بطرد الاستعمار والصهيونية فهو الكفاح المسلح . وكان الاعضاء يحصلون مهارات سياسية وعسكرية ، تتمثل في ثقافة سياسية ودينية ، وتدريب عسكري .

وباستقراء اسماء عناصر تنظيم القسام ، يتبين لنا ان معظمهم من رجال الدين والفلاحين . فمن بين اربعين عضوا نشرت اسماؤهم ، يتضح لنا ان ٣٧ منهم يسبق كل منهم لقب (شيخ) مما جعل اعضاء التنظيم يعرفون **بالمشايخ** ، كما ان فيهم ٣٦ قرويا . وهذا يوضح ان **الدين كان ضمير انتفاضة القسام ، وانها كانت ثورة فلاحية في مضمونها .**

انشقاق

وفي اثناء هبة البراق في اغسطس (آب) ١٩٢٩ ، طلبت كتلة في تنظيم القسام الاسراع باعلان الثورة المسلحة ، الا ان القسام رفض طلبهم هذا ، مبينا لهم ان الاعداد للثورة لم يكن قد اكتمل بعد ، كما لم يكن التنظيم قد حقق توسعا كافيا .

وعادت نفس الكتلة واقترحت التوسع في جمع المال من الشعب ، وبكل الوسائل ، الا ان القسام حذرهم من استعمال العنف مع الجماهير ، لان هذا العنف سيعزلهم عنها ، والشعب « سيدفع تبرعات كافية للثورة ، بعد اعلانها مباشرة ، وبعد ان يعرف اهداف الثورة ، ويشاهد الانتصارات (٤) » . وهذان الموقفان يؤكدان استفادة القسام بخبرات ودروس (ثورة صهيون) .

التحرك

وفي اوائل عام ١٩٣٥ شعر القسام ، بحسه الثوري ، ان الظروف قد نضجت لخوض غمار الكفاح المسلح ضد الانتداب البريطاني والصهيونية .

● فقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية كانت منقسمة على نفسها ، مختلفة في كل شيء ، تتحكم في اشخاصها الاطماع والاهواء .

● اقتناع قطاعات غير قليلة من الجماهير بعدم جدوى الاساليب السلبية في الكفاح ، خاصة بعد ان قدمت تلك الجماهير آلاف الضحايا في المظاهرات والاضرابات ، دون ان يقتنع الاستعمار والصهيونية بعدالة المطالب العربية ! مما دفع من استعداد الجماهير للتحرك في خط الكفاح المسلح .

● اتساع تنظيم القسام ، وانتشاره ويروى **صبحي ياسين انه ضم حوالي مائتي عضو (٥)** ، في حين يذكر محمد عزة دروزه ان اعضاء التنظيم كانوا في حدود الخمسين عضوا (٦) .

● حصول القسام على السلاح اللازم لحركته ، خاصة بعد ان نجح في الاتصال بقنصلي تركيا وايطاليا بالقدس . وقد تم تخزين الاسلحة التي توفرت في قرية (جبلة) ★ مسقط رأس القسام ،

---

(٣) جامعة الدول العربية « الهجرة اليهودية الى فلسطين » ص ١٥
(٤) صبحي ياسين « الثورة العربية الكبرى » ص ٣٥
(٥) المصدر السابق ص ٣٤
(٦) دروزة ـ المصدر السابق ص ١٢٠.
★ قرية بمنطقة اللاذقية بسوريا .

ويقدر صبحى ياسين تلك الاسلحة بألف قطعة (٧) .

واراد القسام أن يختبر صلابة تنظيمه وقوته فعمد الى القيام ببعض الاعمال الثورية ومنذ أوائل ١٩٣٥ شهد المثلث العربى (**جنين ، نابلس ، طولكرم**) سيلا من الاغتيالات للضباط الانجليز والمشتبه فى تعاونهم من العرب (٨) .

وسارع القسام الى الحاج **امين الحسينى** (وكان آنذاك رئيسا للمجلس الاسلامى الاعلى ورأسا للحركة الوطنية) طالبا منه تعيينه واعظاعاما متنقلا، لتيسير وستر تنقله فى ارجاء فسطين للحض على الثورة . غير ان الحاج امين - فيما يروى المقربون من القسام - اعتذر عن تلبية رغبة القسام، بدعوى انه يعمل لحل القضية سياسيا (٩) .

عاد القسام الى حيفا . وعندما اقتربت ساعة الصفر ، ارسل **محمود سالم المخزوبى** الى الحاج امين يعلمه بعزمه على تفجير الثورة المسلحة ، ويطلب منه المشاركة ، الا ان الحاج امين لم يستجب لنداء القسام ، متعللا بأن « الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل » (١٠) .

وعودة القسام هنا الى الحاج أمين أتت لوعيه بأن الحاج امين كان لميزل يستقطب حوله الغالبية العظمى للجماهير الفلسطينية ، ثم أن الحاج أمين ، فى نهاية الامر ، زعيم وطنى ، معاد للاستعمار والصهيونية .

وميزت هاتان الواقعتان بين القسام والحاج امين .. فالاول برز **كرجل دين ثورى** ، فى حين تكشف الثانى عن رجل دين وطنى ولكنه محافظ ، معادللاستعمار والصهيونية ولكنه ضدالثورة ، لما تحمله من احتمالات التغيير الاجتماعى . وموقف الحاج امين هذا جاء منسجما مع وضعه الطبقى ، كمالك كبير .

الانتفاضة

آثر القسام - بعد فشله فى اجتذاب الحاج امين - ان يفجر الثورة المسلحة بدونه ، فاجتمع برفاقه فى منزل بحيفا . وكان ذلك فى مساء الثانى عشر من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٣٥ . وانتشر القسام ورفاقه الاربع والعشرون فى قضاء جنين لحض الجماهير على الثورة ، وتشكيل ما يعرف اليوم بالبؤرة الثورية ، وهى الصيغة العسكرية التى اعتمدها جيفارا فى بوليفيا . وقد اختار القسام قضاء جنين لوقوعه فى جبال الجليل الوعرة ، ذات المواصلات الصعبة ، مما يعرقل مواجهة سلطات الانتداب له .

وهكذا لجأ القسام الى المدينة ، فأقام فيها تنظيمه ، حيث السكان الاكثر تعليما ، والاشد تركيزا ، واستعدادا للتنظيم منهم فى الريف ، وحيث القبلية والطائفية والاقليمية - التى طالما عانى منها القسام فى عمله الثورى بسوريا - شبه محطمة ، وحيث الصراع السياسى اكثر وضوحا واحتداما .

وكان لجوء القسام الى الريف بمجرد عزمه على تفجير الثورة المسلحة يتسم بالحكمة ، فالريف هو المكان الذى تضعف فيه قبضة السلطة الاستعمارية ، ويتوفر الامان فى بطون الجبال واعماق الغابات للطلائع والعصابات المسلحة .

وانتشرت دوريات القسام فى قضاء جنين ، وحدث ان قتل المخزومى شرطيا صهيونيا ، مما كشف مواقع الثوار ، وافقد القسام عنصر المباغتة، وفى صباح اليوم التالى (١٩٣٥/١١/١٥) وقعت معركة بين الثوار والشرطة قرب قرية **البارد** سقط فيها **الشيخ محمد الحلحولى** شهيدا ، كما قتل اثنين من الشرطة .

وعندها عقد اجتماع حضره كبار العسكريين البريطانيين فى دار المندوب السامى البريطانى بالقدس لمواجهة الموقف . وفى مساء الثامن عشر من نوفمبر (تشرين ثان) تحركت حملة مسلحة تقدر بحوالى خمسمائة جندى بريطانى ، وطوقت المنطقة التى وقعت فيها احداث ١٤ و ١٥ نوفمبر .

وضيقت الحملة الخناق على القسام واحد عشر من رفاقه فى احراش قرية **يعبد** ثم نجحت فى دفعهم الى قصر احد الوديان ، ودارت بين الطرفين معركة حامية غير متكافئة ، قرب قرية **الشيخ زيد** ، واصبح « قضاء جنين كأنه ساحة حرب » على حد تعبير جريدة (فلسطين) آنذاك . واستمرت المعركة من الفجر حتى التاسعة من صباح التاسع

---

(٧) صبحى ياسين « حرب العصابات فى فلسطين » ص ٧٠
(٨) صالح مسعود ابويصير «جهاد شعب فلسطين » ص ١٧٧
(٩) « الثورة العربية الكبرى » ص ٣٢
(١٠) المصدر السابق ص ٣٢ .

عشر من نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٣٥ ، واسفرت عن استشهاد القسام واثنين من رفاقه هما الشيخ **يوسف الزيباوى**، والشيخ **محمد حنفى احمد** وهو مصرى، وجرح كل من الشيخ **نمر السعدى** والشيخ **اسعد المفلح**، والشيخ **حسن الباير**، وتمكن الاول من الافلات ، فى حين اسر زميلاه مع من بقى حيا من رفاقهم، وهم : الشيخ **احمد عبدالرحمن جابر** ، والشيخ **محمد يوسف** ، **وعربى البدوى** .

وبذا قضى على الانتفاضة وهى لم تزل بعد فى دور المحاولة .

ما بعد الانتفاضة

ومن حيفا نقل جثمان القسام الى قرية **الباجور** فى جنازة مهيبة .

أما أركان الحركة الوطنية، فقد أرسلوا برقيات تقليدية تنعى الفقيد وان كانوا قدقاطعوا الجنازة . ثم اتجهوا بمطالبهم الى المندوب السامى ـ فى ٢٥ ـ ١١ ـ ١٩٣٥ ـ فى محاولة « لاقناعه » بضرورة وقف الهجرة اليهودية .. ومنع انتقال الاراضى لليهود .. ومنح فلسطين حكما ديمقراطيا !! وقد جاء تحركهم هذا بهدف صرف أنظار الجماهير عن معنى استشهاد القسام وصحبه .

أما الجناح المتقدم من الحركة الوطنية فقد احتفى بالقسام أيما احتفاء، فأقيم فى القدس حفل شعبى فى التاسع من ديسمبر (كانون أول) ١٩٣٥ ، تصدرته صورة فوتوغرافية كبيرة للشهيد القسام ، وتحول الحفل الى مظاهرة للتنديد بالقيادات التقليدية ، فندد **حمدى الحسينى** وهو أحد قادة حزب الاستقلال ورأس الجناح اليسارى فيه ـ « بالطرق الفاشلة للعمل الوطنى الفلسطينى » ، وفضح قيادة الحركة الوطنية التى تسعى الى تعزيز مواقعها « عند المستعمرين بالتظاهر بالوطنية ، واستغلت مع الاستعمار الدماء الذكية التى سفكت » (١١) .

دروس الانتفاضة

● كالومضة كانت انتفاضة القسام ، فى قوة ضوئها وسرعة خبوئه . الا انها مع ذلك كانت المبادرة الاولى ـ فى ظل الانتداب البريطانى ـ لخوض كفاح مسلح منظم ، والمرة الاولى الذى يتم فيها تحرك ثورى بمعزل عن القيادة التقليدية للحركة الوطنية ، وفى هذا تكمن اهميتها .

صحيح ان انتفاضة القسام لم تحقق اهدافها ، الا انها حفزت الجماهير لمضاعفة النضال .

● اضاءت الانتفاضة للجماهير الفلسطينية طريق حريتها ، واوضحت لها بأن **الكفاح المسلح** ليس ممكنا فحسب ، بل وضروريا ايضا لدحر الاستعمار والصهيونية .

● كشفت حركة القسام **خوار وتردد قيادة الحركة الوطنية** شبه الاقطاعية .

● دفعت الانتفاضة الجماهير الفلسطينية الى **انتزاع زمام المبادرة** من المتربعين على رأس الحركة الوطنية .. فجاءت ثورة ١٩٣٦ بمبادرة شعبية خالصة ، وبمعزل عن القيادة التقليدية . وان كانت تلك القيادة قد نجحت فى تطويق الثورة واحتوائها فيما بعد .

● اشعل القسام انتفاضته ، فى الوقت التى كانت فيه الجماهير لا تزال ملتفة حول القيادات التقليدية بشكل عام ، والحاج امين الحسينى بشكل خاص . ولم تأخذ حركة القسام فرصتها ـ زمنيا ـ لتجميع الجماهير حولها ، فكان ان اصابت ضربة الاستعمار الاولى قلب التنظيم .

● فرضت اعتبارات الامن على القسام ، وقف تنظيمه على النخبة ، مما ادى الى ضيق حجم التنظيم .

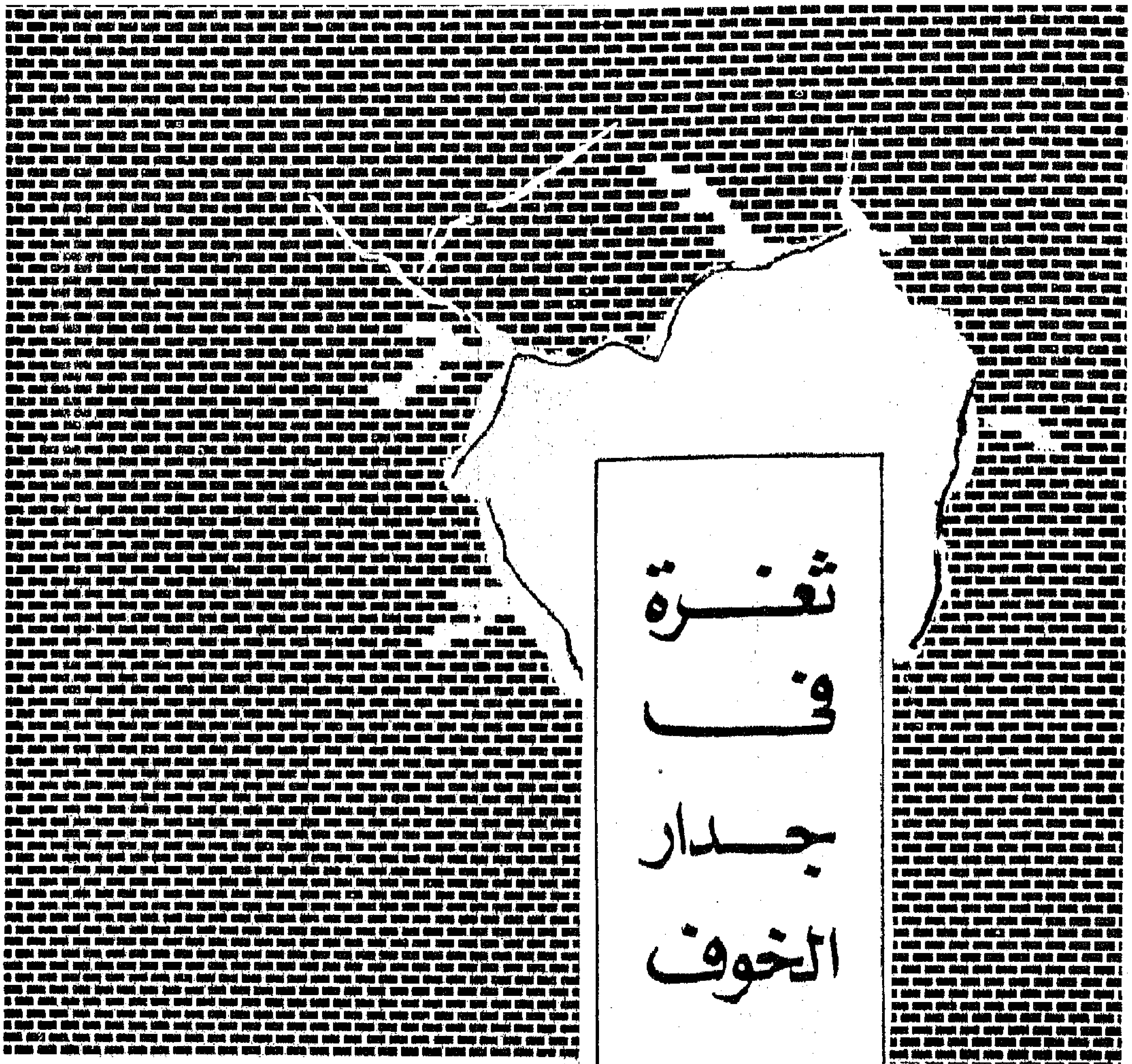
● اما الخطأ العسكرى الرئيسى الذى وقع فيه القسام ، **فكان فى حصره لنشاطه السياسى والتنظيمى فى منطقة واحدة** هى شمال فلسطين ، وفى بدئه الانتفاضة المسلحة فى منطقة جنين فقط ، مما سهل على الاستعمار الاجهاز عليها ، والحيلولة دون انتشار شرارتها الى بقية المناطق .. ولكن الى حين .

وبعد ...

فان انتفاضة القسام كانت المقدمة ، بل والبداية الحقيقية لثورة ١٩٣٦ ولم تكن الشهور الخمسة التى فصلت بينهما ، الا الفرصة التى تمكن فيها تنظيم القسام من التقاط انفاسه ، وتضميد جراحه ، وجمع شتاته .. ونجح التنظيم هذه المرة فى تفجير الثورة الجديدة ، والتى امتدت اكثر من ثلاث سنوات ، سطر فيها الشعب الفلسطينى اروع آيات التضحية والبطولة والفداء فى تاريخ العرب الوطنى .

---

(١١) جريدة « فلسطين » ١٠/١٢/١٩٣٥ ـ وردت فى كتاب (المقاومة العربية فى فلسطين) .



ثغرة في جدار الخوف

ألمانيا الغربية

وديع وهيب

عاشت أوربا — بل والعالم أجمع — فى شهر سبتمبر لحظات فريدة من الخوف والامل . لقد اندمجت الذكرى الثلاثون لبدء الحرب العالمية الثانية التى اشعلتها النازية الهتلرية مع أعنف معركة انتخـابية فى تاريخ المانيا الغـربية منذ تأسيسها عام ١٩٤٩ ، هذه الحملة التى شهدت نشاطا محموما للقوى « النـازية الجـديدة » وحلفاؤها مستهينون بكل التغيرات الجذرية التى طرأت على الموقف فى أوربا ، والعالم أجمع ، خلال العشرين عاما المنصرمة .

والواقع انه على الرغم من الهزيمة الجزئية التى حاقت بالقوى النازية الجديدة فى المانية الغربية فى مارس الماضى بنجاح **جوستاف هاينمان** (اشتراكى ديمقراطى) على وزير الحربية شرويدر ، ظل الصراع يزداد عنفا مع تسارع الاستقطاب

الاقتصادى والسياسى داخل المانيا بشكل لا تماثلها فيه أى دولة فى غرب أوربا .

((النازية الجديدة)) خطر حقيقى

لم يكن تركيز المراقبين على نشاط الحزب النازى الجديد المسمى ((**بالحزب الوطنى الديمقراطى**)) مجرد ميل لتبسيط الامور ، بل ان كل حقائق الحياة الاقتصادية والسياسية كانت ــ وما زالت ــ تجعل النازية خطرا حقيقيا فى المانيا الغربية .

منذ مدة والتطورات الاقتصادية الصرفة ترشح المانيا الغربية من جديد لنفس الدور الخطير الذى لعبته فى اشعال حربين عالميتين ، الاولى والثانية . فلقد كان تطور نصيب الراسمالية الالمانية (فى المانيا الغربية حاليا) من الانتاج الراسمالى العالمى من ١٨٧٠ حتى ١٩٦٥ كما يلى :

السنة	١٨٧٠	١٩١٣	١٩٢٠	١٩٣٧	١٩٤٨	١٩٦٥
نصيب المانيا من الانتاج الراسمالى العالمى	٦ر٨	٦ر١٠	٦	٨	٤	٩

ومع ان تاريخ الرأسمالية شهد فترات لم يتطابق فيها النفوذ السياسى لدولة راسمالية ما مع نسبة قوتها الاقتصادية فى النظام الرأسمالى العالمى فلقد كانت المانيا على العكس تطمح دائما فى أن تلعب دورا أكبر مما تؤهله لها قوتها الاقتصادية . ولذا فلم يكن غريبا أن تشدد الامبريالية الالمانية ضغطها من جديد ومنذ فترة من أجل ((**مجال حيوى**)) يتفق مع ما حققته من معدلات فى النمو ويعيد تقسيم خريطة العالم تبعا لموازين القوى الاقتصادية الجديدة .

كتبت مجلة ((**كريست اوند ريلت**)) الناطقة باسم الاحتكارات الالمانية منذ سنوات تقول : ((انه مهما كانت العقبات ، فاننا يجب أن نعمل على تحقيق التوازن بين تاثير الجمهورية الاتحادية الاقتصادى والسياسى فى العالم)) . واعلن رئيس البوندستاج ــ البرلمان ــ فى عهد ايرهارد :

((نحن القوة العالمية الصناعية الثالثة .. ومرة أخرى أصبح لنا بعض الوزن فى العالم ، ويجب أن نلحق بهذه القوة الاقتصادية التأثير السياسى المناسب)) .

ولما كان الصراع ضد الاشتراكية لا يمثل بالنسبة للامبريالية الالمانية مجرد مهمة طبقية للامبريالية ، بل هو فوق ذلك صراع لاكتساح الاشتراكية من فوق ارض المانية ، فلقد كان من الطبيعى أن يكون اندفاعها الاول فى هذه المرة نحو الشرق ، وهنا فهى لا تخفى لغة القوة . لقد صرح ((**ماجوييكا**)) رئيس لجنة الشئون الخارجية فى البرلمان فى عهد **ايرهارد** بقوله :

((ان اعادة توحيد المانيا تتطلب تغييرا جذريا فى ميزان القوى التى تشكلت فى أوربا بعد الحرب العالمية الثانية ، وانه لمن النادر جدا أن تصحح نتائج الحرب بالوسائل السلمية)) .

بل ان المستشار السابق ايرهارد اعلن بصراحة فى بيانه الشامل للبوندستاج فى ١٨/١/١٩٦٣ : ((اننا نؤمن تماما أنه يجب التغلب على أضخم الصعاب على طول الطريق المؤدية الى اعادة توحيد المانيا ويجب الا تستكين ارادتنا أو يستكين صمودنا . **ولتكن لدينا العزيمة ــ اذا احتاج الامر ــ الى أن نقدم التضحيات**)) .

وفى عام ١٩٦٤ دعا **هانز كريستوف سيبوهم** وزير النقل فى حكومة بون الى اعاده اقليم السوديت التشيكوسلوفاكى الى سكانه السابقين الالمان (١) .

تدعيم صناعة الحرب

ومن التطورات الاقتصادية الاخيرة فى المانيا الغربية ما شهدته السنة الاخيرة من حملة تركيز لم يعرف لها مثيل فى صناعة التسليح فى المانيا الغربية ، وبشكل سريع أخذت تنبثق الشركات الثنائية والثلاثية بل والرباعية الاسم تعبيرا عن حركات الاندماج فى صناعة الاسلحة وغيرها .

كانت البداية فى العام الماضى بعد أن أكد وزير مالية المانيا الغربية على الشركات بضرورة تركيز الصناعات لتنشيط وتوسيع التعاون بين وزارة الحربية والجيش من جهة ، وصناعات الاسلحة من جهة أخرى . وفى ذلك العام وبفضل المساعدة النشطة لحكومة بافاريا المحلية تم دمج شركة **بولكو** للطائرات والصواريخ فى ميونيخ فى شركة **ميسر شميت** ليطلق على الشركة الجديدة اسم ((**ميسر شميت ــ بولكو**)) ، وفى أوائل يوليو من العام الحالى انتقلت شركة **هامبورج** للطيران من ملكية عائلة المليونير بلوم الى ايدى الاحتكار الجديد ليصبح الاسم هو ((شركة **ميسر شميت ــ بولكو ــ بلوم**)) .

---

[١] كان هذا الاقليم قد انتزع من تشيكوسلوفاكيا وضم الى المانيا ابان حكم هتلر بمقتضى اتفاقية ميونيخ الشهيرة ، ثم اعيد الى تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب .

ومنذ مايو الماضي بدأت حملة تركيز سريعة اخرى، فاندمجت شركة مصانع الطيران المتحدة في بريمن التي تعتبر من كبريات شركات الطائرات والتي تحصل على ٨٩ في المائة من ارباحها من الطلبيات العسكرية مع مصانع **فوكر** الهولندية لصناعة الطائرات وكانت قد قامت قبل ذلك بفترة قصيرة بشراء ٥٠ في المائة من اسهم مصانع **هنشل** لانتاج الطائرات في كاسل • كما شهد النصف الثاني من شهر يوليو سيطرة احتكارات **سيمنز** على جزء من رؤوس الاموال الاصلية لاحتكارات م • ب • ب التي قامت بالتعاون مع **الشركة الكيميائية المحدودة** بميونيخ والتابعة للاخوة كروب بتأسيس الشركة البافارية الكيماوية لحركات الطيران التكنيكية ، كما قامت **شركة ديجوسا دويتشة جولد ـ زلبر ـ شايدة انشتالت** في فرانكفورت ـ ماين التي تعمل في الحقل الذري بالتعاون مع شركة اى جى • فارين التي تنتج مواد الحرب الكيميائية ووقود الصواريخ بتأسيس شركة أولترا فورم المحدودة •

كما شهد شهر فبراير من هذا العام اجتماعا عقده وزير الاقتصاد الالماني مع ممثلي احتكارات البترول الالمانية الثمانية اتفق فيه على تأسيس شركة مشتركة لتزويد المانيا كلها بالبترول •

وتتم عملية التركيز هذه منذ سنوات عديدة في احتكارات مجرم الحرب **فريدريش فليك** حيث تقوم شركة كراوس ـ مافاى بالانتاج الرئيسي للدبابة ليوبارد (التي كانت ضمن صفقة الاسلحة الالمانية لاسرائيل) بينما تقوم شركة مكسميلان للتعدين بانتاج صفائح هذه الدبابة وشركة **دايملر ـ بينيس** بانتاج محركاتها، وشركة **بوديروس** للتعدين بصنع أجزاء أخرى منها •

وتعتمد صناعة التسلح الالمانية الغربية على الطلبيات الحكومية التي تصل قيمتها حتى عام ١٩٧٣ (ومعها طلبيات البحث والتطوير العسكريين) الى ٣٣ بليون مارك • وفي نفس الوقت تندفع الاحتكارات الالمانية بكل عنفها الى الخارج بحثا عن الاسواق والمواد الخام ولتصدير رأس المال وهي تركز بصفة خاصة على موارد المواد الاستراتيجية كالبترول واليورانيوم والمعادن •

أذرع الاخطبوط تنمو من جديد

ففي اثناء زيارة شتراوس لليبيا (قبل الثورة) تم تأسيس كونسر رئيوم الماني للبترول من ثماني احتكارات المانية غربية برأسمال قدره ٥٧٥ مليون مارك تم منحها كقرض من حكومة بون للحصول على امتيازات نفطية جديدة في ليبيا • كما قامت احتكارات الصناعات الكيميائية والثقيلة بتركيز رؤوس أموالها في البلدان الواقعة في منطقة الخليج العربي حيث يحتل رأس المال الالماني الغربي مكانة هامة بين المؤسسات الاجنبية العاملة في استغلال حقول البترول في ايران ودبي وعمان ومسقط ،ودعت صحيفة **اندوستري كورير** في شهر مايو ١٩٦٩ الى « تأسيس شركة نفط المانية غربية مستقلة في ايران دون اى تخوف أو اعتبار للمصالح الامريكية هناك » •

أما في اليونان فقد حصلت شركة كروب على امتياز التنقيب عن الفحم البني بالقرب من تيولدمياس، بينما تقوم ثلاث احتكارات المانية بالبحث عن اليورانيوم في كندا وجنوب افريقيا والبرازيل منها شركة **اورانج زلشافت** التابعة لاحتكار سيمنز السابق الاشارة اليه •• الخ ••

ولقد كتب **هيرمان ابس** رئيس مجلس ادارة البنك الالماني الاتحادي في أوائل هذا العام داعيا الى مضاعفة تصدير رأس المال الالماني الغربي على أساس فائض العملات الصعبة التي تملكه المانيا الغربية •

وهذه القوة الاقتصادية تمتلكها طبقة حاكمة « لم تتغير الا قليلا عما كانت عليه عندما أتت بهتلر الى السلطة عام ١٩٣٣ • ولقد سيطرت هذه الطبقة على الدولة الالمانية الغربية بجهازها الحكومي الذي أصبح في أيدي النازيين السابقين في مجال الخدمة المدنية والاجهزة البوليسية والهيئات القضائية ، وأخيرا القوات المسلحة » (٢) •

وفي نفس الوقت تقول جريدة **نيوزويك** الامريكية في عددها في ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ « على الرغم من المنجزات الاقتصادية المدهشة لجمهورية المانيا الاتحادية فان لها مشاكل جد حقيقية ، فان سدس سكانها يعيشون على حافة الفقر والضغط المستمر للتضخم يجعل معيشة هؤلاء الفقراء أكثر قسوة » •

---

(٢) و.ف. بريت ـ مجلة ليبرمانتلي ـ فبراير ١٩٦٩ •

البوندسويهر يبحث
عن حل يوناني

وجنبا الى جنب مع نمو هذه القوة الاقتصادية كانت حكومات **اديناور ـ ايرهارد ـ كيسنجر** تندفع في طريق واحد هو تدعيم قوة بون العسكرية . ومن مجرد انشاء قوات بوليسية عام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ جاء عام ١٩٥٥ ومعه دخول المانيا الغربية حلف الاطلنطي وانشاء الجيش الالماني . « **البوند سويهر** » الذي لم يأت عام ١٩٦٧ حتى اصبح يضم نصف مليون جندي مسلحين بالصواريخ والمدافع الثقيلة والطائرات القادرة على نقل والقاء القنابل النووية والرؤوس الذرية، وليصبح القوة الاساسية الضاربة ، والموجهة لحلف الاطلنطي في اوربا واقوى الجيوش الاوربية في التحالف الغربي .

لقد انفق هتلر في ست سنوات ٩٠ مليار مارك على عمليات التحضير للحرب بينما انفقت حكومة كيسنجر منذ عام ١٩٦٦ أي في أقل من ثلاث سنوات ١٣٦ مليار مارك .

ولم تعد حكومات بون تخفي مطالبتها بامتلاك الاسلحة النووية، كما لم يعد سرا تلك الجهود التي تبذلها في انتاج الاسلحة الكيميائية والبكتريولوجية . لقد اعلن **شتراوس** وزير المالية في لندن في ٢١ ـ ٥ ـ ٦٩ « **ان أوربا الغربية** لن تصبح شريكا مستقلا ومتساويا مع الولايات المتحدة في المجال العسكري الا اذا اتحدت تدريجيا على أساس امتلاك اسلحة نووية خاصة بها » .

كما أعلن وزير الحربية **شرويدر** في محاضرة القاها في بادوربسبرج في مايو الماضي، « ان القوات العسكرية لالمانيا الغربية يجب أن تكون قادرة على استخدام وسائل مختلفة أي اسلحة تقليدية ونووية والعمل على استخدامها بصورة لا يتوقعها العدو » .

ولم يكن الامر مجرد طلب ، بل ان الاحتكارات الالمانية تنشط نشاطا واسعا في البحث عن اليورانيوم ، وتتعاون المانيا مع كل من اسرائيل وجنوب افريقيا في البحوث الذرية .

كما أعلن عالم الذرة الالماني الغربي **بيتر موبيوس** لصحيفة فتوبلادت السويدية **أنه** : « يوجد الان في المانيا الغربية ثمانون معملا اعترف القائمون عليها بأنهم يهتمون بالاسلحة البيولوجية والكيميائية » كما أكد الدكتور واير نيفريد بيتراس نفس الامر قائلا « ومما يثبت ذلك الانفجار الذي حدث في القاطرة المحملة بالمؤن الحربية في هانوفر وحادث تسمم نهر الراين وعدد آخر من الحوادث التي لا يمكن انكارها مطلقا » .

ومع اشتداد الصراعات الطبقية في المانيا الغربية لا تتورع القوى الرجعية من دفع الجيش الالماني شيئا فشيئا الى المعترك السياسي، ولقد أعلن الناشر الالماني الغربي **نيلد كوخ** في صحيفة ريكلنكو وزنر تسايتونغ في ٢ ـ ٧ ـ ١٩٦٩ أن عددا من جنرالات الجيش الالماني الغربي قد اعترفوا بوجود جماعة من الضباط يسعون الى « **حل يوناني** » لالمانيا الغربية . ولم يعد سرا على أحد ان الحزب النازي الجديد يعتبر حاليا المتحدث الرسمي باسم جنرالات المانيا الغربية ، وأن المعونات لا تقدم للحزب من الشركات الاحتكارية الكبرى فحسب بل ومن ميزانيات المخابرات العسكرية ايضا ، ولقد اعلن **فون تادن** نفسه : «ان الحزب الوطني الديمقراطي قد أصبحت له جذور ثابتة في البوند سويهر » وأن حزبه يضم اثنان من الجنرالات وستة كولونيلات وعدد كبير من الضباط الكبار .

هذا بينما لم تكف حكومة المانيا الغربية وحلفاؤها عن استفزازاتها ضد جمهورية المانيا الديمقراطية ، ففي اثناء المعركة الانتخابية أجريت مناورات عسكرية واسعة النطاق استمرت عشرة ايام على حدود المانيا الديمقراطية اشتركت فيها طائرات الفانتوم و٦٥ر٠٠٠ جندي تحت اشراف جنرال **تيبولد** الذي كان كولونيلا في أركان حرب هتلر .

الحزب النازى الجديد

فوق هذه الارضية انبثق حزب فون تادن النازى الجديد. ولم تصبغ صفة النازية على هذا الحزب لتعصبه ضد اليهود ، كما يظن البعض هنا فالتعصب ضد اليهود ليس جوهرا في الفاشية بل كان احد اساليبها ، ولقد اعلن تادن لجريدة بديعوت « **ان اسرائيل هي مثل لنا** . وحكومة اسرائيل تعطى مثلا أعلى لكل المعسكر المحافظ في المانيا الاتحادية » ، والضحية الجديدة للحزب « النازى الجديد » في المانيا الغربية هم « **العمال الاجانب** » .

ويطالب برنامج هذا الحزب بما يسميه «انهاء الذل القومي الناتج عن الاحتلال والتقسيم» و « الاصرار على ان المانيا للالمان واوربا للاوربيين » و « انهاء سيطرة رأس المال الامريكي على المانيا الغربية » و « تنظيم الشباب لابعادهم عن الشيوعية » و « انشاء جيش وطني قوي يعيد امجاد الجيوش الالمانية السابقة » ويعلن « ان الشعب الالماني لن يتخلى عن كونه أمل أوربا » .

وتتكون اللجنة المركزية له من ١٨ عضوا ، منهم ١٢ من النازيين السابقين .

ولقد كان المؤتمر غير العادى الذى عقده هذا الحزب فى مدينة شفاباخ الالمانية الذى أقر برنامج الحزب للانتخابات صورة حقيقية للاخطار التى تهدد أوربا بل والعالم أجمع . لقد أعلن فون تاون ان حزبه اذا دخل البرلمان فسيقوم « بارغام » الاتحاد السوفيتى فى يوم ما على الموافقة على ازالة الاشتراكية من المانيا كما طالب بتزويد أوربا الغربية بالاسلحة الذرية وفى الداخل طالب بادخال روح جديدة وتطبيق استراتيجية جديدة فى القوات المسلحة الالمانية الغربية قائلا : « يجب الغاء جميع النظم القائمة على اعادة التربية ، ويجب نقل وتطبيق جميع النظم العسكرية الاسرائيلية باسرع ما يمكن ، ففى الواقع لن يكون هذا النقل الا عملية اعادة نقل النظم العسكرية الالمانية السابقة ولكن بصورة أكثر تحديدا ونقاء » .

كما طالب نائب رئيس الحزب باصدار عفو عام على جميع المجرمين النازيين ، وأعلن ان حزبه هو القادر على « تحقيق الاستقرار للاوضاع السياسية السائدة فى المانيا » . ولقد شكل الحزب بالفعل عصابات مسلحة وعين مسئولا خاصا فى كل مقاطعة اتحادية ليتولى تشكيل هذه القوة .

حلف ضخم من متطرفى اليمين

ومع ازدياد انفضاض اتباع الحزب الديمقراطى المسيحى من حوله بدأ قادة الديمقراطيين المسيحيين وخاصة الجناح اليمينى وعلى رأسه **كورت كيسنجر** يجدون أن الحل الوحيد الذى أمامهم هو تغذية مشاعر التعصب القومى الالمانى وأخذت نشاطاتهم العملية تقترب أكثر فأكثر نحو برنامج الحزب النازى ، وقد اشار المراقبون الى خطة لكورت كيسنجر تقوم على التبكير باقامة حلف ضخم من متطرفى اليمين يحتل فيه الحزب النازى الجديد مركزا بارزا . وقد جرت « بروفات » هذا الحلف فى الانتخابات المحلية حيث صوت الديمقراطيون المسيحيون لحزب فون تاون ضد حلفائهم فى الحكم وقتذاك من الاشتراكيين الديمقراطيين فى نورمبرج وكولمباخ ودورث ماركت وبادن وغيرها مما مكنه من الفوز بستين مقعدا فى برلمانات سبع حكومات محلية فى المانيا الغربية بل لقد نشرت فى برلين فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٩ وثيقة تحمل رقم ـ ٧٠ ـ ٣٠ ـ ن أ ـ تتحدث عن اتفاق مجموعة من السياسيين اليمينيين المتطرفين فى الحزب الديمقراطى المسيحى والمسيحى الاجتماعى بالتعاون مع الحزب النازى وبعض جنرالات الجيش على خطة كاملة للقيام « بانقلاب بارد » بواسطة الجيش .

القوى الديمقراطية تعـــزز نضالهـــا

الا أنه تتبلور فى المانيا الغربية من الجانب الاخر حركة ديمقراطية عارمة قد تكون من أنضج الحركات الديمقراطية فى أوربا الغربية فى الفترة الاخيرة من حيث نوعيتها . على الرغم من الارهاب الموجه ضدها وحل الحزب الشيوعى الالمانى ومطاردة اعضائه .

ففى **القاعدة العمالية** : يشدد العمال الالمان نضالهم لزيادة أجورهم بعد تضخم أرباح الاحتكاريين ، وحتى يوم ١١ سبتمبر ١٩٦٩ بلغ عدد المضربين ٥٠ ألفا من عمال التعدين والصلب والصناعات الاخرى مطالبين بزيادة أجورهم ، وعلى اثر انتهاء اضراب عمال الصلب بدأ موظفو الحكومة وعمال السكك الحديدية والمدرسين وعمال الطباعة يعدون للاضراب مطالبين بزيادة أجورهم .

وفى ٤ سبتمبر ١٩٦٩ قرر المؤتمر الثامن **لاتحاد عمال الصناعة الكيماوية** فى المانيا الغربية تنظيم حملة ضد خطر انبعاث النازية الجديدة فى المانيا الغربية وقام المشتركون فى المؤتمر الذين يمثلون نصف مليون عامل بمظاهرة وعقدوا اجتماعا جماهيريا تحت شعار « ضد النازية الجديدة واليمينيين المتطرفين . كما طالب المؤتمر بأن توقع حكومة بون على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية ، وايد تخفيف التسلح وتدمير جميع أسلحة الدمار الجماعى وخروج المانيا الغربية من حلف الاطلنطى وادان بشدة سياسة بون فى التسلح .

كما يلعب **شباب المانيا وطلبتها دورا** بارزا فى النضال الديمقراطى والسلامى تحت زعامة **« رابطة الطلبة الاشتراكيين الالمان »** بعد انسحابها من الحزب الاشتراكى الديمقراطى على أثر اشتراك هذا الاخير مع الحزب الديمقراطى المسيحى فى الحكم ، ثم نجاحها فى السيطرة على قيادة الاتحاد العام للطلاب . ولقد شهد عام ١٩٦٨ سلسلة من المظاهرات العنيفة التى امتدت الى ٢٦ مدينة ووقعت فيها صدامات دامية مع البوليس الالمانى على اثر محاولة اغتيال **رودى دويتشك** زعيم الشباب اليسارى فى أبريل ١٩٦٨ بتحريض سافر من صحافة « **امبراطورية شبرنجر** » الذى

يسيطر على اكثر من نصف صحف ومجلات المانيا الغربية .

والى جانب المنظمات الديمقراطية الاخرى لعبت حركة **ماتزين** وهى حركة يهودية معادية للصهيونية تدعو للقضاء على دولة اسرائيل واقامة دولة فلسطينية يعيش فيها العرب واليهود معا ، وتتكون من شباب حملتهم السلطات الاسرائيلية على الهروب من اسرائيل ، ويصدرون مجلة باسم « **اسرائيل امبريال** » ، لعبت دورا كبيرا فى فضح سياسة حكومة بون الموالية للعدوان الاسرائيلى وساعدت فى المواجهات التى تمت لسفير اسرائيل فى المانيا فى الفترة الاخيرة .

ولا شك ان النجاحات الضخمة التى حققتها **المانيا الديمقراطية** فى المجال الاقتصادى، وفى مجال السياسة الخارجية تلعب دورا ليس بالقليل فى تقديم نموذج لالمانيا قوية وديمقراطية ومحبة للسلم وتعطى للحركة الديمقراطية الالمانية اندفاعا وجرأة .

ولقد وحدت القوى الديمقراطية قواها فى المعركة الانتخابية فيما سمى « بحركة العمل من اجل التقدم الديمقراطى» وان كانت قد ووجهت بكل تعنت حكومة بون واضطهادها . وشهدت الحملة الانتخابية منذ ايامها الاولى اشتباكات عنيفة بين رجال البوليس من حراس زعيم الحزب النازى وبين المتظاهرين المناهضين للنازية ، واستمرت المظاهرات تجتاح مدن المانيا الغربية واستخدم نحو ٢٠٠٠ من المتظاهرين فى **هامبورج** الغازات المسيلة للدموع لفض اجتماع عقده الحزب النازى هناك ، كما شهدت مدينة **وردهورن** قرب الحدود الالمانية الهولندية مظاهرة مشتركة من مواطنى البلدين تحت شعار النضال المشترك ضد تزايد خطر النازية الجديدة . وفى نفس الوقت شهدت برلين الغربية مظاهرة ضد سياسة اسرائيل التى تتحالف مع قتلة اليهود السابقين وقادة بون الحاليين ، كما شهدت مدينة **دسلدورف** مسيرة ضخمة لادانة دعم حكومة بون للحرب الامريكية القذرة فى فيتنام .

وفى ظل هذا الصراع تفسخ الحلف الحاكم من الحزبين المسيحى الديمقراطى والاشتراكى الديمقراطى وبدأ كلا من الحزبين القاء مسئولية ما تواجهه المانيا من مصاعب على الحزب الاخر . وتذكرت صحف الاشتراكيين الديمقراطيين أن هناك وثائق تكشف عن الماضى النازى للحليف كيسنجر .

نتائج الانتخابات

واحتمالات المستقبل

لقد جاءت الانتخابات بهزيمة لا شك فيها للحزب الديمقراطى المسيحى فقد خسر ٥ر١ فى المائة من الاصوات التى كان قد نالها فى الانتخابات الماضية و ٣ مقاعد من مقاعده فى البوندستاج القديم، بينما حقق الحزب الاشتراكى الديمقراطى زيادة ٤ر٣ فى المائة من الاصوات و٢٢ مقعدا وخسر الحزب الديمقراطى الحر نسبة من اصواته ومقاعده ولكن الشىء الهام هو انه لاول مرة طيلة السنوات العشرين توفرت امكانية ابعاد الحزب الديمقراطى المسيحى والحزب الاجتماعى المسيحى عن الحكم بتكوين حكومة من الحزبين الاشتراكى الديمقراطى والديمقراطى الحر .

ولقد اعلنت حركة العمل من أجل التقدم الديمقراطى فى بيان لها استعدادها لدعم حكومة من هذا الائتلاف اذا ما وضعت برنامجا لسياسة ترمى الى السلام وتخفيف التوتر ، واجراء اصلاحات ديمقراطية عميقة ، ووقف التطور الرجعى للبلاد .

والواقع أن أولئك الذين يقدرون خطورة الوضع القائم فى المانيا الغربية هم وحدهم الذين يمكنهم أن يتفهموا الاهمية البالغة للاستفادة من أى ثغرة فى سبيل الاندفاع لاحداث تغيير حقيقى .

ان تصويت ١٤ مليون ناخب لصالح الحزب الاشتراكى الديمقراطى، كان موجها فى الاساس ضد الحزبين الديمقراطى المسيحى والاجتماعى المسيحى ، ويعكس رغبة الجماهير الالمانية فى تحرير الحزب الاشتراكى الديمقراطى من قيود الحزبين السابقين ، ولكن تلبية هذه الرغبة تتطلب من قيادة الحزب الاشتراكى التخلى عن السياسة التوسعية الانتقامية المهددة للسلم والمعادية للديمقراطية التى كان ينتهجها الحزبان السابقان ، وهذا أمر غير متوقع .

ان الانتخابات الالمانية لم تحسم طريق المانيا بأى شكل ، فلقد فاز الحزبان المسيحيان بأغلبية الاصوات ، وإذا كانت الحملات الجسورة التى قامت بها القوى التقدمية منعت الحزب النازى الجديد من دخول البرلمان ، فيجب ألا نغفل أن النازيين الجدد قد ضاعفوا أصواتهم بالمقارنة بعام ١٩٦٥ مما يؤكد صدق القلق الذى ابداه الرأى العالمى من انتشار موجات اليمين والنازية الجديدة فى المانيا الغربية ، ومما يتطلب اليقظة الى أقصى حد .



المقاومة الفلسطينية

كيف تفكر؟ كيف تعمل؟ كيف تواجه الحاضر؟ كيف تواجه المستقبل؟

في اطار خطة الطليعة لادارة حوار علني وصريح مع المقاومة الفلسطينية : ننشر نص الحوار الذي دار بين « نايف حواتمة » عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وبين « لطفي الخولي » رئيس تحرير الطليعة . وذلك حول الموقف الفكري والعملي للجبهة ، ورؤيتها للموقف الراهن في الصراع العربي — الاسرائيلي ، وارتباطه بحركة الثورة العربية المعاصرة عامة ، وحركة المقاومة لتحرير فلسطين خاصة .

ويمثل هذا الحوار « الحلقة الثانية » من المناقشة المفتوحة مع فصائل المقاومة . وكانت الطليعة قد نشرت « الحلقة الاولى » والتي تضمنت حوارها مع « أبو اياد » عضو اللجنة المركزية لفتح ، وذلك في عدد يونيو ١٩٦٩ .

ولا تزال دعوة « الطليعة » الى الحوار ،

مفتوحة بترحاب ، أمام جميع منظمات المقاومة عن طريق ممثلين مسئولين ومفوضين ٠

ومرة أخرى تسجل « الطليعة » انها استهدفت من هذا الحوار ، تحديد الارضية الفكرية والعملية لحركة المقاومة الفلسطينية التي غدت عاملا رئيسيا ومتعاظما للتحرير ٠ وبهذا التحديد يمكن تمييز نقاط الاتفاق عن نقاط الاختلاف ، وذلك بغرض تعميق الاولى وحصر ومعالجة الثانية ، وصولا الى وحدة عمل حركة المقاومة وتدعيمها وحمايتها ٠

وليس من شك في ان هذا الهدف لن يتحقق بصورة صحيحة وديمقراطية وحقيقية الا من خلال احتضان الجماهير العربية - الواعي والمسئول - لحركة المقاومة الفلسطينية وقضاياها ومشاكلها ٠ وهو ما لا يتم الا من خلال المعرفة الموضوعية

حوار بين "الجبهة الديمقراطية" و"الطليعة"

لطفي الخولي : احب في البداية ان اوجه اليكم باسم الطليعة ، الشكر على استجابتكم لدعوتها الى الاشتراك في هذا الحوار المفتوح ٠ وهو الحوار الذي قررت الطليعة ان تديره مع الممثلين المفوضين لمنظمات المقاومة الفلسطينية المسلحة ، بشكل علني كي يتاح للجماهير العربية الوقوف على الفكريات الخاصة بفصائل المقاومة واستراتيجيتها وتكتيكاتها في كل من المدى القصير والطويل معا ٠ وهدفنا من ذلك هو اشراك الجماهير العربية في تشخيص الموقف الواقعي للمقاومة ، ايجابيا وسلبيا على السواء ورصد نقط الاتفاق ونقط الاختلاف بين منظمات المقاومة واسبابها ، ليمكن من خلال ذلك الاسهام تمهيد الارضية التي يمكن فوقها بناء وحدة حركة المقاومة الفلسطينية - سياسيا وعسكريا - في هذه المرحلة التي نمر بها ٠ او على الاقل بناء « وحدة عملها » ٠

واذا سمحت لي بتخطي عبارات الترحيب بكم شخصيا كمناضل ثوري ، لنبدأ ٠٠

نايف حواتمة : ارجوك ٠٠

لطفي الخولي : حسنا ٠ اعتقد انه من المنطقي أن يبدأ حوارنا من النقطة الاتية : وهي لماذا انقسمت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين عن تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وكونت تنظيمها المستقل ؟ وهو سؤال يتبادر على الفور الى الذهن العام الذي يتجه الى ضرورة التجميع والوحدة لا الانقسام والخروج ٠ وما دام الخروج قد حدث فلابد ان لذلك اسبابا موضوعية من وجهة نظركم جعلت الخروج والانفصال محتمين ، وانه لم يستطع حل الخلافات والتناقضات داخل تنظيم الجبهة الشعبية ذاته ؟ ويصبح السؤال اذن : ما هي هذه الخلافات والتناقضات التي ادت الى الانقسام ؟ ولعل اجابتكم على هذا السؤال توضح ضمن ما ستوضحه الخطوط الفكرية الاساسية للجبهة الديمقراطية وانعكاساتها على مواقفكم العملية ٠

نايف حواتمة : جذور المشكلة الايديولوجية

والسياسية فى الجبهة الشعبية ، تعود الى ما قبل تشكيل الجبهة الشعبية فى نوفمبر ١٩٦٧ . فالجبهة – كما تعلم – تشكلت من ثلاث منظمات : حركة القوميين العرب (الفرع الفلسطينى الاردنى) ، وجبهة التحرير الفلسطينية (جماعة احمد جبريل) ، وابطال العودة . وشكلت حركة القوميين العرب ، العمود الفقرى للجبهة الشعبية منذ تأسيسها ؛ ومن هنا فان الصراعات الايديولوجية والسياسية التى ادت الى الانشقاق الذى تم فى الجبهة الشعبية ، بين الجناح اليسارى الذى يمثل الان الجبهة الشعبية الديمقراطية ، وبين الجناح اليمينى البرجوازى الصغير الذى يمثل الان الجبهة الشعبية ، يعود فى الحقيقة الى الصراع الايديولوجى والسياسى الذى نشأ فى حركة القوميين العرب منذ عام ١٩٦١ . فبعد الانفصال السورى عن الجمهورية العربية المتحدة ، طرحت التجربة المصرية على المنطقة العربية افقا فكريا وسياسيا متخطيا لما كان قائما قبل ذلك .

واشاع ما طرحته التجربة المصرية ، مناخا موضوعيا تقدميا هاما يهم الامة العربية كلها . ووجد هذا المناخ استجابات لدى جناح القوى التقدمية فى حركة القوميين العرب فى تلك الفترة .

لطفى الخولى : كيف كان ذلك ؟

نايف حواتمة : تلقفت القوى التقدمية هذا المناخ الموضوعى العام ، واستخدمته من اجل تطوير اوضاع حركة القوميين العرب الى موقع يلتقى مع الموقع الفكرى والسياسى للثورة المصرية . فقد كانت – وما زالت – حركة القوميين العرب تاريخيا مؤسسة فى تكوينها الايديولوجى والسياسى واستقطاباتها الطبقية مؤسسة يمينية بورجوازية ، وذلك على الرغم من انها جاءت بادعاء ذاتى انها تمثل تخطيا للتجربة الحزبية التى كانت قائمة فى المنطقة فى الخمسينات .

بمعنى انها قامت فى ظل ظروف كان من المفترض ان تمثل تجاوزا لما كان قائما فى تلك المنطقة . جاءت فى ظل انتشار الافكار الاشتراكية العلمية فى عموم هذا العالم ، وفى ظل انتصار ونهوض حركات التحرير الوطنى فى بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وفى ظل سقوط الافق الاقطاعى والبورجوازى الكمبرادورى الذى كان مهيمنا على حركة التحرر الوطنى العربية حتى ١٩٤٨ ، ونهوض الطبقة البورجوازية الصغيرة على رأس حركة التحرر الوطنى العربى . وتمثلت هذه العملية باكثر تعبير سياسى ابرزها تجربة حزب البعث والتجربة المصرية . الا ان هذا الادعاء الذاتى التى جاءت به حركة القوميين العرب لتمثل تجاوزا عن الاحزاب القائمة فى المنطقة والتجارب قائمة فى المنطقة بقى فى حيز الادعاء الذاتى موضوعيا . طرحت حركة القوميين العرب نفسها فكريا وسياسيا وباستقطاباتها الطبقية بافق بورجوازى يمينى . وحافظت على هذه الحالة حتى ١٩٥٨ بشكل واضح . وجاءت دولة الوحدة ، ممثلة فى وحدة سوريا ومصر ، واخذت تطرح هذه الدولة للخروج من ازمتها الثورية اتجاها اكثر تقدما وتقدمية ، مكن من اشاعة مناخ موضوعى جديد توج بخطوات التأميم التى تمت فى يوليو ١٩٦١ . ثم جاء الانفصال ليؤكد هذه المواقف الايديولوجية والسياسية والطبقية الاكثر تقدما على ما كان قائما قبل الانفصال . هذا كله دفع بالمجموعة التقدمية فى صفوف حركة القوميين العرب الى ان تطرح ضرورات التجاوب مع ما هو قائم موضوعيا لاوضاع حركة التحرر العربية ، وتطوير حركة القوميين العرب لتنتقل الى موضع ايديولوجى وسياسى وطبقى البورجوازى الصغير .

لطفى الخولى : اسمح لى هنا بالتوقف لاطرح عليك سؤال « البرجوازية الصغيرة » . لقدأصبح هذاالاصطلاح يردد كثيرا بمناسبة وبغير مناسبة حتى يخيل الى أنه فقد مضمونه العلمى واطاره الواقعى . وبالتالى فانه يهمنى ان أتعرف بدقة على ماذا تقصدونه من « البورجوازية الصغيرة » فى الوطن العربى . وهل فى رأيكم أنه يمكن الحديث – علميا وواقعيا – عن برجوازية صغيرة عربية عامة ، بمعنى كيان واحد مشترك فى كل البلاد العربية على الرغم من اختلاف ظروف التطور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى بين بلد وآخر فى وطننا العربى ، أم أن لكل بلد عربى برجوازيته الصغيرة طبقا لدرجة تطوره وبالتالى لها دور خاص قد يختلف من بلد

لاخر في مدى تقدميته ، أم أنه يمكن مع ذلك وجود سمات مشتركة بين البرجوازيات الصغيرة في كل الوطن العربي · بمعنى أنني أرجو أن تحددوا مفهومكم لما هو عام ولما هو خاص في البرجوازية الصغيرة العربية · وهذا يستلزم بالضرورة — في رأيي — أن توضحوا لنا المعايير التي تستخدموها في تحديد البرجوازية الصغيرة على النطاق القومي ، ثم على النطاق المحلي بالنسبة لكل بلد ·

نقطة أخرى أحب لو تناولتموها بالايضاح وهي الخاصة بالاسس الاجتماعية لتكوين الجبهة الشعبية · بمعنى التكوين الاجتماعي لها ونوعية القيادات التي افرزتها ·

نايف حواتمة : اسمح لي أولا ان اتابع عرضي للنقطة الاولى ثم أعود الى النقطة التي طرحتها الان ·· هل توافق ؟

لطفي الخولي : كما تشاء .. تفضل ..

نايف حواتمة : منذ تلك الفترة التي تحدثت عنها من قبل وبعد الانفصال خاصة ، بدأت عملية الصراع في صفوف حركة القوميين العرب · وذلك بين القوى اليمينية التقليدية والقوى التقدمية الجديدة لتبلور موقفها في مؤتمر ١٩٦٣ · وهو المؤتمر الذي طرحت فيه المجموعة التقدمية افقا جديدا لاوضاع حركة القوميين العرب ، مرتبطا بالافق الذي طرحته التجربة المصرية . وكاد مؤتمر ١٩٦٣ أن ينتهي بحركة القوميين العرب الى الانشقاق . الا أن النزول عند الحلول التوفيقية بين الفريقين ، جنب حركة القوميين العرب الانشقاق · وكان مصدر هذه الحلول التوفيقية ، هو استعداد القوى والادارات اليمينية التقليدية للتنازل عند الافق الفكري والسياسي الذي طرحته المجموعة التقدمية · كما أن المجموعة التقدمية لم تكن تملك في تلك الفترة افقا جذريا . في رؤياه الايديولوجية والسياسية للاوضاع في المنطقة · وهذا ما ادى الى هذه الحلول التوفيقية التي حافظت على حركة القوميين العرب في تنظيم واحد · تكررت هذه الازمة الفكرية والسياسية ثانية عام ١٩٦٤ ، وكادت ايضا ان تؤدي الى انشقاق ولكن الازمة حلت أيضا توفيقيا . وبقيت عملية الصراع قائمة بين الجناح التقدمي والجناح التقليدي حتى اواخر عام ١٩٦٦ ، حيث تفجرت الازمة من جديد . الا أن الذي حسم هذه العلاقات الفكرية السياسية بين الفريقين كانت هزيمة ٥ حزيران (يونيو) فقد جاءت هزيمة حزيران لتؤكد بالملموس ، ان أفق وبرنامج البورجوازية الصغيرة في حل مشكلات حركة التحرر الوطني وانجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية في بلد متخلف في هذا العصر ، عصر الاستعمار والامبريالية ·· ان مثل هذا البرنامج غير مؤهل وغير قادر على تحقيق الاستقلال التام والناجز وادخال البلاد في عصر التصنيع الثقيل والزراعة المكثفة ودفع الاقتصاد على طريق الانفصال عن السوق الراسمالية العالمية والتطور المستقل عنها ، كما ان هذا البرنامج ، قد اثبتت هزيمة حزيران انه غير مؤهل وغير قادر على مجابهة الاستعمار الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية · وذاتيا انتهى الجناح التقدمي في صفوف حركة القوميين العرب — عبر عملية التطور الفكري والسياسي في صفوفه — الى موقع ماركسي لينيني ثوري في رؤياه لكافة اوضاع حركة القوميين العرب ورؤياه لكافة اوضاع حركة التحرر الوطني في المنطقة العربية ·

ومن هنا طرح الجناح اليساري هذه الرؤية في اول لقاء جماعي لحركة القوميين العرب ممثلا في اللجنة المركزية لها · وطرح افقا ماركسيا لينينيا لقضايا الثورة الوطنية الديمقراطية وقضايا التحرر الوطني وبرنامج تحرير فلسطين · ومرة اخرى انحنى الجناح التقليدي في صفوف الحركة لهذه التطورات الفكرية ، الا انه لم يكن مستعدا للاستجابة الى نتائجها التنظيمية ، أي بان يصبح الجناح التقليدي في موقع بعيد عن تحمل المسئولية في صفوف حركة القوميين العرب ، وتصبح المسئولية كاملة في يد الجناح اليساري · وسحبت هذه التناقضات منذ تموز (يوليو) ١٩٦٧ نفسها على مجموعة العلاقات بين الجناحين ليتضح بالتجربة الملموسة وعبر هذه الرحلة الطويلة ، ان امكانية تحويل مؤسسة برجوازية صغيرة الى مؤسسة ماركسية لينينية بكاملها ، امكانية غير ممكنة على الاطلاق . اذ لايمكن تحويل طبقة بالانتقال بها من موقع الى موقع مضاد لمصالحها وامتيازاتها · كما انه لا يمكن تحويل مؤسسة طبقية برجوازية صغيرة بكاملها الى موقع متعاكس مع مجموع اوضاعها الفكرية

والسياسية وارتباطاتها الطبقية • ومن هنا بات واضحا الآن اليسار فى صفوف حركة القوميين العرب مطالب ، حتى يستطيع ان يشق طريقه الذاتى والموضوعى فى المنطقة ، بان يحسم هذه التناقضات الفكرية والسياسية والطبقية فى صفوف حركة القوميين العرب • وذلك سواء فى الفروع العربية او فى الفرع الفلسطينى الاردنى .

واذا ألقينا نظرة على ما حدث فى فبراير ١٩٦٩ فى صفوف حركة القوميين العرب ، لما وجدنا ان الانشقاق قد حصل فقط فى صفوف الجبهة الشعبية ، بل تم الانشقاق فى صفوف فروع حركة القوميين العرب العربية • واعلن عن هذا الانشقاق فى ١٠ فبراير ١٩٦٩ ، حيث اخذ الفرع اللبنانى والفرع السورى والعراقى وفرع الخليج والتنظيمات الطلابية فى اوروبا وفى الشمال الافريقى موقفا مع الجناح اليسارى فى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين • واعلن عن موقف جماعى بتصفية العلاقات الايديولوجية ، السياسية والتنظيمية مع الجناح اليمينى البورجوازى الصغير فى حركة القوميين العرب وفى الجبهة الشعبية • ومن هنا كان الانشقاق الذى تم فى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، له جذوره التاريخية • بقيت نقطة هامة خاصة بالجبهة الشعبية ، وهى أن الجناح اليسارى ، فى ظل الظروف الموضوعية التى تعيشها القضية الفلسطينية والظروف الذاتية التى تعيشها حركة المقاومة الفلسطينية ، بذل محاولة خاصة لتطويع وتطوير اوضاع الجبهة الشعبية الى افق وطنى جذرى تقدمى ثورى • وتمثلت هذه المحاولة فى مؤتمر اغسطس ١٩٦٨ ، حيث طرح الجناح اليسارى برنامجا كاملا ايديولوجيا وسياسيا وتنظيميا وعسكريا للانتقال بالجبهة الشعبية الى موقع يسارى والا فانه لا مبرر فكرى وسياسى وتاريخى لوجود تنظيم برجوازى صغير مستقل فى حركة المقاومة •

واقترح على المؤتمرين ان ينتهى وجود هذا التنظيم المستقل وينضم الى واحدة من المنظمات الرئيسية فى حركة المقاومة • وفعلا فقد تمكن الجناح اليسارى من دفع مجموع المؤتمر الى الموافقة على البرنامج المطروح ، الا اننا عندما أتينا الى النتائج التنظيمية ، وانتخبت لجنة مركزية فى أكثريتها الساحقة من الجناح اليسارى (عشرة مقابل خمسة) رفض الجناح اليمينى هذه النتائج التنظيمية بعد ان وافق على مجموع المحاكمات والنتائج الايديولوجية والسياسية لاوضاع حركة المقاومة الفلسطينية ، ومنها اوضاع الجبهة الشعبية وأوضاع التحرر الوطنى العربية وقضايا الثورة الوطنية الديمقراطية فى البلدان المتخلفة ، فى عصر الاستعمار والامبريالية •

كما وافق على مجموع المحاكمات والمراجعات النقدية التى جرت لتجربة الجبهة الشعبية منذ تأسيسها حتى مؤتمر اغسطس ١٩٦٨ ، والادانة للافق الفكرى والسياسى الذى مارست فيه الجبهة الشعبية للتجربة • وعندما جئنا للنتائج التنظيمية تتويجا لكل هذه العملية ، فقد رفض الجناح اليمينى النتائج التنظيمية ، وفرض بالقوة المسلحة على الجناح اليسارى التراجع عن هذه النتائج والقبول بقيادة جديدة أكثريتها الساحقة يمينية ، وشارك الجناح اليسارى فيها مشاركة رمزية بشخص واحد ، ذلك لان الجناح اليسارى حتى تلك اللحظة كان يعتقد بأنه من الممكن فى ظل هذا البرنامج اليسارى الكامل ، فكريا وسياسيا ، أن يدفع مجموع الجبهة الشعبية الى هذا الموقع الثورى ، الا ان هذا الاعتقاد ثبت من جديد خطأه • اذ لا يمكن الانتقال بمؤسسة بورجوازية صغيرة كاملة الى موقع يسارى . فمن خلال التجربة التى قامت منذ مؤتمر أغسطس حتى فبراير ١٩٦٩ أكدت أن امكان هذا الانتقال بات مستحيلا ، واصبح أمام يسار الجبهة الشعبية واحد من اختيارين : اما التسليم للجناح اليمينى البورجوازى الصغير فى الجبهة الشعبية وهذا ينهى الجناح اليسارى ، او الخروج فى تنظيم مستقل يمكن هذا الجناح اليسارى من طرح كافة قضاياه الايديولوجية والسياسية والطبقية موضوعيا ، وممارستها تنظيميا وذاتيا ، فكان الانشقاق . وقبيل الانشقاق طرحنا على أبرز عناصر جناح البورجوازى الصغير حل الازمة القائمة بالوسائل الديمقراطية . وذلك بالدعوة الى مؤتمر ديمقراطى عام ، وعلى الاقلية منه ان تلتزم بموقف الاكثرية ، الا ان الجناح الآخر رفض هذه المحاولة ، وطرحنا الدعوة الى « طلاق ديمقراطى » بيننا ، فمن يحوى أكثرية تنظيمات الجبهة الشعبية يحتفظ باسمها ، والاقلية تتخذ أى تسمية تشاء ، الا انه رفض .. وطرحنا « طلاقا وديا » أى ليعمل كل منا بالاسم الذى يريده ، الا أنه ايضا رفض ، وبدأ الجناح اليمينى بممارسة سلسلة من عمليات التطويق والقمع

والاعتقالات في صفوف الجناح اليساري ، وذلك في محاولة لدفعه الى العمل تحت أي تسمية أخرى غير تسمية الجبهة الشعبية · وكنا باستمرار نضع كافة التطورات الجارية في صفوف الجبهة الشعبية أمام الفصائل الاساسية الاخرى في حركة المقاومة · وطرحنا كافة هذه القضايا على الجماهير الفلسطينية الاردنية ، اذ أن الاحتكام الديموقراطي الى هذه الجماهير يمثل الموقف الاكثر تقدما في حل المشكلات القائمة بين الفريقين ، الا أن الجناح الاخر رفض الاستجابة الى دعوات الفصائل الاخرى في حركة المقاومة بوقف عمليات الاعتقالات والتصفيات الجسدية ، ورفض أيضا الاستجابة الى الضغوط الجماهيرية التي تولدت عن طرح هذه القضايا على الجماهير ، حتى أننا دفعنا الى طرح هذه القضايا على المؤتمر الوطني الفلسطيني الخامس الذي كان منعقدا في تلك الفترة في القاهرة · فكان لابد أخيرا من هذا العمل المستقل مع تمييزه عن الفريق الاخر باضافة عبارة الديمقراطية للجبهة الشعبية ·

لطفي الخولي : الاحظ مما ذكرته أن قضية الانشقاق تتصل جذريا بحركة القوميين العرب، وانعكست بعد ذلك على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين · كما ألاحظ ان التناقضات التي تحدثت عنها تتصل بواقع ومستقبل مسار الثورة العربية ككل ، أكثر من اتصالها بواقع ومستقبل حركة المقاومة الفلسطينية كمرحلة من مراحل حركة التحرر الوطني الفلسطيني · وانه في هذه المرحلة الوطنية المتقدمة يستلزم الوحدة الوطنية المعادية للاستعمار الاستيطاني الصهيوني قبل أي اعتبار آخر ، ورغم الاختلافات الايديولوجية والاجتماعية ؟

نايف حواتمة : لعلك توافقني ان التغييرات السياسية في أي مجتمع من المجتمعات ، تمثل التناقضات الطبقية القائمة في صفوف هذا المجتمع · وظهور منظمات من طبيعة ايديولوجية وسياسية مختلفة عن منظمات أخرى ، هي مسألة مشروعة ، وضرورة وتفرضها طبيعة التناقضات الطبقية القائمة في صفوف المجتمع ·

ومن هنا كان لابد من ظهور يسار مستقل في حركة التحرر الوطني الفلسطيني وحركة المقاومة ، ليمثل الموقف الاكثر جذرية وتقدمية في رؤياه الايديولوجية والسياسية والطبقية لقضايا التحرر الوطني الفلسطيني والعربي · وبذات الوقت علينا أن نلاحظ أن هناك العديد من المنظمات القائمة في الساحة الاردنية الفلسطينية لا تمتلك مبررا فكريا وسياسيا لتواجدها المستقل · اذ أن كثيرا منها يلتقي مع غيرها في الافق الايديولوجي والسياسي والطبقي · ومن هنا كانت ملاحظاتنا على هذه المنظمات أن ندعوها الى ضرورات الانتظام في صفوف منظمات قائمة تلتقي معها على ذات الافق الايديولوجي والسياسي ، نظريا وممارسة ·

الا أن مثل هذه العملية لم تتم لاعتبارين أساسيين : **اعتبار ذاتي** متعلق بالنزعات الذاتية البيروقراطية الشخصية الموجودة في صفوف الطبقة البورجوازية الصغيرة عادة ، ومحاولاتها احتلال مواقع قيادية بتنظيمات · ولا يمكن أن توجد في مثل هذه المواقع الا اذا كان لها تنظيمها المستقل ·

واعتبار موضوعي كامن في الاوضاع العربية المحيطة بحركة المقاومة الفلسطينية · اذ أن التناقضات العربية تحاول باستمرار أن تسحب نفسها على أوضاع حركة المقاومة · ومن هنا فالعديد من الاوضاع العربية يلتقط ظهور مثل هذه المنظمات او مثل هذه النزعات ويتبناها ويحميها ويدعمها في سبيل تشكيل منظمات خاصة يمكن أن تلتقي مع هذا النظام أو ذاك في المنطقة العربية ·

وفي تقديرنا أن طبيعة التطورات الجارية في حركة المقاومة الفلسطينية تدفع بالضرورة الى ظهور هذا التعدد القائم في حركة المقاومة

لطفي الخولي : اعتقد اننا سنعود لمناقشة هذه النقطة عن الحديث على وحدة عمل منظمات المقاومة من خلال وحدة عربية شعبية ، ولكني اود لكي يكون طريقنا في الحوار واضحا ان توضحوا لي رأيكم فيما اثرته من قبل حول البورجوازية الصغيرة ، حيث انها — كما يبدو — حجر الزاوية في فكركم ونشاطكم العملي ·

نايف حواتمة : لسنا بصدد تعريف البورجوازية الصغيرة · فهذه مسألة باتت معروفة لكل انسان مثقف في المنطقة ، ولكل

انسان فى الحياة السياسية والفكرية ، الا ان الملاحظة المطروحة منكم هى حول طبيعة هذه البورجوازية الصغيرة ، محليا وقوميا.

البورجوازية الصغيرة .. صحيح أنها تختلف فى تكوينها الكمى والكيفى من قطر الى قطر عربى آخر ، وهذه مسألة مرتبطة بدرجة التطور الاقتصادى والاجتماعى والحضارى بين قطر وقطر عربى آخر ، الا انها تلتقى فى التحليل الاخير وفى القاعدة العامة على موقف طبقى واحد ، فكريا وسياسيا وممارسة . فمثلا الطبقة البورجوازية الصغيرة المصرية تختلف كما ونوعا عنها فى الساحة الفلسطينية ، تختلف - كما - باتساع الرقعة الطبقية فى البورجوازية الصغيرة وتختلف - نوعا - بجزالتها الوطنية ودورها الوطني الملموس ، على امتداد الفترة بعد عام ١٩١٩ . وفى شهادة ثورة ١٩١٩ ، فانها تحتفظ بتراث ثقافى وسياسى بورجوازى صغير اكثر جزالة من اى تشكيل طبقى بورجوازى صغير فى المنطقة العربية . ولو اخذنا بالمقابل ، البورجوازية الصغيرة الفلسطينية ، لوجدنا انها فى تكوينها الكمى تمثل حالة اضعف بكثير منها بالنسبة للبورجوازية الصغيرة المصرية وفى تكوينها ايضا النوعى ، الثقافى والسياسى تمثل حالة لا تقارن فى ضعفها مع قوة البورجوازية الصغيرة المصرية . وهذا ما يفسر امكانيات البورجوازية الصغيرة المصرية على ممارسة دور وطنى فعال فى معاداة الاستعمار والامبريالية والرجعية الاقطاعية والصهيونية واحداث سلسلة تطورات فى حياة المجتمع المصرى وفى المنطقة ، وما يفسر بالمقابل عدم انجاز الطبقة البورجوازية الصغيرة الفلسطينية التى وقفت على رأس الحركة الوطنية بعد ١٩٤٨ حتى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . عجزت عن انجاز اى مهمة وطنية فى الاردن - اذا استثنينا الحكومة الوطنية التى قامت فى الاردن عام ١٩٥٦ وعمرت بضعة اشهر - حيث تمكنت قوى الثورة المضادة من تصفيتها بسهولة . الا انها على امتداد كل الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ لم تحقق اى انجاز وطنى ، وعندما جاءت حرب عام ١٩٦٧ ، لم يكن لها اى دور جدى يذكر فى كل الصراع الذى نشب فى حزيران ١٩٦٧ .

المسألة المطروحة فى تقديرى ليست مسألة الخصائص الذاتية والموضوعية للبورجوازية الصغيرة فى هذا البلد العربى او ذاك ، بل المسألة المطروحة هى الافق البورجوازى الصغير لحركة التحرر الوطنى فى هذا البلد العربى او ذاك ، وهل يمكن لهذه القوى البورجوازية الصغيرة ان تقود حركة التحرر الوطنى وفق برنامج ، يمكن من حل المعضلات الوطنية ومعضلات الثورة الوطنية الديمقراطية .. ام لا ؟

لطفى الخولى : هل يحق لى ان افهم من كلامكم ان القضية المطروحة منكم بالنسبة للبورجوازية الصغيرة، هى فى الاساس قضية خطر الدور القيادى للبورجوازية الصغيرة للحركة الثورية العربية المعاصرة بهدفيها المزدوجين : التحرر الوطنى والتحول نحو الاشتراكية. اما هى أى الطبقة كما ونوعا ، فهى ما برحت فى مفهومكم قوة من قوى هذه الثورة فى مرحلتها المعاصرة ، وليست قوة من قوى الثورة المضادة. وانها مثلها مثل اى بورجوازية صغيرة فى اى مكان من العالم - بشكل عام وفى مرحلة تاريخية معينة ، تتميز كما هو معروف - علميا وتاريخيا - بطبيعة مزدوجة ذات وجهين متناقضين : وجه تقدمى معاد للاستعمار والرأسمالية الكبيرة ووجه رجعى او محافظ يتجه الى المساومة مع الاستعمار والرأسمالية الكبيرة فى ذات الوقت كلما اشتدت حركة الجماهير نحو الاشتراكية الخ

ولكننى مع ذلك اعتقد - ولا ادرى ان كنت تشاركنى الرأى فى ذلك ام لا - اننا نستطيع القول ان البورجوازية الصغيرة فى البلاد المتخلفة ، تتميز ببعد اكثر ثورية ، من نموذجها التقليدى الذى عرفناه فى البلاد الاوروبية الذى تحدث عنه ماركس ولينين . بل انى على ما اذكر ان لينين نفسه اشار الى هذا الاختلاف صراحة . على اية حال ما اريد ان اوضحه هو ان البورجوازية الصغيرة فى البلاد المتخلفة يغلب - فى كثير من الاحيان وخاصة خلال المراحل الاولى للثورة الوطنية التحررية ذات الافاق الاشتراكية - وجهها الثورى على وجهها المساوم ، بعكس الوضع الذى كانت عليه فى الثورات البورجوازية وحركات تقرير المصير فى البلاد الاوربية . وبالتالى ، فاذا كنت توافقنى على هذا الرأى ، فكيف نتعامل مع البورجوازية الصغيرة فى وضعنا العربى الراهن حيث هى موضوعيا قوة من قوى الثورة . وذلك فى الوقت الذى نلحظ فيه نسبيا غياب الكم اللازم والوعى السياسى المنظم للطبقة العاملة نتيجة عدم اتساع حركة التصنيع ، وغلبة العقلية الاقتصادية والنقابية بدرجات متفاوتة فى صفوف الطبقة

العاملة الخ .. والتعامل هنا يعني ان البورجوازية الصغيرة جزء من تحالف قوى الثورة التحررية التقدمية، وبالتالي لا مفر من ان ينعكس ذلك على المناخ العام للثورة من ناحية وبين القيادة من ناحية اخرى . ويصبح السؤال هنا هو : كيف تكون صيانة التعامل مع البورجوازية الصغيرة دون أن نفقدها من جانب ودون ان يؤثر ذلك على مجرى استمرار الثورة في تقدمها من جانب أخر ؟

نايف حواتمة : يصح هنا ان نبدئ بقسعة ملاحظات على النقاط التى أوردها الاستاذ لطفى فى التحليل الملموس لواقع ومواقف الطبقات فى البلدان المتخلفة من مسالة التحرر الوطنى . نحن معكم فى هذا التحليل، اذ ان ظاهرة الاستعمار فى البلدان المتخلفة لعبت دورا أساسيا فى تشكيل الخريطة الطبقية والاقتصادية للبلدان المتخلفة، أومواقف هذه الطبقات من مسائل التحرر الوطنى .

ظاهرة الاستعمار والامبريالية ربطت اقتصاد البلدان المتخلفة بالسوق الرأسمالية العالمية، واخضعت حركة تطور هذا الاقتصاد لمصالح السوق الرأسمالية العالمية. ومن هنا فالطبقة البورجوازية التى نشأت فى البلدان المتخلفة لم تمثل أصلا البورجوازية الكبيرة، لم تمثل أصلا طبقة ثورية كما هى حالة الطبقة البورجوازية الكبيرة فى البلدان الاوربية والتى انجزت مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ـ الطبقة البورجوازية الكبيرة فى البلدان المتخلفة من طبيعة «كمبورادورية». ومن هنا بقيت منذ البدء عاجزة عن ممارسة دورها الوطنى والثورى فى حل مشكلات التحرر الوطنى، وانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . وتجارب هذه المنطقة عديدة . بدأت من ثورة ١٩١٩ فى مصر، ١٩٤١ فى العراق، ١٩٣٦ فى سوريا، ١٩٣٦ فى فلسطين .. جميع هذه الثورات البورجوازية الكمبورادورية انتهت الى الالتقاء مع الطبقة الاقطاعية ومع الاستعمار فى تحالف ثلاثى ضد الطبقات الوطنية فى المجتمع .

وايضا هذه العلاقة بين اقتصاد البلدان المتخلفة والسوق الرأسمالية العالمية، حكم تطور الطبقة البرجوازية الصغيرة، والطبقات الاخرى . فالطبقة البورجوازية الصغيرة التى ترى فى نفسها طاقات وطنية وثقافية وسياسية أكثر عصرية من البورجوازية الكمبرادورية تجد أن الاقطاع والبورجوازية الكمبرادورية والاستعمار قد وقفوا فى وجه هذه الطبقة وحصولها على الامتيازات التى ترضيها طبقيا وثقافيا وسياسيا .

ومن هنا احتلت هذه الطبقة موقعا ثوريا، قياسا على موقع الطبقة البورجوازية الصغيرة فى البلدان الاوربية التى سرعان ما التحقت مع الطبقة البورجوازية الكبيرة، بينما هنا مارست دورا وطنيا فى البلدان المتخلفة لان هناك تناقضا جديا قائما بينها وبين الاقطاع والكمبرادور والاستعمار، محتفظة فى ذات الوقت بطبيعتها الطبقية المزدوجة . فهي تضع قدما مع قوى الثورة وقدما مع قوى الثورة المضادة فى كافة مواقفها . وبمقدار عداء الاقطاع والكمبرادور والاستعمار لها، بمقدار ما تمارس دورا وطنيا تقدميا .

هذا التركيب أيضا الاقتصادى عكس نفسه على القوى الطبقية الاخرى، فأبقى الطبقة العاملة فى البلدان المتخلفة من طبيعة أصطلح عليها بالتعبير الماركسى «بروليتاريا رثة »، واغرقها فى ايديولوجية الطبقات السائدة . كما أبقى الطبقة الفلاحية غارقة فى الثقافة الاقطاعية الرجعية، والعلاقات الاجتماعية الاقطاعية .

هذا شيء من الاضافة لما أوردته فى الحوار .

ايضا المسألة المطروحة، ليست مسألة وطنية أو لا وطنية البورجوازية الصغيرة . ففى بلد متخلف تحمل البورجوازية الصغيرة هذه الخصائص الذاتية هى طبقة وطنية معادية للتحالف الطبقى الاستعمارى المضاد لقضية الثورة الوطنية .

الا أن المسألة المطروحة هي أن طبيعة تكوين هذه الطبقة ومصالحها لا تمكن هذه الطبقة من أن تلبى مهمات التحرر الوطنى التام الناجز . فعملية التحرر الوطنى فى البلدان المتخلفة تتطلب نضالا طويل النفس ودؤوبا أمام التحالف الطبقى الاستعمارى المضاد . والطبقة البورجوازية الصغيرة لا تحمل هذا النفس الطويل، انطلاقا من طبيعة مصالحها . كما أن برنامج الطبقة البورجوازية الصغيرة يقف بالضرورة عند حدود رؤيا ومصالح هذه الطبقة، ايديولوجيا

وسياسيا واقتصاديا • ومن هنا تطرح هذه الطبقة برنامجها للتحرر الوطني الديمقراطي ، أو برنامجها الاشتراكي البورجوازي الصغير للتحرر الوطني القائم ضمن حدودمصالح هذهالطبقة والذي يعتمد بالاصل على ابقاء هيمنة البورجوازية الصغيرة على رأس المجتمع ثقافيا وسياسيا واجتماعيا ، وعلى فرض ديكتاتورية البورجوازية الصغيرة على باقي طبقات المجتمع ، لتضع طبقات المجتمع تحت شعارات اللاطبقية ونفي الصراع الطبقي، أوالقول بالحلول الديمقراطية لمسألة الصراع الطبقي • وذلك كي تحتفظ لنفسها بالموقع القيادي ، واضعة كل عملية الثورة الوطنية الديمقراطية ضمن افقها ، القائم بالضرورة على رؤياها ومصالحها • ومن هنا هي تطرح برنامجا اقتصاديا وسياسيا للتحرر الوطني يقوم على التصنيع الخفيف مثلا — على الزراعة المبعثرة وتفتيت الارض مثلا — بينما في بلد متخلف في عصر الاستعمار والامبريالية فان عملية انهاء العلاقة مع السوق الرأسمالية العالمية ، وانتهاج طريق التطور المستقل للاقتصاد الوطني من خلال السوق الرأسمالية العالمية غيرممكن أصلا ، في ظل عملية التصنيع الخفيف والزراعة المفتتة ، فلابد من انهاء العلاقة أصلا مع السوق الرأسمالية العالمية •

لطفي الخولي : انهاء العلاقة اصلا مع السوق الرأسمالية . هل يمكن ذلك لا لعلك تقصد انهاء التبعية المطلقة لهذا السوق ، عن طريق اقامة علاقات مع السوق الاشتراكي والبلاد النامية •

نايف حواتمة : انهاء التبعية . اذ أن عملية انهاء التبعية والتأثر بتقلبات السوق الرأسمالية العالمية وتحكم السوق الرأسمالية العالمية في الاقتصاد العالمي ، وبشكل خاص اقتصاد البلدان المتخلفة ، يتطلب بالضرورة ادخال البلاد في عصر التصنيع الثقيل والزراعة الجماعية • بالتصنيع الثقيل والزراعة الجماعية يمكن فعلا قيادة الاقتصاد،وعلى طريقة فك كافة الوان ارتباطاته وتبعيته مع السوق الرأسمالية العالمية وانتهاج طريق التطور المستقل عنها •

البورجوازية الصغيرة امينة على مصالحها .. امينة على آفاقها الايديولوجية والسياسية . ومن هنا فهي تطرح برنامجا اشتراكيا برجوازيا صغيرا .. يقوم على هذه الافاق في حل مشكلة الوطن ،ويقوم على هيمنة قيادة البورجوازية الصغيرة على الطبقات التي هي أكثر جذرية وثورية في المجتمع ، ووضعها ضمن برنامج البورجوازية الصغيرة السياسي والثقافي ، ويقوم على ابقاء شكل من اشكال الصلات مع السوق الرأسمالية العالمية ، اذ أن الطبيعة المزدوجة للبورجوازية الصغيرةوالتي تبتعد عن التصنيع الثقيل والزراعة الجماعية تفرض بالضرورة انشاء العديد من الصلات مع السوق الرأسمالية العالمية • وهذا ما يبقي الاقتصاد الوطني بشكل أوبآخر متأثرا بمواقف دول السوق الرأسمالية العالمية • فالمسألة المطروحة ليست مسألة كون الطبقة البورجوازية الصغيرة طبقة وطنية أم لا ؟ هذه مسألة منتهى منها في بلد متخلف • البورجوازية الصغيرة بحكم خصائصها الذاتية وعلاقاتها الموضوعية مع القوى الطبقية الاخرى في المجتمع تحتل موقعا وطنيا بالضرورة معاديا للاستعمار والاقطاع والكمبرادور • الا ان هذه الطبقة أيضا بحكم طبيعتها المزدوجة بقدر ما تخشى من التركز الاقطاعي والرأسمالي الكمبرادوري والاستعماري ، هي تخشى من برنامج العمال والفلاحين الفقراء • وهي في التحليل الاخير اذا جوبهت بحركة نهوض للعمال والفلاحين الفقراء وجوبهت ببرنامج العمال والفلاحين الفقراء مستعدة للتحالف مع الشيطان لهزيمة برنامج العمال والفلاحين الفقراء • اذ أن المسألة التي تصبح مطروحة انطلاقا من هذا كله هي مسألة موقع الطبقة البورجوازية الصغيرة في عملية التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية • هنا نقول بوضوح كما أثبتت تجربة البلدان المتخلفة وحتى تجربة روسيا القيصرية الاستعمارية التي كانت متقدمة بعشرات المرات عنها في البلدان المتخلفة ، أثبتت هذه التجارب جميعها في هذه البلدان المتخلفة والبلدان الرأسمالية الضعيفة أنها غير قادرة على حل معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية وانجاز مهمات التحرر الوطني انجازا تاما وكاملا ، بحكم طبيعتها وبرامجها . الا أن هذه الطبقة أيضا، بحكم طبيعتها المزدوجة ، لها دور وطني بارز وواضح،ومن هنا يصبح موقعها في عملية التحرر الوطني ، حتى تتمكن من قيادة عملية التحرر الوطني حتى نهايتها وانجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية — يصبح موقفها

فى قاعدة قوى الثورة الوطنية وليس فى قيادة قوى الثورة الوطنية •

تبقى مسألة أخرى مثارة هنا • طالما أن الطبقة العاملة هذه خصائصها وطبقة الفلاحين الفقراء أيضا هذه خصائصها ، فمن أين نأتى بقيادة ثورية ؟ أو كيف يمكن أن تكون هذه الطبقة العاملة فى موضع القيادة الثورية بهذه الخصائص الذاتية ؟ هذا أيضا صحيح • ومن هنا فالمسألة المطروحة هى مسألة عملية التحرر الوطنى ببرنامج طبقى عمالى وفلاحى فقير ، يقوم على نسف كافة الجسور مع الاقطاع والكمبرادور والاستعمار ، ويقوم على الاخذ ببرنامج تسليح الجماهير وتسييسها بآفاق ثورية حتى تحمى عملية التحرر الوطنى ، وما يمكن انجازه من هذه العملية وعلى اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير العريضة أو للاكثرية فى المجتمع حتى تقرر بوضوح مسار الثورة الوطنية الديمقراطية • وعند استلام السلطة تمكن من وضع البلاد فى عصر التصنيع الثقيل والزراعة الجماعية • اذ بالتصنيع الثقيل والزراعة الجماعية يمكن حل مشكلات الاقتصاد الوطنى وتحريره من الارتباط أو التبعية للسوق الرأسمالية العالمية •

فى ظل هذا البرنامج لابد من بناء الطليعة المنظمة • وهنا استخدم هذا التعبير بالمفهوم الطبقى ، وليس بالمفهوم النخبوى ، مفهوم الفئة الممتازة • لابد من طليعة منظمة تلتزم بهذا البرنامج وبهذه الرؤيا الايديولوجية والطبقية لقيادة القوى والطبقات الاكثر جذرية وثورية فى المجتمع ، متحالفة مع الطبقة البورجوازية الصغيرة التى تحتل موقعا قاعديا وليس موقعا قياديا ، من أجل متابعة عملية التحرر الوطنى والثورة الوطنية الديمقراطية •

لطفى الخولى : هل افهم من هذا انك توافق على أن التحالف الثورى فى هذه المرحلة هو التحالف الوطنى المضاد للاستعمار والبورجوازية الكبيرة والاقطاع ، يضم البورجوازية الصغيرة ، وداخله بعمود فقرى هو ما تسميه الطليعة الثورية ، ويقوم هذا العمود الفقرى بعملية القيادة لهذا التحالف •

نايف حواتمة : هذا صحيح • ولا ادرى اذا كان الاخ لطفى قد اطلع على برنامج آب (أغسطس) ١٩٦٨ أم لا ؟ اذ أن به فصلا كاملا لتوضيح هذه المسألة • كما أن الوثائق التى قدمتها الجبهة الشعبية الديمقراطية للمؤتمر الفلسطينى الوطنى السادس الذى انعقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٦٩ ، فى احداها فصلا خاصا بمسألة التحرر الوطنى والمواقع الطبقية ، ومواقع القوى الطبقية ، ونوضح فيها من جديد أن المسألة المطروحة ليست مسألة دور البورجوازية الصغيرة الوطنى ، بل موقع البورجوازية الصغيرة فى قيادة عملية التحرر الوطنى •

لطفى الخولى : طيب حتى ننتهى من هذه الفرشة العامة ، التى كانت واجبة لمعرفة الارضية التى تقف عليها الان الجبهة الديمقراطية ، أرجو أن تسمح لى باستفسارين : لاحظت انك استخدمت فى حديثك أن الجبهة الديمقراطية هدفت الى بناء ما أسميته « يسار مستقل » فى حركة التحرر العربى ، ما هو بالدقة مفهوم هذا الاصطلاح نظريا وعمليا ؟ وماذا يعنى اليسار هنا وماذا يعنى الاستقلال ؟ وفى نفس الوقت تحدثت عن أن الجبهة الديمقراطية التزمت بالخط الماركسى اللينينى فى عملها وفى مواقفها الايديولوجية والسياسية • ومعنى هذا أنه أصبح هناك تنظيم يلتزم أو يعلن التزامه بالماركسية اللينينية بجانب الاحزاب الشيوعية فى البلاد العربية • ومع ذلك فهناك انفصال بينه وبين هذه الاحزاب ، فكيف يمكن ذلك ؟ وما هى اذن أوجه الاختلاف وأوجه الاتفاق وبالتالى نوعية العلاقة بينكم وبين الاحزاب التى ترفع أعلام الماركسية اللينينية ؟

نايف حواتمة : المقصود باليسار المستقل ، ان امكانية بناء حركة يسارية ثورية من خلال البقاء فى مؤسسات بورجوازية صغيرة سياسية أو بورجوازية أثبت التاريخ فشل وخطأ هذا الاتجاه • وكلنا يتذكر جيدا تجربة الاممية الثانية وتجربة الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى ، وحتى تجربة الحزب الشيوعى الصينى مع « الكومنتانج » • التجارب التاريخية بمجموعها ، وتجربتنا نحن فى حركة القوميين العرب أثبتت بوضوح صارخ ، أن امكانية بناء يسار ثورى منظم له علاقة مع الجماهير بآفاقه الايديولوجية والسياسية الثورية غير ممكنة الا فى ظل تواجده التنظيمى المستقل • فالمقصود هنا هو هذا التواجد التنظيمى القائم بذاته

والقادر فى عملية البناء الذاتية والعلاقات الموضوعية يوميا مع الجماهير من أن يطرح كافةتضاياه الايديولوجية والسياسيةوكافة برامجه بحرية كاملة • والمقصود هنا أيضا مرة أخرى باستقلاله هو الاستقلال التنظيمى • وهذا طبعا لا يعنى ولو للحظة واحدة أن اليسار المستقل تنظيميا مطالب أن يستقل عن العلاقات مع كافة فصائل الحركة الوطنية فى هذا البلد العربى أو ذاك • ومن هنا نفهم جيدا لماذا اندفعت الجبهة الشعبية الديمقراطية على طريق نسج أوسع العلاقات الممكنة مع كافة الفصائل الوطنية فى حركة المقاومة ، والتى تلتقى معها على برنامج حد أدنى فى هذه المرحلة القائمة • من هنا نفهم مشاركتنا فى قيادة الكفاح المسلح الفلسطينى ، ومشاركتنا فى المجلس الوطنى الفلسطينى السادس ، ومشاركتنا فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مؤخرا • بينما أيضا دفعا للالتباس ، فانه من الواضح أننا قاطعنا عندما كنا فى مؤسسة واحدة مع يمين حركة القوميين العرب فى الجبهة الشعبية الديمقراطية •• قاطعنا المؤتمر الوطنى الخامس ، وعلى رأس الاعتبارات التى دفعت للمقاطعة هو الوضع الذاتى للجناح اليسارى ، اذ أن الجناح اليسارى لم يكن مستقلا بأوضاعه التنظيمية والايديولوجية والسياسية عن الجناح الاخر ومشاركة من هذا النوع كانت تضعف الجناح اليسارى للجبهة الشعبية • وأيضا تحجب عنه امكانية طرح كافة الموضوعات النظرية والسياسية المطروحة على حركة المقاومة الفلسطينية بشكل خاص •

ولكن فى ظل الوجود المستقل ، ممثلا فى الجبهة الشعبية الديموقراطية ، وطرح هذه الجبهة لهويتها الفكرية والسياسية لم يعد هناك ما يمنع ـ ولو للحظة واحدة ـ نسج هذه العلاقات الوطنية ودفعها الى ارقى الصور الممكنة ، متمنين فى ذات الوقت قيام جبهة وطنية موحدة بين كافة الفصائل التى تلتقى على برنامج سياسى وعسكرى مشترك لتطوير اوضاع حركة المقاومة •

فى النقطة الثانية الجبهة الديموقراطية تلتزم بالماركسية اللينينية ، والاحزاب الشيوعية فى المنطقة العربية تلتزم بالماركسية اللينينية فكيف يمكن التوفيق بينها ، او لتحذف كلمة التوفيق لما فيها من التباسات •

لطفى الخولى : المهم هو معرفة تفسيركم لهذه الظاهرة ؟

نايف حواتمة : المسألة ليست نظرية هنا ، فالماركسية اللينينية ممارسة ، والموقف اليسارى ممارسة • وكما يقول ماركس ، ردا على برنامج جيته الذى وحد بين الجناح الشيوعى الالمانى والجناح الاشتراكى البورجوازى الصغير فى ظل البرنامج الشيوعى ، كل خطوة فى الحركة العملية اهم من عشرة برامج • صحيح اننا والاحزاب الشيوعية فى المنطقة العربية تحمل لافتة واحدة ، لكن المعضلة هى فى الممارسة الوطنية والاممية الصحيحة لهذه اللافتة • لنأخذ مثلا على ذلك الموقف من المسألة الفلسطينية والمسألة الاسرائيلية • الموقف الماركسى اللينينى يعلم بأنه مع حق كل شعب من الشعوب فى تقرير مصيره بنفسه وعلى أرضه ، ويعلم أنه ضد كافة ألوان القهر الطبقى والقومى •• قهر شعب لشعب او طبقة لطبقة او أمة لامة • ومن هنا فان الموقف الاممى الصحيح من المسألة الفلسطينية يقوم بالضرورة على حق شعب فلسطين فى تقرير مصيره على ارضه وبنفسه ، ويقوم ضد عملية القهر والاغتصاب القومية والطبقية التى نتجت فى ١٩٤٨ • وكان المفترض فى الاحزاب الشيوعية ان تتخذ موقفا أمميا صحيحا فى تلك المسألة ، يقوم على رفض كيان دولة اسرائيل والاصرار بالنضال المسلح والجماهيرى ، وبأى شكل من اشكال النضال على تصفية هذا الكيان واقامة دولة ديموقراطية فلسطينية ، يصبح فيها لشعب فلسطين الحق الكامل فى تقرير مصيره على ارضه ، ويصفى فيها عملية القهر والاغتصاب الرجعية التى وقعت عام ١٩٤٨ • الا ان الاحزاب الشيوعية اتخذت موقفا لاماركسيا ولا لينينيا فى هذه المسألة بالتحديد ، اتخذت موقفا قائما على الاقرار بعملية الاغتصاب والقهر التى لحقت بشعب فلسطين والاصرار على هذا الموقف منها جميعا حتى هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ • بعد ٥ حزيران ١٩٦٧ نلحظ ان هناك تطورا قد حدث لدى بعض الاحزاب الشيوعية فى المنطقة • على سبيل المثال موقف الحزب الشيوعى السودانى من المسألة الفلسطينية الذى انتهى الى رفض الكيان الصهيونى والمطالبة باقامة دولة فلسطينية •• اظن فى برنامجه يسميها عربية •• اظن كده مش ديموقراطية • كذلك موقف او الانشقاق الذى

حصل في الحزب الشيوعي العراقي والذي دفع بالقيادة المركزية الى طرح موقف صحيح من المسألة الفلسطينية يشبه موقف الحزب الشيوعي السوداني .

لنأخذ على سبيل المثال الموقف من الكفاح المسلح . كلنا نعلم جيدا ان العنف الطبقي والقومي الرجعي والاستعماري من المفترض ان يجابه بعنف ثوري مقابل . ويمثل الكفاح المسلح ارقى شكل من أشكال النضال ضد قوى الثورة المضادة . وعندما حمل شعب فلسطين السلاح ضد الكيان الصهيوني والاحتلال الذي تم بعد حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كان من المفترض أن الاحزاب الشيوعية في المنطقة تتخذ موقفا صحيحا من هذه المسألة .. موقف يقوم على مشاركتها الفعالة والمبادرة في الكفاح المسلح الفلسطيني ، الا انها اتخذت مواقفا - على امتداد الفترة حتى اوائل ١٩٦٩ - ترفض عملية الكفاح المسلح وتعتبره مغامرة برجوازية صغيرة . وموقف الحزب الشيوعي الاردني شاهدا في هذه المسألة . مؤخرا اخذت الاحزاب الشيوعية تتخذ موقفا ايجابيا نظريا من مسألة الكفاح المسلح دون المشاركة به حتى الان

لطفي الخولي : اعتقد ان هذا لم يكن موقف الشيوعيين وحدهم .. ولعلهم - حسب ما فهمت - كانوا يتطلبون شعبية المقاومة . على العموم أعتقد أن جميع هذه الاحزاب تساند المقاومة وتؤيدها الان ؟

نايف حواتمة : اي نعم ...

لطفي الخولي : وعلى حسب علمي ، فان الحزب الشيوعي السوداني والعراقي واللبناني مؤيدين لدرجة أنهم يطلبون المشاركة الفعلية في الكفاح المسلح .

نايف حواتمة : حتى الان مفيش !!

لطفي الخولي : هل المانع من جانبهم ؟

نايف حواتمة : معلوماتي الاكيدة حتى الان لا يوجد هذا الموقف باستثناء موقف القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي التي تشارك مشاركة جزئية جدا في الكفاح المسلح الفلسطيني .

لطفي الخولي : هذه حلت نفسها على ما أظن الان ، وعادت الى الحزب .

نايف حواتمة : لا . . الذي حصل في القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي - بعد موقف عزيز الحاج - هو انها تمزقت الى مجموعة فرق . وهي الآن بصدد اعادة لحمة هذه الفرق مع بعضها البعض ، ماعدا فرقة في منطقة الفرات الاوسط .. يعني الحلة والنجف ، تمثل القسم الاصغر من تنظيمات الفرات الاوسط اعلنت عن حل نفسها والتحاقها باللجنة المركزية

لطفي الخولي : اذكر انني قرأت ان عزيز الحاج نقد نفسه على أساس انه كان قد غرق في المغامرة والطفولة اليسارية . وبالمناسبة قرأت أيضا نفس النقد موجه للجبهة الديمقراطية . ماهو ردك على هذا النقد .

نايف حواتمة : ليقل عزيز الحاج ما شاء له القول في تراجعاته الايديولوجية والسياسية . وعزيز الحاج لا يطرح هذه القضايا التي طرحها بعد عودته الى العراق .. أي منذ عودته فقط . بل بدأ يطرحها منذ عام ٦٣ عندما اختلف مع اللجنة المركزية حول القضايا الوطنية الديمقراطية العراقية وكيفية حل معضلاتها وانجازها وبأي افق طبقي وسياسي ، وبأي اسلوب كفاحي . فقد اندفع بعض اعضاء اللجنة المركزية في الحزب في ذلك الوقت على طريق المناداة بحل الحزب والانخراط في الاتحاد الاشتراكي العراقي أيام عبد السلام عارف . واتخذ عزيز الحاج موقفا آخر .. طرح قضاياه منذ ١٩٦٣ ، وطرحها قبل أن يأتي حكم البعث الاخير . وعملية الطرح موضوعيا مازالت صحيحة . فان انجاز مهمات الثورة الوطنية الديموقراطية العراقية ، تتطلب حل المشكلة المركزية مشكلات الدولة والثورة . وهي التي لم تحل حتى الان والتي بامكانها فعلا ان تقود البلاد على طريق تحرير اقتصادها الوطني من الاحتكارات الاستعمارية ، وبناء اقتصاد وطني مستقل ، واطلاق الحريات الديموقراطية للجماهير ، وتصفية الثورة المضادة في العراق تراجعات عزيز الحاج بعد اعتقاله ليست من باب النقد الذاتي الثوري ، بامكانه ان يمارس مراجعة نقدية

تصحيحية للممارسات الخاطئة التى اخذت بها القيادة المركزية ، وليس للموضوعات النظرية التى طرحتها القيادة المركزية • الممارسات الخاطئة التى ادت بهذه الموضوعات الى تخلى القيادة المركزية عن جبهة الكفاح المسلح التى نشأت بالعراق وتحويل هذه الموضوعات الثورية ، موضوعات العنف الثورى الطبقى الى فرق صدامية ارهابية لا قيمة لها •

ما تطرحه الجبهة الديموقراطية من موضوعات ثورية مستندة الى تحليل ملموس للواقع الملموس ، على امتداد هذا الفرق فى هذه المنطقة ، وعلى استيعاب ملموس لتجربة حركة التحرر الوطنى فى البلدان المتخلفة • الجبهة الديموقراطية تعطى هذا التحليل الوانا من الممارسة مختلفة جذريا عن الممارسات التى اخذت بها القيادة المركزية للحزب الشيوعى العراقى • ربطت بين هذه الموضوعات الثورية ، والممارسة المسلحة الجماهيرية • ربطت بين هذه الموضوعات وضرورات نسج التحالفات الوطنية وانشاء الجبهة الوطنية مع كافة القوى الوطنية المقاتلة ضد الاستعمار والصهيونية • ولم تمارس موقفا انعزاليا ، كما مارست اللجنة المركزية للحزب فى ظل قيادة عزيز الحاج • اذ أن هذا الموقف الانعزالى، هو موقف لايقوم على فهم الواقع وعلى التعامل معه من أجل تطويره وتغييره • وفى الساحة الفلسطينية هناك ايضا من يحمل السلاح ، ويدعى الماركسية اللينينية ، الا انه فى حيز الممارسة يقع فى غمرة الانعزالية ، او ماسميته انت بالطفولة اليسارية • فرفض التعامل مع الواقع ، ومع النضال من اجل تغييره وتطويره فى نفس الوقت فى الشارع ومع الجماهير ومع المنظمات الاخرى ، هو الطفولة اليسارية بذاتها • وان كنت أفضل بعد ان اصبح هذا التعبير ــ اذا سمحت لى ــ يستغل ليس من موقع يسارى،بل يستغل من موقع يمينى لضرب النهج اليسارى فى حركة القاومة ومن ثم حركة التحرر العربى • • اقول أفضل لو استخدم تعبير اكثر دقة وهو تعبير الانتهازية اليسارية ، وليس الطفولة اليسارية •

لطفى الخولى : الانتهازية اليسارية •• بمعنى؟

نايف حواتمة : ممارسة موقف الادعاء الذاتى الثورى ، والانعزال عن القوى الوطنية الاخرى والتعالى فى التعامل عليها •

لطفى الخولى :بعد هذه الفرشة النظرية التى استهلكت فى الحقيقة اكثر مما كنا نتوقع ، ندخل على الموضوع المحورى او الجوهرى فى هذا الحوار • وهوكيف ترى الجبهة الديمقراطية من فوق ارضيتها الفكرية والاجتماعية هذه ــ وكيف تمارس مسئولياتها ازاء القضية الفلسطينية فى وضعها الحالى بعد اكثر من مرور سنتين على الهزيمة وبزوغ حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة والسياسية ، وطبعا فى هذا سنتطرق الى قوى الثورة واستراتيجيتها وتكتيكاتها ومشاكلها • ولعل من اهم هذه المشاكل ، مشكلة وحدة اداة المقاومة • وايضا بالنسبة لقضية ارتباط القضية الفلسطينية ومقاومتها المسلحة بقضية حركة التحرر العربية الوطنية التقدمية ، ثم حركة التحرر العالمية والقوى الاشتراكية فى العالم • وكذلك فى مواجهتها للامبريالية العالمية ككل والحركة الصهيونية اى باختصار قضية الحليف والعدو • واعتقد انه يمكن ان نبدأ الان من زاوية الرؤى • رؤية الجبهة الديمقراطية للموقف الفلسطينى الراهن • ودعنى هنا اطرح عليك سؤالا طالما طرحته على بقية الاخوان : هل نستطيع ان نقول اليوم اننا ازاء ثورة شعبية فلسطينية ذات طبيعة مسلحة متخذة العنف الثورى اداتها ، ام اننا فى الطريق الى هذه الثورة نتيجة ذلك الخط الذى شقته بشجاعة ومثابرة حركة المقاومة الفلسطينية ؟ وطبعا الهدف من طرح هذا السؤال هو محاولة الوصول الى تقدير موضوعى للواقع يفيدنا فى معالجة النواقص ودفع الحركة الى الامام •

نايف حواتمة : المطلوب ان نكون موضوعيين مع انفسنا ومع الجماهير • وما هو قائم حتى الان هو حركة مقاومة فلسطينية مسلحة جماهيرية ، تمثل خطوة اولى على طريق رحلة طويلة • وذلك حتى نتمكن من الانتقال الى الثورة الفلسطينية الشاملة • وعملية الانتقال مرهونة بمجموعة تطورات ذاتية ، تحدث فى تركيب حركة المقاومة فى صالح الموقف الفكرى والسياسى الاكثر جذرية ، والقادر على انشاء علاقات منظمة لا تستند على العفوية، وعلى العاطفية مع الجماهير الفلسطينية الاردنية، وكذلك مع الجماهير العربية ، والقادر على دفع الجماهير الفلسطينية بشكل خاص ، والعربية بشكل عام ، الى حمل السلاح والمشاركة الواسعة

والمنظمة فيعملية الكفاح المسلح • ومرهونة موضوعيا فى توليد عملية ارتباط جدلية يومية بين حركة التحرر الوطنى الفلسطينية وحركة التحرر الوطنى العربية • اذ ان مصير فلسطين تقرر ويتقرر تاريخيا بمصير الاوضاع المحيطة بفلسطين • هذا ما يميز التجربة الفلسطينية عن التجربة الجزائرية مثلا • كما ان اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية ، مرتبطة جدليا ويوميا بالرأسمالية العالمية والامبريالية العالمية ، وبشكل خاص الامبريالية الامريكية •وذلك نظرا للطبيعة المزدوجة للحركة الصهيونية ، وما تولده من ارتباط مع الامبريالية العالمية • ففى الوقت الذى تمثل فيه حركة شوفينية رجعية لها طموحاتها العنصرية الذاتية والتوسعية فانها بطبيعة تكويناتها الرأسمالية مرتبطة بالرأسمالية العالمية والامبريالية العالمية • كما ان الامبريالية العالمية ترى بوضوح فى الحركة الصهيونية ما يمكنها من اقامة قاعدة ثابتة ، قادرة على الحركة السريعة فى عموم المنطقة • وذلك لقمع ، لا حركة التحرر الفلسطينية فقط ، بل حركة التحرر الوطنى العربية عموما • وما حدث فى عام ١٩٥٦ دليل بارز على ذلك • وما حدث فى عام ١٩٦٧ دليل ابرز على ذلك ايضا •

هذا الارتباط الجدلى القائم بين الحركة الصهيونية والامبريالية ،هو الذى يؤكد من جديد بالاضافة الى التجربة التاريخية ــ ضرورات الارتباط الجدلى والمصيرى بين حركة التحرر الفلسطينية والعربية ، وربط حركة التحرر الوطنى الفلسطينية بحركة التحرر الوطنى العالمية وبقوى الثورة الاشتراكية العالمية •

ما هو قائم حتى الان لا يمثل حالة تقترب من هذه اللوحة • ما هو قائم حتى الان ان قطاعا من شعب فلسطين ، بتكوين ذاتى متباين يجمع بين الموقف البورجوازى الصغير اليمينى والتقدمى والموقف اليسارى الثورى يتحرك حاملا السلاح ، وعلاقاته مع الجماهير الفلسطينية اقرب الى العلاقات العفوية والعاطفية • وكذلك الحال مع الجماهير العربية ، ومع حركة التحرر الوطنى ومع الثورة الاشتراكية العالمية • من هنا يصبح مطروحا من اجل تطوير حركة المقاومة ، الانتقال بها الى ثورة شعبية مسلحة تنتظم فيها اوسع الجماهير التى تحمل السلاح وتقاتل ، الجماهير الفلسطينية والعربية • هذه العملية تتطلب ــ كما قلت ــ مجموعة من التطورات الذاتية فى بنية حركة المقاومة ، تكسبها افقا فكريا وسياسيا تقدميا ، قادرا على طرح برنامج لحرب التحرير الشعبية ، وتنظيم هذه الجماهير وتعبئتها ، ودفعها للقتال المسلح على جبهة عريضة ضد اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل •

فى الرؤية العامة للواقع الراهن ، نرى ان حركة المقاومة تعيش فى جملة تناقضات ذاتية فكرية وسياسية ، لم تمكنها حتى الان من انشاء جبهتها الوطنية الموحدة • كما ان التناقضات العربية باتت تسحب نفسها بوضوح ، على حركة المقاومة مما يزيد المسألة تعقيدا •

لطفى الخولى : الا ترى ان الاطار الجديد لمنظمة تحرير فلسطين هو بداية ممكنة واقعيا لبلورة هذه الجبهة الوطنية ؟

نايف حواتمة : بكلمة واحدة ، ان هذه الاطارات الجديدة تحتمل امكانية تطويرها الى جبهة وطنية •ونحن طرحنا على المؤتمر الوطنى الفلسطينى السادس مشروعا كاملا وتفصيليا ومحددا لجبهة وطنية ، يمثل برنامج الحد الادنى ، الذى يمكن به نقل حركة المقاومة من واقعها الراهن الى واقع اكثر تقدما • وذلك فى ظل علاقات متكافئة بين جميع فصائل حركة المقاومة الاساسية على الاقل • الا ان هذا البرنامج لم تتم الاستجابة له •وواقع حركة المقاومة لم يبلغ بعد المرحلة التى يستجيب فيها الى برنامج محدد فى العلاقات المتكافئة •

لطفى الخولى : ما المقصود هنا بالعلاقات المتكافئة ؟

نايف حواتمة : ان يكون لكل منظمة من المنظمات صوت واحد ، مهما كان عدد اعضائها •

لطفى الخولى : السياسية ــ كما تعلم ــ من الممكن واقعيا ، تأهبا لخطوة أكثر تقدما • واقعيا فى ظل الظروف التى شرحتها أنت لحركة المقاومة وللواقع العربى ككل ، كيف يمكن ترجمة مبدأ العلاقات المتكافئة الان مع وجود تفاوت فى حجم المنظمات وشعبيتها فتح مثلا تقول ــ وهذا على ما أعتقد

صحيح ـ ان لها الريادة فى العمل المسلح فى وقت كانت متهمة من الجميع بالمغامرة ، الا ترى ان تطبيق مبدأ العلاقات المتكافئة يستلزم نوعا من التوحد الفكرى والاستراتيجى ، ثم قدرا معينا من التوحيد والتنظيم قبل ذلك وبالتالى فان قضية بناء الاطار العام للجبهة وبرنامجها يجب أن يسبق قضية العلاقات المتكافئة · بمعنى ان المطالبة بالعلاقات المتكافئة لا يجب أن يقف الان عقبة فى سبيل بناء الاطار العام للجبهة ».

نايف حواتمة : عملية الجبهة الوطنية المتكافئة فى العلاقات فى تقديرنا ، كتقدير التجارب التاريخية الثورية ، ليس لها علاقة بحجم المنظمات ، أو بسبق هذه المنظمة أو تلك على غيرها فى ممارسة معينة · وان كان من الحق والضرورة أن نسجل لفتح مثلا المبادرة التاريخية لشق طريق الكفاح المسلح · فبداية فتح فى شق طريق الكفاح المسلح ، مسألة تاريخية يجب أن تسجل ويعترف بها. الا ان مسألة الوحدة الوطنية تفرضها الظروف التى تعيشها حركة المقاومة والاوضاع العربية فى مواجهة معركة من طبيعته تاريخية استثنائية مع قوى الثورة المضادة · وهنا المفترض أن تحدث مواقف بعيدة عن العصبيات التنظيمية لهذه المنظمة أو تلك · اذ أن مسألة الجبهة الوطنية المتكافئة العلاقات والمرتبطة ببرنامج عمل محدد ، هى التى ستدفع جميع القوى على طريق وضع خطة سياسية وعسكرية موحدة ، تقترب بجميع قوى حركة المقاومة من الوحدة السياسية والتنظيمية خطوة خطوة · واشتراط لون من ألوان التقارب الفكرى والسياسى او التنظيمى لمثل هذه الجبهة الوطنية هى أولا عملية ليست مطلوبة الان ، وثانيا فى تقديرى ليست صحيحة ، وان المطلوب الالتقاء على برنامج حد أدنى سياسى وعسكرى بين جميع هذه الفصائل. وليس المطلوب الالتقاء على موقف فكرى أو تحليل فكرى للاوضاع فى حركة المقاومة وفى المنطقة العربية · وهناك نقاط التقاء عديدة هى التى تشكل الجبهات الوطنية · وعلينا أن نبحث عن نقاط الالتقاء ، ونضع جانبا نقاط الاختلاف ليمارس كل منا استقلاله فى نقاط الاختلاف فى العلاقة اليومية مع الجماهير الفلسطينية والعربية ·

لطفى الخولى : ترى ما هى فى نظركم نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف ؟

نايف حواتمة : نقاط الالتقاء هى على رفض التسوية أو التصفية السياسية للقضية الفلسطينية ، على رفض الحلول الشوفينية والرجعية للقضية الفلسطينية ، على توحيد الكفاح المسلح والعمليات العسكرية ، على التنسيق مع القوى العربية الاخرى طبقا لمصلحة حركة المقاومة الفلسطينية وقضية تحرير فلسطين ، على نشر المليشيا الشعبية فى الضفة الشرقية حتى لا تتعرض لما تعرضت له الضفة الغربية فى حزيران ١٩٦٧ وتكون هناك قوى جماهيرية مسلحة مستعدة للتصدى لقوى الغزو الصهيونى · كما ان نشر المليشيا الشعبية يمكن من توليد قوى خلفية لحماية حركة المقاومة الفلسطينية ·

ان هذه القضايا التى تلتقى عليها جميع الفصائل مهما كانت مواقعها الايديولوجية ، تمكن من بناء مثل هذه الجبهة الوطنية · وهذا ما طرحناه على المجلس الوطنى الفلسطينى السادس الذى انعقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٦٩ ·

ومع ذلك ، فلان اوضاع حركة المقاومة الذاتية لم تبلغ بعد مرحلة الاستجابة الى مثل هذه الدعوة ، فقد اندفعنا للتفكير الجدى بالاطارات القائمة والصيغ القائمة للوحدة الوطنية ، ممثلة باطارات وصيغ منظمة التحرير التشريعية والتنفيذية ، أى المجلس الوطنى واللجنة التنفيذية . ووجدنا بوضوح ان اليسار الثورى ، ليس هو اليسار الذى يحلل الواقع فقط · بل هو الذى يحلل هذا الواقع ويتعامل معه ضمن الصيغ الممكنة · ومن هنا كان موقفنا بالدخول فى قيادة الكفاح المسلح ، موقفنا فى المشاركة فى المجلس الوطنى الفلسطينى رغم الاعتراضات الكثيرة على تركيب المجلس الوطنى الفلسطينى ، موقفنا من المشاركة فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية · ونحن نعتقد ان هذه الادارات تشكل أرضا أولية للعلاقات بين فصائل حركة المقاومة الفلسطينية ، وتطوير هذه الادارات لتصبح ارضا لجبهة وطنية مسألة مرهونة بعدة اعتبارات ، على رأسها تطوير أوضاع أجهزة منظمة التحرير الفلسطينية وتحويلها من أجهزة بيروقراطية وكلاسيكية ذات بنايات بورجوازية ، الى أجهزة شعبية عاملة ، مشاركة بحرب العصابات · وتحويل جيش التحرير الفلسطينى الى جيش حرب عصابات ، وحل الاجهزة الادارية

البيروقراطية القائمة في المنظمة والاعتماد على المتطوعين .

لطفي الخولي : فهمت أن هــذا يجــري فعلا أو على الاقل هناك جهود تبذل في هذا المجال . ومن الطبيعي أن تتواجد عقبات أمام ذلك . كيف يمكن تخطيها .. هذا هو جوهر العمل ، ومسئولياتكم بازاء ذلــك مطروحة .

نايف حــواتمة : هــــذا مـــا طــرحنـــاه في الدراسات التي قدمتها الجبهة الديمقراطية الى المجلس الوطني الفلسطيني السادس ، وولدت عملية طرحها مجموعة من التوترات السلبية تجاه محاولات « تثوير » منظمات التحرير الفلسطينية . ومع ذلك فنحن مع ضرورات التعامل ضمن هذه الصيغ ، مع النضال الدءوب من داخل هذه الاطارات ومن خارجها مع الجماهير . وذلك من أجل « تثوير » منظمة التحرير وتطوير أجهــزة منظمة التحرير . كما ان مزيدا من العلاقات على ارض هــذه الصــيغ ، تفتح مناخا موضوعيا للعلاقات الفكرية والسيــاسية والبشرية بين جميع هذه الفصائل : قيادات وقــواعد توفر منــاخا أكثر اقتــرابا من بعضها البعض ، لتساعد على تطوير هذه العلاقات نحو جبهة وطنية . والمعروف أن مسألة الجبهة الوطنية مسألة لا تطرح بالمطلق ولا تطرح بصيغة جامدة . فهي مسألة قابلة باستمرار لاعادة الصياغة والتركيب تنظيميا وسياسيا وعسكريا على ضوء مجمــوعة التطورات الذاتية والموضوعية التي تحدث في حركة المقاومة الفلسطينية .

لطفي الخولي : في هذا النطاق ارجو انتسمح لي باثارة بعض النقاط :

النقطة الاولى : اوردت في حديثك ما اسميته نقاط الاتفاق . هل هذه النقــاط متفق عليها فعلا بين فصائل حركة المقاومة ام هي مجرد مشروع مطروح منكم ؟ واذا كــانت مجــرد مشروع فمـــا هـــو رد الفعل ؟ وكيف ستواجهون رد الفعل فــي ضوء الحرص على بناء الجبهة الوطنية ؟

النقطة الثانية : ما هي بالدقــة نقــاط الخلاف وكيف يمكن حصر تاثيرها حتى لا تعرقل بناء الجبهة الوطنية ؟

النقطة الثالثة : طالما اننا متفقون على ان الجبهة الوطنية اولاضرورية ، وثانيا انها لا تتم في فراغ ، وانما من خلال واقع ذي معطيات ومشاكلمحددة، وبالتاليلايمكنان تتم خطوة واحدة أودفعة واحدة ، وانما من خلال خطوات متوالية ، ومع مراعاة كافة الظروف وفي مناخ من الحوار الديمقراطي الذي يستطيع أن يتغلب على الحساسيات والعقد السابقة . وبالجهد الفلسطيني دون وصاية من احد . اذن كيفيمكن ان يتمهذا بالطريقـــة الديمقراطية وبالاســـتفادة من الامكانيات التي تتوفر يوما بعد يوم ، وما هو - في رايك - الــدور الذي يمكن ان تقوم بهالقوىالثوريةالعربية فيهذاالنطاق النقطةالاخيرة تدور حولمدى فاعلية مايمكن ان يسمى الان بالاجهزة المركزية التي تكونت في اطار منظمة التحرير مناجلبلورةوحدة عمل ، كماهو الحالمثلافيجهازقيادةالكفاح المسلح .

نايف حــواتمة : النقــــاط المحـــــددة التي عرضتها ، تلتقي عليها جميع الفصـــائل فعلا . الا انهناك نقاطاختلاف . طبيعي ان تظهر نقاط الاختــلاف بحكم التكويــن الايديولوجي والسياسي والطبقي المتبـــاين لفصائل حركة المقاومة الفلسطينية ، نقاط اختلاف في النظرة للعلاقة بين المقــاومة والجماهير الفلسطينية ، العلاقةالسياسية والتنظيمية . كذلك هناك نقط اختلاف من حول قضية العلاقة بين المقاومة والاوضاع العربية ، بين المقاومة والاوضاع الدولية . ويمكن تلخيص هذهالنقاط منوجهة نظرنا في اننا نتبين بوضوح ضرورات الاعتماد على الذات وعلى الجماهير والقوى التقدمية في المنطقة وفي العالم ، في شق طريق جديد لحركة المقاومة الفلسطينية ، يحررها من كافة الوان الضغوط الرجعية واليمينيــة الفلسطينية والعربية والعالمية . وهـــذا يفترض بالضرورة انتهاج طريق اخضاع كل ما يمس القضية الفلسطينية ، فلسطينيــا وعربيا وعالميــا ، للمــراجعة النقــدية الدائمة .. ويوميا مع الجماهير لرفع درجة وعيها التقدمي والسياسي ويقظتها الثورية ، تجاه جميع هذه الاحداث والوقائع . هذا يفترض كشف وتعرية القوى الرجعية في المنطقـــة العـــربية ، والتي شــكلت تاريخيا صمام أمن لاسرائيل ، وبعد ١٩٤٨ شكلت جزءا لا يتجزأ من الثورة المضادة في المنطقة . ومازالت تتعرض على يدها الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية لمختلف ألوان

القمع والتطويق والتصفية ·· تنظيم الجماهير وربطها بالمقاومة الفلسطينية ربطاً منظماً مسلحاً بالوعي السياسي الجذري ، بدلا من العلاقة القائمة حتى الان والمعتمدة الى حد كبير على العلاقات العفوية والعاطفية ·· ربط حركة المقاومة الفلسطينية بحركة التحرر الوطني العربية والتحالف بشكل واضح مع قوى حركة التحرر الوطني العربية · اذ ان الاختلاط القائم في العلاقات العربية ، سمح لجميع القوى الرجعية الفلسطينية والعربية ان تتاجر بالقضية الفلسطينية وتؤلف جمعية المنتفعين بها ·· ابراز الهوية التقدمية لحركة المقاومة الفلسطينية ، وهذا يتضح من خلال ممارستها السياسية مع الجماهير ·· طرح الحلول الديمقراطية والتقدمية للمسألة الفلسطينية والمسألة الاسرائيلية بعيدا عن الحلول الشوفينية ، والحلول الرجعية التي سادت في هذه المنطقة لفترة طويلة · وهذا يفترض اقامة صلات مع معسكر قوى التقدم والتحرر والاشتراكية في هذا العالم · طبيعي ان هذا النهج الوطني الجذري ، بالاعتماد على الذات وعلى الجماهير الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربية والعالمية والقوى الاشتراكية العالمية ، يعني نسف كافة العلاقات مع القوى الرجعية في هذه المنطقة ، وشن حرب ايديولوجية وسياسية على جميع هذه القوى الرجعية التي تمثل القواعد الطبقية والسياسية للمصالح الاستعمارية في المنطقة ذلك لاننا نؤمن على ضوء الواقع التاريخي ان القضية الفلسطينية مرتبطة ارتباطا مصيريا بالقضية العربية واحداث ٣٦ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، تؤكد ذلك بشكل صارخ ·

لطفي الخولي : عملية الارتباط ، لا خلاف على ضرورتها ، ولكن المشكلة ليست في رفع الشعار وانما في تطبيقه . كيف اذن يمكن التطبيق الفعلي لهذا الارتباط ·· ما رأيكم في امكانية بناء جبهة شعبية عربية من حول المقاومة المسلحة مثلا ؟

نايف حواتمة : عملية الارتباط تفترض فعلا أن تنشأ ألوان متعددة من الصلات مع هذه القوى · وذلك لتشكيل جبهة وطنية وتقدمية عريضة على امتداد المنطقة العربية تدخل في معركة صراع مع كافة قوى الثورة المضادة · اذ أن فهمنا لاسرائيل وللحركة الصهيونية ، انها مرتبطة بالمصالح الاستعمارية والامبريالية · وعلينا أن نضع هذا الفهم موضع الترجمة العملية لا بمجموعة من الاحداث الفردية تجاه المصالح الاستعمارية ، بل بالعلاقة مع الجماهير العربية في جميع الاقطار العربية التي تقوم بدورها الوطني ، والصدام مع المصالح والمواقع الاستعمارية · ونعتبر أن المقياس لموقف الانظمة العربية من القضية الفلسطينية ، ليس هو مقياس الاخذ أو رفض قرار مجلس الامن فقط بل هو مقياس الصدام مع المصالح الاستعمارية في المنطقة · ومن هنا طالبنا ونطالب بضرورات تصفية القواعد الاستعمارية ، وتأميم المصالح الاستعمارية ، وغلق السوق العربية في وجه الانتاج البضاعي الرأسمالي والامريكي بشكل خاص · وهذا يضع جميع الانظمة العربية موضع الامتحان العسير في علاقتها مع مسألة التحرير الفلسطينية ، وفي علاقتها مع حركة المقاومة ، ويدفع الجماهير العربية الى تلمس الطريق الصحيح للصدام مع اسرائيل ومساندة حركة المقاومة الفلسطينية ·

لطفي الخولي : يعني انتم مع الرأي القائل بعدم تأجيل الصدام مع القوى الرجعية العربية ، بدعوى أن الموقف يستلزم التركيز على قضية الاحتلال الاسرائيلي والاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، وترون ان المعركة واحدة ضد اسرائيل وضد الامبريالية وقواعدها في المنطقة نتيجة الترابط بين الامبريالية واسرائيل ·

نايف حواتمة : تماما ·· وهنا في الحقيقة تقع حركة المقاومة ، ولا زالت ، في خطأ تاريخي يضع مقارنة تاريخية خاطئة مع المسألة الجزائرية ، وذلك بالاصرار على استقلالية القضية الفلسطينية عن مجموع الاوضاع العربية · هذه الاستقلالية التي تقف حتى الان على رأسها · والمطلوب في الحقيقة ايقافها على رجليها ·· الاستقلالية بمعنى أن يأخذ شعب فلسطين دوره الاساسي كطليعة للشعوب العربية في عملية الصدام مع اسرائيل والحركة الصهيونية ، فهذه مسألة صحيحة · أما عندما تتحول مسألة استقلالية العمل الفلسطيني الى استقلال عن العلاقة مع حركة التحرر الوطني العربية ، فهي موضوعيا وعمليا ، تنشىء بالمقابل علاقة مع الانظمة التي تبنت تاريخيا موقفا معاديا لمبادرات شعب فلسطين ، وتبنت تاريخيا

أيضا موقفا معاديا لتنظيم شعب فلسطين ، وتبنت كذلك موضوعيا موقف الارتباط المباشر وغير المباشر مع الاستعمار والامبريالية ضد حركة التحرر الوطنى الفلسطينية والعربية . وكانت بذلك صمام أمن لاسرائيل والحركة الصهيونية فى فلسطين .

لطفى الخولى : حسب ما فهمت من خلال المناقشات مع الاخوة المسئولين فى منظمات المقاومة الاخرى اعتقد ان الاستقلالية تعنى رفض الوصاية على حركة الشعب الفلسطينى ونضاله المسلح . أما الاستقلالية بمعنى الفصل بين القضية الفلسطينية والقضية العربية الكلية ، فهذا غير وارد . فهناك اتفاق على البعد القومى التحريرى لقضية فلسطين واعتبارها جزءا لايتجزأ من حركة التحرر العربى .

نايف حواتمة : المسألة ليست مسألة لفظية ، جميع فصائل المقاومة تقول بالارتباط بين حركة التحرر الوطنى الفلسطينية والعربية والعالمية .. المسألة ممارسة فى العلاقة مع الجماهير العربية ، وكشف وتعرية كافة المواقف الرجعية المضادة لعملية تحرير فلسطين . فالواقع ان الذى يريد ان يحرر فلسطين ، ويدعم حركة الشعب الفلسطينى على هذا الطريق مطالب فعلا أن يتخذ مواقف معادية للقوى التى تقف وراء اسرائيل . وهذا يضع هذه القوى فى موضع الصدام مع المصالح الاستعمارية فى بلدانها . . الولايات المتحدة الامريكية فى موقفها الصلف المساند لاسرائيل والحركة الصهيونية حتى الان بعد حزيران يرجع الى أنها لا تجد حتى الان ما يعرض مصالحها للخطر فى عموم المنطقة العربية . والذى يتحكم بالموقف الامريكى ليس مجموعة من العلاقات الشخصية مع بعض العناصر الصهيونية .. مثلا الذى يتحكم فى الموقف الامريكى هو مصالحها فى منطقة الشرق الاوسط ، وعندما تتعرض جديا مصالحه فى منطقة الشرق الاوسط ستضطر أمريكا أن تعيد النظر فى مواقفها من اسرائيل ومن الحركة الصهيونية . ومنذ حزيران (يونيو) حتى الان ، لم تمس هذه المصالح الاستعمارية الامريكية . لو مست هذه المصالح ، لو وجدت امريكا نفسها فى مأزق تاريخى يعرض مصالحها للخطر ، مما يتطلب منها أن تراجع مجموعة مواقعها .. محاربة اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل لا تتم فى تقديرى بمجموعة من المواقف ذات الطبيعة الفردية ، بل تتم فعلا بغلق هذه المنطقة فى وجه المصالح الاستعمارية . وهذه مسألة من مهمات الاوضاع العربية وليست من مهمات حركة المقاومة الفلسطينية ، الا ان حركة المقاومة الفلسطينية مطالبة انطلاقا من موقف فلسطينى فى مقاومة اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل .. مطالبة أن تطرح هذه المسائل على الجماهير العربية والفلسطينية وعلى مجموع الانظمة العربية من يتجاوب معها ، فهو فعلا فى موقف مساند لحركة المقاومة الفلسطينية ولمسألة تحرير فلسطين وحل المعضلة القائمة . ومن لا يتجاوب معها ، مع أنه يقدم مجموعة من المساعدات الجزئية . الا أن هذه المساعدات تتحول فى التحليل الاخير الى شكل من أشكال ذر الرماد فى العيون . والى شكل من اشكال امتصاص توترات الجماهير فى بلدانها نظرا لمواقفها المتخاذلة من القضية الفلسطينية المرتبطة مع الاستعمار والامبريالية ، وتتحول أيضا الى لون من ألوان الضغط على حركة المقاومة لتبقى ضمن أفق محدود الفاعلية فى ممارساتها السياسية اليومية . وفعلا فقد برز هذا بوضوح من خلال ممارسات حركة المقاومة الفلسطينية على امتداد الفترة من حزيران حتى هذه الدقيقة ، فى مسألة الوحدة الوطنية . قلنا ان هناك ضرورة للتعامل مع الواقع الراهن ، ومحاولة تطوير هذا الواقع ، والى أى مدى ممكن أن تكون الاطارات القائمة والتى تعبر عن صيغة العلاقات بين فصائل المقاومة ممكن ان تتطور الى أجهزة فاعلة .. هذه مسألة مرهونة بالنضال اليومى ضمن هذه الاطارات ، والنضال اليومى فى صفوف الجماهير من أجل تحويل هذه الاطارات الى اطارات ثورية وفعالة فعلا ، غير أنه حتى الان لازالت هذه الصيغ المطروحة ذات قيمة معنوية أكثر منها ذات قيمة مادية .

لطفى الخولى : هذا كله مفهوم ولا خلاف عليه . ولكن القضية التى نحن بصدد مناقشتها هى كيف يتم الربط عمليا بين القضية الفلسطينية والقضية العربية فى تفاعل اعمق ضد العدو بوجهيه المترابطين الصهيونية والامبريالية . لقد سبق للطليعة مثلا أن تقدمت أكثر من مرة فى هذا النطاق

باقتراح ضرورة بناء جبهة عربية منظمة من حول المقاومة الفلسطينية حتى يمكن ان تباشر مسئوليتها الفعالة فى دعم حركة المقاومة ، وفى تعبئة الجماهير العربية تعبئة منظمة ضد العدو بوجهيه فى آن واحد ، بحيث تصبح المقاومة فعليا تيارا فلسطينيا عربيا شاملا فى نفس الوقت •

نايف حواتمة : ان هذا الموقف يلتقى فعلا مع موقف الجبهة الشعبية الديمقراطية فى فهمها للعلاقة بين حركة المقاومة وبين الجماهير العربية • بمعنى أننا نؤيد ضرورة تشكيل جبهة عربية عريضة وطنية وتقدمية مساندة لحركة المقاومة الفلسطينية سياسيا واعلاميا وماديا وحتى بشريا فى العناصر المتطوعة ، والتى يمكن أن تنضم لحركة المقاومة •

لطفى الخولى : اذن نخطو بالمسألة خطوة أخرى الى الامام : كيف يمكن فى رايك البدء فى بناء هذه الجبهة التى أصبحت ضرورية وملحة •

نايف حواتمة : فى تقديرى ان هذه العملية ممكنة اذا اتخذت حركة المقاومة موقفا مبادرا فى نسج العلاقات مع قوى حركة التحرر الوطنى العربية • معبرا عنها بالتنظيمات الوطنية القائمة والتنظيمات التقدمية واية مجموعات بشرية ممكن ان تنضم الى مثل هذه الجبهة •

وفى بدايتها يمكن ان تتخذ اكثر من شكل — يمكن ان تبدأ بشكل لجان مساندة لحركة المقاومة الفلسطينية قطريا ، او يمكن ان تبدأ بالدعوة الى مؤتمر عربى عام تشارك فيه حركة المقاومة ، ويضم كافة فصائل حركة التحرر الوطنى العربية لتضع خطة موحدة لمساندة حركة المقاومة الفلسطينية ونضالها ضد قوى الثورة المضادة المعادية لعملية تحرير فلسطين •

لطفى الخولى : طيب ننتقل الى نقطة أخرى فى الحوار ، وهى عن مفهوم المقاومة كفعل وممارسة لدى الجبهة الديمقراطية ، طبعا دون التعرض لما تراه أسرارا عسكرية ماهى الاستراتيجية الحالية التى تسير الجبهة الديمقراطية على أساسها فى عملياتها واختيار اهدافها .. ومدى ارتباط العمل السياسى بالعمل العسكرى فى نشاط الجبهة ؟

نايف حواتمة : فى البداية من المهم توضيح خطأ تاريخى وقعت فيه المقاومة هو الفصل بين المقاومة المسلحة وبين عملية التثقيف السياسى والتنظيم السياسى للجماهير الفلسطينية ، والتوعية السياسية للجماهير العربية بكل مايمس قضية فلسطين : فلسطينيا وعربيا وعالميا • من هنا فنحن نعتقد على ضوء تجربة التاريخ ، ان لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية • ولا ثورة بدون نظرية ثورية • ومن هنا يجرى النضال من أجل ربط الممارسة المسلحة فى صفوف قواعد الجبهة الديموقراطية ، وفى صفوف الجماهير ، بالتسلح بالثقافة الثورية وبالوعى السياسى الثورى تجاه مجموعة الاوضاع التى تتعامل مع القضية الفلسطينية وهذا ظاهر بشكل واضح فى التركيب الطبقى والسياسى والثقافى لعموم تنظيمات الجبهة الديموقراطية •

وفى البرنامج والممارسة السياسية تخضع الجبهة الديموقراطية على جميع الاوضاع التى تتعامل مع القضية الفلسطينية لمراجعات نقدية متصلة •

وتطرح بالمقابل الافق الوطنى الجذرى لمتابعة عملية الكفاح المسلح ، وتأهيل أوضاع شعب فلسطين والاوضاع العربية لشن حرب تحرير شعبية •

بذات الوقت ، تمارس الجبهة موقفها المسلح ، والقائم على الاعتماد بالدرجة الاولى على المشاركة الجماهيرية فى عمليات المقاومة •

وهذا يفترض بالضرورة النضال من اجل نقل المقاومة بشكل دائم وواسع الى الارض المحتلة • وتشكيل بؤر ثورية متنقلة فى داخل الارض المحتلة ، ليختلط نضال المدن المسلح مع كفاح البؤر الثورية المتنقلة ، مع الحيوية الجماهيرية فى مقاومة الاحتلال ورفضه •

كما انها تعتمد على قوى عسكرية أو قوى مسلحة شعبية متواجدة على خط القتال مع الاحتلال لتمارس مهماتها القتالية • وفى ذات الوقت تمثل جسور تموين وتمويل للداخل • وبناء تنظيمات الميليشيا الشعبية

فى الضفة الشرقية للاردن بشكل خاص لمجابهه احتمال الغزو الصهيونى أو احتمال تصفية حركة المقاومة من الخلف . وهنا من المهم ان نلاحظ ان الجبهة الديموقراطيه فى فهمها للصراع الاسرائيلى - الامبريالى بالمقابل الفلسطينى - العربى ، ان عملية الصراع يجب ان تكون عملية جماعية وجماهيرية لا تعتمد على المواقف الفردية ، والممارسات الفردية والزج بالجماهير الفلسطينيه والعربية فى معركة الكفاح المسلح تفترض بالضرورة اعتماد القتال بالدرجه الاولى فى الارض المحتلة ، على تنظيم الجماهير فى كتائب ميليشيا شعبيه فى الضفة الشرقية ، وفى المنطقة المجاورة للارض المحتلة . وهذا يستلزم بث الوعى التقدمى والسياسى فى صفوف الجماهير الفلسطينيه بشكل خاص والعربية بشكل عام حول كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

لطفى الخولى : اود ان اثير معك نقطة اثرتها مع الاخ ابو اياد خلال الحوار الذى جرى معه ممثلا لفتح . وهى قضية التسليح . واعتقد انها قضية محورية بالنسبة لحركة المقاومة وطرق حلها يكشف عن طبيعة ومدى حركة المقاومة نفسها . كيف اذن تحلون فى الجبهة الديمقراطية مشكلة التسليح ؟ وهل أصبح العدو نفسه مصدرا من مصادر تسليحكم نتيجة ما تسلبوه منه من اسلحة ، واذا كان كذلك فما هى نسبة هذا المصدر بالنسبة لمجمل متطلباتكم التسليحية .

وهناك نقطة اخرى تتصل بالعملية المادية للمقاومة ، وهى الاصطدام بالخطوط المكهربة التى أقامتها اسرائيل للحد من عملية الاقتحام والدخول . لاشك ان ذلك يشكل صعوبة هامة . فكيف تواجهونها وتتغلبون عليها ، وذلك دون التعرض لما تراه اسرارا عسكرية ؟

نايف حواتمة : لا شك ان حركة المقاومة تعانى من متاعب عديدة فى عملية التسليح ، الا أن التغلب عليها ، جزئيا ، عملية ممكنة فى الواقع الراهن ، عربيا وعالميا ، حيث ان السوق السوداء مفتوحة لنوع معين من السلاح .

لطفى الخولى : تقصد السوق السوداء العالمية ؟

نايف حواتمة : نعم العالمية ، وهى فى الوقت نفسه محجوبة عن لون آخر من السلاح . ومع ذلك فاى مقاومة مسلحة شعبية يهمها الحصول بالدرجة الاولى على السلاح الفردى الخفيف والثقيل . اذ انها لا تعتمد على اسلحة محمولة . وهذا يمكن تغطيته الى حد ما من السوق العالمية السوداء .

بذات الوقت ان امكانية الحصول على السلاح من يد العدو مازالت حتى الان جزئية جدا . وهذا رغم ما فيه من صراحة عائد لطبيعة المقاومة ذاتها حتى الان ، التى لم تتمكن من الانتقال بعد من العمل الفدائى المحدود الى حرب العصابات . ففى حرب العصابات والعمليات العسكرية الواسعة نسبيا - ضمن نظرية حرب العصابات ايضا - امكانيات الصدام الاوسع مع قوى العدو المسلحة ممكنة ، وبالتالى فامكانية الحصول على السلاح من يد العدو تصبح ممكنة اكثر . فحركة المقاومة الفلسطينية حتى الان تسير فى خطواتها الاولى . وامامها شوط كبير حتى تتمكن من الانتقال الى اشكال ارقى من العمل الفدائى ، الى البؤر المتنقلة ، الى حرب العصابات ، الى نظرية تحرير بعض المناطق ، وتشكيل نقاط ارتكاز داخل الارض المحتلة .

لطفى الخولى : هل الظروف القريبة المدى ممكنة لتحرير بعض المناطق فى تقديرك وذلك اذا اتحدت اداة المقاومة ؟

نايف حواتمة : حتى الان مثل هذه العملية ، ليست ضمن استراتيجية حركة المقاومة نظرا لصعوبتها ، وتعقد اوضاع حركة المقاومة الفلسطينية . الا ان هذه العملية تصبح ممكنة مع نمو حركة المقاومة وحصولها على الوان من السلاح متخط للالوان القائمة حتى الان

ولا يستطيع الانسان ان يزيد على ذلك الان . ونلاحظ انه امام حركة المقاومة عمل العدو على زيادة تحصيناته على الخطوط الامامية بشكل واضح وبارز ، ومنها مسألة الخطوط المكهربة ، الا ان طبيعة الحدود بين الضفة الشرقية والغربية بشكل خاص اوسع واعرض من ان يتمكن العدو من تغطيتها بجميعها . كما ان نقاط الاختراق لهذه الخطوط المكهربة ذاتها ممكنة . فالتجربة الفيتنامية تؤكد ذلك ، والتجربة

الجزائرية تؤكد ذلك ايضا . وفعلا بدأت حركة المقاومة منذ فترة باختراق هذه الخطوط المكهربة والوصول للداخل ».

لطفي الخولي : أثرت في حديثك عن المستقبل والحلول الخاصة بالصراع العربي — الاسرائيلي الامبريالي ما اسميته بالحل الشوفيني الرجعي، وما اسميته بالحل التقدمي غير العنصري للقضية الفلسطينية والمسألة الاسرائيلية . واود لو امكن انتزيد هذه النقطة ايضاحا وتحديدا لمفهومكم لهذين الحلين : الحل الاول الذي ترفضه والحل الثاني الذي تطرحه . وفي هذ المجال يرتبط الموضوع بموضوع آخر اصبح مثارا ، وهو هل ترى ان هناك قوى تقدمية قائمةالان في اسرائيل وما هو مداها اذا كانت موجودة في رأيك ؟ وهل لها وزن في ترجيح ما تسميه بالحل التقدمي . وايضاطالما انالجبهة الديمقراطية تميز بين اليهود واليهودية وبين الصهيونية والكيان الصهيوني الاسرائيلي ، فكيف يطبق هذا التمييز عمليا ؟ سواء بالنسبة لليهود داخل اسرائيل وبالنسبة للعالم ككل ؟ وهل يمكن اقامة نوع من جبهة تقدمية عربية — يهودية —عالمية (بالمعنىالسياسي) المقاومة الفلسطينية ، الا أن حركة المقاومة ضد الصهيونية وضد الاستعمار في رأيك ؟ .. وكيف يمكن ان تقوم اذا كنت مؤيدا لقيامها ؟

نايف حواتمة : في البداية علينا ان نوضح جملة وقائع تاريخية . فقد خضعت هذه المنطقة لثقافة شوفينية ورجعية في فهم المسألة اليهودية ، تمثلت هذهالثقافة في زرع العداء لكل ماهو يهودي في هذا العالم . ودائما الثقافة السائدة هي ثقافة الطبقة السائدة والقوى الطبقية التي تحكمت في المنطقة تاريخيا هي قوى الاقطاع ثم قوى البرجوازية الكومبرادورية اي مجموعة من القوى الرجعية .

لطفي الخولي : يخيل لي هنا ، ان الامر اكثر تعقيدا ، فبجانب الثقافة الشوفينية الاستعمارية — الاقطاعية — الراسمالية ، هناك أيضا عامل زرع الكيان الاسرائيلي العنصري بالقوة في فلسطين أيضا ، وما أحدثه من ردود فعل عميقة ومعقدة ».

نايف حواتمة : طبعا — بكل تأكيد زاد من هذه المواقف والثقافة الشوفينية والرجعية، قيام دولة اسرائيل بعد ١٩٤٨ . أن ان الوجود الاسرائيلي على ارض فلسطين ، مثل عملية اغتصاب على حساب شعب فلسطين وشعوب الامة العربية . مما عزز النزعات الشوفينية والرجعية ، ومكن الطبقات الرجعية السائدة من تعزيز هذه النزعات .وبذات الوقت فقد أخضع الرأي العام اليهودي لثقافة صهيونية شوفينية ورجعية ايضا ، مارسته الرأسمالية اليهودية منذ أن بدأت عملية صراعها الحديثة مع الرأسمالية الاوروبية . فقد عملت الراسمالية الاوروبية على تسعير العداء لليهود في غمرة مزاحمتها مع الراسمالية اليهودية لازاحتها عن السوق المحلية القومية والسوق العالمية . ومارست الراسمالية اليهودية في عملية الرد على الموقف الشوفيني الاوروبي ايضا ، موقفا شوفينيا يهوديا ورجعيا . وذلك في محاولتها لتعبئة جميع اليهود وراءها في عملية الصراع القائم بينها وبين الرأسمالية الاوروبية والعالمية .

وقبل هذا فقد خضع اليهود علىيدالقوى الرجعية اليهودية والدينية الرجعية لذات الثقافة اليهودية الرجعية .

ومن الملاحظ تاريخيا مع الاسف الشديد ان جميع المحاولات الماركسية اليهودية لحل المشكلة اليهودية بأفق بروليتاري اممي لم تنجح . وتجربة حزب البوند في روسيا القيصرية معروفة للجميع .

وبرغم تبني حزب البوند للماركسية ، الا انه غرق ايضا في الموقف الشوفيني اليهودي . وهذا ما دفع الحزب الديمقراطي الاشتراكي (البلاشفة) الى محاربة هذا الموقف لحزب البوند ، واعتباره موقفا شوفينيا ورجعيا يعمل على تقسيم الطبقة العاملة ويطرح حلولا ليست اممية تجاه المسألة اليهودية . والملاحظ أيضا في الاممية الثالثة أن منظمات ماركسية يهودية قد طرحت نفسها للمشاركة كاعضاء في الاممية الثالثة ، الا ان اللجنة المركزية للاممية الثالثة ، بحضور لينين، رفضت هذا الطلب ، لانه ينطلق من مواقع عنصرية وشوفينية ، وذلك بالاحتفاظ بتنظيمات خاصة باليهود . ودعت الاممية الثالثة الى حل هذه التنظيمات ودمج الطبقة العاملة اليهودية

ولفقراء اليهود مع الطبقة العاملة فى البلدان التى تتواجد فيها .

ومن هنا تمكنت الرأسمالية اليهودية التى شكلت نواة الحركة الصهيونية من اشاعة هذه الثقافة الشوفينية .

وبهذا فقد تمكنت الحركة الصهيونية فى ظل ادعاءات رجعية دينية فى تجنيد العديد من اليهود فى صفوفها وانتزاع وعد بلفور واقامة دولة اسرائيل .

ان هذه الثقافات دفعت الى طرح حلول شوفينية ورجعية (عربية ويهودية) للمسالة الفلسطينية (تصفية اليهود ، ذبح اليهود ، رميهم بالبحر .. الخ .) والمسالة الاسرائيلية (دولة اسرائيلية) ، حركة صهيونية ....) .

وبعد ١٩٤٨ بقيت الحلول المطروحة المتقابلة فى طبيعة شوفينية ورجعية ، لا تقوم على موقف ديمقراطى وتقدمى لحل المسالة القائمة .

ان الموقف الديمقراطى والتقدمى ، يطرح الحل القائم على حق شعب فلسطين فى تقرير مصيره على أرضه وبنفسه ، وتصفية الكيان الصهيونى بكافة مؤسساته . واقامة دولة فلسطينية ديمقراطية شعبية تتسع للعرب واليهود بحقوق وواجبات متساوية . وهذا الموقف لن يتحقق الان بالنضال الشعبى الفلسطينى المسلح ضد الكيان الصهيونى وبرفض الحلول الشوفينية والرجعية .

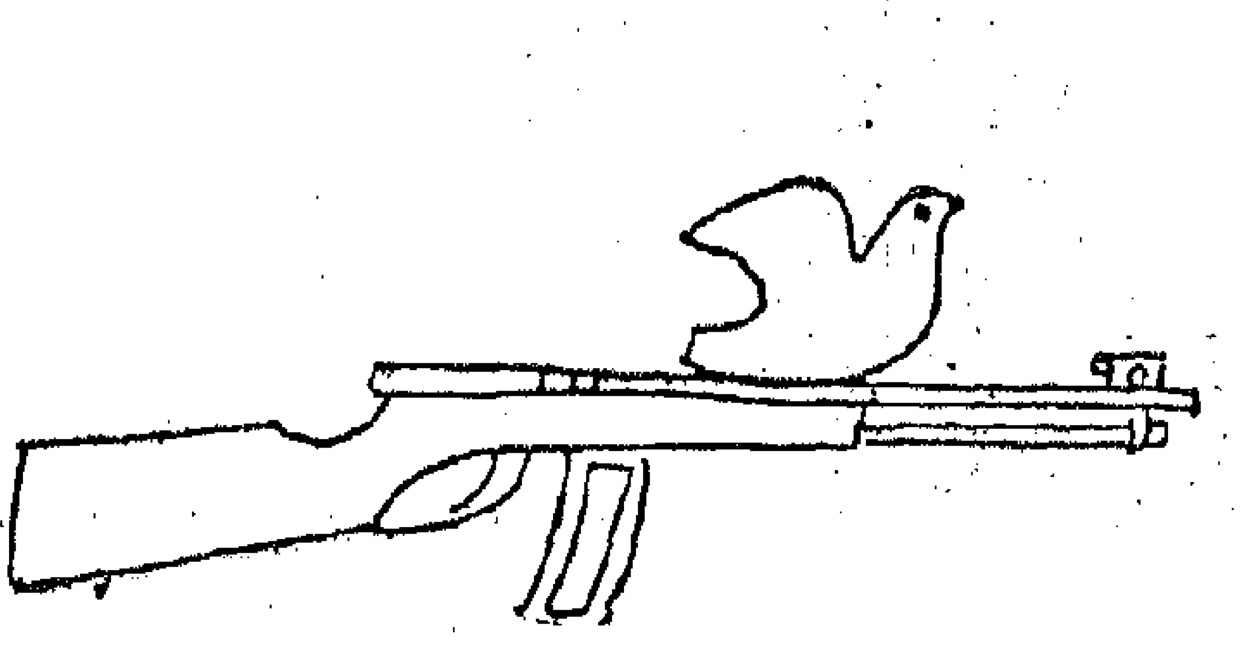
ومن هنا فاننا ندعو اليهود التقدميين فى اسرائيل وفى العالم الى حمل السلاح مع شعب فلسطين لوضع الحل الديمقراطى موضع الترجمة العملية والمشاركة الفعالة فى الجبهة الوطنية الفلسطينية بشكل موحد .

وهذامايدفعناللالتقاءمع الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) لمناقشة هذه المسألة رغم انه يتبنى موقفا خاطئا فى تصور اممى للمسألة يقوم على الاعتراف باسرائيل ، وذلك فى محاولة دفعه لتبنى موقفا امميا صحيحا . كما دفعنا لفتح حوار مع المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتس ين) والتى تتبنى موقفا يقوم على دولة ثنائية القومية (عربيه - يهودية) . ولم ننته الى نتائج ملموسة تدفع بها الى تبنى موقف ديمقراطى وتقدمى كامل للمسألة الفلسطينية يقوم على تصفية الكيان الصهيونى واقامة دولة فلسطينية ديمقراطية تقف ضد كافة الوان القهر الطبقى والقومى .

ونلاحظ الان أن عناصر يهودية تقدمية تشترك فى لجان مساندة الجبهة الديمقراطية فى اكثر من بلد أوروبى .

ان الوصول مع العناصر والمجموعات اليهودية الديمقراطية (فى اسرائيل والعالم) الى موقف ديمقراطى كامل يتطلب من حركة المقاومة طرح جيل ديمقراطى كامل ، والنضال من اجله .

وهنا تفتح الطريق لانتظام عناصر ومجموعات يهودية فى جبهة الكفاح المسلح المشترك ، وفى لجان مساندة المقاومة الفلسطينية



حوار فكرى

تواصل « الطليعة » نشر التعليقات التى وصلتها حول قضايا الجيل الادبى الجديد فى مصر ، وهى اذ تفتح صفحاتها منبرا لابناء هذا الجيل ، فانها تؤمن بالحوار الموضوعى الديموقراطى الذى يتيح لكافة الاتجاهات حرية الفكر والتعبير • لذلك تنشر « الطليعة » « النص الكامل » للآراء التى تصلها ، مهما اختلفت وجهات النظر التى تحملها •

هكذا يتكلم الأدباء الشباب

كتب القصاص سعيد صبحى الصفانى المدرس بكفر الدوار الثانوية للبنات ، الرسالة التالية الى رئيس التحرير يصور فيها صراعه المرير مع الكلمة ومع الظروف الاجتماعية الخاصة والعامة التى تحيط بهذا الصراع •

لسنا نباتا شيطانيا

طالعت بكل الحزن والاسى عدد مجلة الطليعة الاخير الذى أهاج الذكريات ونكأ الجراح ، ودفعنى الى كتابة هذه الرسالة اليكم •

كنت من عشاق الكلمة – ومازلت – أفرح لها تتشكل على الورق فكرا وفنا ، فكرستلها كل وقتى وعشت لها فقط ، اقرأها وأكتبها وأدافع عنها • بدأت علاقتى بها قارئا نهما تأكل عيناه كل حرف تطوله • قرأت كثيرا فى كل شىء • كنت ابحث عنها أينما كانت • أحتضنها وأشعر بدفئها • وبدأت أكتب ، لا لمجرد الكتابة ، أو حتى للتنفيس عن قلق أحسه • بل شعرت بأننى دخلت عالما سحريا هيأته لى الكلمة • عالم دخلته وحدى وعشت فيه وحدى • أردت أن أقول كلمة شريفة ، آخذ الناس معى ، أعلمهم عشق الكلمة ، فكتبت القصة وبدأت قصتى مع الحيرة • فلا معنى لكلمة محبوسة فى صدر انسان ، أو فى درج مكتب • تكدست الصفحات التى ناءت بحملها من الكلمات التى فقدت دفئها وأصابها العطب •

وجاء الافراج فى صدور مجلة « القصة » بدأت أذوق حلاوة النشر • أن يقرأ لى الناس •• يسمعون ، يفتحون عيونهم على عالمى آخذهم معى ، تمتد الايدى والبهجة تملأ قلبى •• نافذة على الجنة •• على عالمى الخاص • مالبث أن توقف كل شىء • كنت قد بدأت أنتعش أثق بالدنيا وبالناس • الدكتور محمد مندور قال عنى كلاما يسر ، لم يملأنى الغرور ، لم أفرح • خشيت الغرور • توقف كل شىء ، سدوا النافذة • أنا أديب

من الاقاليم من الاسكندرية، بعيد عن القاهرة بصخبها وشللها وامبراطوريات النشر فيها . سارعت الى مجلة اقليمية أكتب فيها أواصل الحديث الذى انقطع . وجدت نفسى غريبا ، كلامى شاذ بجوار اعلانات الحجوزات ومزادات بيع الحمير والجاموس بالمزاد . خنقنى الاشمئزاز فتوقفت . وكانت فرصة أخذت مشاكل الحياة الصغيرة تستهلكنى وأصبحت فى صراع مع اللقمة . وقفت فى موقف الاختيار الصعب ، أن أضحى بنفسى وبأسرتى ، أو أضحى بالكلمة التى لم تعد تصل الى أحد وأصابها العطب . لم يكن أمامى الا أن أضحى بالكلمة . قرار خطير . لم يكن أمامى من سبيل .

قرأت عددكم الاخير ، زملاء مجلة القصة يواصلون بقدر ما تتيح لهم ظروفهم . يجاهدون فى القاهرة كل بقدر مايستطيع ، وبقدر ما تسمح به امكانياته . أطالع أسماءهم فى الصحف والمجلات أحيانا .. أشعر بالحسد ، بالندم ، بالرثاء ، ولكننى لا ألبث أن أعود الى الساقية أدور فيها .

كنت أقرأ كثيرا وأكتب كثيرا أثناء دراستى بكلية العلوم . كنت أنتظر اليوم الذى أتخرج فيه حتى أتفرغ أكثر لعشق الكلمة ، لكننى لم أكن أدرى أن تخرجى يعنى بداية مشاكلى . وزاد الطين بلة ، اننى عملت بالتدريس . هكذا أرادوا لى . أصبحت التوافه أساسيات . كنت أشعر أحيانا باننى أموت موتا بطيئا أردت أن أهرب الى الورق وأكتب . لم يطاوعنى القلم . انظر الى الورق فى سخرية،شخت وأنا فى الثلاثين . هذه لعبة أصبحت قديمة . ساعة فى درس خصوصى أفضل من ساعة أمام الورق والقلم المتبلد والكلمة المستعصية . أصبحت اعمل ستعشرة ساعة فى اليوم . لم أكسب شيئا . فقدت كل شىء ، أصبحت آلة جسد يعيش بلا روح . وظهر العدد الاخير للطليعة .

مددت يدى الى الدرج المغلق . تنبعث منه رائحة النفتالين . سددت أنفى وفتحت عينى . قرأت كل ماكتبت .. مانشر وما لم ينشر . تحرك الامل فى صدرى . أستطيع أن أنضم الى الركب . أن أجاهد من هنا . من منفاى فى الاسكندرية . الكلمة الحلوة .. الكلمة الشريفة الصادقة . جربت القلم . بدأ يطاوعنى . ولكن ليس تماما . بدأت ابتسامة السخرية تشحب ، تنسحب من الورق . وتبقى الصفحة بيضاء ، تتشكل فوقها الحروف تصنع الكلمات . وأى كلمات .

هل تسمح لى أن اجيب على الاسئلة التى طرحتها مجلة الطليعة فى الاستفتاء . صحيح أن اجابتى جاءت متأخرة ولكننى أتعشم الا تكون قد تأخرت أكثر من اللازم .

ان علاقتى بزملائى من الفنانين تكاد تكون معدومة بحكم المناخ الثقافى الذى يسيطر على الاسكندرية . فالفرصة المحدودة ، والبعد عن مركز الثقل فى الحركة الفنية والادبية جعل التسلق وانتهاز الفرصة يغلب على بعض الكتاب الذين يتعجلون الفرصة . أما بالنسبة للمؤسسات الثقافية ودور النشر فعلاقتى بها حسنة ولله الحمد . فأنا لم أحاول أن أبحث عندهم عن الفرصة لعلمى المسبق بما يمكن أن يحدث . ويبدو أنهم أكبروا فى بعد نظرى فلم يحاولوا ازعاجى .

ان عملى كمدرس ثانوى للمواد العلمية بالذات يجعلنى ألمس مدى التخلف العلمى والتكنولوجى الذى يعيش فيه مجتمعنا . ومدى التخلف الثقافى الذى يعانى منه شبابنا بالنسبة لامثالهم فى الاوطان الاخرى . فضحالة التفكير والشهادة والوظيفة ، اصبحت الاسمات المميزة لتفكير الشباب ، حتى أن أى محاولة جادة لرفض هذا النمط من الحياة تثور بينهم . يعملون هم على اخمادها وكأنها نوع من النشاز غير المرغوب .

نكذب لو قلنا اننا جيل بلا اساتذة .. والا أصبحنا كالنبت الشيطانى . فغالبية هذا الجيل لا يجيدون لغة أجنبية يستطيعون بها الاتصال بالادب العالمى مباشرة ، فكانت كل ثقافاتهم مأخوذة عن الجيل السابق تأليفا أو ترجمة . كان للجيل السابق يد فى كل مانقرأ . مرت عليهم كل كلمة وقعت عليها أعيننا ، ووقعنا أسرى أفكارهم ولو فى طفولتنا الفكرية . صحيح أن الكثير منا ثار على هذه الافكار ووقف منها موقف الرفض . ولكن بعض هذه المواقف كان مبنيا على ردود الفعل العصبية ، وليس بناء على موقف فكرى مدروس بعمق ، يتناول هذه الافكار بالدراسة والتحليل والتصفية ، ليمر الصالح منها ، ويحجز مالم يعد يصلح لعصرنا بحكم التطور . فليس كل ماقالوه خطأ . فتصوراتهم فى حدود ظروفهم التى كانوا يعيشونها كانت معقولة الى حد ما . فالمعذبون فى الارض لطه حسين فى الظروف التى صدرت فيها كانت تعتبر خطوة شجاعة لم يقدم على مثلها واحد من جيلنا حتى الان الذى مازال يحاول أن يعزف نغمات قديمة على آلات حديثة ، جريا وراء التطور الشكلى والمظهرى .

اننى كبرجوازى صغير ابن برجوازى صغير احاول أن أتجاوز حدود الدائرة الخاصة التى تلتف حول هذه الطبقة ، والتى ليس لديها أدنى رغبة فى تجاوزها . فالانانية ومحاولة الوثوب الى اعلى قد تشغل جزءا كبيرا من تفكيرها .. نتيجة لشعورها بالاستشهاد المزيف ، الا ان هذا لم يمنع ان يقوم جزء منها بالتأثير والمشاركة فى كل الحركات والانتفاضات الثورية التى قامت فى بلدنا . ويبدو

ان هذا هو المبرر الذى تحاول به الان ان تحقق لها امتيازا خاصا •

اما بالنسبة لقضايا العالم فقد تراجعت الان الى الخلف قليلا لتفسح المجال لقضيتنا الكبرى التى نعيشها •• قضية التحرير •• ولو اننى أعتبر الان انتصار فيتنام على الاستعمار الامريكى انتصارا لنا •

يرى الشاعر محمد الفارس « الموظف بمؤسسة الطيران العربية » ان قضية الجيل المصرى الجديد ليست بمعزل عن قضية الجيل الجديد فى جميع انحاء العالم ، ويحلل العلاقة بين الاجيال الادبية والفنية على ضوء ارتباطها بالظاهرة « العالمية » الاكثر شمولا •

قبل أن يُغرق النهر الجميع

قبل ان اجيب على الاسئلة التى وجهتها «الطليعة» الى كتاب جيلى ، احب ان اقول •• ان ليس اديبا من ينكر « الاجيال السابقة » وليس اديبا ايضا من يقلل من شأن جيل الشباب ! •

ان ادباء « الاجيال السابقة » يجب حين ننظر الى انتاجهم ان نتساءل : هل هو فن أم لا ؟ •• هل هذا الفن كتب بمعيار عصرهم ؟ •• فاذا كان كذلك فلا عتاب عليهم • اى ان لا يجب النظر الى « القديم » بمنظار « الجديد » •

ننتقل بعد ذلك الى « الادباء الكبار » •• سنا وادبا ، كما وكيفا • فنسألهم •••• : من الذى يحمل لواء الثورة فى العالم •• فى الادب •• وفى السينما ، وفى مختلف الفنون - فى عصرنا الحديث - ؟ !

اليس « جيفارا » •• الكاتب ، والمقاتل •• شابا ؟ ! •• اليس « يفتيشنكو » شابا ؟ ! •• اليس « رودى دويتشكه » و « جاك سوفاجو » و « الان جيسمار » •• و « كوهين بنديت » •• و •• « الان كريفين » و •• « كلود مار » •• شبابا ؟ ! ••

اننا جيل ولد قبل الحرب العالمية الثانية • أى بعدها • عاش احداثا كثيرة منها •• نكبة ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ - ومنذ ١٩٥٢ حيث كان خلفنا اقطاع •• وملكية •• واستعمار •• واحزاب •• ودستور ، وكان ما خلفنا يفصله « ٢٣ يوليو » عما نريد ان نحققه • • ثم • • الفنا تجارب ، وهنا وقف جيلى رافضا الهزيمة •• اى رافضا (القديم) • مصرا على ضرورة (الجديد) • معلنا أن لا مكان لحفظة (النصوص) • او هواة - التجريب - •• او الفارضين (التوجيه) •• وأن الميدان يجب ان يكون لشباب الفكر ، والدرس ، والبحث فى لب القضية •• مستهزئا بل رافضا للقشور ••

ان ميكانيكية هذه الحركة الشبابية اصبحت عالية دون تنظيم واع • وفى المانيا • • وفى غيرها ونجد فى امريكا نفسها ظهور مجموعه من الكتاب السود يقفون بانتاجهم ضد النظام الراسمالى الذى من مساوئه •• (التفرقة العنصرية) ، ومنهم : «جان تومر، كلود ماكاى ، هيوز ، جيمس ماكفرسون » ، وكتاب بيض يقفون مع قضايا العالم الحارة ايضا ، ويناهضون -

كذلك ـ الافرازات القـذرة للبورجوازية ٠٠ أمثال : « رادو ، جيمس كانين ، توم سمكر ، كريج كاريل « تكســـاسى فى الخامسة والعشرين » ٠٠ وغيرهـــم ٠

كما نجد مجموعة من الشبان الامريكان يتفقون مع زملائهم فكريا يقومون بتكوين فرقة مسرحية باسم « تجربة المسرح الحى » ٠٠ وفى بـولندا تجـربة ممـــاثلة يقـــوم بهـــا الفنـــان المسرحى « جيـرس جروتســــــــكى » وفى فرنسا تجربة أخرى ٠٠ مسرحية أيضـا ٠٠ واســـمها « مسرح التوريط » ومن مسرحياتهـــا مسرحية عنوانها : « المنع »، وهى مسرحيـــة موضوعها مسرحية اخرى كان الجنرال ديجول قد أمر بمنع عرضها ـ فى أثناء وجوده فـى الحكم ــ اسمها « هوايات الجنرال فرانكو » ، للكاتب الفرنسى أرمان جاتى ، وفى أعقاب احداث مايو « آيار » ١٩٦٨ تولدت ايضا ظاهرة « نشرات الحائط .. فى كل مكان . ومن كلمـــات هـــذه النشرات : (أسرع الى الامام أيها الرفيق فان العالم القديم وراءك) ، و (ممنـــوع المنـــع) و (فليطرد كل واحد منكم الشرطى المعشش فى رأسه) ٠

ان الشباب ــ أيها الاصدقاء (الكبار) فى مصر ـ يـــرفض الجيـــل الذى مـــارس تجـــارب ٠٠ « هيروشيما » و «نجازاكى» ٠٠ و « النـــازية الهتلرية » .. ثم « النـــازية الاسرائيلية » فاتركوهم يقولون مايريدون ٠٠ انهم واعدون ، ولا تتهمونهم بالسطحية ، وانتظروا .. فان الغث حتما سيذهب ، وأما السمين فحتما ـ أيضا ـ سيبقى ٠ ولكن اذا أصر البعض على الوقوف عقبة أمام نهر الشباب ، فلابد ان يفيض النهر على الجانبين ، وقد يغرق الجميع ، وقـــد يكتسح العقبة ويمر فوقها ٠ والافضل ان نكون اصدقاء ، وان يكون اختلافنا على ارض من المحبة ٠

ولنعد الى أسئلة مجلتنا « الطليعة » ٠٠

قامت العلاقة بينى وبين الفن ، وانا فى الثالثة عشرة ٠ تركت كلية الاداب بعد تعيينى فى العمل الذى أنا به ، بعد شهور قليلة ، لانى لم أقدر على ممارسة : العمـــل ، والفن ، والدراســـة . قبـــل حرب « يونيو » مارســـت الكتـــابة فى جريدة « وطنى » فى ٦٥ ــ ١٩٦٦ ــ نشرت فيها عدة مقالات نقدية ، ولكنـــى تـــوقفت وتســـاءلت : ما هذا ؟ .. وما جدواه « ! .. فانقطعت عن كتابة المقالات الا فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ حيث نشرت فى مجلة « الخرطوم » السودانية مقالا عن شـــعراء الارض المحتلـــة . ثم تســـاءلت مرة اخرى : ماهذا ؟! .. وماجدواه ؟! .. فاستدنت ونشرت على حسابى لونا من الالوان التى امـــارس كتابتها ٠٠ وهو الشعر ٠٠ وبالتحديد « شعر العامية » ٠ جمعت مجموعة من القصائد العامية فى ديوان اسميته « سكة فجر » ..وضعت فيه ماأريد ان اقوله ، وكان النشر على نفقتى الخاصة حتى لا أتحجج بان « الكبار » يقفون ضدنا ٠ وبعد نشره وجدت الكبار الذين اتصلت بهم يرحبون بى ومنهم الاستاذ كمال النجمى والاستاذ محمود أمين العالم .

علاقتى بزملائى الفنانين تحكمها ظروف الحياة ومشاغلها ٠٠ وبالمناسبة أحب أن أوجه سؤالا الى .. الكبار .. لماذا النـــاقد المصرى فاروق يوسف اسكندر الذى ينشر بحوثا ودراسات فى الادب العربى والعالمى المعاصرين فى المجـــلات العربية كلها تقريبا .. الاقـــلام « العراقية » ، الرواد « الليبيـــة » ، المعرفة « الســـــورية » (العـــلوم) و (دراســـــــات عربيـــــة) فى بيروت . وغيرهـــا من المجـــلات ــ لـــماذا يهاجر بقلمه الى مجـــلات عربية اخرى ، وتغلق مجلاتنا العربية فى مصر ابوابها دونه ، اللهم الامجلة الفكر المعاصر « القاهرية » فى بعض الحالات ؟ !

علاقتى بالاجهزة والمؤسسات المتصلة بهـــذا الفن ٠ لا شيء لانى لم احاول من جانبى والعلاقة بينى وبين المجال الذى أعمل فيه سيئة للغاية ، فقد بدأت الالتحاق بالعمل فى أواخر عام ١٩٦٠ ، وكانت طبيعة عملى تقتضى السهر ليلا أعمل ٠٠ ونهـــارا كـــذلك ، لانى كنت أعمـــل بنظـــام « الورديات » .. كنت ازاول عملى فى أشـــد ليالى الشتاء برودة ومطرا ، وفى مكان اكثر برودة من الجو العادى للقاهرة .. فوق ارض المهبط فى المطار . وكنت ازاول عملى أيضا فى اكثر ايام الصيف حرارة وقيظا ، حتى مرضت فاعفيت من نظام الورديات فى أواخر العام الماضى وأصبح عملى نهاريا كبقية خلق الله ٠

هذا الى جانب ان العمل الوظيفى يجعل الفنان يصطدم بحفظة لوائح اللاهـــوت .. والقـــوانين الكهنوتية ...

موقفى من الاجيال الفنية السابقة هو أن هذه الاجيال هى الجذور ، ولكن من الظلم ومن السذاجة ان ننتج نسخا اخرى مكررة من اعمالهم . او ان يفرض علينا توجيه معين تحت لافتـــة « الحدب والرعاية » ٠

المؤثرات البيئية انى ابن الطبقة المتوسطة ، حيث

التناقضات المفزعة فى مختلف مراحل الحياة اليومية ».

المؤثرات الفنية ... قراءة القديم والحديث ، السينما الجديدة ، احداث العالم الحديث المعاصر ارفض ان يكون الفنان خاضعا لمذهب أو حزب ، ومن ناحية العدوان الاسرائيلى فلاشك ان القضاء على الاستيطان ، والنازية الجديدة ، بالنضال الدموى بحرب تحريرية شعبية شاملة لاسترداد فلسطين ، يحقق أيضا ازالة آثار العدوان الى جانب رجوع الشعب الفلسطينى الى وطنه ، وهو فى نفس الوقت - اى القضاء على الاستيطان والنازية الجديدة - شرف حقيقى لانساننا المعاصر .

موقفى من قضايا التغيير الاجتماعى فى بلادى ومن قضايا العالم المعاصر هو انى مع « التطبيق الفعلى » لمنع استغلال الانسان للانسان ، اى مع قضية توزيع الثروة القومية توزيعا عادلا . وضد الحروب الاستعمارية بشتى انواعها ، ومع الحروب الشعبية على اى ارض من كوكبنا ».

جيل له أساتذة .. ولكن

ينطلق الشاعر طه محمد كسبة « بكالوريوس فى العلوم المالية والتجارية » من أن الجيل الجديد له اساتذة حقا ، ولكن هذا لا يمنع ان هناك خلافا جديا بين القديم والجديد فى ادبنا المعاصر ».

بدأت العلاقة بينى وبين الكتابة منذ كنت طالبا بالاعدادية ، كنت اقرأ بنهم واكتب كثيرا ايضا منذ صغرى ، قرأت فى كل لون وفى كل اتجاه ، لم اكن اقرأ لكاتب واحد معين ، او لمذهب محدد ، او لنوع واحد من القراءات .

كتبت ولكنى لم احدد الشكل الذى اكتبه ، او اخوض فيه ، فكتبت الشعر ، والقصة والمسرحية ، ولدى كتاب يضم كلمات وخواطر كتبتها منذ عامين ، وبضع اجزاء ترجمتها من قصة « سندباد البحار »

كتبت ابحاثا عدة فى موضوعات متفرقة ، وبين يدى الآن كتاب لم يستكمل بعد عنوانه « كلمات فى الاسلام » ووضعت الخطوط الاولى لكتاب آخر بعنوان « رجال فى الاسلام »

اما المناخ الذى يسيطر على ممارستى للفن والادب :

● لا تربطنى علاقة صداقة باى من الوسط الفنى والادبى لبعدى عن القاهرة ولحالة الغربة التى اعيشها الان وحالة الخصومة التى تحياها وسائل الصحافة والنشر ، فكل الذى ارسله لا اجد حتى مجرد رد ولست اجد مبررا لحالة العداء التى بينى وبين جريدة الاخبار او المصور مثلا لانه مهما وصلت درجة رداءة العمل - افتراضا - ومهما وصلت تفاهته فلا يجب ان يتجاهل بهذا الشكل المتعمد .

● لم اكن يوما من الايام احب هذا الذى وصلت اليه ، ولكنى وجدت نفسى مندفعا تحت مؤثرات خاصة الى السير فى سلك التعليم التجارى الذى ثبط من همتى وعرقل مسيرتى تجاه الادب ، وعلى الرغم من هذا فقد استطعت ان اوازن اهتمامى بين الدراسة والقراءة وكذا بين الدراسة والكتابة ، الامر الذى كلفنى كثيرا على حساب الدراسة رغم عدم تعثرى .

● بلا شك ، كل جيل فى حاجة الى مدرسة واساتذة ومن الطبيعى أن نقول الحق معلنين أن الجيل السابق علينا هو استاذنا . ولكن من واجب كتاب وفنانى الجيل السابق الا يعمقوا الهوة التى تفصل ما بين الجيلين ، وان ينزلوا من فوق ابراجهم العاجية ليشاركوا فى صنع جيل هو ابن المستقبل . على أن اعترافنا باستاذية الجيل السابق علينا لا يحول دون ان اذكر ان هناك خلافا جديا فى المفهوم والاسلوب اللذين تعالج بهما اية قضية او موضوع ».

● مازالت العلاقات الشخصية والصداقات والمعارف طريقا سهلا الى المطابع ودور النشر وكافة وسائل الاعلام والصحافة ،وهذا ما افتقدوه ولا اومن بهمطلقا ،وفى ذاتالوقت اسمع واقرأ ما هو دون ما اكتب بمراحل . وليس هذا رأيى فقط ولكنها ظاهرة ارجو أن تزول .

● مفهوم عالم الاسماء الذى يسيطر على كافة صحافتنا واعلامنا يجب أن يتحطم تحت أقدام ثورية قادرة على العمل بمعناه المجرد الدقيق .

ومن حيث المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية :

● مشغول بالقضايا الفكرية التى تشغل العالم الان ، واشارك ابناء جيلى الجاد فى موقفهم منها .

● انا من ابناء الطبقة الوسطى التى تفتحت وخطت لها طريقا وسطا لا تفريط فيه ولا افراط الامر الذى لم يحد من تفكيرى وثقافتى داخل اطار ضيق ومحدود .

● تهزنى بعنف المواقف الانسانية للانسان كفرد ، واحاول جادا التغلغل الى اعماق النفس البشرية فى محاولة لاستكشف اعماقها المجهولة والغنية .

● يثيرنى موقف الشباب كله العربى والعالمى والمصرى خاصة من القضايا التى تثار كل صباح . وارثى للحال التى وصل اليها شباب اليوم على سطح كوكبنا هذا .

● الفكر الاشتراكى والثورة التكنولوجية ، وقضية الحرية تجذبنى اليها لمعالجة مشاكل التطور ، وهذا شأن ابناء هذا الجيل الذى صدمته التكنولوجيا والحرب التى تواجهها الحرية والديموقراطية فى كل بقاع الارض فى كل اشراقة شمس .

● لا أومن بالمذاهب او المفاهيم التى تنادى بأن يكون الفن للفن ، والعلم للعلم والضحك للضحك .. فكل هذا لا يعدو أن يكون حالة « محلك سر » ان لم تكن « تقدما للخلف »

● بالنسبة لموقفى من العدوان الاسرائيلى فانا - كما اظن - اول من صدمتنى الحقيقة ، واثرت فى تفكيرى ومعاملتى للناس ونظرتى عموما ، على اساس مبنى على الحذر ، والتشاؤم الممزوج ببعض من الامل ، وايا كان الوضع فان الحق يوما سيعلو وسيزهق الباطل حتما ،وبالمناسبة فاننا كنا فى حاجة الى هزة عنيفة لكى نتيقظ ولكنها كانت سقطة .. حدثت دون قصد منا جميعا .

والان اضع قلمى ولسانى فى خدمة المعركة ،وفى خدمة قضية الحق ، ولكنى منتظر من يمد لى يده معضدا بعد انتظارى الطويل الذى أود الا يطول اكثر .

اخيرا فانى ادعو كل شبابنا بلا استثناء الى اليقظة التامة ، والحركة السريعة المدركة لما تريد واعية لما تفعل .

نحن أبناء الأجيال السابقة

كتب عبد الصبور الزفزافى فى رسالته الى رئيس التحرير يقول : ان الحيرة والقلق من أهم السمات التى تميز حياة الجيل الجديد من الادباء الشباب ، وننشر فيما يلى نص الرسالة التى يقدم فيها الكاتب خيثياته :

هذه الرسالة بمناسبة الاستفتاء الذى نشرته مجلتكم فى عدد سبتمبر سنة ١٩٦٩ الذى يشغلنى بعد أن اثارنى وأدهشنى ، هو كيف تم هذا الاستفتاء ؟ ..

على أى أساس جمعتم هذه البطاقات والشهادات ..ولم نره الامنشورا ولم نعلم به .. وأنا كواحد من الشباب اكتب القصة .. بل قد بدأ اهتمامى بهذا الفن منذ عشر سنوات.. مما يوجد

نشأتى ومشاعرى بهؤلاء الزملاء . وقريبا من الدقة فان ما يشغلهم من قضايا هو نفس ما يجيش بفؤادى .. ولكن الذى أثارنى لدرجة بعيدة .. هو أن هؤلاء الزملاء رغم ما يشكون منه فانهم وجدوا على الاقل من يحتضن آلامهم .. وذلك كفيل بأن يضمد جراحهم بعض الشىء .. ولست أهاجم هذا الحدث .. لاننى طالما حلمت بأن يوجد من يحتضن آلامنا .. ولكننى أتساءل ماذا نفعل نحن الباقين الذين يرتمون خلف الاسوار الشائكة ؟ يقرأون بصورة مستمرة ويكتبون .. ويتميزون بطابع عدم الثقة .. نظرا لما يواجههم من صمت .. أريد أن أقول أن هذا الاستفتاء مما زاد من شعورنا نحن الاخرين بالوحدة والضياع .. مما سيدفعنا أخيرا بأن نتمزق بعيدا عن وسائل الاسعاف .. حاولت منذ أكثر من خمس سنوات الاتصال بمختلف دور النشر .. لكن دون جدوى .. وقبل أن انتقل الى القاهرة حيث التحقت بالجامعة .. كنت اراسل « نادى ادباء الاقاليم » الذى كان يحرره الاستاذ القصاص محمد صدقى، ثم وعدنى بنشر احدى قصصى .. ويوما .. يوما للاسف توقف هذا النادى تماما .. ومنذ ان انتقلت الى القاهرة .. حاولت الاتصال بنادى القصة .. وكانت الصدمة أشق من أن تحتمل .. لم أجد سوى بعض أدباء الشباب يتجمعون بالنادى .. تدور أحاديثهم فى الاعم الاغلب حول مسائلهم الشخصية .. وبالطبع وجدت من العسير أن أندمج معهم فى علاقاتهم رغم كثرة وصولى الى النادى . .ومن ناحية اخرى لان معظمهم نشر بعض انتاجه ، فهو ينظر الى مثلى بنظرة متعالية .. ومشكلتى هذه ليست فردية .. انما هى مشكلة عشرات الشباب .. ممن يحسون الوحدة والغربة فى وطنهم .. بل اننى أرى فى ظاهرة جيلنا مشابهة لجبال الثلج .. حيث يختفى الجزء الاكبر فى أعماق البحر بينما يبدو الباقى طافيا على السطح .. وأجدنى مضطرا دائما لان اتخذ نفسى مثلا من الامثلة التى بدأت تشعر بعدم الانتماء لاى أرض نظرا لعدم المبالاة من السادة المشرفين على أجهزة النشر .

لقد بلغ انتاجى فى القصة القصيرة عشرون قصة غير المحاولات التى لا أعتبرها وصلت لمستوى النضج .. كلها تشمل جميع التطورات والطفرات التى حدثت فى مسيرتى الفنية .. مع هذا لم ينشر لى سوى قصة واحدة فى مجلة « الادب » .. واحيانا وعندما يزداد بى الشعور بالضياع أجد من الصعوبة أن اكمل قصة بدأتها .. لاننى لا أعرف مصيرها .. تماما مثلما يشفق الاب على أولاده من أن يحتويهم الضياع والغربة فيتوقف عن الانجاب .. واعتقد انه من المضحك ان يستنزف الانسان سيل حياته فى اسئلة حائرة لا تلقى صدى ..

ولقد كان من السهل أن أرفق قصة بهذا الخطاب .. لكننى أجده نوعا من التطفل .. كل ما هنالك هو أننى أود أن أعرف ما هو مصيرنا نحن الذين لا يلتفت الينا أحد .. ومعى كل أديب يمتص وحدته فى سكون .. فى المدن والاقاليم .. ماهو مصير تلك الصفحات التى امتلات وتراكمت وخلفت بالنسبة لنا تراثا ذاتيا نعتز به رغم ما فيه من تطورات ونقاط ضعف .. اعرف بعضا من الزملاء الذين أدلوا برأيهم فى هذا الاستفتاء .. اعرف انهم يرتبطون ببعض العاملين فى حقل النشر بروابط صداقة متينة .. وهؤلاء وحدهم هم الذين استطاعوا أن ينشروا ما نشروه .. وأرى انه من الضرورى أن أعلق برأيى على بعض ما ورد فى الاستفتاء .. مثلا لا يعجبنى قول بعضهم اننا نشأنا هكذا ..بمعنى اننا لا نمت الى الجيل السابق بصلة .. وذلك شىء يخالف الواقع .. فأنا لا أنكر أن الثقافات الغربية تركت على كتاباتنا بصماتها .. ولكن الجيل السابق والاسبق هما اللذان وضعا أيدينا على منافذ هذه التيارات .. وأضاءوا لنا طريق أدبنا القديم ومهدوه لنا .. وهم أيضا الذين وضعوا فى نفوسنا بذور الثورة .. تلك التى استحالت عند بعضنا الى تمرد جامح لا يعرف الحدود .. كذلك لا أستطيع أن أنسى اننا نختلف عنهم اختلافا كبيرا من حيث الرؤية والتناول . . لقد تفتحت عيوننا على أشجار تقطع ونبات يزرع ، ثم رأينا العواصف العاتية تجتاح ذلك النبات الذى تعاطفنا معه .. كان عنيفا ذلك الذى أثار خضم حياتنا .. لم يكن سهلا اننا ونحن نمسح من أعيننا ما علق بها من غبار خلال تلك الزوابع أن نجد انسانا يزرع بأقدامه أرض القمر .. ومن العجيب أن أجد صرخات لا تعتمد على أى مبرر .. هناك مثلا من يهاجم دار الكاتب .. رغم أنها نشرت له انتاجه .. وهناك أيضا من يهاجم كل دور النشر . . بعد ان نشر انتاجا متفرقا . . اذن ماذا أفعل .. ومن امثلتى كما قلت عشرات يتنثرون هنا وهناك . . أعود فأكرر ان هذا الاستفتاء أضاف الى حيرتى حيرة جديدة .. وشكرا

دفاع عن الفن

يختلف عبد المنعم عبد القادر — المدرس بالحليمية الاعدادية بالهرم — مع الناقد ماهر شفيق فريد اختلافا جوهريا حول معنى « الفن للفن » و « الفن للحياة » .

اذا ماتجاوزنا التواضع الارستقراطي وفي سياق رد الناقد « **ماهر شفيق فريد** » تبقى امامنا حقيقة كبرى هي — على حد تعبيره — « ان ايمان المرء بالفن للفن او للمجتمع انما هو جزء من قالب اكبر حجما ، هو نظرته الى مكان الانسان في الكون وفي الحياة وفي المجتمع » وابتداء من هذه الحقيقة اجدني مضطرا الى حديث معاد . وربما يفيد التكرار ... ...

نعم .. ثمة موقفان لاثالث لهما ، ولكنهما ليسا كما قال السيد الناقد ، بل هما موقف ضد الانسان أو موقف مع الانسان ، وأي منهما لا يعامل الانسان كمجردات انما يعامله كعلاقات من خلال رؤية شاملة . والفنان يكون في أحد هذين الجانبين ، داخل في صميم هذا النسيج المتغير ، والفن دعوة دائما ، وهو غير منعزل عن مجرى التطور الاجتماعي وجدله المعقد في المجتمعات الانسانية . وقد كان الفنان في عصور البدائية الاولى هو المعبر عن وحدة الجماعة . وما أن بزغت الطبقات حتى أصبح صوت الفنان متميزا . انه ابن عصره . وهو يمثل الانسانية بقدر ما يتلاءم فنه مع الافكار السائدة وتناقضاتها الموضوعية في وضع تاريخي محدد ومع مطامح هذا الوضع ، ولكن الفن يمضي أيضا الى أبعد من هذا المدى ، فهو يجعل من اللحظة التاريخية المحددة لحظة من لحظات الانسانية ، لحظة تفتح الامل نحو تطور متصل . ولا يجوز لنا أن نقلل من مدى الاستمرار عبر الصراع الطبقي على امتداده ، وذلك على الرغم من فترات التحول العنيف والتقلب الاجتماعي العميق . فتاريخ الانسانية شأنه شأن العالم ذاته ليس مجرد طفرات وتناقضات وانما هو أيضا اتصال واستمرار . والطبقات المختلفة والنظم الاجتماعية المتباينة اذ توجد أيديولوجياتها الخاصة انما تسهم في تشكيل أيديولوجية عامة للانسانية . ان فكرة الحرية وان كانت تساير ظروف وأهداف طبقة محددة أو نظام اجتماعي معين هي مع ذلك تتحول الى فكرة كلية شاملة . كذلك الفن فانه مهما يكن وليد عصره يضم قسمات ثابتة من قسمات الانسانية . وفي المجتمع الطبقي تسعى الطبقات في خضم التناقضات الحديدية الى تجنيد الفن من أجل خدمة أغراضها الخاصة . وقد حدث أن امتازت الفترات العظيمة في تاريخ الفن بالتطابق بين أفكار الطبقة الصاعدة الثورية وبين تنمية قوى الانتاج والمطالب العامة للمجتمع . ففي مثل هذه الفترة من فترات التوازن كان يبدو أن المجتمع على عتبة وحدة جديدة منسجمة وكانت مصالح طبقة بذاتها تبدو وكأنها مصلحة الجماعة بأسرها وكان الفنان وهو يعيش ويعمل في حالة من الوهم السحري يتنبأ بمولد جماعة تضم أبناءها جميعا . وعندما يتضح ما في نبوءته هذه من وهم . وتتفكك الوحدة الظاهرية ويندلع الصراع الطبقي مرة أخرى تخلق تناقضات الوضع الجديد ومظالمه حالة من القلق الحاد ، ويزداد وضع الفن والفنانين صعوبة وتعقيدا . وفي مجتمع يغلب عليه الانحلال لابد أن ينعكس هذا الانحلال في الفن أيضا مادام فنا صادقا . ولكن الفنان اذا كان حريصا على أداء وظيفته الاجتماعية فلابد أن يجسد تغير هذا العالم وأن يساعد على تغييره .

وفي العصر الرأسمالي نجد الفنان هو المعبر المرهف عن اشراقات هذا العصر وتغيراته وانحلاله . حتى أصبح الفن مهنة نصف رومانسية ونصف تجارية .

لقد ظهرت حركة الفن للفن متسخضة من الروح العدمية والتشاؤمية التي صاحبت المجتمعات الرأسمالية منذ بدء انحلال الرأسمالية . ظهرت اولا كحركة رومانسية ساخطة تمثل الاحتجاج على الموقف النفعي الصارخ ، والاهتمامات العملية الكئيبة للرأسمالية . انها نشأت من تصميم الفنان على الا ينتج سلعا في عالم أصبح كل ما فيه سلعة للبيع . أي انها لم تكن غير محاولة وهمية للافلات الفردي من الدنيا البرجوازية الرأسمالية . وفي انتاج « **بودلير** » يبدو بشكل واضح عنصر الاحتجاج الرومانسي وسلاح الاتهام القاطع كما نجده يردد في الكثير من آرائه تلك الافكار التي

كان « نوفاليس » أول من صاغها • ثم سرعان ما يتحول الاحتجاج الى الانسحاب من الواقع لدى مالارميه الذى يقول : «اشطبوا الواقع من أغانيكم فانه مألوف • ان الشيء الوحيد الذى ينبغى للشاعر أن يفعله أن يعمل وعيناه تبحثان دائما عن عبارة : لم يحدث أبدا » • ويلخص « هوجوفردريك » فى كتابه « الشعر الغنائى الحديث » رأيه فى شعر « مالارميه » قائلا : « ان شعر مالارميه الغنائى تجسيد للاحساس الكامل بالعزلة والانفراد فهو يرفض كل التراث المسيحى والانسانى والادبى وهو ينكر على نفسه أى تأثير فى الحاضر ، ويحتفظ بمسافة بينه وبين القارىء ولا يسمح بأن تغلبه النزعة الانسانية » • ومعنى هذا أننا لن نجد غير الخواء الخالص لا تكاد تخفيه الحيل الفنية الخاصة وتلك البراقع الشفافة أو الزخارف السحرية • بل ولا نعود نجد فيه ذلك العالم الخرافى الذى كان نوفاليس يعتقد أنه سيجد فيه نفسه وانما نجد عالما باردا برودة الثلج لا تستطيع حتى الكائنات الخرافية أن تسكنه • ان العنصر السلبى يتغلب مع مرور الزمن • وينتهى الفن عند هؤلاء الى أنغام متهافتة أو غنائية حالمة أو استعلاء أرستقراطى يأخذ فى تمجيد الشخصية الممتازة على حساب الجماهير فى مركبات فكرية متعددة المسميات ••

« لقدعزلت مدرسة الفن للفن الادب عن المجتمع والاخلاق وعن سائر مقومات الحياة العميقة وعناصرها الدائمة او السامية وزعمت ان الفن دولة مستقلة ذات سيادة ليس فيها من سلطان ولا رعايا الاالجمال .وليس لها منحدود او تخوم او شرائع أو قوانين الا ما رسمه الجمال • وفى مثل هذه الدولة تكون غاية الغايات هى اللذة او السعادة » •

يقول « أوسكار وايلد » ، « ان الفنان هو صانع الاشياء الجميلة » •ويقول : « الفن كله لا نفع فيه » • لقد جرد الفن بهذا من المضمون وجعله محض شكل وقالب ومبنى • وهذا يعنى أنه مادام الاديب يتقن القول فلا داعى للنظر فيما يقول ، أو مادام يثير فينا الاحساس بالمتعة فلنكتف بهذا ولا نقلب فى موضوعه أن كان صدقا أوزيفا ، صحيحا أو فاسدا ، نافعا أو ضارا ، تقدميا أو رجعيا ، راقيا أو منحطا ، انسانيا أو غير انسانى • ان مقتنعى الفن للفن يحيلون واقعنا باسم الفن على معيار ميتافيزيقى مطلق هو ربة الجمال • وبذلك يكون الفن هو غاية ذاته والعمل الفنى غائية بدون غاية • بينما الفن فى صميمه لغة رمزية تقوم على طائفة من الاشكال أو الرموز فليس هناك موضع للقول بأن المصور يهدف الى اللون فى ذاته أو أن الموسيقار يهدف الى النغم فى ذاته أو أن الشاعر يهدف الى اللفظ فى ذاته • وانما لابد من التسليم بأن ألوان رسام معين أو أنغام موسيقار معين أو شعر شاعر معين تحمل دلالات وتنطوى على معان وتقول بأفكار ، وأن كلا من هذه الدلالات والمعانى والافكار تمثل موقفا محددا من قضايا الانسان فى عصر كل منهم •

الفن اختيار واعادة توزيع لعناصر الواقع فيما يسمى بالتطبيع الاسلوبى • وهو المبدأ الذى يشترك فيه جميع الفنانين والذى بمقتضاه يمثل الفنان طرازا خاصا هو نتاج تعامله مع الواقع • انه أسلوب يفرضه على المادة التى يمارس نشاطه فيها . هذا الاسلوب ليس نتاج التأمل المحض . وليس مقولة سابقة على المادة التى يمارس فيها الفنان نشاطه انما هو تعبير عن طريقة فى الادراك نابعة من تمثل الفنان للتقاليد الفنية والادبية فى مجتمعه فى اطار مرحلته التاريخية وما يموج فيها من تناقضات متنوعة • ولو أن الفنان تنكر للواقع تنكرا كاملا مطلقا لكان فى ذلك استبعاد تام للواقع وبالتالى لوجدنا أنفسنا بازاء أعمال شكلية أو صورية محضة • ولو استغنى أصحاب النزعة الشكلية نهائيا عن كل مضمون واقعى فلا بد وان يصلوا فى خاتمة المطاف الى حد يستحيل عليهم عنده أن يواصلوا هذه النزعة الصورية الخاوية • ولكن الحقيقة اننا حتى لو تفحصنا تلك « الهندسة المحضة » التى ينتهى اليها فى بعض الاحيان أصحاب التصوير المجرد فاننا سنجد أنها تستمد من العالم الخارجى ألوانها وتستعير منه العلاقات القائمة بين منظوراتها بحيث انه لو أريد للنزعة الشكلية أن تكون نزعة صورية خالصة لكان على أصحابها ان يلوذوا بالصمت .

ان السيد الناقد يتحفظ فيقول بمذهب « الفن للفن بمعناه الامثل وبعيدا عن الاوضاع اللافتة للنظر التى انتشرت فى أوربا عند نهاية القرن التاسع عشر » . وهو يحاول بذلك ان يفصل رؤيته الفكرية والفنية عن أرضها الحقيقية واطارها التاريخى متخفيا فى مسوح رهبانية فنية قائلا « أن الفن نشاط ابداعى يستحق أن يمارس فى حد ذاته ودون التماس غاية خارجية » • محاولا بذلك أن ينكر أن اتجاهه ليس غير طريقة معينة فى ادراك العالم . انه يقسم نظرة الانسان للكون والمجتمع الى موقفين متمايزين تماما واضعا الله فى حزب والانسان فى حزب آخر • ويتجاوز هذه المغالطة الصارخة ليبرر بها أن « فكر العصور الوسطى كان من عدة نواح أساسية أقرب الى الحقيقة » • (وهى على حد تعبيره كلمه أخرى صارت موضعا للسخرية) من أى ايديولوجيات يعتنقها الناس اليوم • ثم يقول « ان الانسان يعانى كثيرا بابتعاده عن زملائه فى البشرية ولكنه يعانى أكثر بابتعاده عن الله » • وكأن الهدف من الايمان بالله هو استجلاب لون من السكينة والتخفيف من المعاناة •

انني لا أرى خلافا جوهريا بين ايمان الناقد وايمان القائلين بالفن للفن في القرن التاسع عشر بأوضاعهم اللافتة للنظر عدا اضافة واضحة هي أنه في اطار عصرنا هذا أكثر رجعية منهم . لقد استشعر هؤلاء ميلا غامضا الى شي مختلف عن معطيات عصرهم واهتدوا الى حلهم الهروبي في العودة الى العقائد الدينية القديمة ، عقائد ايزيس وأوزوريس وبوذا وزرادشت ، ووجدوا الجدة المطلوبة في بعث سحر العصور الوسطى المظلم تحت اسم جديد هو العالم الروحاني . ويبدون عصبيون حاسون مرضى يرون "الانسان مريضا فيقرر رينيه دومينيك أحد مفكريهم « ان الانسان المعاصر مخلوق استنفدت طاقته العصبية وأنهك خياله وحين يقرأ كتابا أو قصيدة فانه يزدردها ثم يتقيؤها دون هضم . ومرد ذلك الى أنه استنفد حياته فأصبح عاجزا ممزقا ولم يعد التفكير متعة في نظره بل أصبح عملا شاقا مرهقا . ونحن نريد أن نعامله على أنه مشوه لا يستطيع أن يمضغ ويزدرد ، نريد أن نقدم له تغذية صناعية . ونرتب الامر بحيث يستطيع أن يستوعب الافكار والصور الموجودة في الكتاب ويتشرب عصير الافكار كما يتشرب البلل في الحمام».ويقول موريا في مقدمة احدى قصائده المنثورة : « ان الناس لا يملكون كلمات كافية كي يفهموا بعضهم بعضا وليست لديهم وسائل تمكنهم من أن يعبروا عن مشاعرهم . والكلمات التي يستخدمونها شاحبة جدا وبالية ، وهي لا تقول الا أشياء قليلة جدا . ولا تصور شيئا بالمرة » . ويقول « فيرلين » بلسانهم ، « ... لكننا لا نريد الخضوع لنظام ثابت . سنكون مؤمنين اليوم ومتشككين غدا . وبعد غد قد نكون في جانب الملك أو جانب الثورة . كما يحلو لنا . نعم . سنفعل كما يحلو لنا، ولن يستطيع احد أن يصنع منا شيئا آخر .. » . وهكذا هم . . واهنوا الاجساد والارواح يهمون بالاعمال الكبرى . بالتغيير لكنهم لم يجدوا داخل نفوسهم هاديا لهم يتخذ شكل فكرة محددة . لذا نادوا بأسلوب من الحياة على مستوى الرغبات يحقق لهم تلقائية تامة وتحللا من أي التزام باسم استكناه الجمال المطلق .

ثمة تشابه قوي بالفعل ولكن السيد الناقد لا يستمد فكره من هذه المدرسة وحدها انما ثمة ملامح أخرى من أفكار المدرسة الكلاسيكية الجديدة، أو مدرسة الاحياء الكاثوليكي التي يعد الشاعر الرجعي العظيم **ت .س . اليوت** . نبيها ورسولها وكاهنها الاعظم في القرن العشرين . الذي قال عن نفسه انه ملكي في السياسة . كاثوليكي في الدين . كلاسيكي في الادب . ودعا الى ربط الادب بالدين برباط وظيفي وغائي ومنهجي قوي . فهو يربط الادب بالهيات ثابتة عامة وشاملة وبأخلاق ثابتة عامة وشاملة . وهي الهيات واخلاق لا وجود لها الا في الموقف الكاثوليكي من الدين أو سنة السلف الصالح . والقاعدة عنده أن ما يميز الادب من غير الادب هو المقاييس الادبية وحدها. أما ما يميز الادب العظيم من الادب المحدود القيمة فهو مقاييس اللاهوت والاخلاق . وهو يشكو من أن الادب في عصرنا هذا وفي بعض العصور الاخرى يحمل مضمونا أخلاقيا حقا ولكنه مضمون أخلاقي بعضه وقتي وبعضه زمني وبعضه مادي وبعضه مرتبط بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي . أما وظيفة الادب العالي عنده فهي أن يركز نظر الناس على التجربة الروحية الدائمة، وعلى الحقائق الروحية الثابتة .

وعند **اليوت** كما عند مفكري الكاثوليكية في العصور الوسطى وما بعدها أن هذا العالم مجرد معبر الى العالم الاخر وأن جميع القيم الانسانية والاجتماعية والفردية ينبغي أن تشتق من هذا المعنى أو تبنى عليه .

من أجل هذا هاجم اليوت أدب الديمقراطيين الليبراليين وأدب الاشتراكيين الماركسيين والاشتراكيين الديمقراطيين والفاشيين والسيرياليين ، كما هاجم الرومانسية والواقعية والطبيعية وعامة المذاهب الادبية التي لا تخدم الالهيات والاخلاق الدينية بالمعنى الكاثوليكي . ومن أجل ذلك دعا بحرارة الى احياء تراث العصور الوسطى والى احياء الادب الكلاسيكي ، وربط بين الكثلكة والكلاسيكية .

ومن هنا يتضح لنا مركب رؤية السيد الناقد الذي سعى الى القائنا في جو كهنوتي كثيف تحت ضغط خوفه الشخصي من الحياة الذي رفعه الى مستوى الاحداث التي تهز العالم . فقصر الفن على أنه أداة تواصل سحرية بينه وبين ربة الفن . وبينه وبين صفوة من القراء قد لا يتفقون معه . وكرس الفن وسيلة خاصة لاعادة التوازن الى نفسه .

أما الفن فانه بقي وسيبقى أبدا جوابا لما تفرضه متناقضات العصر وكشفا له ، ومواجهة دائمة بالنقد ولن يكون أبدا بحثا في الاشكال والصور منفصلة عن دلالاتها العميقة . وسيبقى الفنان العظيم على يسار مجتمعه منحازا الى جانب الانسان وتقدمه يدفعه ايمانه بأن قدرة الانسان على التطور غير محدودة . ولان التناقض الجدلي المثمر لن ينتهي أبدا فلن يختفي الفن من المجتمع بل سنشهد ثراء لا حد له في الاساليب الفنية .

ومهما كان ثقل ما يمثله السيد الناقد في حياتنا الادبية والفنية فانني اتوقع — ولعلي لا أبالغ — أنه من جهود فناني بلادنا ومن معاناتهم العميقة لمشكلات مجتمعهم المادية والروحية في وحدتها الجدلية مع مشكلات الانسان المعاصر كله الساعي نحو تحقيق حريته وتقرير حقه في الحياة .. من جهود هؤلاء ستبزغ الاصوات المعبرة عن عصرنا بلغة الفن وأدواته، وهي ليست لغة وأدوات مطلقة ولا تلتمس لدى ربة الفن انما تلتمس في الواقع المتغير .

تقارير الشهر

■ الاختيار الصعب : سلام في فيتنام ·· أم أزمة في أمريكا ؟
■ المباحثات السوفيتية الصينية هل تنبىء بجديد ؟
■ تحول هام في تاكتيك المجابهة العسكرية
■ الراهبات والثورة في مسرحية كوبية

■ الجمهورية العربية المتحدة

مؤتمر وزراء الزراعة العرب يرسم خطة متكاملة ويبقى التنفيذ !

شهدت القاهرة واحدا من أهم المؤتمرات التى نظمتها الامانة العامة لجامعة الدول العربية وهو مؤتمر وزراء الزراعة العرب ..

وكان قد سبق مؤتمر وزراء الزراعة العرب ، مؤتمر المهندسين الزراعيين العرب الذى عقد فى أوائل سبتمبر وطرح عديدا من القضايا التى مهدت الطريق أمام المؤتمر ·

وتأتى أهمية هذا المؤتمر فى أنه ناقش قضية تطوير الزراعة فى البلاد العربية باعتبارها حتى الان أحد الموارد الرئيسية ، للدخل القومى ·

وقد تميزت المناقشات وبالتالى التوصيات والقرارات بتأصيل علمى للمشكلة المطروحة من ناحية ، وبالسعى الى خلق تكامل زراعى عربى من ناحية اخرى ، الامر الذى اضاف للمؤتمر اهمية سياسية الى جانب أهميته الاقتصادية والاجتماعية ··

ولقد اتخذ المؤتمر عددا من القرارات والتوصيات الهامة وعلى رأسها انشاء منظمة عربية للتنمية الزراعية تهدف الى المساهمة فى تنمية الروابط بين الدول العربية فى قطاع الزراعة وفى تنمية الثروات المتوافرة لديها وتحسين وسائل استثمارها ورفع الكفاية الانتاجية للانتاج الزراعى والحيوانى والنهوض بالمشتغلين بهما والعمل على تحقيق التكامل الزراعى بين الدول العربية ··

ونظرة على اهداف هذه المنظمة الزراعية العربية نجد أنها تمثل فى الواقع دفعة كبيرة نحو تطوير التعاون الاقتصادى بين الدول العربية سعيا وراء تحقيق تكامل اقتصادى بين تلك الدول ، ذلك التكامل الذى اثبتت الدراسات العلمية أنه كفيل بتطوير الاقتصاد العربى عامة واقتصاديات البلاد

العربية كل على حدة ، كما أنه كفيل بخلق وتنظيم القوة الاقتصادية العربية القادرة على فرض نفسها فى المجال الاقتصادى العالمى ومواجهة تحديات التكتلات الاقتصادية الغربية التى ما زالت تحاصر وتحد من تطور اقتصاديات عدد من البلاد العربية •• ويمكن الاستناد الى هذا الاتجاه وتدعيمه فى مواجهة التيار الذى يدعو الى الانضمام لهذه التكتلات الاستعمارية والتى تؤدى الى احتواء وابتلاع الدول العربية من قبل الاستعمار الجديد •

وقد حدد المؤتمر وسائل تحقيق هذه الاهداف مثل تجميع البحوث العلمية والتكنولوجية والاقتصادية المتعلقة بالزراعة والنهوض بالتعليم والتدريب والادارة والارشاد الزراعى والدراسة الاجتماعية والاقتصادية للهيئات المختلفة والنهوض بالصناعات الزراعية واستخدام الوسائل العلمية لتحسين الانتاج الزراعى وصيانة الموارد الطبيعية •

وبالاضافة الى التوصية الخاصة بانشاء منظمة عربية للتنمية الزراعية اتخذ المؤتمر عددا آخر من التوصيات والقرارات الهامة ، منها على سبيل المثال: انشاء جهاز عربى لاستصلاح وتعمير الاراضى يتولى دراسة وتنفيذ مشروعات الاستصلاح والتعمير والرى والصرف والتدريب فى الدول العربية معتمدا فى الدرجة الاولى على الخبرة العربية ورأس المال العربى • ومنها انشاء مراكز تدريب عربية فى المجالات الزراعية واقامة دورات للارشاد الزراعى على النطاق العربى والتنسيق والتعاون بين البلدان العربية فى مجال الافات والامراض الزراعية والحيوانية ، والعمل على تنسيق وتبادل المعلومات حول خطط التنمية الزراعية فى البلاد العربية لخلق تكامل فى الانتاج الزراعى بين تلك البلدان عن طريق التخصص فى محاصيل وانتاج زراعى معين وفقا للظروف الطبيعية والبيئية لهذا البلد أو ذاك ••

ولعل من أهم قرارات هذا المؤتمر هى تلك التوصية الخاصة بتسهيل تبادل المنتجات الزراعية وحث الدول العربية على اتخاذ الاجراءات التى تسهل تبادل المنتجات والسلع الزراعية بين هذه الدول وذلك تمهيدا لالغاء الرسوم الجمركية بين الدول العربية على السلع الزراعية والحيوانية •

كذلك من التوصيات الهامة للمؤتمر ما ورد بخصوص تطوير العمل التعاونى والائتمانى فى الزراعة والتمهيد لانشاء الاتحاد العربى العام للتعاونيات يكون ممثلا وموجها للاتحادات التعاونية فى البلدان العربية •

والواقع أن مؤتمر وزراء الزراعة العرب بتوصياته وقراراته المدروسة قد أكد أهمية مثل تلك المؤتمرات المتخصصة باعتبارها تمثل خطوات عملية نحو تحقيق تضامن عربى حقيقى قائم على أسس متينة نابعة من الاحساس المشترك لدى الشعوب العربية بضرورة تحقيق اوسع تعاون ممكن فى جميع المجالات لمواجهة العدو الاستعمارى الصهيونى الذى يسعى أول ما يسعى الى تحطيم اقتصاديات وقدرات الدول العربية •

■ ■

■ **النزاع العربى ـ الاسرائيلى**

عمليات الكوماندوز وحرب الاستنزاف

كان أهم ما لفت انظار المهتمين بأزمة الشرق الاوسط خلال الشهر الماضى الهجمات التى شنتها فرق الكوماندوز على جبهة القناة • فقد دخلت عناصر جديدة الى المعركة استخدمت فرق الكوماندوز البحرية ووحدات الكوماندوز التى تم نقلها عن طريق الجو وتوغلت تلك الوحدات خلف خطوط العدو لتنقض على مواقعه أو لتقوم بعمليات استطلاعية بغرض تحديد توزيع قواته • ويستدل من سلسلة الهجمات التى شنت ان هناك اتجاها لتطوير وتصعيد عمليات اقتحام مواقع العدو ومفاجأته بواسطة وحدات الكوماندوز ، كما يكشف نجاح العمليات التى تمت على مستوى عال من التعاون والتنظيم والتنسيق الفعال بين كافة أسلحة الجيش التى اشتركت فى تلك المعارك من القوات البرية الى السلاح الجوى الى القوات البحرية • وقد أثبت هذا التكتيك الجديد الذى يعتمد على الحركة السريعة انه اكثر نجاحا وفعالية فى حرب الاستنزاف اذ انه مكن قواتنا من التفوق على العدو

فى معارك محدودة ومفاجئة ولعب دورا هاما فى اشاعة الرعب بين قوات العدو واضعاف معنوياتها •

ووصفت وكالة رويتر غارات الكوماندوز بانها تطور جديد فى اساليب القتال ، ومستواها على الجبهة المصرية ، كما صرح موسى ديان بأن اقوى الضغوط التىتتعرض لها اسرائيل تتركز فىمنطقة القناة •

وكان من اهم العمليات التى قامت بها وحدات الكوماندوز على اساس التكتيك الجديد :

● فى بداية الشهر اقتحمت وحدات الكوماندوز موقعا للعدو شرقى الدفرسوار • وخاضت معركة بالغة العنف مع العدو استمرت ٣ ساعات دمرت خلالها عددا من مواقع الصواريخ والمدفعية •

● بعد ذلك باسبوع قامت قوات الكوماندوز باكبر عملية استطلاعية على طول جبهة القناة حينما عبرت قوة مكونة من ٢٥٠ جنديا وضابطا القناة وتوغلت لاربع ساعات خلف خطوط العدو • وسجلت مواقع مدفعيته وصواريخه وتحركاته •

● ثم عبرت وحدة من رجال الكوماندوز القناة الى الضفة الشرقية وفاجأت بالصواريخ مواقع العدو فى منطقة كبريت وانزلت بها خسائر ضخمة •

وفى نفس الوقت تعددت المعارك الجوية الضارية فى سماء جبهة القناة • وخلال هذه المعارك تجلت قدرة دفاعنا الجوى على احباط محاولات العدو المتكررة للقيام بغارات جوية على مواقعنا انتقاما من نشاط وحدات الكوماندوز داخل سيناء •

وفى غزة والضفة الغربية والجولان واصلت حركةالمقاومة هجماتها الجريئةوالمنظمة والمنسقة، ونسفت خط انابيب البترول بين حيفا وايلات كما هاجمت عددا من دوريات العدو وقصفت مواقعه بصواريخ كاتيوشا ، وهاجمت مصنع تجميع السيارات فى الناصرة ومصنع البوتاس فى سدوم وانزلت بهما خسائر جسيمة . وانتقاما من نشاط الفدائيين قامت قوات الاحتلال الاسرائيلية بحملات ارهاب واعتقالات واسعة النطاق فى غزة ومدن الضفة الغربية •

وفى اوائل الشهر التقت جولدا مايير رئيسة وزراء اسرائيل مع المسئولين الامريكيين ، واشارت رحلتها الى الولايات المتحدة والمباحثات التى اجرتها مع الرئيس نيكسون اهتمام كل الدوائر المعنية بأزمة الشرق الاوسط • وقد صرحت جولدا مايير قبيل سفرها الى الولايات المتحدة لجريدة جيرو زالم بوست تشرح اهداف زيارتها ومباحثاتها فقالت :

« انها بالاضافة الى طلب المزيد من المعدات العسكرية ، فانها تعتزم اثارة المشكلات المتعلقة بالطريقة التى يمكن لاسرائيل بها أن تتحمل عبء وضع الامن الراهن • ولا يعنى هذا بالضرورة أن اسرائيل ستطلب منحا وقروضا ، وانما من المحتمل ان تطلب شروطا اسهل لدفع ثمن الاسلحة وتأجيل سداد الديون المستحقة وربما استعادة الحصول على بعض انواع المعونات الاخرى » •

وعلى الرغم من عدم اصدار بيان مشترك عن مباحثات مايير ــ نيكسون ، فان المراقبين السياسيين الوثيقى الصلة بالبيت الابيض يرون أن المباحثات تضمنت ثلاث نقاط :

● ربط أمن اسرائيل بالاستراتيجية الامريكية فى الشرق الاوسط ، ورسم سياسة مشتركة ازاء احتمالات تطور الوضع فى الفترة المقبلة بما يضمن سلامة وأمن اسرائيل •

● طلب المزيد من القروض والمساعدات من وشنطن •

● طلب المزيد من الاسلحة الهجومية وخاصة طائرات الفانتوم والسكاى هوك لتدعيم القوات المسلحة الاسرائيلية واستعداداتها •

ولقد صرحت جولدا مايير عقب انتهاء المباحثات بقولها :

« لقد شعرت لدى خروجى من البيت الابيض بغبطة اكبر من التى كنت اشعر بها لدى دخولى اليه » •

وكانت وجهة النظر الامريكية خلال تلك المحادثات كما حددتها الدوائر الوثيقة الصلة بالبيت الابيض هى :

● ان الولايات المتحدة تنظر بعين العطف الى امداد اسرائيل بالاسلحة التى تطلبها ، وانها ستدرس هذا الطلب على وجه السرعة •

● انها ستسعى بالتوسط لدى حكومة المانيا الغربية لتلبية احتياجات اسرائيل الى الاموال فى اقرب وقت ممكن .

● وافقت واشنطن على وجهة نظر اسرائيل بعدم الانسحاب من الاراضى المحتلة بعد ٥ يونيو الا اذا تم التوصل الى اتفاق بين اسرائيل والعرب عن طريق مفاوضات مباشرة أو من خلال يارنج .

وسرعان ما كشفت امريكا عن موقفها هذا فصرح وليم روجرز فى حفل توديع جولدا مايير « بان بلاده تؤيد وجهة نظر اسرائيل التى تنادى بضرورة عقد مفاوضات مباشرة بغية الوصول الى تسوية سلمية ملزمة ودائمة فى الشرق الاوسط » .

وجاء فى تعليق لجريدة معاريف الاسرائيلية على الزيارة :

« ان الامريكيين اصبحوا ينظرون حاليا الى اسرائيل بوصفها الدعامة والسند الاكبر لحماية مصالحهم فى الشرق الاوسط » .

ولم تكد تنتهى زيارة مايير حتى بدأت امريكا تكشف بوضوح عما تم الاتفاق عليه بينها وبين اسرائيل فاصدرت السفارة الامريكية فى تل أبيب بيانا اعلنت فيه « ان الرعايا الاسرائيليين الذين من اصل امريكى يستطيعون الاحتفاظ بجنسيتهم الامريكية حتى اذا خدموا فى القوات المسلحة الاسرائيلية » . واعتبرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة ذلك التصريح عملا عدوانيا » ضد أمنها وسلامتها ومشاركة صريحة فى العدوان على الدول العربية ، وموقفا يتعارض مع المساعى المبذولة فى سبيل تسوية سلمية للازمة وقدمت احتجاجا بهذا المعنى الى مجلس الامن .

وفى دوائر الامم المتحدة لم تحقق الجهود التى بذلت فى الشهر الماضى من أجل دفع محاولات حل الازمة نحو الامام أى تقدم يذكر وذلك بسبب تعنت اسرائيل ومساندة الولايات المتحدة بشكل صريح لمطالب اسرائيل « التى تصر » كما يقول محمود رياض « على ما تسميه بالتفاوض مع العرب والذى تقصد من ورائه لا تنفيذ قرار مجلس الامن ، وانما الاجتماع بالعرب فى مكان ما لتملى عليهم شروطها » . وقد كشف محمود رياض حقيقة الموقف الامريكى حين قال : « ان امريكا ترفض تحديد موقفها من قرار مجلس الامن الذى سبق ان وافقت عليه عند صدوره ، كما انها لم تحدد ضرورة انسحاب اسرائيل الى خطوط ما قبل ٥ يونيو » .

وازاء تعنت اسرائيل ومساندة امريكا لها ، وازاء تمسك الدول العربية والاتحاد السوفيتى بنص قرار مجلس الامن والمفهوم الذى يتضمنه القرار تحطمت امكانيات احراز التقدم فى الاتصالات التى دارت فى نيويورك مما دفع يارنج الى العودة الى مهام منصبه فى موسكو كما عاد محمود رياض الى القاهرة . وصرحت المصادر المسئولة فى الامم المتحدة بان عودة يارنج لاستئناف مهمته تتوقف على نجاح مباحثات الدول الاربع التى تأجلت الى شهر نوفمبر بعد أن أصرت الولايات المتحدة على استمرار المحادثات الثنائية فى الفترة الحالية بينها وبين الاتحاد السوفيتى » .

ويشير المراقبون السياسيون الى ان اتجاه المحادثات الثنائية هو محاولة وضع صيغة تقبلها الاطراف المعنية لتنفيذ قرار مجلس الامن تسلم ليارنج ليجرى حولها اتصالات جديدة . واذا ما تم التوصل الى هذه الصيغة يمكن استدعاء يارنج الى نيويورك لاستئناف مهمته .

■ ■

■ لبنان

أين العدو .. فى أكواخ اللاجئين أم المستعمرات الصهيونية ؟

يتابع الرأى العام العربى فى قلق بالغ التطورات التى تحدث فى لبنان هذه الايام ، وعلى الاخص بعد الترحيب اللبنانى الرسمى على لسان وزير الخارجية بالتصريح الامريكى لفرض الحماية على لبنان ، وهجوم الجيش اللبنانى على مواقع الفدائيين فى جنوب لبنان وقتل عدد من الفدائيين واعتقال عشرات غيرهم .

وفى الواقع ان ما يحدث فى لبنان الان لا يعد مفاجاة فى نظر المراقبين ، بل هو تطور طبيعى لمنطق الاحداث السابقة التى بدأت بحملة ٢٣ ابريل الماضى واطلاق الرصاص على المظاهرات الشعبية المؤيدة للعمل الفدائى ، وراح ضحيتها ٤٠ شخصا والقى القبض على مئات المواطنين ، واذيعت رسالة الرئيس شارل حلو الشهيرة فى ٣١ مايو بتحريم العمل الفدائى ، واعتذار لبنان عن المشاركة الفعلية فى المعركة ضد اسرائيل ، وهجوم القوات المسلحة

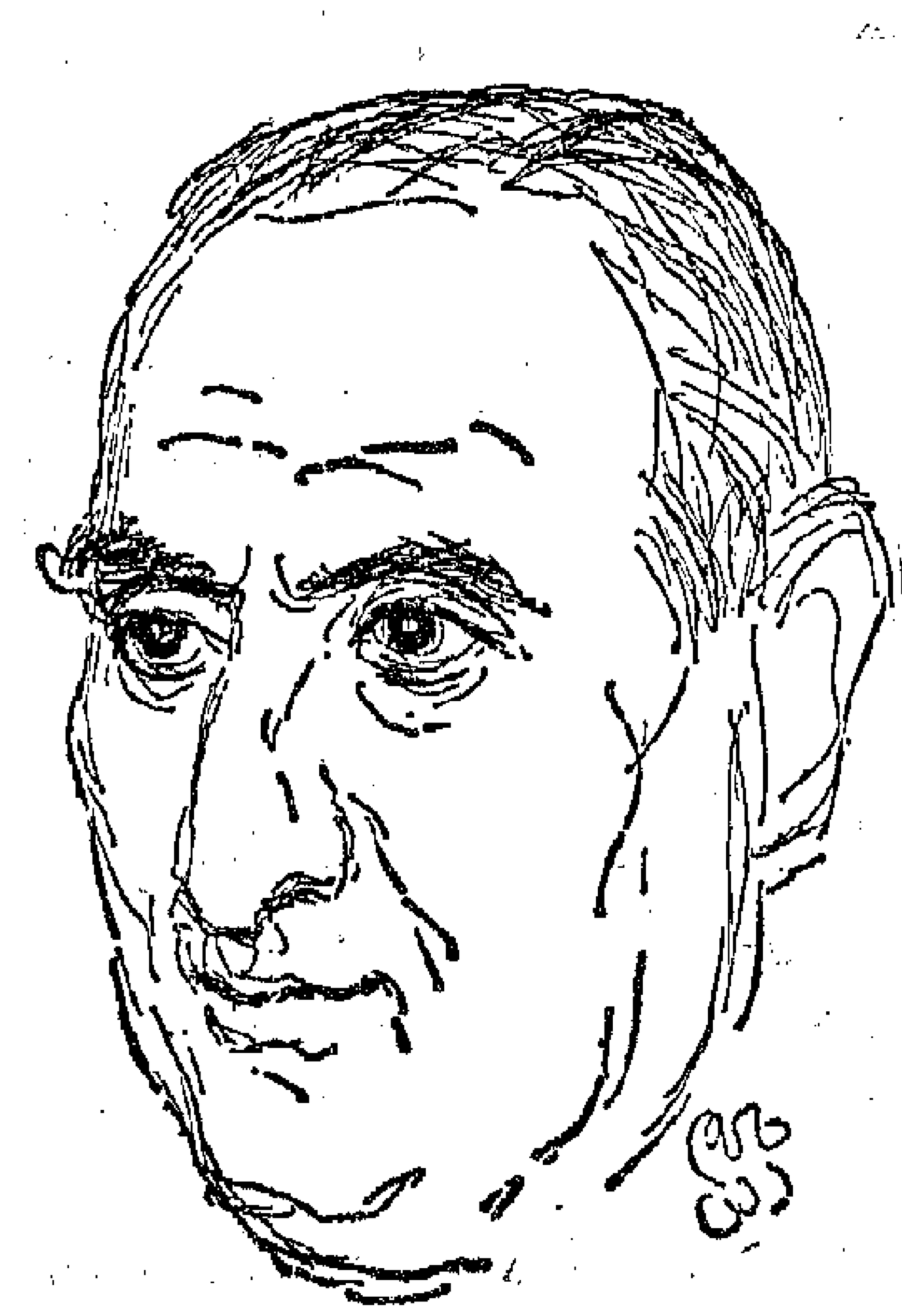
اللبنانية بعد ذلك على معسكرات اللاجئين واطلاق الرصاص عليهم ومحاصرتهم ومطالبتهم بتسليم أسلحتهم ، وفرض الرقابة على تحركاتهم ، ومنع المظاهرات اللبنانية لتأييد العمل الفدائي .

وكانت آخر هذه التطورات في الشهر الماضي ، هو افتعال حادث طائرة الميراج مع الاتحاد السوفييتي ، ثم ما كان من التصريح الامريكي ، وما تلاه من حادث نسف مقر منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت بمعرفة المخابرات الاسرائيلية والامريكية ، وهجوم الجيش اللبناني على قواعد الفدائيين في ٢١ أكتوبر وقتل وأصابة ٣٩ فدائيا واعتقال ١٠٠ آخرين .

وكان قد سبق اعلان البيان الامريكي في ١٢ اكتوبر سلسلة اجتماعات هامة بالسفارة الامريكية في بيروت للمسئولين وخبراء شئون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الامريكية والمخابرات المركزية الامريكية ، كما حضرها **وايت بالمر** مستشار الرئيس نيكسون ، **وفرانك شكسبير** مدير مكتب الاستعلامات في واشنطن ، وقد جاء في البيان الامريكي : أن الولايات المتحدة تنظر باقصى قلق الى أي خطر يتهدد سلامة لبنان من أي مصدر يأتي هذا الخطر .. وان حكومة لبنان المعتدلة يجب ان تكون موضع ترحيب واحترام من قبل جميع الدول في الشرق الاوسط » — وقد علق وزير خارجية لبنان على البيان الامريكي بقوله « اننا نرحب بالتصريح الامريكي حول اهتمام الولايات المتحدة بالدفاع عن لبنان وبأمنها » .

وقد اثار البيان الامريكي عاصفة من الاحتجاجات الشديدة من جانب الاحزاب الوطنية والتقدمية والنقابات العمالية والاتحادات الطلابية والمهنية والنسائية ، التي اعتبرته تدخلا سافرا وقحا في شئون لبنان ومحاولة مفضوحة لفرض الوصاية والحماية على لبنان ، وعزله عن الدول العربية المحيطة باسرائيل ، وتعطيل دور لبنان في الدفاع عن نفسه ضد الهجمات الاسرائيلية ،وتقوية مواقع الرجعية اللبنانية والعربية عموما . كما انتقدت ما وصفته بالموقف المخزي للحكومة من الترحيب بالبيان الامريكي .

وقد اثار هجوم الجيش اللبناني على مواقع الفدائيين ردود فعل عنيفة بين الجماهير والقوى الوطنية والثورية في العالم العربي ، وترك علامة استفهام كبيرة حول الدور الذي يقوم به لبنان الرسمي في تصفية المقاومة الفلسطينية كجزء من حركة التحرر العربية لصالح الاستعمار



شارل حلو

والصهيونية ؟ ويجمع المراقبون في لبنان والعالم العربي على ان صدور البيان الامريكي في نفس الوقت الذي تعلن فيه أمريكا بالسماح لرعاياها بالانضمام للجيش الاسرائيلي وتقدم لاسرائيل معونات عسكرية ومالية ضخمة ، ليس سوى مقدمة لنشاط امريكي مكشوف في العمل ضد لبنان والدول العربية الاخرى المحيطة باسرائيل ، وينذر بتحويل منطقة الشرق الاوسط الى فيتنام أخرى وترددت الانباء أن أصابع التآمر تمتد الى الاردن وأنه سيجري تعديل وزاري يتم بمقتضاه تشكيل حكومة عسكرية لهذا الغرض .

وقد اعلن نيكسون ان الموقف يتفجر وصرح المتحدث باسم الخارجية الامريكية : ان الخطر على لبنان يأتيه من الحدود الشرقية . أي من ناحية سوريا . ومن ناحية اخرى اعلنت الحكومة الاسرائيلية عن « تأييدها لموقف السلطات اللبنانية ضد المنظمات الفلسطينية ، وانها لن تقف مكتوفة الايدي اذا حدث تغيير في الوضع الراهن في لبنان » .

وقد بعث الرئيس جمال عبد الناصر بنداءات الى الرئيس اللبناني شارل حلو يناشده فيها العمل على وقف اراقة الدماء العربية وقال « انه ليس من المتصور ان تواجه المقاومة الفلسطينية ما تواجهه الان في لبنان بينما تتلقى بصدرها نار العدو وارهابه » .

ومازالت انباء المعارك فى لبنان ضد الفدائيين تثير ردود فعل شديدة فى مختلف انحاء العالم العربى ، كما يتطلع الجميع الى وساطة القاهرة لانهاء الازمة الحالية ، والبحث عن مخرج لمنع حدوث مضاعفات تضر بمستقبل حركة التحرر العربية .

ومن ناحية اخرى فقد قوبل فوز **صبرى حمادة** مرشح الجبهة الديمقراطية فى انتخابات رئاسة مجلس النواب اللبنانى على منافسه **كامل الاسعد** مرشح اليمين بفتور وتحفظ شديد ، اذ تعنى ان العقبات التى حالت دون تشكيل الحكومة اللبنانية حتى الان مازالت قائمة ، الامر الذى يجعل تشكيل الوزارة متوقف على الموافقة على ما جاء فى رسالة رئيس الجمهورية شارل حلو الشهيرة فى ٣١ مايو الماضى .

■ ■

■ **ليبيـــا**

محـــاولات اســتكشـــاف الطريق والتصـدى لمؤامرات الاســـتعمار

تثير الخطوات التى يتخذها الحكم الجديد فى ليبيا هذه الايام لتصفية مظاهر السيطرة الامريكية فى ليبيا ارتياحا كبيرا فى البلدان العربية التقدمية ، والتى تمثلت فى طرد اعضاء جيش السلام الامريكى (١٤٣ شخصا) ، واحكام تنفيذ المقاطعة العربية لاسرائيل وحظر التعامل مع عدد آخر من الشركات الامريكية والايطالية ، والاعلان عن عدم تجديد اتفاقيات القواعد الامريكية والبريطانية ووقف نشاطها العسكرى ، وتقوم السلطات الليبية حاليا بالرقابة على التحركات خارج قاعدة **هويلس** الامريكية بعد ان تحولت الى مركز للتآمر واعمال التخريب ضد الثورة ، وكانت آخر هذه الاعمال المضادة ، هو حادث ضبط اسلحة مهربة من القاعدة بعضها يحمل شعار نجمة اسرائيل مع بعض الاشخاص الذين يعملون موظفين فى شركة نقل مالطية فى ليبيا .

ويلفت اهتمام المراقبين طابع التروى والحذر اللذين تتسم بهما خطوات مجلس الثورة الليبى ، وفى نفس الوقت الرغبة المخلصة والسعى الجاد لكى يكون لليبيا دور فى المعركة ضد الامبريالية والرجعية ، وكسر طوق العزلة الطويلة التى فرضها الحكام السابقون على ليبيا ، لعزلها عن حركة التحرر العربية الامر الذى لن يتحقق الا بقدرة الحكام الجدد على احداث التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الجذرية من اجل تدعيم الحرية والاستقلال الوطنى . وقد دعت الحكومة الليبية شركات البترول الاجنبية العاملة فى ليبيا وعددها ٤٥ شركة (امريكية وبريطانية وفرنسية وايطالية وهولندية والمانية غربية) للدخول معها فى المفاوضات من اجل زيادة حصة ليبيا من ارباح البترول وتمتلك الولايات المتحدة ٣٨ فى المائة من قيمة استثمارات البترول الليبى .

وان اهم ما يشغل الحكام الليبيون الان هو بناء الجهاز الادارى للدولة ، والتنظيم الاقتصادى ، وبناء الجيش العصرى . وكذلك الاهتمام باعادة تجميع اشلاء الحركة الوطنية التقدمية بعد الضربات العنيفة والتصفية المستمرة التى تعرضت لها على يد الحكم السابق . فمنذ اوائل الستينات ، وعلى الاخص منذ حرب يونيو ، اندفعت العناصر الثورية الى الحدود المصرية للاشتراك فى المعركة .

ويجرى الان البحث عن الصيغة الملائمة التى يقوم عليها التنظيم الشعبى الجديد الذى يجمع مختلف قوى الشعب العاملة « على ان تتلاءم اهداف الاحزاب الثورية مع اهداف التنظيم الجديد » وايضا « ضمان حرية التنظيمات الشعبية للعمال والطلبة ومختلف فئات الشعب » وذلك كما جاء فى تصريحات قائد الثورة . وان كان لم يتضح بعد ان كان المقصود بهذا التنظيم ، هو قيام جبهة وطنية تضم مختلف الاحزاب الثورية ام شىء غير ذلك ؟ الا ان الانباء الواردة من ليبيا بعد ذلك تشير الى ان الرأى لم يستقر بعد على الصيغة

الملائمة للتنظيم الشعبى الجديد ، فقد اعلن وزير الداخلية الليبى ان الحياة النيابية ستعود فى المستقبل ، وانه لن يسمح بقيام احزاب فى الوقت الحاضر او المستقبل •

■ ■

■ **السودان**

وحدة القوى الثورية الديمقراطية فى مواجهة التسلل اليمينى الرجعى

أبدت الاوســـاط الوطنية والتقدمية فى مختلف ارجاء الوطن العربى ارتياحا بالغا لتصـــفية الازمة بين القوى الثورية فى الســـودان ، وقطـــع الطريق على العناصر اليمينية للتسلل الى صفوف القوى الثورية وتخريبها •

ولم يكن موضوع الخلاف الفكرى فى حد ذاته مصدر القلق والازعاج ، فهو أمر مسلم به بين القوى الثورية المختلفة كشىء طبيعى نتيجة أوضاع وظروف تاريخية سابقة ، وان هناك طرقا واشكالا معروفة لتصفية مثل هذه الخلافات حرصا على مصلحة الثورة والتقدم • وقد كان طابع بعض القوى تغليب التناقض الثانوى بين القوى الثورية على التناقض والخطر الرئيسى مع القوى اليمينية والاستعمارية ، وذلك على النحو الذى اتبعته بعض الصحف السودانية ، مثل صـــحيفة « **الاضواء** » و « **الايام** »

ومن ناحية أخرى كانت العاصمة السودانية قد شهدت فى الاسابيع الماضية موجة من الشائعات شبيهة بتلك التى شـهدتها معظم العواصم العربية الثورية وبالذات القاهرة • وذلك وفق مخطــط رجعى استعمارى يستهدف اثارة البلبلة والشكوك لاحداث الثغرات فى جبهات الصمود الداخلية ، مثل تلك المزاعم عن التمرد المسلح وتشكيل حكومة معادية فى الجنوب ـ خلاف بين مجلس الثورة والوزارة ـــ مجلس الثورة يعد لتغيير وزارى •



الرائد فاروق عثمان

والجدير بالذكر ان السلطات السودانية كانت قد وضعت ايديها فى تلك الاثناء على محاولة تخريبية للعناصر اليمينية وفلول الاخـــوان المســـلمين والاحزاب الطائفية القديمة ، كما ضبطت أسلحة ووثائق تثبت اتصال المتآمرين بالجهات الاجنبية •

وفى هذا الجو المغرق فى الشكوك والبلبلة والغموض قامت وكالات الانباء الغربية بتحريف حديث السيد بابكر عوض اللـــه رئيس وزراء السودان مع الطلبة السودانيين فى المـانيا الديمقراطية ، والذى أعلن فيه « أن الثـــورة السودانية لا يمكن أن تسير الا بالتعاون مع جميع العناصر الثورية ومنها الشيوعيين » وقد تعمدت وكالات الانباء حذف الجزء الخاص بجميـــع العناصر الثورية ، مما يوحى بتجـــاهل وانكار دورها • ثم قام مجلس الثورة بعد ذلك باصدار بيان اعتبره تصحيح لحديث رئيس الوزراء وأن ما جاء على لسانه لا يعبر الا عن رأيه الشخصى •

وقد بادر كل من اعضاء مجلس الثورة والوزراء السودانيين الى معالجة تلك الازمة بالسرعة اللازمة حرصا على وحدة القوى الثـــورية

الديمقراطية ، وعدم ترك ثغرة يمكن أن تنفذ منها القوى اليمينية والاحزاب الطائفية لتخريب الوحدة الثورية واحداث البلبلة والشكوك ، واوضح **محجوب عثمان** وزير الثقافة والارشاد القومي في السودان : أن الاسلوب الخبيث الجديد للقوى اليمينية لضرب قوى الثورة ، عن طريق التمويه بمناصرة فريق ضد الفريق الثاني لشق القوى التقدمية وذلك تمهيدا لضرب الفريق الثاني بعد ذلك » • ودعا القوى التقدمية الى اليقظة والحذر حتى لا تتعرض ثورة ٢٥ مايو الى نفس المصير الذي حدث لثورة اكتوبر عام ١٩٦٤ •

كما أوضح **فاروق عثمان** وزير الداخلية وعضو مجلس الثورة : أن الخلاف الفكري موجود بين القوى الثورية وهذا أمر طبيعي ، وأنه ليس من الضروري أن يؤدي الى خلاف في العمل ، وأن هذا الخلاف يعالج الان من خلال الحوار والنقاش الهادئ •

وكان قد أعلن في السودان في الفترة الاخيرة عن وضع ميثاق وطني لثورة ٢٥ مايو لعرضه على الجماهير لمناقشته على أن يكون ذلك تمهيدا لتكوين التنظيم الشعبي في السودان •

تعليق

فتح ثغرة •• تمهيدا للانقضاض على الثورة السودانية

كان لقاؤنا بعدد من الاصدقاء السودانيين من مختلف الاتجاهات ، احتفالا بانتصار حركة مايو ، ملؤه الامل والتفاؤل ، رحنا نرصد الانتصارات التي يحققها ابناء الامة العربية في كل مكان فالعملاق يهب من رقدته ، اعظم صلابة واشد عزيمة •• الانتقال من مرحلة الصمود الى الردع ، الكفاح الفلسطيني المسلح يشتد عوده وتزداد فاعليته ، قوى اليسار الثوري تتولى مقاليد الحكم في جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، انهيار الحكم الرجعي في السودان •• والبقية تأتي •

الا ان الامل مشوب بالقلق والتفاؤل يؤرقه قدر من الجزع • ماذا سيكون عليه رد الفعل الاستعماري ؟ الى اي موقع يوجه ضربته التالية ؟ ما هو سبيله الى التخريب ومخططه للانقضاض ؟ كيف يواجه هذا المخطط من جانب القوى الثورية ؟

وقد اجمع الزملاء السودانيون باتجاهاتهم المتباينة — ان مكمن الخطر لا يتمثل في اللجوء الى الاساليب التقليدية ، لن يصبح التدخل المسلح او استثارة الحركة الانفصالية بالجنوب • ولا التركيز على الاستعانة بالحزازات القبلية او الاستناد الى الاحزاب الرجعية • اذ رغم استخدام كل هذه الامكانيات كرصيد مدخر للقوى الامبريالية •فلاشك ان نشاطها سينصب اولا وقبل كل شيء على تفتيت الصفوف بين القوى الوطنية ذاتها • ويستهدف التفرقة واستثارة خلافات مفتعلة بين فئات التحالف الوطني •• خلافات تمزق الوحدة •وتخلق الثغرات في الكيان الوطني •• تناقضات تغذى وتؤجج لتقفز الى المقدمة وتطمس حقيقة أن التناقض الرئيسي هو التناقض مع التحالف الرجعي الاستعماري • وحينئذ تصبح الفرصة مواتية والظروف ممهدة لليمين الرجعي بتحالفه مع القوى الامبريالية للانقضاض لاسقاط النظام الوطني برمته •

وفي هذا الاطار يمكن ادراك الاهداف الخبيثة التي تستتر وراء الازمة الاخيرة التي افتعلتها واججتها بعض العناصر، والتصريح الذي صدر عن السيد بابكر عوض الله • وحاولت بعض وكالات الانباء تحريفه ، لا يخرج عن الخط الذي اقرته كل القوى الوطنية بالسودان

ومما يكشف حقيقة النوايا التي تحرك هذه الحملة ان اثارة كل هذا الضجيج حول تصريح رئيس الحكومة السودانية لم يكن البداية ، فقد سبقته حملة صحفية مسعورة ضد الشيوعية •

علينا ان نتخذ من التجربة السابقة ، فقد كانت هذه الحملات تتوخى دائما لا الانقضاض على هذا الفريق او ذلك بل تستهدف كل القوى الوطنية • فهي مجرد مدخل لاغتيال الثورة السودانية كلها • فالقوى الرجعية تدعي مساندة فريق من التحالف ضد آخر ، حتى اذا حدث الانشقاق واتسع الشرخ • كان ذلك ايذانا بالانقضاض لضرب كل القوى الثورية التقدمية دون تفرقة •

ان ادراك مكمن الخطر هو السبيل الى تجنبه • والوعي بالمخطط الاستعماري يقتضي مزيدا من التضامن والوحدة بين القوى الثورية التقدمية• لدحر المؤامرات الامبريالية • يجب ان يحتل التناقض مع الاستعمار موضعه •• في المقدمة واي خلافات فكرية بين القوى الوطنية مجالها الحوار • والنقاش البناء داخل اطار التحالف • والا يسمح لابواق الرجعية وعملاء الاستعمار بالحرية في الدس والوقيعة •

ان العداء لاحدى القوى الثورية للتحالف الوطني هو عداء للثورة السودانية باعتبارها كيان واحد متكامل •• انه طعنة في الظهر تستهدف الشعب السوداني •ان الديمقراطية والحرية حق لقوى التحالف وحدها • وليس لاعداء الشعب واعوان الاستعمار •

ميشيل كامل

■ تركيـا

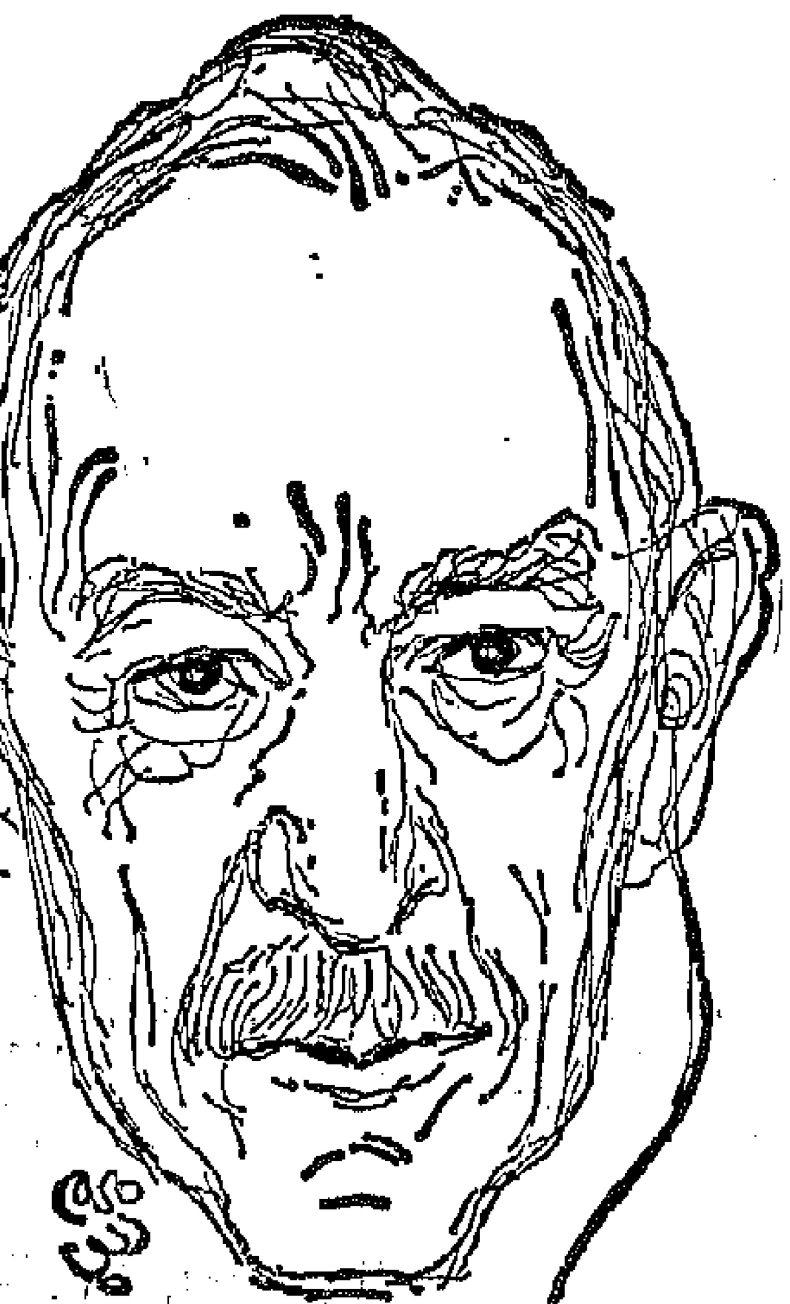
دلالة الانتخابات الاخيرة

في ١٢ من الشهر الماضي جرت في تركيا انتخابات الجمعية الوطنية التي كان اجراؤها ضروريا كما قال **سليمان ديميريل** رئيس الحكومة لاستعادة سمعة البرلمان في البلاد بعد أن تدهورت لدرجة فظيعة بين صفوف الشعب . وشهدت المعركة الانتخابية منافسة حادة بين الاحزاب الثمانية التي دخلت المعركة الانتخابية .. واهم تلك الاحزاب هو **حزب العدالة** الذي يتزعمه سليمان ديميريل والذي يحكم البلاد منذ انتخابات ١٩٦٥ وكان يتحكم في الجمعية الوطنية الاخيرة باغلبية ٣٥٧ مقعدا من مجموع مقاعدها البالغة ٤٥٠ مقعدا . ويعتبر **الحزب الجمهوري الشعبي** الذي يتزعمه **عصمت اينونو** اكبر احزاب المعارضة واقواها في الجمعية الوطنية وكان له فيها ١٣٣ مقعدا ، ثم يلي ذلك في الاهمية **حزب العمال التركي** باعتباره الحزب اليساري الذي يطالب بتصفية السيطرة الامريكية على تركيا وبانتهاج سياسة مستقلة وينادي بنوع من تطبيق الاشتراكية ويتزعمه عدد من القادة النقابيين وقد كان له في الجمعية الوطنية السابقة ١٥ مقعدا .

وقد اشترك في الانتخابات الاخيرة ثلاثة آلاف مرشح جرت بينهم معركة حادة حول المقاعد الـ ٤٥٠ للجمعية الوطنية . ورغم فوز حزب ديميريل بالاغلبية فان المعلقين السياسيين يصفون المعركة بأنها كانت اعنف معركة انتخابية شهدتها تركيا .

ويقدر عدد من ادلى باصواتهم في الانتخابات بحوالي ٦٠ في المائة من مجموع الناخبين الذين يزيد عددهم عن ١٤ مليونا . ويلاحظ ان نسبة من اشترك في الانتخابات الحالية اقل عنها في انتخابات ١٩٦٥ حيث كانت ٧١ في المائة . كما ان الشيء الملفت للنظر أن نسبة المقترعين في اسطنبول واطنة لم تزد عن ٤٥ في المائة من مجموع الناخبين .

وقد فاز حزب العدالة الحاكم (حزب ديميريل) باغلبية المقاعد وحصل على ٢٦٠ مقعدا من ٤٥٠ مقعدا . وصرح نائب رئيس الحزب بمجرد ظهور نتائج الانتخابات بقوله « نستطيع ان نعلن الآن ان حزبنا هو الحزب الحاكم مرة اخرى » . غير ان الحزب الجمهوري الشعبي الذي يتزعمه اينونو قد فاز بـ ١٤٥ مقعدا بعد أن كان له في الجمعية الوطنية السابقة ١٣٣ مقعدا ، مما يدل على ازدياد قوة المعارضة داخل البلاد . ويتهم اينونو حزب العدالة الحاكم « بسوء الادارة الاقتصادية وبتشجيع



عصمت اينونو

المضاربة وزيادة ديون تركيا الخارجية نتيجة لاغراقها في قروض لا جدوى منها وفشل الحكومة في التغلب على سوء حالة الفلاحين وحل المشاكل الاقتصادية المعقدة التي تواجه البلاد » .

ويعتبر حزب العدالة الحاكم والذي فاز بالاغلبية امتداد **للحزب الديمقراطي** الذي كان يتزعمه عدنان مندريس وجلال بايار وغيرهم من الساسة اليمينيين قد قامت حركة الانقلاب التي تزعمها **جمال جورسيل** عام ١٩٦٠ بغرض القضاء على الديمقراطيين ولكنها في نفس الوقت ارتكبت ابشع انواع الارهاب وضربت عرض الحائط بكل القواعد الدستورية في البلاد .

ويتمتع حزب العدالة بنفوذ واسع وسط الديمقراطيين ، بل ويعتمد على من تبقى من عناصرهم في الحصول على اغلبية كبيرة داخل الجمعية الوطنية . ويحاول الحزب حصر موجة الحركة الديمقراطية المتعاظمة في تركيا .

وقد طرحت المشكلة امام الجمعية الوطنية في العام الماضي بغرض اصدار قانون باعادة الحقوق

السياسية لاعضاء الحزب وايدت المعارضة مشروع القانون فى محاولة لشق صفوف حزب العدالة واضعاف اغلبيته فى الجمعية الوطنية • وطرحت المعارضة المشكلة مرة اخرى فى المعركة الانتخابية وعندما سئل ديميريل خلال الانتخابات عن موقفه قال « ان احداث ١٩٦٠ ادت الى فقدان الثقة واضرت ضررا بالغا بفكرة الديموقراطية فى تركيا ويجب ان يقضى على ذلك » • وقال « ان حزب العدالة سيسعى من اجل اعادة الحقوق السياسية لكل من اضيروا فى محاكمات ١٩٦١ • ان اثر احداث ١٩٦١ يجب ان تزال من عقول الشعب • فلقد كانت اعمالا لا تمت للعدالة بالدرجة الاولى » •

وكان ديميريل يأمل فى الحصول على اغلبية الثلثين فى الانتخابات الحالية ليقوم كما تقول **التايمز** اللندنية باجراء الاصلاحات الدستوريه التى يطالب بها والتى تتضمن احكام قبضته على البرلمان ومؤسسات الدولة والقضاء خوفا من امتداد واتساع نفوذ المعارضة والقوى الديموقراطية فى البلاد » • وقال ديميريل « ان المعركة الانتخابية الحالية يمكن ان تؤدى الى خنق او اضعاف الديموقراطية فى تركيا اذا ما وزعت الاصوات بين الاحزاب الصغيرة او بين المستقلين لانه عندئذ لن نتمكن من اقامة برلمان مستقر او حكومة مستقرة فى تركيا » •

ويرى معظم المعلقين السياسيين انه رغم فوز ديميريل بالاغلبية فان نتيجة الانتخابات الاخيرة جاءت مخيبة لاماله لاشتداد ساعد المعارضة والقوى الديموقراطية داخل البلاد •

■ ■

■ **ايرلندا**

حصاد أربعة قرون ونصف من السيطرة البريطانية

أعلنت وزارة الخارجية البريطانية انها ابلغت قيادة حلف الاطلنطى فى المانيا الغربيةانها قد تضطر لسحب بعض قواتها العاملة فى المانيا الغربية بشكل مؤقت ، وصرحت مصادر وزارة الخارجية البريطانية أن هذا الاجراء اتخذ عقب ما أعلنه **دنيس هيلى** وزير الدفاع البريطانى من أن الاضطرابات فى ايرلندا قد تستمر لعدة سنوات •

وقد عقب احد المراقبين بقوله : « ان توقع هيلى صحيح مائة فى المائة ، فالمشكلة الايرلندية الموغلة فى تاريخ بريطانيا القديم ستتعمق كثيرا فى مستقبلها » •

لقد استولى الاقطاعيون البريطانيون على الجزيرة الصغيرة المجاورة لبريطانيا منذ عام ١٥٢٢ ، وبذلوا كل ما فى وسعهم لاجبار اغلب سكان الجزء الشمالى من الجزيرة وكانوا من الكاثوليك على هجرة أراضيهم والنزوح الى الجنوب ، بينما حل مكانهم جماعات من المهاجرين البريطانيين من البروتستانت الذين منحتهم حكومات بريطانيا المتوالية حقوق تمييز وسيطرة على غيرهم من السكان • ومنذ ذلك الحين وتبنى سياسات الحكام البريطانيين ، بسياستها التقليدية فى « فرق تسد » ، جدارا مرتفعا بين الكاثوليك والبروتستانت من سكان ايرلندا ، ولقد أمكنها بالفعل جنى ثمار هذه السياسة فى اثناء ثورة **ديفاليرا** عام ١٩١٩ اذ نجحت فى تقسيم الجزيرة الى جنوب جمهورى مستقل ، وشمال خاضع للسيطرة البريطانية استمرت فيه اوضاع التمييز والفرقة بين البروتستانت والكاثوليك •• بينما واصلت جمهورية ايرلندا فى الجنوب المطالبة بوحدة الجزيرة فى ظل الاستقلال والمساواة وهو ما رفضه البروتستانت باصرار خشية أن يتحولوا الى اقلية فى الدولة الموحدة •

ولقد ظلت المشكلة الايرلندية مشكلة متفجرة دوما ، ولا تخبو الاضطرابات فى **بلفاست** عاصمة ايرلندا الشمالية الا لتنفجر منجديد ،ووصلت الى الهجمات المسلحة وتفجيرات القنابل الدائمة فى قلب العاصمة •

وفى أوائل العام الحالى حاول **كابتن أونيل** الذى ترأس وزارة ايرلندا ان يضع فى التطبيق برنامجا اصلاحيا يهدف الى تخفيف مظاهر التمييز الطائفى بين البروتستانت والكاثوليك فووجه باضطرابات عنيفة غذتها بريطانيا واستغلتها لارسال قواتها الى الجزيرة التى وصل عددها الآن ٨ آلاف جندى •

وحوالى منتصف سبتمبر الماضى عاشت بلفاست اسوأ ليلة فى تاريخها حيثتجددتالاضطرابات الطائفية بعنف شديد عندما حاول آلاف

البروتستانت مهاجمة الحى الكاثوليكى وهاجموا القوات البريطانية التى حاولت التصدى لهم لاول مرة منذ وصولها الى عاصمة ايرلندا الشمالية • وسقط عشرات القتلى والجرحى وسارعت فرق رجال المظلات البريطانية الملقبين «بالشياطين الحمر» الى التدفق على الجزيرة .

لقد جاءت اضطرابات ايرلندا لتذكر احزاب بريطانيا الثلاث التى عقدت مؤتمراتها اخيرا فى برايتون انهم قد حافظوا على الهدوء النسبى فى مؤتمراتهم على حساب تجاهل المشاكل المتاججة •

ولقد كانت حجة بريطانيا طوال اربعة قرون ونصف القرن ، انها تحكم الجزيرة بغرض تنمية الحضارة فيها ، وبعد اربعة قرون ونصف مازالت ايرلندا مقسمة ومن اكثر مناطق اوروبا الغربية تخلفا صناعيا ، ومازالت تسودها الفرقة والاضطرابات الطائفية •

■ ■

■ الولايات المتحدة الامريكية

الاختيار الصعب : سلام فى فتنام •• أم أزمة فى أمريكا ؟

يعتقد المراقبون السياسيون — بما فيهم الامريكيون — ان حكومة الرئيس الامريكى **نيكسون** ، سوف تواجه « شتاء باردا طويلا » بعد « يوم الاحتجاج » الذى نظمه الشعب الامريكى فى ١٥ أكتوبر الماضى • ويتخذ المراقبون من هذا اليوم ، دليلا على أن هناك انهيارا عاما فى الثقة بنيكسون • اذ يبدو أن مجموعة كبيرة من الامريكيين قد قررت فى آن واحد أنه رئيس سيء مثل الصورة التى كانوا يخشون دائما أن يكون عليها • وتقول صحيفة **نيوريبيبليك** الامريكية أن هذا « المزاج » الذى عم واشنطن يوم الاحتجاج « لا يبشر بالخير بالنسبة للرئيس نيكسون » •

ويعد « يوم الاحتجاج » ، اول اختبار لمحاولة نيكسون ايجاد مخرج من الحرب الفيتنامية بالتراجع عنها • وقد حاول نيكسون أن يسترضى الامريكيين بشأن « مشكلة فيتنام » باتباع أسلوبين متوازيين : **أولا** : ان يتحدث عن المشكلة كما لو كان قد غير السياسات التى أدت بالولايات المتحدة الى حرب فيتنام ، فى حين يسلك فى الواقع مسلكا يدل على أنه لايزال مخلصا لهذه السياسات . **ثانيا** : العمل على ما اصطلح على تسميته « **بفتنمة** » الحرب • ولكن مرور تسعة أشهر — هم عمر نيكسون فى الحكم — تعد فترة كافية لان يكتشف الامريكيون ان « السياسة الجديدة » ليست الا مجرد « خداع » • ولم يعد أمام نيكسون سوى أن يعلن عن سحب « عدد متواضع » من القوات الامريكية من فيتنام فى كل مرة يشعر فيها بأن عدد مؤيدى الحرب بدأ يتضاءل • وجدير بالذكر أن الحكومة الثورية المؤقتة لجبهة تحرير فيتنام الجنوبية قد أكدت أكثر من مرة أن نيكسون يسحب بعض القوات علنا ليبعث بعدد آخر مماثل سرا وفى النهاية يقوم بتغيير القوات لا سحبها •

وقد تقدمت بفكرة تنظيم « يوم الاحتجاج » ، منظمات الطلبة وبخاصة اتحاد الطلبة اليسارى الامريكى ، وأيدها الرأى العام فى البلاد • وتقضى الفكرة بالتظاهر العام أمام الاجهزة الامريكية المسئولة للاحتجاج على سياسة الحرب فى فيتنام والتى تؤدى الى قتل الجنود الامريكيين • فان اصرت الحكومة على ادعاء العمى والصمم بعد ١٥ أكتوبر (يوم الاحتجاج) ، يقام الاحتجاج لمدة يومين فى شهر نوفمبر وتتصاعد موجة الاحتجاج كلما أصرت الحكومة الامريكية على موقفها •

وينقسم الرأى العام الامريكى — بشأن مشكلة فيتنام — الى ثلاثة اقسام : قسم مؤيد للحرب وقسم معارض وقسم ثالث يتردد بين المعارضة والتأييد • وفى رأى هؤلاء المعلقين ، أن نشاط المعارضة الواسع هذا ، يهدف الى كسب قطاعات جديدة من الرأى العام المتردد أو اللامبالى ، الى جانب المعارضة •

على ان هناك مراقبين اخرين ، يرون ان هناك أكثر من مجموعة واتجاه تعمل داخل اطار معارضة سياسة الحرب فى فيتنام • فمنها مجموعة الديمقراطيين (من الحزب الديمقراطى) الذين بدأ حزبهم نفسه الحرب ، ولكنهم يسعون الى « ركوب الموجة » لاهداف حزبية تأخذ فى الاعتبار انتخابات الرئاسة القادمة • وهناك مجموعة من الاحتكارات



أفريل هاريمان

غير العاملة فى ميدان التسليح والتى ترى فى استمرار الحرب خطرا على تطور مصالحها ، والى جانب هؤلاء وهؤلاء ، قطاعات اخرى من الطلبة والشباب اساسا ، ومن اساتذة الجامعات ورجال الفكر ومن الزنوج الامريكيين والجماعات الدينية ، ويرى بعض المعلقين للشئون الامريكية ، أن المسألة الاكثر أهمية ، هى أن « القضية الفيتنامية » قد تجاوزت اليوم نطاق النزاعات الحزبية ، وأصبحت مشكلة وطنية عامة لايمكن لاى حكومة امريكية ان تغفلها ٠

ومن المعروف أن عددا من الشخصيات السياسية الهامة فى أمريكا قد شاركت فى هذه المظاهرات سواء بالسير فيها او باعلان تأييدها ٠ ومن أبرز هؤلاء **أفريل هاريمان** رئيس الوفد الامريكى فى مباحثات باريس بشأن فيتنام ، وادوارد كيندى ويوجين ماكارثى وليند ساى عمدة نيويورك ٠

والملاحظ ان هناك اتجاها واضحا داخل المعارضة ، يخشى ان تتحول حركة مناهضة حرب فيتنام الى قضية حزبية ٠ ويعتقد أن ذلك سوف يضعف الحركة ٠ ويرى هذا الاتجاه أن الاعتماد على الاجنحة الحزبية المعارضة داخل الكونجرس ــ مثلا ــ لا يمكن أن يؤدى الى تغيير فى سياسة الحكومة نظرا لطبيعة النظام الامريكى الذى لا يقترع فيه على الثقة فى الحكومة ٠ وكل ما يستطيعه الكونجرس هو عدم الموافقة على ما يطلبه نيكسون من اعتمادات للحرب ٠ ولكن الكونجرس غير مستعد لان يسلك هذا الطريق ٠

والواقع أن مظاهرات « يوم الاحتجاج » لم تقتصر على المدن الأمريكية وحدها ، بل شهدتها عواصم أخرى فى أوربا بل وفى **سايجون** عاصمة فيتنام الجنوبية ، وحيث مقر الحكومة الموالية لامريكا ٠ ففى سايجون نظم ٥٠ أمريكيا مدنيا يعملون فى فيتنام الجنوبية ، مظاهرة أمام السفارة الامريكية وسلموا السفير بيانا طالبوا فيه بانسحاب « كافة القوات الامريكية من فيتنام » ٠

ومن الجدير بالذكر أن المسئولين الامريكيين وعلى رأسهم نيكسون ، قد أعربوا عن أن كل الاعمال المناهضة لسياسة الحرب فى فيتنام « لن تؤثر على الحكومة بأية طريقة » ٠ وأصبح نيكسون يعتمد الى حد كبير على «لعبة» الاعلان بين وقت وآخر عن سحب قوات أمريكية جديدة ٠

ويبقى سؤال هام أمام نيكسون يتعلق بما اذا كان المعدل الذى يجعل لهذا الانسحاب معنى عسكريا فى فيتنام ، يمكن أن يسير فى خط متواز مع المعدل الذى يصبح فيه هذا الانسحاب ضروريا لاسباب سياسية فى الداخل ٠٠ أم لا ؟

■ ■

■ **اليابان**

القوى الديمقراطية تواجه محاولة دعم العسكرية اليابانية

شهدت اليابان فى الآونة الاخيرة موجة عارمة من المظاهرات ضمت اكثر من ١٠٠ الف متظاهر فى اكثر من مدينةيابانيةاحتجاجا على نية تجديد ما يسمى باتفاقية الامن المتبادل مع الولايات المتحدة الامريكية ٠

والواقع أن نضال القوى الديمقراطية فى اليابان فى الوقت الحاضر يتجه فى الاساس ضد السياسة الرامية الى دعم العسكرية اليابانية فى تحالف مع الولايات المتحدة الامريكية ٠

لقد اعلنت الحكومة اليابانية فى اوائل اكتوبر الماضى مضاعفتها لمصروفاتها العسكرية ، وطالبت بامتلاك الاسلحة النووية ، كما صرح رئيس الوزراء اليابانى أن اليابان سوف تسمح للولايات المتحدة باستخدام جزيرة **اوكيناوا** فى أعمالها العسكرية حتى بعد تسليم الجزيرة لليابان ٠

ومن جانب آخر اعلن **تومومى ناريتا** رئيس الحزب الاشتراكى اليابانى المعارض فى اجتماع للحزب فى ١٢ اكتوبر « ان الاستعماريين اليابانى والامريكى هما العدو المشترك لشعوب العالم »

وقال ان المؤسسة العسكرية اليابانية باعتبارها القوة الاستعمارية الوحيدة في أسيا تحاول تنفيذ سياسة الاستعمار الجديد في المنطقة •

ويشير المراقبون الى أن خطة دعم العسكرية اليابانية هي من أوائل النتائج التي تسفر عنها رحلة الرئيس الامريكي **نيكسون** الى الشرق الاقصى • فالولايات المتحدة تقدر أن انسحابها — الذي أصبح في حكم المؤكد — من فيتنام سيعنى انسحابا من جنوب شرق آسيا كله ، ولا يخفى المراقبون الامريكيون ذلك مشيرين الى تجربة انسحاب فرنسا من فيتنام في الماضي . وطبقا لاستراتيجية « **الحرب الخاصة** » تحاول الولايات المتحدة ان تستبدل قوتها هي بقوة آسيوية ضارية

تعليق

جيفارا : أو لحظة الاختيار

في التاسع من اكتوبر ١٩٦٧ ، استشهد على أرض بوليفيا قائد ثورى من ابرز مناضلي عصرنا : ارنستو تشي جيفارا .

وقد عرف العالم اذ ذاك ان جلادى جيفارا قد اودعوا جسده سبع رصاصات ، بالاضافة الى رصاصتين كان قد أصيب بهما قبل ان يقع اسيرا في ايدى اعدائه . ولقد بدا اسلوب الاغتيال منحطا ومسفا ، كما لو ان الجلادين قد ارادوا أن يقتلوا جيفارا اكثر من مرة ، وان يذيقوه الموت اضعافا مضاعفة . ولكن لما كان الانسان لا يموت غير مرة واحدة فان مباراة القتلة في اطلاق الرصاص على جسد الشهيد قد كشفت في واقع الامر عن هذا الموقف التقليدى لاعداء الشعوب : موقف الفزع والذعر الذى لا ضابط له من المثل الحي الذى اعطاه جيفارا .

ذلك أن عصرنا الذى يشهد احتضار الرأسمالية وسقوط الاستعمار ، ويرى ان الامبريالية وهي تغرب تقاتل بكل ضراوة لتجر البشرية معها الى الهاوية التي تسير اليها — نقول ان عصرنا هذا بكل صراعاته وتناقضاته الحادة والمريرة لا يمكن الا ان يكون عصر الاختيارات الحاسمة . وعلى ضوء هذه الاختيارات يتحدد سلم القيم ، وعلى ضوئها نقول ان هناك مواقف اخلاقية للثوريين ، ومواقف اخلاقية مناقضة لاعداء الثورة والتقدم .

اما جيفارا الذى كان ينتمي اجتماعيا الى المثقفين ، فقد واجه الاختيار بعد ان اصبح طبيبا . كان عليه أن يختار بين أن يعيش في دعة وهدوء وبين أن ينخرط في مجرى الحركة الثورية التي تاق امريكا اللاتينية واختار جيفارا الثورة ، وضحى بعلاقاته العائلية .. واذا كان هذا قد حدث في وقت مبكر



— وقبل ان يذهب الى كوبا — فقد تكرر نفس الموقف عند ما غادر كوبا الى بوليفيا . فكتب الى كاسترو في ١٩٦٥ يقول :

« واني لم احزن لاني لم اترك لزوجتي واولادى أى شيء مادى . على اني مسرور لهذا ، ولا اطلب لهم أى شيء » ..

وعندما وضع يده في يد كاسترو لتحرير كوبا واجه جيفارا مرة اخرى هذا الاختيار : أن يبقى في مناصبه الحزبية والحكومية الرفيعة ، او ان يعود مرة اخرى — الى امريكا اللاتينية التي لم تتحرر بعد — وحسم جيفارا الموقف ورحل الى بوليفيا .

وعندما وقع في الاسر واجه المثل الثورى في شخص جيفارا هذه اللحظة الدرامية المكثفة : هل يذعن ويظهر الخضوع لاعدائه طمعا في معاملة اقل قسوة أم يوجه لطماته الجسورة الى وجه جلاديه : ونحن نعلم جميعا ما حدث : فعندما حاول أحد الضباط ان يهزأ منه ركله جيفارا برجله ركلة القت به على الارض . وعندما حاول ضابط كبير هو الاميرال « هوجاريتشي » ان يحمله على الكلام بصق جيفارا في وجهه . ودفع جيفارا الثمن ، وقدم ما كان يسميه : « هذا الشيء القليل الذى نستطيع تقديمه : حياتنا وتضحياتنا » .

فاذا حدث بعد ذلك أن وضعت افكار جيفارا ونظرياته موضع البحث والنقاش . واذا حدث ان ثارت خلافات بين الثوريين حولها ، فان الثوريين — مهما تباينت آراؤهم — لن يختلفوا على أن جيفارا قد ترك للبشرية قوة المثل واهمية القدوة ، ولسوف يبقى على الدوام في تراث الادب الثورى هذا الشيء الذى يمكن أن نسميه « اللحظة الجيفارية » او الخطة الاختيارية .

هنا يتاكد الكلام عن القيم والاخلاقيات الثورية كامتداد طبيعي وازدهار متجدد للقيم التي طالما احتفت الانسانية بها ، في اساطيرها وادبها وفلسفتها . هنا نتذكر على الفور موقف بروميثيوس عندما خالف الالهة وكشف سر النار للانسان رغم ما ناله من عذابه . ونتذكر انيتجونا في مسرحية سوفوكليس عندما ثارت على القوانين الوضعية الجائرة . ونتذكر سقراط عندما أصر على ان يناقش بمنهج الشك اوضاعا احيطت بقداسة مزعومة وفضل في النهاية أن يشرب كاس السم على أن يساوم على ماراه حقا .

أن كل هذا نتذكره ، ونحن نستعيد قضية استشهاد جيفارا ، ثم نتذكر ان قضية الموقف الاخلاقي للثوريين بوجه عام — لا تنفصل لحظة عن الموقف النضالي العام من قضية القضايا في عصرنا : قضة تصفية الامبريالية وقبر الراسمالية . وهذا ما عبر عنه جيفارا بقوله : « أن عملنا برمته هو صرخة الحرب ضد الامبريالية ، ودعوة تتردد الى الشعوب لكى تتحد ضد عدد الجنس البشرى : الولايات المتحدة في امريكا الشمالية » .

« الطليعة »

تتصدى بدعم منها لمد الحركة الثورية فى المنطقة دون أن تتورط هى بشكل مباشر فى اكثر من فيتنام ، ويقدر الامريكيون ان العسكرية اليابانية هى اصلح من يقوم بهذا الدور .

والخطة الامريكية — اليابانية ليست بالجديدة، فهى نفسها خطة الاعتماد على اسرائيل فى الشرق الاوسط وعلى المانيا الغربية فى أوروبا . الا أن كثيرا من المراقبين يشكون فى امكانية تحقيق هذه الخطة لاهدافها نظرا لقوة الحركة السلامية فى اليابان من ناحية ونظرا لان امريكا تندفع اليها فى وقت هى أضعف ما تكون فيه هيبة ونفوذا فى اليابان والشرق الاقصى .

■ ■

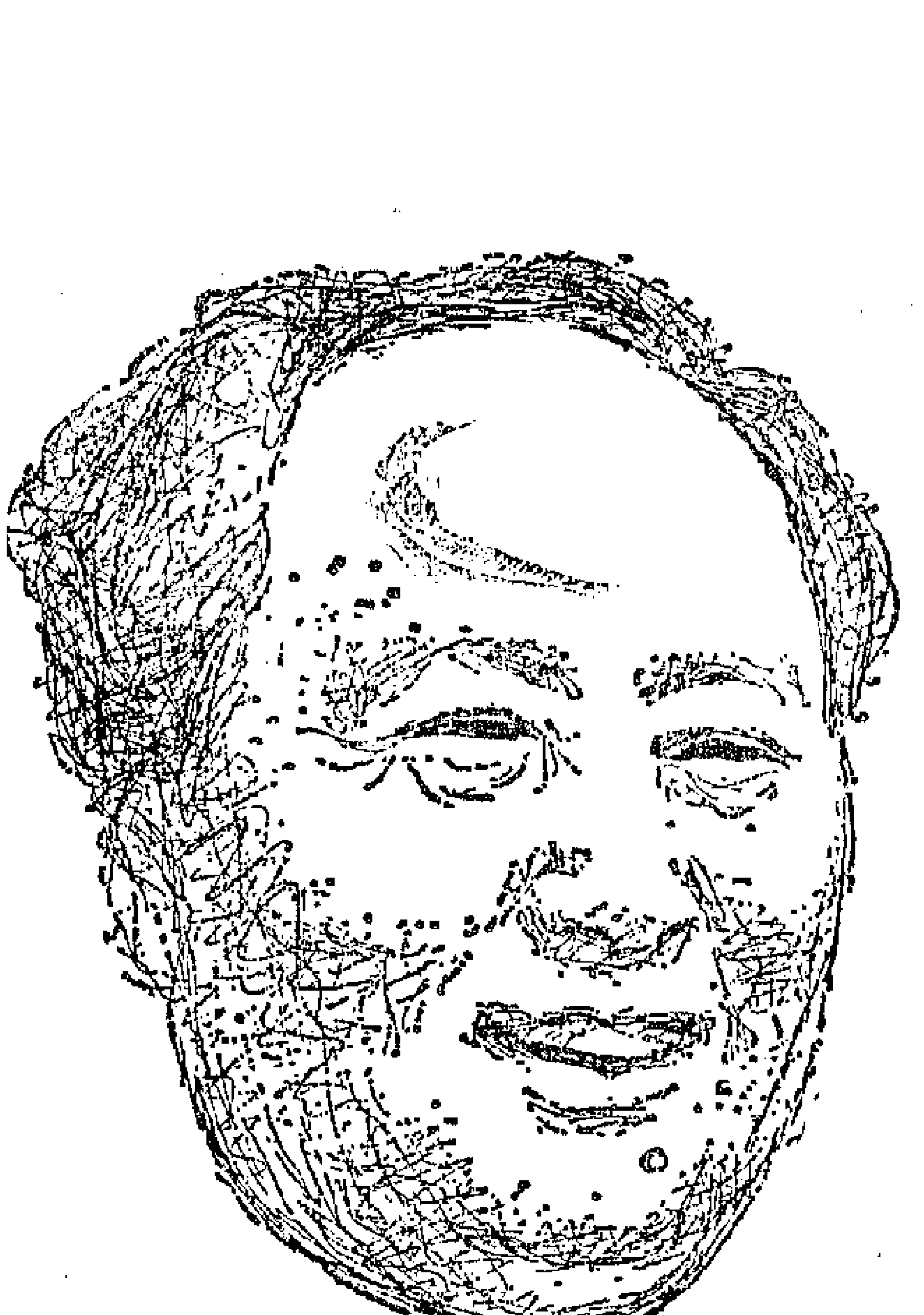
■ **الصين**

المباحثات السوفيتية الصينية : هــــل تنبىء بجـــديد ؟

يأتى **افتتــاح المباحثات بين الاتحــاد السوفيتى والصــين** ، بعد زيارة كوسيجين المفاجئة الى بكين فى يوم ١١ سبتمبر الماضى ، والتقائه طوال ست ساعات مع **شوأين لاى** فى مطار العاصمة الصينية ، — وهو فى طريق عودته من هانوى عقب مشاركته فى تشييع جنازة الزعيم الراحل هوشى منه **تاكيــدا لان الدولتين لم تجــدا مناصــا من ضرورة الالتقاء ، تداركا لاخطار محدقة كانت تهدد بتصادم واسع على الحدود ، يرجع أسبابها الى عوامل عديدة .**

وتتواتر المعلومات التى تؤكد أكثر من حقيقة :

● كان الصدام العنيف الذى وقع فى جزيرة **دامانسكى** على نهر أوسورى فى مارس الماضى — ورددت الانباء أن عدد ضحاياه بلغ ما يقرب من ٥٠٠ صينى مقابل ٥٠ سوفيتيا — وكذلك الصدام الذى أعقبه فى أغسطس على حدود منطقة **سيكيانج** (حيث القواعد النووية الصينية) وقرب حدود **كازاخستان** السوفيتية ، حدثان جاءا تتويجا لعدد لا حصر له من الاصطدامات الصغيرة على طول مناطق الحدود التى تتجاوز ٦٨٠٠ ميل طوال



ماوتسى تونج

السنوات الأخيرة ، وخاصة فى المناطق المختلف عليها ، التى يؤمن كل طرف بأنها جزء من أرضه .

● مصدر هذه الاحتكاكات التى **تصاعدت تدريجيا** ، حتى بلغت فى الصدامين الكبيرين المذكورين حدا خطيرا يهدد بمضاعفات يصعب تدارك عواقبها ، جاء نتيجة تدهور العلاقات بين البلدين الى حد انعدام الثقة تماما بينهما ، وانقطاع كل شكل من أشكال التعامل — لا كما يجسد ذلك تبادل الاتهامات **الايديولوجية والسياسية** فحسب — بل حتى بانزواء التبادل التجارى كلية تقريبا ، وقد هبط من الفى مليون دولار فى ١٩٥٩ الى ٤٠٠ مليون دولار فى ١٩٦٥، الى ١٠٧ ملايين دولار فى ١٩٦٧ ، وهو رقم لا يستحق الذكر بالمقارنة الى حجم البلدين ، وفرص التعامل بينهما .

لذلك أصبح الالحاح أمام القيادة السوفيتية أكثر من اى وقت مضى لمواجهة هذا الخطر الداهم . ومــن الواضــح ان هـــذا الخطــر أتى بأثره فى الزام الصــين باعــادة النظــر فى خطهــا السابق . لكن ، أيضا من الخطأ تصور أن هذا التغيير ناجم عن عوامل خارجية ، اذ لاشك أن الاوضاع الداخلية فى الصين هى المحرك الرئيسى للتطورات التى اتسمت بها سياستها ازاء العالم الخارجى . فرغم كل الصــعوبات الاقتصــادية

والمشكلات التى ترتبت عليها ، فلا يمكن انكار أن الصين حققت تقدما اقتصاديا ، ودخولها « النادى الذرى » دليل على أنها حققت مستوى رفيعا من التقدم الفنى . هذا بالاضافة الى استقرار وبروز دور الدولة . كان لابد لكل هذه العوامل مجتمعة ان تدعم خط « الاعتدال » والمواجهه الواقعية للمشكلات العالميه .

كانت الخطوة الاولى تتمثل فى قبولها المبادرة السوفيتية باجراء المحادثات ، ووجدت بعد ذلك أكثر من تعبير :

● فقد أصدرت حكومة الصين بيانا فى ٦ أكتوبر ، تضمن موقفها فى المباحثات المنتظر اجراؤها حول الحدود . وينطوى هذا البيان على تراجعات واضحة عن بيانها السابق الصادر فى ٢٤ مايو الماضى .

فمثلا ، يؤكد البيان الصينى الاخير أن معاهدات الحدود التى عقدها قياصرة روسيا مع أباطرة الصين فى القرن الماضى ، ليس مطلوبا من الاتحاد السوفيتى الاعتراف مسبقا بعدم تكافؤها قبل بدء اية مفاوضات . ويكتفى البيان — خلافا للسابق — بتأكيد أن هذه المعاهدات هى سبب التوتر الراهن . كما أبدت الصين استعدادها كى يسحب الطرفان قواتهما من المناطق « الساخنة » على الحدود ، وأن يمتنعا عن كل صدام لحين التوصل الى تسوية بالمباحثات للمشاكل المعلقة على الحدود .

● كذلك ، تم اتفاق حول الملاحة على نهر أوسورى وغيره من الانهار على الحدود .

● كما استؤنفت المباحثات التجارية بين البلدين بمفاوضات بدأ يجريها المستشار التجارى الصينى فى موسكو .

● وقد لاحظ عدد من المراقبين ان الصين قد كشفت فى الفترة الاخيرة عن أكثر من مؤشر يؤكد اتجاها نحو « الاعتدال » بالمقارنة الى مواقف سابقة .

● فقد لوحظ موقف اكثر ايجابية من عضوية الامم المتحدة ، والاهتمام بالتمثيل الدبلوماسى فى الخارج ، فأشار لين بياو وشواين لاى فى خطبهما فى الاحتفالات بعيد الثورة فى يوم اول اكتوبر ، الى التعايش السلمى مع دول أخرى . كما لوحظ أن هذا التأكيد على انتهاج سياسة اكثر « علمية » وأكثر « مرونة » ، صاحبته زيادة ملحوظة فى النشاط الرسمى والعام الذى يمارسه شواين لاى ، وقد اشتهر دائما بحنكته كسياسى لا تقيده الصياغات ، كما لوحظ ذكر اسمه فى احتفالات الثوره بوصفه الشخصية الثالثة فى قائمة قادة الصين بعد ان صدر قرار سابق بقصر مقدمة القائمه على اسمين فقط ، هما ماوتسى تونج ولين بياو وتاتى اسماء اعضاء الرياسة الاخرين بالترتيب الابجدى الصينى .

■ ■

■ **تشيكوسلوفاكيا**

مرحلة جديدة فى تشيكوسلوفاكيا

كان اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى فى منتصف شهر اكتوبر الماضى فاصلا فى انهاء مرحلة ، وبدء مرحلة جديدة ، يجسد ها توازن جديد داخل الهيئات القيادية .

وجاء التعبير عن الخط السياسى الذى استقرت عليه الهيئات القيادية فى الحزب والحكومة فى بيان أصدرته الحكومة وتضمنت عددا من النقاط الهامة أبرزها :

● يلتزم الحزب بالمنهج الطبقى فى علاجه لكافة المشاكل ، ويتمسك بالمبادىء التى تضمنها تصريح براتيسلافا فى بداية اغسطس ١٩٦٨ ، والوثائق الصادرة فى مؤتمر موسكو للاحزاب الشيوعية فى يونيو ١٩٦٩ .

● يعتبر الحزب ان الدفاع عن الانجازات الاشتراكية ، وتدعيم وتطوير التعاون المتبادل مع جماعة الدول الاشتراكية ، وتأكيد الوحدة معها ، هو المهمة الاممية الاولى التى تواجه جميع الدول الاشتراكية . ولذلك يكمن مفتاح الموقف فى اعادة الثقة تماما الى العلاقات الاخوية بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتى وبقية الدول الاشتراكية . وينبغى العمل بانتظام وهمة لتذليل كافة العقبات التى مازالت تعترض التطوير الكلى لهذه العلاقات .

● يبدأ الحزب والحكومة من منطلق انه الدافع وراء وصول القوات الحليفة فى أغسطس ١٩٦٨ هو قلق مشروع من جانب الدول الشقيقة على مصير تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية . ولذلك ، ليس هناك مجال — بحال — لتشخيص هذا العمل على أنه « عدوان » أو « احتلال » للارض التشيكية .

● هناك أكثر من دليل على انجاز تقدم محسوس فى اتجاه اعادة الامور الى حالتها

الطبيعية ، وتطوير العلاقات مع الحلفاء ، بخاصة بعد دورة اجتماعات ابريل ـ مايو ١٩٦٩ للجنة المركزية •

● هناك ضرورة لدعم حلف وارسو ، وفى نفس الوقت تحرص تشيكوسلوفاكيا على التعايش السلمى كأساس لعلاقاتها مع الغرب ، وعلى تنقية المناخ السياسى فى اوروبا ، وتصفية مخلفات الحرب الباردة ، وتدعيم أمن وسلام القارة الاوروبية •

وتسجل الحكومة ـ بأسف ـ استخدام الدول الاستعمارية انجازات الثقافة والعلم الحديث لاغراق التسرب الايديولوجى ، التى تستهدف قلب النظم الاشتراكية بدلا من تكريسها من أجل تنمية علاقات مثمرة فى اطار التعايش السلمى • ومن هنا تبرز أهمية ، تأكيد مزايا النظام الاشتراكى بتحقيق مستوى أعلى فى قطاعات الثقافة والعلم ، والتكنولوجيا الاشتراكية •

● تؤكد حكومة تشيكوسلوفاكيا تأييدها الكلى لشعب فيتنام ونضاله ، وتساند دون تحفظ الوثائق التى تقدمت بها جمهورية فيتنام الديموقراطية والحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام ، كأساس للتوصل الى سلام على أسس سليمة • كما ستواصل تشيكوسلوفاكيا تشجيعها لحل سياسى لازمة الشرق الاوسط التى يسببها عدوان اسرائيل ، وفقا لما نص عليه قرار مجلس الامن فى نوفمبر ١٩٦٧ •

وكان هوساك قد حل محل دوبتشيك فى مركز السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى دورة اجتماعات ابريل ١٩٦٩ للجنة المركزية ـ واحتفظ وقتذاك دوبتشيك بعضوية هيئة رياسة الحزب ، كما حل محل جوزيف سمر كوفسكى فى رياسة البرلمان الاتحادى •وقد قدم دوبتشيك فى دورة اجتماعات اكتوبر استقالته من رياسة البرلمان الاتحادى بعد أن قدم استقالته من هيئة رياسة الحزب ، ذلك دون تخليه ـ هو وسمركوفسكى

تعليق

« العبث الفكرى » •• وتثقيف الجماهير

لايزال ما يمكن تسميته « بالعبث » يسود برامج الدراسة التى تقدم للعمال فى الدورات التثقيفية التى تنظمها المؤسسات والنقابات • حيث يقدم لهم « انواع رديئة ومشوشة » من المعرفة بينما يحرمون من التثقيف الاشتراكى الحقيقى •

ولعل مايقدم فى الدورة التى تنظمها مؤسسة النقل البرى ، يعد نموذجا لذلك اذ تستهل الدورة بمحاضرة عن الاشتراكية تفيض بالتشويش الذى يتبدى ـ بشكل بارز ـ فى الآتى :

● ترى المحاضرة ان فلسفة كارل ماركس ، جعلت من الصراع الطبقى ، ضرورة لامناص منها ، وتقيم النظام الاجتماعى على اساس هذا الصراع • وترى المحاضرة ايضا ان « اشتراكيتنا العربية » تنفى فكرة الصراع الطبقى »

تقول المحاضرة هذا ، بينما يقول الميثاق « •• والصراع الحتمى بين الطبقات ، لايمكن تجاهله او انكاره » كما يضيف الميثاق « وضراوة الصراع الطبقى ودمويته والاخطار الهائلة التى يمكن ان تحدث نتيجة لذلك ، هى فى الواقع من صنع الرجعية » • ثم يقول الميثاق « ان ازالة التصادم الطبقى الناشىء عن المصالح التى لايمكن ان تتلاقى على الاطلاق بين الذين فرضوا الاستغلال وبين الذين اعتصرهم الاستغلال»

● وتقول المحاضرة بوجود «اشتراكيات » كثيرة • الا يترتب على ذلك مفهوم يتضمن ان نصادق ونعترف بالاحزاب التى تدعى الاشتراكية فى حين انها تخدم المصالح الامبريالية مثل حزب العمال فى بريطانيا ،وحزب جى موليه فى فرنسا وحزب المابام فى اسرائيل ؟

● وتبرز المحاضرة ان النظام الراسمالى بدأ « يطور نفسه ويأخذ بالاساليب الاشتراكية ذاتها » •وتلك ـ فى رأيى ـ خير دعاية لفكرة «الرأسمالية الشعبية» و«دولة الرفاهية» و « المجتمع العظيم » التى تروج لها الامبريالية الامريكية بالذات •

● تعود المحاضرة الى مقولة « الاشتراكية العربية » ، بالرغم من ان الميثاق قد اوضح ان « الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم » ومن ثم ، فهذه المقولة خاطئة حيث لايوجد الامايسمى « بالتطبيق العربى للاشتراكية » •

ان امثلة هذا «العبث الفكرى» بالامانة العلمية والسياسية التى تمارسه الشخصيات الادارية فى قطاع تثقيف جماهير العمال ، تتطلب ضرورة التصدى لها فكريا ، لتصفية هذه الاتجاهات الخاطئة ، على ان يتم ذلك باسلوب المواجهة الفكرية فى ظل مناخ ديمقراطى عام يهيىء للجماهير تكشف هذه الاخطاء وفضحها •

عطية الصيرفى
العامل بالنقل البرى

وبعض القادة الاخرين لمرحلة ما بعد يناير عن مقاعدهم البرلمانية •

وقبل الدورة الاخيرة للجنة المركزية ، قدمت وزارة اندريش شيرنيك استقالتها ، واعيد تشكيل الوزارة المركزية برياسة شيرنيك ، كما اعيد تشكيل وزارة الجمهورية التشيكية • ولكن بعد ادخال تعديلات كبيرة على العناصر المشكلة لهما •

وتجمع العناصر التى تحتل المراكز المسئولة فى هيئة رياسة الحزب والحكومة — على حد قول **الواس اندرا** ، سكرتير اللجنة المركزية الذى اتهم بأنه ظل خلال الفترة الماضية كلها من قادة « **الاتجاه المحافظ** » المناهض لاصلاحات ما بعد يناير — على أن القضية ليست بحال العودة الى عهد **نوفوتنى** • ويقول **اندرا** أن التغيير الذى طرأ فى يناير كان **ضروريا** ، بل ربما جاء متأخرا ، ولكن الخطأ يكمن فى عدم انتهاج سياسة منسقة فى الاصلاح • ولم يمهد له نظريا وعمليا ، وبدلا من سيطرة الحزب على عملية التغيير لجأت القيادة وقتذاك للحلول التوفيقية ، وتركت الامور على عواهنها لتسير حسب الضغوط التى أطلقتها القوى المعادية فى الداخل والخارج •

ولا تنتسب قيادة هوساك الراهنة الى مجموعة قادة الحزب التى وصفت بهذا الاتجاه المحافظ ، ولكنه اثبت خلال الفترة التى تولى فيها المسئولية الاولى فى الحزب ، قدرة مؤكدة على مواجهة الاتجاهات الليبرالية • واستطاع أن يدخل تعديلا واضحا على تركيب الهيئات القيادية • وقررت دورات اللجنة المركزية المتتالية استبعاد العناصر القيادية التى نهضت بدور ملحوظ فى الاستجابة للاتجاهات التى وصفت بالليبرالية ، وتنطوى على اتجاه معاد للاشتراكية • وكان للاضطرابات التى انفجرت بمناسبة مرور عام على دخول قوات حلف وارسو ، دور فى ابراز تجاوب بين هذه الاتجاهات المعادية للاشتراكية ، وتلك التى تبنت شعار دوبتشيك عن الاشتراكية التى تتسم بوجه انسانى » • وكان لهذا التطور دوره المؤكد فى زيادة الاستقطاب داخل الهيئات القيادية ، ووقف خلف التعديلات الاخيرة •

■ **الفضاء**

« الجديد » فى رحلات سويوز الى الفضاء

ان اطلاق ٣ سفن فضاء سوفييتية من طراز **سويوز** المتقدم وبداخلها ٧ رواد فضاء من الاطباء والمهندسين والطيارين وفى وقت واحد ، يدورون فى الفضاء حول الارض يمثل تقدما تكنولوجيا فى هندسة الصواريخ ووقودها ، وفى صناعة سفن الفضاء والعقول الالكترونية وفى المواد العازلة التى احكمت عزل كل سفينة عن الجو الخارجى ، مما سمح للرواد ان يعيشوا داخلها بدون بذلات فضاء • كما أنه يعنى تقدما فى تكنولوجيا الالكترونيات والتصوير الفضائى • واهم من هذا ، التجربة الجديدة للقيام بعمليات لحام عدد من المعادن المختلفة مع بعضها فى جو الفضاء باستعمال الالكترونات النفاثة والمواد المتباينة •

وهذه التجربة بالغة الاهمية بالنسبة لاقامة منصات او قواعد فى الفضاء تدور حول الارض بصفة مستمرة ويمكن تغيير الرواد منها واليها فى فترات زمنية قد تصل الى شهر ، ويمكن من هذه القواعد الفضائية استكمال الابحاث العلمية عن الجو والكواكب الاخرى بواسطة تلسكوبات ترسل الى الفضاء ، فوق هذه القواعد وتكون اقدر على العمل بعيدا عن تاثيرات الغلاف الجوى وامتصاصه للاشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء والاشعة الكونية واشعة اكس •

ومن الدلالات الهامة لرحلات سويوز الاخيرة ، هو انه رغم التقدم التكنولوجى الكبير فى الاتحاد السوفيتى الا انه من الضرورى ارسال رواد للفضاء ولا يتم الاعتماد على الالات الاوتوماتيكية وحدها مهما بلغت من الدقة والتقدم • وكان قد اثير فى العالم بمناسبة ارسال سفينة الفضاء « **لونا** ١٥ » الى سطح القمر فى يوليو الماضى (وقت ارسال الولايات المتحدة لاول رواد لها للهبوط على القمر) ان الاتحاد السوفيتى ينوى التقليل من الاعتماد على الرواد والاكتفاء باوتوماتيكية الالات •

ومن الظواهر العامة لرحلة الفضاء السوفيتية انها كشفت لاول مرة عن الاتجاهات الاقتصادية والتطبيقية لرحلات الفضاء ، واعلن ان دراسات عن

الارض وتركيبها الجيولوجي وصخورها وقشرتها يتم خلال الرحلة هذا غير التصوير العلمي والتنبؤ بالارصاد الجوية ، ومن هذا تبين ان سباق الفضاء عملية اقتصادية وتطبيق تكنولوجي للاكتشافات العلمية التي يمكن ان ينعكس اثرها على نواحي كثيرة للحياة على الارض ولخدمة الانسانية ، وليس مجرد انفاق بهدف الكسب السياسي او الدعائي ، كما كان يعتقد الكثيرون ، وتبين ان الدول النامية يمكنها ان تستفيد من تطبيقات الفضاء كما يحدث بالنسبة لكل منجزات العلوم والتكنولوجيا الاخرى في حدود ما تقدر عليه ، وتستطيع استيعابه ، او تطبيقه وحسب ظروفها وامكانياتها .

■ مسرح

الراهبات والثورة في مسرحية كوبية

ان مسرحية «الراهبات» التي يعرضها مسرح جيب مونبارناس في باريس كانت واحدة من أهم الاعمال التي عرضت خلال هذا الصيف .

مؤلف المسرحية : ادواردو مانيه (٤٢ سنة) وجنسيته كوبي ، ويعيش في كوبا ، وهو في الاصل مخرج سينمائي وكاتب رواية وناقد أدبي وفني ، وهذه المسرحية هي مسرحيته الثانية .

ومخرج المسرحية : **روجر بلان** وهو واحد من

تعليق

حول مشكلات القبول في التعليم

من بين كل القضايا والمشكلات المعقدة والمتشبعة التي تواجهنا في بداية كل عام دراسي : قضايا المناهج والكتب ، المباني والتجهيزات ، تنقلات المدرسين وترقياتهم ، وغيرها . لكن تستظل القضية الاساسية — برغم كل هذه القضايا — هي قضية القبول بمختلف مراحل التعليم ، تخيم على الجو التعليمي كله ، حتى تقدم الحلول الحقيقية للطوابير الحائرة والاباء الملهوفة التي تقف على مداخل كل مرحلة في بداية كل عام . وفي تقديرنا — وقد يبدو هذا غريبا — ان اتخاذ الموقف السليم من قضية الابناء ، هو المدخل الحقيقي لحل الشق الاخر من القضية ذاتها ، وهي قضايا المعلمين واستقرارهم ، واقرار الحق والعدل بين صفوفهم . ويبدو ان الارتباط بين قضية المعلم والتلميذ ، ومنذ الازل ، هو ارتباط مصيري ، فالقضيتان تنتميان في الحقيقة الى نفس الجذر .. وذلك يحدونا الى ان نقدم قضية الابناء .

وتتبع ارقام التخرج والقبول بمختلف المراحل في السنوات القليلة الماضية يكشف عن الحجم المتضخم للمشكلة ، وجذور القلق المشروع للاباء والابناء .

فاذا تخطينا القبول بالمرحلة الاولى ، مرحلة الالزام ، وهي قضية قائمة بذاتها ، فان الارقام بالمراحل التالية ترسم لنا الصورة التالية :

بعملية حسابية بسيطة نستطيع ان نحدد حجم المشكلة في عامنا الحالي ، عند عنق الزجاجة ، وهو القبول بالمرحلة الاعدادية وما في مستواها ، فقد كان عدد تلاميذ الصف السادس الابتدائي ، أي نهاية مرحلة الالزام ٦٨/١٩٦٩ هو ٥٧٦ر٥٥٧ تلميذا وتلميذة نجح منهم في امتحان الشهادة الابتدائية الذي حل محل امتحان القبول ٢٤٧ر٤٧٦ وهذا يعطينا فائضا يزيد على ٣٠٠ر٠٠٠ من الاطفال في سن ١٢ لم يتقدموا لهذا الامتحان او رسبوا فيه وعلينا ان ندبر لهم مكانا في مواقع العمل بالمصانع او المزارع او للاعادة بفصول الخدمات او نتحمل المسئولية الجسيمة ، مسئولية ضياع اطفال في هذه السن المبكر نهبا للبطالة والتسكع والقاء عبء لا يحتمل على كاهل الاباء .

والصورة لا تختلف هذا العام عنها في السنوات الماضية ، فليست هذه المشكلة بالجديدة او الطارئة ، بل هي القصة المعادة في كل عام .

ففي العام الدراسي الماضي ٦٨/٦٩ كان الفارق بين عدد المنتهين من مرحلة الالزام والمقبولين بالمدارس الاعدادية العامة والفصول الملحقة بالمصانع وما في مستواها بمراكز التدريب المهني السريع يزيد ايضا على ٣٠٠ الف . ولا ندري مصيره على وجه التحديد في مواقع العمل او خارج هذه المواقع !

فاذا عبرنا عنق الزجاجة الى ما بعد المرحلة الاعدادية عند ابواب الثانوي العام والفني ، فالارقام تبدو اقل فداحة ، ومع ذلك فالمشكلة قائمة : فجملة الناجحين بالاعدادية العامة في العام الحالي ٢١٤ر٤٦٤ هؤلاء علينا ان ندبر لهم مكانا في الثانوي العام او الفني او دور المعلمين او المعاهد ومراكز التدريب التابعة لوزارة الصناعة او الصحة او الجيش او في مواقع العمل او نقذف بهم الى الشارع دون سلاح حقيقي وفي اخطر سن هو الخامسة عشرة . ونستطيع ان نتبين ابعاد هذه المشكلة في ضوء ارقام الاعوام الماضية .

ففي العام الماضي ٦٨ / ٦٩ كان جملة الناجحين بالاعدادية العامة ١٩٠ر٤٧٠ وجملة القبول بالثانوي العام والفني والمعلمين ١٥٠ر٨٧٤ بنسبة ٧٩ر٢ ٪ والفائض حوالي اربعين الفا استوعبت بعضه المدارس الخاصة او معاهد وزارة الصحة والجيش ومراكز التدريب او في العمل ، وهناك بقية لا يعرف مصيرها !

أمام هذه الوقائع ، ليس بالمستغرب ان نشهد في بداية كل عام هذه الصيحات التي تصم الاذان ، والقلق المضني امام ابواب الاعدادي او الثانوي وما في مستواهما ، اما الامر المستغرب حقا فهو ان نترك هذه المشاكل حتى تطرق ابوابنا بشدة في مطلع كل عام ، وحتى تفرض نفسها علينا فرضا ، وتحت الحاح الظروف وضغوط المشاكل لا نملك عادة سوى الحلول السريعة والقصيرة محدودة الاثر . وهذه هي الملاحظة العامة على كافة القرارات

أهم مخرجى فرنسا المتخصصين فى اخراج أعمال بيكيت وجينيه ، وعندما يقوم بلان باخراج هذه المسرحية القادمة من كوبا فلابد أن يكون هذا الكاتب الكوبى قد استطاع أن يفرض نفسه على مخرج من مخرجى الدرجة الاولى فى فرنسا وواحد من الذين يهتمون بالمدرسة الجـديدة ، وكتاب الدرجة الاولى •

والواقع أن نص (الراهبات) فيه شعر بيكيت وطقوس جينيه وفيه أيضا عنف أرابال (الكاتب الاسبانى الذى يعيش فى فـرنسا ويكتـب بالفرنسية) •

وادواردو مانيه نفسه يتحدث عن المسرح فيقول أنه ليس حكاية تحكى ، ولا تجربة تعاش ، ولكنه طقوس تقدم للناس • فهـل تـوافرت فـى مسرحية (الراهبات) تلك الطقوس التى يتحدث عنها مانيه ؟ الاجابة : نعم •

المسرحية فى فصلين والشخصيات أربعة ، ثلاث راهبات وسيدة ، والرهبات الثلاث مختبئات فى حجرة أو مخبأ تحت الارض ويعملن فى الوقت نفسه على شق نفق سرى استعدادا للحظة الهرب ، والراهبات الثلاث فى انتظار السيدة •

والمسرحية وان كانت فى الاصل تتحدث عن فترة تاريخية محددة من تاريخ كوبا ابان ثورة العبيد (القرن ١٨) فلا يعنى هذا أن المسرحية تاريخيـة • فليس فيهـا من التاريخ الا مجـرد الواقعة (أى اننا فى ثورة) •• أما ما عدا ذلك

والتوصيات التى صدرت عن المؤتمرات التعليمية التى تعقد عادة قبل بداية كل عام ، وكذلك على الاجـراءات التى اتخذتها غالبية المحافظات فى مواجهة المشـكلة • وليس ادل على افتقـادنا للخطة المتكاملة ، والهدف الواضح ، من لعبة شد الحبل التى تستنفد جزءا من طاقـاتنـا لفترة غير قصـيرة فـى بـداية كل عـام دراسى ، مـا بين ضـغوط الاباء الشـديدة ، ومحـاولات صد التيار ثم التراجع امامه ثم معاودة الهجوم والتراجع ، وهكذا عاما بعد عام• وليس ادل عليها ايضا من المناقشـة المعادة بين الباب المفتوح والمغلق فى التعليم والتى تلبس كل عام ثوبا جديدا !!

ما القضيةاذن ؟ ولماذا تتراكممشكلاتنا التعليمية وتتضخم وتلاحقنا عاما بعـد عام ؟لاننا ببساطة لانملك الهدف الواضح، ولا الفلسفةالمحددة المعالم•• ولان رجال البيداجوجيا فى بلادنا ، او من يسمون انفسهم بالفنيين التربويين يعزلون ما بين الحركة التعليمية ومجموع الحركة الثورية باهدافها الاجتماعيةوالاقتصاديةوالسياسية والفكرية والثقافية •فتحولت خطط التعليم الى مجرد جداول لحساب العجز والزيادة فى المهندسين والاطباء والعمال الفنيين وغير الفنيين • وقد ثبت بالتجربة ان مثل هذا الحساب عادة بعيد تماما عنالدقة، ويدخل كثيرا فى دائرة الاوهام ، والى ان نتبين بوضوح ان اهدافنا التعليمية والتربويةجزء لاينفصلعن اهداف تطوير القرية والمدينة ، ونقل الانسان بها من بيوت الطين وعشش الصفيح ، وتغيير العمل ورفع انتاجيته من مستوى الفأس والمحراث الىالميكنة واساليبالتكنولوجيا الحديثة ، ونقل الفكر من مستوى المصطبة والركود القـاتل ، الى حـركة العـلم والمعرفة ، والقيم والاخلاق من القدرية والرضا بالمقسوم الى ايجابية الفعل ضد القوى التى فرضت هذا القدر والقسمة• الى ان نتبين هذه الحقـائق ، سـتظل المشـكلات تلاحقنا ، برغم كل الحلول الجزئية •

فماذا يعنى هذا فى التطبيق ؟

أولا : ان نكف عن عادة مطـاردة الراغبين فى العلم والتعليم كأنما يطلبون ثمرة محرمة ، وان نتخلى عن الخوف المرضى من الثقافة الرفيعة ، وعن التصور الطبقى القديم الذى يحصر حاجة الفلاح والصانع غير الماهر فى اوليات القراءة والكتابة والحساب ، والصانع الماهر فى حدود فنون الصنعة ، والمهندس والطبيب فى حدود فن الهندسة والطب الرفيع •• وان نعى الحقيقة الكبرى التى طرحها الفكر الاشتراكى العلمى منذ القرنالتاسع عشر واثبتت صـحتها الثورة العلميـة والتكنولوجية فى القرن العشرين ، وهى ان حاجة الانسان ومهمة الثورة ان نسير فى طريق محو الفوارق بين العمل اليدوى والعمل الذهنى ، بين القرية والمدينة ، بين الريف الكبير ، وهو الدول المتخلفة والنامية والمدنالعظمى فىالدول المتقدمة• وقبل كل شىء ان تصوغ الانسان العامل المفكر ، المنتج والثورى الذى يقاتل اعداء العصر •• وهذا يعنى ان الثقافة كل الثقافة •• والعلم بلا حدود هو المطلب ، والعـائق الوحيـد هو حـدود الموارد والامكانيات ، ومهمة الدولة الثورية ان تخطط وترسم وتعبىء الموارد على ضوء هذه الفلسفة الواضحة •

ثانيا : وهذا بيت القصيد فى مشكلتنا المباشرة التى نعالجها ، وهى مشـكلة الاعداد الفائضة امام كل مرحلة تعليمية، فاذا لم تكن الدولة مسئولة عن تعليم كل فرد بعد مرحلة الالزام ، فلا الدولة ولا الادارات المحليـة والاقليميـة ، ولا الهيئات الشعبية والسياسية تستطيع ان تخلى مسئوليتها من مصير الابناء فى اى سن كانوا ، او تترك هذا المصير للصدف، وللشارع يقرره كيفما شاء • ومصير ابناءنا ، فى سن ١٢ ، و١٥ ، و١٨، الناجحون والراسبون منهم ،الحاصلون على مجموع وغير الحاصلين على السواء ، لابد ان يخطط له ويرسم ، وليست هذه مسئولية اجهزة التخطيط المركزية وحدها، بل يتعين ان يتكاتف الحكم المحلى ، والنقابات والتنظيمات السـياسـية ، وجمعيات الاباء والمعلمين العاطلة عن العمل ، ومكـاتب العمـل ، لتحصى احتيـاجات العمـل فى كل اقليم ، فى القطاعين العام والخاص ، فى المصانع الكبيرة وحتى الورش الصغيرة والحقول، وتنظيم عمل الصغار وعقود العمل وانشاء مراكز التدريب السريع والطويل ، وقد تمت بالفعل بعض التجارب المحدودة فى محافظة القاهـرة وغيرها لتنظيم عمـل الصغار ورعاية التلمذة الصـناعية ، والاشراف على عقود العمل ، ونعتقد انه هناك اهمية كبيرة للاستفادة من هـذه التجارب وتعميمها ••

ثالثا : الوقوف عند حدود الخطـة والتخطيط قد لا يحل شيئا ، وقد نحشر ابناءنا حشرا فى مواقع العمـل ، فى المصانع والمزارع ليهجروها غدا ، وانما ينبغى ان نحقق النظام التعليمى المرن والمتعدد الاشكالوالطرق الذى يتيحالفرص كاملة للمواطن فى أى سن كان ، وايثما كان ليواصل الدراسة متى أهلته قدراته لذلك •• بهذا يحس كل صغير وكبير •• ان العمل ليس اعداما بل بعثا •• وان المصير من بعد بيده هو •• بجهده وجده وسعيه •

أديب ديمترى

فانك تحس أن ما يحدث أمامك مسألة حية وحقيقية ومعاصرة .

والمسرحية كلها شبه حلم مزعج أو كابوس . ان الراهبات الثلاث نراهن رجالا يلبسن ملابس النساء ... يعني رجالا يقومون بأدوراهن ، ولقد فسر البعض ذلك قائلا : أنهم لصوص متخفين فى زى نساء . وتساءل رأى آخر : هل معنى ذلك أنه فى زمن الحرب أو زمن العنف لا يكون هناك فرق بين الرجل والمرأة ؟

على أى حال ان المسرحية تبدأ وليس هناك عنف ، وليست هناك ثورة ، ولكن الراهبات الثلاث أو اللصوص .. أو الرهبان الثلاثة ينتظرون سيدة غنية .. لقد سبق لهم أن تحدثوا معها وأخبروها أنهم يخشون قيام ثورة ، وأنهم على استعداد لان يساعدوها على الهرب قبل أن تشتعل الثورة .

وتحضر السيدة ومعها كل مجوهراتها .. ثروتها الكبيرة التى تقدر بالملايين .. وهنا نرى الطمع ، والجشع ، والخوف .. اننا نرى غرائز الانسان الدنيا تتطاحن أمام بريق المجوهرات .

والنتيجة الطبيعية ان يقتلوا السيدة الغنية ، ومن هنا تصبح كل أموالها ملكهم .. ويمسكون بأساورها وأقراطها وعقودها ودبابيسها . . يضعونها حول اعناقهم وفى آذانهم واذرعهم (تذكروا انهم فى الحقيقة راهبات) .

ويتطور الامر الى أكثر من ذلك فيقتل اثنان منهما زميلهما الثالث أو الاخت (اينيس) وهى أو هو أضعف الثلاثة من الناحية الجسمانية ثم انه أخرس لا يتكلم .. وهنا نستمع الى دقات طبول .. نسمعها من بعيد ثم تقترب قليلا قليلا . ما الذى حدث ؟ .. انها الثورة فعلا .. ولكن الاخر يرد : ابدا .. مستحيل .. لا توجد ثورة .. نحن الذين ألفناها .. نحن الذين صنعناها .. نحن الذين خلقناها .. ولكن الطبول تقترب أكثر . ليس هذا وهما اذن . ماذا يفعلان ؟ يضعان المقاعد والمناضد والفراش وراء الباب الذى فى المؤخرة : انهما يخشيان أن يقتحم الثوار عليهما المكان ، والطبول ما زالت تقترب ، وصوتها أصبح عاليا .. انهم يقتربون .. بمعنى آخر : ان الثورة تقترب منهم . ما هو الحل ؟ ..

تتكلم انجيليا : ليس هناك الا النفق الذى كنا نشقه . ولكنهم كانوا يعملون فى هذا النفق من مدة طويلة ويبدو أن نهايته بعيدة . وهنا تتكلم الام رئيسة الدير : هناك طريق آخر .. أنا من هنا وأنت من هناك فلعلنا نستطيع أن نشق طريقا للهرب ..

والطبول ما زالت مسموعة ، وصوتها يقترب أكثر وأكثر ، وتنتهى المسرحية على هذا المنظر الذى نفهم منه أن الثورة قد اشتعلت وأنه لا يمكن لهذين الاثنين أن يفرا منها .. لقد حوصرا فى مخبئهما فاما ان يموتا فيه ، واما ان يخرجا لمواجهة الثورة ، والموت بالطبع بعد ذلك . محكوم عليهما ـ اذن ـ بالموت فى أى الاحوال ..

وهكذا فان المسرحية تقول لنا فى وضوح انه ما من أحد يستطيع أن يقف ضد الثورة .. طالما أنها ثورة على الجشع والسرقة والطمع والاستغلال والانانية .. الخ .

واذا كانت هذه الرسالة واضحة فان للكاتب نفسه رأى آخر فى مسرحيته .

انه يقول : لقد كنت أريد أن اظهر كيف أنه فى مجتمع فى حالة ثورة .. تظهر أمامنا أشياء جديدة . عندما يكون العنف سائدا .. فان الانسان يقع صريع الخوف البدائى .. ومن هنا فان الانسان يعود الى غرائزه .. أو حتى للايمان بالخزعبلات لكى يهرب من الواقع الذى يخشاه والذى لا يفهمه والذى لا يستطيع أن يقهره .

■ ■

■ ادب

اتحاد الكتاب السورى خطوة تدعم ثقافتنا الثورية

كانت الحاجة ماسة بغير جدال لقيام اتحاد للكتاب العرب فى القطر العربى السورى ، يجمع شتاتهم ويساعد على تفجير طاقاتهم .. ويتبنى عملية حماية نتاجهم من الضياع والهدر .. فى وقت وصلت فيه حالة الكاتب او الاديب وسط جملة من الظروف الصعبة فى مجتمعنا الى درجة من التشرد والابتذال لا تليق بكاتب او اديب .. ووصل عطاؤه بالتالى الى مستويات دنيا لم يكن ليصل اليها لولا تخبطه وسط امواج محيط زاخر بتيارات شتى تتقاذفه من الداخل والخارج » .. بهذه الكلمات قدمت مجلة « **جيش الشعب** » السورية لاعلان تشكيل اتحاد الكتاب العرب فى الجمهورية العربية السورية . وهو ليس اول « اتحاد » يضم الكتاب السوريين ، فقد سبقته فى وقت مضى اتحادات وروابط مزقتها المشكلات السياسية التى عرفها الوطن العربى عامة ، والوطن السورى خاصة . وقد كان من المفارقات التى يصادفها اتحاد الكتاب العرب فى مؤتمراته المتوالية ، الا تكون هناك اتحادات محلية فى كل بلد عربى على حدة ، فكانت الحكومات بأجهزتها الثقافية

والاعلامية المختلفة هى التى « تمثل » فى مؤتمرات الادباء العرب ، ومن ثم كان هذا التمثيل الرسمى يشكل عديدا من العقبات الروتينية والبيروقراطية فضلا عن المشكلات السياسية .

لذلك يستمد مولد اتحاد الكتاب السورى الجديد اهميته الكبيرة من كونه ترسيما لتقليد ديموقراطى اصيل ، وهو ان تكون جمعياتنا الادبية هى المثل الشرعى لحياتنا الادبية . ولان الاتحاد السورى الجديد يضم مختلف التيارات الادبية فى اطار عريض من الالتزام بالفكر التقدمى ، فانه يعد خطوة جديدة على طريق النضال المرير الذى يخوضه المثقفون الثوريون فى الوطن العربى . وقد اشار **سليمان الخشن** رئيس الاتحاد الى هذه النقطة حين قال « ان الاتحاد تنظيم ملتزم لكنه يرفض الالزام . ولا يرى بقيام الاتحاد ايجاد تكتيل للاقلام خلف اتجاهات سياسية محدودة انما دفع هذه الاقلام للدخول فى اعماق تيار الثورة العربية المعاصرة » .

ولا شك ان كثيرا من المشكلات المتراكمة خلال الفترة التى غاب فيها « **التنظيم الادبى** » للكتاب ، سوف تطرح نفسها دفعة واحدة امام المسئولين عن الاتحاد الجديد ، وفى مقدمتها مشكلة « **التفرغ** » للمواهب الفنية التى اثبتت اصالتها فى حقل ابداعها ، وفى مقدمتها كذلك مشكلة « **المنبر** » الادبى غير الكلاسيكى الذى يرى بعض الادباء ضرورة وجوده جنبا الى جنب مع مجلة « المعرفة » . غير ان هذه المشكلات جميعها وغيرها مما سيواجه الاتحاد الجديد فى مسيرته اليومية ، سوف تجد ـ فى رأى الكثيرين ـ منهجا جديدا فى المعالجة يحول دون تعقدها او تجميدها ، وتلك هى المساهمة الموجودة التى يتوقعها كل مثقف عربى يرى فى الاتحاد السورى تدعيما لوجوده .

■ ■

■ **رسالة من الجبهة**

تحول هام فى تاكتيك المجابهة العسكرية

شهد اكتوبر الماضى تحولا جديدا وهاما فى التاكتيك العسكرى المصرى ازاء الصراع المحتدم على جبهة القناة ، كانت بدايته «**عملية مصفق**» التى كبدت العدو خسائر كبيرة من القتلى والمصابين مما أدى الى اقامة جسر جوى بالهيلوكوبتر لنقل جرحاه الى مستشفيات اسدود وبير سبع وتل أبيب .

ولقد برزت بعض التعليقات وقتها تقول ان « عملية مصفق » كانت « ردا عمليا مصريا » على ضرب العدو لمنطقة الزعفرانة والتى جرت بما يشبه العمل المسرحى تحت اسم « غزو مصر » !!

لكن الحقيقة أن التحول الذى طرأ على الخطط المصرية كان ضمن مخططها لمواجهة العدو . ان الاستراتيجية هى أولا وقبل كل شىء اسلوب تفكير يسخر الامكانيات لتحقيق الغرض المطلوب . ولقد مرت هذه الاستراتيجية بمراحل عمل مختلفة حتى وصلت الى هذا المستوى من العمل ، وعندما تيقنت من نجاحه بدأته فى هذا الوقت بصرف النظر عن ضرب الزعفرانة !

ان اعتبار « عملية مصفق » « رد انتقامى » أمر يقلل من أهميتها . ولو كان الهدف كذلك لجرى الانتقام بأسلوب « أقل جرأة » كعملية عبور عادية مثلا ضد احد المواقع .. او بالمدفعية .. او غارة بالطيران ، لكن ما جرى فى مصفق يشكل اهمية كبيرة من حيث :

● استخدمت الهيلوكوبتر لاول مرة فى مهاجمة العدو .

● اقتحمت حشود العدو الى اعماق بعيدة (٨٥ كيلو مترا) .

● اختارت مصفق لاهميتها الاستراتيجية فهى :

١ ـ قيادة المنطقة الشمالية لسيناء (وسيناء كلها منطقتين : جنوبية وشمالية) .

٢ ـ قيادة القطاع الشمالى للمنطقة الشمالى (وكل منطقة ثلاثة قطاعات : شمالى ـ أوسط ـ جنوبى) .

٣ ـ ولانها مركز قيادتين تضم منطقة شئون ادارية وفنية ضخمة .

٤ ـ ولانها ـ ايضا ـ مركز قيادتين تضم حشدا عسكريا ودفاعيا كبيرا ، وبها ما بين ٦٠٠ و ٨٠٠ ضابط وصف وجندى .

● تمت العملية والقمر بدرا ، بينما عمليات العبور السابقة تمت وسط الظلام ، مما يضفى على العملية جرأة وشجاعة ، ويجعلها مفاجأة حقيقية للعدو .

هكذا كانت مصفق بكل ما تمثله تحولا هاما فى أسلوب المجابهة المصرية شهده الصراع الدامى فى جبهة القناة . ولم تقتصر أهمية « العملية » على الجبهة المصرية وحدها ، انما انسحب تأثيرها على الجبهات العربية المواجهة لاسرائيل .

ولتاكيد الخط الجديد وتطويره كموقف دائم لا مجرد عمل انتقامي ، لم تمض ٣ أيام ، حتى أقدمت قواتنا على عمل آخر — ايضا جديداً من نوعه منذ حرب يونيو — وهو عملية « رأس ملعب — رأس مطارمة » على خليج السويس . لقد اقتحم الكوماندوز المصريون أعماق العدو بين هاتين النقطتين وبمواجهة طولها ٣٧ كيلو مترا ، لتدمير وحدات الرادار والصواريخ والمدفعية غير ٢٠ دبابة وعربة مدرعة . ولقد كان الاقتحام بمجموعتين فى نفس الوقت :

- مجموعة الكوماندوز البرية .
- مجموعة الكوماندوز البحرية .

وبعد ان نجح الهجوم ، وعند عودة القوات طاردتها طائرات العدو ، لكن عنصرا ثالثا اشترك فى المعركة هو : **المدفعية الساحلية** التى غطت عودة القوات وطاردت طائرات العدو ففرت عائدة الى قواعدها .

ان هذا التنسيق بين المجموعات التى اشتركت فى عملية « رأس ملعب — راس مطارمة — يمثل احد ملامح المخطط الجديد ، ويؤكد أن العمليات الاخيرة لم تكن مجرد « رد فعل فورى » .

ثم ، بعد يومين فقط ، عبرت مجموعة تضم مائة مقاتل القناة الى الشاطىء الشرقى ودمرت دبابتين ، و٣ عربات مدرعة ، و١٠ مواقع صاروخية ، وموقعى هاون ، كما اشتبكت فى قتال لمدة ثلاث ساعات مع قوات العدو ، وافلحت فى العودة سالمة الى البر الغربى بعد نجاح فى عملية وصفها راديو لندن بانها « أشد المعارك ضراوة » منذ حرب يونيو .

ولم تتوقف العمليات ، قامت ٧٢ طائرة سوخوى بمهاجمة مواقع العدو واعماقه ، دمرت له ٣ محطات رادار و٣ كتائب صواريخ هوك ، وعادت تحت حماية الميج ٢١ .

ماذا أدت هذه العملية ، لقد شعر العدو بالتحول الجديد فى اطار الاستراتيجية المصرية ، وشعر انه فشل فيما كان يهدف اليه من وراء ضرب الزعفرانة ، ووجد انه لابد ويعيد تنظيم نفسه . فخرجت الانباء عن اجتماعات عسكرية على مستوى عال فى تل ابيب . وحشده مزيدا من القوات فى سيناء ، **منها ٣ كتائب مدرعة و٤ لواءات مشاة ميكانيكية (نحو ١٥ ألف جندى) وكتيبتى صواريخ .**

كما عبر ٢٥٠ ضابطا وجنديا مصريا القناة فى مواقع متفرقة على طول الجبهة (١١٠ كيلو مترات) فى اكبر عملية عبور تثبت القدرة المصرية وتعرى خط الدفاع الاسرائيلى ، ولم تكتشف قوات العدو الا واحدة من مجموعات العابرين فاشتبكت معها واصابت مقاتلين فقط .

وتتوالى عمليات العبور ..

- تؤكد الخط الجديد فى الاستراتيجية المصرية ..
- وتؤكد ايضا مدى الخسائر التى يمكن الحاقها بالقوات الاسرائيلية . وعجزها عن حماية نفسها .

ان القيادة العسكرية للعدو ، تتصور انها بوصول قواتها الى — قناة السويس — تكون قد احتمت وراء مانع طبيعى يصد عنها الهجمات ويشل قدرة القوات المهاجمة ، لكن هذا التصور اثبت قصوره .. فالقناة ليست مانعا امام القوات المصرية .

وفى التاريخ — **مع الفارق** — شواهد لذلك . اذ تصورت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية انها تحتمى خلف خط ماجينو فأثبتت الايام فشل نظريتها وهوجمت فرنسا واحتلت .

مع الفارق فى الظروف ، وفى نوع القوى (المهاجمة) ، وفى أهدافها ، سقنا هذا المثل لنبرهن على ان القناة ليست أبدا مانعا يعوق أى حركة تقدم ..

واذا كانت العمليات المصرية قد أثبتت هذه الحقيقة خلال اكتوبر الماضى ، فأنها أثبتت ايضا — او أكدت — حقيقة ان اسرائيل لا تقوى على الاستمرار فى حماية نفسها .. ووقوفها موقف المدافع .

والامر المؤكد الان ان الموقف على الشاطىء الغربى للقناة ، ترتفع مؤشراته بشكل ايجابى ملحوظ : القدرة القتالية اثبتت نفسها ، الروح المعنوية للمقاتلين اكدت دورها ، التلاحم بين اطراف العمل العسكرى اتى ثماره ، وهى أطراف ثلاث :

- **المقاتل** (قاعدة الجنود العريضة) .
- **القائد** (الضباط وهيئة القيادة) .
- **العدة** (أى السلاح والذخيرة) .

تبقى بعد ذلك مسألة جوهرية هى : **انه على الجبهة الداخلية ان تزيد من تماسكها ، والا تسلم نفسها لمن يتطوعون بالتحليل الخاطىء عن غير عمد ، أو المسمم عن عمد .**

ثم . . .

لقد جاء الشتاء .. ومن قبل عندما جاء فى العام الفائت صحبته صفات : **الساخن ..** والحار .. والملتهب .

وبحق . . ومن استقراء التطورات فى الموقف العسكرى نعتقد ، **ان شتاء هذا العام اكثر حرارة !**

محمود مراد

مكتبة الطليعة

علم الاجتماع الماركسي

ظل « علم الاجتماع » امدا طويلا حكرا للدراسات البرجوازية ، حتى لقد شاع ابان سنوات الجمود العقائدى بانه « علم برجوازى »

غير ان موجة جديدة من نشاط المفكرين الماركسيين داخل البلدان الاشتراكية وخارجها بدأت تعيد النظر فى الوهم الشائع ، وتعرض مكتبة الطليعة هذا الشهر لكتابين من اهم الابحاث الصادرة فى هذا الموضوع ، اولهما للمفكر الفرنسى المعروف هنرى لوفيفر ، والاخر لباحثين سوفيتيين هما كونستانتينوف .. وف . كيل .

● دراسة :

كونستانتينوف .. وف . كيل

● عرض :

سعد صموئيل

دار التقدم للنشر بموسكو
الطبعة الانجليزية ١٩٦٧

لعل اهم ما يميز علم الاجتماع البورجوازى — ان كان ثمة علم — هو انه لا يعترف لتقدم المجتمع بأى قانون موضوعى .

وبين ادعاء بعض علماء المجتمع بوجود مثل هذه القوانين الموضوعية مع عدم معرفتها بالنسبة لهم ، وبين انكارها بصورة عامة لدى البعض الاخر يسقط العلم الاجتماعى ويبقى (ظل) ما يسمى بعلم الاجتماع . ويتخذ اشكالا اكثر تنوعا وتتغير مواقعه النظرية ، الا ان هدفه يظل كما هو فى غالب الاحيان ، وهو هدم يقين الشعب بأن التاريخ يخضع لقوانين يمكن معرفتها واستخدامها فى تغيير المجتمع ودفع تقدمه الى الامام . ويؤسس هؤلاء العلماء موقفهم على انكار انتظام التطور

الاجتماعي ورفض اكتشاف التكرار في التاريخ على زعم ان العلوم الاجتماعية تختلف اختلافا جذريا عن العلوم الطبيعية ، لانها تدرس احداثا ذات طابع فردي ويستحيل ان تظهر في قانون عام ·

والدراسة « علم الاجتماع الماركسي » التي كتبها الاكاديميان السوفييت « كونستانتينوف » و « كيل » تتخذ منطلقها ليس من التعارض الغيبي بين العام والخاص لكن من وحدتهما الجدلية ، وتطبيق المقياس العلمي العام للتكرار على العلاقات الاجتماعية الذي كان يعتبره الذاتيون غير قابل للتطبيق على علم الاجتماع ·· ويرجع الى الماركسية سبق اكتشاف مقياس التكرار في الحياة الاجتماعية بتحديدها قاعدة المادية واستخلاصها من الشبكة المعقدة للعلاقات الاجتماعية ، علاقات الانتاج التي تكرر تركيب المجتمع ، واكتشاف التشكيلات الاجتماعية — الاقتصادية الذي اتاح الانتقال من مجرد وصف الظاهرات الاجتماعية الى تحليلها العلمي ، الذي يشمل الجوانب المشتركة والمختلفة لجميع البلدان الرأسمالية ·

وبالاضافة الى مقياس التكرار في التاريخ يتخذ المؤلفان منطلقهما من موقع التأكيد على الضرورة التاريخية وليس من انكار علماء الاجتماع البورجوازيين لهذا العنصر ، وكذلك التأكيد على الحقيقة الموضوعية في علم الاجتماع ·

ويلفت المؤلفان النظر في مقدمة الدراسة الى أهمية البحث فيقولان : ان بناء الاشتراكية يواجه العلوم الاجتماعية بمهام لم يسبق لها مثيل في مداها · ويرجع ذلك في المحل الاول الى ان نشأة التكوين الاجتماعي للاشتراكية وتطوره يرتكز على التطبيق الواعي لقوانين التطور الاجتماعي · وبناء الاشتراكية عملية خلاقة تتضمن نشاط الملايين من الناس ، عملية ترتكز على التطبيق الشامل للعلم · ويستطيع الوعي العلمي وحده ان يحدد اتجاه التطور الاجتماعي ويرسم المهام العينية التي تتوافق مع القوانين الموضوعية واحتياجات التقدم الاجتماعي والتي تناضل جماهير الشعب من أجل الحصول عليها · والعلوم الاجتماعية تشكل الاساس العلمي لتوجيه التطور الاجتماعي ·

ومهما يكن من شيء فان العلم الاجتماعي الذي يلتزم التزاما صارما بموقف المادية التاريخية ويرتبط ارتباطا وثيقا بممارسة البناء الاشتراكي ، والذي يقوم بالتحليل الدقيق والتعميم لكل ما يطرأ من واقع جديد تقدمي مما يأتي دائما الى الوجود

— نقول ان هذا العلم الاجتماعي هو القادر على انجاز وظيفته الاجتماعية الاصلية الخلاقة ·

ويرتبط تطور المعرفة العلمية الخاصة بالطبيعة والمجتمع بعمليات التمايز والتكامل المعقدة والمتعددة الاشكال للعلوم ، ويتفاعلها وباقامة علاقات متبادلة جديدة بينها · ويطرح تقدم البحث السوسيولوجي العيني مثل هذه المشكلات التالية :

— ما هو المكان الذي يشغله علم الاجتماع الماركسي من نظام المعرفة الاجتماعية ·

— وما هي العلاقة بين البحث السوسيولوجي العيني وبين المادية التاريخية ·

— وهل يمكننا المطابقة بين البحث الاجتماعي والبحث السوسيولوجي ·

وتطرح مناقشة هذه القضايا سؤالا أكثر عمومية حول موضوع ومهام « علم الاجتماع » الماركسي · ويستند المؤلفان في معالجة هذه القضايا الى حوار المناقشات الحالية والتجربة المكتسبة في مجال البحث السوسيولوجي العيني ·

علم الاجتماع الماركسي ومكانه من نظام المعرفة الاجتماعية

يقسم المؤلفان العلوم الاجتماعية الى ثلاث مجموعات رئيسية : تضم المجموعات الاولى التاريخ العام وبكل تفريعاته — تاريخ كل بلد وتاريخ كل شعب والشعوب · ويتناول العلم التاريخي ماضي تاريخ الشعوب بكل تعدد اشكاله ، لذلك لا يقف عند دراسة القوانين أي الاتجاهات العامة والجوهرية في التاريخ بل يتعداها الى دراسة الملامح الفردية ·

وتغطي المجموعة الثانية العلوم الاجتماعية التي تبحث الاشكال الخاصة ، وانماط العلاقات الاجتماعية بقوانينها النوعية (الدولة ، الاقتصاديات ، القانون ، الفن ، اللغة ، الخ) فيتناول الاقتصاد السياسي مثلا تطور العلاقات الاقتصادية بين الناس ، ويكتشف القوانين التي تحدد انتاج القيم المادية وتوزيعها في المجتمع في مختلف مراحل تطوره · وهكذا ·

لكن المجتمع البشري في كل مرحلة من تطوره التاريخي يشكل كلا متكاملا ، أي تكوينا اجتماعيا

معينا له علاقاته النوعية وقوانينه ، لذا ينصب موضوع علم الاجتماع على دراسة المجتمع ككل تاريخي متطور ، والقوانين التى تحدد تتابع التكوينات الاجتماعية — الاقتصادية ، والارتباط الداخلى بين مختلف نواحي وظواهر الحياة الاجتماعية ، وهو المجال الثالث الذى لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة الى العلم الاجتماعى .

فى الماضى كان يسود هذا المجال من المعرفة الاجتماعية مفاهيم ذات صبغة تاريخية ـ فلسفية مختلفة فيما بينها اختلافا كبيرا . ولكن كل فلسفات التاريخ التى تطورت على أرض المثالية التاريخية تعجز عن ان تعطى تفسيرا علميا للارتباط القائم بين الظواهر الاجتماعية المختلفة كما تعجز عن ان تقدم تفسيرا علميا لجوهر العملية التاريخية .

وكان ظهور المادية التاريخية اسمى انجاز للفلسفة ، وثورة حقيقية فى العلم الاجتماعى . واسست الافكار الاجتماعية معتمدة على الوجود الاجتماعى ، وميزت من بين مجموع العلاقات الاجتماعية ، علاقات الانتاج المادية كعلاقات رئيسية وحاسمة ، وربطت علاقات الانتاج المادية بتطور قوى الانتاج . وبين مؤسسا الماركسة أن التطور الاجتماعى هو قانون يحدد العملية ولا يعتمد على الارادة العشوائية لفرد او لآخر .

ان اكتشاف مفهوم التكوين الاقتصادى للمجتمع باعتباره مجموع علاقات الانتاج المعنية ، وباكتشاف حقيقة تطور مثل هذه التكوينات بوصفها عملية من عمليات التاريخ الطبيعى يضع علم الاجتماع لاول مرة على أساس علمى .

ويعتبر مؤسس الماركسية المادية التاريخية جزءا مكونا للفلسفة الماركسية ، وتعتبر فى نفس الوقت دراسة علمية للمجتمع تسمى علم الاجتماع ولا يوجد تناقض فى ان تتضمن المادية التاريخية عناصر من كليهما ، الفلسفة والعلم الاجتماعى .

ويستطرد المؤلفان ويقولان : ان الآراء تتضارب لدى علماء الاجتماع السوفييت حول علاقة المادية التاريخية بالفلسفة وعلم الاجتماع ، فيعتقد البعض ان المادية التاريخية موضوع لعلم الاجتماع ، وبنـاء على ذلك لا تعتبر جزءا مكونا للفلسفة الماركسية ، وبالعكس ، يؤكد آخرون على ان المادية التاريخية هى جزء متمم للفلسفة الماركسية ، ويرفضوا التعامل معها كعلم سوسيولوجى ، على اعتبار أنها الاساس النظرى العام و « المنهجى » لعلم الاجتماع . كما يؤكدون على الحاجة الى خلق علم اجتماع جديد أو ـ لو استدعى الامر — عدة علوم (لعلم الاجتماع) تتوازى مع المادية التاريخية ، متمايزة أو معتمدة على المادية التاريخية مباشرة ، ويفتش آخرون عن حل تلفيقى ، على زعم انه من الضرورى توحيد الناحيتين الفلسفية ، والسوسيولوجية فى المادية التاريخية ذاتها .

ويرى المؤلفان ان المادية التاريخية هى العلم الفلسفى للمجتمع لانها تحل المسألة الاساسية . لعلم الاجتماع حلا علميا كما تنطبق على المجتمع . ولقد كان من المستحيل تكوين نظرية علمية خالصة للتطور التاريخى بدون حل مادى لمسألة الرابطة بين الوجود الاجتماعى والوعى الاجتماعى ، ولما كان التاريخ يصنعه الشعب ، تصنعه المخلوقات البشرية الموهوبة بالوعى والارادة ، فانه يلزم أولا وقبل كل شيء ـ لكى نشكل مفهوما علميا للحياة الاجتماعية وتطورها — ان نفسر وعى وارادة الشعب من وجوده المادى ، لاكتشاف القوانين الموضوعية للتطور التاريخى .

المادية التاريخية اذن هى علم فلسفى للمجتمع ذلك لانها استطاعت منذ البداية ان تحل المشكلات السوسيولوجية الاساسية علميا . وهكذا تظهر ـ أى المادية التاريخية ـ فى دور علم الاجتماع العلمى .

لكن التطبيق الغير مميز للمبادىء الفلسفية العامة على المجتمع دون تقدير للطبيعة النوعية للوجود الاجتماعى يجعل من المستحيل تتبع خط المادية والجدل فى التاريخ باتساق . وتستطيع المادية التاريخية ان تحل المشكلات الفلسفية للتطور الاجتماعى فقط باظهار السمات النوعية للوجود الاجتماعى ولجدل العملية التاريخية ، وبكشف الجوهر الاجتماعى للانسان أى بظهورها فى دور علم سوسيولوجى . لهذا لا ترجع علمية علم الاجتماع الذى هو فى نفس الوقت علم فلسفى الى اى عوامل ذاتية لكن ترجع الى صميم موضوع البحث .

واستخدام المادية والجدل فى معرفة الحياة الاجتماعية يجعل من الممكن كشف ميكانيزم العملية التاريخية ، وعمليات وتعارضات التكوين الاجتماعى للرأسمالية ، وتصور التطور الاجتماعى كعملية معقدة ومتعددة الجوانب ومتناقضة ، وأظهار أكثر قوانين المجتمع عمومية .

وتعتبر القوانين التى يدرسها علم الاجتماع الماركسى قوانين عامة من ناحيتين :

الاولى : لانها تحدث فى كل مراحل التاريخ البشرى أو من خلال عدة تكوينات ومن هذه القوانين ، تلك المتضمنة موضوع ومحتوى المادية

التاريخية ، القانون الذى يحدد دور اسلوب الانتاج فى تطور المجتمع ، وقانون توافق قوى الانتاج مع علاقات الانتاج ، والقانون الذى يحدد دور الوجود الاجتماعى وعلاقته بالوعى الاجتماعى ، وعلاقة الاساس بالبناء الفوقى ، وقوانين الصراع الطبقى ، الخ ٠

الثانية : لانها لا تنتمى الى ناحية او اخرى خاصة بالحياة ، لكن تنتمى الى المجتمع ، الى النظام الاجتماعى ككل ، مؤلفة قوانين تفاعل الارتباط الداخلى بين النواحى المختلفة للحياة الاجتماعية ٠ وفى نفس الوقت تعتبر القوانين العامة التى سبق ذكرها قوانين تحدد تفاعل النواحى المختلفة للحياة الاجتماعية ــ الوجود والوعى ، الاقتصاد والسياسة ، قوى الانتاج وعلاقات الانتاج الخ ، ولا تتشابه اشكال ظهور وحدوث القوانين العامة فى ظروف مختلفة ، ومهمة البحث السوسيولوجى الماركسى أن يدرس الاشكال المعنية لظهور وحدوث هذه القوانين ٠

وتعتبر القوانين التى تحدث خلال التاريخ أو خلال عدة تكوينات هى وحدها التى تنتسب الى المادية التاريخية . وما عدا ذلك يعتبر قوانين سوسيولوجية لتكوينات عينية مميزة لكل مجتمع معين ، وهى تلك التى تحدد اشكال تفاعل النواحى المختلفة للحياة الاجتماعية لتكوين ما ٠ وتشكل القوانين النوعية التى تحدد عمليات ذلك التكوين وأهدافه موضوع التحليل السوسيولوجى ٠

ولا يكفى أن نحصل على معرفة عامة بقانون أو بآخر ، لكن من الضرورى أيضا أن نرصد سمة حدوثه وظهوره فى العمليات العينية ٠ وذلك هو ما يواجهه تماما علم الاجتماع من روابط وعلاقات متعددة الاشكال يميزها مثل هذه المبادىء كالسبب والنتيجة،الامكان والواقع،الضرورة والصدفة،الخ وبالرغم من ان نشاط الناس تحدده اسباب موضوعية ، وان القوانين الاجتماعية تتحقق من خلال هذا النشاط ٠ الا أن التبعية السببية لنشاط الناس لا يمكن أن تفسر كتبعية احادية الجانب معتمدة على الوسط ، أى لا تفسر فى روح الحتمية الميكانيكية (اللابلاسية) وبالتالى يكون من الخطأ أرجاع تحقق الظواهر الاجتماعية الطبيعية الى حدث قدرى لقانون او لآخر ، هذا لانه تكمن امكانات مختلفة للتطور فى ظروف كل مجتمع معين أو فى ظروف كل بلد على حدة ، وأى امكان من هذه الامكانات يتحقق فى المستقبل يكون تحققه معتمدا على علاقات القوى ، ونشاط الناس ، وصراع الطبقات ، ونضال شعب أو آخر من أجل حل مهام تاريخية عاجلة ٠ وترجع كل المشكلات النظرية لتحقيق هذه المهام الى علم الاجتماع الماركسى ٠

البحث الاجتماعى والبحث السوسيولوجى

تعتمد كل العلوم الاجتماعية على منهج المادية التاريخية ، لان استخدامها يتوافق مع الطبيعة الخاصة لموضوعات تلك العلوم ٠ ومن ناحية أخرى يلزم المادية التاريخية ، أى علم الاجتماع الماركسى كعلم نظرى عام بحكم طبيعته أن يستند دائما فى تصميماته واستنتاجاته على انجازات علوم نوعية ، وعلى فحوص اجتماعية واضحة ، وعلى احصائيات منظمة جيدا ٠ وفيما عدا هذا ، كانمنهج المادية التاريخية يستعمل فى الماضى وفى الحاضر فى تحليل تلك المجالات من الواقع التى تؤلف الموضوع الملائم لعلم الاجتماع الماركسى ٠ وتتحول المادية التاريخية الى شىء ميت اذا لم تستعمل فى دراسة الجديد مما يظهر ويتطور دائماً فى مجال العلاقات الاجتماعية ، وفى مجال الحياة المادية والثقافية للمجتمع ٠ ويهدف البحث فى مجال علم الاجتماع الى تعميم النتائج المكتسبة ٠ ويفترض هذا دراسة العلاقات الاجتماعية التى يتشكل فى مجموعات اجتماعية عينية،ويستعمل المؤلفان مصطلح « فحوص سوسيولوجية عينية » لتعريف هذا الاتجاه من البحث .

وتتطلب الطريقة الخلاقةلفهم المادية التاريخية كنظرية ومنهج سوسيولوجى ، **أولا :** وضع نهاية للانفصال الواضح التمايز بين المادية التاريخية وبينعلوم اجتماعية معينة ، **ثانيا :** تنفيذ فحوص السوسيولوجية الماركسية : الفحوص الاجتماعية الملائم لعلم الاجتماع ، **ثالثا :** الاشتراك فى فحوص واضحة ومركبة تتطلب تعاون علماء الاجتماع ، والاقتصاديين ، والمؤرخين ، والمحامين ، وعلماء اصول الانسان ، ونقاد الفن ، وممثلى علوم اجتماعية أخرى ٠

وينبه المؤلفان على ضرورة معرفة الفرق بين الفحوص الاجتماعية الماركسية ، وبين الفحوص السوسيولوجية الماركسية : الفحوص الاجتماعية مفهوم واسع ، بينما الفحوص السوسيولوجية العينية تؤلف نمطا معينا من الفحوص الاجتماعية ، ويرشدها الاقتصاد السياسى وموضوعات اقتصادية عينية ، والتشريع وعلم أصول الانسان ، وعلوم التربية ، وعلوم أخرى اجتماعية تدرس الواقع الاجتماعى مباشرة ٠ ولا يمكن ان تحل الفحوص السوسيولوجية العينية مكان الفحوص الاجتماعية ٠ لانه لدى كل عالم معرفة أفضل بمجال بحثه المعين ٠ وعلى علماء الاجتماع أن يعتمدوا على هذه الفحوص الخاصة

ويستخلصوا نتائج وتعميمات سوسيولوجية فى دراسة نواحى الحياة الاجتماعية كل على حدة • وبما أن المجتمع ، الذى هو بنساء اجتماعى ـ اقتصادى ، يؤلف مع قوانينه الوظيفية والتطورية ، وقواه المحركة ، الموضوع الرئيسى لعلم الاجتماع الماركسى ، اذن يتعين على الدراسات السوسيولوجية أيضا أن تكون متعلقة بحدوث هذه القوانين والقوى فى كل بلد على حدة وداخل الفترة المعينة • ومن المهم أيضا اكتشاف العلاقات الجديدة بين الظواهر المتنوعة ، والقوانين التى تحددها ، بالاضافة الى حدوث القوانين التى تم اكتشافها سابقا •

ان النشاط المبذول فى تنفيذ فحوص اجتماعية منظمة ، وفحوص سوسيولوجية عينية ، هو تقليد عتيد للعلم الاجتماعى الماركسى ، وقدمت كلاسيكيات الماركسية الدليل الواضح على هذا ، حيث تزخر اعمالها بأمثلة وعينات من الفحوص الاجتماعية العينية ، ومن هذه الاعمال دراسة انجلز عن « حالة الطبقة العاملة فى انجلترا » .. و « رأس المال » الذى كرس له ماركس كل حياته ، و « تطور الرأسمالية فى روسيا » للينين ، ومقالته الشهيرة « بداية عظمى » وغيرها كثير اعتمدت على قدر عظيم من المواد الواقعية واعتمدت دائما على البحث الاجتماعى والسوسيولوجى ، والبيانات الاحصائية والتجربة العملية ، وعلى الدراسة الدقيقة للنشاط الخلاق لجماهير الشعب • وتعتبر الفحوص الاجتماعية لازمة تماما لتطور العلوم الاجتماعية لزوم الفحوص السوسيولوجية العينية ، لتقدم المادية التاريخية ، وبدون مثل هذه الفحوص تواجه المادية التاريخية خطر اخضاع وجودها لنظام من المفاهيم والمبادىء المتحجرة الثابتة المنفصلة كلية عن الواقع •

موضــوع البحث السوسيولوجي العيني

تمت فى ظل الاشتراكية ـ بلا حدود ـ امكانات وضرورة معرفة العمليات الاجتماعية • لكن استخدام الامكانات الجديدة لخدمة العلم لا تؤثر تلقائيا • ويتطلب تطور العلم الجهد الخلاق للعلماء والحاجة الاجتماعية للبيانات العلمية •

ومع تقدم البناء الاجتماعى للاشتراكية ، تزداد حاجة المجتمعات للعلم السوسيولوجى القادر على متابعة حركية التطور بانتظام ، ومتابعة عملية تحسين العلاقات الاجتماعية وتعميم المعلومات الواقعية التى تفيد كقاعدة تستنفد كلا من المبادىء المنهجية الداخلية لطريقة فهم الواقع والتوصيات العينية المؤسسة على نتائج البحث فى العمليات الاجتماعية •

والاتجاه الرئيسى للبحث السوسيولوجى فى مثل هذه الظروف ـ ظروف البناء الاشتراكى هو الدراسة الدقيقة لنشاط جماهير العاملين فى بناء الاشتراكية ، وأن الاشتراكية تبنيها الجماهير ذاتها ، بطاقاتها الخلاقة •

وترتبط الفحوص السوسيولوجية بنشأة المشكلات الاجتماعية الكبيرة وحلها ، متضمنة بالاضافة الى ذلك كل التغيرات فى البناء الاجتماعى للمجتمع فى عمليات الانتقال من تكوين اقتصادى ـ اجتماعى الى غيره متقدم عنه •

ويطرح المؤلفان هذه الاسئلة كنماذج للتساؤلات التى تعرض للباحث حينما يتصدى لدراسة مشكلة اجتماعية كبرى : ما هى الطرق العينية ووسائل حل هذه المهمة ؟ ما هى الحركية الواقعية للبناء الاجتماعى للمجتمع ؟ ما هى الصعوبات والتناقضات التى ما زالت قائمة ويحتمل بقاؤها ؟ .. الخ • وكذلك يفترض البحث فى حركية البناء الاجتماعى للمجتمع الاشتراكى دراسة وضع كل طبقة على حدة من كل النواحى وتفاعلها ككل ، بل ويفترض ايضا دراسة وضع الفئات المختلفة داخل الطبقات •

ومن بين الموضوعات الرئيسية للبحث السوسيولوجى : اشكال البناء السياسى للمجتمع الاشتراكى ، تطوره ، واكتماله ، عملية تطور مرحلة الدولة الاشتراكية الى مرحلة أكثر تقدما ، ويدرس هذه المسائل كل مركب من العلوم السياسية والتشريعية ، والجانب السوسيولوجى هنا يتضمن تحليل تفاعل النظام السياسى مع كل النواحى الاخرى للحياة الاجتماعية ـ كعنصر فى البناء الاشتراكى ، لتنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية للجماهير ودفعهم الى المشاركة فى العملية الفعالة فى اقامة العلاقات الجديدة متطابقة مع القوانين الموضوعية • وهذه الناحية تشمل دراسة المشكلات المنهجية لعلم الحكم ، والاستخدام الواعى للقوانين الموضوعية فى ممارسة الحكم ، والبحث فى مشكلات تطور الديمقراطية الاشتراكية من جميع النواحى ، وازالة رواسب البيروقراطية ، وتشكيل عناصر الحكم الذاتى ، كل ذلك على قاعدة البحث العينى •

ويعين المؤلفان أهم مجالات البحث السوسيولوجى التالية ، المرتبطة بتآلف مع المجالات السابقة : فحص الحياة الثقافية للمجتمع الاشتراكى ، ودور العلم فى عالمنا الحاضر ،

وانتقال الوعى الاشتراكى الى وعى ارقى ، وتشكيل الثقافة الجديدة ، الملائمة للمرحلة الارقى ، وتطور الفرد من كل نواحيه .

وللبحث فى الحياة الثقافية للمجتمع ناحيتان لا تنفصلان . الاولى هى تحليل لتقدم العلوم واتجاهات تطوره ، وديالكتيكيه تفاعل اشكال الوعى الاجتماعى ـ الاخلاق والقانون والعلم والفلسفة وعملية التطور الايديولوجى . الثانية هى تحليل عملية تكوين الوعى الجديد للجماهير لكى يطلعهم مباشرة على الانجازات العلمية والثقافية وليضمن مشاركتهم فى تنمية الثقافة ، وللتغلب على بقايا الماضى فى عقول الناس .

ويؤكد المؤلفان على ان تحليلا علميا سوسيولوجيا لحياة الناس الثقافية أمر ممكن بالطبع ، لكن فى حدود عدم فصل وعى الشعب عن الحياة والممارسة والظروف المادية ومأخوذة فى ارتباطها العضوى بها .

وهكذا يفحص علم الاجتماع العلاقات الاجتماعية المتعددة الاشكال فى المجتمع . وبينما يدرس العلاقات الاجتماعية ، يدرس فى نفس الوقت الشخصية الانسانية ، ويعتبر الانسان فى علاقته بالواقع الموضوعى ، وفى كل تعدد اشكال روابطه الواقعية وعلاقاته هو مركز اهتمام عالم الاجتماعى الماركسى « لان عالم الاجتماع المادى الذى يتناول العلاقات الاجتماعية المحددة للناس كموضوع لبحثه ، يدرس ايضا الافراد الواقعيين الذين تتكون من افعالهم تلك العلاقات .

وبعد ان يعرض المؤلفان فى فصل خاص للاساليب المستخدمة فى الفحوص السوسيولوجية العينية ، يصلان الى ان متطلبات تطور علم الاجتماع الماركسى ، تستدعى تطبيق شامل للفحوص السوسيولوجية العينية .. ويعتبرون المعلومات التى يزودنا بها علم النفس الاجتماعى ، والاحصاء ، وعلم اصول الانسان ، والتعداد ، وعدة علوم اخرى مرتبطة بعلم الاجتماع ذات أهمية كبرى فى ضمان نجاح وتأثير هذه الفحوص . كما يفترض التطور المطرد لعلم الاجتماع الماركسى ايضا استمرار عملية اتقان واغناء مبادئه ، واكمال اساليب وتكنيكات الفحوص السوسيولوجية .

ويرى المؤلفان ان كل هذه المسائل لا تستطيع أن تحول دون تدريب المتخصصين المؤهلين . ويأخذ على الخريجين الحاصلين على شهادات فلسفية وممن يعملون فى هذا الحقل ، ضآلة تدريبهم على استعمال أساليب وتكنيكات الفحوص السوسيولوجية ، واستخدام المنطق الصورى والاساليب الرياضية فى عملية تعميم معلومات البحث الاجتماعى .

علم الاجتماع عند ماركس

• تأليف :

هنرى لوفيفر

• عرض وتلخيص :

لطفى فطيم

دار نشر ألن لين ـ لندن ـ ١٩٦٨.

يتصور خصوم الماركسية أن أى نقد يمارسه الماركسيون لافكارهم أو أفعالهم انما هو هدم لها ، وينسون أن أحد أعمدة النظام الاشتراكى هو النقد والنقد الذاتى ، وأنه بدون نقد لا يمكن للفكر الماركسى أن يتجدد ، وأن يتخطى اخطاءه وواقعه ليصل فى النهاية الى ذلك النظام الاجتماعى الذى رسم ماركس طريق الوصول اليه .

لذلك سارعت دور النشر فى آمريكا وانجلترا الى ترجمة الكتاب القيم الذى كتبه الفيلسوف الفرنسى الكبير هنرى لوفيفر « علم الاجتماع عند ماركس » الى الانجليزية فور صدوره ـ وهو شىء نادرا ما تفعله ـ فوضعت بذلك بين أيدى عدد أعظم من القراء كتابا من أوفى الكتب وأعمقها عن علم الاجتماع الماركسى ، وهو كتاب يعرض عرضا نقديا أفكار ماركس السوسيولوجية ، ويكاد يكون

الاول من نوعه ، فلم تعرف الماركسية كتابا يعرض لنظرية الاجتماع الماركسية فى نسق علمى موحد كهذا الكتاب · وهو يتكون من مقدمة وخاتمة وفصول اربعة ، تتناول مشكلة التطبيق العملى praxis والايديولوجية وسوسيولوجيا المعرفة، وعلم الاجتماع والطبقات الاجتماعية ، ونظرية الدولة .

ويقول لوفيفر أنه قد شاعت أخيرا فكرة مؤداها أن « ماركس ينتمى الى الماضى » وأنه « يمثل عصرا معينا » وأن ماركس قد أخطأ فى عدة أشياء ، ولم تثبت نبوءاته فقد تنبأ بنهاية الرأسمالية ، ونهاية الدولة ، ونهاية الفلسفة ، ونهاية الاغتراب الانسانى ، تنبأ بالكثير من « النهايات »، ولاتزال الاشياء التى تنبأ بنهايتها موجودة ، بل وبعضها اكثر استقرارا من أى وقت مضى ، ولذلك فان استنتاجات ماركس انما تعبر عن حقائق وآمال القرن التاسع عشر ·

وقد أخذ لوفيفر على عاتقه أن « يعيد قراءة ماركس » ليدرك هؤلاء أن ماركس لم ينضب معينه وأنه سيظل لفترة طويلة ملهما للفكر الاجتماعى والسياسى · **وهو لا يقصد أن يقدم تفسيرا آخر لماركس ، وانما يحاول ان يقدم من جديد أفكار ماركس الاصلية** ، ويرى انها محاولة تستحق الجهد نظرا للخلافات والتناقضات التى ميزت تطور « الفكر الماركسى » فى عصرنا الحاضر ·

فعلم الاجتماع الماركسى فى نظر مفكرى المعسكر الاشتراكى هو المادية التاريخية ، وهى نوع من علم الاجتماع العام يقابل ما يطلق عليه ذلك الاسم فى المجتمع الرأسمالى · ووفقا لهذا « المعتقد » تعتبر مادية ماركس التاريخية هى القوانين التى تحكم تطور كافة المجتمعات ، وهى تحكم تطور المجتمع كما تحكم تطور التاريخ وفقا للتناقض ، والتغيرات الكمية التدريجية ، والتغيرات الكيفية المفاجئة ·

ويعتبر لوفيفر هذا التفسير أقل التفسيرات قبولا · فكيف يتم تصور القوانين الشاملة للديالكتيك التى سيطبقها علم الاجتماع المادى على نمو المجتمعات ؟ فاما أن تعتبر هذه القوانين جزءا من الفلسفة ، وفى هذه الحالة تعتبر المادية التاريخية جزءا من المادية الجدلية ، وتتعرض بالتالى للنقد العام الموجه لكافة النظم الفلسفية عموما ، كما أن الميل الى استنتاج السمات العامة للمجتمعات بشكل فلسفى تجريدى دوجماطيقى سيزداد وهذا نكوص الى المستوى النظرى للهيجلية أو ما دونها · واما أن ترتبط هذه القوانين بالمنهج الماركسى العام وفى هذه الحالة تستخدم كأدوات تصورية لتحليل المجتمعات الموجودة بصرف النظر عن المحتوى والخبرات والحقائق التى تتكون منها ، بينما يعالج علم الاجتماع العيانى Concrete القائم على الطريقة الديالكتيكية ـ التى صاغها هيجل وطورها ماركس ـ المحتويات والوقائع والمعطيات التجريبية · واذا كان الامر كذلك فان المادية التاريخية يمكن اعتبارها مقدمة لعلم الاجتماع وليست علم اجتماع !

ولقد احتار ماركس بين شراحه ، فاعتبره الكثيرون اقتصاديا ، صاحب حتمية اقتصادية يحدد مستوى نمو قوى الانتاج بواسطتها ميكانيكيا أو أوتوماتيكيا العلاقات الاخرى والاشكال التى تكون الحياة الاجتماعية وعلاقات الملكية والمؤسسات والأفكار · ونسى هؤلاء أن العنوان الفرعى لكتابه « رأس المال » هو « نقد للاقتصاد السياسى » والاقتصاد السياسى شامل لحركة المجتمع التطبيقية كلها . ونسوا أيضا أن كل ما تنبأ به ماركس بشأن الرأسمالية التنافسية competitive capitalism قد صدق. وباختصار فرغم ان « رأس المال » يحتوى نظرية اقتصادية فهو ليس كتابا فى الاقتصاد السياسى اذ أنه يحتوى شيئا آخر أكثر أهمية ألا وهو : طريقة لتخطى الاقتصاد السياسى عن طريق نقد جذرى له · ان التفسير الاقتصادى economistic لهذا العمل يشوهه بأن يقصر مداه على جانب واحد منه .

واعتبره بعض الشراح مؤرخا اذ يقول فى مؤلفه ـ بالاشتراك مع انجلز ـ الايديولوجيا الالمانية ,نحن لا نعرف الا علما واحدا هو علم التاريخ » ·· فماذا عنى ماركس بهذه العبارة ؟ فاذا كان التاريخ هو العلم الوحيد للحقيقة الانسانية فلماذا كرس ماركس الكثير من وقته وجهده لدراسة الاقتصاد ؟ ونحن نجد اجابة على هذه الاسئلة فى مقدمة رأس المال وفى ثنايا الكتاب نفسه · فهذا الكتاب يعرض لتطور الرأسمالية التنافسية ككل : تكونها وتوسعها وتألقها ثم انهيارها الحتمى · ويتفتح تاريخ هذه الرأسمالية على عدة مستويات مختلفة · لذلك يحتوى الكتاب بعضا من الاقتصاد السياسى (نظريات السلع ، والنقود ،ومعدل الربح ،وتراكم رأس المال . الخ) وبعضا من التاريخ (معظمه تاريخ انجلترا والطبقات الوسطى الانجليزية والرأسمالية الانجليزية) وبعضا من علم الاجتماع (مجتمعات ما قبل الرأسمالية ، الاسرة البورجوازية ، الطبقات الاجتماعية ·· الخ) وأظن أنه يحق لنا القول ان ماركس تصور ووضع مشروعا « للتاريخ كله » أى التاريخ الذى لا يمكن أن يتوفر عليه علم التاريخ بالمعنى المعروف · فالانسان ، كفرد وكعضو فى مجتمع ، كائن تاريخى ، جوهره التاريخ فهو يكون ويخلق نفسه فى مجال التطبيق العملى ، ولا يوجد شىء فيه ليس نتاجا للتفاعل بين الافراد والجماعات والطبقات والمجتمعات · فالتكوين الاقتصادى ـ الاجتماعى للانسان كما يسميه ماركس له جوانب عدة

ويحتوى الكثير من الخلافات وينمو على عدة مستويات متباينة بحيث لا يمكن لعلم واحد ان يستوعب ذلك البحر الهائل • فعالم الاقتصاد ، وعالم النفس ، والباحث فى علم السكان ، وعالم الانثروبولوجيا لكل واحد منهم نصيبه ، وكذلك لعالم الاجتماع •

اننا نرفض أن يفسر ماركس بوصفه اقتصاديا كما نرفض أن يفسر بوصفه مؤرخا ، فهل سنعتبره عالم اجتماع ؟

يقول لوفيفر : « اننا لن نعتبر ماركس عالم اجتماع ، ومن ينسب الينا ذلك — على أساس من عنوان الكتاب — فأنه أما أنه لم يقرأ الكتاب او سيء القصد ، ان **ماركس ليس سوسيولوجيا ، ولكن توجد سوسيولوجيا عند ماركس** » •

فكيف نفسر تلك العبارة التى تبدو متناقضة ؟

ان جوهر افكار ماركس هو البحث عن أطروحة These شاملة تحيط بالعلاقة بين النشاط الانسانى وانجازاته • ونجد عنده بوضوح المشكلة الفلسفية الخاصة بالعلاقة بين الذات والموضوع وقد تحررت من الاحابيل التأملية المجردة . فعند ماركس الذات subject هى دائما الانسان الاجتماعى ، الفرد منظورا اليه فى علاقته الفعلية بالجماعات والطبقات والمجتمع ككل • والموضوع object هو منتجات الطبيعة ومنتجات الانسان بما فى ذلك التكنيك والايديولوجيا والمؤسسات والاعمال الفنية والثقافية •

وعلاقة الانسان بانتاجه علاقة ذات شقين : فمن ناحية يحقق ذاته فى هذا الانتاج ، فلا يوجد نشاط لا يؤدى الى موضوع ولا يهدف الى نتيجة يتمتع بها صاحبه بطريق مباشر أو غير مباشر • ومن ناحية أخرى يفقد الانسان ذاته فى أعماله • فهو يضل الطريق بين منتجات جهوده تلك المنتجات التى تنقلب عليه وتطويه وتصبح عبئا عليه • ففى لحظة واحدة يطلق الانسان سلسلة من الاحداث التى تطويه طيا : وهذا هو التاريخ • وفى لحظة أخرى فان ما يخلقه يتخذ لنفسه حياة خاصة تستعبده ، وهى السياسة والدولة • بينما تخلب لبه وتعمى أبصاره مخترعاته نفسها : وهذه هى قوة الايديولوجيا •

ولقد تميزت كتابات ماركس فى مختلف النواحى بوجود حركة ديالكتيكية ذات ثلاثة تصورات أساسية هى الحقيقة Truth ، والتخطى going beyond وفك الاغتراب disalienation

ويرى ماركس أن الاتجاه النقدى ، لحظة أو مرحلة النفى ، أمر أساسى بالنسبة للمعرفة ، **فلا يمكن أن توجد معرفة دون نقد للمعطيات الفكرية** والواقع الموجود وخاصة فى العلوم الاجتماعية • **وهو يؤكد وحدة المعرفة والواقع ، ووحدة الطبيعة والانسان ، ووحدة العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية** • وهو ينقب عن كلية Totabity فى عملية الصيرورة وفى مرحلة نموها الراهنة ، وهى كلية تشمل مستويات ونواح تتكامل احيانا وتتمايز أحيانا وتتناقض أحيانا • وبالتالى فان نظريته ليست تاريخا وليست سوسيولوجيا وليست سيكولوجيا •• الخ وانما تشمل كل هذه المناهج والنواحى وهذه المستويات المختلفة للكل • ومن هنا كانت أصالتها وجدتها وشبابها الدائم • والبحث الماركسى انما يركز على قضية واحدة هى العلاقة الديالكتيكية المتبادلة بين الاشخاص العاملين فى المجتمع وبين منجزاتهم المختلفة المتعددة المتناقضة • ولقد كان من نتائج التقدم — منذ عصر ماركس — ان تفرعت العلوم الى تخصصات ضيقة تميل بنا الى نسيان الكلية الشاملة للجهد الانسانى • بل ان العالم نفسه قد انقسم الى « العالم الاشتراكى » و « العالم الرأسمالى » و « العالم الثالث » بل وأصبحت هناك عوالم أخرى غير عالم الارض ، وفى وجه ذلك كله لابد أن يظل فرض وحدة المعرفة والطبيعة الكلية للواقع من ألزم الامور للعلوم الاجتماعية خاصة • وهكذا يمكننا أن نتعرف عند ماركس على علم الاجتماع العائلى ، والحضرى ، والريفى ، والطبقى ، وسوسيولوجيا المعرفة والدولة . الخ وذلك دون المساس بحقوق بقية العلوم كالاقتصاد والتاريخ والسكان وعلم النفس .. الخ .

مشكلة التطبيق العملى

يظهر مفهوم التطبيق العملى فيما يسمى بالمخطوطات الفلسفية لماركس ، وهو يعرفه بوصفه المقابل للفلسفة واتجاه الفيلسوف الى التأمل . فجوهر الانسان هو الاجتماعية وجوهر المجتمع هو التطبيق العملى ، وتجد مختلف فروع المعرفة معناها ومجالها الى الحد الذى ترتبط فيه بالنشاط العملى • والان اذا كان اكتشاف النشاط العملى يفسر بأنه رفض للفلسفة ، الايدو اننا نتجه نحو فلسفة براجماتية ، او مايشبهها ، أى الى فلسفة جديدة ؟ وهذا هو ما نجده بالفعل لدى الفيلسوف الايطالى **أنطونيو جرامشى** والفيلسوف المجرى **جورج لوكاتش** •

الا أن اكتشاف التطبيق العملى يعنى القضاء على الفلسفة الذاتية والتأمل الميتافيزيقى والاتجاه الى تحقيق الفلسفة وذلك الى الحد الذى يجعل فيه التطبيق العملى الثورى مسألة تقسيم العمل والدولة والتعارض بين عالم الفلسفة (عالم الحقيقة) وعالم اللافلسفة (عالم الواقع) امورا تنتمى الى الماضى •

الايديولوجية وسوسيولوجيا المعرفة

يعتبر مفهوم الايديولوجية اشد المفاهيم التى وضعها ماركس شمولا وأعظمها اصالة ، وهو ايضا واحد من اشدها تعقيدا وغموضا . ولقد نشأ تعبير « ايديولوجية » مرتبطا بمدرسة فلسفية هى التجريبية الحسية مع ميل الى المادية ، تلك المدرسة التى كان لها نفوذ فى فرنسا فى نهاية القرن الثامن عشر وقرب بداية التاسع عشر • فقد رأت هذه المدرسة أن هناك علما للافكار أى علما يدرس نشوء التصورات المجردة ، ويستطيع ان يعيد بناءها كاملة بادئا من الاحساس • ولقد وافق ماركس وانجلز على استخدام هذا التعبير بعد ان تحور معناه وأصبح بدلا من أن يشير الى نظرية يشير الى الظاهرة التى تفسرها النظرية • وقصد ماركس وأنجلز بالظاهرة مجموعة التصورات المميزة لعصر ومجتمع معين • وذلك ما فعلاه فى كتابهما « الايديولوجية الالمانية » أما العلاقة بين تلك التصورات وبين الواقع والى أى مدى تمثل الايديولوجية الواقع او التطبيق العملى وهل هى تمثيل كامل أو مقلوب أو ناقص للواقع فهذا مجال ينتظر البحث واكمال ما رآه ماركس وأنجلز فيه •

علم الاجتماع والطبقات الاجتماعية

لقد كون ماركس مفهومه عن الطبقات الاجتماعية فى ظل الرأسمالية التنافسية للقرن التاسع عشر ، تلك الرأسمالية التى تنبأ بنهايتها والتى انتهت فعلا هى وطبقتها البورجوازية الحاكمة تحت تاثير حركة الطبقة العاملة من ناحية وازدياد تركز رأس المال من ناحية أخرى • ولقد أسس نظريته عن نشوء الطبقات والصراع الدائم بينها بادئا من الاشكال والوظائف والابنية الاجتماعية وهى تصورات ثلاثة يستحيل أن يكون للتاريخ معنى بدونها • ويمضى تحليله بعد ذلك على ثلاثة مستويات ، مستوى المنطق الخالص،ثم مستوى العلاقة بين الشكل والمضمون (المنطق الديالكتيكى) ، ومستوى العمل الاجتماعى بتناقضاته الداخلية (الحركة الديالكتيكية) • ويجب على علم الاجتماع الماركسى أن يتخذ موضوعا له الجهود التى تبذلها الطبقة العاملة لتحول الى مصلحتها شكل وقوانين القيمة التبادلية بحيث تغير الشكل عن طريق الاستفادة والتحكم فى القوانين حتى تمنع الاجور الحقيقية من الانخفاض الى ما تحت مستوى قيمة السوق لقوة العمل ، بحيث تصل الى أجر أعلى من هذه القيمة ، وان تزيد هذه القيمة نفسها (أى تزيد من الحاجات التى يجب أن تشبع حتى تنتج قوة العمل) • ويجب على علم الاجتماع أن يوسع مجاله ليشمل الجهود التى تبذلها الطبقة العاملة للارتفاع عن قوانين القيمة والسوق ـ عالم السلع ـ من خلال التطبيق العملى •

علم الاجتماع السياسى : نظرية الدولة

ان نظرية الدولة هى قمة الفكر الماركسى ، ومن الطبيعى أن تظل مثال جدل عنيف ، فلم ينل أى جانب من جوانب النظرية الماركسية ، من التشويه والتضليل مثلما نال ذلك الجانب • والاساس فى نظرية ماركس هو أنه ـ على العكس من هيجل ـ يستند أولا الى فكرة أن الانسان حيوان اجتماعى وليس حيوانا سياسيا • فالعلاقات الاجتماعيةبما فى ذلك التناقضات الطبقية هى التى تفسر الدولة وليس العكس • فالدولة الحديثة تقوم على أساس أن الواقع الانسانى منقسم الى حياة عامة وحياة خاصة ، الى مواطن وفرد • وهذا الانقسام هو أساس الاغتراب السياسى ويجب الغاؤه • والثورة البروليتارية تعنى الغاء الدولة والعلاقة الداخلية بين الاثنين علاقة ديالكتيكية ـ وحدة وتناقض يتم الوصول الى المركب منهما عن طريق النفى فى المرحلة الانتقالية • وفى هذه المرحلة لا يكون الهدف هو تحطيم الدولة (كما يقول الفوضويون) ولكن أن يقوم المجتمع ككل (هذا المجتمع الذى تم تغييره) بالوظائف التى كانت تقوم بها الدولة •

ان الافكار الخصبة التى قدمها ماركس لتفسير التاريخ وحركة المجتمع هى اساس علم الاجتماع العلمى ، ولا يمكن لعلم الاجتماع أن يواكب حركة المجتمع الحديث دون ان يتخذ اساسا له هذا الاتجاه العلمى • وترجع أزمة العلوم الاجتماعية فى مصر وعدم مواكبة نشاطها لحركة الثورة المصرية الى أنها وقفت بدارسيها عند سان سيمون وأوجست كونت اللذين تخطاهما هيجل ثم ماركس من بعده ، ولن يصبح لعلم الاجتماع قيمة ما لم تدخل هذه المفاهيم الجديدة الى رؤوس أساتذته وطلابه •

والملاحظ أن علم الاجتماع يكاد أن يكون العلم الوحيد الذى لم يتأثر بالمفاهيم الجديدة التى نادت بها ثورة ٢٣ يوليو ، والذى لم يتأثر عموما بالحركة الاشتراكية • ذلك أن أبوابه ظلت مغلقة دون الفكر الماركسى ، الذى لا غنى للعلوم الانسانية عنه • ولا شك أن الانفتاح على هذا الفكر سيكون فاتحة لتطورات جديدة فى علم الاجتماع • ومن هنا تكمن أهمية أن ينقل كتاب لوفيفر ـ وغيره من الكتب التى تعالج هذا الموضوع ـ الى العربية •

حوار مع « الحدث الليبى والثورة المعاصرة »

كتب المواطن **هانى عبد المنعم خلاف** — بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية — يعلق على افتتاحية العدد الماضى (اكتوبر) **للطفى الخولى** بعنوان « **الحدث الليبى والثورة العربية المعاصرة** » ، فيقول :

اطلعت على افتتاحيتكم للعدد الماضى الذى تناولتم فيهـا « الحدث الليبى والثورة العربيـة المعاصرة » وقد اثارنى فيها تعرضكم فى غير موضع واحد لموضوع قوانين الحركة التاريخية ومعالجتكم له على نحو لى عليه — لو تسمحون — تعليق .

أما بخصوص **الموقف الاول** : والذى فهمته من استهلالكم أنكم ترون ان القانون الذى يحكم عملية الثورة على وجه العموم هو الذى حكم الثورة الليبية حين قامت ، وان علامات الدهشة والمفاجأة التى قوبلت بها اخبار الثورة الليبية انما تدل على جهل اصحابها بقوانين « الحركة العامة للشعوب العربية » واتجاهها « نحو تحررها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ووحدتها القومية الديمقراطية » .

والذى لا يمكن الجدال فيه ان الثورة الليبية — بهذا الشكل ، وفى هذه الظروف — انما تتجه مع الحركة العامة العربية نحو ما قاله الاستاذ الخولى . لكن الذى فيه جدال هو حكمه على المندهشين « بالجهل الموضوعى » بقوانين الحركة وظروفها وتصوره انتفاء وجود سبب آخر لموقفهم . ودورى هنا ليس دور المدافع عن هؤلاء المندهشين او الذين يرون فى حدوث الثورة الليبية « معجزة » او « استحالة » ، وانما اناقش موقف الاستاذ الخولى بصفة عامة من قضية قوانين الحركة على ضوء رأيه فى الثورة الليبية .

والذى أريد تسجيله هنا ان الدهشة التى صاحبت الثورة الليبية يمكن ان تستند الى اسباب اخرى غير « الجهل الموضوعى بظروف ليبيا وعدم العلم بقوانين الحركة الشعبية والتطور الاجتماعى » .

● فهناك من الاحداث ما يمكن ان يتم تفسيرها وفقا لقوانين متعددة ، (وتفجر الحدث بالفعل) — على حد تعبيركم — ليس دليلا على صحة قانون بعينه لان هناك من الامور ما قد تختلف مقدماتها ثم تتفق فى النهاية نتائجها . ولست أراه من قبيل تدعيم القانون او تعزيزه أن ننسب اليه باستمرار مسئولية كل الاحداث ، فثبوت صحة قانون ما لا يقتضى بالضرورة ان يكون القانون حاكما لكل الحالات ولا ان يكون هو حكمها الوحيد ، بل واكاد اقول ان هناك من القوانين الصحيحة الثابتة ما يشترك جميعها فى مسئولية حكم السير التاريخى على حين يبدو مبنى كل منها فى تناقض مع الاخر ، غير ان اقتسامها لمناطق نفوذها وفترات تأثيرها هو الذى يخلق لها السلامة والفعالية الدائمة . واضرب لهذا الوضع مثالا من مجموعة القوانين التى تحكم حركة الزنوج الامريكية : فثورة الزنوج يحكمها على الاقل اعتباران لكل منهما قانون خاص باتجاه الحركة ومداها .

الاعتبار الاول : الاعتبار اللونى فى مواجهة الرجل الابيض وذلك تحكمه قوانين سيكلوجية يشترك فى الخضوع لها الزنجى الامريكى مع الزنجى الافريقى مع الجنس الاصفر فى الوقت الذى تختلف فيه مواقع هذه الاطراف الثلاثة بحسب قوانين الصراع الدولى والقومى .

الاعتبار الثاني : اختلاف الوضع الطبقي داخل جماعات الزنوج نفسها ، الامر الذي يجعل هنا — وفقا لقوانين الاستغلال — جبهتين للكفاح الزنجي: جبهة من الفقراء واخرى من الاغنياء ، مع ما يترتب على هذا الانقسام من اختلاف ادوات الكفاح ودرجاته .

أخلص من هذا الى ان الثورة الليبية — كغيرها من أحداث التاريخ — يمكن ان يحكمها بصفة عامة اكثر من قانون واحد ، وايمان احدنا بقانون معين لا يسوغ له الحكم بالجهل على غير المؤمنين به .

● وبالاضافة الى احتمال تفسير الاحداث بقوانين متعددة فان هناك من الاحداث ما تجرى وفقا لقوانين لم تكتشف بعد ، الامر الذى يترجم فى التحليل الدينى « بارادة الاقدار » او « الحكمة الالهية » . والعالم الحق لا ينكر مالا يعلم .

● ثم لماذا لايكون سبب الاندهاش الذى صاحب الثورة الليبية راجعا الى الترتيب المتصور لعملية انتقال التغيير وفقا لحسابات القوانين التاريخية والموضوعية التى يقال بها والتى لا يمكن ان تتصور — وفقا لها ايضا — حدوث التغيير فى ليبيا قبل مروره بغيرها .

أما **الموقف الاخر** الذى تمسون فيه مسألة « القوانين الموضوعية » فيظهر حين تضعون الثورة الليبية ضمن مجموعة الاحداث الثورية العربية التى حدثت بالعالم العربى ابتداء من عام ١٩٤٨ وتحاولون صياغتها فى شكل قانون عام ينسبها دائما الى ظروف هزيمة عسكرية تلحق بالعرب على يد اسرائيل ، وكأن الوعى العربى مرهون دائما بالوجود الاسرائيلى وبالهزيمة أمامه على وجه التحديد !

وصياغة هذه الاحداث على هذا النحو تعد — فى رأيى — من قبيل تحميل الامور باكثر مما تحتمل :

● فاذا كان انفجار الثورة المصرية عام ١٩٥٢ قد ارتبط فى جزء منه بهزيمة ١٩٤٨ فلست اعتقد ان الثورة الجزائرية فى عام ١٩٥٤ قد ارتبطت بهذه الهزيمة بالقدر الذى يسمح لنا بادخالها فى خريطة ردود الفعل العربية ، ولعل ظروف التباعد الجغرافى النسبى للجزائر ،ودرجة النضج القومى العربى بها فى ذلك الوقت يؤكدان صحة هذا الاعتقاد .

● واذا كانت هناك احداث ثورية فى العراق وسوريا واليمن اعقبت حرب السويس ١٩٥٦ ، وكان من شأنها — كما ترون — « دفع مجمل الحركة الثورية العربية خطوات جذرية الى الأمام » فهى بالاضافة الى انها لا تقدم دليلا لصحة قانونكم المفترض وذلك بحكم ان نتيجة الحرب كانت انتصارا للعرب وليس هزيمة عسكرية كما يفترض قانونكم (!) . . . هى بالاضافة الى ذلك لاتمثل كل الاحداث العربية التى حدثت فى هذه الفترة ، فكما كانت هناك ثورة تقدمية بالعراق كانت هناك حركة عسكرية رجعية فى السودان ، وكما كانت هناك وحدة مع سوريا كان هناك انفصال عن سوريا ، وكما كانت هناك ثورة فى اليمن .

● ثم تأتى لمرحلة مابعد هزيمة ١٩٦٧ ونناقش ردود الفعل التى تعددونها كدلائل لصحة « القانون الموضوعى » الذى ترونه ... هنا سوف نجد ان انتصار الثورة فى اليمن الجنوبية لا يرتبط بكثير او قليل بهزيمة العرب أمام اسرائيل ذلك انها كانت ثورة مباشرة ضد قوات احتلال واستعمار أجنبى ، ولو كان الامر يسير وفقا لحسابات قوة الاعداء وانتصاراتهم لما كان استقلال اليمن الجنوبية ، ولا كان انتصار ثوارها فى وقت تأكدت فيه المقدرة العسكرية لاعداء العرب فى الشمال والجنوب .

اما بخصوص ثورة السودان وليبيا فليس ثمة ما ينفى ارتباطهما بظروف الهزيمة بل على العكس — والحق لله ولكم — فقد ثبت ان المناخ العام الذى ساد كلا من ليبيا والسودان قبل ثورتهما كان من أهم اسباب الموقف الضعيف الذى وضع فيه العرب ، فكان تغيير هذا المناخ فى ليبيا والسودان — ولايزال فى غيرهما — أمراً ضروريا تحتمه ارادة الانتصار ويقضى به منطق رفض الهزيمة .

واذا كانت ثورتى السودان وليبيا قد ارتبطتا بهزيمة العرب عام ١٩٦٧ فليس يعنى ذلك انه قانون عام شامل ان تعقب الهزائم العربية ثورات تقدمية على نحو ما أشرتم وأشرنا .

خلاصة دعواى — **ان جازت لى الدعوى** — اننى أطالب الاستاذ الخولى بالقصد بعض الشىء فى اعتماد « القوانين العلمية » على اطلاقها خصوصا فى مجال العلاقات البشرية ، والاعتبار فى ذلك بحوادث الثورة الروسية ، والانفصال المصرى السورى ، والصراع الصينى السوفيتى واثر ذلك كله فى تحطيم فكرة (قانون الحركة المطلق) الذي لا يعدو فى ذاته ان يكون من اكتشاف شخص معين فى زمان ومكان محددين .

●

تعقيب مقاتل من الجبهة

كتب المقاتل م . م . جندى من

الجبهة — يعقب على افتتاحية الطليعة العدد التاسع (سبتمبر) — « ماذا ننتظر : حريق آخر » للطفى الخولى ، فى خطاب جاء فيه :

« . . . وانى لأخشى ، ان تكون الانتفاضة التى شبت فى نفوس العرب والمسلمين بعد حريق المسجد الاقصى ، وقتية سرعان ما تنطفىء مع مضى الوقت ».

لابد وان تدرك اسرائيل ان عملها الاجرامى لن يمر . ويتطلب ذلك ان تكون كلمة العرب والمسلمين واحدة وموقفهم واحدا .

وكم كنت اتمنى ان تتحرك القوى التىتحركت من أجل « مؤتمر اسلامى » ، عقب احتلال الاماكن المقدسة مباشرة فى يونيو ١٩٦٧ .

. . . وبرغم ذلك كله ، فهناك ما يمكن ان تفعله هذه الدول الاسلامية . فمنها من له علاقات مع اسرائيل . فاذا كانت راغبة حقا فى الرد على اسرائيل ، فيجب انيكونذلكبقطع هذهالعلاقات وكم اتمنى عندمناقشةالمشكلة فى الاممالمتحدة او مجلس الامن ، ان نتخلى عن العبارات الرنانة والالفاظ التى طال استهلاكها ، فيجب ان تكون الاعمال اكثر من الاقوال » .

المواجهة على القناة .. من وجهة نظر مقاتل

وكتب المقاتل أحمد مصطفى عبد اللطيف — جندى من الجبهة — يعلق على المعارك الاخيرة فوق ارض سيناء ، فيقول :

« خلال الاسبوع السابق (٢٧ سبتمبر — ٣ اكتوبر) شهدت ارض سيناء العزيزة ثلاث عمليات لرجال القوات الخاصة المصرية على ثلاثة مواقع للعدو فى سيناء « مصفق — خليج السويس — الدفرسوار » اكدت كفاءة المقاتل المصرى الذى يقف الان على خط النار على شاطىء القناة يضرب للتاريخ وللعالم اجمع أروع الامثلة على رفض الهزيمة والاصرار على النصر مهما كانت صعوبة طريقه وقسوته .

وانني كواحد من هؤلاء الرجال الذين يقفون الان فى أشرف مكان ،أؤكد أن هذه العمليات الثلاث للرجال من قواتنا الخاصة قد قضت نهائيا على تلك الشائعات التى احاطتبالمقاتل المصرى بعد معارك الايام الستة من عام ١٩٦٧ والتشكيك فى كفاءته وقدرته القتالية .

لقد كانت لتلك العمليات الشجاعة والفدائية التى قام بها الرجال من ابناء مصر لمرات ثلاث خلال اسبوع واحد ، دلالاتها واثرها على سير الحرب بيننا وبين العدو :

أولا : لقد جاءت هذه العمليات فى وقت اشتدت فيه الحملات النفسية علينا محاولة التأثير فى معنوياتنا هنا على الجبهة وفى تماسك الجبهة الداخلية التى كان صمودها مناكبر عوامل التغيير الذى تم بعد نكسة يونيو فى جميع مجالاتنا العسكرية والسياسية والاقتصادية .

واستغلت هذه الحملة النفسية التى بدأ العدو بالتعاون مع الاستعمار الامريكى شنها علينا ، تلك العملية الدعائية التى قامت بها اسرائيل على السواحل المعزولة على خليج السويس فى ٩ سبتمبر الماضى . وصورتها الدعاية الاستعمارية والحرب النفسية على انها عملية غزو لمصر وأرادت الحملة النفسية ان تصور لنا فضلا عن هدفها العسكرى من وراء عمليتها تلك ، ارادت ان تصور لنا نحن جنود القوات المسلحة أنه لا فائدة فى الحرب مع اسرائيل وانها قادرة على ان تضرب حيث تريد وان جيشها لا يهزم أبدا .

ثم جاءت هذه العمليات الثلاث للقوات المصرية لترد على تلك الحملة النفسية للعدو ولتؤكد فى نفس الوقت ، اصرارنا على النصر مهما كانت التكاليف ومهما كانت التضحيات . لقد اختار العدو اهدافا معزولة . لكننا قمنا بعملياتنا فى عمق دفاعاته وفى مواقعه العسكرية المحصنه والمكتظة بجنوده ومعداته .. واكدنا خرافة ان جيش الدفاع الاسرائيلى لا يهزم أبدا .

ثانيا : لقد جاءت هذه العمليات الثلاث فى وقت زيارة رئيسة وزراء اسرائيل للولاياتالمتحدة الامريكية وفى وقت خرجت فيه الانباء من واشنطن تقول ان « نيكسون اقتنع بمطالب اسرائيل وقرر تزويدها بـ ٢٥ طائرة من طراز فانتوم و٥٠ اخرى من طراز سكاى هوك » . بخلاف المساعدات المالية والاقتصادية .

جاءت هذه العمليات — لتؤكد رفضنا لهذا التحالف الصريح بين الامبريالية الامريكية والصهيونية المعتدية . ولتؤكد اصرارنا على قهر العدو وطرده من كل شبرمنالارض العربيةمهما كانت المساعدات الامريكية ومهما بلغت قيمتها العسكرية والمادية .

ثالثا : اكدت هذه العمليات الثلاث اهميةحرب الاستنزاف والحرب الطويلة للاستراتيجية الحربية العربية . فهذه الحرب الطويلة لم يتعود عليها العدو وهى لا تلائم تكوين جيشه وطبيعته

الهجومية واستراتيجيته العسكرية ووجود العدو على ارضنا لابد ان يكون له الثمن استنزافا يوميا لقوته البشرية والحربية .»

رابعا : حملت هذه العمليات الثلاث للرجال من ابناء القوات المسلحة المصرية اكبر دليل على تصاعد القوة العربية المسلحة وبالاخص للقوات المسلحة المصرية وسيرها حسب تخطيط سليم ودقيق نحو الهدف الحتمي للتحرير وهو النصر .

تلك هى دلائل عمليات الرجال من ابناء مصر التى قاموا بها خلال اسبوع واحد، واثرها على سير الحرب بيننا وبين اسرائيل .»

دلالتها فى اننا نرفض الهزيمة ونصمم على النصر مهما بلغت التضحيات ، ودلالتها فى ارتفاع الكفاءة القتالية للقوات المسلحة المصرية وعمق التغيير الذى حدث لها بعد معارك يونيو ودقة وسلامة التخطيط لها . وان حربا طابعها الاستنزاف قد بدأت ضد العدو حتى يرحل من كل شبر من ارضنا الغالية .»

اننا من هنا من خط المواجهة مع العدو ، نعاهد شعبنا الصامد البطل على اننا سنواصل قتالنا وكفاحنا ولن نلقى السلاح أبدا حتى ينصر الله جنده ويعلى حقه .»

بيان لجنة التضامن مع الثورة اليمنية والحركات التحريرية بالجزيرة العربية

جاءنا بيان من « **لجنة التضامن مع الثورة اليمنية والحركات التحررية فى الجزيرة العربية** » التى تشكلت فى **فرنسا** ، يتضمن الاتى :

● مساندة الثورة العربية اليمنية شمالا وجنوبا باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الثورة العربية الشاملة التحررية الاشتراكية الوحدوية وكافة الحركات التحررية فى جنوب شبه الجزيرة العربية والخليج العربى (ظفار — عمان — قطر — البحرين — عربستان) وافريقيا الشرقية (ساحل الصومال المحتل — بمساندة مادية ومعنوية وكذلك المقاومة الشعبية العربية المسلحة فى فلسطين المحتلة .

● المساهمة فى اقامة علاقات تضامنية كفاحية اخوية بين حركات التحرر الوطنى فى شبه الجزيرة العربية وقوى الثورة العربية وسائر الحركات التحررية فى العالم خاصة داخل البلدان الاستعمارية الرأسمالية (الحركة السوداء فى الولايات المتحدة — كويبك فى كندا — ايرلندا الشمالية — وسكوتلاندا وويلز فى المملكة المتحدة — وذلك على اساس وحدة النضال العالمى ضد الامبريالية والاستعمار بكافة اشكاله ، طلب مساعدة البلدان العربية التقدمية (الجمهورية العربية المتحدة) جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية — الجمهورية العربية السورية) على هذه الحركات .

● دفع قضية الثورة العربية على الصعيد العالمى الشعبى ومساهمة لجنتنا فى نشاطات منظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية مقرها العاصمة الكوبية .

ثم تحدد اللجنة مواقفها بالتفصيل من بعض القضايا العربية موضحة بتحليلها الخاص وجهة نظرها فى الاوضاع القائمة هناك . ثم تحدد موقفها من قضية فلسطين فتقول :

● فلسطين :

— نعبر عن تضامننا الاممى الكفاحى المطلق مع المقاومة الشعبية العربية المسلحة فى فلسطين المحتلة ونعلن موافقتنا التامة على المنطلقات العقائدية والمبادىء السياسية للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين الطليعة الثورية للمقاومة الفلسطينية : ضرورة توسيع الحرب التحررية الشعبية على امتداد الوطن العربى (وخاصة فى الجزيرة العربية وامارات الخليج المخزن النفطى للغرب الاستعمارى) ضد جميع اشكال الوجود الامبريالى بما فى ذلك انظمة الحكم العميلة والرجعية.

— نستهدف اقامة علاقات طيبة بين لجنتنا وسلطات الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية تقديرا منا للدور البارز للجمهوريتين فى حركة الثورة العربية .

— نستنكر بشدة أساليب الاستعمار فى ساحل الصومال المحتل : محو الوجه الصومالى بجيبوتى بتغير اسم الساحل — قمع وتشريد القوى الوطنية التحررية الصومالية — تزييف ارادة الشعب .

— نساند نضال شعب ساحل الصومال المحتل من اجل التحرر وحق تقرير المصير بقيادة جبهة تحرير ساحل الصومال المحتل والانضمام الطوعى الى الجمهورية الصومالية بقيادة جبهة تحرير ساحل الصومال المحتل .

ثم تعرض اللجنة لوجهة نظرها فيما تسميه « المستعمرات الداخلية فى اوربا وامريكا الشمالية » — وتحددها فى «كويبك — ايرلندا » .. الخ .

وتنتهى اللجنة الى القول بأنها :

« تستهدف الى تشكيل جبهة عالمية لمحاربة الامبريالية او بعبارة أخرى أممية حركات التحرر الوطنى ، تعمل على توسيع نشاطات منظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الى بلدان اوربا الغربية لدعم حركات التحرر الوطنى فى هذه المنطقة من العالم على أساس استراتيجية عالمية هجومية مناهضة للامبريالية والرأسمالية » .

وثائق

وثائق تاريخية عن :

مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية

١٨

وثائق مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية

ابتداء من هذا العدد ، تنفرد الطليعة ، لاول مرة ـ فى العالم العربى ـ بنشر التجميع الكامل ، المحقق علميا ، لوثائق مرحلة الانتقال لاول تجربة اشتراكية فى تاريخ الانسانية • وهى التجربة السوفيتية •

وكانت مجموعة من الخبراء الاقتصاديين الاشتراكيين فى فرنسا قد عكفت ـ برئاسة الاستاذ شارل بتلهايم مدير معهد الدراسات العليا التطبيقية بجامعة السوربون ، وواحد من أكبر خبراء التخطيط الاشتراكى المعاصرين ـ على تجميع وثائق هذه المرحلة التاريخية للتجربة السوفيتية •

وقد أتيح لرئيس تحرير الطليعة ، خلال مناقشة مع الاستاذ بتلهايم عن مصاعب مراحل الانتقال فى التجارب الاشتراكية ، أن يطلع على هذه الوثائق المجمعة • وقد استجاب الاستاذ بتلهايم لعرض الطليعة لنشر هذه الوثائق •

ويعتبر هذا النشر فى الطليعة ، الاول من نوعه فى العالم على نطاق واسع .. ذلك أن الاستاذ بتلهايم اقتصر على نشر الوثائق باللغة الفرنسية فى اطار علمى محدود التوزيع هو « الكراسات الماركسية اللينينية » .

والطليعة — بهذا النشر ستسهم فى تقديم خدمة موضوعية للحركة الاشتراكية فى الوطن العربى والعالم كله من ناحية ، كما أنها تتيح للجيل المعاصر من المناضلين الاشتراكيين الوقوف على طبيعة المشاكل والمصاعب وأساليب معالجتها فى أول تجربة اشتراكية خلال مرحلة الانتقال .

ومن الواضح أن هذا الجهد من جانب مجموعة الباحثين الذين يقودهم الاستاذ بتلهايم ليست الا حلقة أولى من حلقات سلسلة هامة فى سبيل تجميع وثائق مراحل الانتقال فى التجارب الاشتراكية الاخرى ، ووضعها فى خدمة الحركة الاشتراكية فى العالم .

يقول الاستاذ بتلهايم فى تقديمه للوثائق :

« يستهدف هذا النشر ، تمكين الزملاء من تدعيم وسائل تحليلاتهم النظرية ، وفى الوقت نفسه تزويدهم بالوثائق عن تاريخ مراحل الانتقال نحو الاشتراكية فى بلاد مختلفة (الاتحاد السوفيتى ، الصين ، كوبا .. الخ ..) .

وتنحو المجموعة الاولى من هذه الوثائق ، الى دراسة الخصائص المشتركة لنظريات مرحلة الانتقال فى الاتحاد السوفيتى قبل الخطة الخمسية الثانية ، وقبل الفترة « الستالينية » أما الجوانب التاريخية والوصفية لتلك المرحلة ، فسوف تتم دراستها المعمقة فى كراسة أخرى قادمة .. كما انه سوف تخصص مجموعة من الوثائق عن تاريخ الاتحاد السوفيتى من ١٩٣٢ الى ١٩٥٤ وعن الصين الخ ..

وفى اعتقادنا ، أن نظرية ماركس لا تستمدقوتها ممن حولها من ديدبانات الحراسة الذين لهم من شدة اليقظة ما يقضى على المؤلفات المريبة ، ولكن منبع تلك القوة هو صحة النظرية نفسها » .

والطليعة ، اذ تقدم شكرها العميق للاستاذ بتلهايم على التصريح لها بنشر هذه الوثائق التاريخية الهامة ، ترجو أن تستطيع فى المستقبل نشر بقية الوثائق الاخرى عن الاتحاد السوفيتى والصين وغيرهما من البلدان الاشتراكية .

وتنقسم مجموعة الوثائق التى تنشرها الطليعة الى قسمين اساسيين :

أولا : ملاحظات شبه ابستمولوجية (نظرية المعرفة) من جانب مجموعة الخبراء التى يراسها الاستاذ بتلهايم تساعد على قراءة النصوص الوثائقية المقدمة .

وهى تشتمل على :

١ — العلم اللينينى للاستراتيجية والتكتيك الثوريين .

٢ — الجمود التروتسكى .

ثانيا : نصوص وثائق مرحلة الانتقال السوفيتية وهى تشتمل على :

١ — لينين : قضية الدولة فى المرحلة الاولى للبناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى (١٩٢١ — ١٩٢٣)

٢ — لينين : الانقضاض والتطويق — تقرير قدم فى اجتماع المؤتمر السابع للحزب لمنطقة موسكو فى ٢٩ اكتوبر عام ١٩٢١ .

٣ — تروتسكى : مكان الخطة فى الاقتصاد القومى — يناير عام ١٩٢٤ .

٤ ـ زينوفييف : اختلاف الاراء فى الحزب الشيوعى الروسى ـ تقرير مقدم للاممية الشيوعية فى اجتماع ٩ يناير عام ١٩٢٤ ٠

٥ ـ بوخارين : البرجوازية الدولية وداعيتها كارل كاوتسكى ـ عام ١٩٢٥ ٠

٦ ـ بوخارين : الحالة الداخلية والخارجية للاتحاد السوفيتى ـ عام ١٩٢٧ ٠

٧ ـ ستالين : سياسة الاتحاد السوفيتى الزراعية ـ خطاب ستالين فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٢٩ ٠

● ● ●

وتبدا الطليعة اليوم فى نشر القسم الاول من الوثائق :

ملاحظات شبه ابستمولوجية [1] تساعد على قراءة النصوص

(١) العلم اللينينى للاستراتيجية والتكتيك الثوريين

« ان الشىء الذى لا يعوض فى نصوص لينين هو : تحليل هيكل وتركيب وضع او ظرف ما ، وعمليات تركيز تناقضاته وتغيير مواضعها ، ووحدة هذه التناقضات المنافية للمألوف ، وكل هذه الظواهر هى بذاتها كيان تلك « اللحظة الراهنة » التى سوف يحدث العمل السياسى فيها تحولا ٠٠٠ »

لويس التوسير
« فى الديالكتيك المادى »
(من أجل ماركس ، ص ١٨١)

المقدمة

ان أول نص نقدمه للينين « الهجوم والحصار » هو تقرير عن « النيب » (N.E.P.) السياسة الاقتصادية الجديدة) مقدم الى الاجتماع التشاورى السابع للحزب بمقاطعة موسكو ٠ لقد استبعد لينين ، بادىء ذى بدء ، الجوانب القانونية والاحصائية للسياسة الاقتصادية الجديدة ، وأخذ يعرضها من زاوية واحدة فقط هى أنها انعطاف فى الاستراتيجية الثورية لسلطة السوفييت ، وبالتالى فان هذه الصفحات القليلة تشكل تطبيقا لثلاثة جوانب فى المادية الديالكتيكية :

١ ـ علم الاطوار العامة لتطور تشكيل اجتماعى ما ، وتحليل هيكله النموذجى فى طور معين ٠

٢ ـ علم تحرك التناقضات فى طور معين وتطورها غير المتكافىء ، أى ابراز « عقدة المسألة » وتغير مكان هذه العقدة التى تحدد الانتقال الى مرحلة جديدة فى الطور الواحد ـ كأن يتحول تناقض ثانوى الى تناقض رئيسى ـ أو العكس ، أو بتحول جانب ثانوى من التناقض الى جانب رئيسى أو العكس ٠

٣ ـ وأخيرا علم تكييف الممارسة وفق متطلبات مرحلة معينة فى طور معين ، أو تبعا لضرورة تخطى هذه المرحلة بسبب عبور عتبة ما أو تحول

[1] الابستمولوجيا فى الفلسفة ، هى نظرية المعرفة [المترجم] ■

تناقض بسيط الى تناقض عدائي • انه العلم الذي يسمح ـ على ضوء التناقض الرئيسي للطور والتناقضات الرئيسية والثانوية للمرحلة الراهنة بجانبها الرئيسي وجوانبها الثانوية ـ بتحديد المهمة العملية الرئيسية والشعار الرئيسي ، والمهام العملية والشعارات الثانوية المشتقة منها • وهذا العلم الاخير يسمى الاستراتيجية والتكتيك •

ولم يميز لينين صراحة في تقريره بين اصطلاحي « التكتيك » و « الاستراتيجية » من حيث التعريف • ومع ذلك فهذا التمييز قائم عملا في سياق تدليله • فلنحاول في سبيل مزيد من الايضاح تعريف هذين المفهومين ، على ضوء استخدامهما في هذا النص • ونحن نقول لدى النظرة الاولى ان الاستراتيجية تعرف الطبيعة العامة للطور (٢) وتحديده الرئيسي ومستوياته الكبرى (اي مراحله الرئيسية) ، وان التكتيك يحدد كل مرحلة من مراحل الطور بتناقضها الرئيسي ، كما يحدد في كل خطوة من خطوات المرحلة الجانب الرئيسي من التناقض أو التناقض الثانوي الذي يحتل مؤقتا مركزا أساسيا •

فالاستراتيجية تسمح اذن بتحديد الشعار الرئيسي في الطور كله (مثال ذلك « دكتاتورية البروليتاريا ») والشعار الرئيسي لكل مرحلة (مثال ذلك في ظل نظام شيوعية الحرب : « تجريد من جردوا غيرهم من الملكية » و « التحالف العسكري بين البروليتاريا والفلاحين » ، وفي ظل نظام النيب : « تحالف البروليتاريا مع الفلاحين على أساس السوق بمساعدة جزء من البرجوازية ») •

والتكتيك هو الذي يسمح بتحديد الشعار المتفق مع الجانب الرئيسي حاليا للتناقض الرئيسي للمرحلة ، او مع تناقض ثانوي في الاوضاع المعتادة من تناقضات المرحلة يصبح في مناسبة معينة تناقضا رئيسيا (مثال ذلك في مارس أو أبريل سنة ١٩١٨ شعار جرد الملكيات المنزوعة ومراقبة عملية نزع الملكية ـ وسنعود الى هذه النقطة ، ومثاله أيضا هذا او ذاك الجانب من جوانب ميكانيات السوق في ظل النيب ، ومن ذلك شعار الاصلاح النقدي سنة ١٩٢٤ ، ومثال ذلك أيضا شعار متعلق بتناقض ثانوي كالحملة ضد مرتبات الاخصائيين سنة ١٩٢٣ الخ ••) •

بعد وضع هذه التعريفات المختصرة ، علينا أن نحظر الاستسلام لشعور وهمي بالراحة • ذلك ان نص لينين الذي ندرسه ينطوي على صعوبات كبيرة وعلى تشابك يكاد يكون خفيا لدقائق التدليل ، ولابد من السير خطوة خطوة في الكشف عن المفهومات الموضوعة فيه موضع التطبيق ، بالتمييز بين مستويات ومحاولات تجرى أحيانا في وقت واحد •

ولنقف أولا عند التمييز بين مجالي الاستراتيجية والتكتيك ، وسنحلله كما ورد في صفحات ٤و٥و٦ من نص لينين •

يحاول لينين افهام المستمعين اليه الفارق الجذري بين الانتقال من تكتيك لاخر داخل استراتيجية واحدة ، وبين الانتقال من استراتيجية لاخرى • فيقول لينين الان ، بعد الاخذ بنظام « النيب » ان اجراءات التهادن المتخذة في الفترة من مارس سنة ١٩١٨ الى صيف ١٩١٨ ـ وهي الابطاء من معدل نزع الملكيات والتأميمات ، والتنازلات للبورجوازية ـ كانت ذات طابع تكتيكي « في استراتيجية واحدة للانتقال مباشرة الى الاشتراكية » ، في حين أن منعطف ربيع سنة ١٩٢١ ذو طابع استراتيجي :

ــ فمرحلتا طور الانتقال وهما تتضمنان تحليلات استراتيجية متميزة تتضحان من النص الاتي : « وفي هذا الصدد ، يمكن التمييز بطريقة واضحة جدا بين فترتين : « الفترة من بداية ١٩١٨ تقريبا حتى ربيع ١٩٢١ ، من جهة ، والفترة التي بدأت في ربيع ١٩٢١ ، من جهة أخرى » (صفحة ٤ من النص) •

والتكتيكان داخل ما يبدو من الوجهة الاستراتيجية وبنظرة الى الوراء كأنه مرحلة واحدة ، يتضحان من النص الاتي : « واذا ذكرتمونا بالتصريحات الرسمية وغير الرسمية التي ادلى بها حزبنا منذ نهاية سنة ١٩١٧ حتى بداية سنة ١٩١٨ ، فسوف ترون اننا كنا ندرك منذ ذلك الوقت أن تطور الثورة يمكن أن يتبع أحد طريقين :

● طريقا قصيرا نسبيا وطريقا طويلا جدا وشاقا جدا • ولكن في تقديراتنا للتطور الممكن كنا نستلهم ••• فرض الانتقال المباشر الى بناء الاشتراكية ، وهو فرض ربما لم يكن معبرا

---

[٢] المقصود هنا طور الانتقال من اسلوب الانتاج الراسمالي الى اسلوب الانتاج الاشتراكي •

عنه صراحة (٣) ؟ ولكننا كنا نعنيه دائما ضمنا » •

فى ذلك الوقت كان التصور العام لطور الانتقال فى أبسط صوره بالقياس الى التقسيم الى مراحل الذى كان مقدرا له أن يظهر على ضوء النيب : فلم يكن الطور يتضمن **الا مرحلة واحدة** ــ من هذه الزاوية أيضا ــ •

ولكن داخل هذه الاستراتيجية الواحدة ظهرت تكتيكات عديدة مقابلة لتغير مكان جوانب التناقض الرئيسى والتناقضات الثانوية • ولنوضح هذه النقطة بشىء من الدقة •

طوال فترة ١٩١٧ ــ ١٩٢١ المقسمة ــ عبر امتدادها ــ الى ثلاثة مراحل : التأميمات ، الاستقرار ، شيوعية الحرب ــ اتضح أنها مرحلة واحدة بالقياس الى « النيب » ، **ظل التناقض الرئيسى كما هو** ، فهو التناقض بين البورجوازية والاقتصاد الرأسمالى من جهة ، وبين البروليتاريا صاحبة سلطة الدولة والاقتصاد الاشتراكى من جهة أخرى • ويتخذ هذا التناقض أشكالا عديدة : الصراع بين الدولة البروليتارية والامبريالية الالمانية ، الصراع بين الدولة البروليتارية ، والبورجوازية الروسية ، الصراع بين الدولة البروليتارية والبورجوازية العالمية • **ويتغير موقع الجانب الرئيسى للتناقض** ، وهذا التغير فى الموقع هو محور المنعطف الثانوى فى مارس ١٩١٨ وسنعود اليه • ولكن حتى ١٩٢١ فان هذه التغيرات فى هيكل التناقضات لا تؤثر فى التحديد الجوهرى للمرحلة ، وهى المواجهة المباشرة بين العناصر الرأسمالية والعناصر الاشتراكية •

ولكن فى عام ١٩٢١ ، فان **التناقض الرئيسى** هو الذى يصبح ثانويا ويحل محله تناقض رئيسى جديد ، فلا يعود التناقض الرئيسى قائما بين نمو الاشكال الاشتراكية للاقتصاد ، ونمو الاشكال الرأسمالية ، بل يصبح قائما بين نمو القوى الانتاجية لكافة الاشكال الاقتصادية ، وبين عدم نمو القوى الانتاجية •

« لابد أن نعيد الى الوجود نظاما رشيدا (لم يعد لينين يقول « اشتراكيا ») للعلاقات الاقتصادية ، وأن نحيى الاقتصاد الفلاحى الصغير وأن نصلح ونأخذ بيد الصناعة الكبيرة • وبدون هذا لن نستطيع الخروج من الازمة ، وليس ثمة مخرج آخر » •

(تقرير مقدم الى الاجتماع السابع ، بقية النص الذى نقدمه ج ٣٣ ص ٩٢) •

هذا هو التغيير الاستراتيجى الجذرى ، أى الانتقال من مرحلة الى أخرى •

ونعود الان الى التغيير التكتيكى الذى حدث فى مارس ١٩١٨ والذى يستشهد به لينين كمثال مناقض • ماذا يعادل هذا التعديل السياسى فى **هيكل التكوين الاجتماعى**؟ ان هذا التعديل يعادل :

أولا ــ تعديل فى شكل التناقض الرئيسى (الذى ينتقل من تعبير حربى عن التناقض الى تعبير اقتصادى ، ولكنه يظل مجابهة مباشرة بين الطبقتين : البروليتاريا والبورجوازية) •

ثانيا ــ تغيير فى وضع جوانب التناقض الرئيسى : فالجانب الثانوى القديم يصبح جانبا رئيسيا والعكس بالعكس •

هذه النقطة الثانية هى التى يعالجها بوجه خاص النص الذى ندرسه ، وسنتناولها أولا ، ولقد ذكرت النقطة الاولى بالكاد هنا (« كانت الفترة من مارس الى صيف ١٩١٨ فترة بدا فيها ان المهام الحربية أنجزت ») •

ونحن نحيل فى تفصيل هذا الى نصوص الفترة ذاتها (مارس ــ ابريل ١٩١٨) مما يسمح لنا بالانتقال الى مسألة هامة جدا هى : فيم يكون تغيير الهدف بسبب الانتقال من مرحلة لاخرى أمرا لا غنى عنه للعودة بالتغييرات السابقة من وضعها كتغييرات استراتيجية الى وضعها كتغييرات تكتيكية ؟

ان تغير وضع الوجه الرئيسى للتناقض الرئيسى يعبر عنه لينين كما يلى :

« منذ ذلك العهد ، كنا نقول ان عملنا فى ميدان تنظيم الجرد ، والرقابة متخلف بدرجة كبيرة عن تجريد من جردوا غيرهم من الملكية • (•••)

«كان يجب اذن الانتقال من انتزاع وتدمير سلطة المستغلين ونازعى أملاك الغير ، الى انجاز الجرد والرقابة ، كان يجب تناول المهام الاقتصادية ــ الحقيرة ان

---

[٣] ويمكن أن نتساءل : الى اى مدى كان يمكن التعبير عن هذا الفرض الضمنى ، اى الى اى مدى لم يكن محتما حدوث تغيير لاحق للهيكل فى مجموعه ، بحيث ان ما كان يبدو كاستراتيجية يصبح تكتيكا ، وبحيث تظهر استراتيجية جديدة ، حتى يبدو الفرض كفرض اى كاختيار ممكن ضمن اختيارات اخرى ، وليس كمصادرة مبدئية لاجدال فيها ، وسوف نعود الى اثارة هذه النقطة فيما بعد .

صح القول – المتعلقة بالبناء نورا» . [صفحة ٥ من النص]

ولقد كان الوجه الرئيسى للتناقض بين المناطق الواقعة تحت السيطرة الاقتصادية للبورجوازية والمناطق الواقعة تحت السيطرة الاقتصادية للبروليتاريا – أى القطاع الاشتراكى أو بالاحرى القطاع الملك للدولة والقطاع الراسمالى – هو القطاع الرأسمالى : كان الهدف الجوهرى هو طرد قوى البورجوازية من جزء من قاعدتهم – وكان هذا مرتبطا بالشكل الذى يتخذه التناقض ، أى الشكل الاقتصادى والحربى معا .

وابتداء من مارس ١٩١٨ ، أصبح الوجه الرئيسى للتناقض هو القطاع المؤمم : ان السيطرة على ما تم تأميمه ، ومراقبته وتنظيمه يبدو كالشرط الذى لا غنى عنه لكل تقدم لاحق لعملية الهجوم . لقد تغيرت اذن عقدة المسألة ، ولكن المسألة ظلت كما هى (ما الذى سينتصر ، أهو شكل الاقتصاد الاشتراكى أم شكل الاقتصاد الرأسمالى ؟) . ليس هناك سوى تغير فى وضع الوجه الرئيسى :

« كنا نقول ان مهمتنا من الان فصاعدا ليست تجريد من جردوا غيرهم بقدر ما هى انجاز عملية الجرد » .

لقد تغير الوجه الرئيسى للتناقض وأصبح الشعار الرئيسى شعارا جديدا ، لم يعد هو « تجريد من جردوا غيرهم » بل « العد والمحاسبة والجرد . ان هذا تعديل فى التكتيك طالما اننا من وجهة نظر النيب ننظر الى الوراء الى وحدة المرحلة بالنسبة لتناقضها الرئيسى .

وقد حلل لينين التغيير فى شكل التناقض الرئيسى فى كتابه « المهام العاجلة لسلطة السوفييت » (مارس – ابريل ١٩١٨ ج ٢٧ ص ٢٤٩ – ٢٥٠) حيث قال :

« ان تطور الحزب البلشفى وهو الحزب الحاكم اليوم فى روسيا ، يبين بوضوح خاص ماهية المنعطف التاريخى الذى نجتازه والذى يميز اللحظة السياسية الراهنة ، وهو منعطف يتطلب اتجاها جديدا للسلطة السوفيتية ، أى طريقة جديدة فى طرح القضايا الجديدة .

« ان المهمة الاولى لكل حزب يعمل للمستقبل هى اقناع غالبية الشعب بصحة برنامجه وتكتيكه . وقد كانت هذه المهمة ماثلة فى المقدمة سواء فى ظل القيصرية أو فى عهد سياسة التصالح التى سار عليها أمثال تشيرنوف وتسيرتيلى ازاء امثال كرنسكى وكشكين (...)

« وكانت المهمة الثانية لحزبنا هى الاستيلاء على السلطة السياسية وسحق مقاومة المستغلين (....) ومهمة سحق مقاومة المستغلين قد انجزت فى الجوهر بالفعل فى الفترة من ٢٥ أكتوبر ١٩١٧ الى فبراير ١٩١٨ تقريبا ، أو حتى استسلام بوجايفسكى .

« وهناك مهمة ثالثة هى تنظيم الادارة فى روسيا ، وهى واردة الان فى جدول أعمالنا باعتبارها مهمة عاجلة وحالة ومميزة للخطة الراهنة .

وغنى عن الذكر اننا وضعنا لانفسنا هذه المهمة وأننا عملنا من أجل حلها منذ غداة ٢٥ أكتوبر ١٩١٧ . ولكن حتى الان ، طالما أن مقاومة المستغلين كانت تتخذ شكل حرب أهلية معلنة لم يكن من الممكن (الخط من لينين) أن تصبح مهمة الادارة هى المهمة الرئيسية (شرحه) ، المهمة المركزية (شرحه) » .

وانها لكذلك اليوم (.....) والصعوبة الكبرى التى تتميز بها اللحظة الراهنة هى حسن ادراك خصائص الانتقال من فترة كانت مهمتنا الجوهرية فيها اقناع الشعب وسحق المستغلين عسكريا ، الى الفترة الجديدة حيث مهمتنا فى الجوهر هى مهمة الادارة » .

هكذا كان الشكل الرئيسى (ولكنه ليس الوحيد) من التناقض الرئيسى ، سياسيا فعسكريا فاقتصاديا على التوالى .

لقد قمنا حتى الان بوضع عناصر البناء فى موضعها ، وهى التناقض الرئيسى ، والوجه الرئيسى ، والشكل الرئيسى ، والطور والمرحلة الخ ... وذلك باستخدام طريقة تصور المفهومات التى امكننا استخلاصها من نص لينين اللاحق لاقرار نظام النيب . ولكن الصورة تتغير بعض الشىء اذا نظرنا من زاوية نص ١٩١٨ . فقراءة هذا النص بانتباه لا تفصح لنا عن نفس المفاهيم ولا تسمح لنا باجراء نفس التحليل للبناء . ذلك ان ما عرفناه بأنه التناقض الرئيسى للمرحلة كان يظهر آنذاك على انه التناقض الرئيسى للطور ومن ثم التناقض الدائم فى كل مرحلة من مراحل الطور . ونظرا لان هذا التناقض كان يبدو باعتباره جوهر الطور برمته ، فقد بلغ درجة من التجريد اعلى من ان تسمح بأخذه فى الحسبان عند تعريف ما يدخل فى نطاق الاستراتيجية وما يدخل فى نطاق التكتيك . ومن هنا نجد اولا تأكيدا من حيث المبدأ على التناقض الرئيسى للطور ،

وهو المسلم بانه التناقض الرئيسى للمرحلة ، ثانيا نجد تعريفا للتناقض الحاسم للفترة الجارية ـ وقد عرفنا انها مرحلة ، ثالثا نجد تحليلا للتناقضات الفرعية ولاوجه التناقض .

وقد احدثت النيب صدمة نظرية على الصورة برمتها ، واحدثت بها جملة نقلة من حيث ان التناقض الرئيسى فرضا فى **الطور** (التناقض بين الاقتصاد الاشتراكى ، والاقتصاد الرأسمالى) يكف عن ان يكون **التناقض الرئيسى فعلا لمرحلة معينة** (اذ ان التناقض الرئيسى فى النيب كان بين نمو وعدم نمو كل القوى الانتاجية) . وما كان يظهر على انه **البرنامج العام للشيوعيين** يصبح بالاضافة الى ما تقدم بحكم صددفد غير ضرورية من الان فصاعدا ، استراتيجية المرحلة الاولى (فرض الانتقال المباشر الى البناء الاشتراكى) . وبعد شغل مكان الاستراتيجية مؤخرا على هذا النحو ، اصبحت المنعطفات السياسية التى تتم على هذا الاساس فى مستوى التكتيك ـ أى انها تتغير فى الشكل والاوجه وليس فى التناقض الرئيسى .

ولنعد مرة اخرى الى نص ١٩١٨ . لقد سجل فيه لينين عدة مرات ان نمو القوى الانتاجية لا يمكن ان يعنى سوى نمو الاشتراكية :

« ان اعادة قوى الانتاج التى دمرتها الحرب وادارة البورجوازية ، الى ما كانت عليه ، ومداواة الجراح التى سببتها الحرب .. والمضاربة ومحاولات البورجوازية لاعادة سلطة المستغلين المطاح بها . وانهاض البلاد اقتصاديا .. تلك هى المهام التى تواجهنا .

« ان سلطة السوفيت لا تستطيع فى الوقت الراهن ان تضمن بثبات الانتقال الى الاشتراكية ، الا اذا نجحت بالرغم من مقاومة البورجوازية .. فى ان تنجز عمليا هذه المهام البسيطة الاولى الرامية الى الحفاظ على دعامات الحياة العامة . ان انجاز هذه المهام التى فى منتهى البساطة انجازا عمليا ، والتغلب على صعوبات التنظيم التى تنطوى عليها اولى الخطوات نحو الاشتراكية ، هما اليوم وجها عملة واحدة بسبب الخصائص المحددة للوضع الراهن ، ونظرا لوجود السلطة السوفيتية بقوانينها بشأن الملكية الاشتراكية للارض، والرقابة العمالية الخ .

« ان تطبيق هذه الشعارات عمليا بمعرفة السلطة السوفيتية (الخط من لينين) بأساليبها هى (شرحه) وعلى اساس قوانينها هى هو الشرط الضرورى والكافى لانتصار الاشتراكية بصفة نهائية » .

(جزء ٢٧ ص ٢٥١و ٢٥٢)

وقد اتخذت مجموعة من التناقضات طابعا عدائيا فى عام ١٩٢١ مما اضطر السلطة السوفيتية الى النظر فى اعادة ترتيب قوى الانتاج على أساس الاساليب الرأسمالية ، والسوق الرأسمالية ، والانتاج والتبادل الرأسماليين ، ولم يكن هذا الاحتمال مأخوذا فى الحسبان سنة ١٩١٨ .

هكذا اصبح مفهوما كيف انه ، وقد تعذر فى تلك الحقبة اعادة النظر فى التناقض الرئيسى ، فان التعديلات الواردة على ما كان يبدو انه من اوجه هذا التناقض ، قد اعتبرت بمثابة تغييرات حاسمة تفتتح استراتيجية جديدة ومرحلة جديدة فى تطور التكوين الاجتماعى القائم .

« ان شكلا جديدا وارقى من النضال ضد البورجوازية يفرض نفسه علينا .. خلق الظروف التى يتعذر على البورجوازية فيها ان تعيش وان تتكون من جديد .. ومن الواضح ان هذه المهمة اعلى مستوى بكثير » .

(شرحه ص ٢٥٣)

وفى فقرة تالية يسجل لينين من جديد التعديل فى الوضع العام قائلا : « لا يمكننا اذن تعريف مهمتنا فى اللحظة الراهنة بالعبارة البسيطة التالية : مواصلة الهجوم ضد رأس المال . ان مثل هذه الصيغة غير صحيحة وتفتقر الى التحديد . وهى لا تأخذ فى الاعتبار الطابع الخاص للحظة الراهنة حيث ضمان النجاح للهجوم فيما بعد يوجب اليوم « وقف » الهجوم مؤقتا » .

(ص ٢٥٤)

وفى السطور التالية يبين لينين ان هذا التغيير ، فى عام ١٩١٨ ، هو اجراء اكبر منعطف جذرى متصور فى السياسة ـ وبالتالى ان نفس فكرة وجود عناصر اخرى ، وهى بالذات العناصر التى سوف تبقى على النيب ، انما هى فكرة مازالت مستبعدة . يقول :

« غنى عن الذكر انه لا يمكن التحدث عن « توقف » الهجوم ضد رأس المال الا بوضع الكلمة بين قوسين اى باستخدامها مجازا . ففى حرب عادية يمكن اصدار الامر بوقف الهجوم على طول الخط ، يمكن عمليا وقف السير الى أمام .. اما فى الحرب ضد رأس المال ، فان **السير الى امام لا يمكن ان يوقف ، ولا يمكن ان يكون هناك تفكير لدينا** للكف عن مواصلة الاستيلاء على رأس المال من اصحابه . ان المقصود هو نقل **مركز الثقل فى عملنا الاقتصادى**

والسياسي . لقد كان ما يأتي حتى الان فى **المرتبة الاولى من الاهمية** هي الاجراءات الرامية **مباشرة الى تجريد من جردوا** غيرهم . اما اليوم فان الذى فى **المرتبة الاولى من الاهمية** هو تنظيم التعداد والرقابة فى المشروعات التى نزعت فيها املاك الرأسماليين بالفعل وكذا

هذا النص الاخير يفصح لنا بكل وضوح عن التحليل الذى قام **به** لينين سنة ١٩١٨، فمنذ ذلك العهد كان لينين يرى بوضوح ان المطلوب هو تغيير الوجه الرئيسى لتناقض رئيسى لم يتغير (نقل مركز الثقل) . وسوف يعود لينين سنة ١٩٢١ الى هذا الجزء من التحليل ، ولكن لن يعيد النظر ابدا فى صحته . ولكن ما يعتقده ايضا لينين سنة ١٩١٨ هو ان التناقض الرئيسى يظل بلا تغيير قانونا وبحكم طبيعة الامور . (لا يمكن ان يكون هناك تفكير) ، وبالتالى يتضح ان التغيير فى الوجه الرئيسى ، نظرا لانه اشد منعطف فجائى يمكن توقعه ، **فان وضعه فى الواقع كوضع التغيير فى التناقض الرئيسى ، سواء بسواء** . ان التوقف فى هجمة التأميمات سنة ١٩١٨ يبدو كأنه تغيير فى الاستراتيجية ، كفاتحة مرحلة جديدة . يقول لينين :

« انه حقبة او بعبارة اخرى ادق طور من التطور من نوع خاص ، ولهزيمة رأس المال حتى النهاية ، يجب ان نعرف كيف نكيف اشكال نضالنا مع الظروف الخاصة لهذا الطور » .

(شرحه ص ٢٥٦)

ورسم خطة المستقبل هذه هى التى يعد لها ويقومها التحليل الذى سوف يجرى من زاوية النيب بنظرة الى الوراء ، وعلى ضوء هذا التعديل نستطيع الان ابراز **وضع (تكييف) الخطأ** ، الذى تناوله لينين فى النص التالى :

« ان اول نقطة تثير انتباهى هى ان نعرف **عند الحكم على سياستنا الاقتصادية الجديدة** ما هو المقصود بقولنا بأن سياستنا السابقة كانت خاطئة » .

ونجد فى سياق نص لينين معالم رد على ذلك وهو ان ثمة حتمية للوقوع فى الخطأ وعملية لا غنى عنها قوامها العودة بعد انتهاء الاحداث الى اعادة رسم خط المستقبل . وان المراحل والاطوار لا يمكن ان تظهر على حقيقتها الا بنظرة الى الوراء بعد انقضائها ، وان ما كان يبدو على انه الهجوم الوحيد لم يكن فى الحقيقة سوى محاولة اولى - ولكن لم يكن فى الاستطاعة ادراك ذلك بوضوح آنذاك . وان ثمة شروطا موضوعية غير متوقعة لم يكن من المستطاع اخذها فى الحسبان عند وضع اول تصميم للاستراتيجية العامة . واخيرا ان تجربة الهزيمة تشكل فى ذاتها تراكما لا غنى عنه من المعرفة ودعامة لا بديل لها للاستراتيجية الجديدة والتكتيك الجديد . يقول لينين :

« من وجهة نظر العملية فى مجموعها ، فان الجزء الاول منها المكون من هجمات واقتحامات يجب ان يعتبر ضروريا ومفيدا .

« مادام قد اتضح ان التكتيك خاطىء ، فيجب التخلص من هذا الخطأ » . [ص ٣] .

« يحسن الاعتراف بأجلى واقطع واحزم صورة بأننا اخطأنا حتى الان ، حتى نتجنب العقبات فى تطور الاستراتيجية الجديدة والتكتيك الجديد » [ص ٤]

ملحوظة : استخدمنا طوال هذا النص بشكل دقيق عبارات المرحلة والطور والحقبة . وغنى عن الذكر اننا كنا نقصد بها مفهومات وان محتواها وحده هو الذى كان موضع اهتمامنا . أما الكلمات التى اخترناها ، فانها تنطوى على قدر كبير من التحكم فى الاختيار ، وكان يمكن استبدالها ببعضها بسهولة ولقد كانت نقطة البدء من جانبنا هى عبارة « طور الانتقال » باعتبارها مجموع المراحل فى الطريق من اسلوب الانتاج الرأسمالى الى اسلوب الانتاج الاشتراكى) . لذلك لن نندهش اذا رأينا لينين يطلق كلمة « طور » او « حقبة » او « لحظة » او « مرحلة » او « فترة » على ما يشير عندنا الى مفهوم ليس الا . وسوف تبين قراءة النصوص بانتباه انه وان تغيرت الالفاظ فان المفهومات المستخدمة واضحة دائما تمام الوضوح .

ويمكن عمل نفس التحفظ ولكن بدرجة اقل ، بالنسبة لبعض استخدامات كلمتى « الاستراتيجية » و « التكتيك » وفيما يتعلق بعبارات « التناقض الرئيسى » ، « التناقض الثانوى » ، الوجه الرئيسى الخ ، حاولنا التزام التعريفات البالغة الدقة التى اوردها لها ماوتسى تونج فى كتابه « فى التناقض » .

واخيرا ، هل ثمة حاجة الى ان نوضح ان لهذا التعليق على النصوص ابعادا محدودة ؟ من المؤكد اننا لم نستفد من كل جوانب تقرير لينين عن النيب . فمضمون الاستراتيجية الجديدة ومعنى عبارة التطويق مطبقة على الاقتصاد والاجراءات المقترحة بدقة لم تعالج ، كذلك تركنا جانبا التحديدات

الموضوعية (المعارك الطبقية فى الريف ، المعارك الطبقية بين العمال والفلاحين الخ . .) التى فرضت النيب ، وسوف تجرى كل هذه التحليلات فى مطبوعات اخرى « للكراسات الماركسية — اللينينية » (ه)

ولا تشكل النقاط المنهجية القليلة التى تناولناها سوى مقدمات متواضعة .

لقد حاولنا ، انطلاقا من نص لينين ذاته ، تعريف المنهج اللينينى فى تحليل الاطوار التى يمر بها تشكيل اجتماعى ما ، ومراحل الطور الواحد والتطور المركب وغير المتكافىء للتناقضات ، تحليلا يوضح اساس الممارسة اللينينية للاستراتيجية والتكتيك .

هذا العلم يضعه لينين موضع التطبيق بشكل منظم وواع ، وتنبىء به اصطلاحات دقيقة (عقدة المسألة) ، (الشعار الرئيسى) الخ .

ويطبق بوخارين هذا العلم بدقة كبيرة عندما يدرس بعد انقضاء الاحداث تشابك المرحلتين الاوليين من الطور (شيوعية الحرب والنيب) وكذلك عند تحليله المفارقات الملحوظة فى مرحلة معينة (العلاقات القائمة فيما بين العلاقات القانونية وبين علاقات الانتاج الفعلية ، نظرية العوالم الاقتصادية المتوازية) .

وفى تعريف المهام العملية التى يفرضها تطبيق التكتيك فى مرحلة ما . وعلى العكس من ذلك لم يقدم بوخارين تحليلا صحيحا للعلاقات القائمة بين التناقض الرئيسى للمرحلة ، والتناقض الرئيسى للطور ، ومسألة خلق الشروط الضرورية — فى داخل المرحلة للانتقال الى المرحلة اللاحقة حيث يصبح التناقض الرئيسى من جديد هو التناقض الرئيسى للطور . وهذا هو منشأ الاخطاء التى وقع فيها بوخارين بشأن التجارة الخارجية منذ ١٩٢٢ ، وبعض النظريات الاصلاحية بشأن اندماج الاقتصاد الرأسمالى فى الاشتراكية الخ . وسنعود الى هذه النقاط فى عدد لاحق من « الكراسات الماركسية اللينينية » مخصص لبوخارين . وبالرغم من ذلك فان النص الذى نقدمه فيما يلى (البورجوازية الدولية وداعيتها كارل كاوتسكى) من ألمع وادق ما تحت ايدينا من التنظيرات الخاصة بالنيب ، وبوجه عام بقضايا المواءمة بين المستويات المختلفة لهيكل التشكيل الاجتماعى فى انتقاله من الرأسمالية الى الاشتراكية .

كذلك طبق ستالين العلم اللينينى للتكتيك والاستراتيجية ولنفس التناقضات بطريقة صحيحة من الناحية الشكلية من بعض الوجوه ، وبطريقة صحيحة تماما من بعض الوجوه الاخرى .

وكثيرا ما نجد فى كتاباته عرضا صحيحا ودقيقا للعلاقات العامة بين التناقض الرئيسى للطور والتناقض الرئيسى لكل مرحلة ، ولمسألة الشعار الرئيسى والشعار الثانوى . وعلى العكس من ذلك فقد اهمل تماما مسألة عدم التكافؤ الفعلى بين مستويات البناء ، مما ادى الى نتائج سلبية عند التعريف تفصيلا بالمهام العملية فى لحظة معينة . وسوف نعالج هذه النقاط بتفصيل اوفى عند التعرض للنص المعنون « السياسة الزراعية للاتحاد السوفيتى » .

واخيرا فان ماوتسى تونج يطبق فى كتاباته المختلفة هذا العلم اللينينى تطبيقا كاملا ودقيقا، ويصوغ منه بناء نظريا فى مستوى عال من التجريد فى كتابه « فى التناقض » (١٩٣٧) وهو اكمل عرض نظرى للينينية فى جانبها المنهجى ، وكذا عن الجوانب المنهجية للجمود ، ومنه الجمود التروتسكى الذى نقوم بتحليله فى الفقرة التالية .

تواصل الطليعة فى العدد القادم نشر وثائق مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية

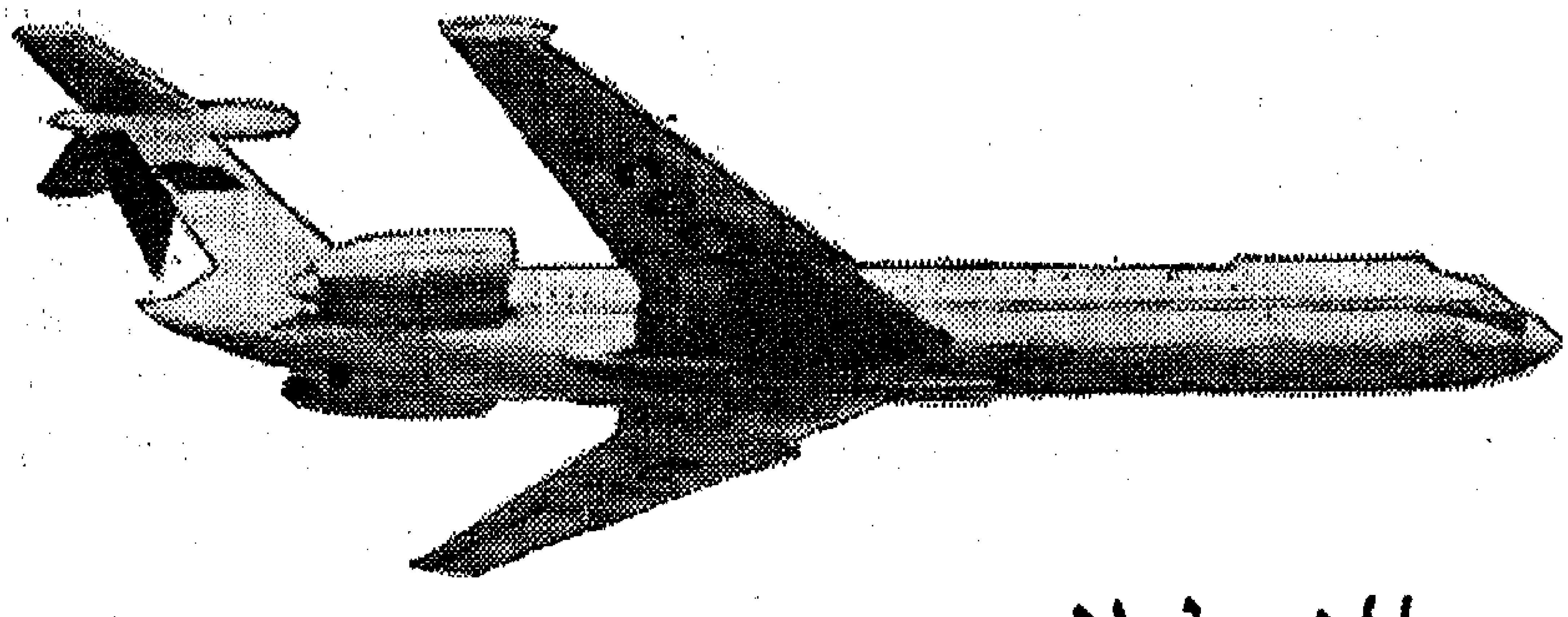
ايروفلوت

الخطوط الجوية السوفيتية

تعلن عن افتتاح خطها الجديد

القاهرة / بانجى / برازافيل

ابتداءً من أول نوفمبر سنة ١٩٦٩



للحجز والاستعلام :

ايروفلوت الخطوط الجوية السوفيتية

٨ شارع قصر النيل ت ٧٩٣٨٦ - المطار ت ٦٥٤٢٤

٥٠ عاماً خبرة فى الطيران



بورسعيد !!
Port-Said
MENTHOLATED
FILTER CIGARETTES
بالمنتول..
نموذج رائع
للسجاير المصرية
الفاخرة

مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين

رمز كيما للجودة والانطلاق

بإنتاجها الجديد

نتروكيما ٣١٪ آزوت

أعلى نسبة فى الآزوت تضاعف
خيرات أرضنا الطيبة وترفع
مستوى الإنتاج الزراعى

شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما» بأسوان

إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

مطابع الاهـرام التجارية

الثمن ١٠ قروش

الطليعة
طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر
١٢
ديسمبر ١٩٦٩ - السنة الخامسة

المستحيل يصبح ممكنا

- الرأسمال الاحتكارى .. والصهيونية
- الفكر الفلسفى فى جامعاتنا المصرية

هكذا يتكلم الأدباء الشباب فى الوطن العربى

- تقرير من آلما - آتا " لينين - وحركات التحرر الوطنى
- طه حسين .. ثمانون عاما على الطريق
- وثائق مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية - الجمود التروتسكى

الطليعة

تحريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شـــهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد أحمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :

السنة بالبريد العادى ج.ع.م. ودول اتحـاد البريد العـربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

عــدد غــير عــادى

الفهـــرس

العدد الثانى عشر — السنة الخامسة — ديسمبر ١٩٦٩

ص

■ المستحيل يصبح ممكنا ((الافتتاحية)) — لطفى الخولى — ٥

● لجان المواطنين .. والتراث التـاريخى لمبادرة الشعب — أبو سيف يوسف — ٩

■ هكذا يتكلم الادباء الشـــباب فى الوطن العربى — ١٣

« شهادات واقعية وتعليقات »

● شهادات واقعية — ١٤

● تعليقـــات — ١٥

— ليست مشكلة جيل الشباب وحده — د. شكرى محمد عياد — ٧٣

— البحث عن شىء لا يعـرفونه — د. رشاد رشدى — ٧٦

— ادب وفـن الجيل الجـــديد مأساة ووجودا وصياغة فنية — معين بسيسو — ٧٧

— محاولة لتلمس الملامح فى ضوء قليل — فاروق عبد القادر — ٨٢

— جيل الحرية المسئولة — لطفى الخولى — ٩٠

● طه حسين .. ثمانون عاما على الطريق . — ٩٤

● الرأسمال الاحتكارى . . والصهيونية — د. يفجينى افسييف — ٩٨

● الفكر الفلسفى فى جامعاتنا المصرية — د. مراد وهبه — ١٠٩

■ تقرير من آلما — آتا — ١١٤

● مبادرة عربية نحو فهم عالمى اكثر عمقا للصراع العربى الاسرائيلى — عبد الهادى ناصف — ١١٤

● مصير جنوب افريقيا . . فى الفكر اللينينى — ميزواندل بيليسو — ١١٨

● « وطن لينين » وحركة التحرر العربى — د. مصطفى أمين — ١٢٣

● حول افكار ومواقف حركة المقاومة الفلسطينية — لطفى الخولى — ١٣٠

■ تقارير الشهر والتعليقات — ١٣٢

■ مكتبة الطليعة — ١٦١

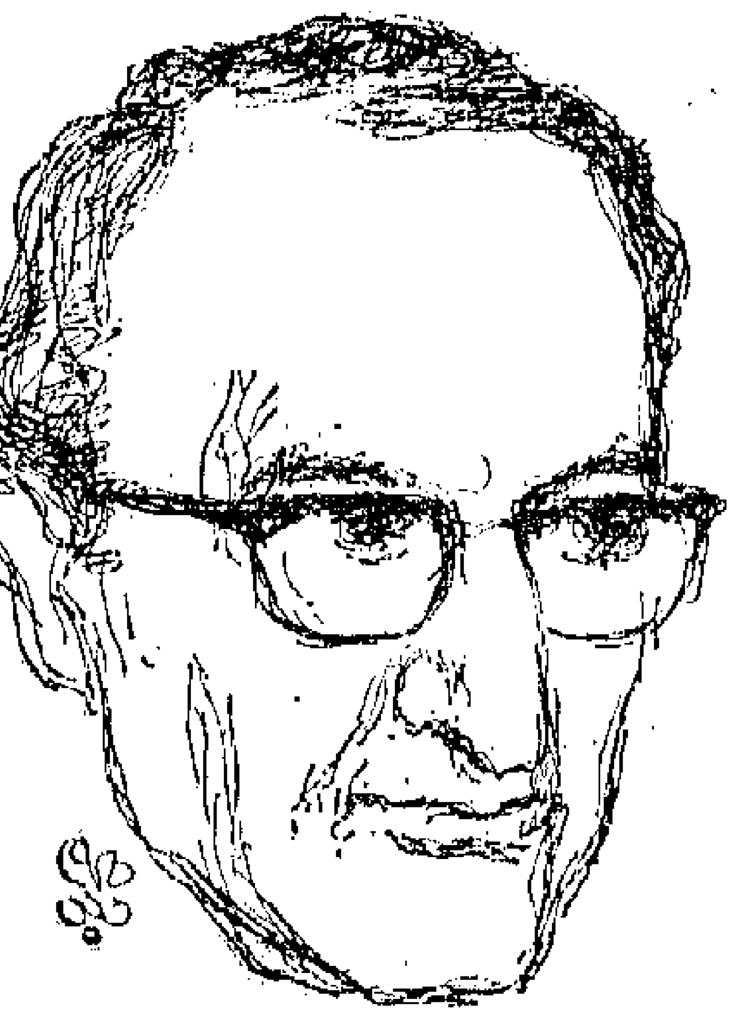
■ مناقشات مفتوحة — ١٦٤

■ وثائق تاريخية — وثائق مرحلة الانتقـال فى التجـربة السـوفيتية . . الجمود التروتسـكى — ١٦٩

جارودى فى القاهرة

بدعوة من اسرة تحرير « الطليعة » ، زار الجمهورية العربية
لمتحدة روجيه جارودى ، وذلك فى الفترة من ٢٠ ـــ ٣٠ نوفمبر
١٩٦٠ . وجارودى هو من اكبر الفلاسفة المعاصرين فى فرنسا،
يتميز بأنه ليس فيلسوفا منعزلا عن العمل النضالى ، فقد مارس
لنشـــاط الجمـــاهيرى والعمل البرلمانى ، وعرف المعتقــلات
السجون . وهو ينتمى الى عائلة عمالية من مرسيليا . وقد اهله
ماضيه وحاضره النضالى ان يصبح عضوا بالمكتب الســياسى
لحزب الشيوعى الفرنسى ، الذى يناصر القضية العربية العادلة
يساند كفاح الشعوب العربية ضـــد التحالف الاســـــتعمارى
لصهيونى .

وكان جارودى قد وقع فى شراك الجمود الا انه نقد نفسه
بجراة .وقد لعب المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى
دورا اساسيا فى حياته . كان صدمة عنيفة له ، لكنها لم تؤد
الى تخليه عن معتقداته ، بل اعادة التفكير فى الاساسيات .
ومن أرضية ماركسية مارس حواراخلاقا مع المدارس الفلسفية
الحديثة ، المعبرة عن مشكلات العصر وفى مقدمتها الوجودية
والبنائية . كما انه من رواد فتح الحوار مع الفكر المسيحى ـــ
البروتستانت والكاثوليك ـــ والفكر الاسلامى .



القى جارودى ثلاث محاضرات عامة :

- أثر الحضارة العربية على الثقافة العالمية .
- الاشتراكية والاسلام .
- ظاهرة تعدد النماذج الاشتراكية فى العالم المعاصر .

وعقب كل محاضرة دار نقاش مفتوح .

والتقى جارودى مع عديد من رجال الفكر والسياسة والادب
والفن ، فضلا عن عدد من اساتذة الفلسفة بالجامعات . وذلك
فى ندوات خاصة .

وسنقوم بنشر جميع المحاضرات والندوات والمناقشات تباعا
فى اعداد الطليعة القادمة .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان
تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان
يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة
يقولها ـــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى
القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على
استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .

المستحيل يصبح ممكنا

أخيرا

ينعقد مؤتمر القمة العربى — على مستوى الحكومات — خلال النصف الثانى من هذا الشهر بالمغرب . وهو المؤتمر الذى طالما تكررت الدعوة اليه على مدى الشهور العصيبة التى توالت منذ انعقاد مؤتمر القمة بالخرطوم عشية الهزيمة ، حتى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر واجتماع مجلس الدفاع العربى فى اوائل شهر نوفمبر الماضى .

وكانت ثمة اعتراضات تنطلق من اتجاهين مختلفين لعقد مثل هذا المؤتمر :

اتجاه ينطلق من نطقة انه طالما لايزال هناك جهد عربى وعالمى يبذل من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، فانه ليس هناك « موقف جديد » يستلزم عقد مؤتمر قمة جديد لبحثه . وان قرارات مؤتمر القمة بالخرطوم ما برحت كافية لمواجهة الموقف الراهن .

وثمة اتجاه آخر ، ينطلق من نقطة ان المعركة فى الاساس هى معركة القوى الثورية والشعوب العربية . وأن مؤتمر القمة بالتالى — وهو يضم بالضرورة حكومات لا تنتمى الى القوى الثورية — سوف يكون قيدا على حرية الحركة ، حتى آخر المدى ، فى المعركة .

وكانت كل التحليلات والتعليقات تقريبا — رغم تمييزها النوعى بين الاتجاهين — ترى أن هذه الاعتراضات جذرية ، وتنتهى بالتالى الى « استحالة » عقد مؤتمر القمة العربى . وترتب على ذلك نتيجة مؤداها أن الصراع الاجتماعى — السياسى بين النظم العربية

يمزق قدرتها على الاتفاق حول وحدة عمل قومية — على المستوى الرسمي — ضد اسرائيل . واستخدمت «الصهيونية العالمية» هذا الوضع في دعايتها حيث حاولت ايهام الرأى العام العالمي — دولا وشعوبا — « بخرافة الوحدة العربية تجاه اسرائيل » ، لتخرج من ذلك بنتيجة انه « مع الزمن واستمرار الاحتلال يمكن الانفراد بالدول العربية واحدة بعد أخرى واكراهها على التسليم — بطريقة او باخرى — لاسرائيل »

غير أن ما ظل مقيدا في اطار المستحيل قبل نوفمبر ١٩٦٩ اصبح ممكنا في نوفمبر ١٩٦٩ · ووافقت الدول العربية بالاجماع — عدا تونس التي قاطعت اجتماع مجلس الدفاع العربي — على عقد مؤتمر القمة العربي الثاني بعد الهزيمة ·

والسؤال الاول الذي يقفز الى الذهن اليوم هو : كيف صار المستحيل ممكنا ؟

في تقديري أن ذلك يرجع الى **خمسة** عوامل موضوعية ، أحدثت تغييرا جذريا في الوضع العربي ·

فأولا : جاءت ثورة مايو السودانية ثم ثورة سبتمبر الليبية ، لتغير من ميزان القوى في الوطن العربي عما كان عليه في الشهور القاسية التي تلت الهزيمة · وأصبح بالتالي للنظم العربية التقدمية ثقلا مرجحا من ناحية ، كما أكسبها هي نفسها مزيد من الثقة في قدرتها التاريخية على الحركة والتأثير في مجريات الاحداث بالوطن العربي ·

وثانيا : تبلور الخط السياسي التقدمي لحركة المقاومة الفلسطينية مع تعاظم وزنها في النضال المسلح والعمل السياسي ، فلسطينيا وعربيا ودوليا · وطرحها — بشجاعة ادبية نضالية لم يسبق لها مثيل منذ تفجر الصراع العربي — الاسرائيلي — لشعار ومضمون الدولة الديمقراطية الفلسطينية كبديل للكيان الصهيوني العنصري . وادارتها للحوار المفتوح مع الرأى العام الدولي والقطاعات التقدمية من يهود العالم ، فضلا عن مواجهتها — السياسية والعسكرية — لمحاولات فرض وصايات عربية عليها تارة وتصفيتها تارة اخرى ، وذلك كله من خلال اصطناع بعض العناصر العربية المشبوهة — بالتعاون مع القوى الامبريالية — لجو من الازمات يثير استفزازات مخططة بينها وبين سلطات الحكم في بعض الدول العربية · وأصبح الامر بالتالي يستلزم تحديدا عمليا من جانب كل « دولة عربية » لموقفها من « المقاومة الفلسطينية » ·· كحركة تحرير وطنية في الوطن العربي ، تتحمل ازاءها كل دولة مسئوليات قومية واجبة ، دون أن يعطى ذلك ايا منها حق الوصاية والمنع والتقييد ·

وثالثا : ما كشفت عنه أحداث الشهور الماضية من أنه لا توجد دولة عربية ، تقدمية كانت أم غير تقدمية — بمنجى من العدوان الاسرائيلي التوسعي · وذلك مهما حاولت أن تبتعد عن اوار المعركة . ومثال « لبنان » هنا حاد وصارخ . ومعنى ذلك ان العدو الصهيوني في سبيل تحقيق مطامعه في بناء اسرائيل الكبرى — والتي افصحت نتيجة انتخابات الكنيست الاسرائيلي اخيرا عن زيادة وزن حركة اسرائيل الكبرى — لا مفر له من أن يعتدي على جبهة عريضة تمتد من لبنان حتى السعودية · ومن هنا فالعدوان الاسرائيلي ، موجه ضد الجميع ، لايميز في ذلك بين نظم تقدمية وأخرى غير تقدمية · وان كانت درجة العدوان تزداد ثقلا وعنفا ضد النظم التقدمية · وهكذا اتضحت بصورة اقوى أن تحرر ، وسلامة مجموع الارض العربية — أيا كان اختلاف نوعية النظم عليها — هو عامل رئيسي في المعركة .

ورابعا : ان الجهد السياسي العربي الذي بذل ـ في اطار مشاركة الرأى العام العالمي رغبته في السلام ـ قد حقق موضوعيا عدة نتائج هامة :

فهو من ناحية ، قد بدد « اسطورة السلام الاسرائيلية » وكشف دوليا ، بحجم متزايد على الدوام ، طبيعتها العدوانية التوسعية · وهذا بدوره غير من اتجاه الريح التقليدي في الصراع العربي الاسرائيل ·

وهو من ناحية ثانية ، اكد للشعوب العربية ان ما قدم من اسرائيل والقوى الاستعمارية كاقتراحات لحل سلمي لم يكن غير طعم لصيد استسلامها واستنفاد ارادتها وقدرتها على الصمود واستعادة حقوقها المشروعة ·

وهو من ناحية ثالثة ، عرى ـ عربيا ودوليا ـ الموقف الامبريالي المعادى لحركة التحرر العربي الذي تتخذه الولايات المتحدة الامريكية في مساندته غير المشروطة ، ماديا وعسكريا وسياسيا ـ لاسرائيل والصهيونية العالمية . وأسهم ايضا في ايجاد مزيد من ايضاح الرؤية للعدو العام ، ممثلا في الولايات المتحدة ، والقوى الامبريالية ، والحليف العام ممثلا في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية جميعا ـ باستثناء رومانيا ·

خامسا : نمو القدرة العسكرية للجيش المصرى ـ برا وبحرا وجوا ـ خلال عملية اعادة بنائه بعد النكسة · وامتحان هذه القدرة عمليا وبلوغها درجة التنفيذ الفعلي النشيط لشعار حرب الاستنزاف ضد العدو · وتحمل مصر بالتالي جنبا الى جنب مع سوريا والاردن ـ افدح التضحيات وأصعب المسئوليات على المستوى القومي كله ، وذلك خلال المواجهة اليومية مع العدو ·

وبالطبع فان هذه العوامل الخمسة لاتحدث تاثيرها بشكل مجرد أو منفصل عن اوضاع الوطن العربي من ناحية ، وأوضاع العدو من ناحية اخرى ، والاوضاع العالمية ، من ناحية ثالثة . وانما هي تعمل في النسيج المعقد لهذه الاوضاع جميعا . وفي ارتباط وثيق مع الارادة الشعبية العربيه الشاملة والتي رفضت باستمرار تقبل الهزيمة وآثارها وأسبابها كأمر واقع · وأعطت ايضا باستمرار طاقاتها وحياتها للعمل على تخطى الهزيمة · وفي هذا المجال لا تتميز شعوب النظم التقدمية عن شعوب النظم غير التقدمية · وغدا واضحا بدرجة محسوسة الى اقصى حد ، مدى ما يقدمه كل « نظام » محددا في المعركة التي تتصاعد يوما بعد يوم ·

ومع زيادة وزن القوى التقدمية في « حساب الدول العربية » ، غدا حقا وواجبا ـ ضروريا وممكنا ـ أن تتيقن قوى خط المواجهة المباشرة واليومية مع العدو ـ على مرأى من الشعوب العربية جميعا ـ مدى ما تقرر كل « **دولة** » وراء خط المواجهة تقديمه ماديا وعسكريا وسياسيا للمعركة فعليا بحكم انتمائها العربي للقضية · خاصة وان ذلك الفصل التعسفي غير الواقعي ، بين العمل السياسي والعمل العسكرى ، في المعركة قد تخطاه الوعى العربي الشعبي خلال احداث العامين والنصف عام · وغدا في كل لحظة وفي كل حركة ، يرى كل خطوة في المعركة بمعيار سياسي عسكرى موحد النظرة والهدف ·

والسؤال الثاني الذى يواجهنا ، بعد ذلك ، هو عن مدى امكانيات نجاح مؤتمر القمة الثاني في المغرب ؟

والواقع ان الاجابة على هذا السؤال لن نعثر عليها من خلال تصور وضع مثالي فوق

الواقع الحى ، وانما هى محصلة ما وصل اليه هذا الواقع من تطور وتغيير ونضج • وكذلك فان الاجابة تتعلق بكون المؤتمر اداة من ادوات الامة العربية فى المعركة وليس هدفا يملك قدرة سحرية على تخطى الهزيمة . وعلى هذا الاساس فالنجاح يمكن قياسه بمدى ما يستطيع المؤتمر ان يجمعه من جهد مادى وسياسى وعسكرى للمعركة تكون حصيلته ـــ حجما ونوعا ـــ اقوى وافعل من الحصيلة الراهنة المحصورة فى اطار الدعم المالى النسبى •

وثمة سؤال ثالث وأخير يرتفع أمامنا بعلامة استفهام ليقول : ما هى اذن الاداة التى تملكها الامة العربية ، وتتميز بانها اكثر حسما فى المعركة ، وتشكل فى نفس الوقت ضمانا لكى تسير اداة مؤتمر القمة العربى فى طريق خدمة المعركة ؟

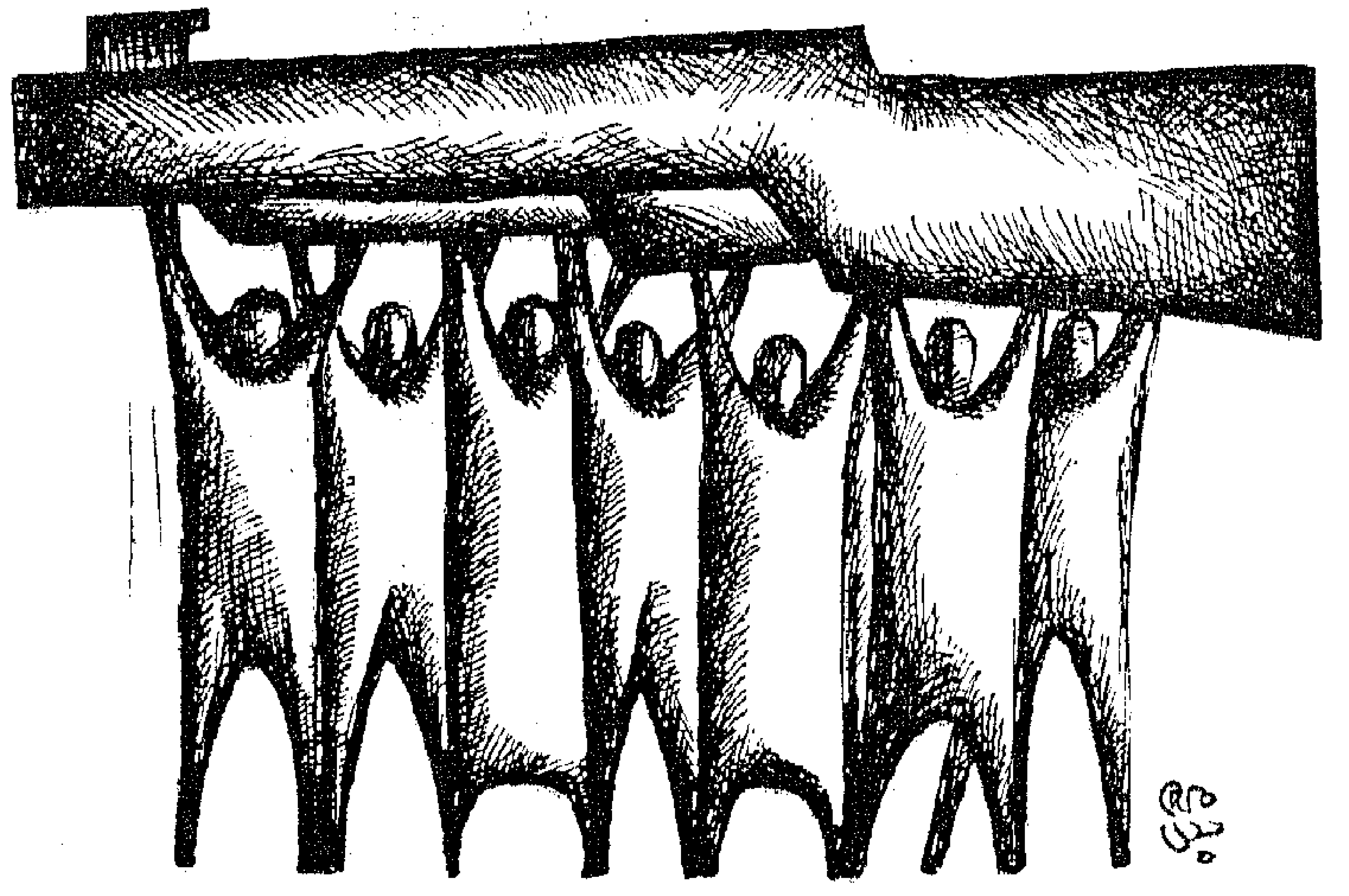
هذه الاداة الحاسمة ، هى باختصار ، النضال الشعبى العربى الشامل ، وهذا النضال الشعبى العربى الشامل ، وهـذا والصمود فى الموقف • غير أن هذا المنبع لا يعطى فى أقل وقت ممكن وباكثر درجة من التركيز ما يزخر به من طاقات بغير تنظيم فعال • والتنظيم الفعال يستلزم عمودا فقريا يصلب عوده وهدفا مجمعا عليه لتحقيقه •والواقع العربى الراهن يقدم لنا هذا العمود الفقرى مجسدا فى حركة المقاومة الفلسطينية ويفرز لنا بوضوح الهدف الحائز على الاجماع ، وهو تحرير الارض العربية وبناء فلسطين الديمقراطية غير العنصرية •

ومن هنا يتحتم ، والمستحيل قد أصبح ممكنا فى مجال مؤتمر القمة على صعيد الحكومات ، ان يصير المستحيل ايضا ممكنا فى مجال بناء الجبهة الشعبية العربية من حول المقاومة الفلسطينية . وبذلك يستقيم السير بقدمين على الطريق بدلا من « الحجل » بقدم واحدة •

والحق انه اذا لم تستطع القوى الثورية ــ على اختلاف منابعها الفكرية والاجتماعية ــ ان تبنى بأسرع ما يمكن هذه الجبهة الشعبية ، فانها تحكم على نفسها بالتخلف عن مواكبة المسئولية ، وتضعنا أمام نتيجة شاذة وهى أن الحكومات اكثر وعيا واحساسا بالمسئولية من القوى الشعبية الثورية •

مرة أخرى ، نعود للالحاح على ضرورة العمل الجاد والسريع لتخطى كل الخلافات الثانوية والعقد والحساسيات المترسبة من اجل بناء هذه الجبهة الشعبية • وبذلك يصبح كل مستحيل ــ فى اوضاعنا العربية ــ حقيقة ممكنة .

لطفى الخولى



لجان المواطنين
والتراث التاريخي لمبادرات الشعب

أبو سيف يوسف

سجل خطاب الرئيس **عبد الناصر** بتأكيده على اهمية تكوين لجان المواطنين من أجل المعركة ان مواجهتنا للعدو الامبريالى الصهيونى تقف بالفعل على أبواب منعطف حاسم وجديد • ذلك أن البحث عن صيغة عملية تمكن الجماهير الواسعة من المشاركة الايجابية فى معركة التحرير هى ضرورة لم يعد يفرضها – فحسب – مسلك العدو الذى « **يمكن ان يمد الجبهة الى كل مكان على ارضنا** » ، وانما يفرضها – قبل كل شيء – التصميم على تحقيق النصر فى هذه المعركة ، بما يتطلبه هذا من حشد هائل وتكثيف شديد لقوى الامة كلها .

ولعل تأكيد الرئيس على أهمية هذه الصيغة بالدعوة الى تعبئة واستيعاب الطاقات الهائلة لجماهير الشعب ، ان يبدد بعض الاوهام التى استقرت – ربما بغير وعى – والتى تذهب الى انه كلما تعاظمت المقدرة القتالية لقواتنا المسلحة ، كلما خفت أعباء المعركة عن كاهل الجماهير الشعبية . والواقع ان العكس هو الصحيح . وادق ان يقال : انه كلما ارتفعت كفاءة القوات المسلحة كلما زادت مسئوليات الجماهير قبل المعركة . وهذا لا يرجع الى مجرد اسباب فنية تتعلق بطبيعة الحروب الحديثة ، وانما يرجع فى المحل الاول الى طبيعة الاعداء الذين نواجههم ، والى المخطط الذى يريدون أن ينفذوه فى بلادنا فنحن نواجه – كما هو معروف – عدوانا مسلحا من قبل الانكشارية الاسرائيلية يدعمه ويسانده بالسلاح وبالاموال وبقوة أجهزة الاعلام حلف من الدول الامبريالية تقف على رأسه الولايات المتحدة الامريكية ويشارك فيه بنشاط الامبرياليون فى المانيا الغربية وفى بريطانيا • وهذا الحلف تزداد عدوانيته وشراسته كلما دعمت الثورة العربية مواقعها • وهدفه الذى لا يحيد عنه الانتكاس بحركة التحرر فى الوطن العربى ، ورد هذه الحركة عن آفاق التقدم الاجتماعى ، والعودة بالبلاد العربية الى صور مختلفة ومقنعة من التبعية للاستعمار الجديد •

وفى سبيل تنفيذ هذا المخطط يركز الاعداء على

الجبهة المصرية ويخصونها بكل الثقل الذى يتبدى فى الاستفزازات العسكرية المتصاعدة وفى المؤامرات الدولية وفى التخريب الموجه الى تقسيم الصف الوطنى فى البلاد العربية .

فالخطر اذن حال وجسيم يتهدد بلادنا وشعبنا غير ان هذا الخطر العظيم يتطلب – لدفعه – تعبئة أعظم ، ولا يستطيع ان ينهض باعباء هذه التعبئة الا الجماهير الواسعة . وهى المؤهلة لهذا بحكم التجربة وبحكم الدور التاريخى الذى اسنده اليها التطور الاجتماعى فى بلادنا .

— ١ —

ومن هنا فان التوجه الى الجماهير الشعبية ودعوتها الى تكوين « **لجان المواطنين من اجل المعركة** » تنسجم تماما مع الواقع التاريخى لهذه الجماهير ، بحيث تبدو الدعوة فى موضعها تماما . لانه اذا كانت هناك سمة بارزة قد طبعت الحياة السياسية فى بلادنا ، بوجه خاص فى المرحلة التى بدأت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فان هذه السمة هى – بالتحديد – انطلاق وتعاظم المبادرات التاريخية للجماهير فى معاركها الحاسمة التى دخلتها من اجل اقتلاع مواقع الامبريالية وتحقيق التقدم الاجتماعى . وعندما نتحدث – على سبيل المثال – عن المبادرات التاريخية للجماهير الشعبية فى فترة الاربعينات فانما نشير الى أن جماهير الشعب ، وخاصة العمال والفلاحين – كانت قد بدأت تستيقظ وتتخلص من النفوذ المعوق والسلبى للقيادات الحزبية التقليدية قيادات كبار الرأسماليين وكبار ملاك الارض . واخذت الجماهير تبحث عن مناهج جديدة ، ومسالك مستقلة لتحقيق اهداف المرحلة ، مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية . وبالفعل قامت الجماهير فى الاربعينات بمبادرات هائلة وتاريخية بعضها منظم وبعضها تلقائى . وتجسدت هذه المبادرات فى المظاهرات والاضرابات العارمة التى اجبرت المستعمرين الانجليز على الجلاء عن المدن الكبرى والمظاهرات ولجان الكفاح المسلح التى اقترنت بالغاء معاهدة ٣٦ ، وانسحاب العمال من معسكرات الانجليز فى القناة .. الخ

ولقد حققت هذه المبادرات التاريخية لحركة الجماهير آثارا اكبر بمجىء القيادة الوطنية لثورة ٢٣ يوليو الى الحكم . والواقع انه لم يحدث منذ عام ١٩٥٢ ان اكتفت الجماهير بموقف التأييد السلبى فى المعارك الوطنية الحاسمة التى كانت ثورة يوليو قد بدأت تخوضها . يكفى أن نشير هنا الى الحركة الشعبية غداة اعلان تأميم القناة ، هذه الحركة التى شلت حركة الامبرياليين وعملائهم فى الداخل .

ولقد تجددت هذه المبادرة الشعبية لحظة ان وقع العدوان الثلاثى عام ٥٦ . فنهضت على الفور جبهة وطنية متحدة حول القيادة الوطنية مكنتها من الصمود ، ثم مكنتها فيما بعد من ان تكسب الاستقلال الوطنى والسيادة القومية .

على أن هذه القدرة المتجددة على القيام بمبادرات تاريخية قد ظهرت فى اشد صورها نقاء واجتازت امتحانها العصيب ، غداة النكسة فى يونيو ٦٧ . وكانت سرعة حركة الجماهير وحجمها الهائل على النطاق القومى من الامور المفاجئة للاعداء وكانت العامل الاساسى الذى حال دون ان تتحول الهزيمة العسكرية الى كارثة قومية .

مما تقدم نصل الى هذه النتيجة التى تعتبر فى الوقت نفسه المنطلق الاساسى فى تكوين لجان المعركة تستوعب الطاقات الهائلة للامة . هذه النتيجة هى ان لجان المواطنين انما تنشأ فى مناخ اجتماعى ووطنى موات تماما : وذلك على اساس المواقف والمواقع التى تقدمت اليها جماهير العمال والفلاحين والمثقفين . وعلى اساس المعارك التى خاضتها من قبل . وكل هذا يعنى ان الجماهير الشعبية تستطيع ان تقوم فى اللحظات الفاصلة بمبادرات تدخل فى باب المعجزات والمسألة المطروحة الان هى ان تقوم لجان المواطنين بحيث تتمكن الجماهير من خلالها من القيام بمبادراتها الخلاقة والتاريخية اى لتنجز الواجب الملقى عليها فى معركة من اقسى معارك المصير .

— ٢ —

ولعل هذا التصور للاساس التاريخى للجان المواطنين ان يساعدنا على ان نفكر فى طائفة من القضايا المتعلقة بتكوين اللجان ، واسلوب عملها ، وآفاق تطورها ، وعلاقتها بالاتحاد الاشتراكى العربى .

انها اولا لجان للشعب وليست « للنخبة الممتازة » اى لاوسع الجماهير من الفلاحين والعمال والحرفيين والشباب وربات البيوت والمثقفين . وبدون ان يتردد فى هذه اللجان نفس الجماهير الكادحة وبدون ان يعلو صوتها فيها ، فان هذه اللجان ستتحول حتما عن طبيعتها فلا تعود اللجان التى تحدث عنها الرئيس فى خطابه .

وهى ثانيا لجان للوحدة الوطنية الحقيقية تضم بلا حساسيات كل المواطنين الذين يريدون ان يسهموا بجهودهم فى معركة التحرير . والى هذه السمة اشار الرئيس عبد الناصر فى خطابه : «ان لجان المواطنين تستطيع ان تستقطب طاقات هائلة وراء الخطوط ، وبغير قيد او شرط ، وبغير موانع او حواجز ، ولهدف لا يختلف عليه اثنان وهو هدف المعركة »

وهى ثالثا لجان ديموقراطية ينضم اليها الناس بدافع من الحماس والاقتناع الذاتى . وفيهـا يديرون مناقشات حرة حول الاعمال المحددة المطلوبة منهم والتى يرتضونها لانفسهم وفيها يؤخذ من كل مواطن بحسب جهده ، وفيها تتم مباراة بين الطلائع التى تتطوع لبذل المزيد من الجهد لخدمة المعركة .

وهى رابعا لجان للعمل اليومى ، وليست ولن تكون اندية للثرثرة الجوفاء . وفيهـا يتم تقييم المواطن على اساس الجهد الملموس الذى يمكن قياسه وحسابه ، لا على اساس المركز الاجتماعى او الشعارات والمواعظ التى يلقيها . وفيها تقيم اللجنة ككل على اساس ماقدمته وتقدمه للمعركة لا على اساس عدد المحاضر والاوراق التى سجلتها ورفعتها .

واذا صح ماتصوره ، اجتهادا ، كاسلوب لعمل هذه اللجان فان اجتماعاتها المحددة والسريعة ستنعقد تحت شعار :

«لاجل المعركةجميع التضحيات:وبالكفاح سننتصر»

وفى جدول اعمالها اسئلة قليلة وبسيطة هى دليل العمل فى المجال الذى ستعمل فيه (الدفاع المدنى اسر المقاتلين ـ المهاجرون ـ زيادة الانتاج . الخ) ـ وهذه الاسئلة القليلة يمكن أن تكون على سبيل المثال :

ـ ماذا قدمنا فعلا من أجل المعركة ؟

ـ هل قدمنا الكفاية ؟

ـ هل نستطيع أن نقدم المزيد ؟ وكيف ؟

وهى خامسا « شكل » من التنظيم يتمتع باكبر قدر من المرونة . وهذا يعنى فى التطبيق :

أ ـ ان اللجان ليست مطالبة بأن تتكون من عدد معين بذاته . وليست هناك اجراءات وروتين للعضوية . ان التطوع هو الامر الحاسم . وكل ما يتعين علينا أن نحذره هو تكوين اللجان على الورق . وفى هذه المرحلة يجب أن نشجع ظاهرة التطوع باعتبارها حجر الاساس لبناء لجان نشيطة حقا ، وعاملة حقا ، ستصبح هى بدورها مركز اشعاع لظهور ونمو لجان أخرى .

ب ـ فى لجان المواطنين يجب أن نكافح بدون هوادة هذا الميل البرجوازى الصغير الى الاكثار من المناصب الشرفية . فالواقع انه لا مجال فى « لجنة للمواطنين من أجل المعركة » الى « منصب للمدير » و « نائب للمدير » ، و « المراقب العام » و « المراقب العام المساعد » ، و « المشرف ... الخ » يكفى ان يكون لكل لجنة مقرر يتولى جمعها وتقديم تقرير عن حصيلة عملها الى المستوى الاعلى .

ج ـ هنا تثير عبارة « المستوى الاعلى » قضية الهيكل التنظيمى العام للجان المواطنين . ومع انه يصعب الان ان ندلى باراء تفصيلية فى هـذا الموضوع ، الا أن طبيعة هذه اللجان تلزمنا بتبسيط الهيكل التنظيمى العام الذى يضمها . ويمكن أن نتصـور ان هناك لجنة قيادية على المستوى القومى ، وهناك لجان جماهيرية وبين هـذين المستويين يوجد مستوى واحد هو لجنة المنطقة . والسؤال الذى يثور هنا هو ان مثل هذا التنظيم لن يكون « محكما » ، وانه سيفرض اعباء مستحيلة على القيادة المركزية .. غير انه يمكن الرد على هذا بأن اسلوب العمل الذى تحدده القيادة المركزية سيحل كثيرا من الصعوبات . وعلى سبيل المثال : يمكن للقيادة المركزية عن طريق الاذاعة ، وفى برنامج يذاع مرتين يوميا ، ولمدة عشر دقائق ، أن تتصل اتصالا مباشرا بكل اللجان الجماهيرية .. وهكذا .

ـ ٣ ـ

تبقى بعد ذلك قصة علاقة هذه اللجان بالاتحاد الاشتراكى وبسائر الاجهزة التنفيذية . وغنى عن الذكر ان تقنين هذه العلاقة وتحديدها أمر يدخل فى النهاية فى اختصاص القيادة السياسية والاتحاد الاشتراكى . الا أن باب الاجتهاد وربما سمح لنا بأن نتكلم فى قضايا عامة ربما ساعدت على أن تحكم العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى والاجهزة التنفيذية ـ عموما ـ وبين « لجان المواطنين من أجل المعركة » .

والقضية الاولى : هى قضية الثقة فى قدرة الناس البسطاء اعضاء اللجان على التفكير والحركة وعلى تحمل المسئولية . وفى العادة كثيرا ما نتحدث نحن المثقفين عن ضرورة الثقـة فى الجماهير وفى الشعب . ولكن ما اكثر ما ننتقل فى التطبيق الى موقف مناقض . وفى الحقيقة لن تحل قضية العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى (والمقصود به هنا مجموع القيادات السياسية على اختلافها) وبين لجان المواطنين الا اذا اقامت هذه القيادات علاقتها مع لجان المواطنين على أساس الثقـة بالجماهير الشعبية .

وهذه الثقة ليست مجرد موقف عـاطفى أو أخلاقى ، ولكنها موقف علمى يقوم على اساس :

● ان المواطن البسيط ، العامل والفلاح ، وربة البيت ، كلهم أصحاب مصلحة حقيقية فى كسب

معركة التحرير • وان فى مقدورهم ان يتفهموا احتياجات الوطن ويلبوها ويضحوا من اجلها •

● ان المواطن البسيط يستطيع أن يقدم ـ من واقع عمله وخبرته ـ حلولا جديدة لكثير من المشكلات اليومية التى تفرضها المعركة •

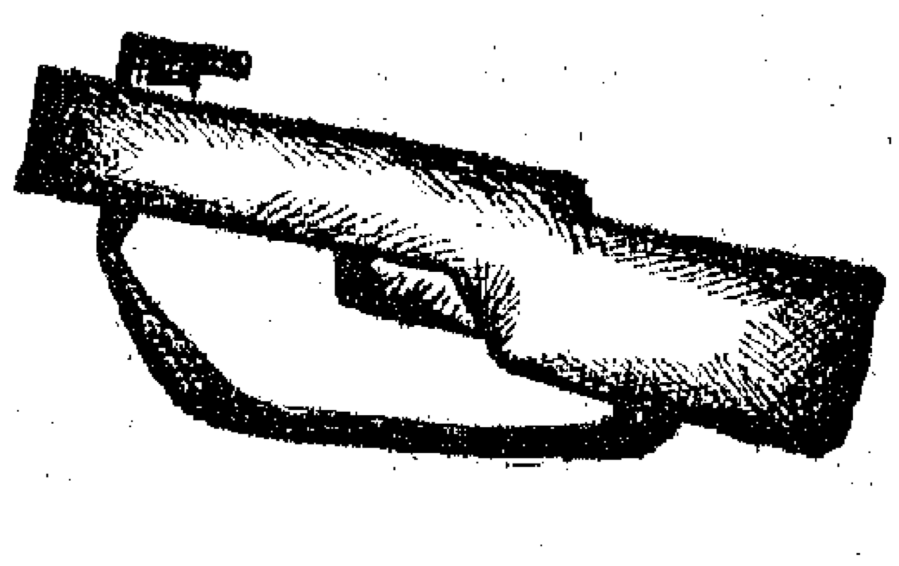
● ان المعركة اصبحت تمس حياة كل عائلة وكل مواطن على كل مستوى من المستويات وفى جميع مجالات الحياة .

● وانه لكل ما تقدم تنمو فى صفوف الجماهير وتتعزز ظاهرة الانضباط الذاتى وروح المسئولية نحو الوطن ، وهو الامر الذى يمثل فى الحقيقة دعامة الامن الداخلى الاولى • وهذا يعنى أن الخوف من حركة الجماهير ومن انطلاق مبادراتها يجب الا يكون له مكان فى تعامل القيادات السياسية والادارية مع لجان المواطنين •

القضية الثانية : هى ان القيادة ـ خصوصا فى ظروف معركة تفرض التضحيات واعمال البطولات ـ انما تتأكد بالقدوة من جانب القائد وبالاختيار الحر من جانب الجماهير • وهكذا ، فانه لا المنصب الوظيفى ، ولا المكان القيادى فى التنظيم السياسى تصلح كمبررات لفرض عناصر لا تؤهلها قدراتها على قيادة هذه اللجنة او تلك من لجان المواطنين • لكن اعضاء لجان المواطنين سيختارون قياداتهم من هؤلاء الاعضاء فى الاتحاد الاشتراكى الذين يضربون المثل فى التضحية والعمل من أجل المعركة .

والقضية الثالثة : من القضايا الحاسمة فى نشأة ونمو « لجان المواطنين من أجل المعركة » هى قضية نوعية واسلوب التوعية السياسية • وفى هذا الصدد فان القيادات السياسية سوف تحقق ارتباطاتها العضوية بلجان المواطنين وتحقق هذا الارتباط ـ على افضل وجه ـ كلما اقامت توعيتها السياسية على أساس من الوضوح الفكرى الكامل • ولما كانت لجان المواطنين هى لجان للنشاط العملى ؛ فان مقدرة القادة السياسيين على اختزال الموقف الى شعار بسيط ومحدد للعمل اليومى ـ سيكون من العوامل الاساسية فى ربط اللجان بالقيادات السياسية •

ربما قيل بعد هذا ان القضايا الثلاث السابقة لا تقدم حلولا محددة لعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالمعركة • وردنا على هذا هو انه قبل البدء فى أى عمل لابد من الاتفاق على الخط العام الذى يحكم هذا العمل ـ هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فان لجان المواطنين لم تصبح واقعا حيا بعد . ومن المعروف ان الواقع الحى نفسه يعرض المشكلات فى ضوء جديد ومن زوايا رحبة . والحياة نفسها تقدم من الحلول ما لا يخطر على بال • لكن قضية القضايا فى موضوع لجان المواطنين ستظل على الدوام قضية تمكين الجماهير فعلا من اطلاق مبادراتها الحرة والخلاقة . والحقيقة ان لجان المواطنين اما ان تكون لجانا للمبادرات الشعبية او لا تكون لجانا للمعركة على الاطلاق •





هكذا يتكلم الأدباء الشباب في الوطن العربي

تقدم « الطليعة » فى دراستها الرئيسية لهذا العدد ، مجموعة الشهادات الواقعية التى حصلت عليها من الادباء الشباب العرب .. وقد كان عدد الاستمارات التى وزعت على جميع البلدان العربية ــ غير مصر ــ مائتى استمارة لم يصلنا منها عند مثول المجلة للطبع الا اربعين شهادة . وقد وصلتنا بعد ذلك مجموعة من الشهادات سنوالى نشرها فى الحوار المفتوح على صفحات « الطليعة » حول قضية الادباء الشباب .

ولاريب ان التحكم فى توزيع الاستمارات وملئها لم يكن عملا يسيرا ، سواء لتعذر الاتصال المباشر السريع ، أو لصعوبة التعرف على التجمعات الادبية فى الاقطار التى خلت من مؤسسات ثقافية قائمة كاتحادات الادباء والفنانين . لذلك ، فان هناك بلادا لايمكن أن تمثلها الشهادات المنشورة لبعض ادبائها الشباب فى هذه الدراسة . ونحن لا نزعم انها دراسة كاملة ، وانما هى ليست اكثر من مدخل تمهيدى لمثل هذه الدراسة ، وتلمس اولى مباشر على الطبيعة، نستكمل به « الصورة العامة » لفكر الجيل الادبى الجديد فى اللغة العربية ، وهى الصورة التى حاولنا تقديم ملامحها المصرية فى عدد سابق .

ومن واقع الشهادات التى امكن الحصول عليها، نلاحظ ان اعمار اصحابها قد تفاوتت بين ٣٦ عاما كحد اقصى و ٢١ عاما كحد ادنى ، وكان متوسط العمر للشهادات الاربعين هو ٢٨ عاما : ٥ منهم لا يكتبون سوى الشعر و ٧ لا يكتبون سوى القصة وخمسة لايكتبون سوى النقد ، والباقون يجمعون بين القصة والنقد او بين المسرح والنقد ، أو بين الشعر والنقد ،أو بين القصة والشعر .. وهكذا .

وقد توجهت « الطليعة » الى مجموعة من النقاد والمشتغلين بقضايا الادب من مختلف الاتجاهات الفكرية والاجيال الادبية ليقولوا كلمتهم فى هذه الصورة العامة

لتفكير الادباء الشباب ، حتى تحصل في النهاية على رؤية موضوعية اقرب الى التكامل .

وكانت الاسئلة التى وجهتها الطليعة للادباء العرب ، هي نفسها الاسئلة التي وجهت للادباء المصريين ، نعيد ثبتها فيما يلي (بعد ذكر الاسم والسن والجهة التى يعمل بها ودخله الشهرى وانتاجه الفني المنشور وغير المنشور):

١ ـ متى قامت العلاقة بينك وبين الفن الذى تمارسه الان ، ومتى بدأت الانتاج فيه ؟

٢ ـ ما هو المناخ الذى يسيطر على ممارستك لفنك من حيث :

- العلاقة بينك وبين زملائك الفنانين والاجهزة والمؤسسات المتصلة بهذا الفن .
- والعلاقة بينك وبين المجال الذى تعمل فيه سواء كان مجال فنيا او غير ذلك .
- الموقف من الاجيال الفنية السابقة على جيلك وعلاقتك بها .

٣ ـ ماهى المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تشارك فى ابداعك الفنى ؟ وأين تقف ـ بهذه المؤثرات ـ من قضية التغيير الاجتماعى فى بلادك بشكل عام وقضية العدوان الاسرائيلى ، وقضايا العالم المعاصر ؟

شهادات واقعية

[١]

الأردن

الاسم : فايز محمود
السن : ٢٧ سنة
الجهة التى يعمل بها : أمانة العاصمة ـ الاعلام والعلاقات العامة ـ عمان ـ الاردن
دخله الشهرى : ٣٥ دينارا
انتاجه الفنى :
أ ـ المنشور : كتابى (تطور الفلسفة الاسلامية) (الحقيقة ١٥٠ بحثا ومقالة وقصة قصيرة بحثا ومقالة وقصة قصيرة
ب ـ غير المنشور : كتاب (الكاتب كظاهرة انسانية) .. مجموعة من القصص القصيرة .

السؤال الاول

أميز فى العلاقات نوعين منها ، وكذا الانتاج ..

النوع الاول : العلاقات والانتاج الذى يعتمد على الاستجابة اللاواعية ـ ان صح التعبير ـ بحيث يكون صاحبها مملوءا بمشاعر مبهمة . فهو شديد الالتصاق بالغيبية ، يستمد من صمتها المحير موضوع حوار ذاتي يدور حول سر الوجود ووضع الانسان ، وتكون الالام التى يكتشفها الانسان فى هذه المرحلة مبعث رضى أعمق لانه يملك الحماس الكافي بفضل علاقته المتينة بالغيبيات ، وديناميكية قوته الجسدية التى شرعت فى النماء ، لكى يثق بانتصاره على عالمه الواقعى البائس .

شخصيا لا أكاد أتصور ان ثمة علاقة يمكن أن تقوم بين الانسان فى طفولته وبدء وعيه وبين أى موضوع بخلاف هذا الشكل ..

ولا أنكر اننى كنت أكن لنفسى عاطفة نرجسية سليمة فى هذا الطور ، نرجسية سليمة لاننى كنت أتمعن فى شخصي بكل حيادية فأجدنى أذوب متفاعلا بالاهداف والمثل الانسانية المطلقة .. كان شعورا بالتميز انبثق منذ الطفولة المبكرة . أما من حيث مثاليته فقد كان طبيعيا جدا بحكم مرحلة العمر الطفولية .

وكانت عوالم المطالعة التى بدأت ارتيادها مع مستهل الاعوام

السبعة الاولى من حياتى ، يرتفع بنيانها وتحجب العالم الواقعى خلفها .. بدأت بشكل متزايد أجد نفسى من خلال الكتب أكثر منها من خلال الواقع •

ان علاقتى مع الكتب استطيع أن أؤكد انها بدء علاقتى مع الفن الذى أمارسه الان • ذلك لاننى اشدد على أن الوعى وشدة فاعليته هو مقدار تميز الانسان فنيا • هذا هو المعنى الفضفاض للفن كما لا يمكننى أن أنكر • الا أن اللجوء الى المطالعة لاشباع نهم الروح ، يعتبر استجابة صحية فنيا فى بدء عمر الانسان • من خلال هذا الانخراط المعانى بين عالم الانسان الداخلى وعالم الكتب مع الواقع ، يصاغ واقعا مثاليا حقيقيا للانسان يظل قلقا وغير مستقر فى ذلك العالم الواسع من دنيا الاخرين الادنى وعيا • الا أن مقدار استشهاديه الانسان صاحب الاختيار الحر ، يدل على مدى أصالته واستيعابه لعالم الفن المملوء بالمسئولية والحضور المكثف •

هذا هو النوع الاول من العلاقات الذى قصدت، ويشابهه تماما النوع الاول من الانتاج • اذ يتميز الانتاج هذا ايضا باعتماده الكبير على رصيد الانسان من المطالعة • فيه يدور صاحبه بحدود آفاق مطالعته ودراسته دون أن تكون له وجهة نظر خاصة ••• من حيث هذا التفسير اذن أستطيع أن أعود فى بدء علاقتى وانتاجى الى ذلك البعد الطفولى المبكر من حياتى •

أما النوع الثانى من هذه العلاقات والانتاج، فيبدأ منذ أن تبدأ قسمات شخصية الفنان بالوضوح •• حين يصل الى تحسس جوهره وصميميته • حينها تغدو أعماله الفنية تحمل طابعه الذاتى ، وتتفاعل أخذا وردا مع وجهات النظر للاعمال الفنية الاخرى، فتغدو ــ مثلا ــ المطالعة لها مميزات القراءة والكتابة فى نفس الوقت ، بخلاف ما كانت عليه فى النوع الاول من العلاقات حينما كانت مقتصرة على ميزة القراءة فقط •• وكذا الانتاج أيضا يأخذ بالتخلص من التقليد والمحاكاة والبحث لاستكمال مميزات صاحبه النامية •

بالنسبة لهذا النوع من العلاقات والانتاج ، فمن حيث العلاقات لعلنى لا أخطىء جدا حينما أعين عام (١٩٦٠) هو بدء ممارسة استقلالى فى المطالعة • ومن حيث الانتاج يكون عام (١٩٦٦) هو بدء استقلالى الكتابى بعدما ملكت وجهة نظر أغبها تعتبر لدى منطلقا عاما لكافة أعمالى الفنية التى أنشأتها بعد ذلك •

لا اود أن أغفل هنا من ان أنوه الى أن تطور ميل الانسان بين الادب والفن والعلم والفلسفة ، عبر مراحل نمو عمره ، يعتبر استجابة مخلصة لضغوط تيارات واعية تهب عليه من آفاق تجربة العيش وعالم المطالعة وذهنية التأملات •

بدأت أنشر انتاجى لاول مرة عام (١٩٦٢) فى مجلة « الافق الجديد » المقدسية ، ثم مجلة « الاسرة » العمانية ، وكافة الصحف المحلية الاخرى فى الصفحات الادبية والفكرية •• نشرت مجموعة كبيرة من الابحاث والمقالات الادبية والفلسفية تقدر بحوالى (١٥٠) ، وكتاب متسلسل الفصول حول « تطور الفلسفة الاسلامية وأعلامها » يقع فى (١٨) فصلا ، وعددا من القصص القصيرة المختارة من مجموعة كبيرة كتبتها ولم أنشر سوى القليل منها ، أهمها فى مجلة « الاداب » البيروتية • وينشر لى الان فى فصول مسلسلة بحث فلسفى مكون من (٢١) فصلا بمجلة « العلوم » البيروتية بعنوان « الحقيقة » وهو بحث فى الوجود يعد الان للطبع ويوشك أن يصدر قريبا •• ولقد قمت عام (١٩٦٦) وأنا فى الكويت بنشر انتاجى هناك من خلال البرامج الادبية فى الاذاعة الكويتية، ومجلة « البيان » التى تصدرها رابطة الادباء الكويتيين ، وبعض الصحف الكويتية الاخرى •• وأقوم حاليا بنشر انتاجى بمجلة « رسالة الاردن » التى تصدرها وزارة الاعلام فى المملكة الاردنية الهاشمية ، ومن خلال البرامج الثقافية لدار الاذاعة الاردنية ، وفى مجلة « الآداب » البيروتية، ومجلة « رسالة المكتبة » التى تصدرها جمعية المكتبات الاردنية ، وفى الصحف المحلية أحيانا •• العمل المهم الذى يشغلنى فى هذه الايام ، هو انهاء بحث مستفيض ــ قطعت شوطا لا بأس به فيه ــ أود أن أقوم بطباعته بين دفتى كتاب حال فراغى منه يدور حول « الكاتب كظاهرة انسانية » وهو نفس عنوان البحث والكتاب •

السؤال الثانى

تتميز هذه العلاقات بالهامشية فى مجال الفن ، من حيث علاقات الزملاء ببعضهم ، انها مجرد تعارف غير مباشر ، انما من خلال مدى تقدمك فى النشر والشهرة بالتالى •• أما بالنسبة للاجهزة والمؤسسات ، فهى علاقات بالواسطة و « من بعيد لبعيد » •

● انها مجرد علاقة وظيفية •• أحاول قدر الامكان اكتساب معنى لها كلما خلوت الى نفسى • وتظل هذه المحاولات مخفقة بصراحة ، فالواقع فراغاته شاسعة وبحاجة الى صبر طويل حتى نعثر على ملء فى روتينه الاجوف اللامتناهى •

● بشكل عام فاننى اعتقد أن علاقة كل جيل بالذى سبقه ، فى أى موضوع ، هى علاقة ديالكتيكية يتضمن السلب فيها الايجاب والعكس بالعكس ، بحيث تلتئم كافة الاجيال فى صيرورة شاملة .. وأفهم ان التطور لا يعنى تماما الرقى الشامل ، لذا يجب أن نقدر للجيل السابق أو للذى قبله ، ما تقدم به

ونحن انتكسنا فيه • وفى نفس الوقت أن نقدر للاجيال السابقة ما سلمتنا اياه ناقصا ، ونحن أكملنا فيه خطى أوسع .

شخصيا والذى للجيل السابق والذى قبله تقديرا واحتراما خاصين ، فهما بالحق القاعدة المتينة التى سيمكنها ان تتحمل علو البنيان الذى مدعو لرفع صرحه الجيل الحاضر والاجيال المقبلة •

السؤال الثالث

اعتمد بشكل رئيسى على الواقع

حينما اشرع فى التفكير بمعالجة موضوعى • لكن هذه النقطة الاولى التى أعتمدت عليها ربما تخفى على الكثير من الناس حين اطلاعهم على الموضوع بعد انجازه • ذلك لاننى كنت فى نفس الوقت أتمعن فى موقع هذا الواقع من حركة التاريخ ، ولا يسعنى أن أنسى ذلك فى أى موقف بالمرة مهما كان هذا الواقع المتناول يبدو حقيرا أو لا يستأهل الذكر على الاقل .. لذا فالظواهر الاجتماعية التى تمسنى بشكل شخصى بالدرجة الاولى هى التى تلقى ظلها على آثارى الكتابية • وأهمها لدى : الفقر ، بؤس العمل ، سخافة الناس ، مجانية الحب ، شيوع الجنس ، الارتباك السياسى •

أما من حيث المؤثرات الفكرية ، فنتائج تجربتى الثقافية الشخصية التى أعتمدت فقط على التحصيل الثقافى الحر بكل مكتسباته الطيبة وأخطاره الممكنة ، فقد خضعت لكافة التيارات الشرقية والغربية وبشكل اعصار ، وقد خلت من منهج أعد لهذه الغاية • الا اننى أستطيع أن أؤكد انطباقى بشكل كبير مع تراث الثقافة الذى ينتمى الى المذهب الانسانى ، بمعناه الذى لا يجعله عدوا للتقدم العلمى والتكنولوجى فى نفس الوقت الذى يصر فيه على تبجيل الانسان قبل كل شيء •

وأرجو ألا أعتبر خائنا اذ أعترف بأنه قد تكون لاعمالى الكتابية قيمة أو ذات جدوى ، حيال التغيير الاجتماعى فى بلادى بشكل عام ، أو قضية العدوان الاسرائيلى ، وقضايا العالم المعاصر • لكننى بشكل خاص – أعنى على مستوى سياسى – لم أحفل بهذه الاهداف رسميا بتاتا •• اننى بكل صراحة وبدون ما ادعاء ، لم أقتنع حتى الان بأى مبرر يجيز صراع الانسان على كافة المستويات الفردية أو الجماعية أو القومية بشكل وحشى دموى عنيف ، ولا أومن سوى بصراع الافكار ،هذا الصراع الانسانى المهذب •

[١]

الجمهورية العربية اليمنية

الاسم : محمد عبد الجبار سلام

السن : ٢٩ سنة

الجهة التى يعمل بها : مجلة الوسيلة (الجمهورية العربية اليمنية)

دخله الشهرى :

انتاجه الفنى :

أ – **المنشور :** مقالات ادبية .

ب – **غير المنشور : دراسة ادبية وصحفية •**

السؤال الاول

العلاقة فى واقع الامر قديمة

منذ الصغر،حين كنت استمع الى حديث اهل القرية من الفلاحين بعد عودتهم من الحقل ؛ وكان والدى احدهم ، وكعادة الفلاحين يحكون الحوادث والاقاصيص بعد عودتهم من العمل لغرض الترفيه والتنفيس عن انفسهم ليتغلبوا بالتالى على التعب وارهاق العمل • وكنت استمع باستمرار لمثل هذه الحكايات بشغف شديد سواء من قبل والدى أو من الاخرين فى القرية الذين كانوا يهتمون بهذه الحكايات ويتبارون فى الحفظ والقدرة على السرد • وقد كان تعلقى بهذه الحكايات مثلى مثل غيرى من ابناء القرية وكنت اشعر بالمتعة حين استمع لها واحفظ أكبر مجموعة منها لكى اقوم بدورى بالقائها على زملائى الاطفال فى أوقات اللعب • ولكن بعد ان عرفت الحروف المكتوبة واطلعت على الكثير ادركت تماما اهمية وقيمة تلك الحكايات الغنية الصادقة التى تعبر عن شعور المجتمع وتصور المأساة التى يعيشها ذلك المجتمع الصغير ، واصبحت ايضا ادرك معنى هذا الفن ودوره فى الواقع اذ لم يعد مجرد تسلية لقتل الوقت وانما أصبح فى نظرى مادة تمثل الاحاسيس الصادقة لتلك الفترة والواقع الفلاحى •

وقد كان تصورى لكل الجوانب الفنية والادبية مبعثه تلك الفترة ، حتى اننى حين اخذت أكتب فى ١٩٥٩ بعض المقالات النقدية فى الادب والفن فى كثير من الجرائد فى عدن رفضت كل الاشكال الادبية والفنية البعيدة عن واقع المجتمع واحاسيسه والتى ترفع شعار الفن للفن فقط ، وكنت مدركا تماما دور الادب الواقعى

واهميته فى معالجة هذا الجانب الاجتماعى منطلقا من تلك التأثيرات القديمة ، حتى أننى اخذت ادافع عن المذهب الواقعى قبل أن ادرسه واستوعبه نظريا . وكذلك عارضت بشدة المذهب الجمالى دون أن يكون لى اطلاع عليه كمذهب ، وانما رفضته باحساسى لكونه يفصل الادب عن الحياة وقد امتلكت هذه النظره والاحساس من تلك الفترة التى اغنتنى بالادراك وزودتنى بالقناعة لاهمية المذهب الواقعى فى الادب واسراف الادباء الجماليين فى مذهبهم .

السؤال الثانى

ان الظروف الموضوعية والذاتية فى اليمن وما يدور فيها من صراع مرير بين التقدم والتخلف نتيجة للصراع الطبقى الدائر هناك على اشده ، فان هذا هو الوحيد الذى يشكل محور تفكيرى لان هذا بطبيعة الحال يعد انعكاسا لما يدور فى الواقع من تناقضات مريرة وعنيفة ، وهذا يعود الى ما تعرضت اليه البلاد من المعارك العنيفة من قبل الاستعمار والرجعية حيث بدأ هذا الهجوم من أول يوم لقيام الثورة منذ ١٩٦٢، واخذت قوى الشعب اليمنى تقوم بردع عنيف لقوى التخلف والاستعمار ، ولكن مع اشتداد المعارك وتباين الاهداف وبلورتها افرزت هذه المعارك الضارية قوتين متمايزتين قوى ثورية تعمل من وحى الواقع تريد تغييره ، وقوة ارتبطت بالاستعمار والتخلف بحكم مصالحها الطبقية ، وبهذا التباين والتحديد لهذه القوى كانت علاقتى بزملائى الفنانين الثوريين الذين تجمعنا مصلحة مشتركة ونقف بطبيعتنا مع القوى الاولى التى تمثل ارادة الجماهير فى التغيير وارتبطت بالمؤسسات الشعبية والعمالية والفلاحية فى المنطقة . وكان هذا هو المناخ الوحيد الذى يربطنى بزملائى الفنانين الثوريين ، وهو الذى يسود فى الواقع معبرا عن الارادة الثورية التى بذلت الكثير لتدعيم الجمهورية والثورة ولايجاد التقدم والازدهار والقضاء على التخلف والرجعية الى الابد .

اما علاقتى بالمجال الذى اعمل فيه فهى علاقة طبيعية من كل الجوانب ، خصوصا وان عملى كصحفى هو الجانب الاساسى فى علاقتى الفنية والادبية . فالصحافة بطبيعة الحال هى الجانب الهام، بل واحد العناصر المهمة فى دفع التطور الفنى والادبى ، والممارسة للادب والفن يتم عن طريق الصحافة .. وبالصحافة يستطيع الاديب أن يمارس نشاطه ودوره ، وبهذا الاسلوب كانت علاقتى الادبية بعملى الصحفى علاقة عضوية متينة متصلة اتصالا مباشرا . فالصحافة هى الوسيلة الوحيدة الى نشر الانتاج وايصاله الى الجماهير .

أما بخصوص العلاقة بالاجيال الفنية السابقة على جيلى فهذه العلاقة لها أكثر من انفصام بقدر ما لها من روابط ، لان الاديب المعاصر يعيش فى هذا العصر بكل ما فيه من تطور وتقدم ، واصبح فى تطوره الفكرى قد تجاوز تلك العقلية والافكار التى كانت سائدة عند الاجيال الماضية وخاصة فى اليمن حيث كان الاديب لا يدرك الابعاد الاجتماعية ولا التطور الحضارى نتيجة العزلة التى فرضت عليه ، فاصبح لا يدرك ولا يطلب أكثر من الاصلاح حتى عن طريق الامام وهذا ما كان الاديب فى الماضى يفكر فيه ، حتى اننا نلاحظ انهم فى انتاجهم تارة يهاجمون ويندون بالحكم الامامى لانه يرفض الاصلاح وتارة يحاولون التقرب من الامام لكى يستطيعون من خلاله ان يحققوا الاصلاح فى البلاد .. بينما الفنان والاديب اليوم أصبح عنده رؤية واضحة وفهم واضح فى مطالبه الاجتماعية . لهذا نجد عملية الانفصام بين هذين الجيلين لها جذور عميقة فى اختلاف العقلية . ولكن رغم هذا هناك قواعد وأسس تربط الجيل الحالى بالماضى ، لان التراث الماضى لم يكن نبتا شيطانيا ، وانما هو نتاج الواقع . لهذا يعتبر هذا الادب فى المرحلة الماضية خير صورة معبرة عن تلك الفترة المظلمة من تاريخ الشعب اليمنى وهو فى نفس الوقت ادب الارهاصات الثورية وادب التبشير بالثوره ، الى جانب ان ادب الجيل الماضى يعتبر ارضية صالحة يجب ان تتناول بالدرس والتقييم والتمحيص لكى نقيم عليها بالتالى صرح الثقافة الثورية الجديدة التى يجب أن تقوم على الاسس الواقعية فتستمد اصولها من اعماق الواقع الاجتماعى . وتلك الاجيال الماضية هى وليدة بيئتها، وخير تعبير عن تلك المرحلة بعينها ، وقبولنا للانتاج الماضى القديم ودراسته ، واخذ الجوانب الايجابية منه يجعلنا أكثر تصورا للواقع وأكثر تعبيرا صادقا لواقعنا الحالى .

السؤال الثالث :

من خلال الثورات الاجتماعية التى شهدتها المجتمعات المتخلفة والانتصارات العديدة ضد الظلم والاستغلال فى عالمنا اضحت تلك الثورات هى المؤثرات الاولى التى ساهمت فى ابداعى الفنى واعطته دفعا قويا فى معالجة التطور والتغيير فى المجتمع اليمنى والعربى . ولما كانت هذه التغييرات الاجتماعية فى العالم لها فكر ثورى محدد كان هذا الفكر بالتالى هو المؤثر الرئيسى فى تفكيرى وطريقة المعالجة للقضايا الاجتماعية والفنيه ، حيث انه لا يوجد أى فارق بين المؤثرات الاولى التى هى التعبير الاجتماعى والتأثر الثانى وهو الفكر الثورى والتأثير الاخير وهو الادب الواقعى لان هذا كله

منطلقه اصلا من التأثيرات الاولى التى كانت لها الدور المباشر فى تكوين هذه التأثيرات مجتمعة .

اذ انه من المسلم به ان نجد الادب والفن الحقيقيين ، همـا المعبران عن الواقع الثورى ودفع الصراع الطبقى وحسمه لصالح الشعب الكادح من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين وجنود وضباط . وبطبيعة التفكير الثورى لابد ان يواكب التطورات الاجتماعية فى البلاد ، وهنا لابدللادبأن يكون فى المقدمة يلح بالافق الجديدة

أما تأثرى واحساسى بالنسبة للعدوان الصهيونى ، فهـو أحساس طبيعـى لكون هـذا العـدوان يمثل مصـالح وأهداف واضحة للاستعمار والامبريالية . لان اسرائيل لا شك هى مؤسسة استعمارية خلقهـا الاستعمار فى المنطـقة لتنفذ مخططاته العدوانية ، وقد كان منطلق قوى الاستعمار بايجاد اسرائيل فى الشرق الاوسط له اكثرمنمهام بالنسبة للاستعمار، وهى حسب تصورى على النحو الاتى :

١ ــ وجود اسرائيل فى الشرق الاوسط فى ظل الاوضاع الحالية والافرازات يعتبرتجميدا للصراع الطبقى فى المنطقـة لصـالح الاستعمار .

٢ ــ وجود أكثر من قوة ثورية ومؤسسات تقدمية فى البـلاد العربية تمثل فى انظمة . وكان هذا من قبل الاستعمار يعد ظاهرة خطيرة يجب القضاء عليهـا واسرائيل قد أوجدها لتنفيذ مثل هذه المهام . وقد لمسنا هذا أكثر من مرة فى ١٩٥٦ و١٩٦٧ م حين كانت مصر وسوريا وبعض البلاد المتحررة تنادى بالقضاء علـى الاستعمار ومصـالحه ، فان اسرائيل قـامت بـوحى مـن الاستعمار بعدوانها وحين لـم تستطع اسرائيل انتحقق الغرض المطلـوب بـاسقاط الانظمـة التقدمية ، أصبح الاستعمار يرى انه باستطاعته أن يحقق شيئا آخر ، ألا وهو ان تبقى اسرائيل مادة للضغط على هذه الانظمة لكى تتراجع عن خطها الثورى وتسير بالتالى فى فلك الاستعمار وبهذا التصور اثبت الاستعمار انه لا يملك التصور الصـحيح للواقع ، ولا يدرك التطورات الطبيعية لان التغييرات فى الشرق الاوسط وفى العالم لم تكن مجرد رغبة من قبل افراد او جماعات ، وانما هى نتيجة للتطور الطبيعى وحتمية الواقع . ولا يمكن لاى قوة ان توقف عجلة هذا التطور مهما كان الامر .. كذلك بالنسبة للتأثير فى القضايا العالمية لا شك أن المنطلق بالنسبة للقضـايا المحلية هى نفس المنطلقـات بالنسبة لقضايا العالم المعاصر .

واحب ان اشير فى النهاية الى أن العلاقة بالمؤسسات والاجهزة المتصلة بهذا الفن ليس لها وجود فى بلادنا ، وذلك للاسـباب المعروفة ، اسـباب العـزلة والتخلف الذى فـرض علـى اليمن .

— [٢] —

الجمهورية العربيـة اليمنيـة

الاسم : عبد العزيز المقالح
السن : ٢٩ سنة
انتاجه الفنى :

أ ــ المنشور : مجموعة من القصائد والدراسـات الادبيـة والقصص القصيرة المنشورة فى الصحف اليمنية والمجلات الادبية العربيـة فى كل من القـاهرة وبيروت .

ب ــ غير المنشـور : « فى طريق الشـمس » ديوان من الشعر الحديث .

« الجحيم . . افضل » مسرحية من أربعة فصول .

« ٩ شهداء عرفتهم » فى ذكرى تسعة مناضلين مـاتوا لتعيش الثورة .

« شعر وشعراء من اليمن » دراسة عنالشعر والشعراء فى اليمن .

« شعب وخمسـة رجـال » دراسة محايدة لخمس شخصيات يمنية لعبت ادوارا رئيسية فى العهد الجديد .

السؤال الاول

ترجع علاقتى مـع الادب الـى ذلك اليوم الذى اكتشفت فيه سر الحرف فقادنى طفلا صغيرا الى مضـارب خيام بنى عبس حيث كان « عنترة » يلهو ، ويسجل ملحمة البطولة العربية ، ومـن هناك ذهبت فى رحلة لذيذة مع « سيف بن ذى يزل » لاطلاق سراح النيل الخالد من سـجن الساحرة ، وبعد ذلك وجدت نفسى وجها لوجه مع الف ليلة وليلة ، ثم مع الادب الغربى ، وأخيرا الاجنبى .

بدأت اول انتاجى الادبى وهو

قصيدة حب وانا فى الخامسة عشرة وكانت من وحى قراءة الليالى ٠

السؤال الثانى

من حيث العلاقة بالزملاء — الادباء — فقد كانت ولا تزال علاقة ود وتشجيع متبادلين ، علاقة تأثير وتأثر الى اوسع مدى ، وفيما يختص بالعلاقة مع الاجهزة والمؤسسات فلا علاقة تذكر وفى الحقيقة لايوجد فى بلادنا حتى الان مثل هذه الاجهزة والمؤسسات ٠

وفى مجال العمل تقوم العلاقة على اساس من التعاون التام الذى لا يخلو احيانا من التناقض الجزئى ، وربما الكلى نتيجة لاختلاف وجهات النظر ازاء موقف غامض أو قضية لم تدرس بما فيه الكفاية ٠

أما الموقف من الاجيال الفنية السابقة فيعكسه — فى الحقيقة — موقف هذه الاجيال نفسها ، وفيما قدمته وتقدمه من انتاج يساعد على اثراء التجارب الفنية وتخصيبها أمام الاجيال القادمة ، ومع ذلك فالصراع بين الاجيال قانون ثابت من قوانين الحياة الثابتة ، وبدونه تتجمد الحياة، ولكن ليس معنى هذا انه حتمى واننا لا نستطيع ان نتحاشاه أو نجعل منه حوارا ممتعا ومبارزة لا تسيل فيها قطرة دم ولا تغيب عن ابطالها اخلاق الفروسية للحظة واحدة ٠

اننى اتمنى وادعو أن يكون موقفنا من آبائنا واخواننا الكبار « تقدير لا يصل الى حد التقديس والتقليد ونقد لايخرج عن الموضوعية والصدق ، ولا يصل الى حد العقوق » ٠

السؤال الثالث

التحولات الاجتماعية العظيمة فى الجمهورية العربية المتحدة ، وما ينبض به قلب وعقل العالم الثالث من موجات فكرية ، ثم ما يتمخض عنه عالم اليوم من تطورات فنية حديثة فى دنيا الادب والفن ، سواء على مستوى المسرح والسينما والرواية ، أو على مستوى الشعر والموسيقى والتصوير ، كل هذه المؤثرات تشدنى اليها بعنف وتستأثر باهتمامى وربما كان ذلك شأن معظم ابناء جيلى ٠٠ الجيل القلق المبهور ٠

أما أين أقف بهذه المؤثرات ؟ فاننى لا أجد جوابا افضل من القول بانه لا خير فى اديب أو فنان عربى لا يعيش قضايا مجتمعه وأحداث عصره ولا يوظف فنه وادبه فى خدمة القضايا التالية :

أولا : قضية الامة العربية الخاضعة فى معظم اقطارها لواقع شديد التخلف والخاضعة باكملها لسلطان التقاليد البالية ، والاقطاع الجائر ، والتجزئة الرهيبة ، والتى لا تزال — للاسف — أبر مزرعة تتكدس على ظهرها وفى اعماقها مصالح الاستعمار بشكليه القديم والجديد ٠

ثانيا : فى سبيل تحرير الوطن السليب — فلسطين — من قبضة الاستعمار الاستيطانى الصهيونى

ثالثا : من أجل انقاذ العالم المعاصر من الاوبئة الفتاكة التالية والمتمثلة فى : الاستعمار باشكاله المختلفة ، الراسمالية، الاقطاع ، العنصرية ، الفقر ، الحروب العدوانية ٠

[١]

العراق

الاسم : عبد الجبار عباس
السن : ٢٦ سنة
الجهة التى يعمل بها : أعمال حرة (العراق)
دخله الشهرى : منخفض ، غير ثابت
انتاجه الفنى :
أ — المنشور :
مقالات نقدية بالصحف والمجلات
ب — غير المنشور :

١ — مرايا على الطريق : دراسات نقدية ، يصدر قريبا عن وزارة الثقافة العراقية ٠
٢ — السياب : كتاب فى أربعة فصول ، معد للطبع
٣ — أشواك الوردة الزرقاء : ديوان من الشعر الجديد ، معد للطبع
٤ — مقالات نقدية متفرقة قد يضمها كتاب قريبا ٠

السؤال الاول :

فى سنة ١٩٦١ بدأت بقراءة الشعر، وكتب نظرية النقد، ونقد الشعر العربية والمترجمة ٠ وفى ديسمبر ١٩٦٣ نشرت أول مقالة نقدية وفى سنة ١٩٦٤ نشرت أول قصيدة ، وانعطفت فى هذه السنة الى الاهتمام بعيون القصة والرواية العربيتين ومتابعة نقدهما ٠

السؤال الثانى :

التعاطف والنفور يحكمان علاقاتى بزملائى الادباء

العراقيين الجدد ، ففي الوقت الذي ألاحظ أن كتاباتي جزء من حركة أدبية عامة جديدة وأن الاخلاص لا ينقص الكثيرين منهم الحظ بأسف طغيان آفات على هذا الجيل أهمها الادعاء والمكابرة والتكتلات القبلية الصغيرة والانقطاع عن الثقافة الجادة وغياب التحرز العلمي في الاحكام واستطابة الانتقاص اللامبرر من الاجيال السابقة تغطية للكسل والخواء • انهم يستطيبون الاثارة السريعة في الصحف اكثر من العكوف على الانتاج المثمر • أمانيهم اكبر من اعمالهم وادعاؤهم أضخم من أبداعهم • قد ألتمس لذلك سببا من واقعنا المضطرب لكنني أحس ان بمستطاعهم أن يترفعوا عن تملق الشهرة وأن بأمكانهم أن ينموا بجدية اكبر بذرات الابداع التي تومض أحيانا في بعض كتاباتهم •

لا صفحات الادب الهزيلة في الصحف ولا مجلة (الاقلام) المحافظة ولا زوايا الادب الخفيف في الاذاعة قادرة على اثراء وتطوير الادب العراقي • انها تعكس اكثر جوانبه سوءا . وزارة الثقافة هي الجهة المسئولة الوحيدة القادرة على مساعدة الاديب الجديد بطبع كتبه ومساعدته ماليا ، لكن عضدها للاديب ضئيل محدود بطيء ومحافظ ، وبمستطاع الوزارة أن تقرب بالترجمة — التي هي الآن في حكم المعدومة — ثمرات الفكر والادب العالمي ، وأن توازن بين الاهتمام المحدود بالادب والثقافة وبين الاعلام السياسي •

● يصدمني أخطبوط الفجاجة والتفاهة والنفعية في مجال عملي اليومي ، لكنني أدين له بمعرفتي المباشرة عن نفسي وواقع الناس وان كانت هذه المعرفة ضئيلة محدودة بحدود البيئة التي تكرر نفسها يوميا اكثر مما تتغير بوضوح • مناخ الغربة شبه التامة يحكم علاقتي ببيئة عملي لكنه لم ينته بي الى الرفض التام أو التعالي أو الارتداد عن مواجهته • احاول قبول هذه الغربة كقدر للاديب الجديد في مجتمع مازالت تحكمه أخلاق الفقر والتطلعات الفردية المحمومة وأحاول استثمارها لترسيخ نظرة خاصة أطمئن لها •

● أدين بالكثير لجيل الخمسينات الشعري ، قرأت أعماله ومعظم ماكتب عنه وحاولت بما كتبت عنه أن أحدد تأثيره في شعري وموقفي من انجازاته المهمة لولاه لبقيت ذلك الرومانسي الصادق ، لكن الصغير ، الذي كنته قبل خمس سنوات •

أما في النقد فلست أعرف أن ثمة تراثا نقديا منهجيا غنيا خلفه ايما جيل عراقي سابق ، المقالات الجيدة القليلة المتناثرة لكتاب الجيل السابق لم تسهم بشكل فعال فيما كتبت • لكنني أحمل مشاعر التقدير والاحترام لاستاذي الناقد الدكتور علي جواد الطاهر • فقد رسخ في حب الادب والنقد ، ولئن كنت افتقد في كتبه المنهج الواضح فقد تعلمت منها أن عرض النص بحب وصفاء وموضوعية على صفحة الذوق المدرب الحساس لهو ضرورة لا غنى عنها •

السؤال الثالث

الصراع بين الواقع المر والحلم العذب ، بين الاحباط والأمل ، هو عنوان العلاقة التي تربطني بالمجتمع ، فالمؤثرات الاجتماعية ماتزال في جوهرها امتدادا للمؤثرات الاجتماعية في أدب الجيل السابق : مجتمع لا يرى الادب ضرورة ، عمل يومي رتيب يستنزف الطاقة ، ضآلة الحرية ، ظمأ الى المعرفة لا أجد له هنا ريا • أحلام بمشاريع أدبية عسيرة التحقيق على أديب يقرأ في المقاهي المكتظة ويكتب ليلا بعد نوم الاطفال ، لذا أعرف العالم عن طريق الكتب وحدها • فالحرمان في مدينتي الصغيرة كامل في المسرح والسينما والفنون التشكيلية والندوات الادبية والمكتبات الغنية •

ليس ثمة مؤثرات فكرية محددة توجه أدبي • قرأت اشتاتا متفرقة في مترجمات ومؤلفات التاريخ والسياسة والفلسفة ووجدت في كتب **عبد الرحمن بدوي وزكريا ابراهيم** زادا فكريا طيبا ، لكن الادب علمني النفور من التحدد المذهبي والافتراضات المسبقة لست رافضا للفكر ولست ضائعا بل أجهد أن أقلب الاراء على وجوهها وأناقشها مع نفسي قبل أن أنتهي فيها الى قناعات خاصة قابلة أبدا للمراجعة والتطوير •

شعري ونقدي يتنفسان مناخ هذه الحياة الفنية العربية الجديدة التي اسهمت فيها الروافد العربية — في النقد خاصة — اكثر من التراث المحلي ، اعتنق الحداثة المغتنية بأصول الحضارة . نقدي جزء منها تأثر بها ويطمح أن يسهم فيها • المزيد من الانجازات الاشتراكية العلمية ضمن برنامج واسع هو الحل ؛ المرجو لاغلب مشاكل الواقع •• الحل الكفيل بدفع التغيير الاجتماعي خطى أوسع وأبعد واكثر قربا من الجماهير التي تلمس بعد ثمرات هذا التغيير البطيء — وهو الكفيل بأن يقرب المسافة بين التطلعات

الادبية المشروعة لكن الغريبة على البيئة ، وبين الجمهـور اللاهث وراء رغيف كل يوم · ومتى تحرر هذا الجمهور من خوف الجوع واللاضمان واللاحرية أمسى مهيأ لفهم الاديب الجديد واحتـرام آماله وسيرحب الاديب بـدوره بتقدم مسيرة هذا الجمهور نحو خوض معركة التغيير ومعـركة الشرف ضد العدوان الاسرائيلي، وآنذاك ستكون المسافة الطبيعية بين الاديب والواقع طاقة دينامية خلاقة بدلا من أن تكون مثبطا وعائقا ويصبح تطلع الاديب الى نصرة قضايا التحرر في العالم ذا فاعلية وصدى ملموس بدلا من أن يكون ادعاء للعالمية أوهروبا من مشكلات البيئة المحلية ·

[٢]

العـــراق

الاسم : نور الدين فارس
السن : ٣٢ سنة
الجهة التى يعمل بها : التعـليم فى المدارس الثانوية (العراق)
دخله الشهرى : ٥٠ دينارا

انتاجه الفنى :
أ ــ المنشور : ٣ مسرحيات ومقالات فى النقد المسرحى ·
ب ــ غير المنشور :

السؤال الاول

لقد قامت العـلاقة بيـنى وبيـن المسرح منذ سبعة عشر عاما حيث كنت طالبا فى المراحل الاولى من الدراسة الثانوية ، بدأت ممثلا ثم كاتبا لبعض التمثيليات البسيطة والمرتجلة ذلك الحيـن ، الا ان مواصلتى للدراسة ــ خـاصة الدراسة الادبية ــ فى جـامعة بغداد ــ كلية التربية قسم اللغة العربية صباحا ــ وفى معهد الفنون الجميلة قسم التمثيـل والاخراج مساء ، قـد فتحت أمامى آفاقا بعيدة فى مجـال الادب المسرحى من حيث التكنيك الفنى والابداع الادبى ، وقبل أن انهى دراستى الجامعية والفنية اصـدرت مسرحيتى الاولى ــ لتنهضوا ايها العبيـد ــ وذلك فى اواخر عام ١٩٥٩ ، ومنـذ ذلك الحين تـوالت نتـاجاتى الاخرى حتى اليوم ــ فى عـام ١٩٦٥ ظهرت مسرحيتى الاخرى ــ اشجار الطـاعون ، ثـم مجموعتى طريق اخر وقد ظهرت عام ١٩٦٦ ثم مسرحية الكراكى التى ظهرت عام ١٩٦٧ ثم البيت الجديدة ١٩٦٩ والتى تمثل الان على مسرح بغداد الاهلى . أما بالنسبة للنقد المسرحى فقد بدأته عام ١٩٦١ ولا أزال امارسه فى الصـحف والمجـلات المحليـة والعربية ·

السؤال الثانى

ان العـلاقة بينى وبين زمـلائى الفنانين كانت محـدودة فـى السابق ، الا ان نضوج أعمالى الاخيرة قد وطدت هذه العلاقة وجعلتها نامية ووثيقة ·· أمـا بالنسبة للاجهزة والمـؤسسات المتصلة بعملى الفنى ، فـان علاقتى بها ضعيفة وضيقة علما بان الاسباب ليست فنية ·

أما علاقتى بالمجال الذى أعمل فيه ــ التدريس فـى المـدارس الثانوية ــ فانها ليست طبيعيـة بسبب ارباكها وتقييدها لنتاجاتى الفنية ، ولهذا فاننى أعتبر ــ التدريس ــ العصا القاسية فى عجلة موهبتى وابداعى ·

أما موقفى من الاجيال الفنية السابقة فانه يتمثل فى احترامى وتقديرى لاولئك الفنانين الرواد الذين رفعوا الراية وانطلقـوا بشجاعة فـى درب محفـوف بالاخطار والمزالق والعثـرات · على الرغم من تخلفهم فى كثير من الاعمال بسبب ظـروفهم القاسية · الا اننى وجدت فيهم الشرارة التى اوقدت شعلة فننا العراقى الصاعد ·

السؤال الثالث

ان بلادى ــ العراق ــ خصـبـة تتوفر فيها امكانيات هائلة لان يعيش الانسان برفاه وسعـادة ومـع ذلـك تجـد الدمـوع والحرمان ·· واليأس والقلـق ولعل هذه الظاهرة من ابـرز واعمق المؤثرات الاجتماعية فى كافة اعمالى المسرحية · أمـا المؤثرات الفكرية فانها تتمثـل بالاستفادة من أهم المنجـزات الفكرية لعصرنا الحاضر فيمـا يتعلق بخلاص الانسان مـن الاستغلال والعبودية والحـرمان وايجاد العالم المشرق ، العـالم الذى يرفل بالحب والطمـأنينة والسعادة ، العالم الذى يكفل لـلانسان الحـرية والابـداع والسلام ·

أما المؤثرات الفنية التـى تشارك فى ابداعى المسرحى فانها ترتبط عضويا بالمؤثرات الفكرية

التى نوهت عنها قبل قليل وعليه فهى صدى لاخصب المدارس الفنية الحياتية المشرقة فى العالم، تلك المدارس التى تؤمن بالانسان ايمانا مطلقا وبالحياة ايمانا راسخا . المدارس الفنية الخصبة النامية التى تحتضن وتكشف التجربة الفنية الهادفة ، من أجل عالم آخر أكثر عطاء ورحمة وحبا .

اننى اعتبر هذه المؤثرات الدرب الاعظم والاشرق ، فى مسيرة بلادى الظافرة نحو مجتمع العدالة والخير والحب كما أعتبرها الخطوات الباسلة نحو تمزيق الوحش الاسرائيلى الذى يجثم فوق ارضنا المقدسة أما بالنسبة لقضايا العالم المعاصر فاننى اجد فى هذه المؤثرات نواقيس الخلاص واقواس النصر لعالم آخر .. أكثر اشراقا ووئاما وحبا وطمأنينة .

[٣]

العراق

الاسم : عبد الرحمن مجيد الربيعى .
السن : ٢٩ سنة
الجهة التى يعمل بها : الاذاعة ، الصحافة ، التدريس (العراق)
دخله الشهرى : ٧٠ دينارا

انتاجه الفنى :
أ — المنشور : ٣ مجموعات قصصية .
« السيف والمدينة » و « الظل في الرأس » و « وجوه من رحلة التعب » .
ب — غير المنشور : —

السؤال الاول

بدأت العلاقة منذ ١٥ عاما وأول قصة نشرت لى عام ١٩٦٢ .

السؤال الثانى

ان الجيل الجديد من الزملاء ، أو ما نسميهم عندنا بجيل الستينات هو جيل عنيف فى رفضه . وليس الرفض لجيل الخمسينات السابق وتراثه فقط بل يكاد أن يكون رفض احدهم الاخر ، وعلاقتى بهؤلاء الزملاء هى فى كونى من اوائل من كتبوا فى الاتجاهات الجديدة فى القصة وأول من فتحوا لهم الباب ، وبالرغم من ان التجربة كانت ناقصة بعض الشيء اذ اننا لم نأخذ وجهنا الاخير بعد . ولكننا قمنا بالمبادرة وان لم تكن شيئا اليوم فاننا فى طريق الى شيء . أما عن علاقتى بالاجهزة التى أعمل فيها فانها علاقة موفقة — حسب التعبير الادارى — للكلمة .

السؤال الثالث

ان ما ورد فى القسم الاخير من أجابتى للسؤال السابق قد يعطى بعضا من الاجابة على هذا السؤال . وأضيف باننى اتعاطف بانتشاء مع عملى . انه اندماج واستحضار وعلاج ، وبالتالى عملية تنفس سهلة ومرنة على الدوام لا يعيقها داء .

● كنت اعلن قبل فترة قريبة باننى صنعت ملامحى ولم اتتلمذ على أحد من جيل الخمسينات ولكن هذا كان موقفا عاطفيا متطرفا اذ اننى ما زلت أحمل وبصورة ما ملامح الجيل الذى سبقنى ، اننى اعتز بهم كأضاءة لمرحلة كادت أن تكون معتمة لولاهم ، شيء واحد يغضبنى فيهم هو التناول الاخلاقى السمج احيانا للاحداث ونصب انفسهم كمعلمين ومرشدين وبهذا فهم ينصبون من كلماتهم قواميس وهذا شيء ارفضه .

● اننى ولدت وأنا أحمل حزن بلدى وصبره وعندما نشبت ثورة ١٩٥٨ كانت مرحلة جديدة بالنسبة لنا وقد اصبح أمامنا المجال لنستعيد هدوءنا ونفكر بأنفسنا وهمومنا . ولذلك فان الحرية والجنس هما القطبان اللذان ادور حولهما ، وأعتقد انهما منطلق قد يكون شاملا بالنسبة لهموم شعبى وجيلى ، اننا لا نعلن بأننا مصلحون اجتماعيون ولكننا ثوريون فى تعاملنا مع الاشياء ولكنها ثورة رومانسية غاضبة فى احيان كثيرة . انا واحد من الذين يبكون بكل اعصابهم ومن الذين يضحكون بكل اعصابهم ايضا ، مرة أكون مهرجا ومرات أكون بطلا ولكننى بلا صولجان . قضية العدوان الاسرائيلى تأكل فى قلبى وعندما اكتب عن الحرية فان هذا يعنى الرفض لكل احتلال وكل استعمار وكل اذلال للشعوب ، اننى عالمى بقدر ما أنا قومى ومتفاعل مع احداث موطنى محاولا جعل فنى صوتا لها .

العراق

[٤]

الاسم : محمد الجزائري
السن : ٣٠ سنة
الجهة التي يعمل بها :
١ — معاون محاسب في شركة تجارية
٢ — محررا في جريدة الثورة ومجلة الثقافة الجديدة (العراق)

دخله الشهري : ٧٥ دينارا
انتاجه الفني : (أ) المنشور :
كتاب : مسائل في الادب والانسان — دراسات نقدية وادبية — معد للطبع « احساس ابيض » ديوان شعر التهمته حرائق العراق !!
(ب) غير منشور :

السؤال الاول

قامت علاقتي مع الادب والفن منذ بدأت رحلتي مع الحرف النبيل والانسان عام ١٩٥٢ ، كنا جماعة فتية في البصرة ، نمارس الرسم ، كهواية ، ونتابع ، الثقافة والنشاطات السياسية والاجتماعية ، ثم تفرغت للكتابة ، وعفت الرسم ، وزاولت النقد الفني — كمحرر — منذ عام ونصف ، حين كلفت بتحرير صفحة « الفن » في « التآخي » بعد انتقالي من « صوت العمال » .. وقد عطلت الصحيفتان وزاولت الى جانب تحريري لقضايا الفن ، في التآخي ، شئون الادب والجماهير وحقول أخرى صغيرة . وكنت أسهم في مجلة « السينما اليوم » التي صدرت منها ثلاثة أعداد وحجب امتيازها .. وبعد السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ، فوتحت بالعمل في جريدة « الثورة » مع من فوتح من التقدميين ، كمحرر للدراسات الفنية ، بعد دعوة رئيس التحرير لي ، والاتفاق معي ، على اساس احتفاظي بخطي الفكري والانساني في الكتابة ، واستقلالية الصفحة وتميزها .. أما العمل الصحفي عموما فانني أمارسه منذ سنوات وقد نلت عضوية اتحاد الادباء العراقيين ونقابة الصحفيين منذ عام ١٩٥٩ ..

السؤال الثاني

المنطق الموضوعي ، والمناخ الفكري الثوري ، والالتصاق بقضايا الجماهير ومشاكلها اليومية ، هو المناخ الذي يسيطر على ممارستي لفني .

● اما من حيث العلاقة الاجتماعية ، فاني أنطلق من ممارسة نشاطي الكتابي والنقدي ، عبر التزامي الفكري وأقيم علاقاتي الاجتماعية الطيبة ، اعتمادا على الحوار والمكاشفة ، وممارسة حقنا الطبيعي في الحياة كقوى تقدمية .. ان احترامي القائم للعاملين معي ، وزملائي ، يعتمد أساسا على مدى احتفاظهم بجوهرهم الانساني ، في الكتابة والسلوك ، والموقف من الجماهير الكادحة ، وقوى المجتمع ، والانسانية ، عموما .. وقبل السابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، كانت علاقتي تقوم مع الاجهزة والمؤسسات المتصلة بالثقافة والاعلام ، الحكومية علاقة متوترة ، تقوم من جانبي على المواجهة والتصدي والمطالبة الصريحة باسقاط السلطة وايجاد البديل الثوري المتمكن من استيعاب المرحلة ودفع الثورة الوطنية الى مرحلة الثورة الاجتماعية والتحول الى بناء المجتمع الاشتراكي ..

● أما زملائي ، فالواقع انني لم أعمل الا في صحف عقائدية .. ومن هنا ، فان علاقاتي تقوم على التجانس الفكري أو عدمه .. ولا تتخطى هذه المواقع ، حتى في الخلافات ، لا تكون العلاقة الزمالية ، مهزوزة ، أو مضطربة رغم تعمق الخلاف الايديولوجي بيني وبين بعض الزملاء من الاتجاهات الاخرى .

● أما موقفي من الاجيال الادبية والفنية ، فهو موقف المرونة في العلاقات الاجتماعية ، والصرامة في المبادىء ، فاني الى جانب احترامي العمل الخلاق والمبدع ، واحترامي الاخلاص والنزاهة في العمل ، أضع شرطا أساسيا ، في مواجهتي للآخرين ، وهو مدى احتواء فكرهم لقضايا الانسان والدفاع عنها ، محليا ، أو قوميا ، أو انسانيا .. وليس الخيط التقدمي الذي يشد الاخرين ، هو وحده الدافع لمعانقتي اياهم ، بل والانجاز الاجتماعي والمهني الذي يمنح العطاء ، ويحقق التفاعل والاغتناء مع مجموع الجهد الانساني ، الثقافة الانسانية ، ان أي اضافة حضارية ، هي موضع اهتمامي ، لانها باعتقادي محاولة تخطي سلبيات الحياة وأسباب النكسة .. ..

السؤال الثالث

أومن بالماركسية اللينينية .. وحين أجد في صيغة « الاشتراكية العلمية » ، أيديولوجيتي ، فاني أحاول أن أضعها موضع التطبيق ، في كل أعمالي .. اذ أنها تغذي وتغني ابداعي الفني ، وان اغترافي للفكر الانساني التقدمي ، والتصاقي بحركة الادب والحياة، يمنحني امكانية التصور الاكثر وعيا ، وامتلاك الرؤية المطلوبة لوعي مهمتي التاريخي ودوري الاجتماعي ووظيفتي الانسانية .. ومن هنا ، أسعى ، مع جماهير شعبي ، لايجاد النظام الذي يعتمد الائتلاف الوطني ، في جبهة تقدمية ، للانتقال بالبلد الى مرحلة البناء الاشتراكي بعد تنضيج مرحلة الديمقراطية الوطنية .. لخلق ركيزة حكم تقدمي ، تسهم ليس في صد العدوان الامبريالي الصهيوني ، بل وتغيير بنية الانظمة الاجتماعية الاخرى في البلدان العربية ، وايجاد البديل الثوري ـ كما أسلفت ـ وخلق الانظمة التقدمية التي يمكنها أن تطوق اسرائيل كقاعدة استعمارية ، وتعمق وتقولذ عمل المقاومة الباسلة ، وتسهم في صياغة وحدة هدفها ووحدة فكرها ، ووحدة عملها ، لاسترجاع كافة الحقوق المسلوبة في الارض المحتلة ، عبر اتباع طريق الكفاح المسلح لتحرير فلسطين ، الى جانب كل أساليب الكفاح الممكنة ، وتوفير القناعات الأممي ، مع كل بروليتاريا قضيتنا ، وربطها بحركات الشعوب المناضلة ضد الاستعمار والامبريالية وكل ألوان العسف والاضطهاد والتخلف والتضامن الاممي ، مع كل بروليتاريا العالم ، من أجل توحيد النضال لخدمة البشرية واسعادها .

ومن هذه المنطلقات لا أجد الا لزاما علينا ، أن نواجه ونتحدى ، ونعري ، ونكشف الفكر الامبريالي ، او الصهيوني أو الرجعي عبر كل أشكال الادب والفن والثقافة ، ولا تعايش سلمي بين الايديولوجيات قطعا .. وهذا يمكن تعميمه على كل قضايا الانسان والعصر ..

[٥] العراق

الإسم : عائد خصباك	**دخله الشهري :** ٤٣٫٣٠ دينارا
السن : ٢٤ سنة	**انتاجه الفني :**
الجهة التي يعمل بها : مدرس (العراق) .	**أ ـ المنشور :** قصص قصيرة
	ب ـ غير المنشور : مجموعة قصصية تصدر قريبا .

السؤال الاول

حين يقال (الفن تفهم العالم) يقصد به ، العلاقة بين استيعاب الفنان للرؤيا واعادة اخراجها بالشكل الانسب لجوهر التجربة ذاتها ، وبالطبع يختلف مدى القابلية على ذلك باختلاف الاشخاص ، ولكنه يؤكد مقدرة الفنان على معرفة العالم الذي يعيش فيه ، وتفهمه له بالقدر الذي يستطيعه ، ويتطلب هذا من المثقف بالدرجة الاولى معرفة دقيقة بقوى الانتاج ، وعلاقة الناس باعتباره يعيش وسطهم ـ فيما بينهم ، وبهذا يعكس الواقع المتحرك ، ثم لا يكتفي بالتآلف معه ، بل ان يحدده ، وهذا الهيكل المادي للمجتمع يختلف من ناحية العلاقة بوسائل الانتاج ، وبالتالي فان ناس كل بلد يقطعون طريقا تاريخيا واحدا ، يختلف عن الغير في اهم ناحية وهي المناخ العام ، فاذن الحياة المادية للمجتمع هي أول كل شيء ، وهي العامل الرئيسي الذي يتعامل به ، ويجيء بالتعاقب الناس وما يطرحونه من أفكار وآراء ومعتقدات ، أي انتجتها ظروف حياة المجتمع المادية ، فكيفما يكون كيان الناس الاجتماعي ، يكون كذلك وعيهم الاجتماعي ، فالشروط الخارجية من هذه الزاوية ، تشكل العامل النهائي في تكوين الجهاز العضوي ، وبصورة خاصة فان حواسنا المرتبطة ارتباطا وثيقا بالخارج ، تحول تلك الفاعلية الخارجية الى طاقة تملأ العصب .

وبما أن الفن يعكس الحقيقة الموضوعية من الناحية الاجتماعية والطبيعية ، وموجها اهتمامه للانسان وتحركه وعالمه الداخلي ، فان ـ وهذا ينطبق عندنا في العراق ـ تغيير الحياة المفاجيء بعد ثورة تموز ، نتج عنه تغيير في الوعي الاجتماعي ، غير حتى التصرف الفردي وظهرت آراء نتيجة التعاقب الداخل للتشكيلات الاجتماعية ، التي واكبت مسيرة الثورة وما بعدها ، واحتدت المسألة بالنسبة لنكوصها بعدئذ ، فظهرت آراء وافكار جديدة ، ربما يضيق المجال لتعداد مسبباتها على

طريق الحصر ، لكن هذه الاراء غير مستقر تقدر ان تفهم وتميز المنضور ، ذلك لان الصلات الواقعية للمسائل ، وعلاقة ارتباطها وقوانين تنميتها لم تتكشف بواسطة الحواس وحدها ، بل الاحساس ، وهو صاحب (الفضل) الاول .. صراع مع الفكر القديم الذى تأخر عن زمنه ، أو حالة عجز عن ملاحقة الحاضر ، أو صراع بين افكار متطرفة فى الجدة والجديد نفسه ، كما يحدث هذا الان ، هوس عجيب ، فترة دينامية حادة ، وضع مرتبك ، يشعر لها الشخص بعض الاحيان بالحزن والحنين ، واحساس ربما يكون متطرفا بالتمزق والتوتر ، ولا ينكر أن هذا فى نفس الوقت ، دافع قوى لاعادة الملاءمة والتكيف ، وكلما كان الوعى بها أكثر كلما يؤدى الى رفع التوتر ، من أجل الحلول واعادة التوازن ، فالوعى انعكاس معقد لتناقضات الواقع . لكنه فى نفس الوقت قوة محركة لتحويل العالم ، فعملية الخلق تنمو داخل انفسنا حتى تجد اللحظة التى تخرج معبرة ، لكى تساهم فى عملية الصراع ، حين تجد نفسها فى حالة ليست على وفاق وأمن معهم ، تتولد الرغبة بطرح المسألة على شكل نزيف فكرى ، الم ، شك ، حيرة ، فالمثقف عندنا يعيش فى أحلام يقظة من نوع خاص ، وهو يرى القلة القليلة التى تفهمه ، خاصة التى يكتب من أجلها ، ليس لانه يكتب أشياء غريبة ، لكن القلة تقرأ فقط ، لكن مع ذلك ، فهو يمتلك فعالية ايجابية لو استخدمت بوعى ، وهذه الاحلام لا تنفصل عن ملاحظة كل شىء داخل الوعاء الاجتماعى ، وفى كل مجال ، وانت تسير فى الشارع ، وفى تحرك أبسط الناس ، ولعملية تفهمها بحاجة الى ايديولوجية واعية ، للانتصار على الموت المعنوى ، وبالطبع دون تدخل مباشر للايديولوجية ، وذلك يقوى الارتباط بين الشخص والاخرين ، رغم كل شىء ، من خلال الثورة على النفس تتأكد هذه العلاقة الوثيقة مع الناس ، تتحدد فى اطار هادىء ، مثل تحرك الناس الخارجى ، وربما مترف — كما يكتب البعض — للتعبير ، ولا أقصد بهذا اتخاذ موقف وعظ أو انتقادى ، لكن يحرق نفسه من أجلهم ، وهذا فى رأيى شىء يستوى من ناحية الكتابة عن الفرح أو الكآبة ، انه صورة للوعى الاجتماعى ، تتكشف عن طريقها علاقة الانسان الجمالية بالعالم .

ومن هنا يبدأ الارتباط الوثيق بينى وبين الادب ، وبتحسس كل هذا يبدأ الاخذ الواعى فى استيعاب الخارج على انه كل ، يبدأ بعده طرح الاشياء بطريق الكتابة أو غيرها ، ذلك أن طبيعة التجربة ، ما هى الا العمل المتبادل بين الانسان والواقع اجتماعيا وطبيعيا . وبعد ذلك لا أخفى أن هناك دوافع اخرى يسلكها آخرون ، فكما أن الكتابة شكل للوعى ، فهى أيضا صورة للنشاط الجمالى ، وبالامكان القول ان الانفرادية البورجوازية ليس بمستطاعها أن تؤدى بموادها التى تطرحها ، وكذلك رفضها لحقيقة الواقع المعاش — خاصة عندنا فى العراق ، الا الى ما وقفت عنده ، من سلوك انفرادى ، لا يمكن أن يواكب حدة التناقضات ، أو انها تقف فى الخارج فقط ، بموقف المتفرج ، ومع هذا يمكن ان يختلف الوضع بالنسبة الى بلد آخر ، لاختلاف ظروفه ، وعندما يعى الانسان كل هذا يستطيع أن يصور الحياة بصدق ، ومن زاوية معينة أيضا — كالقصة القصيرة التى أمارس كتابتها — ولكنها يمكن أن تساهم فى كشف ما هو جوهرى وشامل .

السؤال الثانى :

وكما ان سلاح الثقافة منعدم تقريبا — كما ذكرت — فى الوسط الشعبى ، فانها أيضا تشمل أكثر من يمارسون الكتابة تقريبا ، فى استمرارهم على طرح أشياء جاهزة ، مكررة ، مرتجلة ، لا تكشف الا عن عدم صفائهم فى اتخاذ موقف ، وايجاد فارق فى ما يحتويه انتاج الكثير منهم مسايرة للموجة السارية ، او كما نسميها عندنا — موديل — وهذا خاضع الى الظن بانه لا يقرأ الا بهذه الطريقة ، وبين تفكير كل منهم ، انهم بهذا يشكلون [طبقة] تبتعد كل البعد عن التربة .. الواجب اذن محاولة الفهم ، فمن اجل أن يمارس الفنان وجوده الفعلى ، كصورة لجيله ، لابد من نشاط دائمى لا فى الكتابة وحدها ، بل فى تحسس القضايا ، والانفعال بها ، ولا أقصد انفعالا متقصدا ، وانما يبرز من جوهر التجربة .

أضف الى ذلك القراءة أيضا ، انها تنمى الموهبة ، وتهذبها ، كما أود القول بان عدم الحرص على ربط حاضر الادب بماضيه ، يمكن أن يدفع القابلية بتفوق ، وهذا ما نجح فيه بعض من كانت له الريادة لجيل كامل ، مثل ذلك — فؤاد التكرلي — الذى أدين له ، رغم انى لست من جيله ، ولا يعنى هذا انى متأخر تاريخيا ، وانما التكرلي سبق عصره بكثير . ولهذا احس بالغربة تجاه أولئك ، انهم وحدهم ، وما

يطرحونه ترجمتي تماما ، ولا يعني أحدا غيرهم ، وهذا خطر .

وتحتاج المسألة بعد ذلك الى تثبيت القدمين وترسيخهما لمواجهة هذه الكتلة ، وكما ذكرت انهم انفعلوا أول الامر مع الحوادث ، وواجهوا كل تناقضات أرض بلدنا ، لكن أنحرفوا بطريقة سلبية ، وهذا يحز بالنفس ، وتأسف له ، كما تأسف للمؤسسات القائمة التى تشرف على الادب ، فان معظم من ترعاهم لا يشكلون اهمية مطلقا ، وهذه الناحية فى رأيي متشابهة فى جميع البلدان العربية ، أن الوجوه التى تحتضنها الدولة تقليدية ، وهذا يعرفه كل شخص ، وبالتأكيد ان هذا الامر سحق لحرية الفكر ، وهى عملية مباشرة لمحاربته ، يتوضح هذا فى الكتب التى تصدرها مؤسسات الثقافة والاعلام ، والتى تطرح فى كثير من الاحيان افكارا ضد التقدمية بل وتحاربها علنا ، كما انها فى الوقت نفسه بعيدة عن حقيقة أدب الطليعة ، يتم هذا بالرغم من كثرة الكتابة عن هذا الموضوع والتنبيه عنه ، وما زالت القضية يجب أن تدرس بجدية . ثم ان كتابة القضايا الإنسانية ، وتوضيحها تلاقي حرجا ومضايقات ، وبالتالى لا يتم ذلك بالشكل الذى يرتاح له الادب ، وهذا لا يخلو من استفزاز لفكر الاديب ووضعه داخل المجتمع ، على انه واحد منهم ، لكن تبقى مثل هذه القضايا لا يمكن أن تقمع ، ولكنها تختفي ، لان هذا المسار لم ينهض مباشرة ،كأنه انتج فى فترة زمنية معينة ، وانما من خلال تحرك التاريخ ومسيرته

السؤال الثالث :

التناقضات اذن دافع مهم لعملية الكتابة ، يزيد من تفجيرها البحث ، فالسعي لمعرفة الاراء بكل اتجاهاتها فى العالم ، يعمق من تفهم المشاكل فى البلد نفسه ، العمل الادبى ممثلا بالفعل لادب البلد المنتمى اليه ، حاملا طابع البيئة ، ويكتسب التميز من ناحية البناء الفنى والشكلى ، أى كونه أثرا أبداعيا صادقا بالفعل . ان الفكر العالمي موحد ، بمعنى انه يحمل على العموم نفس الفاعلية ، ولابد من الفهم بان العملية مهمة للمشاركة فى تنشيط التفاعل داخل الادب على العموم ، هذه المساهمة هى عملية تفجير ، وتغيير نظام ، تساهم بجزئيتها فى حركة التحرر فى العالم ، انطلاقا من حدود البيئة المحدودة ، ولهذا أميل الى دراسة الفلسفة على انها انتاج فكرى للعصر ، وللروايات الطويلة ، لانها تعرف على قطاع واسع فى البلد المعنى ، المهم اذن الاستيعاب والخزن ، وهذا يجعلنى قليلا ما أكتب ، أو بالاخص عندما أحس بالحاجة الملحة التى لا يمكن لان تستقر الا بعملية كتابتها ، ثم أن التكنيك الحديث والغريب ، والاعمال التجريبية ذات التكنيك الجديد ، لا يتعارض مع الاتجاهات التقدمية ، على أساس دراسة ظروف التربة نفسها ، ان قراءة **افلاطون وشبنهاور وماركس وسارتر** تفهم كيف تجرى حركة التاريخ ، وكذلك من الناحية الادبية ، قراءة كليلة ودمنة الى جانب قصص الحيوانات المعاصرة ،وقراءة **يوربيدس الى اونيل** ، **وليرمنتوف** الى جانب **فولكنر** ، **وتشيخوف لورنس داريل** ، **وديكنز** مع **دورثوني ريتشاردز وفرجينيا وولف ودوستوفسكي الى جريبه ..** الادب العالمي وحدة حضارية متكاملة ، ينتج عنه ذلك من جهة الافران ، انه الثقافة تتوحد لتحمل طابع العصر ، وحركته منعكسة فيه ، وقوانين الانعكاس هذه لا يمكن أن تستخلص الا من مجموع تاريخ فاعلية الانسان ومجموع معرفته ، الكتابة مساهمة فى هذه الناحية بحدود الممكن للتغيير الاجتماعى ، وأعتقد ان هذا يحتاج لوقت ، لكن الالحاح عليه واجب مهم ،رغم انني أفهم ان كل أدب العالم لم يوجد اعتباطا ، بل تفجره الظروف والتناقضات ، وليكن الاديب قريبا منها على الدوام ليستوعب التجربة ، وعلى ضوء هذا الرأى يمكن أن أوضح ادب المقاومة فشعر **درويش** فى مرحلته الاخيرة ، **وتوفيق زياد** ، **وأميل حبيبي** ، راجع للارتباط الوثيق ومعايشة المأساة عن قرب ، وهذا عامل مهم ، رغم عدم نكران أن القرب لا يمنع الاديب فى أرض أخرى من تحقيقه ، ذلك بدراسة القضية ، ان مسألة الكتابة لمثل هذا الاديب تحتاج الى وقت بعكس الاديب الذى عاشها وانفعل بها ، وعلى هذا الضوء يتوضح لنا لماذا كان الانتاج ركيكا بعد حزيران ، انه لم يرتفع أبدا الى مستوى الفدائى فى الجبهة وهو يقف بوجه العدوان، وهذا عكس ماعرفناه من أدب مقاومة تصاعد فى بلدان أخرى ، مرت تقريبا بظروف متشابهة ، ومناخ متشابه ، كأدب فيتنام ، والصين ، وفرنسا ، واسبانيا ، أن أدب المقاومة ، باستثناء القلة ، هو كما يقول **أدونيس** ، أدب معارضة ، يجب ان تفهم المقاومة على انها خروج من الولولة والزعيق واستجداء العطف للتأكيد على رفع راية الكفاح ، وبذلك يصعد لمستوى المقاومة نفسها ، يجب الوثوق من اعمالنا أولا ، اذا أردنا أن نحقق موقفا ، ولذلك يتحمل الفنان مسئولية ضخمة .

[٦]

العـــراق

الاسم : ماجد العامل .
السن : ٣٤ سنة .
الجهة التي يعمل بها : الصحافة (العراق) .
دخله الشهري :
انتاجه الفني :
أ ـ المنشور : قصيدتان طويلتان مطبوعتان على شكل كتاب ، الاولى اسمها « لصوص البيدر » والثانية « عار على جبهة الحلم » الى مجموعات مخطوطة كثيرة .. وقصائد ومقالات منشورة في الصحف ..
ب ـ غير المنشور :

السؤال الاول :

الحقيقة ان الفنان . . . . أي فنان ، يصعب عليه تحديد تاريخ ميلاده الفني .. وأنا كشاعر مارست كتابة الشعر منذ سن باكرة .. لا أستطيع بالطبع أن أضع رقما يشير الى ميلادي الفني . . لقد كان الفنان ـ حسبما أعلم ـ موجودا بداخلي . . منذ البدء . . لكني لم أستطع اكتشافه الى حين وجدت بين يدي أول قصيدة .. كانت انفعالية حملتها معتقداتي الاولى .. ويومها كنت في السنة الاولى من المدرسة الثانوية .. في سن الثانية أو الثالثة عشرة ..

● وأكيد ان العلاقة بيني وبين الشعر ترجع الى أقدم من هذا التاريخ .. فاعجابي ـ الفطري ـ بالشعر واستظهاري لعدد من القصائد .. بدأت منذ تعلمت الحرف .. والفضل في اثارة هذا الاهتمام .. وفي تربيتي الادبية الاولى يعود الى والدي الذي كان يختار لنا القصائد الحماسية ، ويطلب الينا حفظها أنا وأخي الاكبر الشاعر « رشدي العامل » .. وكذلك كان يفعل مع اخوتي الاخرين .

السؤال الثاني :

أنا أفهم من سؤالكم هذا بأقسامه .. أنكم تريدون رصد المناخ العام للعمل الادبي والفني في العراق .. وهو أمر ليس غريبا أبدا على طليعة من طلائعنا الفكرية الجديدة ـ كالطليعة ـ ومن هنا رأيت ان أكتب بشكل فيه بعض التفصيل ومن خلال تجربتي الخاصة ..

وأود قبل البدء في الحديث المرير هذا .. أن أشير الى انى كنت قد رثيت أحد زملائي الصحفيين من ذوي الاهتمامات الادبية .. فقلت فيما قلته ، اننا معاشر الصحفيين العراقيين ، نموت كالكلاب الجرباء لا يأبه أحد لموتنا !

واذا كان الامر كذلك بالنسبة للصحفيين العراقيين .. فهو أشد وأقسى حالا بالنسبة للادباء العراقيين .

الاديب العراقي . . اعني الاديب الحقيقي يموت جوعا ـ دون مبالغة ـ في العراق ، وأخبار كثيرة وكثيرة تشير الى ذلك .. لقد وجدنا زميلا شاعرا هو المرحوم الناصري بعد أيام من وفاته في احدى ردهات مستشفى ببغداد جثة ما أهتم بها أحد عندما أسلمت الروح ! ومات « السياب » .. ميتة مزرية .. بائسة كما يعلم الجميع .

ان واقعا قاسيا مثل هذا ينسحب بكل تأكيد على نتاجاتنا الادبية والفنية والفكرية عامة .. ولعل المعارك السياسية ذات الطبيعة العنيفة في قطرنا العراقي ومشاركة الاديب العراقي فيها مشاركة كاملة .. هي التي صنعت مأساة الاديب العراقي العامة .. وبكل أسف أقول ان آصرة الادب ذات الاهمية الخاصة لم تستطع أن تنال من «علياء» الصراعات السياسية بل ان الادباء .. كانوا أولا ـ رجال سياسة ـ .. ومن بعد فهم ـ أدباء ـ !! الامر الذي قضى باعتبار البعض من ذوي المواقف السياسية والكتابات الصحفية أدباء رغم الادب ! في الحين الذي جرت فيه محاولات طمس أسماء ادباء .. لانهم اختلفوا مع هذه القوة السياسية او تلك ! .

بهذا الاختصار أردت تقديم مناخي الخاص ..

ان بعض « سدنة » الادب .. عندنا قد كتبوا ضدي « صكا بالحرمان » .. وبهذا فقد حرمت من حضور المؤتمر السابع للادباء العرب ، في الوقت الذي دعي للمؤتمر بعض المتحدثين

الاذاعيين باللغة الدارجة — العامية .. مثلا !!

ان هؤلاء « السدنة » يجيدون صياغة الاعذار — لكنى أعلم كما يعلم آخرون ما وراء هذه الاعذار! لقد كنت رفيق كفاح سياسى لهؤلاء ، واذ أتخذ الان موقفا — حرا — أمر كاف جدا لشن الحرب على !

واضح جدا — كما أعتقد — ان مؤسسات الفكر فى العراق .. مؤسسات ، أسميها — موسمية — .. تبعا لمواسم الفكر السياسى فى بلادنا .. والذى يسيطر على — سوق الادب — هنا هو فارس الحلبة السياسية أولا وآخرا ..

وانا — بالطبع — لا اريد للاديب ان يقف متفرجا من الاحداث السياسية .. لكنى كفنان لا أسمح بأية وصاية على العقل الخالق المبدع الفنان .

وأنا أدرى ، انى أسرفت قليلا ، لكنها المرارة ، التى ما انقطعت عنى يوما .. واذ تهزنى الشجون فلان ما يملؤ النفس .. يطفح خارجها بكل تأكيد .. ، وليكن هذا مفتاحا تستطيعون أن تفتحوا بواسطته الباب الى هذا المناخ كله ... فى علاقاته المختلفة بى .. ، فالمرارة التى تحدثت عنها قد اثمرتها فى الظروف القاسية التى عانيت وأعانى وطأتها .. ظروف عامة .. وظروف خاصة !

من هنا صرت — متمردا — أو — ثائرا — .. ، وقد انطبع هذا التمرد .. وهذه الثورة فى أكثر كتاباتى الشعرية والنثرية .

وبالطبع فقد بدأت — ثورتى — .. بدائية أول الامر .. مجرد احساس بالظلم وبالقهر .. . وتطلع طفولى لاحلال — عدل — عالم الصورة فى ذهنى .. لكن هذه الثورة قد سلكت — كما أعتقد — وجهتها الصحيحة .. بعد تاريخ معين من الثقافة والتهذيب والترويض والصقل .. ولا مجال هنا للاستطراد ..

من كل ما يحيطنى ، ناسا .. وفكرا .. ومجتمعا .. ، أتلقى تأثيراتى — قد نجحت فى طبع نتاجى ببصماتى الخاصة .. ، عبرت عما أرى .. من خلال فلسفتى الخاصة .. ، وهو أمر أحرص عليه كل الحرص .. لانى أؤمن بأن لكل انسان فلسفة خاصة ضمن أكثر الفلسفات العامة خصوصية ! وبالنسبة للفنان فأن آفاقه لا يمكن أن تحد .. والا لاستوت رؤاه .. ولية ثرثرات عادية !

وعندما اتحدث عن الفكر فانى لا افصل الجديد عن قديمه .. لا أقطع الغصن عن جذره . . ومن هنا كان — ديوان العرب — فى عهوده المختلفة منذ الجاهليين .. يحيا فى .. حياة كاملة .. تمدنى بالكثير من المعطيات ... ، ومن هنا أيضا أعتبر نفسى معبرا الى حد كبير عن انسان بلادى بفكره الصحراوى — الزراعى — الثائر .. الطامح الى تغيير حياته ! فأنا ما أزال أكتب القصيدة العمودية — وفقا للنهج الكلاسيكى — .. الى جانب القصيدة الحديثة ، مضمونا وموسيقى .. وموضوعا !

السؤال الثالث :

واضح كما اتصور ان الاجابات السالفة تستطيع تحديد نوعية هذه المؤثرات .. ، كما تقدر أن ترسم صورة لمواقفى من التغيير الاجتماعى والعدوان الاسرائيلى والى حد كبير من قضايا عالمنا المعاصرة ..

وان شئتم أن أفصل ذلك — بيسر — فان المؤثرات التى ترتوى منها شجرة الفن عندى .. متعددة .. ومتشابكة ايضا .. فمن التراث العربى — شعرا .. وأخبارا .. وتاريخا .. ودينا — .. الى ما تيسر لى العلم به من تراثات العالم القديم والجديد — من خلال ما نقل من لغات أخرى للعربية — .. الى الاحداث المعاشة .. بأبعادها وحدودها .. كلها تتمازج عندى .. ألوان وأضواء .. لتقدم من بعد — عبر عملية استشراق شعورى .. لوحتى الخاصة ..

اننى أؤمن بأن تاريخ الارض .. قد صنعته أصوات كثيرة .. مثلما أؤمن بأن طموح الانسانية للخلاص النهائى .. لا حدود لها .. ومن هنا فان دماء المسيح .. تعود مرة جديدة يانعة .. فى صورة دماء « غارسيا لوركا » الاسبانى . او « جيفارا » وسيف « عنترة العبس » .. هو ذاته بندقية « تشاباييف » الروسى ! ان صورة « أم مكسيم غوركى » .. تعانق بطل « كازنتزاكى » فى « الاخوة الاعداء » .. ، وهكذا تستظل الارض ظلال شجرة الحرية .. وعلى الدوام .. ترفد الانسانية أبناءها صورة عظيمة لكفاح الباسل الشاهق من أجل الخلاص .

اننى ادعو الى الثورة ولا يعنى هذا ان عملية الثورة . . هى عملية هادمة مدمرة .. تسحق جذورنا الخاصة أو تقتلعها ..

اننى أؤمن ان الثورة بناء .. ، حتى من خلال الهدم .. وليست هدما .. ثم

بناء .. ، كما طرحت في الماضي .. ، ان التقدم — التكنيكي — وبروز المعسكر الاشتراكي ، كقوة مؤثرة أساسية في تطوير المجتمعات النامية ، قد قضى باعادة صياغة الكثير من المسلمات القديمة وفقا لفهم جديد للعالم ولحركة التأريخ العامة !

ان العدوان الاسرائيلي — الاستعماري ، هو ظاهرة بارزة من ظواهر الثورة المضادة الناشبة في العالم ، والمستهدفة تصفية مكتسبات الشعوب واعادة تقييد ارادتها الحرة .. من هنا كان اصرارنا كأمة .. وكشعوب .. وكمفكرين — بشتى دروبهم — أمرا لا مناص منه .. ،

ومن هنا يتحدد في أذهاننا جميعا شعار — حشد كل الطاقات من أجل النصر المطلوب .. هذا النصر الذي لا يكتفي بتصفية بؤرة الحرب اسرائيل ..

وانما يدفع بمجموع قوى — الثورة العربية — الى مواقع جديدة في الخطوط الامامية للثورة العالمية ضد الرأسمال الامبريالي .

وبالنسبة للادب والفن فانهما جنديان باسلان في معارك الشعوب .. وطبيعي أن لا يقعد بهما أمر عن أداء الواجب الكبير .

في ذهني صورة نقية ، لرجال الفكر الفرنسيين أثناء المقاومة الباسلة للاحتلال النازي لفرنسا .. أرجو أن يستلهم منها أدباؤنا العرب دروس كفاح الكلمة .

أرجو أن أعذر في الصمت ازاء قضايا العالم المعاصرة المعقدة .. فذلكم أمر لكل ما آراء كثيرة حولها .. والمام بسيط بشرح وجهة نظر أي منا يحتاج الى وقت طويل .. انما الذي أرجوه أن أعتبر جنديا بسيطا جدا من جنود التقدم في العالم .. ومع جبهة الشعوب المكافحة .. مع الانسان الجديد في كل مكان .. مهما اختلفت تفاصيل المواقف ..

[٧]

العراق

الاسم : فوزي كريم
السن : ٢٤ سنة .
الجهة التي يعمل بها : مدرس على الملاك الثانوي (العراق)
دخله الشهري : ٣٩ دينارا .
انتاجه الفني :

أ) المنشور : ديوان شعر « حيث تبدأ الاشياء » ودراسات شعرية في التراث على ضوء المنطق المعاصر . وفي تجربة الشعر الحديث .
ب) غير المنشور :

السؤال الاول :

انني اتوهم ان ثمة علاقات حقيقية قد عقدت بيني وبين الكلمات، هذا السحر الغامض، في فترة بدائية من حياتي ، في مرحلة الصبا مثلا، ولكني لا املك المقدرة الحقيقية على اكتشاف ذلك ، السنة مثلا . انني اظمأ الى ذلك من اين ؟ وكيف ؟ ولكن الذي اذكره حسب الاوراق الصفراء المعتقة التي كانت تحملني (بحلم وجمال ورومانسية) الى الفكر، وكان الفكر عندي يعني الجمال . هكذا .

منذ سنة ١٩٦٠، عرفت كيف استطيع ان أقرأ بصمت .

وعرفت كيف اكتب شعرا (عموديا) حادا في كل شيء ، في هجاء الاصدقاء وفي الحب ، وفي الدين ايضا . وكنت حينها اتلذذ في قسوة الفكر وعناء القراءة .

في ١٩٦٣، تحدثت في اذاعة بغداد عن الشعر ، وتحدثت حتى تلمست رجولتي ، ان اخاطب الآخرين ، ملء الاسماع .

● صهرني **السياب أولا** ، **وادونيس** ثانيا ، وبدأت بعدهما اتوجس خيفة مس (كلماتي !) حتى وقعت عليها بعد فترة قصيرة خاصة ونقية ، وكان ذلك منذ ١٩٦٧ تقريبا . في أول عام ١٩٦٩ جمعت الذي كتبته في هاتين السنتين (وشيئا من ١٩٦٦) ، ودفعته الى الناس في « حيث تبدأ الاشياء » مجموعتي الشعرية الاولى

السؤال الثاني :

كانت علاقتي بالآخرين (الزملاء، الاجهزة والمؤسسات) تقوم على الصدق ، الذي يأخذ اشكالا متعددة : العصامية ، ارتقاء المصاعب ، العزلة ، وبعد هذا الصدق ، تنحدر المسائل الاخرى : الالتزامات السياسية الحادة ، المدارس الفنية الاحادية وكل « مطلقية » جافة .

مناخي معهم اسمه الانفتاح ، وسعة الافق، والحب ايضا، اسمه الصدق العامل . ولكن الامر حين يتصل بمجال العمل « المعيشي » يتخذ لونا آخر : الموت والخوف، وكأنني التقط منه بذور الخيبة والعبث . من الصعب على ان أتلمس هناك صدقي ، وعزلتي ، واتعاب الخلق . ولكنني اتلمس هناك « في الدولة » عرقا باردا ، وخيبة مريرة ، وموتا حقيقيا . وحلمي الذي يتورد حينذاك يتوهج

بالبطالة ، والتفرغ ، للغرق بتعب الخلق ·

انني أجد الابداع والخلق زهرة تتورد عن أرض خصبة خضبها دم الماضي ، وفورة النزوع الى المستقبل · ان الاجيال السابقة تحملني — عبر وعيها المرحلي وتطلعاتها المرحلية — الى الحس التاريخي ، ولست انقطع الى « الاجيال » بهذه الحدود · ولكنني ابصر أعماق الماضي السحيق وعلى ان أعيه ·

الاجيال السابقة واضحة ومباشرة ، ولهذا فهي لا تشكل حاجتي المطلقة ، ولكنها تحتاج الى استقراء وانتقاء متبصر ·

السؤال الثالث :

من أعماق الطيبين في الارض ، ومن زهرة اتعابهم ، من حلم الفقراء وطموح الجياع ، **أولا** ومن قمة الوعي الفكري للتاريخ — في وعي الجدل : جدل الحياة ، وجدل الذات ، **ثانيا** · ومن حمى الابداع والموت في الجديد ، ومن جدل الفن ، والسحر ، **ثالثا** · من هؤلاء جميعا اتغنى بالكلمات : الكلمات الحزينة الفرحة ، الميتة الحية ، المتشائمة المتفائلة حيث لا « احادية » ولا « مطلقية » ·

وعرفت عبر كل ذلك سر التغيير ، ومعنى « الثورة » التغيير الذي يقف دائما لا في نهاية تيار الحركة ، ولكنه يتوزع نسغا في الاجزاء وحمى قاسية.

ترى اين امتي من ذلك !

انها تقف طرفا ، دون ان تكون سائر الاطراف ذات لون واحد دون أن تكون سائرالالوان.حتى فقدت — وعي الثورة وتنظيرها — بحيث استطاع «الفعل» ، أن يمسخ « بحركته الجادة » — وبسرعة كبيرة — كل الحروف وكل الكلمات · دون ان نرى هذه الظاهرة ، هناك في العالم « المعاصر » كان العمل الفدائي الفلسطيني « فعلا » ، وتصعيدا للفعل · فهو وحده وعي الثورة مجسدا في «الحركة» دون ان ينبجس عن خلفية عربية شاسعة من هذا الوعي الذي نتحدث عنه ·

[٨]

العراق

الاسم : جميل كاظم المناف
السن : ٢٧ سنة
المهنة : موظف في شركة « تكينكو يوغسلاف ليمتد » · شركة استشارية فنية — العراق
الدخل الشهري : ٤٢ دينارا عراقيا
الانتاج الفني :
أ) المنشور : لم اتخصص **في الفن أو الادب ، وانما تخصصت في « الفكر السياسي »** **فنشرت في الصحف العراقية اكثر من الف مقالة بتعاقب المراحل السياسية واشرفت على صفحات طلابية وادبية واقتصادية وفكرية · لي كتاب بعنوان : ابعاد الصراع العربي — الاسرائيلي صدر عام ١٩٦٨ · أنشر في مجلات : لبنان · و ج·ع·م منذ عام ١٩٥٨ · في لبنان ومنذ ١٩٦٦ في القاهرة ·**
ب) غير المنشور :

السؤال الاول :

مارست الكتابة منذ عام ١٩٥٤ بدافع سياسي ووطني ، وطرقت أبواب المسرحية والقصة القصيرة فلم انجح فيهما ونجحت في « البحث » ، « والمقالة » « والدراسة » لي قصة قصيرة نشرت في جريدة الجمهورية البغدادية عام ١٩٦٤ بعنوان « عربة الحياة » واخرى نشرت في مجلة « الافق الجديد » الاردنية بعنوان « نسل الافاعي » ولي مسرحيات عديدة مثلت في المدارس المتوسطة للبنات عام ١٩٥٦ .لم اطرق هذه الابواب ، الا نادرا واكتب لنفسي فيها ·· لدي مجموعة قصص قصيرة لم انشر منها اي شيء · منها الرعشة الالهية · الزمن اللامجدي · شناقة هي الحياة . « المهشم » « الرجل الخلفي » الخ. نشرت فيالآداب البيروتية موضوعا عام ١٩٦٤ اعتبر قصة ·

السؤال الثاني :

المناخ الذي يسيطر على ممارستي لفني « اذا اعتبرنا ممارسة الادب السياسي فنا » هو مناخ التوتر والاضطراب. اذ ان ارضية بلادنا السياسية هكذا · اما ممارستي لفن كتابة الفكر السياسي فيغلب عليها الجدية وشعور داخلي بالالهام الى جانب تقصي العلم والمعرفة. اي ازدواج **الاصالة الذاتية · والاصالة في البحث والاستقصاء والاستقراء** · اما علاقتي بزملاء يمارسون هذا النوع من الكتابة، فحديثها كئيب وقاتم · اذ ان ممارسة الحرف والكتابة وخاصة السياسية — الفكرية عندنا · امر خطير ·· اذ لا توجد أجهزة تعني

بهذا النوع من الفكر .. وزملاء الموضوع تتقاسمهم الصراعات السياسية . وجمعيات الادباء فشلت في العراق لانها تبحث عن اصحاب « الكراسي » والمناصب والالقاب . اما نحن الشباب فليس يحمينا الا **نضالنا وفكرنا** ، والمجال الذي اعمل فيه شخصيا في الوقت الحاضر لا يسمح لي بممارسة الكتابة . اذ انني كنت اعمل في الصحافة وخرجت لاسباب لا تذكر .. ومجال الصحافة مجال فوتوغرافي اذا صح التعبير يتعب المفكرين من امثالي . مجال منافق ودجال وكاذب . **تسحق** فيه الاصالة سحقا. أليس هذا ما يطلبه الآبقون ؟! .. اما الموقف من الاجيال الفنية السابقة لجيلي . وعلاقتي بهم . ففي مجال الفكر السياسي لا توجد مدارس فكرية عندنا . وانما هناك اجتهادات . مثلا تعجبني كتابات ابراهيم كبه . وحسن سليمان. وعلي الوردي، ومكرم الطالباني . ووميض عمر نظمي . وجميل المناف الذي هو انا « هل هذا عجيب » من كتاب العراق . اما من البلاد العربية فأهتم بكتابات الياس مرقص . وبسام طيبي . ولطفي الخولي . وغالي شكري . واديب اللجمي . وعبد الله الريماوي ، وغيرهم كثير لا احصي اسماءهم !!

السؤال الثالث :

أنا اعتبر الفكر مسئولية خطيرة ومتعبة ، وقد عانيت الامرين من جراء ذلك ، فشردت و.. الخ . ومن المؤسف ان الفكر عندنا لازال تابعا للسياسة، وليس العكس،فأصبح دجلا وتزويقا لفظيا . . في موقف المفكر الحرون . ابداعي الفكري ــ الفني يتسق مع آخر تطورات اصول البحث ــ المؤثرات التي تشارك في كتاباتي هي المؤثرات السياسية والفكرية ــ النظرية والعملية ــ ودائما اقف موقفا ناقدا ومحللا من هذه المؤثرات .. وبالنسبة لقضية **التغيير الاجتماعي** والسياسي في بلادي ــ فهي شغلي الشاغل وقد ذهب نصف عمري واحرقت اعصابي ، وتعبت قواي من **اجلها** .. ورغم التغييرات التي **طرأت** على بلادنا منذ عام ١٩٥٠ وحتى الان ، لازلت اراها قشرا يحتوي **اللب** القديم . البورجوازية ــ والاقطاع ــ حلت محلهما ــ **البورجوازية الصغيرة** ــ وهذه الاخيرة **فشلت** **في كل شيء . ثوريتها لفظية ، وشعارية . واغلب منظماتها متناقضة في الاوطروحة والعمل** .. الحل هو البحث عن **نموذج جديد**، ولكن دون القفز فوق الجزئيات، حتى تكمل البورجوازية الصغيرة دورها وتستنفد قواها ! . اما قضية العدوان الاسرائيلي ، فيكفي القول انني نشرت اكثر من ثلاثين مقالا عنها قبل وبعد الخامس من حزيران ــ يونيو١٩٦٧، بقيت لدينا قضايا العالم المعاصر « **الشباب** » يهدم العالم القديم « **الصين** » الهام جديد « **جيفارا** » اسطورة خارقة **الولايات المتحدة** : لعنة وقوة جامحة تحتاج الى « كابح » السوفيت « أبيقوريون » « **العرب** » : مأساة وأزمة « اسرائيل » حصان طروادة » ديغول: امبريالية «اقل سماجة» القوى الثورية العربية « البحث عن السلطة » الجنس : ميتافيزيقا الاعضاء «كاسترو» « صلب كالحديد » « **الفدائيون** » امثولة نادرة . بوتقة لصهر الزيف « حرب العصابات » « صرخة في احلام البورجوازيين » » والعالم يدور .. يدور .. ويضطرب.. ورغم التقدم لازال الانسان بسعر التراب .

[٩]

العراق

الاسم : شجاع مسلم العاني
السن : ٢٨ سنة .
المهنة التي يعمل بها : وزارة التربية ــ مدرس بالتعليم الثانوي [العراق] .
دخله الشهري : ٥٠ دينارا
انتاجه الفني :
١ ــ **المنشور** : بضع قصص قصيرة ومجموعة من المقالات في النقد الادبي نشرت في المجلات والصحف العراقية ، وبصورة خاصة في مجلة الكلمة ، والف باء ، والملحق الادبي لجريدة الجمهورية ، وجريدة الثورة .
ب ــ **غير المنشور** : دراسة عن نشأة وتطور الرواية في العراق .

السؤال الاول :

بدأت علاقتي بالقصة كقارىء اتلقف كل ما أجده تحت يدي من القصص والروايات العربية والاجنبية منذ كنت طالبا في سني الاولى من الدراسة المتوسطة ، وكما أعرف الان فقد كان الدافع الى هذا الانغماس في القراءة احساسي بالتفوق على أقراني من الطلبة على الرغم من أنني لم أكن في الصف الاول من الطلبة الاذكياء جدا ، وبخاصة في بعض

دروس الرياضيات ، وكان الغرض من هذه القراءة كما يبدو لى الان ، هو اقامة نوع من التوازن بينى وبين المجتمع الذى أحيا فيه ، ثم لم تلبث قراءاتى أن خضعت الى الانتقاء ، وأصبح الغرض الاول منها المعرفة ـ دون أن يخفت العامل الاول ـ عندما وجدت نفسى طالبا فى كلية الاداب فى بغداد ـ وفى عام ١٩٦٣ حين كنت فى الصف المنتهى من الكلية وجدت نفسى أدفع بعض ما أكتبه الى الصحف العراقية ، وكان أن نشرت لى صحيفة الثورة مقالة بعنوان « مشكلة الوعى فى اللص والكلاب » وما أن بدأت فى اعداد رسالتى للماجستير وهى بعنوان « المرأة فى القصص العراقى » حتى وجدتنى أعرض تقريبا عن كتابة القصة القصيرة ، وأتخصص فى نقد القصة والرواية .

السؤال الثانى :

ان العلاقة بينى وبين زملائى من الفنانين هى علاقة عادية ، وليس فيها ما يثير أو يلفت النظر ، ويرجع ذلك فى اعتقادى الى عاملين ، أولهما أننى أقيم فى منطقة بعيدة عن بغداد مما جعلنى فى عزلة شبه تامة عن الوسط الفنى ، اذ يقتصر وجودى فى هذا الوسط على فترة العطلة الصيفية لكونى مدرسا ، وثانيهما تربيتى الريفية التى تحول دون اقامة علاقات حميمة من الفنانين من الشبان ، اذ أجد نفسى غير قادر على ذلك ، بسبب اهتزاز القيم الفكرية والفنية والاخلاقية فى هذا الوسط ، اهتزازا مخيفا ، أعتقد أن من بين أسبابه الحاسمة ـ تعرض العراق الى الهزات السياسية المريرة بعد ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة .

اما علاقتى باجهزة ومؤسسات النشر فهى علاقة متينة ، وانا ارجح أن ذلك يعود الى ممارستى كتابة النقد واذا ما أدركنا أن عدد الذين يمارسون هذا النوع الادبى قليلون جدا ، وأن حركة النقد الادبى فى العراق ، حركة مازالت متخلفة ، لا يمكن أن ترتفع بأى حال الى مستوى القصة أو الشعر أدركنا بعضا من سر هذه العلاقة ، بكلمة واحدة أن هذه المؤسسات بحاجة الى جهدى الادبى .

وعلى العكس من ذلك فان علاقتى مع الوسط الذى أعمل فيه ، علاقة واهية الى ابعد الحدود ، اذ وجدت نفسى منذ مارست التدريس بين مجموعة من الناس الاغبياء ، وعديمى المواهب والثقافة ، والشريرين أحيانا ، ينحصر جل اهتمامهم فى مشاكل يومية تافهة ، وقد جر على هذا الوضع الذى أنا فيه الكثير من المتاعب ـ كما سبب لى عداء ونقمة الكثير من زملائى المدرسين ، وقد حاولت منذ وقت قريب أن اتخلص من هذا الوضع ، بأن أنقل خدماتى الى وزارة الارشاد ، ووجدت فى مجلة « القصة » مجالا خصبا لانماء امكاناتى وموضعا يمكن أن أقدم فيه وأعطى أكثر مما أقدم وأعطى فى التدريس ، الا أن رغبتى هذه للاسف الشديد قوبلت بفتور شديد ، أعتقد أنه راجع الى أسباب سياسية وشخصية .

وعلى العكس من معظم زملائى الفنانين والكتاب الشباب تتميز علاقاتى مع الجيل الفنى السابق بالود ، وهذا يرجع فى ظنى الى أننى أمارس كتابة النقد أكثر مما أمارس كتابة القصة ، والى ادراكى لمهمة النقد الاساسية ، مما ابعدنى عن حقد هذا الجيل أو استخفافه ، وأود أن أذكر هنا أنى وجدت من عدد من أبناء هذا الجيل اطراء وتشجيعا ، ولم يقتصر الامر على ذلك مع البعض منهم ، فقد حاول أحد أصدقائى منهم حثى باستمرار على الكتابة والنشر وتذليل صعوبات النشر أمامى .

السؤال الثالث :

ان المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تشارك فى ابداعى الفنى ، والتى تحدد منهجى الفكرى والفنى ومواقفى السياسة والاجتماعية تتحدد فى اطار الفكر الاشتراكى العلمى . ومن هنا يمكن القول أنى بدافع من هذه المؤثرات ، بالاضافة الى دوافعى الذاتية ، كأى مثقف برجوازى صغير ، قد لا يعانى من الفروق الطبقية بقدر ما يعانى من نمط الحياة البرجوازية البليدة ، أقف بلا شك الى جانب التغير الاجتماعى الشامل والمستمر أبدا ، فى بلدى العراق وفى وطنى العربى .

وفى مجال العدوان الاسرائيلى أؤمن باستراتيجية الكفاح المسلح، لازالة الكيان الصهيونى الفاشى العنصرى ، واقامة دولة فلسطينية ديموقراطية يتعايش بسلام فى ظلها اليهود والمسلمون والمسيحيون دون أى فوارق فى الجنس أو الطبقة او الدين ، كما أؤمن بضرورة مبادرة الجماهير فى العمل المسلح ، وضرورة تخلى البرجوازية الصغيرة ، التى كانت وراء النكسة وأحد عواملها الهامة ، تخلى هذه الطبقة عن قيادة هذا الكفاح وضرورة مجىء قيادات من قوى وطبقات جديدة ، على أن تبقى البورجوازية الصغيرة حليفا اكيدا ضد الاستعمار والصهيونية، كما أؤمن بضرورة وجود استراتيجية عربية الغرض منها أن تكون الثورة فى فلسطين هى الشرارة التى تمد لهيب الحياة الى الوطن

العربى كله ، أريد من هذه الثورة أن تنسف الاوضاع العربية الراهنة ، الاوضاع التى قادتنا الى النكسة ، لتخلق المجتمع العربى الجديد ، والاهم من ذلك وهو الانسان العربى الجديد •

أما موقفى من العالم المعاصر فهو الى جانب الثورة العالمية ضد الامبريالية والتخلف ، والى أشد مواقع هذه الثورة ثورية النقد وصدامية مع الاستعمار وقيادته المتمثلة فى الولايات المتحدة ، والى ما فيه خير الانسان وحريته وكرامته فى كل بقعة من كوكبنا الارضى •

السودان

[١]

الاسم : عبد المنعم محمد على بخيت
السن : ٣٠ سنة .
الجهة التى يعمل بها : قسم البحوث والتشريع — ديوان الموظفين (السودان)
دخله الشهرى : ٦٠ جنيها .
انتاجه الفنى :
أ — المنشور : مقالات حول النقد الادبى بمجلة الحياة
ب — غير المنشور : رواية طويلة « الحياة تبدأ » .

السؤال الاول :

قبل عشر سنوات

السؤال الثانى :

● علاقة طبيعية وبعيدة عن الكسب المادى •
● علاقة نضالية من أجل خدمة التقدم .
● علاقة الطالب بأستاذه .

السؤال الثالث :

اننى أستلهم فى انتاجى آمال وآلام الشعب ، وانفتح بانطلاق على تراث الانسانية ، وأومن بالاشتراكية كطريق للتغيير الاجتماعى . وأومن بحق العرب فى العودة والعيش فى سلام • كما أومن بوحدة الحركة العالمية الاشتراكية .

السودان

[٢]

الاسم : عبدالله علىابراهيم
السن : ٢٧ سنة .
الجهة التى يعمل بها : مساعد أبحاث بجامعة الخرطوم [السودان] .
دخله الشهرى : ٦٠ جنيها .
انتاجه الفنى :
أ — المنشور : ١ — الصراع بين المهدى والعلماء . ٢ — من أدب الرباطات الشعبية .
ب — غير المنشور : يا أحزان السودان اتحدى [مقالات] . ٢ — الاصابع [مجموعة قصص] .

السؤال الاول :

ممارسة الكتابة بصورة قابلة للنشر منذ اعوام ٥٦ — ٥٧ . أما عن العلاقةبينى وبين الفن الذى أمارسه ، فأمر يصعب تحديده .

السؤال الثانى :

الذين سبقونى موضوع خبرة لى سلبا وايجابا ، والسلب الاغلب • زملائى روافد تصلنى من مناهلومنابع لا أصل اليها ، أعرف النوعية الطبقية لمارسى الفن والادب ، الجموح والذاتية وكسياسى ملتزم ، فأنا مصاب ومنهجى أننا نؤسس اللغة والعاطفة والروح الجديدة ، فلا مفر منالمواجهة الصريحة وتثبيت قيم فى النقد فوق المجاملة والبلاطية وعبارة « ياسلام » المائعة الكريهة الذين يشاركوننى أو اشاركهم الحلم الاشتراكى فى العين حيننثبت معا قدرتنا على صياغة فنية راقية لهذا الحلم •

يعقد من اجهزة الدولة على نحو ماكان فى بلادنا قبل ثورة مايو • كنت احس بأنهم يطـلبون منى ربطة عنق أنيقة دون صوت الاسى والتطلع الحبيس فى الصدر . وكنت أشعر بانهم ينصبون رقيبا سريا على فمى باغراء النوال المادى وذيوع الصيت . وكنت أتعامل معها برغم ذلك عن (1) المبدأ : أجهزة الاعلام لاتسمح بالفراغ وكلمة من ضمير خير مصادرة الايقاع أوقع برغم كل شىء ، وعن ضعف فى أموال قليلة • بعد مايو أصبت بادمان لاجهزة الاعلام الرسمية ، لان الثورة قد اضحت رسمية • وماتزال تلك الاجهزة بحاجة لتستوعب الاعلام الثورى الذى نشأ قبل الثورة وبشر بها فرحا وصهيلا ومصادمة .

السؤال الثالث :

أعمل مساعد ابحاث فى الفن الشعبى، وهو مجال وثيق الصلة جدا بالكتابة ، أو هو كتابة بالاوى ، وردت الاجابة مبتسرة عن هذا السؤال فيما سبق وتقسيم الكتاب والفنانين الى أجيال جائز ومقبول وينبغى تقسيمهم بصورة أصبح الى مواقف تجاه الحياة والكون والطبيعة .... فبابيون ، ارتداديون ، برجوازيون ماركسيون الخ ، من هنا يصبح أمر تقويم الاجيال السابقة أكثر صحة وعافية

ولدت بين العمال وأصبحت ذات يوم وأنا ماركسيا، ومنذلك اليوم أضحت الاشياء عندى متشابكة ومترابطة ومتطورة وكيفية ونوعية الخ .. من خلال تلك الحكمة القديمة : انظر الى الاشياء اتمثلها ، وامنح رأيى مع الجماعة فلا تشقى بلاد •

[٣]

السودان

الاسم : كمال شانتير المحامى
السن : ٣٣ سنة
الجهة التى يعمل بها : الخرطوم (السودان)
دخله الشهرى : غير محدود بحكم المهنة
انتاجه الفنى :

أ ــ المنشور : مجموعات قصصية ومقالات فكرية ونقدية ــ وقصة طويلة نشرتها فى الصراحة الجديدة وغيرها من الصحف السودانية .
ب ــ غير المنشور: مجموعات قصصية عديدة •

السؤال الاول :

منذ أن تلمست قدراتى على التعبير تعرفت على الفن الذى أرضاه ــ وخضت لاجله الكثير من المعارك وعشت لاجله الكثير من العناء ، ولقد بدات الانتاج منذ بداية الاستقلال وكنت حدثا ذاك الوقت ..

من المؤسف ان العلاقات الفنية فى المجتمع السودانى لاتؤهل من ذاتها الى خلق أدنى مناخ، وذلك بسبب ارتباطات المثقف السودانى فى العديد من القضايا الامر الذى يلهيه كثيرا ولايمهد للمناخ الحقيقى للانتاج المهمل ، وعلاقاتى مع زملائى من الفنانين .. علاقات نضال متصل ، من انفسنا ولانفسنا ، ومن الوطن وللوطن وأجهزة التعبير والمؤسسات فى السودان مملوكة مطلقا للادباء والفنانين السودانيين، ومن يملك القدرة على التعبير على القدرة على المشاركة •

السؤال الثانى :

مجالى أصلا المحاماة .. ولا أجد تعارضا ما بين هواياتى وقدرى .. وما بين مهنتى ومصدر رزقى

● أنا أرفض رفضا غير قابل للمناقشة الاجيال السابقة .. لانها بالاساس اجيال عرفت الفن من باب الترف والتسلية .. ولم تكن فى رأيى مسئولة عن الفكر الا تجاوزا •

السؤال الثالث :

ان المؤثرات الاجتماعية فى السودان ، كانت الاعتداء المباشر على العقل السودانى والمحاولات المصرة على سيطرة الاحزاب السياسية البائدة على سلوك الاديب والفنان السودانى • لذلك أصبحت معركة لابد من التوغل فيها ، ومن هنا تبدأ المشكلة فيصبح النضال ضدها أو لاجلها من الواجبات الاساسية • وبالتالى ، وفى صيرورة الاديب والفنان تبدو للمؤثرات الاجتماعية دلالات واضحة ونيرة ، الامر

الذى يجعل من المؤثر جعلنى اتجه الى الفكر الرافض ولاول مرة - أجد نفسى فى توافق الاجتماعى - المعول الذى تشرح فى مفهوم قضايا العالم تام مع مجتمعى ، الامر الذى به الحائط الاجتماعى الى قضايا المعاصرة . اما الموقف تجاه يقصر مسافات شاسعة الى العالم المعاصر ، الامر الذى العدوان الاسرائيلى .. فاننى - التوغل فى وجدان الناس

[٤]

السودان

الاسم : خديجة صفوت

السن : ٣٠ سنة

الجهه التى يعمل بها : امينة مكتبة - بمجلس بلدى الخرطوم - وزارة الحكومات المحلية (السودان)

اعمال اجتماعية مختلفة :

- عضو تنفيذى فى :

أ - هيئة السلام السودانية

ب - جمعية الصداقة السودانية السوفيتية

بالاضافة الى :

الامين العام لاتحاد الكتاب والفنانين السودانيين [تأسس فى اكتوبر ١٩٦٤ ابان الثورة ، وكان عضوا مؤسسا لجبهة الهيئات الوطنية] .

عضو اللجنة القومية للتعاون

الدخل الشهرى : ٦٠ جنيها

الانتاج الفنى :

المنشور : ١ - افراح آسيا [صدر عام ٥٨]

٢ - انطباعات وحقائق حول زيارة للصين الشعبية

٣ - رسالة الى بولين لومومبا حول الاستعمار الحديث

غير المنشور : ١ - الميثولوجيا الافريقية [أساطير مقارنة]

٢ - الاحزاب الطليعية فى البلاد النامية (دراسة تاريخية)

٣ - مدارس الفكر الافريقى [حول الغزو الافريقى الاوربى ، مع نماذج من اعمال المدارس المختلفة كالزنجية الخ] .

٤ - ترجمات أ - التعاون والاستعمار الحديث (حول التطبيق الاشتراكى .

ب - الاستعمار الحديث ضد السلم .

جـ - ما حدث للصغيرة جين (رواية)

د - فخ الشيطان (من أدب امريكا اللاتينية

هـ - اشعار افريقية [مترجم عن شعراء آفريقيا البرتغالية)

اعمال درامية :

١ - مسرحية [الحزانى] من ثلاثة فصول .

٢ - الان أو عزة [مسرحية ذهنية]

٣ - اليكترا أو يوميات كئيبة رواية

٤ - الذى ليس كمثله شىء مجموعة قصص قصيرة

٥ - الطريق العام - مسرحية دراسات مختلفة لروايات من أدب جنوب أفريقيا .

السؤال الاول :

منذ عام ١٩٥٥ كمحرر فى مجلة صوت المرأة تم فى أعمال منشورة مستقلة بذاتها منذ ١٩٥٨ .

السؤال الثانى :

اعتقد فيما يختص بالتسهيلات حتى درجة الانقطاع حيث أن التعامل مع الصحف وأدوات النشر الموجودة غير ممكن ، بل مستحيل بسبب انتماءات تلك الادوات اما الرسمية (فى الماضى) أو التابعة للاحزاب سواء بصورة سافرة أو مستترة .

بالنسبة للزملاء كنا نوجد اشكالا للعمل والتنظيم تعانى دائما من قلة الامكانيات .. لدينا اتحاد الكتاب والفنانين السودانيين (المذكور أعلاه) وقد خضع نشاطه أيضا كغيره من المنظمات الشعبية لموجات المد والانحسار حسب الخارطة السياسية لدى الاتحاد مشروع مقدم ومقر مبدئيا من قبل السلطة الثورية فى اكتوبر بعاد بعثه الان من جديد من قبل السلطة الحالية (كان قد نجمد بالطبع فيما بين التاريخين) .

● لا يسمح الانتشار والتشعب فى مجالات وانشطة العمل الاجتماعى (السياسى) بالزمن الكافى للتوفر على العمل الابداعى · حيث أن الكادر القادر على الحركة يعتبر قليلا نسبيا (خاصة بين النساء) فان جملة الالتزامات اليومية تكاد تأكل الزمن كله على أنها أى هذه الالتزامات هى بالطبع أيضا مادة للكتابة يمكن أن تكون عامل اغناء لتجربة كاتب يلتزم جانب القضية الوطنية وجانب احتياجات الناس الذين هو منهم أصلا . فقط يبقى عنصر تنظيم هذين العاملين ليخدم أحدهما الآخر لا أن يعوقه أو يخنقه ! المهنة التى أرتزق منها لا توحى ولا صلة لها من قريب أو بعيد باهتماماتى الاساسية · ولكنه وضع شائق ونشترك فيه جميعا · وان كان ذلك التبرير لايعزى كثيرا فالامر يدمر الروح أحيانا كثيرة ·

● موقف تقييم – ما أمكن – من زاوية الالتزام الخاصة – وباعتبار عميق لكافة عناصر الصورة والملامح المتغيرة وبدون تهوس أيضا ·

السؤال الثالث :

تهمني بصورة خاصة حالة الانسان السودانى فى مناطقه البعيدة عنا بالمسافة وباعتبارات البعد الاخرى · يهمنى الجنوب وتهمنى المرأة السودانية . فقط عشت فى جنوب السودان مدة طويلة وأعرف الانكسار فى اطار من الجمال والرخاء المبدد وأعرف الغربة المتبادلة وكل مسرحياتى كتبت فى اطار زمنى ومكانى جنوبيين، وأعرف المرأة السودانية لعملى الطويل معها · أعرف كيف يمكن أن تجيد العطاء كل العطاء ولا تطالب لانها لا تدرك أنه بامكانها ومن حقها أن تطالب · أعمل فى ضواحى مدينة الخرطوم بين فئات هى عبارة عن قرى ابتعدت عن مشارف المدينة، وبشارع أسفلت واحد يمكن أن يقسم الناس الى عالمين توجد دنيا متقابلة كالابيض والاسود يتبادلان الحديث فى صمت ·

المعاصرة اليومية · المعاصرة المطلقة شىء متعذر علينا كثيرا وحتى لا يصاب المرء بالكسل العقلى وحتى يسهم بصورة تدل عليه يحاول الانسان بمجهود يكاد يختنق بالحساسيات والمحاذير والموانع ليغالب ظرفا ساحقا أحيانا · (خاصة بالنسبة لامرأة فى مجتمع معين) فنحن ابناء العالم الثالث نواجه بمصادرة منابع وروافد المعرفة أمامنا لاسباب تاريخية ومكانية وغيرها . · وفى محض ذلك المحتوى الحقيقى للالتزام والمسئولية التقدمية ، ما ينقصنا هو معرفة حتى بلادنا التى نحبها بصورة ذهنية أو عاطفية وليس لاننا نعرفها قيمة « مناطق معقولة » حتى فى البلد الواحد · واحتمالات التشويش والتلقين المقصودة والتذويب لما تفارقنا بعد · ولربما يخطىء الواحد منا لجهله مع أحسن النوايا ·

ثمة دور علينا أن نؤديه اسهاما فى التراث الانسانى العالمى · وهذا لا يتأتى الا بالاصالة ، وبأن يكون الانسان نفسه بأمانة وبثورية وبالعلم بالاحرى ·· ذلك ما نحاول بمختلف أشكال النضال والتعبير أن نلون به ونؤكده ، مع فلسطين ومع مستعمرات البرتغال ومع اليونان، ومع جنوب أفريقيا ومع أبناء شعبنا الذين نحبهم ونخاطبهم من خلف المكاتب فى الخرطوم ·

اليمن الجنوبية الشعبية

[١]

الاسم : فريد بركات

السن : ٢٤ سنة

الجهة التى يعمل بها : متخرج من جامعة القاهرة ٦٨ – ٦٩ – كلية الاداب قسم الدراسات الاجتماعية · (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية)

انتاجه الفنى : الشعر والمقالات الادبية والسياسية ·

أ – المنشور : عدة قصائد ومقالات فى مجلة « الوسيلة » والصحف المحلية فى اليمن الجنوبية ·

ب – غير المنشور : ديوان شعر بعنوان « رقصة الامواه » ·

السؤال الاول :

علاقتى بالشعر وبالادب عموما ترجع الى أيام الدراسة الاولى المبكرة ·· الى أيام الدراسة الابتدائية والاعدادية ، حين كنت أهتم اهتماما خاصا بالمواد الادبية والشعر منها بالذات · وقد حاولت فى تلك الفترة نظم بعض الابيات الساذجة مقلدا ومتأثرا بما أقرأ ، وبدهى أن تجىء تلك المحاولات ركيكة – بل سيئة – من حيث الشكل والمحتوى على السواء · وعندما التحقت بالمدرسة الثانوية « بخور مكسر »

بدأت تلك المحاولات تدخل طور النضوج الساذج اذا صح التعبير . بدأت أهتم بموسيقى الشعر الداخلية والخارجية وكان الايقاع الصاخب يطربني كثيرا ، وكنت أزداد تشبثا وشغفا بمحاكاة الشعراء ــ شعراء المهجر بشكل خاص . وتأثرت بالمتنبي أيما تأثر ، فقد صادف شعر ذلك الشاعر العظيم هوى في نفسي ارتبط أشد الارتباط بالظروف السياسية والاجتماعية في بلدي آنذاك .. ظروف القهر والاذلال التي فرضها الاستعمار البريطاني فرضا . ولعلي لم أكتشف مدلول ذلك الارتباط بين شعر المتنبي وشغفي به والعلاقات الاجتماعية السيئة المتخلفة في الجنوب اليمني الا حديثا . لقد حدث ذلك بصورة لاشعورية .. فالمتنبي شاعر فخور معتز بنفسه يمتدح سيف الدولة ويعدد البطولات التي أحرزها على جيوش الروم ، وبلدي ترزح تحت نير الاستعباد والاستغلال والتسلط .. الاستعمار وشركاته الاحتكارية ، والمؤسسات الرجعية المرتبطة عضويا بالاستعمار والتخلف الشديد كنتيجة لهذا التحالف من جهة ، والكفاح المرير والنضال الدائب من قبل المؤسسات الشعبية الكادحة المتطلعة الى تغيير جذري على النطاق السياسي والاقتصادي والاجتماعي . ولعلي أيضا أدركت ــ فيما بعد ــ حقيقة أخرى كنت أجهلها في لحظات الاندفاع العاطفي ، حقيقة المصالح الذاتية التي كان المتنبي يسعى الى تحقيقها .

وأقرر هنا أنني كنت معجبا بكثير من الشعراء اليمنيين ــ والجنوبيين منهم بالذات ــ وخاصة الشعراء **محمد عبده غانم ولطفي أمان ومحمد سعيد جرادة وعلي لقمان** . لكن ذلك الاعجاب كان له مدلولا اقليميا ، اذ كان يسعدني أن يكونوا شعراء يمنيين ولا يهمني شيء عدا ذلك . لكن مرحلة الانتقال الحقيقية والتحول الجذري في محاولاتي انما يعود الى اللحظة التي وطأت فيها قدماي لاول مرة أراضي المتحدة . فمنذ ذلك الحين تفتحت آفاق واسعة أمامي واتصلت اتصالا مباشرا وغير مباشر بفكر وثقافات معاصرة وقديمة ما كان ليتسنى لي الاتصال بها لو أنني بقيت في عدن نتيجة للحصار الفكري الذي فرضه الاستعمار على كل فكر تقدمي ثوري . وفي مصر كان اعجابي شديدا بكثير من الشعراء المحدثين وخاصة **صلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي** .. ومنها ــ أي مصر ــ اتصلت اتصالا مباشرا بشعر **السياب والبياتي ونازك الملائكة وادونيس** . كل هذا ، ومواقفهم الفكرية والسياسية لا تعنيني من قريب أو بعيد باستثناء البياتي وعبد الصبور في الناس في بلادي . أما شعراء المقاومة الفرنسيين ــ مثل **لويس أراجون وبول ايلوار** ــ فان لهم مكانة خاصة في نفسي وأثرا عميقا . وأقرر نفس الشيء عن شعراء الارض المحتلة الابطال .

السؤال الثاني :

الطبقة التي تمتلك وسائل الانتاج المادي تسيطر على وسائل الانتاج الفكري . ومن خلال هذا المنظور العلمي نستطيع أن ندرك حقيقة الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في الجنوب اليمني في عهد السلطات الاستعمارية، وفي عهد الطبقة شبه الاقطاعية المتحالفة معها . وهكذا نجد أن ما ينشر ويذاع يعكس بجلاء الظروف المادية والعلاقات الاجتماعية السيئة آنذاك . وقد كانت كل محاولة ابداعية تقدمية ناضجة تمس النظام القائم يكون مصيرها التنكيل والتحقير والاهمال . وفي ظل هذه الاوضاع نستطيع أن ندرك أن مهمة الشباب الثوري مهمة صعبة شاقة محفوفة بالمخاطر والاشواك . لكن كل ذلك لم يحل دون التكاتف والتساند والرفض والتحدي ، فواصل المثقفون الثوريون والطليعة الواعية وكل الفئات والقطاعات الجماهيرية الكادحة نضالهم البطولي رغم أنف الاستعمار ومؤسساته العميلة .

● أما من حيث العلاقة بيني وبين المجال الفني الذي أعمل فيه فقد كانت الفترة المنصرمة فترة دراسة وتحصيل، واستتبع ذلك بالضرورة أن تكون الجامعة محور نشاطي الادبي . لكنني كنت أبعث بين الحين والحين ببعض القصائد والمقالات الى الصحف المحلية في منطقة حضرموت ومنطقة عدن ، **كالطليعة** » مثلا ــ قبل الاستقلال ــ و « **الشرارة** » بعد الاستقلال ، ومجلة « الوسيلة » اليمنية الصادرة في القاهرة . وكانت علاقتي بالمجال الادبي في الجامعة علاقة وثيقة تجلت في المشاركة في الندوات الادبية ومهرجانات الشعر التي تقام في مختلف الكليات .

● أما من حيث موقفي من الاجيال الفنية السابقة على جيلي فانني أمهد له بقول **لارنست فيشر** « الشيء الجوهري الذي **أضافه ماركس ، انه رأى في الفن الذي أنتجه مجتمع من المجتمعات في مرحلة متخلفة من مراحل تطوره لحظة من لحظات الانسانية ، وأدرك انه في هذا يكمن سر قدرته على التأثير في فترات أبعد من اللحظة التاريخية التي نشأ فيها ، وبذلك كان له سحره الدائم** .. » (عن كتابه ضرورة الفن)

بدهي أن تكون العلاقة بين الفنان والاجيال الفنية السابقة عليه علاقة عضوية وهو منها يستمد الكثير لان تاريخ الانسانية تفاعل وتواصل واتصال مستمر وحركة دائبة . لكن هذه الحقيقة تجعلنا نتساءل أي فن نقصد ؟

وأية أجيال فنية نقصد ؟ ليس بالطبع الفن الرجعي .. وليس بالطبع الفنانين الرجعيين المسخرين ، فنهم في سبيل تثبيت سيطرة الطبقة الرجعية . فالفنان الثوري لا يكون تأثره ولا تكون علاقته وثيقة الا بالفن الذي يمثل الانسانية ويتلاءم مع الافكار السائدة في مرحلة تاريخية معينة . على أن تكون تلك الافكار تلقائية صادقة تعبر عن آمال الشعب وطموحاته .

والشعب اليمني على مر العصور كان يقف من كل ألوان القهر والاستغلال موقفا صامدا صلدا . وقد تصاعدت تلك المواقف، حتى بلغت ذروتها عند اعلان الكفاح المسلح في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ . وكان للجبهة القومية دورا نضاليا بطوليا رائدا . وكذلك القوى التقدمية الثورية الديمقراطية التي مثلتها جريدة « **الامل** » تمثيلا بطوليا رائعا في أحلك اللحظات .

السؤال الثالث :

في ظل ملاقات الانتاج السيئة كثيرا ما يحدث تمرد الفنان على النظام القائم . وقد يتخذ شكل التمرد الفني طابعا « رومانسيا » أو « واقعيا » . وهما شكلان متصلان أساسا ، «فالرومانسية» مرحلة مبكرة من مراحل «الواقعية الانتقادية» كما يقول ارنست فيشر .. لكن لهذه وتلك سمة التغير في الاسلوب فقط لا الموقف . ويتخذ التمرد هنا شكل الاحتجاج الرومانسي دونما مشاركة حقيقية في الصراع الدائر . وذلك أساسه الغربة التي يفرضها النظام الرأسمالي على الانسان . ولعل الثورة العارمة التي اجتاحت الجنوب اليمني وقبله الشمال قد هزتني بشدة فوجدت نفسي - مع مجموعة من الزملاء - في مجتمع يغلي . تحاول الطبقات المستغلة فرض سيطرتها من جهة وتناضل المؤسسات الجماهيرية الشعبية نضالا مريرا في سبيل كرامتها وغدها الافضل من جهة أخرى . وحينما ماجت الارض تحت أقدام الرجعيين العملاء والاستعمار أيام النضال الوطني وبعد الاستقلال وجدت نفسي أكتب قصيدة « الغيث » التي حاولت فيها تصوير حالتهم البائسة في انتظار الغيث الذي لن يجيء .

قابلت وحش البحر - في سيري -

وجماعو المحار
يشكون حر القيظ والموتا
يبكون أيام الهنا

فالشمس قد باست شفاه البحر ، والتصقا
عل السماء ،
في ليلة القدر ، تقيء الماء

وبهذا أقرر أن المؤثرات الاجتماعية الموضوعية قد ساهمت بعمق في تكوين النظرة العلمية لدي . ودفعتني الى الالتزام بقضايا الجماهير الكادحة الثائرة .. وكان السبيل الى ذلك استيعاب الفكر الاشتراكي العلمي واتخاذه دليلا ومنهجا في التحليل والمعالجة . والفنان الاشتراكي يتبنى وجهة النظر التاريخية للطبقات العاملة فالعمل الابداعي الذي يدخل فيه عنصر الوعي والتقدير هو النتيجة لتفاعل الوجدان الخاص للفنان بالوجدان العام لمجتمعه وحضارته .

وقد سقط كثير من الشهداء في ساحة الفداء وكان سقوطهم لبنات راسخة في جسم الثورة تشيد دعائم مجتمع الغد وتمده بالوقود حتى يقف ثابت القدمين لا تزحزحه الرياح . وقد كانت قصيدة « **الوصية** » رفضا وتحديا وشجبا للاعمال والاغتيالات الوحشية :

عانقته
روحا ورمزا
بعد ان عانقته جسدا
شاهدته في لحظة النزع الاخير
يغلظ القولا
يلقي وصيته
« **لابد للانسان أن يختار ..**
لابد للاوطان أن تحيا على درب النهار »

●

عانقته ..
واريته ..
روحا وجسما في دمي

●

« **سبعون يوما . .** »
يا نغمة تشدو بها الاجيال
عاشت في فمي
في عمق أعماقي تدوى .. وطني
كالطود لن تعبث بها ايدى الطغاة
روحي فداه
روحي فداه

●

عانقته
عاهدته
أقسمت أن أهديه في ذكراه
أشلاءهم .. أعناقهم
أكليل ورد دائم على ثراه

وفي المقطع الاخير دعوة الى العودة الى يوم الثورة بكل عنفها وعنفوانها :

يا ليلة عاشت ترانيم الصباح
يا وردة .. ريانة .. ما عانقت قفر الخواء
عودى كاعصار يناغينا على الاجواء
قولي لافلال الجناه
ان البقاء دأبنا
ما مات عشاق الحياه »

النضال العربي ليس بنضال قومي فقط ولكنه أيضا نضال دولي، وهو تآزر وتساند واندماج مع جميع حركات التحرر العالمية . وفي الحقيقة فان النضال العربي ضد الصهيونية انما هو جانب من جوانب النضال والكفاح المرير ضد الامبريالية والكولونيالية الجديدة . وعلى هذا الاساس فهو نضال ذو أوجه

عديدة، فكرية واقتصادية وسياسية وعسكرية ·

وليست نكسة حزيران بنهاية قاتلة للعرب وللامة العربية الكبيرة ولكنها نكسة وقتية رغم فداحتها · وهي تتحول - اذا نظرنا اليها نظرة تحليلية علمية - الى نقيضها ·· تتحول الى تمرس وخبرة في النضال المرير المستمر والطويل ضد الاستعمار والصهيونية ·

والدول التقدمية العربية مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بالالتحام والتماسك من أجل تعبئة قوى الشعب واطلاق المبادرة الجماهيرية التي لن تحدث الا في ظل الديمقراطية السياسية · وبهذا نستطيع القضاء على الوجود الشاذ والاداة الاستعمارية في قلب الوطن العربي وخلق دولة ديمقراطية يتعايش فيها العرب والمسيحيون واليهود جنبا الى جنب · ويجدر بنا هنا الاشارة الى الدور الايجابي الفعال الذي تلعبه حركة المقاومة الفلسطينية وما له من ردود فعل واسعة النطاق محليا وعالميا ·

وفي قصيدة بعنوان « رقصة الامواه » تندمج هذه المفاهيم في محاولة للتأكد على سير حركة التاريخ دائما الى الامام · وقد فطن الفيلسوف اليوناني العظيم « هرقليطس » منذ الزمن القديم الى هذه الحقيقة فأضحت عبارته المشهورة « **أنت لا تنزل نفس الماء في نفس النهر الواحد مرتين ·· لان مياها تجرى دائما من حولك** » نبعا لا ينضب تغرف منه كل الاجيال اللاحقة ·

تهزني رياح هذا الغام
تقتل في مخيلتي الاحلام
تقول لي ، الطير قد هجر الاغصان ·
والطيبون في متاهة السبيل شققوا الاقدام

وبعد معالجة مستفيضة أصل الى هذه النتيجة :

« لا ينزل الانسان ماء النهر ·· مرتين »
المُوه يجري أبدا
ينخر في جوف السكون
يرقص كالافعى
يبدد الصمتا
يقول للنساك في محراب برج الحوت والجوزاء
المُوه يجري أبدا
يجري على طول المدى
فلتسمعوا خريره
ولتسمعوا هديره
يراقص الانسان ··(*)
والازمان ··
والاطيار
والغصون ·

[١]

سوريا

الاسم : علي كنعان
السن : ٣٣ سنة
الجهة التي يعمل بها : مراقبة النصوص في اذاعة سوريا ·
دخله الشهري : في حدود ٤٠٠ ل · س ·
انتاجه الفني :

ا - **المنشور :** قصائد متفرقة في المجلات العربية · ديوان « درب الواحة » وهو من مطبوعات وزارة الثقافة في دمشق ·

ب - **غير المنشور :** ديوان آخر ·· ومسرحية شعرية قدمتها فرقة المسرح القومي في موسمها ١٩٦٨ - ١٩٦٩ ·

السؤال الاول :

بدأت العلاقة بيني وبين الشعر في التاسعة من عمري - على ما اذكر - بعد ان ختمت القرآن وامرت بحفظ المقطوعات الشعرية لالقائها في السهرات امام الضيوف !

في عام ١٩٥٣ بدأت انظم القصائد مقلدا كبار الشعراء : **من زهير وابنه كعب ·· الى علي محمود طه :** مرورا **بكثير عزة والبحتري والشريف الرضي** وشعراء المهجر **والشابي** · ·

وقد كان علي محمود طه شاعري الاثير طوال الفترة الممتدة بين ١٩٥٥ - ١٩٥٨ ·

واعتبر ان باكورة الثمار الناضجة كانت في عام ١٩٥٩ ، وهو العام الذي بدأت انشر فيه أولى قصائدي في مجلة « الاداب » البيروتية (***)

السؤال الثاني :

في دمشق شعراء لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة ، تشدني اليهم « غيابيا » مودة صافية ، واقول « غيابيا » لان المصادفة

وجدها هي التي تجمعنا معا ، ذلك انى لست من المولعين بارتياد المقاهي ولا من فرسان الحانات المغبشة حيث يقضي بعض الزملاء سهراتهم العامرة .. مع الاخرين ..

مديرية النشر في وزارة الثقافه هي الجهة الوحيدة - ولا اقول المؤسسة - التي تربطني بالعاملين فيها والمشرفين عليها علاقة وطيدة من التقدير المتبادل .. ولكن امر الشعر والمسرح لا يقتصر على هؤلاء المثقفين الطيبين بل يتعداهم الى تلك العقلية الغبية المتوارثة والتي تسيطر على مقدرات الفن والادب وتنظر الى العطاء الادبي او الفني بعين تاجر عتيق من سوق الحميدية ، او بعيني موظف اسطوري في الخط الحديدي الحجازي (الذي ما يزال مشروع تصليحه مستمرا منذ الحرب العالمية الاخيرة .. حتى المستقبل البعيد) !

● اشتغلت في الصحافة مدة عامين لم اكتب خلالهما بيتا واحدا من الشعر ، ثم لم استطع الاستمرار بعد ذلك الصيف المحرق من عام ١٩٦٧ فتخليت عنها الى غير رجعة . شيء رهيب لا يطاق ان تسجن نفسك في عدد من المفردات لا يزيد عن ثلاثمائة كلمة : تفرط حروفها يوميا لتعيد تركيبها من جديد بصورة اخرى - على طريقة المطابع القديمة . عملي الان مريح نسبيا وتسوده علاقات طيبة اشبه بالصداقة .. ولكن اعتبار العمل بعدد ساعات الدوام وليس بالانتاج يبقى لعنة لا تحتمل .

● لكل جيل عطاؤه الذي لابد ان يأخذ مكانه المتدرج - ان هبوطا اوصعودا - على السلم الحضاري . ولا اعتقد ان ادبا بلا جذور يمكن ان يعيش ، ولذا فانا احاول ان افيد من تجارب الاجيال السابقة - سلبا او ايجابا - في اغناء تجربتي الخاصة وتطويرها باتجاه المستقبل .. ولا اسمح للماضي مهما ثقل ان يقعدني او يمنعني من السير في هذا الاتجاه .

اما الذين يكتبون «منظوماتهم» المتخشبة في شكل القصيدة الحديثة ، فلا املك ازاءهم غير الرثاء ، وكم اتمنى مشفقا لو توقفوا عند حدود جيلهم الذي انتهى .

السؤال الثالث :

تشغلني قضيتان اساسيتان : العدالة الاجتماعية .. والحرية ، ان شتى مظاهر الظلم الاجتماعي تثيرني حتى بجزئياتها الصغيرة وتملأني حقدا .. فلا اجد عزاء او املا في غير الكتابة او المطالعة . ومع ايماني بأن السير بحزم في ضوء الفكر التقدمي العلمي يستطيع ان يقضي على هذا الظلم ، الا ان الخطر يكمن في أن تتولى حمل المشاعل وتحريك الخيوط في هذه المسيرة طبقة من الموظفين والمستوظفين الذين يعرفون جيدا من اين تؤكل الكتف ، والذين تقضي مصالحهم ان يحافظوا على امراض الواقع ويزيدوها تعقيدا وخطرا لتبقى الحاجة اليهم قائمة باعتبارهم اداة خبيرة بحل المستعصيات ! وهكذا يعيشون ويتكاثرون كالعلق على اكتاف جماهير المنتجين ، وبخاصة الفلاحين .

ان نقمتي على هذه الطبقة ، وانا واحد منها ، تجعل كتابتي احيانا اشبه ما تكون بتقشير جرح متقيح ليبقى مفتوحا - رغم بشاعته - امام شمس الناس المطهرة .

ولكن يأسي من جدوى الكلمة الشعرية في هذا العصر الغارق في دوي الطبول وجعجعة الطواحين الخاوية حتى من القش .. يدفعني الى التخلي نهائيا عن الشعر والتوجه الى المسرح .. او الصمت ..

قضية الحرية ، الحرية المسئولية ، مرتبطة بالعدالة الاجتماعية .. وتعذبني مثلها : الخلاص من العدو الاسرائيلي ليس مستحيلا مهما بدا صعبا وقاسيا . ولكن السؤال الموجع : هل استفدنا من حريق حزيران كما ينبغي لا يعذبني كثيرا مجرد التفكير في ان اموت كحشرة ، ويعذبني اكثر ان اعيش متفرجا مع قطعان المتفرجين على جراح الوطن النازفة .. لاننا في عصر الاختصاص .

ان الكلب يحمي املاك سيده ويموت دونها .. ولكم صرت احسد الكلاب !

واخيرا ، هل خرجت عن الموضوع ؟ .. اذا ، معذرة .

[٢]

ســوريا

الاسم : عبد الله عويشق
السن : ٣٣ سنة
الجهة التي يعمل بها : مصرف سورية المركزي (سوريا)
دخله الشهري : ٤٠٠ ليرة سورية ٠

اتجاه الفني :
ــ المنشور : قصص ومقالات في فترات متباعدة ٠
ــ غير المنشور : قصص ومشاريع ٠

السؤال الاول :

لعل أحلام اليقظة ذاتها والميل للافصاح عن الحالات الصميمة التي تنتاب الانسان هما أول أنواع الكتابة يمارسها المرء دون أن ينتبه الى أنه يفعل ذلك ٠ وان كتابة ونشر هذا النوع من النتاج السابح في سعادة حالمة بدأ بالنسبة لي منذ كنت في الصفوف الثانوية ٠ وفي تلك الفترة أيضا نشرت أول قصة قصيرة في احدى الصفحات التي كانت تخصصها الصحف للطلبة ٠

السؤال الثاني :

تظل حال العلاقة بين الفنان والفنان منطبقة بدقة على الحال في كل علاقة بين انسان وانسان آخر ٠ علاقة جوار يمثل فيه كل من الطرفين معنى معينا ، تجد نفسك في صفه وتتضامن معه أو تجد نفسك في صف مناهض ، ولا امتياز خاص في ذلك للفنان على زميل موظف أو على ادارة تتصرف في مركز قوة ٠ واداري الفن والاداري العادي على الرغم من أن المجتمع قدم لهما كل شيء يستيقظ فيهما بمجرد أن تسنح الفرصة ، عرق عثماني دساس أتاح ظهوره أن نسبة القوى في مجتمعاتنا لم تتقرر نهائيا لمصلحة الطبقات الكادحة ، وهذا ما يجعل البر وقراطية احتياطيا غامضا وخطرا ذا حدين يلعب دوره الانتهازي كاملا ٠ وفي هذه الحال تبقى العلاقة مع الاجهزة سواء كانت قائمة على خدمة الفن أو كانت ادارة ذات اهتمام اقتصادي علاقة سلبية ٠ يقابل ذلك بالطبع علاقة خشنة مع كل من تجد نفسك برفقتهم في العمل عن طريق الفن أو سواه لوضع كل انسان ضمن دوره النافع سواء نجحت في ذلك أي نجح فيه من يأتي بعدك ٠ ومن هنا يتضح أن الموقف في التراث يخضع لنفس المقياس ٠ ولابد أن يشعر المرء باكبار ، وامتنان لاحد له ، لاولئك الذين سبقوه وسبقوا من سبقوه ، وساعدوه بأنفاسهم وكلماتهم وأغانيهم وحيواتهم وكتاباتهم في أن يعيش بنفسه ، يعيش بشعبه وبالانسانية ذاتها ٠

السؤال الثالث :

لعل الاجابة على هذا السؤال يمكن أن تتناول الصور الادبية التي أوثر التعبير بواسطتها ٠ فتى في السادسة عشرة تدهمه هموم تدخله في علاقات أكبر من عمره ، ديون لسداد أجرة البيت ، تلقى ارادة رب العمل ، الخ ٠٠٠ رجل عجوز بمفرده ، سار في الخمسين وتقاعد عن العمل ، لقد دخل أهم سنوات عمره وخرج منها دون أن يصل الى تفاهم مع الحياة ٠ السنوات الحزينة للنساء الهرمات الناس الاشقياء كل حياتهم ومع ذلك تنبثق هنا وهناك فجاة سعادتهم بالحياة ذاتها ، ثم يخطئون في تفسير ذلك ويعزونه لسبب آخر ٠

ويمكن تركيز هذه الصورة كلها وسواها تحت عنوان واحد هو فضل القيمة المزدوج الذي يدفعه الانسان ماديا أول مرة لجيب المستغل المباشر ، ثم يدفعه كذلك ومن ذاته وروحه وروح أبنائه للارث القائم على الغبن الذي تركه تاريخيا في حياة الاسلاف المستغلون ٠ أنه فرق قيمة لا يقل مرارة وذو عمق أكثر درامية فعلا ، انما نشأ عن فرق القيمة الاول ، وما يزال يدفعه الانسان بانتظام ٠٠ يدفعه في علاقته مع الدولة التي ينتمي اليها ، وفي علاقته مع أسرته ومع ابنه الذي شب عن الطوق ، وفي علاقته مع المرأة ذاتها التي يريد أن يفتح لها كل جوارحه ويحبها بكل غصة قلبه ٠ والفن الموجه لالغاء جوهر فرق القيمة ذاك وفقا لما أوضحته ، بكل طنينه التاريخي المأهول بلهاث الناس ، هو الذي أبحث عن التعبير عنه ، عن طريق صورة ذلك الفتى أو بواسطة الرجل العجوز أو تلك المرأة الهرمة ٠ ومهما كانت قوى البطل الذاتية ضئيلة ومحدودة فان في قواه اللا منظورة ، هو ذاته ، يختفي ذلك النفس الانساني التاريخي الذي ماكف يعمل عمله عبر التاريخ ، بارادة ثابتة ، لنسف نظام فرق القيمة في الاساس ٠

ومن المفهوم أن الممثل الكوني اليوم لنظام الناس الذين يذهب اليهم فرق القيمة هو الولايات المتحدة ٠ وقد باتمن المعلومات السياسية غير المعقدة أن تقول : ان اسرائيل هي اداة التعبير الامبريالية في المنطقة وجزء من

هذه الامبريالية ذاتها . وان ارادة التغيير التى تتعمق أكثر فأكثر فى المنطقة هى الجوهر المتحرك ، وما لم تكن هذه الحقيقة ماثلة فى سويداء العمل الفنى وفى صميمه ، مالم تكن نقطة الضوء الاولى التى تؤهل سريرة العمل الفنى ، فهذا العمل الفنى قد يمكن اعتباره اذ ذاك داخلا ضمن اطار التعبير الفنى العام فى بلد ما ، وقد يخدم روتين التعبير الفنى . ولكنه قطعا لن يكون أثرا فنيا بالمعنى الذى تصل الينا فيه الاثار الفنية التى بين أيدينا .

[٣]

سوريا

الاسم : هانى الراهب
السن : ٣٠ سنة
الجهة التى يعمل بها : وزارة التعليم العالى (سوريا)
دخله الشهرى : ٤٠٠ ليرة سورية
انتاجه الفنى :
ا ــ المنشور : « المهزومون » رواية فازت بجائزة دار الاداب البيروتية عام ١٩٦١ .
ب ــ غير المنشور : « شرخ فى تاريخ طويل » رواية . « المدينة الفاضلة » مجموعة قصص .

السؤال الاول :

قرزمت الشعر صغيرا ، وكنت اعرف اننى لست شاعرا ولن اكون . وحتى الواحدة والعشرين من عمرى كانت علاقتى بالادب استيعابية لم يخطر لى ان اكتب . واذا ما تحمست يوما للكتابة قلت لنفسى فى الثلاثين ، فى الثلاثين . فى صيف عام ١٩٦٠ صوبت الى تشجيعات واستشارات ، كانت اقرب الى روح الدعابة ، لكى اشترك فى مسابقة دار الآداب للرواية العربية . خلال ثلاثين يوما انجزت رواية « المهزومون » وارسلتها بالبريد ، عازما على تنتيجها فيما بعد . كانت أولى محاولة لى فى الكتابة الادبية . بالطبع فوجئت بفوزها ، كنت ما ازال اعتبر ان عالم الادب صعب وعميق وفسيح ، وان فى التأنى السلامة . ووجدتنى أدخل حلبته كما المدفوع من ظهره . منذ ذلك الحين وأنا أطور اسلوبى ورؤيتى للعالم بحذر شديد .

● ليساعدنى السرب على النفاذ من احبولة هذا السؤال . كيف يمكن للمتاخ القائم بين الاديب والاخرين أن يكون فى عصر حزيران ؟

مع الزملاء ثمة صميمية لكنها غير مجدية . فنحن مخلوقات لم تتكون بعد . نموت ونحن واقفون وفى شرخ الشباب الفنى . وكل منا ملقى بين أنياب ذاته . نتفادى الاختراق النارى الدامى لجنود الحياة اليومية السميكة من اجل أن تبقى اللافتات الزاهية . ولا بأس بين الحين والحين والحين الثالث بالورق والنرد والشطرنج ، وبتبادل النعوت الادبية البذيئة والشتائم . هذه اشياء لابد منها ، فنحن الشرقيين معروفون بحبنا للتوابل . ومن اجل هذا بقى اتحاد الكتاب عندنا عامين ونصفا ليخرج الى نور التشنيعات والتشكيك والمطالب الكيشوتية ، والاتحاد هو الدلالة الوحيدة على صحة بدأت تجابه الهزال .

ان العلاقة بينى ــ ومعى رفاقى فى الكار ــ وبين الاجهزة والمؤسسات المتصلة بهذا الكار علاقة ممتازة للغاية . فهذه الاجهزة والمؤسسات الحكومية والتجارية لطيفة وابوية الى حد أنها تعتبر الاديب نوعا من الطفيليات الطريفة المسلية . والمسئولون فيها يحسون بقيمة الزمن احساسا متسارعا وجدليا ، وبقيمة الادب احساسا ميتافيزيقيا . لقد قال لى أحدهم ــ وهو أستاذ فاضل ــ بمناسبة تقديم روايتى « شرخ فى تاريخ طويل » للنشر (عام ١٩٦٧) ان على الانتظار خمسة عشر عاما كى يغدو التفكير فى نشرها ممكنا . وقال آخر ــ وهو أستاذ فاضل أيضا ــ انها ستخلق أزمة اخف نتائجها آثرا السجن لكذا عاما . وهمهم مسئول كبير ثالث ــ أعظمهم فضلا ــ بعد أن قرأ ثلاث صفحات من مجموعتى القصصية انها ضعيفة فنيا . وتلك حدوتات تحدث مع زملائى جميعا .

ان جوهر العلاقة بين المؤسسات الثقافية والاديب يكمن فى النشر . لكن الاديب هنا يرتكب خطأ فادحا عندما يكتب من تجاربه هو وينسى تجارب القائمين على هذه المؤسسات . فهناك تجارب من نوع « كيف تكون انتهازيا » ، « وكيف تكون غبيا » ، « وكيف تكون تاجرا » لم نصل اليها وعليها يتوقف مصير انتاجنا . لذلك فنحن لاجئون ادبيون ، مؤلفاتنا تنام فى كهف الادراج كعوانس بلغن الاربعين قبل أن نبلغها نحن .

السؤال الثاني :

اعمل معيدا بكلية الاداب فيجامعة دمشق منذ عام تقريبا . وقبل ذلك كنت مدرسا للغة الانكليزية فى ثانويات دمشق . وقبل ذلك كنت محررا فى مجلة « المعلم العربى » التى تصدرها وزارة التربية . وقبل ذلك عملت فى « الصادرة والواردة » فى الوزارة نفسها . هذا التفصيل مقصود للتدليل على تشتت الحياة الوظيفية لكى تكون منسجمة مع بقية مظاهر الاخرى . الان أشعر بالراحة وبشىء من التماسك يتيح لى فرصة أكبر للكتابة . المطلب الحيوى للاديب أن لا يكون موزعا بين عالمين ، أحدهما الوظيفة برتابة جوها ، وبلادة تجاربها . وعملى فى جامعة دمشق يصلنى بالادب ، ويتيح لى أكثر من غيره مزيدا من الوقت لاتصال أعمق بتجارب شعبى .

● لكل جيل دوره التاريخى المحدد ، سواء رافقه الوعى ام لم يرافقه . ولان الاجيال فى وطننا تنمو كطفرات ، يصعب انتتحدد بين جيلين منهما علاقة موضوعيه قائمة على التطور . ويكاد يكون من الصعب استعمال كلمة اجيال لان عمر النثر العربى القصصى عمر قصير . على هذا النحو يبدو محمد ديب ونجيب محفوظ وفؤاد الشايب وغيرهم مرده خرجوا من قماقم مجهولة . لاشك فى ان للرواد فضل الرياده وبناء القمم ، لكن الكتاب الاصغر سنا لا يعلون هذه القمم وانما يبنون أخرى الى جانبها . ان أزمة الوطن العربى لم تصل فى انتاج الادباء الى مرحلة الاستيعاب ، خاصة وأنها جزء من أزمة الانسان والشعوب فى العالم . يبقى ثمة دائما ارض جديدة للاكتشاف ، معانى ومواقف ومشاعر ، وبازدياد حدة الازمة وتكرر انفجاراتها يزداد هذا البعد الوهمى بين القمم . واقول «الوهمى» لاننا فى المآل نستكمل صورة لمخاض حضارى نتعقبه بشىء من اللهاث وكثيرمن العميا .

هناك شىء خاص ينعسو بالتجربة الفنية . فى وهمى أن الادباء الشباب اعمق مغامرة وراء خلق صيغة فنية وطرق للتعبير تنسجم مع معطيات الازمة . فى قلوبهم نفاذ صبر يدفعهم الى الخروج من جنتد التاريخ والقوالب الى الجديد والثورى . وهذا لم يتوفر لمن سبقهم .

السؤال الثالث :

كل ما فى حياتنا يدعو للثورة ، بل ويفرضها . بيننا المشكلتان العربيتان الاعمق ، التخلف والتجزئة ، ومايتفجر عنهما من مشاكل فرعية . ثم هناك مشكلة الاستعمار بجميع انواعه ، وخاصة الاستيطانى منها . ثمة اذن مؤثران اساسيان فى الانتاج الفنى الذى احاول تقديمه : الثورة والاسباب الموضوعية للثورة . الثورة خلق وتكوين جديدان ، كذلك يجب ان يكون الادب . وعلى صعيد الحياة الواقعية فان التجارب التى تعيشها الامة العربية فى اطار النضال الانسانى الشامل ، تمنحنى المادة الاولية للكتابة . وهى تجارب تقدم نموذجا لمجتمع حافل بالمآسى والنضال والازمات وارادة الحياة ، مفتقر الى ناظم فكرى ينسج معانى تجاربه وخصائصها مع نسيج الفكر والعمل الانسانيين المعاصرين . ان الفن مرتبط بحياة الجماعة ، واذا كانت هذه الحياة متجددة أو تستدعى التجدد ، فعلى الفن أن يكون متجددا ، متجددا فى الاسلوب والصيغة وفى المضمون والمعطى . المؤثر الفنى هنا نوع من الضرورة فى ابداع اساليب جديدة تستوعب التجربة الجديدة .

من جملة هذه المؤثرات يختار الاديب موقفا ويتلزم به . ويلوح لى أن كلمة « التغيير » غير دافية . على أن هذا الشعور بعدم الاكتفاء يجب ألا يترجم ضنينا وضجيجا ، أو عبارات انشائية . هناكظواهراساسيا تشد الاديب باستمرار الى مقر الحياة القومية والانسانية . واذا كانتالاحداث التى نعيشها شديدة الوقع والتأثير ، فالحقيقة تكمن فى أن هذه الاحداث طفوح تصدر من عمق عكر مضطرب ، ويبعى الا تنسينا أساسيات الحياة العربية : مجتمع متخلف وممزق ، جماعات وأفرادا ، يناضل مع شعوب العالم ضد اوروبا الغربية والولايات المتحدة والصهيونية .

هذا النضال يعنى بالنسبة لنا النضال ضد اسرائيل فى المقام الاول . فمعركة البترول والاستقلال الاقتصادى والوحدة القومية والاشتراكية ، مرتبطة بمعركتنا ضد اسرائيل . لقد عطلت اسرائيل حياتنا اليومية ، ودفعت الينا بهموم جذرية مبثوثة فى أدق دقائق النهار والليل . فهى كابوس ليس فقط للصفات النبيلة والخبز والاطفال وانما للحياة نفسها . وفى تصورى أن المعركة بين العرب واسرائيل هى معركة الثورة بالذات . وعندما نسجل انتصارا واحدا فى هذا الميدان نسجله فى جميع الميادين الاخرى .

ان هذا الوضع لا يعنى نظم مدائح للفدائيين أو غزليات فى الصفات العربية النبيلة ، او هجائيات فى الاستعمار والصهيونية . المهم ان نبحث ونعمل فى تكوين الفداء ، فى استجلاء وتجنيد الصفات العربية ، فى معرفة حدود العدو وحجمه ، فى ابداع أخلاق العمل والانسان الفاعل لا القائل . وسيكون سطحيا التوقف عند

الخامس من حزيران واعتباره – بالنسبة للادب – عام الفيصل المعاصر . لقد كانت الهزيمة سارية في عروق حياتنا اليومية . وما الخامس من حزيران غير تكثيف حاد وفاجع لهذه الهزيمة . وجود اسرائيل بحد ذاته هزيمة . ومن هنا أعود الى الاساسيات : المكونات العميقة للفرد العربي ، للمجتمع العربي ، وللمرحلة الحاضرة ، وأقول أن أدبا يهمه البقاء مطالب بالالتصاق بها والنفاذ الى باطنها عبر جدليات العصر والحقائق الانسانية التي اكتشفها الفكر الاشتراكي العلمي .

[٤]

سوريا

الاسم : اكرم شريم

السن : ٢٦ سنة

الجهة التي يعمل بها : مؤسسة دار البعث ـ جريدة البعث [سوريا] .

دخله الشهري : ٣٥٠ ل . س

انتاجه الفني :

أ – المنشور : مجموعة قصص عنوانها « لم نمت بعد » صدرت في نهاية ١٩٦٧ عن دار الكاتب العربي القاهرية ، ولم يصل منها الى سوريا سوى نسختين ! وقد اوقعتني هاتان النسختان في حيرة : فاذا أنا اشتريتهما من السوق ، تكون المجموعة القصصية بذلك قد نفدت من الاسواق ! واذا أنا تركتهما للقراء في القطر العربي السوري اشتراهما القراء وتركوني دون النسختين العزيزتين الوحيدتين في حياتي الادبية والعاطفية ! لهذا قررت بعد جهد غير قليل ، أن أشتري نسخة واحدة من المكتبة ، فأكون بذلك قد قسمت مجموعتي بالعدل بيني وبين القراء . وبعد أن فعلت ذلك ، صرت أعرض مجموعتي بكل من التقى به من جمهور النقاد والادباء والصحفيين وأقول لهم : أجل .. لقد وصلت مجموعتي القصصية أخيرا ، وهاهي في الاسواق توزعت في انحاء القطر . وكان كثيرون منهم يعدونني بأنه لابد اذن من شرائها . وكنت في كل مرة أعين لهم مكتبة دار دمشق التي تحوي على النسخة ، لكي يذهبوا اليها ويشتروا منها . والحق أقول ، قد مرت الايام والاسابيع والاشهر ، والنسخة الثانية لاتزال في دار دمشق ، وفي مكانها نفسه ! ولا أزال أزورها بين الفترة والاخرى .

بعد هذا بدأت تغزوني الرغبة بالكتابة للاذاعة والتليفزيون وبالتالي التحول الى كتابة المسرحية مهما كانت النتائج . أما مجموعتي الثانية فانني سأجمع الليرة فوق الليرة وأبعث بها مع ثمن نشرها الى سهيل ادريس ، هذا الرجل الذي لا أثق به ، ولكنني مع ذلك لا أشك بأنه أقوى على التوزيع في الجمهورية العربية المتحدة « بحالها » !

ب – غير المنشور : مجموعة قصصية ومسرحية .

السؤال الاول :

تعرفت على القصة القصيرة بعد قرابة الخمس سنوات من تعرفي الى المكتبة الثقافية وكان ذلك فيما أظن عام ١٩٦٠ وقد كتبت أول قصة قصيرة في عام ١٩٦١ ونشرتها في العام نفسه .

السؤال الثاني :

مناخ غير ودي أجمالا ، ولا يوجد أي تعاون بيني وبين الزملاء ولا بين الزملاء مع بعضهم بعضا كما أعتقد . أما الصحافة فانني أمارسها كما يمارس المرء عادة غير مرغوب فيها . الاجيال الفنية السابقة لها تأثيرها المعروف عادة ، ولكنني أرى أجيالنا السابقة ، في قطرنا وفي السوق الادبي والثقافي عامة ،لم يتركوا لنا تيارا واضحا ، ولا مسارا لفكر أدبي ، ولا أية تقاليد للادب النضالي ، أو الثوري ، ولا سمات تميز مدرسة ولا شيء سوى العموميات والمحاولات اللغوية والمواضيع الاجتماعية ، والاسرية

خاصة ـ الخالية تقريبا من أي بعد فكري أو سياسي .

السؤال الثالث :

المؤثرات الاجتماعية « بيئة فقيرة وعلاقات اجتماعية محدودة » · والفكرية « احترامي الكبير للاشتراكية العلمية التي لا أجد المراجع الكافية الصحيحة والمفيدة ، عنها في مكتبتنا العربية » . والفنية « تجارب السابقين عربا واجانب حسب تدرتي المتواضعة على الاطلاع ».

● أما أين أقف بهذه المؤثرات

ـ من قضية التغيير الاجتماعي في بلادي فانني أساهم فيها من خلال الكتابة وحدها حاليا وأحاول باستمرار ان افهم العمل الفدائي ، وأتفهم واقع البنيات التنظيمية للمنظمات الفدائية ، وأراقب عن بعد طبعا كل انتصارات العالم الاشتراكي ، وأنظر الى العالم وقضايا العالم كافة من خلال منظاره · وأنا على ثقة تامة بحتمية انتصار العدل الاشتراكي ·

وأخيرا ، أجد نفسي فخورا لانني استطعت أن أكون في نجوة تامة ،وصحية ،من تأثير الاعلام العربي ·

[٥]

سوريا

الاسم : عبد العزيز هلال
السن : ٣٦ سنة

الجهة التي يعمل بها : المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية (دمشق) ·
دخله الشهري : ٣٥٠ ل . س
انتاجه الفني : قصة قصيرة ، رواية ، وتمثيليات مسرحية واذاعية وتليفزيونية ·

أ ـ المنشور : متفرقات في الصحف والاذاعة والتليفزيون ·
ب ـ غير المنشور : روايتان : « الحادثة » و « مدينة بلا عشاق » ، ومسرحية « الجلجلة » .

السؤال الاول :

العلاقة بيني وبين فني الذي امارسه بدأت في طفولتي المبكرة ، فقد كنت طفلا مغرما بالقصص ، أسمعها في حكايات ترويها الجدات والعمات ، ولم يكن بالغرام العادي الذي نلاحظه عند معظم الاطفال ، لانه بلغ حد الاهتمام الكلي ، الذي يصاحبه ويعقبه التفكير والتحليل ، لا سيما فيما يتعلق بأشخاص الحكاية وأنماطهم · وحينما أتيحت لي الفرصة لمشاهدة السينما علقت بها ، وشببت على أمل العمل فيها مخرجا وكاتبا ، الا أن ظروف بلدي وظروفي المادية لم تساعدني على تحقيق هذا الاتجاه ·

بدأت أكتب القصة القصيرة في عطلتي المدرسية ، الصيفية ، عام ١٩٥٠ · كنت في السابعة عشرة ، وقد تابعت كتابتها دون مثابرة وجدية ، بقيت مجرد هواية ، مثل كل هواية ، حتى شجعتني نجاحاتي المتواضعة في السنين القليلة الاخيرة على ان اتجاوز الهواية في هذا المجال ، وأنا الان احاول المثابرة ·· حتى انني بدأت أكتب الرواية منذ سنتين ، بناء على ملاحظات ، بعض أصدقائي من الناقدين والكتاب ، حول العديد من اقاصيص ، على أن فيها ما يجلو القدرة عندي على النجاح في كتابة الرواية · الا ان اهتمامي السينمائي الذي لم يتلاش ، شدني الى الكتابة للتليفزيون ، وشغلني هذا العمل الى حد كبير ومهم على الاهتمام كليا بالقصة (أقصوصة أو رواية) ·

السؤال الثاني :

الواقع انني ذو مزاج نفسي حاد ، يكاد ان يجعل من علاقاتي مع الاخرين ناقصة على الدوام · ولهذا فان اختلاطي بهم وتأثري أو تأثيرهم نادر في حياتي ، وان كان لي قلة من الاصدقاء ، لا أعتمد عليهم البتة ، لانهم غير موضوعيين في آرائهم ، وعوضا عن هذا فانني أستغل شخصياتهم في أقاصيصي ورواياتي · اما الاجهزة والمؤسسات المتصلة بالفن الذي أمارسه ، فلها دور كبير في توجيه الخط الموضوعي فيما يتعلق بالتمثيليات وحدها ·· فأشعر بغير قليل من الضيق والتقيد ، وبالتالي بعدم الرضا عن انتاجي

وبصورة عامة فان المناخ الواقعي الذي أعمل ضمن شروطه ليس مرضيا ، ووظيفتي المعاشية التي التزم بها ، عملي ، هو من ضمن هذا المناخ ، ان قيد العمل وروتينيته ، تكرار التأدية نفسها يوميا ، الدوام المنظم وحدود الحركة والرؤية والجو · كلها عوامل تثبيط وتكسيل للفاعلية

الابداعية عند الفنان .. وأنا أعانى من هذه العوامل ، وأحاول مقاومتها ، رغم أن المجال الذى اعمل فيه من النوع الذى يقلل من كثافة الضغط على نفسى .

موقفى من الاجيال السابقة : انه مواقف فى الحقيقة . فتجاه كل فنان ، من كل جيل ، له موقف يختلف عن موقفى من فنان آخر أو جيل آخر . ولكن ، على كل حال ، فان مواقفى تتصف من الجميع بصفة التردد والحذر ، فحتى الذين أعجبت بانتاجهم وقدرتهم على أساسه التقدير كله — على البعد — رأيتهم ، بعد أن اجتمعت بهم وعاشرتهم ، يعيشون غير ما يكتبون ، ويتصرفون فى واقع حياتهم ، سواء كمثقفين أو كمواطنين واجتماعيين ، نقيض ما يطرحون فى انتاجهم من مواصفات وأفكار . لهذا لم تنشأ بينى وبينهم علاقات طيبة ، وفضلت صحبة الاناس العاديين ، حيث وجدت الاصالة والصدق والانسجام مع معطيات الذات ومواصفاتها ، بغض النظر عن قيمتها وأبعادها ، فخيباتى هنا أهون على النفس منها هناك .

وعلى كل حال ، مرة أخرى ، أقول : لكل زمان رجاله .

السؤال الثالث :

المجتمع عاداته وتقاليده ونظامه .. التأثير الكامل فى انتاجى الفنى . أقوى مؤسساته فى هذا التأثير هى الاسرة التى « أنتجتنى » وأرادت لى مثالها ومصيرها . وهو لا يظهر فى انتاجى مباشرة ، ولكن من حيث أن انتاجى يعبر عن شخصيتى — نتاج هذه الاسرة . وكان موقفى من المجتمع ، ومنذ البداية ، موقفا رفضيا تمرديا ، اكتفى بالنقد الذى يعتمد على الواقعية الطبيعية . حتى اتصلت بالتيارات الفكرية العالمية ، فى وقت متأخر — مع الاسف — ووسعت من وعيى وثقافتى ، فبدأ الاتجاه الواقعى لدى يتخلص من مثالياته الشرقية الافلاطونية ، وبدأ أسلوبى يتطور فى اتجاه الواقعية الفنية فى الوقت نفسه . قناعاتى الفكرية لم تكن ثابتة .. فأنا بدأت متدينا ، ثم ريبيا ، ثم وجوديا ، وأخيرا شرعت قناعتى الحاضرة بالاشتراكية تنمو شيئا فشيئا ، ثم جعلت مشاعرى الذاتية تخرج من قوقعتى الفردية لترتبط بمجموع البشرية ، بالانسانية بمفهومها غير السماوى وغير البورجوازى .

عامدا متعمدا سأغفل الحديث — هنا بالذات — عن موقفى من قضية العدوان الاسرائيلى . اذ يبدو لى هذا الجانب من السؤال صالحا للتوجه الى أجنبى . أما أنا .. فأجد نفسى سخيفا عندما أسأله أو أجيب عنه .. لاننى عربى ، ولاننى لا أنظر — لهذا السبب — الى القضية بهذا الاسلوب : « العدوان الاسرائيلى » وهو بالطبع يعنى هذا الجزء من العدوان الذى كان فى الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ . ما من عربى ، مشاعره صافية وسوية ، الا ويقول : قضية المصير العربى فى مواجهة الصهيونية » . هى ذى المسألة ، وهكذا ينبغى طرحها . أما « العدوان ، وآثار العدوان ، وقرارات مجلس الامن .. الخ » فلنتركها — نحن المثقفون — للساسة المحترفين وحدهم .

[٦]

سوريا

الاسم : رياض عصمت
السن : ٢٣ سنة .
الجهة التى يعمل بها : محرر بقسم الاخبار بالاذاعة السورية (سوريا) .
دخله الشهرى : ٣٧٥ ل.س
انتاجه الفنى :
أ — المنشور : القصة القصيرة والنقد الادبى المسرحى بالاداب والمعرفة والطليعة السورية .
ب — غير المنشور : مسرحيتان .

السؤال الاول :

ليس من الممكن بالنسبة للاديب تحديد متى بدأ تماما — لكنى بدأت نشر ما اكتب منذ عام ١٩٦٧ — أولى مسرحياتى (القنبلة) كتبتها عام ١٩٦٧ وراجعتها عام ١٩٦٩ . أما مسرحيتى الثانية (النجوم والليل الطويل) فكتبتها عام ١٩٦٨ . لم أنشر المسرحيتان بعد . وأعمل حاليا كناقد مسرحى لمجلة الطليعة (السورية) .

السؤال الثانى :

هناك رغبة متبادلة فى التعاون وهى رغبة جدية ومخلصة على وجه العموم ، لكن امورا كالروتين ، والمصلحة ، واصطدام

الاهداف المثالية بضغوط الواقع ، وعدم وجود اخلاق اجتماعية او وعي معين لدى بعض العاملين في المجالات الادبية والفنية ـ يخلق احيانا بعض العقبات . وأخص بالذكر عدم وجود مؤسسات نشر ، وعدم وجود فرق مسرحية حرة وما لهذا من أثر سلبي على التطور الثقافي والفني في البلد .

ـ علاقة بيروقراطية لعدم توفر فرص الابداع من خلال العمل الرسمي .

ـ موقفي من الاجيال السابقة موقف احترام للجهد الكبير الذي بذلوه وللتضحيات التي قدموها ، مع رغبة في تجاوز فكر تلك الاجيال وقتها نحو معاصرة اكبر وارتباط اوثق بالمشاكل الراهنة وانعكاساتها على الانسان العربي .

السؤال الثالث :

نحن في لحظة مواجهة وخطر ، وهذا يفرض بالتالي ارتباطا وثيقا بين السياسة والفن ، وهو ارتباط طبيعي طالما أن الفنان انعكاس لامته ، كما أنه ارتباط حر واختياري ، نابع من التزام الفنان بمعالجة مشاكل أمته وتقديم صورة عن حياتها ونضالها وآلامها ، وقيادتها نحو ثقافة أرقى ، ووعي أعم وأشمل . هذا يفرض بالتالي موقفا انسانيا شاملا يدحض العدوان وأطماع الاستعمار عموما . ان مفهومي لدوري كأديب وكناقد ينطلق من ايماني ودفاعي عن حرية الانسان . هو ارتباط قوي بحت بالنسبة لوطني ، وهو في نفس الوقت ارتباط انساني بالنسبة للعالم الذي ما زال يعاني من هجمات الامبريالية . وانا أؤيد التغيير ، لكني أؤمن بوجوب التخطيط العلمي له ، ووجوب التخلص من أوجه السلبية والخطأ الناتجة عنه ، وذلك لا يتم الا عن طريق انفتاح الفكر ، والسماح بحرية التعبير عن الرأي ، واستخدام جميع الطاقات المنتجة في ظل نظام اشتراكي ديمقراطي .. نظام يسعى جديا الى الوحدة العربية ، وانهاء النزاعات أو تخفيف حدتها بين الاقطار العربية ، بقصد احراز التأثير على الرجعية والمتخلفة منها ، وجذبها لتسير في ركب واحد مع الخط التقدمي القومي العربي .

[٧]

سوريا

الاسم : سعد الله ونوس
السن : ٢٨ سنة
الجهة التي يعمل بها : مديرية المسارح في وزارة الثقافة
دخله الشهري : ٣٦٠ ليرة سورية
انتاجه الفني : مجموعة مسرحيات صدرت عام ١٩٦٥ تحت عنوان « حكايا جوقة التماثيل » . مسرحية طويلة تحت عنوان « حفلة سمر من أجل ٥ حزيران » . مسرحيات قصيرة ومقالات عديدة منشورة في الصحف والمجلات العربية .

السؤال الاول :

بدأت العلاقة بيني وبين الفن الذي أمارسه مذ كان عمري ١٥ سنة . وبدأت الانتاج عام ١٩٦١ بمسرحية قصيرة نشرت فيما بعد بالاداب ، وبمسرحية طويلة لم تنشر حتى الان .

السؤال الثاني :

ان مجموعة الاسئلة التي تتناول مشكلة المناخ المسيطر على ممارستي الكتابة المسرحية ، هي في الحقيقة أبواب واسعة تفضي الى كثير من المشاكل التي يمكن القول بأنها ليست مشاكل شخصية بقدر ما هي تعبير عن وضع جيل بكامله . هناك هزة في الاعماق . هزة لا يعرضها مجرد القلق الانفعالي الذي يعقب الهزائم ، ولا تعبر عنها الصحوات السحرية التي تتم بين عشية وضحاها . انما هي هزة اكتشاف المجانية التي يعيش فيها جيل « أعقم » سياسيا ، وممزق في متاهات زائفة كي يتحول مجرد ماضغ للحشيش ، ومتلائم أبدي مع الاوضاع قبل النكسة وبعدها . لذلك فان أي موقف يحاول الخروج من خدر الكذبة والتلاؤم لابد من أن يكون صداما مع المؤسسات ، وصراعا مع تركيبها ومواضعاتها . أكثر من ذلك ، لابد من أن يكون مراجعة داخلية قاسية تكشف انعكاسات أجهزة التخدير على تكوينه الداخلي ، وعلى تشوهاته العميقة ، في الداخل ، والخارج الصراع شاق وطويل . وفي لحظة صفاء ووعي سيكتشف عمق الجرح ، وسيتيقن من محدوديته وقصوره ان ظل صيحة فردية تبحث عن نبلها الخاص ونقاء ضميرها .

واذن ، يتلامح أمامنا في المجال الفني سبيل واحد هو الذي

يحدد الشكل الذى تتخذه الصراعات الانفة الذكر من جهة ، وهو الذى يرسم علاقتى مع غيرى من الفنانين . هذا السبيل هو العمل الجماعى ، فعن طريقه فقط يمكن أن نجعل من التعبير الفنى قدرة تغيير ، بدلا من ان يكون « عادة سرية » نتسلق عبرها نحن أمجادنا الشخصية ، ومكاسبنا الصغيرة .

امكانية العمل الجماعى فى المسرح خاصة ، وفى الثقافة عامة ، امكانية ايجاد تجربة المجموعة المتجانسة التى تتجاوز الاساطير الفنية ، والالوهيات الفردية الزائفة ، لتذوب فى عمل جاد مخلص ينبع من واقع يومى لشعب يعيش أحداثه اليومية ، هى فى رأيى العلاقات التى تحدد بدقة نوع العلاقات التى يمكن أن تنشأ فى صراعنا مع المؤسسات ، أو فى صراعنا مع أنفسنا . وفى هذا الاطار العام بدأنا تجربة مسرحية جديدة متطلعين الى تغيير أماكن المسرح ، وجمهور المسرح ، ومضمون المسرح . فى هذا الاطار يبدأ التحامنا مع تربتنا ومع أنفسنا فى محاولة جادة للخروج من « الخدر » أو من شباك الكذبة .

أما بالنسبة للموقف من الاجيال السابقة ، فان كلمة رفض أو قبول لا تستوعب على الاطلاق طبيعة هذا الموقف . فتلك الاجيال ، ونحن نشاركها المسئولية بموقفنا الاستسلامى لها ، أو بردود الفعل الانفعالية حيالها ، هى جزء من بنيان ثقافى واجتماعى مفكك ، ومتناقض وضبابى بانت كل خصائصه فى هزيمة لم يرسم ملامحها انسحاب الجنود فقط ، وانما افتضاح ثقافة ، وبناء اجتماعى ، وكذلك لغة سائدة . حين كانت الارض تهرب من تحت اقدام الجنود ، كانت الثقافة تنهار ، وكانت بنياناتنا الاجتماعية والسياسية تتقوض ، وكانت حتى الكلمات تصبح ازمة وسوء تفاهم . وفى هذا الاهتزاز الشامل يمكن بسهولة ان نحدد هوية الاجيال السابقة ، وبالتالى طبيعة العلاقة الجدلية المرة التى تربطنا معها .

السؤال الثالث :

هنا سأسمح لنفسى بأن أكون بسيطا وساذجا . المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تقف وراء عملى ككاتب هى هذه الصورة اليومية لحياة مهزوزة فى منابتها حتى بناها العليا . أمضى فى التبسيط أكثر .. بغض النظر عن التيارات الثقافية العالمية ، بغض النظر عن الجدالات الفكرية ، والمعارك الثقافية الوفيرة ، هناك منبع رئيسى لكل المؤثرات التى تحكمنى . هذا المنبع هو الحياة اليومية لشعب يحيا أزمته التاريخية بنصف وعى . ملامح البيئة هى المؤثر الجوهرى . واقع موضوعى أحاول أن أفهمه أو أحلله موضوعيا . هنا أصفى حسابى مع كل « الموضات » الفنية ، والاشكال الادبية ، وأعيد للامور بساطة صعبة . كيف نسهم فى تحليل بيئتنا والتأثير بها . وبما أنى فى الاساس أكتب لكى أتخطى شعورى بالعزلة ، ومحاولات « تحييدى - من الحياد » أو « خرتتتى - من الخراتيت » ، فانى لا أتخيل على الاطلاق أن يكون موضوع تجربتى شيئا آخر غير قضايا التغير الاجتماعى ، والعدوان ، ومشاكل التحرر فى العالم . وطبعا ليس المهم فقط أن نجعل من هذه القضايا موضوعاتنا ، ولكن المهم هو أن نتناولها بصورة غير مهزوزة ، أو ضبابية ، وفى المستوى الاخر ، بصورة تضليلية وزائفة . المهم أن نسهم فى توضيح القضايا ، وتعليمها ، وأن نسهم أيضا وعلى مستوى آخر فى الحفز على تبديلها .

وقد يعطينا المسرح فرصة لتقديم مثال جيد . ففى المسرح الذى أحاوله تبدو الامور مكثفة فى كلمتين : أريد مسرحا يعلم ، ويحفز على العمل . أى أن يزيد احتقان المتفرج وهو يعلمه . أن يزعجه ، ويدفعه للمبادرة ، للتساؤل لماذا وكيف ، ثم للعمل .

[٨]

سوريا

الاسم : عبد القادر ربيعة .

السن : ٢٨ سنة .

الجهة التى يعمل بها : عاطل عن العمل .

دخله الشهرى : لا شىء .

انتاجه الفنى : قصاص

ا - **المنشور :** الغبطة الخالدة ، العريس الاخضر ، الدلال ، البحر والخطيئة ، الصراع الاكبر ، الزمن المحنط ، الالوان المرة ، مدار الشيطان .

ب - **غير المنشور :** اللحم الميت ، نداء الابواق ، ابولون والغابة ، ثم مسرحية طويلة بعنوان « تهافت المجوس » « النجم الساقط » رواية ثم مجموعة دراسات فى النقد الموسيقى هى : الاغنية الوطنية وصيفة المارش . الموسيقى بين الجمود والتطور . نجم السكرى والعزف على الكمان . ما هو دور الالة الموسيقية فى توسيع مدارك الانسان . سيد درويش او دم الشعب الثائر . وكلها نشرت فى الصحف .

السؤال الاول :

قامت علاقتي مع الفن منذ طفولتي المبكرة ، وقد بدأت الانتاج والنشر منذ اربع سنوات فقط .

السؤال الثاني :

لا يبدو الجو مشجعا في كثير من الاحيان وخاصة في حالة البطالة ، اذ تتعقد احاسيس الفنان كثيرا ومن ثم يرى عيوب المجتمع والاصدقاء تتألب عليه سواء كان ذلك عن قصد، أو عن غير قصد . فمعظم الذين يشتغلون بالادب في بلدنا هم من الشعراء والنحويين، ومنهم مازال يعيش افكار عصر الانحطاط حتى يومنا هذا ، العلاقة مع القلة القليلة من الزملاء القصاصين تشعر الانسان بالراحة احيانا . لكن مع الاسف كثيرا ما يسود هذه العلاقة عدم التفاهم لسبب بسيط الا وهو عدم وجود نقاد في سوريا ، الامر الذي يدفع كل منا ليطلب رأي الاخر في انتاجه . وبدون شك سيكون ذلك صعبا على الكاتب ، مما يؤدي الى اختلاط المعايير النقدية الموضوعية مع معايير التجارب الذاتية للكتاب .

واما من حيث المؤسسات فللاسف ليس هنالك ما يشجع اطلاقا ، لان علاقة الكاتب بأية مجلة سورية يجب ان تبدأ بمعرفة شخصية مع رئيس التحرير ، دون وجود رابطة او علاقة مدروسة بين الطرفين لخدمة الفن . وقد يكون المسئولون عن الصحافة معذورون في اغلب الحالات بسبب كثرة الكتاب المغرورين الذين يولدون بالعشرات كل يوم ثم يسقطون بعد اشهر من ولادتهم . ثم لا ننسى انه ليس هنالك مجلة ادبية في سورية .

وهنالك علاقتنا مع أجهزة وزارة الثقافة انها اسوأ علاقة بين طرفين ، فلا نجرؤ مثلا على التفكير بطباعة قصصنا في مطابع الوزارة اطلاقا ، واذا ما حدث وتمت مثل هذه العملية فان التعويضات التي يقبضها الكاتب رمزية بل وشحيحة ، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تركت الوزارة الناشرين يستثمروننا بجشع مثل صيارفة بني اسرائيل

في الايام التي عملت فيها مدرسا للموسيقى كان المناخ جيدا ، فقد لاحظت الكثير عن مستوى الذكاء عند الاجيال الجديدة وعلمت ان حب الفنون ودراستها دراسة تجريبية انما يمكن استنباطه حتى في ذهن الطالب الغبي شريطة ان نوفر له جو الجرأة والتمرين العملي المستمر بحيث يصح القول « الانسان وليد التطور والتعليم » .

وتبدو تجربتي الثانية تجربة التسكع والبطالة اكثر خصوبة . لان الوقت كان يسمح لي بالتأمل العميق والتعرف على الكثيرين وخاصة العاطلين عن العمل والاجراء اليوميين والموسميين وسكان الازقة وغيرهم كل هؤلاء الناس الذين تأخذ ازماتهم النفسية اشكالا متعددة يمكنني الاستفادة منها في درس نماذج القصص والاحداث القصصية ، لكن لهذه التجربة كثيرا من السيئات ، فهي تضع الكاتب في اطار سلبي يائس بل تدفع به مخالطة هؤلاء للانفجار احيانا ، اذ يرى فيهم صورة جلية لبؤسه .

ان موقفي من الاجيال الفنية السابقة جاءني عن طريق الكتب ومعرفتي بما نقلته الكتب ، فاني ارى هذه الاجيال السابقة تنقسم الى قسمين اولا ، وهم من يمكننا تسميتهم بالجدود امثال طه حسين واقرانه ، ثم جيل الآباء وهم الاستاذ نجيب محفوظ واستاذنا الطيب حنا مينة وآخرون . واقول الان بصراحة ان جيل الاجداد كان مثالا للعقم الفني ، اذ هم اكتفوا باجترار تجارب الاداب القديمة واعرضوا عن التطور والتفاعل . وقد اقتصر موروثنا منهم على مجموعة وصايا في النحو والبلاغة عكس من اسميتهم بالاباء الابطال الذين شقوا لنا المجهول وفتحوا لنا الطريق الى ما وراء البحار ، وقد غامر هؤلاء لاول مرة ودون تجربة سابقة موروثة ترشدهم الى الطريق الجديدة وهم بحق مهدوا الارض الوعرة لمؤلفي النصف الثاني من القرن العشرين .

السؤال الثالث :

ان المؤثرات التي تساهم في الابداع الفني عديدة جدا ، اهمها ان يعيش الكاتب التجارب اليومية لمواطنيه ، وان يدرس الابعاد النفسية والتاريخية لتجربتهم ثم المطالعة والاطلاع على تجارب الفنانين الكبار والتأمل واستيطان اعماق الشعور الانساني، ودرس كافة التوترات الحسية والشعورية الدقيقة التي ترافق التجارب اليومية للناس ، وان هذه المؤثرات تتلون اولا واخيرا بالوان نفسية الكاتب وقدرته على تذكر الاحداث واستحلاب ما يرافقها من انفعالات خفية ، واجدني اقول ان هذه الظواهر التي يتشكل منها الادب يجب ان تصاغ على شكل حالات نفسية وآمال معينة تتأثر بالوضع الطبقي والاقتصادي للابطال انفسهم .

وانا شخصيا اقول للحق وللتاريخ ان مدرسة «جويس» قد ساعدتني كثيرا من الناحية الفنية اذ كانت خير اداة في يدي مكنتني من تركيز الاضواء على الجوانب الخفية التي لا تتراءى بالصورة الفوتوغرافية ، واعتقد ان

موضوع الرواية النفسية اصبح الان موضوع العصر وادانه العظيمة فى التعبير ٠

حقا نحن الكتاب الشباب لم نخرج من الحرب العالمية الثانية مهزومين مثل الاجيال الاوروبية بل منتصرين حاملين راية الاستقلال الخفاقة ٠ لكن هذه الفرحة لم تدم طويلا بسبب وعينا المبكر وهجوم الاستعمار الحديث على بلادنا ٠ وعشنا فترة تاريخية صعبة تتمثل بالانتقال من اقتصاد الحصون والحرف اليدوية الى مرحلة التكنيك والعمل الالكترونى بدون تمهيد . اذن فنحن نجد انفسنا مضطرين لكى نفكر بعقلية هيبية بدون سابق انذار ٠ ولقد كان لاجهزة الاتصال بين اجزاء العالم اكبر الاثر فى تحملنا التناقضات العالمية وازمات العوالم البعيدة وربما تكون هذه ضريبة التقدم ٠ ولقد اصبح الفرد العربى يرزح تحت ثقل الازمات المحلية والعالمية ٠ كل هذه الاشياء تتكثف مع بعضها لتخلق مركبا متناقضا ، وفريدا من الكاتب والقارىء على السواء ٠

وقد نتساءل عن مهمة الكاتب فى هذا الجو الغريب، والجواب باختصار كما قال فوكنر « ان نعلم الناس الصبر والتضحية والتطلع الى الامل ٠٠ » ٠ وبعد العدوان الاسرائيلى خاصة يبدو من اللازم على الكتاب الشباب ، الكتابة بيد ، وحمل البندقية بيد ثانية وفى رأيى ان صراعنا مع اسرائيل هو صراع عالمى اكثر منه صراع محلى ٠ فلم يعد يخفى على احد مسألة التزواج بين الامبريالية والصهيونيه الامر الذى يتطلب منا الكثير من الجهود لكى نوضح طبيعة هذا الصراع لشعوب العالم الحرة ٠ فالفنون والاداب مطالبة بالنزول الى حلبة السباق الفنى العالمى ، وهنا يكمن السر الذى يبرز وجودنا فى الغرب ٠ ان كل كاتب او فنان ملزم بان يقدم نماذجا ادبية ترسم مجتمعة فى حياة الصراع العالمى للقرن العشرين ٠ او بعبارة ادق ان نوضح للغرب ان ادبنا ليس هو قصص الف ليلة وليلة كما يدعى الصهاينة ٠

بعد هذا اخلص شخصيا الى ضرورة تطوير ادبنا بصورة عامة وارفض تلك التسمية التى راجت مؤخرا « ادب النكسة » ماذا نقول فى هذا الادب ٠ خسرنا المعركة ٠ بطولة افراد قواتنا المسلحة ٠ ان القضية اكبر من ان يتسع لها اطار ضيق كاطار النكسة ٠٠ انها قضية تطور وارتقاء تشمل حياتنا من كل جانب ٠ كانت النكسة بمثابة صعقة ايقظتنا من سبات عميق. وانا لا انكر بعض الجوانب الايجابية التى خلفتها فى حياتنا ٠ لكن يخيل الى ان افتعال الادب لخدمة اية مناسبة كانت أمرا مرذولا فى الفن الحديث ٠ واخيرا ان الكاتب والفنان الجديد مطالب بتطوير ادبه ونظرته ، واسلوبه وادانه بشكل يوازى التطور العمومى الذى نعايشه الان ٠

[٩]

سوريا

الاسم : محيى الدين صبحى
السن : ٣٥ سنة
الجهة التى يعمل بها : مترجم فى وزارة الاعلام
دخله الشهرى : خمسمائة ليرة سورية

انتاجه الفنى :
أ ـ المنشور : « نزار قبانى شاعرا وانسانا » ـ « أيام بلا عزلة » رواية
ب ـ غير المنشور : دراستان مطولتان عن نازك الملائكة وفدوى طوقان

السؤال الاول :

منذ تعلمت القراءة فى الخامسة من عمرى ، وبدأت اكتب فى الخامسة عشرة ، وبدأت بالنشر فى الخامسة والعشرين

السؤال الثانى :

احب الصحبة الشخصية وارفض العلاقات الثقافية مع الكتاب ٠ ولا علاقة لى بالاجهزة المتصلة بهذا الفن ٠

● العلاقات مقطوعة او لم توجد بعد ، سواء فى مجالات العمل او الانتاج الفنى ٠

السؤال الثالث :

اهم المؤثرات : نشر الاخبار وتعليقات القاهرة وخطب الرئيس العربى الثائر جمال عبد الناصر ـ وذلك بعد انجاز التكوين الثقافى الاولى فى مجالات الادب والنقد والسياسة العربية والدولية ٠

● التغيير الاجتماعى الجذرى فى الوطن العربى مستحيل ، دون قيام وحدة عربية تضم البلاد العربية المتقدمة ،

وعلى الاقل بين مصر والسودان وسوريا والعــراق — أو مصر وسوريا الان ».

ان مثل هذه الوحدة كفيلة باستقطاب بقية البؤر الثورية فى الوطن العربى وباسقاط البؤر الهدامة المتمركزة فى لبنـان والاردن وتونس والمشيخات من جهة ، وفى داخل البلاد المتوحدة من جهة أخرى • كما أن مثل هذه الوحدة هى الضمانة لبنـاء صناعة عربية ثقيلة وخفيفة تكون نواة لنشوء القــوة الذاتيــة العربية - وبغير هذه الوسيلة لا يمكن أن نقاوم اسرائيـل ولا الامبريالية •

ان كل تأخير فى تحقيق هذه الاهداف خدمة مباشرة لاسرائيل وعمالة للامبريالية التى تعتمـد على الطائفية والتخلف والتجزئة

ومهما كانت مبررات التأخير من تطرف أو نقد فاننى أرفض هذه الدعاوى وأنظر اليها على أنها خيانة للامة وخدمة لاسرائيـل ولاهدافها فى تفسيخ المجتمع العربى – أو فى احسن الظروف تعبر عن أنانية وعدم وعى ».

[١٠]

ســـوريا

الاسم : ملاحة الخانى
السن : ٣٣ سنة
دخله الشهرى : متأرجح
انتاجه الفنــى : القصــة القصيرة

المنشور : قصص فى المجلات والجرائد
غير المنشور : مجموعة تنتظر الطبع

السؤال الاول :

واقع الامر هــو اننى كاتبــة كسولة يسيطر عليها الملل بسرعة أفرغ الشحنة التى تعتمل فـى تفكيرى وكيانى فى شكل قصة خلال ساعة أو ساعتين ، ثم ألقى بها بعيدا بأمل أن أعود الى العمل فى وقت لاحق ، وقليلا ماأفعل •

ابتدأت الكتابة القصصية فى وقت مبكر مع بداية الخمسينيات وظللت أكتــب علــى فتــرات متقطعة •

السؤال الثانى :

اشعر شــعورا صــادقا ان اى اتصال مع الجو الفكرى والفنى يبعد عنى جو الملل والنمطيــة وحياة كل يوم ، ويـدفعنى الى معاودة الكتابة والقراءة وتعميق معلوماتى واحساسى بـالحياة وفهمى لما يجرى من حولنا كبشر ضمن ظروف هذه الدوامة التى اسمها الشرق الاوسط ••

اما عن الاجهزة والمؤسسات فالحقيقــة اننى كما أرى نفسى منغلقة الى درجة لا اشــعر معها بوجودها ، ولا بتأثيرها فى كثير أو قليل . بل لقد أنعى عليها وجودها ذاته ، لانها تـذكرنى بنفسها فى أوقات متباعدة لكننى لا أرى فيها سوى جملة مبان لا تقدم ولا تؤخر •

أما الاجيال الفنية السابقة فقد كان لها تأثير ما فى فترة تشكلى الاولى : **توفيق الحكيم ، المازنى ،** العقاد وغيرهم • ولكن منذ أن بدأت الصلة بالانتاج العــالمى انفصلت انفصالا شبه تام عن الانتاج المحلى •

السؤال الثالث :

كيف يمكن لاحـدنا أن ينفصـــل عن تيار الحياة الذى يتجاذبه ويفرض عليه الاحداث فى كل ساعة • عندما تنكشـف أوراق الاستعمار ، عندما يفتضح طابع الرجعية ، عندما ترتفع السجف المسدلة على الخيانات كيف لا يتأثر بها المرء ؟ وعنـدما ينشر النور وتستبيق طريق الخلاص وينفتح الامل مع الحلول الكفاحية والاشتراكية كيف يغمض المـرء عينيه ويعشى بصره وبصيرته •

ان الانسان مسـوق اذ ذاك بقوة الدفع الى أن يسير حتى لو كان شليلا وأن يرى حتى لو كان أعشى •

سـوريا

الاسم : نوافة ابو الهيجاء
السن : ٢٧ سنة
الجهة التي يعمل بها : مجلة « المعرفة » ـ وزارة الثقافة .
دخله الشهري : ٤٠٠ ل . س

اتجاهه الفني :
أ ـ المنشور : « والخيبة ايضا » قصص ١٩٦٥ ، « الطريد » رواية ١٩٦٦ ، « من أجل حرب التحرير الشعبية » ١٩٦٦ .
ب ـ غير المنشور : « الخسوف » رواية «حزيرانيات الدوائر الخمس» قصص واربع مسرحيات طويلة .

السؤال الاول :

منذ وعيت ، كتبت الشعر وانا في العاشرة من عمري ، قرأت أول ما قرأت لمحفوظ ، ثم المنفلوطي ، وعبد الحليم عبدالله والسباعي وعبدالقدوس وأنا في سن المراهقة تابعت قراءة محفوظ وتركت السباعي وعبدالقدوس ، اتجهت مباشرة الى القصة الطويلة حيث انجزت كتابة رواية وأنا في السادسة عشرة من العمر . اطلعت على الاداب العالمية قبل دخولي الجامعة ، وفي الجامعة كانت لغتي الانجليزية قد فتحت أمامي ابواب عالم واسع .. هناك تعرفت الى : جويس ، فوكنر ، شكسبير ، همنغواي ، ابسن .. الخ . وبدأت الاطلاع على الاداب الشرقية من خلال التراجم : تشيخوف ، ودستوفيسكي .. الخ . ولدت قصتي القصيرة الاولى في عام ١٩٦٤ ، وتمت روايتي الجدية الاولى في عام ١٩٦٥ . أما المسرحية فلم أكتبها قبل شهر تموز عام ١٩٦٧م .

السؤال الثاني :

اللا انسجام مع معظم ما هو كائن ، لا يعني هذا أنني أقف موقفا سلبيا من الفروع الثلاثة للدرب الطويل الذي أسايره ويسايرني :

● بيني وبين الاخرين ـ دائما ـ علاقة جدلية . حولي يكمن النفاق . في كل زاوية يتربص لي الغش والخداع . في كثير من العيون لا أبصر الا الزيف . بسمات الكثير من الشفاه مسمومة ، والطلاء المعاصر ، حين يذوب يكشف عن الزمجرة الخبيثة الدفينة في الافئدة . الح الرياء معششا في معظم الصدور . مع ذلك فانا لا تهمني ردود افعال زاعمي الثقافة والفكر والمعرفة . اسجد امام ابتسامة طفل ، أو عامل ، أو جندي ، أو أي انسان عادي .. اذ استطيع آنذاك قراءة كل معاني الصدق والاخلاص . أما المؤسسات فهي ، كما أرى ، لا تمت الى فني بأية صلة سوى صلة « الاسم » فحسب . ورغم كل ذلك فان جميع ما أراه طبيعي جدا .

● رغم انني اعمل في مجلة « المعرفة » فانني اشعر « بقهر » يظهر عنيفا بين الحين والحين . لقد وددت دائما ان تفتح هذه المجلة جميع ابوابها الواسعة أمام الشباب . لماذا لا ننشر نتاج الشباب الجيد ، حتى الذي لا نؤمن به ، ونناقشه على اساس انه ظاهرة تستحق الدراسة والمعالجة . ولكنني انظر الى الصراع من وجهة نظر مخالفة لمعظم الاراء المطروحة . أرى أن الصراع الحقيقي هو بين كل زائف وكل أصيل ، وليس بين القديم والجديد . القديم قد يلبس ثوبا جديدا يصارع باسمه وقد يحدث العكس . أرفض موقف « الحياد » الجبان في الفن . فالحياد اسطورة هدفها اغتيال الفن الاصيل .

● لكل جيل ظروفه ـ الذاتية والموضوعية ـ التي تختلف عن ظروف الجيل الذي سبقه أو الذي سيخلفه . لجيلي مشاكله ، ورؤاه ، وقضاياه . وللاجيال السالفة أيضا مشاكلها ورؤاها وقضاياها . ولعل جيلي كان وما يزال جيلا غير مستقر وهذا بدهي لانه جيل مخاض التحولات الهائلة المنتظرة في بنية المجتمع وفي العلاقات الاجتماعية من الزوايا الاقتصادية والفكرية والسياسية .

لقد عالج فنانو الاجيال السابقة قضايا عصرهم كما فهموها ، كما عانوها . وأنا احترم معالجاتهم جميعا . ولكنني لن أكون عبدا لاساليبهم الفنية كما لم يكونوا هم بالذات عبيدا لاساليب الذين سبقوهم . لا استطيع الانفصال ، لحظة واحدة ، عما يجري حولي .. في هذا العالم الواسع الضيق ـ فالعلاقة ديالكتيكية بيني وبين ما يحيط بي . ورغم ذلك فان هذا لا يجعلني مقلدا . مثلا أنا احترم اشد الاحترام جيل الخمسينات ، وبما انني اعيش ظروفا متحولة متبدلة ، فانني اجهد نفسي بحثا عن مضامين ذات شمول انساني ، وتؤرقني مسالة البحث

عن اشكال جديدة للتعبير فهمتي ، في الحقيقة ، لا تنحصر في ـ التفسير ـ بقدر ما تنحصر في التغيير ـ أي ثمة ـ فعل Action ـ ! استنكر في الشباب قولهم انهم « جيل بلا اساتذة ! » واعتبره رد فعل سخيف ، فهذا القول ليس كافيا للدلالة على ذلك • انني الح ـ دائما ـ في الاعمال الفنية الشابة ذلك التأثير ـ الذي تتفاوت كميته ـ والذي تركه الجيل السالف •

السؤال الثالث :

لقد سميت منذ كان عمري ستة أعوام « لاجئا » حيث فتحت عيني على ازيز الرصاص ، والنزوح من قمة الكرمل الى البصرة ـ جنوب العراق • مجتمع المخيمات ، والمجتمع العراقي ، والعنف الذي يميز العلاقات في بلاد الرافدين منذ ١٩٤٨ ـ ١٩٦٣ هي الخلفية الاجتماعية في حدودها الواسعة العامة • ما يكمن في الداخل كان محصورا ضمن اطر عديدة أهمها : البحث عن خلاص في عالم مقهور ، متفكك ، يسوده العنف والصخب • فك القيود التي تقف دائما حجر عثرة بيني وبين ما اصبو اليه ، كلمة « لاجيء » تلاحقني دائما .أشعر انني طريد طوال أكثر من عشرين عاما •

لقد وقعت كغيري فريسة الايديولوجيات التي أدت الى النكبة الاولى (١٩٤٨) ، والتي ادت الى هزيمة ١٩٦٧م • ووقعت كغيري فريسة التنظيمات التي تبنت هذه الايدولوجيات مع مراعاة شيء اساسي لم تكن جميع هذه الايديولوجيات خاطئة الا ان تطبيقها كان دائما خاطئا • ولكن هذا المرض لم يتغلغل في جسم اعمالي الفنية بشكل خطير • اتجهت منذ عام ١٩٦٦ نحو آفاق جديدة ـ الفكر الانساني العالمي ـ وبدأت أومن ايمانا واعيا بالاشتراكية العالمية وبالتفسير المادي للتاريخ •

الاطلاعات المختلفة على الفكر والفن في العالم كان لها آثارها الواضحة في انتاجي مع الاخذ بعين الاعتبار ذلك التطلع المتأجج في اعماقي نحو التجديد الدائم في الاشكال والمضامين بحيث تكون ذات شمول انساني مع كونها مرتبطة ارتباطا تاما بالارض ، وبالناس الذين يعيشون معي والذين اعيش معهم • وفي هذا كله اتجه باصرار ، بتصميم ، وبوعي محاولا الاسهام ـ الفعلي ـ في عملية بناء المجتمع الجديد • انا مع التغيير الثوري الشامل لجميع العلاقات الاجتماعية في الوطن العربي وفي العالم المتخلف والرأسمالي بحيث تسود العلاقات الانسانية القائمة على العدل والمساواة في ظل نظام اشتراكي علمي • وعلى هذا فموقفي من قضيتي ينبع من تحديد مبدأي للعدو الذي هو في الحقيقة : الامبريالية ،الصهيونية والرجعية ـ أي جميع اسباب التخلف الفكري والاقتصادي والسياسي •• الخ • وبهذا المنظار أرى قضيتي الفلسطينية كجزء من قضايا عالمنا المعاصر الذي يدور فيه صراع بين قوتين اساسيتين : الامبريالية من جهة وجميع قوى التقدم والحرية الانسانية من جهة أخرى • ان الهدف النهائي لمعركة جماهير قوى التحرر والتقدم هو الخلاص من جميع اشكال السيطرة والاستغلال لبناء عالم جديد يسوده السلام وبالتالي فمعركتي مع الصهيونية هي معركة تقف الى جانب معركة شعب فيتنام ، وجميع الشعوب الاخرى من أجل الهدف الاشتراكي (•)

[١٢

سوريا

الاسم : رجاء ياسين	**انتاجه الفني :** القصة القصيرة والشعر •
السن : ٢١ سنة	ـ **المنشور:** قصتان وقصيدة •
الجهة التي يعمل بها :	ـ **غير المنشور :** مجموعة قصصية وأخرى شعرية •
دخله الشهري :	

السؤال الاول :

منذ ان أبصرت النور ، وحب الفن يسري في عروقي • بدأت أول مابدأت بكتابة قصص الافلام التي كنت أشاهدها في دور السينما على شكل سيناريوهات ساذجة في صياغتها • في الرابعة عشرة من عمري كانت لي محاولات في كتابة الشعر المنثور لازالت مستمرة حتى الان • عام ١٩٦٥ ، اتجهت لكتابة القصة القصيرة وشجعت على الاستمرار في مجالها من قبل الاستاذ القاص سعيد حورانيه وهكذا بدأت يحدوني الطموح على أن قراءاتي الى وقت غير بعيد كانت ، ومن المؤسف ، مقتصرة على الادب المترجم رغم تجاريته •

والحقيقة هي أن الكاتب المبتديء سرعان ما يتملكه الغرور أمام أول مبادرة كتابية تصدر عنه وبالتالي يعتقد أنه أصبح في عداد الكتاب فتبهره العناوين الضخمة والاسماء اللامعة من كتاب الغرب •

وكالخفاش السابح في العتمة

أمضيت عدة سنوات وكلي اعتقاد أن أدبنا العربي ليس على مستوى أن يقرأ !! الا أن الواقع غير ذلك بالطبع . فالاعمال الادبية لكتابنا الكبار أثبتت أنها على مستوى رفيع تمكن البعض منها من عبور المحيطات الى العالم .

السؤال الثاني :

علاقتي بالزملاء الفنانين والكتاب ودية وطيبة ، هي علاقة تلميذ وصديق مع أساتذة وأصدقاء . أما بالنسبة لعلاقتي بالاجهزة والمؤسسات الفنية فهي حديثة العهد تدخل في المجال الاذاعي ، وبعض الصحف (كالطليعة) السورية التي لاقت قصصي لديها ترحيبا وتشجيعا ونقدا بناء مشكورا .

موقفي من الاجيال السابقة موقف المستلهم الجاد لكل ما هو فعال وايجابي وخلاق ، لصبه في قالب جديد أكثر تلاؤما مع روح العصر . وهو بالتالي عملية وأد شامل لجميع المفاهيم السلبية الغارقة في العنكبوتية تلك التي تعيق التطور الاجتماعي بشتى أنواعه .

المجال العملي لا زال ملغى من حياتي حتى الان بسبب بعض العقليات المتخلفة الشاذة التي مازالت تعتبر مقاييس الفضيلة والشرف : حجاب الفتاة ولزومها قعر دارها . الا أن ممارسة الحرية في مثل هذه الحالات تبدو لي عملا فدائيا لا يخلو من نضال ، عملا فدائيا يحتاج الى دعم معنوي . فلقاءاتي مع الناس التي تتم أحيانا عنوة أمر بديهي لا مفر منه ، واحترامهم لموقفي التحرري ونتاجي المتواضع هو بمثابة الدعم المعنوي لي .

السؤال الثالث :

ألخص المؤثرات المختلفة التي أثرت ولا تزال تؤثر في ابداعي الفني على النحو التالي :

● جو متعصب متزمت الى حد الانغلاق التام ناتج عن تصوف ديني وانحلال في الروابط العائلية . حرمان المرأة من ممارسة حقها في الحياة كعنصر فعال في المجتمع . بيئة بورجوازية صغيرة غارقة بالتطلعات البوهيمية والتناقضات الشرسة . كراهيتي الوحشية للانتهازية والسلبية والنفاق الاجتماعي والتعقيد والتشويه والتأكيد المريض على (الانا) . أحبذ الفكر الماركسي . الصراع بين الواقع والتغيير . ايمان مطلق بالانسانية وفاعليته وبالحب والخير والسلام .

● **من حيث الادب** : تأثري بمدرسة الواقعية الاشتراكية المتمثلة بكتابات **غوركي** ، **شولوخوف** ، **هيمنغواي** ، **حنا مينة** ، **سعيد حورنية** . وأعمال **نجيب محفوظ** عن الطبقة الوسطى للشعب المصري . كذلك الشعر الثوري الملتزم في قصائد **ناظم حكمت** ، **ماياكوفسكي** ، **كاريسياالوركا** ، **بابلونيرودا** .

وأدب ما بعد النكسة المتمثل بشعراء الارض المحتلة وغير أولئك ممن كانت لهم فعالية كبرى في تغيير أوضاعهم الاجتماعية والسياسية بالثورة على جميع أطرها ومضامينها واسماع صوت الكرامة الانسانية للعالم .

● برأيي لا يمكن للفن بأي شكل كان – وهنا أؤكد – الاقتصار على خدمة قضية الفن فقط باعتباره أولا وأخيرا فنا مسئولا ، ولكونه أعلى مراحل الاحساس والشعور والتفاعل والشمولية .

● بالنسبة لقضايا العالم المعاصر : قضية فلسطين ، قضية فيتنام ، مكافحة الصهيونية والامبريالية العالمية ، كلها قضايا ذات أهمية قصوى بالنسبة للشعوب وتحررها . ولابد للكاتب الذي يملك الوعي الفكري والاجتماعي من النضال بفنه لاجل التحرر والانعتاق من القيود التي يفرضها الاستعمار والرجعية بمختلف الاساليب . كذلك لابد له من النضال بفنه والعمل الدائب المستمر وتأكيد الالتزامات في المجالين النظري والعملي لبناء الاشتراكية والتقدم والسلام .

[١٣]

سوريا

الاسم : سهل كومين

السن : ٢٣ سنة

الجهة التي يعمل بها : طالب حقوق – سنة رابعة

دخله الشهري :

انتاجه الفني :

أ – المنشور : بعض القصص في المجلات .

ب – غير المنشور : مجموعة قصص قصيرة .

السؤال الاول :

ربما هو الزقاق الذي نشأت فيه ، أو حساسية ذلك الطفل الذي كنته في التقاط التفاصيل اليومية الصغيرة وعشقها ، والبحث عن حكايات الجدة وراء المزاريب الباكية والعرجوم المشتعل .

ثم تأتي المطالعة وتشجيع أستاذ الادب . كتبت قصصا عن مغامرات غرامية فاشلة وأنا في

الثانوية منذ ست سنوات • ثم انقطعت لاقرأ ، وبدأت الكتابة الجادة بعد حزيران ١٩٦٧ •

السؤال الثاني :

علاقتي مع الادباء محدودة ، ولم تزل في بدايتها ،وان كنت اقرأ لهم جميعا . مع المؤسسات علاقتي اوهى . وبالرغم من أن جيلا شابا أخذ يقودها فأن أساليب تقبله للاقلام الجديدة مستعارة من الجيل السابق • كل منهم نسى متاعب بدايته بعد أن حل مشاكله بأسلوب فردي •

في الحديث عن الاجيال الفنية السابقة اريد أن أستعيد مثال الدكتور على الراعي عن الملك لير وكورديليا التي سأكون ايجابيا أكثر منها في نظري للاجيال التي سبقت . والتي وجدنا انفسنا مضطرين لاستعمال لغتها .

يجب تمثل انتاج الاجيال السابقة منذ سار حادي العيس يشدو أمام القافلة،وحتى اليوم. ويبقى شرعيا حق جيلنا في ابتكار أشكال جديدة للتعبير عن مشاكله الجديدة • أما الانطلاق من الفراغ الثقافي فلا يعطي الا ثقافة فارغة • من ناحية ثانية أؤكد على موقف كورديليا من حيث اعتماد « أسلوب يقوم على الاعتراف بانسانية الانسان ، ويرفض الوصاية المستندة على مجرد السلطة ، ويطلب أن يكون الاحترام نتيجة لعمل ، وليس ارثا • أو وقفا أو وظيفة » •

السؤال الثالث :

لن يستطيع هذا الحيز الضيق الاحاطة بهذا الموضوع الاساسي • سنحاول بلمسات بسيطة وسطحية أن نوضح الصورة • يجب الانطلاق في البداية من واقع اني انتمي اجتماعيا الى الطبقة المتوسطة في المدينة كالكثيرين من الادباء أبناء جيلي ، الذين دفعتهم الظروف المعيشية ــ فلنقل غير المستقرة ــ والقدر المعين من الثقافة الى الانسلاخ عن طبقتهم ليحاربوا في صف التقدم ، ضد أشكال الاستغلال والفقر والجوع والجهل والمرض اللا انسانية ، والذين توصلوا الى قناعة بأن الملكية الاجتماعية هي القادرة وحدها على تيسير الحياة الكريمة للفنان والانسان بوجه عام •

ان شراسة المواجهة مع قوى الامبريالية والصهيونية والرجعية لم تترك مجالا للتذبذب • أما الاسود أو الابيض • ليس للرمادي مكان . «من ليس معي فهو علي » • وداخليا يكون المحك الحقيقي لثورية المثقف في وقوفه الى جانب التغييرات الاقتصادية والاجتماعية •

العدوان الاسرائيلي الاخير جاء ليعمق هذه الظلال ويؤكدها ، والجواب يسمع اليوم من بنادق الفدائيين ومن ازدياد التلاحم مع الجبهة العالمية المعادية للامبريالية • والفنان الصادق يجد نفسه بصورة طبيعية جنديا في صفوف هذه الجبهة • انطلاقا من هذه العلامات يمكن للفنان أن يتخذ مواقف مبدئية من كافة قضايا العالم المعاصر وأخصها نضال الانسان ضد هجمات الامبريالية في فلسطين وفيتنام وتشيكوسلوفاكيا وغيرها •

سوريا

الاسم : خلدون الشمعة
السن : ٢٨ سنة
الجهة التي يعمل بها : المحرر الادبي في مجلة « الطليعة » الدمشقية
دخله الشهري : غير ثابت •
انتاجه الفني :

أ ــ المنشور : أكثر من مائة مقال ودراسة نقدية ــ قصص قصيرة مترجمة •

ب ــ غير المنشور : (عصر الاشكال) [قيد الطبع] [رجل بلا ظل] لكولن ويلسون •

السؤال الاول :

يعود اهتمامي بالنقد الادبي الى ما ينوف على عشر سنوات وقد اتخذ هذا الاهتمام منحى جادا في عام (١٩٦١) ، عندما فزت في مسابقة للنقد أجرتها مجلة « الاداب » البيروتية •

السؤال الثاني :

العلاقات مفقودة تقريبا اذا كان المقصود بالسؤال قيام حوار فكري متصل • تبقى العلاقات المهنية وهي كثير من الاحيان مستعبدة لمنطق الاعتبارات الشخصية الجامح ، ينغل فيها جرثوم الصدفة ، والضرورة • الا ان ثمة جانبا أشد اشراقا في هذه الصورة • فقد حاولت بصفتي مسئولا عن القسم الادبي

فى « الطليعة » الدمشقية ، ألا أدع النماذج الادبية العربية والمحلية ، والتى تظهر فى « الطليعة » تمر دون تقييم • وبالتالى يمكن القول ان عددا لا بأس به من تجارب الكتاب الشباب قد أمكن تقييمه انطلاقا من المنظور الاخلاقي والبديعى الخاص به ودون محاولة لفرض مقاييس نقدية تعسفية من خارج العمل الادبى • ولكن هذه التجربة النقدية تظل مكبلة باعتبارات كثيرة أهمها ان المجلة ـ باعتبارها تصدر اسبوعيا ـ تظل فى الحساب الاخير ، ميدانا لاكثر من مجال لا يمت بصلة الى الادب ، وبالتالى فاننى اخشى أن تطغى القيمة الآنية للنماذج الادبية التى تنشر على القيمة الفنية •

وقد حاولنا تجاوز ذلك عن طريق العمل على اصدار أعداد فصلية من « الطليعة » يكرس أحدها للانتاج الادبى • الا ان هذه المحاولة متعذرة التحقيق على مايبدو • فليس لدينا نقاد على الاطلاق • كما وان دكاترة الجامعة مصابون بجرثوم الكسل الروحى ، ولا علاقة لهم بما يصدر من أعمال أدبية محلية على الاطلاق • هذا بالاضافة الى انعزالهم الكلى عن تيار الثقافة المعاصرة (أحدهم يقدم قصة عربية فى البرنامج الانجليزى باذاعة دمشق ، دون أن يكون على معرفة بالواقع الراهن للقصة فى القطر السورى • فهو يكتفى بترجمة أية قصة تقع يده عليها ـ وكثيرا ما تكون بالغة الرداءة لاعتماده على القصص التى تنشر فى الصحافة اليومية ـ وتقديمها دون تجشم عناء التعريف بالكاتب (وهذا طبيعى) نظرا لان القصة المختارة كثيرا ماتكون أول محاولة له فى النشر) •

اذن فمن المتعذر العثور على ناقد أو دارس متخصص بمعنى الكلمة • وقد أدى فقدان القيادة النقدية الى بعثرة الانتاج وعدم وجود قنوات تستوعبه وتحدد مواقعه من لوحة الانتاج المحلى والعالمى • وفى الوقت الذى استطاع فيه كل من **زكريا تامر ، وحيدر حيدر ، وعبد الله عيد (قصة قصيرة) وحنامينة ، وهانى الراهب ، ووليد اخلاصى (رواية)** ـ على سبيل تعداد القلة لا الحصر ـ أن يفرضوا أنفسهم على الرغم من غياب الاساس النقدى الضابط، نلاحظ ان الاسماء الجديدة ـ على قلتها ـ ما تزال تتعثر على الرغم من تبجحها وادعائها • لا بل ان هذا التبجح والادعاء هو حصيلة طبيعية لغياب النقد حتى بصورته البدائية الساذجة • (لم نطمح الى ظهور تيارات نقدية بعد) • قد يقال ان فى هذا الحكم جموحا • الا ان دحضه ليس من السهل اطلاقا • اذ أين هم النقاد والدارسون الذين أرخوا (نقديا وليس تسجيليا) لحركة القصة والرواية فى القطر السورى ؟ • • واذا ماظهر بعضهم قبل عقد من الزمن ، فأين هو الان • ؟ • • ثم كيف يمكن ان تخلق المؤسسات الثقافية أصلا فى حال عدم وجود طليعة مثقفة (وليس متثاقفة) قادرة على القيادة ؟ • •

السؤال الثالث :

لقد بدات سنوات تكوينى الفكرى والثقافى على نحو مضطرب جدا • • وذلك لانها كانت تتبع ـ كالمغناطيس ـ حركة الترجمة فى عالمنا العربى • وهى حركة أقل ما يقال فيها انها لا تتنفس برئة طبيعية • • ومن هذا الاختلاط العجيب اكتشفت أن رأسى محشو بالقطن ، وان تحديد مواقع نقدية حاسمة لى ، غير ممكن ـ الان على الاقل ـ الا اذا أردت الايمان بهذه المواقع النقدية ايمانا غيبيا يرفض المناقشة • ومن هذا المنطلق أصبحت قراءاتى تشكل محاولة خائرة ، شبه عاجزة للبحث عن أرضية ثقافية عربية • (قبل البارحة تصفق لكافكا ـ البارحة تلعنه ـ واليوم تباركه) •

وقد عمق العدوان الاسرائيلى احساسى بضرورة وجود مثل هذه الارضية الثقافية المنسجمة التى لا يمكن أن تتحقق الا فى ظل دولة عربية واحدة تعلن عن موقف عربى اشتراكى محدد (من المنظور الحضارى وليس السياسى) من التراث العربى والعالمى ، حتى يمكن تحطيم المدار المغلق الذى تدور فيه تطلعاتنا التى تقصر عنها انجازاتنا •

واذا ما انطلقنا من الدعوى القائلة بأن الادب وجميع فعاليات الفكر والوجدان ، انما هى انعكاسات للواقع فى الوقت الذى ينعكس فيه وهجها الصاعق أو الباهت على الواقع بدوره ، أمكننا أن نؤكد مجددا أن التنبؤ بصورة متبلورة للثقافة فى بلادنا مستحيل ، وان حسابات العدادات الالكترونية مستحيلة ايضا ، وان حلمنا كابوس واقعى مكيف الهواء له كلابه ذات العواء المقلوب ، وان واقعنا حلم كابوسى يغمر بموجه المتلاطم الحد الفاصل بين المأساة والملهاة ، وأن العذاب قد استعذب الى الحد الذى أصبحنا فيه مكرسين لمبدأ الحصول على فرص متساوية لخداع الحياة ، وان الكوارث فى حياتنا قد اصبحت أشبه شىء بأحجار تثير الدوائر من حولها حينما يرشق بها المستنقع ، ثم لا تلبث أن تسكن بعد لحظات ، وان الضمير أصبح عادة سيئة ، والشجاعة فرارا من وضع أقصى الى وضع أقصى آخر •

ثم من قال ان لدى حقا الهيا مزعوما فى الادلاء برأيى فى قضايا العالم المعاصر ، قبل أن أثبت جدارتى فى الحياة أصلا ؟ • • وقبل ان أكف عن الاكتفاء من المشهد بالتصفيق ؟

فلسطين

[١]

الاســـم : مريد البرغوثي
(فلسطيني من الضفة الغربية)
السن : ٢٥ سنة
الجهة التي يعمل بها : مدرس بالكويت

دخله الشهري : ٩٥ دينارا
انتاجه الفني :
المنشور : قصائد
غير المنشــور : ديوان لم ينشر بعد بعنوان (طائر التــلال الغاضبة)

السؤال الاول

بدأت عـــلاقتي بالشعر عندما كنت طالبا في مدرسة رام الله الثانوية بالضفة الغربية لنهر الاردن ، كنت قارئا متحمسا للشعر ، وفي نفس الوقت كنت أبذل بعض المحاولات لكتابة قصائد كنت أتوهم اني مقتنع بها آنذاك ، ولكني الان أرفضهـا جميعا ، فقد مر منذ كتـابتها سنوات عديدة تغيرت فيها كثيرا وتغيرت كذلك الحياة، والمفاهيم والاشياء •

بدأت الانتاج الشعري الذي يمكن لي الان أن أتبناه وأدافع عنه ، واتمسك بجدارته ، أثناء دراستي الجامعية في كلية الاداب قسم اللغة الانجليزية بـآداب القاهرة ، وكان ذلك سنة ١٩٦٣ ومنذ التحاقي بالجامعة حتـى الان ، أي خلال ست سنوات ، استحوذ الشــعر على اهتمامي المركز وأصبح « قضية بـالنسبة لي •

بالنسبة لزملائي الشـــعراء ، فاني أعتقد أن كل الاصوات الاصيلة التي ترتفع منادية بكل ما هو شريف وكل ما هو حقيقي في عالمنا تشكل قوة روحية واحدة ، حتى وان تعددت تلك الاصوات وتبــاعدت جغــرافيا • ان الشعراء « الحقيقيين » في انحاء وطننا مرتبطون بقدسية الكلمة الحرة والداعيـة الى حـرية الانسان • وعلـى المـؤسسات والاجهزة التي تتولى نشر الشعر أن تفتح صدرها وأبوابها لهؤلاء الشعراء التقدميين فقط • وعليها أن تعزل الاصوات المـزيفة الصفراء والوجوه المقنعة عزلا تاما • ان الجماهير لم تعد تقبل سماع تلك الاصوات البـاهتة ، ولكن الجمـاهير ـ لـلاسف الشديد ـ تصطدم بهذه الاصوات وأصحابها وتصطدم بـانتاجهم الغزير في بعض وسائل الثقافة من مؤسسات وأجهزة النشر التي تضطلع بمثل هذه المســئولية الجسيمة والخطيرة • وقد يقول البعض ان الجماهير هي التي تحتضن الفن الحقيقي وتحميـه وهي التي تسقط الادعياء فيـه والمزيفين ، وعلى صحة هـذه الحقيقة ، الا انه يجـب أن لا يسمح للزيف أن يعيق الانتاج الحقيقي ويمنع وصوله للناس •

وما من أديب يستغني عـن النشر ، ولكن كـل الادبــاء الحقيقيين يرفضون الوصول الى الجماهير بطرق ملتـوية ، والا وقعوا في تناقض خطير بين ما ينادون به من نقاء في القيـم الفكرية وما يسلكونه من سبل في سبيل ذلك • ولعل دور النقد هنا يبرز بشكل ملح جـدا • فلكي يتطهر الادب يجب أن يتطهـر النقد • وحتى يسود في الادب كل ما هو نقي ونزيه ، يجب أن يسود في النقد كل ما هو نقي ونزيه كذلك •

السؤال الثاني :

انني أعمل حاليـا في حقـــل التـــدريس (تدريس اللغــة الانجليزية) وبالتالي يظل الشعر بالنسبة لي قضية اهتمام فردي لا علاقة لها بطبيعة العمل • ولكن الشعر قضيتي الحقيقية ، دراسة وقراءة وانتاجا، وله الدور الاول في شئون حياتي الحاضرة وفي المستقبل •

نعرف جميعــا أنه لا يمكن الفصل بين الاجيال الفنيـة ، فعصور الفن متداخلة كالامواج كما يقولون ، ولكن زمننا يفرز أصواته الان كما لم يحدث من قبل في أي مرحلة زمنية سابقة • ان العصر الذي قدم شعراء بدايات هذا القرن ، يختلف تماما عن هذا العصر بنفس المقدار الذي يختلف فيه السياب والبيـاتي ومحمود درويش وسميح القاسم عـن شـوقي وحـافظ والبـارودي والرصافي على سبيل المثال • ان شعرنا الان ليس فيه متسـع لاغراض المديح والهجاء والفخر والوصف والغزل التقليدي • انه لا يمكن تجاهل التراث كما انه لا يجب تقديسه أيضـا •• والا لتجمدت الاشياء • وأكاد أقول هنا ، ان جيل الشعراء الان ، هو ردالفعل الطبيعي لشعراء بدايات القرن الذين لم تخرج كتاباتهم عن

نطاق الاغراض الشعرية التقلدية الغابرة •

السؤال الثالث :

في العالم : هذا زمن الاشتراكية ، انها ايقاع العصر ، أو هكذا يجب أن تكون • انها بكل ما يتبعها من قيم شريفة ونبيلة تنعكس بوضوح على كل الفنون الجديدة بالبقاء ، وهي احدى المؤثرات الكبيرة التي تلون الفن المعاصر ، وينعكس النضال من أجل تحقيقها على مواقف الفنانين عموما •

وفي هذه المنطقة من عالمنا : نعيش ومعنا تعيش فلسطين ، القضية في نفوسنا وفي بيوتنا وفي ثقافتنا ، قضية فلسطين والعدوان الاسرائيلي الامبريالي .. ان القهر في فلسطين هو القهر في فيتنام والقهر أفريقيا . والقهر في كل مكان . والحرية للانسان في كل أرض ، واحدة كذلك .

واذا سلمنا بأن بعض قيمنا الفاسدة قد ساهمت في هزيمتنا عسكريا ، وان حرب حزيران قد كشفت عن كثير من الزيف الذي كان يلون بعض مظاهر تلك القيم ، فاننا الان ، وقد مزقنا قشرة ذلك الزيف نطالب بأن يأخذ الفن الحقيقي مكانه في الساحة وأن يسود نقيا مخلصا يتشوف آفاق الخلاص من المحنة • وأن يبعث في النفوس الامل والعزيمة ويبعدها عن الاحساس الرخيص بالاندحار والاحباط •

انني ، الى جانب تلك المؤثرات الاجتماعية والسياسية العامة اعتبر ان تراث الشعر العربي التقدمي وجهود الشعراء في أنحاء العالم لا يمكن أن يغيب عن الاعتبار اطلاقا •• ان الشاعر في هذا الوقت لا يستطيع أن ينفصل عن تراث الاسلاف في كل مكان • وسيستمر الشعر يؤدي رسالته العظيمة في تغيير هذا العالم الى الاحلى والافضل • فهناك دائما أحلى وهناك دائما أفضل •

[٢]

فلسطين

الاسم : محمد عزالدين المناصرة

السن : ٢٤ سنة

الجهة التي يعمل بها :

متفرغ لاعداد رسالة ماجستير في الادب — جامعة القاهرة

دخله الشهري : ١٨ جنيها .

انتاجه الفني :

المنشور : ١ — الدم في الحدائق. مجموعة شعرية مشتركة صدرت هذا العام عن دار الكاتب العربي بالقاهرة — قصائد ودراسات متفرقة بالمجلات الادبية العربية.

غير المنشور : ١ — الخروج من البحر الميت — اضاعوني — قفا نبك •• ثلاث مجموعات شعرية لم تنشر ••

٢ — أغنية السمك المسموم مسرحية شعرية لم تنشر •

السؤال الاول :

في التاسعة أو العاشرة من عمري •• وقعت يدي على كتاب يجمع نصوصا شعرية • كانت آنذاك مقررة على طلبة الثانوية الاردنية ، قرأت هذا الكتاب وحفظت معظم أشعاره •• لم أكن أعرف يومها ما معنى الشعر ولا أعلم انني سأكون شاعرا ذات يوم •• ولكنني أذكر انني كنت أجد متعة بالغة في هذا النوع من الادب « الشعر » •• وعندما بلغت الثانية عشرة بالتحديد كتبت قصيدة من بيتين لا أكثر قرأها مدرس اللغة العربية وشجعني وأطلق علي لقب « شاعر » أمام التلاميذ •• كان هذا في السنة السادسة الابتدائية •• وفي سن الرابعة عشرة كتبت مجموعة من الابيات المكسرة عروضيا في مدح فريق مدرستنا لكرة القدم الذي انتصر على مدرسة أخرى ، وقصيدة أخرى في هجاء مدرس الرياضيات وثالثة في هجاء أحد الملوك العرب •• وقد نشر لي مدرس آخر قصيدة من عدة أبيات في جريدة « المساء » في القدس •• فرحت يومها فرحا شديدا لانني وجدت اسمي مطبوعا في الجريدة للمرة الاولى في حياتي •• بل لم أنم تلك الليلة من فرط سروري، وفي الصباح أطلق على زملائي لقب « شاعر مدرسة « بني نعيم » الاعدادية » •• قرأت في دراستي في المرحلة الاعدادية اشعار : المتنبي وابي فراس وأبي العلاء والبحتري وعلى محمود طه وشعر المهجر كله وقرأت باللغة الانجليزية قصائد لشلي ووردزورث ووليم بليك واللورد بايرون وطاغور ..

ولا زالت في ذاكرتي أسماء بعض قصائدهم : القبرة - العندليب - الى النرجس - الطفل الاسود أو كناس المداخن - كولومبس وقصيدة صلاة لطاغور . وقرأت قصص **نجيب محفوظ ، وكامل كيلاني** ، و**المنفلوطي** ومقالات **جبران خليل جبران** .. بل لقد قرأت « ماجدولين » ست مرات وبول وفرجيني مرتين وقرأت الكوميديا الالهية لدانتي في طبعات شعبية وألف ليلة وليلة . الخ .

وفي دراستي الثانوية نشرت لي صحف عمان والقدس قصائد تحت اسماء مستعارة مثل « المتنبي الصغير » و « ابو فراس الناصرة » و « القروي الصغير » .. الخ ..

وقرأت قراءة منظمة ومرهقة الى درجة مميتة . ووضعت لنفسي برنامجا سنويا للقراءة والنشر وكتبت في سن السابعة عشرة الشعر الحر قلدت فيه عبد الوهاب البياتي وكنت أجد في شعره تشابها واضحا مع شعر أبي فراس الحمداني الذي احببته من قبل ومع شعر المتنبي .

وانا أعتبر عام ١٩٦٣ هو البداية الحقيقية لشاعريتي وفي أواخر عام ١٩٦٤ توجهت الى القاهرة للدراسة وبدأت بداية جديدة غيرت حياتي بكاملها .

السؤال الثاني :

توثقت علاقتي بزملائي الفنانين عن طريق الندوات الاسبوعية التي تقيمها الجمعيات الادبية وفي ردهات مباني الجرائد والمجلات وفي المقاهي التي يتردد عليها مجموعة من الشباب المثقف .

أومن ان هناك تخمة في عدد الشعراء والقصاصين ، وأن الاصالة الفنية لا تكمن الا في عدد قليل منهم وأستطيع أن أقول رأيي بشجاعة في اي زميل منهم اذا طلب مني هذا وعندها انفجر كالبركان من الغيظ في نقدي للفنان الرديء وتراني اتطرف في امتداح الموهوب والاصيل والمقياس الذي اقيم عليه علاقاتي الشخصية مع زملائي مقياس واقعي ومنطقي .. هناك زميل سيء الفكر جيد الشعر ومع هذا أحترمه، وهناك فنان جيد الفكر سيء الشعر وأنا اسكت عنه أما اذا جمع هذا الفنان بين رداءة الفن والفكر وهو في الغالب يكون من المرتزقة فأنا أول من يحاربه ويقاومه . وأنا في الغالب افضل اصدقائي ممن التقى معهم فكريا وفنيا .

اما عن علاقتي بالاجهزة والمؤسسات المتصلة بهذا الفن « الشعر » فتربطني علاقات طيبة ببعض المجلات والصحف ولكن الخلاف يأتي من محاولة فرض اتجاه هذه الاجهزة على نتاجي وعندها أرفض التعامل معها .. هناك مثلا بعض المجلات والصحف تربطني بها صلة وثيقة ولكنها للاسف لا تنشر الا قصائدي العادية وترفض اية قصيدة جريئة، سياسيا او اجتماعيا او دينيا .. ومن هنا اقاوم وامتنع عن نشر اشعاري لمحاولة هذه الاجهزة التحكم في الفن تحكما متعسفا ، أما عن علاقتي بدور النشر فهي علاقة سيئة في الغالب ، اذ لا أجد ناشرا الا ويجري وراء الاسماء اللامعة الكبيرة ليضمن الربح التجاري حتى لو كانت هذه الاسماء تكتب عن مغامراتها العاطفية في القصة أو شعر المراهقين الكبار ، أما الشاعر أو القصاص الشاب فيتضور جوعا لكي يجمع من مصروفه اليومي ما يعينه في لم شمل مجموعة صغيرة من نتاجه الذي كتبه قبل خمس سنوات على الاقل .

علاقتي بالجيل القديم علاقة مزدوجة .. بمعنى انني أقدرهم وأضعهم في موضعهم الحقيقي كرواد للحركة الجديدة ولكني لا أخضع لهم بل أحاول ان اتجاوز اخطاءهم .. فانا لا أنسى انني كتبت شعرا جديدا بعدما قرأت **لعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور وأدونيس وخليل حاوي واحمد حجازي ، وبدر شاكر السياب** » قبلهم جميعا .. لقد أفدت من كل واحد منهم في مرحلة تكويني والتي اعتقد انها انتهت، وانني بدأت أبحث عن نفسي بصياغتي الخاصة ، اعترف بريادتهم لانها كانت نقطة البداية ولكني اعترض على الاجيال التالية للرواد ممن سبقوني بثلاث أو أربع سنوات على الاكثر في محاولتهم للالتصاق بالشعراء الرواد أو محاولتهم جعل فروق بينهم وبين الجيل الجديد وكأن أربع سنوات تشكل شيئا في عرف التاريخ الادبي هؤلاء الشعراء هم جيل الوسط الذي يعيش على أمجاد السبق الزمني للجيل الجديد وغالبا ما يكون هذا الفرق الزمني لا يتجاوز ثلاث سنوات .. هذا الجيل الذي ضاع كما يقولون « بين حانا ومانا » .

وبالاضافة الى صلتي الفكرية بالرواد فهناك صلة شخصية تقوي الصلة الاولى، فهناك أربعة مثلا ممن ذكرتهم تربطني بهم صداقة متينة واعترف لهم بالاستاذية وان كنت آخذ عليهم بعض المآخذ كصمتهم عند حدود ذكر أسمائهم عند الحديث عن الشعراء الرواد أو عدم تشجيعهم للجيل الجديد الا بمقدار وبمواصفات خاصة .

وهناك علاقة خاصة بيني وبين من سبقوني في الشعر الفلسطيني بالذات فأنا احترم اسماء بعينها : **ابراهيم طوقان - عبد الرحيم محمود - أبو سلمى - معين بسيسو - يوسف الخطيب - سلمى الجيوسي - فدوى طوقان** »

وأنا أقدر من سبقوني بسنوات قليلة كمحمود درويش وتوفيق زياد وسميح القاسم .. وأعشق شعر الجواهري ومحمد صالح بحر العلوم ومحمود حسن اسماعيل من التقليديين العرب .

السؤال الثالث :

اومن ان على الشاعر أن يكون فنانا ومفكرا ، اومن بالايجابية الصادقة في الفن ، هذه الايجابية التي ترتكز على رؤيا واقعية صادقة ، هذه الايجابية التي تمتلك رصيدا واقعيا يثبت صدقها ، والصدق هو المقياس الصحيح الذي يجعل من الرؤية الشعرية عملا فنيا تقدميا .. انني اعتقد مؤمنا أن الشاعر الذي « يصف خيام اللاجئين في أول القصيدة ويحطم اسرائيل في آخرها » ليس بشاعر أولا ولا هو يخدم القضية العربية حتى لو اقسم بالله العظيم ثلاثا أنه صادق فيما يقول لان حسن النية لا يكفي ولان هذا الشاعر يرى الاشياء رؤية خارجية تشبه كاتب المقال . ولا أوافق على تيار الاغتراب المزيف والنواح الكاذب والعبث وما الى ذلك ولكنني احترم الشعر الحزين، وهناك فروق كثيرة بين الحزن والنواح لان الحزن الحقيقي يستمد رصيده من أرض الواقع .. ان الحزن العميق الذي ينضح به نشيد الاناشيد ومزامير داود هو حزن صادق ، ويوجد في الشعر الفلسطيني ما يشابهه ، ولذا فأسلوب المزمور ١٣٧ في التعبير عن القضية التي تحدث عنها اعجبني أكثر من شعر المنفى في الشعر الفلسطيني وأعمق من كل الايجابيين في زماننا .

عندما كنت طالبا في الابتدائية وفي الاعدادية والثانوية اشتركت في المظاهرات في بلدي وهتفت للوحدة العربية وهتفت ضد الانفصال . وكان من الممكن أن تقتلني رصاصة من رصاصات جيش البادية ، حيث رأيت زملائي يسقطون صرعى أمامي وبجانبي ، اشتركت في مظاهرات ١٩٥٧ وكنت يومها تلميذا صغيرا وفي مظاهرات ١٩٦٣،١٩٦١ ، ولم تنجح للاسف هذه المظاهرات في تحقيق غرضها ، وهذا أورثني الحزن والشعور باليأس ، ورأيت بعيني المرتزقة يتدخلون في هذه المظاهرات . ورثت الحزن ولكنني لست متشائما من انتصار الشعب العربي على الرجعية والمرتزقة .

هناك صورة أخرى : كان لها أثر في نفسي ، تتمثل في الاقطاع الفلسطيني الذي تدافع عنه العائلات (العريقة) والتي تتنافس على الحصول على المناصب الوزارية والبرلمان بأي وسيلة وفي الغالب تكون الرشوة والتسلط هما الوسيلة الموصلة الى هذه المناصب ، وعائلتي من العائلات الغنية وصاحبة الجاه في منطقتنا ، أما عائلتي الصغيرة (الاب ، الام والاخوة) فأسرة متوسطة تعتمد في دخلها على الوظائف العادية ، وقد اورثتني هذه الظروف حقدا على العائلية والاقطاع أولئك الذين (يتعبون من الراحة) وقد عبرت عن حقدي هذا في مناقشة حادة مع والدي عندما كنت طالبا في الثانوية ناقشته في حب الجيل القديم ـ جيل والدي ـ للوجاهة والتسلط العائلي وامتلاك الارض دون العمل فيها بل تأجيرها للمتعهدين الذين يجمعون آلاف الجنيهات كما في غور الاردن مثلا ، لقد سعدت كثيرا عندما قرأت دراسة ممتازة للكاتب المصري صلاح عيسى بعنوان « في اصول المسألة الفلسطينية » عام ١٩٦٣ ، لقد هزني هذا البحث من الاعماق لانه البحث الاول الذي يشير بصراحة واضحة الى دور الاقطاع الفلسطيني في ضياع فلسطين .

صورة ثالثة هي صورة العمال من ابناء بلدتي الذين يعيشون في « جبل سرور » في مدينة عمان يكسبون قوتهم بطريقة شريفة ومؤلمة .. لقد عشت مع هؤلاء العمال في سقائفهم ونمت معهم على الحصيرة وأكلت « الجبن والزيتون والبطاطا » هؤلاء العمال يقضون ليلهم في التنكيت وذكر ما رأوه في بيوت السادة والمرفهين زرت هؤلاء العمال عدة مرات وكان الحزن يلاحقني دائما نسيت أن أذكر تلك البيئة الدينية التي عشت فيها .. أمي متدينة تقرأ القرآن وتصلي الفروض كاملة، أما أبي فهو مسلم تقليدي، وشيخ المسجد نصاب شهير وله في هذا قصص مشهورة ومع هذا فهو يخطب خطبة الجمعة .. لقد كان هذا الشيخ هو السبب الرئيسي في حقدي على الشيوخ.. تمنيت ان أجد مسلما حقيقيا كمحمد الثائر والنبي .

والصورة الاخيرة هي نكسة ١٩٦٧ التي جعلتني أعيش في شرود ذهني وكأن من فوقي كابوسا يلاحقني وما زلت حتى هذه اللحظة أعيش بهذه الطريقة .

أما المؤثرات الفنية فقد كانت تتمثل في قراءاتي الاولى ـ التي سبق ذكرها ـ ثم في دراساتي للشعر القديم حيث حفظت منه آلاف الابيات ، وقرأت قصص العرب وأحب التاريخ ودرست الشعر العربي الحديث منذ عصر النهضة حتى جاء الشعر الحر أو الحديث وقرأت بالانجليزية فقط شعر اليوت وروبرت لويل وروبرت فروست ومترجمات من شعر لوركا واراجون والوار وفابتزاروف وناظم حكمت وكان لهؤلاء جميعا أثر كبير على تعرفي على ما يمكن أن أقدمه للناس ، وأعشق أيضا الاغاني الشعبية والتي جمعت الكثير منها وحفظته عن أبي وجدي الذي كان زجالا شعبيا .. وقرأت القرآن الكريم

والكتاب المقدس قراءة جيدة ·· وقرأت المذاهب الاشتراكية فى العالم بصورة مبسطة ، وقد التهمت هذه الكتب التهاما بعد عام ١٩٦٤ فقط لان الاشتراكية قبل ذلك – وفى بلدى – كلمة مرادفة للزندقة والالحاد حيث فشلت الاحزاب التقدمية هناك فى استقطاب الجماهير بسبب قوة السلطة المعادية وأذكر اننا ندرسنا بعض المذاهب الاشتراكية فى الدراسة الثانوية بصورة مشوهة حيث يركز الكاتب على ان ماركس كان يهوديا ، ويشوه شخصيات انجلز وسان سيمون، ويفسر الفوضوية والسندكالية بطريقة منفرة كاذبة ·

هذه هى المؤثرات الفنية والاجتماعية والفكرية التى صبغتنى بلون حزين ووجدتنى أبحث عن شىء – « الاشتراكى المثالى » ·· الاشتراكى الذى يفعل ما يقول ولا يقضى ليله فى صالات هيلتون وشبرد وسمير اميس بحثا عن الراحة ·· · الاشتراكى الذى يكون سلوكه اليومى من الصباح الى المساء يكون سلوكا اشتراكيا ولكنى ضد حفظة المذاهب والاتجاهات دون أن يكون لديه ذرة من الاحساس بوطنه أو بالفقراء والنائمين على أرصفة الشوارع، هؤلاء الحفظة يشبهون الشيوخ الذين يظنون أنهم بحفظهم القرآن قد خدموا الدين والانسان ·· كلاهما « حفظة للمبادىء » فقط ·

ها نحن قد أطللنا على عتبة التغيير الاشتراكى الحقيقى ··· لقد أدرك هذا التغيير الفلاحون والعمال، أما المثقفون فما زالوا يعيشون بعقلية مزدوجة فهم من دعاة الاشتراكية ولكنهم يخضعون لتطلعات خيالهم البرجوازى المريض ·

اننى اتطلع الى شخصية الاشتراكى المثالى الصادق مع نفسه ومع الجماهير الذى يجمع المتناقضات دون ان يكون مرتزقا ·

[٣]

فلسطين

الاسم : محمد حسيب القاضى
السن : ٢٩ سنة
الجهة التى يعمل بها : اذاعة منظمة التحرير (فلسطين)
المرتب : ٣٠ جنيها ·
انتاجه الفنى :

المنشور : قصائد ودراسات نقدية – نشرت بجريدة اخبار فلسطين ·· وبعض المجلات العربية ·
غير المنشور : ديوان شعر كتبت بعض قصائده فى سجن غزة خلال فترة الاعتقال. والقصائد الباقية فى عمان والقاهرة ، كتاب يتضمن دراسات نقدية فى الشعر والقصة ·

السؤال الاول :

العلاقة بينى وبين القراءة الادبية والفكرية بدات على وجه التحديد عام ١٩٥٢، وكانت هذه العلاقة تتخذ فى البداية اتجاها الى قراءة الشعر بنهم شديد وبالذات الشعر العربى القديم متمثلا فى المتنبى وابى تمام والبحترى والمعرى وغيرهم ··

ولم استطع فى تلك السن ان افسر سبب اقبالى على قراءة الشعر الا بعد ما شعرت برغبة لا تقاوم فى افراغ بعض احاسيسى فى كلمات ·· وقد اتخذ هذا التعبير شكل قصيدة ·· نشرتها لى مجلة العالم العربى اعقبتها بعد ذلك بعدد من القصائد نشرت لى فى مجلة الثورة المصرية ، ومجلة صوت الشرق ، وصفحة الادب بجريدة الجمهورية والتى كان يشرف عليها فى هذا الوقت الاستاذ رشدى صالح ·

بعد ذلك بدات قراءاتى تتسع وتتعمق ·· فقرأت بول ايلوار واراجون وبابلونيرودا ·· واميلى ديكنسون ، ولويس وناظم حكمت وت·س اليوت · ماكنس ·

ومن شعرائنا العرب تأثرت الى حد ما بمدرسة ابوللو وبالذات بالشاعر على محمود طه ، كذلك تأثرت بالسياب والبياتى وخليل حاوى وادونيس ·

واعتبر بداية انتاجى الشعرى الحقيقى قد تبلورت فى القصائد التى نشرتها فى جريدة اخبار فلسطين ··· اثناء فترة اشرافى على تحرير صفحتها الادبية من ١٩٦٣ الى ١٩٦٦ ·

السؤال الثانى :

بالنسبة الى علاقتى بزملائى الكتاب والشعراء فانا اتابع انتاجهم وتطورهم باهتمام ·· وقد تسنى لى تناول بعض هذه

الانتاجات الشعرية والقصصية بالنقد والتعليق فى الصفحة الادبية باخبار فلسطين ومجلة الاداب البيروتية ، ومجلة الافق الجديد الاردنية ٠

اما بالنسبة الى علاقتى بالاجيال الفنية السابقة فاننى اعتقد ان الكاتب او الشاعر ليس نباتا شيطانيا يخرج من جدار - كما يصوره البعض - وبالتالى فلا اعتقد اننا ككتاب وشعراء فلسطينيين نستطيع ان ننكر منابعنا ومصادرنا التى ساهمت الى حد كبير فى بلورة جملة من القضايا الفنية والفكرية التى كانت وما زالت تشغل الضمير والبال ٠

فالثقافة العربية فى مصر كانت اكبر النوافذ التى أطللت من خلالها على مختلف اتجاهات الفكر واساليب الفن ، ولم يكن انفتاح ابناء جيلى من الكتاب والشعراء الفلسطينيين على طه حسين والعقاد والمازنى باقل من تتبعنا لكتابات محمد مندور ولويس عوض ومحمود امين العالم وعمر فاخورى وغنيمى هلال ٠ ولا يمكننى ان انكر مدى تأثير هؤلاء الكتاب والنقاد بشكل او بآخر فى طبيعة مرحلة التكوين الاولى ٠

وهناك مسألة على درجة من الاهمية ٠٠ اود ان اشير اليها فى هذا المجال ٠٠ وهى ان صراع المدارس الفكرية والفنية فى بيئة الثقافة الفلسطينية قد يختلف بدرجة او بأخرى عن الصراع التقليدى الموجود فى الحياة الادبية فى الوطن العربى ٠٠ وان كان يلتقى معه من حيث المتطلبات المرحلية المتصاعدة دوما فى اتجاه التطور ٠٠ ذلك ان جيل النكبة ٠٠ اى الجيل الذى افرزته الهزيمة الاولى فى فلسطين ٠٠ هذا الجيل لم يكن يشكل اتجاها عميقا فى حياتنا كشبان ٠

ان هذا الجيل من الكتاب والشعراء (النكبويين) كان يمثل مرحلة طبيعية لرد الفعل الذى احدثته النكبة عام ٤٨ ، وهكذا اكتظت الساحة الشعرية بالبكائيين والندابين على اطلال الهزيمة الاولى ٠

ومع ذلك فقد كان هناك نفر من الكتاب والشعراء الذين لم يكتفوا بالصراخ والعويل بين جدران النكبة الاربعة بل انطلقوا يدفعون سنوات من اعمارهم ثمنا للفعل الغائب عن أرض المأساة ٠ واذكر من هؤلاء الشعراء والكتاب الفلسطينيين معين بسيسو وعبد الرحمن عوض الله وفريد ابو وردة ٠

ان الصراع كان محسوما منذ البداية ٠٠ فاما ان يتحول الشاعر او الكاتب الفلسطينى الى مكبر للصوت ٠٠ والى قناع اعلامى ٠٠ واما ان يتخذ موقف المعارضة وبالطبع فان النوع الاخير هو القادر باستمرار على تغيير القيم السائدة ٠ وخلق جمهوره لانه وثيق الصلة به ولانه منه واليه ٠٠

اننى أومن بدور الشاعر ٠٠ وبما يمكن أن يسهم به فكريا فى حياة المجتمع ٠٠ وبأنه من الممكن ان يكون قوة محركة فيه وذلك اذا توفرت لدى الشاعر الشروط الفنية والموضوعية التى تؤهله لان يكون شاعرا حقيقيا يستبق الزمن ويتجه الى خط المستقبل ، وكلما كان الشاعر او الكاتب عميق الجذور فى ارضية الجماهير ، كلما استطاع التعبير عن القيم الايجابية بوضوح اكثر وبمستوى اعلى ٠

واذكر هنا قولة « لوتر يامون » - الشعر ليس فعل رجل واحد وانما هو فعل الجميع ٠
اما عن موقفى من شعراء الارض المحتلة ٠٠ فاننى ارفض محاولات بعض الكتاب والنقاد تصوير هذا الشعر وكأنه صاعقة نزلت من السماء ٠٠ فان هذه المحاولة تفترض وجود انفصال وغربة بين الحركة الشعرية داخل الوطن المحتل وصنوها فى الخارج ٠٠ ذلك ان شعر وطننا المحتل لم ينبت كشجرة اسطورية فى الفراغ ٠٠ وانما تفجر فى تربة المعاناة الموجعة التى اعطت كثيرين من الشعراء الفلسطينيين الذين قدر لهم ان يكونوا خارج نطاق الحصار الصهيونى ٠ وانا لا اعتقد ان الدور الذى يقوم به الشاعر الفلسطينى خارج الوطن المحتل باقل من الدور الذى يقوم به الشاعر فى الداخل ٠

ذلك ان مواجهة التحدى الصهيونى المستمر ستظل ترفد ادبنا وفكرنا على الدوام بادوات التفجير الخلاق للارادة الكامنة فى اعماق وجودنا العربى ٠ واننى اتطلع الى ان يلاقى الشعراء والكتاب الفلسطينيين الاهتمام الكافى والواجب فى الحركة النقدية بنفس الدرجة من الاهتمام الكافى والواجب من الحركة النقدية بنفس الدرجة من الاهتمام التى توجه الى الحركة الشعرية داخل الوطن الفلسطينى المحتل ٠ على اعتبار ان هذه الحركة الخصبة هى امتداد لمعاناة وهموم انساننا الفلسطينى خارج شريط الاحتلال ٠

السؤال الثالث :

فى الحقيقة ٠٠ لا اذكر اننى كتبت قصيدة غزل واحدة ٠٠ ذلك ان حياة المعاناة والضياع والقلق التى ترسبت فى اعماقى نتيجة للنكبة الفلسطينية ٠٠ قد جعلتنى محاصرا تماما باحساسات ابناء شعبى المشردين ٠٠

وحتى عندما انطلق من الذات فاننى افعل ذلك بهدف التعبير عن (الاخر) ٠٠ ساعيا من وراء ذلك الى تحقيق التحام الذات مع الموضوع مستفيدا من اساليب

الشعر العالمي •• وخصوصا تلك النماذج الرائعة التي كتبها ايلوار وناظم حكمت ونيرودا • ومالك حداد •• وربما دفعني ذلك منذ سن مبكرة الى ان اسقط من حيز قراءاتي كل مايمت الى الانتاج الادبي الرخيص بصلة . ولا يعني ذلك انني حكمت على نفسي بالوقوف محصورا في اطار قضيتي العامة •• بل سعيت الى ان اصل من خلال مطالعاتي الثقافية العامة الى مصادر اكثر ارتباطا باحساساتي وشواغلي الملحة كفلسطيني صاحب قضية •

وكانت عملية البحث هذه تقتضي ان اتصل بمختلف الوان الثقافة •• ان اقرا •• واقرا •• وان ازداد انفتاحا على عالم اوسع واعمق •

فانا كانسان فلسطيني يعيش ويعاني •• لم تكن الكتابة بالنسبة لي وسيلة لاستكشاف موقعي او موقفي من قضيتي •• ومن قضايا التحرر الوطني ، وقضايا التحولات الاجتماعية في العالم •• بل على العكس تماما فان هذه جميعها قد كانت وسائلي الى تحديد الدور الذي من الممكن ان اقوم به من خلال ممارسة الكتابة •

ولم يعد الفن بالنسبة لي مجرد انفعال طائش لايستند الى ضوابط وروابط فكرية تقود هذا الانفعال وتوجهه ، ولم يتضح هذا الموقف بالنسبة لي دفعة واحدة •• بل تبلور من خلال قراءات طويلة ومنتظمة في الفكر الوجودي • والفكر الماركسي والاطلاع على الانتاج الادبي الذي يعبر عنهما متمثلا في سارتر وكامو ، وماياكوفسكي ويفتوشنكو وغيرهم . وابادر فأشير الى انني لم اسقط في دائرة الحيرة والتردد شأن معظم الكتاب والشعراء .. ذلك ان وضوح وتحدد القضية التي اكتب واناضل من اجلها قد امدني بالضوء الكافي الذي انظر من خلاله الى كافة قضايا العالم المعاصر ، وعموما فان الموقف الذي يعيشه الفنان الفلسطيني هو موقف يتميز بخصوصية معينة ، تنعكس بكل ملامحها وقسماتها على النتاج الفلسطيني بشكل عام •

وطبيعة هذا التميز ، وتلك الخصوصية في موقف الفنان الفلسطيني تنبع من طبيعة القضية العامة ذاتها وتميزها من بين قضايا العصر »

واود ان اسجل في الختام •• انني عقب انطلاقة ثورتنا الفلسطينية المسلحة ـ قد بدأت اجد نفسي كشاعر • هذه حقيقة لا تنعكس على انتاجي بقدر ما تشمل الواقع الادبي والفكري على المستوى الفلسطيني ، فمع اندلاع الثورة الفلسطينية •• بدأت حياة جديدة للادب والفكر الفلسطينيين تتمثل فيما صدر حتى الان من دراسات وكتب ومجموعات شعرية . واخيرا اود ان اقول : انه ليس امامنا ككتاب وشعراء الا النضال الحقيقي من اجل شيء حقيقي في الادب والفكر »

فلسطين

[٤]

الاسم : احمد عمر شاهين
السن : ٢٩ سنة
الجهة التي يعمل بها : مدرس
المرتب : ٣٠ جنيها
انتاجه الفني :
ـ **المنشور :** عدد من القصص والمسرحيات القصيرة وعدد من المقالات والتعليقات الادبية في جريدة اخبار فلسطين في الفترة من سنة ١٩٦٣ حتى سنة ١٩٦٧

ـ **غير المنشور :** مجموعة قصص ومسرحيات قصيرة ، ثلاث روايات قصيرة هي : جدار الزمن ، ستار الاحترام ، الاختناق •

السؤال الاول

علاقتي بالادب والفن بدأت في سن مبكرة في أوائل الخمسينات حيث بدأت قراءاتي متأثرا بما كان يقرأ في البيت من كتب تتمثل في الادب الشعبي كألف ليلة وليلة وسيف بن ذي اليزن وحمزة البهلوان والزير سالم وغيرها ثم كتب كليلة ودمنة وقصص الانبياء وغير ذلك • انتقلت منها أو معها الى الروايات البوليسية على اختلاف أنواعها ثم روايات يوسف السباعي واحسان عبد القدوس وروايات الجيب وروايات الهلال وروايات اليوم البيروتية ومطبوعات كتابي •• وفي هذه الاخيرة أمسكت الخيط وبدأت مرحلة تختلف عن قراءاتي السابقة •• ، قرأت بنهم شديد في كل موضوع ، وخلال بضع سنوات كنت قد قرأت كثيرا مما

يمكن اعتباره من الروائع فى الاداب العالمية ، بالاضافة طبعا الى مؤلفات عباس العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ويحيى حقى وابراهيم المازنى وغيرهم • ثم قمت بتجربة فى عالم القراءة •• أحضرت المؤلفات الكاملة لبعض الكتاب كنجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله وفتحى غانم وأمين يوسف غراب وقرأتها فى دفعات متتالية فى فترة زمنية محدودة، وقد تعلمت الكثير من هذه التجربة وساعدتنى كثيرا فى تحديد مسار قراءاتى فى المستقبل • بدأت قراءاتى تتركز لكن لم تتحدد فى موضوع معين وحاولت أن اقرأ أهم ما صدر فى مختلف نواحى المعرفة مستعينا ببعض الكتب المرشدة خاصة القوائم التى يشرف عليها ج • شيردو ويبر بمساعدة عددكبير من الادباء وأساتذة الجامعات وقد كان لذلك فائدة كبيرة بالنسبة لى فى توفير الوقت والجهد وتمكينى من الاطلاع على أهم ما يجب أن يعرفه المشتغل بالادب • ولا أنسى أيضا دور كتب النقد فى ارشادى الى كثير من الكتب الهامة ••

بدات الكتابة وانا فى الثامنة عشرة تقريبا ، كتبت القصة القصيرة والمسرحية القصيرة بالاضافة الى كثير من التعليقات الادبية على ما كنت اقرأ ••

وبدأت النشر فى جريدة أخبار فلسطين عند صدورها عام ١٩٦٣ وحتى سنة ١٩٦٧ •

السؤال الثانى :

علاقتى مع زملائى فى العمل

فاترة ، ومع زملائى الشبان الادباء فأنا أعرف قلة منهم وعلى كل حال فأنا اقرأ كثيرا مما يكتبه الشباب ليس فى مصر فقط ولكن فى العالم العربى أيضا وأتابع طريقة تفكيرهم والاسلوب الذى يعبرون به •

موقفى من الاجيال السابقة على جيلى موقف احترام وتفهم لما يصدر عنهم فالانسان ابن ظروفه ومكوناته المختلفة ولا يمكننا أن نطلب منه أن يكون غير ذلك •

وأعتقد أننا بطبيعة الحال امتداد للاجيال السابقة علينا والتى قرأنا لها فى كل عالمنا العربى فلا شىء يخلق من العدم فنحن تتلمذنا على أيديهم ولا ننكر فضلهم فيما كتبوه مؤلفا أو مترجما • فمثلا الدكاترة لويس عوض ورشاد رشدى ومحمد مندور ومحمد غنيمى هلال وعز الدين اسماعيل وشكرى عياد ومحمود السمرة ومحمد يوسف نجم واحسان عباس وسهيل ادريس وغيرهم ، لولاهم لما تيسر لنا أن نعرف الكثير مما نعرفه الان رغم اختلافنا معهم فى كثير من القضايا ، وكذلك أيضا كل من الاساتذة عباس العقاد ومحمود أمين العالم وخيرى حماد وجورج طرابيشى وجبرا ابراهيم جبرا وأنيس زكى حسن ودرينى خشبة •• لا يمكننا أن ننكر اضافاتهم للادب العربى تأليفا أو ترجمة • ولست هنا فى مجال الحصر ، فالحق مهما كانت الظروف لا نستطيع الغاء دور كاتب أو فنان مهما كان ضئيلا ومهما كان اختلافنا معه فكريا أو فنيا فى الرأى أو المنطلق • كذلك هناك كثير من القصاصين والروائيين لا يزال يؤثر فى الحياة الادبية بدرجة كبيرة ، كنجيب محفوظ مثلا أو يوسف ادريس الذى وصل بقصصه القصيرة الاخيرة وبالذات التى نشرت فى الاهرام الى درجة تتحدى أى كاتب مجدد وتقف فى القمة من انتاج كل الادباء الشبان وغير الشبان • كذلك روائى كفتحى غانم — وأعتقد أن رواياته الرجل الذى فقد ظله والجبل والغبى وتلك الايام ما زالت من أروع ما كتب باللغة العربية — من الممكن أن يتحقق على يديه الكثير فى عالم الرواية . وايضا هناك القصص القصيرة لكتاب كامين يوسف غراب ويوسف الشارونى وادوار الخراط مازالت من اروع ما كتب من قصص قصيرة •

أما بالنسبة للاجيال السابقة على من القصاصين الفلسطينيين سواء من الرواد كخليل بيدس، أو محمود سيف الدين الايرانى (وهو لا يزال يكتب الى الان) أو من الجيل التالى لهم متمثلا فى عيسى الناعورى أو نجاتى صدقى ، وغيرهم . اشعر صادقا أن هناك نوعا من الانفصال بينى وبينهم وبالتأكيد لست امتدادا لهم •• وبأننى أكثر التصاقا بالجيل التالى لهم — غسان كنفانى وسميره عزام — وعلى العموم لا يمكننى الا أن أعترف بالدور الذى قاموا به فى الحركة الادبية •

نحن فى الحقيقة امتداد للاجيال السابقة لكن المهم أن نبحث عن الخيوط التى تربط بيننا لا عن الخيوط التى تقطعت •• والمجال لا يتسع لكثير من التفصيل •

السؤال الثالث :

المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية ••

قضية فلسطين بكل ما تزخر به من تناقضات وما نتج عنها من نتائج حكمت طبيعة المؤثرات الفكرية والفنية التى اكتشفنا فيها أنفسنا •

كذلك قضية التحول الاشتراكى فى البلدان العربية وبالذات فى مصر كانت احدى قضايانا عن اعتقاد بأن هذا التحول هو البداية الحقيقية لنهضة الوطن العربى وبالتالى تحرير وطننا السليب •

وقضية البحث عن الذات الفلسطينية خلال تيارات عنيفة متصارعة ، ومحاولة شق طريق

خلال المصاعب التي كانت تكتنف العمل الفلسطيني قبل الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ كانت عذابا متواصلا لكل منا ٠

وخلال البحث عن الذات الضائعة كان لقائي بالوجودية وكنت في تلك الفترة كضائع يبحث عن شيء وعثر عليه ٠٠ وكانت نقطة تحول في تفكيري السابق كله ٠ ثم أيضا لا أنسى الاثر الذي تركته في نفسي قراءاتي في علم النفس التحليلي ثم الماركسية ومدارس الفكر الاشتراكي المختلفة ، والاهواء الكثيرة التي تنازعتني في محاولة للتوفيق أو الجمع بين هذا الخليط وحتى الان ما زلت أعيش مزيجا يأخذ من كل طرف بنصيب في الوجودية والماركسية والاسلام.

أما بالنسبة للمؤثرات الفنية فسأقف عند بعض الكتاب الذين تأثرت بهم أكثر من غيرهم ٠٠ **فسارتر** بمؤلفاته الروائية والقصصية ..وكامو الذي اعدت قراءة أعماله أكثر من مرة ـ أشعر أنهما مازالا يؤثران في حتى الان ٠ كذلك توقفت عند أعمال **فوكنر** خصوصا تلك الاعمال التي تمثل مشروع يوكناباتاوفا وبالذات الصوت والغضب وأنا على فراش الموت ٠ وكذلك يشدني جدا كل من **فرجينيا وولف وجيمس جويس ومارسيل بروست** رغم صعوبة قراءة جويس فشلي في فهم روايته فينجانزويك حتى مع الشروح ، وقرأت الكثير عن بروست دون أن أقرأ له شيئا يذكر بعد ٠ ومن كتاب مسرح الطليعة لم أتوقف الا عند **جان جينيه** فهذا الرجل شد انتباهي وكذلك أعجب بالكاتب المسرحي جان أنوي ٠ قرأت لبعض الكتاب الجدد في بريطانيا وأمريكا ولم أشعر اني تأثرت منهم بالكثير ٠٠

لن أستطرد في هذه النقطة حتى لا تبدو العملية في هذا الحيز الضيق وكأنها استعراض الا أنه من الوطن العربي يمكنني القول أني تأثرت وأعجبت بعدد من الكتاب على رأسهم مالك حداد ويوسف ادريس والدكتور لويس عوض ورجاء النقاش ٠

موقفي من قضية العدوان الاسرائيلي لا يحتاج الى كثير من التفسير ٠٠

فالنزاع بيننا وبين الصهيونية في وطننا العربي عملية تنازع بقاء ، ولا يمكن أن تتعايش الصهيونية والقومية العربية في منطقة واحدة ، وطبيعة الظروف والاوضاع المحيطة ومنطق التطور وعملنا الايجابي وايماني المطلق بشعب فلسطين والشعوب العربية وقواتنا المسلحة يحدد أمامي وبكل وضوح نتيجة هذا الصراع الحتمية وهي تصفية الكيان الصهيوني تصفية شاملة من وطننا العربي ٠

وبالنسبة لموقفي من قضايا العالم المعاصر فانا في جانب التقدم والتحرر والاشتراكية في كل مكان ..

[٥]

فلسطين

الاسم : علي زين العابدين الحسيني ـ فلسطين
السن : ٣٠ سنة

الجهة التي يعمل بها : اذاعة منظمة التحرير الفلسطينية (فلسطين)

المرتب ، ٤٠ جنيها
الانتاج الفني :
ـ **المنشور** : قصص قصيرة في المجلات والصحف العربية.
ـ **غير المنشور** ، قصص قصيرة بعد الخامس من حزيران ٠

السؤال الاول ،

بدأت علاقتي بالقصة القصيرة عام ١٩٥٤ ، كنت أقرأ كثيرا من التراجم بالاضافة الى انتاج القصاصين العرب ٠٠ بهرتني شخصيات قصص **تشيكوف** ، **وجوركي** ، **وديستوفسكي** ، **وفولكنر** ، **وشتاينبك** ، حينذاك كنت أطالع « القضية » في انتاج هؤلاء الكتاب ٠٠ ولقد كانت القضية بكل الزخامة الانسانية والمأساوية أمامي أيضا .. لا أذكر انني فكرت في الكتابة ٠٠ وانما وجدت نفسي أكتب ٠

لقد كان عبء القضية ـ قضية الوطن المغتصب ، وقضية الشعب النازح ، على قلبي آنذاك مضنيا الى حد التمزق ٠٠ كانت أمامي معسكرات النزوح ، ومخازن التموين ، ونماذج هائلة من هؤلاء الذين يختزنون أحزانا مجبولة بالطين الفلسطيني ٠٠ وعلى الرغم أنني كنت أوالي الكتابة الا أنني لم أفكر في نشر قصصي الا في السنوات الاخيرة ٠٠

نشرت ـ نبي بلا احزان ، والصدى ، الفتى الذي لم يقتلوه ، عيون الصغار ، « هو » ، هذا

الشتاء ، قبضة من الطين ، وقصص أخرى في عدد من المجلات والصحف العربية منها : الآداب البيروتية — المحرر اللبنانية ، المساء ، مجلة ٦٨ ، اخبار فلسطين .. كما أذيعت لي بعض القصص من الاذاعة ..

السؤال الثاني :

عن علاقتي بالزملاء أود أن اتحدث عن علاقتي بزملائي في الوطن المحتل ، لقد كنا مجموعة من الشعراء ، وكتاب القصة ، كنا نقيم ما يشبه الندوة ، أو الامسية الادبية في أحيان كثيرة لنناقش نتاجنا الفني .. وكان هذا أقصى ما نطمح اليه ، أن نكتب ، وأن نناقش ما نكتب .. في القاهرة ، اتصلت ، بالاخوة من الكتاب والادباء ، واشتركت في بعض الندوات الادبية، أعتز كثيرا بصداقتي بالاخوة الكتاب أمثال القاص المصري ، فاروق منيب وشوقي خميس ، ومحسن الخياط ..

لقد أعطاني هؤلاء الزملاء دفعة معنوية من أجل أن أواصل كتابة القصة القصيرة .. بل أعتقد أنهم كانوا أشد حماسا مني لانتاجي القصصي .. طبيعة عملي كمحرر سياسي ، فصلتني زمنا عن كتابة القصة القصيرة ، حاولت أثناء عملي أن أبدأ في كتابة مسرحية فلسطينية أسميتها « الوجوه » لكني لم أتمها بعد . عدت أخيرا الى كتابة القصة القصيرة من خلال تكليفي ببعض البرامج الاذاعية ، أتطلع الى نشر أول مجموعة قصصية لي ، كما أطمح أن أواصل الكتابة بلا انقطاع ..

بالنسبة لموقف الجيل الماضي ، أرى أن القضية ليست جيل ماض ، وجيل حاضر بقدر ما هي ، لماذا الكلمات .. ولمن ؟ ! انني أرفض أن يعتبر الكاتب مجرد مرحلة ، أو تاريخا فنيا ، اننا ما زلنا نفهم شكسبير ، واليوت . وأراجون ، وأعتقد أنهم « يفهموننا » أيضا .. لانهم استطاعوا أن يعبروا عن قضية الانسان دائما ، وانعكس في أعمالهم ذلك الوهج الخالد الذي لا يمكن أن ينطفيء .

وبالنسبة لي كقاص فلسطيني ، اكاد اقول انني لا أرتبط برواد القصة القصيرة الفلسطينية أمثال بيدس ، والايراني وغيرهما بقدر ارتباطي بالمعاصرين من أبناء جيلي الذين فتحوا عيونهم على لحظات السقوط الدامي عام ١٩٤٨ ، فان علاقتي بانتاج غسان كنفاني وسميرة عزام ، وغيرهما أشد وأعمق وان اختلفت معهم في بعض المسائل الشكلية والفنية ولكن تظل هناك أكثر من نقطة للقاء حول ما يتصل بالمضمون الفلسطيني .. وأعتقد أن سميرة عزام — لو قدر لها أن تعيش عمرا أطول لارفدت القصة القصيرة بعطاء أسخى من الابداع والتطوير ..

انني دائب المحاولة نحو رؤى أفضل وأعمق في التعبير ، وأعتقد أنني استطعت من خلال تمثلي لقضيتي ومعايشتي لها أن أسهم الى حد ما في التوفيق بين القضية ومتطلبات الفن .. وأترك التقييم النهائي في مدى ما أعتقد انني توصلت اليه الى النقاد ..

السؤال الثالث :

عندما أدقق في عبارة المؤثرات الاجتماعية يخطر في ذهني على الفور « الوضع الطبقي » .. الموقف في فلسطين الآن يختلف ، فالتناقض القائم حاليا ليس تناقضا طبقيا ، وانما هو تناقض بين « كل » الشعب ، وبين العدو الصهيوني .

اننا جميعا ، العامل ، والفلاح ، والتاجر ، ومالك الارض نشكل الان ما يسمى بطبقة النازحين ، هذه « الطبقة » التي تعاني من مرارة الاحساس باللا وطن .. وحقا ، ما أشد غزارة وقسوة تأثير هذا على انتاجي ، وانتاج زملائي أيضا .. كذلك ما أشد ما خلفته مرارة هذا الاحساس من سلوكيات نفسية وفكرية على ذهن وحياة انساننا الفلسطيني .

● انني أوالي قراءة الانتاج الحديث بقدر ما تسمح به امكانياتي ، وعلى الرغم من ذلك فان ما نشرته حتى الان أعتبره بعض النقاد يمثل اتجاها جديدا في كتابة القصة القصيرة ، أو القصة الضد كما وصفها أحد النقاد .. وأستطيع القول أنني تأثرت في كتاباتي الاخيرة بالاتجاهات والتيارات الادبية والفنية الحديثة .

● أود أن أصوغ هذا على نحو اخر هو : أين أقف ككاتب فلسطيني من قضية الثورة الفلسطينية التي تخوضها طلائع شعبنا الفلسطيني الان ؟ !! اننا نخوض الان معركة حضارية ، واجتماعية ، وانسانية .. وما أغزر معطيات هذه المرحلة للكاتب .

ان ظهور شخصية « الفدائي » يمثل مرحلة جديدة في نتاجي .. لقد انعتق « الفدائي » ، مثلي ، من مناقع الالم ، ومن منافي التشرد ، ومعسكرات النزوح . ومن كل تمزقات السنوات العشرين .. انعتق ليأتي الينا ، نقيا ، متطهرا من كل الاحزان ، والسلبيات . انه — الفدائي — نبيي الجديد الذي طالما بحثت عنه .

وأعتقد أن ميلادا باهرا للقصة الفلسطينية سوف تتمخض عنه معاناتنا ككتاب قصة بمثل العنف والتجدد والغضب الذي اشتعلت

به شرايين النتاج الشعرى الفلسطيني .. ذلك أن الثورة الفلسطينية بما أرفدت به أدبنا ، وفكرنا من خصوبة وحياة على صعيد التحول الثورى للقضية من شأنه أن ينعكس على صعيد الابداع الفنى ، ويعطى مذاقا جديدا للكلمة الفلسطينية والعربية تعيد الى كل جماهيرنا الثقة بالكلمة بعد أن بدأنا نتحسس ذواتنا الممزقة ، الضائعة ، القلقة من خلال فعل ثورى ، للم شتاتنا الفكرى ، والاجتماعى المبعثر حول الرشاش ، والبندقية ، والعبوة ، أعنى حول الثورة المسلحة ذاتها ..

ان « الفدائى » قد منطق المثالية بطريقة فريدة ، فاذا ما اعتبرنا هؤلاء الرواد الذين أطلقوا رصاصات الثورة الاولى ، نماذج مثالية لانهم استطاعوا أن يتخطوا كلما كان يقيد انساننا الفلسطيني ، فان قمة الواقعية أصبحت الان ، أن ينخرط المهندس ، والطبيب والطالب ، والمدرس فى صفوف الثورة .. لقد تفوق « الفدائى » على الكاتب بعد أن منطق المثالية ، ووضع الكاتب أمام خيارين هما ، اما أن « ينسخ » الكاتب الواقع بجزئياته التى أعتبرها قمة الابداع الفنى للفدائى .. واما أن على كاتبنا أن يبحث عن ما فوق الواقع !!!

القضية لا أراها على هذا النحو ، موقف من العدوان ، وانما هى موقفنا من « كل » العدو .. أقول هذا حتى لايسقط موقفنا تماما من الصهيونية اذا ما سقط العدوان على شعبنا .. هذا اذا كان المقصود من قضية العدوان حصرها فى عدوان الخامس من يونيو .. قضيتنا ـ كما قلت ـ قضية انسانية ، هى قضية شعب يواجه أبشع أنواع الاستعمار ، استعمار استيطانى ، عنصرى ، توسعى ، اجلائى . هى قضية تفريغ وطن بأسره من أصحابه ، وطمس هويته كلية .. وهى قضية لا تعالج الا من خلال فوهة البندقية ..

[٦]

فلسطين

الاسم : عيسى الشعيبى
السن : ٢٤ سنة
الجهة التى يعمل بها : طالب بكلية التجارة ـ جامعة عين شمس ـ السنة الرابعة
دخله الشهرى : يعيلنى والدى حيث لازلت طالبا
انتاجه الفنى :
أ ـ المنشور : ديوان (بين الضفائر والبنادق)
ب ـ غير المنشور : بعض القصائد

السؤال الاول :

من الصعب على تحديد الفترة التى يبدأ الانسان عادة فيها الكتابة . الا انه من الممكن تحديد فترة تقريبية للمحاولات الاولى ، والتى لا اسمح لنفسى الان بتسميتها شعرا حيث كانت فى المرحلة الدراسية الثانوية . ومن الطبيعى جدا ان تنضج كل محاولة نسبيا على سابقتها .

ولما كانت هزيمة حزيران حيث انقطعت عن الدراسة وعشت ظروف حركة المقاومة الفلسطينية منذ بدايتها ، كانت محاولاتى الشعرية والتى بالضرورة تأثرت بالواقع الموضوعى الذى احياه ، نقلة نوعية فى مجال تجربتى الشعرية ـ ديوان بين الضفائر والبنادق ـ حيث اتحد الوطن الفلسطينى والمرأة الفلسطينية فى صورة واحدة ، وكانت هذه الصورة معشوقتى وحبى الذى صار .

وقضية اخرى كانت محل اهتمامى فى هذا المجال بالتحديد . حكاية مغلوطة رددتها حتى الاوساط التقدمية المحلية وهى التى على صلة حية بحكم قربها من ساحة العمل الفلسطينى ذلك القول الواقف على رأسه بأن الفدائى والفدائيين عموما مجموعة من البشر القتلة ومحبى الدماء ، ومتخشبى العواطف يعرفون فقط زرع الالغام واستعمال البندقية وهذا كل ما يعنيهم ، وبذلك يكون لديهم استعدادا ـ والحالة هذه ـ ان يؤجروا الى اى جهة كانت . غير ان تجربتى الشخصية اكدت بشكل حاسم ، ان هؤلاء الارقام التى يسقط بعضها كل يوم اناس طيبون وحساسون جدا وان هناك وجها اخر لهم غير مرئى مضيئا ومشرقا وانسانيا الى الحد المرهف . والا فما الذى دفعهم الى الخطوط الاولى وما الذى جعل لديهم الاستعداد بالتضحية اكثر بكثير من غيرهم من الناس .

السؤال الثانى :

العلاقة بينى وبين غيرى من الادباء والمؤسسات الادبية :

اذا اخذنا فى الاعتبار حداثة المجتمع الاردنى وبالتالى طراوة الاداب والفنون عموما فيه • فان ذلك يقودنا الى النتيجة المحددة التالية : فى مجتمع جديد - تاريخيـــا - كالاردن لا نجد للمؤسسات والنوادى الادبية او غيرها اى شكل من الاشكال وهذا يوصلنا على الفور الى النتيجة الطبيعية فى مثل هذه الحالة ان سوف يكون لمجال العلاقات الشخصية الاثر الاول والاخير فى نسج اواصر الصلة بين الادباء والفنانين ككل •

غير انه فى هذا المجال لابد من الاشارة بالنسبة لى الى التعاطف الذى ابداه معى الدكتور عبد الرحمن ياغى استاذ الادب الحديث بالجامعة الاردنية وواحد من المسئولين عن مكتبـة الادب الفلسطينى ، هـذا بالاضـافة لتقديمه ديوانى مشكورا •

● العلاقة بينى وبين المجـال الذى أعمل فيه :

ان مجالى المحدد هو كليـة التجارة وكونى طالبا بها ، ومع اننى بالسنة النهائية ، الا اننى اعتبر نفسى جديدا على الكلية وذلك لانقطاعى عنها لمدة سنتين ونصف اى من حزيران الهزيمة وبذلك يكون كل زملائى ومعارفى قد انهوا دراستهم (وبقيت مثل السيف فردا) ولهذا اجد نفسى فى عزلة مطبقة الى الحد الذى اقضى فى الكلية ثمانى ساعات دون ان افتح فمى عن كلمة • وليس كل هذا لكونى جديدا فى الكلية وانما يرجع الى طبيعـة نفسية تقترب من دائرة قـاتلة وساحقة ، ذلك اننى اشعر ان الحقيقة والصدق مفقود بيـن البشر وبالتالى فانى ابتعد • هذا وقـد قدمت نسـخا كهدايا من ديوانى الى عميد الكلية وبعض اساتذتها دون ان يخطر فى ذهن واحد منهم ان يقيم لى ندوة او امسية وذلك للتعارف •

● الموقف من الاجيال الفنية السابقة على جيلى وعلاقتى بها : ان موقفنا أى موقف لا يحـدده العمر او السن عادة وانما يحدده قطعا النهج فى التفكير واسلوب التعامل مع القوانين الاجتماعية الصارمة • اذن فان القضية فى تقديرى الشخصى ليست قضية جيلين مختلفين ، وانما منهجين مختلفين • وهذا القول لا يمكن سحبه على جيل من الادباء بكامله فسيظل هناك من اتفق معه فى التفكير ومعالجة القضايا ومنهم من اخالفه تماما • والحقيقة فى موضوع علاقتى بهذا الجيل هى بحكم حداثة انتاجى غير موجودة وهى فى احسن احوالها علاقة معرفة ينقصها الفهم المشـترك لكثير من القضايا •

السؤال الثالث :

قضية التغيير الاجتماعي :

فى أى بلد نـام ومتخلف بشكل عـام تكـون المهمـة الاولى والعاجلة أمام حركة التحـرير الوطنى الديمقراطى هى حـل المسألة المركزية فى برنامجها وهى استلام السلطة لانجاز كل مهماتها ديمقـراطيا • ومـن الطبيعى ان توظف كل الطبقات التى لها مصلحة فى ذلك كل امكانياتها فى خدمة هذه المهمة ولكن لكى نضمن سلامة المسيرة الصعبة لابد ان تكون الطبقة التى لها مصلحة لانهائية فى التغيير صاحبة المسـئولية الاولى بين سائر الطبقات • الطبقة التى لن تخسر الا اغلالها •

قضية العدوان الاسرائيلى :

ان الفهم العلمى لقضية عدوان اسرائيل لابد وان يربط جـدليا بـالخريطة السيـاسية لهـذه المنطقة • حيث يوجد فى المنطقة حركة التحرر الوطنى العـربية وهى الطامحة الى التقدم والمعادية للاسـتعمار القـديم ، وكذلك يوجد فى المنطقة حركة الشد الى الوراء ممثلة بالقوى والطبقات الرجعية • ولما كانت الغلبة للتيار الطامح تقدميا لم يكن مفرا أمام الاســتعمار ، وكل الطبقات الحليفة من دفع اسرائيل لترويض ان لم يكن قهر الحركة الوطنية التقدمية •

وهذا لا يمكن ان ينسينا بأى حال اطماع اسرائيل التوسعية فى المنطقة ، اذ انها برزت اخيرا كاستعمار جديد له نفس الشروط والمطالب وذلك عكس ما كانت عليه عام ١٩٥٦ اثر العـدوان الثلاثى •

ولذلك فان مفتاح الحل سيظل فى يد الطبقات القادرة على رصد هذا الارتباط العضـوى بيـن اسرائيل والاستعمار والرصيـد الرجعى فى المنطقة لكشف هذه الحقيقة وتغييرها بعيدا عن كل الحلول النصفية او المثالية •

قضايا العالم المعاصر ..

فى ظل اداة التحليل العلمية يمكن فهم سائر القضايا المعاصرة انطلاقا من زاويـة التحليـل الملموس المحدد للواقع الملموس المحدد • ان التناقض الاساسى فى هذا العالم بيـن نظـامين - رأسمالى واشتراكى - وهذا لا يمنع انطلاقا من نفس الفهـم اختفاء التناقضات الثانوية فى المجتمع البـرجوازى • وهكذا فاننا نرى الاستعمار وهو السوط الرأسمالى القبيح يلهب ظهـر حركة التحرر الوطنى العـالمى وقوى السـلام والديمقـراطية العالمية للوقوف على قدميها فى فيتنام والشرق الاوسط وكوبـا وغيرها • وذلك بحكم التناقض الجذرى والاســاسى فى هـذا العالم •

وحتى قضايا العنصرية فانه ومن زاوية هذا الفهم لا يمكن عـزلها عـن كل مقـدماتها الاقتصـادية والاجتمـاعية والسياسية •

لبنان

[١]

الاسم : فاروق البقيلي
السن : ٣٤ سنة
الجهة التي يعمل بها : مجلة الاسبوع العربي (لبنان)
دخله الشهري : ٨٠٠ ليرة لبنانية

انتاجه الفني :
أ ــ المنشور : مقالات في النقد الفني بمجلة الاسبوع العربي .
ب ــ غير المنشور : كتاب يضم مجموعة من الاحاديث النقدية مع الادباء والفنانين .

السؤال الاول :

هي علاقة قديمة .. بالضبط لا أستطيع تحديدها بتاريخ . اذ أشعر بأنها شيء كالظل يرافقك منذ أن تطل على العالم .

انتاجي الفني الحقيقي بدأ منذ عشر سنوات على وجه التقريب فور انهاء دراستي الفنية .

السؤال الثاني :

للأسف الشديد أرى العلاقة بين الفنانين هي مثل العلاقة بين الدول العربية نفسها باختلاف أنظمتها وتفاوت قدراتها على تحقيق الفعل .. لا على تحقيق الحلم .

عندنا فنان حالم .. وليس فنان فاعل . وبالتالي فعندنا أنظمة حالمة وليس أنظمة فاعلة ..

النظام هو الذي يوجد الاجهزة والمؤسسات .. هو مسؤول عنها أولا وأخيرا بالنسبة للدور الذي تلعبه كل في مجالها . فاذا كان النظام يقف ليعارض حركة مجرى التاريخ نجد المؤسسات والاجهزة تقوم هي الاخرى بنفس الدور .

والجدير بالملاحظة انني باطلاعي على الحركة الفنية في أكثر من بلد عربي وجدت أن الانظمة الموجودة أثرت تأثيرا كبيرا على نتاج الفنان .

ان الذي يجمع بين العاملين في الحقل الفني هو في المقام الاول أمورتافهة، وسعيي لمكاسب شخصية عارضة، « من يبيع أكثر » « من تكتب عنه الصحافة أكثر » . و « من أشدهم جنونا ! » .

هم يفهمون الفن هكذا .. ولا تختلف الاجهزة والمؤسسات هي الاخرى عن هذا الفهم الضيق . والحقيقة أن الاجهزة والمؤسسات ــ وخاصة التي تتبناها الدولة ــ لا تؤمن بالفن وان ادعت رعايته .. وهي تقوم بواجب مفروض عليها ليس الا .. ومن حيث أقيمت لتخدم الفن ، نراها تعمل على تخريب الفن بتشجيعها لمن هب ودب . وهذا نتيجة الجهل .

ولا يغفر لها أنها تفعل ذلك بحسن نية .

لا أحد في مكانه الحقيقي .. هذا واقع مؤلم . وهنا تكمن المأساة بالنسبة للفن ، وغير الفن أيضا .

ثمة انفصال حقيقي بين جيل الرواد من الفنانين القدامى والفنانين الجدد . فجأة ، وجد الجيل القديم نفسه أمام قيم جديدة لم يستطع أن يتجاوب معها . ولذا ، فانه بالتدريج ابتدأ ينعزل مبتعدا عن الوسط الفني وهو يشعر بغربة قاسية .. وبقساوة الاحكام التي يطلقها الجيل الجديد من الفنانين والنقاد على أعمالهم .

احتكاكي بالجيل السابق كان ضرورة . اذ من غير المعقول أن نهمل الرواد الاول ونطالبهم بأن يكونوا غير أنفسهم .. لان مفهوم الفن الحديث نفسه يرفض ذلك .

يجب أن ننظر اليهم كجيل عاش زمانه بصدق .. وكان معاصرا .

السؤال الثالث :

الفن هو بارومتر المجتمع .. أنه المقياس الحقيقي لما بلغه في زمان ما . وهو مرآة تعكس بطريقة مباشرة أو غير مباشرة واقع هذا المجتمع الذي يعيشه . وهو أسبق من غيره بتحسس المستقبل .. اذ عن طريق حدسه يشعرنا بالجديد القادم . وهوفي لحظة الاختلال الجماعي الذي يصيب المجتمع عندما تتغير المفاهيم وتحدث الانقلابات يكون في طليعة الذين يعيدون النظام .

كناقد تشكيلي .. لا أحب أن أفرض على العمل الفني أشياء خارجة عنه . أحاول عندما أنقد عملا فنيا الا أكون قاضيا أو موجها . انما يكفيني أن أكتب عن الفن بنفس الطريقة التي يرسم بها الفنان، وأن أعيش بوعي ماعاشه الفنان بدون وعي .

أنا أرفض تفسير العمل الفني .. والعمل الفني نفسه يرفض تفسيري .. أنا أتعامل معه عن طريق الاحساس . وبقدر ما أحسه يبوح لى بأسراره وهمساته الخفية .

النقد بالنسبة لى ليس عملية شرح .. هو عمل فنى آخر . بالفن العظيم .. مهما كان هذا الفن ، تشخيصيا ، أو تجريديا ، سرياليا ، أو واقعيا .. وبقدر ما يضيف الى حركة التاريخ فى مجراها يكون الفن نفسه هو موقف الفنان بشكل عام من قضايا بلاده ، ومن ضمنها قضية العدوان الاسرائيلى ، ولا نستطيع أن نطالبه بغير ذلك .

[٢]

لبنان

الاسم : سمير الصايغ
السن : ٢٥ سنة
الجهة التى يعمل بها : مجلة مواقف (لبنان)
دخله الشهرى :
انتاجه الفنى :
المنشور : مقالات فى النقد الفنى
غير المنشور :

السؤال الاول :

أمارس الكتابة منذ خمس سنوات ، ومع هذه الممارسة ، تأخذ العلاقة بينى وبين هذا الفن طريق الوضوح والحب .

السؤال الثانى :

ان الالتقاء بين الفنان والفنان عن طريق العمل الفنى نفسه ، هو أكثر عمقا وأكثر تماسكا من اى التقاء يتم خارج العمل الفنى . والحوار مع الفنان من خلال انتاجه يكون أكثر حرية واكثر فعلا . اذ ان الفن هو المساحة النظيفة والمضيئة التى يستطيع ان يقف فيها الفنان والاخرين بغير اقنعة امام العالم وانفسهم .

هذه العلاقة لا تتم بواسطة الكلام او الافكار او الاحاسيس ، بل بالفهم النافذ والمخترق للحقيقة الكامنة فى اعماق الفنان ، انه فهم لا يدين الى الثقافة بل الى الشفافية والصفاء وجوع روحى الى الانصهار بكل قوة قادرة على توسيع افق الحياة .

من هذا المنطلق تقوم العلاقة بينى وبين الفنانين الذين اعمل معهم بل والذين يفصلنى عنهم الزمن والمكان .

● العمل الفنى : اللوحة ، القصيدة ، القصة . الكتابة بشكل عام . هى فنان آخر ، بمعنى انها وجود مستقل ، حر ، عن الفنان الذى ابتدعها . لذلك فالعلاقة بينى وبين الكتابة هى نفس العلاقة بينى وبين الفنان .

هناك دائما مسافة يجب اجتيازها للتخلص من هذه الثنائية .

يتم بالنسبة لى اجتياز هذه المسافة بالاستسلام المطلق للصوت الكامن فى اعماقى ، والذى لابد وان يقودنى الى الكتابة اى الى الفن .

● انا شخصيا لا اؤمن بالاجيال الفنية ، لان الفن العظيم لا ينمو ولا يتطور ، انه حقيقة والحقيقة رائعة وكاملة منذ بدأ العلم ينمو ويتطور ، لكن الفن يتسع . العلم خط يرتكز طرفه الاول فى الماضى ويذهب طرفه الاخر فى الصعود نحو المستقبل . الفن خط دائرى لا اطراف له لكنه قابل دائما للاتساع .

لذلك يكون موقفى من الاجيال الفنية السابقة كموقفى من الفن عامة ، اعجب للوحة الجيدة والقصيدة الرائعة والكتابة المخترقة كالبرق والدافئة كالنار .

السؤال الثالث :

ان كل متأمل امام الفن عليه دائما ان يبحث عن الانسان المختبىء تحت الالوان والكلمات والالحان وان يعانق هذا الانسان عناقا عظيما ويفرح معه الفرح الرائع . والفن هو هذا البحث الدائم عن الانسان الضائع فينا ...

كونى فردا يعيش فى المجتمع العربى اشعر ان الانسان فى هذا المجتمع ، الانسان القادر هو ضائع .. ضائع عن المسرح ، وعن الفعل ، واشعر كذلك ان الانسان فى هذا المجتمع متخلفا ، ليس اقتصاديا وحياتيا فحسب ، بل هو متخلف روحيا .

ان عجز الانسان عن الانتصار على ظروفه لا يعود الى قسوة هذه الظروف بالذات بقدر ما يعود الى تخلف الروح وهزال الانسان نفسه .

تلك هى الغمامة السوداء التى تربض فوق سماء الانسان العربى ، على الفن ان يخترق هذا

الضعف ليصل الى الانسان الحضاري .

وبهذا الانسان نستطيع ان نغير . لان شهوة التغيير لا تحصل بالنظام او الافكار بقدر ما تحصل بقدرة هذا الانسان ، ان التغيير هو نتيجة تحرك الانسان على مساحة الايام .. انه حركة اقدامه ومواجهة اسرائيل لاتقوم كذلك الا بهذا الانسان .

فالمجتمعات البشرية لا تتمايز بالمذهبية ، وبالنظامية ، بقدرما تتمايز بشريا ، والانسان لا يتميز عن الانسان نظريا ، بل انسانيا .

وقضايا العالم المعاصر ، المتمثلة فى الشرق الاوسط وفيتنام والزنوج وثورة الطلاب والتمردات ، هى فى الحقيقة ازمة الحضارة اى ازمة الانسان الباحث عن الصوت المفجر للنار الملتهبة فى الاعماق ، وهى ازمة البحث عن الحركة المليئة بالثقة وبالقوة نحو المستقبل .

[١]

ليبيا

الاسم : سليمان سالم كشلاف

السن : ٢٢ سنة

الجهة التى يعمل بها : التزام أدبى مع مجلة الاذاعة والتليفزيون ـ ليبيا .

دخله الشهرى : غير محدد

الانتاج الفنى :

١ ـ المنشور : مقالات نقدية فى الادب والفن .

ب ـ غير المنشور : مجموعة قصص قصيرة ومسرحية بعنوان « شىء من العذاب » .

السؤال الاول :

من الصعوبة بمكان ان استطيع تحديد البداية الحقيقية لعلاقتى بالكتابة بصفة عامة ، الكتابة الجادة . بدأت أكتب دون أن تكتمل الاداة النقدية لدى ، لعلها كانت احساسا شخصيا كل تلك المحاولات الاولى التى نشرتها حتى حلول سنة ١٩٦٧ م ، بدأت المعاناة الحقيقية ، بدأت المعايشة عن قرب داخل الوسطين الادبى والفنى ، يزيدها القلق الذهنى الحاد والاحتكاك المباشر بمختلف المستويات الادبية والفنية فى ليبيا .

بدأت انشر كتاباتى سنة ١٩٦٤ ، وعندما انظر خلفى الآن لا أملك الا أن اقول اننى لازلت فى البداية ، وكأننى لم اكتب حرفا حتى الان . ان المقاييس النقدية التى كانت سائدة لعدة سنوات خلت سقطت لتحل مكانها مقاييس نقدية أخرى يجب على المثقف أن يلهث وراء مواكبتها ، فهل فعلت أنا ذلك ؟ لا أدرى .

السؤال الثانى :

العلاقة قديحكمها العمل أصلا ، لكن مع ذلك يظل الجو غير صاف بالنسبة للاديب الشاب أول الامر يبحث عن وسيلة للنشر ، ثم الانتشار ثم توطيد مركزه داخل الدائرة الادبية خلال ذلك يعيش الاديب الشاب ويتنفس « الجو » بكل مافيه من اتجاهات وشلل ادبية وفنية ، تحكم علاقته مع زملائه الاتجاه الادبى احيانا ، والصداقة احيانا اخرى ، العمل فى جهاز واحد من اجهزة الثقافة فى بعض الاحيان . بالنسبة لى لا يخلو الامر من كل ذلك ، الزمالة لها أثرها ، والصداقة لها أثرها ، و « الغضب » الذى تسببه بعض المقالات له أثره .. موقف لايستقر على حال .. ونفس الوضع بالنسبة للمؤسسات والاجهزة الثقافية .

● نأتى بعد ذلك للعلاقة بين الفنان وبين المجال الذى يعمل فيه .

ودائما ينتهى الجواب بسؤال : هل استطعت حتى الان أن أكون لنفسى « شخصية » أدبية تفرض نفسها ، ويكون لماتبديه من آراء قيمة معينة ؟ حدث ذلك ، ولكن يجب أن يكون فرض الشخصية دائما بحيث يتابع الانسان ما يقوله الاديب ويناقشه من وجهة نظره ، بحيث يعطى حكما سليما ، ومن خلال هذا الحكم ، من خلال هذه الاحكام عامة ، تتحدد العلاقة بين الفنان والاديب وبين المجال الذى يعمل به . وأنا لم استطع حتى الان أن اضمن جميع الاحكام بجانبى ومن هذه النقطة تظل العلاقة بينى وبين المؤسسات الثقافية والفنية فى ارتفاع وهبوط كميزان الحرارة .

● تتحدد العلاقة بين المثقفين باللقاء والحوار المباشر والندوات والمحاضرات ، عندئذ يستطيع كل أديب أن يعطى لزميله درجة معينة من القدرة والكفاءة . لكن ، المعارك الادبية تتحول فى أحيان كثيرة الى معارك شخصية . فرص اللقاء والاحتكاك بالجيل السابق قليلة . المحاضرات

تعليقات على الشهادات الواقعية

والندوات متباعدة الفترات وغير كافية لاعطاء الصورة عن النمو الثقافى فى ليبيا .

من خلال ذلك كله نجد ان الامر مقصور على الاحتكاك الفردى .. انا مثلا وجدت من وقف بجانبى وأرشدنى وكان لى سندا . وفى نفس الوقت كان هناك من وقف فى طريقى ، فالعلاقة بين الجيلين اذن علاقة غائمة ، معها لا أستطيع تحديد موقف معين الا من بضع شخصيات أدبية ، بعضها يمد يد العون لى ، والبعض الاخر ـ كما سبق وقلت ـ يقف فى طريقى .

السؤال الثالث :

أنا ارى أن انسب تسمية تصلح للجيل الجديد فى ليبيا هى « جيل الكوبرى » ، انه مجرد جسر يعبره الجيل القادم ليستطيع أن يلحق بالركب الحضارى . جيلنا عانى ويعانى الكثير ، الطفرة الحضارية « الشكل » ساهمت فى تغييره وفى ارباكه ، ظهور البترول ، تفتح الفكر على النافذة الحضارية فى العالم ، الاحتكاك المباشر بالحضارة « المادية » فى أوروبا وأمريكا أحدثت رجة من العسير أن يقف الانسان تجاهها ، الانبهار بحضارة الغرب جعل الشباب يؤمن بأن هناك تغييرا سيحدث ، ولكن المشكلة هى كيفية حدوث هذا التغيير ، انا اريد تغييرا واقعيا، السلبى الى ايجابية مثمرة فى كافة المجالات ، لكن شعورى بأننى وحدى يدفعنى الى السلبية مرة اخرى ، وأعيش وسط هذا القلق ، أتعذب ، احترق ، احس بأن اشياء يجب ان تتغير . لكن الامور ليست بيدى حتى استطيع ان اطبق ما اراه صحيحا ، واقف عاجزا مكتوف اليدين ، ويتسلل القلق الى من جديد واتعذب .

● نحن عاطفيون ، وقضية العدوان الاسرائيلى تثير عواطفنا فنتحمس . تماما كقطعة الفسفور ، تشتعل لمجرد وضعها فى الهواء ، تعطى نورا يبهر ، لكنها لا تستمر طويلا . نحن بحاجة الى من يعلمنا ضبط عواطفنا حتى تبرز فى وقتها المحدد . نحن فى حاجة لمن يحمل لنا ما يقوله العدو ، أن لا نأخذ المسألة من جانب واحد ، فالامر هكذا لا يكفى لعرض الحقيقة يجب أن يشاهد صفعتى السيف وهذا ما نحن بحاجة اليه .

اذا تخلينا عن العاطفة الوقتية ، واذا عرف الناس القضية بأبعادها الحقيقية ، فثق أن المسألة ستأخذ وجها آخر ، وجها تكون به النهاية الحتمية لقصة العدوان الاسرائيلى .

● نحن فى ليبيا نعرف الكثير، ونعيش الكثير من التجارب ، ونمر بالكثير من الازمات ، ونعطى رأيا فى مختلف القضايا التى تشغل ضمير العالم .. ولكن السؤال الذى يأتى دائما فى النهاية يعطى مدلولا آخر لكل ما نعرفه ، ما الذى يعرفه العالم الخارجى عنا ؟ اذا كان جيراننا لا يعرفون عنا شيئا ، اذا كان من يربطنا بهم التاريخ والدين والعادات واللغة لا يعرفون عنا الا اننا بحيرة من البترول تكفى لاسالة لعاب اى مغامر فكيف تريد منا أن نعطى موقفا تجاه قضاياهم .

أنا آخذ موقفا من الانسان الذى أعرفه ولا يعرفنى حتى يعرفنى ، عندئذ نستطيع تبادل وجهات النظر والمشاركة الوجدانية والفعلية . العملية مجرد « عرض وطلب » ، خلاف ذلك فأنا لا أؤمن بشىء دون مصلحة بلدى .

- د . شكرى محمد عياد
- د . رشاد رشدى
- معين بسيسو
- فاروق عبد القادر
- لطفى الخولى

ليست مشكلة جيل الشباب وحده

د . شكرى محمد عياد

سأحاول فى هذه الكلمات أن أقدم قراءة لاجوبة أدباء الشباب العرب (غير المصريين) عن الاسئلة التى قالت « **الطليعة** » أنها موجهة نحو « ظاهرة ثقافية جديدة » ـ هى بالذات ظهور هذا الجيل فى ميدان الانتاج الادبى الفعلى . وقد قرأت مع هذه الاجوبة بعضا من أجوبة زملائهم المصريين عن الاسئلة نفسها فى عدد سبتمبر الماضى من «**الطليعة**» . ويجب أن أصارح القارىء ـ لكى أكون أمينا ـ بأنى خرجت من قراءة هذه الاجوبة كلها بعناء كثير وفائدة قليلة . ولكيلا أضاعف عناء القارىء الذى مر مثلى بهذه التجربة سأوجز القول أشد الايجاز :

هناك كثير من النقاط المشتركة بين المجموعتين : السخط على مؤسسات النشر ، الضيق بالعمل الرسمى الذى يضطر اليه الاديب الشاب لاكل العيش ، الخلفية البورجوازية الصغيرة ، الانشغال بقضية المصير التى تخوضها أمتنا العربية ، والارتباط بقضايا التحرر فى العالم . استوفت هذه النقاط حظها من الدراسة فى تعليقات عدد سبتمبر . ولعل هذه التعليقات هى المسئولة عن نوع من « **التحسين** » أدخله كتاب المجموعة الجديدة ، أعنى : الافراط فى سرد القراءات فى الأدب العربى والاداب الاجنبية ـ افراطا لا يخلو من الادعاء ـ واظهار الاحترام لجهود الاجيال السابقة ، وقد كان نصيب هذه الاجيال ـ عند المجموعة المصرية ـ نوعا من الانكار أو الازدراء

الا فيما ندر • ثم تأكيد الانتماء الفكرى ، وهو غالبا الى الاشتراكية العلمية مع تكوين وجودى أحيانا ، وفى أحوال قليلة ايمان باستقلال العمل الفنى عن الدعوات السياسية •

والتأمل الهادىء يرشد الى أن هذه النقاط لا تؤلف « ظاهرة ثقافية جديدة » ينفرد بها الادباء الذين تقع أعمارهم بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين • وأبرز النقاط التى ثار حولها الجدل ، وأشدها ايذاء للشعور ، نقطة مؤسسات النشر ، لا يختلف حول جوهرها شباب ولا كهول ولا شيوخ • فقد أثار أستاذنا المرحوم **أمين الخولى** قضيه هذه المؤسسات فى مجلة الادب منذ سنوات ، وكان الحديث بعد ذلك عن « **الكم والكيف** » مظهرا آخر من مظاهر النقد الشديد لاعمالها ، ولا أحسب أن القائمين عليها اليوم راضون عنها تمام الرضى ولا أنهم يجهلون حاجتها الشديدة الى ترشيد الانتاج • ولكن الامر الذى يمض النفس حقا هو ان الجدل المثار حول هذه المؤسسات لا يتناول نشاطها فى مجموعه ، بل نصيب الادباء الشباب من هـذا النشاط •

بين فتح النوافذ •• والاصالة

علينا اذن ان نقرأ هذه الشهادات كل بطريقته ، لنستخرج من بين ثناياها الاختلافات الحقيقية بين هذا الجيل وبين الاجيال السابقة له • فقد يكون من اليسير أن نحصر الاختلاف فى أن الشباب يشعر بنفس المشكلات شعورا أكثر حدة ، بحكم مزاجه المختلف . ولكننا بذلك نتجاهل التغير المستمر فى ظروف حياتنا الاجتماعية ، أو نتجاهل أن احساس الشباب بالظروف المتغيرة ، وسعيهم للتـوافق معها ، أوضح من احساس الكهـول والشيوخ وسعيهم • لابد اذن من شىء من الاجتهاد ، يشبه التحكم لاستخراج الدلالـة الحقيقية لهـذه الشهادات • والغالب أننا ـ نحن القارئين ـ سنقرأ المشكلات التى تعيننا نحن ، ولكننا اذا تمسكنا بموضوعية الظروف التى نعيش فيها جميعـا ، شبابا وكهولا وشيوخا ، فعسى ألا يكون تصويرنا للمشكلة مبعدا لها عما يقصد الشباب ، فى أعماق ضمائرهم ، أن يقولوه •

ونبدأ بشهادة الاديب الليبى « سليمان سالم **كشلاف** » (٢٢ سنة) :

« **بدأت أنشر كتاباتى سنة ١٩٦٤ • عندما أنظر خلفى الان لا أملك الا أن أقول اننى لازلت فى البداية ، وكأننى لم أكتب حرفا حتى الان • ان المقاييس النقدية التى كانت سائدة لعدة سنوات خلت سقطت لتحل مكانها مقاييس نقدية أخرى يجب على المثقف أن يلهث وراء مواكبتها ، فهل فعلت أنا ذلك ؟ لا أدرى** » •

ان الاديب الشاب يعيش اليوم فى طوفان ثقافى ، تزيده الصحافة والاذاعة والتليفزيون طغيـانا ، وليس الامر مقصورا على كم الانتاج الثقافى الذى يرى من واجبه ملاحقته ، فهناك التنوع الغزير والتغير المستمر فى هذا الانتاج • وفى وقت غير بعيد كان فى مقدور المثقف أن يعتنق اتجاها ثقافيا واحدا ويرفض حتى مجرد النظر فيما عداه ، ذلك كان عصر « **الستالينية** » الذى مضى ، ولكنه اليوم حتى اذا أعلن انه ماركسي لينينى ، لا يستطيع أن يتجاهل التيارات الثقافية الاخرى ، فهو يعلم أنه مضطر أن يعايشها ، ولكى يعايشها يجـب أن يفسرها ، ولكى يفسرها يجب أن يتابعها ويتفهمها •

ان الاديب الشاب الذى يلهث فى محاولة أن يواكب التيارات الثقافية المعاصرة ، لا يجهل أن هذه التيارات الثقافية مصدرها الغرب ، ولهذا فهو يزدرى الثقافة القومية ، ويجرى وراء المترجمات ، كما اعترفت أديبة شابة هى « **رجاء ياسين** » من سوريا • ولاشك أن المترجمات تكون الزاد الثقافى الاساسىـ فيما عدا الصحف والمجلاتـ للادباء الشبان ، وان كانوا يحاولون دائما ايهامنا بأنهم يقرأون الاداب الاوربية فى أصولها ، فالواقع أن الذين يتقنون لغة أجنبية منهم هم القلة النادرة • ولا عيب فى الاعتماد على المترجمات اذا كانت جيدة وأمينة ، ولكن المؤسف أن المترجمات العربية قلما تكون كذلك •

على أن الطوفان الثقافى الذى يحيط بالاديب الشاب لا يشعره بالضياع فحسب ، وليس طوفانا عكرا فحسب ، بل انه يهدد أيضا باقتلاعه من أصوله • ولذلك يشك فى قيمة الفن كله ويخشى أن يكون « **عادة سيئة نتسلق عبرها نحو امجادنا الشخصيـة ومكاسبنا الصغيرة !** » [**سعد الله ونوس ـ سوريا**] ذلك أن الاديـب العـربى الشابـ وهذه فضيلة تحسب له ـ يحس واقعه احساسا مباشرا وعنيفا ، ويعاشره معـاشرة يومية ، وهو يرى ان المثل التى يستمدها من قراءاته المتقدمة شديدة البعد عن هذا الواقع • مثله فى الفكر التقـدمى العلمـى تصطـدم بحمنـة المشـاعل « **الذين يعرفون جيـدا من أين تؤكل الكتف ، والذين تقضى مصالحهم أن يحافظوا على أمـراض الواقع ويزيدوها تعقيدا وخواء لتبقى الحاجة اليهم قائمة باعتبارهم أداة خبيرة بحل المسـتعصـيات** (**على كنعـان ـ سـوريا**) و « **تطلعاته الادبية المشروعة لكن الغريبة على البيئة** » **تصطدم « بالجمهور اللاهث وراء رغيف كل يوم »** [**عبد الجبار عباس ـ العراق**] . واذا لم يشك الاديب الشاب فى قيمة الفن كله حاول أن يقنع

نفسه بأن موقفه فى ظروف بلاده يؤدى الى نفس النتائج التى وصل اليها الادباء الشبان فى أوربا مع اختلاف الظروف : « حقا نحن الكتاب الشبان لم نخرج من الحرب العالمية الثانية مهزومين مثل **الاجيــال الاوربيــة** بل منتصرين حـاملين راية الاستقلال الخفاقه ، لكن هذه الفرحة لم تدم طويلا بسبب وعينا المبكر وهجوم الاستعمار الحديث على بلادنا،وعشنا فترة تاريخيةصعبة تتمثل بالانتقال من اقتصاد الحصون والحرف اليدويه الى مرحلة التكنيك والعمل الالكترونى بدون تمهيد، اذنفنحن نجد انفسنا مضطرين لكىنفكربعقليةهيلينيه بدون سابق انذار · ولقد كان لاجهزة الاتصال بين أجزاء العالم أكبر الاثر فى تحملنا التناقضات العالمية وأزمات العوالم البعيدة ، وربما تكون هذه ضريبة التقدم » (عبد القادر ربيعة ـ سوريا)

ومن الغريب أن كتابنا الشبان الماركسيين وغيرهم — فىالوقت نفسه— لايتخذون موقفا من الدين حين يتحدثون عن المؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى عملت فى تكوينهم (**راجع دور الدين فىرواية الام لجوركى**) · ويستثنى من ذلك كاتب واحد وهو **عز الدين المناصرة** من فلسطين (**تمنيت أن أجد مسلما حقيقيا كمحمد الثائر والنبى**

حقوق الاجيال وواجباتها

ومحصل هذا كله أن مشكلة الادباء الشبان هى نفسها مشكلة الاديب العربى منذ مطلع عصر النهضة : مشكلة الالتقاء بالحضارة الغربيةوكيفية ذلك · وقد اتسعت أبعاد المشكلة حضاريا بسبب التقدم التكنولوجى الهائل الذى حققه الغرب فى السنوات الاخيرة ، وفنيا بسبب التجريب المستمر الذى يتسم به الفن الغربى خلال الفترة نفسها · وهجمت المشكلة علىجيل الكهول وجيل الشباب فى وقت واحد : على جيل الكهول الذين تسلموا قيادة الحركة الادبية فى بلادنا ، وعلى جيل الشباب الذين يمثلون جسر الحاضر الى المستقبل · وكان طبيعيا أن يعود جيل الشباب على الجيل السابق لهم باللوم لتركهم بلا دليل فى خضم الثقافة العالمية · ولذلك فانأقسى اتهام وجهه جيل الشباب الى جيل الكهولهو قول **سامى خشبة** (الطليعة عدد سبتمبر ١٩٦٩) : « **ان الاجيال السابقة علينا مباشرة ـ وهى التى تتلمذنا نحن على أيديها ـ لم تبذل حتى الان الجهد الحقيقى الذى كان متوقعا منها من أجل نقد التراث لتحـريرنا من تأثيره التلقائى والغيبى ·· واذا كان الجيل السابق علينا مباشرة قد حاول أن يصفى حسابه مع الاجيال** السابقة عليه فانه لم يستكمل هذه المهمة ، علاوة **على انه لم يتخذ فى الغالب المواقف النقـديه الصحيحة ، اما تطرفا بالرفض أو مبالغة فى القبول ·· وبذلك فان تأثير الاجيال السابقة على جيلنا يظل تأثيرا تراكميا وتلقائيا فى الحقيقة ··** وبنفس الطريقة التراكمية والتلقائية تأثرت الاجيال السابقة علينا بثقافات عربية قديمة أواجنبية قديمة ومعاصرة وكان لها تأثيرها الاجتماعى علاوة على تأثيرها العقلى ·· باستطاعتنا أن نقول : نحن متأثرون بالماركسية والوجودية ، وباستطاعة أقلية منا أن تقول : نحن نؤمن بمبدأ الفن للفـن ، وباستطاعة بعضنا أن يقول : نحن متـأثرون بالجوانب المستنيرة من تراثنا ونحاول أن نعصرها وأن نستحضرجوهرها التقدمى والانسانى، ولكننا فى الحقيقة لن نستطيع أن نعثر على مفكر أو كاتب مصرىأوحداستطاع أن يقدم لنا الماركسية أوالفن للفن أو الجانب المستنير أو الانسانى من تراثنا القومى من خلال معالجة قومية وعصرية فى وقت واحـد » ·

وقد قلت من قبل : ان الجيل الاوسط ـ هذا الجيل السابق مباشرة لجيل الشباب ـ يوشك أن يفلت من بين يديه رسالة عمره حين ينسى أن مهمته الحضارية هى « **التأصيل** » ؛ أى تحويل الاجنبى الى محلى ، فبهذا وحده يمكن أن يصير المحلى عالميا ، والموروث القديم معاصرا · وأخشى أنأقول اليوم ، ان هذا الجيل الاوسط مهدد بأن يجرفه تيار الثقافة العالمية كجيل الشباب سواء بسـواء ، ويومئذ لن يحمل هذا الجيل الاوسط وزره فقط ، ولكنه سيحمل وزره ومن أوزار الشباب الذين أضلهم بغير علم ·

ما العمل ؟

فى مجال الثقافة والفكر والفن ، كما فى مجال العلم والتكنولوجيا ، ليس هناك الا خيار من اثنين للامم التى تخلفت فترة من الدهر ، وتريد اليوم أن تلحق بالامم المتقدمة :

● اما أن تتخبط وتهزل ، وتفقد ارادة الاختيار المميز ، الذى يتبعه ابتكار صحيح ، فتنقـرض وتفنى ·

● واما أن تصمم وتنظم ، وتنتقى وتصفى ، ثم تخترع وتبتدع ، فتسبق الامم التى كانت من قبل متقدمة عليها · هذا مثل أمريكا وروسيا بالقياس الى أمم أوربا الغربية والشرقية ·

انه خيار يزداد صعوبة كل يوم ، لانه ، ككل خيار ، يعتمد على الارادة البشرية ، ونحن نعلم أن ما تصدره الينا الثقافة المتقدمة والتكنـولوجيا

المتقدمة ـ وسائل الاعلام الضخمة ، الاجهزة المنفذة العملاقة ـ يحاصر الارادة البشرية ويكاد يحول الانسان الى آلة • ومن هنا يتحتم أن يكون موقفنا اليوم من الحضارة الغربية مزيجا من الرفض المتعصب والقبول المتحمس ، من المحافظة الصلبة والتجديد المتطرف (**أنظر مثلا اليابان**) وذلك كله بفكر ومنهج •

فأين نحن من هذا ؟

ان خططنا الثقافية ـ حتى اليوم ـ ليست الا حشدا تراكميا كما عبر الاديب الشاب ، وتوشك الا نتعلم حتى من التجربة والخطأ ، وهى أدنى درجات التعلم •

أين ـ على سبيل المثال ـ خطة دائرة المعارف العربية ؟

أين خطة المعجم العربى الموحد ؟

أين خطة الترجمة الطويلة المدى ، التى تستوعب التراث العالمى فى العلوم والاداب والفنون ؟

بل أين العمل المرشد المنسق ، بل قل أولا أين العمل الامين الجاد ، الذى يجعل مثل هذه الخطط ممكنة الوضع ، ممكنة التنفيذ ؟

مازلنا بعيدين عن هذا كله بعدا شديدا • واذا كنا سنحمل أوزار الجيل الذى بعدنا معه فى الآخرة ، فان هذا الجيل عليه أن يحمل معنا أوزارنا فى الدنيا •

فلئن اخترنا نحن أن نفنى ، هل فى وسع الجيل الذى بعدنا أن يقبل هذا الاختيار ؟

■

البحث عن شيء لا يعرفونه

د• رشاد رشدى

فى هذا التعليق ، أرجو أن أكون موضوعيا ـ اعنى أرجو أن يسمح لى بذلك ـ فانا أرى أن أبداء الرأى فيما يقوله هؤلاء الكتاب الشبان مسألة لها خطرها، اذ قد يجنح الرأى الى التعميم وهذا خطأ لان الاستفتاء لم يشمل جميع الادباء بل مجموعة صغيرة منهم من الخطأ أيضا أن نعتقد أنهم يمثلون الادباء الشبان فى الوطن العربى ما لم نستند الى دليل علمى يثبت ذلك وأغلب ظنى انه لا وجود لمثل هذا الدليل •••

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمن الصعب ان لم يكن من الخطأ ابداء الرأى فى براعم أدبية ما زالت لم تتفتح تماما وقد لا يتفتح بعضها ابدا •• فهذا الرأى سيكون سابقا لاوانه لان الصورة لم تتضح بعد ، أو فى الواقع لم تتكون ••

لذلك امتنع عن ابداء الرأى ـ واكتفى باستقراء المادة التى أمامى استقراء علميا يتلخص فى ملاحظات أحب أن أؤكد مرة أخرى انه ليس لها صفة العموم، وانما هى فقط ملاحظات استخلصها بدقة من الاجابات التى قرأتها وفى حدود هذه الاجابات فقط •• وهذه الملاحظات كالتالى :

١ ـ اكثر الاجابات توحى بحالة عدم استقرار نفسى ليس له ما يبرره أو يفسره فى الاجابات

نفسها . وربما أخفى الكتاب الاسباب ، أو لم يستطيعوا التعبير عنها تعبيرا مقنعا ـ أو ربما كانوا هم انفسهم يجهلون أسباب احساسهم بعدم الاستقرار ٠٠

٢ ـ هناك نزعة رومانسية واضحة فى أغلب الاجابات يمكن تلخيصها فى شوقهم الى « النور الذى لم يكن قط على الارض أو على البحر » ٠٠

٣ ـ اللغة الغالبة على هذه الاجابات بعيدة عن لغة الفن ٠٠ ويمكن ـ لو انهم لم يذكروا أنهم يمارسون الكتابة ـ ان يتصور القارىء انه لاعلاقة لهم بالادب أو الفن ٠٠ وربما كان السبب أن الوعى السياسى أو « الاستوعاء » السياسى أقوى لديهم من أى وعى آخر ٠٠

٤ ـ تفتقر أكثر الاجابات الى منهج فنى أو نقدى ينتهجه كتابها ٠

٥ ـ المعرفة بالتراث الادبى والحضارى معرفة ضئيلة كما يبدو فى أغلب الاجابات ٠

٦ ـ العقائدية واضحة فى أغلب الاجابات ٠٠ وفى بعضها يتضح ضيق الحيز أو الانكماش الذى يصيب صاحبها ٠٠ ولكن هذا قليل ٠٠

٧ ـ الشعارات كثيرة لاتتناسب فى كثرتها مع مقومات الكاتب أو الفنان وخاصة وهو فى دور التكوين ٠٠

٨ ـ هناك رغبة تكاد تكون عامة فى أن يفعل أصحاب الاجابات شيئا بانفسهم وبالعالم الذى حولهم ٠

وهناك شبه اجماع على أنهم لا يعرفون بالضبط ما هو هذا الشىء ٠٠ وهناك شبه أجماع أيضا على انهم قادرون على فعل ما يريدون فعله ٠٠

وهذه علامة صحية ..وهذاهو الرأى الوحيد الذى أسمح لنفسى بابدائه ..٠

■

أدب وفـن الجيـــل الجـــديـد ٠٠ مأســاة ووجودا وصـياغة فنيــة

معين بسـيسـو

ما تثيره قضية أدب وفن الكتاب الشبان فى الوطن العربى ، مسألة التخطى للاجيال الادبية التى تقدمتهم ـ مرحليا ـ والتى تأثروا بها رواية وقصة وشعرا بشكل أو بآخر ، فرغم كل الانفجارات أو المؤثرات الصوتية التى صاحبت أصوات الكتاب والادباء الشبان فى ج ٠ ع ٠ م وفى الاردن وفى سوريا وفى العراق وفى السودان واليمن الجنوبية الشعبية والجزائر والجمهورية العربية الليبية وفلسطين المحتلة ـ وهى هنا استثناء ـ رغم تلك الحملات تحت راية الجديد الذى يجب أن يفسح له المجال ـ الا ان ذلك الادب والفن قصة ورواية وقصيدة لم يتخط ما سبقه ، فكتاب القصة والرواية الشبان وحتى الشعراء فى الجمهورية العربية المتحدة لم يتخطوا لا **نجيب محفوظ** ولا **يوسف ادريس** قصة أو رواية ، ولم

يتخطوا صلاح عبد الصبور أو أحمد عبد المعطى حجازى شعرا ، وظلت قامات طموحهم لاكتساح القديم والحلول محله فى الحياة الادبية والفنية ، اطول كثيرا من قامات اعمالهم فى الرواية والقصة والقصيدة ، والامر نفسه يمكن أن ينطبق على القصصيين والروائيين والشعراء الشبان فى الجمهورية العربية السورية فهم لا يزالون يدورون فى هذا الاتجاه أو ذاك لاعمال **حنا مينة وسعيد حورانية وزكريا تامر** ـ ومن الممكن القول فى مجال القصة والرواية أن اقرب الادباء والكتاب الشبان الى الوقوف على بعد زمنى وفنى مناسبين هو **هانى الراهب** ، وفى مجال الشعر ظلت حركة الشعر السورى مرتبطة بشكل أو بآخر باسم **شوقى بغدادى، وبدوى الجبل وعمر أبو ريشة**رغموجود انطلاقات شعرية وتجارب لابد من تقييمها كقسمات جديدة فى وجه حركة الشعر السورى . وهذه القسمات يمثلها فى تقديرى **على كنعان وممدوح عدوان والماغوطان « محمد الماغوط وصدر الدين الماغوط » وعلى الجندى** .

والامر نفسه يمكن أن يسحب على أعمال معظم القصصيين والروائيين والشعراء فى جميعانحاء الوطن العربى

التقييم ... والتخطى

اعتقد ان قضية التخطى لا يمكن الحكم عليها الان وإصدار قرار حاسم فيها ، او صياغة بعض القوالب أو التوابيت .. ففى مجال الادب والفن لا ترتبط قضية التخطى ـ بتقييم هذه المرحلة ـ حتى ولوكانت المعطياتكلها تشير الىأن شاعراعراقيا منالشعراء الشبان لميتخط بعد **البياتىوالسياب** أو أن شاعرا ليبيا معاصرا على سبيل المثال قد أصبح له فى الحياة الادبية ما كان للشاعر ـ **رفيق** ـ ترسانة الشعر الليبى الكلاسيكى .

وأعتقد أن نضوج التجربة الجديدة فى مجالى الادب والفن فى بلادنا العربية ـ وعلى ألسنة نار هادئة ـ وليس على ألسنة نار البوتاجاز ، أو نضوجها فى حلة البريستول واعتقد أيضا أن مرافقة النقد الموضوعى لتلك التجارب ـ لا عن طريق اثارة الزوابع النقدية المصطنعة فوق اعمدة الصحف ، ووضع الجديد فى مواجهة المرحلة المتقدمة تاريخيا وفنيا ـ وفى مبارزة بالسلاح الابيض ـ أو عن طريق فرض هذا الكاتب أو ذاك ـ من أعلى سلطات النقد ـ بل عن طريق التقييم الجاد لهذه الاعمال . واعتقد ثالثا ، ان وجود تلك الصياغة أو المائدة المستديرة بين المجتمع وبين التجربة الادبية الجديدة وعمق اتصال تلك التجربة ، لا بالصواريخ الملونة التى تنطلق من المجتمع ـ موسميا ـ ولا عن طريق تكريس النظر فى بعض التشققات فى القشرة الارضية للمجتمع ـ ولا عن طريق حك الجرح ـ الذى ما يزال ينزف بعد هزيمة الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ـ بل عن طريق الاحتواء والالتحام الفنى للقسمة الرئيسية فى التجربة العامة الجديدة التى يخوضها مجتمعنا ـ الذى يمارس تشكله الجديد ـ يمكن للتجربة الادبية والفنية الجديدة قصة ورواية وشعرا أن تتخطى بمنجزاتها ـ وليس بمكبرات صوتها ـ أعمال الرواد السابقين ...

ملامح التجربة الجديدة

بعد هذه الملاحظة التى لابد منها ، من الواجب استخلاص بعض القسمات الرئيسية فى الوجه الادبى والفنى العام للتقارير الادبية الموجزة التى تقدم بها جيل الادباء والكتاب والشعراء الشبان فى **الجمهورية العربية السورية** . تقارير على كنعان وعبدالله عويشق ، هانى الراهب ، أكرم شريم ، عبد العزيز هلال ، رياض عصمت ، ملاحة الخسانى ، نواف أبو الهيجاء ، رجاء ياسين ، سهل كومين ، سعد الله ونوس، عبد القادر ربيعة ، محيى الدين صبحى، خلدون الشمعة **وفى العراق** التقارير التى قدمها : عبد الجبار عباس ، نور الدين فارس ، عبد الرحمن مجيد الربيعى ، محمد الجزائرى ، عائد خصباك ، ماجد العامل ، فوزى كريم ، جميل كاظمالمناف ، شجاع مسلم العانى . **وفى اليمن الشعبية كل من :** فريد بركات ، عبد العزيز المقالح ، محمد عبد الجبار ، ومن **لبنان :** فاروق البقيلى ، سمير الصايغ . **ومن ليبيا :** سليمان سالم كشلاف (أين بقية الكتاب والشعراء الليبيين ؟) **ومن الاردن :** فايز محمود (... ؟) **ومن السودان :** عبد المنعم على بخيت ، عبد الله على ابراهيم ، كمال شانتير ، خديجة صفوت ، ومن فلسطين المحتلة ، مريد البرغوثى ، محمد عز الدين المناصرة ، محمد

حسيب القاضي ، أحمد عمر شاهين ، على زين العابدين الحسيني ، عيسى الشعيبي ٠

وأعتقد انه يمكن تلخيص الملامح الاساسية فى تلك التقارير الادبية على الوجه التالى :

أ ــ قضية التجربة الفنية الخاصة بكل أديب وكاتب وشاعر ٠

ب ــ الموقف العام من جيل الرواد

ج ــ العلاقة العضوية والفنية في الحركة الادبية

والفنية الواحدة فى الوطن الواحد بين الادباء والفنانين والشعراء انفسهم .

د ــ أزمة النشر ــ المرتبطة أساسا ــ بالعلاقة بالاجهزة العامة أو الخاصة للنشر ٠.

هـ ــ وجهة النظر المطروحة فيما يتعلق بالرؤيا الجديدة الادبية والفنية لهؤلاء الادباء والكتاب والشعراء الشبان ٠

القضايا المشتركة

وقبل العرض التفصيلى لكل تلك الملامح العامة ، اعتقد ونحو المزيد من الوضوح والتجسيد ، أنه من المفيد أولا وقبل كل شىء ، عرض المسائل والقضايا المشتركة ، بين جميع الادباء والكتاب والشعراء فى مختلف ارجاء الوطن العربى والتى يمكن تلخيصها فى تقديرى على هذا النحو :

ان الازمة العامة فى كل التقارير الادبية المقدمة تسير فى اتجاهين رئيسيين : لا يتوازيان ، وانما يقطع الخط الاول فيهما ، الخط الثانى أو الاتجاه الثانى ٠

وخطا الازمة العامة هما بالتحديد : عدم وجود أى شكل من أشكال وصور جسور الاتصال الموضوعية بين الادباء والكتاب والشعراء فى الوطن الواحد ،وبين أجهزة النشر بمختلف صورها وأشكالها ، فرغم وجود أجهزة الارسال الادبية والفنية بالنسبة للكتاب والشعراء الشبان فى هذا الوطن أو ذاك ، الا انه لا يوجد جهاز للاستقبال بالنسبة الى أجهزة النشر ، وكأن تلك الاجهزة فيمايتعلق بأساليب النشر التى تملكها الدولة تلخص علاقتها كلها بالكتاب والادباء الشبان، فى انهم يعملون فىكوادرها كموظفين، وكأن « **قضية التفرغ** » التى حلت جزئيا فى ج ٠ ع ٠ م ، وحلت كليا فى العالم الاشتراكى ــ رغم أن مسألة علاقة الفنان بالسلطة الاشتراكية لا تزال مطروحة ، ومطروحة ايضا بكل اتساعها ، مأساة **ماياكوفسكى** والبيروقراطية ، كأن قضية التفرغ بالنسبة لهذا الوطن أو ذاك والذى يسير فى طريق التحولات الاجتماعية الجديدة ، لا يرى أن الادب والفن يمكنهما أن يساهما فنيا فى هندسة تلك المرحلة وصياغتها فنيا ٠٠

هذا فيما يتعلق بالوجود الوظائفى للاديب الذى تكتفى به الاجهزة الموكول اليها ــ فعلا ــ المساهمة فى صياغة وجوده الادبى والفنى، ولعله من أهم الظواهر فى هذا الاتجاه ، هو موقف النقاد الرسميين أو شبه الرسميين ، من قضية الوجود الوظائفى، فهم يسقطون منحساباتهم الالكترونية النقدية على الدوام ، قضية التفرغ ، أو قضية العلاقة بين أجهزة النشر ، وبين الكتاب والادباء الشبان ، ويركزون كل اسلحة نقدهم التكتيكية ، والاستراتيجية على الاعمال نفسها كأن عمليةقذف الشعراء والروائيينوالقصصيين فى توابيتالعمل الوظائفى ، المقطوع الصلة تماما ــ بالتطور الاجتماعى والوجدانى ــ هو قدر الادباء والكتاب الشبان ــ وأمر لا علاقة له بانتاجهم ٠

أين مساهمات النقد ؟

ولعل ظاهرة النقد تلك يمكن سحبها على العديد من اتجاهات حركة النقد العربية بشكل عام ، ففى الوقت الذى كتبت فيه مئات الدراسات (الريبورتاجات النقدية والتحليلية فى واقع الامر) عن الشعر الفلسطينى الجديد ــ فى الارض المحتلة بشكل خاص ــ لم تساهم حركة النقد الا بالقليل كما نرى فى دراسات **د ٠ لويس عوض ، غالى شكرى ، د. احسان عباس.** وفيما يتعلقبالشعر العربى الجديد فى الوطن العربى وبعد هزيمة الخامس من يونيو (حزيران ١٩٦٧) ٠ ولعل السبب فى أساسه يرجعالى مفهوم تجنب المسالك الوعرة فىالنقد ، والى ظاهرة تناول الاعمال الادبية بالقفازات البيضاء ٠٠ ففيما يتعلق بالشعر فى الارض المحتلة ، فهو يسير بوضوح وفى خطوط متوازية فى مواجهة رفض الاحتلال والنضال بالقصيدة ضده ، والعدو هناك واضح ٠ أما فيما يتعلق بالشعر

العربى خارج الارض المحتلة فالمسألة أكثر تعقيدا .. والقصيدة تشبه القنفد الشائك .. وبالطبع فالصيد بالشبكة وعلى شاطىء بحر ، أكثر يسرا من الصيد عن طريق الابحار فوق سطح سفينة أو مركب صيد . وبالطبع أيضا فقضية التفرج والمشاهدة على الحيوانات الغاضبة خلف اقفاص حدائق الحيوان ، أقل ضررا وأكثر طمأنينة من عملية مشاهدة تلك الحيوانات — فى غاباتها — بعيدا عن الاقفاص .

■ ■

بعد قضية الوجود الوظائفى المقطوع الصلة تماما بالوجود الفنى — وما يتفرع عنه من قضية العلاقة بين الاديب وبين الاجهزة، ومسألة التفرغ تأتى القسمة العامة الثانية أو الوجه الثانى لازمة الكتاب والادباء والشعراء العرب هنا أو هناك ، والمتجسيد عوضا عن التجريد يمكن الاتجاه نحو مأساة الوجود الاذاعى والتليفزيونى لهؤلاء الادباء والكتاب والشعراء ، والذى حل محل وجودهم فوق أعمدة الصحف والمجلات أو المكتبات ودور النشر .

ولعل هذا الوجود هو أسوأ ما يمكن أن تبتلى به حركة أدبية أو فنية أن يذودها النواطير عن أشجار النشر ، فتهاجر كالطيور المتشردة لكى تقع على أسلاك تليفون الاذاعة والتليفزيون .. كما تشير التقارير الادبية فى أكثر من جزء من الوطن العربى .. وأنا لست ضد أن يمارس الادب والفن الجديد وجوده على الهواء ، ولكن هذا الوجود يرتبط تماما بالوجود الادبى والفنى خارج اطار الميكروفون والشاشة الصغيرة . أما اذا انعدم هذا الوجود فى مجال دور النشر ، وفى مجال الصحف اليومية والمجلات ووسائل الاتصال الاخرى ، وأصبحت المسألة ، مسألة انطلاق من مجال مسدود كليا ، الى مجال مفتوح نسبيا . فالوجود التليفزيونى والاذاعى للادباء والكتاب الشبان ، وعلى الهواء ، أو على الشاشة الصغيرة ، ليس أكثر من وجود اصطناعى . وهذا هو أشد ما أخشاه شخصيا على الوجود الفنى والادبى لكل الادباء والشعراء والفنانين ، الذين أصبح التليفزيون والميكرفون هما وسيلتا اتصالهم الوحيدة بالناس . فالكتابة بشكل مكرس للهواء وللصورة والصوت يتطلب مقاييس معينة من الكتابة الاذاعية والتليفزيونية ، كتابة حسب الطلب وحسب الأهواء فى مجموعها ، وتتحكم فيها فى معظم الاحوال ، مسألة الكسب ، وموازنة الدخل

وربما تفرض قضية الارتزاق نفسها — رغم أنف الكاتب — فأنا أفهم أن تتحول قصة أو رواية الى مسلسلة اذاعية أو مجموعة من الحلقات التليفزيونية ، بعد ذيوعها فى شكل وصورة كتاب ، وأنا أفهم أيضا أن يكتب هذا الاديب أو ذاك خصيصا للاذاعة أو التليفزيون بعد مرحلة الكتابة بحروف المطبعة ، ولكننى لا أستطيع أن أفهم الا بشكل — مأساوى — أن يطرد الاديب أو الشاعر من المطبعة ، والجريدة والمجلة لكى يتجه الى الاذاعة والتليفزيون . وتبلغ المأساة أوجها وعنفوانها حين يغيب النقد ، ففى الجمهورية العربية السورية على سبيل المثال ، وحين يغيب النقد عن مسرح العمل القصصى والروائى والشعرى ، وحين يكف عن ملاحقة أعمال **حنا مينه وسعيد حورانية وزكريا تامر وهانى الراهب وممدوح عدوان وصدر الدين الماغوط ومحمد الماغوط وعلى كنعان وحيدر محمد حيدر وسلوى شحادة وعلى الجندى وحامد بدرخان** ، فمن الصعب عليه فنيا وموضوعيا — ملاحقة اعمالهم — على الهواء وعلى الشاشة الصغيرة .

الحجرة الخاصة

أعتقد أنه يمكننا الدخول الان الى الحجرة الخاصة للادباء والشعراء والفنانين العرب الشبان .. بعد أن تجولنا كثيرا فى ابهائهم أو سراديبهم العامة ومن الممكن اجمال الخصائص أو القسمات الخاصة لهم جميعا فى دائرتين رئيسيتين وهما :

أولا : دائرة التجربة الفنية والادبية الخاصة ، أو دائرة الجذب المغناطيسى .

ثانيا : دائرة العلاقة الفنية والعضوية بين الادباء والفنانين أنفسهم .

أما فيما يتعلق بدائرة التجربة الشخصية الفنية فلقد تأثروا جميعا **بلوركا ونيرودا وهيمنجواى ومينة وحورانية والبياتى وعبد الصبور . الخ .** عربيا وعالميا ، ولكن القضية تظل هى القضية بالنسبة الى التجربة الشخصية . وهى بالتحديد : الى أى مدى استطعنا أن نستلهم لوركا العالم ... **لوركا** القسمة المشتركة بين شعراء العالم ... الى **لوركا** الخاص ... بالنسبة **لعلى كنعان وممدوح عدوان ومحمد عز الدين المناصرة**

وحسيب القاضي .. ـ شعرا ـ والى أى مدى استطعنا فنيا أن نحول هيمنجواى وجوركى ، القسمة المشتركة بين كتاب الرواية والقصة فى العالم ، الى قسمة خاصة بالنسبة الى **فاروق البقيلى وهانى الراهب ونواف أبو الهيجاء .. وسلوى شحادة .. وكوليت خورى .. وغادة السمان** ... مع رفع القبعة لليلى بعلبكى .

لقد كتب الشاعر الامريكى **جريجورى كورسو** ، الذى كل ما أرجوه وأنا أذكر اسمه أن يظل على ولائه لكل القيم التى قاتل من أجلها ، وأنا لا أعرف ما هو مصيره ، أنه قال ذات يوم فى كتاب تجربته الشعرية :

ـ « طول عمرنا ـ نحن الشعراء الشبان ـ ونحن نضع توقيعاتنا فى أتوجراف ، ت.س. اليوت ، وازرا باوند ، وباسترناك ، الخ .. فمتى يضع أولئك الشعراء توقيعاتهم فى أتوجرافاتنا .. »

أعتقد شخصيا أن هذه هى القضية ، وأعتقد أيضا أن العلاقة بين الادباء والفنانين والشعراء فى العالم العربى تحكمها قوانين كثيرة يتدخل فى هذه العلاقة ويسممها حتى الموت ، علاقة الشلل النقدية ببعضها البعض ، ويدس السم فى شرايينها أيضا ، علاقات دور النشر بالادباء والشعراء .. يسممها الوجود الوظائفى والوجود التليفزيونى ـ الوجود على الهواء وعلى الشاشة الصغيرة ـ يسممها ويضربها بالكرباج حتى النزيف والموت ـ وفوق جراحها ـ أولئك الذين يمارسون النقد عفويا ، ويرفضونه أو يخافون من الاقتراب منه ـ فنيا .

عالم التجربة الجديدة

بقيت هناك كلمة لابد منها حول خصوصية التجربة الفنية الذاتية للادباء والشعراء الشبان ، وهناك فى تقديرى بعض الملاحظات حول هذه التجربة التى تكاد تنظمهم جميعا فى خيط عقد واحد .. ويمكن اجمالها فيما يلى :

١ ـ ان التجربة الفنية نابعة أساسا من « معاناة القراءة » للاجيال العربية السابقة أو للاجيال الاجنبية ـ فى المرحلة نفسها ـ وليس من معاناة التجربة التى يمارسها الفنان بنفسه ، وهذا ليس بالضرورة يعنى كل الادباء والفنانين الشبان ، فبعضهم ولاشك قد افلت من المصيدة وأصبح له مداره الخاص .

ومعاناة القراءة أمر لابد منه فى مراحل التكوين الاولى ، ورفضها ولاشك أمر مضحك تماما ، فالشجرة لا يمكن أن نطالبها بالنماء وجذورها فوق سطح الارض ، ولكن احتواء التجربة العامة للعديد من أجيال الادباء والكتاب والشعراء المتقدمين ـ مرحليا ـ هو ليس كل جوانب القضية الفنية ، وليس غير وجه واحد من وجوهها ، والانغماس فى هذا الاتجاه . . لابد أن ينتج عنه ـ مادامت تجربة الاديب ـ قد كرست فى اطاره ، أن يقوم الاديب بلا وعى أو بوعى ، بنقل عمومية التجربة لغيره ـ المستمدة أساسا من مجموع قراءاته وتحويل تلك العمومية الى خصوصية له ، وفى هذه الحالة يكون حصاد تحويل عمومية تجربة الغير الى خصوصية لنا : الصور الذهنية والتجريد بكل أبعاده وتسطيح أو تكعيب الرؤية الفنية .

٢ ـ أن جيل الادب والفن الجديد فى بلادنا وخلال التقارير الادبية المقدمة ، يمكن أن يوضح حقيقة واحدة : هو أن هذا الجيل يتقدم للناس كمجموعة ذات أعمار متقاربة ، وليس كجيل يمتلك رؤية جديدة تنتقل من مدار التعبير عن أزمة الانسان العربى الى مدار التغيير فى حياة ذلك الانسان الادبية والفنية والروحية . وأنا لا أعنى وبشكل مطلق أن توضع الاحذية الحديدية فى أقدام هذا الجيل ، أو أن نمدده على سرير ، نقطع أرجله لو طالت ، أو نقوم بعملية تمديد الارجل لو قصرت ، حتى درجة التفسخ ، فالتناقض والصراع بين مختلف التجارب الادبية والفنية والرؤى المتباينة فيما يتعلق بأزمة الانسان العربى ، وبأزمة المجتمع العربى ككل ، أمر حتمى ، ولكنه فى الوقت نفسه لابد له فى نهاية المطاف من بعض ملامح ـ وليس كل ملامح ـ الصياغة الايدلوجية التى تنبع من مساقط مائية واحدة ، ثم تبدأ تتفرع وتجرى فى مختلف الاتجاهات . أقول هذا لان خط التطور العام للجماهير العربية ـ وهو يسير فى طريق التحولات الاجتماعية الكبيرة ، لابد وأن يقود الى تلك الملامح ـ من الصياغة الايدلوجية ، وستكون فى تقديرى ـ أهمية أدب وفن الجيل الجديد من الادباء ـ بل قضية تخطيهم لمن سبقهم ، هو قدرتهم على التعبير فنيا ـ عن مرحلة التحولات الاجتماعية الجديدة ـ كما فعل الجيل الماضى ـ الذى تتركز أهميته فى أنه استطاع أن يعبر عن مرحلته ـ وبشكل فنى .

انساننا الجديد هو المنقذ

مثل هذا الانعطاف نحو الانسان العربى الجديد ، الذى قد أخذ يتشكل ويتكون ، هو الذى سيخلص أدب الجيل الجديد من مأساة حصر تجربته الفنية الذاتية فى اطار تجارب القراءة للآخرين ، أو التجربة الذاتية المحدودة ، وهـذا الانعطاف وحده هو الذى سيخلصهم أيضا من كل معاناة وقلق وعذابات البرجوازى الصغير وطموحه ومغامرته المحدودة ، وهو الذى فى الوقت نفسه سيصقل أدواتهم الفنية ـ ويفرضهم ـ لا عن طريق الحملات النقدية التى تشبه الصواريخ الملونة ٠

أما بالنسبة الى قضية الانعطاف كيف ؟ ومن أين ؟ والى أين ؟ فأعتقد أنها قضية لا يتسع المجال للكلام حولها ، ولكن البوصلة الهادية فى هذا الاتجاه هو الصراع الذاتى المرتبط بالصراع العام والذى يخرضه الاديب ومن خلاله يعثر على تلك الصياغة الفنية لوجوده الفنى ٠

محاولة لتلمس الملامح فى ضوء قليل

فاروق عبد القادر

اربعون كاتبا ينتمون لتســــع دول عربية ، ومنتشرون من جمهورية اليمن الجنوبية الى سوريا شمالا ، ومن ليبيا الى العراق شرقا ، ويتوزعون على النحو التالى : أربعة عشر كاتبا من سوريا ، وتسعة من العراق ، وستة من فلسطين ، وأربعة من السودان ، واثنان لكل من لبنان واليمن ، ثم كاتب واحد لكل من الاردن وليبيا وجمهورية اليمن الجنوبية ٠ يكتبون القصة القصيرة والرواية والمقال النقدى والشعر والمسرحية ، بينهم كاتب « فكر سياسى » وناقدان تشكيليان ، تتـــراوح أعمارهم ما بين السادسة والثلاثين (عبد العزيز هلال من سوريا) ، والحادية والعشرين (رجاء ياسين من سوريا أيضا) ، بمتوسط قدره ٢٤ سنة للمجموعة كلها ٠ وتتفاوت دخلوهم ما بين ٩٥ دينارا كويتيا ، ٨٠٠ ليرة لبنانية ، ٧٥ دينـــارا عراقيا ، ٥٠٠ ليرة سورية من ناحية ، والبطالة الكاملة من الناحية الاخرى ٠ كذلك يختلف حظهم من النشر ما بين ثلاث مجموعات من القصص القصيرة الى قصتين منشورتين فقط ، ويعمل عدد غير قليل منهم (١٨ من ٤١) فى أجهزة الاعلام المختلفة ٠

على أية أفكار يمكن أن يلتقى هؤلاء ، وحول أية قضايا يمكن أن يختلفوا ؟ ٠ قبل ذلك : كيف يمكن أن ننظر لهذه الاستجابات ـ أو « الشهادات » ـ

على أسئلة الطليعة » ؟ . أى منهج يمكن استخدامه من أجل الوصول الى اجابة هذا السؤال الرئيسى ؟ ..

من الواضح أننا لا نستطيع اعتبار هذه الشهادات « عينة ممثلة sample representative » بالمعنى المتفق عليه فى مناهج البحث . فهذه النسبة المخصصة لكل دولة عربية هل تخضع لعدد السكان ؟ . لنسبة التعليم ؟ لازدهار المناخ الثقافى حسب معايير معتمدة يمكن التأكد من صدقها ؟ .. أم هى — فى نهاية الامر — افتراض أملاه الاجتهاد من جانب « الطليعة » ؟ . من الناحية الاخرى : هل تم اختيار الشهادات من داخل القطر العربى الواحد بحيث تمثل كل « الاتجاهات المحتملة للكتاب فى هذا القطر ؟ » .

أيا ما كان الامر . فان بعض الملاحظات هنا تبدو ضرورية :

● يمثل الجمهورية السورية أربعة عشر كاتبا ، ويمثل العراق تسعة . أكثر من نصف عينة البحث من سوريا والعراق . هذه هى أهم النماذج التى تبدو فى اطارها الشهادات الاخرى استثناء أو حالات قليلة الاهمية . هذا فى الوقت الذى تستبعد فيه عينة البحث دولا عربية بكاملها : دول المغرب الثلاث (الجزائر والمغرب وتونس) كذلك السعودية والكويت (من الكويت شهادة كاتب فلسطينى) .

من هنا يبدو البحث بحاجة لاستكمال اذا كان يهدف للتعرف على هذا الجيل من الكتاب فى المنطقة العربية كلها .

● الكتاب الفلسطينيون الستة الذين أدرجت شهاداتهم يقيم أربعة منهم فى القاهرة ، وواحد فى الكويت ، والاخر فى فلسطين (لا نعرف فى أى مكان منها) . هل يمكن أن نعتبر هؤلاء الكتاب ممثلين للكتاب الفلسطينيين الذين لاشك فى أنهم منتشرون فى كل مكان يتجمع فيه فلسطينيون ؟ . هل يمكننا أن نقول — بحد أدنى من الاطمئنان ، واستنادا الى شهادات هؤلاء — أن الكتاب الفلسطينيين متفقون حول هذا الرأى أو ذاك ؟ ، هذا فى الوقت الذى أدرجت فيه شهادة كاتب فلسطينى بين الكتاب السوريين (راجع شهادة **نواف ابو الهيجاء** ، خاصة اجابته على السؤال الثالث) .

ان أهمية الكتاب الفلسطينيين فى أية محاولة للتعرف على ملامح هذا الجيل من الكتاب فى الارض العربية كانت تقتضى مزيدا من الاهتمام فى اختيار النماذج التى تمثلهم .

● اتسمت شهادات الكتاب الاربعة الذين يمثلون السودان (عدا السيدة **خديجة صفوت**) بالايجاز الواضح ، ولا بأس فى هذا ، لكنهم جميعا يمثلون « اتجاها » واحدا ، فهم ماركسيون — لينينيون بدرجات متفاوتة . هل نستطيع أن نعتبر هذا هو الاتجاه الوحيد « أو الغالب » بين كتاب السودان ؟

كذلك يمثل لبنان صحفى وناقد تشكيلى . لا قصاص أو شاعر أو روائى أو مسرحى . أين كتاب هذا الجيل فى لبنان ؟

● النماذج المفردة لكل من الاردن وليبيا وجمهورية اليمن الجنوبية لا يمكن اعتبارها سوى حالات فردية لاتستطيع التعبير عن جو عام يمكن تحسس ملامحه الا بقدر ما يمكن أن يفيد منهج « دراسة الحالة » case study بمعناه المحدد فى مناهج البحث فى التعرف على الملامح العامة لجماعة ما . انه — فى أفضل الاحوال — يلقى بعض الضوء على جوانب من هذه الملامح بقدر ما تكون « الحالة نموذجية » أى تمثل كل الخصائص النوعية للجماعة وتكثفها .

بعبارة أخرى : لا شك فى أننا نقع فى أسر سوء الفهم اذا ما اعتبرنا اجابة مثل اجابة الكاتب **سليمان سالم كشلاف** ممثلة لكل هذا الجيل من الكتاب الليبيين . (راجع اجابته خاصة على السؤال الثالث) .

الطريقة الملائمة اذن — والتى تفرض نفسها — هى أن ننظر الى كل جماعة داخلية sub - group نظرة قريبة تحاول أن تجد بعدا واحدا تقف على طوله الشهادات كلها أو معظمها وتشير الى الحالات المتميزة على طول هذا البعد الواحد أو بعيدا عنه . لكنها لا يمكن أن تكون — فى النهاية — سوى تلمس — فى ضوء غير كاف — لملامح دقيقة ومتنوعة .

ثمة طريقة أخرى — بطبيعة الحال — وهى أن نسبح فوق الشهادات الواقعية ، فنطرح قضايا قد يكون طرحها صحيحا ، ومناقشتها على الوجه الصحيح كذلك ، لكن هذه الطريقة لن تؤدى — فى

النهاية ـ الا لاضافة شهادة جديدة الى قائمة الشهادات المنشورة •

وواضح من تكرار نشر أسئلة عدد سبتمبر من « الطليعة » أن هذا الجزء استمرار للدراسة نفسها ، يخرج الى نطاق الوطن العربى ليناقش قضية « الادباء الشبان » فيه . وهكذا تدور هذه الشهادات حول القضايا نفسها : علاقتهم بالزملاء والاجيال والعمل ، والمؤثرات الاجتماعية والفكرية والفنية التى تؤثر فى انتاجهم ، ثم مواقفهم من قضايا التغيير الاجتماعى والعدوان الاسرائيلى وقضايا العالم •

وقد يكون فى طرح الاسئلة على هذا النحو قصور فى جانب أو آخر (١) ، لكن هذه هى المادة المتاحة • وفيما يتعلق بالجزء الاول من الدراسة كان يمكن التغلب على معظم الصعوبات المنهجية التى أثيرت بالرجوع الى الواقع نفسه : واقع متابعة هؤلاء الكتاب الشبان وما يقدمون ، أما بالنسبة لكتاب الدول العربية فثمة صعوبة اضافية لابد من الاشارة اليها هنا • ان متابعتنا للحركة الادبية فى الوطن العربى يشوبها نقص واضح ، وانني لاجد فى نفسى الشجاعة كى اقول ـ وانا احد المشتغلين بنقد الادب ـ اننى لم أقرأ سوى لخمسة كتاب أو ستة من بين هؤلاء الكتاب الاربعين . بل اننى استطيع أن أمضى خطوة أبعد فأقول ان خاصة القراء والمشتغلين هنا لا يكادون يعرفون الجيلين السابقين على الجيل موضوع الدراسة معرفة جيدة . فنحن نعرف ـ مثلا ـ من شعراء العراق: **السياب والبياتى ونازك والحيدرى** أكثر مما نعرف عن قصاصى نفس جيلهم : **عبد الملك نورى وذو النون أيوب وفؤاد التكرلى**، وفى سوريا لا زالت تنقصنا الاعمال الكاملة ـ والدراسات النقدية عنها ـ **لفؤاد الشايب وحنا مينة** ، بل وهذا الجيل الذى افتقدنا اسماء بعض افراده فى هذه الشهادات ، جيل **سعيد حورانية وزكريا تامر وياسين رفاعية ووليد اخلاصى وحيدر حيدر** ، فلست أعرف ـ على وجه اليقين ـ من من بين هؤلاء قد تجاوز السادسة والثلاثين ، الحد الاقصى للمشتركين فى هذا البحث •

تمثل هذه الحقيقة صعوبة اضافية : انها غياب « الاطار المرجعى » frame of reference ـ اذا استخدمنا مصطلح العلوم الانسانية مرة أخرى ـ الذى يمكن فى ضوئه فهم الاجابات فهما افضل •

هذا هو الاطار الذى يحدد شهادات هذا البحث ، ومن ثم يحدد التعليقات التى يمكن أن تتناولها •

التجربة السورية

ولنبدأ بأصحاب أكبر مجموعة من الشهادات . . بالكتاب السوريين •

١٤ كاتبا ، متوسط أعمارهم ٢٩ سنة ، ومتوسط دخولهم ٤٠٠ ليرة سورية (من بينهم عاطل عن العمل ، وثلاثة لم يحددوا دخولهم) . بينهم شاعر واحد ، والباقون جميعا يكتبون القصة القصيرة ، ويجمع معظمهم بينها وبين الرواية أو المقال أو المسرحية أو القصيدة • بدأوا ينشرون أعمالهم الاولى ـ أو ما يتصورونه أكثر جدية ـ خلال السنوات العشر الماضية ، أى حين كان معظمهم قارب العشرين •

تتميز بين شهادات الكتاب السوريين أربع شهادات تعبر كل منها عن موقف فكرى واضح يشمل العلاقة بالاجيال والتراث ، والواقع المحلى والعربى والعالمى : **هانى الراهب ، سعد الله ونوس ، محيى الدين صبحى ، وعلى كنعان** ويجب أن نلاحظ هنا ان لكل منهم عملا كبيرا منشورا على الاقل ، ولديهم مشروعات أخرى مكتملة • قد تعنى هذه الملاحظة أن تحقق الكاتب ـ من حيث قيام العلاقة بينه وبين جمهوره ـ يسهم اسهاما واضحا فى بلورة فكره ومواقفه . كذلك تبدو الاختلافات بينهم ليست واسعة ، وان اختلفت منطلقات كل منهم الى الواقع وتحليله : هم متفقون جميعا على ضرورة الثورة من أجل التغلب على مشكلات الواقع العربى • فأساسيات الحياة العربية عند **هانى الراهب** : مجتمع متخلف وممزق ، جماعات وافراد ، يناضل مع شعوب العالم ضد الولايات المتحدة واوربا الغربية والصهيونية • ومن ادراك هذا الواقع يبدأ كل شىء ، والادب الذى يريد الحياة مطالب بأن يلتصق بهذا الواقع : « **عبر جدليات العصر ، والحقائق التى اكتشفها الفكر الاشتراكى العلمى . .** » • أما **سعد الله ونوس** فيبدأ من هذه « **الهزة فى الاعماق ، هزة لايعرفها مجرد القلق**

---

(١) راجع تعليق الدكتورة لطيفة الزيات على الجزء الاول من الدراسة : « الجيل الجديد بين الرفض والانتماء » الطليعة ، سبتمبر ١٩٦٩ . وراجع كذلك : السيد يس : « الشهادات الواقعية للادباء الشباب » . الكاتب ، نوفمبر ١٩٦٩ .

الانفعالى الذى يعقب الهزائم ، ولا تعبر عنها الصحوات السحرية التى تتم بين عشية وضحاها .. » من هنا كان موقف الخروج من خدر التلاؤم صداما مع المؤسسات القائمة من ناحية ومراجعة قاسية للداخل من الناحية الاخرى ، ويضع ونوس صيغة مقترحة لهذه الصراعات ــ هى التى تحدد على المستوى الشخصى علاقاته كذلك ــ هى صيغة العمل الجماعى ، والفن الذى اختاره ليعبر خلاله عن مواقفه وليهرب من العزلة والتحييد والخرتتة يساعده على طرح هذه الصيغة .. لان « **امكانية العمل الجماعى فى المسرح خاصة وفى الثقافة عامة ، امكانية ايجاد تجربة المجموعة المتجانسة تتجاوز الاساطير الفنية ، والاولوهيات الفردية الزائفة لتذوب فى عمل جاد مخلص ينبع من واقع يومى لشعب يعيش أحداثه اليومية .** » .. يعيش احداثا لحياة مهزوزة من منابتها الى بناياتها العليا .. بنصف وعى. **أما محيى الدين صبحى** ــ الذى يحدد المؤثرات التى تشارك فى ابداعه الفنى الان بنشرة الاخبار وتعليقات القاهرة وخطب الرئيس عبد الناصر ــ فيقف منطلقا من ضرورة تحقيق الوحدة العربية : هذا هو السبيل الوحيد للانتصار ، وتحقيقها فورا بين البلاد العربية المتقدمة .. « **ومهما كانت مبررات التأخير من تطرف أو نقد فاننى أرفض هذه الدعاوى ..** » ، وينطلق **على كنعان** من الربط بين قضيتى العدالة والحرية ، فالخلاص من العدو ليس مستحيلا لكن « يعذبنى أن أعيش متفرجا مع قطعان المتفرجين على جراح الوطن النازفة » .

ادراك القضايا الاساسية فى الواقع العربى : التجزئة والتخلف والاستعمار ، والتعبير عنها فى اطار العصر هو وجود الكاتب العربى الان كما تعبر عنه هذه الشهادات . والموقف من الاجيال كذلك يتحدد من خلال هذا الادراك . فلسنا نجد عند هؤلاء رفضا متطرفا للاجيال السابقة، بل محاولة للاستفادة من ايجابياتها ومن ثم تجاوزها . حتى سعد الله ونوس حين يناقش موقفه من الاجيال فهو يرى أن الرفض أو القبول فقط لا يستوعب هذا الموقف المعقد : الجيل السابق مسئول .. هو جزء من بنيان ثقافى ضبابى بانت كل خصائصه فى الهزيمة ، لكن جيلنا مسئول كذلك ، لموقفه الاستسلامى أو ردود افعاله العاطفية تجاهه . هذا الموقف الذى يتخذه سعد الله ونوس يعبر عنه هانى الراهب وعلى كنعان على نحو أقل حدة ، فموقفهما معا يتمثل فى محاولة الافادة ــ سلبا أو ايجابا ــ من هذه الاجيال أو « الطفرات » كما يسميهم هانى الراهب بالنسبة للرواية ــ لكن جيل الادباء الشبان

« **أعمق مغامرة وراء خلق صنيعة فنية وطرق للتعبير تنسجم مع معطيات الازمة ..** » .

رفض الاجيال السابقة ، بلا تمييز بينها ، يتمثل فى شهادتين من هذه الشهادات : **أكرم شريم** ، **وعبد القادر ربيعة** . يقول أكرم شريم ان الاجيال « **فى قطرنا وفى السوق الادبى عامة لم يتركوا تيارا واضحا ، ولا مسارا لفكر أدبى ، ولا تقاليد للادب النضالى أو الثورى ، ولا سمات تميز مدرسة ، لا شىء سوى العموميات والمحاولات اللغوية والمواضيع الاجتماعية الخالية تقريبا من أى بعد فكرى أو سياسى ..** » ، لكنه يعود مرة أخرى ليقول ان المؤثرات الفنية التى تشارك فى انتاجه هى « **تجارب السابقين عربا وأجانب ..** » . هذا الموقف المتناقض دليل على زيف الحكم الاول ، ويشاركه فى هذا الموقف عبد القادر ربيعة ــ فى شهادة طويلة مليئة بالخلط والتعبيرات التى لا يمكن أن تكون لها دلالة محددة ــ انه يكتب : « **اننى أرى هذه الاجيال السابقة تنقسم الى قسمين : أولا وهم من يمكننا تسميتهم بالجدود ، أمثال طه حسين وأقرانه ، ثم جيل الاباء مثل الاستاذ نجيب محفوظ واستاذنا الطيب حنا مينة وآخرون . وأقول الان بصراحة ان جيل الاجداد كان مثالا للعقم الفنى اذ هم اكتفوا باجترار تجارب الاداب القديمة ، واعرضوا عن التطور والتفاعل ، وقد اقتصر موروثنا منهم على مجموعة وصايا فى النحو والبلاغة ..** » . وواضح ان صديقنا الطيب عبد القادر ربيعة لا يعرف شيئا كثيرا أو قليلا عن **طه حسين** . لكنه يصدر حكمه هذا اتساقا مع موقف يريده أن يكون رافضا .. دون مبرر حقيقى . واعترف بأننى حرت فى فهم معنى هذه العبارة التى جاءت فى شهادة هذا الكاتب ــ وليست بالعبارة الوحيدة ــ « **عشنا فترة تاريخية صعبة تتمثل بالانتقال من اقتصاد الحصون والحرف اليدوية الى مرحلة التكنيك والعمل الالكترونى بدون تمهيد، اذن فنحن نجد أنفسنا مضطرين لكى نفكر بعقلية هيلينية بدون سابق انذار .. الخ** » .

وتقول **ملاحة الخانى** (٣٣ سنة) فى اجاباتها السريعة المتعجلة : « **واقع الامر هو أننى كاتبة كسولة يسيطر عليها الملل بسرعة ، أفرغ الشحنة التى تعتمل فى كيانى وتفكيرى ثم ألقى بها بعيدا ..** » ، ويبدو أن هذا صحيح حتى بالنسبة لشهادتها المنشورة ، فهى تضيع فرصة ثمينة لان نعرف ــ على نحو أكثر جدية وتفصيلا ــ تجربة « الكاتبات » من هذا الجيل ومواقفهن من القضايا

المثارة ، لكنها فضّلت أن تعبر عن موقفها من قضية التغير الاجتماعي وقضايا العالم بكلمات انشائية لا تعني شيئا كثيرا ولا تؤدي لفهم مواقف وآراء محددة .

الشهادة التي يمكن أن تقدم مزيدا من التفاصيل حول « الكاتبات » هي شهادة **رجاء ياسين** (٢١ سنة ، نشرت قصتين وقصيدة واحدة) ، تتضح في شهادتها ملامح من ذلك الواقع الذي لا زال ينظر للفتاة على أن شرفها الحقيقي أن تبقى في بيتها ، لكن التواؤم الذي تكشف عنه شهادتها كلها يلفت النظر ، فالعلاقة بينها وبين الاجيال السابقة علاقة «**تلمذة وصداقة مع أساتذه وأصدقاء ..** » . رغم انها قضت سنوات عديدة تعتقد أن الادب العربي ليس على مستوى أن يقرأ ! .

ويمثل ثلاثة من العاملين بالصحافة (**أكرم شريم ، نواف أبو الهيجاء ، خلدون الشمعة**) بعض المشاكل الخاصة بتكوين الناقد أو الكاتب بوجه عام ، وينعكس عملهم الصحفي على تصورهم لمعظم القضايا المثارة من حيث تدخل عوامل المصلحة ، والتناقضات الصغيرة ، والتنافس المهني في علاقاتهم بالزملاء والاجيال السابقة بوجه خاص ، ويعبر خلدون الشمعة عن موقف كاتب في مرحلة التكوين ، يحقق ذاته ويستكمل ادواته في كل عمل جديد يكتبه ، ويريد منا نواف أبو الهيجاء أن نصدق أنه عرف نجيب محفوظ ثم المنفلوطي وعبد الحليم عبدالله والسباعي والقدوس ، بعد أن بدأ بكتابة الشعر في العاشرة ، ثم عرف الاداب العالمية وهو في السادسة عشرة ، وفي الجامعة تعرف الى **جويس وفوكنر وشكسبير وهمنجواي وابسن الخ** كذلك **تشيخوف ودستويفسكي** .. الخ كذلك .

أما شهادة سهل كومين (٢٣ سنة) فهو الطالب الوحيد في هذه المجموعة من الكتاب ، بدأ الكتابة بعد ١٩٦٧ ، وموقفه من كل القضايا أكثر حسما ووضوحا : هناك الابيض والاسود فقط ، من ليس معي فهو عدوي ، الرد الوحيد على كل التحديات هو الرصاص من بنادق الفدائيين ، لكن موقفه من الاجيال هو الموقف الصحيح كذلك : « اعتماد اسلوب يقوم على الاعتراف بانسانية الانسان ، ويرفض الوصاية المستندة الى مجرد السلطة ، فيكون الاحترام نتيجة لعمل وليس ارثا أو وقفا أو وظيفة .. » .

التجربة العراقية

عند الكتاب العراقيين : ٩ كتاب ، متوسط أعمارهم ٢٦ سنة ، ومتوسط دخولهم ٥٠ دينارا ، يمارس كل منهم أكثر من فن واحد ، فيجمعون بين النقد والشعر ، أو القصة والمقالة ، بينهم كاتب فكر سياسي .

هنا ترتفع النبرة ، ويزداد الصوت خشونة ، وتمضي المواقف الى النقائض المتطرفة ، وتمتزج المرارة الشخصية بالقضايا العامة ، وتنعكس فترة القلاقل السياسية العنيفة التي مر بها الوطن العراقي ، خاصة منذ ١٩٥٨ حتى الان ، على مواقف الكتاب وآرائهم في القضايا المثارة . ان هذا الواقع المضطرب الذي عاشه ــ ويعيشه ــ كتاب العراق يبدو واضحا في شهادة الكثيرين منهم .

يكتب **عائد خصباك** (٢٤ سنة) في شهادته المطولة : « **وبما أن الفن يعكس الحقيقة الموضوعية من الناحية الاجتماعية والطبيعية ، وموجها اهتمامه للانسان وتحركه وعالمه الداخلي ، فان ــ وهذا ينطبق عندنا في العراق ــ تغيير الحياة المفاجيء بعد ثورة تموز نتج عنه تغيير في الوعي الاجتماعي غير حتى التصرف الفردي ، وظهرت آراء نتيجة التعاقب الداخلي للتشكيلات الاجتماعية التي واكبت مسيرة الثورة وما بعدها ..** » .

ويتحدث **ماجد العامل** (٣٤ سنة) عن الواقع القاسي الذي يواجهه الاديب العراقي ، فالاديب العراقي الحقيقي ــ عنده ــ « **يموت جوعا دون مبالغة** » ، ثم يقول : « **ان واقعا قاسيا مثل هذا ينسحب بكل تأكيد على نتاجاتنا الادبية والفنية والفكرية عامة ، ولعل المعارك السياسية ذات الطبيعة العنيفة في قطرنا العراقي ومشاركة الاديب العراقي فيها مشاركة كاملة هي التي صنعت مأساة الاديب العراقي عامة ..** » .

هذه هي الظاهرة التي يمكن أن نلمحها في شهادات كثير من الكتاب العراقيين : وقوع معظمهم اسرى واقع سياسي واجتماعي مقلقل ، تتميز صراعاته دائما بالعنف مع الواقع ، وبالصدامات الدامية في معظم الاحيان .

من الناحية الاخرى لا نجد ظاهرة « الرفض المطلق » للاجيال السابقة . بل ربما وجدنا ــ على النقيض ــ نظرة الى هذا الجيل نفسه ، تحاول ان تقومه بكل ما فيه من نقاط الضعف والقوة ، فيقول **عبد الجبار عباس** ــ وهو واحد من أصحاب الشهادات التي تعبر عن موقف فكري واضح ومحدد ــ عن جيله : « **ففي الوقت الذي الاحظ ان كتاباتي جزء من حركة ادبية عامة جديدة ، وأن**

الاخلاص لا ينقص الكثيرين منهم الحظ بأسف طغيان آفات على هذا الجيل أهمها الادعاء والمكابرة والتكتلات القبلية الصغيرة والانقطاع عن الثقافة الجادة وغياب التحرز العلمي في الاحكام واستطابة الانتقاص اللامبرر من الاجيال السابقة تغطية للكسل والخواء ٠٠ أمانيهم أكبر من أعمالهم وادعاؤهم أضخم من ابداعهم ٠ قد التمس لذلك سببا من واقعنا المضطرب ، لكننى أحس أن باستطاعتهم أن يترفعوا عن تملق الشهرة وأن بامكانهم أن ينموا بجدية أكبر بذرات الابداع التى تومض أحيانا فى بعض كتاباتهم » . قد يكون فى حكم عبد الجبار عباس على جيله شيء من القسوة لكنه يشير الى ظواهر موجودة لاشك فيها .

كذلك يعبر **شجاع مسلم العانى** عن موقف متوائم مع الزملاء والمؤسسات والاجيال السابقة ، يشاركه فى هذا كتاب آخرون : **عبد الرحمن مجيد الربيعى** ، أكثر هؤلاء الكتاب حصيلة من حيث انتاجه المنشور ، والمسرحى **نور الدين فارس** .

والاشتراكية، من الماركسية اللينينية الواضحة الابعاد الى « الاشتراكية العلمية ضمن برنامج واسع » على حد تعبير عبد الجبار عباس ـ هو الاطار الذى يشمل معظم شهادات الكتاب العراقيين . فمحمد الجزائرى وعائد خصباك وماجد العامل وفوزى كريم ينطلقون جميعا من أيديولوجية ماركسية، حتى لتتحول فقرات كاملة من شهاداتهم الى تحليل للواقع من وجهة نظر هذه الايديولوجية(**راجع بشكل خاص شهادة ماجد العامل وفوزى كريم ومحمد الجزائرى**) ٠ وتتفق شهادة اثنين منهم (**عائد خصباك وماجد العامل**) فى التعبير عن مرارة شخصية عنيفة نابعة عن واقع سيء يرفضونه لانه يرفضهم ٠

الاعتراف بقسوة الواقع المعاش ـ اجتماعيا وسياسيا ، وعنف القلقلات والصدامات التى شهدها العراق ـ قبل ١٩٥٨ وبعدها ـ ثم الالتجاء الى الفكر الاشتراكى العلمى ـ سواء تحدد فى اطار الماركسية اللينينية أو تجاوزها ـ هما السمتان الرئيستان اللتان تميزان شهادات كتاب العراق ٠

التجربة الفلسطينية

ويمثل الكتاب الفلسطينيين أربعة شعراء وقصاصان يكتب أحدهما الدراسة النقدية أيضا . متوسط أعمارهم ٢٧ سنة ، وتتراوح دخولهم ما بين ٩٥ دينارا كويتيا و ١٨ جنيها مصريا . يقيم واحد منهم فى الكويت ، وآخر فى فلسطين وأربعة فى القاهرة ٠

كلهم بدأ من القضية . كانت فلسطين هى الدافع وراء اتجاههم نحو التعبير . كل كان يحاول أن يسترد ذاته التى ضاعت حين ضاع الوطن ، ومن هذا البحث اتجهوا جميعا نحو التعبير الفنى ٠ وكلهم يناقشون تراثهم ، ربما لانه مهدد بالضياع وفقدان التأثير أكثر من أى تراث عربى آخر . فيناقش **على زين العابدين الحسينى** (٣٠ سنة) علاقة جيله من القصاصين بالجيل الاول من كتاب القصة فى فلسطين (**مثل بيدس والايرانى**)ويرى أنه أقرب للجيل التالى الذى فتح عينيه على المأساة .٠ جيل **غسان كنفانى وسميرة عزام** ٠ **ويشير عز الدين المناصرة** (٢٤ سنة) لعلاقته بالشعراء الفلسطينيين الذين سبقوه فيذكر انه يحترم اسماء بعينها : **ابراهيم طوقان ، عبد الرحيم محمود ، أبوسلمى ، معين بسيسو ، يوسف الخطيب ، سلمى الجيوسى ، وفدوى طوقان** ، ويقدر من سبقوه بأعوام قلائل : **محمود درويش وتوفيق زياد وسميح القاسم** . ويناقش **حسيب القاضى** (٣٠ سنة) علاقة جيله بجيل النكبة، أو الكتاب والشعراء (النكبويين) كما يسميهم فيقول : « **ذلك أن جيل النكبة ٠٠ أى الجيل الذى أفرزته الهزيمة الاولى فى فلسطين ، هذا الجيل لم يكن يشكل اتجاها عميقا فى حياتنا كشبان ٠٠** » ٠

وهم جميعا لا يترددون فى معرفة طريقهم : الاشتراكية هى ايقاع العصر ـ على حد تعبير **مريد البرغوثى** (٢٥ سنة) وفلسطين هى فيتنام أيضا وافريقيا ، وشهادة عز الدين المناصرة ، وان خلت تماما من أية اشارة مباشرة الى قضية العدوان أو اسرائيل الان هذا الموقف يمكن تفسيره : فشهادته كلها ترفض الدعاوية والمباشرة ، لقد « **ورث الحزن لكنه ليس يائسا من انتصار الشعب العربى على الرجعية والمرتزقة ٠٠** »، وهو يعيش كأن كابوسا يجثم فوقه منذ هزيمة حزيران لكنه يعرف جيدا الاسباب الحقيقية التى أضاعت فلسطين ـ ولابد أنه يعرف بالتالى كيف نسترد ، ويعمق الالتقاء بين الوجه الاجتماعى والقومى لقضيته حين يوضح موقفه من رفض الوجاهات الفلسطينية التقليدية التى كانت تتوارث الارض والسلطة والنفوذ . شهادة عز الدين المناصرة كلها شهادة ترفض المباشرة ، والتحديد الواضح فى قضايا المصير بقدر ما تحقق هذا الوضوح فى علاقته من الزملاء الذين يصنفهم الى : سيء الفكر وجيد الشعر ، وجيد الفكر وسيء الشعر ، وسيء الفكر والشعر معا ، وبالاجيال التى سبقته حتى لا يكاد يهمل اسم شاعر عربى واحد من الجيل السابق عليه، ويحصى تأثيراته الثقافية والفكرية بدقة ودأب ، ان اهتمامه

الاول منصب على أن يكون الشاعر شاعرا فى البداية ، ثم مفكرا ، وليحدد مواقفه بعد ذلك كما يشاء . وعلى حين يربط أحمد عمر شاهين (٢٩ سنة) بين قضية فلسطين وقضية التحرر الاشتراكى يرى على زين الدين الحسينى أن التناقضات فى الواقع الفلسطينى الان لم تعد تناقضات طبقية ، بل هى تناقض رئيسى واحد : كل الشعب الفلسطينى فى مواجهة العدو الصهيونى .

ويقول حسيب القاضى — الشاعر الذى لم يكتب قصيدة غزل واحدة، وانما كان شعره جميعا محاولة لبحثه عن دور يؤديه بالنسبة للقضية « اننى بعد انطلاقة ثورتنا الفلسطينية المسلحة بدأت أجد نفسى كشاعر ، هذه حقيقة لا تنعكس على انتاجى بقدر ماتشمل الواقع الادبى والفكرى على المستوى الفلسطينى ، فمع اندلاع الثورة الفلسطينية بدأت حياة جديدة للادب والفكر الفلسطينى .. » .
ويعبر زين الدين الحسينى عن نفس الفكرة : « ان ظهور شخصية الفدائى يمثل مرحلة جديدة فى انتاجى . لقد انعتق الفدائى — مثلى — من واقع الالم ، ومن منافى التشرد ، ومعسكرات النزوح ، ومن كل تمزقات السنوات العشرين .. وأعتقد أن ميلادا باهرا للقصة الفلسطينية سوف تتمخض عنه معاناتنا ككتاب قصة يمثل العنف والتجدد والغضب الذى اشتعلت به شرايين النتاج الشعرى الفلسطينى » .

تلك اذن هى السمات التى تتضح فى شهادات الكتاب الفلسطينيين : فلسطين هى الدافع وراء بحثهم عن التعبير . محاولة العثور على دورهم ومعرفته هى الدافع على استمرارهم ، لا انفصال بين الكلمة والمعركة ، ولا انفصال كذلك بين الوجهين الاجتماعى والقومى ، ولا مجال هناك للاغتراب الزائف أو الحزن غير المبرر ، وأدب النواح والتفجع ليس أدبا مقاوما ، وشعراء المقاومة ليسوا « صاعقة من السماء » بل ظاهرة لها جذورها فى الشعر الفلسطينى ، ومن الصدام الدامى ، ومن ظهور شخصية الفدائى ، المنعتق من مرارة السنوات العشرين ، سيتخلق أدب وفن فلسطينيان جديدان .

التجربة السودانية

ماذا يقول الكتاب السودانيون ؟ . . .

ثلاثة كتاب ، وكاتبة واحدة ، متوسط أعمارهم ٣٠ سنة ، ومتوسط دخولهم ٦٠ جنيها ، يكتبون القصص القصيرة أو الرواية أو الدراسة . ثلاثة منهم يعبرون عن التزام واضح بمبادىء الماركسية اللينينية ، وممارسة العمل السياسى وفق هذه المبادىء . يقول عبد المنعم بخيت فى شهادته القصيرة المركزة : « اننى استلهم فى انتاجى آمال وآلام الشعب ، وانفتح بانطلاق على تراث الانسانية ، وأومن بالاشتراكية كطريق للتغيير الاجتماعى ، وأومن بحق العرب فى العودة والعيش فى سلام ، كما أومن بوحدة الحركة العالمية الاشتراكية » ، ويقول عبد الله على ابراهيم : « ولدت بين العمال وأصبحت ذات يوم وأنا ماركسيا ، من ذلك اليوم أضحت الاشياء عندى متشابكة ومترابطة ومتطورة وكيفية ونوعية .. الخ . من خلال تلك الحكمة القديمة انظر الى الاشياء ، اتمثلها ، أمنح رأيى مع الجماعة فلا تشقى بلاد » . وتقول خديجة صفوت : « لايسمح للانتشار والتشعب فى مجالات وأنشطة العمل الاجتماعى (السياسى) بالزمن الكافى للتوفر على العمل الابداعى ، حيث أن الكادر القادر على الحركة يعتبر قليلا نسبيا (خاصة بين النساء) فان جملة الالتزامات اليومية تكاد تأكل الزمن كله .. » . رغم هذا فبين اوراق خديجة صفوت غير المنشورة ثلاثة عشر كتابا ما بين دراسة وترجمة وعمل ابداعى ! .

وفيما يتعلق بالاجيال السابقة ، فقد عبر ثلاثة كتاب من أربعة عن موقف معتدل منها . فهى « موضع نقد وتقييم ما أمكن » كما تقول خديجة صفوت ، والعلاقة بهم هى « علاقة الطالب بأستاذه » كما يرى عبد المنعم بخيت ، أو هم « موضوع خبرة لى سلبا وايجابا ، والسلب الاغلب » عند الله على ابراهيم . أما كمال شانتير فهو الذى يتفرد بينهم باتخاذ موقف آخر : « أرفض رفضا غير قابل للمناقشة الاجيال السابقة ، لانها بالاساس أجيال عرفت الفن من باب الترف والتسلية .. ولم تكن فى رأيى مسئولة عن الفكر الا تجاوزا .. » .

ولا يجمع الكتاب الاربعة الا على شىء واحد هو موقفهم من قضية العدوان الاسرائيلى . فنجد كمال شانتير — الذى يصدر فى شهادته كلها عن موقف الرفض — يقول : « أما الموقف تجاه العدوان الاسرائيلى . فاننى — ولاول مرة — أجد نفسى فى توافق تام مع مجتمعى ، الامر الذى يقصر مسافات شاسعة نحو التوغل فى وجدان الناس » .

تجارب أخرى

الشهادة الواحدة أو الشهادتان يمكن أن تقرأ كل منها وحدها دون تفسير أو تحليل . فلن

يمكننا ـ كما أشرت فى البداية ـ أن نتلمس فى الشهادة الواحدة أو الشهادتين ما يمكن أن نعتبره ملامح عامة أو مشتركة بين عدد كبير من كتاب البلد المعنى · لكننا هنا نثبت ملاحظات سريعة :

● الكاتبان اللبنانيان يصدران عن موقف واحد : فكلاهما يرفض أن « **يقحم على الفن شيئا من خارجه** » · هذه الحجة التقليدية لابعاد التعبير الفنى عن قضايا واقع ملح ومصير معلق على ضرورة النضال . يعبر فاروق البقيلى عن هـذا الموقفبصورة مخففة حينيقول: « **بالفن العظيم، مهما كان هذا الفن تشخيصيا أو تجـريديا ، سيرياليا أو واقعيا** ، وبقدر ما يضيف الى حركة التاريخ فى مجراها ، يكون الفن نفسه هو موقف الفنان من قضايا بلاده ومن ضمنها قضية العدوان الاسرائيلى . . » . اما القضية عند زميله سمير الصايغفتتخذ منحنى آخر : ان ازماتالعصر كلها لا تنبع عن واقع موضوعى بقدر ما تعبر عن أزمة الفرد · . « أزمة الانسان الباحث عن الصـوت المفجر للنار الملتهبة فى الاعماق » · **يسرى** هذا القول على قضايا العالم المعاصر دون تمييز : الشرق الاوسط وفيتنام والزنوج وثورة الطلاب والتمردات ! ·

● أما الكتاب اليمنيون الثلاثة : واحد من اليمن الجنوبية الشعبية واثنان من جمهورية اليمن فهم جميعا ملتزمون بالمعنى المباشر للتعبيـــر ، بقضايا واقعهم المتخلف ، ومعركتهم القــومية ، وضرورة أن يكون الكاتب معبرا عن التصـــاقه الحميم بهذه القضايا ، ويلفت النظر ـ على نحو خاص ـ هذا الاصرار المـدهش ـ والجـدير بالاعجاب ـ لكتاب أصروا على أن يجعلوا من أنفسهم كتابا رغم واقع شديد القسوة والتخلف ·

● الاستجابة الوحيدة من الاردن لفايز محمود فتدهشنا حين اضاع أكثر من نصفها فى ذكر مؤلفاته وأعماله ومشروعاته، ثم راح فى سطور قليلة يضع اجابته على أخطر القضايا ، وهويقول فى نهاية استجابته ـ ممثلا أقصى مدى للتطرف فى هذه المجموعة كلها من الكتاب ـ : « **اننى بكل صراحة ودون ما ادعاء لم اقتنع حتى الان بأى مبرر يجيز صراع الانسان على كافة المستويات الفردية أو الجماعية أوالقومية بشكل وحشى دموىعنيف، ولا أومن سوى بصراع الافكار ·· هذا الصراع الانسانى المهذب** » !

فليهنأ اذن بصراعاته المهذبة . أما نحن فندهش مرتين : مرة لصدور هذا الموقف عن كاتب عربى فى هذه المرحلة . وأخرى لصدوره عن كاتب يعيش فى الاردن بالذات · وما أبشع سوء الفهم الذى يمكن أن نقع فيه اذا تصورنا هذه الدعوة الهادفة الى السلام هى موقف كل كتاب هذا الجيل فـى الاردن ! ·

ملامح عامة

أية ملامح عامة يمكن أن نستخلصها من هذا كله ؟ ··

لنحدد ، ويحد أدنى من الاختلاف ـ ان الاتفاق الرئيسىكان حول المقولات الاجتماعيةوالسياسية: الارتباط بين الوجهين الاجتماعى والقومى للواقع العربى ، وهذا طبيعى تماما · فالاحداث السياسية التى تتابعت على مختلف الاقطار العربية ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، واشتداد المعركة مع الاستعمار منذ منتصف الخمسينات · الوقت الذى بدأ فيه وعى هذا الجيل فى التفتح (فاعمالهم الاولى جميعا نشرت منذ منتصف الخمسينات) ،·،

كذلك لم يعد الالتزام بقضايا الواقع والناس كلمات تقال أو شعارات ترفع ، لكنها أصبحت واقعا نضاليا واقتصادا مدروسا، وطريقة عملوأسلوب حياة · فليسوا قليلين هؤلاء الذين يحـددون مواقفهم من كل القضايا على أساس ايديولوجى واضح وملائم لنبض العصر : يشمل قضـايا المقهورين فى كل مكان بنظرة واحدة ، فتوحد بين المقهورين والمناضلين ضد قوى القهر · وبالنسبة للواقع العربى فيكادون جميعا يتفقون علـى تشخيص أساسيات هذا الواقع : التخلف والتجزئة والاستعمار . وفيما يتعلق بموقف الادب من قضايا الواقع فيبدو أن هذه القضية قد حسمت على نحو واضح : التزام الاديب بهذا الواقع من خلال فهمه واتخاذ موقف منه يهدف الى تغييره ـ هو مبرر وجوده كاتبا وانسانا كذلك . الاستجابات التى تخرج عن هذا المعنى قليلة الدلالة ـ بـالمعنى الاحصائى والفنى معا ـ (٤ من مجموع ٤١) ·

أما من حيث علاقتهم بالاجيال ـ هذه القضية التى ربما كانت السبب الاول وراء الجزء الاول من هذه الدراسة ـ فلسنا نجدها قضية رئيسية عند أصحاب هذه الشهادات · الموقف بشكل عام من الاجيال ـ ومن التراث كذلك ـ موقف موضوعى ومفهوم ، وعبر عنه كل واحـد من أصـحاب الشهادات على نحو مميز ·· وكلهم متفقون على أن الاجيال يجب أن يكونوا موضع نقد وتقييم وافادة ، لا رفض ومقاطعة دون مبرر · ان ثقافة تنبع من

الفراغ ثقافة فارغة ، واذا كان الجيل الماضي مسئولا فلا شك فى أننا مسئولون كذلك ، مسئولون باستسلامنا لهم ، وردود أفعالنا العشوائية والعاطفية تجاههم ، على حد تعبير سعد الله ونوس ٠

كذلك يلعب احساسهم بما حدث فى ٥ حزيران دورا أهم من دوره فى استجابات الكتاب المصريين. ان بعضهم يسمي هذا العصر « عصر ٥ حزيران » ٠ لكنهم لا يجعلون منه « عام الفيل الاخر » — على حد تعبير هاني الراهب — بل يتخذون منه نقطة انطلاق نحو مزيد من فهم الاسباب التى أدت اليها والعمل على تجاوزها داخل نطاق الصراع فى العالم ٠

اذا ابتعدنا أكثر . بدت لنا الصورة صورة جيل من الشباب منتشر على الارض العربية كلها . يجهد الليل فى تكوين ثقافته واستكمال أدواته التعبيرية، ويلهث فى ضوء النهار من أجل العيش، محاولا — رغم كل الاخطاء والصراعات الصغيرة والتطلعات وصور الرفض السلبي والعدمي كذلك أن يكونوا قلب أمتهم وضميرها فى فترة حاسمة من تاريخها ٠

جيل الحرية المسئولة

لطفى الخولى

بعد القراءة الاولى لشهادات الادباء الشبان فى الوطن العربى، كان طبيعيا ان أواجه — أول ما أواجه — سؤال : ما الذى يريد أصحاب هذه الشهادات أن يركزوا ضوء أقلامهم عليه ؟

وللوهلة الاولى أجبت : « **الحرية** » ٠ غير أنه بعد قليل من التفكير اكتشفت أن أجابتى ساذجة ، تعوم على السطح بتبسيط شديد يصل الى درجة التجريد المخل ٠ فى كل عصر ٠٠ فى كل مجتمع ، ظلت وستظل ، الحرية — بشكل أو بآخر — مطلب كل من يعانى ولادة الكلمة الفنية ٠ وخلال هذا كله تكون الحرية ولا تكون فى آن واحد ٠ ويكون ذلك الجوع العظيم الذى يشعر به الكاتب باستمرار نحو الحرية ٠ ويكون ذلك الموقف النقدى الدرامى للفنان من الحياة والعصر ٠

أعدت القراءة مرة أخرى ٠ وظل نفس السؤال يلاحقنى مطالبا باجابته ٠ وفى هذه المرة جاءت أكثر تحديدا :« **الحرية المسئولة فى وطن مازال متخلفا ممزقا يخوض ثورة غير مكتملة الابعاد ، يعانى آلام مخاض التقدم والعصرية ، وجرح هزيمة ١٩٦٧ فى روحه وجسده مازال ينزف** » ٠

ومعنى ذلك أن هذا الوطن ، فى حالته هذه ، يواجه أعداءه مجتمعين فى نفس الوقت ٠٠

ومفروض عليه تاريخيا ـ فى ظروف شديدة العسر ووقت لا يرحم ولا يمهل ـ أن يصفى حسابه جذريا مع التخلف والاستعمار والبعثرة والجمود ، وقيم الاقطاع والحريم ، وســــجون الجنس ورتابة الحياة الزراعية وتثمين التراث ، وفض أسرار التكنولوجيا الحديثة واكتشاف الذات والتعبيــر الفنى غير المقيد بالبديع والجناس والواقعيــة المبتــذلة ورؤى البيــروقراطية والبــرجوازية الصغيرة •

الصراع واليســار

وهذا الجيل ـ الذى يتراوح ثقل سنوات العمر على كتفيه بين ١٨ و ٣٦ عاما ـ يعيش بحق صراع الكلمة الحرة المسئولة مع نفسه ومجتمعه وعصره وعالمه فى وقت واحد • ولهذا فهو أكثر أجيال الفن والادب فى تاريخنا العربى تعقيدا • واذا كان هدا التعقيد طبيعى ومفهوم بحكم حركة الزمن نفسه ، الا ان تعقيده يكتسب ابعادا أعمق بسبب هذه الحالة الراهنة للوطن •

وهو فى صراعه هذا يتجه بطاقاته عامة نحو اليسار. ولكن ما هو هذا اليسار ؟ لن نستطيع هنا أن تقول أن ثمة مدرسة اجتماعية ـ سياسية ـ فكرية تستقطب غالبية هذه الطاقات بحيث تملك القدرة على التأثير الحاسم فى الوقت الراهن • وانما اليسار هنا مدارس متعددة واتجــاهات مختلفة تتفق عند حد أدنى هو معاداة الاستعمار والصهيونيه ونظم وقيم الاقطاع والرأسـمالية الكبيرة والرومانسية المبتذلة من ناحية والواقعية المبتذلة من ناحية أخرى • وبعد ذلك ياتى « مفترق الطرق»، حيث تتعدد اتجاهات اليساروشيعه •• من الاشتراكية الخيالية حتى الاشتراكية العلمية •• من الفابية حتى الماركسية •• من الواقعية الاشتراكية الزدانوفية الى الواقعية الاشتراكية للستينيات والتى غدت فى بعض الاحيان « بلا ضفاف »

كيف ؟

ان هذا الجيل يخوض صراعه من مـواقع اجتماعية وفكرية،وفنية مختلفة ومتعددة، وبالتالى تختلـف وتتعـدد أشكال ومضـامين « الحرية المسئولة » لديه .

اسمع« **عبدالجبار عباس** » (من العراق ـــ ٢٦ عاما) يقول أنه يعيش فى « مجتمع لا يرى الادب ضرورة.. الادب علمنى النفور من التحدد المذهبى والافتراضات المسبقة • لست رافضا للفكر ولست ضائعا ، بل اجهد ان أقلب الاراء على وجوهها وأناقشها مع نفسى قبل أن انتهى فيها الى قناعات خاصة قابلة أبدا للمراجعة والتطوير •• متى تحرر هذا الجمهور من خوف الجـوع واللاضـمان واللاحرية أمسى مهيأ لفهم الاديب الجديد واحترام آماله ، وسيرحب الاديب بدوره بتقدم مسيرة هذا الجمهور نحو خوض معركة التغيير ومعـركة الشرف ضد العدوان الاسرائيلى » •

ومن العراق أيضا نقرأ كلمات « **عبد الرحمن مجيد الربيعى** » (٢٩ عاما) « ولدت وأنا أحمل حزن بلدى وصبره •• الحرية والجنس همـا القطبان اللذان أدور حولهما وأعتقد أنهما منطلق قد يكون شاملا بالنسبة لهموم شعبى وجيلى • أننا لا نعلن باننا مصلحون اجتماعيون ولكننا ثوريون فى تعاملنا مع الاشياء ، ولكنها ثورة رومانسية غاضبة فى أحيان كثيرة •• مرة أكون مهرجا ومرات أكون بطلا ولكنى بلا صولجان •• عندما أكتب عن الحرية فان هذا يعنى الرفض لكل احتلال وكل استعمار وكل اذلال للشعوب • اننى عالمى بقدر ما أنا قومى ومتفاعل مع أحداث وطنى محاولا جعل فنى صوتا لها » •

ومن العراق ـ مرة ثالثة ـ يكتب **محمد الجزائرى** (٣٠ عاما)« أومن بالماركسيه اللينية، وحين اجد فى صيغة الاشتراكية العلميــة ، ايدلوجيتى فانى أحاول أن أضعها موضع التطبيق فى كل اعمالى .. اذ انها تغذى وتغنى ابداعى الفنى »

واذا تركنا العراق الى اليمن ، نلتقى «**بمحمد عبد الجبار سلام** » (٢٩ عاما) ليقــول لنا : « كنت مدركا تماما دور الادب الواقعى وأهميته فى معالجة هذا الجانب الاجتماعى منطلقا من تلك التأثيرات القديمة حتى أننى أخذت أدافع عن المذهب الواقعى قبل ان ادرسه واستوعبه نظريا » .

ومن لبنان ، نسمع « **سمير الصــايغ** » (٢٥ عاما) يقول : « الفن هو هذا البحث الدائم عن الانسان الضائع فى عالمنا •• ان عجز الانسان عن الانتصار على ظروفه لا يعود الى قسوة هذه الظروف بالذات بقدر ما يعود الى تخلف الروح وهزال الانسان نفسه • تلك هى العمامة السوداء التى تربض فوق سماء الانسان العربى • على الفن أن يخترق هذا الضعف ليصل الى الانســان الحضارى » •

ويصور « **فاروق البقيلى** » (لبنان ـ ٣٤ عاما) العلاقات القائمه بين الفنانين فيرى أنهــا « مثل العلاقة بين الدول العربية نفسها باختلاف أنظمتها وتفاوت قدراتها على تحقيق الفعل •• لا على تحقيق الحلم . عندنا فنان حالم .. وليس فنان فاعل ، وبالتالى فعندنا انظمة حالمة وليس انظمة فاعلة » •

ويتحدث « على كنعان » من سوريا (٣٣ عاما) فيؤكد أنه تشغله قضيتين أساسيتين ، العـدالة الاجتماعية والحرية . ويصب جـام غضبـه على « طبقة الموظفين والمستوظفين الذين يعرفون جيدا من أين تؤكل الكتف • يعذبنى أن أموت كحشرة • ويعذبنى أكثر أن أعيش متفرجا مع قطعان المتفرجين على جراح الوطن النازفة •• لاننا فى عصر الاختصاص » •

والفلسطينى « محمد عز الدين المناصرة » (٢٤ عاما] يكتب قائلا : « ورثت الحزن ، ولكنى لست متشائما من انتصار الشعب العربى على الرجعية والمرتزقة . أومن بالايجابية الصادقة فى الفن . هذه الايجابية التى ترتكز على رؤيا واقعيـة صادقة •• المثقفون ما زالوا يعيشون بعقليـة مزدوجة • فهم من دعاة الاشتراكية ولكنهـم يخضعون لتطلعات خيالهم البرجوازى المريض » •

أما « كمال شانتير » من السودان (٣٣ عاما) فيرى أنه « من المؤسف أن العلاقات الفنية فى المجتمع السودانى لا تؤهل من ذاتها الى خلق ادنى مناخ ، اتجه الى الفكر الرافض فى مفهوم قضايا العالم المعاصر • أما الموقف تجاه العـدوان الاسرائيلى •• فاننى ـ لاول مرة ـ اجد نفسى فى توافق تام مع مجتمعى » .

طـوق النجـاه

والحق أنك تحس احساسا عميقا ـ سـواء بطريق مباشر او غير مباشر ـ خلال كلمات هذه الشهادات النابعة عن مصادر ومواقع مختلفة ، وتقدم رؤى وتحليلات مختلفة أيضا ، أن ثمة اتفاق يكاد يكون كاملا على أن نجاة النفس والوطن والفن والمستقبل تتبلور فى تخطى هزيمة ١٩٦٧ بأبعادها العسكرية والسياسية والاجتماعية والفكرية . وان « طوق النجاة » يتجسد فى حركة المقاومة بأبعادها الفلسطينية والعربية . وان هـــذا الجيل يسـعى ـ بوعى وبغيـر وعى ـ ليقـوم بدور « الخـاطبة » فى زواج كلمـة الفن بفعـل التغيـير . ولكى يثمر هـــذا الزواج فلابد لحرية الكلمة أن تنطلق لتعانق مسئولية التغيير ، ويولد الانسان العربى الجديد فى كل حقل وفى كل مجال . ويغتنى الـواقع بمعنويات الحلم ، ويكتسب الحلم طعم الواقع المادى . فى هذا المنـاخ يستعيد عبد الله عويشق (سوريا ٣٣ عاما) ذلك « النفس الانسانى التاريخى الذى ما كف يعمل عمله عبر التاريخ » ، وتتخطى خديجة صفوت (السودان ٣٠ عـاما) شارع الاسفلت الذى « يقسم الناس الى عالمين توجد دنيا متقابلة كالابيض والاسود يتبادلان الحديث فى صمت » ، وينطلق محمد حسيب القاضى (فلسطين ـ ٢٩ عاما) من الذات بهدف التعبير عن الاخر « ساعيا من وراء ذلك الى تحقيق التحام الذات مع الموضوع » ، ويحقق سليمان سالم كشلاف [ليبيا ـ ٢٢ عاما] قناعته فى أن يكون الجيل الحالى « جيل الكوبرى » ويعود هانى الراهب [سوريا ٣٠ عاما] من غربته كلاجىء ادبى » .. وأخيرا وليس آخرا ان لايموت السياب ميتة أخرى مزرية بائسة كما يعلم الجميع ، على حد تعبير ماجد العامل (العراق ٣٤ عاما) .

هذا هو الكشف الاول الذى تفصح عنه هذه الشهادات الاربعون . ولكن الى اى حد يمكن اعتبارها ممثلة لجيل الادباء الشبان فى الوطن العربى ؟ عمليا ، لا يستطيع المرء أن يعتبرها عينة صادقة التمثيل فالكم غير كاف ، والنوع غير متنوع أيضا بالدرجة الكافية • ومع ذلك فانت تحس بأن كلمات هذه الشهادات أصداء صادقة . وأحيانا متماثلة ، لعديد من الكتابات الجديدة التى أتيح للمرء قراءتها فى صحف ومجلات وكتب الوطن العربى ولاحاديث العشرات من الادبـاء الشبان الذين سنحت الظروف للالتقاء بهم .

تحفظـــات

على أن الامانة تلزمنى فى صدد الحديث عن هذا الكشف الاول ان اسجل تحفظين :

الاول : ان المرء يتناول بـالتعليق هـذه الشهادات ، وخلفيته مفتقرة الى حد مخجل الى قراءة أعمال أصحاب هذه الشهادات والجيل الذى تنطق بأسمه . واعترف بمسئوليتى الخاصة عن ذلك . ولكن اليست المسئولية ايضا فى جوهرها مشتركة ، فجسور التلاقى بين ادباء وفنانى الوطن العربى تكاد تكون منعدمة أو على الاقل غير منتظمة ، وفى أحيان كثيرة سجينة ما يتاح من علاقات شخصية .

الثانى : القصور الشديد فى التعرف على الحركة الادبية والفنية الخاصة بكل بلد عربى •• صراعاتها .. مشاكلها .. مناخها . ولأن ذلك سلعة كمالية غير ضرورية ، وليست من المكونات الاساسية للوجدان العربى المتفتح على الوحدة •

تضمنت الشـــهادات اسماء لكتاب وادباء يعتبرون علامات فنية فى هذا البلد او ذاك . واعترف انى فوجئت بالكثير منهـا لاول مـرة وظننت أن ذلك راجع الى جهلى الذاتى • بيد أنى عندما حملت الى عدد من الاصدقاء النقاد والادباء فى مصر ، أسماء كعبد الرحيم محمود وسلمى الجيوسى (فلسطين) ومحمد عبده غانم وعلى نعمان (اليمن الجنوبى) الدكتور على جواد الطاهر وفؤاد التكرلى (العراق) مطوا شفاهم وتساءلوا : من هؤلاء ؟ •

واقع مؤسف حقا .

ومن هنا فالتعليق بالضرورة محصور في الاطار الذي ترسم أبعاده الشهادات الاربعون .

التراث والأجيال

ولعل في مقدمة السمات المشتركة للشهادات هو ذلك الارتباط العميق للادباء الشبان في الوطن العربي بالتراث العربي أدبا وفنا ، وبالذات في حقل الشعر . فالمتنبي وزهير بن كعب والبحتري وابي فراس وابى العلاء . . وحتى شعراء المهجر ، يمتطون خيولهم ويهزون سيوفهم وينشدون أغانيهم ومديحهم وهجائهم ، في عالم هذا الشباب الجديد الذي يمتد عمقا في التاريخ الانساني : العربي والعالمي معا . وينفتح برحابة على فنون العصر اللاهث وراء سفن الفضاء نحو القمر . . يصفى الرواية من الرواية ويعبث بالمعقول . وهى « حالة فنية » اكثرصحه ودسامة منالحالة التيعكستها الشهادات المصرية (عدد سبتمبر ١٩٦٩ من الطليعة) .

ولعل ذلك هو الذى عمق في عدد كبير من أصحاب شهادات الوطن العربي الوعي بوحدة الفنون واتصالها تاريخيا عبر العصور والمجتمعات القوميةمعا . ويرى الادب أوالفن لصيقا بجوهر الانسان ، ليس الانسان المجرد منالزمان والمكان والتحديات . ولكن الانسان المستمر في التاريخ . الانسان الباحث دائما في داخله ومن حوله وفي واقعه عن انسان أفضل وأشجع وأوعى وأكثر شفافية .

وقد يبدو صحيحا في بعض الاحيان ذلك الحكم الذى أطلقه على جيله « **عبد العزيز المقالح** (اليمن — ٢٩ عاما) بأنه « الجيل القلق المبهور » . بيد أن هذا الجيل كما يعبر عنه — بحق — **فوزى كريم** (العراق — ٢٤ عاما) يجد «الابداع والخلقزهرة تتورد عنأرضخصبة خضبها دم الماضي وفورة النزوع الى المستقبل » . فهو يرث الماضي ويعيش الحاضر ويسري الى المستقبل بنظرة نقدية . . يعمقهما شكلا ومضمونا ، جدل الذات وجدل الحياة . . لا تعرف «المطلق» وتكره « الاحادية » . ولكنها لا تتعامى عن الواقع بايجابياته وسلبياته، ولا تتعالى على القديم والمحلي ، وتتوهم القدرة السحرية على قطع الصلة بهما . ربما في الشهادات الاربعين ، ليس هناك الا **ملاحة الخاني** (سوريا — ٢٣ عاما) والتي تصف نفسها بأنها « كاتبة كسولة يسيطر عليها الملل بسرعة » . . هى التي تتوهم في نفسها هذه القدرة السحرية على الانفصال عن المحلي ، وذلك حين تقول « منذ بدأت الصلة بالانتاج العالمي انفصلت انفصالا شبه تام عن الانتاج المحلي » .

الفن والعلم

ولعل هذا التفاعل الفني الذى يدور في وجدان الادباء الشبان العرب بين القديم والجديد . . بين المحلي والعالمي . . هوالذى بلور اسلوبالعلاقة الجدلية بين جيلهم والاجيال السابقة . غالبية الجيل الجديد يعتبر نفسه امتدادا للاجيال السابقة . . ولكن في عصر جديد وبرؤيا جديدة وتحديات جديدة تشمل الاساليب والمضامين معا . ولهذا فهم امتداد متطور يعى أن لكل « جيل ظروفه » . وبعضهم وهذا حق — لا يرى العمر معيارا كافيا للتمييز بين الاجيال فيالادبوالفن، ولكن يجب أن يضاف الى ذلك معايير أخرى تتصل بالاتجاه والقدرة على التجاوب مع الجديد والشجاعة في تخطى مواقف عصر معين الى مواقف عصر جديد ، واستيعاب ذلك كله خلال صياغاته الفنية ومضامين تعبيره . وهناك من ينكر أصلاقضيةتعدد الاجيالفي الفن والادب، ويرىأن ثمة جيلافنيا متصلا عبرالتاريخ يكملبعضه بعضا، ذلك أن الفن العظيم — على حد ما جاء في شهادة **سمير الصايغ** (لبنان) — « لاينمو ويتطور، أنه حقيقة. والحقيقة رائعة وكاملة منذ البدء . العلم ينمو ويتطور . لكن الفن يتسع . العلم خط يرتكز ويذهب طرفه الاخر في الصعود نحو المستقبل . الفن خط دائري لا أطراف له لكنه قابل دائما للاتساع » .

والحقانهاذا كان يمكن تصورفكرة ان الفن أو الادب تيار متصل من الخلق والابداع في التاريخ الانساني المستمر . غير أنه لا يمكن القول أن الفن — كحقيقة — كاملة منذ البدء ، والا وقعنا في تصور شكلي للفن عن أنه « عمل كمى يكرر نفسه » . وهذا غير صحيح لان تاريخ الفن نفسه ينقضه . صحيح يظل جوهر الفن واحدا دائما ، وهو الانسان الذى يجادل نفسه ويجادل الحياة ويخرج من ذلك بتعبير فني يحقق به ذاته في البناء الانساني الحي. ولكن هذا التعبير يظل من ناحية مرتبطا بمدى وعى الانسان . . والوعى الانساني دائم النمو تاريخيا ، مرتبطا بموقف الانسان الاجتماعي . وهذا الموقف يختلف باختلاف الطبقة التي ينتسب اليها الانسان فكرا أو ميلادا ، مرتبطا بالتحديات المتغيرة للانسان ، وتشكيلها لعواطفه واحساساته . . . من تحديات الطبيعة الخام الى تحديات الالة ومن تحديات المجتمع البدائي الى تحديات المجتمع فيعصر الهبوط على القمر ، مرتبطا باكتشاف صيغ وأشكال للتعبير الفني باستمرار . ومن هنا فالفن كالعلم أيضا ينمو ويتطور، ولكن الفن يختلف عن العلم في أن الاول يبدأ رحلته من العام الى الخاص المجسد في حين يبدأ الثاني مغامرته من الخاص المجسد الى العام .

وبعد [٥٢٥٣٥]

هناك قضايا عديدة ذات وزن حقيقى تثيرها الشهادات الاربعين · قضية تفكك المجتمع الادبى فى بعض البلاد الى درجة افساد مناخ الخلق والابداع · قضية الشلل الادبية وبيروقراطية أجهزة الثقافة ومؤسساتها فى بلاد أخرى · قضية الاحساس الرهيب بالغربة فى مجتمع يغلى فى بلاد ثالثة · قضية النظرة النقدية للفن والتعامل معه من الداخل ككيان مستقل يقترب من أن يكون فنانا آخر .. الخ ..

ويبدو أن حيز المساحة الذى تسمح به « الطليعة » يضيق عن مناقشاتها .. فضلا عن أن هذه المناقشة ذاتها تستلزم توافر حد أدنى من المعلومات الموضوعية عن الخريطة الاجتماعية والسياسية والفكرية للوطن العربى ، وهى للاسف غير متاحة ·

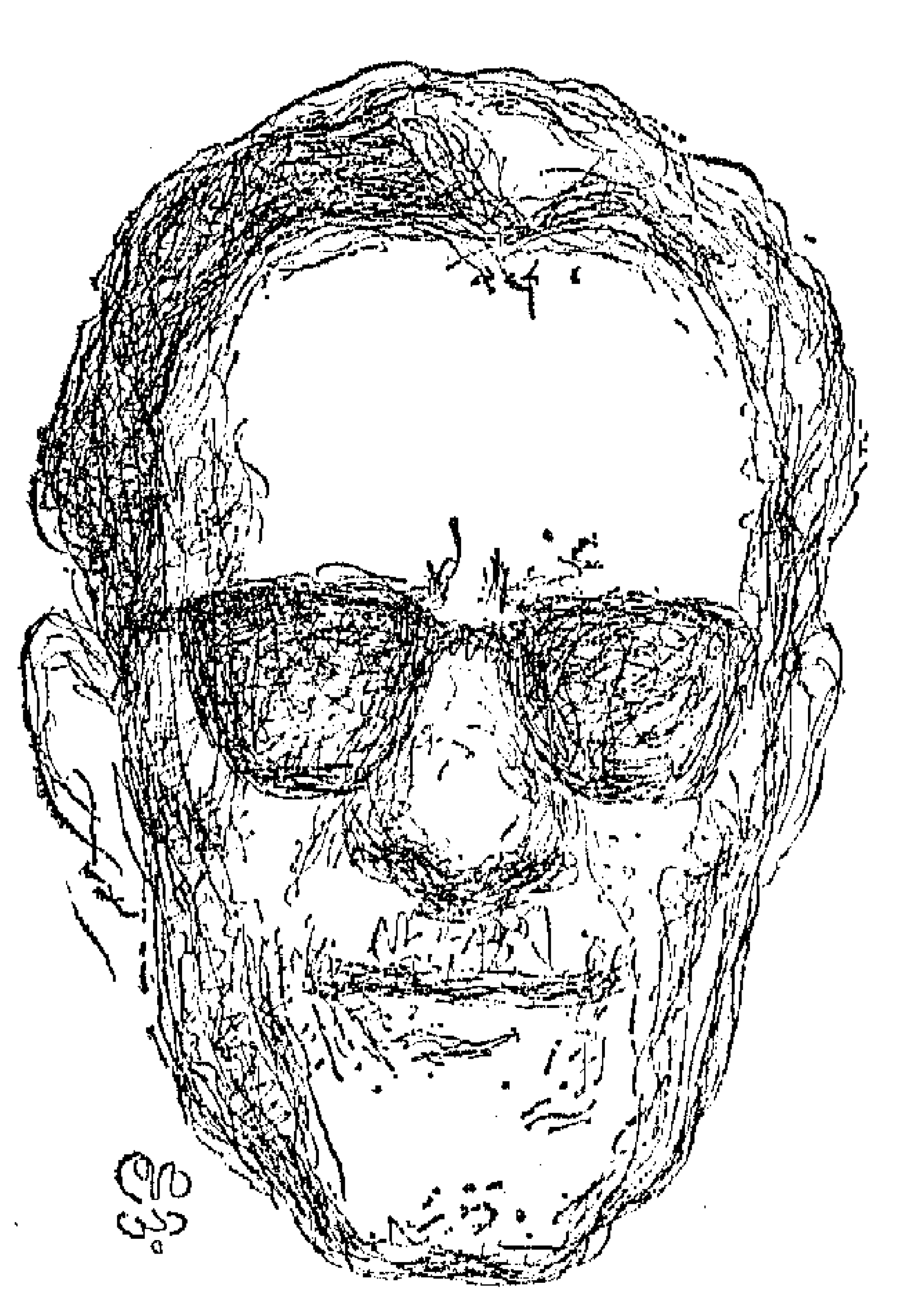
ولعل هذه الشهادات تقوم بطرق الابواب المغلقة على المعرفة الشاملة لاجزاء الوطن العربى بعضها عن بعض ، ودعوة ملحة لمد أوسع الجسور بين جزر الابداع الفنى فى وطننا العربى ·

وصدقت خديجة صفوت (السودان) حين قالت : « ما ينقصنا هو معرفة حتى بلادنا التى نحبها بصورة ذهنية أو عاطفية · وليس لاننا نعرفها قيمة « مناطق معقولة » حتى فى البلد الواحد .. ولربما يخطىء الواحد منا لجهله مع أحسن النوايا » .

حوار فكرى : هكذا يتكلم الادباء الشباب

تقدم الطليعة دراستها الرئيسية فى هذا العدد حول « الادباء الشباب» فى الوطن العربى .. لذلك فقد اضطررنا ـ لضيق الحيز ـ الى تأجيل ما ورد الى الطليعة من تعليقات ومناقشات فى هذا الموضوع الى العدد القادم والاعداد التالية ، حيث يمتد الحوار الى مناقشة ما جاء فى شهادات الادباء الشباب داخل مصر وخارجها على اتساع الوطن العربى .

طه حسين .. ثمانون عاما على الطريق



فى صدر ترجمته لكتاب « نظام الاثينيين » لارسطو ، يقول ، **طه حسين** « لم أتعلم لانتفع وحدى بما تعلمت » .. وبالرغم من انه قد أملى هذه الكلمات عام ١٩٢١ الا أنها كانت عهدا أخذه على نفسه ، وأخذ نفسه به منذ قرر يوما أن يحترف عقله حرفة التفكير الحر فى حاضر هذه الامة وماضيها ومستقبلها . وقد ولد « عقل » **طه حسين** فى زمن المخاض الاول لنهضتنا الفكرية الحديثة ، فاختار من البداية أن يقف فى جانب « **الجديد** » على ضعفه البالغ ، وأن يثور على « **القديم** » بكل ما يعنيه من أسس راسخة فى القلب والروح **والوجدان** . ولعل اكبابه المبكر على تراث **أبى العلاء** ، هو الذى حل له تلك المعضلة التى ظلت مستعصية على الحل أمدا طويلا ، وهى التوفيق أو التناقض بين مناهج الشك التى أتت بها الفلسفة الاوروبية الحديثة ومنابع الايمان فى التراث العربى القديم . كان **أبو العلاء** نموذجا نادرا عثر فيه طه حسين على الترياق المثالى لازمة طالب الازهر مع طالب السوربون . فها هو ذا شاعر عربى اصيل تضطرب حناياه بما يضطرب به العقل الاوروبى من نوازع وخلجات .وكانت « ذكرى أبى العلاء » ثم « تجديد ذكرى ابى العلاء » ثم « مع ابى العلاء فى سجنه » سلسلة من الخلوات النفسية والفكرية الفذة التى عقدها طه حسين ، لا مع شاعره الاثير ، وانما مع مرآة نفسه وضميره ابان ربع قرن يبدأ بعام ١٩١٤ وينتهى بعام ١٩٣٩ حيث يقول فى وضوح وجلاء (١) « لن يكون هذا الانحو من حديث النفس تعرض فيه كما تريد ذكرياتى والاراء المختلفة التى كونتها لنفسى فى شخص ممتاز شاذ ، فنان عظيم ، قاس ، قوى الارادة قبل كل شىء ، له ذكاء نادر يقظ دقيق قلق ، يخفى من وراء الاراء المطلقة والاحكام الصارمة لا ادرى أى شك فى نفسه ، وأى يأس من ارضها ». وما ادق المطابقة بين الدارس والمدروس ، بين صاحب الذكرى وكاتب الذكريات .

هذا النوع من كنوز التراث العربى هو الذى أملى على طه حسين فى ذلك الوقت المبكر أن يرفض مبدأ التعميم فى الاقيسة النقدية ، فالسلب والايجاب جنبا الى جنب يشكلان الظاهرة الفنية الواحدة فى الماضى والحاضر على السواء ، ولذلك ينكر على الذين غضوا البصر عن أية بارقة تبدو فى التراث قائلا « **ان الذين يزدرون الادب العربى ، ويغضون عنه ، يجهلون منه هذا الادب جهلا منكرا ، وما كان لمن يجهل شيئا أن يحكم عليه** » (٢) وهكذا وضع لنفسه منهجا فى التقويم لم يحد عنه طيلة حياته ، يعتمد فى رؤياه على النظرة الموضوعية التى تنأى عن ردود الفعل ، أيا كانت ، بالتهويل أو التهوين . على أن موقفه من التراث شىء ، وموقفه من « القديم » شىء آخر . فالموقف من الماضى تضبطه معايير السياق التاريخى التى تصنف بأدواتها الاكاديمية ، ما هو سلبى فى جانب ، وما هو ايجابى فى جانب آخر . ولكن الموقف من الحاضر يستلزم معيارا آخر فى التفرقة بين القديم والجديد فى العصر الواحد . وهو ليس بالقديم الذى أدرج بعناية فى متحف التاريخ ، وانما هو القديم الذى يزاحم الجديد فى صياغة العصر . ويعى طه حسين وعيا نافذا أن « **الخلاف بين القديم والحديث أصل من**

---

[١] مع أبى العلاء فى سجنه ـ طبعة أولى ـ ١٩٣٩ .

[٢] حديث الاربعاء ـ الجزء الاول ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٢٥ .

أصول الحياة ، يشتد الجهاد بين أولئك وهؤلاء حتى يتم انتصار الجديد فيصبح هذا الجديد قديما ويظهر جديد آخر يحاربه ٠ » (٣)

وقد اتخذ طه حسين موقعه في صف « الجديد » من أكثر جوانبه حساسية ، فبالرغم من أن كتاباته حتى عام ١٩٢٥ قد احتفلت بتجديد مناهج النقد العربي احتفالا لا لبس فيه ، الا أن كتابه « في الشعر الجاهلي » الذي صدرت طبعته الاولى عام ١٩٢٦ كان اقتحاما مباغتا لعرين الرجعية الادبية وقدس اقداسها ٠ فالحق ان معركة العقاد مع شوقي وتجديد عبد الرحمن شكري في الشعر ، وتبني هيكل للقالب الروائي الاوروبي وتقديم سلامة موسى لبعض الافكار الشجاعة ٠٠ لم تكن هذه كلها في ثوريتها ومضمونها التقدمي الاصيل « ضربة قاضية » لحصن المحافظين الحصين وهو التراث القديم ، فجاء طه حسين ليقول : « أريد ألا نقبل شيئا مما قال القدماء في الادب وتاريخه الا بعد بحث وتثبت ان لم ينتهيا الى اليقين فقد ينتهيان الى الرجحان » (٤) . ثم يعترف بأنه يستعير في بحثه عن الشعر الجاهلي منهج الفيلسوف ديكارت ، وبخاصة فكرته عن الشك . ولا يتوقف عند ذلك فحسب ، بل يتدفق من كلماته التمرد هائلا على هذا النحو « نعم ، يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها ، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به ، وأن ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين ، يجب ألا نتقيد بشيء ولا نذعن لشيء الا مناهج البحث العلمي الصحيح » (٥) . وكما تصنع لغة السينما الحديثة فتبدأ القصة من نهايتها ، يفجؤنا طه حسين — على حد تعبيره — بما انتهى اليه من شك في قيمة الشعر الجاهلي ، فالكثرة المطلقة مما ندعوه شعرا جاهليا ليست الا شعرا منتحلا في صدر الاسلام ، يصور حياة المسلمين أكثر مما يصور حياة الجاهليين ٠ ويكاد يوقن من أن ما تبقى من الشعر الجاهلي الصحيح غاية في الندرة بحيث لا يصلح للدلالة على شيء ، أو لاستخراج صورة ادبية صحيحة لهذا العصر الجاهلي « وأنا أزعم مع هذا كله أن العصر الجاهلي القريب من الاسلام لم يضع ، وأنا نستطيع أن نتصوره تصورا واضحا قويا صحيحا ٠ ولكن بشرط الا نعتمد على الشعر ، بل على القرآن من ناحية ، والتاريخ والاساطير من ناحية أخرى » (٦) ٠ ويسترسل الكتاب في سرد الاسانيد وتفصيل الحجج التي ألحت بالشك على صاحبه ٠

وقد كان « في الشعر الجاهلي » بداية العاصفة الرجعية العنيفة التي هبت على طه حسين من نواحي عدة ، في الجامعة والبرلمان والصحافة والشارع ٠٠ وهي العاصفة التي ظلت تطارده استاذا وعميدا ومديرا للثقافة ووزيرا للتعليم ، لسبب يسير عسير ، هو أنه كان يقترن الفكر بالعمل كلما أتاحت له السلطة ان يعمل ٠ ان كتابه هذا الذي أثار ضجة عظمى فور صدوره لم يكن الا مجموعة من المحاضرات التي سبق له أن ألقاها على طلابه ، كما كان « حديث الاربعاء » مجموعة من المقالات التي سبق له أن نشرها على جمهور « السياسة الاسبوعية » . وهكذا فالوحدة العميقة بين فكره وسلوكه كانت بذرة المنهج الثوري في حياة طه حسين . ولا أدل على ذلك من أن تخطيطه الليبرالي الى الراديكالي في كتابه الهام « مستقبل الثقافة في مصر » عام ١٩٣٨، قد عرف طريقه الى التنفيذ حين تسلم مقاليد الامور في التربية والتعليم بعد هذا التاريخ باكثر من اثنتي عشر عاما ٠ ويرجع ذلك بالضبط الى أن ليبرالية طه حسين تختلف عن ليبرالية معظم أبناء جيله ممن ينتمون الى الفكرة الديموقراطية التقليدية في الغرب ٠ فقد كانت ليبرالية طه حسين ذات مضمون راديكالي ان جاز التعبير عن محاولته مناقشة القضايا الاساسية من الجذور ، ومن موقع الشعب ، بقدر ما أتاحت له ظروفه وظروف الحركة الوطنية معا من قدرة على رؤية الامور من هذا الموقع . يقول «ان الذين يريدون أن تصير امور الشعب الى الشعب يريدون بطبيعة الحال أن يثقف الشعب حتى يرشد ، وحتى يأخذ أموره بحزم وقوة ، ويصرفها عن فهم وبصيرة ، وحيث يصبح بمأمن من تضاليل المضللين له ، وتغفل المتغفلين اياه ، لا يستجيب لكل ناعق ، ولا

[٣] جريدة « السياسة » — ٦ ديسمبر ١٩٢٢ .

[٤] في الشعر الجاهلي — الطبعة الاولى — ١٩٢٦ .

[٥] المصدر السابق [٦] المصدر السابق .

ينخدع لكل مخادع ، ولا يدفع الى الشر كلما أريد دفعه الى الشر، ولا يتخذ اداة لتحقيق أغراض الطامعين ، وارضـاء شـهوات الساسة الذين كثيرا ما يتخذون الشعب الجاهل العامل مطية الى كثير من الجرائم والاثام • ولست أدرى أمخطيء أنـا أم مصيب • ولكنى لا اكاد اتصور رجلا مؤمنا بالديموقراطية الصحيحة وما تستلزمه من الانتخاب العام المباشر ، ثم يجمع فى قلب واحد وعقل واحد بين هذا الحرص وتلك الايمان وبين الرغبة فى تضييق التعليم العام وقصره على فريق من المصريين دون فريق • فهذان امران لا يجتمعان فى قلب واحد ، ولا يتفقان فى عقل واحد ، وانما هما مذهبان مختلفان أشد الاختلاف فى تصور الشعب وتقديره ، وتقدير ماله من حق وما عليه من واجب » (٧) • أى أن طه حسين عندما نادى بأن يكون التعليم كالماء والهواء ، وعندما شرع فى تنفيذ ما نادى به ، لم ينطلق من تفكيره من تصور انسانى مطلق للمشكلة ، وانما كان جوهره الاجتماعى كامنا فـى ارتباطه الحميم بشعبه وهمومه الملحة •

ولم تعان أفكار طه حسيـن مـن مرض « الفصام » الشائع بين بعض كتابنا ، لا بين الفكر والسلوك فقط ، وانما بين الفكرة والفكرة . فنحن نستطيع ان نرسم خطـوا بيانية موازية لبعضها البعض، وان تدرجت من اسفل الى أعلى او العكس • هكذا نراه يؤكد فى موازاة ايمانه الديمقراطى بقضية التعليم ، ايمانه العميق بقضية الارتباط بين الفن والمجتمع ، فيقول « ان الاديب مهما يكن أمره ، كائن اجتماعى لا يستطيع ان ينفرد ، ولا أن يستقل بحياته الادبية ، ولا أن يستقيم له أمر الا اذا اشتدت الصلة بينه وبين الناس ، فكان صدى لحياتهم ، وكانوا صدى لانتاجه ، وكان مرآة لما يذيع فيهم من رأى وخاطر ، وما يغذوهم به من هـذه الاثار الادبية على اختلاف ألوانها » (٨) •

وعندما يحتم منطق التاريخ أن يصبح الجـديد قـديما ، وأن يـولد جـديد أخر « يحاربه » كما قال طه حسين يوما ، فانه منذ أواخر الاربعينـات وأوائـل الخمسينات كانت حركة الحياة فى مصر قد بدأت ترهص بفكر أدبى جديد يغاير فى الكثير بعض القيم التى شارك طه حسين مع جيله فى ارسائها • كانت الحركة الواقعية البازغة قد اختصمت مع العقاد وطه حسين ، فاندفع الجانبان كلاهما فى معركة حادة اتسمت احيانا بالعنف • ولكنا الان وبعد مرور فترة من الزمن تسمح بقدر اكبر من الموضوعية، يمكن القول بأنه رغم سلامة الجوهر الذى نادت به الحركة الواقعية ، الا ان المبالغة فى التركيز على اهمية المضمون فى العمل الفنى هى التى ادت كثيرا الى انتاج بعض الاعمال الهزيلة تحت لافتة الاتجاه الواقعى ، وهى التى أدت الى التطرف فى الجانب المقابل ممثلا فى قول طه حسين « يونانى لا يقرأ » • غير أن موقف طه حسـين يتميز من بين مجايليه الذين هاجموا الادب الجديد حينذاك ، بجملـة سمات • أولها انه لم يحاول قط كما فعل غيره أن يلفق اتهامات سياسية لخصومه • وثانيها أنه دافع عن « الجمال » فى الفن بغير ان ينال من « المضمون » بحيث اصبح دفاعه كسبا للادب الحقيقى ضد الانحدار المخيف الى مستوى الكليشيه والشعارات المجففة . وثالثها أن موقف طه حسين من الواقعية بصورتها تلك لم يثنه قط عن موقفه الاصيل من قضية الصراع بين القديم والجديد •

وفى ذكرى ميلاده الثمانين لا يزال اسم طه حسين ــ وسيظل لامد طويل ــ علامة بارزة فى تاريخنا الحديث ، وصفحة مشرقة من صفحات نضالنا الوطنى والديموقراطى • وما اجدرها مناسبة تتيح لاجهزتنا الثقافية ومؤسساتنا الفكرية والادبية أن تعيد النظر فى موقفها من أمثال هذا الرائد العظيم . . فلم تنظم حتى الان حلقة دراسية علمية تبحث ادبه وتقيم افكاره ، ولم يصدر بعد كتاب جاد يتناول حياته والنضال بالعرض والتحليل . ولن يكسب طه حسين شيئا مما ينبغى ان نقوم به من جهود فى هذا الصدد ، وانما نحن الذين نستطيع ان نكسب الكثير فيما لو وعينا أن طه حسين وغيره قليل هم « ثروة مصر القومية » •

وتحية للرجل الذى وفى بعهد قطعه على نفسه منذ حوالى نصف قرن ، اذ قال « لم أتعلم لانتفع وحدى بما تعلمت »

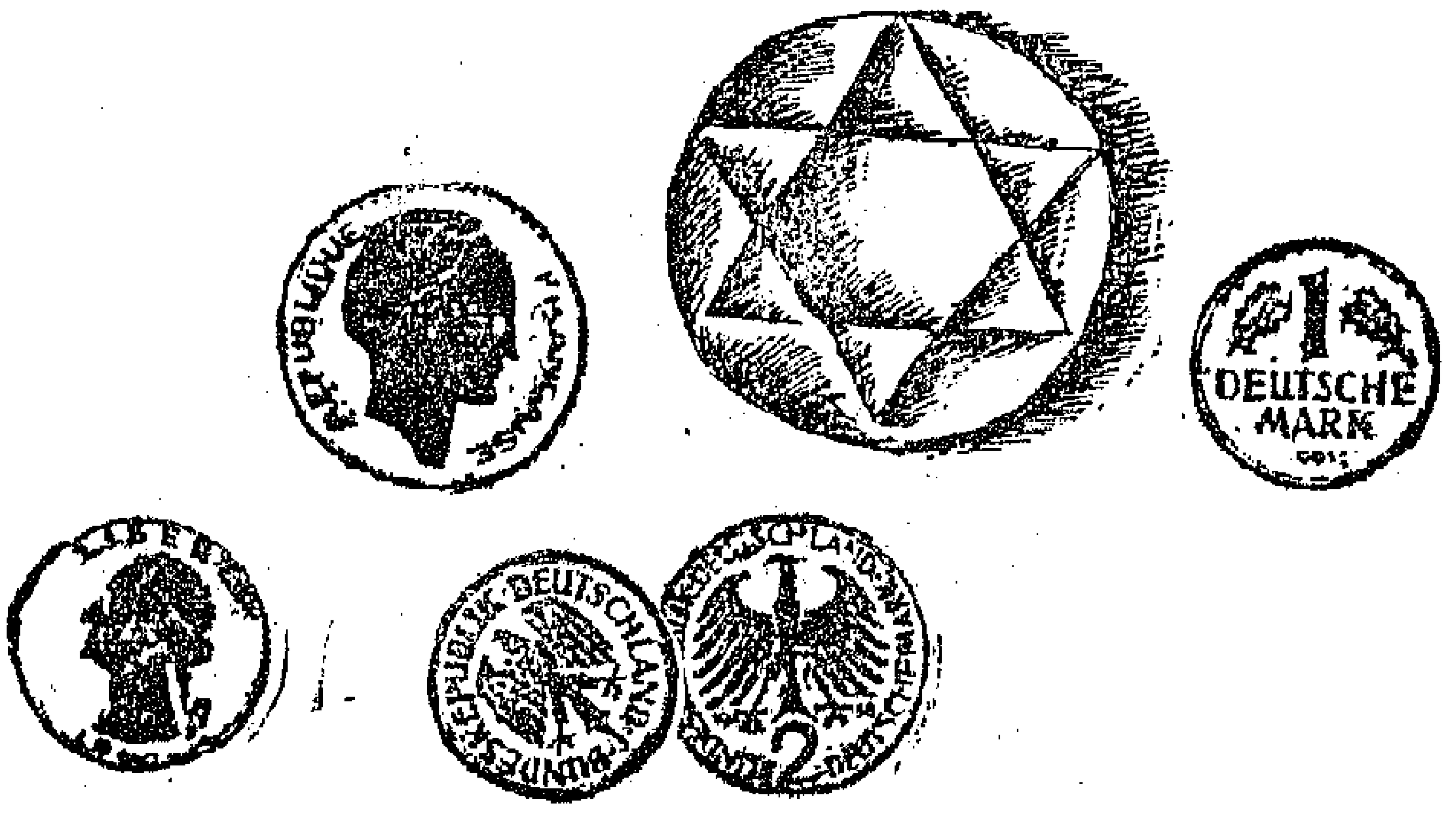
الطليعة

---

[٧] مستقبل الثقافة فى مصر ــ ١٩٣٨ •

[٨] فصول فى الادب والنقد ــ الطبعة الاولى ــ ١٩٤٥

الرأسمال الاحتكاري .. والصهيونية



يكتب هذا المقال للطليعة ، الكاتب السوفيتي « يفجيني افسييف » (٣٧ سنة) . وهو من خبراء السياسة في شئون الشرق الاوسط . نال شهادة الدكتوراه من معهد شعوب آسيا في موسكو عن التاريخ العربي الحديث ، وبالذات عن ثورة ١٩٥٢ المصرية . تخصص في دراسة الحركة الصهيونية وارتباطاتها بالاحتكارات العالمية . يعمل الان بمجلة السلم والاشتراكية في براغ .

ترجم المقال عن الروسية : ماهر عسل .

د . يفجيني إفسييف

في مغيب القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، شهدت الحياة السياسية الدولية تحركا نشيطا لشبكة من المنظمات التي قامت بالاعتماد على امكانيات ومشاركة الرأسمال الاحتكاري في كثير من البلدان ، وخصوصا في امريكا واوربا ، وقد أصبحت هذه الشبكة تعرف للرأي العام العالمي على نطاق واسع تحت اسم .. « **الصهيونية** » وكقاعدة ، فان الممولين لم يهتموا كثيرا بالدعاية لعلاقاتهم الوثيقة بالصهيونية . ولذلك فقد بقيت هذه الخصيصة في النشاط الصهيوني ، أي الارتباط المباشر الوثيق بين الصهيونية وبين الرأسمال الكبير ، بقيت - للاسف - دون بحث متكامل . وبالمناسبة فان « **تيودور هرتزل** » من موقع توجيه دفة الصهيونية قد كتب في عام ١٨٩٦ في كتابه « **الدولة اليهودية** » (أصبح هذا الكتاب بمثابة الاساس النظري للنشاط العملي الذي تمارسه البورجوازية اليهودية الكبيرة) : « **لو أن عظمة السلطان التركي أعطانا فلسطين ، لساعدناه في مقابل ذلك على تحسين الاوضاع المالية للامبراطورية العثمانية** » . وهنا لا مناص من التساؤل : على اي اساس يتقدم صحفي نمساوي مجهول الى « أمير المؤمنين » باقتراح لدعم الخزينة الامبراطورية ، ومن أين له بالاموال اللازمة لهذا الغرض ؟ .

معروف أن نمو الصهيونية قد حظي بأقصى الاهتمام من جانب أسرة أصحاب البنوك الاوربيين : « **روتشيلد** » ، « **وجيرسن** » ، و« **ليب** » و« **كون** » وكثيرين غيرهم من اصحاب رؤوس الاموال الكبيرة ، الذين ترتبط اسماؤهم الى يومنا هذا بنشاط المنظمات الصهيونية العالمية وفروعها في مختلف البلدان .

ثمة شواهد كثيرة على قوة ونفوذ المنظمات

الصهيونية داخل اطار النظام الامبريالى المعاصر . وعلى سبيل المثال فان المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة ، بل والرؤساء ايضا « يتشرفون » بحضور المؤتمرات الصهيونية والقاء الخطب من فوق منابرها . ولقد وجد الرئيس جونسون من الضرورى فى خريف ١٩٦٨ أن يلقى فى المؤتمر الصهيونى السنوى لمنظمة « بناى بريت » (١) خطابا كان فى حقيقته تقريرا عن السياسة الخارجية لحكومته ، اما المرشحان للرئاسة وقتذاك : الديمقراطى همفرى ، والجمهورى نيكسون فقد بعثا ببرقيات تحية لاعضاء المؤتمر الصهيونى الامريكى المنعقد فى واشنطن . (تاس ١٠ ، ١١ ، ١٦ سبتمبر ١٩٦٨) وقد عبر كل منهما فى برقيته عن استعداده لتأييد سياسة اسرائيل العدوانية فى الشرق الاوسط .

للعام الثالث على التوالى تجرى فى اسرائيل اجتماعات ومؤتمرات لاصحاب الملايين من مختلف الدول الامبريالية بهدف التبرع بأموال طائلة تبلغ مليارات الدولارات لمساعدة اسرائيل فى شتى المجالات ، ولتمويل النشاط المعادى للشيوعية ، ولتخصيص الاعتمادات لمحاربة الشيوعية من أول الحرب الباردة الى العمليات العسكرية الصريحة .

منذ فترة وجيزة تم فى القدس لقاء دورى لرجال الاعمال اليهود حضره ٢٤٠ مليونيرا من مختلف البلدان . واشترك فى اللقاء ٤٠٠ من الرأسماليين الاسرائيليين . وان جملة الرأسمال الذى خصصوه لهذه الاغراض ليصل الى أرقام فلكية تفوق ميزانية عدد كبير من الدول الرأسمالية .

ان هذه اللقاءات فى « المدينة المقدسة » قد أصبحت تقليدية ، واكتسبت تسمية رسمية شائعة الاستعمال فى الصحافة الغربية ، وهى « مؤتمر أصحاب الملايين » . وقد أخذت هذه اللقاءات شكلا تنظيميا ، فأصبح لها جدول أعمال ، وانبثقت عنها لجان متخصصة ، وسكرتارية دائمة ، وفروع ، ووحدات ، الخ .

وفى يونيو من هذا العام (١٩٦٩) انعقد المؤتمر الثالث ، وذلك منذ عام ١٩٦٧ . وفى هذا اللقاء ، كما فى اللقاءين سابقين ، كانت احدى القضايا الرئيسية التى طرحت للمناقشة هى أفضل وأمضى وسائل الحقن المالى الذى يقوى القفزات العسكرية لخيول اسرائيل التى أصبحت احدى الركائز الاساسية التى تستند اليها الامبريالية .

« لقاءات بيلديربرج ومؤتمرات أصحاب الملايين »

قبل شهرين من العدوان الاسرائيلى [١٩٦٧] اجتمع فى مدينة كمبريدج البريطانية عشرات من مشاهير رجال المال والسياسة فى الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا وغيرها من بلدان أوربا الغربية . وعلى ضوء النذر اليسير من أخبار الاجتماع التى نقلتها الصحافة ، كان الموضوع الرئيسى فى جدول الاعمال هو أحداث الشرق الاوسط . وعقب هذا الاجتماع عقدت فى « تل أبيب » و « القدس » اجتماعات موسعة تضم رجال الصناعة والمال ، تهدف الى تطوير القرارات التى اتخذت فى كمبريدج . ولقد كان « اجتماع أصحاب الملايين » على غرار « لقاءات بيلديربرج » (٢) تلك اللقاءات الدورية لممثلى الاتحادات الاحتكارية الكبرى فى الغرب . وبمقارنة كشف اسمار اعضاء « لقاءات بيلديربرج » بكشف اسماء اعضاء « اجتماع أصحاب الملايين » فى القدس تتضح حقيقة هامة ، مؤداها

---

[١] « بناى بريت » تعنى ابناء الاتحاد الابدى ، وهى احدى المنظمات الرئيسية فى الشبكة الصهيونية . وهى منظمة جماهيرية تكونت فى الولايات المتحدة فى القرن الماضى ، ويبلغ عدد أعضائها قرابة نصف مليون فرد يضمهم أكثر من الفى فرع فى ٤٢ دولة ، ومقر القيادة فى واشنطن . والمركز الرئيسى للمنظمة فى بلدان شرق أوربا يقع فى برلين الغربية . وتضم منظمة « بناى بريت » بين صفوفها ممثلين عن الدوائر المالية والحكومية والسياسية والادبية ، أى « الصفوة المفكرة » .

والمنظمة قوية النفوذ ووثيقة الارتباط بالدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة الامريكية . وتسمح اللائحة الداخلية للمنظمة بانتماء أعضائها الى كافة الاحزاب والمنظمات . وهى مثل الجمعيات الماسونية تطالب أعضائها بالطاعة المطلقة والمحافظة التامة على السرية . وللتعارف فيما بينهم يلجأ اعضاء منظمة « بناى بريت » الى اشارات خاصة . هذا وتتعاون المنظمة مع السلطات الامريكية ، وكذلك مع بقية المنظمات الصهيونية . ومهمة المنظمة هى العمل فى أوساط المثقفين والطلبة .

[٢] جرى أول هذه اللقاءات فى مدينة أوستربيك الهولندية بفندق « بيلديربرج » ومن هنا اكتسبت هذه اللقاءات اسمها . وكان اللقاء الثانى فى مارس ١٩٥٥ فى باربيزونا بفرنسا ، ثم فى سبتمبر ١٩٥٥ فى جراميس — بارتينكيرخين بألمانيا الغربية ، ثم فى ١٩٥٦ فى فريدينسبرج بالدانمرك ، وفى فبراير ١٩٥٧ فى جزيرة سانت سليمون الامريكية . هكذا تنتقل هذه المؤتمرات عبر ايطاليا ، وفرنسا وبريطانيا ، والولايات المتحدة ، وتركيا ، والسويد ، واسرائيل . ولقد احيطت كل هذه المؤتمرات بستار كثيف من السرية .

أن أعضاء هذه اللقاءات وتلك اللقاءات انما يمثلون نفس الامبراطوريات المالية ـ الصناعية فى العالم الرأسمالى .

وثمة خصيصة مميزة لاجتماع اصحاب الملايين تلفت الانظار اليها ، وهى أن الاحتكاريين الذين اشتركوا فيه هم من أصحاب المصالح التى تذهب الى آفاق أبعد كثيرا من حدود بلادهم • وأنهم شركاءفيما بينهم فىكارتيلات دولية، واستثمارات مشتركة للثروات الطبيعية لبلدان الشرق الاوسط ، وآسيا عموما ، وافريقيا ، وأمريكا اللاتينية • انهم حقا يمثلون اتحادا ماليا دوليا . والفرق بين هذين النوعينمن اجتماعات « **زكائب النقود** » انمايكمن فى ان « لقاءات بيلديربرج » اضيق نطاقا ، وان الرأسمال الصهيونى يشترك فيها بوصفه احد الشركاء .

فى اجتماع كمبريدج المشار اليه كان « **دافيد روكفلر** » هو أول عازف على الكمان ، وهو معروف بمصالحه الكبرى فى صناعة استخراج البترول من بلدان الشرق الاوسط . وفى « لقاء بيلديربرج » الذى عقد فى ضواحى العاصمة السويدية فى مايو ١٩٦٢ كان من بين الاعضاء وزير المالية الفرنسى الاسبق والرئيس الفخرى « لبنك فرنسا » **فيلفريد باومجارتنر** ، **وبيير دريفوس** مدير شركة رينو (وكلاهما وثيق الصلة بالفرع الفرنسى لال روتشيلد] ، وقد مثل الاحتكارات الاسكندناوية المليونير السويدى **ماركوس فالينبرج** [٣] ، أما ايطاليا فقد مثلها **جوفانى أنيللى** نائب رئيس كونسرن فيات وهو معروف بتبرعاته السخية لخزانة اسرائيل • ولقد بذل هؤلاء جهدا مرموقا من أجل انعقاد « مؤتمر أصحاب الملايين » فى القدس •

وعلى امتداد سنوات طويلة سابقة كانت مجموعة « بيلديربرج » تبدى اهتماما شديدا بمنطقة الشرق الاوسط • ولا غرابة فى ذلك ، فمكان الصدارة فى هذا « النادى » للاحتكارات صاحبة المصالح الحيوية فى بلدان الشرقين الاوسط والادنى ، وللقوى الماليسة التى تتبنى اسرائيل والصهيونية العالمية • ويرجع الفضل الى « لقاءات بيلديربرج » فى تكوين ما يسمى « **بمنظمة التنمية الصناعية لبلدان الشرقين الاوسط والادنى** » • وكما أشارت الصحافة الغربية ، فان هدف المنظمة هو « المساهمة عن طريق رؤوس الاموال الخاصة فى تنمية بلدان الشرقين الاوسط والادنى ، على أساس اقليمى »وقد ولدت هذه المنظمة فى أعقاب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . وكان نشاطها يعد مساهمة ذات طابع خاص من جانب الرأسمال المالى العالمى فى تدعيم جهود واشنطن لفرض مشروع ايزنهاور ـ دالاس على شعوب البلدان العربية •

ومنذ الاجتماع فى سانت سايمون عام ١٩٥٧ اصبحت « مسألة الشرق الاوسط » تحتل المكانة الرئيسية فى جدول أعمال « لقاءات بيلديربرج » طوال الاعوام التالية •

وفى اكتوبر ١٩٦٧ شهدت فيلا روتشيلد فى سويسرا اجتماعا غامضا بين « مجموعة » كبار الاحتكاريين الذين ناقشوا مختلف جوانب مشكلة الشرق الاوسط . ذلك ان النظام الاسرائيلى العسكرى كان يقف على حافة أزمة مستحكمة تتطلب حلولا عاجلة وحاسمة ، وقد تم حل الازمة فى هذا النطاق الضيق ، وقد وجهت الدعوة للاشتراك فى هذا الاجتماع الضيق الى السكرتارية الدائمة التى انبثقت عن مؤتمر أصحاب الملايين الذى تم فى عام ١٩٦٧ ، كما دعيت اللجان الاقليمية للمؤتمر فى الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية واوربا الغربية ، وعلى حد تعبير « **اميل توما** » عضو قيادة الحزب الشيوعى الاسرائيلى (**راكاح**) « ففى غضون ١٩٦٧ جمعت تبرعات لاسرائيل تعادل جملة التبرعات التى حصلت عليها فى الاعوام العشرة السابقة » .

ان تحليل الوضع المالى لاسرائيل ليكشف عن الهزال الشديد للاقتصاد الاسرائيلى ، ويؤكد بما لا يدع مجالا للشك ان اسرائيل لا تستطيع ان تعيش على مواردها الذاتية ، فبالنسبة لدولة اسرائيل يوجد عجز مزمن فى الميزانية ، وكظاهرة ثابتة توجد ميزانيات اضافية • فاكثر من ثلث ميزانية الدولة يغطيه الدعم المالى الخارجى للاقتصاد الاسرائيلى • فالنفقات العسكرية المتزايدة زيادة باهظة تحتم تضخم الميزانية ، الامر الذى يتحقق بفضل المعونات الاجنبية وليس بفضل ازدياد الانتاج القومى • وعلى سبيل المثال فقد قفزت جملة الانفاقات فى الميزانية العسكرية لعام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ الى ٦ مليارات من الجنيهات الاسرائيلية ،

---

[٣] يقول هيرمانيسون عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى السويدى فى تحديد مكانة فالينبرج ان بنكة « ستوكهولم انشيلدا بانك » بالتعاون مع بنكين كبيرين آخرين تسيطر على العمليات البنكية للسويد ، وان ادارة هذه البنوك عن طريق العلاقات الشخصية تحدد معادارات أكبر ، وأهم المؤسسات فى جميع قطاعات الاقتصاد الوطنى . وحول هذه العناصر تتجمع فئات الرأسمال المالى التى تستغل سلطتها لتقرير مصير ملايين البشر .

اى انها قد ازدادت عن عام ١٩٦٦ بمعدل ٤٠٪ ، هذا بينما بلغت الزيادة فى الدخل القومى عن العام المذكور نفسه ٣ر٠٪ (٤) .

كذلك فان ميزانية الاستثمارات لتؤكد هى الاخرى انخفاض مستوى التنمية فى اسرائيل ذلك ان نصيب التمويل الخارجى فى الميزانية مرتفع للغاية ، وتبلغ نسبته الى جملة الاستثمارات فى ميزانية التنمية ٥ر٦٨ فى المائة عام ١٩٦٠ ، ٩٠ فى المائة عام ١٩٦٣ ، ٧ر٩٧ فى المائة عام ١٩٦٤ ، ٨ر٨٢ فى المائة عام ١٩٦٥ .

وان جملة المساعدات ، والقروض ، والتبرعات ، والمعونات الحكومية ، والتعويضات التى تدفعها ألمانيا الغربية لاسرائيل ، لتتراوح – طبقا لتقديرات مختلفة – ما بين ٧ و ٩ مليار دولار ، وهى ما يزيد عن خمسة أضعاف الميزانية السنوية الاسرائيلية . ومن ذلك يتضح تماما أن وجود ونشاط هذا البلد لا يستند الى القدرة الذاتية للنظامين الاقتصادى والحكومى ، وان اسرائيل كيان يتطفل على عوامل خارجية تتمثل فى المساعدات المالية والاقتصادية التى لا حدود لها .

واذا راقبنا حركة استقبال اسرائيل للموارد الخارجية – ولو خلال الفترة من ١٩٦٢ الى ١٩٦٥ فقط – للاحظنا انها تتخطى نصف مليار دولار سنويا ، من بينها اكثر من ٣٠٠ مليون دولار فى صورة هبات غير مطلوب سدادها ، والباقى فى صورة قروض .

وطبقا للاحصائيات الرسمية الامريكية فان المساعدات التى قدمتها الولايات المتحدة الى اسرائيل فى الفترة من ١٩٤٩ الى ١٩٦٦ تبلغ ٢ر١ مليار دولار ، من بينها ٢٦٣ مليون دولار بصفة هبة من الحكومة الامريكية ، ٣٢١ مليون دولار بصفة قروض تنمية ، ٢٢١ مليون دولار بصفة قرض من بنك التصدير والاستيراد . وطبقا لما جاء فى مجلة « **اوفر سيز بيزينيس ريبورتس** » الامريكية فقد حصلت اسرائيل فى الفترة من ١٩٤٩ الى ١٩٦٦ على تبرعات من مصادر أمريكية غير رسمية تبلغ قيمتها ٢ر٢ مليار دولار .

وتتلقى اسرائيل معونات ضخمة من انجلترا وفرنسا . وتعبيرا عن شعور الامتنان ، فقد قررت الدوائر الحاكمة الاسرائيلية اطلاق اسم المليونير الشهير « **ادموند روتشيلد** » على واحد من أهم الطرق فى قلب تل أبيب . والواقع أن آل روتشيلد هم أعضاء دائمون فى كافة اجتماعات « أصحاب النفوذ » التى تناقش فيها المشاكل التى تمس كيان وحياة دولة اسرائيل ، وان هذه الاجتماعات هى التى غالبا ما تقرر اتجاه سياسة الدول الرأسمالية الكبرى ازاء الشرق الاوسط . وقد قامت بين انجلترا وبين اسرائيل علاقات واسعة فى المجالات المالية والتجارية والاقتصادية . وتقوم مجموعة من الاحتكارات البريطانية الكبرى العاملة فى اسرائيل بالضغط على الحكومة البريطانية لجعل السياسة الرسمية لبريطانيا متجاوبة الى حد بعيد مع المصالح الاسرائيلية . وفى طليعة هذه الاحتكارات « **بريتش بترولبوم** » ، والبنوك البريطانية الكبرى ، **روتشيلد** ، **باركليز** ، **وبنك** « **صمويل مونتيجيو وشركاه** » التجارى . وترى كبريات الشركات البريطانية ، ان الاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع اسرائيل امر مربح ومفيد ، فهى تحصل على أرباح مضمونة من وراء المساعدات التى تتلقاها اسرائيل .

وعلى سبيل المثال ، فان شركات « **جرات يونيفرسال ستورز** » و « **ماركس آند سبنسر** » تجنى من وراء علاقاتها مع اسرائيل ثلاث فوائد : فهم يضمنون تأييد اصحاب الملايين الصهاينة الاخرين لنشاطهم التجارى ، وهم بالدعاية الضخمة لمساهمتهم فى دعم اسرائيل انما يحصلون على عملاء لفروعهم المنتشرة فى أنحاء أوربا ، وعلاوة على ذلك فهم عن طريق شبكتهم التجارية داخل اسرائيل يحصلون على نقود المشترى الاسرائيلى .

ان بعض فائض القيمة ، الذى يحصل عليه الرأسمال الصهيونى من استغلال الجماهير الكادحة فى مختلف بلدان العالم ، يتحول الى ذهب وعملات صعبة ، تنتقل الى اسرائيل فى صورة قروض وهبات وتبرعات تقدر بمليارات الدولارات ، لكن هذه الاموال الطائلة لا تذهب سدى ، فهى على الفور تصبح موضوعا للتنافس بين مختلف المجموعات الاحتكارية .

لقد رصد الرأسمال الصهيونى ٢٠٠ مليون دولار لانشاء خط أنابيب بترول فى اسرائيل ، استولت الاحتكارات الالمانية الغربية على حصة كبيرة منها تبلغ ٤٨ مليون مارك بموجب الاتفاقية المبرمة بين اسرائيل وبين شركة « **هيس مانسمان** » لتوريد الصلب اللازم للمشروع .

لقد تبوأت احتكارات الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والمانيا الغربية مكانة راسخة

---

(٤) مجلة قضايا السلم والاشتراكية – ١٩٦٨ – العدد السابع . ص ٧٤

بين الشركات الاجنبية العاملة فى اسرائيل • فمجموعة « **ماير برازرس انتربرايسيز** » الامريكية تمتلك فى اسرائيل عددا من العقارات وتقوم بتنفيذ الاعمال الانشائية ، وتمول مشروعات التجارة الخارجية الاسرائيلية . وتشاركها فى ذلك مجموعة من الشركات الوثيقة الصلة برؤوس الاموال الفرنسية والبريطانية ، كما ان **اخوان لازار** يتعاونون « بأخوة » مع **روكفلر ومورجان وكون ولييب** على اقامة تحالف وثيق مع رجال الاعمال والبنوك فى ألمانيا الغربية من خلال المشاركة فى سلسلة من المؤسسات الرأسمالية المقامة فى اسرائيل • وان اهتمام الرأسمال الاجنبى باسرائيل من هذه الزاوية لهو اهتمام له ما يبرره تماما . فقد نشرت الصحف أن ٤٠ بنكا اسرائيليا متوسطا قد حصلت على أعلى ربح فى العالم •

وفى ١٩٦٨ اقترح رجلا الاعمال البريطانيان **ايساك فولفسون** ، و **ش • كلور** ، وهما من أعضاء « مؤتمر أصحاب الملايين » ، انشاء شركة تأمين برأسمال قدره ٦ ملايين دولار تم جمعها فورا فى صورة تبرعات وهبات للاعمال الخيرية • كما تقرر بناء على اقتراح من رجل الصناعة الايطالى « **ماير** » تكوين اعتماد لقروض برأسمال ابتدائى قدره ١٠٠ مليون دولار لتمويل المشروعات الطويلة الامد التى لا تحقق ربحا فى بداية تشغيلها ، واضطلع « **براونر** » وهو منتج سينمائى من برلين الغربية باقامة ستوديو سينمائى ضخم فى اسرائيل • كما أعلن المليونير الارجنتينى **ميرلمان** عن استعداده لامداد صناعة النسيج الاسرائيلية بمبلغ ٢٥ مليون دولار . كما تعهد المليونير البريطانى **سكوف** ، المعروف بتعصبه الصهيونى داخل بريطانيا وخارجها بتكوين شركة لتوزيع المنتجات الكيماوية ، وسوف يصل المليونير بحجم مبيعاتها الى ٢٥٠ مليون دولار فى غضون خمس سنوات • كذلك فقد وعد التاجر الالمانى الغربى الشهير **شبيتس** » بتأسيس شبكة من المحلات التجارية الاسرائيلية فى مختلف بلدان أوربا الغربية •

هكذا يدفع التحالف الأممى للاحتكاريين بسخاء نفقات استمرار السياسة العدوانية لتل أبيب ، فالاعمال الوحشية التى يمارسها العسكريون الاسرائيليون فى الاراضى المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ للان رغم القرارات العديدة للامم المتحدة •

وفى « مؤتمر اصحاب الملايين » بالقدس ولدت فكرة اقامة بديل اسرائيلى لقناة السويس ، أى مد خط ضخم لانابيب البترول ما بين « ايلات » على خليج العقبة وبين « أشدود » على البحر الابيض المتوسط ، ليكون طريقا بريا لنقل البترول الخام من جنوب شبه الجزيرة العربية وايران الى الغرب •

وتقدر تكاليف المشروع بحوالى ٢٠٠ مليون دولار ، الا أن الرسميين الاسرائيليين يصرحون بأن التكاليف الفعلية سوف تزيد على ضعف هذا الرقم . ولذلك فبتشجيع من أصحاب المصالح يعرقل حكام اسرائيل فتح قناة السويس وتطهيرها من السفن الغارقة ، رغبة فى مواصلة الضغط على الجمهورية العربية المتحدة عن طريق الاضرار بالاقتصاد المصرى ، رغم ما فى ذلك من اضرار بالمصالح الفرنسية والبريطانية ، ولا غرابة فالنقود تتوجه الى جيوب الامريكيين المتعاونين مع روتشيلد وزيف وواربرج وشركاهم •

الرأسمال الصهيونى عامل أساسى فى بناء دولة اسرائيل

ان تاريخ دولة اسرائيل ليس له بعد أرشيف مغطى بتراب القرون • فالوجود الاسرائيلى الذى لا يزيد عن العشرين عاما الا بقليل لم يصبح موضوعا للدراسة من جانب علوم كالاثار • لكن بوسع الباحثين الاقتصاديين أن يعبروا عن رأيهم فى كيفية بناء اسرائيل وفى ماهية الاساس الحالى لهذا البناء • ويمكن معرفة الكثير عن ذلك من تتبع نشاط « مؤتمرات أصحاب الملايين » ، والدورات السنوية للمؤتمر اليهودى العالمى ، ومؤتمرات المنظمة الصهيونية العالمية ، والنشاط اليومى للرأسمال المالى الكبير • ويرجع جبروت الرأسمال المالى عموما ، والصهيونى خصوصا — ذلك العامل الاساسى فى بناء دولة اسرائيل — الى الارصدة الهائلة من رؤوس الاموال الحرة التى تتمركز فى أيديه • فالمؤسسات المستقلة تخضع للبنك فى تمويل استثماراتها وفى عملياتها التجارية . ومعروف ان البنك يجرى دراسة دقيقة قبل ان يقدم قروضه لرجال الصناعة والتجارة ، وبعدها يفتح للعميل ملفا خاصا يجرى استيفاؤه باستمرار أولا بأول • وعلى ذلك ففى استطاعة البنك فى أى وقت أن يقف على أدق تفاصيل وضع المؤسسات المتعاملة معه ، وفى استطاعته أيضا أن يؤثر على مؤسسة ما أخطر التأثير بأن يتوسع فى امدادها بالقروض الضرورية أو يضيق عليها • وحين يتأزم وضع المؤسسة يستطيع البنك أن يتدخل بنفسه أو يشير على شركة كبرى باقتناص الفرصة والتقدم لشراء المؤسسة المتأزمة بأبخس الاثمان أو شراء حصة فى أسهمها تحقق سيطرة الشركة المشترية • ان هذا الاستطراد عن أهمية وامكانيات الرأسمال المالى لم يرد عفوا • فهو يكشف عن مغزى الاهتمام البالغ الذى يبديه الرأسمال الصهيونى نحو اسرائيل ، وعن امكانياته الواسعة فى رعايته ربيبته اسرائيل

التى يتخذها « جسرا » على الطريق من البحر الابيض المتوسط الى الخليج الفارسى ، ونقطة وثوب الى ثلاث قارات كبرى ٠

تتحدث الصحافة الصهيونية كثيرا عما تسميه « المعجزة الاسرائيلية » و « العبقرية الاسرائيلية » ، وتحاول أن تجعل من اسرائيل قدوة ونموذجا للبلدان النامية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ٠ لكن سر هذه المعجزة لا يلبث أن يتكشف بتدقيق النظر الى « النشاط الخيرى » الذى يمارسه أصحاب زكائب النقود الذين توافدوا الى حائط المبكى فى القدس قادمين من نيويورك ، ولندن ، وباريس ، وروما ، وفينا ، ويوهانسبرج وغيرها من عواصم الرأسمالية العالمية ٠

من هم أهل البر والاحسان الذين اشتركوا فى « مؤتمر أصحاب الملايين » وهل تراهم يتبرعون بشىء من قوتهم الضرورى ، وهل تراهم بتبرعاتهم السخية أثناء حجهم الى أرض الميعاد يعرضون أولادهم لغائلة الجوع ؟

وحين نراجع القائمة الطويلة لاهل البر والاحسان الذين ساهموا فى اقامة اسرائيل وتعمير الاراضى المغتصبة من السكان الاصليين العرب ، نجد فى صدر هذه القائمة : آل روتشيلد ، آل ليمان أصحاب المليارات الامريكيين ، أصحاب البنوك فاربورج ، ووربرج ، جوجنهايم ، زيلنجمان ، فولفسون ، هوميس ، اللورد زيف الرئيس الفخرى للمنظمة الصهيونية البريطانية ، ملك صناعة الاحذية شارلز كلور ، دريفوس ، ماركس ، سبنسر ، لازار اخوان ، كون ، ليب ، بلوفنتال ، سكيف ، مورتمر ، كان ، جولدمان ، مورجنتاو ، ساكس ، السناتور جاكوب جافيتيس ، أبا فورتاس عضو المحكمة الامريكية العليا سابقا ، سيمون فيزينتال وهو رئيس منظمة صهيونية تشتغل بالتجسس والتخريب ومقرها فينا ، وكثيرون غيرهم ٠

من قبل ، قيل ان ٢٠٠ عائلة تحكم فرنسا ، وأن ٦٠ عائلة تحكم الولايات المتحدة ، الخ ٠٠ والاكيد أن عددا من هذه الاسر الشهيرة فى دنيا المال تتجمع تحت لواء أيديولوجى وسياسى موحد ٠٠ هو الصهيونية ٠

ان كشف الدور الفعلى لهذه الاحتكارات ، وفهم ميكانيزم نشاطها ، لهى مهمة شاقة ، ذلك ان الباحث يصطدم فى طريقه بكثير من الاسرار ٠ فما هى حقيقة بيوت المال التى تتحكم فى المليارات والتى تمد أذرعها الاخطبوطية الى كافة بقاع العالم الرأسمالى ، والتى تعرف باشتراكها النشيط فى أعمال المنظمات الصهيونية ، وبتقديم العون الشامل لاسرائيل ، والتى تلعب دورا حاسما فى تحديد سياسة اسرائيل الدولية وخاصة فيما يتعلق بمنطقة الشرق الاوسط ٠ ان هذه البيوت الرأسمالية ليست مجرد مؤسسات للحصول على أرباح من جهد ملايين العمال والمهندسين والفلاحين ، والخصيصة الاولى المميزة لها هى كونها أداة لتركيز الانتاج والتجارة فى أيدى قلة محدودة ٠

ويتسم نشاط هذه البيوت الرأسمالية العملاقة بالسرية ، ومن الممكن فقط تكوين فكرة تقريبية ـ وهى ان كانت غير كاملة الا انها كافية ـ عن حجمها ودورها وتأثيرها على السياسة الداخلية والخارجية ٠

وتعتبر مجموعة روتشيلد المالية ذات الطابع الكوسموبوليتى الصريح ، خير نموذج لهذا النشاط ٠ فشعار بيت روتشيلد به خمسة أسهم ترمز الى الاشقاء الخمسة الرواد الذين استقروا فى لندن ، وباريس ، ونابولى ، وفينا ، وفرانكفورت ، وأرسوا أساس المجموعة الاحتكارية القوية ليس فقط بعلاقاتها المالية ، وانما أيضا بعلاقاتها العائلية ٠ ويمتد نفوذ آل روتشيلد عبر العالم الرأسمالى كله ٠ ويتساءل أحد الكتاب الاجانب : « هل هناك ما يجسد فكرة « الحكومة اليهودية العالمية » أكثر من آل روتشيلد التى تضم مواطنين لخمس دول ، والتى يصل نفوذها القوى الى التأثير على كثير من الحكومات البعيدة عن أوربا ٠ ان فرع روتشيلد الانجليزى وثيق الصلة بشركة « رويال واتسن شل » وبشركة « لويد » للتأمين البحرى ، وهو يسيطر فى جنوب افريقيا على مناجم الذهب ، وعلى شركتين كبيرتين لاستخلاص الرصاص والزنك والزئبق ، كما كان لمجموعة روتشيلد نصيب كبير فى شركة قناة السويس ، وفى جميع بلدان أوربا يسيطر آل روتشيلد على عدد من المناجم وشركات السكك الحديدية ، والملاحة البحرية ، والشركات التجارية ٠ وثمة روابط وثيقة بين مجموعة روتشيلد وبين مجموعة « مورجان » الامريكية ، وشركات « فيكرز » ، و « امبريال كيميكال اندستريز » البريطانية ، وشركة « متال جزيلشافت » الالمانية ٠٠ الخ

وتنتشر أملاك آل روتشيلد فى كافة أنحاء فرنسا حتى ليصعب حصرها ، وثمة شركات كثيرة تعد من الممتلكات الخاصة بأكملها لال روتشيلد ، وشركات أخرى تخضع لسيطرتهم بالتعاون مع بنوك أخرى ٠

وعلاوة على ذلك فان بيت بنوك آل روتشيلد

يعتبر شريكا متغيرا فى عدد هائل من المؤسسات . وتتراوح هذه المشاركة ما بين السيطرة وبين المساهمة العادية فى رؤوس الاموال . وغالبا ما تكون هذه المشاركة على مستويات مختلفة وبمساعدة وسطاء بعضهم من ذوى الشهرة المحددة .

ومن هنا فلا بد من الاشارة الى الاساليب السرية والفعالة التى يستخدمها هذا البيت المالى العملاق وفى معظم الاحوال لا يعتلى آل روتشيلد خشبة المسرح بأنفسهم وانما يلعبون دورهم من وراء الستار بتحريك مجموعة من رجالهم المخلصين . من هؤلاء من ذاعت أسماؤهم مثل المرحومين « رأؤول دوترى » و « بتييشسيه » و « رينيه ماير » و « بومبيدو » و « ارنست ميرسييه » ويمكن تخمين شخصيات اخرى، ولكى تدير مجموعة روتشيلد أعمالها على نحو أمثل فقد كونت عددا كبيرا من « جمعيات البحوث » التى لا تنشر دراساتها ولا تذاع اخبارها الا فى نطاق محدود ولضرورة ملحة . وتضطلع هذه الجمعيات بمهام الدراسة ، واكتشاف اعماق الارض ، واجراء المفاوضات الاولية . ومن بين هذه الجمعيات : « سوسيتيه دى جيرانس ، دى فيناسمبان ، دى بارتيسيبا سيون » ، سوستييه جان ستراشان بيرجيه » و « سوسستييه ستراندوك » وغيرها .

فلنلق نظرة الى قلعة ال روتشيلد البريطانية . ففى تمام الساعة العاشرة والدقيقة العشرين من صباح كل يوم باستثناء السبت والاحد يدخل خمسة من السادة (وجوههم فى العادة متشابهة) الى « القاعة الذهبية » بادارة بنك روتشيلد فى لندن . ورغم هذه التسمية فليس فى القاعة شىء ذهبى ، فهى قاعة مودرن جدا مزينة جدرانها بثلاث لوحات لفنانين قدامى ، ووراء مكتب ضخم يجلس « رئيس » السوق « ادوارد هاوز » ممثل البنك ، ووراء المكاتب الاربعة الاخرى يجلس ممثلان لبنكين خاصين آخرين « **موكاتا آند جولد سميث** » و « **صمويل مونتيجو** » وممثلان لاكبر شركتين لتجارة الذهب « **جونسون،وميتخى** » و « **شاربس آند بيكسلى** »

على كل مكتب يوضع تليفون وعلم بريطانى ، وفى تمام الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين تنزل الاعلام : تلك اشارة الى بدء ابرام الصفقات . أحيانا تمر شهور دون تذبذب جوهرى فى سوق الذهب ، ويكتفى « الخمسة الكبار » باقرار السعر القديم واذاعته على العالم بأسره .

وحين يود أحد « الخمسة » التشاور مع شركته أو احاطتها بشىء ما فانه يقول : « ترفع الاعلام » وعندئذ يتوقف ابرام الصفقات الى أن تنزل الاعلام من جديد . وتتم الاتصالات تليفونيا . وينوب بنك روتشيلد عن « بنك انجلترا » فى هذا السوق . وعلى ذلك فان بنك روتشيلد بطريقة غير مباشرة يمثل المؤسسات الاجنبية ...

وكما أشارت « ستامبا » الايطالية فان سيطرة « الخمسة الكبار » تعتمد على ان كل التجارة فى سوق الذهب بلندن تمر من بين ايدى هؤلاء الخمسة واذا ارادت الولايات المتحدة زيادة احتياطيها الذهبى (وهو يعادل قرابة نصف الاحتياطى العالمى من الذهب) فانها تجد نفسها مضطرة لشراء الذهب من جنوب افريقيا (وعلى هذا الذهب بالذات تقوم سيطرة سوق لندن) ويتولى بنك انجلترا تنفيذ هذه العملية : ان أرقام تجارة الذهب هى واحد من أخطر الاسرار التى يحرص « الخمسة الكبار » على بقائها فى طى الكتمان .

وبهذه الكيفية تقدم هذه الحفنة من رجال البنوك دليلا حيا على صحة ما قاله « **لينين** » : ان عددا صغيرا من البنوك استنادا الى قوة التركيز يصبح على رأس الاقتصاد الرأسمالى كله . ومن الطبيعى أن ينشأ ويتوطد اتجاه هذه البنوك الى عقد الاتفاقات الاحتكارية فيما بينها ... ان ينشأ اتحاد البنوك » (٥)

من وجهة نظر « **سام ابراموفيتش** » و « **انطونى سمبسون** » مؤلفى كتابى « **الطبقة الحاكمة** » و « **تشريح بريطانيا** » اللذين ظهرا مؤخرا فى بريطانيا ، فان آل روتشيلد يعتبرون ملوكا ماليين وان كانوا يحملون القاب بارون .

يقول **ابراموفيتش** : « اذا القينا نظرة شاملة الى نشاط آل روتشيلد بما فى ذلك الفرع الفرنسى يمكن التأكيد بأن هذه العائلة هى أكثر القوى المالية فى أوربا وحدة وقوة وسيطرة وتمتد مصالحها الى العالم بأسره فهى شريكة فى كثير من المؤسسات الدولية الكبرى . »

وتعتبر **عائلة ليمان** واحدة من العشرين الاوائل

---

[٥] لينين . مجموعة المؤلفات . الطبعة الروسية الرابعة جزء ٢٢ ص ٢٠٧ .

فى قائمة العائلات الستين التى تحدث عنها « **لاندبرج** » فى كتابه المثير عن اثرى العائلات الامريكية . وقد أشار المؤلف الى أن عائلة ليمان انطلاقا من صلاتها التجارية الواسعة ومن دورها السياسى النشيط فى حياة ولاية نيويورك ، يحتل **بنك ليمان** مكانة خطيرة للغاية فى نظام الراسمالى المالى الامريكى . ففى ١٩٢٤ كان الراسمال الموحد لبيت « **ليمان اخوان** » يحتل المكانة السادسة عشرة فى الولايات المتحدة . ويرى **لاندبرج** أن نفوذ « ليمان اخوان » مثله مثل « مورجان » لم يحظ بالتقدير الصحيح . ذلك ان نفوذهم اكبر بكثير من ثروتهم الشخصية . وعن طريق الزواج يرتبط « اخوان ليمان » بـ « اخوان لازار » . وثمة ثالوث مالى عملاق يوحد بين مجموعات ليمان — جولدمان ، « لازار اخوان » ، « ساكس وشركاه » . وبناء على معلومات غير شاملة فان هذا الثالوث يسيطر فى عملياته على ٥ مليارات ، ٨٣٩ مليون دولار .

ويمتلك اصحاب « ليمان اخوان » حوالى ٢٠ فى المائة من راسمال شركة « كورن اكستشانج بانك آند تراست كومبانى » ، وهى مؤسسة تجارية كبرى ذات ثقل ضخم وفروع عديدة . كذلك فان « ليمان اخوان » يديرون نشاط « كومير شيال ناشيونال بانك آند تراست كومبانى أوف نيويورك » ، وهى مؤسسة يقدر راسمالها بمائة مليون دولار . كما يمتلك « ليمان اخوان » حصصا اخرى فى بيوت مالية كثيرة . ورغم أن هذه العائلة لا ترتبط ارتباطا صريحا بأعمال النشر الا أنها ليست بعيدة عن نيويورك تايمز » اذ تمتلك حصة كبيرة من اسهم كيمبرلى كلارك كوربوراشين » وهى مؤسسة لورق الطباعة تشترك مع نيويورك تايمز فى أدارة « سيروس فولس باور آند باير كومبانى » وهى الشركة التى تزود « تايمز » باحتياجاتها الضخمة من الورق .

وبالتعاون مع شركة « **جولدمان وساكس وشركاهم** » يلعب « ليمان اخوان » دورا بارزا فى اعمال شركتى « كونيو برس اينكوربوريتيد » ، و « كوندى ناست بوبليكاشنز اينكوربوريتيد » اللتين تصدران مجلتى « فوج » و « هاوس آند جاردن » .

وبالتضامن مع « **واربرج** » اسس « ليمان اخوان » جمعية خيرية كبرى تحتل المكانة الرابعة عشرة بين مثيلاتها فى الولايات المتحدة . وبالاشتراك مع « **لازار اخوان** » يدير « ليمان اخوان » مؤسسة ضخمة للتسليف تسمى « جنرال اميركان انفستورز . ويقتنص « ليمان اخوان » من « تورته » دسمة — مثل شركات الطيران التى تعتبر فى الولايات المتحدة من اثمن الممتلكات . ويمول ليمان اخوان واحدة من اهم عشر شركات للطيران التى تدخل فى نطاق أهم مائة مؤسسة صناعية امريكية ، وهى « جنرال داينمكس » (٦) . وطبقا لنشرات بنك « ليمان اخوان » ذاته فان عائلة ليمان تشترك فى تمويل الصناعات الغذائية ، والتجارة الداخلية بالقطاعى ، كما تساهم بنشاط فى أعمال عدد من المجالات الصناعية الحيوية كالبترول والنسيج والكيماويات ، وفى شركات التامين والنقل الجوى وخلافه .

وفى نفس الوقت فان أصحاب ومديرى « ليمان اخوان » يشغلون المناصب القيادية فى اكثر من ١٢٠ شركة . ومنذ بضع سنوات وبنك « ليمان اخوان » يحتل المكانة الاولى أو الثانية فى الولايات المتحدة بالنسبة لتوزيع الورق الممتاز الذى تنتجه السنديكات التى تخضع لسيطرة البنك . وفى الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٦١ تم بواسطة البنك ادماج ٣٦ شركة كبرى متنوعة النشاط من بينها شركات فى الدرجة الاولى من الاهمية مثل جنرال داينمكس « وماتيل سيرفيسيز » .

---

[٦] اصبحت « جنرال داينمكس بالاضافة الى « جنرال موتورز » و « جنرال اليكتريك » تكون احد عمالقة الصناعة العسكرية التى تعد فى الوقت الحاضر المصدر الرئيسى لتزويد الجيش الامريكى بالسلاح . ولقد اكتسب اسم « جنرال [illegible] » [illegible] بان حرب كوريا . وتحتل صناعة الصواريخ الموجهة وفى مقدمتها صاروخ « اطلس » العابر للقارات ، اهمية خاصة فى الانتاج الحربى [illegible] « داينمكس » وقد انفقت ملايين الدولارات فى صناعة هذه الصواريخ . وقد استفادت مصانع ومعامل « جنرال دانيمكس » من تجارب المصممين النازيين لصاروخ « فاو — ٢ » على اوسع نطاق . وتحصل « جنرال داينمكس » باستمرار على عقود جديدة للانتاج الحربى . وقد حصلت هى بالذات على عقد انتاج السفن الذرية من طراز « ناوتيلوس » . وهو عقد غطى « جنرال [illegible]كس » بالذهب — [illegible] الحرفى للكلمة . ثم حصلت بعد ذلك على عقد بانتاج نوعين من الغواصات الذرية . وقد أدى امتلاك « جنرال داينمكس » الى رفع اسهم بنك « ليمان اخوان » بدرجة ملحوظة مما رفع من النفوذ الاقتصادى والسياسى لهذه المجموعة المالية .

وفقط فى الفترة بين ١٩٥١ الى ١٩٥٦ حصلت « جنرال داينمكس » من الحكومة الامريكية على عقود ذات طابع حربى تبلغ قيمتها مايزيد على ٣ مليارات دولار

ونادرا ما يسعى «ليمان اخوان» الى فرض سيطرتهم المطلقة على الشركات الصناعية ·

فبيت «ليمان اخوان» يحرص عادة على ممارسة نشاطه بالتعاون مع غيره من البيوت المالية الكبرى · فبالتعاون مع «كون وليب وشركاه» يقوم «ليمان اخوان» بتوزيع الاوراق القيمة التى تنتجها مصانع تجمع المال الامريكى المعاصر «جان بول جيتى» وهو أغنى الاغنياء الامريكيين ·

وقد اصاب «لاندبرج» حين قال انه «فى كثير من الحالات لا ينبغى أن ننظر الى شخصية معينة باعتبارها ممثلة لرأسمال معين، ذلك أن الفروع «الملكية» قد اختلطت وتمازجت لدرجة ان الباحث أصبح يرى مرة واحدة عدة شخصيات وشركات واتحادات مالية ومجموعات اقتصادية · ولقد أصبحت العائلات المالية السائدة تلتقى فيما بينها على المشاركة فى المؤسسات الكبرى أو القطاعات الاقتصادية المتنوعة ·

اشارت «التايمز اللندية» منذ فترة وجيزة الى أن «النواة الاساسية للرأسمالية فى العالم الحر تتكون من عدد لا يزيد على **٦٠ شركة واتحادا وادارة** لا يزيد عدد اصحابها أو المسيطرين عليها عن ١٠٠٠ **شخص** · ان هذه المجموعة من الناس هى التى تدير البنوك فى نيويورك، وتمتلك المؤسسات التجارية وشركات التسليف فى لندن وباريس، ولهذه المؤسسات نشاطها الفعال فى بلجيكا وهولندا، وايطاليا، والمانيا الغربية، والسويد، واستراليا . ويمتلك هؤلاء الاشخاص بطريق مباشر، او غير مباشر قرابة ٧٥ فى المائة من أصل ٤٠ مليار دولار هى الرأسمال الحر الذى لا غنى عنه سنويا للحفاظ على النمو الطويل الاجل للامم الصناعية ·

فى باريس نجد ان «بنك دى بارى اى-دى باى با» وبنك «روتشيلد» و «لازار اخوان» هى من أهم البنوك الكبرى · وأهم بيوت المال والبنوك فى لندن هى : «روتشيلد» و «مورجان جرينفل» و «فاربورج» و «لازار اخوان» . ومن أهم البنوك التى تقف وراء الرأسمال الكبير فى السوق العالمية : «مورجان ستانلى»، «ليمان اخوان»، «فيرست بوستون كوربوراشين»، و «لازار اخوان» وفى المراكز الثلاثة المالية الدولية نجد «لازار اخوان» .

وتضيف «التايمز» ان الاتحاد الدولى للممولين قد شعر مؤخرا بمدى نفوذ هذه المجموعة التى تتكون من «ثالوث لازار» بشبكته الواسعة من «الاصدقاء» والاعوان والعلاقات الخاصة بالهيئات المالية الاخرى التى كونها الاخوة الثلاثة لازار على اتساع العالم بأسره · ومن العوامل التى ساعدت على ازدياد نفوذ «**لازار اخوان**» ذلك الارتفاع الحاد لقيمة الدولار، والعمليات المالية الدولية التى تتم بالدولار · فسرعان ما ركز أحد بيوت لازار نشاطه فى هذه العمليات · وأحيانا كثيرة كان واحد او اثنان وربما ثلاثة من لازار يصبحون أعضاء فى سنديكات الانقاذ الدولية · والحقيقة أن الاشتراك فى سنديكات الانقاذ الدولى ليست سوى جانب واحد من نشاط بيوت لازار · وقد املى اخوان لازار الثلاثة — فرادى أو مجتمعين — شروطهم على بقية أعضاء الاتحاد المالى · والواضح أن موقف لازار اخوان فى غاية المتانة فى الشئون المالية الدولية ·

لو احصينا عدد الشركات الداخلة فى مجموعة «لازار اخوان» لوجدناها تصل الى ٤٩ شركة . (٢١ فى نيويورك، ٨ فى باريس، ٢٠ فى لندن) · ويتمتع فرعا لندن وباريس رسميا بحق العمل لبنوك ودائع · ولدى بنك «لازار اخوان» فى باريس ودائع تبلغ قيمتها ٠٠٠ر٥٠٠ر٦٢ جنيه استرلينى، ويجرى بنك «لازار اخوان» فى لندن عمليات ودائع قيمتها ١٠٤ ملايين جنيه استرلينى · وفى الوضع الحالى الذى يتميز بحيوية التبادل المالى، فان امتلاك بنك ضخم مستقر يعتبر نشاطا استراتيجيا · وعلاوة على كل ما سبق ذكره فان هذه الامكانيات تسمح «لاخوان لازار» بتحقيق عملياتهم فى سرية كلما دعت الضرورة الى ذلك .

وتقول «التايمز» فى تقييم النفوذ المالى «للازار اخوان» انه من غير المحتمل أن تكون هناك أية ادارة أخرى فى «**دول ستريت**» تتمتع بما للازار اخوان من وضع فى واقع الرأسمال · وينبغى أن نضيف الى ذلك أن بيت «لازار اخوان» قد أقام علاقات متنوعة مع المجموعات المالية الاخرى · وعلى سبيل المثال فان «لازار اخوان» يمتلكون أكبر حصة من أسهم «ميد يو بانك» فى ميلانو، وهو البنك الذى يمول معظم الشركات الايطالية الكبرى، سواء الحكومية أو الاهلية · ولبيت «لازار اخوان» فى باريس مصالح حيوية فى «بنك دى بارى اى دى باى با» ومصالح أخرى أقل أهمية فى «بنك دى لى انيدوشين» . ويمثل بيت «لازار اخوان» فى عضوية مجلس ادارة البنكين · ولبيت «لازار»

علاقة وثيقة بعائلة « بيول » الواسعة النفوذ فى بلجيكا ، وبعائلة « أنيللى » فى ايطاليا · وقد وجه « **جوفانى أنيللى** » بنفسه دعوة الى « **أندريه ماير** » رئيس فرع « لازار اخوان » فى نيويورك لكى ينضم الى مجلس ادارة شركة « فيات » · وهو ينظر اليه بوصفه « أسقف » الشركة فى مجال الرأسمالى الصناعى والمالى بالولايات المتحدة ·

ويقدم « **بيير جوا** » الباحث فى شئون الاحتكارات البلجيكية صورة مثيرة لاحدى هذه الاحتكارات وهى « سوفينا » التى يقف « لازار اخوان » فى مقدمة كبار المساهمين فيها · و « سوفينا » (سوسيتى فينا نسير دى ترانسبور أى دى أنتربريز اندوستريال) هى شركة دولية عملاقة تمتلك عدة مؤسسات صناعية · تأسست الشركة فى بروكسل ، وسجلت فى بناما ، أما ادارة حساباتها فقد كانت فى كوبا الى ما قبل سقوط الحكم الديكتاتورى ، وادارتها العامة فى نيويورك ، أما الادارة الفنية ففى لشبونة · وبذلك يكتسب نشاط هذا الاحتكار الدولى الضخم طابعا كوسموبوليتيا صريحا ·

احتكارات ألمانيا الغربية واسرائيل

لقد لعبت القوى المالية والاحتكارات فى **المانيا الغربية** دورا بارزا فى دعم القدرة العسكرية لاسرائيل · فألمانيا الغربية تحتل على الدوام المكانة الثانية بين الدول التى تمد اسرائيل بالقروض · وهى قد قدمت لحكومة تل أبيب ما يقرب من مليارين ونصف من الدولارات · **وبالمناسبة فمن بين هذه القروض نصف مليار دولار بصفة هدية لتغطية الاحتياجات الحربية الاسرائيلية** · وتبلغ هذه الهدية — بشهادة « مجلة اوبينيون » المغربية — ما يعادل ميزانية دولة مثل المغرب · وفى معرض الحديث عن العلاقات الوطيدة بين اسرائيل وبين ألمانيا الغربية كتبت صحيفة « **هاندلسبلات** » التى تصدر فى دوسلدورف أن توظيف رؤوس الاموال فى الاقتصاد الاسرائيلى يتم فى اطار تغلغل الرأسمال الالمانى الغربى فى الشرق الاوسط ، وشمال افريقيا وشرق آسيا · وتصف الصحيفة اتفاقية التعويضات المبرمة عام ١٩٥٢ بأنها كانت ذريعة لتشجيع اسرائيل على تحقيق مخططاتها التوسعية الموجهة ضد حركة التحرير الوطنية فى الشرق الاوسط ·

لقد كان للتبرعات الطوعية التى ألقت بها الاحتكارات الالمانية فى الخزانة الاسرائيلية أثرها فى التقريب بين هذه الاحتكارات وبين الاحتكار الصهيونى العالمى · وفى مقدمة الذين « تعاطفوا » مع اسرائيل : « **دويتشى بنك** » برئاسة « **جرمان آبسن** (كان المرحوم اديناور عضوا فى لجنة متابعة البنك) ، « **برلينر بنك** » ، « **فرانكفورتر بنك** » ، « **بايريش أيبوتيكين أوند فيكسل بنك** » ، وبنك « **ليوبولد زيلجمان** » العريق ومقره « كيلن » تلك القلعة العتيقة لبنوك الراين ، وبنك « **سلامون اوبنهايم ، وشستين وشركاه** » ، ومقره هو الاخر « كيلن » ، وله ارتباطاته القوية بأحد فروع آل روتشيلد · كذلك فان احتكار « **خيرتى** » الذى بعث ثانية بعد الحرب العالمية الثانية يلعب دورا بارزا فى تمويل المغامرات الاسرائيلية · ولهذا الاحتكار الضخم ما يزيد عن ٣٠ فرعا من البيوت التجارية الكبرى فى برلين الغربية وألمانيا الغربية · ومن واقع تصريحات أصحاب هذا الاحتكار فان نشاطه لن يتوقف عند هذا الحد الهائل الذى بلغه ، بل سيواصل توسيع مجال نفوذه ·

صرح وزير المالية الاسرائيلية « **زيف شاريف** » علنا أمام « مجمع » ملوك المال والصناعة الذين يمولون الصناعة الحربية الاسرائيلية ، بأن واردات اسرائيل من المعدات الحربية سوف تتضاعف فى هذا العام ١٣ مرة بالنسبة لارقام العام السابق وبذلك تصل الى ٤٠٠ مليون دولار · وذلك فى مقابل ٣٠ مليون دولار فى العام السابق ·

ما الذى يمكن أن يعنيه هذا التصريح اذا راعينا أن رقم العجز فى الميزان التجارى الاسرائيلى يصل بناء على عدة تقديرات الى ٨٥٠ مليون دولار ؟

لا معنى لذلك الا أن أعضاء مؤتمر « اصحاب الملايين » سوف يتولون مهمة سد العجز فى متطلبات اسرائيل لمواصلة سباق التسلح ، ولتصعيد العدوان ، ولتنفيذ السياسة الامبريالية التى تهدف الى تصفية الاتجاهات التحررية والتقدمية فى البلدان العربية ·

تدل الانباء الواردة من تلك أبيب ، وتعليقات الصحافة الصهيونية مثل « جويش اوبزرفر آند ميدل ايست » وهى مجلة أسبوعية تصدر فى لندن ،

و « كناديان جويش أوت لوك » و « مـورنينج فرايخيت » و « نيـويورك تـايمز » والصـحف الاسرائيلية ، على أن الدوائر الحاكمة فى تلك أبيب تعرقل ما استطاعت الجهود الرامية لايجاد حل سلمى لمشكلة الشرق الاوسط · فهى كما كانت دائما لا تزال تعتمد على تأييد المؤسسة الصـهيونية العالمية ، والدوائر المرتبطة بالمؤسسة الصهيونية فى مختلف البلدان ، والطغمة المالية العـالمية التى ـ على حد تعبير كارل ماركس ـ لا قوميةلها غير الاستغلال ولا دين لها الا الدولار ·

فى وثائق المؤتمر الثانى للكومينترن معلومات قيمة عن نشاط الصهاينة وجهودهم لغرس بذور الفرقة والانقسام فى صفوف الحركة العمـالية والشيوعية · وقد صرحت احدى عضوات المؤتمر وهى الرفيقة « فرومكينا » بما يلى حرفيا : « **يحاول الصهاينة كسب أنصار لهم فى جميع البلدان ، وهم بالدعاية والاعلان انما يخدمون مصالح الطبقة الرأسمالية · وينبغى على الكومينترن أن يناضل بكل صلابة ضد هذه الحركة** (٧) · كما صرح الرفيق ميرجين عضو المكتب المركزى للقسـم اليهودى فى الحزب الشيوعى الروسى البلشفى ، أمام مؤتمر الكومينترن بأن القسم اليهودى للحزب الشيوعى الروسى يوافق تماما على هذه النظرة الى الصهيونية (٨) ·

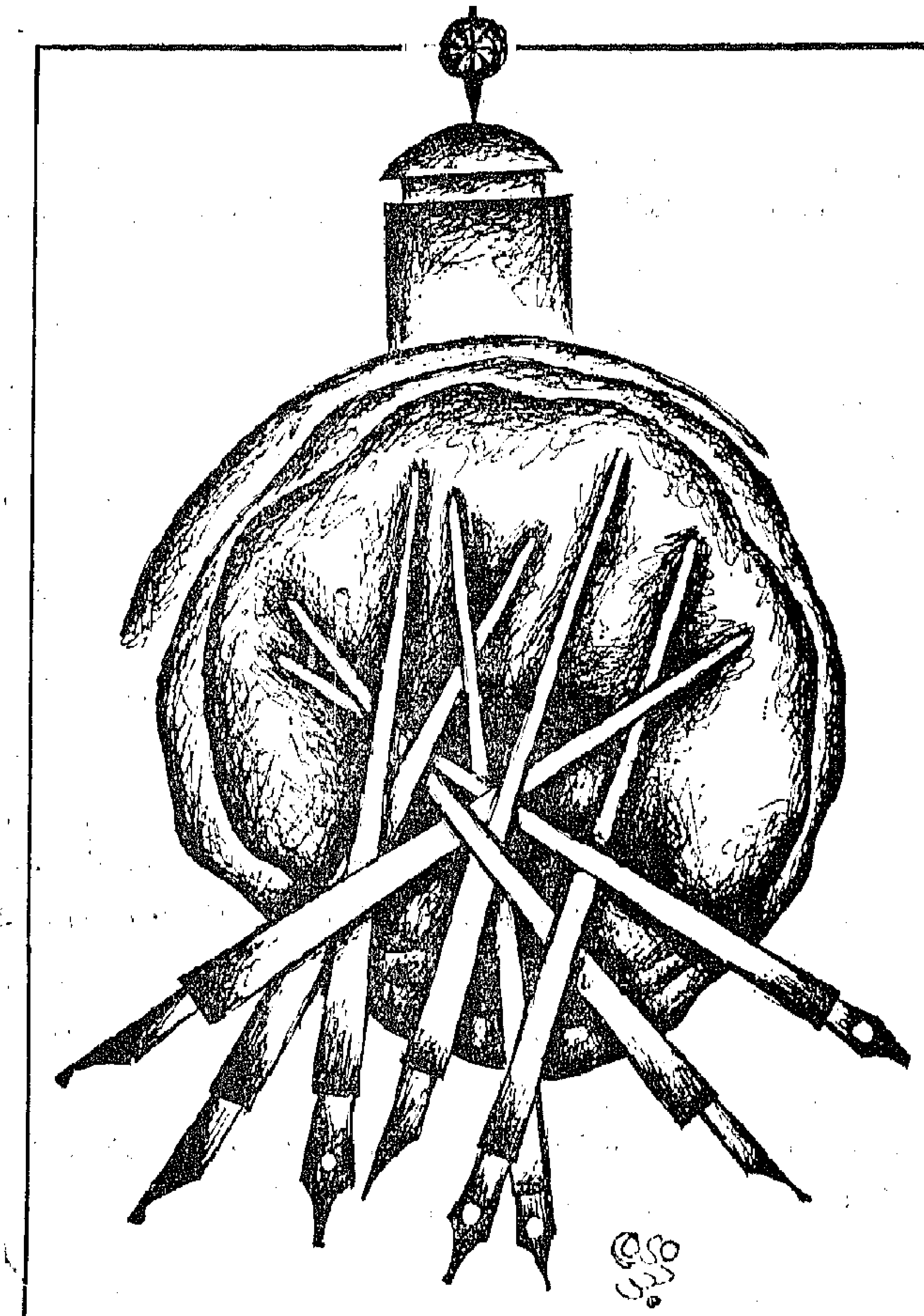
وفى شعارات المؤتمر الثانى للكـو مينتـرن الخاصة بالمسألة القومية والمسـتعمرات **أدينت الصهيونية واعتبرت اداة للامبريالية** · وفى البند الحادى عشر على التحديد : « ان **المـؤسسة الفلسطينية للصهاينة ، بل والصهيونية عموما لهى مثال صريح على الجهود المتضافرة التى تبذلها الامبريالية العالمية والبورجوازية لخداع الجماهير الكادحة** » (٩) ·

واليوم ، كما يحدث فى يوم من الايام ، ترتفع داوية هذه الصيحة المحذرة التى أطلقها المؤتمر الثانى للكومينترن ؛ ولذلك فقد كان من المنطقى تماما أن يحكم اللقاء الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية الذى انعقد بموسكو فى يونيو ١٩٦٩ ، بالخزى والعار · وفى البيان الصادر عن اللقاء فى ٧ يونيو ١٩٦٩ جاءت ادانة حادة للسيـاسة العدوانية التى ينتهجها حكام اسرائيل والذيـن يؤيدونهم من الدوائر العدوانية للامبريالية العالمية وفى مقدمتها الامبريالية الامريكية ·

---

[٧] مجموعة وثائق المؤتمر الثانى للكومينترن . طبعة بتروجراد ١٩٢١ص ١٤٠، ١٤١ .
[٨] نفس المرجع ص ١٤٥
[٩] نفس المرجع ص ٩٤٥

الفكر الفلسفي في جامعاتنا المصرية



د . مراد وهبه

حيث تكون الثورة الاجتماعية يكون الصراع بين الطبقات . وهذا الصراع يستند الى قوانين تسمى بقوانين الديالكتيك .

وفي بلادنا ثورة اجتماعية، اذن فهي في مواجهة هذه القوانين ، وهذه المواجهة ينبغي ان تتحقق على صعيد العمل والنظر .

هي على صعيد العمل بحكم ان الثورة واقعة بالفعل . اما انها على صعيد النظر فمسألة تحتاج الى مراجعة فكرنا الفلسفي .

والسؤال اذن : اين يقع فكرنا الفلسفي من هذا الديالكتيك ؟

للجواب عن هذا السؤال نستقطب بعضا من الرعيل الاول وبعضا من الرعيل الثاني من فلاسفتنا في جامعاتنا المصرية .

من بين الرعيل الاول **يوسف كرم وعثمان امين وزكي نجيب محمود وعبد الرحمن بدوي ويوسف مراد** ومن بين الرعيل الثاني **زكريا ابراهيم ويحيى هويدي وفؤاد زكريا** .

نبدأ بيوسف كرم استاذ هؤلاء جميعا ، وصاحب المذهب العقلي المعتدل . ارخ للفلسفة اليونانية ثم للفلسفة الاوربية في العصر الوسيط ، وأخيرا للفلسفة الحديثة . وكان يعقب على كل مذهب بالتأييد او التفنيد مستندا في ذلك الى « **مذهبه العقلي المعتدل** » وقد طرحه في كتابين أحدهما بعنوان « **العقل والوجود** » ، والآخر بعنوان « **الطبيعة وما بعد الطبيعة** » وكان ينوي ان يضيف الى هذين الكتابين كتابا ثالثا بعنوان « **الاخلاق الانسانية** »، وهو بالفعل قد انتهى من تأليفه عام ١٩٤٨، غير انه أعاد صياغته من جديد واعده للطبع عام ١٩٥٨ واذا بالمنزل الذي كان يقيم فيه ينهار وتختفي « الاخلاق الانسانية » ويموت هو بعد الحادث بأشهر قليلة .

ومذهبه العقلي المعتدل هو على غرار « التوماوية الجديدة » ورائدها جاك ماريتان وقد كان استاذا ليوسف كرم يوم ان كان يتعلم الفلسفة فى المعهد الكاثوليكي فى فرنسا فى بداية الحرب العالمية الاولى • واساس مذهبه ان العقل قادر على ادراك الحق ومن ثم البلوغ الى اليقين. فالعقل يصل الى ماهية الاشياء بفضل قدرته على « التجريد » والتجريد واسطة الاتصال بين العقل والوجود ، وفيه ضمان موضوعية العلم • ومن اجل ذلك فان يوسف كرم ضد الحسيين لانهم ينكرون العقل ويكتفون بالحواس ، ولكنه ايضا ضد العقليين الذين ينكرون التجريد لانهم لا يستطيعون تعيين العلة الحقة للمطابقة بين العقل والاشياء •

والتجريد فيه ضمان لتبرير علم ما بعد الطبيعة • فبفضل التجريد يجاوز العقل الطبيعة المحسوسة الى اصولها وشروطها غير المحسوسة فيمتد الى الوجود بما هو وجود وهو موضوع ما بعد الطبيعة • واقرار هذا العلم ، على هذا النحو ، يفضى الى اثبات خلود النفس ووجود الله .

خلود النفس مردود الى ثلاثة ادلة :

دليل ميتافزيقى يدور على ان النفس الانسانية مستقلة بوجودها وبفعليها الخصوصيين اللذين هما التعقل والارادة ، ومن ثم فهي ليست فانية بفناء الجسد .

ودليل نفسى مأخوذ من ميل فينا طبيعى اساسى للبقاء دائما .

ودليل اخلاقي مستفاد من ضرورة الجزاء التام على افعالنا الحرة ، والجزاء التام يشترط حياة أخرى لانه غير متوفر فى الطبيعة لانها غير خلقية ولا فى المجتمع لانه لا يتناول سوى الافعال الظاهرة ، ولا فى الضمير لانه لا يحكم على نفسه •

والله موجود • والبراهين على وجوده عديدة • واهمها ، عند يوسف كرم ، ثلاثة هى على التوالى : برهان من الحركة الى محرك ثابت ، وبرهان من النظام الى المنظم ، وبرهان من الممكن الوجود الى الواجب الوجود •

البرهان الثالث كالبرهان الاول يعتمد على مبدأ العلية وصيغته « كل مايظهر للوجود فلوجوده علة » والبرهان الثانى يستند الى مبدأ الغائية وصيغته « كل فعل فهو لازم عن غاية » .

ويقرر كرم ان مبدأى العلية والغائية هما من مبادىء العقل • ومبادىء العقل كلية لانها تنطبق على الوجود فى الاذهان وفى الاعيان • ولهذا فان العقل قادر على ان يحكم ولكنه ليس قادرا على ان يفعل • اذ ان الفعل من شأن الارادة •

ومن ثم يثار سؤال : ما العلاقة بين العقل والارادة ؟

جواب كرم ان كلا منهما علة من حيث انه مبدأ للحكم • ولكن ثمة فارق بينهما • الارادة علة فاعلية لحكم العقل لانها توجه العقل الى ناحية دون غيرها . وحكم العقل علة غائية لفعل الارادة لانه يخصص لها موضوعا بعينه • وتوجيه الارادة للعقل هو الذى يحد من اصطدام العقل بالدين ، ذلك ان الارادة وليس العقل هى الدافع عن الايمان يقول « اذا كانت السيرة قويمة كانت الارادة مستعدة للايمان ، وحينئذ توجه العقل الى الفحص عن سند الاعتقاد » • ومعنى هذه العبارة ان العقل بذاته لايقبل الاعتقاد ولايرفضه، اى انه غير معين بازاء اعتقاد معين • فاذا تعين العقل كان ذلك بقبوله وجاهة الاسباب الخارجية بتأثير الارادة فيصير هذا القبول السبب فى الاعتقاد •

الايمان اذن فوق العقل ، نتيجة محتومة ينتهى اليها المذهب العقلى المعتدل •

ويتأثر بهذا المذهب عثمان امين فيأخذ بالعقل والايمان معا • بيد انه يرى ان المثالية هى التعبير الدقيق عن اصالة العقل • وهو لهذا ينزع نحو المثالية فى أطار التراث الاسلامى القديم والمعاصر.

ومثالية عثمان امين مباينة لمثالية افلاطون ومثالية كانط • فمثالية كل من افلاطون وكانط تؤكد استقلال الفكر وصدارته بالقياس الى الاشياء والموضوعات • لكن الفكر عند افلاطون هو فكر « المطلق » وما هو بذاته اى الله ، فى حين ان الفكر عند كانط انما هو فكر النسبى وما هو لذاته اى الانسان • اما عثمان امين فيأخذ السمة المشتركة بينهما ، وهى أن الواقع فيه «جوانية» خفية من وراء مظهره الخارجي المحسوس • وكل من المعقول والمطلق كامن فيما هو محسوس وفيما هو نسبى •

وعثمان امين بسبب هذه النزعة المثالية الجوانية يقف ضد الوضعية المنطقية وضد المادية التاريخية •

هو ضد الوضعية المنطقية لانها تقف عند حد الحس والتجربة وتنكر أصالة العقل .

وهو ضد المادية التاريخية لانها تجعل من العلم وسيلة للقضاء على الانسان، وبالتالى على الدين لان الانسان ، فى تعريف عثمان امين ، حيوان دينى .

والنتيجة المحتومة بعد ذلك مواجهة المسائل الاجتماعية ليس فقط مواجهة مثالية ، بل ايضا مواجهة دينية • وهو يتخذ من المسالة الاشتراكية مثالا لهذه المواجهة المزدوجة • فالمواجهة المثالية تقضى بأن الاشتراكية فكرة اولا اى حقيقة مجردة موجودة فى عالم الاذهان وجودا غير شخصى، وغير مقيد بقيود الزمان والمكان • اما المواجهة الدينية فتقضى بأن اللازمانى او اللامكانى لا يصلح ان يكون نظرية او ايديولوجية او خاضعا لقانون ، بل انه يصلح ان يكون موضوعا للعقيدة الدينية •ومن ثم فالاشتراكية اسلامية وروادها : **جمال الدين الافغانى ومحمد عبده والكواكبى ومحمد اقبال**• فهؤلاء جميعا ، فى رأيه هم الذين ايقظوا الوعى الاشتراكى فى الفرد والمجتمع ..

والغاية من وراء هذا المذهب الفلسفى ـ على حد تعبير صاحبه ـ محاولة ان يعيد الى العصر الذرى ـ عصر المادية التاريخية والوضعية المنطقية ـ الايمان بالله والولاء للانسان • غير ان محاضرات عثمان امين بالجامعة لم تكن تخلو واحدة منها من توجيه النقد للوضعية المنطقية دون المادية التاريخية ، وتفسير ذلك أن الوضعية المنطقية لها من يمثلها فى قسم الفلسفة وهو **زكى نجيب محمود** •

وزكى نجيب محمود يتبنى وجهة نظر الوضعية المنطقية فى مفهوم العلم • فالعلم ، عنده ، هو العلم الطبيعى التجريبى ، ووسيلة المعرفة العلمية هى الحواس • وليس لنا من مصدر سواها ـ والنظرة العلمية تقتضى صاحبها الا يجاوز « اوضاع » الامور الواقعة ـ ولما كان « وضع » الامور فى عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمى اطلق على النظرة العلمية اسم الوضعية فان كان « الوضع » القائم الذى يشغل الباحث عبارة من عبارات اللغة كانت الوضعية فى هذه الحالة وضعية « منطقية » . ومن ثم كان اسم الوضعية المنطقية مميزا لطائفة من اصحاب الفكر صمموا على الا يجاوزوا الواقع بنظرهم ، وعلى ان يكون هذا الواقع الذى يختصمون به هو اللغة التى يصوغ فيها سائر العلماء علومهم على اختلاف موضوعاتها . ومن ثم فان أمر الفلسفة ينبغى أن يقتصر على التحليل اللغوى للعبارات العلمية •

وثمة نتيجتان هامتان يخلص اليهما زكى نجيب محمود من هذا التحليل اللغوى .

التحليل المنطقى للجملة الرياضية يبين انها تحصيل حاصل ، وان يقينها مردود الى انها لم تقل شيئا « ومغزى هذا الكشف العجيب عن طبيعة الجملة الرياضية هو انه لم يعد ما يبرر لنا ان نقول ان للانسان مصدرا يستقى منه العلم غير حواسه » • ولم يعد ما يبرر تصور « عنصر وراء الحواس ومستقل عنها وهو العقل » •

والنتيجة الثانية ان القيم « تعبير ذاتى صرف لا شأن له بالعالم الخارجى ». ومغزى ذلك انه اذا اختلف اثنان فى حكم تقويمى « فلا سبيل الى الرجوع الى مقياس خارجى لنفصل به : أيهما مصيب وايهما مخطىء » .

والسؤال الان : ما هو دافع زكى نجيب محمود الى تبنى هذا التأويل لمفهوم العلم ؟

فى رأينا انه دافع اجتماعى • ففى كتابه « **نحو فلسفة علمية** » (الحائز على جائزة الدولة) يقرر ان الاخلاق مرتبطة بالطرائق التى يسلك بها هذا المجتمع او ذاك فى الحياة • ولما كانت الاخلاق تقع خارج مجال العلم فلا ينطبق عليها مبدأ عدم التناقض وهو احد المبادىء العلمية ، ومن ثم تصبح جميع الاخلاقيات على اختلاف انواعها مشروعة لسبب بسيط هو ان ليس بينها اى تناقض، ولهذا ليس ثمة داع الى تغييرها، والنتيجة المحتومة بعد ذلك انه ليس ثمة مبرر لالتزام الفرد بقضية اجتماعية ، بل ليس ثمة مبرر للالتزام بالمجتمع على الاطلاق • ولهذا كان من الطبيعى ان يقول زكى نجيب فى كتابه « **ايام فى امريكا** » وانا بحكم اتجاهى الفكرى ارحب بكل ما يقوى فردية الفرد وكل ما يهدم المجتمع ، ان كان تماسك المجتمع على حساب الافراد • اننى لا استطيع ان اتصور حقيقة واقعة الا وجودى الشخصى ، وكل ما عدا ذلك ما هو الا وسائل لتقوية ذلك الوجود .

والى مثل هذه النتيجة ينتهى **عبد الرحمن بدوى** ، ولكن من خلال الوجودية الملحدة •

فعنده أن طبيعة الوجود من طبيعة الزمان • يقول فى كتابه « **الزمان الوجودى** » • « اننا نقررها فى صراحة تامة وبلا ادنى مواربة أن كل وجود غير الوجود المتزمن بالزمان ، وجود باطل كل البطلان » ولما كان الزمان عنده نوعان : زمان فيزيائى وزمان ذاتى ، فالوجود كذلك نوعان : وجود فزيائى ووجود ذاتى ، الوجود الفزيائى هو وجود الاشياء فى العالم الذى يوجد به الانسان، والوجود الذاتى هو وجود الذات المفردة ، وهو وجود مستقل بنفسه فى عزلة تامة • ولهذا فالاتصال معدوم بين الذوات • ولكن يمكن اجتياز ما بينها من هوة بواسطة الطفرة •

أما كيف تتيسر الطفرة فسؤال لا يمكن أن نجيب عنه بطريقة معقولة فى رأى بدوى لان الطفرة لا تفهم الا بفضل فكرتين : اللامعقول واللاعلية تفصيل ذلك : ان العدم عامل جوهرى فى تركيب الوجود • واللامعقول هو التعبير الفكرى عن العدم

الوجودي. والفزياء الحديثة تقررفكرة اللامعقول هذه . فظاهرة التأثير عن بعد شيء لا معقول ، أى غير قابل للرد الى عناصر معقولة خالصة • اما اللاعلية فمقررة كذلك فى الفزياء الحديثة فى النظرية الكمية والميكانيكا التموجية. وبدوى هنا يعتمد على فقرة **للوى دى بروى** تقول بأن على الفزياء أن ترفض فكرة الاتصال وتقتصر على استخراج القوانين التى هى احصائية بالضرورة •

ويترتب على ذلك أن معرفة الذات لذاتها لا يمكن أن تتم بالعقل ، ولكن بملكة أخرى هى الوجدان (الحدس)

ومنطق الوجدان منطق متوتر • وهنا يعد بدوى القارىء فى كتابه السالف الذكر والمنشور عام ١٩٤٣ ، بتقديم دراسة مفصلة لهذا المنطق الجديد ، الا أنه حتى الآن لم يصدر هذه الدراسة .

وبدوى يقصد بالتوتر عدم رفع المتناقضات • وهذا هو معنى الجدل ، مكانه الذات ولا يتعداها ، أما خارج الذات فليس ثمة جدل .

وبدوى بعد ذلك يرى أن مذهبه هذا يصلح أن يكون ايديولوجية للمجتمع العربى – فى بحث له منشور عام ١٩٦٧ – وتبريره لهذه الصلاحية هو التراث الاسلامى ممثلا فى التصوف، فهو يرى ان ثمة صلة وثيقة بين التصوف والوجودية • فكل منهما يبدأ من الذاتية ويضع الوجود الذاتى فوق الوجود الفزيائى • والتجريد عند الصوفية غايته التخلص من الاخر حتى لا تبقى الا الذات وحدها • بل ان فكرة الانسان الكامل عند المتصوفين لاتعنى الا استقطاب الوجود كله فى الانسان دون أى كائن آخر وبذلك تصبح الانسانية بديلا عن الله ولكنها الانسانية على صعيد الذاتية وليس على صعيد الموضوعية .

أما يوسف مراد فهو وان كان أستاذا لعلم النفس الا ان منهجه التكاملى ذو طابع فلسفى • وقد استخلص معالم هذا المنهج أثناء دراسته فى باريس للحصول على اجازة دكتوراه الدولة وقد حصل عليها عام ١٩٤٠، ومحور منهجه الحركة **الدائرية اللولبية** وتفيد ان التطور لا يسير طبقا لخط مستقيم مطرد كما أن الارتقاء ليس تقدما الى الامام باستمرار. بل ان فى كل نمو وتقدم نكوصا الى الوراء استعدادا للوثبة القادمة وهى وثبة تحمل الكائن النامى الى أبعد مما وصل اليه فى المرحلة السابقة • والغاية من وراء ذلك تحقيق التكامل •

والتكامل ينبغى أن يتحقق فى المستوى البيولوجى والنفسى والاجتماعى . ولكل مستوى من هذه المستويات عامل تكامل • عامل التكامل فى المستوى البيولوجى هو الجهاز العصبى وعامل التكامل فى المستوى النفسى هوالذاكرة ، وعامل التكامل فى المستوى الاجتماعى هو اللغة .

واللغة التى يستعملها الفرد ليست سوى ادوات للاتصال بالاخرين، ومعنى ذلك أن استجابة الفرد للمجتمع حتمية ، غير أنها ليست دائما مطابقة لنداء المجتمع • فثمة امكانيات انسانية لا تظهر بفضل المجتمع فحسب بل على الرغم منه، ومن هنا مولد الشعور بالذاتية. غير أن هذه الذاتية لاتفيد التناقض مع المجتمع ، وانما تفيد العلو عليه . وهذا العلو هو الذى يتيح لابطال الانسانية أن يطوروا المجتمع • وبذلك يقف يوسف مراد ضد المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى تقرر أن العقل الجمعى هو الاول والاخير • ثم هو كذلك يقف ضد الوجودية التى تمجد الفرد وتحقر من شأن المجتمع •

ونثنى بعد ذلك بالرعيل الثانى ونبدأ **بزكريا ابراهيم** ، وهو يدعو الى الوجودية المؤمنة ، فثمة ديالكتيك بين الانسان والانسان من جهة ، وبين الانسان والكون من جهة أخرى • وأساس هذا الديالكتيك هو العداوة بين الطرفين • وهذه العداوة لصالح الانسان ، ذلك أن المرء لا يشعر بذاته الا فى علاقته بذلك الاخر الذى ينكره ويعارضه ، وهو لا يشعر بذاته كذلك الا فى علاقته بذلك الاخر الذى ينكره ويعارضه ، وهو لا يشعر بذاته كذلك الا حينما يدفعه الكون بقسوة ، أعنى حينما يدرك لاول مرة انه بازاء خصم خارجى هو الكون ، ولهذا تقاس قيمة الانسان بمدى قدرته على الانطواء على نفسه •

بيد أن زكريا ابراهيم يحاول أن يرفع هذا التناقض بين داخل الانسان وخارجه عن طريق العلو . والعلو يخلق المطلق . ولذلك فالوجود البشرى ليس مجرد انتقال من الحيوان الى الانسان ، وانما هو انتقال من الانسان الى الله • والله يتكشف من خلال حرية الانسان وتناهيه. فالانسان يحس بأن حريته ليست من ذاته ، ثم هو ينزع الى مجاوزة التناهى •

ومن أجل ذلك فان الانسان ، فى رأى زكريا ابراهيم ، موجود متدين • وليس ثمة الحاد ، وانما ثمة استبدال دين بدين • ولهذا يقول ليس صحيحا أن الماركسية الحادية ، بل هى دين جديد يريد تحقيق الحياة الابدية فى الحاضر •

أما **يحيى هويدى** فهو يدعو الى الواقعية النقدية ، ويرى أنها التعبير الفلسفى عن الحياد الايجابى فى كتابه « الحياد الفلسفى » والحياد الفلسفى ، عنده ، هو موقف وسط بين المثالية والمادية ، وبين الماركسية والوجودية ، ففى رأيه أن ثمة توافقا حقيقيا بين الصورة والمادة ، توافقا لا تترك فيه الغلبة للصورة على المادة، ولا ينظر فيه الى المادة على أنها مجرد مناسبة لابراز امكانيات الصورة وقدراتها ، بل انها حقيقة واقعة لها من الوجود ما للصورة ، وفى رأيه كذلك أن لا يوجد تعارض بين الفرد والمجتمع . ولهذا اخطأت الوجودية فى اعتبارها أن الصراع بين ارادات فردية ، وأخطأت الماركسية فى اعتبارها أن الصراع بين الطبقات الاجتماعية فليس ثمة صراع لانه ليس ثمة تعارض بين الافراد والمجتمعات .

ثم هو يحاول بعد ذلك فى مقال له منشور فى مجلة « **الفكر المعاصر** » « يوليو ١٩٦٨ » أن يبلور فكرة الحياد الفلسفى فيقول انها تعبير عن الفلسفة الانسانية الديمقراطية الاشتراكية ، وهو فى شرحه لهذا المصطلح يقف عند الحد الوسط ، وحجته فى ذلك أن العصر الذى نعيش فيه حريص كل الحرص على عدم التضحية باحدى الحريتين فى سبيل الاخرى ، ويعنى بهما «الحرية السياسية والحرية الاجتماعية فى أساسها الاقتصادى» .

بيد ان يحيى هويدى ينحاز رغم حياده الفلسفى . فالاشتراكية عنده ، واحدة لان مبادئها واحدة مع اختلاف فى التطبيق . ولكنه يقرر فى ذات الوقت أن الدين الاسلامى يبرر ويثبت هذه الفلسفة ، بمعنى أن الطريق الى الاشتراكية هو فى ذات الوقت الطريق الى الله . وهنا يقترب يحيى هويدى من عثمان أمين فى الربط بين الاشتراكية والدين ، ويبتعد عنه فى عدم الربط بين الاشتراكية والمثالية .

أما فؤاد زكريا فهو يدعو الى الموقف الطبيعى فى كتابه « نظرية المعرفة » والموقف الطبيعى هو وجهة نظر الانسان العادى ، أو وجهة نظر العامة .

وخلاصة هذا الموقف أن العالم الخارجى بما فيه من أشياء له وجود مستقل . وهو بذلك يقف ضد المثالية التى تنكر استقلال العالم أو التشكيك فيه ويقول عنها انها كاذبة فى ذلك ، لان المثالى لا يسلك فى حياته العملية الا على أساس الموقف الطبيعى .. ودليله على ذلك انه لو تصرف المثالى فى حياته العملية بما يتفق مع المثالية (أى على أن الاشياء ذهنية) فانه معرض للفناء . وبذلك تستوى المثالية مع المادية فى مجال التعامل مع الاشياء .

ثم يتساءل : ما الذى يدفع الفيلسوف الى تبنى المثالية ؟

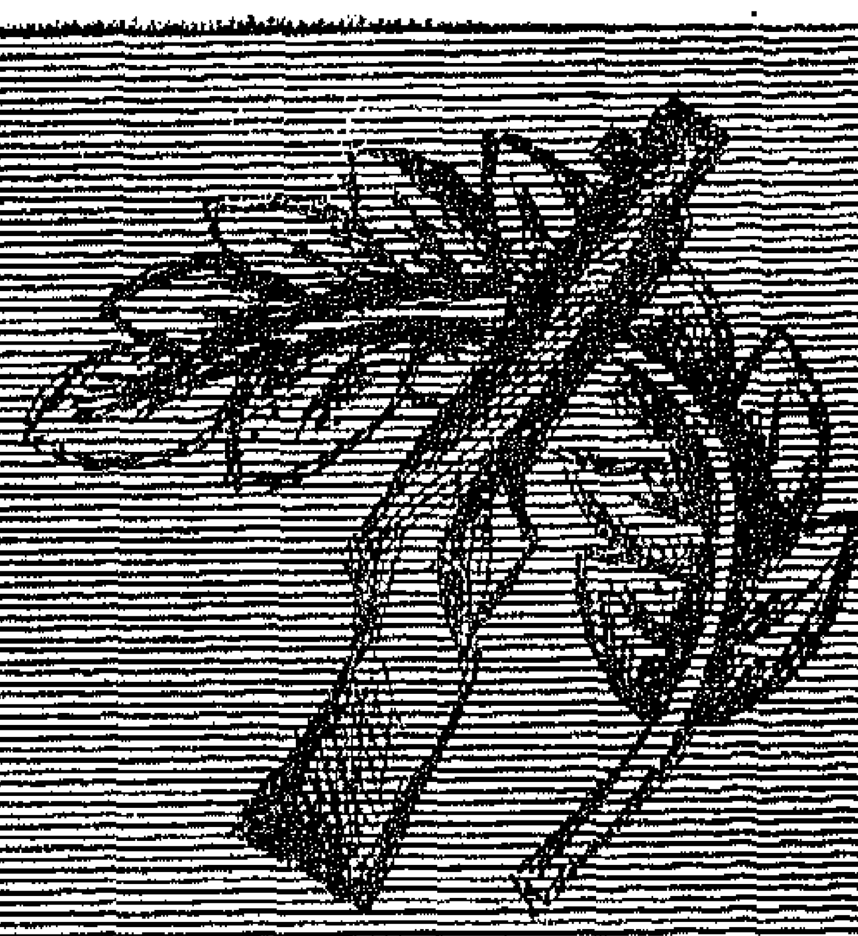
يجيب بانه دافع أخلاقى هو احتقار العالم الخارجى .

ونتساءل نحن بدورنا : وما الدافع الاخلاقى فى تبنى فؤاد زكريا للمادية؟ يقول فى كتابه « **الانسان والحضارة فى العصر الصناعى** » : المشكلة الرئيسية فى الشرق هى ضمان الحد الادنى من مطالب الحياة لمجموع الناس . وفى مثل هذه الحالة يكون من العبث أن يقال لنا أن مشاكلنا تحل عن طريق التمسك « بالروحانية » فمن المحال أن ننتظر سموا اخلاقيا من شخص جائع . ومن المحال أن ننتظر انتاجا فكريا من رجل هزيل . بيد ان ضمان الحد الادنى يقتضى ان نكرس حياتنا كلها متفرغين له . وفى هذا التفرغ سنكون حقا مهتمين بالمادة ولكن من أجل غرض يعلو على المادة ، وسنكون مهتمين بالاقتصاد ، ولكن من أجل هدف يتجاوز الاقتصاد .

هذا موجز للمذاهب الفلسفية فى جامعاتنا المصرية ، اقتصر على ابراز الخلاصة دون التفصيل ..



تقرير من "آلما - آتا"



عقدت فى الفترة من ١ — ٨ أكتوبر ١٩٦٩ ندوة عالمية خلال الاحتفالات بالذكرى المئوية لميلاد لينين ، وذلك بمدينة «آلما — آتا» عاصمة كازاخستان السوفيتية . واشتركت فى اعمال الندوة وفود من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وامريكا الشمالية وبلدان أوربا . وذلك بدعوة من كل من أكاديمية العلوم السوفيتية واللجنة السوفيتية للتضامن الاسيوى الافريقى . وفى هذا الملف نقدم جانبا من أعمال الندوة .. وسنوالى نشر بقية الاعمال فى الاعداد القادمة .

مبادرة عربية نحو فهم عالمى أكثر عمقا للصراع العربى الاسرائيلى

عبد الهادى ناصف

يعرض « عبد الهادى ناصف » عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى هذا المقال ويحلل الاتجاهات التى سادت الندوة ، والجهود التى بذلتها الوفود العربية . وكان قد شارك فى هذه الندوة ممثلا للجمهورية العربية المتحدة كل من « ضياء الدين داود » عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، وعبد الهادى ناصف كاتب هذا المقال ، و « محمود أمين العالم » عضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى و « لطفى الخولى »

كانت الندوة العالمية التى عقدت فى « آلما — آتا » عاصمة جمهورية **كازاخستان** فى المدة من ١ الى ٨ أكتوبر سنة ١٩٦٩ ، كحلقة فى سلسلة الاحتفالات الضخمة بمرور مائة عام على مولد فيلاديمير لينين ، فرصة عظيمة أتيحت لممثلى قوى الثورة العربية كى يطرحوا امام فكر قوى التحرر والثورة التقدمية ، فى أكثر من خمسين دولة ، الابعاد الحقيقية للصراع الناشب فى المنطقة العربية بين قوى الثورة والتحرر العربى من ناحية ، والحلف الامبريالى — الصهيونى من ناحية أخرى ، طرحا علميا يجلو ذلك الابهام الذى نجحت الدعاية الصهيونية فى أن تسدل ستره على كثير من جوانب هذا الصراع ، ويصحح التشويهات التى مسخت بها نفس هذه الدعاية بعض الحقائق الاساسية المتصلة به .

ان الرؤية الواضحة لطبيعة هذا الصراع ليست للاسف متوافرة بنفس الدرجة لدى كل قوى الثورة والتقدم فى العالم • ومن هنا نجد أن هذه القوى وهى الحليف الطبيعى والاول لنا فى نضالنا ، تقف من هذا النضال مواقف تتراوح قوة وضعفا بقدر تفهم كل منها للحقائق المتصلة به من ناحية، أو بقدر التزامها الثورى بوحدة النضال العالمى ضد الرجعية والاستعمار من ناحية أخرى •

ان الوهم القائل بأنه لم تعد بنا حاجة الى اجهاد أنفسنا فى تعريف القوى التقدمية بقضايا نضالنا المصيرى بدعوى أن هناك تفهما كاملا لكل هذه القضايا لدى كل العناصر التقدمية فى العالم ، انما هو وهم لا يصح أن تقع فيه قوى الثورة العربية •

ان موقف الثورة العربية من المسألة اليهودية مثلا ، والمضمون التقدمى لحركة القومية العربية فى مقابل المضمون الرجعى للحركة الصهيونية ، وارتباط الحركة الصهيونية بالاستعمار تاريخيا ، وأيدلوجيا وحركيا ، وطبيعة التكوين الرجعى لدولة اسرائيل من النواحى الايدلوجية والسياسية والاقتصادية ، ووضع الحركة الصهيونية بمضامينها الرجعية تحت ضوء الفكر الاشتراكى والقيم التحررية ، والتعريف بحقيقة الثورة التحررية لشعب فلسطين ، ومواجهة كل قوى التقدم فى العالم بواجبها نحو هذا الصراع ودعوتها الى أداء هذا الواجب •• الخ كل هذه قضايا يؤكد الواقع أنه لا زالت هناك حاجة ماسة لجهود تبذل من أجل أن تستوعبها كل قوى الثورة والتقدم فى العالم استيعابا يرسخ بمقتضاه موقفها من الصراع العربى ـ الاسرائيلى على أرضية نظرية صلبة •

ولقد كان هذا هو المحور الرئيسى الذى دارت عليه أغلب التقارير والبحوث التى قدمها ممثلو قوى الثورة العربية المشتركون فى الندوة ، كما استهدفته لقاءاتهم الجانبية وحوارهم مع عناصر عديدة •

ونستطيع القول بأن الجهد العربى الذى بذل فى هذه الندوة ، قد حقق الكثير فى هذا المجال ، وأن التقارير والبحوث التى قدمها ممثلو قوى الثورة العربية ، بالاضافة الى ما تضمنته تقارير وأبحاث أخرى قدمت بواسطة مناضلين ثوريين من غير العرب ، قد استطاعت أن تبرز معالم القضية فى الاطار الاتى :

أولا ـ الثورة العربية والمسألة اليهودية :

● ان الثورة العربية عامة والثورة الفلسطينية بوجه خاص ليست حركة معادية لليهود • ولا يعرف التاريخ العربى قديمه وحديثه أى نوع من الاضطهاد الذى عاناه اليهود فى المجتمعات الاوربية • وأن اليهود كانوا ، ولا يزال من بقى منهم فى البلاد العربية يعيشون فيها حياة كريمة كمواطنين لهم كل الحقوق المكفولة لغيرهم من المواطنين العرب •

● ان الكيان العدوانى العنصرى لدولة اسرائيل لا يمثل اى حل حقيقى للمسألة اليهودية التى نشأت نتيجة لاوضاع واتجاهات شوفينية فى بعض المجتمعات الاوربية ، وأن الحل الجذرى للمسألة اليهودية ، ولاى مشكلة من مشاكل التفرقة العنصرية لا يتم عن طريق حركة عنصرية مضادة ، وانما عن طريق النضال الثورى العالمى لتصفية الاستعمار والامبريالية والقضاء على كل ألوان الاستغلال البشرى باعتباره الاصل فى كل عمليات الاضطهاد العنصرى •

● اننا كعرب قد اثبتنا بالمواقف العملية ، وليس بمجرد الرأى ، اننا لا نرضى بالجرائم البشعة التى ارتكبت ضد اليهود أثناء الحكم النازى بوجه خاص ، ولكننا لا نرى فى نفس الوقت انه من منطق العدل أن يدفع العرب أو أى شعب آخر ثمن الجرائم النازية هذه ، استلابا لارضه وضياعا لحياته ومستقبله • ان الحل الجذرى للمسألة اليهودية لا يمكن أن يتحقق عن طريق ارتكاب نفس الجرائم بواسطة الصهيونيين ضد العرب ، بل بتحرر اليهود من النزعة الصهيونية وانخراطهم فى النضال الثورى الشريف لكل الشعوب ضد الاستغلال والشوفينية والامبريالية العالمية ،

ثانيا : القومية العربية والحركة الصهيونية :

● ان حركة القومية العربية حركة تقدمية بطبيعتها • فهى موجهة فى المقام الاول ضد الامبريالية والاستعمار بأشكاله القديمة والحديثة وضد الرجعية والاوضاع الاستغلالية والتخلف الاجتماعى التى خلقها الوجود الاستعمارى فى المنطقة • أما الحركة الصهيونية فهى حركة شوفينية عنصرية بطبيعتها، وهى تمارس بالفعل لونا من أبشع ألوان الاستعمار الاستيطانى على أرض فلسطين العربية ، وهى أيضا حركة مندمجة المصالح والاهداف مع الامبريالية العالمية ، وبفضل الاستعمار استطاعت أن تجسد كيانا عدوانيا لها فى الارض العربية وبفضله أيضا استطاعت أن تستمر فى عدوانها وتوسعها على حساب الشعب العربى • ومن هنا فالصراع العربى الاسرائيلى فى حقيقته ليس صراعا بين عرب ويهود . وانما هو صدام حتمى بين حركة تقدمية هى فى نفس الوقت جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمى وبين حركة رجعية هى فى نفس الوقت جزء لايتجزأ من الامبريالية العالمية •

● ان الصهيونية من الناحيتين الايدلوجية والتطبيقية على حد سواء ، ليست حركة عنصرية عدوانية معادية لحركة التحرر العربي فحسب، بل هي أيضا حركة معادية لكل تيارات التحرر الوطني في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية، وهي في نفس الوقت حركة معادية للطبقة العاملة العالمية وللنظم الاشتراكية • فهي تجمع الى جانب الاستعمار الاستيطاني الذي تمارسه على أرض فلسطين ، شكلا آخر من أشكال الاستعمار الجديد تسلل به الى دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية كشريك أصلي أحيانا وكسمسار أحيانا أخرى للاحتكارات العالمية ، وهي أيضا بمحاولاتها المستمرة لفرض الولاء المزدوج على يهود العالم تعمل على تحويلهم الى طابور خامس تستخدمه في أغراضها التخريبية ومن بينها ـ بل في مقدمتها ـ ضرب النظم الاشتراكية ، وما أحداث بولندا وتشيكوسلوفاكيا ببعيد •

● ان الصهيونية لم تعد حركة عنصرية يهودية فحسب، بل أخذت تتسع لتصبح حركة رجعية عالمية تضم غير اليهود، وتستغل ضمن من تستغل اليهود أنفسهم عن طريق امتطاء مشكلتهم بطريقة رجعية ، مستندة في استقطابهم الى خرافات دينية عتيقة ليس لها سند علمي أو تاريخي ، والى نظرة عنصرية في وجـود شعب الهي مختار تفوق في شططها نظرية النازي حول تفوق العنصر الاري •

ثالثا : الصهيونية والاستعمار :

ان الحركة الصهيونية ارتبطت منذ نشأتها تاريخيا ، وايدلوجيا ، وحركيا بالاستعمار الغربي ، وهذا الارتباط تقوم عليه شواهد من الواقع والتاريخ لا سبيل الا المماراة فيها :

● انها تستند من نشأتها في تنفيذ مخططاتها لانشاء قاعدتها « دولة اسرائيل » وبقائها وتوسعها على عاملين اساسيين :

١ ـ مساندة القوة الاستعمارية صاحبة النفوذ الاكبر والتأثير الاقوى في المنطقة •

٢ ـ التمويل بواسطة الاحتكارات الكبرى في أوربا الغربية وأمريكا •

● أن التناقض الاساسي الذي واجهته مخططاتها في المنطقة من البداية ولازالت تواجهه يتمثل في :

١ ـ حركة التحرر الوطني للشعوب العربية ضد الاستعمار القديم •

٢ ـ حركة التقدم العربي التي تستهدف التخلص من كل أشكال السيطرة الامبريالية والاستعمار الجديد وتتجه الى الاشتراكية •

● ان المطامع الصهيونية والمصالح الاستعمارية في المنطقة قد امتزجت ـ خصوصا خلال الاعوام العشرين الماضية ـ بشكل أصبح من المستحيل معه أن نفصل بينهما ، فاسرائيل ـ قاعدة الصهيونية ـ أصبحت الاداة الرئيسية التي يعتمد عليها الاستعمار في ضرب حركة التحرر والتقدم العربي التي تشكل أكبر الخطر على مصالحه في المنطقة، ويكفي للدلالة على ذلك مراجعة كل عدوان قامت به اسرائيل منذ عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٧ ، مقرونا بالنمو المطرد لقوى الثورة العربية المناهضة للاستعمار ، وفي نفس الوقت فان اسرائيل لم تتحرك منذ نشأتها حتى الان للقيام بأي عدوان الا اذا كانت مطمئنة سلفا الى تأييد وحماية قوى استعمارية كبرى •

رابعا ـ طبيعة دولة اسرائيل وتكوينها من النواحي الايدلوجية والسياسية والاقتصادية :

● ان وجودها ذاته تجسيد حي لابشع عملية استعمار استيطاني تمت في العصر الحديث •

● انها كيان يستند ايدلوجيا الى شوفينية عنصرية تمارس كل ألوان التفرقة بصورة لم يتكامل مثلها من قبل لاى مجتمع بشري في اشد عصوره رجعية وانحطاطا ، فالتفرقة هنا كاملة على أساس من الجنس واللون والعقيدة جميعا •

● انه بالرغم من ان النظام السياسي يأخذ صورة الليبرالية الغربية الا أن السلطة الحقيقية فيه لمركب يجمع بين المؤسسة العسكرية ورأس المال الكبير ويعتبر امتدادا طبيعيا للمركب الرأسمالي ـ العسكري المهيمن على سياسة الولايات المتحدة الامريكية •

● ان كيانها الاقتصادي كله يستمد وجوده من رأس المال الاحتكاري في الدول الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة وألمانيا الغربية ويكفي للدلالة على ذلك ابراز الحقائق التالية :

١ ـ ان المساعدات الاقتصادية التي تلقتها من أمريكا ودول أوربا الغربية في ١٧ عاما من سنة ٤٨ الى سنة ٦٥ ، قد بلغت ٦ر٨٣٣٥ مليون دولار ، لا يدخل فيها المساعدات العينية •

٢ ـ أن نصيب التمويل الاجنبي لاسرائيل

بالنسبة للدخل القومى بلغ فى سنة ١٩٦٥ ،١٫٢ ٪ في المائة أكثر من نصفها رؤوس أموال أمريكية ، لا يدخل فى حسابها استثمارات الاحتكارات الامريكية التى تعمل فى أمريكا اللاتينية وهى تمثل ٢٠ فى المائة من الاستثمارات الاجنبية فى اسرائيل •

٣ ــ أنها تقوم فعلا بدور السمسار لرؤوس الاموال الامريكية والالمانية فى كثير من دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية •

● ان الطبيعة الرأسمالية الاستغلالية تلتقى فى دولة اسرائيل مع طبيعتها الشوفينية العنصرية ، لتكونا معا الملامح الاساسية للعلاقات الاجتماعية فى المجتمع الاسرائيلى والتى تتمثل فيما يلى :

١ ــ استغلال عام للطبقة العاملة فى اسرائيل بواسطة البورجوازية الصهيونية الكبيرة ورأس المال الاجنبى •

٢ ــ استغلال اكبر لليهود ذوى الاصول الشرقية، اذيبلغ متوسط أجر العامل منهم ٥٠ فى المائة من أجر مثيله ذى الاصل الاوروبى •

٣ ــ استغلال ابشع للسكان العرب •

٤ ــ تركيز رؤوس الاموال ومراكز السلطة فى يد اليهود الاوربيين ، فبالرغم من ان نسبتهم الى مجموع يهود اسرائيل لا تزيد على ٥٢ فى المائة الا انهم يحتلون ٩٦ فى المائة من المناصب الكبرى فى الحكومة والجيش و ٧٢ فى المائة من مجموع الوظائف فى الدولة •

خامسا ــ الحركة الصهيونية فى ضوء الفكر الاشتراكى بوجه عام وفكر لينين بوجه خاص :

استطاعت الوفود والشخصيات العربية المشتركة فى الندوة، استنادا على العرض الموضوعى لطبيعة الحركة الصهيونية، أن تخلص من ذلك الى تأسيس نظرى لوضع الحركة الصهيونية من وجهة نظر اشتراكية ، تتلخص فى انها حركة رجعية عنصرية استعمارية مندمجة المصالح مع الاستعمار العالمى ومعادية بطبيعتها ومواقفها لنضال الطبقة العاملة العالمية ، وحركة التحرر الوطنى والنظم الاشتراكية •

واستندت فى عرضها لهذه النتيجة تفصيلا الى القياس المقارن بين واقع الحركة الصهيونية وأسس النظرية اللينينية فى حركة التحرر الوطنى والتطور الاجتماعى ، واستعادت فى هذا المجال الموقف التاريخى للينين العظيم من الايدلوجية الصهيونية عندما وقفت بحزم ثورى أصيل من محاولات حزب العمال اليهودى فى روسيا « **البوند** » لسلخ الطبقة العاملة اليهودية من الطبقة العاملة العالمية وعزلها عنها، وتكوين تنظيم مستقل لها بزعم أن لليهود تاريخا قوميا مستقلا، واتهامه لتلك المحاولة بأنها انتهازية واضحة، تعمل على احداث انقسام فى حركة الطبقة العاملة ، وتضرب الوحدة الحزبية للطبقة العاملة ، لا فى روسيا وحدها ، بل فى سائر المجتمعات البشرية •

كما أعادت الى أذهان المشتركين فى الندوة رأى « **لينين** » المستند الى فكر « **ماركس** » فى دعوة القومية اليهودية عندما حسم حواره مع صهاينة «البوند» القدامى بقوله : « **لو سمحنا لليهود بأن تكون لهم أمة ، فستكون أمة مصطنعة مفتعلة ، ذلك أن السمات المميزة لليهود لاتحمل طابع القومية ، ان القول بأن اليهود أمة منفصلة قول لايمكن قبوله علميا ، انها فكرة زائفة بشكل مطلق ، ورجعية فى جوهرها ، بل تتعارض مع مصالح البروليتاريا اليهودية نفسها ، وتؤكد بينهم روح العداء نحو مجتمعاتهم القومية ، وتحول بينهم وبين الامتزاج بها والاندماج فيها ، انها تؤكد روح الجيتو على نطاق أكثر عزلة وأشد اتساعا** » •

سادسا ــ تعريف بالثورة التحررية لشعب فلسطين :

اعتبرت الوفود والشخصيات العربية المشتركة فى الندوة ان عليها واجبا أساسيا حيال ثورة التحرير الفلسطينية ــ التى لم تكن ممثلة فى الندوة ــ هو ان تقدم للمشتركين فيها رؤيا واضحة لحقيقة هذه الثورة وفكرها منقاة من كل الافتراءات التى حاولت الدعاية الصهيونية ــ الامبريالية أن تشوه بها وجه هذه الثورة وتبذر بذور الشك فى شرعيتها اولا وتقدميتها ثانيا •

فعرضت للنضال البطولى لشعب فلسطين فى سبيل استقلاله وكيانه الوطنى ضد قوات الاحتلال البريطانى وعصابات الصهاينة جميعا قبل النكبة والذى تمثل فى اربع ثورات متعاقبة سنة ١٩٢٢ ، سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٦ والتى برغم كل أساليب القمع الوحشية فقد اتصل القتال فى آخرها على امتداد ثلاث سنوات من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٩ وسقط فيها آلوف الشهداء من أبناء هذا الشعب البطل •

ثم تتبعت حلقات المؤامرة التى تمت فصولها فى سنة ١٩٤٨ باستيلاء العصابات الصهيونية على أرضه وطرده منها الى حيث يعيش منذ أكثر من عشرين عاما فى مخيمات اللاجئين بالرغم من وجود اكثر من عشرين قرارا من الامم المتحدة

بمعدل قرار في كل عام ينص على حقه في العودة وتصر اسرائيل وتساندها في هذا قوى الامبريالية العالمية على أن تضرب بهذه القرارات عرض الحائط .

ثم انتهت بعرض موضوعي لكفاحه المعاصر ، المسلح ، المشروع تحت أى مقاييس تقدمية كانت أم انسانية أم قانونية ، وأوضحت هدفه من اقامة دولة ديموقراطية على أرض فلسطين تضم العرب واليهود كمواطنين متساويين في الحقوق والواجبات دون أى تمييز على أساس من العنصر أو الجنس أو العقيدة .

سابعا ـ دعوة كل القوى التقدمية الى موقف نضالي مؤسس على قاعدة نظرية مبدئية من الصراع العربي ـ الاسرائيلي :

كان لابد من أن تنتهى الوفود والشخصيات العربية المشتركة في الندوة من عرضها لابعاد الصراع العربي ـ الاسرائيلي ووضعه في اطاره الصحيح ـ نظريا وواقعيا ـ الى النهاية المنطقية ، وهي أن تضع قوى التقدم العالمية وكل القوى المناهضة للاستعمار والامبريالية ، بشكل صريح ومباشر ، أمام مسئوليتها التاريخية وواجبها المصيرى ازاء صراع يدور في منطقة من أشد مناطق العالم خطورة وأكثرها أهمية وحساسية بين طرفين أحدهما جزء لا يتجزأ من حركة التحرر والتقدم العالمي والاخر جزء لا يتجزأ من الاستعمار والامبريالية العالمية .

وبروح الصراحة العلمية ـ صفة كل ثورى أصيل ـ فان وفودنا المشتركة في الندوة لم تستشعر حرجا في أن توجه النقد الى ما يشوب موقف بعض القوى التقدمية من تردد وتحفظ ازاء هذا الصراع ، وخاصة ازاء ثورة التحرير الفلسطينية ، بل وأن تعدى الموقف المتناقض الذى تقفه دولة تنتمي الى المنظومة الاشتراكية « كرومانيا » من هذا الصراع ، وذلك بالرغم من مقررات مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية المنعقد في موسكو في يونيو سنة ١٩٦٩ والذى كان الحزب الحاكم في رومانيا أحد الاحزاب المشتركة فيه والموقعة على مقرراته ، هذه المقررات التى أشادت في أكثر من موقع بحركة التحرر العربي وتقدميتها ، ودمغت اسرائيل بالعدوانية ، والتوسعية ، والعمالة السافرة للاستعمار ، كما دمغت الصهيونية بالعنصرية والرجعية ووضعتها في نفس الصف مع الاستعمار والامبريالية والفاشية ، ذلك الصف الذى دعت كل قوى التحرر والتقدم ، والطبقة العاملة العالمية الى انشاء جبهة موحدة لمحاربته .

■ ■ ■

مصير جنوب أفريقيا .. في الفكر اللينيني

ميزواندل بيليسو

ميزواندل بيليسو ، مناضل تقدمي من جنوب افريقيا ، وأحد قادة حزب المؤتمر الوطني البارزين ، وقد شارك في ندوة « لينين وحركة التحرر الوطني » بهذه الدراسة عن طبيعة النظام القائم الان في جنوب أفريقيا وعلاقته العضوية بالاستعمار العالمي . ومن ثم يحدد طرق وأساليب النضال الوطني والجماهيرى من أجل تقويض ذلك النظام « ذى الطابع الخاص » .

أيها الاصدقاء :

اننا نجتمع اليوم للاحتفال بالذكرى العشرين لميلاد ف . أ . لينين . وهو احتفال تشارك فيه الغالبية العظمى للشعب العامل في العالم أجمع . ذلك أن اللينية ـ في واقع الامر ـ قد أصبحت تراثا ثمينا تمتلكه البشرية كلها .

وبشكل خاص تحتفل بهذه الذكرى ـ الشعوب التى تناضل من أجل تحررها الوطني ، ذلك ان اللينية قد أضاءت أمامها الطريق لاحراز نصر مؤزر في معركة الاستقلال الوطني .

لقد استطاعت الامبريالية أن تقهر عديدا من الدول التى كانت تعيش فى ظل مرحلة ما قبل الرأسمالية ، حيث كانت تسود الانظمة القبليةوهى أنظمة لم تكن تعرف ايا من العلاقات الاجتماعية المتولدة عن الملكية الخاصة • ونتيجة لهذا القهر استطاعت الامبريالية أن تجر هذه البلدان الى نطاق السوق الرأسمالى العالمى •

وهكذا وعندما خضعت شعوب هذه البلدان لسيطرة احتكارات الراسمال الاوربى والامريكى الشمالى بدأت تعانى من أزمة تتلخص فى استمرار خضوعها للقهر المنظم وعدم قدرتها على التخلص منه بالرغم من مقاومتها البطولية له •

وتكمن المساهمة الاساسية التى قدمها لينين لتطوير كفاح هذه الشعوب فى أنه قد حدد لها طريقها نحو التحرر ونحو حياة جديدة •

نظرية للتحرر

وفى وقت كانت فيه الامبريالية تواصل زحفها دون عائق وقف لينين ليدافع عن مصالح شعوب المستعمرات وليدعو الى حق الامم فى تقرير مصيرها •

وبينما كانت الشعوب المقهورة تفتش وسط الظلام عن أعدائها الحقيقيين حدد لينين أمامها بوضوح من هم هؤلاء الاعداء • وكذلك فقد ارشد لينين شعوبنا الى الطرق التى يتعين عليهااتباعها لكى تهزم اعدائها . كما مزق لينين ذلك الستار الحديدى الذى فرضه الامبرياليون حول كل شعب مناضل ، مرشدا هذه الشعوب الى أصدقائها وحلفائها على النطاق العالمى •

ومنذ ثلاثة أشهر تحدث الرفيق **أوليفر تامبو** القائم بأعمال الرئيس لحزب المؤتمر القومى الافريقى عن الاهمية التاريخية للدور الذى لعبه لينين فقال : « ان القوى التقدمية فى جمهورية جنوب افريقيا تعتبر الذكرى المئوية لميلاد ف • أ • لينين حدثا هاما فى تاريخ تحرير البشرية •

لقد أسهم لينين اسهاما فكريا هاما فى تحديده لمهام نضال شعوب المستعمرات والبلدان التابعة ضد العبودية • لقد طور لينين تطويرا خلاقا نظرية مؤسسى الماركسية عندما قدم بناء « نظريا متكاملا للثورة الاشتراكية وللصراع الطبقى للبروليتاريا فى البلدان الرأسمالية ، ولحركة التحرر الوطنى التى تخوضها الشعوب المقهورة • »

ويمضى الرفيق « تامبو » مؤكدا ان لينين هو مؤسس نظرية استراتيجية وتاكتيك ثورة التحرر الوطنى •

وفوق ذلك ، فان الدور العالمى الذى يلعبه العالم الاشتراكى تجاه حركة التحرر الوطنى فى أفريقيا والتأييد العظيم السياسى والمادى والمعنوى الذى يقدمه الاتحاد السوفيتى لكل المناضلين من أجل الحرية (وهو تأييد لا يمكن تصور استمرار نضالنا بدونه) كل ذلك ليس سوى تطبيق عملى للنظرية اللينينية » وكما قال الرفيق « تامبو » أن كل المناضلين فى أفريقيا من أجل الحرية والديمقراطية وضد الامبريالية والاستعمار والتفرقة العنصرية انما يهتدون بأعمال لينين التى تعتبر « مرجعا أساسيا للثورة » •

تدمير مراكز الاحتكارات

ان الجماهير المقهورة والمستغلة فى جنوب افريقيا تستطيع باعتمادها على القوى الخلاقةالتى ولدتها أفكار لينين أن تخطو بثبات فى طريق تحررها •

ان الواجب الاساسى الذى يجابه حركة التحرر فى جنوب أفريقيا هو الاطاحة بالقهر الفاشى العنصرى واقامة ديمقراطية ثورية • ديمقراطية تتمثل فى استيلاء جماهير الكادحين على السلطة وتدمير كل مراكز رأس المال الاحتكارى فى كافة مجالات الاقتصاد ، واقتلاع كل مظاهر التفرقة العنصرية ، او القهر القومى ، وبناء حياة مزدهرة وسلمية وانسانية لشعوب وطننا . انها تتمثل فى تخليص وطننا من الارتباط بالنظام الامبريالى العالمى ، والالتحام بشعوب العالم التى تناضل من أجل الاشتراكية ، والسلام والتحرر الوطنى والديمقراطية •

انها واجبات نابعة من الحياة نفسها ، من طبيعة القهر القومى الذى يمارس فى بلدنا ومن طبيعة الموقع الذى تحتله بلدنا اليوم فى الامبريالية العالمية •

ان وطننا يزخر بثروات ضخمة من الموارد الطبيعية • فجنوب أفريقيا يحتوى على ٧٥ فى المائة من مجموع الذهب فى العالم الرأسمالى • وهى أكبر مصدر فى العالم الرأسمالى بالنسبة لمناجم المنجنيز والكروم والانتيمون والماس . وتحتل المركز الثالث فى استخراج مركبات اليورانيوم • وأراضيها الخصبة تعطى باستمرار محاصيل

وفيرة وفواكه متعددة ومراعيها تسمح بقيام تربية ناجحة للحيوانات .

بلد مقهور .. مقهور

لكنه ، بدون العمل ، فان ذلك كله يصبح مجرد ثروات ميتة . والافريقيون يمثلون اليوم غالبية الطبقة العاملة فى نواحى النشاط الاقتصادى . ففى مجال الصناعة يشكلون ٨٠ فى المائة من مجموع الايدى العاملة ، وفى استخراج الذهب يمثلون ٩٠ فى المائة .

وبالرغم من هذا الدور الحاسم الذى يلعبونه فى عملية انتاج الثروة ومن أنهم يشكلون ٧٥ فى المائة من مجموع السكان فان الافريقيين يحصلون فقط على ١٩ فى المائة من الدخل القومى . ولعله من المهم أن نذكر أن هذه النسبة كانت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ٢١ فى المائة فكيف حدث ذلك ؟

ان واقع الامر هو أن العمال الافريقيين وكل العمال غير البيض بشكل عام يحصلون على أجر ينخفض بمقدار عدة أضعاف عن الاجر الذى يحصل عليه العامل الابيض . فى صناعة استخراج الذهب تزداد الهوة باستمرار لصالح العمال البيض . ففى ١٩٤٦ كانت نسبة الدخل الاجمالى ١١ر١ : ١ . وفى ١٩٦٦ كانت ١٥ر٢ : ١ . وفى مجال الزراعة بلغت نسبة الدخل بين العمال الذكور ٣٥ : ١ .

ويمكننا التعرف على حقيقة أوضاع عمال الصناعة من الاطلاع على الاحصاءات المنشورة فى شهر مايو من هذا العام فىجوهانسبرج التى تعتبر المركز المالى والصناعى الاساسى لجنوب افريقيا .

ان هذه الاحصاءات توضح لنا ان ٧٠ فى المائة من الاسر الافريقية تعيش فىمستوى أكثر انخفاضا مما يعتبر بالحد الادنى للفقر .

ويخضع لنفس النظام أيضا ــ بطبيعة الحال ــ العمال الذين يجلبون للعمل فى جنوب أفريقيا من البلدان الاخرى والذين يعملون أساسا فى الزراعة وأعمال التعدين . ومن هنا فان حركة التحرر قد توصلت الى النتيجة التالية : « ان ثروة جنوب أفريقيا هى ثمرة لجهود أكثر فئات العمال الافريقيين خضوعا للقهر والاستغلال . ان ما نراه الان من نظام امبريالى عنصرى فاشى فى جنوب أفريقيا انما يقوم على أساس استغلال قوة العمل الرخيصة والموارد الطبيعية الهائلة . ان السياسة التى يتبعها النظام الفاشستى والتى تقوم على أساس التطور المنعزل عن ظروف المنطقة انما تعتمد فى جوهرها على خلق الظروف لممارسة أحط أنواع الاستغلال للعمل الانسانى وضمان اكبر ربح وفائدة ممكنة لكل الاستثمارات » (راجع أعمال : المؤتمر الاستشارى لجمهورية بولندا ــ ابريل ١٩٦٩ ــ) .

وتركز حركة التحرر جهودها على فضح تحكم الاحتكارات فى اقتصاديات جنوب أفريقيا . ذلك اننا حينما نجد الفقر المدقع يخيم على جموع الشعب فان ثروة البلاد تتركز فى حفنة قليلة من الايدى .

النهب الاحتكارى

وقد ذكرت مجلة **الشئون الدولية السوفيتية** (عدد ١ ــ عام ١٩٦٩) ان اقتصاد جنوب أفريقيا يتركز بأكمله فى ١٠ أو ١٥ من المجموعات أو المؤسسات الاحتكارية ، وتتمركز معظم هذه الثروات فى يد سبعة من المؤسسات المالية الضخمة التى تستثمر مناجم البلاد والتى يتحكم فيها حفنة من الماليين الذين يمتلكون كل مناجم الماس والذهب وغيرها من الثروات التعدينية فى البلاد . وهذه الاحتكارات السبعة لا تكتفى بذلك بل هى تمد براثنها للمناصب الرئيسية فىكافة الصناعات ، وتتداخل معها ايضا احتكارات البنوك والاستثمارات الزراعية الضخمة .

وفى مجال الزراعة ــ نجد على سبيل المثال ــ انه فى عام ١٩٦٢ كانت ٤ فى المائة تمتلك مساحة تساوى ما يمتلكه ٤٠ فى المائة من المزارع المملوكة للبيض (وهى مزارع تمتلك ٧٨ فى المائة من مساحة الاراضى فى البلاد) . ويلعب احتكار الدولة الرأسمالى هو الاخر دورا هاما فى مجالات مثل انتاج الحديد والصلب والكهرباء والبترول والنقل .

وبطبيعة الحال فان الاحتكارات العالمية تشارك فى هذا الشكل من أشكال الملكية الاحتكارية وتسهم بالقدر الاكبر فى ذلك الاحتكارات الانجليزية ويليها الاحتكارات الامريكية . ويبدو اهتمام الاحتكارات العالمية باقتصاديات منطقة جنوب القارة ، التى تمثل دولة جنوب أفريقيا العنصر الحاسم فيها من أنها تستثمر هناك أموالا تفوق بكثير ما تستثمره فى أى مكان آخر بافريقيا . ذلك ان ما تسميه حكومة جنوب افريقيا بسياسة العزلة تعنى مزيدا من الاستغلال . وفى عام ١٩٦٥ حققت الاحتكارات الانجليزية المستثمرة فى دولة جنوب أفريقيا أرباحا وصلت ١ر١٢ فى المائة من مجموع رأس المال المستثمر بينما لم تحقق استثماراتها فى بقية أنحاء العالم الا ٤ر٨ فى المائة . أما الاحتكارات

الامريكية فقد حققت ٢٠,٦ فى المائة مقابل ١٠,٤ فى المائة .

وتقدم الدولة مساعداتها للاحتكارات ليس فقط من خلال قطاع الرأسمالية الدولية وانما ايضا من خلال النظام الضرائبى والاعانات المالية ومن خلال ما تسميه سياسة نشر الصناعة . وسياسة نشر الصناعة هذه تعنى اقامة مؤسسات صناعية جديدة بعيدا عن المراكز الصناعية وبالقرب من التجمعات الريفية للسكان الافريقيين حيث تنخفض أجور العمال الافريقيين بقوة القانون بنسبة ٢٠ فى المائة عن أجر العامل الافريقى فى المراكز الصناعية . وتستخدم الحكومة الفاشية التى تخدم مصالح الاحتكارات وسائل اخرى عديدة من أجل تخفيض تكاليف الانتاجية بتخفيض ثمن قوة العمل الافريقى فى هذه المناطق وذلك كى تزيد من معدل الاستغلال .

القهر العنصرى

وبالرغم من أن القهر الفاشى فى جنوب أفريقيا يمنع التداول العلنى لكتاب لينين « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » الا أنه يمثل بالنسبة لنا دليلا وسلاحا فعالا . وفى هذا الكتاب يقول لينين : «ان فائضا ضخما من رأس المال قد تكون فى البلدان المتقدمة . ولسنا بحاجة الى القول بأنه اذا كانت الرأسمالية قد استطاعت أن تحقق تقدما فى مجال الزراعة التى لا زالت متخلفة تخلفا كبيرا بالنسبة للصناعة أو اذا كانت قد استطاعت أن ترفع من مستوى معيشة الجماهير التى لا تزال تعانى فى كل مكان من المجاعة الجزئية ومن الفقر المدقع وذلك بالرغم من التقدم التكنيكى المدهش .. لو أنها فعلت ذلك لما أمكن الحديث عن فائض رأس المال »

(لينين . الاعمال المختارة . الجزء الاول . ص ٧٥٩) .

وهذا بالضبط هو الوضع الذى نشأ فى جنوب أفريقيا التى كانت فى البداية مجرد مستعمرة . وهذا الفائض من رأس المال يوجه فى معظمه للاستثمار فى الخارج ، لكنه يستثمر فقط فى بلدان جنوب أفريقيا . وهكذا نجد أن احتكارات جنوب افريقيا تستولى عليه زامبيا وتفرض نوعا من انظمة الاستعمار الجديد فى لوسوتو ومالاوى . كذلك فان القوات المسلحة لجنوب افريقيا تحارب فى زيمبابوى وانجولا وموزامبيق .

بل ان نشاط السلطات العنصرية فى جنوب أفريقيا يمتد الى ابعد من هذا المجال فهى تصدر المرتزقة الى الكونغو .. انهم الآن مثلهم مثل الامبرياليين الاخرين يصدرون المال والسلاح معا .

وهكذا فان دولة جنوب أفريقيا تمثل الشريك الاساسى فى التجمع العنصرى الاستعمارى ،ذلك التحالف غير المقدس الذى يضم الى جانبها **روديسيا والبرتغال** ، وتمثل الاحتكارات العالمية السند الاساسى لهذا التحالف غير المقدس التى تتلخص اهدافه فى : تدمير حركة التحرر الوطنى ، ومواصلة الهجوم الامبريالى المضاد ضد البلدان الافريقية المستقلة ، وحماية الاحتكارات الرأسمالية بشكل عام . ومن أجل تحقيق هذه الاهداف فان حكومة جنوب أفريقيا لا تتلقى مجرد الدعم الاقتصادى فحسب وانما تتلقى أيضا وبشكل مستمر فيضا من الاسلحة الهامة سواء عن طريق الاستيراد أو الصنع محليا وفقا لاتفاقات خاصة .

ان الحياة فى جنوب أفريقيا المحرك الاساسى للتحالف غير المقدس قد علمتنا صحة كلمات لينين التى تقول : « ان الامبريالية تؤدى بشكل خاص الى قهر الحركات القومية والى شهوة التوسع والى انتهاك الاستقلال الوطنى (ذلك ان التوسع ليس سوى انتهاك لحق الامم فى تقرير مصيرها) » (مجموعة الاعمال المختارة – ص ٨٠٩)

ان هذا يوضح أى مستقبل يمكن أن ينتظر الدول الافريقية المستقلة ، طالما أن الانظمة العنصرية فى جنوب أفريقيا تستمر فى البقاء أى تستمر متعطشة الى التوسع والى فرض أساليب الاستعمار الجديد .

استعمار ذو طابع خاص

لقد أوضح لينين الملامح السياسية « المحددة » للامبريالية قائلا أنها تمثل « مواقف رجعية على طول الخط ، وتزايدا فى أعمال القهر ضد القوميات نابع من تزايد ضغط الاوليجاركية المالية » (مجموعة الاعمال المختارة ص ٨٠٠)

ان الصورة التى يقدمها النظام الفاشى العنصرى القائم فى جنوب أفريقيا على أساس القهر القومى تطابق تماما الصورة التى رسمها لينين .

لقد رأينا من قبل كيف ان سياسة العزل والتفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا انما تعنى فى الاساس مزيدا من استغلال الجماهير الكادحة . وهى فى جانبها السياسى – الاجتماعى تعنى انكار كل الحقوق الديمقراطية للجماهير المقهورة وأن تسحق بالاقدام كل آمالها القومية وتؤدى الى الانحطاط بمستوى معيشتها الى مستوى معيشة العبيد .

ولقد حاولت فاشية جنوب أفريقيا أن تحمى نفسها من النضال البطولى لجماهير الشعب (التى تناضل جنبا الى جنب مع الحركة العالمية المعادية للامبريالية) فسنت عددا كبيرا من القوانين الرجعية • كان آخرها ، ذلك القانون الذى صدر هذا العام والذى يعطى البوليس سلطات مطلقة غير خاضعة لاشراف لا البرلمان العنصرى ولا القضاء • وقد نص هذا القانون على تأسيس « مكتب الامن القومى » الذى يوحد ما بين جهازى المخابرات العسكرية والبوليس السرى وجعل هذا المكتب خاضعا لاشراف رئيس الوزراء وحده • وأصبحت فى حكم الجريمة ان يسأل الانسان مجرد سؤال عن نشاط هذا المكتب •

ولقد حرمت جميع أشكال النشاط السياسى • وحلت جميع المنظمات الجماهيرية • كذلك يعمد القهر الفاشى الى القتل والارهاب والتعذيب ، ان عشرة آلاف من الوطنيين يعانون الان فى زنازين الفاشية •

ويمثل هذه الاساليب وغيرها من الاساليب البالية يتصور الفاشيون ان بامكانهم أن يوقفوا مد التحرر الوطنى . لكن لينين يعلمنا « ان الامبريالية تؤدى الى تصاعد حدة القهر القومى ، ومن ثم فانها تؤدى الى تصاعد المقاومة » (مجموعة الاعمال المختارة ص ٨٠٩)

فى مواجهة الحركة الوطنية

ان انهيار النظام الاستعمارى ، والصراع الراهن الذى تخوضه الشعوب من اجل الاستقلال الكامل ، والصراع البطولى للشعب الفيتنامى •• كل هذه الوقائع تمثل أدلة حية على صدق نبوءة لينين . وليست جنوب افريقيا استثناء من ذلك .

وهكذا يحتدم الصراع يوما بعد يوم بين أكبر قوتين معاصرتين على أرض وطننا • فمن ناحية هناك قوى الامبريالية والاستعمار والتفرقة العنصرية والفاشية التى تحدثنا عنها فى الصفحات السابقة وفى مواجهتها تقف قوى التحرر الوطنى •

وتحت قيادة « المؤتمر الوطنى الافريقى » فان حركة التحرر الوطنى تمتد لتشمل الافريقيين المضطهدين والجماعات المنظمة للملونين والهنود والعناصر الديمقراطية من البيض والعناصر العمالية المنضوية تحت لواء مؤتمر نقابات جنوب أفريقيا والحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا •

وتنطلق حركة التحرر الوطنى من منطلق أساسى هو أن جماهير الشعب تسعى بنشاط من أجل أحداث تغيير ثورى • أنها تسعى كى تفرض حلا ثوريا للتناقضات الناجمة عن استعمار ذا طابع خاص يمزج بين ملامح الانظمة الرأسمالية المتطورة الى أعلى مراحل الامبريالية ، وبين ملامح طابع مستعمرة مقهورة قهرا وحشيا • ولقد أظهر الشعب العامل من خلال تحركاته الجماهيرية الضخمة فيما بين ١٩٤٦ و ١٩٦١ مدى عمق التناقضات التى توجد فى بلادنا ، تلك التناقضات التى ينجم عنها الفقر المدقع للجماهير وتخلف القوى المنتجة وأقسى أنواع الدكتاتورية الفاشية •

وفى عام ١٩٦١ رفعت حركة التحرير شعار النضال المسلح كواحد من أساليب الكفاح • وكانت الدوافع الاساسية التى دفعتنا الى تبنى هذا الشعار هى :

● لم يكن هناك أى احتمال لامكانية احراز التحرر مع الاكتفاء باستخدام الاساليب الاخرى التى ظللنا نستخدمها طوال الخمسين عاما الماضية •

● لقد خلق نضالنا طوال الفترة الماضية منظمات جماهيرية واسعة وقيادة قادرة على كسب تأييد الجماهير للكفاح المسلح وذات كفاءة تمكنها من التخطيط والاعداد والممارسة لهذا النوع من الكفاح •

ذلك الانتشار الواسع الذى حققته حركة الاستقلال فى أفريقيا وخاصة فى ١٩٦٠ • وفى ١٩٦١ وقامت بلدان مستقلة على حدود البلدان التى يستعمرها البيض فى الجنوب وكان ذلك عنصرا حاسما فهو يعنى تحقق امكانية لم تكن مكفولة من قبل وهى امكانية وجود قواعد يتدرب فيها رجالنا على حمل السلاح •

لقد اوضحت حركة التحرر فى جنوب افريقيا بجلاء ان اعلان الكفاح الثورى المسلح لا يعنى الاقتصار على هذا الاسلوب ، بل ان النضال فى أساسه نضال سياسى جماهيرى يمارس بأساليب متعددة من بينها استخدام القوة المسلحة وذلك بالرغم من أن تكتيك استخدام العنف سوف يتخذ طابعا أكثر اتساعا فى كافة مجالات النضال •

ان العنصر الداخلى الحاسم لنجاح هذا النضال هو توحيد كل العمال غير البيض وكل الكادحين وكل منظماتهم وهيئاتهم وكل طاقاتهم لشن كافة أشكال الصراع من أجل حماية وتطوير وحدتهم ومن أجل التضحية البطولية لصالح قضيتهم •

وحدة النضال فى العالم

لقد علمنا لينين أن مثل هذا النضال لا يمكن أن

ينفصل عن النضال العالمى المعادى للامبريالية •
لقد كتب لينين عن الثورة الروسية قائلا « انها ذات حليف عالمى متعاظم القوة سواء فى أوربا أو فى آسيا ولكنها ــ ولهذا السبب نفسه ــ يجابهها ليس مجرد عدو روسى محلى وانما عدو عالمى ايضا (الاعمال المختارة . مجلد ١٥ . ص ١٨٨)

وينطبق هذا القول أيضا على نضالنا • فبدون مساعدة قوى الاشتراكية فى العالم وخاصة الاتحاد السوفيتى وبدون مساعدة الطبقة العاملة العالمية وحركات التحرر الوطنى لما أمكن لنضالنا أن يستمر •

ان حركة التحرر فى جنوب أفريقيا تعمل بنشاط على توحيد جهودها مع كل هذه القوى ويتضح ذلك من التحالف الثورى الوثيق بين المؤتمر الوطنى الافريقى وبين أشقائنا فى حركة زابو فى زمبابوى تلك التحالف الذى أثمر بالفعل نتائج باهرة • ويستهدف المؤتمر الوطنى الافريقى توسيع نطاق هذه الوحدة لتشمل حركات التحرير الاخرى فى افريقيا الجنوبية • وان يوثق علاقاته مع حلفائه فى كل أنحاء العالم ضد عدونا المشترك على نطاق العالم أجمع •

ان الاهمية القصوى للمساندة العالمية لنضالنا لا يمكن تحديد مداها ، ذلك ان هذا النضال يسعى الى ـ ولسوف ينجح حتما ـ فى تحرير شعب جنوب أفريقيا • ليس هذا فحسب وانما أيضا الاطاحة بالقاعدة الاساسية للثورة المضادة فى أفريقيا وواحدة من القواعد الاساسية للرجعية والعسكرية العالمية •

وبطبيعة الحال فان بامكاننا ان نكرر ان الشعوب المناضلة سوف تواصل مسيرتها فى الطريق الذى اضاءته امامها اللينينية بعد مائة عام من ميلاد لينين، وبفضل هذه التعاليم سوف تحقق الانسانية انتصارها النهائى فى تحررها الوطنى والاجتماعى .»

« وطن لينين » وحركة التحرر العربى

د . مصطفى أمين

عن العلاقة بين الاتحاد السوفيتى وحركة التحرر الوطنى العربية ، قدم الدكتور مصطفى أمين بحثه الى ندوة « لينين : حركة التحرر الوطنى »

والدكتور مصطفى أمين ــ الذى ننشر بحثه هنا ــ هو عضو لجنة التضامن الاسيوى الافريقى السورية وأحد المناضلين التقدميين فى سوريا

أيها الاصدقاء :

اسمحوا لى ان اوجه تحية عربية صادقة الى لجنة التضامن والى أكاديمية العلوم السوفيتية على ما بذلته من جهود لتنظيم وانجاح هذه الندوة الهامة بالنسبة لشعوبنا ولحركة التحرر الوطنى كلها .

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحركة التحرر الوطنى ، حركة كفاح الشعوب المظلومة والمضطهدة فى سبيل حريتها واستقلالها وحقها فى تقرير المصير ، ما زالت تشتد وتتعاظم حتى شملت أبعد المناطق وأصغر الشعوب فى القارات الثلاث •، ومنذ حوالى عشرين سنة وحركة التحرر الوطنى تحتل مكانا بارزا على مسرح الاحداث العالمية

بصفتها احدى قوى التقدم العالمية الكبرى فى معركة الخلاص من الامبريالية والاستعمار الجديد وكل اشكال العبودية والاستثمار • ورغم الصعوبات التى اعترضت طريق حركة التحرر ورغم النكسات التى تعرضت لها ، فان خطها البيانى مازال يسير فى صعود مستمر ، لقد تغيرت لوحة العالم تغييرا جذريا عما كانت عليه فىنهاية الحرب العالمية الثانية ، وتغيرت أكثر بكثير عما كانت عليه عشية انتصار ثورة اكتوبر المجيدة،لقد تحرر اكثر من مليار ونصف مليار انسان من شعوب المستعمرات • ولم يبق تحت القيد الاستعماري سوى اقل من خمسين مليون انسان . لقد صدق لينين حين قال « ان يقظة آسيا وشروع البروليتاريا المتقدمة فى أوروبا بالنضال فى سبيل السلطة يرمزان الى مرحلة جديدة فى التاريخ العالمى بدأت فى أوائل القرن العشرين » • وخلال هذه المرحلة الجديدة اجتاحت حركة التحرر الوطنى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية كاعصار هائل يدك ركائز وقواعد الامبريالية بدءا من فيتنام ، قدوة نضال الشعوب فى عصرنا ومرورا بفلسطين والشرق الاوسط حتى انجولا وموزامبيق وانتهاء بالمكسيك وفنزويلا والارجنتين • فحققت آمال لينين الذى يعتبر بحق مرشدها الكبير ومعلمها فى الكفاح •.

ان تعاليم لينين وأفكاره العظيمة كانت وستبقى المنهل والمنبع لحركة التحرر الوطنى ، فهو الذى تنبأ بها وبقواها وامكانياتها الضخمة ، فهو الذى قال « ويوم الغد فى التاريخ العالمى سيكون اليوم الذى تفيق فيه بصورة تامة الشعوب المستيقظة والتى تظلمها الامبريالية وتبدأ بخوض المعارك الفاصلة الطويلة والقاسية فى سبيل تحررها ، « وقال ايضا » فى مقالته : (**اوروبا المتأخرة وآسيا المتقدمة**) « فى كل صقع من اصقاع آسيا تنمو حركة ديمقراطية قوية ، وتتسع وتتوطد ، فمئات الملايين من الناس تستيقظ للحياة وللنور وللحركة ، وياله من ابتهاج تبعثه هذه الحركة العالمية فى قلوب جميع العمال الواعين الذين يعلمون ان الطريق الى الاشتراكية يمر عبر الديمقراطية، وما اشد شعور العطف الذى يكنه جميع الديمقراطيين الشرفاء لاسيا الفتية » •.

ان تعاليم لينين تحولت الى لهيب ثورى يؤجج عواطف وارادة الملايين من شعوب المستعمرات ، ويدفعها الى خوض معارك الاستقلال غير مبالية بالتضحيات ، لقد ورد فىتقريره امام المؤتمر الثانى للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق « اننى اعتقد بان ما حققه الجيش الاحمر ، ان نضاله وتاريخ انتصاره سيكون بالنسبة لجميع شعوب الشرق ذا أهمية عالمية قصوى ، فهو يظهر لشعوب الشرق ان الحرب الثورية التى تشنها الشعوب المظلومة ، مهما بلغت هذه الشعوب من الضعف ومهما بدا ان قوة الظالمين الاوربيين الذين يستخدمون فى القتال جميع معجزات التكتيك والفن العسكرى لا تقهر ، تنطوى مع ذلك اذا ما ايقظت فعلا الملايين من الكادحين والمستثمرين ـ على امكانيات وعلى معجزات تجعل تحرير شعوب الشرق فى الوقت الحاضر أمرا ممكن التحقيق من الناحية العملية كل الامكان ، لا من وجهة نظر آفاق الثورة العالمية فحسب ، بل ومباشرة أيضا من وجهة نظر التجربة العسكرية التى جرت فى آسيا ، فى سيبيريا من قبل الجمهورية السوفيتية التى غزتها جميع البلدان الامبريالية القوية » • اليس ما قاله لينين قبل خمسين سنة هو صورة ناطقة لما يجرى اليوم فى الفيتنام البطلة ، ولما جرى ويجرى فى بلادنا العربية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية •

لقد كان لينين فى نفس الوقت صديقا وفيا لجميع الشعوب المظلومة والمستعبدة ، دافع بكل قواه وباخلاص عن حقها فى حريتها بتقرير مصيرها ، وفى انشاء دول قومية مستقلة ، وخاض فى سبيل ذلك معارك نظرية واسعة وعميقة ، فقد كتب فى احدى مقالاته فى هذا الموضوع عام ١٩١٤ « ان المقصود بحرية الامم فى تقرير مصيرها هو انفصالها كدول عن مجموعات أخرى ، هو بالطبع تاليفها دولا قومية مستقلة » وجاء فى مقال آخر فى الموضوع نفسه ما يلى « ولهذا يترتب على الاشتراكيين الا يطالبوا فقط بتحرير المستعمرات فورا دون قيد او شرط ودون أى تعويض، والواقع ان هذا المطلب بتعبيره السياسى ليس سوى الاعتراف بحق حرية تقرير المصير ، انما ينبغى عليهم أيضا أن يؤيدوا ويساندوا بأشد العزم والتصميم العناصر الاكثر ثورية فى حركات التحرر الوطنى البورجوازية الديمقراطية فى هذه البلدان ، وان يساعدوا فى قيام ثورتها وفى نشوب حربها الثورية ـ عند الاقتضاء ـ ضد الدول الامبريالية التى تضطهدها » •

تنظيم الجماهير

لقد كانت افكار لينين نورا كشف للشعوب المظلومة طريق النجاة ودلها على ما يضمن لها النصر ، فقد ركز انتباهها حول أمرين رئيسيين لضمان انتصار ثورتها التحررية .. وهما أمران متلازمان ويكمل احداهما الاخر .

اولهما ، تنسيق الكفاح الذى تخوضه الشعوب المظلومة والمستعمرة مع كفاح البروليتاريا فى البلاد المستعمرة **وثانيهما** اقامة الجبهة الوطنية فى الداخل بالنسبة لكل شعب من هذه الشعوب . لقد أوضح لينين ذلك فى التقرير الذى قدمه الى المؤتمر الثانى للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق بما

يلى : « وينبغى عليكم فى الوقت نفسه أن تشقوا طريقكم الى جماهير الكادحين والمستثمرين فى كل بلد من البلدان . وان تعلنوا لها باللغة التى تفهمها انه لا سبيل الى الخلاص غير سبيل انتظار الثورة العـــالمية ، وان البروليتاريا العالمية هى الحليف الوحيد لجميع جماهير الكادحين ولمئات الملايين من المستثمرين من شعوب الشرق » .

وكتب لينين فى رسالته الى الجمعية الثورية الهندية عام ١٩٢٠ « ان النجــاح النــهائى يتوقف على حسن تنظيم الكادحين ، على نظام الطاعة فى صفوفهم ، وعلى رباطة جأشهم وتضامنهم مع الكادحين فى العالم كله. اننا نحيى التحالف بين المسلمين وغير المسلمين ونرجو باخلاص أن يشمل هذا التحالف جميع الكادحين فى الشرق » .لقد كان لينين بالذات هو الذى طرح شعار يا عمــال العالم ويا أيها الشعوب المضطهدة اتحدوا) .

مصاعب الطريق

لقد درس لينين أيضا وبعمق القضايا الرئيسية للشعوب المتخلفة ونبهها الى الصعوبــات التــى ستجابهها فى نضالها ، وعلق اهمية خاصة على العناية بالفلاحين لان هذه البلدان لا تعتمد على البروليتاريا الصناعية فى نضالها ، بل تعتمــد أساسا على طبقة الفلاحين .

يقول لينين«اما فيما يتعلق بالدول والامم الاكثر تخلفا ، حيث تسيطر علاقات ذات طابع اقطاعى ، فينبغى أن يكون ماثلا فى الذهن على الاخص ضرورة الدعم الخاص لحركة الفلاحين فى البلدان المتخلفة ضد الاقطــاعيين ، ضـــد كبار المــلاك العقاريين ، ضد جميع مظاهر او بقايا الاقطاعيــة والعمل على اعطاء حركة الفلاحين الطابع الاكثر ثورية بتحقيق اوثق اتحاد ممكن بين البروليتاريا الشيوعية فى اوروبا الغربية ،وبين الحركةالثورية للفلاحين فى بلدان الشرق وفى المستعمرات ، وفى البلدان المتخلفة عموما » .

ولعل من أهم المنجزات اللينينية التى دعمها وايدها التطبيق الواقعى حتى اليوم ، والتى اعلنها لينين فى المؤتمر الثانى للاممـيــة الشـــيوعيــة قائلا « على الاممية الشيوعية ان تبين وان تعلل علميا واقع أن الشعوب المتخلفة تستطيع بمساعدة بروليتاريا البلدان الطليعية الانتقال الى النظــام السوفيتى، وعبر بعض مراحل التطـور الى الشيــوعية ، دون المـرور بمـرحلة التطــور الرأسمالى.»

على هذه الاسس بالنسبة لحركة التحرر الوطنى قامت وانتصرت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وعلى هدى الافكار والمبادىء اللينينية ، ســارت بحزم السياسة السوفيتية حيــال الشــعوب المضطهدة والمظلومة والمستعمرة بما فى ذلــك الشعوب العربية .

وطن لينين ... والعرب

ان الطريق الذى سار عليه الاتحاد السوفيتى فى دعمه ومساعدته الهـائلة للشعوب العربيـة خلال مراحل كفاحها من أجل حريتها واســتقلالها السياسى وبناء اقتصادها الوطنى ، هــو نفــس الطريق الذى سلكه حيال بقية شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية التى تكافح من أجل حقها فى حرية تقرير المصير وتوطيد سيادتها واختيار النظام الذى ينسجم مع مصالحها .

لقد بدأت ثورة أكتوبر علاقاتها الجديدة مع شعوب الشرق بما فيها شعبنا العربى ، عن طريق الرسالة التاريخية الشهيرة التى وجهتها الحكومة السوفيتية فى كانون الاول ١٩١٧ الى العرب والفرس والهنود والاتراك ، معلنة أن جميــع المعاهدات السرية الاغتصابية التى وقعتهـــا القيصرية والحكومة المؤقتة أصبحت ملغاة ، وان جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها الدول الامبريالية حول تقاسم اراضى تركيا وايران والبلاد العربية هى « من الان فصاعدا منقوضة وباطلة وان لشعوب هذه البلدان حقها فى تقرير مصيرها » .ان العرب ليذكرون بامتنان وتقدير أن حكومة لينين هى التى فضحت معاهدة سايكس بيكو الاستعمارية الشهيرة ، ولا يمكن للشعوب العربية ان تنسى التأييد الكبير الذى منحته ثورة اكتــوبر المجيدة للثورات العربية الاولى كثورة ١٩١٩ فى مصر وثورة ١٩٢٥ فى سوريا وثورة الريف فى المغرب وغيرها من الثورات والانتفاضات التى قامت بوجه الاحتلال الاستعمارى ، منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى ، كما لا يمكن لشعوبنا العربية أن تنسى أن استقلال سوريا ولبنان وجلاء الجيوش الانجليزية والفرنسية عنهما تم بفضل نضال شعبى البلدين ودعم الاتحاد السوفيتى وخاصة فى مجلس الامن حين احبط مؤامرة بيفن ــ بيدو الشهيرة .

لقد واصل الاتحاد السوفيتى دون توقف دعمه للبلدان العربية . فقد وقف تلك الوقفة الصامدة الشهيرة ابان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وكان لذلك اثر كبير وحاسم فى ارغام المستعمرين على الجلاء . كما كان الحال فى ارغام المتدخلين الامبرياليين الامريكيين والانجليز عــام ١٩٥٨ على الانسحاب من لبنان والاردن ، ووقف وقفة الصديق المخلص الى جانب العرب حينما شنت اسرائيل بــدعم وتشــجيع الامبــريالية

والصهيونية، عدوانها على الاقطار العربية الثلاث •

فقد قام الاتحاد السوفيتي بفضح مشاريع المستعمرين ومؤامراتهم ضد الاقطار العربية وساعد على احباطها ، وكان بمواقفه هذه وفيا مخلصا للمبادىء اللينينية السامية •.

وبفضل هذه السياسة المبدئية الثابتة الحازمة غدت افكار لينين في عصرنا قوة لا تقهر وتخلق العالم خلقا جديدا • وكما وقف الاتحاد السوفيتي يؤيد باخلاص كفاح الشعوب حتى انتزعت استقلالها السياسي ، فهو يعمل دون انقطاع على تقديم المساعدات الكبيرة المنزهة وغير المشروطة لبناء استقلالها الاقتصادي مستلهما ما قاله لينين ردا على أيديولوجي البرجوازية « يتحدثون عن التحرر الوطني ، ويضربون صفحا عن التحرر الاقتصادي مع ان هذا الاخير هو الامر الرئيسي في الواقع »

لقد وقف الاتحاد السوفيتي الى جانب بلداننا العربية - سورية ومصر والعراق والجزائر - عندما بدأت معركة تصفية المواقع الاقتصادية الامبريالية وتنكيس النفوذ الاستعماري • ووقف الاتحاد السوفيتي مع شعوبها أيضا عندما بدأت مرحلة الانعطاف الجديد في بناء اقتصادها على اساس غير رأسمالي ، فدعم الانظمة التقدمية في البلدان العربية ووقف معها ضد مكائدالامبريالية ومؤامرات الاقطاع والرأسمالية والرجعية على اختلاف اشكالها ومذاهبها •

سوريا والتعاون الاقتصادي

ان العلاقات الاقتصادية بين سوريا العربية والاتحاد السوفيتي هي مثال حي للعلاقات الاقتصادية الدولية التي ترتكز أساسا على وحدة المصالح الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطني في النضال ضد الامبريالية والاستعمار الجديد • وليسمح لي بأن أعطي بعض التفاصيل عن تطور العلاقات الاقتصادية السوفيتية السورية خلال السنوات العشر الاخيرة : زاد حجم التبادل التجاري بين سوريا والاتحاد السوفيتي من ٨,٨ مليون روبل عام ١٩٥٧ الى ٤٧,٢ مليون روبل عام ١٩٦٧ وبموجب الاتفاقية المعقودة بين البلدين لعام ١٩٥٧ والتي تجددت على مراحل يقوم الاتحاد السوفيتي بناء سد عظيم على نهر الفرات في سورية مع محطته الكهربائية ، مع وضع مصور الاستخدام الكامل لنهر الفرات ومشروع كامل لتنظيم الري •، ولاول مرة في تاريخ سورية قام الخبراء السوفيت ، بدراسة كل أراضي سورية دراسة جيولوجية مفصلة ،وكان الفضل لخبراء السوفييت باكتشاف منابع ضخمة للبترول في سورية كما اكتشفوا العديد من المعادن والثروات الدفينة في الاراضي السورية التي تكتم خبرها زمنا طويلا المستعمرون خدمة للشركات الاحتكارية الاستعمارية الكبرى • ويقوم الاتحاد السوفيتي في سوريا حاليا بمد سكة حديد حديثة يبلغ طولها - ٧٥ - كم •، كما تبني بمساعدة الاتحاد السوفيتي عدة مصانع هامة بالاستناد الى قروض طويلة الاجال وشروط متساهلة •

ان سد الفرات والمحطة الكهربائية والمصانع والمعامل الاخرى ستلعب دورا هاما ليس فقط على الصعيد الاقتصادي ، بل وعلى الصعيد الاجتماعي والسياسي في حياة شعبنا المقبلة ، والى جانب ذلك كله يقوم الاتحاد السوفيتي باعداد الفنيين السوريين الذين سيحلون محل الخبراء السوفيت في ادارة جميع هذه المنشات الصناعية الضخمة وقادرين على القيام بالمهمات التكنيكية والاقتصادية العالمية •

موقف ثابت

ان المساعدة الاخوية الثمينة ، والعون الاقتصادي والعسكري والدعم المادي الضخم الذي يقدمه الاتحاد السوفيتي لبلدنا وشعبنا يصير باتساع ونمو هو يعطي الدليل تلو الدليل على اخلاص بلاد السوفييت للمبادىء والافكار التي وضعها لينين لدعم حركة التحرر الوطني ، والتي ظل الحزب الشيوعي السوفيتي المجيد أمينا لها حريصا على تنفيذها وتطويرها مع تطور الظروف

قال الرفيق بريجينيف الامين العام للحزب الشيوعي السوفيتي ورئيس وفده الى مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الذي انعقد في موسكو في حزيران الماضي « ان الاتحاد السوفيتي يشغل مع البلدان الاشراكية الاخرى موقعا فعالا نشيطا على الجبهة الواسعة ذات الغليان المتواصل لحركة التحرر الوطني • ويقدم تأييدا سياسيا قويا ومساعدة معنوية ومادية للشعوب المناضلة فيسبيل

تحررها ، وسيواصل الاتحاد السوفيتي في المستقبل تقديم مساعداته العسكرية والاقتصادية الفعالة ودعمه المعنوي والسياسي للشعب الفيتنامي لدحر الغزاة الامبرياليين وهو يقدم وسيواصل في المستقبل ايضا تقديم المساعدة المتعددة الاشكال للبلدان العربية ضحايا العدوان » . ان الامثلة المختصرة التي أعطيتها عن مساعدات الاتحاد السوفيتي لسوريا وعن التعاون الصادق بين شعبينا هو صورة لما يقدمه وطن لينين لحركة التحرر الوطني العربية سواء في مصر ، او في العراق ، اوفي الجزائر ، أوفي السودان ، اوفي اليمن الجنوبية والشمالية ولغيرها من الاقطار العربية .

ان هذا الدعم الذي يقدمه الاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية الاخرى لحركة التحرر الوطني العربية يتناسب مع المهمات الكبرى التي تضطلع بها هذه الحركة في المعركة الكبرى التي تخوضها ضد الامبريالية والصهيونية دفاعا عن سيادتها وحقها في تقرير المصير ، حقها في التطور وقبر مخلفات العهود الماضية ، دفاعا عن قضية شعوب العالم في الحرية والعدالة الاجتماعية .

ان حركة التحرر العربية تقف في الصف الامامي لحركة التحرر الوطني العالمية وتجابه في جبهة رئيسية الامبريالية وحليفتها الصهيونية بجرأة وبسالة ، وهي تكيل لها اللطمات وتكنس مواقعها وقواعدها الواحدة تلو الاخرى من الارض العربية ، فبعد الانفجار الثوري في السودان فوجيء المستعمرون بانفجار تقدمي ثوري في ليبيا . ان الارض العربية تغلي ، وهي حبلى بانفجارات ثورية أخرى قريبة ، ولن تتوقف حركة التحرر العربية حتى تنظف الارض العربية من رجس المستعمرين من قواعدهم وامتيازاتهم ونفوذهم ومن نفوذ الفئات الرجعية الداخلية حاكمة او غير حاكمة الضالعة معهم ، وحتى تزيل آثار العدوان الاسرائيلي الصهيوني ، وتنظف الارض العربية من جرائم الغزاة الصهاينة ، وحتى تستعيد ثروات العالم العربي الضخمة التي تنهبها الاحتكارات البترولية وغيرها لتنعم بها الجماهير العربية الكادحة .

لينين .. وأفكار الصهيونية

ان النضال الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني لاستعادة حقوقه ولتقرير مصيره ضد الغزاة الصهاينة هو نضال مشروع وعادل ، هو جزء من حركة التحرر الوطني العالمية ، فمنذ عام ١٩٠٣ كان لينين يؤكد على أن الفكرة الصهيونية « باطلة ورجعية بصورة مطلقة من حيث جوهرها » .

ان الصهيونية اليوم باستنادها الى الدعم المتعدد الوجوه من جانب قوى الامبريالية قد اكتسبت سمات اكثر رجعية مما صورها لينين . ان الصهيونية اليوم هي عدو غدار للاممية وللصداقة والاخوة بين الشعوب ومهمات الصهيونية العالمية المتحالفة مع الامبريالية هي تخريب حركات التحرر الوطني والتآمر على الانظمة الاشتراكية وضربها من الداخل ، وقد اصبحت دولة اسرائيل مركزا للتآمر الصهيوني وقاعدة لاشرس قوى الامبريالية الدولية عدوانية في الشرق الادنى ، واداة بيد الاحتكارات الامبريالية والصهيونية ، تتسلل عن طريقها الى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية وشريكة متضامنة مع الدول العربية العنصرية في افريقيا الجنوبية وغيرها .

ومنذ عام ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ واسرائيل ماضية في التوسع واحتلال الاراضي العربية ، وفي التنكيل بالسكان العرب العزل وبارتكاب جرائم فاقت بوحشيتها جرائم النازية ، وقديما بلغ الامر باعضاء (البوند) والبرجوازيين اليهود الذين اثار حنقهم في حينه رد لينين الحازم ، الحاكم على أفكار الصهيونية أن اتهموه ظلما بمعاداة اليهود ، الا أن هذا لم يمنع لينين من متابعة نضاله ضد التعصب القومي وضد الصهيونية . ان كفاح الشعوب العربية ضد الصهيونية وضد قاعدتها اسرائيل ينسجم ويلتقي تماما مع المبادىء اللينينية الحكيمة ، فهو نضال ضد الصهيونية الامبريالية وضد النازية الجديدة والغزو الصهيوني ، وليس أبدا نضال ضد اليهود لا كعنصر ولا كدين .

الاشتراكية .. والتحرر الوطني

وخلال مراحل الكفاح الطويل ، خلال الانتصارات والنكسات اغتنت حركة التحرر العربية بعناصر وقوى وطنية جديدة ، فقد أصبحت تضم بين صفوفها العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، وبعض فئات البرجوازية الوطنية الصغيرة ، وتداخلت مهمات حركة التحرر العربية الوطنية بمهمات الاجتماعية الجديدة تداخلت مهمة

انجاز مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي مع مهمة مرحلة التطور الاجتماعي الذي ستمهد الطريق لاقامة البناء الاشتراكي .

هنا ايضا نرى كيف تتحقق نبوءة لينين ان سورية ودولا عربية اخرى ودولا غيرها من العالم الثالث بعد ان وطدت استقلالها السياسي واخذت تبنى اقتصادها الوطني نراها تسلك طريق التطور اللارأسمالي ، ان حركة التحرر الوطني العربية كما قال قرار المؤتمر العمالي العالمي للاحزاب الشيوعية في يونيو (حزيران) الماضي « تلعب دورا بارزا في النضال ضد الامبريالية العالمية ، وهي تمارس تأثيرا ايجابيا على كل الحركة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد في الشرق الاوسط وافريقيا ». ويشكل نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية وضد العدوان الاسرائيلي جزءا لا يتجزأ من الصراع العام بين قوى الحرية والاشتراكية في العالم بأسره من جهة ، والامبريالية العالمية من جهة اخرى » .

لقد تعاظم دور حركة التحرر الوطني لشعوب العالم الثالث في الحركة الثورية العالمية ، واصبحت الامبريالية عاجزة عن سحقها وخنقها ولذلك فهي تبذل جهودا هائلة وتسلك مختلف السبل الماكرة وتلبس شتى الاقنعة بهدف اضعاف هذه الحركة من الداخل وبلبلة صفوفها وتقسيمها بوجه خاص لاضعاف اواصر الصداقة والتعاون والتضامن التي تربطها بنصيرها الكبير الاتحاد السوفيتي وبالمنظومة الاشتراكية وبحركة البروليتاريا العالمية .

قال لينين في حينه « من ديالتيك التاريخ ان انتصار الماركسية النظرى يجبر اعدائها على ارتداء لباس الماركسية » وبمقدار ما تتوطد قلاع الماركسية اللينينية وتتسع صفوفها ، بمقدار ما يزداد مكر الدعاية الامبريالية ووقاحة دعاة الثورية والماركسية المزيفة ، وما اكثر الاسماء التي ترددها وتدعو لها أجهزة الاعلام الغربية كاليساريين الجدد والشيوعيين المتطرفين والماركسيين واللينينيين الجدد الخ .. ان النضال ضد هذه الافكار الماكرة المخادعة التي تحيط بحركة التحرر الوطني لا يقل أهمية عن النضال ضد الافكار الامبريالية والرجعية التي تجابهها مباشرة ، ومن اساليب هذه الدعاية الماكرة ما يقوله اعداء حركة التحرر الوطني اجمالا :

١ - ان حركة التحرر الوطني كقوة جبارة تستطيع بمقدرتها وحدها ان تجابه الامبريالية ، وتقضي عليها وهي ليست بحاجة الى مساعدة من أى جهة كانت » .

٢ - ان الماركسية اللينينية مناهضة للقومية ولذلك فهي تتعارض مع حركة التحرر الوطني التي تقوم على أساس اقامة دول قومية جديدة .

٣ - ان الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى تعمل للتعايش السلمي مع امريكا والدول الامبريالية الاخرى ولذلك لا تساعد الدول المكافحة الا ضمن حدود معينة .

٤ - وتلتقي مع هذه الدعاية الامبريالية نظريات الماوتسوية الاخيرة التي تستهدف موقف الاتحاد السوفيتي كصديق وفي لحركة التحرر الوطني العالمية حين تحال قسمة العالم الى دول فقيرة ودول غنية ، او الى القرية العالمية والمدينة العالمية او قسمة العالم الى شرق وغرب .

الاشتراكية .. والنضال القومي

ان حركة التحرر الوطني تلعب دورا هائلا في الصراع ضد الامبريالية وهو يتعاظم باستمرار. ولكن ماذا كان مصير هذه الحركة لو كانت فعلا تقف وحدها أمام الامبريالية الامريكية والقوى الاستعمارية الاخرى . ماذا كان مصيرها لو لم يقف الاتحاد السوفيتي بقواه الجبارة يحمي ظهرها ويردع المستعمرين ويمدها بجميع وسائل القوة العسكرية والاقتصادية الى جانب الدعم المعنوي في المحافل الدولية . الم يكن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ دليلا بليغا على دور الاتحاد السوفيتي الحاسم وفي الدفاع عن حركة التحرر ولجم قوى العدوان . ان قوة حركة التحرر الوطني مستمدة من كونها تشكل جزءا من التيار العالمي المعادي للامبريالية ، والذي يقف في صفوفه الاولى المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي. أما القول بان الماركسية اللينينية مناهضة للقومية فتكذبها أقوال لينين منذ مطلع هذا القرن حيث قال « ان في كل قومية برجوازية للامم المضطهدة محتوى ديموقراطيا عاما ضد الاستعمار » .

ان محتوى القومية العربية الذي يعيش ويتطور

وينمو هو المحتوى التقدمي الديموقراطي المعادي للامبريالية ، وان العديد من الاحزاب القومية تنهج نهجا تقدميا وتتبنى فى برامجها نظرية الصراع الطبقي والاشتراكية العلمية ، وان التلاقى فى النضال ضد الامبريالية ومن أجل الاشتراكية بين الاحزاب الشيوعية العربية وغير العربية والقوى والاحزاب القومية يتسع وينمو باستمرار .

اما بالنسبة للتعايش السلمى الذى ينادى به الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية فقد جاء فى الوثيقة الصادرة عن مؤتمر الاحزاب الشيوعية المنعقد فى يونيو (حزيران) الماضى فى موسكو ما يلى : « ان سياسة التعايش السلمى لا تتناقض وحق الشعوب المضطهدة فى أن تستخدم فى النضال من أجل حريتها الطريق التى تعتبره ضروريا مسلحا كان أم غير مسلحا ، ولا تعنى بحال من الاحوال تدعيم الانظمة الرجعية » وأكد المؤتمر بشكل جازم، أن التعايش السلمى لايعنى المحافظة على الوضع الاجتماعى والسياسى القائم ولا يعنى أضعاف النضال النظرى « الفكرى » فلا مجال للتعايش السلمى حيث يكون الامر نضالا طبقيا ونضالا من أجل التحرر الوطنى فى البلدان الراسمالية او فى المستعمرات . ان مبادىء التعايش السلمى لا مجال لها فى المعركة القائمة بين المضطهدين من الغزاة ، والمدافعين عن اوطانهم ، وبين المستعمرين وضحايا الاستعمار. ان هدف مبدأ التعايش السلمى هو تخفيف حدة التوتر الدولى وتحاشى حرب ذرية لا يعلم احد مدى أهوالها . أما الشعارات التى تستهدف توجيه نضال شعوب العالم الثالث على اساس قسمة العالم الى أغنياء وفقراء أو شرق وغرب فليس لها من هدف سوى حرف نضال هذه الشعوب عن الخط الثورى الصحيح ، وضرب القوى الثورية العالمية الثلاثة ببعضها ، واضعاف تأثير واشعاع المبادىء الاشتراكية فى العالم الثالث ، وكل ذلك يخدم بصورة مباشرة ، او غير مباشرة اهداف الامبريالية ومخططاتها ، كما يخدم الصهيونية والرجعية . ان على حركة التحرر الوطنى والقوى التقدمية ان تناضل ضد كل هذه الدعايات الماكرة وان تكشف زيفها ، وان تقضى على اهدافها الحقيقية .

أيها الاصدقاء :

ان الحزب الشيوعى فى سوريا الذى لعب دورا بارزا فى حركة التحرر الوطنى وفى دفع عجلة التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى فى سوريا قد استرشد دائما بالمبادىء الماركسية اللينينية ،وقد عمل وسيعمل بتفان واخلاص لتوطيد الصداقة العربية السوفيتية حجر الزاوية فى انتصارات شعبنا ولتدعيم حركة التحرر العربى وحركة الوحدة العربية ودعم المقاومة العربية الفلسطينية ضد الصهيونية والنازية الجديدة فى اسرائيل ، وسيدعم بكل قواه الحركة التحررية العالمية .وقد بذل جهودا كبرى وسيبذل فى المستقبل ايضا بالتعاون مع جميع العناصر والقوى التقدمية من أجل أحباط مؤامرات المستعمرين ورد عدوان اسرائيل وتحرير الارض المغتصبة ، وازالة آثار العدوان ومن أجل صيانة النظام التقدمى وحماية للمكتسبات الاجتماعية والتحولات الاقتصادية العميقة . وقد عمل وسيعمل دائما دون كلل من أجل اقامة الجبهة الوطنية التقدمية ومن أجل نشر وتوسيع الحريات الديموقراطية للجماهير وللقوى التقدمية .

لقد ورد فى التقرير السياسى الذى قدمه الامين العام لحزبنا باسم اللجنة المركزية الى المؤتمر الثالث للحزب حول مهمة حركة التحرر الوطنى فى سوريا فى الظرف الراهن ما يلى : ان مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية تتداخل مع مرحلة انجاز المقدمات الضرورية للسير نحو الاشتراكية ، أى بكلمة ان هدف استكمال التحرر الوطنى وهدف التحرر الاجتماعى قد امتزجا وتداخلا حتى يمكن القول أنه لم يعد من الممكن انجاز احدهما دون الاخر ،بل اصبح انجازهما عملية واحدة ،هى عملية استكمال التحرر الوطنى والاجتماعى فى سوريا، ولتحقيق هذه المهمات ، لان ذلك لا يمكن أن يجرى عفوا وبشكل اوتوماتيكى ، وفقط بفصل قوانين التطور الاقتصادى ،لابد من تحقيق الشروط التالية :

١ ــ اطلاق الحريات للعمال والفلاحين وسائر الكادحين وفتح المجال لمبادراتهم ومراقبتهم واشرافهم على الانتاج والتوزيع واطلاق الحريات للقوى والاحزاب المؤمنة بالاشتراكية .

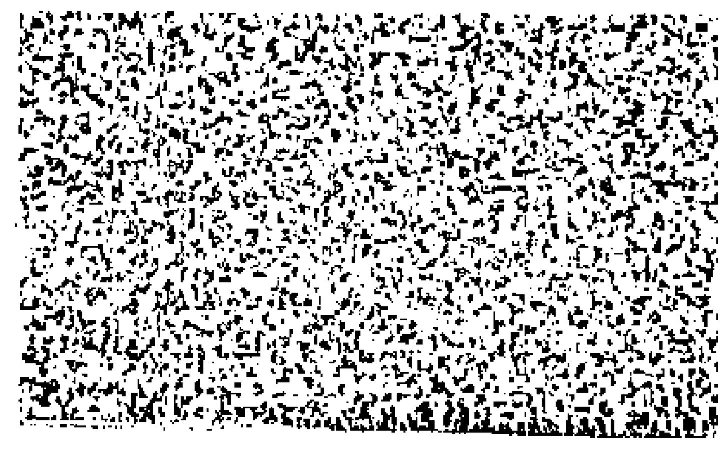
٢ ــ جبهة وطنية تقدمية منظمة شاملة ، وليس تعاونا بسيطا فقط بين البعثيين اليساريين والشيوعيين وسائر اليساريين فى جميع الحركات الوطنية التقدمية .

٣ ــ ان يتطور ويزداد اثرا فى تحديد السياسة العامة للبلاد، وفى سير الحكم، وزن الطبقة العاملة المتحالفة مع جماهير الفلاحين وسائر الكادحين وذلك على هدى وعلى أساس تعاليم الاشتراكية العلمية .

أيها الاصدقاء الاعزاء :

لقد دار دولاب الزمن ، وانتقلت شعوب آسيا ومعها شعوب افريقيا وامريكا اللاتينية من الغد الذى تحدث عنه لينين الى اليوم الذى نعيشه الى اليوم الذى ترتفع فيه رايات الاشتراكية ، رايات الماركسية اللينينية فوق اربعة عشر بلدا يقطنها اكثر من ثلث سكان المعمورة ، وحيث تحرر من نير العبودية الاستعمارى معظم شعوب القارات الثلاث وحيث يشتد النضال الطبقى بين البروليتاريا العالمية والرأسمالية العالمية فى عقر دار الامبريالية العالمية . اليوم الذى يشتد فيه تلاحم هذه القوى الثورية التقدمية الثلاث فى تيار واحد جبار يسير بحزم للقضاء النهائى على كل أثر للاستعمار وللاستعباد وللاستغلال .

ان نبوءات لينين : « نبوءات القلوب الكبيرة تتحقق بدقة وجلال » كما قال اناتول فرانس .



حــول أفــكار ومــواقف حركة المقاومــة الفلســطينية

لطــفى الخــولى

تقدم لطفى الخولى الى الندوة ببحث نظرى بعنوان « ملاحظات عن حركة التحرر الوطنى فى ضوء أفكار لينين » . وهو البحث الذى قررت الطليعة نشره ضمن العدد الخاص الذى سوف تصدره عن لينين فى ابريل ١٩٧٠ .

كما تقدم أيضا « بورقة سياسية» للندوة عرض فيها لفكر ومواقف المقاومة الفلسطينية باعتبارها حركة تحرر وطنى تنتمى الى حركة التحرر العربية التى تنتمى بدورها الى الحركة العالمية المعادية للامبريالية والعنصرية وهى الورقة التى ننشرها اليوم ضمن ما سنوالى نشره من أعمال الندوة .

أيها الاصدقاء :

فى الطريق الى هذه الندوة التى تنعقد على ارض لينين فى ذكرى ميلاده المئوى ، اجتمعت بممثلين عن حركة المقاومة للشعب الفلسطينى وقد حملونى اليكم بعضا من الخطوط الرئيسية لفكرهم النظرى ومواقفهم العملية فى مواجهة الامبريالية والصهيونية . ان حركة المقاومة الفلسطينية التى تنتظم معظم فصائلها اليوم ــ باستثناء الجبهة الشعبية ــ فى منظمة التحرير ، تحتل فيها « فتح » مركز العمود الفقرى ، ترى انه اذا كانت لحركة التحرر الوطنى فى كل بلد عربى على حدة خصوصيات ومميزات تنبع عن الظروف الخاصة لهذا البلد ودرجة تطوره الخ . فان لها فى النهاية سمات عامة مشتركة ، تصهرها فى اطار واحد واتجاه عام نحو أهداف مشتركة .

وحركة التحرر الوطنى العربية المعاصرة تتفجر فى منطقة جغرافية وتاريخية بالغة الاهمية فى مصير العالم ، فهى منطقة تتصل اتصالا مباشرا

بكل من أوربا وآسيا وأفريقيا ، وهى مهد لحضارات عريقة ، وارض تفاعل مع حضارات الانسانية كلها دون ما تعصب ، وهى أيضا مطمع مستمر للامبريالية والاستعمار القديم والجديد ، بسبب موقعها الاستراتيجى وثرواتها الطبيعية الهائلة .

ومن هنا تواجه حركة التحرر العربية تعقيدات بالغة ·

فهى من ناحية ، فى عدائها للامبريالية تواجه بقايا ومخلفات الاستعمار القديم فى عدد من البلاد يتمثل فى القواعد العسكرية والاحتكارات ·

وتواجه فى نفس الوقت الاستعمار الجديد بقيوده وارتباطاته المالية والاقتصادية فى عدد آخر من البلاد .

وعلاوة على ذلك تواجه استعمارا استيطانيا عنصريا مدعما من القوى الامبريالية قامت به الحركة الصهيونية لفلسطين ، لتتخذ من اسرائيل بعد ذلك قاعدة عسكرية عدوانية ضد حركة التحرر العربى عامة والحقوق القومية للشعب الفلسطينى خاصة ·

وهى من ناحية أخرى تواجه القوى الرجعية العربيه المتمثلة فى الاقطاع والرأسمالية الكبيرة أساسا ، سواء أكانت ـ ما تزال ـ مسيطرة على السلطة فى بعض البلاد ، أو جيوبا لقوى الثورة المضادة فى النظم التقدمية ، وتواجه فى نفس الوقت التخلف الاقتصادى المتفاوت الدرجات وما ينتج عنه من تخلف فى الوعى الفكرى والتنظيمى .. الخ ..

وقد استطاعت الحركة التحررية العربية ، رغم هذا كله ، أن تحقق منذ الخمسينات حتى اليوم تقدما بالغا . بحيث يمكن القول أنها أصبحت القوة الاكثر فاعلية فى اطار الصراع التحررى ـ الامبريالى فى المنطقة · كما أصبحت أيضا تملأ الكفة الراجحة فى ميزان الصراعات بين القوى التقدمية والقوى الرجعية سواء على مستوى كل بلد عربى على حدة أو على مستوى الوطن العربى كله ·

كما أنه من الملاحظ أن القوى العربية التقدمية المتجهة فكرا وعملا ـ نحو الاشتراكية قد بدأت منذ الستينيات تكتسب مزيدا من القوة والفاعلية والتأثير على مجرى الحركة ، وذلك بالنسبة للقوى العربية الاصلاحية وذات الافكار الاشتراكية الطوباوية والوطنية العنصرية التى تتولد بالضرورة عن البرجوازية الصغيرة ·

ولقد نتج هذا كله عن عوامل موضوعية تهيأت الظروف المحلية والعالمية لانضاجها منذ الستينات · ويمكن أن نركزها فيما يلى :

أولا : عدم وقوف حركة التحرر العربية المعاصرة عند الاستقلال الشكلى السياسى الذى حذر منه لينين ، وانما عمدت الى ربطه بالاستقلال الاقتصادى . وفى مواجهتها لمسئولية تحقيق الاستقلال الاقتصادى كان لابد وأن تصطدم بالاحتكارات الاستعمارية من ناحية وبالرأسمالية من ناحية أخرى . ثم بالقوى الطبقية الداخلية التى تعتمد عليها الاحتكارات والرأسمالية . وكذلك فان الاستقلال الوطنى استلزم منها القيام بعمليات تنمية شاملة وسريعة وخاصة فى ميدان الصناعة · وهنا واجهت ـ موضوعيا ـ قضية الخيار بين الطريق الراسمالى للتطور وبين الطريق المعادى للراسمالية والمتجه نحو الاشتراكية . وكان طبيعيا وحتميا أن تختار الطريق الثانى لانه أسرع وأكثر فاعلية وشمولا وتحررا من القيود الاستعمارية والاحتكارية .

وهذا كله ساعد فى وضوح الرؤية ، وفى تبديد الشوائب من حول الاشتراكية ، بحيث تعمق شيئا فشيئا انتهاج طريق « الاشتراكية العلمية » كصيغة وحيدة للتقدم الوطنى ، وذلك كما جاء لاول مرة فى وثيقة من وثائق حركة التحرر الوطنى المعاصرة وهى الميثاق الوطنى لقوى الشعب العامل فى الجمهورية العربية المتحدة .

ثانيا : تحقق ما الح عليه لينين بشدة ، من تحالف وثيق بين الثورة الاشتراكية والبروليتاريا العالمية وبين حركة التحرر الوطنى العالمية · بحيث يمكن القول أن هذا التحالف القائم الان بين حركة التحرر الوطنى والدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، هو نموذج صحى ومشرق لمدى ما يحققه هذا التحالف من مكاسب تاريخية ضد الامبريالية والرأسمالية والتخلف ·

ثالثا : نمو طبقة عاملة عربية متزايدة الوزن ـ كما وسياسيا ووعيا ـ فى البلاد العربية وتحالفها مع الفلاحين الفقراء والمثقفين الثوريين

في دفع وقيادة حركة التحرر الوطني العربية وذلك بدرجات متفاوتة ·

وأمام هذا كله ، كان واضحا أن مسيرة حركة التحرر الوطنى العربية المعاصرة قد تزاوجت خلالها أهداف التحرر من الامبريالية والاستعمار القديم والجديد ، بأهداف التطور نحو الاشتراكية، وتصفية النظم الاقطاعية والراسمالية فى المنطقة ·

وهنا دخلت الامبريالية بقوى جديدة وتكنيك جديد الى المنطقة فى مواجهتها لحركة التحرر الوطنى العربية ذات الاهداف المزدوجة ·

وتجسد ذلك فى الحركة الصهيونية التى اتيح لها — من ارضية امبريالية عنصرية — أن تقيم اسرائيل على اشلاء الشعب الفلسطينى ووطنه وغدت اسرائيل بذلك واقعا استعماريا ، وذلك على حد تعبير المفكر الماركسى الفرنسى المعروف ذى الاصول اليهودية ماكسيم رودنسون ·

وهذا الواقع اصبح عمليا قاعدة عسكرية فى شكل دولة ، تقوم بهدف مزدوج :

أولا : القيام بدور القواعد العسكرية العدوانية العديمة للاستعمار والتى نزلت بها الضربات القاتلة من حركة التحرر الوطنى وانتهت الى تصفيتها ، كما حدث فى مصر والعراق والجزائر الخ او قيدت حركتها الى حد بعيد كما يحدث الان بالنسبة لقاعدة هويلس بليبيا · وهذا الدور هو أولا ، فى حماية القوى الرجعية العربية العميلة للاستعمار · وثانيا ، فى العدوان على القوى التقدمية العربية، واضعافها، ان لم يكن اسقاطها.

ثانيا : تحقيق خطة الامبريالية العالمية والصهيونية فى اقامة كيان غربى مرتبط بالاحتكارات الاستعمارية فى قلب الوطن العربى · وذلك عن طريق التوسع المستمر لاسرائيل ، ببناء ما يسمى « اسرائيل الكبرى » الممتدة من النيل الى الفرات ، وتكوين ما أصبح يعرف — فى مجال السياسة الاسرائيلية — بالشرق الاوسط الصغير المكون من اسرائيل والاردن ولبنان ، ليكون قاعدة اقتصادية وعسكرية قوية ضد حركة التحرر الوطنى وعمليات تحويل المنطقة الى الاشتراكية ·

وتقدم احداث التاريخ الادلة القاطعة على ذلك . ففى كل مرة كانت الظروف مهيأة لخطوات اكثر تقدما فى حركة التحرر الوطنى العربية ، سارعت الصهيونية واسرائيل — من خلال خطة مشتركة مع الامبريالية — الى شن العدوان على الحركة العربية الثورية ·

فى ١٩٤٨ ، كانت الحركات العربية التحررية تتفجر فى اكثر من بلد عربى ضد الاستعمار ، وتوشك باندلاع ثورات داخلية فى مصر والعراق وسوريا ولبنان والسودان وغيرها · وهنا كانت حرب الصهيونية بالتحالف مع الاستعمار البريطانى — فى ظروف الغاء الانتداب — لزرع اسرائيل بالقوة فى فلسطين وتشريد شعبها ·

وفى ١٩٥٦ ، كانت حركة التحرر الوطنى العربية قد بدأت تخطو مسيرتها نحو تحقيق الاستقلال الاقتصادى وتصفية الاحتكارات الاجنبية ، وتمثل ذلك فى تأميم قناة السويس فكان العدوان الثلاثى الاسرائيلى — البريطانى — الفرنسى ·

وفى ١٩٥٦ ، كانت حركة التحرر الوطنى قد خطت خطوات هامة على طريق التحول نحو الاشتراكية والتحالف الوثيق مع القوى الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ،فكانت حرب يونيو ·

ومن هنا احتل — تاريخيا وموضوعيا — ما أصبح يعرف باسم الصراع العربى الاسرائيلى ، مركز الثقل ، فى نضال حركة التحرر الوطنى العربية بأهدافها المزدوجة (السياسية والاجتماعية) ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد ·

وأصبح مطروحا بالحاح امام قوى التحرر الوطنى من ناحية ، والقوى الاشتراكية والبروليتاريا العالمية وجميع قوى الانسانية التقدمية من ناحية أخرى ، مواجهة الاختيار بين ثلاثة اتجاهات لمواجهة وحل هذا الصراع جذريا :

أولا : الاتجاه الاشتراكى والديمقراطى الذى يعادى فكرة الجيتو ، وفكرة اللاسامية معا ، ويعمل على اندماج اليهود فى كل بلد كجزء لا يتجزأ من شعبه ·

ثانيا : الاتجاه الصهيونى العنصرى المسنود بالامبريالية العالمية لبناء جيتو قومى منغلق على اليهود عنصريا ·

ثالثا : الاتجاه الشوفينى المعادى للسامية ولليهود ·

وحركة المقاومة الفلسطينية التى تتجسد من

خلالها حركة التحرير الفلسطينية الشاملة لجماهير الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ، قد نبذت الاتجاهين الاخيرين بشدة ، وذلك من واقع تمييزها الجذري بين اليهود وبين الحركة الصهيونية. فبقدر ما تساند بقوة حق اليهود في كل بلد ومن بينها البلاد العربية بما في ذلك فلسطين ، في الامتزاج القومي والحياة كمواطنين لهم ما لغيرهم من المواطنين من حقوق وواجبات ، بقدر ما تدين الحركة الصهيونية وتناضل ضدها، فكرا ومؤسسات • وهي في ذلك لا تسعى فحسب الى استرداد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بل ايضا الى تحرير اليهود انفسهم من قيود العنصرية وظلمات الجيتو •

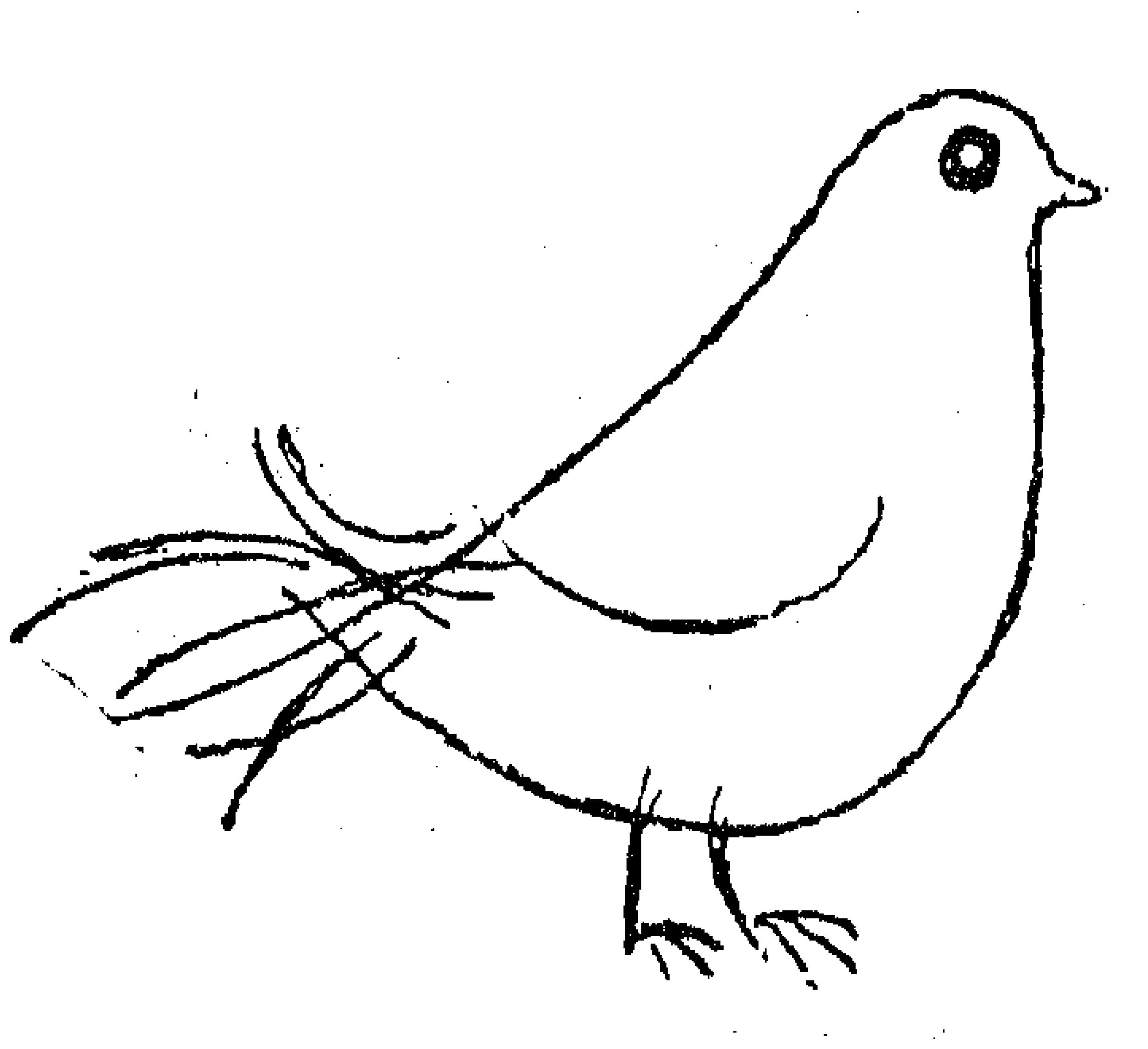
ومن هنا فان حركة التحرير الفلسطينية تتخذ من الاتجاه الديمقراطي والاشتراكي قاعدة فكرية وعملية تنطلق منها لحل الصراع العربي الاسرائيلي الذي يمثل مركز الثقل في الصراع التاريخي بين العرب ، وبين الامبريالية والعنصرية • وقد تجسد ذلك بوضوح في اعلان حركة المقاومة الفلسطينية عدائها لاى اضطهاد عنصري ضد اليهود ، لكونهم يهودا ، بما في ذلك سكان اسرائيل ، وفي التمييز بين اليهودية وبين الصهيونية ، وفي العمل — كما اعلنت فتح — على بناء دولة ديمقراطية في فلسطين ، ترتبط ارتباطا جذريا بالحركة العالمية المعادية للاستعمار والعنصرية ، واستغلال الانسان للانسان ، يعيش فيها الجميع على قدم المساواة دون تمييز بسبب الدين أو العنصر أو الجنس •

وفي هذا المجال تعلن حركة التحرير الفلسطينية باستمرار عن تقديرها لكل القوى التقدمية اليهودية في العالم وفي داخل اسرائيل — على الرغم من ضعفها النسبي — التي تناضل ضد الامبريالية والصهيونية والعدوان القائم منذ عشرين عاما على حقوق الشعب الفلسطيني خاصة والشعوب العربية عامة •

أيها الاصدقاء :

هذه باختصار أفكار ومواقف حركة التحرير الفلسطينية ، وهي اذ تقدر تقديرا بالغا دور الاتحاد السوفيتي والبلاد الاشتراكية والقوى الاشتراكية والتقدمية في العلم كله ، مساندتها المادية والمعنوية لجميع حركات التحرير ، لتأمل أن تجد حركة التحرر الفلسطينية التي تواجه صداما مباشرا مع الامبريالية والصهيونية العنصرية ، تفهما أكثر لموقفها وعونا أكبر ومساهمة فعالة في تهيئة المناخ الدولي لقبول الحل الديمقراطي لقضية فلسطين • ذلك أنه البديل الوحيد ، والممكن في نفس الوقت لكل من الحلول الصهيونية الامبريالية والشوفينية ، ويخدم موضوعيا قضية السلام العالمي والاخاء الانساني •

لطفي الخولي



تقارير الشهر

- الرجعية اللبنانية وسياسة النفس الطويل
- مشكلات الاتحاد الجديد فى الخليج العربى
- أنديرا غاندى تواجه اليمين مجتمعا
- المؤتمر النقابى العمالى وقضية فيتنام والشرق الاوسط

■ الجمهورية العربية المتحدة

المعركة هى سبيلنا

أثار خطاب الرئيس عبد الناصر فى افتتاح الدورة الثانية لجلس الامة ردود فعل قوية وواسعة فى المجالين المحلى والعالمى .

ويجمع المراقبون على ان الخطاب كان موضع اهتمام دوائر الرأى العام العربى والعالمى قبل القائه . وان كثيرا من التوقعات حول مضمون الخطاب كانت مطروحة لسببين :أولهما انه أول خطاب يلقيه الرئيس فى فترة اشتدت خلالها الحرب النفسية مستغلة بعض الظواهر والتغييرات فى المراكز القيادية السياسية والصحفية ، وأثارت العديد من التساؤلات لدى المواطنين .

وثانيهما ــ ان الخطاب قد سبقه تحرك واسع من جانب الولايات المتحدة الامريكية التى ركزت جهودها لاشاعة جو من التفاؤل عن امكانية تغيير أمريكا لموقفها من الصراع العربى الاسرائيلى .

ويجمع المراقبون على أن السمة الاساسية لخطاب الرئيس كانت تركيزه الواضح على طريق المعركة، هذا الطريق الذى لايمكن ان نشقه « الا عنوة وبالقوة فوق بحر من الدم وتحت افق مشتعل بالنار » .

وعلى اساس الموقف من المعركة حدد الرئيس موقف كل من الاتحاد السوفيتى وأمريكا ــ فالاتحاد السوفيتى يقف معنا فى موقع الصديق وامريكا تقف منا موقع العدو . وعلى نفس الاساس جدد الرئيس دعوته لعقد مؤتمر قمة عربى ــ وهو الدعوة التى يرى المراقبون انها جاءت فى أكثر الظروف مناسبة :

فمن ناحية جاء انتصار ثورتى ليبيا والسودان دليلا واضحا على حيوية الامة العربية وما تستطيع ان تقدمه فى معركة المصير . والاثار البعيدة التى ترتبت على اوضاع المنطقة بانتصار الثورتين .

ومن ناحية أخرى ، فان دور الولايات المتحدة الامريكية قد بات مكشوفا الى درجة لم تحدث من قبل والى الحد الذى أسقط جميع الموانع والتعللات التى كانت تستخدم فى الدعوة للتسويف والانتظار .

ولقد حرص الرئيس على أن يؤكد « ان جماهير الشعب يجب أن تعرف بصدق لا مواربة فيه ان المعركة لها مخاطرها ، وان العدو سوف يمد

الجبهة الى كل مكان وانه يتعين علينا ان نتقبل الخطر وان نعيش فى ظلاله .

ولقد طرح الرئيس قضية بالغة الاهمية وهى أن جماهير الشعب لا يمكن مطالبتها بمواجهة الخطر ساكنة قابعة مكتفية بالدور الذى تقوم به قواتها المسلحة . وانه من اجل تمكين الجماهير من تقديم ما لديها من امكانيات ضخمة وغير محدودة للمعركة – أكد الرئيس ان لجان المواطنين من أجل المعركة سوف تأخذ طريقها الى التشكيل .

وقد اتسعت الى حد ما المناقشات حول لجان المواطنين من أجل المعركة فى الصحافة هذه المناقشات التى ظلت منذ الدورة الثالثة للمؤتمر القومى تدور فى اطار وحدات الاتحاد الاشتراكى ولقاءاته السياسية . ومن القدر الذى نشر حول هذا الموضوع يمكن استخلاص بعض الاتجاهات:

لماذا لجان المعركة ؟

ومن واقع التجربة فان الجماهير العريضة لا تنجذب للعمل السياسى الدائم بشكل مستمر – ولكن ظروف المعركة والصراع الشامل والمتصاعد تخلق وضعا مختلفا يتطلب تضافر أوسع الجماهير فى تحمل اعبائه .

وهنا تطرح قضية ايجاد أشكال تنظيمية ملائمة لتنظيم كافة الجهود والطاقات التى تستطيع أن تسهم بشكل مباشر وملموس فى مواجهة العدوان . ولجان المواطنين من أجل المعركة هى أسلم الصيغ لتعبئة الجماهير فى شكل تنظيمى مفتوح لكل المواطنين لممارسة النشاطات المتعددة والمرتبطة بالمعركة بشكل مباشر أو غير مباشر وعضوية هذا التنظيم بالتطوع والاختيار ولا محل لمنع أى مصرى من أن يقوم بدوره فى الدفاع عن الوطن .

لقد وصف بعض المشتركين فى المناقشات لجان المعركة بأنها تنظيم للجيش الشعبى بكل مقوماته العسكرية والفكرية والثقافية وان تكوين لجان المعركة يعنى بداية الانتقال من الحرب الرسمية الى الحرب الشعبية .

ويرى المراقبون ان ثمة اتجاها خاطئا يفرض نفسه على المناقشات الدائرة بالاشارة المستمرة وغير الصحية الى علاقة لجان المعركة بالاتحاد الاشتراكى – وهل هى بديل عن الاتحاد أو انها ستنتقص من دوره على أساس ان المهام التى حددها الرئيس عبد الناصر لهذه اللجان كانت أصلا من المهام التى تقوم بها لجان الاتحاد الاشتراكى الى جانب عملها فى حل مشاكل الجماهير وهى كلها مهام لا يمكن انكار صفتها السياسية .

الا أن الاتجاه الاكثر وضوحا فى المناقشات هو الاتجاه الذى يرى أن الحركة الجماهيرية التى تطلعت اليها لجان المواطنين سوف تقدم للاتحاد الاشتراكى فرصة العمر لكى يكتشف من خلال هذه اللجان كثيرا من القيادات المناضلة وان هذه اللجان سوف تربى الجماهير على أن الصفة القيادية لا تمنحها بطاقة عضوية ما أو منصب ادارى او سياسى – انما تتوقف على مدى ما يقدمه الانسان فى المجال العملى لخدمة المعركة .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه ان هذه اللجان سوف تكون البوتقة التى تنصهر فيها القيادات الجديدة ويتم فيها اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى من جديد ويبنى منها الجهاز الطليعى .

مهام لجان المعركة ؟

هناك دعوة محددة لضرورة تحديد برامج تفصيلية لعمل لجان المعركة . وضرورة تفادى أشد الاخطار التى سوف تنجم عن تشكيل اللجان وتركها دون وضوح لمسئوليتها وعملها .

وهناك أيضا تأكيد على ضرورة أن تبدأ اللجان عملها بفكر جديد ومنطق خاص فى القضايا المتعلقة بالمعركة .

والفكرية الجديدة كما يراها بعض المشتركين فى المناقشة ليست مختلفة عن فكرية الميثاق أو برنامج ٣٠ مارس ولكنها أرحب منها – وهى فكرية المعركة – وعلى أساسها وحولها تتحقق الوحدة الوطنية المعادية للصهيونية وللاستعمار الامريكى

ويرى بعض الذين اشتركوا فى المناقشة ان أولى مهام العمل الفكرى المنوط بهذه اللجان – هى التعبئة السياسية للجماهير لكى تصمد فى معركة طويلة قد تعنف وتمتد سنوات ويجب أن يتم ذلك اولا بشرح طبيعة المعركة والاخطار المترتبة عليها ويجب أن تسعى اللجان لتوضيح الاحداث مع تطوراتها أولا بأول وباللغة المبسطة التى تفهمها الجماهير .

وطرحت فى المناقشات مجموعة من المقترحات النضاليه والتى يمكن تصورها كمجالات نشاط للجان المواطنين من أجل المعركة ومنها :

– العمل على زيادة الانتاج بتخصيص ساعات معينة من العمل للمجهود الحربى زيادة عن ساعات العمل المعتادة .

– تنظيم نوع من الرعاية لاسر المجندين بالمصنع .

– تزويد منظمات الدفاع الشعبى بعدد من

المتطوعين الممتازين سلوكيا وفكريا بما يكفل انشاء قوة للدفاع عن المصنع .

ـ الدعوة للتطوع لتكوين فرق الانقاذ والاسعاف والتمريض .

ـ تكوين كتائب العمل المستعدة للحركة فى أى وقت للمساهمة فى اصلاح اى موقع مدنى او عسكرى تحدث فيه أضرار نتيجة عمل عسكرى للعدو .

وهناك اتفاق عام وعلى ضوء خبرات البلدان التى سبقتنا فى هذا المضمار على ان تكون اللجان متفرعة الى لجان نوعية متخصصة ، ومن بينها من يحملون السلاح أيضا .

كيف تشكل لجان المعركة ؟

فى هذه النقطة يوجد اتجاهان واضحان فيما نشر من آراء . ثمة اتجاه يدعو لان تشرف اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى على اختيار عدد من القيادات السياسية الملتزمة لتتفرغ لعملية تكوين اللجان . وتختار اللجنة التنفيذية هذه العناصر من بين أعضاء اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية والعاملين فى مجالات الفن والادب والاعلام والمهتمين بالخدمة العامة . **وتتولى هذه المجموعة تحت اشراف اللجنة التنفيذية العليا** الدعوة الى تكوين لجان المعركة ـ لكى تنبع اللجان تلقائيا من القاعدة ، **وفى كل موقع سكنى أو جماهيرى تكون فى مقدمة الداعين الى تشكيل اللجان ـ القيادات السياسية الملتزمة** ـ بشرط أن تمارس دورها داخل هذه اللجان ليس بصفتها القيادية وانما بامكانياتها وقدراتها الشخصية .

ويرى بعض أصحاب هذا الاتجاه أن يكون لهذه اللجان هيكل تنظيمى متميز يقوم أمناء الاقسام بتشكيله ـ وان تكون النواة الصلبة لهذه اللجان من بين الكوادر المختبرة فى الاتحاد الاشتراكى باعتبارها تمثل طليعة القوى الاشتراكية ـ وبذلك لا يكون هيكل هذه اللجان منفصلا عن الاتحاد الاشتراكى .

أما الاتجاه الثانى فيرى ان تشكيل اللجان تحت مسئولية أمناء الاقسام سوف ينتهى الى جعل لجان المواطنين من أجل المعركة لجانا فرعية للاتحاد الاشتراكى وهو ما يخالف ما قاله الرئيس عبد الناصر .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن يتم تشكيل لجان المعركة على اساس نداء يوجهه الرئيس عبد الناصر ـ يدعو فيه المواطنين لتشكيل لجان المعركة محددا مهامها وعلاقاتها مع الاجهزة السياسية والتنفيذية ـ وأن يترك للجماهير فى كل موقع أن تبادر بشكل ذاتى بتشكيل هذه اللجان . وسيكون على كافة العناصر الوطنية والتقدمية فى كل موقع أن تلعب دورا هاما فى تنشيط هذه المبادرات الجماهيرية .

وبعد أن يتقدم كل مواطن بقيد اسمه لعضوية احد اللجان الفرعية التى تتفق مع رغبته وامكانياته تختار كل لجنة فرعية مقررا لها من بين أعضائها ومن مجموع المقررين الذين اختارتهم اللجان الفرعية فى الموقع تتشكل سكرتارية لقيادة العمل اليومى .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه ان لجان المواطنين لاجل المعركة ليست لجانا بالشكل المعروف ولكنها تجمعات لكل المواطنين فى كل موقع وانه ليس من المستحسن فرض صياغات تنظيمية محددة على هذه التجربة الوليدة وأن تترك اللجان لنمو تلقائى مع رصدها وتطويرها من واقع الاحتياجات ، والتوسع صعودا فى التنسيق وأشكال التنظيم كلما أصبحت ضرورية .

وفى المناقشة الدائرة حول كيفية تشكيل اللجان ظهرت عدة اتجاهات فطالب البعض بتشكيل اللجان على أساس نوعى ومعارضة المعنى باللجان الى القرية او الحى السكنى باعتبار ان ذلك سوف يكون تكرارا للاتحاد الاشتراكى وسوف يخلق ازدواجا . الا ان هذه الاتجاهات كانت محدودة . وكان التأييد العام على ضرورة قيام اللجان حيثما توجد الجماهير فى القرية والحى والمصنع .

ويرى المراقبون ان حصيلة المناقشات التى دارت حول تشكيل لجان المعركة تؤكد الحاجة الى عمل سياسى ضخم حول الدعوة الى تشكيل هذه اللجان بهدف جذب أوسع الجماهير بالاختيار والتطوع المطلق . ولما كان العمر الزمنى لهذه اللجان ليس هو نهاية المعركة بل ان عمرها يمتد الى بناء المجتمع المصرى بعد المعركة ، فان هذه اللجان ـ اذا نجحت ويجب أن تنجح سوف ـ مدعوة لان تكون الركيزة الاولى فى المستقبل السياسى .

●

مجلس الامة

المسئولية وأبعادها فى الزمان والمكان

بدأ مجلس الامة دور انعقاده الثانى فى مستهل الشهر الماضى ـ ويعتقد المراقبون ان الدورة الجديدة للمجلس سوف تكون من أهم وابرز دوراته ، لانها انما تنعقد فى وقت تدخل فيه المعركة مع اسرائيل مرحلة الردع المتصاعد ، وتمتد خلال

العام الذى سماه الفريق محمد فوزى عام التحرير • وهذه الحقيقة قد عبر عنها الرئيس عبد الناصر بقوله : « لا اظن ان هناك مجلسا شعبيا فى تاريخ هذا الوطن وقف من قبل أمام مسئولية من نوع وحجم وخطر المسئولية التى يواجهها مجلسكم » •

وفى أول اجتماع عقده المجلس بعد جلسة الافتتاح اعاد تشكيل لجانه واختيار رؤسائها ووكلائها وامناء سرها بنفس تشكيل العام الماضى — ثم حدد المجلس اربعة مبادىء سوف يلتزم بها فى عمله •

١ — اعطاء المعركةالاولوية فى كل شىء ووضع سلطات المجلس لخدمة القوات المسلحة بكل ما هو لازم لمعركة المصير •

٢ — استخدام سلطات المجلس لدفع عجلة الانتاج وزيادة كفاءة الخدمات والاهتمام بمشاكل الجماهير وضرورة انتقال لجان المجلس لبحث المشاكل كل على الطبيعة •

٣ — فتح الباب على مصراعيه أمام الثورة التشريعية حتى تصبح التشريعات تعبيرا صحيحا للتحول الاشتراكى •

٤ — دراسة الجوانب التى تدعم عملية التحول الاشتراكى بناءعلى قرار المؤتمر القومى سواء فيما يتعلق بتنظيم التجارة الخارجية والداخلية ، وتنظيم القطاع العام والقطاع الخاص •

وعلى أساس هذا التخطيط كان طبيعيا ان يستهل المجلس أعماله بالاستماع الى بيانين أحدهما سياسى من السيد محمود رياض وزير الخارجية والثانى عسكرى من الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية •

وقد أعلن المجلس بعد مناقشة خطة النضال السياسى ووقائعها ونتائجها خلال الشهور التى انقضت : « ان الاحداث الاخيرة قد كشفت بصفة نهائية وغير قابلة للشك عن الاتفاق الكامل بين موقف الولايات المتحدة الامريكية وبين موقف اسرائيل — وان الولايات المتحدة وضعت نفسها موضع العدو ، وانها تشجع اسرائيل على تحقير الامم المتحدة ورفض الالتزام بها » • ودعا مجلس الامة الشعب العربى بأن يعيد تنظيم علاقته بامريكا على أساس موقفها من الازمة ••

وفى مناقشة المجلس لبيان وزير الحربية (والتى اشترك فيها خمسة وعشرون عضوا) أكد الفريق محمد فوزى على حقيقة موقف الاتحاد السوفيتى الذى يضع كل امكانياته الفنية والمادية فى دعم قواتنا المسلحة ولا يبخل باى خبرة فى هذا المجال • كما أكد الفريق فوزى على ان سلاح الطيران المصرى أصبح الان سلاحا فعالا وان القيادة تتوسع فى قبول الشباب بكلية الطيران •

وقد عبر المجلس عن تقديره العميق للروح القتالية العالية والكفاءة الممتازة التى دلل عليها افراد قواتنا المسلحة وأكد المجلس على ارادة الشعب وتصميمه على توفير كل الامكانيات لقواته المسلحة — ووضع متطلباتها فوق أى اعتبار آخر •

وبدأ النشاط يدب فى لجان المجلس ، بعد ان تقرر وضع قواعد تكفل متابعة توصيات لجان المجلس ووعود وتصريحات الوزراء امام المجلس متابعة جادة عن طريق حصرها وتصنيفها مرة كل ثلاثة شهور لمعرفة ما تم تنفيذه وما لم يتم تنفيذه أولا باول — كما اتفق على ضرورة ايجاد صلة دائمة بين نشاط اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وأجهزتها وبين مجلس الامة واجهزته بحيث يكون هناك تصور وفهم مشترك للموضوعات العامة التى تناقشها هذه الاجهزة •

وقد بدأت لجنة الانتاج الصناعى فى وضع برنامج زمنى للقيام بزيارات ميدانية لمواقع الانتاج وستبدأ هذه الزيارات بمنطقة حلوان الصناعية لمتابعة الخطة والوقوف على معوقات الانتاج واعادة النظر فى القوانين المقيدة لانطلاق الانتاج •

وبدأت لجنة التنمية الزراعية فى دراسة نظام التسويق التعاونى بهدف سد الثغرات التى تكشفت وكذلك بدأت دراسة موضوع استغلال الاراضى الجديدة وتكوين شركات متخصصة لزراعتها •

وبدأت لجنة الخدمات مناقشة خطط الطوارىء التى أعدت لمواجهة احتمالات المعركة وفى مقدمتها خطة الطوارىء الصحية والاسعاف واستكمال اعداد وتجهيز الوحدات الطبية وخطة الطوارىء العامة للمجارى والمياه والكهرباء •

وبدأت لجنة التعليم بدراسة السياسة العامة للتعليم بجميع مراحله وسياسة البحث العلمى وربطه بمشاكل المجتمع •

هذا ويلمس المراقبون أن كثيرا من اعضاء المجلس متحمسون لان تكون الدورة الجديدة بداية مرحلة جادة نحو دق باب الثورة التشريعية بقوة أكبر • وان المجلس لابد وان يبدأ باعادة تقنين المجموعات القانونية الاساسية وفى مقدمتها القانون المدنى والتجارى والجنائى لتتلاءم مع فلسفة مجتمع يحدد اهدافا اشتركية •

وفى هذا الشأن يرى **الدكتور لبيب شقير** رئيس المجلس ضرورة اعداد تشريعات جديدة لحل المشاكل العامة للجماهير وذلك على ضوء ستة آلاف شكوى تلقتها أمانة مجلس الامة — تتضمن

الاغلبية منها مشاكل ذات صفة عامة سببها قصور في التشريع أو تعقيد في الاجراءات وان الدراسة التي تمت على هذه الشكاوى تصلح تماما لان تكون مدخلا يتم منه تطوير القوانين ·

وتميزت المناقشات التي جرت في مستهل الدورة الثانية وبشكل خاص في الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي (تضم كل اعضاء مجلس الامة) · تميزت بالالحاح على ضرورة وضع تخطيط لعمل ونشاط اعضاء مجلس الامة في مجال التحرك السياسي داخليا مع تنظيمات الاتحاد وعالميا بالنسبة للبرلمانات الأخرى ·

ولقد طالب اعضاء المجلس ان يشاركوا في اجتماعات لجان المحافظات ليتاح لهم العمل من خلال تنظيمات الاتحاد الاشتراكي · كما طالبوا ببذل كل جهد لانجاح المؤتمر البرلماني الدولي الذي سيعقد في القاهرة في فبراير القادم لبحث أزمة الشرق الاوسط ·

واذا كانت الدورة السابقة للمجلس قد كشفت عن مبادرات وكفاءات من جانب الاعضاء المنتخبين عن العمال والفلاحين ، وهي المبادرات التي اشاد بها رئيس المجلس خصوصا فيما يتعلق بالجهد الذي بذله ممثلو العمال والفلاحين في عرض ومناقشة قضايا الزراعة والعمل ـ فأن المراقبين يرون أن الظروف المحيطة بالدورة الجديدة وطبيعة المسئوليات الملقاة عليها لابد وأن تفسح فرصا أوسع أمام القيادات العمالية والفلاحية لتلعب دورا اكثر فعالية في الحياة النيابية ·

■ ■

■ **النزاع العربي الاسرائيلي**

أبعاد جديدة للمعركة

ازاء الهجمات الجريئة والمفاجئة التي قامت بها قوات الكوماندوز المصرية في الشهر الماضي توتر الموقف داخل اسرائيل ، اجتماعات متتالية للوزارة الاسرائيلية لتدارس الموقف ·· مشاورات مع كبار القادة العسكريين ، اعلان حالة الاستعداد القصوى في جميع القوات المسلحة ، وقف اجازات جميع افراد القوات المسلحة الاسرائيلية ، قرارات باقامة مزيد من الاستحكامات في الاراضي العربية المحتلة وتشديد الخدمات على المواقع الاسرائيلية · ويجمع المراقبون السياسيون على أن هذه التحركات المحمومة توحي بان اسرائيل انما تعد العدة لعملية انتقامية ضد البلدان العربية وان هذه العملية الانتقامية ستتوجه في الغالب ضد مصر ·

وكانت هذه التطورات نتيجة منتظرة لاحداث الشهر الماضي الذي بدأت بخطاب **الرئيس جمال عبد الناصر** في افتتاح مجلس الامة في اوائل الشهر ، ذلك الخطاب الذي وصفه المراقبون بأنه امتداد طبيعي ومنطقي للسياسة التي بدأت منذ يوليو الماضي ، تلك السياسة التي اعطت اولوية متزايدة للجانب العسكري في الصراع بعد أن وصلت المحادثات الدبلوماسية الى طريق مسدود · وقد رسم خطاب الرئيس ابعادا جديدة لمعركة تحرير الارض العربية المحتلة تتلخص في :

● اعلان فشل الجهود الدبلوماسية التي بذلت طوال الفترة الماضية بسبب تعنت اسرائيل ومساندة الولايات المتحدة لها ·

● ان طريق تحرير الارض العربية يمر فوق بحر من الدم ·

● ان موقفنا من تحرير الارض العربية لا يقبل التجزئة ، فنحن نرفض ان نفرق بين سيناء وبين القدس أو قطاع غزة أو الضفة الغربية أو المرتفعات السورية ·

● ضرورة استيعاب حتمية المعركة وتحقيق وحدة العمل العربي في طريق عقد مؤتمر قمة عربي وتفهم دور المقاومة الفلسطينية وتحمل كل دولة عربية لمسئولياتها وبصراحة تامة ·

وكانت المعارك التي دارت على جبهة القناة وفي داخل سيناء من ابرز احداث الشهر الماضي · اذ شهدت اتجاها واضحا نحو تصعيد المعارك ضد العدو. فقد تزايدت خلال الشهر الماضي عمليات العبور واطلاق النيران على طول الجبهة وساهمت في تلك العمليات كل اسلحة الجيش البرية والبحرية والجوية · وبرز دور الاسطول بشكل خاص اذ هاجم بمدافعه مواقع وتجمعات العدو على الشاطيء الشمالي لسيناء. وعلقت وكالة رويتر على ذلك قائلة « كانت اكثر التطورات اهمية في الحرب بين العرب واسرائيل في الفترة الاخيرة اشتراك البحرية المصرية في قصف المواقع الاسرائيلية للمرة الاولى منذ حرب يونيو » · كما قام رجال الضفادع البشرية بغارة جريئة على قاعدة ايلات البحرية وتمكنوا من نسف ثلاث قطع بحرية في الميناء · واشترك السلاح الجوي في توجيه ضربات شديدة لمواقع تجمعات العدو وتحصيناته في سيناء وخاصة في عيون موسى وشمال شرقي القنطرة · وعلقت النيويورك تايمز على تصاعد الهجمات المصرية فقالت « **ان الهجمات المصرية على المواقع الاسرائيلية تعتبر جزءا من جهد متزايد لجعل احتلال اسرائيل لسيناء اكثر صعوبة ، ولتحدى الوضع القائم منذ حرب يونيو ١٩٦٧** » .

وازاء هذه الاعمال تزايدت محاولات العدو للاغارة على مواقعنا للانتقام من خسائره ، لكن دفاعنا الجوى اثبت قدرة على مواجهة كفاءة الطيران الاسرائيلى · كما راحت الدوائر العسكرية فى تل ابيب تهدد بالقيام باعمال انتقامية واسعة ضد ج·ع·م· ، **وصرح موسى ديان قائلا « ان مصر ستدفع الثمن غاليا لمثل هذه الغارات والكمائن التى تنصبها للقوات الاسرائيلية : وان اسرائيل ستجد الحل العسكرى الذى تواجه به هذه الهجمات »** ·

وواصل الفدائيون نشاطهم على نطاق واسع من وادى الاردن شرقا حتى مدينة العريش غربا فهاجموا مصانع البوتاس فى سدوم على البحر الميت ، ونسفوا مقر السوق فى غزة والقوا قنبلة على سيارة الحاكم العام · واضطرت السلطات الاسرائيلية الى اغلاق الطريق بين الاردن وقطاع غزة فى محاولة لعرقلة النشاط الفدائى · كما اطلقت النار على الفدائيين وفرضت حظر التجول فى غزة ورام الله بعد تكرار الانفجارات والاعتداءات على جنود الاحتلال · وهدد الحاكم العسكرى الاسرائيلى لمنطقة غزة باتخاذ اجراءات اشد عنفا اذا لم تتوقف عمليات المقاومة · وصرح موسى ديان « بان اعمال الانتقام توقع ضد كل عربى داخل منطقة عمليات الفدائيين » ·

وعلى الصعيد السياسى اجتمع مجلس الدفاع العربى ، وتعتبر المقررات الهامة التي توصل اليها المجلس خطوة هامة على طريق تصعيد العمل السياسى وتوحيد الجهد العربى لساندة عمليات تصعيد الاعمال العسكرية · وفى اجتماعات مجلس الدفاع اعلن محمود رياض رفض ج · ع · م · للمقترحات الامريكية الاخيرة بخصوص ازمة الشرق الاوسط ووصفها بأنها اسوأ من المقترحات السابقة ، وتعتبر تحديا لمصر وسيادتها كما أكدر رفض القاهرة لكل محاولة لتجزئة القضية · وكانت أهم النتائج التى تمخض عنها مجلس الدفاع هى :

- الموافقة الاجماعية على انعقاد مؤتمر القمة العربى فى الرباط فى ٢٠ ديسمبر ·
- اعلان فشل الحل السلمى ·
- العمل من أجل تعبئة شاملة لكل الطاقات العربية استعدادا للمعركة المحتومة من أجل تحرير الارض العربية بالقوة على أن تتحمل كل دولة مسئولية كاملة ومحددة ·
- دعم الثورة الفلسطينية ·
- استنكار موقف الولايات المتحدة المعادى للعرب ·

كما اتخذ المجلس عددا من القرارات السرية وصفها بأنها على درجة عالية من الاهمية · ويرى كثير من المراقبين ان نجاح مجلس الدفاع العربى فى الوصول الى هذه النتائج يرتبط ببروز عنصر جديد فى معركة التحرر العربى يتمثل فى ثورة السودان وليبيا مما اتاح للدولتين المتحررتين أن تلعبا دورا ايجابيا واضحا فى الفترة الاخيرة فى سبيل دفع التضامن العربى الى الامام · كما يعزى هذا النجاح الى التنسيق الواضح الذى تزداد أهميته يوما بعد يوم بين ج · ع · م وبين ليبيا والسودان فى مجال العمل العربى فى المرحلة الاخيرة ·

وفى مواجهة ذلك تواصل الدول الاستعمارية مساندتها لاسرائيل فقد أشارت صحيفة الانوار اللبنانية الى التحاق وحدات من ذوى البريهات الخضراء (الذين ارتكبوا الاعمال الوحشية فى فيتنام) بقوات الحدود الاسرائيلية · وقالت الجريدة « ان الولايات المتحدة تضاعف من نشاط وكالة المخابرات الامريكية فى البلدان المحيطة باسرائيل · وفى نفس الوقت فقد وصل عدد كبير من الخبراء الامريكيين فى فيتنام الى اسرائيل لمساعدة القوات الاسرائيلية على مواجهة المقاومة الفلسطينية المسلحة » .

كما أشارت صحف المانيا الغربية الى وجود عدد كبير من رعايا المانيا الغربية يصل الى ٨٠٠٠ شخص بين صفوف القوات الاسرائيلية · واعلنت منظمة فتح بأنه تأكد لها من مصادر موثوق بها بانه يجرى فى هامبورج بالمانيا الغربية تدريب فرقة اسرائيلية خاصة لمواجهة الاعمال الفدائية · وجاء فى البيان الذى أصدرته وزارة الخارجية السوفيتية « انه قد وصل الى اسرائيل خبراء أمريكيون فى محاربة الفدائيين ليعملوا على الارض العربية التى تحتلها القوات الاسرائيلية » ·

على أن تزايد مقاومة الغرب لاسرائيل يقابلها ازدياد فى مساندة المعسكر الاشتراكى للبلدان العربية فقد اعلن بودجورنى فى خطابه بمناسبة ذكرى ثورة اكتوبر أن الاتحاد السوفيتى سيواصل تقديم معونته للمقاومة الفلسطينية وللدول العربية فى نضالها العادل ضد العدوان ومن اجل الحرية والاستقلال ،وأنه سيعمل كل ما فى وسعه لتحقيق تسوية سياسية تقوم على تصفية آثار العدوان الاسرائيلى وذلك عن طريق سحب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية · كما ينص قرار مجلس الامن ، وانه بغير ذلك لا يمكن أن يكون هناك سلام فى هذه المنطقة » ·

كما صرح قائد الاسطول السوفيتى بأن الاسطول السوفيتى الموجود فى البحر الابيض المتوسط لن يسمح باعتداء الاسطول السادس الامريكى على اراضى الدول العربية ، وأن ما حدث فى الماضى لا يمكن أن يتكرر اليوم ·

وفي المجال الدولي خيم جو من الركود على المحادثات الثنائية خاصة بعد رفض القاهرة للمقترحات الامريكية • ولكن رغم هذا الركود شهد الشهر الماضي وصول وزير خارجية كندا ومساعد وزير الدفاع الامريكي ومسئول في وزارة الخارجية الفرنسية في جولة لبعض عواصم الشرق الاوسط في محاولة لتخطي ازمة المحادثات الدبلوماسية المتوقفة • وفي نفس الوقت يسافر ابا ايبان الى واشنطن لتبادل الرأي مع المسئولين الامريكيين حول الخطوات القادمة لمواجهة الموقف المتدهور في المنطقة • كما صرحت المصادر المسئولة في الامم المتحدة بانه ازاء حالة التوقف التي خيمت على المحادثات الثنائية ليس هناك من سبيل للخروج من الوضع المعقد بخصوص ازمة الشرق الاوسط الا باستئناف المحادثات الرباعية ، وعقب ذلك صدر عدد من التصريحات في لندن وباريس بضرورة بدء المحادثات الرباعية في اقرب وقت حتى يمكن تجنب تدهور الاوضاع في المنطقة نحو حرب جديدة • واعربت مصادر الامم المتحدة أنه اذا لم تصل الدول الاربع الكبرى الى اتفاق حول الازمة قبل ٢٠ ديسمبر القادم وهو موعد انعقاد مؤتمر القمة فقد تضيع اخر فرصة للسلام •

ومهما يكن من أمر فان المراقبين يرون أن اسرائيل قد أصبحت تواجه واقعا متغيرا عن ٥ يونيو • بل ان ما يقلق الاسرائيليين اليوم هو انهم باتوا يرون أن دعايتهم تتقلص حتى في المناطق التي كانت تتغلب فيها وجهة النظر الاسرائيلية في فرنسا وبريطانيا والمانيا الغربية • واذا كان لم يتم بعد تحول جذري الى صف القضية العربية فان التحولات البطيئة نفسها تثبت أن العدوان لا يفيد •

■ ■

■ ليبيا

تحمل مسئوليات المواجهة مع الاستعمار

يلاحظ المراقبون في العالم العربي تعاظم دور الثورة الليبية في الفترة الاخيرة ، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي لتغدو قوة مؤثرة فعالة في حركة التحرر العربي ، وهو الأمر الذي ظهر بوضوح ابان الازمة الاخيرة بين الثوار الفلسطينيين ، وبين السلطات اللبنانية ومن خلال أعمال مجلس الدفاع العربي المشترك في القاهرة ، وتبنيها الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربي من أجل حشد كل الامكانيات وتحقيق تعاون أقوى لضمان تحقيق النصر في المعركة المصيرية • أكثر من هذا انتقل النظام الجديد الى مواقع أكثر تقدما عندما وجه بعض الضربات الى السيطرة الامبريالية على



القذافي

بعض نواحي الاقتصاد الليبي • ومن أمثلة ذلك :

● الغاء امتياز شركة التبغ البريطانية – الامريكية الاحتكارية ، التي تشرف على الادارة والاستيراد والتسويق لمصنع التبغ الليبي في مدينة طرابلس ، نظرا للدور التخريبي للشركة الاستعمارية في تقليل مساحة زراعة الدخان وايداعه المخازن وتعريضه للتلف طوال السنوات العشر الماضية ، حتى يتسنى لها تصريف انتاجها من التبغ الاجنبي في السوق الليبية • والجدير بالذكر أن صناعة التبغ تحتل المرتبة الثانية في الاقتصاد الليبي بعد البترول ، ويعتبر هذا المصنع الوحيد في ليبيا وجميع رؤسائه من الانجليز •

● تحويل عدد من البنوك مثل بنك باركليز البريطاني ونابولي وروما الايطاليين الى شركات وطنية ليبية مساهمة واطلاق أسماء وطنية عليها ، على أن لا تقل نسبة رأس المال الوطني المشترك فيها عن ٥١ في المائة ، وان تكون رئاسة البنوك واغلبية اعضاء مجالس اداراتها من الليبيين •

● الغاء عدد من العقود الاقتصادية المبرمة مع الولايات المتحدة نظرا لموقفها المعادي من القضايا العربية • والغاء عقد آخر مع سويسرا نتيجة لموقفها من الفدائيين الفلسطينيين المحتجزين في سويسرا •

● الغاء صفقة شبكة صواريخ الدفاع الجوي التي تعاقد عليها العهد السابق مع بريطانيا ، وقيمتها ١٢٠ مليون جنيه استرليني ، باعتبار أنها صفقة مشبوهة وليست لها قيمة دفاعية للبلاد •

ويلفت انتباه المراقبين أن هذه الضربات قد جاءت عشية دخول المسئولين الليبيين المفاوضات

مع أمريكا وبريطانيا لاتمام الجلاء عن قواعدهما العسكريه فى ليبيا. وقد أعلن العقيد معمر القذافى رئيس مجلس قيادة الثورة : « ان وجود القواعد [illegible] قضية الجلاء لا نقبل فيها حلول الوسط ولا نقبل التأجيل . وان العهد السابق لم يتم للشعب غير القواعد الرهيبة فى محاولة منه لاسكات صوت الشعب وارهابه وسيطره عليه بقواعد وجنود الاعداء » . وكان لهذه الاجراءات وقع المفاجاة فى الدوائر الامبرياليه . وأدت الى خلق حالة من الذعر بين احتكارات البترول الاستعمارية العاملة فى ليبيا والتى باتت تتوقع ان يجىء الدور عليها فى المستقبل القريب .

وقد ردت ليبيا على تهديد بريطانيا بالغاء صفقة الدبابات « تشيفتين » التى تعاقدت عليها مع العهد السابق وقيمتها ١٥٠ مليون جنيه استرليني (اذا أقدمت ليبيا على الغاء اتفاقيه القواعد البريطانية) بانها ستعمد فى هذه الحالة الى سحب جميع الارصدة الحكوميه والفرديه من العملات الصعبه من البنوك البريطانية ، التى تستعين بها بريطانيا فى الوقت الحاضر لتغطيه العجز فى الجنيه الاسترلينى مما يصيب الخزانة البريطانيه بهزة شديده . اما وزير الدفاع الليبى فقد أنذر بالغاء صفقة الدبابات اذا لم تكن من الطراز الحديث ، وأعلن ان الزمن الذى كانت بريطانيا تبيع فيه السلاح القديم للعرب قد ولى ، وان ليبيا تستطيع شراء السلاح من أى مكان سواء من الغرب أو الشرق .

ويبدى الدبلوماسيون الغربيون فى الوقت الحاضر اهتماما خاصا بالتقارب الشديد بين ليبيا والجمهوريه العربيه المتحدة والسودان . وينظرون بمزيد من القلق الى الزيارات التى تمت بين المسئولين السياسيين والعسكريين فى البلدان الثورية . ويخشى المراقبون الغربيون ان تكون هذه الزيارات مقدمة لتوقيع ميثاق دفاع مشترك بين البلدان الثلاث ، بينما اكتفت الدوائر السياسية فى البلدان العربيه الثلاث بالاشارة الى أن هذه الزيارات ليست سوى تطور طبيعى نحو مزيد من التعاون والتنسيق والتلاحم بين البلدان الثورية الثلاث فى المستقبل .

ويرى المراقبون أن مواقف النظام الجديد تنبىء عن استعداد قادة الثورة لتحمل تبعات المواجهة مع قوى الامبريالية العالمية التى تمكنت من أرض ليبيا ومن اقتصادها فى العهد الماضى . ويضيف المراقبون أن هذه المواجهة ستحقق أهدافها لمصلحة الشعب الليبى بقدر ما تتحد وتتلاحم صفوف كل القوى الامبريالية فى ليبيا .

■ لبنــان

الرجعية وسياسة النفس الطويل

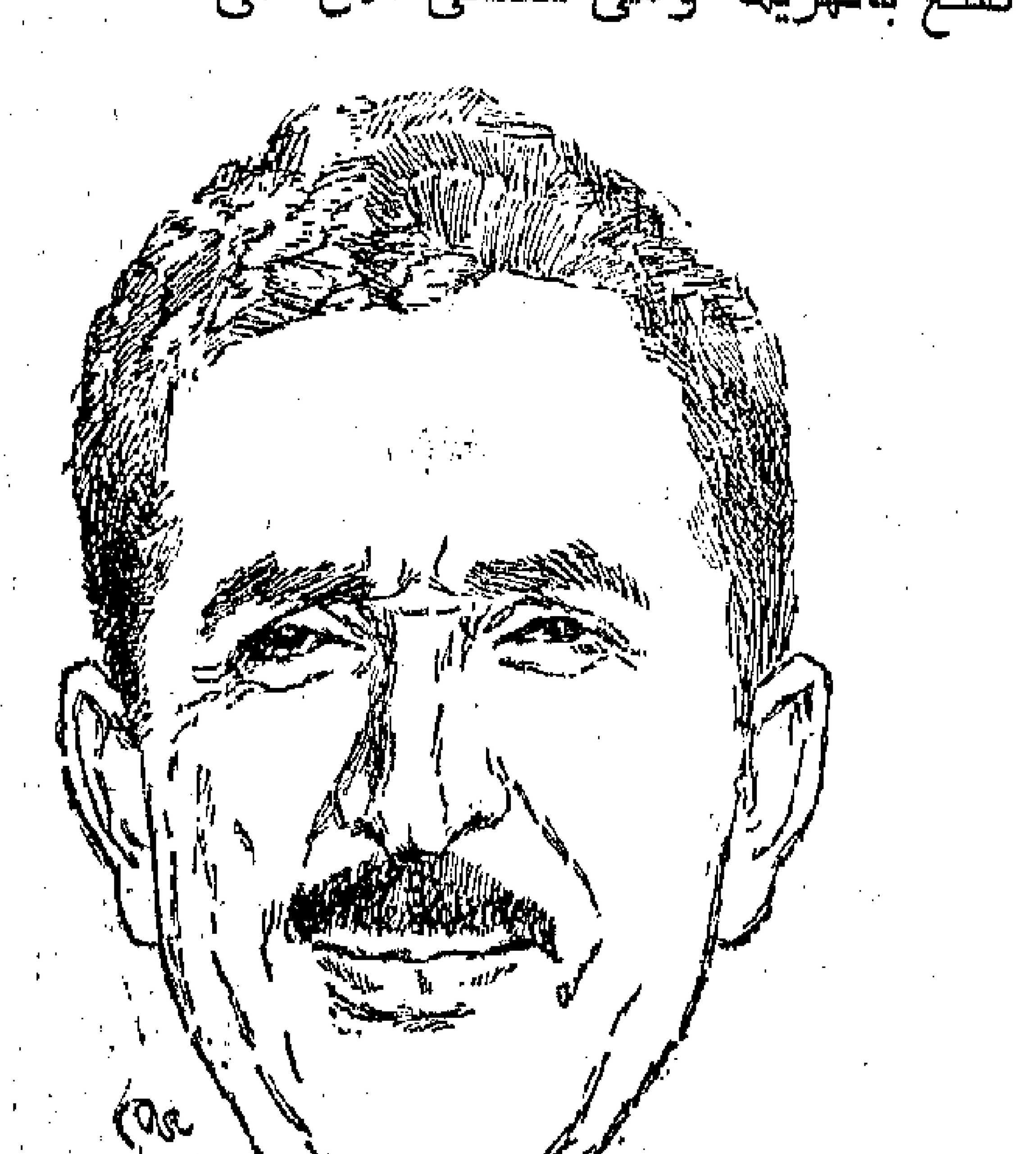
تشيير

كل الانباء والتقارير الواردة من لبنان الى التحول الهام الذى أخذ يطرأ على الوضع الرسمى والشعبى هناك بعد اعلان توقيع اتفاقية القاهرة التى استهدفت انهاء الازمة بين الفدائيين وبين السلطات اللبنانية ، وهى الازمة التى كادت ان تتحول الى كارثة يمكن ان تؤثر على الوضع فى المنطقة لولا تدخل القاهرة وبقية العواصم العربية الثورية .

وجاء النجاح فى تصفية الازمة فى لبنان حافزا على الاسراع بتشكيل الحكومة اللبنانية ، بعد أن زالت معظم العقبات التى حالت دون تاليفها منذ ٢٥ ابريل الماضى وكان فى مقدمة هذه العقبات الموقف من العمل الفدائى فى الاراضى اللبنانية .

وتضم الوزارة الجديدة ١٦ عضوا يمثلون معظم الاتجاهات السياسية داخل البرلمان (الجبهة الديمقراطية ، جبهة النضال ، كتلة الوسط ، كما تضم الوزارة لاول مرة ممثلا لحزب الوطنيين الاحرار الذى يتزعمه كميل شمعون .

ومن المعروف ان رشيد كرامى واجه صعوبات كثيرة من اجل تشكيل حكومة قوية تمثل كافة الكتل الوطنية لمواجهة اعباء ومتطلبات المرحلة القادمة ، وتصفية آثار وذيول الازمة الماضية . لكن من الملاحظ مع ذلك ان القوى اليمينية التى يتزعمها كميل شمعون الرئيس السابق وزعيم حزب الوطنيين الاحرار وريمون اده زعيم حزب الكتلة الوطنية لم تقتنع بالهزيمة وهى تسعى الان الى نسف اتفاقية



رشيد كرامى

القاهرة عن طريق اثارة الاعتراضات القانونية الشكلية حول سرية الاتفاق بين السلطات اللبنانية وبين الفدائيين، بهدف تجميدها وشل فاعليتهافى محاولة لكسب الوقت وتجميع صفوفها من جديد .

وكانت مجلة «الصياد» الأسبوعية اللبنانية قد ذكرت أن دوايت بورتر السفير الامريكى فى بيروت قد ابلغ الرئيس اللبنانى شارل حلو: «ان الولايات المتحدة غيرمرتاحة لاتفاق القاهرة، وعن التنازلات

تعليق

مؤتمر القمة العربى .. والمناورة الامريكية الجديدة

مع اقتراب موعد انعقاد مؤتمر القمة العربى الخامس فى الرباط ، يبدو فجأة نشاط ملحوظ للدبلوماسية الامريكية ،

ومعاود الحديث عن مقترحات جديدة للازمة فى الشرق الاوسط يحملها معه جوزيف سيسكو نائب وزير خارجية الولايات المتحدة ضمن سلسلة المقترحات والمشاريع المشبوهة المعدة فى مكاتب وزارة الخارجية الامريكية .. كما ارتفعت فى نفس الوقت نغمة جديدة فى الصحف الرجعية والمأجورة الناطقة باللغة العربية فى بيروت ، عن احتمال حدوث تطور فى موقف الولايات المتحدة

وكانت الولايات المتحدة قد سلمت مقترحاتها الجديدة الى وزير خارجية المملكة السعودية اثناء اجتماعات مجلس الدفاع العربى المشترك فى القاهرة .. كما سلمت نفس هذه المقترحات الى وزارة الخارجية المصرية التى وصفتها بأنها « انحياز امريكى كامل الى جانب اسرائيل » .

ان الهدف من وراء هذه المناورة الامريكية الجديدة والحديث عن التناقض فى المصالح بين اسرائيل والولايات المتحدة فى هذه الاوقات . بعد ان سقطت جميع المشاريع والمقترحات الامريكية الاسرائيلية وفشل جميع المحاولات لازالة اثار العدوان حتى الان هو :

● محاولة اللعب على التناقضات داخل الصف العربى والتأثير على موقف بعض الدول العربية وأحداث الفرقة فيما بينها .

● العمل على عرقلة عقد مؤتمر القمة الخامس .

● اتاحة الفرصة لاسرائيل لكى تستعد لعدوان جديد .

ان السؤال الذى يمكن ان يتبادر الى الاذهان هو : هل تتراجع الولايات المتحدة وتقنع اسرائيل أيضا بالانسحاب من الاراضى المحتلة خوفا من نشوب حرب شاملة تطيح بمصالحها وتضع نهاية لوجودها فى المنطقة ، وذلك كما يعلل البعض انفسهم به ؟

هناك ملاحظتان :

● ان الولايات [illegible] هى المنتفعة بالدرجة الاولى من الوضع الحالى واغلاق قناة السويس ، وان شركة امريكية واحدة هى «ستاندارد اويل اوف نيوجرسى» التى تملك اكبر اسطول لنقل البترول فى العالم قد [illegible] ارباحا يبلغ ١٨٤ مليون دولار فى عام ١٩٦٨ اكثر بالمقارنة مع عام ١٩٦٦ ، من وراء عمليات نقل البترول وحده ، وأن احتكارات البترول الامريكية حققت ارباحا عن نفس العام تزيد عن ١٦٠٠ مليون دولار من منطقة الشرق الاوسط وحدها.

● المخطط الامريكى الذى تسعى لتنفيذه منذ سنوات لاعادة رسم خريطة المنطقة من جديد ، لمواجهة حركة المد الثورى العربى التحررى . والذى يؤرخ له بقيام الوحدة بين مصر وسوريا وقيام ثورة العراق عام ١٩٥٨ ، وكانت بدايته العملية احداث الانفصال بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ . فالامبريالية الامريكية لم تعد تقنع بانصاف الحلول، وأداتها فى تنفيذ هذا المخطط هى اسرائيل ، كما تؤكد [illegible] السنوات الماضية ان هناك قوى عربية عميلة ضليعة فى هذا المخطط ، وتتحرك فى ظروف معينة ووفق تكتيكات محددة .

بعد ذلك هل يمكن للولايات المتحدة أن تتراجع عن سياستها الاستعمارية والتخلى عن مخططاتها لاخضاع الشعوب العربية ، وان تتنازل اسرائيل كذلك عن مافى حيازتها من الاراضى العربية وبالتالى عن اطماعها التوسعية ؟ ان تجربة الخمسين عاما الماضية أو تزيد منذ وعد بلفور توضح بجلاء أن لا اسرائيل ولا المؤامرات الامريكية والانقلابات التى اشتهرت بها وكالة المخابرات المركزية الامريكية بقادرة على استنزاف الطاقة العربية ووقف حركة الثورة العربية الصاعدة ،بدليل انحسار النفوذ الاستعمارى اليوم عن اجزاء كبيرة من الوطن العربى وقيام النظم الوطنية والتقدمية فى تلك الاجزاء ،

وكما يتضح كذلك من التغييرات الجذرية التى طرأت على [illegible] ، وحتى بالرغم من النكسة المؤقتة فى حرب يونيو .. وانه قد تبطىء حركة التاريخ فى مكان ماحتى تستكمل عناصر نموها وتطورها، بينما تتقدم فى مكان آخر بمعدل سريع ، وذلك تبعا لقانون النمو غير المتكافىء .

وبعد ، لعل فى تطور موقف الولايات المتحدة العدائى ما يستطيع ان يجيب على هذا السؤال . وان الذى يعنينا فى هذا الصدد هو الموقف الجديد للولايات المتحدة من السماح لرعاياها بالخدمة فى الجيش الاسرائيلى والذين يقدر عددهم بحوالى عشرة آلاف امريكى .. واشتراك الوحدات الجوية والبحرية الاسرائيلية مع الاسطولين الامريكى السادس والبريطانى فى المناورات التدريبية التى جرت فى البحر الابيض المتوسط فى النصف الثانى من اكتوبر المنتهى ، الذى يوضح ان الولايات المتحدة قد قررت اخيرا اللعب على المكشوف ، مما يؤكد صحة ماذهبنا اليه وأوضحناه من قبل ، الامر الذى من شأنه ان يضفى على المعركة المصيرية القادمة طابعا جديدا ويعطيها ابعادها الحقيقية كانت هى فى أمس الحاجة اليها ، وكما تحددت بوضوح فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الاخير .

اننا لسنا ضد العمل السياسى على كافة المستويات والاستفادة من كل الامكانيات التى تخدم المعركة طالما ان ذلك لا يؤثر على حركة التحرر ضد الاستعمار والصهيونية .

ان القوى الثورية التقدمية التى كانت وما زالت الهدف الاساسى للعدوان الامبريالى الصهيونى ، هى التى يقع على عاتقها اليوم بالدرجة الاولى مهام واعباء المعركة المصيرية القادمة ، وانها مدعوة اليوم الى حشد كافة جهودها وامكانياتها من أجل ضمان تحقيق النصر فى المعركة القادمة وانها ولا شك قادرة على ذلك .

وديع أمين

التى قدمها لبنان للعمل الفدائى ، وتجاهل لبنان للتصريح الامريكى المحدد عن ضمان استقلال لبنان وسلامته فيما لو قرر ان يضعه موضع الاعتبار . وان الولايات المتحدة الامريكية تجد الآن صعوبة فى الاستمرار بالعمل بروح هذا التصريح لو استمر لبنان فى تقديم التنازلات فى موضوع سيادته وسلامته، الامر الذى يعنى لبنان كما يعنى الحكومة الامريكية ». واضافت المجلة ان الرئيس اللبنانى قد اوضح للسفير الامريكى : « ان اتفاق القاهرة لا يشكل تنازلا من لبنان ، وانما هو توفيق بين وضعه والتزاماته العربيه وبين الاوضاع الحادة السائدة فى المنطقة العربية ، وانه اتخذ هذا القرار، وهو مقتنع تماما بانه لابد منه اذا كان لبنان يريد ان يختصر المآسى لنفسه ولاخوانه الفدائيين وللعرب » .

وزاد من صعوبة مهمه الرئيس كرامى اصرار **ريمون اده** على رفض اتفاقية القاهرة ، ومعارضته لتشكيل كرامى للوزارة او الاشتراك فيها ، كما يهدد بحجب الثقة عن الوزارة امام البرلمان، هذا بينما يلجا زميله كميل شمعون الى المناورة ، عن طريق التظاهر بتأييد اتفاق القاهرة ، بهدف تحطيم « الفيتو » المفروض عليه من قبل الجماهير الشعبية والقوى الوطنية والتقدمية التى اصرت على ابعاده عن الحكم طوال السنوات العشر الماضية .

ويختلف الحال كذلك بالنسبة لموقف **كمال جنبلاط** زعيم الحزب التقدمى الاشتراكى وجبهة النضال الوطنى . فهو الوحيد الذى يتقدم بوجهة نظر متكاملة حول كثير من القضايا الراهنة فى لبنان كشرط ضرورى للاشتراك فى الحكم – وهى تتلخص فى المطالب التالية : عدم ملاحقة العناصر التقدمية والوطنية – ووقف الملاحقات القضائية ضدها – وتعويض اهالى الضحايا منذ احداث ٢٣ ابريل الماضى – عدم زيادة سعر البنزين – وتنفيذ الضمان الصحى ، وتحصين الحدود وتدريب بناء القرى الامامية وتسليحهم، واقرار قانون الخدمة العسكرية » . ويحظى هذا البرنامج بتأييد الجماهير الشعبية وقواها الوطنية والتقدمية ، حتى أن المراقبين يرون ان وحدة القوى الوطنية والتقدمية هذه الوحدة التى احبطت مؤامرة القوى الرجعية والامبريالية ضد العمل الفدائى تستطيع باستمرار ان تلعب دورا متزايد الاهمية فى تشكيل احداث الغد وذلك على الرغم من المواقع القوية التى تحتلها الرجعية اللبنانية ، وعلى الرغم من قدرتها على انتهاج سياسة النفس الطويل .

■ **الخليج العربى**

مشكلات الاتحاد الجديد

تثير التطورات التى تجرى الان فى الخليج العربى اهتماما وقلقا بالغين فى اوساط المراقبين والرأى العام فى العالم العربى ، وذلك بسبب التهديد الايرانى لعروبة الخليج وتصريحات الشاه المستمرة عن اطماعه فى ثروات المنطقة . ومن ناحية أخرى بسبب الغموض الذى يكتنف اهداف اتحاد الامارات العربية المزمع اقامته ، وعن طبيعة الخلافات بين حكام الامارات التسع الاعضاء فى الاتحاد . ذلك الاتحاد الذى تحدثت الانباء فى الفترة الاخيرة عن انهياره قبل ان يخرج الى النور .

وهذا الاتحاد كان قد دعا اليه حكام الامارات المنتجة للبترول منذ عامين عقب اعلان بريطانيا عن عزمها الجلاء عن منطقة الخليج فى نهاية عام ١٩٧١، وقيل حينذاك ان الاتحاد يقام من اجل توحيد السياسة الخارجية والمحافظة على الاوضاع والاستقرار فى المنطقة .

وفى المؤتمر الرابع لحكام الامارات الذى عقد فى امارة ابو ظبى يوم ٢١ اكتوبر ، تم انتخاب كل من الشيخ زايد بن سلطان حاكم ابو ظبى رئيسا للاتحاد والشيخ راشد المكتوم حاكم دبى نائبا لرئيس الاتحاد وذلك لمدة عامين . كما وافق الحكام على توصيات الجنرال جون ويلوبى المستشار العسكرى البريطانى لاتحاد الامارات العربية بشأن تكوين جيش للاتحاد – غير أنهم لم يتوصلوا الى اتفاق بشأن بقية النقاط المطروحة فى جدول الاعمال . ثم جاء حادث اقتحام جيمس تريدويل المندوب السياسى البريطانى فى ابو ظبى المؤتمر فى ٢٥/١٠ ليتلو على المجتمعين نص رسالة السير ستيوارت كروفورد المعتمد البريطانى فى منطقة الخليج ، والتى جاء فيها « ان الحكومة البريطانية ستشعر بخيبة أمل كبيرة اذا لم يتم التغلب على الخلافات الكبيرة بين حكام الاتحاد ، وان الحكومة البريطانية تعلق أهمية كبيرة على نجاح خطط الاتحاد » .

ويرجع المراقبون اسباب الخلاف الى معارضة حاكم دبى فى اشتراك البحرين فى الاتحاد وذلك قبل ان تحل مشكلتها مع ايران . وكان حاكم دبى قد زار طهران فى اوائل شهر اكتوبر واجتمع بالشاه ورئيس الوزارة الايرانية .

ويقال ايضا ان حاكم رأس الخيمة لم يكن يرغب فى الانضمام الى الاتحاد ويختلف الحال كذلك بالنسبة لحكام قطر

الذى ينبع موقفه ومعارضته فى ضم البحرين واقرار دستور للاتحاد من اقتناع ذاتى بعدم جدوى الاتحاد بوضعه الحالى .

ويعد هذا المؤتمر الرابع لحكام الامارات بعد فشل المؤتمرات السابقة ، مما دعا بهم للذهاب الى لندن عقب فشل المؤتمر الثالث فى مايو الماضى للتشاور مع الحكومة البريطانية التى طلبت منهم العمل على تكوين الاتحاد فى اسرع وقت •

ويرى المراقبون انه لا يوجد فى الوقت الحاضر من يستطيع انيتكهن بمصير الاتحاد، ويرى فريق من المراقبين ان الاتحاد الجديد ربما اقتصر على الامارات الست الباقية وهى (ابوظبى ، والبحرين ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القيوين ، والفجيرة) وذلك بعد انسحاب الامارات الثلاث الاخرى. وقد ذكرت صحيفة « صن » البريطانية بتاريخ ١٧ /١١ ، ان حوالى ٤٠٠ ضابط من القوات البرية والجوية والبحرية قد تطوعوا فى قوات الدفاع العربية الجديدة فى الخليج العربى

■ ■

■ **الصومال :**

عجال فى أمريكا •• والثورة فى الصومال

تجمع الدوائر التقدمية الافريقية ، على ان النظام الجديد فى الصومال ، نظام وطنى تقدمى ، وتستند هذه الدوائر — فى ذلك — الى اعتبارات أربعة :

● قيام انقلاب ٢١ أكتوبر ، فى مواجهة **ابراهيم عجال** — رئيس الوزراء السابق — وحزبه الذى سعىنوابه غداة تشييع جثمان **شيرماركى** رئيس **الجمهورية الذى أغتيل** ، الى عقد البرلمان لاختيار **مرشح** كانت بعض الضغوط الاجنبية قد فرضته **بعد مساومات** •

● أنه من الصعب الفصل بين المناخ الجديد — **الثورى** — الذى تحقق فى أعقاب **ثورة السودان** (مايو ١٩٦٩) ثم **ثورة ليبيا** (سبتمبر ١٩٦٩) ، وبين ما حدث فى الصومال •

● تصريحات المسئولين فى « **مجلس الثورة** » **بأن** « **الاشتراكية** » **هى : طريق حل مشاكل شعب الصومال** » • وكذلك تعديل اسم جمهورية **الصومال الى** « جمهورية الصومال الديمقراطية » **وتسمية الاذاعة** « **بصوت الشعب الصومالى** » •

● التصريح الذى أعلنه **بابكر النور** عضو مجلس قيادة الثورة السودانية — بعد زيارته للصومال فىالايامالاولىللانقلاب — والذىجاء فيه أن « الذين قاموا بالانقلاب ، من الشبان المعروفين بميولهم التقدمية » •

ومن المعروف أن انقلاب ٢١ أكتوبر فى الصومال ، قد تم بعد مرور ٦ أيام فقط على اغتيال عبد الرشيد شيرماركى بيد أحد رجال البوليس الذين كانوا يتولون حراسته أثناء الجولة التى كان يقوم بها فى مناطق « الجفاف » و « المجاعة » ولم يستطع أن يقوم لاهلها سوى « تعاطفه » — بتعبير صحيفة الموند الفرنسية ، حيث أن دوره ونفوذه فى المسرح السياسىقد تضاءل فىالسنوات الاخيرة، بسبب حجم النفوذ والدور الذى كان يمارسه ابراهيم عجال •

ومن الملاحظ أن كثيرا من المراقبين ، قد تساءلوا بما يشبه الشك ، عما اذا كان هناك ثمة رابطة بين مقتل شير ماركى وبين الانقلاب. ولكن الواقع أن أحدا لم يستطع أن يقدم دليلا واحدا على ذلك • وترى الدوائر الافريقية ان تأكيد قادة الانقلاب على أنهم سيسيرون على نفس السياسة التى انتهجها شيرماركى « سياسة الحياد ، ومساعدة حركات التحرر الوطنى وعدم التدخل فى شئون الدول الاخرى » ، ثم اقدامهم على اعتقال عجال واعلان أنهسيقدم— مع وزرائه — الى المحاكمة « بتهمة الفساد » ، يؤكد أن لا صلة بين الانقلاب وبين حادث الاغتيال •

وعلى العكس من ذلك ، تشير الانباء الواردة من الصومال ، الى أن ضباط انقلاب ٢١ أكتوبر قد سارعوا بحركتهم عندما بدا واضحا أن سياسة عجالسوف تتدعم بشكل كامل اذا نجح فىفرض المرشح الذى كان يستعد لتنصيبه لرئاسة الجمهورية •

ومن الجدير بالذكر أن ابراهيم عجال (٤١ سنة) كان قد تولى رئاسة الوزارة فى يوليو ١٩٦٧ كنتيجة للانتخابات التى أجريت فى ذلك الوقت وفاز فيها حزبه « **عصبة شمال الصومال** » • ومنذ ذلك الوقت ، اتجه عجال بالصومال « اتجاها غربيا » ملحوظا • فبعد شهرين فقط من توليه رئاسة الوزارة سافر الى **باريس** وأعلن **لديجول** تخلى حكومته عن المطالبة **بالصومال الفرنسى** • كذلك تخلت حكومته عن منطقة « أوجادين » على حدود **أثيوبيا** ، وأيضا عن « **المنطقة الشمالية** » على حدود **كينيا** . وقد اتهمته المعارضة الوطنية بأنه « باع جزءا من الوطن » . وفى نفس الوقت أوقف حزب« **الحركة الشعبيةللعملالديمقراطى** » الذى يتزعمه **عبد الرازقحاج حسين** والذىيتخذ من « وحدة الصومال الكبرى » شعارا أساسيا

له . وبعد أن سوى عجال مشاكل الحدود ، انهالت « المساعدات » من **أمريكا وأوربا** لحكومته وبخاصة بعد اكتشاف اليورانيوم بكميات كبيرة فى صحراء الصومال . وقد حصلت شركات **أمريكية وايطالية والمانية (غربية)** على امتيازات استخراج اليورانيوم . وبرغم ان عجال لم ينه المساعدات والاتفاقيات الاقتصادية والخاصة بالسلاح مع الدول الاشتراكية عامة والاتحاد السوفيتى خاصة . الا أنه ـ كما تقول « **لوموند** » ـ « فتح الابواب على مصراعيها أمام رءوس الاموال الغربية » . وتضيف « ان تعاون حكومة عجال مع **حلفاء اسرائيل** ، قد اثار الشعب الصومالى المسلم الذى ينادى بعروبته » .

ومن المشاكل التى سيواجهها الوضع الجديد ، ضرورة تطهير البوليس من العناصر الموالية للغرب والتى دربت على أيدى خبراء أمريكيين ، فى عهد عجال الذى استقدم الكثيرين منهم الى البوليس .

وترى دوائر شئون السوق الافريقية المشتركة، أن النفوذ الاقتصادى الغربى قد أسلم اقتصاديات البلاد الى حالة من الفوضى والتخلف لشعب يبلغ ٢ر٥ مليون نسمة يعيش معظمه على الرعى والزراعة . كما كان الميزان التجارى يشكو عجزا كبيرا فضلا عن الانخفاض الواضح والضخم لاحتياطيات البلاد النقدية . ومن المرجح أن الذين قاموا بالانقلاب قد استفادوا كثيرا من حالة السخط التى كانت تعم البلاد نتيجة لذلك التخلف .

أما شيرماركى (٥٠ سنة) فقد كان يتزعم حزب « **رابطة الشباب الصومالى** » وكان يطلق عليه اسم « أبو الاستقلال » نظرا لنضاله السياسى منذ ١٩٤٣ وكونه اول رئيس للوزراء بعد الاستقلال (١٩٦٠) . وقد انتخب فى يوليو ١٩٦٧ رئيسا للجمهورية . وكان شيرماركى ينتهج سياسة وطنية لكنه فى السنوات الاخيرة لم يكن يقوى على الوقوف ضد اتجاه عجال الجارف . ومن المعروف أن لشيرماركى مواقف واضحة تجاه العدوان الاسرائيلى على الدول العربية التى كان يسعى الى الانضمام معها فى « **جامعة الدول العربية** » كما **أعلن أن بلاده تعتبر نفسها فى حالة حرب مع** اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ ، وعرض على حكومة **الجمهورية العربية المتحدة** ارسال قوات من جيش بلاده للوقوف على خطوط وقف اطلاق النار فى مواجهة قوات اسرائيل والى جانب القوات العربية .

ويرى المراقبون الافريقيون ، ان اعلان حكومة **الثورة فى الصومال** ،تشكيل « مجالس ثورة » محلية فى الاقاليم ، هو خطوة ايجابية هامة من أجل ارساء جذور النظام الجديد ومواجهة كل احتمالات الخطر التى لا شك أنها تحدق بالصومال .

ومن المعروف أن انقلاب ٢١ أكتوبر قد تم على أيدى قوات الجيش (١٠ آلاف جندى ـ وتسليحه سوفيتى أساسا) مع قوات البوليس (٥٠٠٠ جندى) .

ويتوقع المراقبون انه كلما اقدمت حكومة الصومال الجديدة ، على اتخاذ اى موقف او اجراء ينم عن تقدميتها ووطنيتها ، كلما تزايدت احتمالات تفجر مشاكل الحدود مع **كينيا وأثيوبيا** . ولا يستبعد هؤلاء المراقبون ، أن يصل الامر الى حد حدوث اشتباكات مسلحة محدودة . هذا فضلا عن المخاطر الداخلية واحتمالات التآمر والضغوط الغربية ، وخاصة كلما تزايد تقارب الصومال مع الدول العربية .

■ ■

■ **الهند**

انديرا غاندى
تواجه اليمين مجتمعا

كان موقف حزب سواتانترا بتقديم قراره بعدم الثقة بحكومة السيدة انديرا غاندى فى الهند فصلا جديدا من فصول المؤامرة التى يحيكها اليمين الهندى داخل وخارج حزب المؤتمر للاطاحة بانديرا غاندى ، منذ صدور قراراتها بتأميم البنوك التجارية الرئيسية فى الهند .

لقد دبر الجناح اليمينى فى حزب المؤتمر تحت زعامة نيجا لانجايا وباتل وموراجى ديساى المعروفين بتمثيلهم للمصالح الرأسمالية الكبيرة انقساما داخل حزب المؤتمر حتى يفقد الاغلبية البرلمانية القليلة التى يعتمد عليها ، ثم تقدم حزب سواتانترا بقراره الى البرلمان الهندى تتويجا للمؤامرة .

والصراع داخل حزب المؤتمر ليس بجديد ، لكن الجديد هو لجوء جناح نيجا لانجايا الى الاساليب التآمرية الانقسامية . والى التحالف الصريح مع حزب سواتانترا الممثل الرئيسى للاحتكارات الهندية والمدافع عن المصالح الامريكية فى الهند .

ورغم كل محاولات الصحافة الغربية كعادتها لتصوير الصراع داخل حزب المؤتمر باعتباره صراعا شخصيا فان المصالح الرأسمالية الكبيرة التى يدافع عنها الاتجاه اليمينى ليست خافية على احد . ورغم المحاولات المبذولة للدفاع عن نيجالانجايا وجماعته فان صحافة الغرب نفسها لا تخفى

الاساليب التآمرية التى لجأ اليها فى نشاطه الانقسامى الاخير . ان جريدة نيوستيتسمان البريطانية تصف نجاح هذا الجناح فى تقديم رجلهم اليمينى سنجيناردى لرئاسة الجمهورية بانه تم « بمناورة بارعة » كما تصف الاعداد للعملية الانقسامية الاخيرة بقولها « ان نيجالانجايا تحرك فى منتصف شهر اكتوبر ضد بعض كبار انصار انديرا غاندى فى الولايات مستخدما بعض لوائح الحزب التى لا تستخدم الا نادرا ، وقد تم هذا فى مساء يوم الجمعة وقبل ساعات قليلة من انعقاد اجتماع اللجنة التنفيذية التى اتخذ فيه قرار فصل انديرا غاندى من الحزب!! اوقف نيجالانجايا عن العمل عددا من اقوى انصار انديرا يكفى لخفض مؤيديها بحيث يشكلون أقلية ، ومرغما انديرا وانصارها الباقيين على مقاطعة اجتماعات اللجنة » .

وعلى كل حال فان انديرا غاندى قد ظلت امينة على منهجها الذى اعلنته منذ بداية الازمة فى حزب المؤتمر ، منهج الاحتكام الى جماهير الشعب الهندى صاحب المصلحة الاولى فى تطوير البلاد وصون استقلالها . لقد ردت على مناورة ترشيح سنجيناردى بتأييدها لجيرى عضو حزب المؤتمر الذى دخل معركة الرياسة مستقلا وانتصر على مرشح اليمين . وبعد نجاح جيرى واجهت انديرا خصومها اليمينيين بشجاعة . وانتقلت بسرعة الى موقف الهجوم الذى تبدى فى اقالتها لاحد الوزراء الذى ابدى علنا تضامنه مع الجناح اليمينى . وفى مقاطعتها لاجتماعات اللجنة التنفيذية ، ودعوتها لاجتماع لجنة عموم الهند لحزب المؤتمر لانتخاب رئيس جديد للحزب بدلا من نيجالانجايا .

وعندما اتخذ هذا الاخير قراره بفصل انديرا من حزب المؤتمر ردت على معارضيها بسرعة بدعوة الهيئة البرلمانية للحزب التى أعلن كل من حضروا اجتماعها (٣٣٠–٤٢٢) تأييدهم لها بالاجماع ، ولم يكن أمام اليمين سوى تحريك فصيلته الثانية فتقدم حزب ساتانترا بمشروع قراره بعدم الثقة فى الحكومة .

ويرى المراقبون انه رغم ضراوة اليمين الهندى الذى تسانده قوى الامبريالية العالمية، فان وقائع الصراع بينه وبين انديرا تبين بجلاء ان هزيمته ليست مستحيلة .

ويرى هؤلاء المراقبون ايضا أن فى مقدور انديرا أن تتخطى الازمة بفضل ما تتمتع به من تأييد شعبى واسع ، وبسبب افتضاح دور اليمين بعد تأميم البنوك التجارية .

واذا كانت المعارضة التى تواجه انديرا منقسمة على نفسها ، — وهذا فى حد ذاته مصدر قوة اضافى لانديرا فأن هناك قوة ايجابية يمكن أن تساند انديرا مساندة ثمينة ، هى قوة اليسار الهندى الذى وقف فعلا بجانب انديرا فى ابان المعارك الاخيرة .

ولقد حققت أنديرا انتصارها الكبير على قوى اليمين داخل حزب المؤتمر بالقرار الذى اتخذته لجنة عموم الحزب بفصل نيجالانجايا من رئاسة الحزب ثم فصله ومؤيديه من قيادة حزب المؤتمر .

■ ■

■ البرازيل

دلالة مصرع « كارلوس »

قتل البوليس البرازيلى فى ٣ نوفمبر الماضى « **كارلوس ماريجيلا** » الزعيم الشيوعى البرازيلى وثلاثة آخرين من الثوار منهم سيدة وذلك اثناء مقاومتهم لعملية القبض عليهم . وقتل اثناء الاشتباك احد رجال البوليس وجرح ضابط من قوات الامن .

ووقع الحادث فى عمارة فى « لالاميدا لورينا » الحى السكنى فى ساو باولو — وقد اشارت بعض وكالات الانباء الغربية الى ان اكتشاف وجود ماريجيلا ورفاقه ومحاصرتهم يرجع الى اعتراف احد القساوسة الدومينيكان الذين قبض عليهم واودعوا السجن قبل الحادث بعدة ايام فى ساو باولو .

وكارلوس ماريجيلا نائب اتحادى سابق فى البرلمان البرازيلى ، ولد فى باهيا سنة ١٩١١ ، وتعرض للاعتقال عدة مرات وهو لم يزل طالبا بكلية الهندسة ، كما انه عضو سابق باللجنة المركزية للحزب الشيوعى البرازيلى ، وعضو بسكرتارية هذا الحزب . واصل نشاطه السرى فى البرازيل حتى قبض عليه واصيب بجراح فى فترة سابقة عندما اطلق البوليس الرصاص عليه ثم اطلق



انديرا غاندى

سراحه بعد ذلك لكى يعود من جديد الى نشاطه الثورى السرى .

وقد طرد كارلوس من الحزب الشيوعى البرازيلى بعد ٣٠ عاما من النضال فى صفوف الحزب ، وذلك بسبب اشتراكه فى اغسطس ١٩٦٧ فى مؤتمر تضامن دول امريكا اللاتينية المنعقد فى هافانا بكوبا ، وبسبب الاتجاهات التى كان يتبناها والتى وصفتها وكالات الانباء الغربية بأنها « ماوية » وقد اسس كارلوس ماريجيلا البالغ من العمر ٥٨ عاما اخيرا الحزب الشيوعى الثورى البرازيلى . على اساس ان النضال المسلح وحده هو الكفيل بتحقيق السلطة للثوريين . والحقيقة ان الخلاف بين ماريجيلا والحزب الشيوعى البرازيلى يدخل فى اطار الخلاف العام بين عدد من الاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية وبين بعض متزعمى حركات العمل المسلح فى تلك القارة ، هؤلاء الذين يوصفون بأنهم « كاستروبين » او « جيفاريين » او « ماويين » .

وكان الاتهام الرئيسى الموجه من الحكومة البرازيلية لماريجيلا هو تزعم حركة حرب العصابات فى البرازيل . كما نسب اليه الاعداد للعملية المثيرة (٤ سبتمبر الماضى) التى تم فيها اختطاف السفير الامريكى فى البرازيل والذى تم استبداله بعدد من المسجونين الثوريين .

وقد اشارت وكالة الانباء الفرنسية الى ان كارلوس ماريجيلا كان يدفع فدائييه الى التوسع فى مد نطاق الحركة لتشمل الارياف البرازيلية على غرار الجهود التى يقوم بها الضابط الثورى « **كارلوس لاماركا** » الذى تزداد شهرته فى الارياف ، والذى نجح منذ ٣ أشهر فى دعوة الفلاحين الى الثورة من خلال حديث اذاعه من راديو ساو باولو .

ويرى بعض الخبراء فى شئون امريكا اللاتينية ان مقتل ماريجيلا يمثل ضربة لحركة الكفاح المسلح فى البرازيل التى حرمت من زعيم كان على حد قول معلقى وكالة الانباء الفرنسية « رجلا اسطوريا حركيا ومنظرا جريئا » . وترجع الاهمية التى يحظى بها ماريجيلا الى انه نجح وهو النائب السابق فى ان يجمع الطوائف المنقسمة عقائديا فى نوع من وحدة العمل المباشرة خاصة وقد كان شخصية مهيبة ، تحظى بتقدير كافة الطوائف المناصرة للعمل المسلح وهى الحركة العمالية والاوساط الدينية والجامعية التقدمية . ومما هو جدير بالذكر ان بعض الخبراء المختصين فى شئون امريكا اللاتينية يرون ان النائب الشيوعى السابق « **يواقيم كمارا فيريرا** » سوف يحل محل كارلوس ماريجيلا .

ايطاليا

صيف ساخن وخريف أشد سخونة

اشترك حوالى ٢٠ مليون عامل فى الاضراب العام الثالث الذى يتم فى ايطاليا هذا العام احتجاجا على عدم توفر المساكن وارتفاع ايجارها ، وطوال الشهرين الماضيين عمت الاضرابات والمظاهرات العمالية معظم انحاء ايطاليا . لقد توقفت حركة المواصلات فى روما واقام عمال صناعات المعادن المضربين المتاريس فى شوارع تريستا ، وكذا فى جنوا واسبرا وغيرها من مدن ومناطق ايطاليا الكبرى . لقد شملت الاضرابات اكثر من أربعة ملايين عامل فى الصناعات المعدنية والبناء والكيماويات والادوية والزراعة تنتهى عقود عملهم قبل نهاية العام ، وتبدأ عقود عمل جديدة يطالب فيها العمال بزيادة اجورهم لمواجهة الارتفاع الفاحش فى نفقات المعيشة على الرغم من التحسن الذى طرأ على الميزان التجارى فى ايطاليا بعد أن وصلت مداخيل السياحة فى العام الماضى الى اكثر من ٧٠٠ مليون جنيه ، وبعد ارتفاع الانتاج الصناعى بشكل ملحوظ .

وتلاحظ جريدة التايمز البريطانية « ان ما يجعل الامور اكثر صعوبة ان مطالب العمال لم تعد قاصرة على زيادة الاجور وتحسين ظروف العمل ، فالاتحادات النقابية الثلاث - الشيوعى والديمقراطى المسيحى والاشتراكى الديمقراطى - قد وحدت جهودها حول برنامج يدافع عن دور اكثر نشاطا للعمال فى اتخاذ القرارات سواء فى داخل المصنع أو على نطاق البلاد كلها » .

وفى الجنوب ما زال الفلاحون يئنون تحت وطأة التخلف التقليدى ، وما زال الايطاليون يرددون بصدق قولهم « **اذا خرجت من روما الى الجنوب فستجد أفريقيا امامك وجها لوجه** » .

وليس عمال وفلاحو ايطاليا وحدهم الذين يقفون خلف المتاريس ، ففى جامعة روما أضرب المحاضرون وبعض الموظفين مطالبين بزيادة مرتباتهم . وفى جامعات ميلانو التقى مندوبين عن عمال المعادن مع الطلاب فى اجتماع ضم ١٣ ألف طالب ، بينما احتل طلاب الجامعة الكاثوليكية مسرح الجامعة للاحتجاج على « خطة قمع الهيئات الاكاديمية » .

وبين الصناعيين تذكر جريدة لوموند الفرنسية « ان الاغلبية العظمى من الصناعيين المتوسطين والصغار يشعرون بقلق عميق وهم

يرون الكبار ـ بيريلى واجنلى وايرى ـ يخططون سويا لتحقيق مصالحهم ويعقدون الاتفاقات التى تؤدى الى انهيار المنشئات الصغرى » .

هذا فى الوقت الذى تعيش فيه ايطاليا فى شبه أزمة وزارية دائمة . فالاحزاب الثلاثة (الاشتراكى ، والاشتراكى الديمقراطى ، والجمهورى) التى تؤيد حكومة الاقلية للديمقراطيين المسيحيين تعانى من انقسامات حادة ، بينما تتهاوى الكتلة التى يعتمد عليها ماريا نو رومر رئيس الوزراء داخل الحزب الديمقراطى المسيحى نفسه حتى أن اقرب مؤيديه وهى السنيور بيكولى سكرتير الحزب قدم استقالته من الحزب اخيرا . ويبدى المراقبون تشككهم الكامل فى قدرة رومور على الاستمرار حتى الانتخابات المحلية التى ستجرى فى الربيع القادم .

وقد زاد الصراع حدة بما يشبه التمرد الذى حديث بين رجال البوليس الايطاليين بعد مقتل أحد زملائهم اثناء تصديهم لمظاهرات الشباب الايطالى .

ويرى المراقبون ان تطورات الأوضاع السياسية والاجتماعية فى ايطاليا تدل على أن الشعب الايطالى قد أصبح يلفظ بشكل ثابت كل الابنية التقليدية لتشكيلات الحكم الايطالى بما فيها حكومات ما يسمى بيسار الوسط التى أصبح برنامجها هو اللافتة التى تعلقها كل حكومات ايطاليا منذ عدة سنوات ثم تعجز كلها عن تحقيقه . ثم يضطر جزء من هذا الوسط الى التشبث بالحكم من خلال تعقيدات برلمانية لا أول لها ولا آخر ، بينما لا يجرؤ الجزء الاخر على الاشتراك فى الحكومة خوفا من انفضاض جماهيرهم من حولهم . وفى الوقت نفسه لا يجرؤ على أن ينفض يده تماما من الحلف خشية تفاقم الازمة الوزارية وما قد يؤدى اليه من فرض وجود الشيوعيين داخل الحكومة . وهاهو الصيف الساخن قد أسلم نفسه لخريف اشد سخونة ، ويؤكد كل المراقبين أن التوتر سيزداد حدة يوما بعد يوم .

■ ■

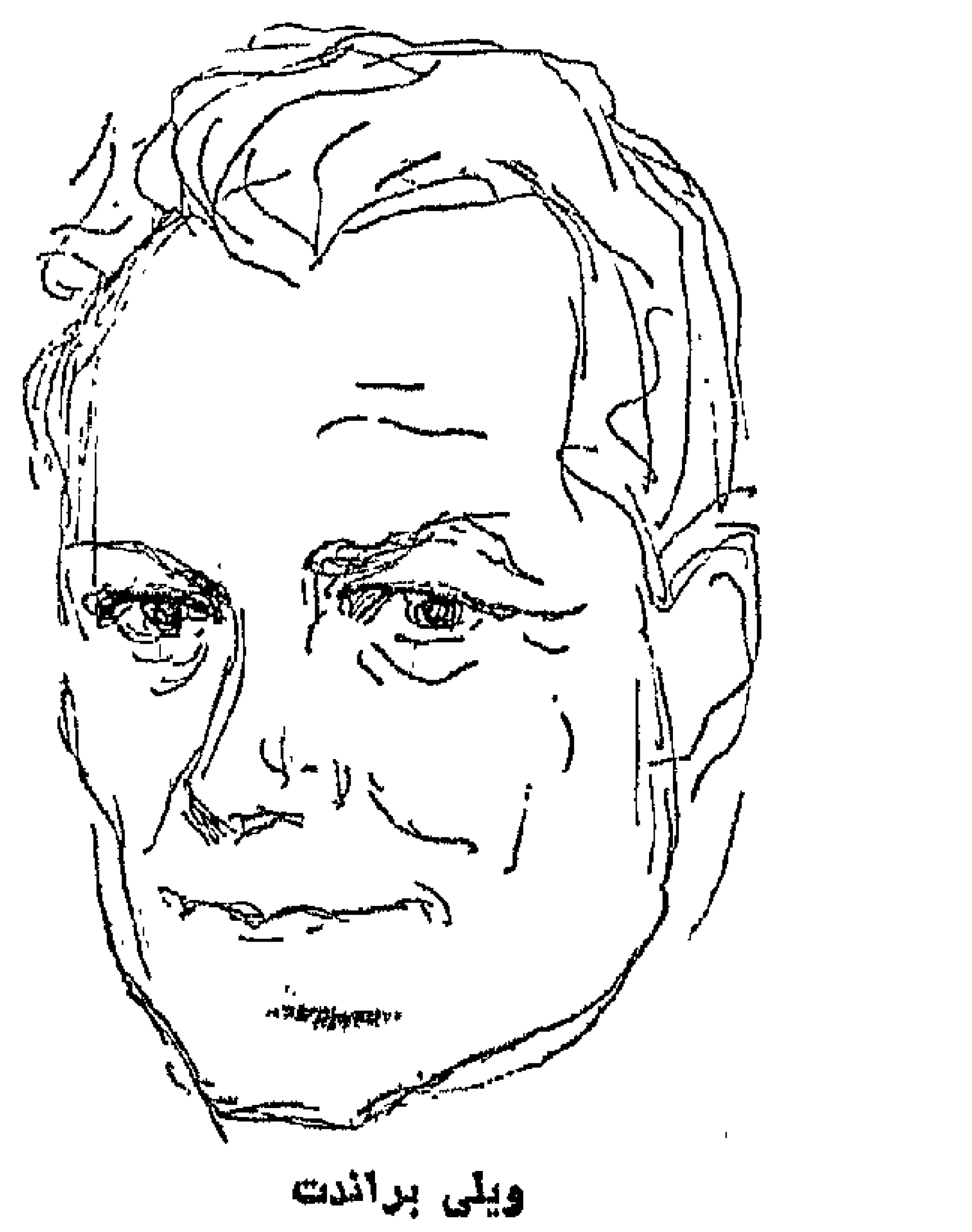
■ **ألمانيا الغربية**

حكومة براندت .. بين الحلم والحقيقة

تبدى حكومة ألمانيا الغربية الجديدة بزعامة براندت اهتمامها بتحسين العلاقات مع البلدان العربية وقد كلفت القائمين بالاشراف على شئون رعاياها فى البلاد العربية بشرح سياستها الجديدة للحكومات العربية ، هذا فى الوقت الذى تحجم فيه عن اتخاذ أى اجراء عملى حقيقى ازاء العلاقات العميقة التى تربط بون بالعدوان الاسرائيلى . يدل على ذلك ما أشارت اليه صحيفتا ترود دويتشه تسايتونج وتاجس انتسايجر الالمانيتان من « وجود عدد كبير من الرعايا الالمان الغربيين يخدمون فى صفوف الجيش الاسرائيلى » وهو ماأكدته وزارة خارجية بون فى بيانها الرسمى الذى اصدرته ، وذكرت فيه « أن الامر يتعلق بجنود يحملون جنسيتين » .

وعلى كل حال فان هذا الخط الذى يثير الكثير من التساؤلات حول سياسة حكومة بون الجديدة اكثر مما يقدم من اجابات هو الذى يميز حتى الان مجموع سياسة ويلى براندت فى مجال الشئون الخارجية .

فعلى الرغم من سيطرة حكومة براندت على الموقف تماما ، وتأكيد المراقبين انها قد تتمكن من البقاء فى الحكم طوال السنوات الاربع القادمة (ان لم تستمر أطول من هذه المدة) ، فان ويلى براندت قد أحجم حتى الان عن اجراء اى تغييرات جذرية فى السياسة الالمانية ، باستثناء الوعد باصلاح بعض نواحى السياسة الداخلية التى أصبحت تزكم الانوف برجعيتها مثل نظام التعليم والقضاء والضرائب دون مساس بمراكز الاحتكارات الالمانية العاتية ، ويرى المراقبون ان برنامج حكومة براندت لم يحو سوى افكار غامضة ، ومحاولة صريحة لتجنب مواجهة حلف الرجعيين والنازيين الجدد فى الداخل ، واستمرار التمسك بجوهر السياسات التقليدية للحكومات الالمانية ازاء المشاكل الدولية . لقد كرر براندت الرفض الدائم للاعتراف الكامل بالمانيا الديمقراطية ، ومع اعترافه فى احدى الفقرات



ويلى براندت

بوجود دولتين المانيتين، فلقد ترك الجميع ليخمنوا المدى الذى يمكن انيسير اليه فى هذا الاتجاه بينما ترك وزير خارجيته شيل يصدر تعليماته الى مبعوثى المانيا الغربية السياسيين فى الخارج طالبا منهم ... مواصلة بذل الجهود للوقوف فى وجه محاولات جمهورية المانيا الديمقراطية للفوز باعتراف الدول الاخرى بها، كما أنه لميذكر شيئا عن اسقاط معاهدة ميونيخ التىعقدت فى عهد هتلر

تعليق

« جاليرى ٦٨ » ومعنى الحداثة فى الفن

يثير صدور العدد الاخير من « جاليرى ٦٨ »تلك القضية القديمة الجديدة فى آن واحد : قضية الحداثة فى الفن . ومبعث اهمية القضية ان الرأى العام قد انعقد على ان « ٦٨ » هى ممثلة الادب الطليعى فى مصر ، وان كتابها ونقادها انفسهم يعتنقون هذا الرأى .والدعوىالتى تتقدم بها هذه الكلمةهى ان فهم « ٦٨ » لمعنى الحداثة فهم خاطىء ، وان فى كتابات نقادها وشعرائها وقصاصيها وكتابها المسرحيين تناقضا داخليا لميفطنوا اليه.

ما الحداثة فى الفن ؟ انها ، بكلمة واحدة ، التعبير عن حساسية العصر . ويتضمن هذا ان فى الحداثة عنصرا ثابتا وآخر متغيرا . ففى كل فن حديث مزيج من امرين اولهما هو العواطف الانسانية الباقية ، والتى هى جزء لا يتجزأ من طبيعة الانسان . والثانى هو السمات الجديدة التىينفرد بها كلعصر، وتكون على الصعيد الفنى ـــ تعبيرا عن نقلة فى الذوق والاحساس ، شكلتها القوى الفكرية والاجتماعية التى جاء بها العصر الجديد . فالفن الذى يقنع بمعالجة الجزء الباقى من طبيعة الانسان لا يمكن ان يكون حديثا ، وانما هو ـــ على احسن الاحوال ـــ كلاسيكى تقليدى لا يأتى بجديد . والفن الذى يقنع بمعالجة مظاهر العصر المتميزة واوجه اختلافه عن العصور السابقة لا يمكن ان يكون حديثا بدوره ، لانه فى هذه الحالة يكون قد استعاض بالزائل عن الباقى ، واكتفى منالحضارة بمظاهرها السطحية : مغفلا الجوهر الانسانى الكامن تحتها والذى هو واحد فى كل عصر من حيث الاساس . من هذا المزاج من الباقى والزائل استمر اقطاب الحركة الحديثة فى الادب روائعهم التى دخلت التراث : شعر فاليرى وسان جون برس واليوت وباوند ، مسرح بيكيت ويونسكو ،قصة جويس وكافكا وبروست. وفى مقابل كل واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم يوجد مائة كاتب كان يطمح الى اللحاق بركب الحداثة فى الادب ولكنه اخفق لانه لم يتوصل الى بلوغ التوازن الذى بلغه هؤلاء الكتاب .

وحين اقول ان فى فهم « ٦٨ » للادب تناقضا داخليا فانما اعنى ما يلى : انهم ايديولوجيا ملتزمون باتجاه تقدمى اقرب الى اليسار ، ولكنهم تكنيكيا يستخدمون اساليب كتاب ليسوا تقدميين بالمعنىالذى يفهم عادة من هذه الكلمة ، ولا رغبة لهم فى تغيير الاوضاع الاجتماعية ، وانما هم مخلصون لرؤياهم الخاصة الشديدة الذاتية والتى لا تبدى كبير تعاطف مع حركة الجماهير فى حياتها اليومية ، بل ربما ازرت بها وشككت فى جدواها واعتصمت ببرجها العاجى الخاص .

ونضع الامر فى صيغة اخرى فنقول : ان كتاب « ٦٨ » يريدون الخير لشعبهم ويرون فى الفن اداة للتغيير الاجتماعى ولكنهم فى الوقت ذاته مفتونون بتلك البراعة التكنيكية الفائقة التى تتبدى فى اعمال اليوت وجويس وبيكيت ومن اليهم، ومن ثم فهم يعمدون الى حل توفيقى او تلفيقى يتمثل فى ان يستعيروا من كتاب الواقعية الاشتراكية ومن دعاة الالتزام الادبى كبرخت وسارتر رؤياهم التقدمية ووضعهم الفن فى خدمة قضايا المجتمع مستعيرين فى الوقت ذاته من رواد الحداثة الغربيين ادواتهم الفنية : كتيار الشعور والنقلات المفاجئة ومنهج الاشارة والالماع الى التراث الادبى والانسانى بأكمله والشعور بعبثيةاللغة وعجزها عن التوصيل والتلاعب باللغة وشحنها بالدلالة والرمز والايحاء . ويتصور كتاب « ٦٨ » انهم بهذا يمسكون بالعصا من الوسط ويستفيدون من احدث منجزات التكنيك فى خدمة قضية الانسان . ولكن هذا الحل الوسط ، واأسفاه ، ليس عمليا ولا يحل المشكلة حيث انها اعمق من ذلك غورا واعقد تركيبا .

ان لجوء اليوت وجويس وبيكيت الى تداعى الخواطر والمناجاة الداخلية وتفتيت اللغة جزء لا يتجزأ من رؤياهم للوجود وهى رؤيا حادة الشعور بأزمة الانسان الحديث وضياعه فى قلب المدينة الكبيرة وانبثات صلته بالحقائق الاساسية ، كالله والطبيعة ومنابع التلقائية والغريزة. والاكتفاء بأخذ ادواتهم التكنيكية ، دون ايمان برؤياهم التى املت عليهم هذه الادوات ، انما هو انكار لتلك الوحدة الاساسية بين الشكل والمضمون ، وادعاء لا يقوم عليه دليل بأنك تستطيع ان تستعير شكل احد الكتاب دون مضمونه ، او العكس ، مع ان التجربة تثبت ان هذين الامرين ليسا الا وجهين لعملة واحدة ، هى العمل الادبى المتكامل والذى لا يعود فيه شكل ومضمون وانما بنية واحدة مركبة الاجزاء يتفاعل بعضها مع بعض ، وتتناغم حركاتها ، الى الحد الذى لا يبرز معه نتوء شكلى او نتوء مضمونى .

يذكرنى منهج جماعة ((٦٨)) بما عمدت اليه جماعة من الشعراء الانجليز ظهرت فى اوكسفورد اثناء الثلاثينيات ، وكانت مكونة من و . هـ . اودن وستيفن سبندر ولويس ماكنيس وسيسيل داى لويس . كانت هذه الجماعة شديدة الاعجاب باليوت ولكنها فى الوقت ذاته مؤمنة بالايديولوجية الماركسية ، ومن ثم قررت ان تستعير من اليوت بروقه ورعوده ، وتضعها فى خدمة الحياة بدلا من ان تحنطها فى متحف الفن . وعلى الرغم من المواهب التى لا تنكر لافراد هذه الجماعة وسعة محصولهم الثقافى ووجودهم فى قلب الحضارة فقد فشلوا فى ان يحققوا هذا التصالح المنشود ومن ثم كان عليهم ان يختاروا بين امرين : الموقف الدينى الذى يمثله اليوت ، والماركسية . وقد اختاروا : خرج سبندر من الحزب وعاد اودن الى حظيرة الكاثوليكية وتوقف لويس او كاد عن قرض الشعر . ولا يعنينى هنا ان يكون موقفهم هذا صائبا او لا يكون قدر ما يعنينى انهم كانوا من النزاهة الفكرية بحيث ادركوا استحالة مثل هذا الحل الوسط ومن ثم اتخذوا قرارا . والمطلوب من جماعة « ٦٨ » ان تتخذ مثل هذا القرار : اما ان تتبنى رؤيا اليوت وجويس وبيكيت للوجود وتصطنع اساليبهم ، او ان تتبنى رؤيا الالتزام وتصطنع اساليبه ، فهى لا تستطيع ان تظفر من كل شىء بأحسنه ، او ما تخال انه احسنه ، وانما عليها ان تختار ، لانك ـــ كما يقول المثل الانجليزى ـــ لا تستطيع ان تأكل كعكتك وتحتفظ بها فى آن واحد .

ماهر شفيق فريد

والاعتراف بخط اودر — نيس عدا عرقله ببدء مفاوضات مع بولندا .

وحتى بالنسبة لمعاهدة منع انتشار الاسلحة الذرية التى اعلن انه يريد توقيعها باسرع مايمكن فقد وضع عدة شروط لهذا التوقيع . ومازال يترك الغموض يلف موقف حكومته ازاء المعاهدة المقترحة من وزراء خارجية دول المعسكر الاشتراكى بمنع استخدام القوة تحقيقا للامن الاوروبى .. بينما سارع وزير دفاعه هلموت شميت الى واشنطن للاشتراك فى لجنة التخطيط النووى لحلف الاطلنطى ، هذه اللجنة التى تدرس تقريرا المانيا وبريطانيا عن الحرب الذرية التكتيكية فى أوربا الوسطى كان قد تم وضعه فى عهد حكومة كيسنجر واعلن شميت انه « متفق معه كل الاتفاق من حيث الشكل وكذلك من حيث المضمون »

وبرى المراقبون أن تصورات براندت عن تطور هادىء الى « موقف سويدى » فانه انما يعنى تجاهله للواقع الالمانى الملغم بالمراكز القوية للقوى الرجعية والنازية الجديدة . ولا شك ان الموقف يلقى مسئولية اكبر على القوى الديمقراطية الالمانية حتى تحول دون تحول جمهورية براندت الى جمهورية فيمار أخرى .

■ ■

■ **الولايات المتحدة الامريكية**

الماركسية والمكارثية والعسكرية !!

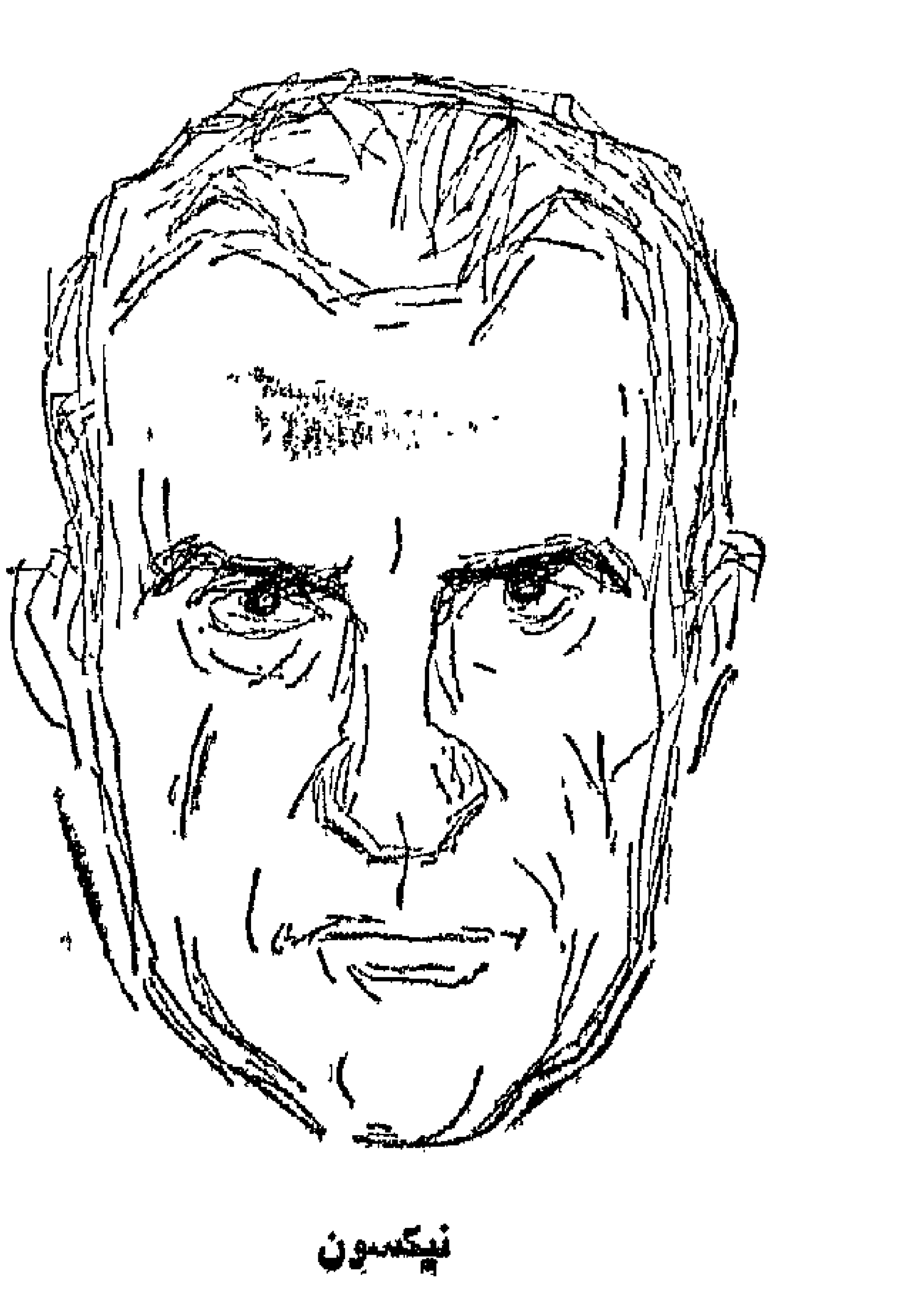
فى ١٩ نوفمبر الماضى قام قرابة نصف مليون امريكى بتنظيم المظاهرة التاريخية التى سارت تحت اسم « المسيرة ضد الموت » .

وقد اقتحم المتظاهرون وزارة العدل الامريكية وانزلوا الاعلام الامريكية ورفعوا اعلام ثوار فيتنام بدلا منها . ولم يكن هذا يعنى مجرد تزايد معارضة القوى المحبة للسلام فى الولايات المتحدة لسياسة الحكومة الامريكية فى فيتنام ، وانما يعكس أيضا تزايد عنف ردود فعل اقسام هامة من الرأى العام الامريكى بعد خطاب نيكسون الاخير بشأن حرب فيتنام فى ٣ نوفمبر الماضى .

فقد وجه نيكسون فى هذا الخطاب « نداء الى الامة الامريكية والى كل مواطنيه ليمنحوه تأييدهم من أجل تنفيذ خطة فى انهاء الحرب حتى لا تتعرض الولايات المتحدة للهزيمة والعار » ، واوضح ان زعماء فيتنام الشمالية يخطئون خطأ كبيراً اذا اعتقدوا بأن زيادة حدة العنف فى فيتنام تخدم مصالحهم . وأضاف « انهم لو اعتقدوا ذلك فانه لن يتردد فى اتخاذ الاجراءات الحازمة والفعالة لمواجهة الموقف » . وانه « اذا ازدادت موجات التسلل المعادية من فيتنام الشمالية .. فان العدو وحده هو الذى يتحمل مسئولية ذلك » . ووصف نيكسون نداءه بانه « من أجل الوحدة وضد الهزيمة لان فيتنام الشمالية لا تستطيع هزيمة الولايات المتحدة عسكريا ولا اذلالها » .. وانه « بالنسبة للولايات المتحدة ، فان أول هزيمة تمنى بها فى تاريخها معناها ضياع الثقة التى تحظى بها ، ليس فى آسيا فقط بل وفى العالم كله » . « وان الانسحاب السابق لاوانه ليس الا كارثة رهيبة . » ، ومثل هذا الانسحاب يفتح فى العالم عهدا من العنف فى وقت تعهدت فيه الولايات المتحدة بالعمل من أجل السلام فى الشرق الاوسط وفى برلين وفى أوربا الغربية » .

وعلى هذا النحو يحاول نيكسون مد أمد الحرب من جديد والتهديد بالتصعيد ثانية بعد فشل تجربة جونسون الاولى ، كما انه يحاول بهذه السياسة الجديدة الحيلولة دون ردود الفعل الحتمية لانهيار موقف الولايات المتحدة فى فيتنام وآسيا . وما يسميه هو « بانفتاح عهد من العنف فى العالم » لا يعنى فى الحقيقة سوى اندفاع موجة التحرر الوطنى بعد الهزيمة الامريكية فى فيتنام وهو ما يحاول ان يتوقاه .

والحقيقة انه على الرغم من السخط والاستياء اللذين قوبل بهما هذا الخطاب من قوى التحرر



نيكسون

الوطنى والاشتراكية والسلام فى العالم ، الا أن اخطر ردود افعاله كانت داخل الولايات المتحدة الامريكية نفسها ، وقد اجملت وكالة « رويتر » الطابع العام لرد الفعل الامريكى ازاء خطاب نيكسون موضحة « ان تورط الولايات المتحدة فى حرب فيتنام يسبب اكبر قدر من الالم والحزن على مستوى جماهيرى فى تاريخ أمريكا كله » . وهاجمت صحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية الخطاب وقالت انه خطة (« لفتنمة » الحرب) اما المطلوب فهو خطة « لفتنمة » السلام) . **وقالت الصحيفة « ان نيكسون قد خيب أمل البلاد التى كانت ترغب فى اعادة الاولوية للمسائل الامريكية »**

وقال السناتور « **ادوارد كينيدى** » انه وملايين من الامريكيين « يشعرون بخيبة الامل ازاء خطاب الرئيس الامريكى » . وشاركه فى الرأى كثيرون من رجال الكونجرس الذين أجمعوا على أن سياسته مطابقة لسياسة جونسون . وقال السناتور « **وليم فولبرايت** » « انه لابد ان نيكسون له رأى سىء للغاية فى الشعب الامريكى اذا كان يعتقد حقا ان غالبية هذا الشعب تؤيد سياسة هذه فيما يتعلق بالحرب » . كما اوضح ان الخطاب الذى القاه « **سبيرو اجنيو** » نائب رئيس الجمهورية ، وهاجم فيه معارضى الحرب فى فيتنام « **قد أثار المشاعر بدرجة يخشى معها مولد الحركة الماركسية من جديد** » . واضاف ان المشاعر التى اثارتها تصريحات اجنيو تشبه الحملة التى قادها السناتور الراحل جوزيف مكارثى فى الخمسينات » . وأعلن زعماء ٥٠ منظمة تمثل طلبة الجامعات الامريكية وحركات السلام والمنظمات السلامية الدينية ، ان خطاب نيكسون « ملأ قلوب الشعب الامريكى بالمرارة واليأس » . كما عبر **افريل هاريمان وهيبورت همفرى** عن مشاعر الاسف من الخطاب . كذلك أشار « وليم شيرر » فى الهيرالد تريبيون الدولية فى ٩ نوفمبر الماضى الى أننا نواجه حقيقة انه لم يحدث من قبل فى تاريخنا ان تمتع الجنرالات وحلفاؤهم فى الصناعات الدفاعية بمثل هذا النفوذ فى البلاد » ، وقال الجنرال الامريكى **دافيد . ن . شوب** بطل معركة « **تراوا** » أن « امريكا اصبحت أمة ذات نزعة حربية وعدوانية حيث تسعى لايجاد حلول عسكرية للمشكلات السياسية اساسا » .

على أن من أهم النتائج التى اسفر عنها الخطاب دوليا فى نظر عديد من المعلقين السياسيين فى العالم ، هو انه نزع القناع عن كافة المناورات الخداعة التى قامت بها حكومة نيكسون على المستوى الدولى منذ يناير ١٩٦٩ ، بحيث أسفرت كما لم يحدث من قبل عن وجهها العدوانى الحقيقى . كذلك فان استمرار تورط الولايات المتحدة فى الحرب الفيتنامية لن يترتب عليه سوى ازدياد حجم الهزيمة الامريكية هناك ، ومن ثم ازدياد الازمة الداخلية فى المجتمع الامريكى والازمة الدولية فى نظام المحالفات الامريكية » .

وعلى أية حال فان تعليق الكاتب البريطانى « **بول جونسون** » فى النيوستيتسمان البريطانية فى ١٣ نوفمبر الماضى يمكن ان يكون له مغزاه فى هذا الصدد . فقد اشار الى « **ان نيكسون أوضح أنه لن يكون اول رئيس امريكى يخسر الحرب، والواقع ان هذه الملاحظة تذكرنا بصورة مخيفة بالمستوى الذى يفكر به أقوى رئيس فى العالم ، فهى اشبه بما يقوله التلاميذ . بيد انه يجب على السياسيين ان يتجنبوا دائما التصريحات المطلقة التى من المؤكد ان الاحداث ستثبت خطأها سريعا** » .

■ ■

■ **بريطانيا**

تعويذة العداء للسامية تفقد بريقها

جاء رفض السلطات الاسرائيلية التصريح لانتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى السابق بزيارة الضفة الغربية لنهر الاردن دليلا واضحا على مدى الضيق الذى تشعر به الدوائر الاسرائيلية من جراء التحولات التى بدأت تطرأ على الرأى العام البريطانى .

ذلك ان ناتنج كان قد أعلن فى بيروت أنه يأمل ان يرى فى يوم من الايام دولة حرة فى فلسطين يستطيع كل من اليهود والعرب ان يعيشوا فيها معا فى سلام ، فكان رد الخارجية الاسرائيلية انها لن تسمح له بدخول الاراضى العربية المحتلة لان ذهابه الى هناك « لن يخدم غرضا نافعا » !! . الا ان المراقبين يرون ان القصد الحقيقى من القرار الاسرائيلى الى جانب كل ما يعنيه هو تنبيه المنظمات الصهيونية العالمية الى خطر التحولات التى تجرى فى الرأى العام البريطانى ، وضرورة مواجهتها . **والواقع ان بعض الدوائر البريطانية بدأت تشعر ان بريطانيا وقد فقدت معظم مصالحها التقليدية فى**

الشرق الاوسط لم يعد من صالحها ان تستمر فى الرهان على الجواد الاسرائيلى وأنه من الاوفق لها ان تحذو حذو فرنسا . ولقد كتبت الايكونوميست تقول أنه اذا كانت المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط تعتمد فى استمرارها على القوة بينما تعتمد المصالح الفرنسية على السياسة فان البقية الباقية من المصالح البريطانية تعتمد على مجرد القصور الذاتى ، فهى لا تجد لا القوة ولا السياسة التى تعتمد عليها فى الاستمرار .

ولقد كشفت المناقشة الصاخبة التى دارت فى مجلس العموم البريطانى وعلى صفحات الصحف البريطانية حول مقال هودجكيه مراسل التايمز البريطانية حول عسف الاحتلال الاسرائيلى فى الاراضى العربية ان بريطانيا حبلى بموقف فرنسى بالفعل . واذا كان بعض نواب حزب العمال المعروفين بارتباطاتهم التقليدية بالحركة الصهيونية قد وقفوا يهاجمون هودجكيه متهمين اياه وجريدة التايمز بالعداء للسامية والتعاطف مع النازية ، فان عددا آخر من نواب حزب العمال بل وعددا من النواب المحافظين قد وقفوا يدافعون عن مراسل التايمز . ولما تحدى هؤلاء النواب الصهاينة بأن يرددوا اتهاماتهم خارج البرلمان ، بعيدا عن الحصانة الدبلوماسية حتى يتيسر اتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة بهذا الصدد ، رفض النواب الصهاينة التحدى . الا أن المعركة التى بدأها هودجكيه بتقريره ظلت تدور على صفحات التايمز وغيرها من الصحف البريطانية مجتذبة أقلاما جديدة واصواتا جديدة .

واذا كان لم يتبلور بعد اتجاه ملموس فى الدوائر البريطانية المسئولة فان تحولات لا يمكن انكار اهميتها قد بدأت تطفو على مستوى الرأى العام الذى بدأ يحس بجريمة بريطانيا التى بذرت البذور الاولى للكيان الصهيونى على أرض فلسطين . ولقد تكونت فى الشهر الماضى « جبهة مساندة فلسطين » التى تضم الى جانب اتحادات الطلبة العرب قادة روابط الطلاب الانجليز وممثلو حركة « ايزراكا » اليهودية التى تماثل حركة ماتزن فى المانيا والتى تدعوا الى اقامة دولة فلسطينية تضم العرب واليهود . واصدرت الجبهة برنامجا لها جاء فى مقدمته « **ان الكيان الصهيونى لاسرائيل انما هو نتاج مشكلة العداء للسامية فى القارة الاوربية وأن الصهيونية والعداء للسامية هما فى الواقع وجهان لعملة واحدة** »

ولقد نظمت الجبهة مظاهرة من ثلاثة الاف متظاهر فى ذكرى وعد بلفور فى ٢ نوفمبر اتجهت من حدائق هايد بارك الى دار السفارة الاسرائيلية تأييدا للمقاومة الفلسطينية ، ورغم ان المظاهرة حافظت على طابعها السلمى فانها كانت فوق ماتتحمله المنظمات الصهيونية التى تربص بعض شبابها للمظاهرة وهى تواصل مسيرتها ، واعتدوا على المتظاهرين بالعصى والهراوات ، ولما حاول بعض الصحفيين ومصورى التليفزيون تصوير الاعتداء اعتدى عليهم بدورهم واختطفت منهم آلات التصوير الا ان التليفزيون البريطانى قد تمكن من عرض تسجيل كامل للاعتداء الصهيونى على المظاهرة وعلى الصحفيين ، ولم تجد الدوائر الصهيونية أمامها سوى ان تتهم هيئة التليفزيون البريطانية بأنها معادية للسامية !! الا أن صحيفة « الجويش كرونيكل » قد لاحظت ان المبالغة فى توجيه هذه التهمة فى كل صوب قد بدأ يأتى بثمار عكسية . ومرة أخرى تؤكد التطورات السياسية أنه بقدر ماتفقد الدول الاستعمارية مصالحها الكبرى فى البلاد العربية بقدر مايقل اهتمامها بالانكشارية الاسرائيلية) ومن ثم تنشأ الظروف الموضوعية لكى تتخذ موقفا أقل تحيزا للدولة الصهيونية فى الصراع العربى الاسرائيلى .

■ ■

■ **علوم**

عصر الجراحة التعويضية وزراعة الاعضاء والانسجة المختلفة

اذاعت وكالات الانباء أن فريقا من خبراء الشئون الصحية فى لندن ، قد أكدوا أنه لن يحل عام ١٩٨٠ الا ويكون الاطباء قد سيطروا على ٧ فى المائة من الامراض السرطانية ، وتغلبوا بصفة جزئية على عملية تحول الانسان الى حالة الشيخوخة ، وتمكنوا من استبدال ما تلف من أعضاء الجسم بأعضاء أخرى سليمة ، باستثناء المخ والنخاع الشوكى .

والواقع أن الانسان يعيش اليوم فى بداية عصر الاستبدال الكلى الجراحى للاجزاء التالفة والمريضة فى جسم المريض . فلقد استطاع الاطباء اجراء عمليات زرع واستبدال ٢٩ من مختلف أعضاء وأنسجة جسم الانسان . فحتى شهر ابريل الماضى تم زرع ١٢٦ قلبا فى العالم ، كما أجريت حتى الان ٢٥ عملية زرع رئة منذ اجراء أول عملية من هذا النوع فى جامعة ميسيسبى عام ١٩٦٣ ، و٣٥ حالة زرع كبد . هذا الى جانب ، أن هناك

أكثر من ۲۰۰۰ شخص ، في مختلف أنحاء العالم يعيشون بكلى زرع أغلبها من أشخاص موتى . ومما يستحق الذكر ، أن نتائج زرع الكلى منذ ١٠ سنوات كانت أسوأ بكثير من نتائج زرع القلب والاعضاء المختلفة الحالية ، وهذا يبشر بنجاح كبير في عمليات زرع الاعضاء المختلفةالحالية . ويتسع اليوم نطاق هذه العمليات فتشمل علاوة على القلب والكلى والرئة والكبد ، أعضاء وأنسجة أخرى مثل الايدى والارجل والطحال والبنكرياس وأجزاء هامة من العين ، والاوعية الدموية ، بل ونجحت عمليات زرع الرأس نفسه على حيوانات التجارب .

ومن العقبات الكبيرة التي تواجه نجاح عمليات زرع الاعضاء ، هي مشكلة طرد العضو المزروع . وهي ليست عقبة تكنيكية في نجاح جراحات زرع الاعضاء ، ولكنها مشكلة بيولوجية . وتبذل جهود حالية ضخمة لحل هذه المشكلة وتتلخص في ٣ اتجاهات :

أولا : استخدام الاشعة السينية والهرمونات موضعيا ، وكذلك عن طريق اجراء تجارب لزيادة واضعاف رد الفعل الناتج عن عدم التوافق بين جسم الانسان والعضو المزروع .

ثانيا : تحضير حوالى ٥٠ مصلا مختلفا، يمكن عن طريقهم تحديد درجة عدم التـوافق أو الانسجام ، بين جسم الشخص الذى سيؤخذ منه العضو المزروع وجسم المريض ،وبذلكيمكنتقليل احتمالات طرد العضو المزروع .

ثالثا : محاولة تطويع البروتينات بين الشخص الذى سيؤخذ منه العضو المزروع والشـخص المريض ، وهى امكانية نظرية حاليا وتحتاج الى الاختبارات العملية .

ومن الجهود الكبيرة التى تبذل حاليا ، لنجاح عمليات زرع الاعضاء والانسجة المختلفة ، تصنيع الاوعية الدموية (الاوردة والشرايين) واستبدال الاوعية التالفة بها مثل الاورطـة والاوردة الضخمة . ومن المشكلات التى صادفها الاطباء فى هذا المجال ، هى سرعة تجلط الدم فى الاوعية المصنعة وسرعة تلوثها بالميكروبات .

وقد استطاع العلماء التغلبعلى هاتين العقبتين بغمس المادة المصنعة فى مادة الهيبارين (وهى المادة التى تمنع سرعة تجلط الدم) ، ومـادة الكولاجين (وهى مادة بروتينية توجد فى أنسجة الجسم الحى) . الى جانب غمسها لمدد طويلة فى المضادات الحيوية . وقد أثبتت هذه الاوعية الدموية تفوق الحيوية المصنعة نجاحها فى التطبيق العملى .

ومن أخطر وأعقد عمليات زراعة الاعضاء ، عمليات زراعة الاعصاب والنخاع الشوكى ومخ الانسان . وقد تم بنجاح خياطة واعادة تشغيل الاعصاب الطرفية البعيدة ، ولكن نجاح نفس الخطوة فى الاعصاب المرتبطة بالنخاع الشوكى مباشرة ، والنخاع نفسه دونه مصاعب جمة . الا أن الجهود فى هذا السبيل أيضا لا تتوقف ، فقد أعلن الدكتور روبرت هوايت اخصائى جراحة الاعصاب فى مستشفى كليفلاند الجامعى بولاية أوهايو ، أنه نجح فى الاحتفاظ بأكثر من مائة من أمخاخ القرود حية لعدة أيام خارج جماجمها وكانت تعملبطريقة طبيعية، وهىخطوة كبيرة فى الاعداد لزرع المخ فى المستقبل . ومن العمليات المثيرة التى كان العلماء السوفيت قد أجروها ، عملية زرع رأس كلب فى رقبة كلب حى آخر . وتصرف رأس الكلب المزروع بطريقة طبيعية تماما ، فكان يجيبعلى منينادى على اسمه . وكان يعرف جميع معارفه وأصدقائه السابقين . وكانت الرأس المزروعة تشربالماء وتأكل اللحم.وقد تبدو عملية زرع الرأس ، عملية خيالية ، ولن يكون لها أهمية عملية بالنسبة للانسان . ولكن الاطباء السوفيت يتوقعون نجاح مثل هذه العمليات فى الانسان مستقبلا . فيمكن مثلا تركيب رأس وذراعـى شخص (يكون جسمه قد مزق بطريقة يصعب معها اصلاحه) ، على جسم شخص آخر (تكون رأسه قد تهشمت تماما فى حادثة) . وفى هذه الحالة ستحتفظ الرأس المزروعة بكل صفاتها الخاصة السابقة ، وتستمر فى التفكير بطريقتها والقيام بكافة الاعمال التى كانت تقوم بها من قبل . ولكن نظرا لان امكانية زرع النخاع الشوكى لشخصين مختلفين ، لمتتأكد علميا بعد ، فمن المتوقع أن يكون الجسم المرتبط بتلك الرأس المزروعة مشـلولا وعاجزا عن الحركة ، رغم أنه سيكون سليما وحيا . والى أن يتم التوصل الى امكانية زرع النخاع ، فمن الممكن استخدام تصميم الكترونى يمكن عن طريقه التحكم والسيطرة على الجسم المشلول .

ومن المنتظر فى حدود العشرين عاما القادمة ، أن نرى انتصارات مذهلة فىمجال زرع الاعضاء ، فسيكون بيننا منيعيش سنين طويلة ، كأجسام حية تعيش برؤوس وقلوب ورئات وأقدام وأذرع غيرها من البشر الاحياء والاموات . ومن المتوقع أن يثير نجاح هذه العمليات ، كثيرا من القضايا الجدية من النواحى القانونية والرسمية والدينية .

أدب

باكثير : من الريادة الى الانتكاس

عن ٥٩ عاما فقد الادب العربى الحديث واحدا من الرعيل المصرى الاول ، الذى أرسى منذ أواسط الثلاثينات دعائم حركة أدبية جديدة، فقد أسهم **على أحمد باكثير** فى هز عمود الشعر العربى عندما ترجم الى العربية « روميو وجـوليت » لشكسبير فى قالب الشعر المرسل، اذ كانت هذه الترجمة مع ترجمة **محمد فريد ابو حديد** لمسرحية « ماكبث » فى نفس القالب ــ وان لم تكن فى نفس البحر الوزنى ــ مع تجارب **لويس عوض** فى ديوانه « بلوتلاند » هى الارهاصات الاولى التى هيأت فيما بعد مناخا صالحا لاستنبات مانسميه الان بالشعر الحديث . ولم تقتصر محاولة باكثير فى تجديد الشكل الشعرى على الترجمة فحسب ، بل أعاد المحاولة فى مسرحية كاملة من تأليفه هى « نفرتيتى واخناتون » التى استلهم أحداثها من تاريخ مصر القديمة فشارك بذلك فى التيـار الرومانسى العارم الذى عرفه أدبنا الحديث حينذاك بمختلف فروعه الشعرية والنثرية ،ولم يكن التجديد الشعرى الخالص هو « تجربة » باكثير فى هذه المسرحية وغيرها، وانما كان تجديدا لروح المسرح الشعرى الذى توقف عند **شوقى وعزيز أباظة** على أعتاب البنية الكلاسيكية من ناحية ، والصـور الغنائية المتقطعة من ناحية أخرى .

على أن باكثير اتجه بعد ذلك الى المسرح النثرى الذى كان قد تعرف على قوامه « الادبى » على يدى **توفيق الحكيم** ، بعد أن ظل ذلك المسرح أمدا طويلا مطاردا من هواة الاقتباس ومحترفى التمصير أو



على احمد باكثير

من أرباب الملاهى وصالات الرقص .. فجاء انتاج باكثير الباكر دعامة لا شك فى أهميتها للمسرح بمعناه الفنى الاصيل ، بل انه قد أعاد صـياغة بعض الثيمات المتداولة « كأوديب » و« شهرزاد »، وان نحا فى صياغتها نحوا بعيدا عن منهج الحكيم فكرا وفنا .

غير أن باكثير لم يستمر فى هذا الاتجاه ، وبدأ طريقا جديدا تواءم مع النكسة الخطيرة التى ألمت بفريق كبير من كتاب تلك المرحلة حيث آثروا بعد مجموعة من الهزائم التى لحقت بالحركة الوطنية فى الثلاثينات والاربعينات ، ان يرتبطوا ــ فجأة ودون مقدمات كامنة فى انتاجهم القديم ــ باكثر القيم الفكرية المحافظة تخلفا .. ومن هنا بدأت سلسلة أعماله المسرحية التى عالجت من ناحية الشكل بعض مراحل تاريخنا القومى والدينى ، ولكنها من ناحية المضمون كانت تركيزا ملحا على ما هو سلبى وثانوى ، فأتت بتفسيرات بعيدة عن روح العلم للحركات الاستعمارية كالحـروب الصـليبية ، والحملة الفرنسـية ، والغـزو الاسرائيلى .. تصور باكثير أن « **الدين** » هـو العامل الوحيد فى الصراع بيننا وبين الغرب الاستعمارى ، ومن ثم فقد أبرز هذا العنصر على أنه « الهدف » الذى ينبغى أن نضعه صوب عيوننا فى كفاحنا فى كل زمان ومكان من تاريخ وجغرافية « **الامة** » الاسلامية . وتجاهل بذلك تجاهلا تاما الاوضاع الاقتصادية والسياسية التـى تحكم الصراع العالمى والمحلى على السواء ، ومن ثم فقد بنى وتبنى نتائج « عملية » غاية فى الخطورة على كفاحنا نفسه .

واتساقا مع هذا المنطق فى التفكير ، تخلى باكثير عن ريادته فى التجديد الشعرى وأصبح واحدا من كبار المغـالين فى معـاداة الشعر الجديد ، وراح ينظم قصائده و « ملاحمه » فى القوالب التقليدية المتزمتة .

الا أن هذا لا ينفى أن ذلك الدور الباهر الذى امتصه التراث وأصبح من صميم نسيجه الحى ، أبقى من أن تنال منه انتكاسة صاحبه الاصلى .. فلعل المرارة الطاغية على مسرحية « حبل الغسيل » تفسر لنا ذلك الموقف الفكرى الذى ارتبط به باكثير طيلة السنوات الاخيرة ، وهو الموقف الذى يغاير شكلا ومضمونا بدايات حياته الفنية الثرية بالقيم الايجابية المتقدمة .. وهى القيم التى يحتفظ بها التراث وصدور الاجيال فى أغلى مكان وأعز موقع .

■ ثقافة

بيروت : مؤتمر المائدة المستديرة

انعقد فى بيروت فى الفترة من ٢٧ أكتوبر الى ٢ نوفمبر الماضى مؤتمر المائدة المستديرة السادس الذى اقامته اليونسكو بالتعاون مع مركز التنسيق العربى للسينما والتليفزيون والمجلس الوطنى للسياحة .

وكان موضوع المائدة « الادب والمسرح والسينما والفنون التشكيلية فى البلدان العربية وآسيا » ، وقد حددت اهدافه بدراسة الفنون التقليدية كمسرح الظل ومسرح العرائس والفنون العصرية كالسينما والتليفزيون فى كل من آسيا والبلدان العربية ودراسة التأثيرات المتبادلة بين هذه الفنون ، والتأثيرات المتبادلة بين هاتين المنطقتين من العالم .

وقد حضر المؤتمر ٢٠ خبيرا بدعوة من اليونسكو بصفتهم الشخصية بينهم **الدكتور لويس عوض والدكتور على الراعى وعبد السلام موسى** مدير الانتاج بالمؤسسة المصرية العامة للسينما ، كما حضره ٢٠ ناقدا بدعوة من مركز التنسيق بينهم الناقد السينمائى **سمير فريد** .

وقد عرض المؤتمر مجموعة من الافلام التسجيلية عن الفنون التقليدية ومجموعة أخرى من الافلام الروائية التى توضح التأثيرات المتبادلة بين هذه الفنون وبين السينما ، كما اقام مركز التنسيق اسبوعا سينمائيا تضمن نماذج من الافلام التى تدخل ضمن نطاق اهتمامات المؤتمر ايضا ، ومن بين هذه الافلام برز الفيلمان المصريان «**يوميات نائب فى الارياف**» **لتوفيق صالح** و «**الارض**» **ليوسف شاهين** - وبخاصة الثانى - كأفضل مستوى بين انتاج البلدان العربية ، كما برزت الافلام الهندية واليابانية بمستواها بين انتاج البلدان الاسيوية ، ومن الافلام الهامة التى عرضت فى مائدة بيروت ايضا الفيلم الفرنسى « **كلكوتا** » **للمخرج لويس مال** الذى يعبر فيه عن ما يمكن اعتباره احساسا بالذنب من مخرج اوربى مترف تجاه البؤس الهندى المتمثل فى كلكوتا .

وقد انتهت المائدة المستديرة بتكوين لجنة للمسرح وأخرى للسينما ، وبعد اجتماع دام ساعتين تقدم رئيسا اللجنتين باقتراحات توصيات المؤتمر .

وفيما يلى نص مقترحات لجنة المسرح :

- جمع المعلومات الخاصة بالاشكال المسرحية الجديدة فى النصف الثانى من القرن وتكليف المركز الدولى للمسرح بهذه المهمة .
- اصدار نشرة دولية للمسرح .
- مساندة اقامة مهرجانات افريقية وآسيوية وبصورة خاصة مهرجان الفلبين عام ١٩٧١ .
- المحافظة على الاشكال الفنية التقليدية فى آسيا وافريقيا وذلك عن طريق تسجيلها بالوسائل البصرية - السمعية .
- دراسة تأثير الراديو والتلفزيون على الشعوب الافريقية والاسيوية من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الاقتصادية .

اما مقترحات لجنة السينما فهى :

- اعفاء الافلام الطليعية من الضرائب وتسهيل مرورها فى الجمارك بين الدول .
- الدعوة الى انشاء مكتبات سينمائية لحفظ الافلام فى البلدان العربية .
- العمل على اتمام مشروع « ٥٠٠٠ سنة من الحضارة » وتكليف اليونسكو بتوزيعه .
- تبادل اقامة الاسابيع السينمائية بين البلدان العربية وآسيا .
- تبادل البعثات من طلبة ومحاضرين ومدربين بين البلدان العربية وآسيا .
- تأسيس مركز لتسجيل الفنون التقليدية بالسينما .
- اصدار نشرة اخبارية للسينما الاسيوية على غرار النشرة العربية التى يصدرها مركز التنسيق .

■ مسرح

تجربة جديدة للمسرح «الجماهيري»

استطاع قطاع المسرح في الثقافة الجماهيرية ان يكون له سبق المبادرة والريادة والتجريب ليس على ارض القاهرة ، ولكن على ارض اخرى ظلت سنوات طويلة محرومة من اى شعاع ثقافى ولو ضئيل ، ففى قنا عرضت فرقة قنا المسرحية تجربة هى الاولى من نوعها وهى تجربة عطيل او عطا الله التى اخرجها اميل جرجس . وفى قرية اريمون (محافظة الشرقية) قدمت فرقة المحافظة تجربة مسرحية فى جرن القرية وسط الفلاحين ، وهى مسرحية الهلافيت من تأليف **محمود دياب** واخراج **احمد عبد الهادى** ، والفرقتان تابعتان للثقافة الجماهيرية ، غير ان دور المحافظتين قنا

تعليق

علامة مصرية بارزة فى النحت المعاصر

● نحات مصرى لديه كافة المقومات والقدرات الابداعية التى تضعه بين الطليعة من النحاتين المصريين . انه الفنان النحات محمد هجرس وكان معرضه الاخير فى المركز الثقافى التشيكى شاهدا على حيوية الفنان وتدفق انتاجه وتنوعه

واننا نلمس للوهلة الاولى مدى المعاناة التى يكابدها الفنان ليصل الى تحقيق أعمال تنطق فى بلاغة تعبيرية ملحوظة وتتجسد فى أشكال نحتية تجاوزت الرؤية العادية والمألوفة الى ايقاعات شكلية متماسكة ومتغمة .

ان الفنان هجرس قد وصل الى مستوى بارزا بين النحاتين المصريين وهو يعالج الطين فيتحول بين يديه الى كتل صخرية يحقق فيها بعض ملامح الفن المعاصر فى مستواه العالمى ، وهو يذكرنا فى بعض أعماله بالفنان الانجليزى هنرى مور .

ولقد توفرت فى اعمال هجرس حقيقة ضخمة جديرة باثارة الاعجاب والتقدير وهى قدرته الفائقة على الربط بين الرؤية الجمالية التشكيلية الحديثة من خلال معالجة قضية ما أو لمحة أو فكرة ، تمس جوهر حياتنا المصرية ، وبين ما يعتورها من تغيرات وذلك فى تناول حى وتمكن حرفى متين .

وروح العمل عند الفنان ترتبط تماما بارضنا فى مصر . يرى من خلالها القضايا العامة التى تهم الانسانية كلها فالامومة عنده لا تظهر الا من خلال امرأة مصرية من أعماق أرضنا . وهذا التناول الخاص عند الفنان يتحول على يديه الى تناول عام . فتنصهر الاجسام [جسد الام وطفلها] فى كل واحد ويتحول العمل الى كتلة متناغمة فى خطوطها وفراغاتها .

ولا يقف الانجاز الفنى عند هجرس عند هذا الحد ، بل يتخطاه الى ابراز طاقة تعبيرية مليئة بنغمات الصراع ، ونبرات درامية دافئة لا نراها الا عند كبار الفنانين .

ففى مجموعة الامومة نشهد عددا من التماثيل القوية [أم تسند يدها على خدها .. أم تحمل رضيعها فوق كتفها .. أم تعانق وليدها عناقا أبديا .. أم ملثمة تبرز معها علاقات متخفية للكتلة] .

كما نشهد مجموعة أخرى للانسان فى مصر وهو يحوى بين ضلوعه بعض الالم .. ألم الانسان المصرى المنحنى الى الارض أو نحوها . ومن أفضل أعمال هذه المجموعة تمثال « الجبل والرجال » وهو يمثل أربعة أشكال تسير فى طابور غير منتظم وقد ناءت بأثقالها وبدت كالاشباح ، وقد برز كل جزء من أجسامها فأصبح طاقة تعبيرية قوية . وقد تمكن الفنان فى ذات الوقت من تحويل كل شىء فى التمثال الى قيمة تشكيلية تلعب فيها الكتل والفراغات دورا ايقاعيا ينتظم مع حركة المسيرة للاجسام الاربعة .

وفى تمثاله « صمود » وهو تمثال خشبى لجذع امرأة مبتورة الاطراف ، نرى النجاح الواضح فى تحقيق كتلة خشبية قوية تملؤها عناصر الحدة والتوتر ويتوفر لها فى ذات الوقت عنصران متناقضان هما الاستقرار والحركة .

ان هجرس يصل الى القمة فى بعض أعماله ويتميز بتلك الديناميكية الاخاذة التى لا تتوفر الا لقلة من الفنانين . انه بأعماله يعتبر علامة مصرية بارزة فى النحت المعاصر ، ويحتاج الى عناية ورعاية توفر له ظروفا مادية تساعده على الانتاج المستمر ، وترفع عنه طول معاناة .

● ● ●

وفى قاعة أخناتون أقيم معرض أعمال فنان مصور هو الفنان الشاب عز الدين نجيب ويشاركه فيه زميله محمود بقشيش . والفنانان يختلفان كلاهما مشغول بقضايا الفن والفكر ، ولكنهما يختلفان فى أسلوب التناول شكلا وموضوعا . يعتمد عز الدين نجيب على حساسية فى الرؤية وقدرته على التقاط زاوية خاصة يتمكن عن طريقها الى الانتقال الى المعنى العام

هذا بينما ينشغل « محمود بقشيش» بالمعنى العام ويحاول تجسيده مباشرة بوسائل التشكيل وأساليبه .

ولغة التشكيل عند « عز الدين نجيب » فيها بساطة وعمق . لا يغالى فى اختيار ألوانه وانما يكتفى بألوان رمادية هادئة غير أنها ذات أعماق وأبعاد . كما أنه يتخذ من محاولته فى تحقيق الملمس والكتلة ذلك القدر من الظلال وأشباه الظلال ما يساعده على ابراز القضية والموضوع المصور كما أن الرمز عنده يلعب دورا ملحوظا .

ففى صورة « الخوف » نرى كتلة من شخصية تلفعت بلفائف بيضاء وقد صنعت مع جلستها تمثالا أو « طوطما » للخوف .

ومن أحسن لوحاته « الملكة » وفيها يكثف الرمز ويشير الى القديم التليد الذى ألقى به فى الظل .

« وصانع المفتاح » تعتبر صورة جيدة تحيط فيها الطلاسم والمغيبات بحياة الانسان ومستقبله .

ومن احسن أعمال الفنان محمود بقشيش صورة « نظرة الى الامام ونظرة الى الخلف » وفيها استخدام ناجح لعلاقات لونية جيدة . ان محاولات الشابين بما يحتويه من صدق تستحق الانتباه وانتظار ما يمكن أن تأتى به اعمالهما مع الغد ..

داود عزيز

وكفر الشيخ دور كبير فى جعل التجربة ممكنة فى المكانين ٠

لقد ظل رجال الادب والنقد فى اوروبا منشغلين بالبحث عن حقيقة شخصية **عطيل** ٠ هل هو حقا مغربى عربى ؟ أم هو مجرد رجل أسود اللون ؟

وقد استقر الرأى الان على تفسير ان عطيل كان اسودا .. اى زنجيا ثائرا متهورا .. وهذا التفسير قدمه على المسرح لاول مرة الكاتب الممثل الزنجى الامريكى **ايرول جون** الذى قام بدور عطيل على مسرح الاولدفيك فى لندن سنة ١٩٦٤ وهو التفسير الذى تبناه **لورنس اوليفييه** بعد ذلك فى سنة ١٩٦٥ والذى قال عنه النقاد : « انه عطيل كل الاجيال » ٠

غير انه يبدو ان **محمود اسماعيل جاد** قد حسم الامر ببساطة وسرعة فقرر ان عطيلا رجلا عربيا وان اسمه الحقيقى هو عطا الله ، وتحول الاسم على ايدى الاوربيين اوعلى يد شكسبيرالى عطيل تماما كما تحولت اسماء عربية واماكن عربية من قبل ومن بعد الى اللغات الاوروبية واصبحنا ننطقها نطقا آخر ٠

مهما كانت حقيقة عطيل فان الذى يهمنا ان محمود اسماعيل جاد قد قرر ان يعيد صياغة فكرة المسرحية التى كتبها شكسبير الى مسرحية عربية اومسرحية صعيدية منطوقة باللكنة الصعيدية .. وهكذا فاننا نرى امامنا على المسرح عطيل باسم عطا الله ، اياجو باسم ضاحى ، ديدمونة باسم فاطمة ٠٠ الخ ٠ والصراع فى المسرحية الاصلية والمسرحية المعدة واحد ، غير ان مشكلة اللون هنا لا دور لها ، فعطا الله ليس رجلا اسود ، المشكلة العنصرية ملغية تماما ، وبدلا منها استحدث محمود اسماعيل جاد مبررات اخرى يمكن ان تسبب عقدا لعطا الله ، فعطا الله فى المسرحية الصعيدية رجل كبير فى السن بالنسبة لديدمونة (فاطمة) ثم انه رجل غنى وديدمونة فقيرة ، فيما عدا ذلك فان عطا الله (مثل عطيل) رجل شهم ، كريم ، قوى ٠٠ الخ ٠

وهو ايضا مثل عطيل فى حبه وفى غيرته ، ولذلك كان سهلا على ضاحى اى اياجو ان يلعب به وان يعذبه ثم يهدم حياته بعد ذلك ٠

ما هو الفرق اذن بين عطيل وعطا الله ؟ ٠٠ لو ان محمود اسماعيل جاد لم يقم الا بتغيير الاسماء ثم التغيير فى بعض الاحداث فانه لا يكون قد فعل شيئا ٠

ولكن الكاتب المصرى ربط هذه الاحداث كلها بمحافظة قنا نفسها ٠٠ ربطها بأغانيها وتقاليدها ٠٠ فعندما تبدأ المسرحية تبدأ بالكورس الذى يتكون من مجموعتين ٠٠ مجموعة على اليمين وهم الرجال ، ومجموعة على اليسار وهى النساء ٠٠ ومجموعة الرجال تقوم بالعزف والغناء ، وهى تستعمل الالات المحلية اى الربابة ، وتستخدم النغمة الصعيدية ، الصعيدية التى تفرضها الربابة وكذلك (الريتم) الصعيدى المطاط ٠ اما مجموعة النساء فانها تكتفى بالغناء وبالرقص ٠ والمجموعتان بمثابة رواة لحكاية عطيل ، هذا بالاضافة الى راو آخر يقدم الاحداث ويعلق عليها (يذكرنا هذا كله بمسرحية الدكتور رشاد رشدى بلدى يابلدى ، ففيها نفس الكورس وفيها نفس الراوى بل وحتى نفس اماكن تواجدهم على المسرح) !

المهم ان (حكاية) عطيل تروى امامنا وكأنها اسطورة شعبية ، وكأنها اسطورة مرتبطة بهذه المدينة وبهؤلاء الناس ٠٠ وكأن جذورها فى اعماقهم من مئات السنين ، ومن هنا تعد هذه خطوة هامة جدا فى ربط الناس بالمسرح ٠٠ فى شدهم الى المسرح ٠٠ فالمسرح هنا يتكلم لغتهم ويغنى اغانيهم ، فأنت فى الواقع امام استعراض موسيقى راقص ٠٠ وفى نفس الوقت توجد فكرة مسرحية قائمة على الصراع ، واكثر من ذلك فان الفكرة التى تقوم عليها المسرحية (اى الغيرة التى تؤدى بعد ذلك الى الجريمة) فكرة صعيدية فكرة يفهمها الرجل الصعيدى وتفهمها الاسرة الصعيدية جيدا ٠

اذن ، حافظ (المؤلف) المصرى على جوهر الارتباط بين النص وبين المكان الذى يعرض فيه فاستطاع ان يشد جمهور الحاضرين ، ومن هنا فان العمل يعتبر (كتجربة) عملا ناجحا ٠

ومن الطبيعى ألايكون مستوى الممثلين مرتفعا ذلك انهم جميعا هواة بين عامل وموظف وطباخ وممرضة ، وبعض فتيات الكورس (او كلهن) كن من الغوازى ، وهذا فى حد ذاته تجربة ذات قيمة حتى تستطيع كل محافظة ان تخلق لنفسها ممثليها وتستطيع بعد ذلك ان تفرض نفسها ووجودها على العاصمة ٠٠ اذا بذلت الجهد والصبر والمران واعتمدت على الدرس ٠

ومسرحية الهلافيت من تأليف محمود دياب واخراج **احمد عبد الهادى** ، وهى باختصار شديد تبدأ بسهرة يقيمها عمدة القرية للاستمتاع

والاستماع الى الشاعر. يتأخر الشاعر . يقترح العمدة ـ حتى يأتى الشاعر ـ ان يكلوا زمام السهرة الى هلفوت مع اعطائه الحق فى ان يأمر ويفعل ما يشاء .. اى ان المسألة تبدأ هزرا فتنقلب جدا ، ويتحول لعب وضحك الهلافيت الى محاكمة للذين يسيطرون على القرية (العمدة والمشايخ الخ)

والمسرحية بهذا الشكل لم يتقدم بها محمود دياب خطوة اخرى عن مسرحيته الممتازة (ليالى الحصاد) التى كتبها منذ سنتين او اكثر ، بل ان الشكل فى المسرحيتين يكاد ان يكون واحدا .. الفرق الوحيد ان الفكرة فى ليالى الحصاد كانت فكرة مجردة (الشر) بينما الفكرة هنا فكرة واقعية تماما .

وهناك فرق آخر خاص بالعرض .. فليالى الحصاد عرضت فى مسرح الزمالك والثانية عرضت فى قرية اريمون بمحافظة الشرقية وكان ديكورها وكواليسها ابراج الحمام وبيوت القرية ، وكانت المقاعد شلت او حصير على الارض .

■ ■ ■

رسالة من بودابست

المؤتمر النقابى العالمى السابع وقضية فيتنام والشرق الأوسط

شهدت بودابست فى الفترة من ١٧ الى ٢٦ أكتوبر المؤتمر النقابى العالمى السابع ، واشترك فى المؤتمر ٤٦٠ من الاعضاء والمراقبين والمدعوين من ٩٧ بلدا من مختلف القارات يمثلون ٥ر١٥٣ مليون عامل ، منهم ٥٠ر٢٩٦ر١٣٢ اعضاء فى الاتحاد العالمى للنقابات . بينما اشترك فى المؤتمر النقابى العالمى السادس ٤١ مركزا نقابيا قوميا اعضاء فى الاتحاد العالمى للنقابات ، فقد اشترك فى المؤتمر السابع ٥١ مركزا نقابيا قوميا أعضاء فى الاتحاد العالمى للنقابات ، كما حضر المؤتمر السابع ٤٦ مركزا من غير الاعضاء ، بينما حضر فى المؤتمر السادس ٣٨ مركزا .

واشترك فى المؤتمر من المنظمات والهيئات الدولية ، منظمة الامم المتحدة ومكتب العمل الدولى وهيئة اليونسكو ، والاتحاد النسائى الدولى ، والاتحاد العالمى للشباب الديمقراطى ، واتحاد الطلبة الدولى والرابطة الدولية للقانونيين الديمقراطيين ومنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية واتحاد الموظفين العموميين بأمريكا اللاتينية والاتحاد الاقليمى الامريكى واللجنة النقابية الدولية للعمل ضد الاحتكارية ولجنة عمال بحر البلطيق ، واتحاد عموم نقابات افريقيا والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب .

لقد انعقد المؤتمر النقابى العالمى السابع فى فترة تميزت بتعاظم نضال التنظيمات العمالية واشتداد الصراع الطبقى ، من أجل السيادة والاستقلال الوطنيين ، والدفاع عن السلام ، من أجل استخدام التقدم العلمى والتكنيكى لصالح الشعوب ، وازدياد الصراع ضد الاستغلال الرأسمالى وضد الامبريالية والاستعمار الجديد .

وقد تمكن الاتحاد العالمى للنقابات فى مؤتمره السابع من مناقشة الكثير من القضايا التى تواجه الكادحين فى عالمنا المعاصر ، ورغم الصعاب والعقبات الكثيرة والعلاقات المعقدة داخل الحركة النقابية العالمية وتغيب بعض المراكز النقابية الهامة عن المؤتمر مثل الصين وأندونيسيا (٢٥ مليون نقابى) ، والخلافات الايديولوجية والسياسية داخل الحركة النقابية العالمية ، ومؤتمرات البورجوازية العالمية ـ فان المؤتمر توصل الى نتائج ايجابية فى كثير من مسائل الساعة سواء فى مجال النضال السياسى او النضال الطبقى .

عمال وشعب فيتنام التضامن الأممى مع

لقد عبر المؤتمر تعبيرا صادقا عن اجماع عمال وشعوب العالم فى التضامن مع نضال الفيتناميين البطولى ، وعبر عن الرغبة الجارفة لدى العمال النقابيين فى العالم مع اختلاف مشاربهم لايقاف العدوان نهائيا حتى يستطيع شعب فيتنام أن يعيش فى حرية وسلام . وتحت شعار « **اخرجوا ايها الامريكان من فيتنام ـ فيتنام للفيتناميين** ـ أعلن المؤتمر ان الاسس المقبولة لحل المشكلة الفيتنامية موجودة ، حيث تشكل النقاط الاربع لجمهورية

فيتنام الديمقراطية والتى أعلنتها فى ٨ ابريل ١٩٦٤ ، والنقاط العشر التى تقدمت بها جبهة التحرر الوطنى فى اجتماعات باريس فى ٨ مايو ١٩٦٩ أساسا لحل المسألة الفيتنامية حلا سياسيا يتفق وحقوق الشعب الفيتنامى المشروعة ومواد اتفاقية جنيف ١٩٥٤ . ولكن مع استمرار الطيش الامبريالى الامريكى فى فيتنام فان استمرار كفاح الشعب الفيتنامى لن يتوقف وعلى حركة التضامن العالمى أن تزيد من مساندتها وعونها لهم. وقرر المؤتمر ان يشن حملة نضالية حتى يوم ٢٠ ديسمبر القادم لمطالبة الامبرياليين الامريكيين بالانسحاب الشامل والسريع وغير المشروط من فيتنام ، وجعل يوم ٢٠ ديسمبر ذكرى تأسيس جبهة التحرير الوطنى بفيتنام يوما عالميا .

ومن على منبر المؤتمر وجه عمال فيتنام رسالة الى العمال الامريكيين والى الشعب الامريكى ، وكانت هذه الرسالة الى جانب كونها تعبيرا عن مدى تفهم العمال الفيتناميين لمعنى التآخى العمالى العالمى بين عمال البلاد الاستعمارية والبلاد المستعمرة ، فانها كانت كذلك تعبيرا عن ردود الفعل العميقة للحرب الفيتنامية داخل الولايات المتحدة الامريكية . ولقد شملت المعارضة للحرب الامبريالية داخل الولايات المتحدة الامريكية طبقات وفئات اجتماعية عديدة، ونفذت هذه الحركة الى صفوف النقابات فى الولايات المتحدة كذلك ، بالرغم من قياداتها الرجعية فى اتحاد العمل الامريكى . لقد اعلنت نقابات القصابين وصناعة الملابس وعمال الكهرباء والاتحاد الدولى لنقابة عمال الموانى والمخازن واتحاد العمل الذى تكون باندماج اتحاد عمال السيارات واتحاد سائقى اللوريات واعداد كبيرة من النقابات المحلية معارضتها للحرب التى تكلف الولايات المتحدة الامريكية ٣٢ مليار دولار سنويا .

قضية العدوان الاسرائيلى وحقوق شعب وعمال فلسطين

واسام المؤتمر عرضت قضية العدوان الامبريالى الصهيونى على فلسطين والبلاد العربية . وقد عرض لها ب. جنسوس السكرتير العام للاتحاد العالمى للنقابات . وجاء فى تقريره :

يعزى وجود هذا الوضع الخطير (فى منطقة الشرق الاوسط) الى الاعمال العدوانية للقوات الاسرائيلية التى تساندها القوى الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، وتستهدف اعمال العدوان الى جانب الاهداف التوسعية للقادة الاسرائيليين، الاطاحة بالانظمة التقدمية فى سوريا والعربية المتحدة ، والهجوم على الحركة التقدمية فى البلدان العربية، واستعادة المصالح الاقتصادية للشركات البترولية فى هذه المنطقة وحمايتها « وذلك عدا الاهمية الاستراتيجية لها واحتوائها على ٦٠ فى المائة من مصادر البترول فى العالم .

« وما كان العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وحلف بغداد سابقا والحلف المركزى حاليا وانزال القوات الامريكية والانجليزية فى الاردن ولبنان عام ١٩٥٨ والحلف الاسلامى واشكال الضغوط الاقتصادية الاخرى الا محاولات تستهدف نفس الاغراض » .

وبعد أن استعرض **بيير جنسوس** ما تعرض له الشعب الفلسطينى من مآس ، ومواقف التضامن بين الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ـ طالب بتطبيق قرار مجلس الامن وجاءت عبارته التى دار حولها الصراع وهى : « **واستمر اتحاد النقابات العالمى والمنظمات التابعة له منذ ذلك الحين على العمل من أجل تسوية عادلة ودائمة للصراع فى الشرق الاوسط، ورفض أى الحاق للاراضى والمطالبة بالانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية الى خلف خطوط الهدنة والاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربى فى فلسطين واحترام وضمان حق الدول العربية فى المنطقة بالاستقلال ، وعدم تهديد حق شعب ودولة اسرائيل . وقدابدى اتحاد النقابات العالمى والمنظمات المنتمية اليه تضامنه التام والقوى، وأعرب عن مساندته المادية والمعنوية** ».

الجدل الذى ثار فى المؤتمر :

وهنا دار صراع حول جملة « **وعدم تهديد حق شعب ودولة اسرائيل** » ، وطالبت بعض الوفود العربية وخاصة وفد اتحاد العمال العرب برئاسة **الدكتور فوزى السيد** بادانة للاتحاد العالمى للنقابات واعتباره غير صديق للعرب . ووقفت أغلب الوفود العربية بما فيها وفد فلسطين ضد هذا الاتجاه واعتبرته اتجاها سيؤدى الى عزلتنا فى المجال الدولى ، وأنه لابد وأن تخوض الوفود

العربية معركة صحية ومنطقية داخل المؤتمر من أجل تغيير هذه العبارة وخاصة وان الاتحاد العالمي ، صديق حقيقي للعمال العرب ، وقد جربود في معارك عديدة خاضوها من قبل (العدوان الثلاثي ١٩٥٦] مساندة عمال وشعب الجزائر وجنوب اليمن ، الخ ، وأخيرا مع عمال وشعب فلسطين بتكوين لجنة دائمة بين الاتحاد العالمي واتحاد العمال العرب وارسال لجنة تحقيق للمنطقة وتنظيم يوم عالمي في ٦ يونيو الماضي بمناسبة ذكرى العدوان) فضلا عن أن بيير جنسوس نفسه في تقريره الذي اورد فيه هذه الجملة قال : «ونحن نرى ان المعارضة التي ابدتها الحركة النقابية للعدوان في الشرق الاوسط ليست كافية . ولا شك ان احد اسباب ذلك هو تعقيد المسائل التي ينبغي حلها في المنطقة . لقد نجحت الدعاية الايدلوجية المتشددة والمرنة للعدو في تقسيم العمال حول هذه المسألة . ولذلك علينا أن نبذل جهودا أكبر من أجل ايضاح هذه المسائل وتحقيق الوحدة بين العمال العرب ونقاباتهم والعمال والنقابات في البلدان الاخرى وايجاد أفضل واكثر اساليب التضامن تقدمية والفوز بمساندة أوسع أقسام الجماهير العاملة » .

وانتصر الاتجاه الثاني، وبدأالعمل على نطاق واسع ، وعلى أسس موضوعية ، وكانت النتيجة كسب كبير لصالح القضية العربية . فأصبحت قضية الشرق الاوسط نقطة أساسية في جدول الاعمال ، وقام الشفيع احمد الشيخ نائب رئيس الاتحاد العالمي للنقابات بتقديم تقرير عن القضية وتوصل المؤتمر الى قرار ادان الصهيونية وعدوانها الامبريالي ، واعترف بحق عمال وشعب فلسطين في نضالهم التحريري ، والى انضمام اتحاد عمال فلسطين الى الاتحاد العالمي للنقابات، ويعتبر ذلك اعترافا دوليا بالمؤسسات الديمقراطية للشعب الفلسطيني .

وفي الخطاب الختامي لبيير جنسوس لخص الموقف بالنسبة للقضية العربية فقال : « **وقد استمعنا الى صوت اخواننا العرب ، وهو يعرب عن المعاناة ولكنه يدوى بالامل . والامر عندنا في غاية الوضوح اذا تخلت الامبريالية وعلى الاخص امبريالية الولايات المتحدة عن تقديم العون لاسرائيل ، فسوف تحل هذه المشكلة المعقدة ويستعيد الفلسطينيون كل حقوقهم . ونحن نتفهم مأساة هذا الشعب الذي طرد من أراضيه والذي لا يعترف البعض بحقه في ان يكون له وطن » .**

« **ونحن ندرك المشاعر التي تحركهم ، ونريد ان نفعل كل ما في وسعنا لمساعدتهم ، ونحس بتعاطف عميق لان النقابات الفلسطينية قد طلبت في هذا المؤتمر نفسه الانضمام الى الاتحاد العالمي للنقابات . ومن المعاني ذات الدلالة في رأيي ان اول الاعمال التي سيقوم بها المجلس العام سيكون قبول انضمام النقابات الفلسطينية** » .

« ان الامر في الشرق الاوسط لا يقتصر على ان **يكون مجابهة بين اسرائيل والدول العربية ، المشكلة اوسع من ذلك ، انها مظهر من مظاهر المجابهة العامة بين القوى الاستعمارية وقوى التقدم في العالم أجمع . وبالتالي فمن أجل التغلب على الامبريالية في الشرق الاوسط ، يصبح من الضروري تجميع كل القوى المعادية للامبريالية . ولكن من أجل ان يتم هذا التجمع يجب تحديد منطلق مشترك بين كل هذه القوى تعمل على أساسه . ويبدو لنا ان أكثر المنطلقات ملاءمة في الوقت الحاضر هو قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . ونحن على اقتناع عميق بانه اذا طبقت أحكام هذا القرار، وفرضت على اسرائيل ، فسوف تكون بمثابة خطوة كبيرة الى الامام . وسوف تخلق الظروف الملائمة من أجل تطورات ديمقراطية مقبلة ، ومن أجل اجابة الحقوق القومية لشعب فلسطين . فان اليهود والعرب ، كما قال وأكد رفاقنا العرب ، قد تعايشوا منذ قرون عديدة في هذه المناطق . ومادام هذا التعايش كان ممكنا في الماضي ، فلماذا لا يكون ممكنا في الغد ؟ هناك قوى موجودة في اسرائيل نفسها وقد برهنت على ذلك الانتخابات الاخيرة للهستدروت ، تتوق الى سياسة تختلف عن تلك التي يمارسها اليوم قادة هذه الدولة . علينا اذن في الاسابيع والشهور المقبلة القيام بعمل كبير لتنمية التضامن الدولي مع العمال العرب والشعوب العربية** » .

وهكذا انتهى المؤتمر النقابي العالمي السابع الى قرار هام كذلك في هذا المجال باعلان التحضير **لعقد مؤتمر نقابي عالمي خلال عام ١٩٧٠ لمناصرة عمال وشعب فلسطين والشعوب العربية ، ان صدور مثل هذا القرار كان مكسبا كبيرا لقضيتنا في المجال الدولي، وعلينا ان نستعد له لا ليكون مجرد مظاهرة عالمية تضامنية، ولكن ليكون قاعدة موضوعية لتشكيل تنظيم دولي لمناصرة عمال وشعب فلسطين والشعوب العربية .**

عبد المنعم الغزالي

مكتبة الطليعة

ادارة القطاع العام فى المجتمع الاشتراكى

تـــاليـــف :
الدكتور عبـــد الســـلام بدوى

عرض وتحليل :
الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله

لقد اكد « الميثاق » ان شعبنا قد نبذ طريق النمو الرأسمالى ، واختار طريق التحول الاشتراكى ، وبناء الاشــتراكية . ومع ذلك فمازال دارسو الاقتصاد فى جامعاتنا يمضى وقته فى دراسة الاقتصاد الرأسمالى ، وقد يسعده الحظ فيقرأ بابا اخيرا فى كتاب يتحدث عن الاشتراكية ، أو يحضر فصلا دراسيا يستمع فيه شيئا عن التنمية . وهذا وضع لا يمكن تبريره لا من الناحية الاكاديمية ولا من الناحية العملية . ففى المستوى الاكاديمى يمكن ان تذكر ان اكثر من ثلث البشرية يعيش فى ظل نظم اشتراكية أو فى مرحلة بناء الاشتراكية ، ولا يليق بالعالم الحق ان يغمض عينيه عن مثل هذا الواقع الضخم ، أيا كانت معتقداته الشخصية . كما ان « علم الاقتصاد الاشتراكى » ، اى الدراسة النظرية للظواهر الاقتصادية الخاصة بالمجتمع الاشتراكى قد ظهرت فيه مئات المؤلفات خلال نصف القرن الاخير . ومن ثم فلا يمكن الاحتجاج بقلة المراجع او ندرة البحوث ، اى من الناحية العملية فان الطالب المصرى يمضى سنوات الدراسة يتعلم

الكثير عن دور « المنظم » الرأسمالى ؟ وعن أهمية الربح ، وعن المنافسة الحرة ونظرية الاحتكار وطرق التسويق ، وحقوق المساهمين .. الخ .ثم يتخرج فتعينه الدولة فى احدى شركات القطاع العام فيواجه بدل مراقب الحسابات الجهاز المركزى للمحاسبات ، ولا يجد جمعية عمومية ولا مساهمين وانما يجد المؤسسة العامة والوزير . ولا يصادف فى معظم الاحوال أية منافسة فى السوق المحلية ، ويتعامل بأسعار تحددها الدولة ، ويطلب منه اعداد بيانات للخطة القومية ، ثم العمل على الالتزام بتلك الخطة · فهل نملك بعد ذلك أن نلومه اذا اصيب بنوع من « انفصام الشخصية » فى المستوى الفكرى ؟

وفى هذا الاطار يظهر كتاب الدكتور عبد السلام بدوى « **ادارة القطاع العام فى المجتمع الاشتراكى** » فيسد فراغا كبيرا فى المكتبة العربية . فهذا المجلد الكبير (اكثر من خمسمائة) صفحة يعرض تفصيلا وتطبيقا للحياة الاقتصادية فى ظل الاشتراكية وماتثيره من مشكلات وما قدم لها من حلول ».

والكتاب يبدأ بمقدمة يعرض فيها المؤلف لتعاظم دور الدولة فى الحياة الاقتصادية ، ثم لتحديد مهمة « الادارة » الاقتصادية بصفة عامة . ثم يشرح فى عبارة دقيقة ووجيزة « **السمات الرئيسية للنظامين الرأسمالى والاشتراكى** » فيوضح أن الرأسمالية تتميز جوهريا بأمرين : الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، وتلقائية التوازن فى ظل قوى السوق . فحيث تكون القاعدة فى المجتمع هى الملكية الخاصة للمشروعات الصناعية والزراعية والتجارية والمالية ولا تملك الدولة منها شيئا الا بصفة استثنائية ، تكون بصدد اقتصاد رأسمالى · وحيث يسود الاقتصاد الرأسمالى فان التخطيط الشامل والالزامى يكون مستحيلا ، ولابد من أن تتحكم اتجاهات السوق فى تحديد حجم الانتاج ونوعه ومعدلات زيادته .. وعلى النقيض من ذلك يوضح المؤلف أن الاشتراكية تعنى فى الجوهر أمرين : الملكية العامة لوسائل الانتاج ، والتخطيط الاقتصادى الشامل · فحيث تكون الملكية العامة (ملكية الدولة أو التعاونيات) هى الغالبة والمسيطرة تكون بصدد مجتمع اشتراكى - عندئذ يستحيل ادارة الاقتصاد القومى بدون تخطيط شامل ، بغض النظر عن مدى مركزية هذا التخطيط . وهكذا يتميز جوهر الاشتراكية العلمى عن تطبيقاتها المختلفة التى تتحدد بظروف كل بلد ، ومدى التوفيق فى اختيار الحلول العملية . وهكذا يتضح للاشتراكية مفهوم علمى موضوعى ، ولا تصبح مجالا للخيال الخصب ، يبتدع منها «انواعا» متعددة لا صلة لها بواقع الامور الاقتصادى ·

وبعد هذا التحديد اختار المؤلف نموذجين للتطبيق الاشتراكى يعتبر كل منهما متكاملا فى ذاته ومتميزا بشكل واضح عن الاخر وهما : التجربة السوفيتية والتجربة اليوغوسلافية ·

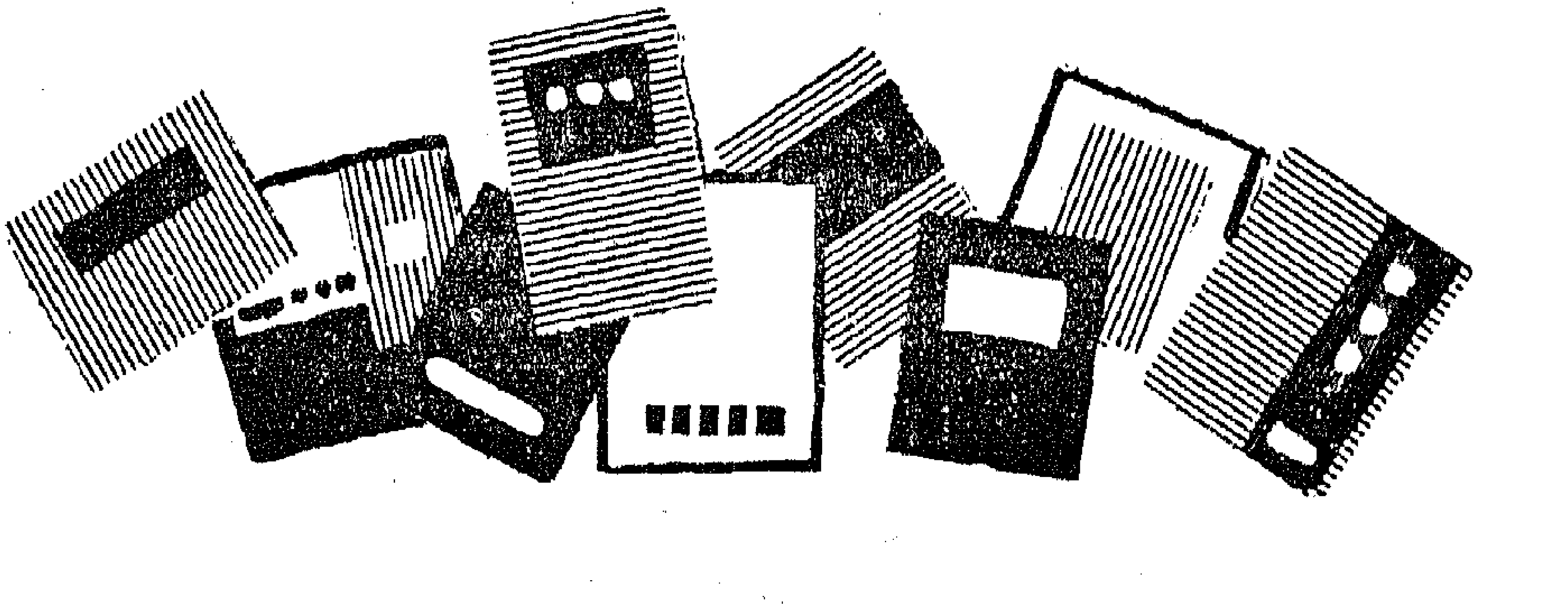
وقد قسم المؤلف دراسته **لادارة الاقتصاد القومى فى الاتحاد السوفيتى** الى فصول ستة شرح فيها على التوالى : ادارة الصناعة السوفيتية ، تخطيط الانتاج والاستثمار ، الادارة المالية ، الادارة النقدية (الجهاز المصرفى) ، التجارة الداخلية ، التجارة الخارجية · وفى هذا القسم نجد وصفا شاملا وتفصيليا لاجهزة وضع الخطة سواء من الناحية الفنية الخالصة ام على المستوى الاقطاعى او الاقليمى ، أم من حيث دور التنظيمات الجماهيرية ، والحزب الشيوعى فى عملية التخطيط . ثم يعرض المؤلف لمراحل واجراءات وضع الخطة ثم تنفيذها . وقد عنى المؤلف عناية خاصة بالتخطيط المالى (تخطيط الاستثمار والائتمان) واوضح تطور النظام المالى السوفيتى ورسم صورته المالية بما فى ذلك تحليل لميزانية الدولة السوفيتية مشفوع بالارقام ، وكذلك تحليل لطبيعة الجهاز المصرفى السوفيتى ومكوناته · ثم ابرز جوانب كثيرا ما تهمل عند الحديث عن الاقتصاد السوفيتى مثل تنظيم التجارة الداخلية لشبكاتها المختلفة فى مستوى الجملة والتجزئة مبينا دور متاجر الدولة والمتاجر التعاونية وأسواق المزارع الجماعية وسياسة تسعير السلع الاستهلاكية . وختم هذا الفصل بتحليل لنفقات عملية التوزيع ، واخيرا اوضح المؤلف فكرة احتكار الدولة للتجارة الخارجية وتخطيط تلك التجارة ، وظاهرة الفصل بين الاسعار الداخلية والاسعار الخارجية ، والهيكل التنظيمى لاجهزة التجارة الخارجية .

ثم انتقل المؤلف من مشكلات الادارة على مستوى الاقتصاد القومى وقطاعاته الى دراسة «المشروع الاشتراكى» (ما يقابل شركة القطاع العام عندنا) ليدرسه بالتفصيل من حيث القواعد التى تحكم تأسيسه ، ثم هيكله التنظيمى ، ثم دوره فى وضع الخطة · ثم تعرض بمزيد من التفصيل لبعض القضايا الهامة فى حياة المشروع مثل : تسويق الانتاج ، ادارة الافراد وشئون العاملين ، الادارة المالية للمشروع ، الرقابة على المشروع · وربما كان هذا القسم ، من الناحية العملية ، من أهم أقسام الكتاب · فهو ينقل للقارىء صورة حية للمشروع الاشتراكى فى تنظيمه وفى مسيرته تقابل تلك الصورة التى مازالت تدرس عندنا عن المشروع الرأسمالى . كما أن يثبت أن ملكية الدولة لا تعنى ضرورة التعقيد والبيروقراطية ، ولا تعفى من التقييد بالقواعد الاقتصادية السليمة ، ويعرض

المؤلف بالتفصيل كذلك لطرق تحديد الربح وأساليب تخصيصه مما يلقى ضوءا على دور الربح فى المجتمع الاشتراكى

وفى الجزء الثانى من الكتاب يعرض المؤلف **الادارة الاقتصادية فى يوغوسلافيا** وهو يقدم لهذه الدراسة بتمهيد عن جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ، وتركيبها الدستورى ونظام الحكم الذاتى فيها ووحدته الاساسية وهى « الكوميون » ، والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والادارية التى تقوم عليها • وفى صميم الموضوع يبدأ المؤلف بشرح الادارة الاقتصادية على المستوى القومى . فيعرض للسمات المميزة للتخطيط الشامل فى يوغوسلافيا وتطوره من تخطيط مركزى الى تخطيط لا مركزى ، ثم يتحدث عن أجهزة التخطيط وعلى رأسها « معهد التخطيط » بادارته الاقتصادية والقطاعية والخاصة بالحسابات القومية . ثم يتتبع خطوات،ومراحل اعداد الخطة وبعد ذلك يوضح مكونات الخطة على المستوى القومى ، وهى بالضرورة محدودة العدد فى اطار التخطيط اللامركزى ، تكاد تنحصر فى تحديد الكميات الاجمالية الاساسية • الدخل القومى ، اجمالى الاستثمار ، الاستهلاك المتاح •• الخ . وأخيرا يعرض لتنفيذ الخطة ويبين كيف أنه يعتمد أساسا على توزيع ايرادات المشروعات وفقا لقواعد معينة ، ثم على استخدام الادوات الاستثمارية والائتمانية والنقدية فى توجيه المشروعات . وبعد ذلك يعرض المؤلف للنظام المالى اليوغوسلافى بما فيه النظام المصرفى ومكوناته على المستوى القومى والمحلى • ويلى ذلك دراسة تفصيلية لاجهزة التسويق فى الداخل والخارج ويخصص المؤلف الباب الاخير لدراسة تفصيلية لنظام الادارة الذاتية فى المشروع

ومن هذا العرض يتضح مدى دسامة المادة التى يحتويها الكتاب ، وكمية المعلومات التى يقدمها عن النظام الاشتراكى فى حياته الاقتصادية اليومية. ولذلك فانه مرجع لا غنى عنه للمشتغلين بالاقتصاد والادارة ـ دراسة او تطبيقا ـ فى بلادنا ، كما أنه يقدم لهم ما يوازن الى حد كبير ذلك التنظيم من كتب « ادارة الاعمال » ذات النهج الاحتكارى الامريكى الذى غمر المكتبة العربية •



مناقشات مفتوحة

دعـــوة الى « ثـورة رقابيــــة »

كتب محمد حسين عامر — بكالوريوس تجارة — يعقب على دراسة « الرقابة على القطاع العام .. مشاكل الفكر والتطبيق » التى نشرت فى العدد الماضى ، يقول :

هل تطبق الرقابة — كما يجب — على وحدات القطاع العام ، وهل تمارس وظيفتهـا الهـامة بأسلوب من الفهم الصحيح والوعى الناضج ؟

والحديث عن التخطيط يتضمن — بالضرورة — الحديث عن الرقابة ، اذ أن العلاقة بين التخطيط والرقابة علاقة ترابط ، ويمكن تشبيه تلك العلاقة — فى رأيى — بأن التخطيط والرقابة وجهان لعملة واحدة · فلا يتصور وجود الرقابة الصحيحة بدون وجود خطة يمكن قياس نتائج التنفيذ عليها ، كما انه لا جدوى من القيام بوظيفة التخطيط — كوظيفة ادارية — دون القيام بوظيفة الرقابة — كحارس ومرشد وموجه للخطة · ولايفهم من ذلك أن دور الرقابة يقتصر على ضمان تنفيذ الخطة كما وضـعت ، بل يمتد دورها الى أبعد من ذلك بمراحل ·

وتتعرض الوحدات الاقتصادية التابعة للقطاع العام لرقابة نابعة من مصدرين : (د· على عبد المجيد — محاضرات فى الرقابة الادارية) :

● **رقابة داخلية** : وهى نابعة من أجهزة داخل الوحدة نفسها ، وقد تتخذ شكل الرقابة الشاملة ، ويقوم بها قسم او ادارة على مستوى المشروع ككل (كادارة الرقابة والتخطيط — مثلا) · وتتخذ أيضا شكل الرقابة — أو المتابعة — المحدودة ، ويقوم بها جهاز تابع لاحـدى الادارات بالمشروع ، ويتابع نشـاط هـذه الادارة فقـط (كقسم مراجعة المبيعات التابع لادارة التسويق — مثلا) ·

● **رقابة خارجية** : وهى نابعة من أجهزة أخرى خارج الوحدة ، وهى تنقسم الى قسمين :

أ — رقابة على مستوى القطاع النوعى : وهى تتركز فى قيام المؤسسة النوعية المشرفة على القطاع الذى تعمل به بالرقابة على الوحدات الاقتصادية التابعة لها ·وكذلك متابعة الوزير المشرف على هذه المؤسسة النوعية ·

ب — رقابة على المستوى المركزى للدولة : وتقوم بالرقابة الخارجية على المستوى المركزى للدولة مجموعة من الاجهزة تصل الى سبعة ·

وانه نتيجة لتعدد هذه الاجهزة الخارجية، فان وحدات القطاع العام يحق لها أن تشكو من التداخل بين هذه الاجهزة ، وان العمل الواحد تتناوله بالرقابة أجهزة متعددة ،كما يرهق هذه الوحدات كثرة البيانات المتضاربة التى تطلبها هـذه الاجهزة ، وعلى الرغم من تعدد هـذه الاجهزة الرقابية على وحدات القطاع العام فان الملاحظ أنها تركز على متابعة مدى تطبيق اللوائح والقوانين ، بغض النظر عن متابعة مدى تنفيذ أهداف الخطة ·

ان الرقابة العلمية الصحيحة ، فى جوهرها ، لا يجب أن تستخدم كوسيلة لتصيد أخطاء العاملين، وتوجيه نظر الادارة لتوقيع الجزاء عليهم · فهذه نظرة خاطئة للعملية الرقابية ، يجب تجنبها كلية · وانما الرقابة العلمية الصحيحة تهدف الى متابعة عملية التنفيذ ، ومقارنة نتائج التنفيذ بالخطـة

الموضوعة ، أى مقارنة النتائج التى تحققت فعلا بالنتائج المستهدفة ، واستخلاص أوجه الخلاف بينهما — سواء كان الخلاف بالسالب أو بالموجب — ثم تحليل ودراسة هذا الخلاف بين النتيجتين بهدف تحقيق الاصلاح الادارى — (د · على عبد المجيد — محاضرات فى الرقابة الادارية) · ويجب أن يكون مفهوما لدى العاملين القائمين بالتنفيذ أن الرقابة وجدت فعلا لمعاونتهم فى تنفيذ الخطط الموضوعة ، وحل مشاكل العمل ، الافراد القائمين بالتنفيذ ، ويتخذ تعاونهم شكل ذلك أن الرقابة السليمة لا يمكن أن تتم الا بمعاونة التعبير عن المشاكل التى تواجههم أثناء العمل والمبادأة فى ابراز نواحى الضعف التى يواجهونها ، لان مجال الرقابة هو تصرف الافراد اثناء عملية التنفيذ الفعلى للخطة الموضوعة ·

ومن السخف ان نلجأ الى الخطب الحماسية والكلمات الرنانة فى محاولة اقناع العاملين بأن الرقابة تهدف الى خدمتهم ومعاونتهم فى حل مشاكل العمل · بل يجب أن يتم ذلك عن طريق التطبيق العملى لهذا المبدأ ، وان يلجأ المسئولون عن الرقابة الى تعويد أنفسهم على هذا الاسلوب ، والبعد عن أساليب التلصص والاساليب البوليسية حتى لا يعمد العاملون الى اخفاء المشاكل التى تعترض التنفيذ والظهور — أمام رجال الرقابة — بالصورة التى يريدها رجال الرقابة — وهى صورة براقة ، متناسبة تماما مع الخطة الموضوعة — لا بالصورة الحقيقية التى هم عليها · فتكون النتيجة أن البيانات التى يجمعها رجال الرقابة ، تكون كلها بيانات براقة تبشر بالخير · ولكن المشاكل الصغيرة التى اخفيت تظل تتفاقم حتى تتضخم بدرجة لا تهدد فقط كيان الوحدة الاقتصادية ، بل يمتد أثرها الى التشكك فى جدوى قيام القطاع العام ، نظرا لما يلاقيه هذا القطاع من حساسية خاصة لدى الكثيرين ، واصبح بالتالى موضع النقد والتحليل المستمرين ، حيث اتضح فى مواقف كثيرة أن « الانجازات التى تحققت تقل كثيرا عن الامال والتوقعات » (د · على السلمى — الكفاءة الادارية فى القطاع العام — ملحق الاهرام الاقتصادى — ١٥ فبراير ١٩٦٩) ·

واذا تمكن رجال الرقابة — والمسئولين عن القيام بها — من تطبيقها بهذا المفهوم والبعد بها عن أساليب تصيد الاخطاء ، وتمكنوا من كسب ثقة العاملين وذلك عن طريق تقديم العون الصادق للعاملين ومعاونتهم فى حل المشاكل التى تعترضهم فى العمل — فانه يمكن القول — بأن الرقابة العلمية الصحيحة ستصل الى مرحلة تتمكن معها من امكانية منع وقوع اى خطأ او انحراف ، وذلك عن طريق ما تقدمه من عون فعال فى حل المشاكل التى تلوح فى الافق وارشاد الادارة الى ما يجب اتخاذه من اجراءات تتعلق بالافراد · من حيث متطلبات التدريب أو رفع الكفاءة الادارية لديهم ، أو من حيث وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب — ، أو تتعلق بالمعدات — من حيث توفيرها بصورة ملائمة وخادمة لسلامة التنفيذ طبقا لمقتضيات الخطة او متصلة بظروف العمل ·· الخ ·

على ان هذه المرحلة قد تبدو فى الوقت الحاضر على أنها فكرة نظرية لا يمكن أن تنزل الى الواقع — وعموما ، فان الرقابة الصحيحة اذا لم تتمكن من منع وقوع الانحراف أو الخطأ ، فانها كفيلة باكتشافه فور وقوعه والارشاد اليه لعلاجه بالسرعة الواجبة ·

« الثورة الرقابية »
ضرورة اجتماعية

واذا كان نظام الرقابة على القطاع العام — بوضعه الحالى — قد قام بدوره حتى الان ، فانه فى ظل ظروف المرحلة الحالية ، وما تقتضيه من تحقيق التقدم والتنمية بمعدلات أكبر ، فان هذا النظام ، باجراءاته وأجهزته ، **أصبح فى حاجة الى اعادة النظر فى هيكله التنظيمى من أساسه** · حيث أن هذا الجهاز — فى رأيى — أصبح يمثل عبئا على الوحدات الاقتصادية التابعة للقطاع العام ، بدلا من ان يكون عونا لها ونصيرا على تنفيذ ما يطلب منها من اهداف · فان تعدد اجهزته وما ينجم عن ذلك من تضارب وتداخل وتعطيل تلك الوحدات الاقتصادية عن القيام بمهمتها الانتاجية — فى سبيل تلبية مطالب هذه الاجهزة المتعددة بالبيانات الرقابية التى تطلبها مع اختلاف نوعها ومواعيد طلبها ، بالاضافة الى أن الوحدة الاقتصادية التابعة للقطاع العام — أى وحدة — تتعرض لتلقى تعليمات وقرارات ، تلزم بتنفيذها من عدة جهات كالوزارة المشرفة على القطاع والمؤسسة النوعية وباقى الاجهزة الرقابية الاخرى المتعددة ، مع احتمال وجود تعارض وتضارب بين هذه التعليمات ، مما قد ينجم عنه من بلبلة فى خط التفكير الادارى لهذه الوحدات ، وتكون النتيجة تبادل المكاتبات والمذكرات التفسيرية والتوضيحية بين هذه الوحدات الاقتصادية وتلك الاجهزة الرقابية ، وبداية لسيل من الخطابات تحمل العبارة التقليدية « الرجا افادتنا عن المقصود بكتابكم رقم بتاريخ ··· » · معنى ذلك أن يتشتت اتجاه الفكر الادارى فى دروب ومتاهات ، لايؤدى أى منها فى نهايته الا الى بدايته ·

وفى رأيى — ان المجتمع المصرى وهو يعيش فترة التحول الاشتراكى ، فى حاجة ماسة الى « **ثورة**

رقابية » تعمل على احداث التغيير الجذرى فى النظام الرقابى القائم حاليا على الوحدات الاقتصادية التابعة للقطاع العام · فان المجتمع المصرى وهو يتطلع الى تحقيق مجتمع الرفاهية ويكافح لكى يقترب يومه ـ بالاضافة الى التحديات العظيمة التى يواجهها، فانه يتخذ اسلوب البرمجة الشاملة للعمل الاجتماعى حتى يعود خير العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة .. واذا كان نظام البرمجة الشاملة يسعى الى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فان القطاع العام هو ركيزة هذا النظام وعموده الفقرى ، فنجاح هذا القطاع فى القيام بمسئوليته ، يعنى ـ بالتالى ـ نجاح هذا المجتمع المناضل فى التقدم خطوات الى الامام ، خاصة وانه بصدد الخطة الشاملة الجديدة · وان الرقابة السليمة الواعية على القطاع العام ـ كأحد انشطة الادارة العلمية ـ هما ضمان هذا المجتمع فى ترشيد وحماية نظام البرمجة الشاملة من اى انحراف عن الاهداف المنشودة ·

●

تعقيب على وحدة التخطيط والرقابة فى التجربة السوفيتية

وجاءنا من **ابراهيم خليل برعى** ، تعقيبا على التعليق حول مقالة « **وحدة التخطيط والرقابة فى التجربة السوفيتية** » الذى نشر فى العدد الماضى (نوفمبر) يقول فيه :

بالاشارة الى مقالنا المنشور بالعدد ١١ (نوفمبر) سنة ١٩٦٩ ، عن وحدة التخطيط والرقابة فى التجربة السوفيتية · أتشرف بايضاح الاتى :

أن المقال المذكور يستند الى بحث أعد للمركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية ، ويعتمد اساسا كما ذكر فى البحث على :

● كتاب الدكتور عبد السلام بدوى : الرقابة على المؤسسات العامة ·

● محاضرة للدكتور خليل حسن خليل : دور الجهاز المصرفى فى الرقابة المالية معهد الدراسات المصرفية (٢٠) سنة ١٩٦٤ والمقال بوضعه القائم مقتبس فى أغلبه من كتاب دكتور عبد السلام بدوى السابق الاشارة اليه ، كما يعتمد أيضا على محاضرة د . خليل حسن خليل ، وكتاب أصول الاقتصاد السياسى لمؤلفه تيكيتين ·

البيان الامريكى والمسئولية

كتب **محمود محمد عثمان** ـ من جامعة دمشق بسوريا ـ يعلق على البيان الامريكى الخاص بالتحاق الامريكيين بجيش اسرائيل ، يقول :

·· أمام تطور المقاومة الفلسطينية من جهة وانفجار الثورة فى السودان ثم ليبيا من جهة اخرى ، خلعت امريكا القناع المزيف الذى تسترت به منذ الخامس من يونيو · قناع الساعى الى « حل سلمى » لمشكلة الشرق الاوسط ، والداعى الى المباحثات الرباعية والثنائية فى سبيل ذلك · وأسفرت ـ بدون اى مجال لشك ـ عن حقيقتها العدوانية ضد الامة العربية · ثم راحت تعلن فى وقاحة عن حق المواطن الامريكى فى الانخراط فى الجيش الاسرائيلى مع الاحتفاظ بجنسيته الامريكية فى نفس الوقت ·وذلك بهدف أن تمد اسرائيل بالجنود الامريكيين بشكل سافر بعد ان أمدتها بجميع أنواع الاسلحة والمعدات والمال ·

وفى رأيى الخاص ، أن أمريكا ـ بذلك ـ قد حققت فائدة كبيرة لحركة الثورة العربية . فلم يعد ممكنا اليوم ان تدعى أى قوى أو أى شخص فى الوطن العربى ، « بصداقة » أمريكا أو حتى « عطفها » أو الزعم « بتفهم » حكومة نيكسون لبعض القضايا العربية · وبذلك لم يعد محتملا أن يصدق الشعب العربى ، ولو للحظة أى ادعاء بامكانية « التفاهم » الامريكى ·

لقد أصبح واضحا من هو العدو الحقيقى لشعبنا العربى · وعلى ضوء هذا الوضوح لابد وأن يتحدد نضالنا فى المعركة الطويلة ضد اسرائيل وضد المصالح الامريكية فى المنطقة : هذه المصالح التى تستنفد خيراتنا وتسرق ثرواتنا ، لتعود بما سرقت ، وتعتدى علينا وتطردنا من أرضنا واوطاننا ، وعلى عاتق الشعب العربى ، تقع مسئولية المواجهة لا ضد اسرائيل فحسب ولكن ضد المصالح الامريكية والامبريالية فى وطننا العربى .

●

فلسطين الحرة

جاءنا العدد الخامس (المجلد الثانى) من نشرة « فلسطين الحرة » التى يصدرها الوطنيون العرب فى لندن فى ٨ صفحات ·

وقد صدرت صفحتها الاولى بموضوع عن « **قاعدة مالطة ودبابات شيفتين لاسرائيل** » توضح فيه انه سيصبح في مقدور **اسرائيل** قريبا ان تستخدم احدى قواعد **بريطانيا** الجوية في **مالطة** · وان هذه الخطوة تلقى ترحيب **حلف الاطلنطى** وخاصة بعد ثورة **ليبيا** · فاذا اضفنا الى ذلك اقدام بريطانيا على بيع دبابات « شيفتين » لاسرائيل (٢٠٠ دبابة) ، على اثر زيارة أبا ايبان الى لندن اخيرا ، فان ذلك يضع الحكومات العربية جميعا أمام مسئوليات لابد من تحمل مهامها ·

وتوضح « **فلسطين الحرة** » كيف أن القلق ساد أوساط البنتاجون على أثر ثورة ليبيا · ومن ثم بدات تفكر في وضع الاسطول السادس ودوره حين يتغير الموقف ولا يستطيع الاعتماد على **قاعدة هويلس الجوية** في ليبيا ، في مواجهة تنامي حركة التحرر العربي · ومن هنا تبرز أهمية اسرائيل في نظر الاستراتيجيين الغربيين ، كقاعدة في قلب الوطن العربي

وتكشف « **فلسطين الحرة** » عن أن حكومة **المانيا الغربية** قد أعلنت أنها ستقدم خلال العام الحالي **٣٥ مليون** دولار لاسرائيل كمعونة مثلما قدمت مبلغا مماثلا له في العام الماضي (١٩٦٨) · كما وافقت حكومة بون على أن تقدم تسهيلات مالية لاولئك الذين هاجروا من أوربا الى اسرائيل في الفترة ما بين ١٩٥٣ و ١٩٦٦ . وتقول المصادر الاسرائيلية أنهم يبلغون **٤٠ الف شخص يحصلون على ٣٠ مليون دولار** ·

وفي مقالها الافتتاحي (ص ٤) ، تعلق « **فلسطين الحرة** » على زيارة **جولدا مايير** الاخيرة الى واشنطن · وتعقد مقارنة بين هذه الزيارة ، وبين زيارة **ليفي اشكول** الى **جونسن** عشية عدوان يونيو ١٩٦٧ · وتقول « صحيح أن الممثلين اشخاص آخرون ، ولكن المنظر هو نفس المنظر » · ومن ثم ترى « **فلسطين الحرة** » أن الزيارة سوف تترجم الى نتائج عدوانية في القريب ·

●

ذكرى المناضل المهدى بن بركة

جاءنا البيان التالي من المنظمات الطلابية العربية والافريقية بالجزائر ، بمناسبة الذكرى الرابعة لاختطاف واغتيال المناضل **المهدى بن بركة**، وقد جاء فيه :

احتفلت المنظمات الطلابية العربية والافريقية في الشهر الماضي بالذكرى الرابعة لاختطاف واغتيال الرفيق المهدى بن بركة الذي خاض معارك صريحة ضد الامبريالية في جميع الجبهات : في الجبهة الداخلية المغربية ضد الاقطاع والبورجوازية والبيروقراطية ، وفي الجبهة الخارجية الدولية ضد الاستعمار العالمي في افريقيا وجنوب شرق آسيا ، وضد التدخل الامبريالي في مصالح الشعوب وحقها في الحياة .

ان الاستعمار الاستيطاني التوسعي في فلسطين وجنوب افريقيا وارتيريا ، واستمرار الاستعمار في بعض الاقطار الافريقية والانقلابات الرجعية التي شهدتها افريقيا واغتيالات الزعماء التقدميين : لومومبا – تشي جيفارا – ادوارد موند لاند ، والهجوم على الدول العربية واحتلال أراضيها ، ثم انخراط الامريكيين في الجيش الاسرائيلي ومحاصرة وضرب الفدائيين في لبنان لتصفية القضية الفلسطينية ، وموقف الرجعية العربية من قضايا التحرر الوطني ، كل هذا مظهر من مظاهر الهجوم الامبريالي من أجل الحفاظ على مصالحه الاستراتيجية واجهاض القوى التقدمية العربية .

لقد ناضل الرفيق المهدى بن بركة داخل المؤتمرات وخارجها لابراز الدور الاستعماري لاسرائيل وكشف حقيقتها المزيفة وادعاءاتها للعالم الثالث بأنها تمثل التقدم الاجتماعي والعلمي

وأخيرا فان المنظمات الطلابية العربية والافريقية بالجزائر ، تدعو الى :

– تعزيز الجبهة التقدمية داخل كل بلد على حدة . وعلى المستوى العربي ، خاصة في القضايا العربية المصيرية والمبدئية ، وتهيب بالشعب المغربي والعربي الى الالتفاف حول طلائعه الثورية كطريق للتحرر وحماية للثورة الفلسطينية .

– تهيب بالمنظمات الطلابية العربية والافريقية الى مزيد من التنسيق والوحدة كطريق لمجابهة الامبريالية ومخططات الرجعية .

– نكرر تنديدنا بالجريمة الشنعاء التي ارتكبها الحكم في المغرب باغتياله رفيقنا المهدى بن بركة . كما نستنكر حملة الاعتقالات التعسفية في حق تقدميي ووطنيي المغرب .

– نستنكر بهذه المناسبة محاولة تنفيذ المؤامرة الامبريالية لضرب العمل الفلسطيني .

– نجدد تاييدنا المطلق لكل حركات التحرر الوطني في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ونضال الطبقة العاملة العالمية .

المنظمات الطلابية
العربية والافريقية بالجزائر

سؤال الى الطليعة

الاتحاد الاشتراكى بين الحزب والتحالف

هناك سؤال كثيرا ما اطرحه على نفسى وبين زملائى ، هو :

هل الاتحاد الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة ، « حزب أم منظمة » ؟

واذا كانت صيغته العامة تضفى عليه شكل المنظمة ، فهل يعمل عمل الحزب أم لا ؟ ولماذا لا يكون حزبا اذا كان منظمة وبالعكس ؟

واذا كان منظمة فهل يصبح حزبا ؟ واذا كان حزبا فلماذا لا ترد هذه الصيغة فى أجهزة الاعلام من اذاعة وجرائد ومجلات ونشرات · الخ ·

أرجو أن توضحوا لى ذلك · ومع الشكر ·

ع · ج
حماه · سوريا

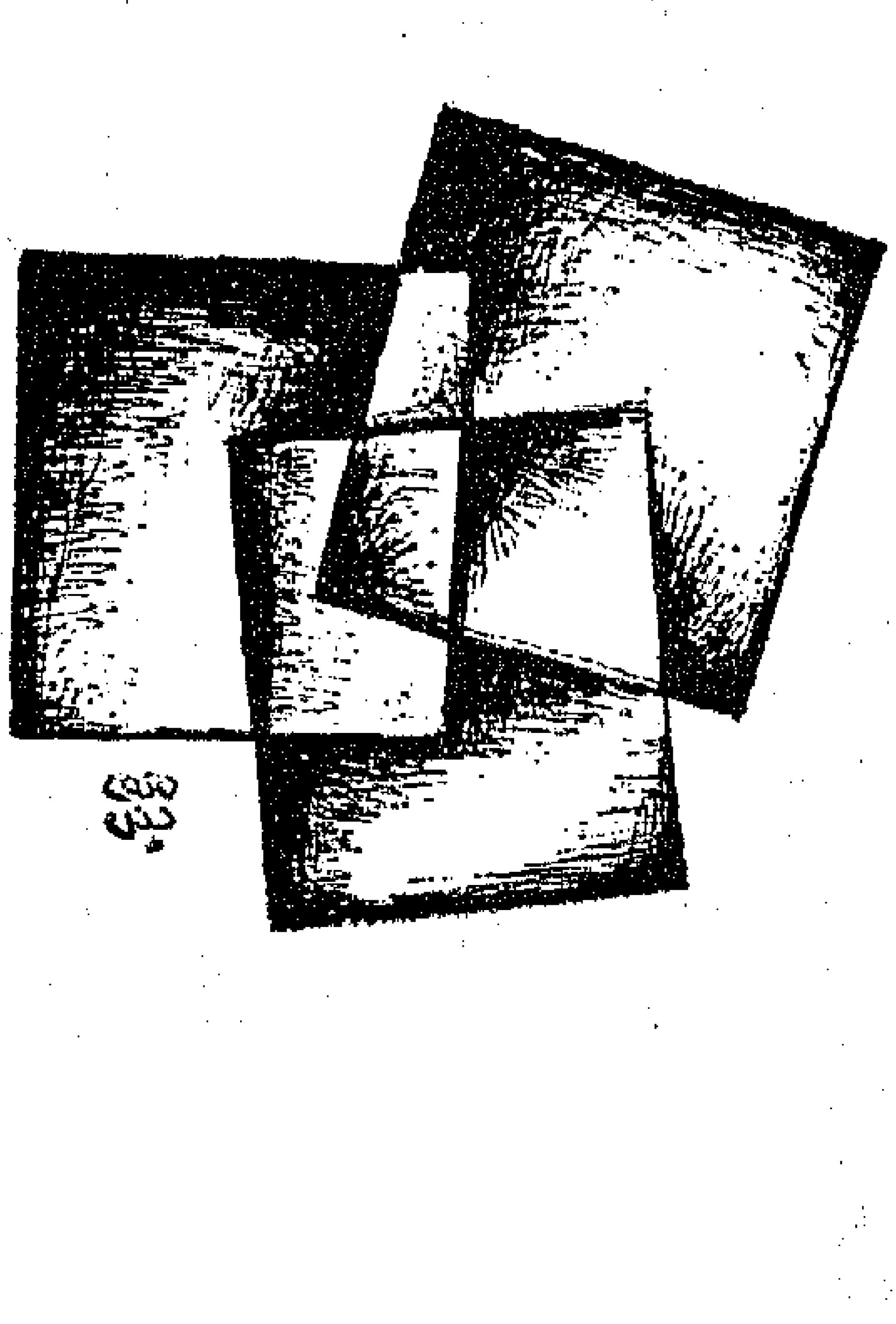
الطليعة :

الاطار الذى حدده الميثاق الوطنى للاتحاد الاشتراكى – كما فى لائحته – يوضح « ان الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ..»، كما أوضحت لائحته أنه « يضم قوى الشعب العاملة ويتمثل فى تحالف هذه القوى فى اطار الوحدة الوطنية » ·

وفى نفس الوقت الذى يضم فيه الاتحاد الاشتراكى قوى الشعب العاملة : الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية **كتحالف عريض** – فان الميثاق الوطنى يؤكد أيضا على ضرورة قيام « **جهاز سياسى** » ، أو « **نواة** » – داخل الاتحاد الاشتراكى ليكون طليعة لهذا التحالف، وتضم القوى الطليعية والعناصر الحركية القائدة.

ولكن مجريات الامور ، أدت الى وجود تناقض بين الصياغة المحددة لمفهوم الاتحاد الاشتراكى – كتحالف – وبين التطبيق العملى · حيث تطور الامر الى تحول التحالف – من الناحية الواقعية – الى نوع من الالتزامات فى العمل والحركة تماثل الالتزامات الحزبية · وقد حدث ذلك بحكم الطريقة التى تم بها التنظيم الداخلى ، وبحكم الطبيعة الاجتماعية لكثير من القيادات التى تشكلت – أساسا – من بين أفراد احدى قوى التحالف وأصبح لها الغالبية ·

ومن الطبيعى أن يؤدى ذلك الى أن تعمل هذه الفئة وتخطط – سواء بشكل ارادى ، أو بشكل تلقائى – من خلال وجهة نظرها الاجتماعية ·



وثائق

وثائق تاريخية عن :

مرحلة الانتقال في التجربة السوفيتية

١٨

وثائق مرحلة الانتقال في التجربة السوفيتية

تواصل « الطليعة » تقديم وثائق مرحلة الانتقال فى التجربة السوفييتية ، وفى العدد الماضى بدأنا بنشر القسم الاول من ملاحظات الاستاذ شارل بتلهايم على نصوص مرحلة الانتقال فى الاتحاد السوفيتى ، وقد قدم بتلهايم ذلك القسم الاول من مقدمته تحت عنوان « ملاحظات شبه ابستمولوجية : العلم اللينينى للاستراتيجية والتاكتيك الثوريين » وكما تذكر اتجه الاستاذ بتلهايم الى تأصيل مبادىء العمل الثورى ، أى ربط علم الاستراتيجية والتاكتيك بالمادية الجدلية ، وهى النظرية الفلسفية للماركسية .

والاستاذ بتلهايم فى محاولته ان يربط بين علم الاستراتيجية والتاكتيك بمبادىء المنهج الجدلى

انما يسير على الطريق الذى سلكه — من قبل —قادة الفكر الماركسى • ونحن نعلم — مثلا — ان لينين لم يتوقف لحظة ، وهو يعالج القضايا السياسية والاقتصادية التى طرحها عصره ، عن العمل على تأصيلها وربطها بأساسيات الماركسية كفلسفة ، بل لقد كان لينين يضاعف الجهد على الجبهة الفلسفية كلما تعرض الفكر الماركسى لازمة أو منعطف حاد ، أو كلما تعرضت حركة الثورة لردة أو انتكاسة • وهكذا كان لينين يرى — بعد اخفاق ثورة ١٩٠٥ وانتصار الرجعية المؤقت — ان التأكيد على مبادىء الديالكتيك هو مهمة سياسية من الطراز الاول •

وفى هذا القسم من مقدمة بتلهايم لنصوص مرحلة الانتقال فى التجربة السوفيتية ، والذى كتبه تحت عنوان « الجمود التروتسكى » يكشف عن الاساس الفلسفى للموقف الذى نسميه بالجمود أو « الدوجماتزم » ، فى مجالى السياسة والاقتصاد فبالمعنى الفلسفى يقع الانسان فى الجمود عندما يثبت الواقع ، ويهمل تطوره التاريخى ، ويرفض النظر اليه موضوعا فى الظروف النوعية للزمان والمكان • ومن هنا تمثل موقف تروتسكى الخاطىء فى مرحلة الانتقال فى انه انطلاقا من أفكار مجردة وصيغ عامة عن الاشتراكية والنظام الاشتراكى حاول أن يقدم حلولا لا تستجيب للظرف التاريخى المحدد ، الذى يرتبط بتحولات جديدة ، ويطرح — بالتالى — واجبات جديدة ، ذلك أنه عندما انتصرت ثورة اكتوبر لم يكن فى مقدور السلطة الجديدة ان تبنى النظام الاشتراكى بين يوم وليلة ، أو بمجرد اصدار المراسيم • كان لابد وأن يقطع النظام الجديد « مرحلة تاريخية كاملة » يصفى فيها الرأسمالية وبقايا النظام القيصرى ليمهد الارض للبناء الجديد • وكانت هذه المرحلة الانتقالية ضرورية بكيفية مطلقة ، حتى ولو كانت فيها تراجعات مؤقتة ، وانحناءات فى المسار الثورى ، وكان رفض فكرة « وجود المرحلة وضرورتها » ومحاولة تجاهلها هو أساس الموقف الجامد الذى وقع فيه تروتسكى وانصاره ، وهذا ما يوضحه الاستاذ بتلهايم تحت عنوان « الجمود التروتسكى » •

[٢] الجمود التروتسكى

« ان حل التناقضات المختلفة بمناهج مختلفة لهو مبدأ ينبغى على الماركسيين اللينينيين أن يلتزموا به بصرامة • أما الجامدون فانهم على العكس لا يلتزمون بهذا المبدأ ، انهم لا يفهمون الفوارق فى الظروف التى تتم فيها الثورات المختلفة ، وبالتالى لا يفهمون ان التناقضات المختلفة يجب أن تحل بمناهج مختلفة ، انهم يطبقون فى كل حالة نفس الصيغة بحذافيرها ويعتبرونها غير قابلة للتغيير • ولا يمكن أن يؤدى هذا الا الى فشل الثورة ، ويعرض للخطر ما كان يمكن الوصول به الى نهاية موفقة » •

« ان فهم كل جوانب تناقض ما هو فهم المركز الخاص الذى يحتله كل جانب من هذه الجوانب ، وفهم الاشكال المحددة التى تولد فيها بعضها بعضا وتعارض فيها بعضها بعضا ، وما هى طرق النضال المحددة التى يسلكها كل جانب من الجوانب فى ترابطها المتبادل وفى تعارضها ، وكذا بعد انقطاع هذا الترابط المشترك بينهما • ان دراسة هذه المسائل أمر بالغ الاهمية • وهو ما كان يقصده لينين على وجه التحديد عندما كان يقول أن لب الماركسية وروحها الحية هو التحليل المحدد لوضع محدد • والجامدون عندنا يخالفون توجيهات لينين ، ولا يتجشمون أبدا مشقة تحليل أى شىء بطريقة محددة • ان مقالاتهم وخطبهم لا تعدو ان تكون تكرارا أجوف لا جدوى منه للصور المنقولة نقلا حرفيا وتوجد فى حزبنا أسلوبا للعمل ضارا للغاية »

ماوتسى تونج فى التناقض

« ان الفقرة الاولى — شأنها فى ذلك شأن باقى الفقرات — قد عالجت « التعاون » بطريقة جافة ومجردة • ولقد سبق أن قيل هذا الف مرة وكفى • ومن الواجب عرض المسألة بأسلوب مختلف تماما ، دون تكرار شعار « كونوا تعاونيات » على علاته ، بل بأن يبين على وجه التحديد ماهية التجربة العملية فى مجال التعاون ، « وكيف يمكن مد يد العون لها • (•••) ان كل رسائل (افكار) الرفيق بريوبرا جنسكى تطفح بالاكاديمية الزائدة ، انها ثرثرة خليقة بالمشتغلين بشئون الثقافة والادب لا بالنشاط العملى فى ادارة شئون الدولة والاقتصاد » •

« توجيهات في صورة مراسيم » هذا ما يقترحه الكاتب • وهذا خطأ من الاساس (•••) ويحسن بدلا من ذلك اخذ البيانات المستقاة من الخبرة **العملية** ولو في نطاق اقليم واحد ، واعمال الفكر فيها **بروح عملية لا بروح أكاديمية** »

لينين

في رسالته الى الرفيق مولوتوف لعرضها على المكتب السياسي بشأن رسائل الرفيق بريوبراجنسكى ، بتاريخ ١٦ مارس ١٩٢٢

ان ما كتبه تروتسكى بعنوان « **مكان الخطة في الاقتصاد القومي** » جزء من كتيب عنوانه « **اتجاه جديد** » نشر في يناير ١٩٤٤ في اطار « المناقشة الكبيرة » التى فتح بابها في الحزب حول الديمقراطية داخل الحزب ، وأزمة المقصات ، والتصنيع ، وأفكار تروتسكى عن التصنيع هي نفس افكار المعارضة التي يقال لها المعارضة « اليسارية » والتى أعلنت عن نفسها في اكتوبر ١٩٢٣ بنشر « برنامج الـ ٤٦ » والتى استمرت تتدخل في حياة الحزب حتى ١٩٢٦ • ولقد كان بريوبراجنسكى ، وبياتاكوف الـخ ممثلى هذه المعارضة ، وكانت افكار بريوبراجنسكى على وجه الخصوص في مستوى نظرى أرقى بكثير مما كانت عليه أفكار تروتسكى (١) •

وقد أعاد تروتسكى في « مكان الخطة في الاقتصاد القومي » عرض فكرة من الافكار الرئيسية للمعارضة وهي : ضرورة العمل فورا على وضع خطة مركزية وتحقيق التراكم بسرعة متزايدة وبالاستناد الى الصناعة الثقيلة •

ولا حاجة بنا الى التأكيد على ما يعرفه الجميع من أن جزءا كبيرا من نظريات المعارضة بشأن الصناعة والتخطيط تبنتها فيما بعد قيادة الحزب في عهد « التحول العظيم » سنة ١٩٢٩ والخطط الخمسية (٢) • فمن المعروف أن بعض الافكار التى سميت فيما بعد « ستالينية » والخاصة بطور الانتقال ، من وضع تروتسكى الذى عمد على أى حال الى وضعها موضع التطبيق في عهد شيوعية الحزب ومنها المركزية المفرطة ، وفرض النظام العسكرى على البروليتاريا ، وترويض النقابات ، الخ • وسوف يلاحظ القارىء في النص الذى نقدمه كيف يفضل الكاتب عرض الاحداث الاقتصادية والاجتماعية بالارقام ، وكيف يثق ثقة بالغة **بالمعايير الكمية للتخطيط** ، وولوعه بالخطط المنفذة بمعدلات تصل الى ١٠٠ في المائة أو ١٣٠ في المائة • وقد سخر بوخارين بحق ـ في أحد كتاباته الالمعية في دحض التروتسكية ـ من « هذه الموسيقى الاشتراكية » التى قصد صاحب « الثورة الدائمة » أن يستخلصها لنفسه من أول أرقام اساسية ظهرت كما هو معروف بعد المؤتمر الثاني عشر للحزب بوقت غير قليل • (٣)

وسوف نهتم في المقام الاول بأن نبين مواطن انكار منهج تروتسكى ، و « المعارضة اليسارية » لاضافات لينين الى المادية الديالكتيكية في ميدان الممارسة السياسية ، كما سنبين كيف ان هذا المنهج يعود الى نظرة مبسطة وارادية ولا زمانية للعمل السياسى ، منظورا اليه كتطبيق ميكانيكى لتحليل نظرى عام للاهداف **النهائية** للثورة ، بغض النظر عن تناقضات وتدخلات الواقع الاجتماعى في لحظة معينة •

ان الخاصية الرئيسية للتروتسكية هي عدم وجود نظرية للاطوار والمراحل ، وانعدام وجود نظرية التناقض ومن ثم انعدام وجود نظرية الاستراتيجية والتكتيك • ان التروتسكيين يخلطون ـ في مستوى واحد من **الضرورة العاجلة** ـ بين مهام تشكل جزءا من **البرنامج العام للحزب** في طور الانتقال برمته (بل وفى كافة اطوار الانتقال منظورا اليها ككل) ، أى بين المهام التى تشكل جزءا من **استراتيجية الحزب** (اى الممارسة المنصبة على الطور من زاوية تجزئته الى مراحل) وبين المهام التى تشكل جزءا من تكتيك

---

[١] سوف ننشر « الكراسات الماركسية اللينينية » على هيئة وثائق مع التعليق عليها ، المناقشة التى جرت بين بريوبراجنسكى وبوخارين حول القوانين الاساسية للاقتصاد السوفييتى

[٢] ومع ذلك يجب الا نقبل على علاته ذلك الاحتجاج الذى يظهر في كتابات تروتسكى عن « سرقة افكار الغير » المنسوبة الى ستالين : فالظروف المتوفرة سنة ١٩٢٩ [ويمكن الاعتقاد بأنها كانت لا تزال غير كافية في ذلك الوقت ، وان كان الضغط الموضوعى الذى سببته المعارك الطبقية قد عجل بالحركة] لم تكن بالقطع متوفرة سنة ١٩٢٤ [وهى أول سنة في النيب عرفت الاستقرار حقا بعد ازمة سنة ١٩٢٣ وبداية نهوض القوى الانتاجية على قدميها] . ومن الامور ذات المغزى ان يطالب تروتسكى في كتابه « خيانة الثورة » بالاعتراف بفطنة وذكاء المعارضة وانه يعزو « التأخير » في بدء الهجوم في ميدان الصناعة الى مجرد « تعرجات القيادة » وضغط مفاجىء مزعوم من جانب الكولاك ، دون اجراء تحليل تفصيلى لخصائص الوضع سنة ١٩٢٩ بالنسبة لعام ١٩٢٤ ـ وهذا مثال للمنهج التروتسكيين « اللازمانى » والتجريدى وسنعالج بعض جوانبه فيما بعد . انظر في النصوص المقدمة رد ستالين [السياسة الزراعية للاتحاد السوفيتى] وهو رد دقيق في هذه النقطة ـ بالرغم من أن مضمون الرد الستالينى يحتوى على أخطاء منهجية خطيرة سنعود اليها ، ومنها على وجه الخصوص الخلط المستمر بين العلاقات القانونية وعلاقات الانتاج الفعلية .

[٣] في « ملاحظات بقلم اقتصادى » التى سوف ننشر في وثائق الكراسات الماركسية اللينينية .

الحزب (أي الممارسة المنصبة على تناقضـات لحظـة معينـة وجوانبها المحددة) ».

ومن هذه الزاوية فان النص الذى بقلم تروتسكى مثال حى على ذلك فماهوخط سير تفكير تروتسكى ؟

١ ــ انه يبدأ بوضع « الهيكل العام للخطة فى الاقتصاد المملوك للدولة » ، أى الهيكل العـام للتحديد الرئيسى ، السـمة الرئيسية لأسلوب الانتـاج الاشتراكى، مأخوذا فى صورته النقية، ومنظورا اليهمن الزاوية النمـوذجية (وصف اقتصـاد اشتراكى مخطط) فيقول :

« ذلك هوالهيكل العام للخطة فى الاقتصاد المملوك للدولة » .
(ص ٨ من النص)

٢ ــ وبعد أن عرض تروتسكى على هذا النحو للجانب الجوهرى للقطاع الاشتراكى من النـاحية القانونية (النظرية) وفى المدى الطويل ، فانه يدخل فى الصورة ما يسميه « تعقيدا » فيقول:

« غير أن وجود السوق يعقد بدرجة كبيرة مهمـة انجـاز الخطـة » . وللتغلـب علـى هـذا « التعقيد » ، يشـترط تروتسكى عدداً من المتطلبـات الثانوية بالقياس الى المتطلـب الاساسى الذى يستوجبه جوهر أسلوب الانتاج بطريق مباشرفى تقديره، ذلك هو باختصار منهج تفكير تروتسكى .

ويمكننا منذ الان وقبل الدخول فى التفاصيل أن نرى أن جوهر النيب ذاته كما عرفه لينين ــ وهـو انه طـور من التراجع الاستراتيجى فى بلد غالبيتـه الساحقة من الفلاحين ــ ينطوى على مسيـرة ذهنيـة وعلـى استنباط، هنا على عكس مافعل تروتسكى تمـاما ، ذلك أن ما يعتبره تروتسكى « تعقيدا » هـو هنا التحديد الرئيسى . انالسوق هى فى النيب مركز ثقل الوحدة الواجب تحقيقها بين الصـناعة والزراعة ، أى مركز الثقل فى تخطى التناقض العـدائى الذى أصبح هو التناقض الرئيسى فى نهاية المرحلة السـابقة ، ان السوق هى من الان فصـاعدا السبيل الذى يجب أن يتم عن طريقه تحقيق فائض الزراعة ، ان الصناعة تعمل مناجل سوق الريف ووفقا لها .

كما يمكننا أن نـرى ان التخطيط ــ وهو من الوجهـة القانونية (النظرية) التحـديد الرئيسى لاسـلوب الانتـاج الاشـتراكى ، لا يدخـل فى الحسبان فى هذه المـرحلة الا باعتباره تحديدا ثانويا .

الملاحظـة الثـانية : ان المتطلبات التى وضعها تروتسكى فـى اطـار التنـاقض الثـانوى « التعقيد » ضـئيلة الاهمية بالقياس الى المتطلبـات الاساسية الموضوعة منذ البداية ولا يمكن أن تؤدى الى تحقق هذه الاخيرة (٤) . ان تروتسكى لا يشترط شرطا يبدومعذلك ــ حتى فى اطار استنتاج نظرى ــ لا غنى عنه لتخطيط الصناعة ، الا وهو التحويل الاشتراكى للزراعة ، أو على الاقل سيطرة الدولة على الانتاج الزراعى، وعلىالاستهلاك الانتاجىللزراعة وعلى استهلاك الفلاحين . وبدلا من أن يضع تروتسكى هذه الشروط ــ وهذا من شأنه طبعا أن يؤدى به الى الاعتراف للنيب بمكانتها المركزية وترك مكانة ثانوية بصفة مؤقتة لهجـوم الصـناعة وللتخطيـط الادارى ــ فان تروتسكى يكتفى بالتطلع الى نوع من التكييـف التدريجى للاقتصاد الفـلاحى الخاص مع خطة الدولة ، عن طـريق التجـارة والصـناعة المتوسطة .

« سوف يكون لدينا اقتصاد مملوك للدولة وموجه وفقا لخطة معينة، ويلتحم أكثر فأكثر بسوق الريف ، ويتكيف بالتـالى أولا بأول خلال نموه » .
(ص ٨ من النص)

ان لدينا هنا نموذج المصادرة على المطلوبالمجردة والمقدمة فى صورة علية غامضة « بالتالى » تشكل عماد عدد غير قليل من التدليلات التروتسكية .

واذا تعمقنا التدليل ــ ولمنقع فى شباك تلك السهولة فـى الاستنباط وهذا الوضوح البادى للنص ، فانه لا يسـعنا الا أن نوضح تناقضاته، فكيف يؤسس تخطيط حكومى حقيقى ممـركز على سوق فلاحية خاصة متناثرة تنمو وتستجيب للمؤثرات تلقائيا على أساس قوانين رأسمالية ؟ ان تروتسكى يتجنبالصعوبة بوضع متطلب جديد مجرد .

« معرفة دقيقة بأحـوال السوق وبالتنبؤات الاقتصادية الصحيحة » .

ان هذا المطـلب يتسـم بالتجريد :

أولا : لان تروتسكى لايتسلح بوسائلتحقيقه ولو جزئيا ،وهذه هى مسألة « دكتاتورية أجهـزة المالية » ، والعداء المستاء الذى تكنه المعارضة لاستقرار الحالة المالية ، والتطبيق المعمم لخطة كل شىء أو لاشىء ، وسندرس كل هذه الامور فيما بعد .

ثانيا : لانه حتىلو تسلحالمرء ببعض الاساليب الواقعية ، فان

---

[٤] هذه الملاحظة مرتبطة طبعـا بالانتقادات الشاملة الموجهة الى منهج الرئيسى للمرحلة يؤدى الى وصف خاطىءللتحديدات والتناقضات الرئيسيةوالثانوية التفكير التروتسكى . فتجاهل التناقض للطور ذاته ، وعلى الاقل الى التبسيط المتعسف لها .

الحد الادنى من المعلومات والتقديرات التى بدونها لا يكون التخطيط سوى هذر أو خيال، يتطلب انقلابا جذريا لهيكل الانتاج الزراعى والسوق الزراعية، (وقد اتخذ هذا الانقلاب تاريخيا صورة التحول الى الزراعة الجماعية سنة ١٩٢٩) • وبالفعل، ما هى نقطة انطلاق تروتسكى ؟ ان تروتسكى يبدأ من نقطة اعتماد فروع الصناعة على بعضها البعض وبصفة ثانوية اعتماد الصناعة على منافذها ومصادر موادها الاولية • ولا يقف تروتسكى عند هذه النقطة التى ينكشف فيها ضعف تدليله •

فلنتعمق نقطة الانطلاق هذه، لكى تستطيع مؤسسة ما أن تنظم عملية الانتاج بداخلها تنظيما رشيدا، فان عليها أن تعرف :

— ما هى احتياجات بقية الاقتصاد من المنتجات التى تقدمها (استهلاك المدن والريف وباقى فروع الصناعة الخ •••)

— ما هى المنتجات نصف المصنوعة التى تستطيع الاعتماد عليها من جانب تلك الفروع من الصناعة التى تقدم جزءا من استهلاكها الوسيط •

— ماهى موارد اليد العاملة المؤهلة وغير المؤهلة التى تستطيع تهيئتها، آخذة فى الاعتبار الجهة المقامة فيها المؤسسة، ومستوى التأهيل المهنى على النطاق القومى، واحتياجات الفروع الاخرى الخ •••

— كيف تتطور التكنولوجيا فى ذلك الفرع (اكتشافات جديدة الخ) •

هذه بعض الشروط اللازمة لقيام « تنظيم رشيد للانتاج فى فرع من الفروع » كبر أو صغر • وهذا أيضا هو تعريف الاشتراكية » ان القول بأن :

« أى فرع من فروع الصناعة، كبر أو صغر، وأى مشروع، لا يستطيع توزيع موارده وطاقاته توزيعا رشيدا دون أن يكون أمامه خطة توجيهية • وفى الوقت ذاته، فان كافة هذه الخطط الجزئية نسبية وتعتمد على بعضها بعضا » •••

أليس القول بهذا هو القول — فى نهاية الامر — بضرورة الاشتراكية ذاتها، بله الشيوعية باعتبارها تصفية لتناقضات أسلوب الانتاج الرأسمالى ؟ ألا يعنى هذا أننا نأخذ — مثلا — بالشيوعية كما وصفها انجلز اذ قال :

« سوف يسهل فى المجتمع الشيوعى التعرف على الانتاج والاستهلاك • وبما ان ما يحتاجه كل فرد فى المتوسط معروف، فمن السهل تقدير ما يحتاج اليه عدد معين من الافراد، وبما أن الانتاج لن يكون عندئذ فى أيدى بضعة منتجين يعملون لحسابهم الخاص، بل فى أيدى الجماعة (الكوميونة) والهيئة المديرة لها، فان ضبط الانتاج وفقا للاحتياجات سيكون أمرا فى منتهى اليسر » •

(خطاب ألقى سنة ١٨٤٥ أشار اليه بتلهايم فى « الاطارات الاجتماعية والاقتصادية وتنظيم التخطيط الاجتماعى ») •

وظاهر أنها لامنية عظيمة تفترض حل مجموع التناقضات فى كافة أطوار الانتقال، ومنها مجموع قضايا الاستراتيجية والتكتيك الثوريين التى ستطرح فى كافة البلدان، وتكامل الصناعة والزراعة، وابتكار طريقة للمحاسبة الاجتماعية الخ

ولا حرج على المرء ان هو تبنى مثل هذا الهدف • بل انه شرط لا غنى عنه لحل تناقضات محددة بعينها • ومع ذلك يجب عدم الخلط بين مستويات التحليل وبعضها، وتجنب اعتبار أسلوب الانتاج الاشتراكى بأوصافه المعينة فى ظل المقولة المحددة للتطبيق صورة ثابتة ودائمة فى كل لحظة من لحظات الاستراتيجية والتكتيك •

فما الذى فعله تروتسكى بعد أن اكتشف من جديد، ولم تكن به حاجة الى هذه اللفة الطويلة، متطلبات أسلوب الانتاج الاشتراكى، هل صاغ استراتيجية شاملة لادماج الزراعة فى اقتصاد الدولة والسيطرة على انتاجها وسوقها ؟ هل وضع تكتيكا لوضع اليد على طريقة سير تجدد الانتاج فى الاقتصاد الروسى ؟ هل أجتهد فى تعريف النواحى المختلفة التى تسمح بارساء الاسس الموضوعية والذاتية لتنمية اقتصاد الدولة نموا متوازنا ؟ لم يفعل شيئا من ذلك بل درس بعض صعوبات اعترضت التطبيق، وهى بطبيعة الحال ثانوية متى سلم المرء بما هو جوهرى • وهذا أشبه بمن يعرض نفسه لاشد المخاطر فى سبيل تحقيق اتفه الاغراض •

وبعبارة أدق فان الانتقال من التعريف الاستنباطى لاسلوب الانتاج الاشتراكى الى مشكلة « التطبيق » فحسب — منظورا اليها، فضلا عن ذلك، بطريقة متواضعة للغاية، باعتبارها بعض الاصلاحات التفصيلية وتكيفا تدريجيا، هذا الانتقال تصفية — بمعنى الكلمة — لعلم الاستراتيجية والتكتيك اللينينى وحتى للعلم الاشمل وهو علم طور الانتقال • وهكذا فان كل هذا الجانب من المادية الدياليكتية يتضاءل فى نص تروتسكى الى العبارات الاتية :

« تعديلات ضرورية » ،
« أخطاء فى التقدير »
والبيون شاسع بين

هذا وبين الفكرة المعقدة للغاية عن وضع الخطأ الضرورى أو الحتمى ، تلك الفكرة التى حاولنا استخلاصها من نص لينين) • ان هذا الجانب (عند تروتسكى) ينكمش الى تمنيات بالغة التفاهة كقوله :

« من الواضح أن هذه الازمات سوف تكون أقل حدة واستطالة كلما طبقت الخطة بطريقة أكثر جدية فى كافة فروع الاقتصاد الحكومى » (*)

وهناك جملة فى نص تروتسكى تعبر فى ايجاز ساطع عن تلك الهيمنة العامة التى يبسطها الطور ، فيرتكز عليها التدليل ، وهذا نصها :

« فى هذه الحالة ، بينما تحتفظ الادارة بمرونتها ، فانها لا تتحول الى سلسلة من الاعمال الارتجالية ، وذلك بقدر ما تكون مبنية على نظرة عامة منطقية للعملية الاقتصادية فى مجموعها • وحالما تقوم الادارة بادخال التعديلات الضرورية فانها سوف تميل الى استكمال أو ضبط الخطة الاقتصادية وفقا للظروف والموارد المالية » •

وسنعود فيما بعد الى هذا المنهج العام والى ماينطوى عليه من نظرة أو مفهوم للطور — مؤداه أن التناقض الرئيسى للطور هو قانونا التناقض الرئيسى لكافة لحظات الطور • وكل تعديل فى زاوية الرؤية ليس الا « ارتجالا » أو « تعرجا » على حد التعبير الزاخر بالصور البلاغية الذى يستخدمه صاحب « الثورة الدائمة » •

ولنواصل الان تحليل مضمون الخط التروتسكى :

يتجلى الطابع التجريدى لتفكير تروتسكى وتدليلاته ، ومحورها استنباط مباشر مبنى على جوهر اسلوب الانتاج الاشتراكى ومقدم على أنه ينتهى بلا مواربة الى التطبيق العملى ، هذا الطابع التجريدى يتجلى :

— فى اسقاط الاطوار والمراحل واللحظات والتنقلات المتتالية للتناقضات ، من الواقع الاجتماعى محل الدراسة (أى الطابع اللازمانى للتحليل)، وهذه هى النقطة التى انتهينا لتونا من بحثها •

— فى عدم أخذ الظروف المحددة للحظة الراهنة فى الاعتبار ، واغفال التحليل خطوة خطوة ولكل مستوى من مستويات البحث على حدة ، اذ أن التناقض الرئيسى قانونا (نظريا) هو التناقض الرئيسى واقعيا ، ويفترض مقدما ان ادوات الممارسة الاجتماعية مناسبة لتحقيق اهدافها الخ .. (٥)

ذلك هوالجانب الثانى للجمود التروتسكى ، وهو مرتبط بالجانب الاول • وفيما يلى بعض مظاهره :

يطالب تروتسكى سنة ١٩٢٤ (وكان يطالب منذ ١٩٢٢ — ١٩٢٣) بتخطيط مركزى ، ولكن من الذى سيخطط ؟ لن يتولى التخطيط جهاز دولة مثالى ، ولا جوسبلان (لجنة تخطيط) مثالية، بل سيتولاه ذلك الجهاز البيروقراطى الموروث عن القيصرية والذى وجه اليه لينين نقدا لاذعا فى النصوص التى جمعناها فيما يلى ، هذا الجوسبلان الذى هو الجهاز المتخصص البرجوازى الذى اختصه لينين دوما بمجال محدود، هو مجال وضع البيانات العلمية . ونظرا لان تروتسكى أغفل تحليل أدوات تحقيق الاهداف التى حددها للسلطة فهو يقع تحت طائلة النقد السهل الذى يوجهه اليه زينوفييف « الواقعى » أن التدليل الذى يتضمنه النص الموجه ضد تروتسكى ، والذى أوردناه فيما بعد ، يصيب الهدف ، بالرغم من ضعف مستواه النظرى ، لان زينوفييف يصف فى ذلك النص الناس والاجهزة التى ستتولى فى الواقع وفى المرحلة الحالية ادارة التخطيط الاقتصادى فى مجموعه • ودون اغفال الجانب العرضى فى نقد زينوفييف (الحملة ضد الاخصائيين البورجوازيين والاندفاع الى المساواة فى نهاية عام ١٩٢٣)، يجب ان ندرك انها كانت اذ ذاك فى محلها ، وأنها متمشية تماما مع روح النيب ، طبقا للآفاق التى رسمها لينين، ولنذكر كل نصوص لينين بشأن المتابعة العملية للعمل المنجز ، والدور الحاسم للوضع فى المجال المحلى ، وتوحيد الانشطة الاقتصادية فى المستوى المحلى وهو أهم من التركيز الحكومى فى المستوى الاعلى •

---

[٥] فى هذه النقطة يختلف منهج تروتسكى اختلافا جذريا عن منهج بوخارين الذى يعير اهتماما بالغا لحالات التباين بين المفروض والواقع ، وبين الادوات المثلى والادوات الحقيقية، للتفاوت والفجوات بين أدوار البناء وبعضها [العلاقات القانونية ، علاقات الانتاج الحقيقية، التحديدات الايدولوجيه الخ] أنظر النص المقتبس من « البورجوازية الدولية وداعيتها كارل كاوتسكى » وعلى العكس سوف تجد « مثالية » تروتسكى صدى لها فى النزعة القانونية التحكمية عند ستالين الذى يخلط بسهولة العلاقات القانونية بعلاقات الانتاج الفعلية [ويتجلى هذا فى السياسة الزراعية للاتحاد السوفيتى عند الكلام عن ملكية الفلاحين] بالرغم من أن ستالين ، خلافا لتروتسكى ، يستخدم تماما فى التحليل الطويل المدى التقسيم الى أطوار ومراحل الخ ، ويقدم نظرية دقيقة للعتبات وتنقلات التناقض الرئيسى . وستعالج هذه الاشارات العابرة بتفصيل أوفى .

« هناك ظروف يكون فيها التنظيم الدقيق للعمل على الصعيد المحلى ، ولو على نطاق صغير جدا ، أعظم أهمية للدولة من نشاط العديد من الهيئات المركزية فى هذا المجال وذاك الخ

(مشكلة الدولة ص ٨ و ٩ من الوثائق)

ذلك ان مشكلة المتابعة العملية ليست مجرد اضافة للخط العام . فالاستراتيجية والتكتيك والحلقة الرئيسية تتحدد ايضا **تبعا** للامكانيات العملية والقوى البشرية والظروف الموضوعية والذاتية . وعندما يكون جهاز الدولة لا يزال الى حد كبير متضامنا مع الوضع السابق للتكوين الاجتماعى — القيصرية — فان جهاز الدولة (باعتباره جماع الموظفين المركزيين والادارات المركزية والاخصائيين) لا يمكن أن يكون الحلقة الرئيسية فى الهجوم الاقتصادى الذى تشنه السلطة السوفيتية .

وهاكم مثالا أخيرا للمنهج التروتسكى، ونحن نقصد مسألة تعرض لها تروتسكى فى نصه وكانت احدى نقاط المعارضة « اليسارية » وهى : « دكتاتورية المالية أم دكتاتورية الصناعة ».

فى عام ١٩٢٣ و١٩٢٤ نشأت خصومة بين الجوسبلان وبين قومسيرية الشعب للمالية (نوركومفين) بشأن اختصاصات كل من الجهازين . فقد طالبت الجوسبلان بالاعتراف بخضوع المالية للسياسة الاقتصادية العامة وخاصة للتخطيط الصناعى ، وطالبت بسلطة تنظيم سياسة منح الاعتمادات للصناعة ، لا تبعا للمتطلبات المالية والنقدية ولكن تبعا للتطور الصناعى . وازاء هذه المطالب اقترح قومسير الشعب للمالية سوكولنيكوف قيام نوع من النيب النقية (طور من الاستقرار النقدى ، وتحسن أحوال السوق ، بدون استبعاد الرقابة على أى حال) . وللنجاح فى تنفيذ هذه السياسة التى كانت تعتبر أساسية فى عهد النيب ، دافع بشراسة عن الاستقلال الذاتى للشئون المالية .

فما الرأى فى هذا الخلاف ؟ ظاهر ان موقف الجوسبلان **قانونا** (نظريا) هو الموقف الوحيد السليم فى **اقتصاد اشتراكى** . وغنى عن الذكر ان مقولات السوق ليست الا شكلا من أشكال عمليات التداول والتوزيع وليس لها أية قيمة فى ذاتها ولا يمكن أن تشكل غاية مستقلة بذاتها لاقتصاد مخطط .

بيد أن النيب ليست الاشتراكية ، انها ليست سوى طور تمهيدى ، يعد « ظروف الهجوم الاشتراكى المقبل . ومن ثم فان لها تناقضاتها الخاصة الرئيسية والثانوية وهى ليست التناقضات الرئيسية والثانوية المفروضة قانونا (نظريا) للاشتراكية . فما هو على وجه التحديد الدور المعين للنيب، انه:

● استخلاص الفائض الزراعى القابل للتسويق والذى تحتاج اليه الصناعة ولا تستطيع انتزاعه مباشرة من الانتاج الفلاحى الصغير .

● تنمية الطلب على المنتجات الصناعية فى الريف — الطلب الانتاجى والاستهلاك الخاص — وتجديد هيكله من أجل تحديد اتجاه جزء من الانتاج الصناعى مستقبلا .

واذ تترك السلطة السوفيتية السوق تلعب دورها فى ظروف قريبة من الطبيعية ، فانها تعيد الى سيرتها الاولى عملية التراكم التلقائية التى عطلتها الحرب ، وتعد بذلك من جهة اخرى الدعامة الاولية من المعلومات التى يستحيل بدونها وضع خطة، ذلك ان التلقائية الاقتصادية هى التى تضع — الى حد ما — بين أيدى أجهزة الدولة البيانات الاساسية التى يعجز الجهاز الحكومى عن جمعها بنفسه لو أنه أخذ على عاتقه تقدير الاحتياجات وتوزيع الموارد بالطرق الادارية .

هذا هو السبب فى أن النقود ، باعتبارها أداة رئيسية من أدوات السوق، تلعب عند هذه النقطة دورا حاسما، وفى أن تثبيتها يبدو كأنه هدف أساسى تخضع له باقى الاهداف كما هو شأن الهدف النهائى بالنسبة للشروط الاولية .

غير أن تروتسكى يساند كلية مطالب الجوسبلان ، ولا يعير مشكلة النقد أى اهتمام، مكتفيا بالقول **بدون أى مبرر** بأن تثبيت النقد يتوقف على دكتاتورية الصناعة ، وهذا يتطلب على الاقل شيئا من الايضاح .

والواقع أن موقف المعارضة التروتسكية يتجلى كله هنا . **انه موقف كل شىء أو لا شىء** الذى يقرر من حيث المبدأ انه اذا لم تطرح فورا التناقضات الرئيسية للاشتراكية والتحديدات الرئيسية للاشتراكية ، فان كل ما عدا ذلك تجريبية لا مبدئية . ومن هنا ذلك التشاؤم المشوب بالاستعلاء ازاء كل الجهود المبذولة لانهاض الحالة فى مجالات معينة من النيب .

ولقد أبدع كار فى كتابه « بين عهدين » Carr : The Interregnum فى سرد مهاترات المعارضة . فمنذ نوفمبر ١٩٢٣ تنبأ سميرنوف فى أحد الاجتماعات ، بشأن آل « تشير فونتز (٦) سوف تفقد قيمتها خلال ثلاثة شهور ، وتحداه سوكولنيكوف بأن يفصح عما اذا كان هذا هو الموقف الرسمى للجوسبلان . يقول كار :

---

(٦) عملة ورقية صدرت فى ذلك العهد (المترجم)

« لما كانت المعارضة قليلة الثقة دائما في أصلاح الصناعة ، ولكنها عاجزة عن الوقوف في وجه اجراء يحظى بتأييد لينين والمؤتمر الحادى عشر للحزب بكل نفوذهما ، فقد اكتفت بمظاهرات من التشاؤم من وقت لاخر » •

وفي الاجتماع التشاورى الثالث عشر للحزب ، في يناير ١٩٢٤ ، أعلن سوكولنيكوف بدء فترة تثبيت النقد الصغير • يقول كار :

« تذمر بريوبرا جنسكى مرة أخرى من أن تنفيذ الاصلاح النقدي يكشف النقاب عن كل الطابع التلقائي وانعدام التخطيط في اقتصادنا » ولكن لم يقدم نقدا جادا ، واستطاع ميكويان بحق أن يسخر من المعارضة لانها لا تؤيد الاصلاح ولا تعارضه » •

كار « بين عهدين » ص ١٣٢ - ١٣٣) .

وفي بداية عام ١٩٢٤ هذا اتضح ان احتقار بريوبراجنسكى لاجراءات النيب الجزئية في غير محله، **فقد اصبحت المسألة المالية مسألة أساسية في هذا المستوى من نمو التناقضات** ، وبشرط النظر الى جوهر المرحلة الحالية وهى النيب .. فتضخم عام ١٩٢٣ الذى لم يكن ثمة غنى عنه في ذلك الوقت لتحقيق الفائض الزراعى كان يجب في الظروف الطبيعية أن يقلق بال الفلاح المشتغل لحسابه الخاص وان يحفزه — في حالة عدم تثبيت الوضع في العام التالي — الى تخزين منتجات زراعية بدلا من اكتناز نقود تتدهور قيمتها باستمرار • وبما أن التراكم كان يجرى على أساس السوق ، فقد كان من المحتمل ان يتعرض بسرعة للخطر • وعلى العموم فقد كان من قبيل الحديث ذى الطابع التجريدى أن يعترف بالسوق كنقطة التحام الاقتصاديين ، دون الاهتمام بالظروف العملية التي تؤدى فيها السوق عملها وأولها النقود ، وبما أن النقود كان لها أيضا في ظل النيب ، في اطار السوق والعمل المعتاد لقانون القيمة ، دور الكشف عن الخطوط العريضة لهيكل الانتاج والاستهلاك ، وتجدد الانتاج (وظيفة معرفة أساسية في اطار الاعداد للتخطيط ، أى تراكم المعلومات العلمية — وهذا هو المفهوم اللينينى للجوسبلان في تلك الفترة) فان تدهور قيمتها كان يلقى عبئا ثقيلا على عملية الاعداد للتخطيط • وقد بسط بوخارين في تقريره المقدم في ٣ ابريل ١٩٢٥ الى اللجنة التنفيذية الموسعة الرأى المتضمن دحض الخط التروتسكى قائلا :

« لقد صادفت بداية المناقشة أزمة اقتصادية شديدة • كانت صناعتنا عاجزة عن تصريف منتجاتها ، وبالتالي لم تكن هناك حركة تجارية لتداول السلع • وهبطت قيمة الروبل السوفيتي الى الصفر ولم يعد الفلاحون يقبلون به ، وبالتالي فبدلا من « التقاء » المدينة بالريف كانت هناك قطيعة بينهما • وكان لابد من العثور على مخرج . ولم تكن هذه مسألة نظرية بل مسألة حيوية لدكتاتورية البروليتاريا •

وعندما وصلنا الى هذه النقطة كان امامنا خطان سياسيان واقتصاديان ، أى نظامان • كان تروتسكى يؤكد ضرورة البحث عن سبب الازمة في انعدام وجود خطة . وكان الخلاص يتمثل في تركيز شديد للصناعة واجراءات أخرى مماثلة •

وكان كل رفاق المعارضة يدافعون عن فكرة الخطة الاقتصادية هذه ، وكل ما عدا ذلك من سياسة الاثمان والاصلاح النقدى كان ثانويا في نظرهم •

وكان للجنة المركزية رأى آخر ، كان من رأيها أن أمامنا مسألتين ملحتين : الاصلاح النقدى من ناحية ، وضغط أثمان المنتجات الصناعية من ناحية أخرى • ان وضع خطة اقتصادية هو بالتأكيد أمر مرغوب فيه ونحن نسعى الى ذلك ، والى الخروج من الفوضى ، طالما ان الخطة هى الخطوة الاولى نحو الاشتراكية • ولكن ليس هذا هو موضوع البحث • ان موضوع البحث هو المسألة العملية التالية :

« ماهى الاجراءات الواجب اتخاذها لكى نقترب من هذه الخطة ؟

« في المقام الاول لا جدوى من الخطب والاحاديث عن الخطة الاقتصادية مادام ليس لدينا نقد ثابت • ففي ظل نظام الاقتصاد السلعى السائد ، كيف نفكر في وضع خطة عندما يكون نظام المدفوعات مهلهلا والمزارع عاجزا تماما عن أمساك حسابات لنفسه ويعطى له ورق لا قيمة له • وعندما تعجز الصناعة عن ضبط حساباتها ووضع ميزانياتها والالتزام بتعهدات ثابتة • كان يتعين اذن أن تكون الفترة الاولى هى فترة الاصلاح النقدى • ثم يأتى وضع ميزانية متوازنة بدون عجز • لهذا اضطررنا عدة مرات الى تخفيض الاعانات الممنوحة لفروع مختلفة من الصناعة » .

« فما مصير دكتاتورية الصناعة على « وزارة المالية » في هذه الظروف ؟ يجب ان أقرر أن قومسيريتنا لا تشبه على الاطلاق أية وزارة مالية برجوازية • وبما أن ميزانيتنا تؤثر في كل الحياة الاقتصادية للبلد ، فان قومسيرية المالية عندنا هى الجهاز الموجه لكل حياتنا الاقتصادية • ولقد تحدث البعض عن الخطة • فما عساها أن تكون ؟ انها عبارة عن وجود تناسب سليم بين مختلف فروع الصناعة من جانب ، وبين الصناعة والزراعة من جانب آخر • والامر الاول يتوقف على

الثانى . ان خطة صناعية فحسب لن تكون الا تجريدا محضا ولعبا بالالفاظ ، ومتى كانت قوموسيرية المالية جهازا هذا خطره ، فأى دكتاتورية نحتاج اليها ان لم تكن دكتاتوريتها ؟ ان المطالبة بفرض دكتاتورية الصناعة على المالية انما تعنى تجاهل حقيقة ان الصناعة تعتمد على منافذها الزراعية . ان تروتسكى يعترف نظريا بأن علينا ان نضمن « اتصال » المدينة بالريف والبروليتاريا بالفلاحين ، ولكننا لسنا بصدد تصريحات بل بصدد التوجيه الاقتصادى والسياسى العملى . لقد كانت سياسة دكتاتورية الصناعة خاطئة ، كانت تقلل من أهمية الفلاحين فى تصريف منتجات الصناعة ، ولقد أساء تروتسكى طرح القضية . وكان اس الداء تشككه فى أمر الاصلاح النقدى .

والواقع ان ماكانت المعارضة تعترض عليه جملة باسم « مخطط عام للاشتراكية » دقيق من الناحية القانونية (النظرية) ولكنه مطروح كضرورة أولية من الناحية العملية (لا يمكن عمل أى شىء بدون تراكم مركزى ومخطط للصناعة الثقيلة) ، أى كضرورة **مجردة** من الظروف المحددة للطور ، نقول انما اعترضت عليه المعارضة هو مبدأ وجود مرحلة اصلاحية فى ذاته ، (**اصلاحية** بمعنى **غير ثورية** ، أى لاتحقق ماهو **جوهرى** خلال فترة طويلة وطبقا للنظرية العامة لاساليب الانتاج) . غير أن مبدأ وجود طور اصلاحى (بكل ما يحتمله مثل هذا الطور من الجوانب غير المتماسكة والمتناقضة واللامبدئية فى الظاهر) هو على وجه التحديد التجديد الكبير الذى صاغ لينين نظريته باسم النيب ــ وهو طور من التراجع التكتيكى يعد الظروف الضرورية واقعيا (وليس بالضرورة نظريا (قانونيا) اذا كانت نقطة البدء مخططا عاما للاشتراكية نستنبط منه تحديدات اشتراكية) للهجوم الاشتراكى المقبل . يقول لينين :

« منذ ربيع ١٩٢١ ونحن نستعيض (نحن لم نستعض بعد بل نحن فى سبيلنا الى أن نستعيض ، وهذا مالم ندركه بعد تمام الادراك) عن هذا المنهج او الخطة ، أو المنهج أو الاسلوب فى العمل بمنهج آخر مختلف تماما ومن النوع الاصلاحى ، ومؤداه : عدم تحطيم الهيكل الاقتصادى والاجتماعى القديم ، والتجارة والانتاج الزراعى الصغير ، والرأسمالية ، بل احياء التجارة والصناعة الصغيرة والرأسمالية مع محاولة السيطرة عليها بحذر بالتدريج ، أو باخضاعها للتنظيم من جانب الدولة بغرض احيائها ليس الا » (*)

« ان هذا موقف مختلف تماما . واذا ماقورن هذا الحل بالحل السابق الثورى ، فان هذا الحل يكون حلا اصلاحيا ، ان الثورة تغيير شامل (انقلاب) يدمر الاوضاع القديمة فى جوهرها ومن أساسها ، بدلا من أن يعيد تشكيلها بحذر وبطء وبالتدريج ومع الحرص على تدمير أقل ما يمكن » .

« ان الثوار الحقيقيين لن يهلكوا (لا بمعنى الهزيمة من الخارج ، بل بمعنى أن قضيتهم سيصيبها الافلاس من الداخل) الا اذا فقدوا وضوح الرؤية وتصوروا ان الثورة « العظيمة العالمية المظفرة » تستطيع ويجب عليها حتما ان تحل كل القضايا بطريقة ثورية ايا كانت الظروف وسيكون هلاكهم عندئذ مؤكدا . وكل من « يتصور » ذلك لابد ان يهلك لانه يكون قد تصور خرافة بصدد قضية اساسية . وجزاء الحماقة فى حرب ضارية (والثورة اشد الحروب ضراوة) هو الهزيمة » (*)

(*) لينين : اهمية الذهب الان وبعد الانتصار الكامل للاشتراكية) ج ٣٣ ص ١٠٥ ــ ١٠٦ .

ان التدليل التروتسكى ينكر عملا هذا التطبيق لعلم الاستراتيجية والتكتيك اللينينى على النيب ، باعتباره ابرازا للتناقضات المحددة للمرحلة (وهذه التناقضات المحددة ليست ، فى النيب ، التناقضات الرئيسية للطور ، ومن باب اولى ليست التناقضات الرئيسية للاشتراكية) .

وفى كل القضايا الخاصة بالوضع السياسى الراهن ، تبدو التروتسكية كمجموعة من المتطلبات الجذرية المستنبطة من صورة تخطيطية عامة لاسلوب الانتاج الاشتراكى ــ دون النظر الى المراحل والاطوار ــ ورفضا لكل اجراء جزئى واهمالا منتظما لكل ما يتعلق بالانجاز العملى .

ان التناقض الرئيسى لطور الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية هو قانونا عند تروتسكى التناقض الرئيسى فى كل لحظة من لحظات الطور ويجب ان يدخل فى التحليل بهذه المثابة . ان المهمة الاساسية للاشتراكية هى ايضا المهمة الاولى من الناحية الزمنية . واخيرا فان ترتيب الماهيات (٧) هو ايضا الترتيب السائد فى كل تدليل ولو تفصيلى .

اما عند لينين وبوخارين ، والى حد ما عند ستالين ، فان التناقض ، او التحديد الذى يكون

---

(٧) بالمعنى الفلسفى (المترجم)

رئيسيا فى الاصل (ثانويا) يمكن ان يصبح ثانويا من الوجهة الفعلية وفى مرحلة معينة ، كما ان التناقض والتحديد الثانوى يمكن ان يصبح رئيسيا (الفلاحون ، الاستهلاك ، التجارة الخارجية ، التهريب ، النقد ، طبيعة جهاز الدولة .. الخ .

.. لذلك نجد عند الاولين على الاقل تعريفا لاعمال قائمة بذاتها فى كافة مستويات التناقض مثل : الاستهلاك ، الايديولوجية ، الفلاحين الخ .. وهذا هو المقصود « بالنزعة الاصلاحية » للنيب .

ملاحظة : النظريتان المتقابلتان بشأن النيب :

اولا : مسار تدليل «اللينينيين»

١ ـ النيب مرحلة اصلاحية ، مستقلة بذاتها ، تعد الشروط الاولية للهجوم الاشتراكى (اعادة القوى الانتاجية الى ما كانت عليه، استخلاص فائض زراعى، تكوين منفذ (سوق) لدى الفلاحين ، تجميع بيانات بشأن الاقتصاد السوفيتى) .

٢ ـ احد اشكال التناقض الرئيسى للنيب هو التناقض بين الزراعة والصناعة (من الصور الاخرى لنفس التناقض : التناقض بين ما تتطلبه وحدة الصناعة والزراعة وبين العقبات التى تعترض هذه الوحدة ، او التناقض بين تنمية وعدم تنمية كل القوى الانتاجية) .

٣ ـ الوجه الرئيسى للتناقض هو الزراعة («يجب على الان ايها الرفاق ان اقول بضع كلمات بشأن الفرع الرئيسى لاقتصادنا وهو الزراعة » ـ لينين فى المؤتمر التاسع للسوفييتات ج ٣٣ ص ١٦١) .

ـ فى حين انه عند تحليل تطور اسلوب الانتاج الاشتراكى فى المدى الطويل ، فان الوجه الرئيسى للتناقض هو الصناعة (« ان الصناعة الكبيرة هى الدعامة الوحيدة للمجتمع الاشتراكى » ج ٣٣ ص ٩٦) .

٤ ـ ان عقدة المسألة هى **السوق** ، كنقطة تقابل الاوجه المختلفة للتناقض ، ونقطة التحول رأسا على عقب من ممارسة ترمى الى التغلب على هذا التناقض فى الطور موضع البحث (« وبطبيعة الحال من الصعب على القائد الشيوعى او القائد النقابى للجماهير الكادحة ان يتصور ان التجارة هى فى الوقت الراهن محك حياتنا الاقتصادية ، وملتقى بل الملتقى الوحيد الممكن للكتيبة الطليعية للبروليتاريا والفلاحين ، والترس الوحيد الذى يسمح ببدء النهضة الاقتصادية على طول الخط ») .

٥ ـ المهام الاساسية فى لحظة معينة : هى المتطلبات التكتيكية للشكل الذى تتخذه فى هذه اللحظة او تلك عقدة التناقض الرئيسى للطور ـ ولو كانت هذه المتطلبات ثانوية او حتى تافهة بالنسبة الى الشروط العامة لسير اسلوب الانتاج الاشتراكى .

وعلى وجه التحديد :

ـ التحسينات المادية والادبية فى احوال صغار الفلاحين الذين يعملون لحسابهم الخاص .

فى العدد القادم نص لينين عن : « قضية الدولة فى المرحلة الاولى للبناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى »

(لينين فى المؤتمر الحادى عشر ج ٣٣ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥)

ـ التدرب على التجارة

ـ الاستقرار المالى .. الخ .

ولئن بدا هذا المسار على العموم واضحا بما فيه الكفاية فانه لم يصغ مع الاسف صياغة منظمة وكاملة فى النصوص الخاصة بالمناقشة (٨) .

اما مسار التدليل التروتسكى فانه لا يعرف التجزئة الى مقاطع الا فى النادر ، وعلى اى حال فان طبيعته ذاتها تمنع من ان يصاغ منه منهج منظم شبيه بما انتهينا توا الى التعريف به ، ولا نستطيع الا تتبع الخطوط العريضة .

ثانيا ـ تدليل التروتسكيين

١ ـ تعريف ووصف اسلوب الانتاج الاشتراكى :

ـ مصادره : البرنامج العام للشيوعيين ، الاستراتيجية ، التكتيك .

٢ ـ ما يتطلبه التطبيق الفورى للتحديد الرئيسى لاسلوب الانتاج فى صورته « النقية » .

ـ التخطيط المركزى على **أساس الصناعة الثقيلة** » .

ومن هنا ـ تركيز المهام الاقتصادية فى أيدى الدولة (وهى قانونا اداة دكتاتورية البروليتاريا)

ومن هنا ـ استغلال صغار الفلاحين (اسلوب انتاج خاضع وفى سبيله الى الزوال) الذين ينتزع منهم « الفائض » الذى يمكن الحصول عليه من الناحية « الفنية » .

تروتسكى

٣ ـ طالما ان هذا المنهج لم يعتمد فالموقف هو رفض المشاركة فى ايجاد حل للتناقضات الثانوية فى المدى الطويل ـ موقف كل شىء او لا شىء .

---

(٨) لذلك زينوفييف آلة نظرية الاطوار . اما بوخارين فانه لايرى ماهو فى النيب [مجرد تناقض فحسب] ولكن يجب أن يكون عاملا من عوامل التدريب فى الفترة اللاحقة .

الثمن ١٠ قروش

مطابع الاهـرام التجارية